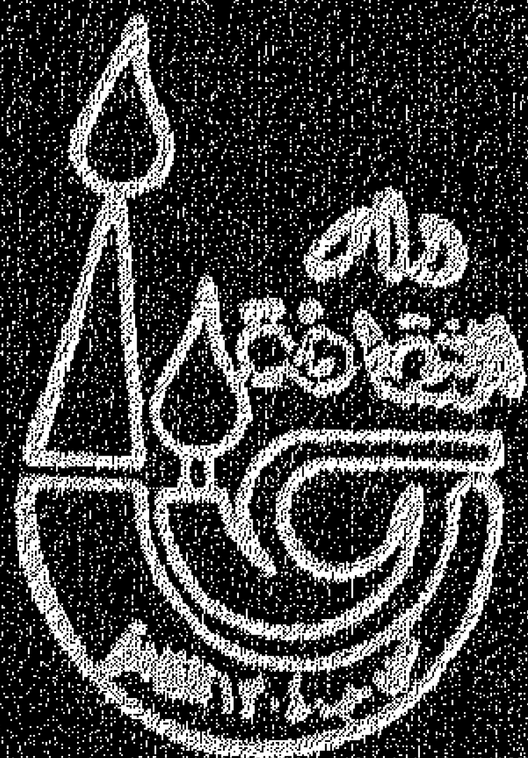
شرح

الرسالة إلى العبرانيين

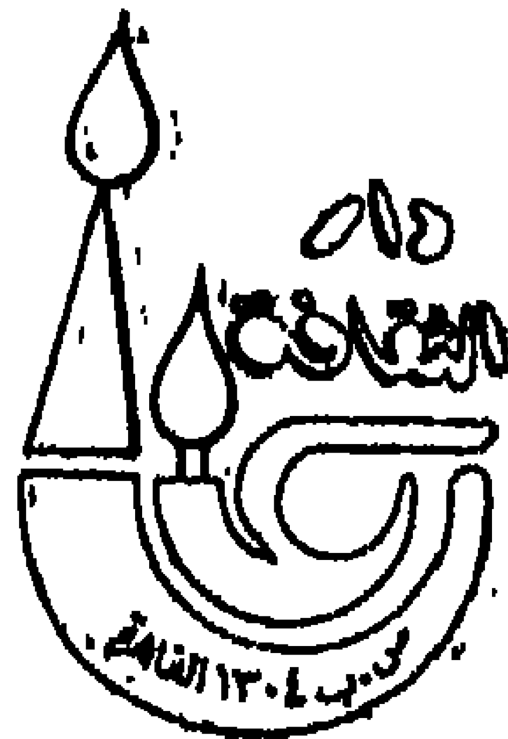
تأليف

الدكتور القس غبريال رزق الله



شرح
الرسالة الى العبرانيين

تأليف
الدكتور القس غبريال رزق الله



صدر عن دار الثقافة المسيحية ص. ب ١٣٠٤ — القاهرة .

٣٩٢ ط ١/٨٤ (أ) (٣ — ٣)
رقم الإيداع بدار الكتب ٥٢١٠/١٩٨٤
طبع بمطبعة دار الجيل للطباعة بالقاهرة

تمهيد

كتب هذا التفسير الأستاذ الكبير واللاهوتى المرموق الدكتور القس غبريال رزق الله الذى كان أستاذاً للاهوت وعميداً لكلية اللاهوت الإنجيلية بالقاهرة .

وقد نشر المؤلف الجزء الأول من هذا التفسير فى الثلاثينات فلاقى إقبالا كبيراً واهتم به الباحثون .

ويمتاز أسلوب الكاتب بطريقة مميزة هى اعتماده فى الشرح على القرائن الكتابية فقد كان يعتمد دائماً على مبدأ ثابت فى الشرح مستنداً على قول الكتاب « قارنين الروحيات بالروحيات » .

لذلك لا تستغرب إن وجدت بعض الصعوبة فى هذا التفسير لأنك لابد أن ترجع للشواهد والقرائن المدونة فى الشرح لكى تفهم ما يريد أن يقوله الكاتب .

والكاتب لا يترك فرصة — أثناء تعرضه لشرح الآيات واحدة فواحدة — إلا وينتهزها للتعليق على الموضوع فهو يتطرق إلى موضوعات مثل البيت المسيحى ويوم الرب .

وقد رأينا أن نجمع تفسير الرسالة كلها فى مجلد واحد — رغم كبر حجمه — لفائدة القارىء كما قصدنا ألا نغير شيئاً مما كتبه الكاتب حتى نحافظ على أسلوبه وطريقته فى الكتابة .

نرجو أن يكون الكتاب نافعاً وبانياً لك أيها القارىء العزيز .

دار الثقافة

فى هذا الكتاب

الموضوع — الصفحة

الرسالة الى العبرانيين

ما أبهى منظر السموات مفتوحة !

(مت ٣ : ١٦) يرينا إياها وقد انفتحت وألقيت منها إلى الأرض نظرة أبوية نحو شخص عجيب هو موضوع تلك النظرة ، بل هو قبلة أنظار السماء ومن فيها . فلقد كان فيها ومنها نزل إلى الأرض متجسداً . فى الجسد عاش ، وفى الأرض جال يصنع خيراً ، وعلى الصليب صنع بنفسه تطهيراً لخطايانا ؛ وفى تلك الأثناء كان صوت إلى الأرض من السماء ينادى من وقت إلى آخر قائلا « هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت له اسمعوا » . (مت ٣ : ١٧ و ١٧ : ٥) .

(أع ١ : ٩ — ١١) يرينا رجالا جليليين يشخصون إلى السماء وهم يلقون النظرة الأخيرة نحو ذات الشخص العجيب وهو يحلق فى الفضاء حتى أخذته سحابة عن أعينهم وغاب عنهم جسده مختفياً وراء الأفق لأنه عاد من حيث أتى ، عاد إلى السماء التى ينبغى أن تقبله إلى أزمنة رد كل شىء التى تكلم عنها الله بفم جميع أنبيائه القديسين ، (أع ٣ : ٢١) . لأنه « هوذا يأتى مع السحاب وستنظره كل عين » (رؤ ١ : ٧) فى هذه الأثناء ، صوت من الأرض إلى السماء يقول «تعال أيها الرب يسوع » (رؤ ٢٢ : ٢٠)

الرسالة إلى العبرانيين ترينا السماء مفتوحة الآن وفيها ذات الشخص العجيب كما رآه زكريا قديماً « وهو يبنى هيكل الرب . وهو يحمل الجلال ويجلس ويتسلط على كرسيه ويكون كاهناً على كرسيه ومشورة السلام بينهما كليهما » (زك ٦ : ١٣) مشورة السلام بين ملكه وكهنوته تعلنه لنا فى وظائفه الثلاث .

فاقرأ الرسالة وأنت شاخص إلى فوق لا لترى حكمة الله فى سماء الطير والهواء ولا لترى مجد المبدع الحكيم فى سماء الفلك والنجوم ، بل اسمُ بنظرك واخترق ببصرك السماءين واصعد إلى السماء الثالثة « ناظراً مجد الرب بوجه مكشوف كما فى مرآة لتتغير إلى تلك الصورة عينها من مجد إلى مجد كما من الرب الروح » .

مخطوطة من رسائل بولس الرسول

جاء فى الايجبشيان جازيت ، بتاريخ ١٠ فبراير سنة ١٩٣٦ ، مقالة عن مخطوطة من رسائل بولس الرسول ، جاء فيها :

(اكتشاف عظيم الشأن فى مصر يرجع عهده إلى مئة سنة قبل المخطوطة السينائية) [١]

مستر تشستر بيتى (Mr. A. Chester Beaty) ، وهو رجل واسع الشهرة ، اشترى حديثاً من تاجر مصرى كمية من أوراق البردى ، اتضح أنها تحتوى على جانب آخر من رسائل بولس الرسول . وبضم هذه الأوراق إلى الأوراق التى كان مستر بيتى يمتلكها من تلك الرسائل فأصبحت تتألف من حوالى خمسة أسداس الرسائل البولسية .

سر فردريك كينيون (Sir Frederic Kenyon) مدير المتحف البريطانى سابقاً هو القائم الآن على طبع ونشر هذه الأوراق وقد أدلى إلى مندوب إحدى المطابع بالحديث التالى : « كان فى مجموعة المستر بيتى أصلا عشر صفحات من المخطوطة البولسية ، وبعد ذلك حصلت جامعة مشيجان على ٣٠ صفحة أخرى . والآن حصل مستر بيتى على ٤٦ صفحة أخرى ، فيكون عددها كلها ٨٦ صفحة . ومن ذلك يمكننا أن نستنتج أن مجموعة الرسائل البولسية متضمنة فى نحو مئة صفحة أما المكتشف منها إلى الآن فيحتوى على كل رسائل بولس ما عدا رسائله إلى تيموثاوس وتيطس وفليمون . أما الرسالة إلى العبرانيين فهى الرسالة الثانية فى هذه المجموعة أى أن ترتيبها

---

(١) المخطوطة السينائية (Codex Sinaiticus) المشار إليها آنفاً هى النسخة المحفوظة الآن فى المتحف البريطانى . وكانت من عهد ليس بعيداً فى روسيا فابتاعتها بريطانيا منها بمبلغ مائة ألف جنيه . وكانت أقدم مخطوطة قبل هذا الاكتشاف . وجدها تشندورف Tischendorf فى دير سانت كاترين بأسفل جبل سيناء ويرجع تاريخها إلى القرن الرابع للميلاد . وهى مقسمة إلى أربعة أعمدة وهذا تقسيم فريد فى نوعه . ومن ضمن ما تحتوى عليه ، جميع أسفار العهد الجديد بدون أى نقص مرتبة هكذا :

(أ) البشائر . (ب) رسائل بولس . وفيها يقع ترتيب رسالة العبرانيين بعد تسالونيكى الثانية (ج) سفر الأعمال . (د) الرسائل الكاثوليكية (أى الجامعة أو العامة وهى رسائل يعقوب وبطرس ويوحنا ويهوذا) . (هـ) سفر الرؤيا ..

يقع مباشرة بعد الرسالة إلى أهل رومية . وهذا فى ذاته اكتشاف جديد لأنه لا توجد مخطوطة أخرى فيها الرسائل بهذا الترتيب » .

« وجدت هذه المخطوطة مع غيرها فى الأقاليم الوسطى بالقطر المصرى وقد عثر عليها بعض الوطنيين وباعوها إلى تجار ، اشتراها منهم مستر بيتى ، وليس أحد يعرف بالتحقيق مصدرها الأصلى . ولا ريب أنها وجدت فى خرائب إحدى الكنائس أو أحد الأديرة[1] . ويرجح جداً أن أوراق البردى البولسية هذه يرجع تاريخها إلى أوائل القرن الثالث أى أنها أقدم من المخطوطة السينائية بنحو مئة عام فهى باعتبار حجمها أقدم مخطوطة للعهد الجديد . وهى مكتوبة باللغة اليونانية بالحبر الذى كان يستعمل عادة فى تلك الأيام والخط جيد رواضح يقرأ بسهولة » .

« الأوراق عموماً فى حالة جيدة إذا استثنينا بعض السطور القليلة التى أمحت من آخر كل صفحة . أما النص فيوجد فيه بعض الاختلافات الطفيفة كما فى سائر المخطوطات ولكنه بوجه عام يطابق النص المتداول بيننا » . — هذا ما جاء فى المقالة ومنه يتضح أنه فى أوائل القرن الثالث للميلاد كانت الرسالة إلى العبرانيين معتبرة واحدة من الرسائل القانونية فى العهد الجديد ، وأنها كانت حينئذ محسوبة من رسائل بولس الرسول . وأنها كتبت باللغة اليونانية . (قابل الكلام فى عنوان الرسالة)

---

(١) مما جاء فى جريدة المقطم تحت عنوان « العلم يؤيد الكتاب المقدس » هذا القول : — « وقد حدث من مدة قريبة أن عرض أحد البدو على المثرى الأميركى المستر تشستر بيتى المقيم بمصر مجموعة من أوراق البردى القديمة اتضح بعد فحصها أن تاريخها يرجع إلى عهد أقدم من التوراة القديمة التى اشتراها المتحف البريطانى من روسيا أخيراً والمعروفة بتوراة سيناء . ومن المحتمل أن تكون تلك الأوراق قد وجدت فى معابد الفيوم .

الرسالة الى العبرانيين ــ عنوانها

هذا عنوان وضعه علماء الكتاب المقدس لسفر من أسفار العهد الجديد فى بعض النسخ اليونانية . وهو العنوان الموجود فى الترجمة الأمريكية العربية المتداولة بين أيدينا فى الكنيسة الإنجيلية .

إلا أن هذا العنوان قد وجد فى بعض النسخ الأقدم على صورة أقصر محذوفاً منه كلمة « الرسالة » أى أنه وجد هكذا : « إلى العبرانيين » وهذا العنوان فى صورته هذه وجد ملازماً لهذا السفر فى العصور الأولى .

على أنه وجد أيضاً فى بعض النسخ الأخرى على صورة أطول مضافاً إليه اسم الكاتب فوجد هكذا « رسالة بولس الرسول إلى العبرانيين » ولا يزال هــذا الفكر غالباً بين العلماء بدليل وجوده أيضاً فى الترجمة اليسوعية العربية والترجمات الإنجليزية المشهورة وغيرها .

هذا الاختلاف فى دلالته إنما هو اختلاف بين العلماء فى نقطتين من جهة هذا السفر : احداهما بشأن كونه رسالة . وثانيتهما بشأن كاتبه . وإذا أضفنا إلى ذلك اختلافهم فى أمر جماعة العبرانيين المذكورين . لوجدنا أنفسنا أمام ثلاثة أسئلة تلزم الإجابة عنها فى مقدمة الكلام : ــ

السؤال الأول : هل هذا السفر رسالة ؟ .

السؤال الثانى : من كتبه ؟ ؟

السؤال الثالث : من هم العبرانيون المشار إليهم ؟

أولا ــ كون هــذا السفر رسالة : العنوان الأقصر وقد حذفت منه لفظة « رسالة » يتبين فيه أن بعض العلماء لم يعتبروا هذا السفر رسالة ، وأنه أولى أن يعتبر مقالة . وذلك لخلوه مما هو معتاد فى عموم الرسائل من ذكر اسم المرسل منه ، والمرسل إليه ، وبعض

الإشارات الدالة . على أن وضع العنوان على هذه الصورة الأقصر هو دليل على أن أولئك العلماء لم يستطيعوا التخلص من فكرة كونه رسالة كما تدل اللفظة « إلى » باعتبار أنه رسالة إلى العبرانيين .

هذا وقد خلت بعض الأسفار الأخرى من ذكر اسم المرسل منه والمرسل إليه ولكنهم اعتبروها رسائل كرسالة يوحنا الأولى مثلا إذ وجدوا فيها ما يشعر بأنها رسالة كتبت من شخص إلى جماعة . وهذا عين ما نستطيع أن نشعر به إذا تصفحنا الرسالة إلى العبرانيين . إذ نجد بين تعبيراتها كثيراً من مستلزمات الرسالة كالقول « رثيتم لقيودى » (١٠ : ٣٤) « صلوا لأجلنا » (١٣ : ١٨) « لكى أرد إليكم بأكثر سرعة » (١٣ : ١٩) « أطلب إليكم أيها الإخوة أن تحتملوا كلمة الوعظ لأنى بكلمات قليلة كتبت إليكم . اعلموا أنه قد أطلق الأخ تيموثاوس الذى معه سوف أراكم إن أتى سريعاً . سلموا على جميع مرشديكم وجميع القديسين . يسلم عليكم الذين من إيطاليا » (١٣ : ٢٢ — ٢٥) . فهذه الأقوال إذ نقابلها بعضها ببعض وبما ورد من نوعها فى بعض الرسائل الأخرى تبين لنا حقيقة العنوان : « الرسالة إلى العبرانيين » .

ثانياً — كاتب الرسالة :

لم يذكر اسم كاتب الرسالة فيها . وقد تبلبلت أفكار العلماء والآباء من جهته . على أن أول من اتجهت إليه أفكار الأولين منهم هو بولس الرسول . فذهب اكلمنضوس الإسكندرى إلى أن بولس كتبها فى اللغة العبرية وأن لوقا ترجمها إلى اللغة اليونانية . وقال أورنجانوس إن معانى الرسالة لبولس والتصنيف للوقا . وقد ذكر اسم برنابا فقال عنه ترتوليانوس إنه كاتبها حسب التقليد الذى جرى فى وقته فى كنائس أفريقيا . وذكر غيره اسم سيلا أو سلوانس . وكلنا يعلم أن هؤلاء الثلاثة أى لوقا وبرنابا وسيلا كانوا جميعهم رفقاء بولس فى سفراته وفى خدمته . على أن بعضهم ذكر اسم ترتليانوس ككاتب لها . أما جيروم فوحده يؤكد وجود بعض الشبه بين أسلوب الرسالة وبين أسلوب اكلمنضوس الرومانى . على أن هذه التخمينات قد انتهت جميعها باتفاق عامة

الآباء فى القرن الرابع للميلاد بعد البحث والتحقق على أن بولس هو الكاتب . وما زال هذا القول مقبولا إلى الآن فى الكنيسة شرقاً وغرباً .

على أنه فى القرن السادس عشر قام لوثيروس وتبعه آخرون إلى اليوم قائلين بنسبة الرسالة إلى أبلوس تخميناً بأنه كاتبها . وهذا قول لم يقل به أحد من آباء الكنيسة قبلهم ، ولم يذكر قط نسبة أية رسالة أو أى شىء آخر إلى أبلوس . ولم يحسبه جيروم بين الكتبة الكنسيين ، ولم يرد فى تقارير أكلمنضوس وأوريجانوس ويوسابيوس أن ذكره ورد على لسان أو فى كتابات أحد من علماء البحث فى هذا الموضوع . ويظهر أن لوثيروس بنى تخمينه هذا على أمرين الأول فصاحة الرسالة . والثانى وجود بعض الرموز والمعانى الغامضة فى الرسالة كانت تستعمل فى المدرسة الاسكندرية . مع تطبيق الأمرين معاً على الوصف الذى جاء عن أبلوس فى الكتاب حيث قيل « يهودى اسمه أبلوس إسكندرى الجنس ، رجل فصيح مقتدر فى الكتب . . كان باشتداد يفحم اليهود جهراً مبيناً بالكتب أن يسوع هو المسيح » (أع ١٨ : ٢٤ و ٢٨) فإذا انطبق هذا الوصف على أبلوس دون سواه لاضطررنا اضطراراً إلى قبول هذا الرأى . أما إذا كان بولس أيضاً ينطبق عليه هذا الوصف وينطبق عليه بدرجة يفوق فيها أبلوس ، فلا نجد ما يضطرنا إلى نسبة الرسالة إلى أبلوس ونعود إلى قبول الرأى الغالب فى الكنيسة عامة وهو نسبتها إلى بولس .

أفلم يكن بولس يهودياً ؟ قال عن نفسه « أنا رجل يهودى » (أع ٢٢ : ٣) « من جنس إسرائيل من سبط بنيامين عبرانى من العبرانيين » (فى ٣ : ٥) .

أو لم يكن مقتدراً فى الكتب ليبين بها لليهود أن يسوع هو المسيح ؟ إنه ، وإن يكن رسول الأمم المفرز (غل ١ : ١٥ و ١٦) ، كان أيضاً إناء مختاراً للرب يسوع ليحمل اسمه ليس فقط أمام أمم وملوك بل أمام بنى إسرائيل أيضاً (أع ٩ : ١٥) وكانت مسرة قلبه وطلبته إلى الله لأجل إسرائيل هى للخلاص (رو ١٠ : ١) وكم كان له حزن عظيم ووجع فى قلبه لا ينقطع ، وكان يود لو كان هو نفسه محروماً من المسيح لأجل اخوته أنسبائه حسب الجسد الذين هم إسرائيليون ولهم التبنى والمجد إلخ (رو ٩ :

١ — ٥) بهذا القلب المتوقد وبهذه الغيرة الملتهبة كان بولس الرسول أينما توجه للكرازة بالإنجيل يجاهر لليهود ويحاجهم من الكتب موضحاً ومبيناً أنه كان ينبغى أن المسيح يتألم ويقوم من الأموات وأن هذا هو المسيح يسوع الذى ينادى لهم به (أع ١٧ : ٢ و٣) وهل هو عجيب إذاً أن يكتب بولس رسول الأمم لإخوته العبرانيين ؟ بل ألا يكون عجيباً ومدهشاً ويكاد يكون أمراً لا يصدق مع ما ذكر ، أنه لا يكتب لهم رسالة واحدة بعد ما كتب عدة رسائل للأمم ؟

وكيف تخفى على فطنة بولس بالنسبة لفطرته وتربيته ، وبسبب المأمورية التى سلمت ليده كرسول لجميع الأمم ، وبعد أن أخذ الإعلان السماوى والنور الفائق ، وبعد أن اختطف إلى السماء الثالثة وإلى الفردوس وسمع كلمات لا ينطق بها ولا يسوغ لإنسان أن يتكلم بها ؛ كيف تخفى على فطنته ، إزاء مناظر الرب وإعلاناته له ، أى فلسفة من فلسفات العالم ؟ ومن يقرأ رسائله الفلسفية ، المنطقية ، الخلاصية ، الروحية ، التعليمية ، العملية ، ويراه عاجزاً عن إدراك أو استعمال بعض الرموز أو المعانى الغامضة فى الرسالة إلى العبرانيين من فلسفة المدرسة الإسكندرية ؟

أما فصاحته فقد شك فيها البعض لما جاء عنه فى قوله للكورنثيين عن نفسه « وإن كنت عامياً فى الكلام » (٢ كو ١١ : ٦) .

على أن من يدقق فى بحث هذا الموضوع يرى أن الرسول إنما يتمشى مع فكر مقاوميه ومنكرى رسالته ، ويسلم لهم جدلا بما يقولونه عنه من هذا القبيل فلا يعتبر هذا اعترافاً صريحاً منه بأنه عامى فى الكلام . ولنفرض نحن جدلا بأنه معترف بهذا القول فلا يكون فى إعترافه هذا أكثر من قوله لهم فى رسالته الأولى « أتيت إليكم ليس بسمو الكلام أو الحكمة . . . وكلامى وكرازتى لم يكونا بكلام الحكمة الإنسانية المقنع » (٢ : ١ و ٤) وقصده فى ذلك أن يثبت لهم أن كلام الفلسفة اليونانية والحكمة الإنسانية لا يمكن أن يعبر عن الحكمة التى يتكلم هو بها لأنه يتكلم بحكمة الله فى سر . الحكمة المكتوبة التى سبق الله فعينها قبل الدهور لمجدنا التى لم يعلمها أحد من عظماء هذا الدهر التى نتكلم بها لا بأقوال تعلمها حكمة إنسانية بل بما يعلمه الروح القدس

(٢ : ٧ و٨و١٣) . أليس هذا هو بولس رجل المنطق والفلسفة فى كتاباته ؟ ورجل الفصاحة والقوة فى خطاباته ؟ أليس هذا هو الإله هرمس كما كانوا يدعونه فى لسترة إذ كان هو المتقدم فى الكلام بالنسبة لبرنابا الذى كانوا يدعونه زفس ؟ (أع ١٤ : ١٢) . وإذا عرفنا أن هرمس كان عند الوثنيين رسول الآلهة وترجمان زفس ، وكان يعتبر إله الفصاحة ، تحققنا كيف كان سامعو بولس يميزون فيه الفصاحة فى الكلام وقوة الحجة والبرهان بحسب ما أعطاه الله من الحكمة التى أشار إليها بطرس الرسول فى قوله « كما كتب إليكم أخونا الحبيب بولس أيضاً بحسب الحكمة المعطاة له كما فى الرسائل كلها أيضاً متكلما فيها عن هذه الأمور التى فيها أشياء عسرة الفهم يحرفها غير العلماء وغير الثابتين كباقى الكتب أيضاً لهلاك أنفسهم » (٢ بط٣ : ١٥ و١٦) وهنا يمكننا أن نقتبس لمناسبة المقام كلمة قالها أحد الذين تتخذ أقوالهم حجة فى هذا الشأن . قال : عندما أتأمل فى عبقرية هذا الرسول وفى نوع كلامه وأساوبه أقر بأنى لم أجد قط تلك العظمة فى أفلاطون نفسه كما أجدها فيه ، وهو يكشف سرائر الله ، ولا تلك الهيبة وذلك التوقد فى ديموستينوس كما أجدهما فيه إذا قصد أن يرهب عقول البشر بمخاوف دينونة الله أو أن ينذرهم أو يجتذبهم إلى التأمل فى صلاحه أو القيام بواجبات التقوى والرحمة ؛ بل لست أجد طريقة للتعليم أكثر ضبطاً وإتقاناً ، لأولئك المعلمين البارعين العظماء كارسطاليس وغيره مما نجده فيه . هذا يأتى بنا إلى :

أسلوب الرسالة :

متضمناً أمرين أولها : اللغة التى كتبت بها . ويكفى أن نعرف عن هذا الأمر أن جميع أسفار العهد الجديد كتبت أصلا باللغة اليونانية غير أن البعض استثنى إنجيل متى والرسالة إلى العبرانيين . أما الرسالة إلى العبرانيين فقد أجمع الآن رأى كل العلماء الراسخين على أنها كتبت أصلا فى اليونانية . وقد كتب بولس جميع الرسائل المعنونة باسمه بهذه اللغة . على أن الفرض ، ولو صح ، بأن هذه الرسالة كتبت باللغة العبرانية لا يؤثر فى كون بولس كاتبها فإن أصحاب هذا المذهب يميلون إلى الفكر ، أن الرسالة كتبها بولس بالعبرانية وترجمها غيره إلى اليونانية .

أما الأمر الثانى المتضمن فى الأسلوب فهو طريقة كتابتها وقد رأى بعضهم أن أسلوب الرسالة من هذا القبيل يختلف عن أسلوب الرسائل المعنونة باسم بولس . وليس من الضرورى أن يكون ذلك دليلا على أن الكاتب فى هذه غيره فى تلك ، فإن الموضوع ، والغرض ، والظروف ، والزمان ، جميعها لها تأثيرها فى تنوع الأسلوب . على أننا إذا تصفحنا الرسالة نجد شيئاً كثيراً من الدليل الذى لا بد منه على أن الكاتب واحد فى جميعها .

من ذلك نسق السير العام فى الرسالة إلى العبرانيين حيث اتبع الكاتب خطته المعتادة بأن جعل القسم الأول منها (ص ١ – ١٠ : ١٨) قسما تعليمياً والقسم الثانى (من ص ١٠ : ١٩ إلى نهاية الرسالة) قسما عملياً . وهذه خطة بولس الرسول ظاهرة فى بعض رسائله كالرسالة إلى الأفسسيين وإلى الرومانيين مثلا . أما بعض النصائح العملية التى تخللت القسم التعليمى فهى دليل قلب الرسول الملتهب نحو أنسبائه كما سبقت الإشارة . كما أن العاطفة الواضحة فى الرسالة تميز فيها بولس دون سواه .

فى الرسالة أيضاً نجد الانتقالات الفجائية من موضوع الكلام الأولى إلى شىء ثانوى له علاقة بذات الموضوع ، ثم الرجوع إلى الموضوع الأصيل ، وهذا أيضاً ما يتميز به بولس فى كتاباته .

أما التعبيرات الخاصة ببولس فوردت فى هذه الرسالة كثيراً ، وتكفى الإشارة هنا – للاختصار – إلى خاتمة الرسالة كالقول « صلوا لأجلنا » (عب ١٣ : ١٨ انظر رو ١٥ : ٣٠ وأف ٦ : ١٨ و ١٩ ، كو ٤ : ٣ ، ١ تس ٥ : ٢٥ . « إله السلام » عب ١٣ : ٢٠ انظر رو ١٥ : ٣٣ ، ١٦ : ٢٠ ، ٢ كو ١٣ : ١١ ، فى ٤ : ٩ ، ١ تس ٥ : ٢٣ ، ٢تس ٣ : ١٦) « الأخ تيموثاوس » ومن الغريب أن بولس فى رسالته الأولى إلى تيموثاوس يدعوه « الابن الصريح » (١ تى ١ : ٢) وفى رسالته الثانية يدعوه « الابن الحبيب » (٢ تى ١ : ٢) ويخاطبه قائلا « يا ابنى » . . أما فى الرسائل الأخرى فيقول عنه « تيموثاوس الأخ » (٢كو ١ : ١ ، كو ١ : ١) ويخيل الى أن بطرس استعمل فى رسالتيه كثيراً من تعبيرات بولس ، فالإشارة عن الضمير

الصالح فى (عب ١٣ : ١٨) وردت فى (١ بط٣ : ١٦ و ٢١) وهى من اصطلاحات بولس (أع٢٣ : ١ ، ١ تى ١ : ٥ و ١٩) . قابل الآية ١٨ كلها بما جاء فى (أع ٢٤ : ١٦ ، ١ كو٤ : ٤ و ٢كو ١ : ١٢ و ٤ : ٢ ، ٢ تى ١ : ٣) وكذا القول « لأنى بكلمات قليلة كتبت إليكم » (١٣ : ٢٢) وقد وردت فى (١ بط ٥ : ١٢) وكذا « سلموا على » و « يسلم عليكم » (١٣ : ٢٤ قابل ١ بط ٥ : ١٣ و ١٤) وهى كثيرة الورود فى رسائل بولس . وقد يعزى هذا إلى سببين أحدهما أن بطرس كتب رسالتيه بعد رسائل بولس ، وثانيهما أن بطرس قرأ رسائل بولس بتدقيق وأشار إليها (فى ٢ بط ٣ : ١٥ و ١٦) ورأى حكمة الله فيها وأشار إلى الأشياء العسرة الفهم فيها . (قابل عب ٥ : ١١ — ٦ : ٨) هذا قليل فى الخاتمة من كثير فى الرسالة يعتبر مع سائر الأدلة المذكورة دليلا على صحة نسبة الرسالة إلى بولس .

إذاً لماذا لم يذكر بولس اسمه فى ديباجة الرسالة كعادته فى سائر رسائله ؟ هــذا بيت القصيد وهنا سر النزاع بين العلماء فلو ذكر اسم الكاتب لاستراح الجميع من عناء البحث ولكنه لم يذكر ، وقد اتخذه البعض دليلا على أن الكاتب لابد أن يكون غير بولس إذ لو كان بولس لذكر اسمه كعادته . والبعض الآخر لم يجد فى عــدم ذكره ما يمنع لقبول الرسالة كرسالة بولسية . على أننا نجد فى عدم الذكر دليلا إيجابياً على أن بولس هو الكاتب ، مرجحين أنه قد تعمد عدم ذكر اسمه ، ليس لإخفائه عن الذين أرسل إليهم الرسالة لأن العلاقة بينه وبينهم حسنة كما هو واضح من الرسالة ومنها القول « صلوا لأجلنا . . . لكى أرد إليكم بأكثر سرعة . اعلموا أنه قد أطلق الأخ تيموثاوس الذى معه سوف أراكم إن أتى سريعاً » (١٣ : ١٨ و ١٩ و ٢٣) . وليس لأنه يشعر بأنه يكتب للعبرانيين بغير سلطان بصفة كونه رسولا خاصاً للأمم . وإلا لشعر بالأولى أن لا يكتب إليهم بتة . بل لأنه يريد ويعلم أن رسالته لابد من انتشارها بين سائر اليهود فى نواحى العالم ، وهؤلاء ينظرون إليه على أنه هو الرجل الذى يعلم الجميع فى كل مكان ضدا للشعب والناموس والهيكل وموسى والختان وسائر العوائد اليهودية (أع ٢١ : ٢١ و ٢٢ و ٢٨) فكان من الحكمة أن لا يذكر اسمه . ولو كان الكاتب سواه لما وجد سبباً لعدم ذكر اسمه .

بناء على ما تقدم نستطيع أن نجزم أو على الأقل نرجح صحة العنوان فى بعض النسخ وهو :

« رسالة بولس الرسول إلى العبرانيين ».

ثالثاً — العبرانيون الذين كتب إليهم بولس الرسالة :

هذا الجزء من العنوان « إلى العبرانيين » وهو كل العنوان فى بعض النسخ كما سبق القول ، لازم الرسالة عنواناً لها منذ ذكرها تاريخياً بين أسفار العهد الجديد ، وهو دليل على أن العلماء ، وإن اختلفوا فى أمر كاتبها ، اتفقوا فى أنها كتبت إلى العبرانيين . على أنهم اختلفوا فى تعيين هؤلاء العبرانيين ، وبخاصة لأن اليهود كانوا فى ذلك الحين متشتتين فى جوانب الأرض ، فقال بعضهم إنهم يهود فلسطين ، وقال آخرون إنهم يهود رومية ، وغيرهم إنهم يهود إسكندرية وغير ذلك . وحيث أنه يوجد فى الرسالة نفسها وخاصة فى خاتمتها ما يتبين لنا منه أنها كتبت إلى جماعة معينين فى جهة معينة نجد ذواتنا مضطرين إلى أن نفهم ، العبرانيين ، لا على الإطلاق بل على الوجه المحدود وفى الكتاب المقدس ما يساعدنا على هذا الفهم كالقول الوارد فى (أع ٦ : ١) « وفى تلك الأيام إذ تكاثر التلاميذ حدث تذمر من اليونانيين على العبرانيين » وكلاهما من اليهود فلم يكن الأمم قد دخلوا بعد إلى المسيحية إذ لم يكن بولس رسول الأمم قد اهتدى بعد إلى المسيحية (أع ٩) . ولم يكن إعلان دخول الأمم قد جاء بعد إلى بطرس (أع ١٠ : ٩ — ١٦) . فقد كان أولئك التلاميذ جميعهم من اليهود أصلا الذين اعتمدوا باسم الرب يسوع وانضموا إلى كنيسته (أع ٢ : ٥ و ١٤ و ٢٢ و ٣٧ — ٤١) . غير أن اليونانيين كانوا يهوداً غرباء فى اليهودية بسبب سكنهم فى غيرها ، أى فى البلاد الوثنية واتخاذهم اللغة اليونانية بمنزلة العبرانية ، وسمى هؤلاء وأمثالهم شتاتاً (يو ٧ : ٣٥) « شتات اليونانيين » . وإليهم كتب يعقوب « إلى الاثنى عشر سبطاً الذين فى الشتات » (يع ١ : ١) . وبطرس « إلى المتغربين من شتات بنتس وغلاطية وكبدوكية وآسيا وبيثينية المختارين » (١ بط ١ : ١) بهذا كان يتميز اليونانيون عن العبرانيين . أما العبرانيون فكانوا يسكنون اليهودية وبقوا على لغتهم الأرامية

حينئذ ، وهى العبرانية ممزوجة بالكلدانية ، وقد اعتبروا أنفسهم أقدس من اليونانيين لأنهم بقوا فى أرض الآباء والأنبياء وهى أرض الميعاد حيث الهيكل وممارسة كل الشعائر الدينية ، ولأنهم تكلموا باللغة المقدسة . أما قول بولس الرسول عن نفسه بأنه « عبرانى من العبرانيين » مع أنه مولود فى طرسوس فهذا من باب التغليب . إلى هؤلاء العبرانيين كتب بولس الرسول رسالته .

هذا يدلنا على أن هذه الرسالة كتبت ، ولابد ، قبل خراب أورشليم وفى زمان اضطهاد شديد كان واقعاً عليهم من إخوتهم اليهود غير المؤمنين وقد بدأ به على الكنيسة فى أورشليم وما حولها شاول الطرسوسى الذى هو بولس نفسه (أع ٧ : ٥٨ و ٨ : ١ — ٣ و ٩ : ١ و ٢) وازداد اشتداداً بعد هداية شاول حتى على بولس نفسه إلى وقت خراب أورشليم .

وإذا صح تقدير العلماء . وهو الأرجح ، بأن هذه الرسالة كتبت فى إيطاليا . إن لم يكن فى رومية ، (عب ١٣ : ٢٤) فى نهاية سجنه الأول . إن لم يكن بعد إطلاقه منه ، ما بين سنتى ٦١ و ٦٣ تكون هى آخر ما كتب الرسول فى حياته إذا استثنينا رسائله الرعوية إلى ابنيه تيموثاوس وتيطس . التى كتبها وهو على أبواب النهاية .

قيمة الرسالة :

هذه الاختلافات الخارجية لا تؤثر بشيء ما فى قيمة الرسالة الداخلية . لأن قيمتها كامنة فى ذاتها فموضوعها خاص ، وطريقة بحثها فريدة فى بابها ، وهى سفر معتبر قانونياً ضمن أسفار الكتاب المقدس ، ويقال فيها ما قاله بولس لابنه تيموثاوس : « كل الكتاب موحى به من الله ونافع للتعليم والتوبيخ للتقويم والتأديب الذى فى البر لكى يكون إنسان الله كاملا متأهباً لكل عمل صالح » (٢ تى ٣ : ١٦ و ١٧) بل هى سفر فريد بين تلك الأسفار ، جامع للعهدين القديم والجديد فلا يمكن تعويضه بآخر . هى سفر مملوء باللاهوت التاريخى معلن للمسيحية وكاشف لمطالبيها فى نور أشعة شمس اليهودية الآخذة فى الأفول . فلنتقدم بنور شمس البر الكاشف بقوة الروح القدس لتفهم معانيها واستجلاء غوامضها بالاتكال على النعمة العاملة فى تفصيل كلمة الحق بالاستقامة .

رسالة بولس الرسول الى العبرانيين ـ شرحها

لكى نصل إلى معرفة الحق المتضمن فى هذه الرسالة ونتفهم معانيها ونتعمق فى تعاليمها والأفكار التى تحتويها ، يلزم أن نضع أمامنا : (أ) غرض الرسول. (ب) موضوع الرسالة . (ج) طريقة البحث .

غرض الرسول :

يتبين من الرسالة أن الرسول كتبها إلى العبرانيين توطيداً للذين آمنوا منهم فأصابتهم محنة الاضطهاد ، أن لا يزيغوا عن الإيمان حاثاً إياهم على الثبات فى الإيمان ، والصبر على الشدائد والبلايا ، ابتغاء لوجه يسوع ابن الله ، وتوقع ما وعدهم المسيح بصدق الرجاء والثقة الوافية . (انظر ص ٢ : ١ — ٤ و٣ : ٧ — ١٨ و ٤ : ١ و١١ و١٤ — ١٦ و ٦ : ١ — ٨ و ١٠ : ١٩ — ٣٩ و ١٢ : ١ — ٣ و١٥ — ١٧ و٢٥ — ٢٩ الخ) وهذا الغرض يتضمن أيضاً ، ولابد ، دعوة للذين لم يؤمنوا بعد بالمسيح ابن الله الموعود .

موضوع الرسالة :

جعل الرسول موضوع الرسالة ، للوصول إلى الغرض ، مقابلة بين رتبة العهد القديم ورتبة العهد الجديد . فيها بين بجلاء أفضلية الديانة المسيحية على اليهودية باعتبار كونها الحقيقة التى أشارت إليها جميع الرموز والطقوس اليهودية والأقوال النبوية ، وتمت كلها فيها . وباعتبار نسبتها إلى المسيح الذى هو بمعزل عن أن يعادله أحد من المرسلين .

طريقة البحث :

سار الرسول فى بحث هذا الموضوع للوصول إلى الغرض فى طريقة الاجمال فالتفصيل .

فقد أجمل الموضوع فى الثلاثة الأعداد الأولى من الرسالة ..

وفصله من العدد الرابع إلى نهاية الرسالة فى قسمين رئيسيين ، أحدهما تعليمى ، شرح فيه الموضوع عقيدة شرحاً وافياً ، وثانيهما وعظى ، شرح فيه الموضوع نصحاً وتحذيراً بجلاء ووضوح .

على أن طريقة البحث فى هذه الرسالة تتميز عنها فى غيرها من ناحيتين .

إحداهما : أن القسم التعليمى تخلله نصح وتحذير ليس بقليل يرى معه الباحث حقيقة كون الرسالة عملية أكثر منها تعليمية ، سواء أكان فى الغرض أو الموضوع أو طريقة البحث . ولو أن القسم الوعظى أيضاً لا يخلو من الأفكار التعليمية .

ثانيتهما : أن فى الرسالة ظاهرة تكاد تكون ملازمة لطبيعة البحث فيها ستقابلنا فى طريق بحثنا ، وهى أن الرسول عندما يقصد الدخول فى موضوع جديد ينسجه نسجاً مع النقطة السالفة التى انتهى إليها من موضوع سابق ، ومنها يخرج بفكرة جديدة يدخل بها إلى باب جديد ينفتح أمامه .

مما قيل نستطيع أن نلخص الرسالة فى ما يأتى :

١ — الديباجة . وهى استهلال بديع يتضمن الرسالة مجملة (ص ١ : ١ — ٣) .

٢ — القسم التعليمى وفيه بحث فى ثلاثة أبواب عن أفضلية المسيح :

(أ) عن الملائكة فى رتبته الملكية (ص ١ : ٤ — ٢ : ١٨) ومفتاح هذا الباب « صائراً أعظم من الملائكة » (١ : ٤) .

(ب) عن موسى وسائر الأنبياء فى رتبته النبوية (ص ٢ : ١ — ٤ : ١٦) ومفتاحه « حسب أهلا لمجد أكثر من موسى » (٣ : ٣) .

(ج) عن هرون وجميع الكهنة فى رتبته الكهنوتية (ص ٥ : ١ — ١٠ : ٢١) ومفتاحه « أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكى صادق » (٥ : ٦) .

وبالجملة أفضلية المسيح كملك ونبى وكاهن . وتقوم أفضلية المسيح بالنسبة لهذه الحالات الثلاث باعتباره ابناً وهذه هى النقطة الجوهرية فى الإجمال (انظر ١ : ٢)

« كلمنا فى هذه الأيام الأخيرة فى ابنه » . أو فى التفصيل (انظر ١ : ٥) « لمن من الملائكة قال قط أنت ابنى » (٣ : ٥ و ٦) « موسى . . . كخادم . . وأما المسيح فكابن على بيته » . . (٧ : ٢٨) « فإن الناموس يقيم أناساً بهم ضعف رؤساء كهنة . . وأما كلمة القسم التى بعد الناموس فتقيم ابناً مكملا إلى الأبد » .

٣ ــ القسم العملى وفيه نصح بالتمسك بالإيمان وتحذير من الارتداد عنه (ص١٠ : ٢٢ ــ ١٢ : ٢٩) .

٤ ــ الخاتمة متضمنة نصائح ختامية متنوعة (ص ١٣) .

الديباجة

ص ١ : ١ — ٣

الاصحاح الاول

اللهُ بَعْدَ مَا كَلَّمَ ٱلْآبَاءَ بِالْأَنْبِيَاءِ قَدِيماً بِأَنْوَاعٍ وَطُرُقٍ كَثِيرَةٍ
٢ كَلَّمَنَا فِي هٰذِهِ ٱلْأَيَّامِ الأَخِيرَةِ فِي ٱبْنِهِ ٱلَّذِي جَعَلَهُ وَارِثاً لِكُلِّ
شَيْءٍ ٱلَّذِي بِهِ أَيْضاً عَمِلَ ٱلْعَالَمِينَ ٣ ٱلَّذِي وَهُوَ بَهَاءُ مَجْدِهِ
وَرَسْمُ جَوْهَرِهِ وَحَامِلٌ كُلَّ ٱلْأَشْيَاءِ بِكَلِمَةِ قُدْرَتِهِ بَعْدَ مَا صَنَعَ
بِنَفْسِهِ تَطْهِيراً لِخَطَايَانَا جَلَسَ فِي يَمِينِ ٱلْعَظَمَةِ فِي ٱلْأَعَالِي .

فى هذه الديباجة تظهر براعة الاستهلال . وما أمجد أن يبدأ الرسول رسالته هذه بذكر اسم الجلالة « الله » وفى هذا الذكر دليل على أن الرسول والمرسل إليهم كليهما من « أهل بيت الله » « أهل الإيمان » به تعالى . فهو كيهودى يخاطب إخوته وأنسباءه حسب الجسد الذين هم إسرائيليون ولهم التبنى والمجد والعهود والاشتراع والعبادة والمواعيد ولهم الآباء ومنهم المسيح .

بعد أن وضع الرسول الأساس المؤسس ، حجر الزاوية الكريم فى ذكر « الله » جل اسمه بنى على ذلك الأساس الحقائق التى يمكن أن نتبينها فى الشكل المبين بعد : —

عد ١	الله	عد ٢
كلم الآباء	كلمنا	
كلم الآباء بالأنبياء	كلمنا فى ابنه	
كلم الآباء بالأنبياء قديماً	كلمنا فى هذه الأيام الأخيرة	

كلم الآباء بالأنبياء قديماً بأنواع وطرق كثيرة . كلمنا فى هذه الأيام الأخيرة فى ابنه

فى هذا الشكل نتبين العهد القديم والعهد الجديد أو الناموس والإنجيل .

(١) — فى نقطة اتفاقهما :

فكلاهما كلام « الله » وعن كليهما يقال « كل الكتاب موحى به من الله » (٢ تى ٣ : ١٦) « لأنه لم تأت نبوة قط بمشيئة إنسان بل تكلم أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس » (٢ بط ١ : ٢١) وهذا الفكر مبين فى كلمة « كلم » التى استعملت للتعبير عن منطوقات الملائكة (٢ : ٢) وموسى (٩ : ١٩) وسائر الأنبياء من صموئيل فما بعده (أع ٣ : ٢٤ ويع ٥ : ١٠) فهى لفظة تعبر عما نطق به الله بفم أنبيائه وقديسيه وبواسطة ملائكته وأخيراً فى ابنه وهى الكلمة المتضمنة فى الكتب المقدسة فى العهدين القديم والجديد فإنه تعالى ولو أن « السموات تحدث بمجده والفلك يخبر بعمل يديه » (مز ١٩ : ١) ولو « أن أموره غير المنظورة ترى منذ خلق العالم مدركة بالمصنوعات قدرته السرمدية ولاهوته» (رو ١ : ٢٠) « ولو أنه لم يترك نفسه بلا شاهد وهو يفعل خيراً يعطينا من السماء أمطاراً وأزمنة مثمرة ويملأ قلوبنا طعاماً وسروراً» (أع ١٤ : ١٧) ، إلا أن محبته العظيمة قد اقتضت أنه لا يترك البشر لنور الطبيعة وأعمال العناية « لكى يطلبوه لعلهم يتلمسونه فيجدوه » (أع ١٧ : ٢٧) بل باركهم بالاعلان الفائق إذ كلمهم من السماء بكلمات الوحى المقدس .

(٢) — فى نقطة اختلافهما :

وهذه يبينها النص فى أربعة أمور :

(أ) — فى الأشخاص الذين صار الكلام إليهم « كلم الآباء » . . « كلمنا » وهنا يقابل الرسول بين الآباء وأبنائهم وكلاهما يهود . فالآباء هم السلفاء من موسى إلى ملاخى باعتبار الوحى الذى بدأ نزوله على موسى عند جبل سيناء . أما باعتبار الجسد فالآباء من ابراهيم الذى هو أب لليهود حسب الجسد كما قالوا (يو ٨ : ٣٣ ، ٣٩) « أننا ذرية ابراهيم » « أبونا هو ابراهيم » وهذا تطابقه سلسلة النسب التى ذكرها البشير متى (ص ١ : ١ — ١٦) . على أننا لا ننسى الآباء من نوح إلى ابراهيم ومن آدم

إلى نوح لتكميل السلسلة التى ذكرها البشير لوقا (٣ : ٢٣ – ٣٨) ولو أن الفكر الأول هو ما تعنيه القرينة . أما الأبناء فهم الذين كانوا فى عصر الرسول وقد كتب إليهم جاعلا نفسه واحداً منهم فى القول « كلمنا » . الذين يعتبر عصرهم عصر العهد الجديد بعد أن جاء المسيح من السماء وأكمل الفداء ورجع إلى أبيه .

(ب) – فى الزمان الذى تكلم فيه الله « قديماً » . . . « فى هذه الأيام الأخيرة » . فالعهد القديم هو كلمة الله « قديماً » وهو تعبير إذا أخذ على اطلاقه يشمل المدة ما بين الوعد الأول الذى أعطى لأبوينا الأولين (تك ٣ : ١٥) باعتبار كون المسيح نسل المرأة الذى يسحق رأس الحية القديمة ، التنين العظيم المدعو إبليس والشيطان (قابل رؤ ١٢ : ٩) وما بين الوعد الأخير الذى أعطى بفم ملاخى (٤ : ٢) باعتبار كون المسيح شمس البر مشرقة والشفاء فى أجنحتها (قابل يو٨ : ١٢) . أما إذا أخذ بنسبته إلى اليهود ، وهو المقصود بالنسبة إلى الموضوع كما سبقت الإشارة ، فيشمل المدة من إعطاء الناموس على يد موسى فى البرية وتأسيس الكنيسة اليهودية وعبادتها إلى ختام النبوة فى أيام ملاخى .

وإذا دققنا البحث فى مدلول هذه الكلمة « قديماً » نرى فيها أيضاً اعترافاً ضمنياً أن كلمة الله إلى الآباء قد انقطعت بعد أيام ملاخى زمناً أشار إليه حجى فى نبواته بالقول « هى مرة بعد قليل » وقد دام نحو ٤٠٠ سنة ، تكلم الله بعدها بصوت يوحنا المعمدان فى البرية (مت٣ : ١) واليهود أنفسهم يعتبرون الزمن المشار إليه زمن البيت الأخير الذى بنوه بعد السبى وتكلم عنه حجى (ص ٢ : ٣ و ٩) وقد كان فى أعينهم كلا شىء بالنسبة إلى مجد البيت الأول الذى بناه سليمان ، وأخرب عند السبى البابلى ، وذلك لأنه فى اعتبارهم كانت تنقصه على الأشهر خمسة أشياء هى : (١) – التابوت والغطاء والكروبان – (٢) – دهن المسحة – (٣) – النار الدائمة – (٤) – الأوريم والتميم – (٥) – الروح القدس أو روح النبوة .

أما العهد الجديد فهو كلمة الله « فى هذه الأيام الأخيرة » وهو قول مقتبس من الترجمة السبعينية للقول العبرى (بأحريت هياميم) أى بأخريات الأيام . وقد ترجم (فى

تك ٤٩ : ١ وعد ٢٤ : ١٤ وتث ٣١ : ٢٩ ودا ١٠ : ١٤) « فى آخر الأيام » حيث جمع يعقوب بنيه لينبئهم بما سيصيبهم « فى آخر الأيام » . وتنبأ بلعام لبالاق بما سيفعله إسرائيل بموآب « فى آخر الأيام » . وتكلم موسى عن بنى إسرائيل بأنهم سيزيغون ويصيبهم الشر « فى آخر الأيام » . وأعلن لدانيال ما يصيب شعبه « فى الأيام الأخيرة » والاشارة فى ذلك إلى مستقبل الأيام ، ويغلب أنه المستقبل البعيد .

على أن التعبير قد صار اصطلاحاً فنياً يشار به إلى زمن مسيا كما جاء فى (اش ٢ : ٢ ومى ٤ : ١) (ويكون فى آخر الأيام أن جبل بيت الرب يكون ثابتاً فى رأس الجبال » الخ ، (هو ٣ : ٥) « بعد ذلك يعود بنو إسرائيل ويطلبون الرب إلههم وداود ملكهم ويفزعون إلى الرب وإلى جوده فى آخر الأيام » . وفى تصور اليهودى هو زمن يوافق ظهور المسيا . وإذا قابلنا هذا التعبير ببعض التعبيرات الأخرى الواردة فى هذه الرسالة كالقول « العالم العتيد » (٢ : ٥) و « الدهر الآتى » (٦ : ٥) و « انقضاء الدهور » (٩ : ٢٦) (انظر تفسير هذه التعبيرات فى أماكنها) وقابلناها كلها بقول بولس نفسه (١كو١٠ : ١١) « نحن الذين انتهت إلينا أواخر الدهور » لتجلى أمامنا قصد الرسول فى هذه العبارة . وإذا قابلناها بقول بطرس (١ بط١ : ٢٠) من جهة ظهور المسيح للفداء « فى الأزمنة الأخيرة » وفى (أع ٢ : ١٧) بشأن اتمام نبوة يوئيل عن حلول الروح القدس « فى الأيام الأخيرة » نرى أن الأيام الأخيرة هى زمان انقضاء نظام الكنيسة اليهودية فى رتبة العهد القديم ، ملء الزمان الذى جاء فيه « شيلون » (تك ٤٩ : ١٠) وبرز فيه «كوكب يعقوب» « وقضيب إسرائيل » (عد ٢٤ : ١٧ — ١٩) . زمان نهاية اليهودية كشعب وكأمة ومملكة إتماماً لقول السيد: « هوذا بيتكم يترك لكم خراباً » (مت٢٣ : ٣٨ إقرأ أيضاً لو ١٩ : ٤١ — ٤٤) . فهوذا قريب على الأبواب إتمام نبوة دانيال المذكورة فى (دا ٩ : ٢٥ — ٢٧) . هوذا قريب ظهور رجسة الخراب فى المكان المقدس حيث يزول الهيكل وتبطل الذبيحة اليومية وتخرب المدينة ويقضى على الأمة وعلى كهنوتها وكل رتبها الطقسية .

(ج)— فى الكيفية التى بها أوصل الله كلامه « **بأنواع وطرق كثيرة** » والكلمة « **كثيرة** » فى الأصل تصف الأنواع والطرق معاً وتعنى الكلمة « **أنواع** » فى أصلها

أجزاء أو قطع أما الكلمة « طرق » فتعنى الكيفيات . فالأنواع تشير إلى أن كلمة الله فى العهد القديم لم تعلن دفعة واحدة وأن فكره وإرادته تعالى قد ظهر للآباء تدريجياً فى أزمنة متتابعة جزءاً فجزءاً بقدر ما استطاعت الكنيسة حينئذ أن تحتمل من النور .

أما الطرق فتشير إما إلى طرق اتصال الله بالأنبياء كما بالأحلام ، أو بالرؤى ، أو بالوحى ، أو بالمناداة بالصوت العلنى ، أو بالملائكة ، أو أنها تشير إلى طرق اتصال الله بالآباء عن يد الأنبياء كما بالمواعيد ، أو بالتهديدات ، أو بإعلان إرادته صريحاً ، أو بالرسائل والنبوات الفردية الخاصة ، أو بالمواعظ الجمهورية ، أو بغير ذلك . وقد يكون المقصود الأمرين معاً .

فالكتب المقدسة فى العهد القديم هى من هذا القبيل ، كقطعة موسيقية مختلفة الأجزاء متفقة فى النغمة بلا تنافر بين الأصوات ، فإن جميع الأنبياء قد فتشوا وبحثوا عن الخلاص وتنبأوا عن النعمة باحثين أى وقت أو ما الوقت الذى كان يدل عليه روح المسيح الذى فيهم إذ سبق فشهد بالآلام التى للمسيح والأمجاد التى بعدها (١ : ١٠ و ١١)

كون الله تكلم قديماً « بأنواع وطرق كثيرة » هذا يحقق أنه تعالى قد تدرج فى إعلان إرادته ، وأن إعلانات العهد القديم لابد وأن تكمل بإعلان أسمى ، تعتبر ناقصة بدونه . وبخاصة ما دام لا يوجد فيها ما يفيد أن الله قد كف عن التكلم ، بل يوجد فيها ما يفيد العكس (ملا ٤ : ٤ و ٥) ، ويجعلنا أن ننتظر مجىء إيليا الذى هو يوحنا المعمدان (مر ٩ : ١١ — ١٣ مع مت ١١ : ٧ — ١٤) ، ومجىء الرب نفسه كما يشهد به الأنبياء (أع ١٠ : ٤٣) ؛ الأمر الذى يؤكد أن العهد القديم لا يكمل بدون العهد الجديد الذى ابتدأ به الرب « مرة » وأكمله . فهو « الإيمان المسلم مرة للقديسين » (يه ٣ — انظر عب ١٢ : ٢٦ و ٢٧) ليس فى يوم واحد ، ولا بموعظة واحدة ، ولا على يد شخص واحد ، بل فى عصر واحد وفصل واحد يشمل المدة من دخول الرب فى خدمته إلى نهاية الوحى الإلهى . تلك النهاية التى كانت على الأبواب عند كتابة هذه الرسالة .

(د) فى الأشخاص الذين بواسطتهم تكلم الله « بالأنبيــاء » . . . « فى ابنه » . وهنا بيت القصيد فى هذه الرسالة وفى موضوعها العام والخاص « فالأنبياء » هم الذين كلمهم الرب وكان إليهم كلامه (خر ٦ : ١٠ وحز ٦ : ١ مع ٢ بط ١ : ٢١) وهم جميع الذين وصلت إليهم إعلانات الله « بأنواع وطرق كثيرة » فكلموا بها « الآباء قديماً » وأعلنوا لهم الإرادة الإلهية كما أوحى إليهم وأعلن لهم . وبينهم « موسى وإيليا » وغيرهما . ولهذا لقبت كتب العهد القديم « بالكلمة النبوية » و « نبوة الكتاب » (٢ بط ١ : ١٩ و ٢٠ . قابل رؤ ٢٢ : ١٠ و ١٨ و ١٩) .

أما إعلانات العهد الجديد فهى كلام الله إلينا « فى ابنــه » وهذا هو الكوكب المتلألىء فى سماء هذه الرسالة والمحور الذى عليه تدور كرتها والنقطة المركزية لمحيط دائرتها . فنحن الآن أمام قدس أقداس الرسالة ، بل أمام لهيب النار المتوقدة فى العليقة ، بل أمام رئيس جند الرب ، فلنخلع نعالنا من أرجلنا قبل أن نقترب لننظر إليه . نحن فى حضرة السيد الملك الجالس على كرسى عال ومرتفع وأذياله تملأ الهيكل فلنغط وجوهنا ولننتظر حتى تمس شفاهنا قبل أن ننطق بكلمة عنه .

قبل الكلام عن هذه الشخصية العجيبة لننظر إلى نقطتين فى أصل اللغة .

إحداهما — تختص بحرفى الجر « ب » فى « بالأنبياء »« وفى»فى « فى ابنه » فهذان الحرفان فى الأصل حرف واحد فإذا قلنا « بالأنبياء » نقول أيضاً « بابنه » وإذا قلنا « فى ابنه » نقول أيضاً « فى الأنبياء » . على أن هذا لا يعنى المساواة بين الأنبياء والابن ، فإذا استعملنا الباء فليس هذا ليكون الابن مجرد آلة كالأنبياء وإذا استعملنا « فى» فليس هذا ليكون الله فى الأنبياء على النحو الذى هو به فى ابنه ، فالفصل محفوظ على أى حال كما سنرى :

ثانيتهما — فى ضمير الهاء فى « ابنه » فإنه فى الأصل مقدر وليس ظاهراً وبهذا التقدير تكون العبارة « فى ابن » أو بابن بمقابلة القول « بالأنبياء » أو فى الأنبياء فهم كثيرون أما هو فواحد . هم عبيد أما هذا فابن : وهذه هى علاقته « بالله » (عد ١)

علاقة ابن بأبيه . أما علاقته بأولئك «الأنبياء» فقد أشار إليها الرسول فى (رو١ : ١ — ٣) وهو يتكلم عن «إنجيل الله الذى سبق فوعد به بأنبيائه فى الكتب المقدسة عن ابنه» الذى قال عنه إشعياء وهو واحد منهم «ونعطى ابنا» (إش ٩ : ٧) فهو موضوع نبواتهم وجوهر كتبهم ، كما أنه أيضاً المعلن لهم كل ما كتبوه والمتكلم فيهم بكل ما قالوه ، فهو الذى «ذهب فكرز للأرواح التى فى السجن إذ عصت قديماً . . . فى أيام نوح» (١ بط ٣ : ١٨ — ٢٠) بواسطة نوح (٢ بط٢ : ٥) . وهو الذى ظهر لموسى فى العليقة وكان معه فى الكنيسة فى البرية وكان يكلمه من جبل سيناء (أع ٧ : ٣٥ و ٣٨) .

هذا هو الذى جاء «أخيراً» «وفى آخر الأيام» (اقرأ مت ٢١ : ٣٣ — ٤٤) لأنه «لما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه» فهو ختام المرسلين ليس فقط باعتبار أنه جاء أخيراً ، بل بالأحرى باعتبار كونه الابن . «أخيراً أرسل إليهم ابنه قائلا يهابون ابنى» . وليس من المعقول ولا من المنقول ولا مما يتفق مع كرامة الإبن أن يرسل الله عبيداً بعد ابنه فهو رسول الله الأخير إلى العالم . أما بطرس وبولس وسائر الرسل فجميعهم بشهادة أنفسهم بالروح القدس ليسوا رسل الله بل هم عبيد هذا الإبن المبارك ورسله (انظر رو ١ : ١ و ١كو١ : ١ ويع ١ : ١ و ١ بط١ : ١ ويه ١ورؤ١ : ١)

أما كون هذا اللقب لقباً خاصاً مميزاً ، وتلك العلاقة فريدة فى بابها ، وأنه هو الإبن الوحيد ، فقد بينه الرسول فى الوصف الذى وصف به هذا الابن فى باقى عد ٢ وعد ٣ . وفى هذا الوصف خمسة أشياء تظهر الابن : (١) فى ملكه كوارث ، (٢) فى أزليته كخالق ، (٣) فى شخصه كإله ، (٤) فى قدرته كرب العناية ، (٥) فى عمله كفاد . وهذه جميعها متعلقة بالابن باعتبار كونه إعلان العهد الجديد :

(١) — ملكه كوارث «جعله وارثاً لكل شئ» (١ : ٢) . وهنا نرى الوارث ، والميراث ، والتوريث .

الوارث : «هذا هو الوارث» (مت ٢١ : ٣٨) قال الكرامون هذا القول «لما رأوا الإبن» ابن صاحب الكرم الذى أرسله إليهم ليأخذ الأثمار ، لأنهم يعلمون

أن الابن هو الوارث شرعاً دون سواه « فإن كنا أولاداً فإننا ورثة أيضاً » (رو٨ : ١٧). ولذلك قبل أن يعد الله ابراهيم بالميراث وعده بالنسل (تك ١٥ و ١٧ : ١ — ٨ انظر غل ٣ : ٢٩) . وهذا هو الواضح هنا حيث الوارث مشار إليه بضمير الهاء المتصل بكلمة « جعل » فى « جعله » عائداً على « ابنه » الذى سيكون موضوع كل الكلام فيما بعد .

الميراث : وتشير إليه الآية بالقول « لكل شىء » وقد أشار إليه الابن نفسه بالقول « كل شىء قد دفع الى من أبى » (مت ١١ : ٢٧) « دفع الى كل سلطان فى السماء وعلى الأرض » (مت ٢٨ : ١٨) . فالميراث إذاً هو سلطان الآب الذى دفعه إلى الإبن وأعطاه إياه ميراثاً إذ جعله فوق كل رياسة وسلطان « اسألنى فأعطيك الأمم ميراثاً لك وأقاصى الأرض ملكاً لك » (مز٢ : ٨) . بهذا السلطان قال لتلاميذه « إذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس . وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به » (مت ٢٨ : ١٩) . بهذا السلطان صعد أيضاً فوق جميع السموات لكى يملأ الكل . « وهو أعطى البعض أن يكونوا رسلا والبعض أنبياء والبعض مبشرين والبعض رعاة ومعلمين لأجل تكميل القديسين لعمل الخدمة لبنيان جسد المسيح إلى أن ننتهى جميعنا إلى وحدانية الإيمان ومعرفة ابن الله إلى إنسان كامل إلى قياس قامة ملء المسيح » (أف ٤ : ٨ — ١٣) . « بهذا السلطان كل الذين قبلوه أعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله أى المؤمنون باسمه الذين ولدوا ليس من دم ولا من مشيئة جسد ولا من مشيئة رجل بل من الله » (يو١ : ١٢ و١٣) . « فأخذوا روح التبنى ، ونالوا الروح الذى يشهد لأرواحهم أنهم أولاد الله ، وصاروا ورثة أيضاً ورثة الله ووارثين مع المسيح » (رو٨ : ١٥ — ١٧) .

بهذا السلطان يدعو جميع المتعبين والثقيلى الأحمال قائلا : « تعالوا الى . . . وأنا أريحكم . احملوا نيرى عليكم وتعلموا منى لأنى وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحة لنفوسكم لأن نيرى هين وحملى خفيف (مت ١١ : ٢٨ — ٣٠) .

التوريث : « جعله وارثاً » : الكلمة المترجمة « جعله » تشير إلى عمليات خاصة بها تعين ابن الله وارثاً لكل شيء . منها :

(أ) إعلان بنوته . وقد تم ذلك (١) بفم جبرائيل الملاك فى أثناء البشارة بولادته إذ قال لمريم : « لذلك القدوس المولود منك يدعى ابن الله » وهى تسمية لها علاقة بتصريحه بأنه « يكون عظيما وابن العلى يدعى ويعطيه الرب الإله كرسى داود أبيه ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ولا يكون لملكه نهاية » (لو ١ : ٣٥ مع ٣٢و٣٣) (٢) من فم الآب نفسه عند المعمودية وعلى جبل التجلى إذ قال « هذا هو ابنى الحبيب » (مت ٣ : ١٧ ولو ٩ : ٣٥) .

(ب) إقامته من الأموات لأنه « تعين ابن الله بقوة من جهة روح القداسة بالقيامة من الأموات » (رو ١ : ٤) حيث أكمل الله الموعد الذى صار للآباء إذ أقام يسوع كما هو مكتوب فى المزمور الثانى « أنت ابنى أنا اليوم ولدتك . اسألنى فأعطيك الأمم ميراثاً لك » (مز ٢ : ٧و ٨ انظر أع ١٣ : ٣٣ و ٣٤) .

(ج) إصعاده إلى السماء وإجلاسه عن يمين العظمة . فما تنبأ به داود « قال الرب لربى اجلس عن يمينى حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك » (مز ١١٠ : ١) رآه دانيال فى رؤى الليل « وإذا مع سحب السماء مثل ابن إنسان أتى وجاء إلى القديم الأيام فقربوه قدامه فأعطى سلطاناً ومجداً وملكوتاً » (دا ٧ : ١٣و ١٤) . واثبته الرسول بالقول « لأنه يجب أن يملك حتى يضع جميع الأعداء تحت قدميه » (١ كو١٥ : ٢٥) .

أما العلاقة بين الإبن كوارث لكل شيء ، وبينه كاعلان العهد الجديد فتتبين جلياً فى قول الإبن نفسه (مت ١١ : ٢٧) « كل شيء قد دفع الى من أبى وليس أحد يعرف الإبن إلا الآب . ولا أحد يعرف الآب إلا الابن ومن أراد الإبن أن يعلن له » أى أن معرفة الآب الذى لا يعرفه إلا الإبن جعلت فى سلطان الإبن ليعلنها لمن يريد بمقتضى السلطان الذى دفع إليه :

٢ — أزليته كخالق : « الذى به أيضاً عمل العالمين » (١ : ٢) إشارة إلى كينونته الأزلية ، وإلى مركزه كخالق :

(أ) كينونته الأزلية : وقد أشار إليها يوحنا بقوله « فى البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله . هذا كان فى البدء عند الله . به كل شيء كان وبغيره لم يكن شيء مما كان » (يو ١ : ١ — ٣) « فإنه فيه خلق الكل ما فى السموات وما على الأرض ما يرى وما لا يرى سواء كان عروشاً أم سيادات أم رياسات أم سلاطين . الكل به وله قد خلق ، الذى هو قبل كل شيء وفيه يقوم الكل » (كو ١ : ١٦ و ١٧) .

(ب) مركزه كخالق : فى لفظ « به » ليس كآلة الخلق التى بها الله عمل ، ولا كعلة أدنى متوسطة بين الله والخلق وإلا كان هو ذاته مخلوقاً . بل باعتبار كونه الكلمة الأزلى الذى هو ذات الله . وهذا كان إيمان الكنيسة اليهودية العام كما يرى فى تراجمهم حيث يذكر كثيراً القول « كلمة الله » ليس بالفكر عن كلمة قدرته بل بفكر عندهم عن أقنوم فى اللاهوت ينسبون إليه خاصيات شخصية يعبرون عنها فى قولهم ، كلمة الله فعل ، وقال ، وافتكر ، وذهب ، وما شاكل . ففى (مز ٦٨ : ١٧ و ١٨) مثلا يثبتون أن « الكلمة » الذى أعطى موسى الشريعة على جبل سيناء ، ساكن فى السماوات العليا . وفى (تك ١ : ٢) يقولون عن « روح الله » الذى كان يرف على وجه المياه ، إنه روح مسيا الملك الذى لا يسعهم إلا أن يعترفوا أن « به كل شيء كان » ويترجمون القول « لأن إلهك معينك » (١ أى ١٢ : ١٨) بالقول « لأن كلمة الرب معينك » ، وهكذا . فالرسول فى قوله « به عمل العالمين » أراد أن يعرف اليهود أن يسوع هو « كلمة الله » « المسيا » الذى به كل شيء كان . وهو ذلك الأقنوم فى اللاهوت الذى هو والآب واحد (يو ١٠ : ٣٠) ، وهو يعمل ما يعمله الآب (يو ٥ : ١٩) ، وأنه فى الآب والآب فيه (يو ١٤ : ١٠ و ١١) فبهما وبالروح القدس المنبثق من الآب ومن الإبن الذى هو والآب واحد تمت عملية الخلق (اقرأ أيضاً أم ٨ : ٢٢ — ٣١) .

بقى علينا أن نفهم كلمة « **العالمين** » التى عملها الله بالإبن . فقد ورد لفظها بصيغة الجمع هنا كما هى فى الأصل اليونانى ، كما ورد فى (ص ١١ : ٣) فى قوله « بالإيمان نفهم أن العالمين أتقنت بكلمة الله » . وقد ترجمت أيضاً بلفظ الدهور فى (ص ١ : ٨) « كرسيك يا الله إلى دهر الدهور » (١ تى ١ : ١٧) « وملك الدهور . . . له الكرامة والمجد إلى دهر الدهور آمين » . والكلمة فى العبرانية « هاعو لا ميم » وفيها معنى الإخفاء والابقاء سراً مكتوماً لا يكشف . ومنها العذراء التى لم تأت بعد إلى حالة الزواج العلنية (إش ٧ : ١٤ ومت١ : ٢٣) « هوذا العذراء تحبل وتلد ابناً ويدعون اسمه عمانوئيل » وبحسب هـــذا المعنى يكون المقصود « **بالعالمين** » دهور العالم فى تتابعها ودوامها ، وهى أشياء خفية فما مضى قد نسى ، وما هو آت غير معروف والحاضر يمر وليس من يلاحظ إذ « ليس ذكر للأولين والآخرون أيضاً الذين سيكونون لا يكون لهم ذكر عند الذين يكونون بعدهم » (جا ١ : ١١) .

على أن الكلمة يعبر بها عن العالم بالنسبة لكيانه ، وكذا بالنسبة لدوامه .

أما بالنسبة لكيانه فاليهود يقسمون العالم إلى أربعة أقسام : (١) العالم السفلى وهو الأرض والهواء فى مناطقه العديدة . (٢) العالم الملائكى وهو عالم الأرواح الخادمة إذ يتصورونهم ساكنين فى أماكن مرتفعة للاشراف على الأرض . (٣) عالم الأجرام السماوية (٤) العالم العلوى الذى يدعوه سليمان « سماء السموات » (١ مل ٨ : ٢٧) ويدعوه بولس « السماء الثالثة » (٢ كو ١٢ : ٢) وهو عالم الأرواح المنطلقة .

أما بالنسبة لدوامه فيقسمونه إلى خمسة أقسام : (١) العالم الغابر الذى دعاه بطرس « العالم الكائن حينئذ » أى « منذ القديم » الذى هلك بالطوفان . (٢ بط ٣ : ٥ و ٦) (٢) العالم الحاضر ، هذا الدهر وهو حال الأشياء فى زمان الكنيسة اليهودية . (٣) الدهر الآتى وهو زمان مجيء المسيا (عب ٦ : ٥ انظر عب ٢ : ٥) « العالم العتيد » . (٤) عالم قيامة الأموات (٥) عالم الأبد أى الحياة الأبدية. باعتبار هذا التقسيم وذاك يقول الرسول « **العالمين** » بصيغة الجمع ويعلن لليهود مقام ابن الله « الذى به عمل **العالمين** » .

هذا الكلمة الأزلى الذى « به كل شيء كان » هو الذى « صار جسداً وحل بيننا ورأينا مجده مجداً كما لوحيد من الآب » . لأن « الله لم يره أحد قط الابن الوحيد الذى فى حضن الآب هو خبر » فكلمة الخلق هو ذاته كلمة الإعلان (يو ١ : ١ — ٣ و ١٠ و ١٤و ١٨) .

٣ — شخصه كإله : « الذى وهو بهاء مجده ورسم جوهره » (١ : ٣) . أمام مجد الله وبهائه ، أمام جوهر الله ورسمه ، نواجه « أشـــياء عسرة الفهم يحرفها غير العلماء وغير الثابتين لهلاك أنفسهم » . فلنركع أمام العرش ولنرفع قلوبنا إلى الله مع موسى الذى قال : « أرنى مجدك » ولنقل مع فيلبس « أرنا الآب وكفانا » ناظرين إلى : —

(أ) مجد الله وبهائه : قال أحد كتبة اليهود بشأن هذا المجد الإلهى ما يأتى : توجد درجة من ذلك المجد كانت عيون الأنبياء قادرة على استكشافها ؛ وثانية رآها كل إسرائيل كالسحابة والنار ؛ وثالثة لها لمعان يبهر العيون لا يقدر بشرى أن يدركها ، ومن يحاول النظر إليها ينحل جسمه ويتفكك بناوه ؛ والأمر الجوهرى فى هذا القـــول هو التعبير عن الاعتقاد أن مجد الله نار ونور وهذا توافقه رؤيا حزقيال إذ رأى منظر شبه مجد الرب مثل منظر نار ولها لمعان من حولها (حز ١ : ٢٧و٢٨انظر خر٢٤ : ١٦و١٧)

مجد الله يعبر عنه كتابياً بأنه وجه الله ، بل هو ذات الله كما جاء فى جواب الله على سؤال موسى : « أرنى مجدك » ، إذ قال له « لا تقدر أن ترى وجهى لأن الإنسان لا يرانى ويعيش » وهذا ما قاله الكتاب عن الله أنه « نار آكلة» (تث ٤ : ٢٤ و٩ : ٣ وإش ٣٣ : ١٤ وعب ١٢ : ٢٩ وأنه « نور » ١ يو ١ : ٥ و «شمس» مز ٨٤ : ١١) . وأنه «أبو الأنوار » (يع ١ : ١٧) و « اللابس النور » (مز١٠٤ : ٢) و « ساكن فى نور لايدنى منه » (١ تى ٦ : ١٦) . وهذا يبينه بهاء المجد الذى سطع على وجه موسى عند نزوله من جبل سيناء حيث كان عند الرب أربعين نهاراً وأربعين ليلة ، فقد رآه شعب إسرائيل « وإذا جلد وجهه يلمع » (خر ٣٤ : ٢٨ — ٣٥) ولا عجب لأنه عاين شبه الرب حيث تكلم الرب معه عياناً فماً لفم ووجهاً لوجه (عد ١٢ : ٨ وتث ٥ : ٤ انظر ٢ كو٣ : ٧) .

أية عين لا تشتهى أن ترى مجد الله ؟ وأى قلب لا يتوق إلى أن يتملأ من بهائه ؟ ومن يرى مع بطرس شعاع ذلك المجد البهى فوق جبل التجلى ، ولا يقول معه « جيد أن نكون ههنا » (مت ١٧ : ٤) ؟

ولكن كيف الوصول إلى ذلك بينما الله نفسه يقول : « لا تقدر أى ترى وجهى . لأن الإنسان لا يرانى ويعيش » ؟ ! وكيف يقدر موسى أن يدخل خيمة الاجتماع وقد غطتها السحابة وبهاء الرب ملأ المسكن ؟ (خر ٤٠ : ٣٤ و ٣٥) ، وكيف يستطيع الكهنة أن يدخلوا بيت الرب وقد ملأه مجد الرب ؟ (٢ أى ٧ : ١ — ٣) .

ابن الله ، وهو « بهاء مجد الله » شعاع ذلك النور الإلهى المنبعث منه ، قال لفيلبس « الذى رآنى فقد رأى الآب » (يو ١٤ : ٩ انظر يو ١٢ : ٤٥ و ٤٦) « لأن الله الذى قال أن يشرق نور من ظلمة هو الذى أشرق فى قلوبنا لإنارة معرفة مجد الله فى وجه يسوع المسيح » (٢ كو ٤ : ٦) .

هذا هو « الله » الذى نظره يعقوب وجهاً لوجه ونجيت نفسه ، (تك ٣٢ : ٣٠) « ملاك الرب » الذى رآه جدعون وجهاً لوجه ولم يمت ، (قض ٦ : ٢٢ و ٢٣) . الشخص العجيب الذى رآه منوح وامرأته ولم يموتا (قض ١٣ : ١٧ — ٢٣) . « الله » الذى رآه أشراف إسرائيل وأكلوا وشربوا فى حضرته فوق جبل سيناء ولم يمد يده إليهم (خر ٢٤ : ٩ — ١١) ؛ هذا هو « الله » الذى « ظهر فى الجسد » (١ تى ٣ : ١٦) « الكلمة صار جسداً وحل بيننا ورأينا مجده مجداً كما لوحيد من الآب » (يو ١ : ١٤) . فهو « نور من نور » « فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس » (يو ١ : ٤) « كان النور الحقيقى الذى ينير كل إنسان آتياً إلى العالم . كان فى العالم وكون العالم به ولم يعرفه العالم » (يو ١ : ٩ و ١٠) . فهو « نور العالم » (يو ٨ : ١٢ و ٩ : ٥) « وبهاء مجد الله » .

(ب) جوهر الله ورسمه : المرئيات من الأشياء هى العرضيات التى تتميز بها تلك الأشياء فتدركها العين . أما جوهرها فهو الحقيقة غير المنظورة التى لا تستطيع العين أن تراها ولا يمكن للنظر إدراكها :

جوهر الله هو لاهوت الله ، حقيقة ذاته ، فهو فى ذاته جوهر فرد . « الله روح » (يو ٤ : ٢٤) غير منظور ، « لم يره أحد من الناس ولا يقدر أن يراه » و(١ تى ٦ : ١٦) « قدرته السرمدية ولاهوته » أمور غير منظورة (رو ١ : ٢٠) .

رسم جوهر الله هو فى ذاته صورة الله كما قال عنه بولس أيضاً (كو ١ : ١٥) « الذى هو صورة الله غير المنظور » .

وحيث ليس للجوهر صورة أو رسم ، إلا ما كان من طبيعة ذلك الجوهر ، يكون رسم جوهر الله هو ذاته الله . فهو إله حق من إله حق مساو للآب فى الجوهر « الذى إذ كان فى صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلا لله » (فى ٢ : ٦) « فإنه فيه يحل كل ملء اللاهوت جسدياً » (كو ٢ : ٩) . وهذه الحقيقة لم يجهلها اليهود كما عبر فيلو عن إدراكهم إياها بالقول « ان كنا غير مستحقين أن ندعى أولاد الله ، فلنكن أولاداً لصورته الأزلية ، الكلمة الكلى القداسة ، لأن الكلمة الأزلى هو صورة الله » .

فى العهد القديم كان للرسم أو للنقش مكان فى الرسوم الموسوية للدلالة على جوهر الله . وأجد هذه النقوش من هذا القبيل ما أمر به الرب فى (خر ٢٨ : ٣٦ — ٣٨) « وتصنع صفيحة من ذهب نقى وتنقش عليها نقش خاتم قدس للرب وتضعها على خيط أسمانجونى لتكون على العمامة . إلى قدام العمامة تكون . فتكون على جبهة هرون ، فيحمل هرون إثم الأقداس التى يقدسها بنو إسرائيل جميع عطايا أقداسهم . وتكون على جبهته دائماً للرضى عنهم أمام الرب » ؟

ومن هو رئيس الكهنة العظيم الذى يحمل ، منقوشاً على جبهته ، اسم الله الذى يدل على جوهره تعالى ، معلناً قداسته ومجده فى وسط شعبه حاملا آثامهم قدامه للرضى عنهم ؟ من هو غير ابن الله الكاهن الأعظم ، ذلك الحجر الواحد ، حجر الزاوية الكريم ، الذى عليه سبع أعين وقد نقش الله نقشه لإزالة اسم الأرض (انظر إش ٢٨ : ١٦ ومز ١١٨ : ٢٢ وزك ٣ : ٩ ومت ٢١ : ٤٢) . هذا هو رسم جوهر الله « الذى صار لنا حكمة من الله وبراً وفداءاً وقداسة » (١ كو ١ : ٣٠) .

(٤) قدرته كرب العناية : « حامل كل الأشياء بكلمة قدرته » (١ : ٣) الأشياء المحمولة، وحمل الأشياء، والقدرة الحاملة.

(أ) الأشياء المحمولة « كل الأشياء ». وهي « كل شيء به كان » (يو ١ : ٣)، هي « العالمين » التي به عملت (عب ١ : ٢)، هي « ما في السموات وما على الأرض وما تحت الأرض. ما يرى وما لا يرى » (كو ١ : ١٦ انظر خر ٢٠ : ١١).

(ب) حمل الأشياء « حامل » هذه الكلمة المترجمة « حامل » هي في اللغة العبرية اسم الفاعل للفعل « ناسا » وقد عبر عنها موسى في قوله للرب « لماذا لم أجد نعمة في عينيك حتى أنك وضعت ثقل جميع هذا الشعب علي . . . حتى تقول لي إحمله في حضنك كما يحمل المربي الرضيع » (عد ١١ : ١١ و ١٢). ومن ذات الفعل « ناسا » مشتق كلمة « رئيس » (١ مل ١١ : ٣٤ وعد ٧ : ١١) وهو الذي يحمل ثقل الشعب، وهو يضبطهم ويسوسهم ويرعاهم، وكل ذلك متضمن في نبوة إشعياء عن المسيح في قوله « يولد لنا ولد ونعطى ابناً وتكون الرياسة على كتفه » (إش ٩ : ٦).

وهذا يعني أن ابن الله العظيم بيده « كل الأشياء » باعتبار أن مصيرها معلق على تلك اليد فهو الآن يحفظها بمقتضى نواميسها وضوابطها فلا تعود إلى ما كانت عليه في البدء حيث « كانت الأرض خربة وخالية » (تك ١ : ٢)، وسيبقى حافظاً إياها ضابطاً لها « إلى يوم الدين وهلاك الناس الفجار » يوم « تزول السماوات بضجيج وتنحل العناصر محترقة وتحترق الأرض والمصنوعات التي فيها » حيث « ننتظر سموات جديدة وأرضاً جديدة يسكن فيها البر » (انظر ٢ بط ٣ : ٧ — ١٣).

على أن « الحمل » يتضمن أيضاً أن ابن الله القدير يدير العالم بعنايته ويسوسه ضابطاً حوادثه وما جرياته لتؤدي كلها الغرض، الذي سبق الله فعين لأجل مجده كل ما يحدث. وهذه هي الصورة التي مثلها لنا حزقيال كما رآها في رؤياه (حز ١)، حيث رأى عناية الله المجيدة في سياسة الكون ممثلة في مركبة كروبيم « أربعة حيوانات » لها بكراتها تسير بها، وقد جلس فوقها الله القدير إله إسرائيل متسلطاً على جميع الأشياء يديرها كيف يشاء، ويتمم بها ما أراد. هذا عين ما رآه يوحنا في رؤياه (ص ٤). وفي الرؤيين نرى الله قابضاً بيده على العلل الثانوية محركاً إياها إلى النتائج المعينة التي سبق فقصدها قبل كل الدهور لمجده.

هذا يتضمن أيضاً عمل ابن الله ، الخاص برعاية شعبه باعتباره حاملا كل الأشياء ، وقد عبر عنه موسى بالقول « كما يحرك النسر عشه وعلى فراخه يرف ويبسط جناحيه ويحملها على مناكبه . هكذا الرب وحده اقتاده وليس معه إله أجنبي » (انظر تث ٣٢ : ٩ — ١٤) ، وعبر عنه إشعياء بالقول « كراع يرعى قطيعه بذراعه يجمع الحملان وفى حضنه يحملها ويقود المرضعات » (إش ٤٠ : ١١ انظر لو ١٥ : ٤ — ٦)

(ج) القدرة الحاملة « **بكلمة قدرته** » وسواء عاد ضمير الهـــاء فى « **قدرته** » إلى الآب أو إلى الابن فالمعنى واضح أن « العالمين أتقنت بكلمة الله » (عب ١١ : ٣) وأن المسيح نفسه هو كلمة الله الذى به كل شيء كان » (يو ١ : ١ — ٣) لأنه « قال فكان ، هو أمر فصار » (مز ٣٣ : ٩) ، فذات الكلمة الذى خلق هو ذات الكلمة الذى يحمل فهو الخالق وهو الحامل ، هو الإله المدبر والمدير لجميع الكائنات . وفى هذا الصدد قال المسيح لليهود « أبى يعمل حتى الآن وأنا أعمل » (يو ٥ : ١٧) .

لاحظ أن الكلمة الخالق ، والكلمة الحامل ، هو هو الكلمة المعلن « كلمنا فى ابنه » .

٥ — عمله كفاد « **بعد ما صنع بنفسه تطهيراً لخطايانا** » (١ : ٣) تطهير الخطايا ، — وصنعه :

(أ) تطهير الخطايا : « **تطهيراً لخطايانا** » الكلمة اليونانية المترجمة هنا « **تطهيراً** » كثيراً ما تعنى التطهير الفعلى سواء أكان من النجاسات الخارجية كتطهير الأبرص من نجاسة برصه (مر ١ : ٤٠ ولو ٥ : ١٢) ، أو كتطهير الأطعمة بحسب الشريعة (مر ٧ : ١٩) أم من النجاسات الروحية كتطهير القلوب من الخطية (أع ١٥ : ٩ و ٢ كو ٧ : ١ وأف ٥ : ٢٦) . إلا أن عملية التطهير هنا لا ينطبق عليها تماماً هذا المعنى فهى عملية تمت فى الماضى كما سنرى . كما أن الإشارة فيها إلى موت المسيح ذبيحة ، فلا بد أن المقصود هو التكفير بالحرى لا التطهير . وهذا توافقه الترجمة السبعينية فإن الكلمة اليونانية المترجمة هنا « **تطهيراً** » هى ذاتها الواردة فى السبعينية ترجمة للكلمة العبرية « كبورت » أى كفارة وتكفير . (انظر خر ٢٩ : ٣٦ و ٣٧ و ٣٠ : ١٠)

ومنه القول المتكرر « ويصنع هرون كفارة على قرونه (المذبح) مرة فى السنة . عن دم ذبيحة الخطية التى للكفارة مرة فى السنة يصنع كفارة عليه » إشارة إلى يوم الكفارة العظيم .

وإذا عرفنا أن كلمة « الكفارة » هى ذاتها المستعملة للدلالة على « الغطاء » الذى على تابوت الشهادة فى قدس الأقداس (خر ٢٦ : ٣٤) يتبين لنا أن الكفارة غطاء . وكما أن غطاء التابوت ، مرشوشاً بالدم ، يستر تحته لوحى الشريعة النارية التى تبين إثم الإنسان وخطيته وتعلن غضب الله ودينونته ، هكذا الكفارة هى غطاء يستر خطايانا عن عين الله بدم رش ذبيحة الفادى فيتحقق القول : « إذاً لا دينونة الآن على الذين هم فى المسيح يسوع » (رو ٨ : ١) « أرى الدم وأعبر عنكم » (خر ١٢ : ١٣ انظر مز ٣٢ : ١) .

(ب) صنع التطهير « **صنع بنفسه** » نسب الرسول عمل الخلق إلى الابن فى صيغة الماضى كعمل قد تم وانقضى ، ونسب إليه عمل العناية فى صيغة الحاضر كعمل جار وسيبقى إلى ما لا نهاية ، أما عمل الفداء فوإن كان عملية جارية بالنسبة للمفديين ، ولكنه بالنسبة للمسيح عمل « قد أكمل » فقد « صنع تطهيراً » أى كفارة . والإشارة إلى أنه « لما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولوداً من إمرأة » (غل ٤ : ٤ و ٥) . وإلى كون الإبن قد أظهر مرة عند إنقضاء الدهور ليبطل الخطية بذبيحة نفسه (عب ٩ : ٢٦) وكل ذلك تم فى تحسد المسيح وتقديم جسده على الصليب ذبيحة كفارية ، فقد جاء بنفسه وقدم نفسه « **وصنع بنفسه تطهيراً لخطايانا** » « لذلك عند دخوله إلى العالم يقول ذبيحة وقرباناً لم ترد ولكن هيأت لى جسداً . بمحرقات وذبائح لم تسر . ثم قلت هأنذا أجىء فى درج الكتاب مكتوب عنى لأفعل مشيئتك يا الله » (عب ١٠ : ٥ — ١٠ انظر مز ٤٠ : ٦ — ٨) .

بعد ما جاء المسيح إلى العالم وقدم نفسه كفارة لخطايانا صعد إلى السماء حيث « **جلس فى يمين العظمة فى الأعالى** » (١ : ٣) — يمين العظمة ، الجلوس فى يمين العظمة ، الجالس فى يمين العظمة :

(أ)—« يمين العظمة فى الأعالى » و « يمين عرش العظمة فى السموات » (٨ : ١) و « يمين عرش الله » (١٢ : ٢) و « يمين الله » (١٠ : ١٢) « ويمينى » (مز ١١٠ : ١) كلها تشير إلى ذات الفكر الواحد . وحيث أن الله روح غير محدود بمكان وليس له يمين ولا يسار ولا خلف ولا قدام فتكون هذه جميعها تعبيرات مجازية تعنى المقام الملكى ، والرفعة العظيمة ، والسمو الإلهى ، والسلطان الفائق ، والملكوت السماوى الذى أعطاه الله لابنه لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة (دا ٧ : ١٤) ولكى تجثو باسمه كل ركبة ممن فى السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض ، ويعترف كل لسان أن يسوع رب ، لمجد الله الآب (فى ٢ : ١٠ و ١١) .

(ب)—« الجلوس عن يمين العظمة » . بحسب ما سبق يكون معنى الجلوس عن يمين العظمة أن الإبن تسلم الملك والسلطان من أبيه ليقوم مقامه — كما كان يوسف فى أرض مصر قائمقام فرعون ملكها — فى سياسة الكون والسيادة على جميع الأشياء « فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة وكل اسم يسمى ليس فى هذا الدهر فقط بل فى المستقبل أيضاً وأخضع كل شىء تحت قدميه . وإياه جعل رأساً فوق كل شىء للكنيسة (أف ١ : ٢١ — ٢٣) لكى يرد كل شىء (أع ٣ : ٢١و ٢٦) ويسلم الملك لله الآب (١كو ١٥ : ٢٤) .

(ج)—« الجالس فى يمين العظمة » ابن الله « الذى هو بهاء مجده ورسم جوهره » ابن الله « الذى به عمل العالمين » ابن الله الذى هو « حامل كل الأشياء بكلمة قدرته » ابن الله الذى « صنع بنفسه تطهيراً لخطايانا » هذا هو « الذى جعله وارثاً لكل شىء » ، « فجلس فى يمين العظمة فى الأعالى » : (١) لأنه الإبن الوحيد كما تدل عليه هذه الأوصاف ، ليس باعتبار كونه الكلمة الأزلى بغض النظر عن تجسده ولا باعتبار التجسد بغض النظر عن أزليته ، بل باعتبار كونه الكلمة الأزلى الابن الوحيد الذى فى حضن الآب الذى صار جسداً (يو ١ : ١ و ١٤ و ١٨) « عمانوئيل » (مت١ : ٢٣ انظر إش ٧ : ١٤) « الله ظهر فى الجسد » (١ تى ٣ : ١٦) وبهذه النسبة هو الوارث الوحيد . فجلس فى يمين العظمة وارثاً لكل شىء . (٢) لأجل الكفارة التى صنعها لأجل الخطايا . فهو الآن فى يمين عرش العظمة فى السموات رئيس كهنة خادماً

للأقداس والمسكن الحقيقي الذى نصبه الرب لا إنسان (عب ٨ : ١ و ٢) وهو فى وسط العرش « خروف قائم كأنه مذبوح له سبعة قرون وسبع أعين » (رؤ ٥ : ٦) وبهذا نراه عن يمين العظمة الكاهن الملك والملك الكاهن . الرجل الذى رآه زكريا واسمه الغصن (المشرق من العلاء) الذى ينبت من مكانه ويبنى هيكل الرب وهو يحمل الجلال ويجلس ويتسلط على كرسيه ويكون كاهناً على كرسيه وتكون مشورة السلام بينهما كليهما — أى بينه كملك وبينه ككاهن (زك ٦ : ١٢ و ١٣) .

وإذا رأيناه أيضاً نبياً باعتبار كونه بهاء مجد الآب ورسم جوهره . نراه إذاً لابساً ثياب وظيفته المثلثة .

ملكاً ونبيـاً وكاهناً

وهذه هى الأبواب الثلاثة التى سنجد بحثها فى القسم التعليمى .

القسم التعليمى

(عب ١ : ٤ — ١٠ : ١٨)

(ثلاثة أبواب)

(١) المسيح فى رتبته الملكية وفضله فيها على الملائكة (عب١ : ٤ — ٢ : ١٨)

(٢) المسيح فى رتبته النبوية وفضله فيها على موسى وسائر الأنبياء (عب ٢ و ٣) .

(٣) المسيح فى رتبته الكهنوتية وفضله فيها على هرون وسائر الكهنة (عب٥ — ١٠ : ١٨) .

فلندخل الآن إلى كل باب من هذه الأبواب الثلاثة على حدته ، لنكتشف بنور الروح القدس الكشاف مجد ابن الله الوحيد وفضله على جميع البشر .

١ — المسيح فى رتبته الملكية

(عب ١ : ٤ — ٢ : ١٨)

فى بحث هذا الباب يجب أن لا ننسى الموضوع العام الذى هو أفضلية العهد الجديد على العهد القديم فيكون غرض الرسول من هذه الوجهة تبيين فضل المسيح باعتبار علاقته بالعهد الجديد على الملائكة باعتبار علاقتهم بالعهد القديم . ليظهر فضل العهد الجديد على العهد القديم . وللوصول إلى هذا الغرض يلزم أن ندخل هذا الباب باحثين عن ثلاث نقط جوهرية لإدراك القصد :

أولا : علاقة الملائكة بالعهد القديم (انظر تفسير ص ٢ : ٢) .

ثانياً : علاقة المسيح بالعهد الجديد (انظر تفسير ص ٢ : ٣ و ٤) .

ثالثاً : فضل المسيح على الملائكة وهذا ما سندخل إلى بحثه الآن من وجهتين — إحداهما إجمالية — والأخرى تفصيلية — فقد أجمل الرسول بحث هذا الموضوع فى (ص ١ : ٤) — وفصله فى ثلاثة فصول (ص ١ : ٥ — ٢ : ١٨) .

فضل المسيح على الملائكة كملك

البحث الإجمالى (ص ١ : ٤)

٤ صَائِراً أَعْظَمَ مِنَ ٱلْمَلاَئِكَةِ بِمِقْدَارِ مَا وَرِثَ ٱسْماً أَفْضَلَ مِنْهُمْ .

هذه الآية هى مفتاح الباب الأول وتعتبر للموضوع السابق ، وفى ذات الوقت تعتبر فاتحة للموضوع اللاحق .

هى خاتمة للموضوع السابق لأنها ترينا ابن الله « صائراً أعظم من الملائكة » إذ « جلس فى يمين العظمة فى الأعالى » ، وتحقق لنا كل ما أثبته الرسول فى الفقرة السابقة من جهة تلك الشخصية العجيبة التى هى موضوع الرسالة بجملتها . شخصية ابن الله الذى قصد الرسول أن يبين عظمته على الملائكة ، ليس باعتبار كونه الابن فى لاهوته مجرداً عن ناسوته ، لأنه فى هذا هو رب الملائكة وخالقهم . إلههم ومعبودهم ، ولا تصح المقابلة بينه وبينهم من هذا القبيل . وليس باعتبارنا سوته مجرداً عن لاهوته لأنه فى هذا « وضع قليلا عن الملائكة » (ص ٢ : ٩) ؛ بل باعتبار أنه الشخص العجيب المبارك الذى فيه اتحد اللاهوت بالناسوت لإتمام الكفارة لأجل الخطايا .

وهى فاتحة للموضوع اللاحق لأنها فتحت باب الدخول إلى بحث تفصيلى فى كون المسيح « أعظم من الملائكة بمقدار ما ورث اسماً أفضل منهم » .

وهذا ما سنراه فى : —

البحث التفصيلى (ص ١ : ٥ — ٢ : ١٨ فى ثلاثة فصول)

١ — فضل المسيح على الملائكة باعتباره ابن الله (ص ١ : ٥ — ١٤) .

٢ — تحذير (فصل معترض رابط) (ص ٢ : ١ — ٤) .

٣ — رفع الإنسان ، فى الابن ، فوق الملائكة (ص ٢ : ٥ — ١٨) .

الفصل الأول

فضل المسيح على الملائكة باعتبار كونه ابن الله

(١ : ٥ ــ ١٤)

٥ لِأَنَّهُ لِمَنْ مِنَ ٱلْمَلاَئِكَةِ قَالَ قَطُّ أَنْتَ ٱبْنِي أَنَا ٱلْيَوْمَ
وَلَدْتُكَ . وأَيْضاً أَنَا أَكُونُ لَهُ أَباً وَهُوَ يَكُونُ لِيَ ٱبْناً . ٦ وَأَيْضاً
مَتَى أَدْخَلَ ٱلْبِكْرَ إِلَى ٱلْعَالَمِ يَقُولُ وَلْتَسْجُدْ لَهُ كُلُّ مَلاَئِكَةِ ٱللهِ .
٧ وَعَنِ ٱلْمَلاَئِكَةِ يَقُولُ ٱلصَّانِعُ مَلاَئِكَتَهُ رِيَاحاً وَخُدَّامَهُ لَهِيبَ
نَارٍ . ٨ وَأَمَّا عَنِ ٱلاِبْنِ كُرْسِيُّكَ يَا أَللهُ إِلَى دَهْرِ ٱلدُّهُورِ . قَضِيبُ
ٱسْتِقَامَةٍ قَضِيبُ مُلْكِكَ . ٩ أَحْبَبْتَ ٱلْبِرَّ وَأَبْغَضْتَ ٱلإِثْمَ مِنْ أَجْلِ
ذٰلِكَ مَسَحَكَ ٱللهُ إِلٰهُكَ بِزَيْتِ ٱلاِبْتِهَاجِ أَكْثَرَ مِنْ شُرَكَائِكَ .
١٠ وَأَنْتَ يَا رَبُّ فِي ٱلْبَدْءِ أَسَّسْتَ ٱلأَرْضَ وَٱلسَّمٰوَاتُ هِيَ عَمَلُ
يَدَيْكَ . ١١ هِيَ تَبِيدُ وَلٰكِنْ أَنْتَ تَبْقَى وَكُلُّهَا كَثَوْبٍ تَبْلَى
١٢ وَكَرِدَاءٍ تَطْوِيهَا فَتَتَغَيَّرُ وَلٰكِنْ أَنْتَ أَنْتَ وَسِنُوكَ لَنْ تَفْنَى .
١٣ ثُمَّ لِمَنْ مِنَ ٱلْمَلاَئِكَةِ قَالَ قَطُّ ٱجْلِسْ عَنْ يَمِينِي حَتَّى أَضَعَ
أَعْدَاءَكَ مَوْطِئاً لِقَدَمَيْكَ . ١٤ أَلَيْسَ جَمِيعُهُمْ أَرْوَاحًا خَادِمَةً
مُرْسَلَةً لِلْخِدْمَةِ لِأَجْلِ ٱلْعَتِيدِينَ أَنْ يَرِثُوا ٱلْخَلاَصَ .

يلاحظ فى هذه الآيات أن الرسول قد برهن على كون المسيح « ابن الله » وبالتالى « أعظم من الملائكة » فى رتبته الملكية ، من نصوص العهد القديم المتضمنة فى الكتب النبوية المعتبرة عند العبرانيين .

وقبل بحث هذه النصوص النبوية يجدر بنا أن نفهم أنه من طبيعة ذلك الوحى النبوى أنه يرفع الرائى فوق الموضوع الحاضر إلى التأمل فى صورة تعرض أمام ناظره ، ثم يسمو به تدريجياً حتى يوصله إلى موضوع النبوات الكامل الذى تتمركز جميعها فى شخصه ، وإليه تنتهى ، وفيه تتم .

ويظهر من تفاسير علماء اليهود أنهم أدركوا هذه الحقيقة فكانوا يتتبعون ذلك المبدأ فى فهم النبوات وتفسيرها فيرون فيها ذلك الشخص العجيب . ويتضح هذا فى بعض المواقف المشهورة . مثال ذلك ، أنه عندما جمع هيرودس رؤساء الكهنة وكتبة الشعب وسألهم « أين يولد المسيح » ؟ قالوا له « فى بيت لحم اليهودية » مستشهدين بما قاله ميخا النبى « أما أنت يا بيت لحم أفراته وأنت صغيرة أن تكونى بين ألوف يهوذا ، فمنك يخرج لى الذى يكون متسلطاً على إسرائيل » (مى ٥ : ٢) أو بلغة الترجمة السبعينية « مدبر يرعى شعبى إسرائيل » (مت ٢ : ٦ اقرأ مت ٢ : ١ — ٦) وفى إنجيل متى (٢٢ : ٤١ — ٤٦) يتبين أن الفريسيين لم يفكروا قط فى أن يجادلوا فى تطبيق مز ١١٠ على المسيح وبخاصة فى قوله « قال الرب لربى إجلس عن يمينى » (مز ١١٠ : ١) .

لذلك عندما اقتبس الرسول هذه النصوص النبوية القديمة كشاهدة للمسيح لم يتطرق إلى قلبه شك فى تسليم اليهود بأن المسيح هو موضوع العهد القديم ، ومركز تلك النبوات ، ورجاء اليهود المنتظر ؛ فإذا تحققنا نحن هذا الأمر وراعيناه ، تزول من أمامنا الصعوبات القائمة فى طريق تطبيق تلك الاقتباسات وهى كثيرة فى هــذه الرسالة بل هى أساس البحث فيها .

فى النص المكتوب (ص ١ : ٥ — ١٤) اقتبس الرسول سبعة من النصوص النبوية وجميعها من سفر المزامير ما عدا واحداً منها ، وكلها تبين الاسم الممتاز الذى تميز به المسيح عن الملائكة باعتبار وظيفته الملكية . وفيها نرى أربع مقابلات بينه وبينهم حسب تلك النصوص التى ترينا : —

أولا : أنه متفرد بالنبوة دونهم : (عد ٥ انظر مز ٢ : ٧ و٢ صم ٧ : ١٤) .

ثانياً : أنه بكر له يسجدون : (عد ٦ انظر مز ٩٧ : ٧ فى الترجمة السبعينية ٩٦ : ٧ مع تث ٣٢ : ٤٣) .

ثالثاً : أنه إله ورب هم خدامه (عد ٨ — ١٢ — انظر مز ٤٥ : ٦ و ٧ ، ١٠٢ : ١٢ و ٢٥ — ٢٧) :

رابعاً : أنه ملك هم خدام رعيته (عد ١٣ و ١٤ — انظر ١١٠ : ١) .

وهذه المقابلات يبرز فيها ابن الله « أعظم من الملائكة بمقدار ماورث اسما أفضل منهم » .

(أولا) : كونه متفرداً بالبنوة دونهم (عد ٥) « لأنه لمن من الملائكة قال قط أنت ابنى أنا اليوم ولدتك . وأيضاً أنا أكون له أباً وهو يكون لى ابناً » فى هذه الآية يوجه الرسول النظر إلى اقتباسين يسمى فيهما المسيح ابناً لله « صائراً أعظم من الملائكة » بمقدار ما فى هذا الإسم من عظمة يسمو بها عليهم — الاقتباس الأول من (مز٢ : ٧) والاقتباس الثانى من (٢ صم ٧ : ١٤) فلنتأمل كل اقتباس على حدته :

عد ٥ — الاقتباس الأول : **« لأنه لمن من الملائكة قال قط أنت ابنى أنا اليوم ولدتك »**

هذا الاقتباس يفتح أمامنا ثلاثة أبحاث : ١ — المسيح فى المزمور الثانى . ٢ — القول المقتبس . ٣ — القصد من الاقتباس .

١ — المسيح فى المزمور الثانى : أشير إلى هذا المزمور فى العهد الجديد فى موضعين غير هذه الرسالة .

(أ) فى صلاة للرسل ، قولهم « أيها السيد . . . القائل بفم داود فتاك لماذا ارتجت الأمم وتفكر الشعوب بالباطل . قامت ملوك الأرض واجتمع الرؤساء معاً على الرب وعلى مسيحه . لأنه بالحقيقة اجتمع على فتاك القدوس يسوع الذى مسحته ، هيرودس وبيلاطس البنطى مع أمم وشعوب إسرائيل ليفعلوا كل ما سبقت فعينت يدك ومشورتك أن يكون » (أع ٤ : ٢٤ — ٢٨) .

(ب) فى خطاب لبولس فى مجمع لليهود قوله « ونحن نبشركم بالوعد الذى صار لآبائنا . إن الله قد أكمل هذا لنا نحن أولادهم إذ أقام يسوع . كما هو مكتوب أيضاً فى المزمور الثانى أنت ابنى أنا اليوم ولدتك . إنه أقامه من الأموات غير عتيد أن يعود أيضاً إلى فساد » (أع ١٣ : ٣٢ — ٣٤) .

فى هذين الموضعين يلتى العهد الجديد نوراً نرى به يسوع فى المزمور الثانى ، نوراً يعكس لنا شبح صليبه وآلامه فى ارتجاج الأمم ومؤامرات الشعوب على الرب وعلى مسيحه ، الآب والابن ، (مز ٢ : ١ — ٥) . كما أنه يعلن لنا قيامته وأمجاده فى ملكه العام الأبدى (مز ٢ : ٦ — ١٢) وإذ نتحقق ذلك نأتى الآن إلى :

(٢) القول المقتبس « أنت ابنى أنا اليوم ولدتك » : هــذا القول يقع فى المزمور بين تصريحين من الآب نفسه . أحدهما للأعداء الماثجين قوله فى عدد ٦ « أما أنا فقد مسحت ملكى على صهيون جبل قدسى » ، إعلاناً لتتويج المسيح الملك . ثانيهما للابن الملك نفسه إعلاناً لحقيقة تمليكه ، قوله فى عدد ٨ « اسألنى فأعطيك الأمم ميراثاً لك وأقاصى الأرض ملكاً لك » . وبين التصريحين إعلان البنوة فى القول « أنت ابنى أنا اليوم ولدتك »وهذا يحقق لنا العلاقة بين البنوة والملك ، وكذا العلاقة بين الولادة والملك .

(أ) —البنوة والملك : « أنت ابنى » « اسألنى فأعطيك الأمم ميراثاً لك »—أى أن المسيح ملك لكونه ابناً وارثاً لأبيه فهو الملك ابن الملك (مز ٧٢ : ١) .

للآب كل الأمم وجميع أقاصى الأرض وهو أعطاها للابن ميراثاً إذ دفع إليه كل سلطان فى السماء وعلى الأرض . (مت ٢٨ : ١٨) « وجعله وارثاً لكل شىء » (عب ١ : ٢) . فالبنوة إذاً هى أساس الملك .

ولكن أية بنوة يشار إليها هنا ؟ — باعتبار أن الآب أزلى . وباعتبار أن الابن وارث لكل شىء فليس ابن سواه فهو الابن الوحيد الذى فى حضن الآب . تكون البنوة أزلية ، ويكون المسيح « ابن الله » ليس باعتبار ولادته الجسدية الخارقة للطبيعة من عذراء ، بل باعتبار الولادة الأزلية من الآب . أما قول الملاك للعذراء المباركة يوم بشرها بالحبل بيسوع « لذلك القدوس المولود منك يدعى ابن الله » « ابن العلى

يدعى » (لو ١ : ٣٥ و ٣٢) . فهو إعلان لحقيقة شخصية هذا المولود من العذراء قبل أن يولد منها فلا يمكن أن يسمى مولود إمرأة ما « ابن العلى » أو « ابن الله » وبخاصة إذا كانت هذه التسمية من الله ، إلا إذا كان هو كذلك قبل أن يولد . وهوذا الابن ، الولد ، الذى أشار إليه إشعياء فى نبواته (٩ : ٦) بقوله « لأنه يولد لنا ولد ونعطى ابناً ، ويدعى اسمه عجيباً ، مشيراً . إلهاً ، قديراً ، أباً ، أبدياً ، رئيس السلام » . لم يكن ممكناً أن يدعى بهذا الإسم الإلهى السباعى الكامل ما لم يكن هو هكذا فى ذاته قبل أن يولد . فتسمية المسيح ابناً إذاً ليست إلا مجرد إعلان بنوته الأزلية .

أما علاقة هذه البنوة بالملك فظاهرة فى قوله « هذا يكون عظيما وابن العلى يدعى ويعطيه الرب الإله كرسى داود أبيه . ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ولا يكون لملكه نهاية » (لو ١ : ٣٢) أو كما عبر عنه إشعياء فى قوله « للسلام ولملكه لا نهاية على كرسى داود وعلى مملكته ليثبتها ويعضدها بالحق والبر من الآن وإلى الأبد » (إش ٩ : ٧) .

(ب) الولادة والملك : « أنا اليوم ولدتك » . رأينا أن بنوة المسيح أزلية وأن تسميته ابناً عند ولادته سواء أكان فى النبوة أم فى التاريخ ، إنما هى إعلان لتلك البنوة الأزلية . هذا ما نراه أيضاً فى أمر الولادة . فهى فى ذاتها أزلية لأنها أساس البنوة . فالمسيح ابن أزلى لأنه مولود أزلا من آب أزلى . وقد جاء عنه فى قانون الإيمان النيقوى أنه ابن الله الوحيد المولود من الآب قبل كل الدهور ، إله من إله ، نور من نور ، إله حق من إله حق ، مولود غير مخلوق ، مساو للآب فى الجوهر .

إذا كانت البنوة أساس الملك كما سبقنا فرأينا ، وإذا كانت الولادة أساس البنو كما أوضحنا هنا ، فلابد إذاً من ارتباط بين الولادة والملك كما بين البنوة والملك . وهذا الارتباط يحدده لفظ « اليوم » فى القول « أنا اليوم ولدتك » ، ويعين يوم الولادة مرتبطاً بيوم التمليك سواء أكان هذا اليوم(١) يوم القضاء بهذا التمليك حيث قال الابن نفسه « إنى أخبر من جهة قضاء الرب . قال لى أنت ابنى أنا اليوم ولدتك » (مز ٢ : ٧) .

أم (٢) يوم إعلانه التاريخى حيث « تعين ابن الله بقوة من جهة روح القداسة بالقيامة من الأموات » (رو ١ : ٤ انظر أع ١٣ : ٣٢ ـ ٣٤ . وقد أشار بطرس فى يوم الخمسين عن العلاقة بين القيامة والملك فى قوله « فإذ كان (داود) نبياً وعلم أن الله حلف له أنه من ثمرة صلبه يقيم المسيح حسب الجسد ليجلس على كرسيه ، سبق فتكلم عن قيامة المسيح » (أع ٢ : ٣٠ ـ ٣٢) والابن نفسه أعان ذلك بعد قيامته بقوله « دفع إلى كل سلطان فى السماء وعلى الأرض فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم » (مت ٣٨ : ١٨ و ١٩) .

أم (٣) يوم التتويج الفعلى حيث « جلس فى يمين العظمة فى الأعالى » (عب ١ : ٣ انظر دا ٧ : ١٣ و ١٤ أع ٢ : ٣٣ ـ ٣٦ و ١ كو ١٥ : ٢٥ ـ ٢٧) .

(٣) ـ القصد من الاقتباس : « **لأنه لمن من الملائكة قال قط** » . استفهام إنكارى متضمن جوابه . فيه تصريح جلى بأن الله لم يقل قط لأحد من الملائكة ما قاله للمسيح « **أنت ابنى أنا اليوم ولدتك** » أى إن قولا كهذا لم يرد عن الملائكة فى الكتاب المقدس . نعم لقد ورد عنهم فيه أنهم « بنو الله » (أى ١ : ٦ و ٢ : ١ و ٣٨ : ٧ قابل مز ٢٩ : ١ و ٨٩ : ٦) . هذا ما قيل أيضاً عن شعب الرب (تث ٦ : ٢) . وهو ما قيل أيضاً عن آدم إنه « ابن الله » (لو ٣ : ٣٨) وهذا يدلنا على أن الملائكة كالبشر أبناء الله إذ هم « ذريته » (أع ١٧ : ٢٨) مخلوقين منه على صورته فى المسيح ، وبه ، وله ، لأنه بكر كل خليقة (كو ١ : ١٥ ـ ١٧) .

ورد أيضاً عن المؤمنين أنهم « أولاد الله » (١ يو ٣ : ١) كمولودين منه ثانية (يع ١ : ١٨ و ١ بط ١ : ٣) منقادين بروحه آخذين روح التبنى (رو ٨ : ١٤ ـ ١٦) ولكنهم هم هكذا أيضاً فى المسيح الذى فيه صاروا خليقة جديدة (٢ كو ٥ : ١٧) وبه تعينوا للتبنى (أف ١ : ٥) ومعه صاروا ورثة (رو ٨ : ١٧) . وبالإجمال إن القول « **أنت ابنى أنا اليوم ولدتك** » فى صيغة المخاطب المفرد ، لم يقل قط لأحد غير المسيح ، لا من الملائكة ، ولا من البشر .

وحيث قد سبقنا فرأينا أن هذا القول هو تصريح من الله بتتويج ابنه وتمليكه ، يكون غرض الرسول من هذا الاقتباس أن يبرهن أنه ليس بين الملائكة من أعطى سلطان الرياسة فوق الرياسات كما أعطى المسيح . فليس سواه الابن الجالس في يمين العظمة . أما هم فوقوف لديه يخدمون ، وعن يمينه وعن يساره بأمره يأتمرون (إش ٦ : ١و٢ و١ مل ٢٢ : ١٩) .

« فالآن يا أيها الملوك تعقلوا ، تأدبوا يا قضاة الأرض ، أعبدوا الرب بخوف واهتفوا برعدة ، قبلوا الابن لئلا يغضب فتبيدوا من الطريق لأنه عن قليل يتقد غضبه ، طوبى لجميع المتكلين عليه » (مز ٢ : ١٠ — ١٢) .

عد ٥ — الاقتباس الثاني : « **وأيضاً أنا أكون له أباً وهو يكون لى ابناً** » — هل يشير هذا القول إلى المسيح ؟ — ما معناه ؟ — ما هى علاقته بالموضوع ؟ .

(١) — هذا القول يشير إلى المسيح وهو متعلق بالقول السابق فى القصد ، وفى ترتيب الأدلة وطبيعتها بالنسبة لعلاقة البنوة بالملك وهو مقتبس من (٢ صم ٧ : ١٤) من قول الرب بفم ناثان النبي إلى داود الملك عن ابنه سليمان فى شأن بناء بيت لسكنى الله حيث وعد الله داود قائلا « متى كملت أيامك واضطجعت مع آبائك أقيم بعدك نسلك الذى يخرج من أحشائك وأثبت مملكته هو يبنى بيتاً لإسمى وأنا أثبت كرسى مملكته إلى الأبد . **أنا أكون له أباً وهو يكون لى ابناً** . . ويأمن بيتك ومملكتك إلى الأبد » (٢ صم ٧ : ١٢ — ١٦) .

أنه أمر لا ينكر أن هذا الوعد قد تم جزئياً فى سليمان الذى بنى بيت الرب فى أورشليم فى جبل المريا حيث ترآى الله لداود أبيه وحيث هيأ له داود مكاناً فى بيدر ارنان اليبوسى (٢ أى ٣ : ١ انظر ١ أى ٢٢ : ٦ — ١٣ و١ مل ٥ : ٢ — ٥ و ٨ : ١٧ — ٢٠) .

على أن فى الوعد أقوالا خاصة بدوام المملكة إلى الأبد لم تتحقق فى سليمان ولا فى نسل داود وبيته ولا سيما القول « ويأمن بيتك ومملكتك إلى الأبد . كرسيك يكون ثابتاً إلى الأبد » (انظر ٢ صم ٧ : ١٩ وقابله بما جاء فى مز ٨٩ : ٢٩ و ٣٥ — ٣٧) .

ولا يمكن أن يتحقق إلا إذا اعتبرنا نسل داود . ذاك الابن المبارك « الذى صار من نسل داود من جهة الجسد » (رو ١ : ٣) ، النسل الذى فيه قيلت جميع المواعيد (غل ٣ : ١٦) ، الذى قال عنه يعقوب « لا يزول قضيب من يهوذا ومشترع من بين رجليه حتى يأتى شيلون وله يكون خضوع شعوب » (تك ٤٩ : ١٠) .

فلم يكن سليمان بن داود الجالس على كرسى أبيه فى مجد جلاله الملكى ليقوم ببناء بيت الله إلا فى صورته الرمزية . ممثلا لابن داود العظيم الذى قال عنه زكريا « هـذا هو الرجل الغصن ومن مكانه ينبت ويبنى هيكل الرب . فهو يبنى هيكل الرب وهو يحمل الجلال ويجلس ويتسلط على كرسيه » (زك ٦ : ١٢ و ١٣) .

(٢) أما المعنى المقصود فى هذا القول فهو الوعد الذى نطق به الله نحو مسيحه كمرفع فوق عرشه وفيه جزءان :

(أ) « أنا أكون له أباً » : وهو وعد من الآب لابنه بأن يجعله موضوع محبته الأبوية وعنايته القادرة ورعايته الصالحة فتثبت يده معه . وذراعه تشدده لا يرغمه عدو ، وابن الإثم لا يذلله . ويسحق أعداءه أمام وجهه . ويضرب مبغضيه . ويريه نسلا تطول أيامه . ومسرة الرب بيده تنجح ، يؤدب بنيه بالعصا ، ويفتقد بضربات معصياتهم . أما رحمته فلا ينزعها عنه ، ولا ينقض عهده معه . فيكون نسله إلى الأبد . وكرسيه إلى الدهر يثبت ؛ (مز ٨٩ : ٢٧ — ٣٦ ؛ إش ٥٣ : ١٠ — ١٢) كل هذا متضمن فى الوعد « أنا أكون له أباً »

(ب) « هو يكون لى ابناً » : وعد يتضمن نعمة الطاعة والخضوع فى الابن نحو الآب . وقد اعترف به الإبن صريحاً فى قوله : « بدرج الكتاب مكتوب عنى . أن أفعل مشيئتك يا إلهى سررت وشريعتك فى وسط أحشائى » (مز ٤٠ : ٧ و ٨ انظر عب ١٠ : ٧ و ٩) .

أما العلاقة بين جزئى هذا الوعد فقد أوضحها المسيح نفسه فى قوله « الذى أرسلنى هو معى ولم يتركنى الآب وحدى لأنى فى كل حين أفعل ما يرضيه » (يو ٨ : ٢٩) .

كل هذا لا ينفى البنوة الأزلية التى فيها الإبن مساو للآب فى الجوهر فإن هـذه البنوة الأزلية هى أساس ذلك العهد الأزلى الذى قطع بين الابن والآب فى إتمام عمل الفداء متضمناً القول« **أنا أكون له أباً وهو يكون لى ابناً** » على اعتبار المبدأ الذى ذكرناه فى الاقتباس الأول فى أمر البنوة الأزلية .

(٣) أما علاقة هذا الوعد بموضوع الكلام فظاهرة من أول الآية أى أن الرسول يحقق لنا أيضاً أن هذا الوعد الذى قيل للمسيح ، لم يقل قط لأحد من الملائكة فلم يعط لأحد منهم لقب « ابن » الذى هو أساس الملك . أما كونه قيل لسليمان فمن باب التمثيل والرمز ليس إلا باعتبار كونه ملكاً فى مملكة الله التى ملكها الحقيقى هو ابن الله .

(ثانياً) : كونه بكراً له يسجدون : —

عد ٦ : الاقتباس الثالث « **وأيضاً متى أدخل البكر إلى العالم يقول ولتسجد له كل ملائكة الله** » .

فى هذه الآية نجد اقتباساً للقول « ولتسجد له كل ملائكة الله » . وتعليقاً على هذا الاقتباس فى القول « متى أدخل البكر إلى العالم ، يقول » :

(١) القول المقتبس : « يقول ، **ولتسجد له كل ملائكة الله** » . ومن هو الذى يقول ؟ وأين قيل ؟ لا بد أن يكون هذا قول الله فى العهد القديم على قياس التدليل لليهود من شهادة تلك الكتب المعتبرة بينهم . على أننا لا نجد فى كتب العهد القديم قولا كهذا بحرفيته لا فى الأصل العبرى ولا فى الترجمات العربية . ولكننا إذا رجعنا إلى الترجمة السبعينية نجد نص هذا القول بحرفيته داخلا فى نشيد موسى فى (تث ٣٢ : ٤٣) . كما أننا نجده أيضاً فى تلك الترجمة وكذا فى الترجمة العربية اليسوعية فى (مز ٩٦ : ٧) ، أما فى ترجمتنا العربية فإننا نجده ، وإن لم يكن حرفياً ، فى (مز ٩٧ : ٧) حيث يقول « اسجدوا له يا جميع الآلهة » لأن الكلمة العبرية المترجمة فى السبعينية واليسوعية « ملائكة » هى « إلوهيم » ولذلك ترجمتها ترجمتنا العربية « **الآلهة** » مع أنها ترجمتها أيضاً « الملائكة » فى (مز ٨ : ٥) وفى غيره .

وإذا فحصنا الموضعين المذكورين (أى تث٣٢ : ٤٣ ،مز ٩٧ : ٧) نجد النبى والمرنم معاً يريان ، بعين النبوة . مسيح الرب وقد ملك فى صهيون ، وساد ملكه جميع الشعوب والأمم ، وغطت سيادته الأرض والجزائر الكثيرة ، وخرجت ناره محرقة أعداءه ، منتقمة من أضداده ومبغضيه ، سواء أكانوا من اليهود الذين أغاظهم دعوة الأمم إلى بركات الإنجيل (تث ٣٢ : ٢١ مع رو ١٠ : ١٩) ، أو من الأشرار الذين يضطهدون أتقياءه الأمناء (مز ٩٧ : ٣ و ١٠) ، ولكنه يصفح عن الراجعين إليه من شعبه إسرائيل . فأنشد موسى نشيده فى موضوع هذه الرؤيا النبوية وختمه بالقول : «تهللى أيتها السموات ولتسجد له كل ملائكة الله . تهللوا أيها الأمم مع شعبه» (تث ٣٢ : ٤٣ سبعينية انظر رو ١٥ : ٨ — ١٢) حيث نرى أن يسوع المسيح صار خادم الختان من أجل صدق الله حتى يثبت مواعيد الآباء» وأنه جعل رحمة للأمم ، لذلك يتهلل الأمم مع شعبه . وهذا عينه موضوع نشيد المرنم الذى يدعو الأرض لتفرح والجزائر لتبتهج وينادى الآلهة (الملائكة) لتسجد له فى الوقت الذى فيه تفرح صهيون وتبتهج بنات يهوذا بخضوع الأمم لملكوته .

(٢) — التعليق . « **متى أدخل البكر إلى العالم** » بهـذه الكلمات علق الرسول على الاقتباس الذى رأيناه الآن وفى هذا التعليق يتبين لنا :

أ — اللقب الذى لقب به المسيح « البكر » وقد ورد هذا اللقب فى (مز ٨٩ : ٢٧) حيث قال الله تعالى « أنا أيضاً أجعله بكراً أعلى من ملوك الأرض » وقد قال عنه الرسول بولس أيضاً فى غير هذا المكان إنه « بكر كل خليقة . . . الذى هو البداءة بكر من الأموات » (كو ١ : ١٥ و ١٨) « ليكون هو بكراً بين اخوة كثيرين » (رو ٨ : ٢٩) . وقال عنه يوحنا الرائى « البكر من الأموات » (رؤ ١ : ٥) .

وإذا فحصنا هذه الكلمة « البكر » فى نور قرائنها حيث وردت ، نجد أن الرسول بولس يبدأ كلامه عن هذا « البكر » فى (كو ١ : ١٥ — ١٨) بالقول « الذى هو صورة الله غير المنظور بكر كل خليقة » ويختمه بالقول هورأ س الجسد الكنيسة ، الذى هو البداءة بكرمن الأموات لكى يكون

هو متقدماً فى كل شىء » ويوحنا يقول « البكر من الأموات ورئيس ملوك الأرض » . فهو إذاً البكر فى اعتبارين جوهريين. أولها أنه الابن الوحيد الذى فى حضن الآب ، صورة الله وبهاء مجده ورسم جوهره ، الذى جعله وارثاً لكل شىء ، الذى به عمل العالمين . وثانيهما أنه فى مقام فوق جميع العروش والرياسات والسلاطين « أعلى من ملوك الأرض » « رئيس ملوك الأرض » « ملك الملوك ورب الأرباب » (روُ ١٩ : ١٦) . إذاً « **لتسجد له كل ملائكة الله** » لأنهم من الرياسات الخاضعة لمقامه الملكى السامى فهو « البكر» الذى صار أعظم منهم ، ملكاً لهم .

ب — إدخال البكر إلى العالم : « **متى أدخل البكر إلى العالم** » صيغة الكلام تدل على أن الفاعل مقدر وهو من باب حذف المعلوم الجائز فإن القرينة تدل على أن الفاعل فى الإدخال هو الله الآب الذى أدخل ابنه « البكر » إلى العالم .

أما « **العالم** » المشار إليه فهو ، بحسب أصل الكلمة المترجمة ، الأرض المعمورة وسكانها من اليهود والأمم كما هو واضح فى موضعى الاقتباس : « تهللوا أيها الأمم مع شعبه » لتبتهج الأرض ولتفرح الجزائر الكثيرة » « سمعت صهيون ففرحت وابتهجت بنات يهوذا » .

أما « متى » أدخل البكر إلى العالم فقد حدده الكثيرون بزمان معين وبكيفية معلومة. فرآه بعضهم فى ولادته من العذراء حيث دخل إلى العالم بهذه الولادة . وظن غيرهم أنه أدخل عند قيامته حيث عاد ، بالقيامة ، إلى الأرض التى قطع منها بموته . وآخرون قالوا إنه يوم الخمسين حيث حل المسيح فى الأرض بالروح القدس بعد صعوده إلى السماء. أما أصحاب مذهب الألف السنة فاعتبروا زمانها زمان رجوع المسيح ليملك على الأرض فى تلك المدة . وقد أشار سواهم إلى يوم الدينونة حيث يأتى الرب من السماء ليدين العالم .

على أن الكتب المقدسة فى العهد القديم التى منها يأخذ الرسول دليله فى مواعيدها وفى نبواتها لا تحدد مجىء المسيح إلى العالم بحادث فرد كما أنه ليس هذا هو غرض الرسول من الاستدلال من تلك الكتب . فإذا فحصنا الأدلة فى نور الغرض يتبين لنا

أن إدخال المسيح إلى العالم يراد به أن الآب بعد أن أبقى كنيسته تحت تدبير الناموس الذى أعطى على يد ملائكة بواسطة موسى انتظاراً لمجيء المسيا . لما جاء ملء الزمان أرسل ابنه إلى العالم مولوداً من إمرأة . فعاش بين الناس . ومسح بالروح . وقام من الأموات وصعد إلى السماء ، وأرسل الروح القدس ، وكرز بالإنجيل . ولا يزال يكرز على يد مرسليه وخدامه . فهذه الإرسالية بجملتها ، من يوم الولادة إلى أن يتم القصد . هى إدخال البكر إلى العالم .

« وبالإجماع عظيم هو سر التقوى الله ظهر فى الجسد . تبرر فى الروح . تراءى لملائكة ، كرز به بين الأمم . أومن به فى العالم . رفع فى المجد » (١ تى ٣ : ١٦)

فعندما أعلن الروح القدس فى العهد القديم هذا السر العظيم . سر دخول « البكر إلى العالم » اقترن هذا الإعلان بالقول « **ولتسجد له كل ملائكة الله** » .

(ثالثاً) : كونه إلهاً ورباً هم خدامه : (عد ٧ — ١٢) . نجد فى هذه الآيات ثلاثة اقتباسات من سفر المزامير أيضاً الواحد منها « عن الملائكة » والاثنان الآخران « عن الابن » . أما الاقتباس عن الملائكة فيظهرهم رسلا وخداماً أما الاقتباسان عن الإبن فيظهرانه إلهاً ورباً . ولكى نتبين جلياً هذه المقابلة بين الابن والملائكة . يلزم أن نستفسر كل اقتباس على حدته وهذه الاقتباسات هى الرابع والخامس والسادس فى هذا الفصل .

عد ٧ : الاقتباس الرابع : « **وعن الملائكة يقول الصانع ملائكته رياحاً وخدامه لهيب نار** » وفيه نرى — صيغة الاقتباس ، ورأى الرسول فى الذين يقصد بهم هذا القول ، وماذا يعنى بالنسبة لهم :

(١) صيغة الاقتباس : « **الصانع ملائكته رياحاً وخدامه لهيب نار** » وقد جاء فى (مز ١٠٤ : ٤) قوله « الصانع ملائكته رياحاً وخدامه ناراً ملتهبة » والفرق كله كائن فى الفرق بين « لهيب نار » وبين « نار ملتهبة » وهو فرق لفظى لا معنوى ، فرق ترجمات ، فلهيب النار من نار ملتهبة والنار الملتهبة لابد أن يندلع لهيبها .

٢ — رأى الرسول فى المقصودين بهذا القول « **وعن الملائكة يقول** » .

تباينت الآراء من هذا القبيل فقال بعضهم إن الموضوع فى كلمات (مز ١٠٤ : ٤) ليس الملائكة بل الرياح والنار الملتهبة أى أن الرياح والنار وغيرهما من العناصر الطبيعية هى ملائكة الله أى رسله ، وخدامه ، وأن هذا هو ما يستفاد من صيغة العبارة العبرية . وقد خالفهم آخرون فتضاربت الأفكار كثيراً . وعندنا أن الرسول هنا قطع باليقين كل شك فى هذا الموضوع . وباعتباره كاتباً متعلماً فى ملكوت الله مسوقا من الروح القدس أعلن رأيه جازماً بأن الملائكة هم موضوع الكلام فقال « **وعن الملائكة يقول** » . وهذا يستفاد من الترجمة السبعينية ولا تمنعه الصيغة العبرية ولا قرينة الكلام فى المزمور كما سيتبين .

(٣) ماذا يقول الكتاب عن الملائكة ؟ يقول « **الصانع ملائكته رياحاً وخدامه لهيب نار** » أو « ناراً ملتهبة » . الكلمة العبرية المترجمة « رياحاً » فى هذه الآية هى ذاتها المترجمة « أرواحاً » فى عدد ١٤ وهكذا فى اليونانية . على أن المقصود فى هذا القول ليس الإشارة إلى خلق الملائكة ولا إلى طبيعتهم بل إلى خدمتهم فهم « **ملائكة** » الله أى رسله لأن هذا ما تعنيه الكلمة . وهم « **خدامه** » أى جنوده وفى سبيل خدمتهم قد يتخذون لذواتهم صورة الرياح فى قوتها العاصفة أو يلبسون ثوب اللهيب النارى فى غيرتهم الوقادة فيطيرون بناء على الأمر العالى لإتمام المقاصد السامية . فهم **ملائكته** « المقتدرون قوة الفاعلون أمره عند سماع صوت كلامه » . هم جنوده ، **خدامه** ، العاملون مرضاته » (مز١٠٣ : ٢٠ و ٢١) .

أما قرينة الكلام التى أدخلت الملائكة فى مز ١٠٤ بين العناصر الطبيعية فظاهرها أن المرنم وقد تمثل الله لابساً النور كثوب ، وباسطاً السماء كشقة ، جاعلا السحاب مركبته ، ماشياً على أجنحة الرياح . تمثله أيضاً آتياً فى ربوات ملائكته الذين هم حاشيته الروحانية . وتمثل تلك الحاشية ، وهى أرواح ، فى الرياح والنار التى تصحب حضوره الإلهى . أليسوا هم ربوات القدس الذين كانوا معه حين جاء من سيناء وأشرق من جبل سعير وعن يمينه نار شريعة فى وسط الرعود والبروق والسحاب الثقيل (انظر خر ١٩ : ١٦ — ١٩ وتث ٣٣ : ٢) .

عد ٨ و ٩ : الاقتباس الخامس — « وأما عن الابن كرسيك يا الله إلى دهر الدهور . قضيب استقامة قضيب ملكك . أحببت البر وأبغضت الإثم من أجل ذلك مسحك الله إلهك بزيت الابتهاج أكثر من شركائك » وهو قول مقتبس من (مز ٤٥ : ٦ و ٧) بتغيير كلمتين فقط هما كلمة « زيت » فقد وردت فى المزمور « دهن » وكلمة « شركائك » وقد وردت « رفقائك » وهو فرق ترجمات أيضاً أما الأمر الجوهرى فهو معرفة الشخص المعين ، وإدراك معانى الكلمات التى قيلت عنه فى الخطاب الموجه إليـــه .

أولا : الشخص المعين . « وأما عن الإبن » : وهنا بين الرسول أيضاً رأيه فى هذا الموضوع وأعلن لنا أنّ ما قيل فى مز ٤٥ ، قيل عن «الابن» . ولسنا فى حاجة إلى السؤال عن أن ابن يقصد فهو « الابن » الذى هو موضوع الرسالة الذى ذكره فى عد ٢ وما بعده وهو ابن الله . فهل نرى هذا الابن فى المزمور ٤٥ ؟

إن المزمور ترنيمة عرسية أنشأها المرنم للملك ولسانه قلم كاتب ماهر . وبدأها مخاطباً إياه بالقول « أنت أبرع جمالا من بنى البشر » عد ٢ . وهنا نقف قليلا متأملين فى هذا الجمال الفائق فنراه جمال النعمة المنسكبة على شفتيه عدد٢ . فهو جمال حكمة إلهية فاقت حكمة بنى البشر . وأين هو الملك الحكيم الذى يمكن أن يعبر عنه فى حكمته الإلهية بأنه « أبرع جمالا من بنى البشر » ؟ أهو الملك سليمان الذى أعطاه الله حكمة وفهماً كثيراً جداً حتى فاقت حكمته حكمة جميع بنى المشرق وكل حكمة مصر وكان أحكم من جميع الناس ، وكان صيته فى جميع الأمم حواليه (١ مل ٤ : ٢٩ — ٣٤) حتى إن ملكة سبأ أتت من أقاصى الأرض لتسمع حكمته ؟ وإذ سمعت ورأت قالت له « زدت حكمة وصلاحاً على الخبر الذى سمعته . طوبى لرجالك وطوبى لعبيدك هؤلاء الواقفين أمامك دائماً السامعين حكمتك ؟ » (١ مل ١٠ : ١ — ٩) . أهو سليمان إذاً ؟ « هوذا أعظم من سليمان ههنا(لو ١١ : ٣١)الذى « كان الجميع يشهدون له ويتعجبون من كلمات النعمة الخارجة من فمه » (لو ٤ : ٢٢) ويقولون « لم يتكلم قط إنسان هكذا مثل هذا الإنسان » (يو ٧ : ٤٦) . وقد سمعته إمرأة وهو يتكلم فرفعت صوتها من الجمع وقالت له « طوبى للبطن الذى حملك وللثديين اللذين رضعتهما » لو ١١ : ٢٧) . هذا هو

الملك الذى انسكبت النعمة على شفتيه (مز ٤٥ : ٢) ، ابن الله « المذخر فيه جميع كنوز الحكمة والعلم » (كو٢ : ٣) .

إذ عرفنا الآن الشخص المعين فلنتأمل فى :

ثانياً : الخطاب الموجه إليه « **كرسيك يا الله إلى دهر الدهور** » الخ . وفى هذا الخطاب كلام عن شخصية هذا الابن ، وعن كرسيه ، وملكه ، وفرح قلبه ، .

(١) شخصية الابن : وهى شخصية عجيبة جامعة بين لاهوت وناسوت فهو الله « **كرسيك يا الله** » وهو ابن الانسان « **مسحك الله إلهك** » . وهنا معضلة من معضلات اتحاد اللاهوت بالناسوت فى شخص الابن المبارك حاول البعض حلها بتحوير الترجمة بصورة مشوهة للحقيقة التى تحتملها بل تتطلبها لغة الأصل العبرى والترجمة السبعينية التى منها اقتبس الرسول . والحقيقة الكتابية الراهنة تصل بنا إلى أن القول « **يا الله** » إنما هو خطاب مباشر للملك عجيب تمثله المرنم فى المزمور وتمثل فيه المثل الأعلى لجميع ملوك مملكة إسرائيل على الأرض من داود ومن بعده باعتبار كونهم رمزاً إلى ذلك الشخص الفائق المنتظر الذى يمثله كل منهم فى أسمى ما فيه من كمال أدبى خلقى ، فهو مجموعة كمالاتهم خال من عيب نقصاتهم . وإذ تمثله فى هذه الصورة المجيدة رآه أبرع جمالا من بنى البشر. وتجلى أمامه مجد جلاله الفائق وبهاؤه الرائع إذ رآه يركب من أجل الحق والدعة والبر فيسقط تحته شعوب . وأمام هذا الجمال الرائع والجلال البهى ، لم يستطع المرنم إلا أن يرى بعين النبوة أن هذا الملك المجيد ليس إلا الله ذاته وقد تمثل بشراً آخذاً صورة عبد ممثلا فيه كل جمال وكمال ، وحل بين البشر فرأوا « مجده مجداً كما لوحيد من الآب » . فهذه المشكلة تحل كسائر المشاكل من نوعها بالنظر إلى ذلك الملك المبارك فى طبيعته اللاهوتية والناسوتية ، فكإله يخاطب بالقول « **يا الله** » وكانسان يمكن أن يقال له « **الرب إلهك** » كما قال هو لمريم المجدلية « إذهبى إلى اخوتى وقولى لهم إنى أصعد إلى أبى وأبيكم وإلهى وإلهكم » (يو٢٠ : ١٧) .

إن الملائكة ولو تسمو آلهة ، كما رأينا سابقاً ، كما أن القضاة أيضاً ولو تسموا آلهة (مز ٨٢ : ١ و ٦) إلا أنهم يسمون هكذا كهيئات لا كأفراد ، باعتبار كونهم

يمثلون قوة الله وعدله فى الأرض وإجراء مقاصده بين البشر نواباً عنه ولا يجوز أن يخاطب فرد منهم على حدته بالقول « يا الله » .

جعل موسى إلهاً ولكنه فى دائرة محدودة بمعنى معين إذ قيل له عن هرون أخيه « تكلمه وتضع الكلمات فى فمه . . وهو يكلم الشعب عنك . وهو يكون لك فماً وأنت تكون له إلهاً » (خر ٤ : ١٥ و ١٦) . وبهذا المعنى المحدود بعينه قيل له أيضاً « أنا جعلتك إلهاً لفرعون وهرون أخوك يكون نبيك » (خر ٧ : ١) . والمعنى الجلى الواضح أن إلهية موسى كانت فى دائرة معينة فيها يمثل الله فى إعلان مشيئته تعالى للآخرين فيتقبل منه ويعلن لهم .

أما الملك الإبن فهو الله مطلقاً لأنه « لم يحسب خلسة أن يكون معادلا لله » ولو أنه « أخلى نفسه آخذاً صورة عبد صائراً فى شبه الناس » (فى ٢ : ٧) . وهذا يوافقه ما يراه بعضهم فى القول « **مسحك الله إلهك** » حيث يقرأونه « **مسحك يا الله إلهك** »

(٢) كرسى الابن : — « **كرسيك يا الله إلى دهر الدهور** » . ومن غير الله الملك الأزلى الأبدى ليكون كرسيه إلى دهر الدهور ؟ هذا هو الملك ، وابن الملك ، الذى يخشونه ما دامت الشمس وقدام القمر إلى دور فدور ، ويكون اسمه إلى الدهر ، وقدام الشمس يمتد اسمه (مز ٧٢ : ١ و ١٧) . هذا هو مثل ابن الإنسان الذى « سلطانه سلطان أبدى ما لن يزول وملكوته ما لا ينقرض » (دا ٧ : ١٣ و ١٤) . هذا هو ابن داود الذى « يملك على بيت يعقوب إلى الأبد ولا يكون لملكه نهاية » (لو ١ : ٣٣) . بل هذا هو ابن الله الذى قيل عنه « لنمو رياسته وللسلام لا نهاية على كرسى داود وعلى مملكته ليثبتها ويعضدها بالحق والبر من الآن وإلى الأبد » (إش ٩ : ٧) .

أما كرسى هذا الملك الأبدى فهو مملكته الممتدة من البحر إلى البحر ، ومن النهر إلى أقاصى الأرض وقد تمثلت فى حلم نبوخذ نصر فى الحجر الذى قطع من جبل ، بغير يدين ، وصار جبلا كبيراً وملأ الأرض كلها حيث تمثلت مملكة لن تنقرض أبداً وملكها لا يترك لشعب آخر وتسحق وتفنى ممالك الأرض وهى تثبت إلى الأبد (دا ٢ : ٣٤ و ٣٥ و ٤٤ و ٤٥) .

هذه المملكة رآها المرنم فى المزمور ملكة فى مهرجانها العرسى ، جالسة عن يمين الملك فى عرشه المجيد ، متسربلة بالمجد والبهاء ، وبنات ملوك بين حظياتها ، وبنت صور أغنى الشعوب تترضى بالهدية وجهها ؛ وهو تمثيل للكنيسة التى أحبها المسيح وأسلم نفسه لأجلها لكى يقدسها مطهراً إياها ، لكى يحضرها لنفسه كنيسة مجيدة لا دنس فيها ولا غضن . كنيسة مقدسة وبلا عيب فيه (أف ٥ : ٢٥ – ٢٧) وقد جمعت فى أحضانها الملكية اليهود والأمم . ويكون الملوك حاضنيها وسيداتهم مرضعاتها فيأتون بأولادها فى الأحضان وبناتها على الأكتاف يحملن (إش ٤٩ : ٢٢ ، ٢٣) ويسجد لملكها كل ملوك الأرض وكل الأمم تتعبد له . ملوك ترشيش والجزائر يرسلون تقدمة . ملوك سبا وشبا يقدمون هدية (مز ٧٢ : ١٠ و ١١) . فلمن من الملائكة أعطى هذا المقام ؟

(٣) ملك الابن : عدد ٩ « **قضيب استقامة قضيب ملكك . أحببت البر وأبغضت الإثم** » الاثم » قد رأينا أن كرسى الابن يشير إلى ملكوته العظيم وفى دائرته كنيسته المجيدة عروسه الطاهرة النقية . أما الملك فالإشارة فيه إلى سياسة المملكة ورعايتها وتدبيرها وإجراء أحكامها وقضائها وتنفيذ شرائعها ، وفى كل ذلك يوصف بالاستقامة بالنسبة إلى الملك فى ذاته ، وبالنسبة إليه فى إجراء أحكامه .

أ – أما بالنسبة إلى الملك فى ذاته فهو المخاطب بالقول « أحببت البر وأبغضت الإثم» . والإشارة إلى سجية مزدوجة إيجابية وسلبية هى سجية ذلك الملك . أى أن « البر » من طبيعته فهو « البار » (إش ٥٣ : ١١) « القدوس الحق ، والشاهد الأمين الصادق » (رؤ ٣ : ٧ و ١٤) ، وهو ملك البر كما أنه ملك السلام (عب ٧ : ١ – ٤)« البر منطقة متنيه ، والأمانة منطقة حقويه » (إش ١١ : ٥) . فلا عجب إذا أحب البر ، ولا عجب أيضاً إذا أبغض الإثم لأنه « لم يعرف خطية » (٢ كو ٥ : ٢١) « ولم يفعل خطية ولا وجد فى فمه مكر » (١ بط ٢ : ٢٢) « بلا شر ولا دنس » (عب ٧ : ٢٦) .

وكما أنه يحب البر ويبغض الإثم ذاتياً هكذا هو أيضاً بالنسبة لشعبه . فإنه لا يطيق أن يرى الإثم فيهم (إش ١ : ١٣) بل يحب أن يرى البر يكسوهم

ويملأ قلوبهم ويظهر فى أعمالهم (مى ٦ : ٨) ولذلك وهو البار الذى لم يعرف خطية صار خطية لأجلهم ليصيروا هم بر الله فيه ، (٢ كو ٥ : ٢١) . وهو « البار تألم من أجل الأثمة لكى يقربهم إلى الله (١ بط ٣ : ١٨) . ليوجدوا فيه ويكون لهم بره الذى من الله بالإيمان باسمه (فى ٣ : ٩) .

على أساس هذا الملك « بذل نفسه لأجلنا لكى يفدينا من كل إثم ويطهر لنفسه شعباً خاصاً غيوراً فى أعمال حسنة » (تى ٢ : ١٤) . ومن فوق عرش الصليب يجذب إليه الجميع (يو ١٢ : ٣٢ و ٣٣) ليملك ، لا على الذين يطلبونه لأنهم أكلوا من الخبز فشبعوا (يو ٦ : ١٥ و ٢٦) ، بل على الذين يعيشون لا لأنفسهم بل للذى مات لأجلهم وقام (٢ كو ٥ : ١٥) .

ب— أما بالنسبة للملك فى إجراء أحكامه ، فإننا نراه فوق كرسيه وبيده قضيب ملكه صولجان السلطة والحكم مكتوباً عليه : **« قضيب استقامة قضيب ملكك »** والإشارة إلى :

(١) عدالة الشريعة التى عليها يقوم الحكم . فقد جاء عنها قوله « ناموس الرب كامل ، شهادات الرب صادقة ، وصايا الرب مستقيمة ، أمر الرب طاهر ، خوف الرب نقى ، أحكام الرب حق عادلة كلها » (مز ١٩ : ٧ — ٩) . ولا عجب فهى كلمة الرب الصالح والمستقيم (مز ٢٥ : ٨) . الكامل صنيعه ، الذى جميع سبله عدل ، « إله أمانة لا جور فيه ، صديق وعادل هو » (تث ٣٢ : ٤) .

(٢) نزاهة الحكم فى طريق التنفيذ . فهو لا يقضى بحسب نظر عينيه ، ولا يحكم بحسب سمع أذنيه ، بل يقضى بالعدل للمساكين ، ويحكم بالإنصاف لبائسى الأرض ، ويضرب الأرض بقضيب فمه ، ويميت المنافق بنفخة شفتيه » (إش ١١ : ٣ و ٤) . فيشرق فى أيامه الصديق وكثرة السلام إلى أن يضمحل القمر (مز ٧٢ : ٧) .

(٣) قوة تأثير أحكامه فى تطهير القلوب . فما قضيب ملكه إلا السيف الماضى ذو الحدين الخارج من فمه (رؤ ١ : ١٦ و ١٩ : ١٥) ، سيف الروح ، الذى هو

كلمة الله (أف٦ : ١٧) ، التي هي « أمضى من كل سيف ذى حدين وخارقة إلى مفرق النفس والروح والمفاصل والمخاخ ومميزة أفكار القلب ونياته » (عب ٤ : ١٢) التي بها نولد ثانية (١ بط١ : ٢٣ ويع ١ : ١٨ انظر يو ٣ : ٣ — ٨) .

(٤) السلطان المطلق للتصرف : كان قضيب الذهب في يد ملوك الشرق شارة السلطان الذى به يتصرفون فى رعيتهم كما يحسن فى عيونهم . ففى هذا القضيب كانت الحياة والموت ، التمتع بالدخول إلى حضرة الملك أو الحرمان منه إلى الأبد ، (أنظر إش ٤ : ١١ و ١٦ و ٥ : ١ و ٢ و ٨ : ٤) .

قضيب الملك فى يد ملكنا ذهب نقى « قضيب استقامة » فهو شارة سلطانه المطلق الذى به يعطى سلطاناً للمؤمنين باسمه أن يصيروا أولاد الله (يو ١ : ١٢) وأن يتقدموا بثقة إلى عرش النعمة لكى ينالوا رحمة ويجدوا نعمة عوناً فى حينه » (عب ٤ : ١٦). «لكى يكون سلطانهم على شجرة الحياة ويدخلوا من الأبواب إلى المدينة » (رؤ ٢٢ : ١٤) وهكذا يكونون كل حين مع الرب (١ تس ٤ : ١٧) .

أما الذين لا يريدون أن يملك عليهم فله سلطان أن يأمر بابعادهم عنه وبارسالهم إلى جهنم حيث دودهم لا يموت ونارهم لا تطفأ ودخان عذابهم يصعد إلى أبد الآبدين (انظر لو ١٩ : ٢٧ ومت ٢٢ : ١٣ و ٢٥ : ٤١ ورؤ ١٤ : ٩ — ١٢) .

(٥) فرح قلب الابن : عدد ٩ — **« من أجل ذلك مسحك الله إلهك بزيت الابتهاج أكثر من شركائك »** . هذا الجزء من الآية له علاقة بجزئها السابق وهذه العلاقة مبنية على القول « **من أجل ذلك** » أى من أجل أنك « أحببت البر وأبغضت الإثم » « **مسحك الله إلهك بزيت الابتهاج أكثر من شركائك** » وهذا يرينا :

أ أن الابن مستأثر بالبر دون شركائه . فإن شركاءه سواء أكانوا هم الملوك الذين جلسوا على كرسى بيت داود ، أم الأنبياء والرسل وجميع المؤمنين الذين شاركوه فى خدمة الملكوت وبنعمته جعلوا ملوكاً ليجلسوا معه فى عرشه كوارثين معه (رؤ ١ : ٦ و ٣ : ٢١ ورو ٨ : ١٧ . انظر مت ١٩ : ٢٨).

فإن هؤلاء وأولئك جميعهم داخلون فى دائرة المكتوب «انه ليس بار ولا واحد ، ليس من يفهم . ليس من يطلب الله . الجميع زاغوا وفسدوا معاً ، الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله » (رو ٣ : ١٠ — ١٨ و ٢٣ انظر مز ٥٣ : ١ — ٣) وإن كان فى أحد من هؤلاء الشركاء شيء من البر أو الصلاح فمن نعمته عليهم ومن روحه الساكن فيهم . أما هو فوحده « قدوس بلا شر ولا دنس قد انفصل عن الخطاة وصار أعلى من السموات » (عب ٧ : ٢٦) فهو إذاً « أبرع جمالا من بنى البشر » (مز ٤٥ : ٢) فليس سواه « له على فخذه وعلى ثوبه اسم مكتوب « **ملك الملوك ورب الأرباب** » (رؤ ١٩ : ١٦) .

أمامه ينحنى يوحنا المعمدان بكل عظمته ويصرح على رؤوس الاشهاد قائلا « لست أهلا أن أحمل حذاءه » (مت ٣ : ١١) .

ب— لذلك فالابن مميز فى الفرح على شركائه « **مسحك الله إلهك بزيت الابتهاج أكثر من شركائك** » — إن ملكوت الله قاعدته البر وقمته الفرح فهو « بر وسلام وفرح فى الروح القدس » (رو١٤ : ١٧) . وهذا هو جو المزمور ٤٥ ، فإن المرنم فيه إذ يرى الابن الملك فوق كرسيه متوجاً ، ويرى بيده صولجان الملك « استقامة » . يراه أيضاً وقد أعدت له حفلة ، لا تتويجية ، بل هى وليمة عرسية .

يراه المرنم جباراً متقلداً سيفه على فخذه ، راكباً على خيله ومركباته ، مركبات الخلاص ، مقتحماً بجلاله وبهائه ميدان الحرب من أجل الحق والدعة والبر ؛ يراه وقد عريت قوسه تعرية . سباعيات سهام كلمته ، ونبله مسنونة فى قلب أعداء الملك ، وشعوب تحته يسقطون اقرأ أيضاً (حب ٣ : ٨ و ٩) .

يراه « وقد أعطى إكليلا وخرج غالباً ولكى يغلب » (رؤ ٦ : ٢) . وكأنى به يراه وقد عاد من ميدان الجهاد ومن أرض الأعداء جالساً على فرس أبيض ، متسربلا بثوب مغموس بدم ، رافعاً علم النصرة مكتوباً عليه بأحرف بارزة « أنا المتكلم بالبر

العظيم للخلاص » وهو يقود عروسه وراءه فى موكب نصرته على خيل بيض ، لابسة بزاً أبيض بهياً ونقياً ، فاقيمت له حفلة انتصار عرسية جلس فيها على كرسى مجده وكل ثيابه مر وعود وسليخة . فدوت قصور العاج بأنغام السرور على أوتار الموسيقى . بنات ملوك بين حظياته ، والملكة عن يمينه بذهب أوفير وكلها مجد ، وفى إثرها عذارى صاحباتها يحضرن بفرح وابتهاج ويدخلن إلى قصر الملك . (اقرأ أيضاً إش ٦٣ : ١ — ٦ ورؤ ١٩ : ٧ — ١٤ و ٢ كو ٢ : ١٤) .

كأنى بالمرنم ، وقد رأى هذا المنظر الرائع ، وقد سكب على رأس الملك زيت الابتهاج ، الذى هو إكليل هذا الفرح المقدس موضوعاً على رأسه ؛ لم يتمالك نفسه عن أن يرفع صوت الهتاف عالياً مخاطباً إياه بالقول : « أنت أبرع جمالا من بنى البشر » . « كرسيك يا الله إلى دهر الدهور قضيب استقامة قضيب ملكك . أحببت البر وأبغضت الإثم . من أجل ذلك مسحك الله إلهك بزيت الابتهاج أكثر من شركائك » . هذا هو السرور الموضوع أمام المسيح الذى من أجله احتمل الصليب مستهيناً بالخزى فجلس فى يمين عرش الله (عب ١٢ : ٢) ألم يقل عنه إشعياء فى هذا الصدد . « إن جعل نفسه ذبيحة إثم يرى نسلا تطول أيامه ومسرة الرب بيده تنجح من تعب نفسه يرى ويشبع .. وعبدى البار بمعرفته يبرر كثيرين » (إش ٥٣ : ١٠ و ١١) ؟ ألم يعلن عنه يوحنا المعمدان فى هذا الشأن قائلا « من له العروس فهو العريس . وأما صديق العريس الذى يقف ويسمعه فيفرح فرحاً من أجل صوت العريس . إذاً فرحى هذا قد كمل . ينبغى أن ذاك يزيد وانى أنا أنقص . الذى يأتى من فوق هو فوق الجميع . . لأنه ليس بكيل يعطى الله الروح » ؟ (إقرأ يو ٣ : ٢٩ — ٣٦) . « أخرجن يا بنات صهيون وانظرن الملك سليمان (ملك السلام العظيم ابن الله الوحيد) بالتاج الذى توجته به أمه فى يوم عرسه وفى يوم فرح قلبه » (نش ٣ : ١١) .

عد ١٠ — ١٢ : الاقتباس السادس : **« وأنت يارب فى البدء أسست الأرض والسموات هى عمل يديك . هى تبيد ولكن أنت تبقى وكلها كثوب تبلى . وكرداء تطويها فتتغير ولكن أنت أنت وسنوك لن تفنى »** . هذا الاقتباس من (مز ١٠٢ :

٢٦ و ٢٧ فى السبعينية) وموضوعه «الابن» فهو مرتبط بالاقتباس السابق عد ٨ و ٩ فى هذا الموضوع ، أى أن الرسول يقول «أما عن الابن كرسيك يا الله . . . وأنت يارب فى البدء» الخ .

فهل نرى الابن فى المزمور (١٠٢) أيضاً (كما فى المزمور ٤٥) ؟ وماذا نراه فيه ؟

(١) الابن فى المزمور ١٠٢ : — هكذا أعلن هذا الرسول العبرانى الملهم أن الابن فى المزمور ١٠٢ ، مع أن من يطالعه سطحياً لا يراه فيه ، حتى يتعمق فى درسه .

يبدأ المزمور بشكوى متألم يسكنها أمام الله وهو فى حالة الضيق المر وقد فنيت أيامه ويبست عظامه ، ولصق عظمه بلحمه ، فأكل الرماد مثل الخبز ، ومزج شرابه بدموعه ، بسبب غضب الله وسخطه . وكأنى بهذا المتألم فى أرض السبى وزمانه يتطلع نحو صهيون فى خرابها فيئن من أجلها . ولكنه يرى من وراء الدموع بعين النبوة أن وقت الرأفة قد جاء وقد آن الميعاد ليقوم الرب ليرحم صهيون ، ويبنيها ، ويرى بمجده فيها ، ويجلس على كرسيه إلى الأبد ، ويبقى ذكره إلى دور فدور ، فتخشى الأمم اسمه ، وكل ملوك الأرض مجده ، ويسبحه شعب سوف يخلق ، فيلتفت إلى صلاة المضطر ، ويسمع أنين الأسير ، ليطلق بنى الموت ؛ لكى يحدث فى صهيون باسم الرب ، وبتسبيحه فى أورشليم عند اجتماع الشعوب معاً والممالك لعبادة الرب .

فمن يقف أمام هذا المزمور فى هذا التحليل البسيط ولا يرى فيه المسيا وقد جلس على كرسى صهيون (مز ٢ : ٦) وإليه اجتمع شعبه من كل الأمم والشعوب والقبائل والألسنة ؟ (رؤ ٧ : ٩)، (مز ٤٧ : ٥ — ٩) .

فلا نزال إذاً أمام الابن الملك ، المسيا الآتى الذى بعد أن افتدى صهيون «جلس فى يمين العظمة فى الأعالى صائراً أعظم من الملائكة» ليبنى كنيسته ويرى فيها بمجده فى وسط ملكوته ويرحم شعبه إلى الأبد .

(٢) ماذا نراه عن الابن فى القول المقتبس من هذا المزمور ؟ — اللقب الملقب به — والعمل المنسوب إليه .

(أ) لقب الابن « وأنت يارب » خاطبه المرنم فى مز ٤٥ قائلا « يا الله » « الوهيم » وأما فى هذا المزمور فيخاطبه قائلا « يارب » « يهوه » (انظر مز ١٠٢ : ١٢) لمناسبة ذكرى عهد المراحم والافتقاد ووقت الرأفة والميعاد . وهذا هو الاسم الذى أعلن به ذاته لموسى ولشعب إسرائيل يوم رأى مذلتهم فى مصر ، وسمع صراخهم ، وعلم أوجاعهم ، ونزل لإنقاذهم . « يهوه » هذا اسمى إلى الأبد وهذا ذكرى إلى دور فدور » (خر ٣ : ١٣ ــ ١٥) . وإذا علمنا بأن هذا هو اسم « ملاك الرب » الذى ظهر لموسى « بلهيب نار من وسط عليقة . فنظر وإذا العليقة تتوقد بالنار والعليقة لم تكن تحترق » (خر ٣ : ٢ [illegible]

وإذا سمعناه يعلن عن نفسه بأنه (إله ابراهيم وإله اسحق وإله يعقوب [illegible] خر ٣ : ٦ و ١٥ لعرفناه « يهوه » « ملاك العهد » ملا ٣ : ١ [illegible] وإذ رأيناه فى تجسده العجيب ممثلا فى منظر ظهوره الخارق العادة « لهيب نار من وسط عليقة » وما هذا سوى صورة تمثيلية للاهوت ، وهو لهيب نار [illegible] آكلة [illegible] متجلياً بالناسوت ، وهو عليقة لحم ودم ضعيفة ، صورة تجسد ابن الله العجيب لإتمام فداء شعبه المختار « فإنه فيه يحل كل ملء اللاهوت جسدياً » (كو ٢ : ٩ و ١ : ١٩) .

(ب) العمل المنسوب إلى الابن فى كلمات الاقتباس [illegible] وهو عمل [illegible] كلمتين من النص هما : كلمة « أسست » وكلمة « تطويها » [illegible] الواحدة تشير إلى عملية الخلق . والثانية تشير إلى عملية التغيير . والعمليتان [illegible] إلى الابن :

١ ــ عملية الخلق : « فى البدء أسست الأرض والسموات هى عمل يديك » [illegible] والكلام عن الخليقة بجملتها ، معبراً عنها « بالأرض والسموات » (قابل تك ١ : ١ و ٢ : ١) . الأرض بممالكها الثلاث [illegible] المعدنية [illegible] النباتية والحيوانية [illegible] والسموات بما فيها من شمس وقمر ونجوم . النظام الفلكى العجيب [illegible] بنظامه ونواميسه ومخلوقاته [illegible]

أما التعبير عن عملية الخلق ، فعن « الأرض » قيل « أسست » . أما عن « السموات » فقيل « هي عمـــل يديك » كأن الأرض والسموات بجملتها بناءٌ أساسه الأرض باعتبار كونها الجزء الأسفل المنخفض ، والسموات قائمة على هذا الأساس باعتبار علوها وسموها . على أن التأسيس على الوجه الأشهر يعنى الرسوخ والاستقرار والثبات فى لغة الكتاب .

أما القول « السموات هي عمل يديك » ففيه إشارة إلى ذلك النظام البديع المزين بتلك الكواكب النورانية المجيدة بشكل يجذب الأبصار (انظر أى ٢٦ : ١٣) وفيها تظهر يد القدرة الإلهية بالحكمة غير المحدودة كفنان ماهر حكيم يكلل بداعة فنه بتجميل الأجزاء العليا منه .

أما الزمان الذى فيه تمت عملية الخلق فعبر عنه بالقول « فى البدء » وهو فى المزمور « من قِدم » . والكلمة العبرية هنا هى « بفانيم » وليست « بريشيت » الواردة فى (تك ١ : ١) . والمعنى فى الأولى الامام وفى الثانية الرأس . ومن الأولى ، وجه الإنسان وطليعة الجيش . ومن الثانية ، رأس الإنسان والرئاسة فى كل مرافقها ؛ والإشارة فى كليهما إلى ما هو قبل ، وما هو سابق ومتقدم . أى أنه فى وقت قبل أن تكون الخليقة كان الابن موجوداً فكوّنها مخرجاً إياها من العدم إلى حيّز الوجود واضعاً إياها على أسسها وقواعدها الأصلية مرتباً ومنظماً موادها إلى ما هى عليه الآن .

وإذا قارنا بين ما جاء فى (تك ١ : ١) « فى البدء خلق الله السموات والأرض » وبين ما جاء فى (يو ١ : ١ — ٣) « فى البدء كان الكلمة . . . كلّ شيء به كان » لرأينا الابن « فى البدء » قبل أن تولد الجبال وقبل أن أبدئت الأرض والمسكونة (مز ٩٠ : ٢) . بل لرأيناه صانعاً يرسم أسس الأرض ويثبت السموات . (اقرأ أم ٨ : ٢٢ — ٣١) فهو رب الخليقة الأزلى .

٢ — عملية التغيير : « **هى تبيد . . . وكلها كثوب تبلى وكرداء تطويها فتتغير** » . إن أول ما يقع تحت حِسنا فى هذه الكلمات هو التمثيل الذى يُظهر أمامنا « الأرض والسموات » « كثوب » « وكرداء » ، وبالتالى يرينا الابن متسربلا بهذا الثوب ومرتدياً

هذا الرداء فنجثو أمامه قائلين « مجداً وجلالا لبست . اللابس النور كثوب ، الباسط السموات كشقة » (مز ١٠٤ : ١ و ٢) وكما أن الثوب أو الرداء هو المظهر الخارجي للابسه فيظهره ، وفى ذات الوقت يستره فيخفى حقيقته وراءه ، هكذا أمور الله غير المنظورة ولو أنها « ترى منذ خلق العالم مدركة بالمصنوعات قدرته السرمدية ولاهوته » (رو ١ : ٢٠) إلا أن هذه المصنوعات ، فى ذات الوقت ، تستر وراءها قدرة لا يدركها إنسان ، هى تلك القدرة الغير المحدودة . وهذا هو ما رآه حبقوق وقال فيه « جلاله غطى السموات . . . وكان لمعان كالنور . له من يده شعاع وهناك استتار قدرته » (حب ٣ : ٣ و ٤) فما تعلنه الخليقة ما هو إلا شعاع من يد تلك القدرة الإلهية وما هذا الشعاع إلا ليستر وراءه كلية القدرة الغير المدركة .

على أن المرنم رأى الابن بعين النبوة وإذا به يطوى هذا الرداء ، فقال « كرداء تطويها » . فهل بلى الرداء فلم يعد صالحاً للاستعمال فلابد من تغييره ؟ أو تم الغرض الخاص من استعماله فأصبح لا لزوم له فيطوى ؟ سواء أكان هذا أم ذاك فلابد أنه سيأتى يوم فيه يطوى هذا الرداء « لأن هيئة هذا العالم تزول » (١ كو ٧ : ٣١) وحينئذ تنكشف حقيقة الابن التى كانت وراء ستار هذا الرداء . « لأننا سنراه كما هو » (١ يو ٣ : ٢) ، لأنه هوذا يأتى مع السحاب وستنظره كل عين » (رؤ ١ : ٧) ، فتهرب من وجهه الأرض والسماء ولا يوجد لهما موضع (رؤ ٢٠ : ١١) ، « سيأتى كلص فى الليل يوم الرب الذى فيه تزول السموات بضجيج وتنحل العناصر محترقة وتحترق الأرض والمصنوعات التى فيها . فبما أن هذه كلها تنحل أى أناس يجب أن تكونوا أنتم فى سيرة مقدسة وتقوى ، منتظرين وطالبين سرعة مجىء يوم الرب الذى به تنحل السموات ملتهبة والعناصر محترقة تذوب ولكننا بحسب وعده ننتظر سموات جديدة وأرضاً جديدة يسكن فيها البر » (٢ بط ٣ : ١٠ — ١٣ قابل رؤ ٢١ : ١ — ٥).

فى عملية الخلق نرى الابن « الذى به عمل العالمين » (عب ١ : ٢) الذى « كل شىء به كان » (يو ١ : ٣) . وفى عملية التغيير نرى الابن الذى هو « حامل كل الأشياء بكلمة قدرته » (عب ١ : ٣) . فى عملية الخلق نراه « فى البدء » الابن الوحيد الذى فى حضن الآب منذ الأزل (يو ١ : ١ و ١٤ و ١٨) ، وفى عملية التغيير نراه الابن

« الكائن والذى كان والذى يأتى » (رؤ ١ : ٨) « فهو هو أمساً واليوم وإلى الأبد » (عب ١٣ : ٨) وهو فى الآب والآب فيه (يو ١٤ : ١٠ و ١١) .

هذا يوضح لنا جلياً سر المقابلة التى يقابل بها المرنم بين الابن وبين جميع الكائنات فى قوله « **هى تبيد ولكن أنت تبقى وكلها كثوب تبلى وكرداء تطويها فتتغير ، ولكن أنت أنت وسنوك لن تفنى** » .

فى الاقتباس الخامس من مز ٤٥ نراه الابن الملك ، عريس الكنيسة ، فوق كرسى مجده ، وعن يمينه الملكة وكلها مجد ببهائه الذى جعله عليها . (إقرأ حز ١٦ : ٦ — ١٤) ؛ وفى هذا الاقتباس من مز ١٠٢ نراه الابن الملك رب الخليقة الذى سيغيرها بعد أن أخضعت للبطل ليعيد إليها مجدها « لأن الخليقة نفسها أيضاً ستعتق من عبودية الفساد إلى حرية مجد أولاد الله » (رو ٨ : ٢١) . وفى كل ذلك ما الملائكة إلا خدمة لديه ينفذون مقاصده التى تؤدى إلى هذه النتيجة المطلوبة .

(رابعاً) كونه ملكاً هم خدام رعيته : عدد ١٣ و ١٤ : الاقتباس السابع « **ثم لمن من الملائكة قال قط اجلس عن يمينى حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك . أليس جميعهم أرواحاً خادمة مرسلة للخدمة لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص** ». لنا فى هاتين الآيتين المقابلة الرابعة والأخيرة بين المسيح والملائكة ، فى هذا الفصل . وفى هذه المقابلة نرى — نوعها ، ومقام المسيح فيها ، ومقام الملائكة بالنسبة :

١ — نوع المقابلة : هذه المقابلة فى صيغتها سلبية قوية كالمقابلة الأولى فى عد ٥ . إذ كلاهما متفق فى القول « **لمن من الملائكة قال قط** » . بينما الصيغة فى المقابلتين الأخيريين إيجابية مباشرة . وكأن الرسول قصد أن يبين بالبرهان الكتابى سلباً وإيجاباً فضل المسيح على الملائكة فلا يترك باباً لمعترض ولا تقوم حجة لمقاوم . مع الملاحظة أنه اختتم مقابلاته كما افتتحها بالصيغة السلبية .

٢ — أما مقام المسيح هنا فظاهر فى القول « **اجلس عن يمينى حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك** » وهو قول مقتبس من (مز ١١٠ : ١) . وقبل البحث فى مقام المسيح المبين فى هذا الاقتباس علينا أن نتبين شخصية المسيح فى المزمور ١١٠ .

(أ) شخصية المسيح فى المزمور ١١٠ ؛ إن الرسول باقتباسه هذه الكلمات فى موضوع ابن الله وفضله على الملائكة أعلن كما أعلن فى ما مضى أن هـذا الابن العظيم هو أيضاً موضوع مزمور ١١٠ كما أنه موضوع مز٢ ، ٤٥ ، ١٠٢ . وقد أثبت العهد الجديد هذه الحقيقة جلياً . فهوذا المسيح نفسه له المجد يطبق هذا المزمور على شخصه فى سؤال قدمه إلى الفريسيين قائلا « ماذا تظنون فى المسيح ؟ ابن من هو ؟ » قالوا له « ابن داود » قال لهم فكيف يدعوه داود بالروح رباً قائلا « قال الرب لربى إجلس عن يمينى حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك» (مز ١١٠ : ١ . انظر مت٢٢ : ٤١– ٤٤) والرسول بطرس فى يوم الخمسين وهو يتكلم عن المسيح اقتبس ذات القول مبرهناً به صعوده إلى السماوات وجعله رباً ومسيحاً (انظر أع ٢ : ٣٣ – ٣٦) والرسول بولس أيضاً وهو يكتب إلى الكورنثيين فى موضوع قيامة المسيح دخل فى موضوع ملكه فقال : « لأنه يجب أن يملك حتى يضع جميع الأعداء تحت قدميه » مشيراً إلى هذه العبارة عينها بذات الفكر .

أما إذا رجعنا إلى المزمور نفسه فإننا نراه يوقفنا أمام شخصية المسيح العجيبة فى نقطتين :

(١) فى كونه ، وهو ابن داود ، يدعى رب داود . وقد سأل المسيح الفريسيين هذا السؤال « إن كان داود يدعوه رباً فكيف يكون ابنه » ؟ فلم يستطع أحد أن يجيبه بكلمة (مت٢٢ : ٤٥ و ٤٦) ومن يستطيع حل هذا اللغز غير المسيح ؟ ومن سواه يمكن أن يكون رب داود وهو ابن داود ، وابن داود وهو رب داود ، فهل نجد شخصاً غيره إلهاً وإنساناً معاً ، فيكون رب داود كإله وابن داود كإنسان ؟ فلا يمكن إذاً تطبيق هذا القول إلا على شخصية المسيح العجيبة . .

(٢) فى كونه ملكاً وكاهناً معاً . فإن المرنم وهو يراه ملكاً عن يمين الله ، وأعداؤه تحت موطىء قدميه ، وبيده قضيب عزه ، وشعبه منتدب فى يوم

قوته (مز ١١٠ : ١ — ٣) إذا به يراه أيضاً متسربلا بثياب الكهنوت ، كاهناً إلى الأبد على رتبة ملكي صادق (مز ١١٠ : ٤) . وهذه الرتبة المزدوجة لم يكن ممكناً شرعاً أن يصل إليها أحد من بيت داود بحسب الجسد ، إذ لم يكن لأحد من سبط يهوذا الملكى أن يشترك فى خدمة الكهنوت التى كانت فقط للسبط اللاوى . وهذا واضح فى قول كهنة الرب بنى البأس لعزيا الملك عندما ارتفع قلبه إلى الهلاك وخان الرب ودخل هيكل الرب ليوقد على مذبح البخور حيث قاوموه قائلين : « ليس لك يا عزيا أن توقد للرب بل للكهنة بنى هرون المقدسين للايقاد » وقد ختم الرب من السماء على هذا القول بأن ضرب عزيا بالبرص . (انظر ٢ أى ٢٦ : ١٦ — ٢١) « فإنه واضح أن ربنا قد طلع من سبط يهوذا الذى لم يتكلم عنه موسى شيئاً من جهة الكهنوت » . فهو كاهن على شبه ملكى صادق كاهن الله العلى (انظر عب ٧) فلابد إذاً أن يكون المسيح موضوع المزمور ١١٠ فليس سواه الملك والكاهن معاً وليس سواه الإله والإنسان معاً .

(ب) أما المقام الذى تعطيه إياه كلمات الاقتباس فهو المقام الملكى الذى لمسناه وتبيناه فى الكلام عن شخصية المسيح . حيث نواجه : عهداً متمماً ، ووعداً مقدماً .

أما العهد المتمم فواضح فى القول « اجلس عن يمينى » وفيه إتمام لعهد قطعه الأب مع ابنه (مز ٢ : ٧ — ٩) كما سبق فبينا فى الاقتباس الأول وهو واضح فى قول الابن نفسه « إنى أخبر من جهة قضاء الرب ، قال لى أنت ابنى أنا اليوم ولدتك . اسألنى فأعطيك الأمم ميراثاً لك ، وأقاصى الأرض ملكاً لك » فالعهد فى مز ٢ تم نبوياً فى مز ١١٠ وتحقق تاريخياً فى صعود المسيح إلى السماء بعد ما صنع تطهيراً لخطايانا ، إذ رجع إلى أبيه فقابله بالقول « اجلس عن يمينى » اتماماً للعهد .

أما الوعد فمتضمن فى القول « **حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك** » . وهذا العمل عادة تتبين فى ما أجراه يشوع ابن نون حين أمسك ملوك الأموريين الخمسة فى أرض

كنعان ودعا كل رجال إسرائيل وقال لقواد رجال الحرب الذين ساروا معه « تقدموا وضعوا أرجلكم على أعناق هؤلاء الملوك » فتقدموا ووضعوا أرجلهم على أعناقهم . فقال لهم يشوع « لا تخافوا ولا ترتعبوا تشددوا وتشجعوا لأنه هكذا يفعل الرب بجميع أعدائكم الذين تحاربونهم » (يش ١٠ : ٢٢ — ٢٥) . وهذا يشير إلى كسر قوة الأعداء فلا تقوم لهم قائمة فى وجه المسيح فى طريق إتمام عمله ومد ملكوته وإجراء مسرته . كما يقول المرنم « ألحق أعدائى فأهلكهم ولا أرجع حتى أفنيهم . أفنيهم وأسحقهم فلا يقومون بل يسقطون تحت رجلىّ » (٢ صم ٢٢ : ٣٨ و ٣٩) . وهــذا ما فعله المسيح بالصليب « إذ جرد الرياسات والسلاطين أشهرهم جهاراً ظافراً بهم فيه » (كو٢ : ١٥) .

أما الأعداء فقد قال فيهم الرسول (١ كو١٥ : ٢٦) : « آخر عدو يبطل هو الموت » ويصاحب الموت عادة الهاوية (القبر) . وإذا علمنا أن « شوكة الموت هى الخطية وقوة الخطية هى الناموس » (١كو١٥ : ٥٥ و ٥٦) لاستطعنا أن نصف الأعداء على الترتيب الآتى وكلها مرتبطة بالموت لنتبين كيف ظفر المسيح بها :

الناموس : — ليس فى ذاته فإنه فى ذاته « مقدس والوصية مقدسة وعادلة وصالحة » (رو ٧ : ١٢) بل باعتبار ما قاله الرسول فى (رو٧ : ٩ — ١١) « أما أنا فكنت بدون الناموس عائشاً قبلا ولكن لما جاءت الوصية عاشت الخطية فمت أنا . فوجدت الوصية التى للحياة هى نفسها لى للموت . لأن الخطية وهى متخذة فرصة بالوصية خدعتنى بها وقتلتنى » ؛ أما المسيح فقد « محا الصك الذى علينا فى الفرائض الذى كان ضداً لنا وقد رفعه من الوسط مسمراً إياه بالصليب » (كو٢ : ١٤) .

الخطية والخطاة : — « لأن اهتمام الجسد هو عداوة لله إذ ليس هو خاضعاً لناموس الله لأنه أيضاً لا يستطيع . فالذين هم فى الجسد لا يستطيعون أن يرضوا الله » (رو٨ : ٧ و ٨) . فهم « أعداء فى الفكر فى الأعمال الشريرة » (كو ١ : ٢١) أما المسيح فقد ظهر وأبطل الخطية بذبيحة نفسه (عب ٩ : ٢٦) . وقد صلب معه الإنسان العتيق ليبطل جسد الخطية كى لا نعود نستعبد أيضاً للخطية (رو ٦ : ٦) ، لأننا « ونحن أعداء قد صولحنا مع الله بموته » (رو٥ : ١٠) .

الشيطان والعالم : — الشيطان هو رئيس هذا العالم (يو ١٢ : ٣١) وهو العدو الذى يقاوم المسيح (مت ١٦ : ٢٣ انظر أيضاً مت ٤ : ١ — ١١) ، ويصارع المؤمنين (أف ٦ : ١٢) ويريد أن يبتلعهم (١ بط ٥ : ٨) ويشتكى عليهم (رؤ ١٢ : ١٠) ؛ ويغويهم للخطية بمكره (٢ كو ١١ : ٣) ؛ فلا عجب إذا كان العالم يبغض المسيح والذين له (يو ١٥ : ١٨ و ١٩ و ١٧ : ١٤) ؛ ويسعى فى اكتساب قلوب الناس لمحبته ليصيروا أعداءً لله لأن محبة العالم عداوة لله (١ يو ٢ : ١٥ — ١٧) . أما المسيح فإنه جاء « لكى يبيد بالموت ذاك الذى له سلطان الموت أى ابليس ويعتق أولئك الذى خوفاً من الموت كانوا كل حياتهم تحت العبودية » (عب ٢ : ١٤ و ١٥) . وبروحه يبكت العالم على خطية وعلى بر وعلى دينونة . أما على خطية فلأنهم لا يؤمنون به . وأما على بر فلأنه قد ذهب إلى أبيه ولا يعود العالم يراه . وأما على دينونة فلأن رئيس هذا العالم قد دين (يو ١٦ : ٨ — ١١) . هؤلاء الأعداء جميعهم يصلون بنا إلى آخر عدو يبطل وهو : —

الموت والهاوية : — فقد كسر المسيح شوكة الموت التى هى الخطية بموته وأزال غلبة الهاوية بقيامته إذ لم يكن ممكناً أن يمسك من الموت ، ولا رأى جسده فساداً (أع ٢ : ٢٤ و ٣١) وفيه لابد أن « يقام الأموات عديمى فساد ونحن نتغير فحينئذ تصير الكلمة المكتوبة ابتلع الموت إلى غلبة . أين شوكتك يا موت وأين غلبتك يا هاوية» (٢ كو ١٥ : ٥٢ — ٥٥) .

ولا ننسى ، لهذه المناسبة ، الموت الثانى وهو الهلاك الأبدى الذى هو الغرض النهائى لجميع الأعداء للوصول بالنفس إليه . فإن المسيح إذ صار لعنة تحت غضب الله رفع الغضب وأعطى الحياة الأبدية فقضى على الموت الثانى قضاء مبرماً إذ « أبطل الموت وأنار الحياة والخلود بواسطة الإنجيل » (٢ تى ١ : ١٠) .

يواجهنا بعد كل هذا سؤال عما سيكون بعد إبطال هؤلاء الأعداء واخضاعهم وملاشاتهم . وهو هل يخلى المسيح نفسه وينتهى ملكه ، حيث يقال « لأنه يجب أن يملك حتى يضع جميع الأعداء تحت قدميه » ؟ .

هذا سؤال عويص يستلزم بحثاً دقيقاً مستفيضاً وليس لنا هنا إلا أن نشير إلى ما قاله الرسول فى هذا الخصوص (١ كو ١٥ : ٢٤ — ٢٨) . ولا سيما القول «متى سلم الملك لله الآب . . فحينئذ الابن نفسه سيخضع للذى أخضع له الكل» .

على أننا إذا اعتبرنا هذه الأقوال مع كل ما سبق فقيل عن أبدية ملك المسيح ودهريته ، يمكننا أن نرى أنه بعد إتمام عمل الفداء بإبطال آخر عدو ، لا يبقى عمل خاص لكل أقنوم من الأقانيم الثلاثة على حدته فيكون السلطان ، كما كان قبل الشروع فى عملية الفداء ، لله الإله الواحد الأزلى المثلث الأقانيم . على أن ابن الله المتجسد يبقى إلى الأبد رأساً لشعبه المفتدى ورباً له ، فهو الخروف الذى ، فى وسط العرش ، يرعاهم ويقتادهم إلى ينابيع ماء حية (رؤ ٧ : ١٧) وهم يتعبدون له أبداً قائلين «الخلاص لإلهنا الجالس على العرش وللخروف» (رؤ ٧ : ٩ و ١٠) هاتفين بصوت عظيم «مستحق هو الخروف المذبوح أن يأخذ القدرة والغنى والحكمة والقوة والكرامة والمجد والبركة» (رؤ ٥ : ١٢ و ١٣) . ويكون معنى تسليم الابن الملك لله الآب كمعنى خضوعه له باعتباركونه رأساً لشعبه وملكاً لهم فى نسبته إليهم كفاد ووسيط بينهم وبين الآب . فالملك بملكه ، الشعب براعيه ، الجسد برأسه ، بحسب النسبة المذكورة ، يسلم لله الآب لكى يكون الله الكل فى الكل . وهذا هو عين ما يعبر عنه بالخضوع .

هذا هو مقام الإبن ، الملك ، البكر ، الله ، الرب ، الجالس فوق العرش إلهاً مباركاً إلى الأبد ، . فأين هم الملائكة بالنسبة إليه ؟ لمن منهم أعطى هذا المقام السامى ؟ . **«أليس جميعهم أرواحاً خادمة مرسلة للخدمة لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص»** ؟ فهم ليسوا إلا رسلا وخداماً كما رأيناهم فى عد ٧ . على أننا هنا نراهم «أرواحاً خادمة» فى دائرة عمل الفداء فمن هم هؤلاء العتيدون أن يرثوا الخلاص ؟ وأى خلاص هم عتيدون أن يرثوه ؟ وكيف يؤدى الملائكة خدمتهم لأجل هؤلاء ؟ .

أما العتيدون أن يرثوا الخلاص فهم أهل بيت الله الذين نالوا التبنى وأخذوا روحه الذى به يصرخون يا أبا الآب كأولاد . وإن كانوا أولاداً فهم ورثة ، ورثة الله ووارثون مع المسيح (رو ٨ : ١٤ — ١٧) .

أما الخلاص الذى هم عتيدون أن يرثوه ، فهو ذلك الميراث الذى ولدوا له بقيامة يسوع المسيح ، الميراث الذى لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل ، المحفوظ فى السموات لأجلهم ، هو الخلاص المستعد أن يعلن فى الزمان الأخير (١ بط ١ : ٣ — ٥) ، هو الملكوت الذى وعد به الله الذين يحبونه (يع ٢ : ٥) ، هو مجد الله الذى على رجائه يفتخرون (رو ٥ : ٢) ؛ هو التبنى ، فداء الأجساد ، الذى يتوقعونه آنين صابرين (رو ٨ : ٢٣ — ٢٥) ، هو مجد ربنا يسوع المسيح الذى دُعوا بالإنجيل لاقتنائه مختارين (٢ تس ٢ : ١٣ و ١٤) .

أما كيف يؤدى الملائكة خدمتهم لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص ففيه طريقان أحدهما مباشر والآخر غير مباشر :

فمن النوع الأول خدمة الملائكة فى إعالة إيليا (١ مل ١٩ : ٥ — ٨) والتبشير بولادة يوحنا ، وبولادة المسيح (لو ١ : ٨ — ٣٨) وظهورهم ليلة الميلاد (لو ٢ : ٨ — ١٤) وخدمتهم للمسيح فى البرية (مت ٤ : ١١) وفى جثسيمانى (لو ٢٢ : ٤٣) وعند قيامته (مت ٢٨ : ١ — ٧ ، مر ١٦ : ٥ — ٧ ، لو ٢٤ : ١ — ٧ ، يو ٢٠ : ١١ و ١٢) وعند صعوده (أع ١ : ١٠ و ١١) وفى هداية كرنيليوس (أع ١٠ : ٣ — ٨) واخراج بطرس من السجن (أع ١٢ : ٦ — ١١) . وبالإجمال فإن السلم التى رآها يعقوب فى حلمه (تك ٢٨ : ١٢) منصوبة على الأرض ورأسها يمس السماء وملائكة الله يصعدون وينزلون عليها هى إشارة الارتباط الكائن بين الأرض والسماء ، واستعداد الملائكة لتأدية الخدمة لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص ، ورمز إلى المسيح الذى قال عن نفسه « من الآن ترون السماء مفتوحة وملائكة الله يصعدون وينزلون على ابن الإنسان » (يو ١ : ٥١) .

أما الخدمة الغير المباشرة فنجد نوعها فى (دا ١٠ : ١٢ — ٢١) حيث يظهر أن الملائكة أرواح خادمة مرسلة للخدمة فى دائرة ممالك العالم . ولهم خدمة لاسقاطها أو لتقويتها الأمر الذى يحقق لنا عناية الله فى كل حوادث الكون وما يجرى فى العالم وتدخله فيها . ولهذا جاءت النبوات عن مصر وبابل وصور وغيرها (انظر إش ١٣ —

٢٣ وحز ٢٥ – ٣٢) التى تدل على أنه بين قيام هذه الممالك وسقوطها ، وسلسلة الحوادث المتعلقة بها ، وبين تاريخ شعب الله ومملكة المسيح ارتباط كلى وأن جميع ما يحدث فى الأرض يؤول كله إلى خير العتيدين أن يرثوا الخلاص ويصل بهم إلى ذلك الميراث . وسفر الرؤيا بجملته مظهر جلى وبرهان واضح على صدق هذه الحقيقة . فتدخل الملائكة فى الأعمال الخاصة بتلك الممالك وبالحوادث المرتبطة بالعالم ، إنما هو خدمة كلية ، ولو كانت غير مباشرة لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص .

وإذا قال أحد : أليس المسيح أيضاً خادماً ؟ ألم يقل هو نفسه « إن ابن الإنسان لم يأت ليُخدم بل ليَخدم » (مت ٢٠ : ٢٨) ؟ أليس هو « خادماً للأقداس والمسكن الحقيقى » (عب ٨ : ٢) ؟ نعم المسيح خادم وقد أرسل للخدمة . على أن خدمته من باب التطوع والتضحية لأنه أخلى نفسه منتدباً ، ووضع ذاته ليعمل مشيئة الذى أرسله ويتمم عمله . وأطاع ، حراً مختاراً ، حتى الموت (فى ٢ : ٧ و٨ ويو ٤ : ٣٤ و١٠ : ١٧ و ١٨) . ألا نراه فى خدمته جالساً فى يمين العظمة فى السموات (عب ٨ : ١و٢)

أما خدمة الملائكة فهى خدمة العبيد المأمورين . فهم خدام أصلا لا أرباب ، ورسل أصلا لا ملوك . وقيامهم بخدمتهم بالخضوع والطاعة إنما هو إتمام للواجب الموضوع على عاتقهم فلا فضل لهم فيه لأنهم يكونون قد عملوا ما كان يجب عليهم ليس إلا (انظر لو ١٧ : ٧ – ١٠) .

الفصل الثاني

تحذير (فصل معترض رابط ص ٢ : ١ — ٤)

١ لِذٰلِكَ يَجِبُ أَنْ نَتَنَبَّهَ أَكْثَرَ إِلَى مَا سَمِعْنَا لِئَلاَّ نَفُوتَهُ .
لأَنَّهُ إِنْ كَانَتِ ٱلْكَلِمَةُ ٱلَّتِي تَكَلَّمَ بِهَا مَلاَئِكَةٌ قَدْ صَارَتْ ثَابِتَةً
وَكُلُّ تَعَدٍّ وَمَعْصِيَةٍ نَالَ مُجَازَاةً عَادِلَةً ٣ فَكَيْفَ نَنْجُو نَحْنُ إِنْ
أَهْمَلْنَا خَلاَصاً هٰذَا مِقْدَارُهُ قَدِ ٱبْتَدَأَ ٱلرَّبُّ بِٱلتَّكَلُّمِ بِهِ ثُمَّ تَثَبَّتَ
لَنَا مِنَ ٱلَّذِينَ سَمِعُوا ٤ شَاهِدًا ٱللهُ مَعَهُمْ بِآيَاتٍ وَعَجَائِبَ وَقُوَّاتٍ
مُتَنَوِّعَةٍ وَمَوَاهِبِ ٱلرُّوحِ ٱلْقُدُسِ حَسَبَ إِرَادَتِهِ .

فى هذه الآيات نجد التحذير الأول فى هذه الرسالة وقد بدأه الرسول بالقول « لذلك » ، الأمر الذى يدل على ارتباط هذا الفصل بالذى سبقه . وإذا لاحظنا أيضاً أن الكلمة الأولى فى عدد ٥ هى « فإنه » تحققنا أيضاً ارتباط هذا الفصل بالذى يليه فهو فصل عملى معترض رابط جعله الرسول قنطرة للعبور من الفصل السابق إلى الفصل اللاحق وهو أسلوب بديع لوصل طرفيهما وربط الفكرة التى تتمشى فيهما . وفى هذا الفصل الرابط نجد تحذيراً — وأساساً يبنى عليه التحذير .

(أولا) : التحذير المتضمن فى الفصل :

عدد ١ : « لذلك يجب أن نتنبه أكثر إلى ما سمعنا لئلا نفوته » حيث تظهر العلاقة بين التحذير وبين الكلام السابق ، ويتجلى الواجب المتضمن فى هذا التحذير — والدافع على القيام بهذا الواجب .

١ — العلاقة بين التحذير وبين الكلام السابق ظاهرة فى الكلمة « لذلك » أى إزاء كل ما قيل سابقاً فى موضوع العهد الجديد من التعاليم والبراهين والأسباب التى ذكرت

فى الديباجة ، وبازاء فضل المسيح على الملائكة باعتبار كونه ابن الله ، الذى سبق تبيينه ، « لذلك » كله .

٢ — « يجب أن نتنبه أكثر إلى ما سمعنا » : فماذا سمعنا ؟ وكيف نتنبه ؟

(أ) أما « ما سمعنا » . فهو ما سمعه الرسول نفسه وما سمعه جماعة العبرانيين الذين يكتب إليهم بصفته واحداً منهم ، وهو أيضاً ما سمعه جميع الرسل ، وكل الذين وصل خبره إلى آذانهم ، وما نسمعه نحن وغيرنا فى هذه الأيام وفى كل الأجيال ؛ وهو الخبر المتضمن فى العهد الجديد الذى تكلم به الرب ونادى به الذين سمعوه « فكيف يؤمنون بمن لم يسمعوا به . وكيف يسمعون بلا كارز . وكيف يكرزون إن لم يرسلوا . كما هو مكتوب ما أجمل أقدام المبشرين بالسلام المبشرين بالخيرات » (رو ١٠ : ١٤و١٥ انظر إش٥٢ : ٧) إلى هذا

(ب) « يجب أن نتنبه » . أى أن نتفطن للأمر فلا نغفل عنه ولا يفوتنا . لذلك فتح الرب قلب ليدية لتصغى إلى ما كان يقوله بولس (أع ١٦ : ١٤) . لأن الأمر يستلزم ، لا مجرد سماع الأذن ، بل كل اهتمام القلب لنقبل الكلمة فيه بوداعة فتغرس هناك ، وتثمر ثمرها للحياة ثلاثين وستين ومئة (مت١٣ : ٢٣) أو كما عبر عنه المرنم بالقول : « خبأت كلامك فى قلبى لكى لا أخطىء إليك » (مز ١١٩ : ١١) . أو كما قال عنه بولس أيضاً « شكراً لله أنكم كنتم عبيداً للخطية ولكنكم أطعتم من القلب صورة التعليم التى تسلمتموها » (رو ٦ : ١٧) وإذا أضفنا ، إلى هذا المعنى ، الفكر المتضمن فى كلمة « أكثر » المقترنة بها لرأينا وجوب الاهتمام الشديد والحذر الكلى بالنسبة إلى عظمة ذاك الذى كلمنا ، كما إلى عظمة النتائج التى تترتب على كلامه معنا إن سمعنا وإن امتنعنا (حز ٢ : ٧ و ٣ : ٢٧) .

٣ — أما الدافع إلى القيام بواجب التنبه فمتضمن فى قوله « لئلا نفوته » ، وهو تعبير عن الأضرار والخسارة التى تلحقنا إذا أغفلنا أو أهملنا أى إذا لم « نتنبه إلى ما سمعنا » . أما الكلمة الأصلية المترجمة « نفوته » ففيها معنى جريان الماء إلى جانب ،

أو سروبه إلى ناحية . وتتعداه إلى معنى الانحراف عن الإيمان ، والميل عن الثبات . وكثيراً ما تُمثل كلمة الله وتعليمه بالماء . ألم يقل موسى فى الكلمة التى نادى بها باسم الرب : « يهطل كالمطر تعليمى ، ويقطر كالندى كلامى . كالطل على الكلأ ، وكالوابل على العشب » (تث ٣٢ : ٢) ؟ بل ألم يقل الله نفسه عن تأثير كلمته وفعلها « كما ينزل المطر والثلج من السماء ولا يرجعان إلى هناك بل يرويان الأرض ويجعلانها تلد وتنبت وتعطى زرعاً للزارع وخبزاً للآكل » . (إش ٥٥ : ١٠ و ١١) ؟ . والرسول نفسه فى (١ كو ٣ : ٦ — ٩) يعتبر الكرازة غرساً وسقياً . وفى هذه الرسالة يمثل السامعين بأرض شربت المطر الآتى عليها مراراً كثيرة (عب٦ : ٧ و ٨) . بهذا الاعتبار تسرب كلمة اللهمن قلوب الذين يهملونها فيفوتونها إذ يبتعدون عن دائرة تأثيرها فى نفوسهم فلا ينالون بركاتها ونعمة ثمرها فى قلوبهم للميلاد الثانى والحياة الأبدية . وهذا عين ما قصده المسيح فى مثل الزارع فى العينات الثلاث الأولى — المزروع على الطريق ، والمزروع على الأرض المحجرة ، والمزروع بين الشوك — فالأول خطفه الشيطان ، والثانى عثر حالا ، والثالث خنقه هم هذا العالم وغرور الغنى (اقرأ مت ١٣ : ٣ — ٧ و ١٩ — ٢٢ ومر ٤ : ٣ — ٧ و ١٤ — ١٩) .

(ثانياً) : الأساس الذى عليه يبنى التحذير :

عد ٢ — ٤ : يبنى الرسول تحذيره على أساس مقابلة يضعها فى هذه الآيات بين العهد القديم والعهد الجديد يظهر فيها العهد الجديد فى مقام يسمو به على العهد القديم بكيفية تجعل فواته شراً عظيماً يجب الحذر منه وتوجب التنبه إليه فلا نفوته وهذا هو غرضه فى كل الرسالة .

فى هذه المقابلة ذكر الرسول أربعة أوجه تتبين فى الشكل الذى تراه بعد : —

العهد القديم عدد ٢	العهد الجديد عد ٣ و ٤
الكلمة	خلاصاً هذا مقداره
« التى تكلم بها ملائكة	« « « قد ابتدأ الرب بالتكلم به
« « « « قد صارت ثابتة	تثبت لنا من الذين سمعوا شاهداً اللهمعهم الخ
كل تعد ومعصية نال مجازاة عادلة	فكيف ننجو نحن إن أهملنا خلاصاً هذا مقداره

عد ٢ « إن كانت الكلمة التى تكلم بها ملائكة قد صارت ثابتة وكل تعد ومعصية نال مجازاة عادلة » .

فى هذه الآية نرى العهد القديم : —

(١) كلمة : « **إن كانت الكلمة** » وهى الكلمة التى جعلها الله فى فم موسى عند جبل سيناء ليكلم بها بنى إسرائيل (خر ١٩ : ٣ — ٧) هى كلمة الناموس التى تكلم بها الله من السماء لشعب إسرائيل وهم يسمعون تحت الجبل (خر ٢٠ : ١ و٢٢ — اقرأ الاصحاح كله) . هذه الكلمة هى أول ما كلم به الله الآباء قديماً وعلى أساسها جاءت جميع اعلانات العهد القديم من موسى إلى ملاخى الذى اختتم نبواته بالإشارة إلى تلك الكلمة فى قول الرب على فمه « اذكروا شريعة موسى عبدى التى أمرته بها فى حوريب على كل إسرائيل الفرائض والأحكام » (ملا ٤ : ٤) .

(٢) « **الكلمة التى تكلم بها ملائكة** » : رأينا أن الله نفسه هو الذى تكلم بهذه الكلمة من جبل سيناء وعلى أساسها « كلم الآباء بالأنبياء قديماً » (عب ١ : ١) فكيف إذاً يقول الرسول إنه قد « **تكلم بها ملائكة** » ؟ يقرر العهد الجديد ذات الأمر فى موضعين آخرين مبيناً فى قول اسطفانوس لليهود « أنتم الذين أخذتم الناموس بترتيب **ملائكة** ولم تحفظوه » (أع ٧ : ٥٣) وفى قول الرسول نفسه أيضاً فى (غل ٣ : ١٩) « فلماذا الناموس . قد زيد بسبب التعديات إلى أن يأتى النسل الذى قد وعد له مرتباً **بملائكة** فى يد وسيط » . وإذا وقفنا عند سفح جبل سيناء لتجلت أمامنا الحقيقة بأكثر وضوح . فماذا نسمع هناك؟ وماذا نرى ؟ — الرعود والبروق والسحاب الثقيل على الجبل ، الجبل كله يدخن بالنار وقد صعد دخانه كدخان الأتون وارتجف جداً ، وهوذا صوت بوق شديد يزداد اشتداداً (خر ١٩ : ١٦ — ١٩ انظر عب ١٢ : ١٨ — ٢١) . فما هذه الظاهرات الرهيبة المرجفة ؟ يجيبنا موسى عنها بالقول « جاء الرب من سيناء ، وأشرق لهم من سعير ، وتلألأ من جبل فاران وأتى من ربوات القدس وعن يمينه نار شريعة لهم » (تث ٣٣ : ٢ — ٥) وهل ينزل الرب على سيناء بدون مركباته ؟ «ومركبات الله ربوات ، ألوف مكررة الرب فيها ، سينا فى القدس » (مز ٦٨ : ١٧) . وهل

تخرج منه نار شريعة ولا يكون خدامه بين يديه ؟ وقد رآه دانيال وإذا « نهر نار جرى وخرج من قدامه ، ألوف ألوف تخدمه وربوات ربوات وقوف قدامه » (دا ٧ : ١٠). ويوم مجيء الرب « الرب نفسه بصوت رئيس ملائكة وبوق الله سوف ينزل من السماء » (١ تس ٤ : ١٦) . فالملائكة إذاً ، وهم « ربوات القدس » قد حضروا في صحبة الرب القدوس عند إعطاء الناموس على جبل سيناء وكانوا شهوداً ، بل كانوا آلات الظاهرات الرائعة ، بل كانوا بوق الله في إعلان ناموسه ، وصوته المجيب به .

على هذا الأساس بنى اليهود اعتقادهم بأن الناموس تكلم به ملائكة ، فكان موضوع فخرهم واعجابهم . وعلى هذا الأساس يتكلم الرسول بانياً موضوع كلامه في فضل العهد الجديد كما سترى .

٣ — الكلمة التي . . . « قد صارت ثابتة » : أي أنها صارت عهداً ثابتاً بين الله والآباء . كما يتبين في (خر ٢٤ : ٣ — ٨) حيث نرى أن موسى بعد أن كتب جميع أقوال الرب وجميع أحكامه ، التي تلقاها منه تعالى ، بكر في الصباح وبنى مذبحاً في أسفل الجبل واثنى عشر عموداً لأسباط إسرائيل الاثنى عشر . وأرسل فتيانهم فأصعدوا محرقات وذبحوا ذبائح سلامة للرب . ثم أخذ نصف الدم ووضعه في الطسوس . ونصف الدم رشه على المذبح . وأخذ كتاب العهد وقرأ في مسامع الشعب فقالوا « كل ما تكلم به الرب نفعل ونسمع له » ثم أخذ الدم ورش على الشعب وقال « هوذا دم العهد الذى قطعه الرب معكم على جميع هذه الأقوال » . بهذه العملية صارت الكلمة ثابتة لأنها « كلمة العهد » « وكتاب العهد » و « لوحى العهد » في « تابوت العهد » (قابل تث ٥ : ٢ و ٩ : ٩ — ١١ و ٢٩ : ١ ، خر ٤٠ : ٢٠ مع يش ٣ : ٦) .

(٤) الكلمة التي من جهتها « كل تعد ومعصية نال مجازاة عادلة » : رأينا أن كلمة الناموس « قد صارت ثابتة » لأن عليها قطع العهد مثبتاً بالدم بين الله وشعبه . ولذلك لابد من إجراء العدل العقابي على كل « تعد ومعصية » . وإذا رجعنا إلى كلمات الشعب في العهد المشار إليه وهى « كل ما تكلم به الرب نفعل ونسمع له » لوجدنا الكلمتين « نفعل » « ونسمع » يقابلان الكلمتين « تعد ومعصية » فالتعدى فعل الخطية ، لأن « كل

من يفعل الخطية يفعل التعدى أيضاً . والخطية هى التعدى » (١ يو ٣ : ٤) فهو عمل ايجابى ضد العهد الذى قطعه الشعب مع الرب فى قولهم « كل ما تكلم به الرب نفعل » .. أما المعصية فهى عمل سلبى ضد العهد الذى قطعوه معه بقولهم « كل ما تكلم به الرب . . .. نسمع له » . التعدى هو كسر وصية الله والمعصية عدم الطاعة له تعالى . تعدى آدم إذ أكل من الثمرة المنهى عنها وفى ذات الوقت ارتكب معصية فى عدم الطاعة لله .. فكل خطية لها هاتان الناحيتان : التعدى والمعصية لأنها كسر للوصية ، وعدم طاعة لله ، وفى كلتا الحالتين هى نقض للعهد االذى قطعه الرب مع شعبه على أقوال الناموس لذلك « كل تعد ومعصية نال مجازاة عادلة » .

يلاحظ أن الرسول يتكلم لا عن مجازاة المتعدى العاصى ، بل عن مجازاة التعدى والمعصية فيكون المقصود ليس وقوع العقاب الفعلى بل استحقاق العقاب على « كل تعد ومعصية » وهذا هو المقصود من كلمة « نال » باعتبار أن هذا ما تفرضه الشريعة وتحكم به من المجازاة ولو نجا المتعدى أحياناً لاعتبارات أخرى ، كما نجا داود الملك من العقاب المستحق على القاتل مع أنه قتل أوريا والقاتل يقتل . وهذا هو المعنى المتضمن فى المجازاة العادلة أى العقاب المستحق لكل تعد ومعصية كما وضعه اللهالعادل فى شريعته العادلة . .

عد ٣ و ٤ : « فكيف ننجو نحن إن أهملنا خلاصاً هذا مقداره قد ابتدأ الرب بالتكلم به . ثم تثبت لنا من الذين سمعوا شاهداً الله بآيات وعجائب وقوات متنوعة ومواهب الروح القدس حسب إرادته » .

فى هاتين الآيتين نرى العهد الجديد : —

١ — « خلاصاً هذا مقداره » (عد ٣) لقب العهد القديم بالكلمة . أما العهد الجديد فلقب بالخلاص . وهو لقب الإنجيل بمقابلة لقب الناموس . فإن كلمة الناموس هى «أن الإنسان الذى يفعلهامسيحياً بها» (رو ١٠ : ٥) «لأنه مكتوب ملعون كل من لايثبت فى جميع ما هو مكتوب فى كتاب الناموس ليعمل به » (غل ٣ : ١٠) . أما الإنجيل فهو « إن اعترفت بفمك بالرب يسوع وآمنت بقلبك أن الله أقامه من الأموات خلصت

(رو ١٠ : ٩) لأن « المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا » (غل ٣ : ١٣) . فهو ليس مجرد كلمة وهو ليس مجرد وعد بل هو عملية الخلاص بعينها التي أجراها المسيح بموته ، بل هو ذات الخلاص الذى أعده للمدعوين حتى إنه يمكن أن يقال لهم « تعالوا لأن كل شيء قد أعد » (لو ١٤ : ١٧) .

على أنه لا يجب أن ننسى أن العهد الجديد لقب أيضاً بالكلمة كما قال الرسول لليهود « إليكم أرسلت كلمة هذا الخلاص » (أع ١٣ : ٢٦) . وكما قال لقسوس كنيسة أفسس « أستودعكم يا إخوتى لله ولكلمة نعمته القادرة أن تبنيكم وتعطيكم ميراثاً مع جميع المقدسين » (أع ٢٠ : ٣٢) . وكما قال يعقوب « اقبلوا بوداعة الكلمة المغروسة القادرة أن تخلص نفوسكم » (يع ١ : ٢١) فتكون تسميته « خلاصاً » من باب وضع النتيجة موضع السبب باعتبار أنه « قوة الله للخلاص لأن فيه معلن بر الله بإيمان لإيمان » (رو ١ : ١٦ و ١٧) . وبه « ظهرت نعمة الله المخلصة لجميع الناس » (تى ٢ : ١١) .

وفى ذات الوقت لا ننسى أن كتب العهد القديم أيضاً قادرة أن تحكم للخلاص بالإيمان الذى فى المسيح يسوع » (٢ تى ٣ : ١٥) . فإننا فى طقوس ذلك العهد . فى ذبائحه وكهنوته ، فى رموزه ونبواته ، فى فرائضه وإعلاناته نرى الإيمان الذى فى المسيح يسوع الذى به خلص الآباء (عب ١١ : ١٣ — ١٦ و ٩ : ١٣ — ١٥) بل نرى « الخلاص الذى فتش وبحث عنه أنبياء الذين تنبأوا عن النعمة . . . باحثين أى وقت أو ما الوقت الذى كان يدل عليه روح المسيح الذى فيهم إذ سبق فشهد بالآلام التى للمسيح والأمجاد التى بعدها » (١ بط ١ : ١٠ ، ١١) .

إذاً فلننظر إلى العهد القديم هنا باعتبار أنه عهد الناموس الذى قطعه الرب مع شعبه عند جبل سيناء ولم يلبث حتى نقضه الشعب قبل نزول موسى بالناموس مكتوباً من فوق الجبل (خر ٣٢ : ٧ ، ٨) . ولنفهم بالعهد الجديد عهد الخلاص الذى تم على الصليب فوق الجلجثة ، عهد الآب مع ابنه كرأس لشعبه ، وقد أعطى الوعد به قبل الناموس فهو عهد لا ينسخه ناموس ولا تبطله خطية ولا ينقضه إنسان . « إذاً قد كان الناموس مؤدبنا إلى المسيح » (اقرأ غل ٣ : ١٥ — ٢٩) .

أما مقدار هذا الخلاص فلم يمكن أن يعبر عنه إلا بالقول « هذا مقداره » ، كما أنه لم يمكن أن يعبر عن محبة الله العاملة فيه إلا بالقول « هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد » (يو ٣ : ١٦) ، وبالقول « انظروا أية محبة أعطانا الآب حتى ندعى أولاد الله » (١ يو ٣ : ١) .

مع ذلك يمكن أن يقاس مقدار هذا الخلاص بنفس لفظه ، وكذا بالنسبة إلى الناموس . فني لفظه هو خلاص ، من ، وبِ ، ولِ : ــ خلاص من عذاب أبدى مهيأ للذين يقال لهم « اذهبوا عني يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته » (مت ٢٥ : ٤١ ، ٤٦) . خلاص «لا بأشياء تفنى بفضة أو ذهب بل بدم كريم كما من حمل بلا عيب ولا دنس دم المسيح معروفاً سابقاً قبل تأسيس العالم » (١ بط ١٨ ــ ٢٠) ، خلاص « لميراث لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل » (١ بط١ : ٤) ، كما هو مكتوب « ما لم تر عين ، ولم تسمع أذن ، ولم يخطر على بال إنسان ، ما أعده الله للذين يحبونه » (١ كو٢ : ٩) « فشكراً لله على عطيته التى لا يعبر عنها » (٢ كو ٩ : ١٥) .

أما بنسبته إلى الناموس فيقاس بكونه .

٢ ــ « قد ابتدأ الرب بالتكلم به » وهنا يلفت الرسول النظر إلى علاقة الرب بالعهد الجديد بمقابلة علاقة الملائكة بالعهد القديم . وفى هذه المقابلة نرى أن الربِ الذى تكلم من جبل سيناء بواسطة الملائكة الذين كانوا أبواق اعلانه ، الرب « الذى صوته زعزع الأرض حينئذ » (عب ١٢ : ٢٦) هو هو نفسه الرب الذى ابتدأ بالتكلم بالخلاص لا بواسطة ملائكة بل بنفسه فهو الكلمة الذى صار جسداً وحل بيننا (يو ١ : ١٤) . وكان « يكرز ببشارة ملكوت الله وهو يقول قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله فتوبوا وآمنوا بالإنجيل » (مر ١ : ١٤ ، ١٥) « وكان يسير فى مدينة وقرية يكرز ويبشر » (لو ٨ : ١) « وكان الجميع يشهدون له ويتعجبون من كلمات النعمة الخارجة من فمه » (لو ٤ : ٢٢) .

٣ — « **تثبت لنا من الذين سمعوا** » ليس « **الذين سمعوا** » على الاطلاق سواء أكانوا من الذين آمنوا أم من الذين استهزأوا ، بل هم جماعة الرسل الذين اختارهم ، الذين أراهم أيضاً نفسه حياً ببراهين كثيرة بعد ما تألم وهو يظهر لهم أربعين يوماً ويتكلم عن الأمور المختصة بملكوت الله . . . وأوصاهم أن لا يبرحوا من أورشليم بل ينتظروا موعد الآب لينالوا قوة ويكونوا له شهوداً فى أورشليم وفى كل اليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض (أع ١ : ٢ — ٧). هؤلاء الرسل لازموه فى مدة خدمته وسمعوا تعاليمه وكرازته وأرسلهم للمناداة باسمه ليكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها . فخرجوا وكرزوا فى كل مكان (مر ١٦ : ١٤ — ٢٠) وهذا معنى قول الرسول « **تثبت لنا من الذين سمعوا** » أى وصل إلى آذان الذين لم يسمعوا المسيح مباشرة ، من أولئك الذين سمعوه كشهود ينطقون بما رأوا وسمعوا كما قال يوحنا ، وهو واحد منهم « الذى كان من البدء ، الذى سمعناه ، الذى رأيناه بعيوننا ، الذى شاهدناه ، ولمسته أيدينا من جهة كلمة الحياة . فإن الحياة أظهرت وقد رأينا ونشهد ونخبركم بالحياة الأبدية التى كانت عند الآب وأظهرت لنا . الذى رأيناه وسمعناه نخبركم به » (١ يو ١ : ١ — ٣) .

اتخذ البعض من كلمة « **لنا** » فى القول « **تثبت لنا** » دليلا على أن كاتب هـذه الرسالة ليس هو بولس الرسول لأنه جعل نفسه أحد الذين تثبت لهم الخلاص من الذين سمعوا ولو كان الكاتب بولس لوضع نفسه بالأحرى بين « **الذين سمعوا** » كرسول رأى الرب وقبل منه إعلان الإنجيل للتبشير به كما أعلن ذلك هو نفسه (١ كو ١٥ وغل ١) على أن هذا الدليل ليست له قوة ما من هذا القبيل لأن بولس وإن كان قد رأى الرب وقبل منه إعلان الإنجيل إلا أنه لم يكن من الرسل الذين جلسوا عند قدمى المسيح وسمعوا أقواله وشاهدوا كثيراً من الحوادث المعينة أثناء خدمته على الأرض . ولا بد أنه عرف كثيراً منها عن طريق الأخبار من الذين سمعوه . وهذا هو الفكر الواضح فى قول بطرس فى العلية فى موضوع اختيار رسول بدلا من يهوذا الأسخريوطى حيث قال « فينبغى أن الرجال الذين اجتمعوا معنا كل الزمان الذى فيه دخل إلينا الرب يسوع وخرج منذ معمودية يوحنا إلى اليوم الذى ارتفع فيه عنا يصير واحداً منهم شاهداً معنا بقيامته » (أع ١ : ٢١ ، ٢٢) .

على أن تثبيت الخلاص لم يتم بمجرد شهادة الرسل بل بشهادة أعظم ، أثبتت شهادة الرسل وبها بالأحرى تثبت الخلاص ، وهذا نراه جلياً فى قوله فى عدد ٤ « شاهداً الله معهم بآيات وعجائب وقوات متنوعة ومواهب الروح القدس حسب إرادته » . حيث نرى « الله » تعالى من سماء قدسه « شاهداً » مع الرسل مؤيداً ارساليتهم منه تعالى ومبرهناً أنه « معهم » يشهد لحق الإنجيل مثبتاً شهادتهم له محققاً للعالم صدق أقوالهم وتعاليمهم .

أما الكيفية التى بها يؤدى الله هذه الشهادة فتقوم بكونه أيدهم بقوة من عنده فأجرى على يدهم « **آيات وعجائب وقوات متنوعة** » وأمدهم « **بمواهب الروح القدس حسب إرادته** » . وهذه كلها فى دائرة الأعمال الخارقة للطبيعة وتعتبر بينات جلية على كون الله معهم .

هى « **آيات** » باعتبار أنها علامات يعلن بها الله شهادته بينة لإرادته .

وهى « **عجائب** » باعتبار ما تحدثه فى عقول الناس من الدهش والعجب .

وهى « **قوات** » باعتبار القوة التى عنها تصدر سواء أكانت فى الإنسان الذى تجرى على يده ، أو من الله الذى يجريها بواسطته .

وفى زمان تأسيس الكنيسة وبدء التكلم بانجيل الخلاص والكرازة به كانت هذه برهان إرسالية المخلص نفسه كما اعترف نيقوديموس فى قوله « يا معلم نعلم أنك أتيت من الله معلماً لأن ليس أحد يقدر أن يعمل هذه الآيات التى أنت تعمل إن لم يكن الله معه » (يو ٣ : ٢) . أو كما قال عنه بطرس لليهود فى يوم الخمسين « يسوع الناصرى رجل قد تبرهن لكم من قبل الله بقوات وعجائب وآيات صنعها الله بيده فى وسطكم كما أنتم أيضاً تعلمون » (أع ٢ : ٢٢) وفى (٢ كو١٢ : ١٢) اعتبرها الرسول علامات رسوليته إذ قال لمنكريها « إن علامات الرسول صنعت بينكم فى كل صبر بآيات وعجائب وقوات » . وفى (٢ تس ٢ : ٨ و٩) يستعلن بها إنسان الخطية ليثبت إدعاءه الكاذب فهو « الأثيم . . . الذى مجيئه بعمل الشيطان بكل قوة وبآيات وعجائب كاذبة » .

أما « **مواهب الروح القــدس** » فقد بينها الرسول أيضاً (١ كو ١٢ : ٤ — ١١) فى القول كلام حكمة ، كلام علم ، إيمان ، مواهب شفاء ، عمل قوات ، نبوة ، تمييز الأرواح ، أنواع ألسنة ، ترجمة ألسنة ، وقال عنها « هذه كلها يعملها الروح الواحد بعينه قاسما لكل واحد بمفرده كما يشاء » وهذا هو معنى القول « **حسب إرادته** » . وهنا يحسن أن نذكر أنه عندما سلم المسيح مأمورية الإنجيل لتلاميذه قال لهم : « وهذه الآيات تتبع المؤمنين . يخرجون الشياطين باسمى ، ويتكلمون بألسنة جديدة . يحملون حيات ، وان شربوا شيئاً مميتاً لا يضرهم ، ويضعون أيديهم على المرضى فيبرأون » وقد تم ذلك فعلا إذ « خرجوا وكرزوا فى كل مكان والرب يعمل معهم ويثبت الكلام بالآيات التابعة » (مر ١٦ : ١٧ — ٢٠) .

٤ — « **فكيف ننجو نحن إن أهملنا خلاصاً هـــذا مقداره** » عدد ٣ . هذه هى النتيجة العملية من كل هذا الفصل المتضمن فى هذه الأربعة الأعداد وفيها تكلم الرسول عن الإهمال فقال « **إن أهملنا** » . فلم يذكر التعدى ، ولم يعبر بالمعصية . لأن الخلاص ليس أمراً من الأوامر ، ولا نهياً من النواهى ، يمكن التعدى عليه أو عدم الطاعة له . فهو بالحرى نعمة نقدرها أو نهملها . وعلى تقديرنا إياها أو اهمالنا لها تتوقف النتيجة الأبدية .

أما الإهمال فى ذاته فهو خطية سلبية وهو شر من الخطية الفعلية الإيجابية لأنه يؤدى إلى شر النتائج الحاتمة ، ويصل إلى نهاية الخراب وأقصاه فليس من الضرورى أن نكون قتلة أو زناة أو سارقين أو رجسين أو سحرة أو عبدة أوثان أو كذبة ليكون نصيبنا فى البحيرة المتقدة بنار وكبريت الذى هو الموت الثانى (رؤ ٢١ : ٨) . فقد نكون كل ذلك وأكثر منه ولكننا ، إذا لم نهمل الخلاص ، نغتسل ونتقدس ونتبرر باسم الرب يسوع وبروح إلهنا (١ كو ٦ : ٩ — ١١) . وقد لا يكون فينا شيء من ذلك البتة ولكننا نهمل الخلاص فنهلك ولا ننجو فالإهمال كاف جداً لهلاك الإنسان .

الذين هلكوا بالطوفان فى أيام نوح ، وبالنار فى أيام لوط ، لم يذكر المسيح لهم خطية فعلية من هذا النوع أو غيره بل وصفهم بالقول « كانوا يأكلون ويشربون ويزوجون ويتزوجون ويشترون ويبيعون ويغرسون ويبنون » (لو ١٧ : ٢٦ — ٣٠)،

وليس شيء من هذه خطية إلا باعتبار كونه من هموم العالم التي يلهو بها الناس عن أمر خلاص أنفسهم فيهملونه فيهلكون . فأولئك لم يتنبهوا إلى البر الذي كرز به نوح لهم ، وأهملوا الخلاص الذي أعده الله عن يده بواسطة الفلك الذي فيه خلص ثماني أنفس بالماء (٢ بط ٢ : ٥ و ١ بط ٣ : ٢٠) فأهلكهم الطوفان . وكذا الذين لم يبالوا بتحذيرات لوط البار ليهربوا من مدينة الهلاك أحرقتهم النار (تك ١٩ : ١٢ — ١٤ و ٢٤ و ٢٥) . وكم من الويلات التي يجرها مجرد الإهمال على الأفراد والجماعات .

« فكيف ننجو نحن » ؟ وأين لنا الخلاص إن أهملنا ؟ فلا يبقى أمامنا غير الباب الواسع والطريق الرحب الذي يؤدي إلى الهلاك (مت ٧ : ١٣) . « لذلك يجب أن نتنبه أكثر إلى ما سمعنا لئلا نفوته » « انظروا أن لا تستعفوا من المتكلم . لأنه إن كان أولئك لم ينجوا إذ استعفوا من المتكلم على الأرض ، فبالأولى جداً لا ننجو نحن المرتدين عن الذي من السماء » (عب ٢ : ١ و ١٢ : ٢٥) « فلنصح لابسين درع الإيمان والمحبة وخوذة هي رجاء الخلاص . لأن الله لم يجعلنا للغضب بل لاقتناء الخلاص بربنا يسوع المسيح » (١ تس ٥ : ٨ و ٩) « لذلك نحترص . ... أن نكون مرضيين عنده . لأنه لا بد أننا جميعاً نظهر أمام كرسي المسيح لينال كل واحد ما كان بالجسد بحسب ما صنع خيراً كان أم شراً » (٢ كو ٥ : ٩ و ١٠) .

الفصل الثالث

رفع الإنسان ، فى الابن ، فوق الملائكة (ص ٢ : ٥ — ١٨)

٥ فَإِنَّهُ لِمَلاَئِكَةٍ لَمْ يُخْضِعِ ٱلْعَالَمَ ٱلْعَتِيدَ ٱلَّذِي نَتَكَلَّمُ عَنْهُ .
٦ لٰكِنْ شَهِدَ وَاحِدٌ فِي مَوْضِعٍ قَائِلاً مَا هُوَ ٱلإِنْسَانُ حَتَّى تَذْكُرَهُ
أَوِ ٱبْنُ ٱلإِنْسَانِ حَتَّى تَفْتَقِدَهُ . ٧ وَضَعْتَهُ قَلِيلاً عَنِ ٱلْمَلاَئِكَةِ .
بِمَجْدٍ وَكَرَامَةٍ كَلَّلْتَهُ وَأَقَمْتَهُ عَلَى أَعْمَالِ يَدَيْكَ . ٨ أَخْضَعْتَ
كُلَّ شَيْءٍ تَحْتَ قَدَمَيْهِ . لأَنَّهُ إِذْ أَخْضَعَ ٱلْكُلَّ لَهُ لَمْ يَتْرُكْ شَيْئًا
غَيْرَ خَاضِعٍ لَهُ . عَلَى أَنَّنَا ٱلآنَ لَسْنَا نَرَى ٱلْكُلَّ بَعْدُ مُخْضَعاً لَهُ .
٩ وَلٰكِنَّ ٱلَّذِي وُضِعَ قَلِيلاً عَنِ ٱلْمَلاَئِكَةِ يَسُوعَ نَرَاهُ مُكَلَّلاً بِٱلْمَجْدِ
وَٱلْكَرَامَةِ مِنْ أَجْلِ أَلَمِ ٱلْمَوْتِ لِكَيْ يَذُوقَ بِنِعْمَةِ ٱللهِ ٱلْمَوْتَ
لأَجْلِ كُلِّ وَاحِدٍ . ١٠ لأَنَّهُ لاَقَ بِذَاكَ ٱلَّذِي مِنْ أَجْلِهِ ٱلْكُلُّ وَبِهِ
ٱلْكُلُّ وَهُوَ آتٍ بِأَبْنَاءٍ كَثِيرِينَ إِلَى ٱلْمَجْدِ أَنْ يُكَمِّلَ رَئِيسَ
خَلاَصِهِمْ بِٱلآلاَمِ . ١١ لأَنَّ ٱلْمُقَدِّسَ وَٱلْمُقَدَّسِينَ جَمِيعَهُمْ مِنْ
وَاحِدٍ فَلِهٰذَا ٱلسَّبَبِ لاَ يَسْتَحِي أَنْ يَدْعُوَهُمْ إِخْوَةً ١٢ قَائِلاً أُخَبِّرُ
بِٱسْمِكَ إِخْوَتِي وَفِي وَسَطِ ٱلْكَنِيسَةِ أُسَبِّحُكَ . ١٣ وَأَيْضًا أَنَا أَكُونُ
مُتَوَكِّلاً عَلَيْهِ . وَأَيْضًا هَا أَنَا وَٱلأَوْلاَدُ ٱلَّذِينَ أَعْطَانِيهِمُ ٱللهُ .
١٤ فَإِذْ قَدْ تَشَارَكَ ٱلأَوْلاَدُ فِي ٱللَّحْمِ وَٱلدَّمِ ٱشْتَرَكَ هُوَ أَيْضًا

كَذٰلِكَ فِيهِمَا لِكَيْ يُبِيدَ بِٱلْمَوْتِ ذَاكَ ٱلَّذِي لَهُ سُلْطَانُ ٱلْمَوْتِ
أَيْ إِبْلِيسَ وَيُعْتِقَ أُولٰئِكَ ٱلَّذِينَ خَوْفًا مِنَ ٱلْمَوْتِ كَانُوا جَمِيعًا
كُلَّ حَيَاتِهِمْ تَحْتَ ٱلْعُبُودِيَّةِ . ١٦ لِأَنَّهُ حَقًّا لَيْسَ يُمْسِكُ ٱلْمَلَائِكَةَ
بَلْ يُمْسِكُ نَسْلَ إِبْرٰهِيمَ ١٧ مِنْ ثَمَّ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يُشْبِهَ إِخْوَتَهُ
فِي كُلِّ شَيْءٍ لِكَيْ يَكُونَ رَحِيماً وَرَئِيسَ كَهَنَةٍ أَمِيناً فِي مَا لِلّٰهِ
حَتَّى يُكَفِّرَ خَطَايَا الشَّعْبِ ١٨ لِأَنَّهُ فِي مَا هُوَ قَدْ تَأَلَّمَ مُجَرَّباً
يَقْدِرُ أَنْ يُعِينَ ٱلْمُجَرَّبِينَ .

يبدأ الرسول هذا الفصل الثالث بفاء رابطة فى قوله « فإنه » فيربط بهذا بينه وبين الفصل الثانى الذى سبقه وباعتبار كون الفصل الثانى ، كما سبقنا فبينا ، فصلا عملياً معترضاً بين الفصلين الأول والثالث رابطاً لهما ، يكون الفصلان مرتبطين معاً بهذا الرابط الذى جعله الرسول حلقة اتصال بينهما وقنطرة عبور ننتقل بها من الأول إلى الثالث . على أننا إذا أمعنا النظر ودققنا البحث نجد أيضاً أن الاتصال بين الفصلين مباشر متين حتى إنه إذا رفعت القنطرة المتوسطة لا تفقد الرابطة ولا تضيع العلاقة فيكون الفصل الثالث فى حقيقة الأمر هو الفصل الثانى بالنسبة لموضوع الكلام فى المسيح والملائكة .

كأننا بالرسول ، وقد أظهر مجد المسيح الفائق وسمو عظمته على الملائكة ، باعتبار كونه ابن الله الأزلى ، بشهادة العهد القديم ومن نصوصه الواضحة ، اعترضه أمران :

أولهما : كون المسيح إنساناً . وهو من هذا القبيل ، وبشهادة العهد القديم نفسه ، ينقص عن الملائكة ، كما نص فى (مز ٨ : ٤ و ٥) .

وثانيهما : كونه قد خضع لسلطان الموت ولو إلى حين الأمر الذى قيل فيه عن الملائكة ، بطريق التمثيل ، إنهم لا يستطيعون أن يموتوا (لو ٢٠ : ٣٦) . وهذان هما الأمران اللذان قصد الرسول إلى معالجتهما فى هذا الفصل . وهنا يجدر بالذكر أن الرسول

ربط هذين الأمرين معاً فى عد ٩ حيث أرانا الإنسان « يسوع مكللا بالمجد والكرامة » ، وفى ذات الوقت أرانا إياه أيضاً وهو « يذوق بنعمة الله الموت لأجل كل واحد » بانياً مجده على آلامه . وفى عد ٩ وما قبله أى عد ٥ — ٩ عالج الأمر الأول . وفى عد ٩ وما بعده أى عد ٩ — ١٨ عالج الأمر الثانى . وفى علاجه الأمرين معاً أظهر المسيح كانسان فوق الملائكة وفيه أرانا الإنسان مرفعاً فوقهم . وهذا ما سنتبينه فى شرح هذه الآيات :

أولا : مقام الإنسان بالنسبة للملائكة :

عد ٥ — ٩ . وهل هو فى درجة أدنى أو أسمى منهم ؟ وهل صيرورة المسيح إنساناً تضعه دونهم ؟ لبحث هذا الموضوع رجع الرسول كعادته إلى الاستدلال من العهد القديم ، من سفر المزامير ، فأوقفنا أمام المزمور الثامن ، حيث ذكر مقام الإنسان بالنسبة للملائكة ، مستشهداً ومعلقاً كما تعود أن يفعل فنراه فى تعليقه :

١ — ينفى عن الملائكة ما أثبت للانسان .

عد ٥ « **فإنه لملائكة لم يخضع العالم العتيد الذى نتكلم عنه** » . وهنا يصف الرسول العالم بكونه « **العالم العتيد** » ويعينه بالقول « **الذى نتكلم عنه** » **فالعالم العتيد** إذاً هو موضوع الكلام فى هذه الرسالة .

وحيث سبقنا فعرفنا أن « الأيام الأخيرة » (ص ١ : ٢) هى زمان انقضاء نظام الكنيسة اليهودية فى رتبة العهد القديم. زمان انقضاء الدهور الذى عنده ظهر المسيح ليبطل الخطية بذبيحة نفسه (انظر تفسير ص ٩ : ٢٦) . إذاً يكون « **العالم العتيد** » هو زمان نظام الكنيسة فى العهد الجديد ، ملكوت السماوات الذى هو حال العالم عند انتشاره معرفة المسيح وحكمه على الأرض ، هو الدور من أدوار العالم الذى يسميه علماء اليهود « **ها عولام هبّا** » « الدهر الآتى » (انظر تفسير ص ٦ : ٥) فهو إذاً العالم المفدى بكل مشتملاته الخلاصية وبكل ما فيه من قوات ومواهب الروح القدس ونعمة الخلاص العجيب ورجاء المجد الأبدى .

هذا « **العالم العتيد** » يقول فيه الرسول « **إنه لملائكة لم يخضع** » وبحسب طريقته هنا فى

الاستدلال يكون معنى هذا القول أنه لم يرد فى الكتاب المقدس ما يدل على أن الله أخضع هذا العالم العتيد « لملائكة » . إذاً يقصد الرسول :

٢ — أن يثبت للانسان ما نفاه عن الملائكة . وهذا هو موضوع الكلام فى عد ٦ — ٩ حيث نراه يورد شهادة كتابية لتحقيق قصده ثم يعلق عليها بتعليقه الخاص .

أما ذكر الشهادة فقد جاء فى القول : « لكن شهد واحد فى موضع قائلا : ما هو الإنسان حتى تذكره أو ابن الانسان حتى تفتقده . وضعته قليلا عن الملائكة . بمجد وكرامة كللته وأقمته على أعمال يديك . أخضعت كل شيء تحت قدميه » (عد ٦ — ٨) . أما التعليق فتضمن فى القول : « لأنه إذ أخضع الكل له لم يترك شيئاً غير خاضع له . على أننا لسنا نرى الكل بعد مخضعاً له . ولكن الذى وضع قليلا عن الملائكة يسوع نراه مكللا بالمجد والكرامة » (عد ٨ و ٩) .

عد ٦ — ٨ الشهادة : وفيها أشار الرسول إلى الشخص الذى شهد بها ، وإلى الموضع الذى وردت فيه ، وإلى نصها .

عد ٦ : (١) الشخص الذى شهد : أشار إليه بالقول « شهد واحد » . وعنوان المزمور الثامن فى العبرية ، كما فى السبعينية ، كما فى العربية ، يعين جلياً هذا « الواحد » المشار إليه وهو داود بن يسى ، الرجل القائم فى العلاء ، مسيح إله يعقوب ، ومرنم إسرائيل الحلو ، النبى الذى تكلم به روح الرب وكلمته على لسانه . (انظر ٢ صم ٢٣ : ١ و ٢) . أما عدم ذكر اسمه صريحاً هنا فمن باب شهرة المزمور ومؤلفه عند الذين كتبت إليهم الرسالة .

٢ — الموضع الذى وردت فيه هو المزمور الثامن كما سبقت الإشارة . ولم يذكر صريحاً أيضاً لذات السبب الذى ذكرناه أى من باب شهرته بين اليهود . وهنا كأننا نسمع سائلا يقول : ولكن أية علاقة بين المزمور الثامن وبين العالم العتيد ، الذى هو موضوع هذه الرسالة الذى وصف بالعالم المفدى وكل مشتملاته من قوات ومواهب روحية ، ونعم خلاصية ، وأمجاد أبدية ؟ وهذا يؤدى بنا إلى بحث هذا المزمور الثامن لنفهم الحقيقة المعلنة لنا فيه .

فى المزمور نرى المرنم وقد أطلق لنفسه عنان التأمل وهام فى عالم الطبيعة فافتتن قلبه بجمالها وأخذ عقله بحكمة كمالها فتغنى بمجد المبدع الحكيم مفتتحاً ومختتماً أغنيته بالقول : « أيها الرب سيدنا ما أمجد اسمك فى كل الأرض » ! وأمام مجد الخليقة وجلال الخالق لم يسعه إلا أن يرى الإنسان ، وكأنه لا شيء ، فيقول « فمن هو الإنسان حتى تذكره وابن آدم حتى تفتقده » وإذا بمجد الخالق البديع يتجلى أمامه فى تنازله الفائق الظاهر فى ذكره لهذا الإنسان وافتقاده إياه إذ جعله موضوع حبه واكرامه ؟ وإذا بمقام الإنسان الذى رفعه إليه الله ، رغم حقارته ، يسمو فى عينيه فيراه سلطان العالم كله حيث سلطه الله على أعمال يديه وجعل كل شيء تحت قدميه فالصورة التى يرسمها المرنم هنا هى صورة العالم المخضَع عند قدمى الإنسان المسلط .

فأى عالم يقصد ؟ القصد الواضح فى المزمور متعلق بالسموات وكل جندها ، والأرض وكل ما عليها ، والبحر وكل ما فيه ؛ وهى صورة رمزية نبوية متضمنة فى هذه « الكلمة النبوية » مؤسسة على العالم الأول والخليقة الأولى المذكورين فى سفر التكوين باعتبار كونهما رمزين نبويين إلى هذا العالم العتيد وهذه الخليقة الجديدة اللذين يتكلم عنهما المرنم فى هذا المزمور بهذا الاعتبار النبوى . وهذا هو العالم المخضع تحت قدمى الإنسان .

٣ — نص الشهادة وقد اقتبسه الرسول من (مز ٨ : ٤ — ٦) وفيه نجد سؤالا تعجبياً يتعلق بالإنسان فى حد ذاته ، وبذكر الله إياه ، وبنتيجة ذلك الذكر :

(أ) فعن الإنسان فى حد ذاته يقول : « **ما هو الإنسان ؟ . . أو ابن الإنسان ؟** » وهو نص الترجمة السبعينية لمزمور ٨ : ٤ أما الترجمة العربية فى المزمور فنصها « فمن هو الإنسان ؟ وابن آدم ؟ » وهى ترجمة حرفية للأصل العبرى حيث نجد كلمتين إحداهما « أنوش » « الإنسان » . والثانية « بن آدم » « ابن آدم » .

فالكلمة الأولى « أنوش » هى العربية « إنس » وبها يتميز الإنسان عن كل ما هو روح كالملاك وما يسمونه بالجن . ويعبر بها عما فى الإنسان من محامد الإنسانية ضد التوحش . وعما فيه من أنس وألفة ضد الوحشة .

أما الكلمة الثانية «آدام» فتعبر عنه باعتبار كونه «من الأرض ترابي» (١ كو ١٥ : ٤٧) فهو «تراب والى تراب يعود» (تك ٣ : ١٩ انظر مز ٩٠ : ٣). والإشارة فى كلتا الحالتين إلى الطبيعة الإنسانية أو إلى الإنسان بوجه عام فى نسبته إلى سائر الخليقة ، فإنه رأسها و له أخضعت و ليس للملائكة .

(ب) أما ذكر الله إياه فعبر عنه بالقول : «ما هو الانسان حتى تذكره» . والذكر عبارة عن عمل مرتبط بفكر ، مقترن بقصد ، متعلق بإرادة الله سواء أكان للخير أم للشر . وقد قال فيه أيوب : «ما هو الانسان حتى تعتبره وحتى تضع عليه قلبك . وتتعهده كل صباح وكل لحظة تمتحنه» (أى ٧ : ١٧ و ١٨) . والإشارة هنا إلى ما هو للخير رأساً كما سينجلى أمامنا .

(ج) أما نتيجة هذا الذكر فتتجلى فى القول : «حتى تفتقده» وهو ذات التعبير الذى دل به زكريا الكاهن على مراحم الله والخير العظيم الذى قصده بشعبه فى قوله : «مبارك الرب إله إسرائيل لأنه افتقد وصنع فداء لشعبه . . بأحشاء رحمة إلهنا التى بها افتقدنا المشرق من العلاء» (اقرأ لو ١ : ٦٧ — ٧٩) ، حيث ترى قلب الله المملوء بالخير والنعمة نحو الإنسان فى شخص «الانسان وابن الإنسان» يسوع وتتحقق كيف افتقد الله الإنسان وتعهده للخير فأخضع له العالم العتيد .

أما الافتقاد فى ذاته فله وجهتان :

عد ٧ . ١ — «وضعته قليلا عن الملائكة» وفى المزمور «تنقصه قليلا عن الملائكة» ويظهر أن الكلمة المنبر عليها فى هذا القول هى كلمة «قليلا» ، فكأن الله تعالى فى بهاء مجده وعظمة جلاله أكرم الإنسان بهذا الاكرام لدرجة أنه وإن كان قد وضعه عن الملائكة فإنه لم يضعه إلا «قليلا» . والكلمة فى أصلها تفيد القلة بالنسبة للزمان كما أنها تفيد القلة أيضاً بالنسبة للدرجة ، أى أن وضع الإنسان عن الملائكة ليس إلا لزمن قصير . أو أن وضعه عنهم ليس إلا بدرجة قليلة . وفى كلتا الحالتين هو وضع أو نقص لا يعتدّ به . على أن القرينة تعين المعنى الثانى .

أما كلمة «ملائكة» فقد سبقنا فنوهنا أنها ترجمة لفظ «الوهيم» المترجم «آلهة»

(مز ٩٧ : ٧) . وقد ترجمته السبعينية أيضاً ملائكة وأيدها الترجوم الكلداني ، وهكذا فهمه علماء اليهود واقتبسه الرسول . أما حقيقة وضع الإنسان عن الملائكة أو نقصانه عنهم فواضحة من كونه ، ولو اتصل معهم بروحه بالعالم العلوى الروحانى ، فهو متصل بجسده بالحيوان فى الحياة الدنيا فيأكل ويشرب ويزوج ويتزوج ويموت حتى يتغير بقوة القيامة المجيدة فيصير مثل الملائكة (لو ٢٠ : ٣٥ ، ٣٦) ، هذا عدا عن كونه مهما سمت حكمته لا يكون حكيما إلا كحكمة ملاك الله (٢ صم ١٤ : ٢٠ قابل عدد ١٧ و ١٩ : ٢٧) وفى بهاء منظره يصير وجهه كأنه وجه ملاك (أع ٦ : ١٥) على قياس أن المشبه به أفضل من المشبه . كما أنه فى ضعفه يحتاج إلى خدمة الملائكة وحراستهم « لأنه يوصى ملائكته بك » (مز ٩١ : ١١ و١٢) وهم كل حين فى السموات ينظرون وجه الآب الذى فى السموات (مت١٨ : ١٠ انظر أيضاً يو ١ : ٥١ ومت ٤ : ١١ ولو ٢٢ : ٤٣) ولا تنس سلم يعقوب (تك ٢٨ : ١٢) .

٢ — الوجهة الثانية للافتقاد ظاهرة فى عددى ٧ و ٨ « بمجد وكرامة كللته وأقمته على أعمال يديك . أخضعت كل شىء تحت قدميه » وفى المزمور « بمجد وبهاء تكلله . تسلطه على أعمال يديك . جعلت كل شىء تحت قدميه . الغنم والبقر جميعاً وبهائم البر أيضاً وطيور السماء وسمك البحر السالك فى سبل المياه » .

فى هذه الآيات نرى الاكليل الذى وضعه الله فوق رأس الانسان ، فى القول « **بمجد وكرامة كللته** » . ونرى أيضاً القوة التى وشحه بها الله ليتسلط على العالم أجمع فى القول « **أقمته على أعمال يديك . أخضعت كل شىء تحت قدميه** » .

وهذا يرجع بنا إلى خلق الإنسان حيث قال الله « نعمل الانسان على صورتنا كشبهنا . فيتسلطون . . . فخلق الله الانسان على صورته . على صورة الله خلقه . ذكراً وأنثى خلقهم . وباركهم الله وقال لهم أثمروا وأكثروا واملأوا الأرض وأخضعوها وتسلطوا . . . » (تك ١ : ٢٦ — ٢٨ قابل ٩ : ١ و ٢) . وحيث نجد اكليل المجد على رأس الانسان ، وقوة السلطان فى حياته ، فى تلك الصورة الفائقة التى عليها خلق . فإن كان المرنم قد رأى للانسان كرامة فى وضعه قليلا عن الملائكة ، فكم بالحرى

يراه فى كرامة أعظم فى خلقه على صورة الله مكللا بمجد وكرامة ، وأى مجد ذلك المجد. وأية كرامة تعبر عن ذلك البهاء والجلال المتعلقين به ، نظير ذلك السلطان الذى توشح به الإنسان على صورة الله باخضاع العالم تحت قدميه كما هو واضح فى القول : « نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا فيتسلطون » ؟ لأنه وإن كان الكتاب قد أشار إلى صورة الله فى المعرفة ، وفى البر ، وقداسة الحق (كو ٣ : ١٠ واف ٤ : ٢٤) إلا أن هذه كلها تشير إلى ما يلزم للانسان من الحكمة السماوية والقداسة الإلهية لاخضاع العالم ليتسلط على صورة خالقه ويجرى سلطانه بحسب قلب الله الطاهر الحكيم ومشيئته القدوسة الكاملة .

هذه الصورة الإلهية ، هذا السلطان السماوى ، هذا المجد والبهاء ، لم يتوشح الملائكة بشىء منها . لأنه لملائكة لم يخضع الله العالم بل للانسان . فالإنسان الذى وضع من الوجهة الأولى عن الملائكة قليلا رفع من الوجهة الثانية فوق الملائكة كثيراً .

بعد أن أورد الرسول هذه الشهادة النبوية الصريحة التى شهدبها مرنم إسرائيل الحلو فى المزمور الثامن ، عن سلطان الانسان ، علق هو على هذه الشهادة بأمرين : أحدهما عمومية هذا السلطان وثانيهما نقصه .

عدد ٨ : (١)ـ عمومية هذا السلطان : « **لأنه إذ أخضع الكل له لم يترك شيئاً غير خاضع له** » . وهذه الكلية واضحة فى قول الله « فيتسلطون على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى البهائم وعلى كل الأرض وعلى جميع الدبابات التى تدب على الأرض » (تك ١ : ٢٦ و ٢٨) . وفى قول المرنم « تسلطه على أعمال يديك . جعلت كل شىء تحت قدميه » أى ليس شىء من كل أعمال الله وكل ما يتعلق بنظام المخلوقات وإدارتها واستخدامها ، وما يختص بالأرض وعناصرها ، وبالطبيعة وقواتها . ليس شىء من هذه كلها وغيرها ترك غير خاضع للانسان . إذاً فسلطانه سلطان عام غير محدود. يشمل جميع ما فى الكون .

٢ ـ نقص هذا السلطان : « **على أننا الآن لسنا نرى الكل بعد مخضعاً له** » أى أن الرسول بعد ما بين ما يتضمنه الإعلان الإلهى من عمومية سلطان الانسان واطلاقه.

الكلى عاد إلى حقيقة يبينها الواقع وتراها العين ويؤيدها الاختبار بل ويحققها الكتاب ذاته ، وهذه الحقيقة الراهنة هى أنه الآن ليس كل شىء خاضعاً للانسان ، أى أن الله لم يتمم هذا الاخضاع للانسان بعد . وكيف لا ؟ .

أليس الانسان فى ذاته عبداً كما يعلنه الكتاب ويؤيده الاختبار ؟ لأن « كل من يعمل الخطية هو عبد للخطية » (يو ٨ : ٣٤) « ولأن ما انغلب منه أحد فهو له مستعبد أيضاً » (٢ بط ٢ : ١٩) . ألم يصرخ الرسول مولولا قائلا : « إنى جسدى مبيع تحت الخطية . . ويحى أنا الانسان الشقى . من ينقذنى من جسد هذا الموت » (رو ٧ : ١٤ و ٢٤) ؟ فمن فقد السلطان على نفسه ، واستعبد لغيره ، وأضاع صورة قداسة خالقه ، كيف يسود العالم ؟ وبالحرى كيف يخضع له العالم العتيد ؟ وأنى لمن ليس على صورة الله ، رب السلطان المطلق ، أن يتسلط على العالم ويخضعه ؟ .

بل أليست الخليقة نفسها أخضعت للبطل وأصبحت تحت عبودية الفساد بشهادة الكتاب (رو ٨ : ٢٠ و ٢١) وتأييد الاختبار ؟ فما هذه الوحوش الكاسرة المفترسة والحيوانات المتمردة ؟ لماذا لا تعطى الأرض قوتها ، فيذل الانسان جوعاً وعطشاً ؟ بل لماذا تقذف نارها وتخرج زلزالها فتقلب البلاد وتجعل سكانها للخراب والدمار ؟ لماذا عناصر الطبيعة وقواتها فى غضب وهياج فالعواصف تقصف والبحر يزبد ويرغى والأوبئة تفتك والصواعق تنقض والسيل يجرف والبرد يقتل ؟ لماذا كل هذا ؟ أين سلطانك أيها الإنسان ؟ بل أين الوعد « فيسكن الذئب مع الخروف ويربض النمر مع الجدى والعجل والشبل والمسمن معاً وصبى صغير يسوقها . والبقرة والدبة ترعيان . تربض أولادهما معاً والأسد كالبقر يأكل تبناً . ويلعب الرضيع على سرب الصل . ويمد الفطيم يده على جحر الأفعوان . لا يسوؤن ولا يفسدون فى كل جبل قدسى » (إش ١١ : ٦ — ٩) أهى مجرد مواعيد واعلانات ؟ وهل لا ينطبق الواقع على أقوال السماء ؟

بعد أن أورد الرسول الشهادة الكتابية عن سلطان الإنسان معلقاً عليها ، وبعد أن أثبت أن الواقع لا يحققها ، وقد أوقفنا حيارى إزاء هذه الحقيقة ، عاد فأرانا :

« **الإنسان** ، **ابن الإنسان** » الذى تثبت فى شخصه حقيقة الإعلان المقدس مطابقة

لواقعة الحال ، أى أن كل ما قيل فى الإنسان وسلطانه ولم يتم فيه واقعياً ، تم فى يسوع رمز الإنسانية وعنوانها الذى قال فيه فى :

عد ٩ « ولكن الذى وضع قليلا عن الملائكة يسوع نراه مكللا بالمجد والكرامة » ؟ وهنا نراه :

١ — « وضع قليلا عن الملائكة » فإنه « إذا كان فى صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلا لله لكنه أخلى نفسه آخذاً صورة عبد صائراً فى شبه الناس وإذ وجد فى الهيئة كانسان وضع نفسه » (فى ٢ : ٦ — ٨) فهذا هو الذى « إذ كان فى صورة الله » وضع قليلا عن الملائكة بل « أخلى نفسه » بارادته وصار إنساناً وهو « الإنسان ، وابن الإنسان » حيث اشترك مع الأولاد فى اللحم والدم .

٢ — « نراه مكللا بالمجد والكرامة » إذ « رفعه الله وأعطاه اسماً فوق كل اسم . لكى تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن فى السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض . ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو رب » .

فهل نراه مكللا بالمجد والكرامة ؟ وهل نرى كل شىء مخضعاً له ؟ فمن هو هذا الذى يستطيع أن يمشى على الماء وبأمره يمشى بطرس فوق الماء (مت ١٤ : ٢٥ — ٢٩) وبسلطان يقول للمفلوج : « قم واحمل سريرك وامش » (مر ٢ : ٩ — ١٢) ؟ ويقول : « لعازر هلم خارجاً » فيرتعد الموت ويرتجف القبر ويخرج الميت (يو ١١ : ٤٣ و٤٤) ؟ بل من هو هذا الذى « بسلطان وقوة يأمر الأرواح النجسة فتخرج » (لو ٤ : ٣٦) ؟ « ويأمر الرياح أيضاً والماء فتطيعه » (لو ٨ : ٢٥) ؟ .

هو هذا « الذى هو بهاء مجد الآب ورسم جوهره وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته » الذى « حل بيننا ورأينا مجده مجداً كما لوحيد من الآب » . هو القدوس الذى بلا شر ولا دنس الذى لم يعرف خطية ولم يكن فى فمه غش . هذا هو الذى له أخضع العالم العتيد ودفع إليه كل سلطان فى السماء وعلى الأرض وله تخضع الملائكة . فهو فوق كل رياسة وسلطان . يوزع عطاياه ومواهبه ، ويأمر خدامه ورسله لأنه يجب أن يملك حتى يضع جميع الأعداء تحت قدميه .

٣ — « على أننا الآن لسنا نرى الكل بعد مخضعاً له » ليس لأن لا سلطان له ولا لأن لا قوة له على تنفيذ هذا السلطان بل لأن تدبير الفداء يستلزم الاخضاع التدريجي لكي «نعلم أن كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله الذين هم مدعوون حسب قصده » (رو٨ : ٢٨) .

إذاً شهادة المرنم صادقة ومحققة باعتبار كونها شهادة نبوية عن هذا الانسان الخاص الذي « وضع قليلا عن الملائكة » يسوع الذى نراه مكللا بالمجد والكرامة وفيه تمجدت الانسانية ورفعت فوق الملائكية .

إلى هنا فرغ الرسول من معالجة الأمر الأول ، أى الاعتراض الخاص بكون المسيح إنساناً ينقص عن الملائكة ، حيث أرانا هذا الانسان ، وفيه الانسانية جمعاء ، سلطاناً عظيماً « مكللا بالمجد والكرامة » فوق الملائكة . وفيه استرد الانسان سلطانه :

ثانياً : خضوع المسيح لسلطان الموت :

هذا هو الأمر الثانى الذى اعترض الرسول فى طريقه إذ كان يبين فضل المسيح على الملائكة حيث يظهر أن هذا الفضل لا يتفق وخضوع المسيح لسلطان الموت ، الأمر الذى لم يحدث للملائكة الذين لا يستطيعون أن يموتوا (لو٢٠ : ٣٦) .

يعالج الرسول هذا الأمر الثانى فى عد ٩ — ١٨ كما سبقت الإشارة ، فى عد ٩ نجد الارتباط الكلى الكائن بين هذين الأمرين ، أى بين المسيح كانسان ، وبينه فى خضوعه لسلطان الموت .

(١) باعتبار ما بين المجد والآلام من العلاقة المتينة . وهذا واضح فى القول : « نراه مكللا بالمجد والكرامة من أجل ألم الموت » . فالموت الذى قد يعتبر اتضاعاً فى حياة المسيح هو فى حقيقة الأمر أساس ارتفاعه وعظمته فوق الملائكة « فإذ وجد فى الهيئة كانسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب لذلك رفعه الله وأعطاه اسماً فوق كل اسم » (فى ٢ : ٨ و ٩) . وهذه هى شهادة العهد القديم بجملته التى شهد بها روح المسيح فى أنبيائه « إذ سبق فشهد بالآلام التى للمسيح والأمجاد التى بعدها » (١ بط١ : ١٠ و ١١) بل هذا ما بينه المسيح نفسه بعد قيامته للتلميذين فى طريق عمواس حيث ابتدأ من موسى ومن جميع الأنبياء يفسر لهما الأمور المختصة به فى

جميع الكتب التي تثبت أنه « كان ينبغي أن المسيح يتألم بهذا ويدخل إلى مجده » (لو ٢٤ : ٢٥—٢٧) .

(٢) باعتبار ضرورة صيرورة المسيح إنساناً لكي يموت « الذي وضع قليلا عن الملائكة . . . لكي يذوق الموت » فيمكننا أن نقرأ هذه الآية بتقديم وتأخير لاظهار معناها بجلاء على الصورة الآتية « ولكن يسوع ، الذي وضع قليلا عن الملائكة ، لكي يذوق الموت لأجل كل واحد ، بنعمة الله ، نراه مكللا بالمجد والكرامة من أجل ألم الموت » فيكون ألم الموت أساس مجد يسوع ويكون وضعه قليلا عن الملائكة — أي صيرورته إنساناً له لحم ودم — أمراً لازماً لكي يذوق الموت الذي يعقبه ذلك المجد .

وعلى هذا الاعتبار يكون موت المسيح موتاً حقيقياً لا وهمياً ، ولا خيالياً ، الأمر الذي نتحققه من استعمال هـــذا التعبير الخاص « **يذوق الموت** » فقد ورد هذا التعبير أيضاً في (مت١٦ : ٢٨) عن قوم قيل عنهم إنهم «لا يذوقون الموت حتى يروا ابن الانسان آتياً في ملكوته » (قابل مر ٩ : ١ ولو ٩ : ٢٧) . وفي قول المسيح مردداً « الحق الحق أقول لكم إن كان أحد يحفظ كلامي فلن يذوق الموت إلى الأبد » (يو ٨ : ٥١ و ٥٢) . فالموت كأس لها طعمها الذي يذاق وقد قدمت للابن من يد الآب (يو ١٨ : ١١) . وقد أدرك الابن مرارتها قبل أن يشربها فكان يصلي بأشد لجاجة ، وعرقه كقطرات دم نازلة إلى الأرض ، أن تجوز عنه هذه الكأس (لو ٢٢ : ٣٩ — ٤٤) ، ولكنه شربها وذاق علقمها إذ مات حقاً وأسلم الروح ودفن (يو ١٩ : ٣٠ — ٤٢) وبقي تحت سلطان الموت إلى حين ، كانسان .

(٣) باعتبار كون موت المسيح نيابياً « **لكي يذوق بنعمة الله الموت لأجل كل واحد** » فكان لابد أن يصير المسيح إنساناً لكي يذوق الموت لأجل الآخرين ، وهذا بنعمة الله « الذي خلصنا ودعانا دعوة مقدسة لا بمقتضى أعمالنا بل بمقتضى القصد والنعمة التي أعطيت لنا في المسيح يسوع قبل الأزمنة الأزلية » (٢ تي ١ : ٩) ، فبهذه النعمة وبمقتضى القصد في هذه النعمة ظهر المسيح إنساناً لكي يذوق الموت « لأجل كل واحد » يهودياً كان أم يونانياً ، ختاناً أم غرلة ، بربرياً أم سكيثياً » عبداً أم حراً ذكراً أم أنثى ، لأن المسيح الكل وفي الكل (غل ٣ : ٢٨ وكو ٣ : ١١) . إذاً آلام المسيح لم تكن

لأجل مجده فحسب ، بل كانت بالحرى نيابة عن الآخرين (انظر أيضاً تفسير عد ١٠ متعلقاً « بنعمة الله ») .

لماذا يتألم البار من أجل الأثمة ؟ هذا سؤال كثيراً ما يتردد فى أذهان كثيرين وعلى أفواههم ولنا فيه عدة أسباب مذكورة فى عد ١٠ — ١٨ نجمعها تحت بابين :

أولهما : باب اللياقة : عد ١٠ — ١٣ :

عد ١٠ « لأنه لاق بذاك الذى من أجله الكل وبه الكل وهو آت بأبناء كثيرين إلى المجد أن يكمل رئيس خلاصهم بالآلام » . هذه اللياقة كثيراً ما يطلبها الله من شعبه معلماً إياهم أن يصنعوا أثماراً تليق بالتوبة (مت ٣ : ٨) وأن يتجنبوا القباحة وكلام السفاهة والهزل التى لا تليق (أف ٥ : ٤) وأن يسلكوا بلياقة (رو ١٣ : ١٣ و ١ تس ٤ : ١٢) . وأن يكون كل شىء فى عبادتهم بلياقة (١ كو ١٤ : ٤٠) . حتى إن المسيح نفسه إذ جاء ليعتمد من يوحنا قال له « يليق بنا أن نكمل كل بر » (مت٣ : ١٥) .

هذه اللياقة التى كثيراً ما يطلبها الله من شعبه ، يراعيها هو ذاته فى أعماله ليفعل ما يليق به . ولها هنا وجهان :

(١) الوجه الأول متعلق بالله فى ذاته **« لأنه لاق بذاك الذى من أجله الكل وبه الكل »** . لا يذكر الرسول هنا اسم الجلالة واضحاً بل يعينه بطريق الوصف باعتبار أنه العلة الأصلية لكل الأشياء « به الكل » ، وأنه الغرض النهائى لها « من أجله الكل » . ويقدم الرسول هنا الغرض على العلة باعتبار أن جميع ما أجراه الله ويجريه إنما أساسه ، هو قصده نحو ذاته الإلهية لأنه سبق فعين لأجل مجده كل ما يحدث ، سواء أكان فى الخلق أم العناية أم الفداء . وهذا الوصف لا يعنى مجرد قوته الغير المحدودة التى بها « قال فكان » « وأمر فصار » وصنع الكل من لا شىء . ولا يعنى مجرد سلطانه المطلق ومشيئته الأزلية فى أن تؤول كل الأشياء إلى ما فيه مجد اسمه ؛ فإنه يعنى كل هذا ويتعداه أيضاً إلى معنى كونه واضع الناموس والنظام الذى تسير به جميع المخلوقات لإتمام القصد من وجودها . وهو الحاكم الديان لها بالنسبة لسيرها ونظامها . فكأن الرسول يقول إن الله ، وهو الحاكم المتسلط ، ديان الجميع ، لاق به أن يكمل رئيس الخلاص بالآلام . فيكون وجه اللياقة من هذا القبيل متعلق بالعدالة الالهية . لأنه إن كان الجميع قد أخطأوا

وأعوزهم مجد الله ووقعوا تحت طائلة العقاب للهلاك فهم إذاً مستحقون للدينونة العادلة ، لذلك لاق به لكى يكون باراً فى تبرير الخطاة (انظر رو٣ : ٢١ — ٢٦) ، أن يعد لهم رئيس خلاص يحمل عنهم العقاب المؤلم والآلام العقابية ، كما يليق به كإله عادل قدوس يعاقب المذنب ويدين المسكونة بالعدل .

٢ — الوجه الثانى للياقة متعلق بالمختارين ، متضمن فى قوله « وهو آت بأبناء كثيرين إلى المجد » حيث نستخلص :

(أ) ان هذا الإله العادل هو أيضاً إله نعمة رحيم غفور . فإنه وهو يريد أن يظهر غضبه ويبين قوته ، احتمل بأناة كثيرة آنية غضب مهيأة للهلاك ؛ وكذلك أيضاً ، لكى يبين غنى مجده على آنية رحمة ، قد سبق فأعدها للمجد (رو ٩ : ٢٢ و ٢٣) وهذه هى نعمة الله أيضاً التى سبق الكلام عنها فى الآية السالفة « نعمة الله » التى بها يذوق المسيح الموت لأجل كل واحد .

(ب) ان إله النعمة ، بمقتضى هذه النعمة ، عرف جماعة من الذين أخطأوا وأعوزهم مجد الله واختارهم منذ البدء للخلاص (٢ تس ٢ : ١٣) وسبق فعينهم للتبنى بيسوع المسيح لنفسه حسب مسرة مشيئته (أف ١ : ٥) ليكونوا مشابهين صورة ابنه ليكون هو بكراً بين اخوة كثيرين (رو ٨ : ٢٩) . فقد صالحهم الله لنفسه (كو١ : ٢٠ — ٢٢)، وافتداهم لينالوا التبنى وليصيروا ورثة الله بالمسيح (رو٨:١٥—١٧) فهم إذاً « أبناء ».

(ج) إن هؤلاء الأبناء الذين سبق فعينهم للتبنى ، هؤلاء دعاهم أيضاً ، والذين دعاهم فهؤلاء بررهم أيضاً ، والذين بررهم فهؤلاء مجدهم أيضاً (رو ٨ : ٣٠)، فتمجيدهم هو القصد النهائى عند الله . فهم إذاً أبناء آتون « إلى المجد » ليضيئوا فى ملكوت أبيهم .

(د) هؤلاء الأبناء هم «كثيرون » وهذا يفيد أنهم ليسوا هم جميع الذين أخطأوا وأعوزهم مجد الله بل هم بعض منهم « كما هو مكتوب أحببت يعقوب وأبغضت عيسو . فماذا نقول . ألعل عند الله ظلما ؟ حاشا . لأنه يقول لموسى ، إنى أرحم من أرحم، وأتراءف على من أتراءف ، أم ليس للخزاف سلطان على الطين أن يصنع من كتلة واحدة إناء للكرامة وآخر للهوان ؟ » (انظر رو٩ : ١٣ — ٢١ مع خر ٣٣ : ١٩) .

على أنهم ، وإن كانوا بعضاً ، فهم ليسوا قليلين بل هم أبناء كثيرون ، ليس من اليهود فقط بل من الأمم أيضاً (رو٩ : ٢٤) فقد رآهم يوحنا فى مجدهم وإذا هم جمع كثير لم يستطع أحد أن يعده من كل الأمم والقبائل والشعوب والألسنة واقفون أمام العرش وأمام الخروف متسربلين بثياب بيض وفى أيديهم سعف النخل » (رؤ٧ : ٩) .

(هـ) إن اتيان هؤلاء الأبناء إلى المجد ، ليس عملا يأتونه من ذواتهم ولا بقوتهم ، بل هو عمل الله فيهم ولأجلهم لأنه هو الذى أعد لهم ذلك الميراث الذى لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل محفوظاً فى السموات لأجلهم . وهو أيضاً الذى ولدهم لرجاء حى لذلك الميراث عينه بقيامة يسوع المسيح (انظر ١ بط١ : ٣ و ٤) وهو العامل فيهم ليتمموا خلاصهم بخوف ورعدة (فى ٢ : ١٢ و ١٣) ، ولهذا (هو آت بأبناء كثيرين إلى المجد » فلنفرح « شاكرين الآب الذى أهلنا — بابنه وبعمل روحه — إلى شركة ميراث القديسين فى النور » (كو١ : ١٢) .

هذا يأتى بنا إلى العمل الذى لاق بالله أن يعمله وهو آت بأبناء كثيرين إلى المجد ، وهو عمل معبر عنه بالقول : « **أن يكمل رئيس خلاصهم بالآلام** » وهنا نجد :

(١) العلاقة بين المجد وبين الخلاص حيث نرى الأبناء أبناء مجد ورئيسهم رئيس خلاص . لأن ذلك المجد ما هو إلا هذا الخلاص المستعد أن يعلن فى الزمان الأخير . حيث « تكون تزكية إيمان (المؤمنين) وهى أثمن من الذهب الفانى مع أنه يمتحن بالنار توجد للمدح والكرامة والمجد عند استعلان يسوع المسيح » (١ بط١ : ٥ — ٧)، وحيث ينال المدعوون وعد الميراث الأبدى عند ظهور المسيح ثانية بلا خطية للخلاص للذين ينتظرونه (عب٩ : ١٥ و ٢٨) .

(٢) هذا الخلاص ، والدخول إلى ذلك المجد ، ونوال ذلك الميراث الأبدى ، أمر لابد له من (أرخى جس) « **رئيس خلاصهم** » ، يقوم باتمام هـــذه المهمة وإجراء تلك العملية . فإن كان لابد أن يقام موسى رئيساً وفادياً (أع ٧ : ٣٥) لإخراج إسرائيل من أرض مصر وقيادتهم فى البرية . وإن كان بعد موت موسى لابد أن يقام يشوع خلفاً له وفى مقامه ليدخلهم أرض كنعان ، فكم تحتاج عملية الخلاص الأبدى ، والدخول إلى المجد السماوى ، والميراث النورانى ، إلى رياسة عليا وقيادة ربانية خاصة .

لذلك لاق بذاك الذى من أجله الكل وبه الكل وهو آت بأبناء كثيرين إلى المجد أن يقيم لهم رئيساً يسير على رأسهم ويقودهم إلى حيث يتم ذلك القصد .

هذا هو رئيس جند الرب الذى أتى إلى يشوع قائد جنود إسرائيل وهم على أبواب أريحا فى أرض كنعان ، فسقط يشوع على وجهه وسجد أمامه معترفاً بأنه ، وهو فى مركز القيادة العامة لإسرائيل ، إنما هو خاضع لرياسة القيادة العليا تحت سيادة القائد الأعظم (يش ٥ : ١٣ — ١٥) . هذا هو الذى رآه ميخا النبى فقال فيه « قد صعد الفاتك أمامهم . يقتحمون ويعبرون من الباب ويخرجون منه ويجتاز ملكهم أمامهم والرب فى رأسهم » ثم وجه خطابه إلى بيت لحم مكان مولده فقال لها بلغة النبوة « أما أنت يا بيت لحم أفراتة وأنت صغيرة أن تكونى بين ألوف يهوذا فمنك يخرج لى الذى يكون متسلطاً على إسرائيل ومخارجه منذ القديم منذ أيام الأزل . . . ويقف ويرعى بقدرة الرب بعظمة اسم الرب إلهه ويثبتون » (مى ٢ : ١٣ ، ٥ : ٢ و ٤ . قابل مت ٢ : ١ — ٦) . هذا هو الذى قال عنه بطرس إن الله « رفعه بيمينه رئيساً (ارخى جس) ومخلصاً ليعطى إسرائيل التوبة وغفران الخطايا » (أع ٥ : ٣١) هذا هو « رئيس الحياة » (أع ٣ : ١٥) . « ورئيس الإيمان » (عب ١٢ : ٢) . هذا هو رئيس الخلاص يسوع « رئيس خلاصهم » .

(٣) هذا (الأرخى جس) « رئيس الخلاص » لاق بالله أبيه أن « يكمله بالآلام » .

يقف اليهودى أمام صليب المسيح ويرى المصلوب فوقه يموت موت العار والازدراء فيعثر لأنه يطلب آية فلا يجدها فى الصليب . يريد أن يرى ملكاً مجرداً سيفه يقتحم المملكة الرومانية ويخلع الامبراطور من عرشه القيصرى ويجلس على كرسى بيت داود أبيه فى أورشليم ويعيد إلى الأمة الإسرائيلية مجدها السابق ويخضع تحتها الشعوب والأمم ، فإذا به يرى فوق الصليب تحت عنوان « يسوع الناصرى ملك اليهود » إنساناً يتألم ويصرخ فى آلامه ويموت بآلة الإعدام الرومانية مصلوباً فيقول : أهذا هو رجاء إسرائيل ؟ أين موسى الذى ضرب الأمة المصرية العظيمة وخلص إسرائيل من العبودية ؟ أين يشوع الذى أخضع الأمم ودوخ الممالك ؟ أهذا هو ابن داود الملك العظيم الذى دانت له شعوب الأرض ؟ أهذا هو رئيس خلاصنا ؟ .

يجيب الرسول نعم هذا هو رئيس الخلاص الذى يقود أبناء الله إلى المجد . فلو كان رئيساً لقيادة من مصر أو إلى كنعان ، لما احتاج الأمر إلى اجتيازه فى الآلام ، ولكنها قيادة لمن أعوزهم المجد ، فى طريق آلام إلى المجد فيجب أن يجتاز رئيس خلاصهم أمامهم طريق تلك الآلام عينها كرئيس ليشاركهم عملياً واختبارياً فى تجارب الانسانية وآلامها ويعينهم ضامناً لهم الوصول إلى ذلك المجد العتيد .

أما عملية التكميل بالآلام فقد تضاربت الآراء بشأنها ، وقد نشأ هذا التضارب من البحث فى الكلمة اليونانية « تليوسيه » المترجمة هنا « يكمل » على أننا إذا غضضنا الطرف عن الآراء المتضاربة ورجعنا إلى استعمال هذه الكلمة فى السبعينية وبخاصة تطابق الغرض فى هذا الموضوع ، نستطيع أن نصل إلى المعنى المقصود . ففى (خر ٢٩ : ١٩ — ٣٥ مثلا ولا ٨ : ٢٢ — ٣٦) نجد الكلمة مترجمة بكلمة « ملء » وما يتعلق بها . كما نجدها فى « كبش الملء » «وملء أيديهم » وقربان المــلء «وأيام الملء» الخ وكلها وردت فى عملية تقديس الكهنة لخدمة الرب فى وظيفتهم الكهنوتية ، تلك العملية التى قام بها موسى وسيط عهد الناموس (غل ٣ : ١٩ مع عب ٨ : ٦) لتكريس هرون وبنيه لخدمتهم ، إذ ذبح كبش الملء وجعل من دمه على شحم أذانهم اليمنى وعلى أباهم أيديهم اليمنى . مع العلم أن الدم هنا هو دم ذبيحة سلامة ، لا دم ذبيحة خطية ، ولا ذبيحة اثم ، فهو ليس دم للتطهير من الخطايا والآثام ، بل هو دم تكريس الكاهن الذى وهو فى سلام مع الله ، يعطى أذنه لطاعة الشريعة ، ويقدم يديه لإتمام واجبات وظيفته المقدسة ، ويسير برجليه فى طريق القداسة الإلهية . أضف إلى ذلك « قربان الملء » وهو الشحم وزيادة الكبد والكليتين والساق اليمنى ، وقرص فطير وقرص من الخبز بزيت ورقاقة واحدة ، إذ يأخذها موسى كلها ويضعها على كفى هرون وكفوف بنيه يملأ أيديهم أمام الرب ، ثم يأخذها عن كفوفهم ويوقدها على المذبح فوق المحرقة رائحة سرور أمام الرب . وقود هو للرب . إنه قربان ، ملء ، سبعة أيام إلى يوم كمال أيام الملء لأنه سبعة أيام يملأ أيديهم .

هذه هى عملية التكميل ، عملية تقديس الكهنة لوظيفتهم وتكريسهم للخدمة ، عملية ملء أيديهم للرب ، هذه هى العملية التى يشير إليها الرسول هنا وفى كل مكان يستعمل

فيه كلمة تكميل ومشتقاتها بالنسبة للمسيح (قابل عب ٥ : ٩ و ٧ : ٢٨ و ٩ : ٩ و ١٠ : ١ و ١٤) وهذا توافقه قرينة الكلام فى :

عد ١١ « لأن المقدس والمقدّسين جميعهم من واحد فلهذا السبب لا يستحى أنه يدعوهم اخوة » .

فى هذه الآية نرى المقدس — والمقدسين — والعلاقة بينهما :

(١) المقدس : وهو رئيس الخلاص المذكور الذى قدسه الآب وأرسله إلى العالم وبذله لأجل المؤمنين (يو ١٠ : ٣٦ و ٣ : ١٦) وكمله بالآلام ليصير رئيس خلاصهم . ولأجلهم قدس هو أيضاً ذاته . ولذلك أصبح مقدساً ، وليس ذلك فحسب ، بل صار أيضاً مقدساً إذ قال لأجلهم أقدس أنا ذاتى ليكونوا هم أيضاً مقدسين فى الحق » (يو ١٧ : ١٩) أي أن المسيح إذ صار إنساناً قدس ذاته ليفعل مشيئة الله ، إذ قال « هأنذا جئت . بدرج الكتاب مكتوب عنى . أن أفعل مشيئتك يا إلهى سررت » (مز ٤٠ : ٧ و ٨ وعب ١٠ : ٧ و ٩ قابل يو ٤ : ٣٤ ، ٦ : ٣٧ — ٤٠) . وإذ تكمل فى هذه التقديس بذبيحته الكفارية التى هى أيضاً ذبيحة الملء ، صارت له قوة تقديس فعالة شرعياً وأدبياً . وهذا يأتى بنا إلى :

(٢) المقدّسين وهم أبناء المجد المذكورون سابقاً الذين تقدس لأجلهم رئيس الخلاص ليقدسهم . وهنا يجدر بنا أن نفهم معنى التقديس لندرك المعنى المتضمن فى « المقدس والمقدسين » ، فالكلمتان ترجمة كلمتين فى اليونانية من أصل واحد هو « أجيوس » أى قدوس وهى ذات الكلمة الواردة فى ترنيمة السرافيم وترنيمة الحيوانات الأربعة (إش ٦ : ٢ و ٣ ، رؤ ٤ : ٨) « أجيوس ، أجيوس ، أجيوس » أى « قدوس قدوس قدوس » ، وهى تعلن الله فى قداسته الكاملة فى ذاته وطبيعته وأعماله . وبهذا المعنى قيل « كونوا قديسين لأنى أنا قدوس » (لا ١١ : ٤٤ و ٤٥ ، ١٩ : ٢ و ٢٠ : ٢٦ ، ١ بط ١ : ١٥ و ١٦) . وقد استعملت أيضاً بمعنى تاريخى عن الخليقة ، وبهذا المعنى تعبر عن ضد ما قد تجنب عن الله وانفصل عنه بسبب الخطية . فتصير الأشياء مقدسة إذا أفرزت عن استعمالها الطبيعى وتكرست لخدمة الله . ويصير الناس مقدسين إذا تجنبوا حياتهم الطبيعية الخاطئة وأصبحوا فى دائرة النعمة والفداء مرتبطين بالله وخدمته . وبهذا المعنى

دعى الإسرائيليون فى العهد القديم ، والمسيحيون فى العهد الجديد «قديسين» مع أنهم لم يكونوا بلاخطية على أى حال من الأحوال . وبناء على ما تقدم نستطيع أن نرى فى أصل «المقدس والمقدسين» اشارة إلى عمل المسيح الكلى الذى به يفرز شعبه الخاص ويخرجه من وسط الدائرة الطبيعية ، دائرة الموت ، وينقله إلى دائرة الحياة الجديدة التى تستقر على أساس موته الكفارى ، وتصدر من قوة قيامته ، وتخصص لذاتها الخلاص بالتوبة والإيمان والتجديد اليومى ، إلى أن تصل فى وقت ما إلى ملء حياة الخلو من الخطية وثقل مجد القداسة الأبدى .

لاحظ أن التقديس الوارد فى هذه الآية والتكميل المذكور فى الآية السابقة قد جمعهما الرسول معاً فى عمل المسيح حيث قال عنه «لأنه بقربان واحد قد أكمل إلى الأبد المقدسين» (عب١٠ : ١٤) ، فهو الذى يتكمل ويكمل ويتقدس ويقدس «لأنه إذ كمل صار لجميع الذين يطيعونه سبب خلاص أبدى» (عب ٥ : ٩) .

(٣) العلاقة بين المقدس والمقدسين وهذه ظاهرة فى قوله عنهم إنهم «جميعهم من واحد» . وقد تضاربت الآراء بشأن هذا «الواحد» وإذا أمعنا النظر فى كلمة «واحد» بحسب الترجمة العربية نجد أنها من باب المذكر للجنس ولذلك قال البعض ان هذا الواحد «هو الله» وقال غيرهم إنه «آدم» وقال آخرون إنه «ابراهيم» . على أن الأصل قد لا يفيد التذكير ولا التأنيث فقد لا يعنى أشخاصاً بل قد يعنى غير المذكر والمؤنث ، فيفيد معنى الوحدة على اطلاقها بين المقدس والمقدسين . وتكون هذه الوحدة إما باشتراكه هو فى طبيعتهم الجسدانية إذ صار إنساناً ، وإما باشتراكهم هم فى طبيعته الروحية إذ يصيرون «شركاء الطبيعة الإلهية هاربين من الفساد الذى فى العالم بالشهوة» (٢ بط١ : ٤) . والحقيقة هى أن المسيح قدس ذاته لأجلهم ليكونوا هم قديسين فيه . ففى كلتا الحالتين — أى باتخاذ المسيح جسد الإنسان ، وباتخاذ الإنسان ، بنتيجة لذلك التجسد ، طبيعة القداسة الإلهية — تمت الوحدة بين المقدس والمقدسين وتحقق السبب الذى لأجله يقال :

«فلهذا السبب لا يستحى أن يدعوهم إخوة» رغم ما بينه وبينهم من الفوارق العظيمة سواء أكان فى درجة قداسته أم فى سمو مقامه : ففى درجة قداسته هو القدوس

الذي بلا شر ولا دنس قد انفصل عن الخطاة وصار أعلى من السموات (عب٧ : ٢٦) هو « الذى لم يعرف خطية » « ولم يفعل خطية ولا وجد فى فمه مكر » . فأين هم أولئك الخطاة ، بالنسبة إليه ، حتى فى أسمى درجات قداستهم ؟ وهل ننسى سمو مقامه عليهم باعتبار أنه الابن الوحيد الجالس فى يمين العظمة ، الذى هو صورة الآب ورسم جوهره وقد تجلى مجده مجد وحيد من الآب ؟ وأين ، بالنسبة لهذا المقام العظيم ، مقام التراب والدود ، مقام العشب الذى هو بالغداة يزهر فيزول وفى المساء يجزفييبس ؟ (أنظر تك ٣ : ١٩ ومز ٢٢ : ٦ و ٩٠ : ٥ و ٦) .

ولكن رغم كل ذلك « لا يستحى أن يدعوهم اخوة » . فهل دعاهم إخوة ؟ وأين دعاهم ؟ هنا يعود بنا الرسول إلى العهد القديم كعادته مستشهداً بأقواله الإلهية لإثبات هذا التعليم فيقتبس منه ثلاث عبارات جاءت فيها هذه الدعوة منها واحدة فى عد ١٢ واثنتان فى عدد ١٣ :

عد ١٢ قائلا « أخبر باسمك اخوتى وفى وسط الكنيسة أسبحك » وهو قول مقتبس من (مز ٢٢ : ٢٢) باعتبار كونه قولا من المقدس إلى المقدسين كما هو ظاهر فى كلمة « قائلا » وفيه نرى الكلمة الأساسية المقصودة « إخوتى » .

والسؤال الذى يعترضنا هو : أهذا حقاً هو قول المسيح ؟ هذا السؤال يؤدى بنا إلى بحث المزمور حيث نرى هذه الحقيقة متجلية فيه . فإن المزمور بجملته موضوعه « أيلة الصبح » أى غزالة الصبح ، وفيه ترى هذه الأيلة وقد أحاطت بها ثيران كثيرة واكتنفتها أقوياء باشان وفغروا أفواههم عليها كأسد مفترس مزمجر . ولكن خلاصها برز كاشعة الشمس من وسط ظلام الليل حيث انقشع الظلام وظهرت الغزالة من وراء الحجب بأنوارها الذهبية فرحة طافرة فوق الجبال تترنم بنجاتها من يد الوحوش المفترسة . وهو أفضل تمثيل لذاك المشبه بالظبي وبغفر الأيائل طافراً على الجبال قافزاً على التلال فوق جبال الأطياب (نش ٢ : ٨ و ٩ و ٨ : ١٤) . فهو الذى يقول فى المزمور « قد أحاطت بى كلاب . جماعة من الأشرار اكتنفتنى . ثقبوا يدى ورجلي . أحصي كل عظامى . وهم ينظرون ويتفرسون فى . يقسمون ثيابى بينهم وعلى لباسى يقترعون » (عد ١٦ — ١٨ . قابل يو ١٩ : ٢٣ و ٢٤) . هو الذى صرخ فوق الصليب

قائلا « إلهى إلهى لماذا تركتنى » « عد ١ قابل مت ٢٧ : ٤٦) ولسان حاله يقول « أنقذ من يد الكلب وحيدتى خلصنى من فم الأسد ومن قرون بقر الوحش » (عد ٢٠ و ٢١) وإذ أنقذ من الموت وقام ظافراً به كآخر عدو له نراه كأيلة (غزالة) الصبح وقد أشرقت بأنوارها وبرزت طافرة على الجبال ، نراه وكأنه متجه بكليته نحو أبيه يخاطبه قائلا : « الآن وقد تم الخلاص وقد ظفرت بالموت وأبطلته ، وأنرت الحياة والخلود . الآن « أخبر باسمك اخوتى وفى وسط الكنيسة أسبحك » .

وإذا فحصنا هذا القول المقتبس فى حد ذاته ، نجد فيه : — تخبيراً ، — وتسبيحاً :

(١) التخبير « أخبر باسمك اخوتى » وهو تخبير باسم الله أى المناداة به للذين سبق فعرفهم وسبق فعينهم ليكونوا اخوة لذلك البكر (رو٨ : ٢٩) . وقد تم ذلك عندما أعلن المسيح الله لتلاميذه ، ليس فقط فى تجسده بل فى تعليمه وكرازته وبروحه ، وهذا هو ما عبر عنه بالقول : « أيها الآب البار إن العالم لم يعرفك . أما أنا فعرفتك وهؤلاء عرفوا أنك أنت أرسلتنى وعرفتهم اسمك وسأعرفهم » (يو ١٧ : ٢٥ و ٢٦) . ولا يزال المسيح يعلن اسم أبيه بواسطة تلاميذه من جيل لجيل فى كل العالم بالكرازة بالإنجيل بقوة الروح القدس لكى تذكر وترجع إلى الرب كل أقاصى الأرض فالذرية تتعبد له ويأتون ويخبرون ببره شعباً سيولد » (مز ٢٢ : ٢٧ — ٣١) إذ قال « كما أرسلتنى إلى العالم أرسلتهم أنا إلى العالم » (يو ١٧ : ١٨) .

٢ — التسبيح « فى وسط الكنيسة أسبحك » والتسبيح نتيجة لازمة للتخبير باسم الله فحينما يكرز بالإنجيل بروح المسيح وينادى بالخلاص باسمه وتخلص النفوس بدمه ، تنطلق الألسنة وتنطق القلوب بالتسبيح لاسم الله العظيم لأجل تدبير الخلاص المجيد ، وترفع الجماعة كلها صوت الحمد وتقدم آيات التعبد والشكر لذاك الذى أعد لهم ذلك الميراث النورانى الأبدى .

عد ١٣ « وأيضاً أنا أكون متوكلا عليه » وقد ورد هذا القول حرفياً فى الترجمة السبعينية فى (٢ صم ٢٢ : ٣) وهو فى العبرية وفى العربية « به أحتمى » وهو قول وارد فى نشيد لداود أنشد به فى اليوم الذى أنقذه فيه الرب من أيدى كل أعدائه ومن يد شاول وهذا النشيد عينه ورد فى المزمور ١٨ وفى عد ٢ من هذا المزمور نص هـــذا

الاقتباس فى العبرية والعربية . ويظهر أن هذا النشيد نشيد حمد بعد إجابة الصلوات فى مزمور ٢٢ . وفى هذا النشيد يتجلى المسيح حقيقة . فظهور الله الشخصى (مز ١٨ : ٩ — ١٤ و ٢ صم ٢٢ : ١٠ — ١٥) وبر الملك (مز ١٨ : ٢٠ — ٢٤ و ٢ صم ٢٢ : ٢١ — ٢٥) وارساليته إلى الأمم وإقامته لهم رأساً ومعلما (مز ١٨ : ٤٣ — ٤٩ و ٢ صم ٢٢ : ٤٤ — ٥٠) ، كل هذه تعلن ابن الله المسيح الملك الذى فيه تمت جميع المواعيد التى قيلت لداود ولنسله إلى الأبد .

« وأيضاً ها أنا والأولاد الذين أعطانيهم الله » وهو اقتباس من (إش ٨ : ١٨) وفيه نرى كلمات إشعياء — خلاص يهوه — كما يدل اسمه ، رمزياً . وهى أيضاً كلمات عمانوئيل — آية الخلاص — مرموزاً إليه ، مولوداً من عذراء (إش ٧ : ١٤ و ٨ : ٩ و ١٠) . وكما رفض إسرائيل قديماً الخلاص الذى أعلنه إشعياء هكذا أيضاً رفضوا ذلك الخلاص العجيب بل المخلص الإلهى عند ما جاء إليهم لأنه « إلى خاصته جاء وخاصته لم تقبله » (يو ١ : ١١) فقد صار لهم « حجر صدمة وصخرة عثرة » (إش ٨ : ١٤ و ١٥ قابل رو ٩ : ٣١ — ٣٣ و ١ بط ٢ : ٧ و ٨) « أما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله أى المؤمنون باسمه » (يو ١ : ١٢ قابل رو ٩ : ٣٠) هؤلاء هم التلاميذ ، والأولاد ، المذكورون فى (إش ٨ : ١٦ و ١٨) .

هؤلاء الأولاد الذين صاروا أولاداً لله بسلطان المسيح أعطاهم الله للمسيح استحقاقاً لذبيحته الكفارية « إن جعل نفسه ذبيحة إثم يرى نسلا تطول أيامه » (إش ٥٣ : ١٠) . لكى يحفظهم بسلطانه ويأتى بهم إلى المجد ، لشركة ميراث القديسين فى النور فهم الذين قال عنهم بفمه الطاهر : « خرافى تسمع صوتى وأنا أعرفها فتتبعنى وأنا أعطيها حيـــاة أبدية ولن تهلك إلى الأبد ولا يخطفها أحد من يدى » (يو ١٠ : ٢٧ — ٢٩) « كل ما يعطينى الآب فالىَّ يقبل ومن يقبل الىَّ لا أخرجه خارجاً لأنى قد نزلت من السماء ليس لأعمل مشيئتى بل مشيئة الذى أرسلنى . وهذه مشيئة الآب الذى أرسلنى أن كل ما أعطانى لا أتلف منه شيئاً بل أقيمه فى اليوم الأخير » (يو ٦ : ٣٧ — ٣٩) .

هؤلاء الأولاد هم أولئك الأبناء المذكورون فى عد ١٠ ، وأولئك الأخوة المذكورون فى عد ١١ و ١٢ « وإن كنا أولاداً فإننا ورثة أيضاً ورثة الله ووارثون مع المسيح » (رو ٨ : ١٧) .

في هذه الثلاثة الشواهد أثبت الرسول أن المسيح وضع نفسه في طبيعة الإنسان تحت ضرورات والتزامات تقضى عليه أن يعلن مجد الله ، وأن يقوم بهذه المهمة بالاتكال عليه ، إلى أن يعود إليه ومعه الأولاد الذين أعطاهم له واثقين به خاضعين لمشيئته العلوية ، فهم إذاً جميعاً من واحد ، مشتركين في ذات الطبيعة الواحدة فلهذا السبب لا يستحى أن يدعوهم اخوة .

ثانيهما : — باب الضرورة عد ١٤ — ١٨ .

عد ١٤ « فاذ قد تشارك الأولاد في اللحم والدم اشترك هو أيضاً كذلك فيهما لكى يبيد بالموت ذاك الذى له سلطان الموت أى ابليس » . في هذه الآية نرى : —

(١) أن هذا الباب متصل بما قبله في كلمة **« الأولاد »** فبعد ذكر **« الأولاد الذين أعطانيهم الله »** قال الرسول **« فاذ قد تشارك الأولاد »** فلا يزال الكلام مرتبطاً بهؤلاء **الأولاد** المعينين الذين أعطوا للمسيح الذين سبق الكلام عنهم .

(٢) أن الرسول في الوقت نفسه يبدأ سبباً جديداً لصيرورة المسيح إنساناً إذ وضع قليلا عن الملائكة . ليس من باب اللياقة فحسب كما رأينا بل من باب الضرورة أيضاً حيث نرى :

(أ) أن المسيح إذ صار إنساناً اتخذ ذات الجسد الذى للأولاد **« فاذ قد تشارك الأولاد في اللحم والدم اشترك هو أيضاً كذلك فيهما »** . وهذا التعبير يفسره لنا قول يوحنا « الكلمة صار جسداً » (يو ١ : ١٤) . وقول الرسول في موضع آخر « الله ظهر في الجسد » (١ تى٣ : ١٦) كما أنه يوضح لنا أيضاً فكرة أن المقدس أى المسيح والمقدسين أى الأولاد جميعهم من واحد كما سبق القول فلم تكن مسألة التجسد مجرد ظهور خارجي في هيئة إنسانية ، بل تجسد حقيقى بولادة من امرأة . وهذا لا يقتضى كونه مولوداً من زرع بشر ، بل بقوة الروح القدس حبل به في مستودع مريم العذراء ومن جسدها وولد بدون خطية . فكان له جسد الإنسان الحقيقى ، ولكنه شبه جسد الخطية إذ خلا جسده منها .

(ب) أن هذا التجسد كان أمراً لا بد منه ، قضت به ضرورة حاتمة ولهذه الضرورة ثلاثة أوجه :

الوجه الأول : إبادة إبليس كما يظهر من باقى الآية .

الوجه الثانى : اعتاق المستعبدين كما يظهر فى عد ١٥ .

الوجه الثالث : إعانة المجربين كما يظهر فى عد ١٦ – ١٨ .

١ – إبادة إبليس « **لكى يبيد بالموت ذاك الذى له سلطان الموت أى ابليس** » وهنا :

(أ) يبرز العدو الأكبر الذى جاء المسيح ليبيده وهو « **ابليس** » رئيس هذا العالم » (يو ١٢ : ٣١) رئيس الملائكة الذين أخطأوا ولم يحفظوا رياستهم بل تركوا مسكنهم السماوى فحفظهم الله إلى دينونة اليوم العظيم بقيود أبدية تحت الظلام (٢ بط ٢ : ٤ ،يه٦) هذا هو التنين العظيم الأحمر الحية القديمة المدعو إبليس والشيطان الذى يضل العالم كله . هذا هو المشتكى على إخوتنا (رؤ ١٢) .

(ب) إبليس هذا يقال عنه إنه « **الذى له سلطان الموت** » ليس على إطلاق معناه ولا باعتبار أن له حقاً شرعياً ، أو أنه وهب سلطاناً رسمياً يفعل بموجبه كما يشاء ؛ ولا بكونه سلم إليه سلطاناً ليدين المذنبين ، لأنه واضح من الكتاب أن الله هو الذى أصدر حكم الموت (تك ٢ : ١٧ و ٣ : ١٩) ، وبيده حياة البشر (تث ٣٢: ٣٩) ، وله مفاتيح الهاوية والموت (رؤ ١ : ١٨) . على أن إبليس هو الذى قاد بحيله الشريرة أبوينا الأولين وكل الجنس البشرى معهما إلى التعدى على سلطان الله فأوقعهم تحت سلطان الموت لأن الخطية هى التعدى (١ يو ٣ : ٤) ، وأجرة الخطية موت (رو٦ : ٢٣) ، وإذ دخلت الخطية إلى العالم وبالخطية الموت (رو ٥ : ١٢) أصبح الجميع تحت سلطان إبليس وصار هو رئيس هذا العالم وله كل ممالكه الخاضعة له . وقد أعطى له أن يكون آلة الازعاج والاهلاك للذين يطيعونه .

(ج) لهذا جاء ابن الله « **ليبيد** » إبليس الذى له سلطان الموت . وإبادته هى إبادة لجميع أجناد الشر الروحية فى السماويات وجميع قوات الجحيم وكل أعداء خلاصنا لأنه رأسها وهى آلاته وعماله . ولا يقصد بتلك الإبادة إبادة شخصيته وزوال كينونته إبادة سلطانه أى سلطان الموت ، وقد عبر الرب عن هذه الإبادة بالقول : « الآن دينونة هذا العالم . الآن يطرح رئيس هذا العالم خارجاً » (يو ١٢ : ٣١) وهو عين ما أشار إليه بولس فى قوله « إذ جرد الرياسات والسلاطين أشهرهم جهاراً » (كو٢:

١٥) . فيكون المعنى إزالة ما لإبليس من السلطان فى الموت ونزع كل ما للموت من التأثيرات والنتائج المزعجة فتنتزع من الموت شوكته «أما شوكة الموت فهى الخطية وقوة الخطية هى الناموس » ، فلا يكون الموت بعد عدواً إذ يصير موتاً عن الخطية وباباً للحياة الأبدية . (أنظر القول عن الأعداء فى ص ١ : ١٣) .

(د) هذا أتمه ابن الله « بالموت » أى بموته شخصياً على الصليب الذى فيه ظفر بجميع الأعداء، والذى للوصول إليه اشترك فى اللحم والدم . وموت المسيح يؤدى إلى إبادة سلطان الموت من طريقين : —

أحدهما : طريق وقوع الموت فعلا على المسيح نيابة عنا ، وبذلك تم حكم الموت ودينت الخطية فى جسده على الصليب ، وأصبح الأمر الواقع أنه «لا شىء من الدينونة الآن على الذين هم فى المسيح يسوع » (انظر رو ٨ : ١ — ٤) لأنه «حمل هو نفسه خطايانا فى جسده على الخشبة » (١ بط ٢ : ٢٤) إذ هو « حمل الله الذى يرفع خطية العالم » (يو ١ : ٢٩ و ٣٦) وبذلك كسر شوكة الموت ، أى الخطية ، وأباد ذاك الذى له سلطان الموت أى إبليس .

ثانيهما : طريق فعل ذلك الموت فى المؤمنين فانهم بواسطته قد رجعوا من ظلمات إلى نور ومن سلطان الشيطان إلى الله (أع ٢٦ : ١٨) وقد تبرروا بالإيمان وتصالحوا مع الله فصار لهم سلام ودخلوا إلى ملكوت النعمة مفتخرين على رجاء المجد حتى فى وسط الضيق (انظر رو ٥ : ١ — ١١) . وقد نزع سلطان الموت من يد الشيطان بالنسبة لهم فينامون على فراش الموت مطمئنين يقولون : « الآن تطلق عبدك بسلام » (لو ٢ : ٢٩) « لى اشتهاء أن أنطلق وأكون مع المسيح » (فى ١ : ٢٣) .

٢ — ضرورة التجسد لاعتاق المستعبدين :

عد ١٥ . « **ويعتق أولئك الذين خوفاً من الموت كانوا جميعاً كل حياتهم تحت العبودية** » .. وهذه نتيجة لازمة لإبادة إبليس وسلطان الموت وفيها نرى : —

(ا) أن هؤلاء الأولاد ، أبناء المجد ، هم أصلا عبيد « **تحت العبودية** » ، كما كان الإسرائيليون فى أرض مصر « أرض العبودية » . ومع أنهم ورثة الموعد إلا أنه ما دام الوارث قاصراً لا يفرق شيئاً عن العبد مع كونه صاحب الجميع . (اقرأ غل ٤ : ١ —٣

مع رو ٨ : ١٥) . ولذلك يقول المسيح لتلاميذه « لا أعود أسميكم عبيداً » (يو ١٥ : ١٥). إذ أخلى نفسه آخذاً صورة عبد لكي يعتق العبيد .

(ب) هم عبيد الخوف من الموت : « **أولئك الذين خوفاً من الموت كانوا جميعاً كل حياتهم تحت العبودية** » وهذا وصف عام لعموم البشر ومنهم هؤلاء الأولاد. أصلا باعتبار كونهم ، كسائر البشر ، شركاء في اللحم والدم خاضعين بطبيعتهم للموت معرضين للآلام والأحزان . على أنهم أيضاً ، مع كل جسد ، خاضعون للموت باعتبار كونه عقاباً للخطية إذ بها دخل الموت إلى العالم فأصبح الجميع تحت لعنة الناموس وغضب الله . فصاروا بذلك في حال قلق بال واضطراب فكر ، أزاء شر مقبل يتهددهم هو الموت الذي ينتظرونه في ساعة لا يعلمونها عقاباً مستحقاً لخطاياهم تحت الحكم الإلهي القائل : « النفس التي تخطىء هي تموت » (حز ١٨ : ٤ و ٢٠) . فما أمرّ عواقب الموت وما أشد وطأة الخوف من تلك العواقب المرة الأليمة .

(ج) هذا الخوف الذي ملأ قلوب الجميع لازم نفوسهم « **كل حياتهم** » ولم تكن لهم طريقة ما للتخلص منه أو للتحرر من عبوديته . ففي كل وقت كانوا معرضين للوقوع تحت سلطان هذا الخوف وثقل عبوديته القاسية بالنسبة للعدل العقابي .

٣ ــ التجسد لاعانة المجربين متجل في :

عد ١٦ ــ ١٨ « **لأنه حقاً ليس يمسك الملائكة بل يمسك نسل ابراهيم. من ثم كان ينبغي أن يشبه إخوته في كل شيء لكي يكون رحيماً ورئيس كهنة أميناً في ما لله حتى يكفر خطايا الشعب. لأنه في ما هو قد تألم مجرباً يقدر أن يعين المجربين** » .

فالعبودية للخوف من سلطان الموت ، والوقوع تحت نير التجارب والبلايا المحرقة ، أمران متلازمان ناشئان كلاهما من فعل الخطية وتأثيراتها الفتاكة . فرئيس الخلاص العظيم ، لكي يخلص أبناء المجد خلاصاً كاملا ، يلزم أنه كما ينتزع من الموت سلطانه وشوكته وصفته العقابية حتى لا يموت المؤمن تحت دينونة غضب الله المخيف بل في سلام الضمير وفرح الانطلاق ، هكذا أيضاً يلزم أنه ينتزع من البلايا والآلام ذات الصفة العقابية فلا تكون عقاباً إلهياً بل تأديبات أبوية ، يرى فيها المؤمن محبة قلبية فائضة لهـا

نتائجها الصالحة الأبدية . وهذا يأتى بنا إلى البحث فى هذه الآيات الثلاثة حيث نرى إشارة إلى التجسد فى عد ١٦ — واشارة إلى وظيفة المسيح الكهنوتية فى عد ١٧ — واشارة إلى تألم المسيح مجرباً فى عد ١٨ — وفى كل ذلك يتضح القصد من تجسد المسيح لإعانة المجربين المتألمين .

عد ١٦ .. الإشارة إلى التجسد « **لأنه حقاً ليس يمسك الملائكة يمسك نسل ابراهيم** » فى هذا القول يوجه الرسول النظر إلى الفكرة الكتابية العامة كما أعلنها العهد القديم وعرفها اليهود الذين هم نسل ابراهيم . وازاء هذه الفكرة المعلنة والمعروفة يثبت الرسول بالقول « **حقاً** » ما أثبته الكتاب المقدس بشأنها سلباً وإيجاباً .

أما سلباً ففى قوله « **ليس يمسك الملائكة** » أى أنه لم يرد فى كل العهد القديم ما يقوم دليلا على أن المسيا الموعود به « يمسك الملائكة » فى مجيئه متجسداً .

أما إيجاباً ففى قوله « **بل يمسك نسل ابراهيم** » أى أن العهد القديم أثبت حقيقة التجسد بالنسبة إلى نسل ابراهيم .

على هذا الأساس نتقدم لفهم الآية ببحث معنى عبارتى « **يمسك** » و « **نسل ابراهيم** »

« **يمسك** » كلمة فى أصلها تحتمل جملة معان ولو أن عامة اللغويين والشراح المتأخرين يفهمونها الآن ، بدون خلاف ، بمعنى الاغاثة والاجارة ، أى أن المسيح أعرض عن اغاثة الملائكة الساقطين وإجارتهم ، ولكنه أجار نسل ابراهيم . إلا أن جمهور الآباء يفسرونها بمعنى أن المسيح لم يأخذ على نفسه صورة الملائكة بل صورة نسل ابراهيم ، وهذا توافقه الترجمة العربية اليسوعية التى تقول « فإنه لم يتخذ الملائكة قط بل إنما اتخذ نسل ابراهيم » فالكلمة إذاً تعنى « اتخذ لنفسه » أى أن المسيح لم يتخذ لنفسه طبيعة الملائكة بل طبيعة « نسل ابراهيم » .

أما عبارة « **نسل ابراهيم** » فيتضح معناها من نفس الكتاب المقدس الذى يشهد بذلك النسل . فقد جاء فيه أن الله وعد ابراهيم بنسل إذ لم يكن له نسل وأنه فى نسله تتبارك جميع قبائل الأرض (انظر تك ١٢ : ١ — ٣ و ١٥ : ١ — ٦ ، ١٧ : ١ — ٨) وفى هذا النسل يقول الرسول « وفى نسلك الذى هو المسيح » (غل ٣ : ١٦) .

فقد كان المسيح من نسل ابراهيم حسب الجسد بناء على هذا الوعد وقد كان هذا انتظار اليهود بحسب الكتب .

وإذا اعتبرنا قرينة الكلام فى سياقه هنا ، واستخلصنا منها أن المسيح كما أنه ، لينتزع من الموت سلطانه ، ينبغى أن يشترك مع الأولاد فى اللحم والدم ، كذلك لينتزع من التجارب صفتها العقابية ، يلزم أنه « يمسك نسل ابراهيم » ، يكون معنى الآية إذاً أن الرسول قصد فيها أن يؤيد ما أثبته قبلا عن المسيح بشأن اشتراكه مع الأولاد فى اللحم والدم محققاً أن الكتب المقدسة تعلن هذا الأمر فى الوعد بأنه سيكون من « نسل ابراهيم » .

أما ذكره للملائكة فى الموضوع ، فهو من باب التمشى مع القرينة فى هذا الأصحاح الذى فيه يعلن سمو الانسان على الملائكة وينفى عن الملائكة ما أثبتته الكتب عن الانسان ، مع أنه وضع عنهم قليلا . فان المسيح باتخاذه طبيعة الانسان ، لا الملائكة جمع الانسانية فى شخصه الفائق فأصبح عمله عملها ، وموته موتها ، وقيامته قيامتها ، ومجده مجدها . فكما كانت الطبيعة الانسانية موجودة فى آدم عندما أوقع نسله فى الفساد بخطيته النيابية ، هكذا كانت الطبيعة الانسانية فى المسيح ربنا عندما حمل خطايانا فى جسده على الخشبة فى ذبيحته الطاهرة النقية . فالمسيح إذاً هو الرأس الثانى لجنسنا البشرى ، الأمر الذى لم يحظ به الملائكة قط .

عد ١٧ . الاشارة إلى الوظيفة الكهنوتية : **« من ثم كان ينبغى أن يشبه إخوته فى كل شىء لكى يكون رحيما ورئيس كهنة أميناً فى ما لله حتى يكفر خطايا الشعب »** .
وإن كان الرسول قصد أن يؤيد بالآية السابقة كتابياً ما سبق فأثبته من جهة تجسد المسيح إلا أنه اتخذ أيضاً منها مقدمة للكلام عن الغرض من هذا التجسد فى إعانة المجربين .. وقد أدى الكلام عن هذه الإعانة بالضرورة إلى الإشارة لوظيفة المسيح الكهنوتية التى ختم بها الرسول كلامه عن موضوع أفضلية المسيح عن الملائكة كملاك . كما ختم بها كلامه عن موضوع أفضلية المسيح على موسى كنبى وقد جعلها موضوع كلامه عن أفضلية المسيح على هرون ككاهن .. الأمر الذى يجعل الوظيفة الكهنوتية لب هـذه

الرسالة وجوهرها وخاتمة تعاليمها وقوتها (انظر عب ١٠ : ١٩ — ٢١) . ويحقق لنا أن الغرض الأساسى لتجسد المسيح لم يكن ليملك فى الجسد ولا ليقوم بعمل النبوة فيه ، بل ليقدم نفسه كفارة عن الخطية متألماً ومجرباً . وأن دخوله إلى مجد ملكه لم يكن إلا عن طريق آلامه كما نصت عنه الكتب (لو ٢٤ : ٢٥ — ٢٧) وأن شهادته للحق كانت بإعلان الله الحق فى الصليب (يو ١٨ : ٣٧ و ٢ تى ٢ : ١١ — ١٣) .

أما الاشارة إلى هذه الوظيفة الكهنوتية فتضمنة فى هذه الآية التى فيها نتبين :

١ — أن المسيح « رئيس كهنة » . والكاهن هو الذى يقدم الذبائح والقرابين . وقد كانت هذه الوظيفة فى ذاتها مألوفة عند اليهود حيث بدأت فى هرون وانحصرت فى بيته إلى أن جاء الرب وأخذ هذه الوظيفة ، كما سترى فى الكلام عن كهنوت المسيح (ص ٥ — ١٠) . وجعل جميع أبناء الله كهنة لأبيه (رؤ ١ : ٦) . أما الكهانة فى أصلها فهى عمل الكاهن وهو الذى يقضى بالغيب ويحدث به . وفى التعريفات : الكاهن هو الذى يخبر عن الكوائن فى مستقبل الزمان ويدعى معرفة الأسرار ومطالعة علم الغيب . وقد جاء فى تعريفاته أيضاً : أنه من يقوم بأمر الرجل ويسعى فى حاجته ، وهذا يظهر لنا أنه يوجد وجه شبه بين الأنبياء والكهنة فى وقوفهم بين الناس والآلهة متشفعين .

٢ — أن المسيح مؤهل لتأدية هذه الوظيفة كما قيل « لكى يكون رحيماً ورئيس كهنة أميناً فى ما لله » وفيه نرى موقف المسيح بين الانسان وبين الله . فهو من جهة الانسان « رحيم » . ومن جهة الله « أمين » وبين كليهما « **رئيس كهنة** » .

إذاً لا يقصد بالرحمة فى هذا المقام الرحمة على إطلاقها بل الرحمة مقترنة بهذه الوظيفة باعتبار علاقة المسيح بالذين يكهن من أجلهم ، وهم خطاة مجربون ، يطلب منه أن يترفق لاجهالاتهم ويرثى لضعفاتهم .

وكما أن الرحمة ضرورية فيه بالنسبة لقيامه فى ما للبشر كذلك الأمانة ضرورية فيه بالنسبة لقيامه فى ما لله باعتبار أنه من أجل البشر يخدم الله فى هذه الوظيفة فيؤديها بالأمانة لله ناظراً إلى مجده ، متمماً جميع أوامره بالتدقيق .

٣ — أن عمل المسيح كرئيس كهنة هو « حتى يكفر خطايا الشعب » . وفى هذا القول إشارة إلى غضب الله المعلن من السماء على جميع فجور الناس وإثمهم (رو ١ : ١٨) وهذه الإشارة متضمنة فى معنى كلمة « يكفر » إذ فيها معنى الترضية . وباعتبار أن فيها أيضاً معنى الوفاء فإنها تشير إلى أن الشعب تحت ثقل دين عظيم كما يتضح ذلك من مثل الملك الذى أراد أن يحاسب عبيده . (مت ١٨ : ٢٣ — ٣٥) ومن مثل المديونين (لو ٧ : ٤٠ — ٥٠) فهم بهذا الاعتبار بالطبيعة أبناء الغضب إذ هم أبناء المعصية (أف ٢ : ١ — ٣) وإذا تحققنا أن « غضب الملك رسل الموت والانسان الحكيم يستعطفه » (أم ١٦ : ١٤) لذلك كان لا بد من ترضية الله فى غضبه ، ومن وفاء ذلك الدين الذى له على الشعب . وهذا هو العمل المعبر عنه بالتكفير والذى لأجله تجسد المسيح « ليكون رحيما ورئيس كهنة أميناً فى ما لله حتى يكفر خطايا الشعب » .

بحث أيوب عن مصالح يصالحه مع الله فوصل إلى النتيجة التى عبر عنها بالقول : « ليس بيننا مصالح يضع يده على كلينا » (أى ٩ : ٣٣) ولكن الله بالمسيح صالح الكل لنفسه عاملا الصلح بدم صليبه (كو ١ : ٢٠ ، انظر الكلام عن التكفير فى ص ١ : ٣)

٤ — « من ثم كان ينبغى أن يشبه اخوته فى كل شىء » هذا القول كالقول « إذ قد تشارك الأولاد فى اللحم والدم اشترك هو أيضاً كذلك فيهما » (عد١٤) وكالقول « يمسك نسل ابراهيم » (عد ١٦) يشير إلى حقيقة تجسد المسيح وكما ظهر فى (عد ١٤) ضرورة تجسد المسيح ليقدم نفسه ذبيحة عن الخطايا ، يظهر فى هذا العدد ضرورة تجسد المسيح ليقوم كاهناً لأجل الخطاة بصيرورته إنساناً مثلهم له كل ضعفات الإنسان بلا خطية قابلا لأن يجرب نظيرهم ، لكى يقدر أن يعين المجربين . وهذا يصل بنا إلى : —

عد١٨ الإشارة إلى تألم المسيح مجرباً « لأنه فى ما هو قد تألم مجرباً يقدر أن يعين المجربين » وفيه تتجلى العلاقة بين المسيح مجرباً وبينه معيناً للمجربين ولا يقصد بهذه العلاقة تحديد دائرة الآلام التى اختبرها السيد ، لأنه من هذا القبيل قد ذاق كل آلام

التجربة سواء أكانت تجربة الامتحان المباشر كامتحان ابراهيم بتقديم اسحق ، أم تجربة البلية المحرقة كالتى أصابت أيوب ، أم تجربة التعرض لسطوة الخطية وتملقات إبليس وحيله ؛ فإن فى آلام الصليب حيث المسيح قدم ذاته لأبيه ، وفى بغض الناس إياه واضطهاداتهم له ، وفى التجارب الشيطانية التى هاجمته ، فى هذه كلها «قد تألم مجرباً». وحيث أنه احتمل نار الآلام المحرقة ، وثبت أمام تجارب الشيطان المهلكة ، وخرج من معمعة الحرب الطاحنة ظافراً ، واختبر قوة الانتصار ولذته ، أصبح قادراً أن يواسى فى الآلام المتألمين ، وأن يقوى فى ميدان الحرب المجاهدين ، «وأن يعبر نهر الموت بالمؤمنين ، «لأنه فى ماهو قد تألم مجرباً يقدر أن يعين المجربين» .

هذا يكشف أمامنا عن عمق أساس متين ، عليه يبنى تعليم كفارة المسيح النيابية حيث نرى الانسان ، لا كجمهور أفراد بل كجسم واحد ، شجرة تفرعت من أصل واحد هو آدم الأول نائب الجنس البشرى جميعه . هناك نراه فى آدم الثانى الانسان يسوع المسيح ثمرة ناضجة أمام الله . ثمرة وإن لم تكن قد قامت من زرع بشرى ولكنها طعمت فى تلك الشجرة الذابلة بطريقة التجسد فأزهرت وأزهرت بها الحياة الإنسانية وأينعت وأثمرت للحياة الأبدية ، الأمر الذى يحقق لنا أن نيابة المسيح الكفارية لم تكن نيابة اسمية مجردة ، بل كانت نيابة فعلية حقيقية أثمرت ثمرها فى مركز الانسان وحياته العملية .

٢ – المسيح فى رتبته النبوية (ص ٣ و ٤)

هذا هو الباب الثانى من الأبواب الثلاثة فى القسم التعليمي من الرسالة وموضوعه المسيح فى رتبته النبوية . وإذا ألقينا نظرة عامة على هذا الباب نرى بينه وبين الباب الأول ، فى طريقة البحث ، شبهاً عظيماً يتضح جلياً فى المقابلة المبينة بعد : –

الباب الأول	الباب الثانى
موضوعه : المسيح فى رتبته الملكية (ص ١ : ٤ – ٢ : ١٨)	موضوعه: المسيح فى رتبته النبوية (ص ٣ و ٤)
قاعدته : فضل المسيح على الملائكة	قاعدته : فضل المسيح على موسى والأنبياء
مفتاحه : « صائراً أعظم من الملائكة » (١ : ٤)	مفتاحه : « حسب أهلا لمجد أكثر من موسى » (٣ : ٣)
تفصيله : ١ – الابن فى ذاته أعظم من الملائكة (١ : ٥ – ١٤)	تفصيله : ١ – الابن فى ذاته أعظم من موسى (٣ : ١ – ٦)
٢ – فصل تحذيرى (٢ : ١ – ٤)	٢ – فصل تحذيرى (٣ : ٧ – ١٩)
٣ – فى الابن رفع الانسان فوق الملائكة (٢ : ٥ – ١٦)	٣ – فى الابن دخل شعب الله إلى راحته (٤ : ١ – ١٣)
خاتمته : إشارة إلى كهنوت الابن (٢ : ١٧ و ١٨)	خاتمته : إشارة إلى كهنوت الابن (٤ : ١٤ – ١٦)

وحيث قد انتهينا من بحث الباب الأول ووصلنا إلى الباب الثانى فلنتقدم الآن بقيادة روح الرب للدخول إلى الباب الثانى لكشف مكنوناته الإلهية فى رتبة المسيح النبوية متتبعين التفصيل المشار إليه .

الفصل الأول

فضل المسيح على موسى، باعتبار كونه ابن الله

(ص٣ : ١ – ٦)

١ مِنْ ثَمَّ أَيُّهَا ٱلْإِخْوَةُ ٱلْقِدِّيسُونَ شُرَكَاءُ ٱلدَّعْوَةِ ٱلسَّمَاوِيَّةِ
لَاحِظُوا رَسُولَ ٱعْتِرَافِنَا وَرَئِيسَ كَهَنَتِهِ ٱلْمَسِيحَ يَسُوعَ ٢ حَالَ
كَوْنِهِ أَمِينًا لِلَّذِي أَقَامَهُ، كَمَا كَانَ مُوسَى أَيْضًا فِي كُلِّ بيتِهِ .
٣ فَإِنَّ هٰذَا قَدْ حُسِبَ أَهْلاً لِمَجْدٍ أَكْثَرَ مِنْ مُوسَى بِمِقْدَارِ مَا لِبَانِي
ٱلْبَيْتِ مِنْ كَرَامَةٍ أَكْثَرَ مِنَ ٱلْبَيْتِ . ٤ لِأَنَّ كُلَّ بَيْتٍ يَبْنِيهِ إِنْسَانٌ
مَا وَلٰكِنَّ بَانِيَ ٱلْكُلِّ هُوَ ٱللهُ . ٥ وَمُوسَى كَانَ أَمِينًا فِي كُلِّ بَيْتِهِ
كَخَادِمٍ شَهَادَةً لِلْعَتِيدِ أَنْ يُتَكَلَّمَ بِهِ . ٦ وأَمَّا ٱلْمَسِيحُ فَكَٱبْنٍ
عَلَى بَيْتِهِ . وَبَيْتُهُ نَحْنُ إِنْ تَمَسَّكْنَا بِثِقَةِ ٱلرَّجَاءِ وَٱفْتِخَارِهِ ثَابِتَةً
إِلَى ٱلنِّهَايَةِ .

فى هذا الفصل نرى طريق الانتقال من الباب الأول إلى الباب الثانى ، والدخول فى الباب الثانى :

(١) الانتقال من الباب الأول إلى الثانى :

عد ١ : « من ثم أيها الإخوة القديسون شركاء الدعوة السماوية لاحظوا رسول اعترافنا ورئيس كهنته المسيح يسوع » . هذه الآية تبدأ بأداة الانتقال المشار إليه ، وتتضمن نصيحة عملية مبينة على ما سبق من التعليم .

أ ـ أداة الانتقال « من ثم » وهى ظرف مكان يدل على نتيجة ما تقدم ، ويهيء للتحدث فى ما يلى . فهى إذاً أداة رابطة .

ب ـ إذاً تكون النصيحة العملية المتضمنة فى الآية مبنية على التعليم السابق . وإذا بحثناها نجدها فى كلمة واحدة هى كلمة « لاحظوا » ترمق بعين واحدة جماعة العبرانيين ، وترمق بالأخرى شخص المسيح العجيب وتربط بينهما رباط من يمعن النظر فى مطمح أنظاره وغرض حياته .

أما العبرانيون فهم الذين كتب إليهم الرسول ويخاطبهم هنا بالقول « أيها الأخوة القديسون شركاء الدعوة السماوية » وبذلك يصفهم بأوصاف ثلاثة :

١ ـ « **الأخوة** » فهم اخوته أنسباؤه حسب الجسد لأنهم عبرانيون وهو عبرانى من العبرانيين (قابل رو ٩ : ٣ مع فى ٣ : ٥) ولكنه هنا لا يقصد النسبة الجسدية بل الروحية ، كما أنه لا يقصد النسبة الشخصية بل النسبة العامة التى أشار إليها السيد نفسه فى قوله : « وأنتم جميعاً اخوة » . وذلك باعتبار أن أباهم واحد الذى فى السموات » (مت ٢٣ : ٨ و ٩) . وكذا باعتبار علاقتهم بالمسيح الذى هو بكر بين اخوة كثيرين » (رو ٨ : ٢٩) وهذا هو عين القصد البين فى جوهر الكلمة «اخوة» بمقتضى أصلها وحيث استعملها الرسول فى رسائله الأخرى (انظر رو١٦ : ١٤ ، ١ كو٨ : ١٢ ، ١ تى ٤ : ٦ الخ) .

(٢) « **القديسون** » وهذا وصف لهؤلاء «الأخوة» ، وبالتالى وصف آخر للعبرانيين . وقد ورد الكلام عن أصل هذه الكلمة ومشتقاتها فى (ص ٢ : ١١) عن « المقدِّس والمقدَّسين » فارجع إليه هنالك .

(٣) « **شركاء الدعوة السماوية** » فهم مدعوون ، ومدعوون من السماء ، ومدعوون من السماء كشركاء ، ومن خصوصيات بولس فى كتاباته أنه يقرن دعوة المؤمنين بكونهم قديسين فى قوله المتكرر « مدعوين قديسين » (رو ١ : ٧ ، ١ كو١ : ٢) فهم مدعوون ليكونوا قديسين ، وهم قديسون لأنهم مدعوون . لأن الذين سبق فعينهم فهؤلاء دعاهم (رو ٨ : ٣٠) والمدعوون هنا هم بمعنى ما المختارون ليكونوا قديسين

(أف ١ : ٤) . والدعوة نفسها تتضمن القول : « كونوا قديسين لأنى أنا قدوس » (١ بط ١ : ١٤ — ١٦) .

هم مدعوون من السماء لأن الله هو الذى دعاهم (١ كو ١ : ٩ ، ١ تس ٢ : ١٢) وهذا نفس ما عبر عنه المسيح فى القول : « لا يقدر أحد أن يقبل إلى إن لم يجتذبه الآب الذى أرسلنى » « كل ما يعطينى الآب فالىّ يقبل ومن يقبل إلىّ لا أخرجه خارجاً » (يو ٦ : ٤٤ و ٣٧) . بل هم أيضاً « مدعوو يسوع المسيح » (رو ١ : ٦) أى المدعوون إليه . وأيضاً المدعوون به باعتبار أنه المجرى لمقاصد الله الآب وتدبير نعمته (٢ كو ٥ : ٢٠) وكذا هم مدعوون لينالوا وعد الميراث الأبدى المحفوظ فى السموات لأجلهم (عب ٩ : ١٥ ، ١ بط ١ : ٤) الذى إليه ترفع أشواقهم ويحرسون لنواله بفعل الروح القدس وبنعمة انسكابه من فوق . فالدعوة إذاً سماوية لأنها من السماء وإلى السماء .

على أن هؤلاء المدعوين هم « شركة » فهم شركاء . لأنهم أبناء كثيرون وإخوة كثيرون ، شركاء فى الجسد والميراث . وفى هذا إشارة ، ولو خفية ، إلى شركة الأمم مع اليهود . السر الذى أعلن لبولس بحسب تدبير نعمة الله له « أن الأمم شركاء فى الميراث والجسد ونوال موعده فى المسيح بالإنجيل » (اقرأ أف ٣ : ١ — ٧) . وفيه أيضاً ، فى ذات الوقت ، اقرار بأن اليهود شركاء فى ذات الميراث ، وأن كون الأمم شركاء فى الميراث لا يعنى أن اليهود مرفوضون منه وهذا هو العهد لهم من قبل الله ومن أجل الآباء (اقرأ رو ١١ : ٢٥ — ٣٢) . إذاً هذا الوصف « شركاء الدعوة السماوية » يشمل جميع المؤمنين بالمسيح المختارين فيه مدعوين ليكونوا قديسين سواء أكانوا يهوداً أم أمماً .

أما « المسيح » فهو موضوع هذه الرسالة ، كما سبق القول ، والنقطة المركزية التى يوجه إليها الرسول أنظار العبرانيين وجميع المؤمنين . وهنا يبدأ الرسول الكلام عنه بوصفه ، ثم بذكر اسمه :

١ — وصفه : « **رسول اعترافنا ورئيس كهنته** » . وهو وصف مزدوج يعين المسيح ذا وظيفتين من وظائف العهد القديم . إحداهما « رسول » أى مرسل ، سفير ،

مبعوث . وهو هكذا ككونه مرسلا من الله . وهذه هي الحقيقة المعلنة في العهد الجديد الذي يبين بجلاء كيف « أرسل الله ابنه » (مت ٢١ : ٣٧ ، غل ٤ : ٤ ، ١يو ٤ : ٩) : وهذا ذات ما قاله المسيح نفسه عن نفسه بأنه هو « الذي قدسه الآب وأرسله إلى العالم » (يو ١٠ : ٣٦) ، وقال لتلاميذه « كما أرسلني الآب أرسلكم أنا » (يو ٢٠ : ٢١) ولذلك دعي تلاميذه أيضاً رسلا . وإذا عرفنا أن المسيح كرسول أعلن الله للعالم إذ أنه أرسله إليه ليبلغه رسالة الآب ويعلن له محبة قلبه لأنه « هو خبر » (يو ١ : ١٨) . أو كما قال هو بنفسه « روح السيد الرب على لأنه مسحني لأبشر المساكين أرسلني لأعصب منكسري القلوب لأنادي للمسبيين بالعتق وللمأسورين بالاطلاق لأنادي بسنة مقبولة للرب » (إش ٦١ : ١ و ٢ ، لو ٤ : ١٨ و ١٩) .

إذا عرفنا ذلك نقدر أن نرى في رسولية المسيح ، وظيفته النبوية التي بها يمثل الآب بين البشر ويعلنه لهم حيث قال لتلاميذه : « من رآني فقد رأى الآب » (يو ١٤ : ٩) . وبمقتضى هذه الإرسالية يصير له حق الرياسة والإدارة في بيت الله .

أما الوظيفة الثانية فهي الوظيفة الكهنوتية « **رئيس كهنته** » فهو النبي والكاهن . وفي الاشارة إلى الكهنوت نجد نقطة اتصال بين الباب الأول والثاني (قابل ٢ : ١٧ مع هذه الآية) . ففي الباب الأول يتصل الملك بالكهنوت ، وفي الباب الثاني تتصل النبوة بالكهنوت . وفي البابين معاً يتصل الملك والنبوة بالكهنوت . أما النبوة والكهنوت في هذا الباب فتتعلقان معاً في هذه الآية بكلمة « **اعترافنا** » حيث نقرأ « رسول اعترافنا ورئيس كهنته » أي رئيس كهنة اعترافنا . أي أننا نعترف بالمسيح رسولا ورئيس كهنة ، ونؤمن به هكذا ، ونعلنه متقلداً هاتين الوظيفتين ؛ وفي ذات الوقت نعترف بالحق الذي أعلنه كرسول من الله إلينا ، وبالذبيحة التي قدمها عنا ككاهن لله من أجلنا . وبما أن الرسول قد أفرز للرتبة الكهنوتية فصلها الخاص ، كما سنرى في الباب الثالث ، كما أفرز للرتبة الملكية فصلها الخاص ، كما رأينا في الباب الأول . لذلك ترك الكلام في هذا الباب الثاني عن الكهنوت مرجئاً إياه إلى وقت آخر ، وسار في بحث الرتبة النبوية المتضمنة في كلمـــة « **رسول اعترافنا** » ، وعليه فسنتتبع خطوات الرسول في البحث حيث يسير .

(٢) اسمه . بعد أن ذكر الرسول شخصية موضوع كلامه فى وصفه ، ذكره باسمه فقال « المسيح يسوع » . فهو « المسيح » باعتباره مسيح الرب الممسوح منه لهذه الرتب الثلاث كما قيل « روح السيد الرب علىّ لأنه مسحنى » (إش ٦١ : ١ ، لو ٤ : ١٠) « مسحك الله إلهك » (مز ٤٥ : ٧ ، عب ١ : ٩) . وهو « يسوع » باعتباره رئيس الخلاص حيث تسمى من الملاك « يسوع لأنه يخلص شعبه من خطاياهم » (مت ١ : ٢١) . فهو « المسيح يسوع » باعتبار أنه ممسوح ملكاً ونبيـاً وكاهناً ليكون « خلاصاً إلى أقصى الأرض » (أع ١٣ : ٤٧) .

أما النصيحة فى ذاتها فهى القول « لاحظوا » كما سبقنا فذكرنا . وهنا الصبغة التى تصطبغ بها هذه الرسالة ، أى الصبغة العملية ، حيث نجد الرسول يختتم كل فصل تعليمى بنصيحة عملية يفتتح بها ، فى ذات الوقت ، فصلا آخر . وهذا هو الغرض الأساسى من التعليم مطلقاً كما أوضحه المسيح فى قوله : « إن علمتم هذا فطوباكم إن عملتموه » (يو ١٣ : ١٧ قابل مت ٧ : ٢١–٢٧ ، يع ١ : ٢٢–٢٥) . فالارتباط بين التعليم والعمل متين . فعلى التعليم يؤسس العمل ويقوم ، وبالعمل يتبين التعليم ويفهم . لأنه « إن شاء أحد أن يعمل مشيئته يعرف التعليم هل هو من الله » (يو ٧ : ١٧) « فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى وعلم الناس هكذا يدعى أصغر فى ملكوت السموات وأما من عمل وعلم فهذا يدعى عظيماً فى ملكوت السموات » (مت ٥ : ١٩) . وحيث أن يسوع هو موضوع التعليم فى هذه الرسالة ، بل فى كل الكتاب ، كان من أوجب ما يقوله الرسول فى شأنه للمتعلمين عنه « لاحظوا » وهى كلمة فى أصلها تعنى شحذ الفكر ، وحصر التأمل ، والانتباه بجد إلى شخصية هذا الرسول السماوى العجيب وإلى كل ما يقوله ويعمله ، لكى نقدّر كل ذلك حق التقدير فنثبت فيه غير مرتدين عن الإيمان به . بهذا فتح الرب قلب ليدية بياعة الأرجوان فأصغت وآمنت واعتمدت (أع ١٦ : ١٤ و ١٥ ؛ اقرأ مثل الزارع فى مت ١٣ ومر ٤ ولو ٨) .

على أن الرسول قد حدد الملاحظة هنا نظراً لغرضه ، فلم يقدم النصيحة على اطلاقها بل بالنسبة لأمر خاص عينه فى :

عد ٢ — ٦ ، حيث نجد مقابلة بين المسيح وموسى تبدأ بعبارة « **حال كونه** » إشارة إلى كون الرسول قصد تحديد وجه ملاحظة المسيح بالنسبة لهذه المقابلة المعينة .

وفى هذه المقابلة نجـــد عبارتين رئيسيتين : إحداهما قوله « **كما كان موسى** » ، والثانية قوله « **أكثر من موسى** » . فى العبارة الأولى نجـــد المقابلة بينهما باعتبار وحدة الرتبة لكليهما . وفى الثانية نجد تلك المقابلة باعتبار سمو مقام المسيح على موسى . المقابلة على الاعتبار الأول متضمنة فى (عد ٢) ، وعلى الاعتبار الثانى متضمنة فى (عد٣—٦) . وعلى الاعتبارين تتم المقابلة :

عد ٢ ، « **كما كان موسى** » . « حال كونه أميناً للذى أقامه كما كان موسى فى كل بيته » . وهنا نقف أمام شخصية بارزة فى العهد القديم ، وقد تكون أبرز شخصية فيه هى شخصية موسى رجل الله ، محرر إسرائيل من عبودية مصر ، وقائدهم العظيم فى البرية ، ووسيط العهد القديم الممتاز .

على أن موسى لم يكن كاهناً ، ولو أنه كان من سبط لاوى ، فقد كانت وظيفة الكهنوت لأخيه هرون دونه ، ولو أنه فى بعض الظروف الخصوصية والأحوال الضرورية كان يقوم ببعض ممارساتها من باب الاضطرار قبل انتظام الرتبة الكهنوتية ، حيث قام بعملية تقديس هرون وبنيه لهذه الرتبة قبل قيام كهنوتهم كما رأينا فى (لا ٨) . إذاً لا يمكن أن تكون المقابلة بين المسيح وموسى متعلقة بكونه كاهناً . وحيث أن الوظيفة الأخرى التى نسبها الرسول إلى المسيح فى الآية السابقة هى وظيفة النبوة تحت لقب « رسول » كما رأينا ، فلابد أن تكون المقابلة بينهما من جهة هذه الوظيفة التى لا يشك أحد فى نسبتها إلى موسى بشهادة الكتاب . فهو كليم الله . لأن الله كان يتكلم معه فماً إلى فم ، وعياناً ، لا بالألغاز ، وكان يعاين شبه الرب (عد ١٢ : ٨) . فكان هو من هذا القبيل رسول الله إلى شعب إسرائيل يعلن لهم إرادته . فعلى يده أعطى لهم الناموس الأدبى — الوصايا العشر ناموس الحياة الشخصية — والناموس الطقسى — ناموس التعبد فى بيت الله — والناموس المدنى — ناموس الهيئة الاجتماعية — فقد كان موقفه أمام الله لأجل الشعب يعلمهم الفرائض والشرائع والأحكام ويعرفهم الطريق الذى يسلكونه والعمل الذى يعملونه (خر ١٨ : ١٩ و ٢٠) .

« كما كان موسى » هكذا كان المسيح :

(١) « فى كل بيته » وضمير الهاء فى « بيته » إذا عاد إلى الأقرب يكون عوده إلى موسى ويكون البيت بيت موسى . ولكن القرينة مع صيغة الكلام تعود بنا إلى الله المشار إليه بالقول « الذى أقامه » وهذا يثبته قول الله نفسه عن موسى « وأما عبدى موسى . . هو أمين فى كل بيتى » (عد ١٢ : ٧) أى بيت الله . وبيت الله هذا هو « بيت إسرائيل » (أع ٢ : ٣٦) أى شعب الله الذى خصصه لذاته . « لأن قسم الرب هو شعبه ، يعقوب حبل نصيبه » (تث ٣٢ : ٩) ، ليسكن فيه . كما قال « أسكن فى وسط بنى إسرائيل إلى الأبد » (حز ٤٣ : ٧ ، انظر أيضاً تفسير عد ٣ و ٦) .

٢ — « أميناً للذى أقامه » أى أن الله أقامه « أميناً » فى بيته أى وكيلا فيه . وقد أشار اليهود إلى هذا المقام فى أغانيهم التعبدية التى كانوا يتغنون بها يوم السبت المقدس ، حيث جاء فيها عنه ، عبداً أميناً دعوته ، تاج بهاء وضعت على رأسه ، حيث وقف لديك على جبل سيناء ، ونزل بيده لوحا الحجر مكتوب فيهما تقديس السبت ،الخ . وهذا يؤيده قول الله الذى ذكرناه عن موسى « أمين فى كل بيتى » .

على أن موسى لم يكن « أميناً » باعتبار كون الله أقامه وكيلا مؤتمناً فقط ، بل أيضاً باعتبار أنه هو نفسه كان أميناً فى تأدية خدمته وفى حساب وكالته كما تعنيه أيضاً كلمة « أميناً » ، فمع أنه فشل أحياناً فى إيمانه (عد ٢٠ : ١٠ — ١٢) « وفرط بشفتيه » (مز ١٠٦ : ٣٣) حتى حرم من دخول أرض الموعد (تث ١ : ٣٧) ولكن هـذا لا يطعن فى أمانته كرسول الله إلى الشعب ، وكسفيره بينهم ، فى تبليغ رسالة الحق السموى وتوصيل إعلانه إليهم حسب كل ما أمره به الرب بدقة وأمانة .

هذا هو مقام موسى فى بيت الرب (أى شعبه) فى العهد القديم وهو ذات مقام المسيح فى بيت الرب فى العهد الجديد باعتبار أن كلا منهما رسول من الله له رتبة الرياسة والإدارة فى بيته .

فالمقابلة إذاً هنا هى مقابلة بين العهد القديم الذى رسوله أى نبيه موسى ، بين العهد الجديد الذى رسوله أى نبيه المسيح الذى أقامه الله فى كل بيته « أميناً » ـ وكيلا

مؤتمناً — إذ عينه قبل تأسيس العالم ، معلناً إياه فى مواعيده المقدسة لجميع الجزائر ولكل الأمم فى القول « الرب من البطن دعانى ، وجعل فى كسيف حاد ، وقال لى أنت عبدى إسرائيل الذى به أتمجد . قليل أن تكون لى عبداً لإقامة أسباط يعقوب وردّ محفوظى إسرائيل . فقدجعلتك نوراً للأمم لتكون خلاصى إلى أقصى الأرض » (إش ٤٩ : ١ — ٦) . وإذ أرسله متمماً مواعيده قال عنه لسكان الأرض بصوت مسموع جلى : هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت له اسمعوا » (مت ١٧ : ٥ ومر ٩ : ٧ ولو ٩ : ٣٥ . انظر إش ٤٢ : ١ — ٤) .

إذا سمعنا هذا الصوت ، ورأينا تلك السحابة البيضاء التى جاء منها هذا الصوت ، ورأيناها وقد أخذت موسى مع إيليا فلم يبق إلا يسوع وحده ، ندرك إدراكاً كلياً أن يسوع هذا هو الذى تكلم عنه موسى .ووافقه الأنبياء فى قوله : « نبياً مثلى سيقيم لكم الرب إلهكم من اخوتكم له تسمعون » (تث ١٨ : ١٥ و ١٨) . وفى ذات الوقت تحقق أنه فوق موسى وجميع الأنبياء ، فلا يجوز أن نقول له « لك واحدة ولموسى واحدة ولإيليا واحدة » مساوين إياه بأى منهم . فهو وحده لا سواه موضوع موسى والأنبياء .

وكما رأينا المسيح « أميناً » ككاهن (٢ : ١٧) نراه الآن « أميناً » كنبى ورسول فى كل بيت الله ، وليس أدل على أمانته — من هذا القبيل — من تصريحاته الصادقة فى قوله : « طعامى أن أعمل مشيئة الذى أرسلنى وأتمم عمله » (يو ٤ : ٣٤) « لأنى فى كل حين أفعل ما يرضيه » (يو ٨ : ٢٩) « لأجل هذا أتيت إلى هذه الساعة . أيها الآب مجد اسمك » (يو ١٢ : ٢٧ و ٢٨) . « أنا مجدتك على الأرض . العمل الذى أعطيتنى لأعمل قد أكملته » (يو ١٧ : ٤ الخ) .

عد ٣ — ٦ ، « أكثر من موسى » ، فإن هذا قد حسب أهلا لمجد أكثر من موسى بمقدار ما لبانى البيت من كرامة أكثر من البيت . لأن كل بيت يبنيه إنسان ما . ولكن بانى الكل هو الله . وموسى كان أميناً فى كل بيته كخادم شهادة للعتيد أن يتكلم به : وأما المسيح فكابن على بيته وبيته نحن إن تمسكنا بثقة الرجاء وافتخاره ثابتة إلى النهاية » .

فى هذا الفصل نجد الرسول يقرر حقيقة عظمة المسيح على موسى فى الجزء الأول من (عد ٣) . ويدلى بالبرهان فى تقرير هذه الحقيقة فى باقى الفصل . مع الملاحظة أن هذه الحقيقة المقررة بين المسيح وموسى مرتبطة بعلاقتهما ببيت الله كما سبقت الإشارة فى (عد ٢) . وكما سترى فى هذا الفصل الذى لا تخلو آية من كل آياته من لفظ هـــذا البيت ، الذى بالنسبة إليه يبرهن الرسول سمو المسيح على موسى من نقطتين جوهريتين :

إحداهما : أن المسيح هو بانى هذا البيت بينما موسى ليس إلا جزءاً منه (عد٣ و ٤) .

ثانيهما : أن المسيح هو ابن على هذا البيت بينما موسى ليس إلا خادماً فيه يؤدى شهادة عن هذا الابن (عد ٥ و ٦) .

عد ٣ ، **«فإن هذا قد حسب أهلا لمجد أكثر من موسى »** . فى هذه الآية يسلم الرسول لموسى بمجد ، ويقرر سمو المسيح عليه فى هذا المجد .

١ — المجد المسلم به لموسى . والإشارة فيه إلى أهلية فى موسى تستحق مجداً ، كما إلى مجد له ، ذاع صيته . وفى الحالين معاً نرى شخصاً **« أهلا لمجد »** . وقد برز هـــذا المجد وتلك الأهلية بالنسبة لموسى فى خدمة العهد القديم التى أشار إليها الرسول بقوله : « إن كانت خدمة الموت المنقوشة بأحرف فى حجارة قد حصلت فى مجد ، حتى لم يقدر بنو إسرائيل أن ينظروا إلى وجه موسى » (٢كو ٣ : ٧) . حيث الإشارة إلى المجد الذى ألقاه الرب على موسى عندما دعاه ليصعد إليه فوق الجبل ، فبقى أياماً فى حضرته وتكلم معه وجهاً لوجه وجعله يعاين شبه الرب ، حتى صار جلد وجهه يلمع من بهاء مجد الرب عليه حيث أعطاه الناموس مكتوباً على لوحين من حجر باصبع الله نفسه . وإذ حصلت تلك الخدمة فى مجد صار لبنى إسرائيل بواسطتها « المجد » (رو ٩ : ٤) إذ أصبحوا بيت الله مبنياً ، ومجد الرب فى وسطهم ، بفضل تلك الخدمة . وإذا أضفنا إلى ذلك أمانته فى هذه الخدمة يزداد أمامنا بهاء ذلك المجد أدبياً . وإذا ذكرنا التمجيد الذى له فى قلوب البشر بالنسبة لهذه الخدمة يتلألأ أمامنا سناء ذلك المجد تاريخياً . لقد حسب موسى أهلا لهذا المجد إذ أقامه الله فى كل بيته وحسبه أميناً للخدمة فيه .

(٢) سمو المسيح على موسى فى هذا المجـد « **فإن هذا قد حسب أهلا لمجد أكثر من موسى** » . الكلمة « هـذا » تشير إلى الشخص المعهود موضوعاً للكلام وهو « المسيح يسوع » المذكور فى آخر (عد ١) . هذا هو الذى « **حسب أهلا لمجد أكثر من موسى** » فإذا وضعنا أمامنا كل ما قيل عن مجد موسى وما يمكن أن يقال عنه فى كل الكتاب ، وفى كل الأجيال ، وأضفنا إليه كل ما تعنيه كلمة « **أكثر** » مبرهناً عليه فى باقى الأعداد ، يتجلى أمامنا مجد « **هذا** » . فإن كانت خدمة الموت قد حصلت فى مجد ، فكيف لا تكون بالأولى خدمة الروح فى مجد . لأنه ان كانت خدمة الدينونة ، أى الناموس ، مجداً ، فبالأولى كثيراً تزيد خدمة البر ، أى الإنجيل ، فى مجد . فان الممجد ، أى يسوع ، أيضاً لم يمجد من هذا القبيل ، أى كما تمجد موسى ، لسبب المجد الفائق ، الذى له فى شخصه العجيب . لأنه إن كان الزائل فى مجد فبالأولى كثيراً يكون الدائم فى مجد (٢ كو ٣ : ٧ — ١١ ، انظر ما قيل عن الكرامة فى باقى هذا العدد) .

هذا يأتى بنا إلى نقطتى الاستدلال على سمو مجد المسيح على موسى فى : —

عد ٣ و ٤ : كون المسيح بانى البيت . أما موسى فجزء من هذا البيت باعتباره واحداً منه ، ولو كان أميناً فيه . وهذا مبين فى القول « **بمقدار ما لبانى البيت من كرامة أكثر من البيت . لأن كل بيت يبنيه إنسان ما ولكن بانى الكل هو الله** » .

فى هذه الكلمات يقرر الرسول ثلاث قضايا أساسية : القضية الأولى أن لبانى البيت كرامة أكثر من البيت متضمنة فى الجزء الباقى من (عد ٣) . القضية الثانية أن كل بيت يبنيه إنسان ما . القضية الثالثة أن بانى الكل هو الله . وهاتان القضيتان متضمنتان فى (عد ٤) .

عد ٣ ، « **بمقدار ما لبانى البيت من كرامة أكثر من البيت** » . فى هذه الجملة تتضمن القضية الأولى الأساسية وعلى أساسها تبنى ثلاثة استنتاجات ماسة بعلاقة هذه القضية بقرينة الكلام ، وهى :— أولا أن المسيح بانى البيت . ثانياً أن موسى جزء من هذا البيت . ثالثاً ، وهو بيت القصيد ، أن للمسيح كرامة أكثر من موسى . فلنتقدم إلى بحث هذه الاستنتاجات الثلاثة لتقرير هذه القضية الأساسية المتعلقة ببانى البيت وكرامته :

أولا — المسيح بانى البيت . وفيه نبحث عن البيت ، — وبنيانه ، — وبانيه ،

١ — « البيت » وقد يكون بيتاً طبيعياً وهو ما يعبر عنه بالعائلة أو المنزل ، وُيبنى بأهله . ولذلك كان اشتقاق كلمتى « ابن » و « بنت » عربياً وعبرياً من الأصل « بنى » وهذا معنى ما جاء فى (را ٤ : ١١) ، حيث قال جميع الشعب الذين فى الباب لبوعز عن راعوث « نحن شهود . فليجعل الرب المرأة الداخلة إلى بيتك كراحيل وكليئة اللتين بنتا بيت إسرائيل » . وقد يكون بيتاً اصطناعياً وهو ما يبنى لأجل السكن فيه . وهذا هو المقصود فى الآية على سبيل الاستعارة . وفيه تلميح إلى بيت أدبى وروحى ، وبعبارة أخرى ، إلى مسكن هو قدس لله نفسه . وهذا هو ما قيل عن كنيسته فى (أف ٢ : ٢٠ — ٢٢ ، ١ تى ٣ : ١٥ ، ٢ تى٢ : ٢٠ ، ١ بط٢ : ٥) وهكذا كانت خيمة موسى وهيكل سليمان فى العهد القديم باعتبار أنهما رمزان لكنيسة الله الحى ، مسكنه المقدس ، بيته الروحى ، الذى لا يحده زمان خاص ، ولا مكان معين ، فهو ليس بناء مادياً فى مكان معين ، ولا ازمان محدود ، فلا هو الخيمة فى البرية ، ولا هو الهيكل فى أورشليم ، ولا هو أى بناء يقام فى أى مكان . كما أنه ليس بناء روحياً جزئياً فى عصر من العصور ، أو تحت نظام من الأنظمة المتعلقة بذلك العصر فى شكل هذه العبادة أو تلك .فليس هو النظام الموسوى ، ولا هو النظام المسيحى ، بل كنيسة الله فى كل العصور والأمكنة منذ تأسيس العالم إلى نهايته فى نظامها الإلهى العام ، وفى عبادتها الروحية ، وحياتها السماوية الأبدية ، فى جميع المؤمنين وجماعة الأنبياء والرسل أجمعين ، وبينهم موسى كليم الله الأمين .

(٢) البنيان : وهذا يستلزم وضع التصميم (المثال) ، وإعداد المواد وتركيب البناء ، وإعداد البيت للسكن . وإذا رجعنا إلى خيمة موسى وإلى هيكل سليمان نجد هذه الأمور واضحة تمثيلا . حيث نرى :

(أ) التصميم (المثال) فى قول الرب لموسى : « فيصنعون لى مقدساً لأسكن فى وسطهم . بحسب جميع ما أنا أريك من مثال المسكن ومثال جميع آنيته هكذا تصنعون » (خر ٢٥ : ٨ و ٩) وقد تبين المثال المشار إليه فى (ص ٢٥ — ٣٠) . وعندنا قول

داود لابنه سليمان : « قد أفهمنى الرب كل ذلك بالكتابة بيده على أى كل أشغال المثال » (١ أى ٢٨ : ١٩ اقرأ من عد ١١) . على هذا القياس وضع مثال كنيسة العلى فى مجلس الشورى السماوى قبل كل الدهور وسُلم للخدام ليبنوا تلك الكنيسة بحسب ذلك المثال الذى وضع .

(ب) المواد وتركيب البناء . هكذا أعد موسى المواد وأقام بناء الخيمة (خر ٣٥ — ٤٠) وهكذا فعل داود وسليمان فى إقامة الهيكل (١ أى ٢٩ — ٢ أى ٥ : ١) وهكذا تم فى « بنيان جسد المسيح » (أف ٤ : ١٣) الذى يشار إليه رمزياً بالخيمة والهيكل . أما المواد التى منها يبنى هذا الجسد ، الكنيسة ، فيلزم أن تكون حجارة حية (١ بط ٢ : ٥) ، أما البنيان ذاته فيجب أن يكون بنياناً فى الروح ينمو هيكلا مقدساً فى الرب (أف ٢ : ٢١ و ٢٢) .

(ج) إعداد البيت للسكن . هكذا فعل موسى ، إذ بعد أن بنى البيت أدخل إليه كل آنيته ووضعها فيه بحسب ترتيب معين ، وإذ أكمل العمل وأعد المكان ، غطت السحابة خيمة الاجتماع وملأ بهاء الرب المسكن وسكن الرب فى بيته (خر ٤٠ : ٣٣ — ٣٥) . وهكذا حدث فى الهيكل فبعد أن كمل العمل ودشن سليمان البيت ملأه مجد الرب (٢ أى ٧ : ١ — ٣) . فالخيمة والهيكل لم يكونا إلا مسكناً لله حيث يسكن فى وسط شعبه ولهذا أقيما . وما الكنيسة إلا بناء الله الذى أقامه لسكنه « لأن الرب اختار صهيون اشتهاها مسكناً له ، هذه هى راحتى إلى الأبد ، ههنا أسكن لأنى اشتهيتها » (مز ١٣٢ : ١٣ و ١٤) هذا هو « جبل صهيون ، مدينة الله الحى ، أورشليم السماوية » (عب ١٢ : ٢٢) . هذه هى المدينة المقدسة أورشليم الجديدة النازلة من السماء من عند الله مهيأة كعروس مزينة لرجلها . التى يقال عنها « هوذا مسكن الله مع الناس ، وهو سيسكن معهم ، وهم يكونون له شعباً والله نفسه يكون معهم إلهاً لهم » (رؤ ٢١ : ٢ و ٣) .

٣ — « بانى البيت » : قد رأينا أن موسى بنى الخيمة ، وأن سليمان بنى الهيكل ، وقد رأينا أن البيت المقصود ليس هو هذا ، ولا تلك ، بل هو بيت الله الروحى . فمن

هو باني هذا البيت ؟ أيمكن أن يكون موسى ؟ إن موسى لم يبن فقط خيمة الاجتماع مسكناً لله ولكن يمكن أن يقال عنه أيضاً أنه بناء فى بيت الله بالمعنى الذى قاله الرسول عن نفسه وعن غيره « حسب نعمة الله المعطاة لى كبناء حكيم وضعت أساساً وآخر يبنى عليه » (١ كو ٣ : ١٠) . فالخدام بهذا المعنى بناؤون فى بيت الله . وهذا ينطبق بمعنى كبير جداً على موسى ، فهو مؤسس بيت الله وبانيه فى العهد القديم حيث أقام الخيمة ، كما رأينا ، مسكناً لله وبيتاً للعبادة بكل ما فيه من آنية مجيدة ونظم بهية . كما أنه واضع الطقوس والفرائض والأحكام المتعلقة بالعبادة ، والناموس الأدبى الخاص بالحياة الإلهية . ألم يقل عنه العهد الجديد « الناموس بموسى أعطى » ؟ (يو ١ : ١٧) . وقد قال عنه المسيح نفسه « إن موسى أذن لكم » (مت ١٩ : ٨) ، وقد اعتبره اليهود أعظم مشترع فى العالم ، وافتخروا بأن جعلوا أنفسهم تلاميذ له (يو ٩ : ٢٨) . على أن موسى بناء حكيم فى بيت الله ، مثل سائر خدام الله ، « كخادم » يقوم بجزء محدود فى دور معين كما يقوم كل خادم فى دوره للخدمة فى هذا البيت العظيم (انظر تفسير عد ٥) . أما بانى البيت فلابد أن يكون هو رب كل الأدوار ، العامل فى كل العصور ، قبل موسى ومدى الدهور . هذا هو الذى وضع مثال الكنيسة فى مجلس الشورى السماوى أزلا ، لأنه هو الابن الوحيد فى حضن أبيه (يو ١ : ١٨) ، وهو الحكمة ممسوحاً منذ الأزل ، منذ البدء ، منذ أوائل الأرض ، وكان عنده صانعاً (أم ٨ : ١٢ — ٣١) ، هو الذى فيه تم قصد الدهور وأنير السر المكتوم بعد أن أخفى عن عيون الملائكة والبشر وقتاً (أف ٣ : ٩ — ١١) ، وعندما جاء إلى الأرض أظهر هذا المثال أمام عيون تلاميذه لبنيان الكنيسة على أساس الإيمان الذى نطق به بطرس قائلا « أنت هو المسيح ابن الله الحى » فأجابه « وعلى هذه الصخرة أبنى كنيستى » (مت ١٦ : ١٦ و ١٨) وبحياته وتعليمه وموته ، وضع مثال الخدمة أمام تلاميذه ثم أرسلهم قائلا : « اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم ، وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس ، وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به . وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر آمين » (مت ٢٨ : ١٩ و ٢٠) . بل هو الذى أعد المواد التى منها تبنى الكنيسة ، تلك الحجارة الحية التى اقتطعها من جبلة الطين الفاسدة ، إذ بذل نفسه « لكى يفدينا من كل إثم

ويظهر لنفسه شعباً خاصاً غيوراً فى أعمال حسنة » (تى ٢ : ١٤) « ونحن أموات بالخطايا أحياناً » (أف ٢ : ٥ ، كو ٢ : ١٣) وكما أنه فى إعداد المواد للخيمة وللهيكل « جاء كل من أنهضه قلبه وكل من سمحته روحه ، جاءوا بتقدمة الرب » (خر ٣٥ : ٢١–٢٩) « وفرح الشعب بانتدابهم لأنهم بقلب كامل انتدبوا للرب » (١ أى ٢٩ : ١ – ١٩) ، هكذا فعلت نعمة المسيح فى قلوب هذه الحجارة الحية فأعطوا أنفسهم للرب ولخدامه (٢ كو ٨ : ١ – ٥) فصاروا لفاديهم شعباً منتدباً فى يوم قوته (مز ١١٠ : ٣) وقدموا أجسادهم ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله (رو ١٢ : ١) . وفى إقامة البناء ، هو الأساس الذى وضع ، ولا يستطيع أحد أن يضع أساساً آخر غيره (١ كو ٣ : ١١) . وهو « نفسه حجر الزاوية الذى فيه كل البناء مركباً معاً ينمو هيكلا مقدساً فى الرب . الذى فيه أنتم أيضاً مبنيون معاً مسكناً لله فى الروح » (أف ٢ : ٢٠ – ٢٢) . « وهو الرأس المسيح الذى منه كل الجسد مركباً معاً ومقترناً بمؤازرة كل مفصل حسب عمل على قياس كل جزء يحصل نمو الجسد لبنيانه فى المحبة (أف ٤ : ١٥ و ١٦) . وكما أقيم رجال لبناء البيت قديماً كبصلئيل وأهولياب وكل رجل حكيم القلب قد جعل الرب حكمة فى قلبه ، كل من أنهضه قلبه أن يتقدم إلى العمل ليصنعه (خر ٣٦ : ٢) هكذا المسيح « إذ صعد إلى العلاء سبى سبياً وأعطى الناس عطايا . وهو أعطى البعض أن يكونوا رسلا والبعض أنبياء والبعض مبشرين والبعض رعاة ومعلمين لأجل تكميل القديسين لعمل الخدمة لبنيان جسد المسيح إلى أن ننتهى جميعنا إلى وحدانية الإيمان ، ومعرفة ابن الله ، إلى انسان كامل ، إلى قياس قامة ملء المسيح » (أف ٤ : ٨ – ١٣) ، بل هو الذى بعد أن أكمل البيت أعده ليكون مسكناً لله . فبعد أن كمل بيت الله قديماً سواء أكانت الخيمة أم الهيكل ، تكرس لسكن الله بطريقتين إحداهما طريقة التكريس بالدم وقد أشار إليها الرسول فى (عب ٩ : ١٨ – ٢١) ، والأخرى طريقة التكريس بدهن المسحة (خر ٤٠ : ٩ – ١٥) . وهذا ما فعله المسيح فى كنيسته التى هى بناؤه ليكرسها مسكناً لله فى الروح . فإنه « بدم رش يتكلم أفضل من هابيل » (عب ١٢ : ٢٤) جعل للمؤمنين قلوباً مرشوشة من ضمير شرير وأجساداً مغتسلة بماء نقى (عب ١٠ : ٢٢) ، وصيرهم كنيسة مجيدة لا دنس فيها ولا غضن أو شىء من مثل ذلك ،

بل مقدسة وبلا عيب (أف ٥ : ٢٧) . وحسب وعده بأن يرسل إليهم المعزى ، روح الحق ، (يو ١٦ : ٧ – ١٤) أرسله إليهم مسحة من القدوس (١ يو ٢ : ٢٠ و ٢٧) مؤيداً إياهم بالقوة بروحه فى الانسان الباطن (أف٣ : ١٦) .

ثانياً : موسى جزء من البيت . قد رأينا فى الاستنتاج الأول ما يجعل البيت وبنيانه فوق مقدور موسى وجميع الأنبياء والرسل ولو أنهم بناؤون فى دائرة ما بحسب الفكر الذى تبيناه ، وأنه لا يمكن أن يكون غير المسيح بناء لهذا البيت باعتبار ما وضح من الآية التى تؤكد لنا أن المسيح « حسب أهلا لمجد أكثر من موسى بمقدار ما لبانى البيت من كرامة أكثر من البيت » . فتكون المقابلة بين المسيح وموسى باعتبار أن الأول بانى البيت ، الذى الثانى جزء منه . فبأى معنى يكون موسى جزءاً من البيت ؟ هـذا يتضح لنا من العلاقات المتنوعة التى ذكرها الكتاب لاعلان النسبة بين هذا البيت وبين المسيح بانيه . فقد أشرنا فى كلامنا السابق إلى كون هذا البيت جسدا رأسه المسيح ، فيكون موسى وجميع المؤمنين أعضاء فى هذا الجسد . وإذا نظرنا إلى المسيح ككرمة (يو ١٥ : ١ – ٨) ، كان موسى وسائر أهل هذا البيت أغصاناً فى هذه الكرمة . وإذا اعتبرنا المسيح ملكاً ، كان موسى وجميع القديسين رعية وهم أهل بيت الله (أف ٢ : ١٩) وقس على ذلك . أما مركز موسى كخادم فى هذا البيت فسنراه فى تفسير (عد ٥) .

ثالثاً : للمسيح كرامة أكثر من موسى . وهذا أيضاً مبنى على كون المسيح بانى البيت وموسى جزء من البيت وأن لبانى البيت كرامة أكثر من البيت . وهذا يدعونا إلى بحث أمرين ضروريين : أحدهما التحقق من الأمر المقرر « أن لبانى البيت كرامة أكثر من البيت » ، وثانيهما تحقيق علاقة هذه الكرامة ببانى البيت .

(١) حقيقة كون لبانى البيت كرامة أكثر من البيت . وهى حقيقة طبيعية لأن العقل المفكر أفضل من الفكر الذى يفتكره ، والقوة المخترعة أفضل من أى اختراع تخترعه مهما كان نفعه الذى يعود إليها طبعاً . فميخائيل انجلو يستحق كرامة أفضل من تمثال القديس بطرس فى رومية ، والسر خريستوفر رن يستحق كرامة أكثر من تمثال

القديس بولس فى لندن. وقس على ذلك ما لبانى البيت من كرامة أكثر من البيت. فذلك العقل الذى وضع تلك المجهودات التى أقامت البناء ، وذلك المال الذى أنفق فى تأسيسه وبنيانه وتأثيثه . كل هذه ترينا فضل بانى البيت على البيت . على هذا القياس تكرم الكنيسة مؤسسها وبانيها ومؤثثها . وتقدم له عبادتها لأنه اقتناها بدمه . أمامه يخر الأربعة والعشرون شيخاً ، ويسجدون ، ويطرحون أكاليلهم أمام العرش قائلين « أنت مستحق أيها الرب أن تأخذ المجد والكرامة والقدرة لأنك أنت خلقت كل الأشياء وهى بارادتك كائنة وخلقت » بل « مستحق هو الخروف المذبوح أن يأخذ القدرة والغنى والحكمة والقوة والكرامة والمجد والبركة » (رؤ ٤ : ١٠و ١١ ، ٥ : ١٢) .

(٢) على أن كرامة البانى أيضاً متعلقة بالبيت . فبمقدار ما فى قطعة الفن الجميلة من روعة الجمال ورقة الحسن ، يكون مقدار مجد الفنان الماهر . وبمقدار ما فى البيت من بهاء ومجد ، يزيد هذا البهاء وذلك المجد من كرامة بانى البيت . إن مجد سليمان يتعلق كثيراً بمجد الهيكل الذى بناه . على هذا القياس تكثر كرامة المسيح ويزيد مجده ويسمو بهاؤه كلما أمعنا النظر فى بهاء مجد البيت الذى بناه . أرادت قبائل الأرض بعد الطوفان أن يبنوا لأنفسهم مدينة وبرجا رأسه بالسماء لكى يصنعوا لأنفسهم اسما (تك ١١ : ١ — ٤) . وقد كان نبوخذ نصر الملك يتمشى على قصر مملكة بابل ، فنظر إلى بابل وقال : « أليست هذه بابل العظيمة التى بنيتها لبيت الملك بقوة اقتدارى ولجلال مجدى » (دا ٤ : ٢٩ و ٣٠) . فإذا ألقينا نظراً ثاقباً إلى البيت الذى بناه المسيح نراه عروس مجد وبهاء مزينة بكل أنواع الزينة والفخر ، نراه مدينة عظيمة مقدسة نازلة من السماء لها مجد الله ولمعانها شبه أكرم حجر كحجر يشب وأساساته مزينة بكل حجر كريم وأبوابها لؤلؤية وسوقها ذهب نقى كزجاج شفاف شمسها لا تغيب وقمرها لا ينقص لأن الرب نورها الأبدى والهها زينتها الكاملة (اقرأ رؤ ٢١ وإش ٦٠) . حقاً « قد قيل بك أمجاد يا مدينة الله » (مز ٨٧ : ٣) . فإن كانت هذه أمجاد البيت فكم تكون أمجاد بانيه .

عد ٤ . **« لأن كل بيت يبنيه إنسان ما ولكن بانى الكل هو الله »** . فى هذه الآية تتضمن القضيتان الثانية والثالثة . وهما واضحتان فى ذاتيهما لا تحتاجان إلى شرح

أو بيان ، سواء أكان من جهة اللفظ أو من جهة المعنى . ولكن علاقة الآية بقرينة الكلام وموضوعه غامضة خفية . فإننا إذا حذفناها من النص وقرأنا العدد الخامس بعد العدد الثالث مباشرة ، نرى كأننا لم نخسر شيئاً بحذفها وأن المعنى لم يختل بسببه . فلا يمكن أن يكون قصد الرسول فى هذه الآية مجرد وضع هاتين القضيتين المسلم بهما أمام نظرنا ، بل لابد أن يكون لها عنده مناسبة جوهرية فى طريق استدلاله وأن تكونا عاملين قويين فى إقامة الدليل المقصود .

أما القضية الأولى فيظهر أنها لترينا أنه لا منافاة بين كون المسيح كموسى مقاماً فى بيت الله كما جاء فى (عد ٢) ، وبين كونه هو ذاته بانى ذلك البيت كما جاء فى (عد ٣) فإنه لابد لكل بيت من أن يبنيه إنسان ما . فكما أن بيت الله فى العهد القديم بناه موسى ، وهو أمين فيه ، هكذا بيت الله فى العهد الجديد بناه المسيح وهو أمين فيه .

أما القضية الثانية فيظهر أنها لترينا أنه وإن كان موسى قد بنى البيت فى العهد القديم ، وإن كان المسيح قد بنى البيت فى العهد الجديد فإن بانى الكل ، فى القديم ، وفى الجديد ، هو الله الذى أقام المسيح كما أقام موسى فى كل بيتـــه . فهو العامل الأصلى الذى تحت يده وبأمره وبقوة روحه يقوم موسى ، كما يقوم المسيح ، كل منهما لإتمام العمل الموكول إليه منه .

على أنه بعد كل ذلك يعترضنا أمر العلاقة بالقرينة فلا ننسى أن الرسول لا يزال فى سياق كلامه فى موضوع سمو المسيح على موسى من هذا القبيل كما هو واضح فى العدد السابق وفى العدد اللاحق . فهل العلاقة بما سبق ؟ أو بما يلحق ؟ أو بكليهما ؟ هذا كله يتضح لنا إذا تحققنا أن الرسول فى هذه الرسالة يعود بنا فى كل مواقفه إلى إلهية المسيح ليبين سمو مقامه على الذين يقابل بينه وبينهم فلابد أن يكون سير البرهان هنا بهذه الكيفية وهى : —

« **بانى الكل هو الله** » . **المسيح هو الله** . إذاً المسيح ، وهو أمين فى بيت الله ، وبانى بيت الله فى العهد الجديد ، هو أيضاً بانى الكل قديماً وجديداً باعتبار أنه الله الذى اقتنى كنيسته بدمه (أع ٢٠ : ٢٨) وهذا ما سيتبين أيضاً بأكثر وضوح فى : —

عد ٥ و ٦ : المسيح ابن على بيته أما موسى فخادم شهادة له . « **وموسى كان أميناً فى كل بيته كخادم شهادة للعتيد أن يتكلم به . وأما المسيح فكابن على بيته . وبيته نحن إن تمسكنا بثقة الرجاء وافتخاره ثابتة إلى النهاية** » . فى هاتين الآيتين لنا الاستدلال الثانى فى موضوع سمو المسيح على موسى وقد رأينا الاستدلال الأول فى (عد ٣ و ٤) كون المسيح بانى البيت بينما موسى جزء منه . أما هـذا الاستدلال الثانى فهو كون المسيح ابن على البيت بينما موسى خادم فيه . حيث يظهر سمو المسيح فى نقطتين :

إحداهما أنه ابن ، أمام موسى فخادم .

وثانيهما أنه ابن على ، أما موسى فخادم فى . والنقطتان مرتبطتان معاً بكون كل منهما أميناً فى علاقته بالبيت . وحيث أن العدد الخامس يتكلم عن موسى . والعـدد السادس يتكلم عن المسيح ، فلنفحص كل عدد على حدته مع مراعاة نقطة الارتباط بينهما :

عد ٥ : « **وموسى كان أميناً فى كل بيته كخادم شهادة للعتيد أن يتكلم به** » ترجع بنا هذه الآية إلى ما قيل عن موسى فى سياق الكلام فى (عد ٢) وترينا علاقته ببيت الله كخادم فيه ، وتبين لنا أيضاً الغرض الأسمى من تلك الخدمة :

(١) خدمة موسى فى بيت الله . « **وموسى كان أميناً فى كل بيته كخادم** » وقد مر بنا القول « فى كل بيته » (فى عد ٢) وأوضحنا كون الضمير فيه يعود إلى الله ، فهو بيت الله . ولو أردنا أن يعود الضمير إلى موسى ليكون بيت موسى ، لا يكون ذلك إلا باعتبار أنه البيت الذى يخدم فيه موسى . وهذا لا ينفى كونه بيت الله الذى أقام فيه موسى خادماً كما رأينا فى (عد ١٢ : ٧) . وقد مر بنا أيضاً القول « **كان أميناً** » فى (عد ٢) وأوضحنا فيه معنى الوكالة ، والأمانة فى الوكالة . حيث « يسأل فى الوكلاء لكى يوجد الإنسان أميناً » (١كو ٤ : ٢) « فمن هو الوكيل الأمين الحكيم الذى يقيمه سيده على خدمه ليعطيهم العلوفة فى حينها » ؟ (لو ١٢ : ٤٢) .

بقى علينا أن نرى موسى « **كخادم** » وهو لقب فى ظاهره حقير ولكنه فى باطنه شريف رفيع : (١) بالنسبة لأصل الكلمة المستعملة للدلالة عليها ، حيث نجد بعد البحث

أنها كلمة مختارة من بين رفيقاتها مفضلة عليهن لما تحويه من الدلالة على مقام الموظف السامى ، القائم فى المركز الرفيع ، المهيمن على الأعمال الشريفة . (٢) يزداد شرف هذا المقام نظراً إلى المركز فى ذاته فهو خادم فى بيت الله ، ومهيمن على أعمال بيت الله ، وأى شرف أعظم من أن يلقب بالقول « موسى عبدى » ؟ (٣) يزداد المقام شرفاً إذا تحققنا أنه خادم فى « كل » بيت الله . وفى هذا هو فوق كل خدام الله فى بيته فى العهد القديم ، حيث قام كل منهم بجزء معين فى خدمة البيت المذكور . أما هو فعلى يده رتب الله ونظم كل شىء لكل الأجيال موضوعاً إلى « وقت الاصلاح » (عب ٩ : ١٠) . فكان على « كل » البيت . وهذا يعلن مجد موسى الذى سنرى أنه لا شىء أمام مجد المسيح .

٢ — الغرض الجوهرى من خدمة موسى فى بيت الله « **شهادة للعتيد أن يتكلم به** » فقد أقيم موسى : (١) ليؤدى « **شهادة** » . وهذا هو عمل كل خادم فى بيت الله كما قيل عن يوحنا المعمدان « هذا جاء للشهادة ليشهد » (يو ١ : ٧) وهذا هو معنى قوله هو عن نفسه « أنا صوت صارخ فى البرية » (يو ١ : ٢٣ انظر اش ٤٠ : ٣) . وهذه هى وظيفة جميع المتكلمين عن الله كما قال الله لشعبه قديماً « أنتم شهودى » (إش ٤٣ : ١٠ و ٤٤ : ٨) ، وكما قال المسيح لرسله « وتكونون لى شهوداً » (أع ١ : ٨) فكل خدمة بيت الله شهادة ، وكل خادم شاهد ، وكل شاهد خادم . (٢) على أن موسى كان « **شهادة للعتيد أن يتكلم به** » . والعبارة تشير إلى أمور مستقبلة بالنسبة إلى عصر موسى ستكون موضوع الكلام فى ملء الزمان الذى يتضح من الكتاب أنه عصر الإنجيل . فهو من « الذين أعلن لهم أنهم ليس لأنفسهم بل لنا كانوا يخدمون » (١ بط ١ : ١٢) ، هو الذى أقام الخيمة لتكون مسكن الله بين الناس ، حيث يحل فى وسطهم شهادة لذاك الذى صار جسداً وحل بيننا (يو ١ : ١٤) ، وهو الذى وضع طقس الذبائح ونظام الاقتراب إلى الله شهادةً « للدخول إلى الأقداس بدم يسوع . طريقا كرسه لنا حديثاً حياً بالحجاب أى جسده » (عب ١٠ : ١٩ و ٢٠) ، هو الذى رفع الحية فى البرية شهادة لرفع ابن الانسان فوق الصليب لكى لا يهلك كل من يؤمن به (يو ٣ : ١٤ و ١٥) . أو ليس هو الذى به الناموس أعطى ؟ (يو ١ : ١٧) « وغاية

الناموس هى المسيح للبر لكل من يؤمن » (رو ١٠ : ٤) «فقد كان الناموس مؤدبنا إلى المسيح » (غل ٣ : ٢٤) فموسى فى الناموس وفى الطقوس ، فى التعليم وفى الحياة ، فى الرموز وفى الإشارات ، فى كل شىء ، كان أميناً فى كل بيت الله ، شهادة للانجيل الذى كان حينئذ عتيداً أن يتكلم به ، ولموضوع الإنجيل الذى هو موضوع الكتاب المقدس من البداية إلى النهاية .

إلى هنا انتهى الرسول من الكلام عن موسى فلا يعود يذكره إلا من باب التلميح لبعض الإشارات التاريخية التى تذكرنا به . ولا عجب فقد أخذت السحابة موسى مع إيليا ولم يبق إلا يسوع وحده فوق جبل التجلى كما سنرى فى : —

عد ٦ . **« وأما المسيح فكابن على بيته . وبيته نحن إن تمسكنا بثقة الرجاء ثابتة إلى النهاية »** فى هذه الآية مقدر القول « كان أميناً » الوارد عن موسى فى الآية السابقة. وقد مر بنا فى (عد ٢) أيضاً عن المسيح وعن موسى. فانظر تفسيره هناك . أما هنا فإننا نرى المسيح « **كابن** » بعد ما رأينا موسى « كخادم » . بل نراه **كابن على بيته** ، بعد ما رأينا موسى كخادم فى كل بيته . وفى هاتين النقطتين يتبين لنا سمو المسيح الفائق على موسى :

(١) « **كابن** » بالمقابلة مع موسى « كخادم » . وما أعظم الفرق فى البيت بين الابن والخادم ! على أنه لا يجب أن ننسى أيضاً أن موسى ، وهو خادم ، هو أيضاً ابن ، لأنه واحد من بيت إسرائيل الذين لهم « التبنى » (رو ٩ : ٤) . أو لم يقل الرب عن إسرائيل « ابنى البكر » ؟ (خر ٤ : ٢٢) أو ليس كل أتقياء الرب بنيه وبناته ؟ (إش ٤٣ : ٦) . وفى ذات الوقت لا ننسى أن المسيح ، وهو ابن ، هو أيضاً خادم ، أرسله الله ليتمم عمله وليجرى مشيئته . « هوذا عبدى الذى أعضده مختارى الذى سرت به نفسى . وضعت روحى عليه فيخرج الحق للأمم » (قابل إش ٤٢ : ١ — ٤ مع مت ١٢ : ١٧ — ٢١) . أو لم يأت المسيح لكى يتمم هذه المشيئة ؟ (قابل مز ٤٠ : ٦ — ٨ مع عب ١٠ : ٥ — ٧) . لقد كان موسى ابناً لله بالتبنى . أما المسيح فهو ابن بالولادة الأزلية كما رأينا فى الأصحاح الأول . على أن المقابلة هنا ليست من جهة هذا ولا ذاك بل بالحرى من جهة علاقة الاثنين ببيت الله ومقام كل منهما فى هذا

البيت . أحدهما «كخادم» وليس إلا ، والثانى «كابن» ولو كان خادماً . وهذا يأتى بنا إلى النقطة الثانية :

(٢) «كابن على بيته» والكلمة المركزية فى هذه النقطة هى كلمة «على» بالمقابلة مع كلمة «فى» فى الآية السابقة . وقد رأينا أن كلمة «فى» تشير إلى كون موسى واحداً من أعضاء البيت الذى يخدم فيه . أما كلمة «على» فتشير إلى مركز الرياسة والسلطان والسيادة فوق الجميع ، وهو مركز ، باعتبار الحق ، مؤسس أصلا على عظمة شخص «المسيح الكائن على الكل إلهاً مباركاً إلى الأبد» فهو بالطبيعة إله ورب ، وفى اتضاعه خادم . «لذلك رفعه الله وأعطاه اسما فوق كل اسم لكى تجثو باسمه كل ركبة ويعترف كل لسان بأنه رب» (فى ٢ : ٦ — ٩) .

بقى علينا أن نسمع الكلمة الأخيرة عن البيت ، وقد سمعنا كلمات كثيرة عنه فى هذا الفصل ؛ وهذه الكلمة الأخيرة مبنية على القول : «**وبيته نحن إن تمسكنا بثقة الرجاء وافتخاره ثابتة إلى النهاية**» حيث نرى البيت بنسبته إلى ضمير الهاء المتصل «بيته» ، وبنسبته إلى الضمير المنفصل «نحن» ، وبوصف الأساس الذى يبنى عليه :

(١) البيت منسوباً إلى الضمير المتصل «بيته» بيت من ؟ فى (عد ٢ و ٥) رأينا البيت بيت الله معتبرين القول «فى كل بيته» تعبيراً كتابياً مقتبساً من قول الله فى العهد القديم «فى كل بيتى» (عد ١٢ : ٧) : أما القول عن المسيح «فكابن على بيته وبيته نحن» فيظهر منه أنه تعبير يفتح أمامنا فكرة عن نسبة جديدة لهذا البيت حيث تساعدنا القرينة على نسبته إلى المسيح نفسه . وفى ذات الوقت ترينا المسيح فى نور جديد لمجد أكثر من موسى ، فإننا فى (عد ٢) نراه كموسى أمينا فى بيت الله . وفى (عد ٣) نراه بانياً لهذا البيت الذى موسى جزء منه . وبعد أن بنى البيت نراه فى (عد ٦) وقد صار سيد البيت وربه فيجدر بموسى والحالة هذه أن يقف أمامه قائلا ما قاله بولس : «الإله الذى أنا له والذى أعبده» (أع ٢٧ : ٢٣) . على أن كون البيت بيت المسيح لا ينفى كونه بيت الله باعتبار الوحدة بينهما كما أوضحنا فى (عد ٤) .

(٢) البيت منسوباً إلى الضمير المنفصل «وبيته **نحن**» أى أن هذا البيت هو «**نحن**» والضمير يعود إلى الرسول نفسه والعبرانيين الذين يكتب إليهم، وعلى قياسهم جميع الرسل والمؤمنين الذين يعترفون باسم المسيح ويتعبدون له حسب إنجيله، بوصف كونهم، أفراداً، حجارة حية (١ بط٢ : ٥) وجماعة، مسكناً لله فى الروح (أف ٢ : ٢٢) «أما تعلمون أنكم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم. إن كان أحد يفسد هيكل الله فسيفسده الله لأن هيكل الله مقدس الذى أنتم هو» (١ كو٣ : ١٦ و ١٧).

(٣) وصف الأساس الذى عليه يبنى البيت: «**إن تمسكنا بثقة الرجاء وافتخاره ثابتة إلى النهاية**». أهذا شرط، أو هو وصف، لكوننا بيت المسيح؟ هو شرط ووصف معاً فإنه يشترط فى أهل بيت الله الذين هم رعية مع القديسين، أن يثبتوا فى الإيمان إلى النهاية. نظراً لأن ارتدادهم عن الإيمان يصبح دليلا على أنهم ليسوا بيتاً حقيقياً مبنياً على صخر الدهور المتين. فالشرط أساس يبنى عليه الوصف. والذين تتوفر فيهم الشروط المطلوبة يوصفون بالأوصاف التى تتضمنها تلك الشروط. وعليه نكون «**نحن**» بيت المسيح إذا توفرت فينا الشروط المذكورة فى الآية لتكون وصفاً لنا. وفى هـذا الوصف أمر موضوع، وواجب مطلوب:

أ ــ الأمر الموضوع متضمن فى قوله «**ثقة الرجاء وافتخاره**». ثلاث كلمات، مركزها الرجاء تحيط به الثقة والافتخار. فالثقة «ثقة الرجاء» والافتخار «**افتخاره**» أى افتخار الرجاء. أما **الرجاء** فى ذاته فهو رجاء الحياة الأبدية، التى وعد بها الله، واشتراها يسوع المسيح، ويتوقعها المؤمنون. هذا هو «الرجاء الموضوع أمامنا، الذى هو لنا كمرساة للنفس مؤتمنة وثابتة تدخل إلى ما داخل الحجاب حيث دخل يسوع كسابق لأجلنا» (عب ٦ : ١٨ ــ ٢٠) «لأننا بالرجاء خلصنا. ولكن الرجاء المنظور ليس رجاء لأن ما ينظره أحد كيف يرجوه أيضاً. ولكن إن كنا نرجو ما ليس ننظره فإننا نتوقعه بالصبر» (رو ٨ : ٢٤ و ٢٥). على ذلك تكون **ثقة الرجاء** هى الثقة التى للمؤمن بهذا الرجاء. والكلمة المترجمة هنا «ثقة» هى ذاتها المترجمة «علانية» فى (يو ١٨ : ٢٠) وتعنى الصراحة والمجاهرة والحرية فى القول والعمل حيث ينفى كل ما فى الخفاء. وهكذا وردت فى (أع٢ : ٢٩، ٤ : ١٣ و ٢٩، ٢ كو ٣ :

١٢ ، فى ١ : ٢٠) « فثقة الرجاء » إذاً تعنى الاعتراف الصريح الجهارى ، بحرية وجرأة كاملتين ، بذلك الحق الإلهى الذى عليه يبنى رجاؤنا ، إزاء أى خطر أو أية مقاومة . عالمين أن هذا الرجاء لا يخزى (رو ٥ : ٥) . وهذا هو ما يطالبه منا بطرس الرسول ، أن نكون مستعدين دائماً لمجاوبة كل من يسألنا عن سبب الرجاء الذى فينا (١ بط ٣ : ١٥) .فان هذه المجاوبة هى تلك الثقة التى هى الاعتراف العانى بالجرأة والحرية . أما « افتخاره » أى افتخار الرجاء فهو تلك الحالة النفسية التى أشار إليها الرسول فى (رو٥ : ٢) بقوله « ونفتخر على رجاء مجد الله » فهو فخر مقدس لنفس المؤمن ، يتضمن سروره الفائق بما له من النصيب الصالح والقسمة المباركة فى تلك النعماء التى يرجوها ، والميراث الحسن الذى يتوقعه قابل (مز ١٦ : ٥ و ٦) . وفى ذات الوقت يتضمن احتقار كل شىء آخر ، والاستهزاء بكل مقاومة أو اضطهاد يحول دون حصوله على ذلك السرور الموضوع أمامه . « فثقة الرجاء وافتخاره » إذاً تعنى الاعتراف الجهارى بالحق الإلهى الذى هو إعلان مجد الله ، رغم كل مقاومة واضطهاد مع السرور القلبي والفرح المقدس بذلك المجد فى وسط كل ضيق وشدة (رو١٢ : ١٢).

ب— الواجب المطلوب : متضمن فى ثلاث كلمات أيضاً هى : — « إن تمسكنا » ، « ثابتة » ، « إلى النهاية » . وفيها كلها يتضح الواجب المطلوب إزاء « ثقة الرجاء وافتخاره » . « تمسكنا » : هذه الكلمة تشير إلى شىء فى قبضة يدنا يحاول عدو أن يخطفه منا ونحن علينا أن نقبض بقوة ، وأن نحرص بانتباه ، وأن نراقب بحذر ، لكى لا يستطيع أحد أن يأخذه منا . ولهذا ينصح المسيح قائلا : « كن ساهراً . . اذكر كيف أخذت وسمعت واحفظ وتب فانى إن لم تسهر أقدم عليك كلص ولا تعلم أية ساعة أقدم عليك . . ها أنا آتى سريعاً . تمسك بما عندك لئلا يأخذ إحد أكليلك » (رؤ ٣ : ٢ و ٣ و ١١) . « ثابتة » وهى كلمة تصف كلمة « ثقة » « إن تمسكنا بثقة الرجاء ثابتة » وقد أوضحها الرسول فى (عب ١٠ : ٢٣) فى قوله « لنتمسك بإقرار الرجاء راسخاً » فلا نكون « أطفالا مضطربين ومحمولين بكل ريح تعليم ، بحيلة الناس ، بمكر إلى مكيدة الضلال . بل صادقين فى المحبة ننمو فى كل شىء إلى ذاك الذى هو الرأس المسيح » (أف ٤ : ١٤ و ١٥) . « راسخين غير متزعزعين مكثرين فى عمل الرب

كل حين عالمين أن تعبكم ليس باطلا فى الرب » (١ كو ١٥ : ٥٨) . « إلى النهاية » أى أن يتم الغرض الذى قال فيه الرسول « أسعى نحو الغرض لأجل جعالة دعوة الله العليا فى المسيح يسوع » (فى ٣ : ١٤) . « إلى أن ننتهى . . . إلى إنسان كامل ، إلى قياس قامة ملء المسيح » (أف ٤ : ١٣) . إلى أن نقول مع الرسول فى نهاية الحياة « جاهدت الجهاد الحسن أكملت السعى . حفظت الإيمان ، وأخيراً قد وضع لى إكليل البر » (٢ تى ٤ : ٧ و ٨) .

هذا هو وصف بيت الله ، الذى هو بيت المسيح ، الذى هو « نحن » . وإن كان هذا الوصف قد ذكر هنا لأن القرينة تستلزمه كما هو واضح ، إلا أنه يمكن أن يعتبر ذكره أيضاً لغرض المقابلة مع حالة إسرائيل قديماً فى أيام موسى حيث أن الذين نجوا من مصر على يديه أظهروا أنهم ليسوا بيت الله الحقيقى ، إذ لم يثبتوا فى الإيمان ، بل فشلوا فى الرجاء ، وضعفوا أمام الجبابرة فى أرض الموعد ، وتذمروا على الله ، فأقسم فى غضبه أنهم لا يدخلون راحته ، فسقطت جثثهم فى القفر . وهذا ما سنتبينه واضحاً فى الفصل التالى .

الفصل الثاني

فصل تحذيري

(ص ٣ : ٧ – ١٩)

٧ لِذٰلِكَ كَمَا يَقُولُ ٱلرُّوحُ ٱلْقُدُسُ ٱلْيَوْمَ إِنْ سَمِعْتُمْ صَوْتَهُ
٨ فَلاَ تُقَسُّوا قُلُوبَكُمْ كَمَا فِي ٱلْإِسْخَاطِ يَوْمَ ٱلتَّجْرِبَةِ فِي ٱلْقَفْرِ ٩
حَيْثُ جَرَّبَنِي آبَاؤُكُمْ . ٱخْتَبَرُونِي وَأَبْصَرُوا أَعْمَالِي أَرْبَعِينَ سَنَةً .
١٠ لِذٰلِكَ مَقَتُّ ذٰلِكَ ٱلْجِيلَ وَقُلْتُ إِنَّهُمْ دَائِمًا يَضِلُّونَ فِي قُلُوبِهِمْ
وَلٰكِنَّهُمْ لَمْ يَعْرِفُوا سُبُلِي . ١١ حَتَّى أَقْسَمْتُ فِي غَضَبِي لَنْ
يَدْخُلُوا رَاحَتِي . ١٢ أُنْظُرُوا أَيُّهَا ٱلْإِخْوَةُ أَنْ لاَ يَكُونَ فِي
أَحَدِكُمْ قَلْبٌ شِرِّيرٌ بِعَدَمِ إِيمَانٍ فِي ٱلْاِرْتِدَادِ عَنِ ٱللهِ ٱلْحَيِّ . ١٣
بَلْ عِظُوا أَنْفُسَكُمْ كُلَّ يَوْمٍ مَا دَامَ ٱلْوَقْتُ يُدْعَى ٱلْيَوْمَ لِكَيْ
لاَ يُقَسَّى أَحَدٌ مِنْكُمْ بِغُرُورِ ٱلْخَطِيَّةِ . ١٤ لِأَنَّنَا قَدْ صِرْنَا شُرَكَاءَ
ٱلْمَسِيحِ إِنْ تَمَسَّكْنَا بِبَدَاءَةِ ٱلثِّقَةِ ثَابِتَةً إِلَى ٱلنِّهَايَةِ ١٥ إِذْ قِيلَ
ٱلْيَوْمَ إِنْ سَمِعْتُمْ صَوْتَهُ فَلاَ تُقَسُّوا قُلُوبَكُمْ كَمَا فِي ٱلْإِسْخَاطِ .
١٦ فَمَنْ هُمُ ٱلَّذِينَ إِذْ سَمِعُوا أَسْخَطُوا . أَلَيْسَ جَمِيعُ ٱلَّذِينَ
خَرَجُوا مِنْ مِصْرَ بِوَاسِطَةِ مُوسَى . ١٧ وَمَنْ مَقَتَ أَرْبَعِينَ سَنَةً .
أَلَيْسَ ٱلَّذِينَ أَخْطَأُوا ٱلَّذِينَ جُثَثُهُمْ سَقَطَتْ فِي ٱلْقَفْرِ . ١٨ وَلِمَنْ
أَقْسَمَ لَنْ يَدْخُلُوا رَاحَتَهُ إِلاَّ لِلَّذِينَ لَمْ يُطِيعُوا . ١٩ فَنَرَى أَنَّهُمْ
لَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يَدْخُلُوا لِعَدَمِ ٱلْإِيمَانِ .

بعد أن أظهر الرسول سمو المسيح على الملائكة فى الفصل الأول من الباب الأول ، عقب على ذلك بفصل تحذيرى مناسب ضمنه نصيحة عملية إزاء ذلك السمو الفائق . وهكذا فعل هنا ، فإنه بعد ما أظهر سمو المسيح على موسى فى الفصل الأول من هــذا الباب الثانى عقب بفصل تحذيرى مناسب ضمنه نصيحة عملية إزاء هذا السمو العجيب ، أهاب فيها بالقراء إلى اتقاء خطر ، هم معرضون له إذا مثلوا عصيان آبائهم ، فيحل بهم ما حل بأولئك من العواقب الوخيمة والهلاك المؤكد ، لأنه إن كان الله قد عامل العصاة فى عصر موسى بصرامة مخيفة بهذا المقدار ، فكم بالأحرى يعاقب ، بصرامة أشد ، العصاة فى عصر المسيح حال كونه « حسب أهلا لمجد أكثر من موسى » . وإن كان « من خالف ناموس موسى فعلى شاهدين أو ثلاثة شهود يموت بدون رأفة . فكم عقاباً أشر تظنون أنه يحسب مستحقاً من داس ابن الله ، وحسب دم العهد الذى قدس به دنساً ، وازدرى بروح النعمة » (عب ١٠ : ٢٨ و ٢٩) . وهنا تظهر قيمة هــذا التحذير وضرورته ، الأمر الذى يدعونا إلى تقديره والالتفات إليه والتأمل فيه لكى نرى : علاقته بالتعليم فى الفصل السابق فى كلمة « لذلك » ، والدعامة التى يدعمه بها الرسول من العهد القديم (عد ٧ — ١١) ، والتحذير فى جوهره (عد ١٢ — ١٤) ، والتطبيق بالنسبة إليه بين القديم والجديد (عد ١٥ — ١٩) .

(١) العلاقة بين التحذير هنا والتعليم السابق «لذلك » ، أى حيث قد ثبت ، مما قيل سابقاً ، سمو المسيح على موسى فى كونه « رسول اعترافنا » و « كابن على بيته » . وحيث ثبت أننا « بيته نحن » . وحيث أنه جاء إلينا فى العهد الجديد برسالة من السماء هى إعلان أسمى من كل إعلانات العهد القديم نظراً لشخصيته الفائقة التى هى بهاء مجد الآب ، ورسم جوهره « لذلك . . . انظروا أيها الأخوة أن لا يكون فى أحدكم قلب شرير بعدم إيمان فى الارتداد عن الله الحى . بل عظوا أنفسكم كل يوم ما دام الوقت يدعى اليوم لكى لا يقسى أحد منكم بغرور الخطية » (انظر عد ١٢ و ١٣) . وقابل أيضاً بين عد ١٤ وبين عد ٦ . فتتجلى أمامك حقيقة الارتباط بين الفصلين .

عد ٧ — ١١ . (١) الدعامة التى يدعم بها الرسول تحذيره مأخوذة من العهــد القديم : « كما يقول الروح القدس اليوم إن سمعتم صوته . فلا تقسوا قلوبكم كما فى

الأسخاط يوم التجربة فى القفر . حيث جربنى آباؤكم ، اختبرونى وأبصروا أعمالى أربعين سنة . لذلك مقت ذلك الجيل وقلت إنهم دائماً يضلون فى قلوبهم ولكنهم لم يعرفوا سبلى . حتى أقسمت فى غضبى لن يدخلوا راحتى » . فى هذه الآيات نسمع الروح القدس يتكلم فى العهد القديم محذراً بانياً تحذيره على ما جرى لإسرائيل فى البرية .

عد ٧ . « **كما يقول الروح القدس** » (مز ٩٥ : ٧ — ١١ وفى السبعينية مز ٩٤ : ٨ —١١ « قائلا فى داود »(انظر ص ٤ : ٧) فالروح القدس هو المتكلم فى العهد القديم كما أنه المتكلم فى العهد الجديد « لأنه لم تأت نبوة قط بمشيئة إنسان بل تكلم أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس » (٢بط١ : ٢١ قابل ١ بط ١ : ١٠ — ١٢) . إذاً « كل الكتاب هو موحى به من الله ونافع للتعليم والتوبيخ . للتقويم والتأديب الذى فى البر . لكى يكون إنسان الله كاملا متأهباً لكل عمل صالح » (٢ تى ٣ : ١٦ و ١٧).

« من له أذنان للسمع فليسمع ما يقوله الروح للكنائس » (رؤ ٢ : ٧) .

« **اليوم إن سمعتم صوته** » هـــذا ما يقوله الروح القدس محذراً . ولتفهم هذا القول يحسن أن ندرس المناسبة التى قيل فيها فى المزمور المشار إليه . وهذا يدعونا إلى درس المزمور نفسه بالنسبة لمكانه بين المزامير ، وبالنسبة لذاته . أما مكانه بين المزامير فيمكننا أن نراه ، مع الخمسة المزامير التى بعده ، مكوناً منظومة واحدة أشار إليها الرسول بولس فى رسالته هذه تحت عنوان إدخال البكر إلى العالم والسجود له (عب ١ : ٦) . فمزمور ٩٥ يبرز إلهية الله وسلطانه فى الطبيعة وينصح شعبه بالتعبد له . ومز ٩٦ يدعو جميع الأمم للاتحاد فى عبادته تعالى . ومز ٩٧ يعلن ملك الله على كل الأرض . ومز٩٨ يظهر عجائب الله الخلاصية ومراحمه الأبدية لشعبه ، ودينونته للعالم . ومز ٩٩ يجلس الله فى صهيون بين الكروبيم . ومز ١٠٠ ينادى العالمين للتعبد له لأجل رحمته وأمانته الدهريتين . أما المزمور ٩٥ بالنسبة لذاته فإننا نراه يحيط به رنين كرنين أجراس الكنيسة ، سواء أكانت وهى تدق دقات الفرح والبهجة ، أم وهى تدق دقات الوقار والهيبة . فإننا فى أول المزمور نسمع دقات أجراس الهتاف ورنين الانتعاش القلبى ،

ولا نلبث حتى نسمع دقاتها تنعى جيلا قد هلك وشعباً قد سقطت جثثه فى القفر وحرم من موعد الراحة المقدسة . وما هذه الدقات الناعية إلا أصوات التحذير الشديدة لذلك الجيل الذى يخاطبه داود قائلا : « اليوم إن سمعتم صوته » . وإننا نسمعه يخاطب اليهود فى عصره ويحذرهم واضعاً أمامهم يوماً كان هو فرصة « اليوم » أمام الآباء ، ولكنهم أضاعوه ولم يتمموا فيه الواجب الذى كان مطلوباً منهم أن يتمموه ، فأصابهم ما أصابهم . ثم يضع أمامهم ذات « اليوم » فى زمانهم لكى لا يضيعوه ، كما أضاع الآباء يومهم ، لكى لا يصيبهم ما أصاب أولئك . على أنه أيضاً باعتبار أن الكلمة هنا ، كما فى سائر العهد القديم ، كلمة نبوية (٢ بط ١ : ١٩) يمكننا أن نرى ذات « اليوم » بعين النبوة فى المستقبل الذى إليه يشير الرسول هنا ، وعنه يتكلم . أى يوم عصر الإنجيل كما سنرى فى (ص ٤ : ٧) « اليوم » الذى كان يوم البرية رمزاً إليه . فكما قد أعطى لجماعة العبرانيين الذين خرجوا من مصر ، يومهم بعد اعطائهم الشريعة من جبل سيناء ، لإعلان طاعتهم التى عليها يتوقف دخولهم إلى أرض كنعان ، يوم امتحانهم مدة أربعين سنة فى البرية ، ليرى إن كانوا يسمعون لصوته الإلهى . هكذا بعد أن أعطى الإنجيل من جبل صهيون ، أعطى أولا لجماعة العبرانيين يومهم الخاص ، يوم امتحانهم لسماع صوت الإنجيل مدة أربعين سنة منذ ما بدأ المسيح يكرز بالإنجيل إلى وقت خراب أورشليم حيث سقط الأبناء العصاة كما سقط آباؤهم وخابوا من وعد الراحة كما خاب أولئك (أنظر تفسير ص ٤) . وإن كنا نقول إن هذا هو « اليوم » الذى أشار إليه الرسول هنا ، إلا أننا لا نريد أن ننسى أن كل وقت يدعى « اليوم » وهو الفرصة الحاضرة لكل فرد أو جماعة كما سيتضح ذلك فى (عد ١٣) لأنه يقول فى وقت مقبول سمعتك وفى يوم خلاص أعنتك . هوذا الآن وقت مقبول هوذا الآن يوم خلاص (٢ كو ٦ : ٢ انظر إش ٤٩ : ٨) ، « فلا تهتموا للغد . لأن الغد يهتم بما لنفسه . يكفى اليوم شره » (مت ٦ : ٣٤) ، « لا تفتخر بالغد لأنك لا تعلم ماذا يلده يوم » (أم ٢٧ : ١) . « اليوم » إذاً هو اليوم الذى فيه نسمع صوت الله ينادينا .

« اليوم إن سمعتم صوته » « صوت الرب ينادى للمدينة ، والحكمة ترى اسمك ، اسمعوا للقضيب ومن رسمه » (مى ٦ : ٩) . سمع إسرائيل صوت الله الحى يتكلم من

وسط النار من جبل سيناء وهو يعطى شريعته الطاهرة (خر ١٩ : ١٦ — ١٩ وتث ٥ : ٢٣ — ٢٦) . وقد سمعت كل الأجيال على يد الأنبياء والرسل صوت الحكمة وهى تنادى والفهم وهو يعطى صوته عند رؤوس الشواهق وبين المسالك وعند مدخل الأبواب (أم ٨ : ١ — ١١) هذا هو صوت الله فى كلمة الوحى المقدس . فكم « والكلمة صار جسداً وحل بيننا ورأينا مجده مجداً كما لوحيد من الآب » (يو ١ : ١٤) على أن هنالك صوتاً آخر ينادى ، ومع أنه « لا قول ولا كلام . لا يسمع صوتهم » ولكن « فى كل الأرض خرج منطقهم وإلى أقصى المسكونة كلماتهم » (مز ١٩ : ١ — ٦ و رو ١٠ : ١٨) . هذا هو صوت الله فى الطبيعة . أو لا نسمع أيضاً صوت القضيب ومن رسمه » ؟ هذا هو صوت الله فى العناية صوت التأديب والاصلاح . إن سمعنا اليوم صوت الله سواء فى الطبيعة ، أم فى العناية ، أم فى كلمة الوحى ، هل لنـــا الحكمة التى ترى اسمه ؟ حكمة الضمير المستنير ، لنصغى الآن ولا نؤجل للغد ؟ لأنه يقول : « هأنذا واقف على الباب وأقرع . إن سمع أحد صوتى ، وفتح الباب ، أدخل إليه وأتعشى معه وهو معى » (رؤ ٣ : ٢) . وهل نقول مع العروس : « صوت حبيبى قارعاً . افتحى لى يا أختى ، يا حبيبتى ، يا حمامتى ، يا كاملتى ، لأن رأسى قد امتلأ من الطل وقصصى من ندى الليل » ؟ وهل بعد أن نسمع ونقول هذا القول نعود فنقول « وقد خلعت ثوبى فكيف ألبسه ؟ قد غسلت رجلى فكيف أوسخهما ؟ وإذا قلنا هكذا ، أفلا نضطر بعدئذ أن نقول متألمين « حبيبى تحول وعبر » ؟ (اقرأ نش ٥ : ٢ — ٦) .

عد ٨ . « فلا تقسوا قلوبكم كما فى الأسخاط يوم التجربة فى القفر » . وهنا يشير المرنم إلى حادثة معينة حدثت مع الآباء يضعها أمام الأبناء تحذيراً ، وإلى زمان معين ، ومكان معلوم حدثت فيهما الحادثة التى يبنى عليها تحذيره .

أما الحادثة فيسميها حادثة « **الأسخاط** » و « **التجربة** » . وفى المزمور « **مريبة** » و « **مسة** » وهما كلمتان عبريتان ، وكلاهما اسم لمكان سمى « **مريبة** » أى « **مخاصمة** » و « مسة » أى « **تجربة** » . أما السبعينية فقد دعته (فى مز ٩٤ : ٨) بلفظ « **أسخاط** » و « **تجربة** » ومنها الاقتباس فى هـــذه الآية . على أن هذه الأسماء جميعها تشير إلى حادثة

جرت فيها مخاصمة وتجربة دعى بسببها الموضع « مريبة ومسة » . والحادثة مذكورة فى (خر ١٧ : ١ — ٧) وقد ختمت بالقول « ودعا اسم الموضع مسة ، أى تجـربة ، ومريبة ، أى مخاصمة ، من أجل مخاصمة بنى إسرائيل ومن أجل تجربتهم للرب قائلين : أفى وسطنا الرب أم لا » وقد أشير إلى هذه الحادثة فى تث ٦ : ١٦ ، ٣٣ : ٨) . وقد تذكرت الحادثة مرة أخرى كما ذكر فى (عد ٢٠ : ١ — ١٣) وسمى لسببها موضع آخر « مريبة » وتميز عن الموضع الأول باسم « مريبة قادش » (عد ٢٧ : ١٤ وحز٤٨ : ٢٨) لأن الحادث جرى فى قادش من برية صين ، بينما الأول جرى فى رفيديم من برية سين . وقد أشير إلى هذا الحادث الأخير فى (عد ٢٠ : ٢٤ ، عد ٢٧ : ١٤) كسبب لحرمان هرون وموسى من الدخول إلى أرض كنعان . وفى التعبير عن تأثير هذه الحادثة بالنسبة لله يقول المرنم فى (مز ١٠٦ : ٣٢ و ٣٣) : « وأسخطوه على ماء مريبة حتى تأذى موسى بسببهم ، لأنهم أمروا روحه حتى فرط بشفتيه » ، فيمكن أن تسمى الحادثة أيضاً بحادثة « الأسخاط » نظراً لهذه النتيجة . ولو أن الاشارة إلى حادثة معينة ، فإن فى تكرارها الذى أشرنا إليه ، وفى تذمر شعب إسرائيل فى البرية مدة أربعين سنة ، لدليلا على أن المقصود ليس مجرد حادث أو حوادث ، بل هو روح عام فى هذا الشعب ، هو روح مخاصمة الرب وتجربته مؤدياً إلى اسخاطه ، هو روح العصيان وعدم الطاعة . وقد نوه موسى عن هذا الروح فى كلامه معهم بقوله « قد كنتم تعصون الرب منذ يوم عرفتكم » (تث٩ : ٢٤ اقرأ كل الأصحاح) وانظر إلى ما ذكره فى (عدد ٢٢) حيث قال « وفى تبعيرة ، ومسة ، وقبروت هتأوة ، أسخطتم الرب » . فالموضع الأول « تبعيرة » معناه اشتعال النار وسمى هكذا نظراً لشر اشتكاه الشعب فى أذنى الرب فحمى غضبه فاشتعلت فيهم ناره وأحرقت فى طرف المحلة (عد١١ : ١ — ٣) . « ومسة » هو موضع التجربة الذى تكلمنا عنه الآن كثيراً . « وقبروت هتأوه » معناه قبور الشهوة ، اشارة إلى ما أصاب الشعب إذ اشتهوا اللحم متذمرين على الرب غير قانعين بالمن الذى أعطاه لهم طعاماً ، فأعطاهم اللحم فى غضبه وضربهم ضربة عظيمة وهم يأكلون ، فدعى اسم ذلك الموضع « قبروت هتأوة » لأنهم هناك دفنوا القوم الذين اشتهوا (عد ١١ : ٤ — ٣٥) . وإذا أضفنا إلى هذه الذكريات قوله لهم

أيضاً فى (تث ٩ : ٢٣) : « حين أرسلكم الرب من قادش برنيع قائلا اصعدوا امتلكوا الأرض التى أعطيتكم ، عصيتم قول إلهكم ولم تصدقوه ولم تسمعوا لقوله » إذا ذكرنا كل ذلك يتجلى لنا روح العصيان ، فى عدم الإيمان ، الذى به جربوا الله كل حياتهم ، فأسخطوه على الدوام ، فلم يدخلوا أرض كنعان . وتتبين أمامنا قساوة القلب التى منها يحذرنا الروح القدس قائلا :

« **فلا تقسوا قلوبكم** » . وهو تحذير يتضمن أن العصيان على الله ليس له ينبوع ما سوى الإرادة الشريرة التى تقف سداً مانعاً لدخول نعمته إلى القلب . فإننا بحسب الطبيعة لنا قلب حجر (حز٣٦ : ٢٦) ، هو رقبة صلبة وإرادة عنيدة حديدية ، هى التى أشار إليها الرسول فى قوله : « الخطية الساكنة فىّ . فإنى أعلم أنه ليس ساكن فىّ أى فى جسدى شىء صالح » (رو ٧ : ١٧ و ١٨) . لذلك يشكو الروح جميع الغير المؤمنين بأنهم يقاومون الله . على أن هذا التحذير يتضمن أيضاً — من الجهة الأخرى — أن للانسان إرادة لها مبدأ الحرية لإعداد القلب لخدمة الله ، لذلك يقول « فلا تقسوا قلوبكم » أى لا تدعوا أنفسكم فى حالة هذه القساوة الطبيعية ، حالة الميل إلى الشر ، حالة معاندة الله ومقاومة إرادته الصالحة . « اليوم إن سمعتم صوته فلا تقسوا قلوبكم كما فى الأسخاط يوم التجربة فى القفر .

عد ٩ . « **حيث جربنى آباؤكم اختبرونى وأبصروا أعمالى أربعين سنة** » . فى هذه الآية إيضاح لما سبق فالكلمة « **حيث** » التى بها تبدأ هى ظرف مكان متعلق بكلمة « القفر » التى تنتهى بها الآية السالفة . ويمكن أيضاً اعتبارها ظرف زمان متعلقة « بيوم التجربة» . وفى كلتا الحالتين تشير إلى « الاسخاط يوم التجربة فى القفر » معبراً عنه بالقول :

« **جربنى آباؤكم . اختبرونى** » . أولئك الآباء الذين كانوا فى القفر فى طريقهم إلى أرض كنعان بعد خروجهم من مصر وبعد عبورهم البحر الأحمر . أولئك الآباء الذين هم موضوع فخر الأبناء ! فلكم افتخر اليهود بمجد أجدادهم ، وكم نفتخر نحن بمجد آباء الكنيسة ! وكم ، فى هذا الفخر ، ننسى خطاياهم وقد نحسب رذائلهم فضائل ونجاستهم طهارة وقداسة ! وها داود يضع أمامه وأمام أبناء عصره شر الآباء وإثمهم

لتجنبه والتحذر منه . أما الشر الذى يشير إليه فمعبر عنه بالقول « جربنى . . . اختبرونى » ، وهو قول الرب عن أولئك الآباء . والتجربة والاختبار شيء واحد يشير إلى تجربتهم للرب فى حادثة مسة ، كما رأيناها ، وتظهر فى قولهم « أفى وسطنا الرب أم لا » (خر ١٧ : ٧) ، وكذا فى حادثة « قبروت هتأوة » أى قبور الشهوة . يقول المرنم إنهم « جربوا الله فى قلوبهم لسؤالهم طعاماً لشهوتهم . فوقعوا فى الله . قالوا « هل يقدر الله أن يرتب مائدة فى البرية » (مز ٧٨ : ١٨ و ١٩) . هذا يوضح لنا خطية تجربتهم للرب بكونهم شكوا فى عنايته بهم ، ليس فقط من جهة إرادته بل أيضاً من جهة قدرته : « فلم يؤمنوا بالله ولم يتكلوا على خلاصه ، « ورذلوا الأرض الشهية . لم يؤمنوا بكلمته » (مز ٧٨ : ٢٢ ، ١٠٦ : ٢٤) إقرأ هذين المزمورين فتتضح لك حقيقة خطية الاسخاط والتجربة التى ارتكبها الآباء ضد الرب بلا عذر كما يتبين من القول :

« وأبصروا أعمالى أربعين سنة » . الواو هنا بمقتضى القرينة فى الأصل اليونانى هى واو الحال ، لا واو العطف ، أى حال كونهم أبصروا أعمالى . وهذه الصيغة تجعل خطيئتهم فى تجربة الرب خاطئة جداً وتزيدها شراً ونكراً وذلك من أجل أعمال الله التى أبصروها ، وبسبب المدة التى أبصروا فيها تلك الأعمال .

أما الأعمال فهى عجائب فائقة تدل على إرادة الله الصالحة من نحوهم وعلى قدرته العجيبة فى العناية بهم . « شق البحر فعبرهم ونصب المياه كند . وهداهم بالسحاب نهاراً والليل كله بنور نار . شق صخوراً فى البرية وسقاهم كأنه من لجج عظيمة . أخرج مجارى من صخرة وأجرى مياها كالأنهار » (مز ٧٨ : ١٣ — ١٦) . وحتى فى عجائبه التأديبية حيث فتحت الأرض فاها وابتلعت ، ونزلت ناره واشتعلت (مز ١٠٦ : ١٧ و ١٨) يحقق علاقته بهم كأب يؤدب الأبناء ويجلدهم (عب ١٢ : ٦) . وفى كل ذلك يقول لهم صريحاً : « لأنى عرفت الأفكار التى أنا مفتكر بها عنكم ، . . أفكار سلام لا شر ، لأعطيكم آخرة ورجاء » (ار ٢٩ : ١١) . فكان يمكنهم والحالة هذه أن يجيبوه على إعلانه هذا بترنيمة شكر قائلين : « كثيراً ما جعلت أنت أيها الرب إلهى عجائبك وأفكارك من جهتنا . لا تقوم لديك . لأخبرن وأتكلمن بها . زادت عن أن تعد » (مز ٤٠ : ٥) ولكنهم بالعكس جربوه ، فأسخطوه .

أما المدة التى فيها أبصروا أعمال الله فهى مدة « أربعين سنة » . وهذه المدة يربطها المرنم بما بعدها أى بالمقت إذ يقول « أربعين سنة مقت ذلك الجيل » (مز ٩٥ : ١٠) . أما هنا فهى مرتبطة بما قبلها أى بالإبصار إذ يقول « أبصروا أعمالى أربعين سنة » . وسواء ارتبطت بالمقت أم بالإبصار فالنتيجة واحدة فإن الله لم يمقتهم « أربعين سنة » إلا لأنهم أبصروا أعماله « أربعين سنة » . على أن ارتباطها بالإبصار ، مما يزيد مسئولية الشعب ويعظم دينونتهم لأنه يدل على أن الله لم يعلن فقط عجائبه وأفكاره من جهتهم ، بل أيضاً تأنى عليهم وهو « لا يشاء أن يهلك أناس بل أن يقبل الجميع إلى التوبة » (٢ بط ٣ : ٩) . أما هم فاستهانوا بغنى لطف الله وامهاله وطول أناته ولم يعلموا أن لطف الله إنما يقتادهم إلى التوبة . فتم فيهم القول « ولكنك من أجل قساوتك وقلبك غير التائب تذخر لنفسك غضباً فى يوم الغضب واستعلان دينونة الله العادلة » (رو ٢ : ٤ و ٥) . ارجع إلى ما قيل عن « الأربعين سنة » فى عد ٧ .

عد ١٠ . « **لذلك مقت ذلك الجيل . وقلت إنهم دائماً يضلون فى قلوبهم . ولكنهم لم يعرفوا سبلى** » . « ويل لمن يخاصم جابله » (إش ٤٥ : ٩) . فى (عد ٧ — ٩) تمثلت لنا الخطيئة الخاطئة جداً التى ارتكبها إسرائيل فى البرية حيث جربوا الرب وأسخطوه . وفى هذا العدد والذى بعده أى (٩ و ١٠) تتجلى أمامنا النتيجة اللازمة لتلك الخطيئة وأجرتها التى لا بد منها . فالكلمة « لذلك » هنا تربط السبب بالنتيجة وتظهر العلاقة بين العلة والمعلول .

أما النتيجة فمثلثة الأركان تتضمن شعور الله من جهتهم : « مقت » ، ورأيه فيهم : « وقلت » ، وقراره بشأنهم : « أقسمت » .

(أ) « **مقت ذلك الجيل** » . المقت هو البغض الشديد والكراهة المقترنة بالاشمئزاز ، ويصدر عادة من شخص نحو شخص آخر بسبب قبح فعله ، فهو مقت للأفعال أكثر مما هو مقت للأشخاص . وهو هنا صادر من قلب الله نحو القباحة التى فعلها إسرائيل فى البرية ، وليس فقط نحو الفعل فى ذاته ، بل نحوه أيضاً بالنسبة للظروف التى لازمته . إذ قد أجرى ضد الله الذى أظهر محبته لهم وأجرى عجائبه فى وسطهم وأطال عليهم .

« ذلك الجيل » أى ذلك الشعب الذى صدر منه ذلك الفعل الممقوت الذى احتمله الله كل تلك المدة فى البرية ، « وماذا إن كان الله ، وهو يريد أن يظهر غضبه ويبين قوته ، احتمل بأناة كثيرة آنية غضب مهيأة للهلاك » ؟ (رو ٩ : ٢٢) .

(ب) « وقلت « وقلت إنهم دائماً يضلون فى قلوبهم ولكنهم لم يعرفوا سبلى » . هذا القول ليس منطوق الفم ، بل هو رأى القلب ، وحركة الفكر ، رأى الله فيهم .

« إنهم دائماً يضلون فى قلوبهم » . وفى المزمور قيل « هم شعب ضال قلبهم » وهو وصف لحالتهم الداخلية . ضلال القلب ينبوع كل عصيان . والينبوع يحكم على كل ما ينبع منه . كما قيل « الإنسان الصالح من كنز قلبه الصالح يخرج الصلاح . والإنسان الشرير من كنز قلبه الشرير يخرج الشر . فإنه من فضلة القلب يتكلم فمه » (لو ٦ : ٤٥)، لذلك يوصى الحكيم قائلا : « فوق كل تحفظ احفظ قلبك لأن منه مخارج الحياة » (أم ٤ : ٢٣) . ضلال القلب هو ابتعاده عن الصواب وتجنبه للحق وقد حذر منه الرسول بقوله (أف ٤ : ١٧ — ١٩) : « فأقول هذا وأشهد فى الرب أن لا تسلكوا فى ما بعد كما يسلك سائر الأمم أيضاً ببطل ذهنهم . إذ هم مظلمو الفكر ومتجنبون عن حياة الله لسبب الجهل الذى فيهم بسبب غلاظة قلوبهم . الذين هم إذ فقدوا الحس أسلموا نفوسهم للدعارة ليعملوا كل نجاسة فى الطمع » .

« ولكنهم لم يعرفوا سبلى » ، وفى المزمور « وهم لم يعرفوا سبلى » بدون كلمة « ولكنهم » التى وجدت فى بعض قراءات السبعينية ، وربما قصد بها الاستدراك فى شأن ذلك الجيل وأهله فى كونهم سمعوا بأذانهم صوت الله من جبل سيناء ، ورأوا بعيونهم أعمال رحمته وقدرته تجرى فى وسطهم ولأجل خيرهم ، واختبروا آيات مقته وغضبه لأجل خطاياهم ، « ولكنهم » :

« لم يعرفوا سبلى » يقول الرب لا بالسلوك ولا بالإيمان ؛ أى السبل التى جعلتها أمام عيونهم لتوصيلهم إلى الراحة التى أعددتها لهم ، لأن قلبهم ضال . « الثور يعرف قانيه ، والحمار معلف صاحبه . أما إسرائيل فلا يعرف ، شعبى لا يفهم . .ارتدوا إلى الوراء . . على ما تضربون بعد ؟ تزدادون زيغاناً . كل الرأس مريض ، وكل القلب سقيم » (إش ١ : ٢ — ٦) .

عد ١١ . حـ - قرار الله بشأنهم : «حتى أقسمت فى غضبى لن يدخلوا راحتى » بعد التعليم والتأديب والانتظار بلا جدوى ، أصدر الله هذا القرار المخيف مدعماً بقسم ، « حتى أقسمت » . وإذ ليس لله أعظم يقسم به فلابد أنه أقسم بنفسه قائلا : « بذاتى أقسمت » (انظر تلك ٢٢ : ١٦ ، إش ٤٥ : ٢٣ ، إر ٢٢ : ٥ ، عب ٦ : ١٣) .. وكثيراً ما ورد القسم منسوباً إلى الله فى غير هذه المواضع من الكتاب . أما بالنسبة إلى البشر فقد جاءت عنه الوصية صريحة فى قوله : « الرب إلهك تتقى . إياه تعبد ، وبه تلتصق ، وباسمه تحلف » « إن حلفت حى هو الرب ، بالحق والعدل والبر فتتبرك الشعوب به ، وبه يفتخرون » (تث ٦ : ١٣ ، ١٠ : ٢٠ ، إر ٤ : ٢) . وقد كان الاستحلاف أمام القضاء فى الشريعة اليهودية من الأوامر الإلهية (انظر عد ٥ : ١٩ و ٢١) . وقد استحلف رئيس الكهنة يسوع فى أثناء محاكمته أمام مجمع اليهود قائلا له : « أستحلفك بالله الحى » . وقد جاء جواب يسوع على طلب الحلف هذا مثبتاً أن القسم فى المحاكمة يجوز إذا كانت الدعوى حقاً وذات شأن (انظر مت ٢٦ : ٦٣ و ٦٤) . أما ما جاء فى الوصية الثالثة من الوصايا العشر من هذا القبيل فهو أعم من القسم ، لأنه يتناول النطق مطلقاً إذ يقول : « لا تنطق باسم الرب إلهك باطلا لأن الرب لا يبرىء من نطق باسمه باطلا » (خر ٢٠ : ٧) . هذا النطق المنهى عنه يتضمن القسم الكاذب كما قيل (لا ١٩ : ١٢) : « ولا تحلفوا باسمى للكذب فتدنس اسم إلهك . أنا الرب » . ويتناول أيضاً القسم على اطلاقه الذى يصدر من الإنسان سواء أكان فى الأمور الشخصية أو الجمهورية لغير داع وبلا وقار ، فى الأمور الزهيدة التافهة والمحادثات العادية . وهذا هو الذى أشار إليه المسيح فى قوله : « لا تحلفوا البتة » (مت ٥ : ٣٣ - ٣٧ . انظر يع ٥ : ١٢) . وهذا ما تعنيه الكلمة «باطلا» فى أصلها . على أن هذا النهى لا يقتصر فقط على القسم الكاذب ، ولا على القسم الباطل أى الذى لغير داع وبلا وقار ، بل يتعداه أيضاً إلى النطق الباطل باسم الرب على إطلاق ما تعنيه كلمة « لا تنطق » فإن مجرد النطق باسم الله ، كالقسم الرهيب فى حضرته ، إنما هو تعبد فى كل خشوع وتقوى وهذا ما أشار إليه المسيح بالقول : « فليكن كلامكم نعم ولا لا » أى وجوب الاكتفاء بالقول نعم أو لا بدون النطق باسم الله فى محادثاتنا العادية . فإن كلام المسيح فى (مت ٥ : ٣٣ - ٣٧)

لا يقتصر على النهى عن الأقسام الباطلة بل ينهى أيضاً عن رفع كل دعوى إلى الله بغير لزوم . فيجب أن نستعمل كلماتنا البسيطة « نعم » و« لا » ، كأننا ننطق بهما أمام الله ونعتبرهما كأعظم الأقسام . بل يجب أن نكون دائماً صادقين حتى يثق بنا الناس بدون قسم . أما ما يزيد على «نعم » و « لا » فهو من الشرير ، إذ أنه يكون مضاداً للشريعة الأدبية أو يكون المحرك إليه الشيطان مصدر الشر لأنه « كذاب وأبو الكذاب » (يو ٨ : ٤٤) . ولولا شيوع الكذب فى العالم ، لم تكن هناك حاجة حتى إلى الأقسام الشرعية التى لا يجوز استعمالها إلا دفعاً للشر الأعظم ، لتكون نهاية كل مشاجرة لأجل التثبيت (عب ٦ : ١٦) .

« **أقسمت فى غضبى** » « لأن غضب الله معلن من السماء على جميع فجور الناس وإثمهم الذين يحجزون الحق بالإثم . إذ معرفة الله ظاهرة فيهم لأن الله أظهرها لهم » (رو ١ : ١٨ و ١٩) . غضب الله هو حس نقى فى إله قدوس يكره الخطية ، وحركة صادقة فى إله عادل يدين الخطية . فالغضب فيه وليد محبته للإنسان وخلاصه فإنه إنما يدين الخطية ليخلص الخاطئ كما هو معلن فى صليب المسيح . «لأنه ما كان الناموس عاجزاً عنه فى ما كان ضعيفاً بالجسد فالله إذ أرسل ابنه فى شبه جسد الخطية ولأجل الخطية دان الخطية فى الجسد لكى يتم حكم الناموس فينا » (رو ٨ : ٣ و ٤) . فى هذا النور ينكشف أمامنا معنى قراره فى غضبه :

« **لن يدخلوا راحتى** » إذ نراه حكماً أوجبوه هم على أنفسهم رغم الإرشادات والنصائح ، ورغم الوسائط والوسائل ، رغم صليب المسيح بكل ما فيه من دعوة ونعمة ، فإنه ، إذ صنع عشاءه العظيم ، أرسل عبده يقول للمدعوين : « تعالوا لأن كل شىء قد أعد » . وإذ ابتدأ الجميع برأى واحد يستعفون ، غضب وقال فى غضبه « ليس واحد من أولئك الرجال المدعوين يذوق عشائى » (لو ١٤ : ١٦ — ٢٤) . لقد رفضوا العشاء فرفضوا منه ، الذين « أبدلوا مجد الله الذى لا يفنى بشبه صورة الإنسان الذى يفنى والطيور والدواب والزحافات . لذلك أسلمهم الله أيضاً فى شهوات قلوبهم إلى النجاسة لاهانة أجسادهم بين ذواتهم ، الذين استبدلوا حق الله بالكذب واتقوا وعبدوا المخلوق دون الخالق . . . ، لذلك أسلمهم الله إلى أهواء الهوان » (رو ١ :

٢٣ - ٢٦) « لأنهم أبغضوا العلم ، ولم يختاروا مخافة الرب . لم يرضوا مشورتى ، رذلوا كل توبيخي . فلذلك يأكلون من ثمر طريقهم ويشبعون من مؤامراتهم . لأن ارتداد الحمقى يقتلهم وراحة الجهال تبيدهم » (أم ١ : ٢٩ - ٣٢) . لأنهم جربوه . وأسخطوه ، ولم ينتظروا مشورته ، ورذلوا الأرض الشهية ، ولم يؤمنوا بكلمته ، بل تمرمروا فى خيامهم ، ولم يسمعوا لصوت الرب ، فرفع يده عليهم ليسقطهم فى البرية وقال « أقسمت فى غضبى لن يدخلوا راحتى » (اقرأ عد ١٤ : ٢٦ - ٣٥ وتث ١ : ١٩ - ٣٥) .

« راحتى » . هى ، أصلا ، أرض كنعان باعتبار كونها المقر والنصيب اللذين وعد الرب أن يعطيهما لشعبه ، والأرض التى يقسمها لهم ليسكنوها آمنين ، حيث يريحهم من جميع أعدائهم حواليهم (تث ١٢ : ٩ و ١٠) وهذه لم يدخلها كل ذلك الجيل الذى خرج من أرض مصر الذين سقطت جثثهم فى القفر قبل الوصول إليها (انظر تفسير عد ١٦ و ١٧) . على أن الذين دخلوها ، لم يدخلوا إلى حقيقة تلك الراحة . لذلك ناداهم النبى قائلا : «قوموا واذهبوا لأنه ليست هذه هى الراحة . من أجل نجاسة تهلك والهلاك شديد » (مى ٢ : ١٠) . لأنه من أجل نجاسة لم تعد أرض كنعان راحة . فلا يقول عنها الرب بعد : « هذه هى راحتى إلى الأبد ههنا أسكن لأنى اشتهيتها » (مز ١٣٢ : ١٤) . كما أن الأرض نفسها لا تعود تحتمل سكانها بل تقذفهم بتنجيسهم إياها (لا ١٨ : ٢٤ - ٢٨ ، ٢٠ : ٢٢) . ولو كان يشوع قد أراحهم فى أرض كنعان لما تكلم المرنم فى مز ٩٥ عن يوم راحة آخر (انظر تفسير ص ٤ : ٨) .

عد ١٢ - ١٤ . (٣) جوهر التحذير « انظروا أيها الاخوة أن لا يكون فى أحدكم قلب شرير بعدم إيمان فى الارتداد عن الله الحى . بل عظوا أنفسكم كل يوم ما دام الوقت يدعى اليوم لكى لا يقسى أحد منكم بغرور الخطية لأننا قد صرنا شركاء المسيح إن تمسكنا ببداءة الثقة ثابتة إلى النهاية » . سبقنا فرأينا أن هذا الجزء مرتبط مباشرة بكلمة « لذلك » فى أول هذا الفصل عد ٧ . ولكنه أيضاً مرتبط بما قاله الروح القدس مدعما به كما فصلنا فى الجزء السابق ومطبقاً عليه كما سيأتى فى الجزء التالى . أما فى هذا الجزء

فإننا نرى جوهر التحذير الذى يقصده الرسول : فى صيغته السلبية عد ١٢ ، وفى صيغته الايجابية عد ١٣ ، وفى أساسه الأولى عد ١٤ .

عد ١٢ . أ — التحذير فى صيغته السلبية « **انظروا أيها الإخوة أن لا يكون فى أحدكم قلب شرير ، بعدم إيمان ، فى الارتداد عن الله الحى** » . فى هذه الكلمات نرى التحذير موجهاً : « انظروا » ، وموجهاً إلى « الاخوة » : وموجهاً إليهم كمتضامنين : « أن لا يكون فى أحدكم » ، وموجهاً ضد « قلب شرير » .

« **انظروا** » . وهى كلمة تفيد أولا النظر بالحاسة المختصة . كما لو رأينا بالعين المجردة الأشياء المنظورة الواقعة تحت حاسة البشر الطبيعية . على أنه يمكننا أن ننتقل من هذه النظرة السطحية الخارجية التى ندرك بها المنظورات ، إلى نظرة أعمق داخلية نرى بها الأشياء غير المنظورة وندرك بالبصر الروحى ما لا تدركه العين المجردة ، فننتظر خيراً نناله أو نتحذر من شر نخشى وقوعه . وهذا هو المقصود هنا وما قصده الرسول أيضاً فى كثير من المواضع فى رسائله الأخرى (قابل ١ كو١ : ٢٦ ، ١٠ : ١٨ ، فى ٣ : ٢) ومنه قوله « انظروا كيف تسلكون بالتدقيق » (أف ٥ : ١٥) « انظروا أن لا يكون أحد يسبيكم بالفلسفة وبغرور باطل » (كو ٢ : ٨) . وهـذا ما قصده المسيح أيضاً فى قوله محذراً : « انظروا وتحرزوا من خمير الفريسيين ومن خمير هيرودس » (مر٨ : ١٥) « انظروا إلى نفوسكم » (مر ١٣ : ٩) .

« **انظروا أيها الإخوة** » . وهم العبرانيون الذين خاطبهم بذات اللقب فى أول الأصحاح (انظر التفسير هناك) . أما التكرار هنا فيدل على ما فى قلب الرسول من الشعور نحوهم والعطف عليهم ، وما له فى نفسه كخادم يجب أن يكون حليما لا غضوباً مترفقاً بالقطيع ، يهتم بالرعية بكل لطف ومحبة ، يحنو عليهم كما تحنو الأم على أولادها محققاً لهم أنه وإن كان يوجه إليهم تحذيراً شديداً ولكنه يوجهه إليهم كاخوة قديسين ، وأن أعظم قديس فى العالم لهو فى أشد حاجة إلى مثل هذا التحذير .

« **انظروا أن لا يكون فى أحدكم** » ، فالكل متضامنون باعتبار أن كل فرد من هؤلاء مسئول لا عن نفسه فقط بل عن غيره أيضاً . فعلى الجميع أن يهتموا بعضهم لبعض

اهتماماً واحداً (رو ١٢ : ١٦) ، ملاحظين بعضهم بعضاً للتحريض على المحبة والأعمال الحسنة « ملاحظين لئلا يخيب أحد من نعمة الله لئلا يطلع أصل مرارة ويصنع انزعاجاً فيتنجس به كثيرون لئلا يكون أحد زانياً أو مستبيحاً كعيسو » (عب ١٠ : ٢٤ ، ١٢ : ١٥ — ١٧) . فلنحذر أن يكون أحدنا قاتلا للآخر ، وأن يخفى هذه الخطية عن عين ضميره أو عن عين الله بالقول « أحارس أنا لأخى ؟ » (تك ٤ : ٩) .

« قلب شرير ، بعدم إيمان ، فى الارتداد عن الله الحى » . والقلب هو مركز الدائرة هنا وقلب الموضوع فهو القلب الموصوف بأنه شرير ، وعديم الإيمان ، ومرتد ، هو قلب شرير لأنه عديم الإيمان ، وهو عديم الإيمان لأنه مرتد . هو قلب شرير لأنه مرتد وهو مرتد لأنه عديم الإيمان . وعليه نقدر أن نرى هنا عدم الإيمان فى القلب رابطاً بين شر ذلك القلب وبين ارتداده عن الله الحى . فانه ليس كل قلب عديم الإيمان شريراً فى عدم إيمانه . لأنه يوجد شخص أو أشخاص غير مؤمنين أشار إليهم الرسول فى (١كو ١٤ : ٢٣ و ٢٤) ، وهم عينة لجميع الأفراد وكل الأمم الذين لم يكرز لهم بالإنجيل بعد ولم يسمعوا خبره فلم يؤمنوا ، « وكيف يؤمنون بمن لم يسمعوا به » ؟ (رو ١٠ : ١٤) فهم غير مؤمنين ولكن لا نقدر أن نقول عنهم إن لهم قلباً شريراً فى عدم الإيمان هذا . فهذا القلب الشرير هو قلب إسرائيل الذى رأيناه فى الآيات السابقة بشهادة الروح القدس ، قلباً متقسياً يرى أعمال الله ولا يؤمن ، ويسمع كلماته ولا يطيع ، ويقع تحت تأديبه ولا ينتفع ، فهو قلب عديم الإيمان وفى عدم إيمانه شرير . فى هـذا القلب نقرأ حالة الفساد الطبيعى فى الإنسان التى هى أصل اسخاط الله « لأن اهتمام الجسد هو عداوة لله . إذ ليس هو خاضعاً لناموس الله . لأنه أيضاً لا يستطيع » (رو ٨ : ٧) . هذا هو القلب الذى يدينه الإنجيل دون سواه ، مع أنه إنجيل الرحمة والنعمة والغفران ، فى قوله : « الذى لا يؤمن بالابن لن يرى حياة بل يمكث عليه غضب الله » (يو ٣ : ٣٦)

« فى الارتداد عن الله الحى » ، يوصف الله بالحى فى العهد القديم وفى العهد الجديد على السواء . فقد دل عليه موسى فى أمر العليقة بأنه ليس هو إله أموات بل إله أحياء لأن الجميع عنده أحياء » (لو ٢٠ : ٣٧ و ٣٨ انظر خر ٣ : ٦) ، هو الذى يقبول

عن نفسه دائماً « حي أنا » (عد ١٤ : ٢١ و ٢٨ الخ قابل رو ١٤ : ١١) ، « لأننا به نحيا ونتحرك ونوجد (أع ١٧ : ٢٨) ، فهو الذي وحده له عدم الموت » (١ تي ٦ : ١٦).

أما « الارتداد » عن الله الحي . فيمثله إسرائيل في قولهم : « نقيم رئيساً ونرجع إلى مصر » (عد ١٤ : ٤) ، فهو رجوع إلى ذكرى السمك والقثاء والبطيخ والكراث والبصل والثوم (عد ١١ : ٤ و ٥) ، إلى اهتمام الجسد الذي هو موت (رو : ٦) ، إلى أرض العبودية المرة . هو رجوع عن الانجيل وبركاته ومواعيده وحريته إلى أركان الناموس الضعيفة وعبودية الشهوات الجسدية ، فهو إذاً ابتعاد عن مركز الحياة وينبوعها ينشأ عنه طبعاً انحدار إلى هوة الموت والهلاك الأبديين .

عد ١٣ (ب) التحذير في صيغته الإيجابية وهو طريقة للتخلص من الصيغة السلبية وفيها دواء ناجع لذلك الداء العضال .

« **لكي لا يقسى أحد منكم بغرور الخطية** » (انظر عد ٨) . التقسية جعل القلب صلباً لا يلين . فلا يكون ذلك القلب الذي قال فيه المرنم : « القلب المنكسر والمنسحق يا الله لا تحتقره » (مز ٥١ : ١٧ قابل إش ٥٧ : ١٥) بل ذلك القلب الذي وصفه استفانوس بالقول : « يا قساة الرقاب وغير المختونين بالقلوب والآذان أنتم دائماً تقاومون الروح القدس كما كان آباؤكم » (أع ٧ : ٥١) . وأشار إليه المسيح بقوله « يا أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا . هوذا بيتكم يترك لكم خراباً » (مت ٢٣ : ٣٧ و ٣٨) .

« **بغرور الخطية** » يتقسى القلب . أي بمخادعاتها وحيلها الشيطانية وأطماعها الباطلة التي بها تظهر أمام الإنسان بمظهرها الجذاب ، فقد رأت حواء الشجرة المنهى عنها وإذا هي شجرة جيدة للأكل ، بهجة للعيون ، وشهية للنظر ، فأخذت من ثمرها وأكلت مدفوعة بوعد الحية الخلاب ولكنها إذ اختبرت النتيجة المرة صرخت قائلة : « الحية غرتني » (اقرأ تك ٣) . وهذا ما يقال أيضاً عن غرور الغنى (مت ١٣ : ٢٢ ، مر ٤ : ١٩) وشهوات الغرور (أف ٤ : ٢٢ ، ٢ بط ٢ : ١٣) . وكلها أخدع من

السراب فى الصحراء ، يجذب إليه قلب التائه العطشان ويعده بالرواء والرى ولا يلبث حتى يطير من أمامه مخادعاً ويتركه جثة هامدة من العطش المحرق فى تلك الصحراء المقفرة . على أن هذا الغرور ليس البتة كالذى يحسب معها الانسان بلا ذنب كمجرد شخص وقع التعدى عليه . أى أن قول حواء : « الحية غرتنى » (تك ٣ : ١٣) ، أو قول بولس : « فان كنت ما لست أريده إياه أفعل فلست بعد أفعله أنا بل الخطية الساكنة فى » (رو ٧ : ١٧ — ٢٠) ، أو أى قول آخر من هذا القبيل لا يمكن أن يكون معناه أن أحداً من هؤلاء غير مذنب إذا تقسى بغرور الخطية . فالرسول فى كلامه يعتبر الذى وقع فى الغرور مذنباً كمن قد أوقع نفسه . فإن الانسان فى حقيقة الأمر الواقع ، لا يتأثر مقتنعاً بحجج وبراهين توجه إلى عقله ما لم تقررها إرادته أساساً وهنا تقع مذنوبيته . فقوة إدراك الإنسان لا تشبه مرآة لابد ، بطبيعة الحال ، أن تعكس كل الأشعة التى تقع عليها ، بل بالحرى تشبه العين الحية التى تفتح وتقفل من تلقاء نفسها ، وتلتفت هنا وهنالك من ذاتها ، بل تستطيع أن تعمى نفسها فتصبح غير قادرة على استقبال نور الشمس . وهنا تقع قوة التحذير القائل مثلا : « لا تنظر إلى الخمر إذا احمرت حين تظهر حبابها فى الكأس ، وساغت مرقرقة ، فى الآخر تلسع كالحية وتلدغ كالأفعوان » (أم ٢٣ : ٣١ و ٣٢) .

« **عظوا أنفسكم كل يوم ما دام الوقت يدعى اليوم** » (انظر عد ٧) . هنا يصف الرسول طريقة النجاة من خطر التقسية ، ويبين الواسطة لمنع الشر المذكور فى الآية السابقة ويضع أمام الجميع واجباً به يتم الغرض ، فى القول :

« **عظوا أنفسكم** » . الكلمة المترجمة « عظوا » هى فى أصلها ذات كلمة « المعزى » التى لقب بها الروح القدس (يو ١٤ : ١٦ و ٢٦ ، ١٥ : ٢٦ ، ١٦ : ٧) ، وكلمة « شفيع » التى جاءت عن المسيح فى (١يو ٢ : ١) . وقد وردت فى مواضع أخرى من الكتاب تارة بلفظ التعزية (انظر لو ٢ : ٢٥ ، أع ٩ : ٣١ ، ١٥ : ٣١ ، ٢كو ١ : ٣ — ٥) ، وتارة أخرى بلفظ الوعظ (انظر أع ١٣ : ١٥ ، رو ١٢ : ٨ ، ١ تى ٤ : ١٣) فهى إذاً كلمة الوعظ المملوءة بالتعزية التى يوجهها الروح المعزى إلى القلوب . ويكون

معنى القول « عظوا » قبول هذا الوعظ الإلهى والتعزية الروحية لينتفع بهما القلب فيقضى على قساوته الطبيعية وفساده الداخلى .

أما الكلمة « أنفسكم » فقد ترجمت « بعضهم لبعض » فى (مر ١٠ : ٢٦ ، يو١٢ : ١٩) وهذا أحد معانيها المتضمنة فيها ويغلب أنه المعنى المقصود فى الآية كما تقرر القرينة (قابل من رسائل بولس الأخرى أف ٤ : ٣٢ ، كو ٣:١٦ ، ١ تس ٥ : ١٣) . وفى هذا تتفق فى الفكر مع القول « فى أحدكم » والقول « أحد منكم » (انظر تفسير القولين فى مكانه) .

« كل يوم ما دام الوقت يدعى اليوم » وهـذا يعنى الاستعداد واغتنام كل فرصة سانحة للقيام بهذه الضرورة الموضوعة ، فهو كالقول « صلوا بلا انقطاع » (١ تس ٥ : ١٧) الذى معناه « واظبوا على الصلاة ساهرين فيها بالشكر » (كو ٤ : ٢) . فلا ندع فرصة « اليوم » تفلت من أيدينا لأن « اليوم » محدود وإذا مضى لا يعود . لقد كان ذلك « اليوم » للعبرانيين كما قال عنه المسيح « إنه قريب على الأبواب » (مت ٢٤ : ٣٣) وأشار إليه يعقوب بقوله « هوذا الديان واقف قدام الباب » (يع ٥ : ٩) وهو وقت خراب أورشليم . أما لنا فهو يوم الحياة الذى ينتهى بالموت ، ويوم النعمة الذى ينتهى بالدينونة « أطلبوا الرب ما دام يوجد . ادعوه وهو قريب » (إش ٥٥ : ٦) .

عد ١٤ . (ج) — الأساس الأوَّلى للتحذير : هنا يكرر الرسول الفكر الذى أبانه فى (عد ٦) لكى يصل منه ، فى (عد ١٥) ، إلى مادة جديدة فى تطبيق ما اقتبسه من (مز ٩٥) فى (عد ٧ — ١١) وبخاصة كلمة « الاسخاط » . بعد أن بين فى (عد ١٢ و ١٣) ما يختص بكلمة « اليوم » . ويؤسس جوهر التحذير على علاقاتنا بالمسيح فى قوة الكلمة « لأننا » ، ويوضح هذه العلاقة فى كوننا « قد صرنا شركاء » ، ويضع لهذه الشركة شرطاً أساسياً « إن تمسكنا » .

« قد صرنا شركاء المسيح » : وكيف نصير هكذا ؟ فى (ص ٢ : ١٤) كلام عن شركة ، هى شركة اللحم والدم ، فيها جميع المؤمنين شركاء باعتبار الولادة الجسدية . وقد دخل المسيح فى هذه الشركة إذ صار « مولوداً من امرأة » (غل ٤ : ٤ و ٥) . على

أن دخول المسيح فى هذه الشركة ، أدخلنا نحن أيضاً معه فى شركة أسمى ، فيها صرنا أعضاء جسمه من لحمه ومن عظامه (أف ٥ : ٣٠) وهى شركة الزيجة الروحية فى سرها المقدس واتحادها السرى ، اتحاد العريس بالعروس ، الذى به يصير الاثنان جسداً واحداً فليسا بعد اثنين (اقرأ أف ٥ : ٢٢ – ٣٣ ، مت ١٩ : ٣ – ٦) . هذه الشركة الروحية تتمثل فى العهد الجديد بالعشاء الربانى الذى فيه نأكل روحياً بالإيمان الأقدس جسد المسيح ونشرب دمه مرموزاً إليهما فى عنصرى الخبز والكأس . (انظر ١ كو ١٠ : ١٦ و ١٧) ويرسمها الرسول أيضاً فى صورة الرأس متحداً بالجسد ، مبيناً أننا جسد المسيح وأعضاؤه أفراداً (اقرأ ١ كو١٢ مع أف ١ : ٢٢ و ٢٣) إلى هذه الشركة قد دخلنا نحن إذ صرنا « شركاء الدعوة السماوية » التى دعانا إليها الله فى المسيح وتأيدنا فيها بالروح القدس (انظر عد ١) .

« **إن تمسكنا ببداءة الثقة ثابتة إلى النهاية** » : الكلمة الجوهرية فى هذه العبارة هى كلمة « **الثقة** » التى يتكلم بها عنها كشىء له بداءة يجب أن نتمسك بها ثابتة إلى النهاية . ومع أن الرسول يتكلم أيضاً فى عد ٦ عن « **ثقة** » نتمسك بها ، ولكن الكلمة المترجمة « ثقة » هنا هى غيرها هناك . فهى هنا ذات الكلمة المترجمة « جوهر » فى (ص ١ : ٣) فى قوله عن المسيح « رسم جوهره » حيث الإشارة إلى الأقنوم الأول من أقانيم اللاهوت الثلاثة فى ذات الإله الواحد . على أن استعمالها فى الدائرة البشرية لا يقصد به جوهر الذات بل حركة عمل من الأعمال . فترجمت فى (٢ كو٩ : ٤) « **جسارة** » وفى (عب ١١ : ١) ترجمت ثقة : « وأما الإيمان فهو الثقة بما يرجى » . فإن ما يرجوه الإنسان وهو فى ذاته غير منظور وعتيد أن يكون يصير بالإيمان حاضراً منظوراً للنفس باعتبار حقيقته وفوائده. فالإيمان المقصود هنا ليس هو الإيمان فى ذاته ، بل بالنسبة لتأثيره ونتائجه . فتكون الثقة ، التى إن تمسكنا بها نبقى شركاء المسيح ، هى هذا الإيمان الذى به نثبت فيه كثبوت الغصن فى الكرمة (يو١٥ : ١ – ٨) ليكون المسيح فينا « الكل فى الكل » (كو ٣ : ١١) ، فيقول كل منا « مع المسيح صلبت فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فى . فما أحياه الآن فى الجسد ، فانما أحياه فى الإيمان » (غل ٢ : ٢٠) . أما بداءة الثقة فهى أول وجودها فى نفس المؤمن عند دخول الإيمان إلى قلبه ، الذى هو بداءة.

اتحادنا بالمسيح وصيرورتنا شركاء له حيث المحبة الأولى (اقرأ رؤ ٢ : ١ — ٥) . أما التمسك بهذه الثقة كما بدأت إلى النهاية فاقرأ فيه ما جاء عنه فى تفسير (عد ٦) .

عد ١٥ — ١٩ . د — التطبيق بين العهد القديم والجديد بشأن هذا التحذير :

عد ١٥ . « **إذ قيل** » بهذا يرتبط هذا الجزء بما سبقه وبخاصة عند حد قوله « إن تمسكنا ببداءة الثقة ثابتة إلى النهاية « **إذ قيل** » أى حيث أن التحذير متكرر ، ولا يزال ، وسيتكرر « كل يوم ما دام الوقت يدعى اليوم » فإلى أن ينتهى « الوقت » لابد أن يقول الروح ما قاله بفم داود فى عصره :

« **اليوم إن سمعتم صوته فلا تقسوا قلوبكم كما فى الأسخاط** » (انظر تفسير عد ٧ و ٨) . هذا القول قد وضعه الرسول هنا فى (عد ١٥) رأساً لهذا الجزء التطبيقى وبالنسبة إليه قدم ثلاثة أسئلة وقرنها بأجوبتها : الأول متضمن فى (عد ١٦) ، والثانى فى (عد ١٧)، والثالث فى (عد ١٨) . وأخيراً ختم هذا الفصل بنتيجة مستخلصة (عد ١٩) .

عد ١٦ . يوقفنا فى قادش أمام جماعة «**سمعوا**» صوت الله فى تكلمه ، وفى أعماله ، وبواسطة موسى ، وفى تقرير الجاسوسين الأمينين يشوع وكالب ، وتحققوا صدق المواعيد بالدخول إلى أرض كنعان (عد ١٤ : ٦ — ٩) ، ولكنهم إذ سمعوا « **اسخطوا** » أى تكلموا كلاماً أهاج سخط الله عليهم ، فأقسم فى غضبه لن يدخلوا راحته . قالوا « ليتنا متنا فى أرض مصر أو ليتنا متنا فى هذا القفر . ولماذا أتى بنا الرب إلى هذه الأرض ؟ . أليس خيراً لنا أن نرجع إلى مصر ؟ (عد ١٤ : ٢ — ٤) .

« **فمن هم الذين أسخطوا** » ؟ هم الذين « **خرجوا من مصر** » أى من بيت العبودية ، الذين شرع الله أن يأتى ويأخذهم لنفسه شعباً من وسط شعب بتجارب ، وآيات ، وعجائب ، وحرب ، ويد شديدة ، وذراع رفيعة ، ومخاوف عظيمة (تث ٤ : ٣٤) . هذا الأمر يعظم مسئولية هذا الشعب أمام هذا الإله العظيم (خر ٢٠ : ٢—١٧) ، ويزيد من شرهم فى اسخاط رب القدرة الذى أخرجهم .

« **بواسطة موسى** » وسيط العهد القديم الذى أشير إليه فى (إش ٦٣ : ١١ و ١٢) بالقول « ذكر الأيام القديمة موسى وشعبه . أين الذى أصعدهم من البحر مع راعى

غنمه . الذى سير ليمين موسى ذراع مجده ، الذى شق المياه قدامهم ليصنع لنفسه اسماً أبدياً » وفى (هو ١٢ : ١٣) « بنبى أصعد الرب إسرائيل من مصر وبنبى حُفظ » . ولكن هل .

« جميع » الذين خرجوا من مصر أسخطوا ؟ يقول الكتاب « فى هذا القفر تسقط جثثكم جميع المعدودين منكم حسب عددكم من ابن عشرين سنة فصاعداً الذين تذمروا علىّ لن تدخلوا الأرض . ما عدا كالب بن يفنة ويشوع بن نون . وأما أطفالكم فإنى سأدخلهم » (عدد ١٤ : ٢٨ — ٣١) .

هذا الكلام يستثنى الأطفال من ابن عشرين سنة فما دون لأنهم ليسوا من المعدودين (عدد ص ١ — ٣ و٢٦) وكالب ويشوع لأنهما اتبعا الرب تماماً (عد ٢٦ : ٦٥ ، ٣٢ : ١١ و ١٢) واللاويين والنساء لأنهم لم يكونوا من المعدودين للحرب ولم يكن أحد منهم من الجواسيس (عد ١ : ٢ و ٤٧ — ٥٣) .فلا يمكن إذاً أن تعنى كلمة « جميع » أكثر من عامة القوم وأغلبيتهم الساحقة . وبهذا المعنى وردت كثيراً فى الكتاب . وهذا ما يستفاد من قول الرسول « لكن بأكثرهم لم يسر الله » (اقرأ ١ كو ١٠ : ١ — ١٢) .

عد ١٧ . انظر تفسير (عد ٩) عن الأربعين سنة . و (عد ١٠) عن المقت . و (عد ١٦) عن الذين أخطأوا الذين جثثهم سقطت فى القفر . وتأمل قوله تعالى « فجثثكم أنتم تسقط فى القفر ، وبنوكم يكونون رعاة فى القفر أربعين سنة ويحملون فجوركم حتى تفنى جثثكم فى القفر كعدد الأيام التى تجسستم فيها الأرض أربعين يوماً ، للسنة يوم ، ، تحملون ذنوبكم أربعين سنة فتعرفون ابتعادى » (عدد ١٤ : ٣٢ — ٣٤) . حيث نرى : (١) أن الله أعلن مقته للجثث التى سقطت فى القفر أربعين سنة مدة التيه . وما أعظم الفرق بين جثث هؤلاء الذين احتقروا هذه الأرض الشهية فسقطت فى القفر وبين عظام يوسف محمولة فى هذا القفر لتدفن فى تلك الأرض (انظر تك ٥٠ : ٢٥ ، خر ١٣ : ١٩ ، يش ٢٤ : ٣٢) . (٢) أن أبناء الذين أسخطوا حملوا فجور آبائهم كل تلك المدة تائهين فى ذلك القفر إتماماً للقول : « إفتقد ذنوب الآباء فى الأبناء فى الجيل الثالث والرابع من مبغضىّ » (خر ٢٠ : ٥) الأمر الذى يدل على أنهم كانوا أبناء آبائهم صلب الرقبة وغلاظ القلوب كما تبينه حياتهم فى مدة الأربعين سنة التى فيها أبصروا أعمال الله فى القفر ولكنهم لم يعرفوا ابتعاد الله عنهم ليتجنبوه بل تمادوا

فى شرهم وطغيانهم وضلال قلبهم . وهوذا أبناء هؤلاء الأبناء يخاطبهم المسيح قائلا : « فاملأوا أنتم مكيال آبائكم (مت ٢٣ : ٣٢ - اقرأ عد ٢٩ - ٣٩) وقد ملأوه إذ أسلموا البار للعار ورئيس الحياة قتلوه قائلين « دمه علينا وعلى أولادنا » (مت ٢٧ : ٢٥) ومنذ ما نطقوا بتلك الكلمة الرهيبة ونفذوا ذلك الفعل الشنيع ، أعطيت لهم فرصة أربعين سنة فيها يمكنهم أن يعرفوا ابتعاد الله قبل أن يأتيهم الخراب الذى فعله بهم تيطس الرومانى . وفى وقت كتابة هذه الرسالة كانت هذه المدة على وشك النهاية وكان الخراب على الأبواب .

عد ١٨ (انظر تفسير عد ١١) .

(عد ١٦) يشير إلى الخطية التى ارتكبها الشعب بالنسبة لوقعها فى نفس الله . و (عدد ١٧) يشير إليها بالنسبة لصدورها من الشعب . و (عدد ١٨) يبين أنها خطية عصيان الشعب على الله ، وهذا العصيان متعلق بتلك الراحة كما أوضح موسى فى كلامه لإسرائيل فى (تث١) وبخاصة فى (عد ٢٦) « لكنكم لم تشاءوا أن تصعدوا وعصيتم قول الرب إلهكم » .

عد ١٩ هو خاتمة هذا الفصل حيث « نرى » من تعليم العهد القديم ومن معاملة الله لشعبه قديماً ومن تاريخ إسرائيل العام والخاص فى البرية ما يحقق أن : -

« عدم الإيمان » هو تلك الخطية العظيمة التى حرمت إسرائيل من الراحة وهو ما عبر عنه بالقول « لم يطيعوا » (عد ١٨) ، وتبين فى القول « قلب شرير بعدم إيمان فى الارتداد عن الله الحى » (عد ١٢) .

فلنعلم : (أ) أن التمتع ببركات الله الجسدية تحت عنايته الفائقة لا يكفل للانسان التمتع الروحى بالشركة معه ولو كانت هذه البركات الجسدية ضمن الدائرة الروحية ، فقد خرج إسرائيل من مصر ورفع عنه ثقل العبودية ، ورأى مناظر الرب الفائقة فى مصر وفى البرية ، وتمتع برعاية رجل عظيم هو موسى كليم الله . وبعناية فى القفر فوق العادة لا يدركها عقل إنسان ؛ ولكنه لم يدرك الشركة مع السماء .

(ب) أن الخطيئة تهاجم الإنسان وتسقطه سواء أكان فى القفر أم فى الفردوس. فقد هاجمت آدم فى الفردوس وطردته منه ، وطاردت إسرائيل فى القفر وأسقطته . فليس للوسط الذى نعيش فيه أن يحفظنا من التجربة والسقوط ولو عشنا فى الكهوف والمغاير وفى الأديرة .

(ج) — إن الحياة الحقيقية مع الله هى حياة داخلية ينبوعها القلب المغتسل بالميلاد الثانى ، المتجدد بالروح القدس (تى ٣ : ٥) ، الحال فيه المسيح بالإيمان ، والمؤيد بالقوة بروحه فى الإنسان الباطن (أف ٣ : ١٦ و ١٧) .

الفصل الثالث

ابن الله والراحة الحقيقية

عب ٤

١ فَلْنَخَفْ أَنَّهُ مَعَ بَقَاءِ وَعْدٍ بِالدُّخُولِ إِلَى رَاحَتِهِ يُرَى أَحَدٌ
مِنْكُمْ أَنَّهُ قَدْ خَابَ مِنْهُ . ٢ لِأَنَّنَا نَحْنُ أَيْضًا قَدْ بُشِّرْنَا كَمَا
أُولٰئِكَ لٰكِنْ لَمْ تَنْفَعْ كَلِمَةُ ٱلْخَبَرِ أُولٰئِكَ إِذْ لَمْ تَكُنْ مُمْتَزِجَةً
بِالْإِيمَانِ فِي ٱلَّذِينَ سَمِعُوا . ٣ لِأَنَّنَا نَحْنُ ٱلْمُؤْمِنِينَ نَدْخُلُ ٱلرَّاحَةَ
كَمَا قَالَ حَتَّى أَقْسَمْتُ فِي غَضَبِي لَنْ يَدْخُلُوا رَاحَتِي . مَعَ كَوْنِ
ٱلْأَعْمَالِ قَدْ أُكْمِلَتْ مُنْذُ تَأْسِيسِ ٱلْعَالَمِ . ٤ لِأَنَّهُ قَالَ فِي مَوْضِعٍ
عَنِ ٱلسَّابِعِ هٰكَذَا وَٱسْتَرَاحَ ٱللهُ فِي ٱلْيَوْمِ ٱلسَّابِعِ مِنْ جَمِيعِ أَعْمَالِهِ
٥ وَفِي هٰذَا أَيْضًا لَنْ يَدْخُلُوا رَاحَتِي . ٦ فَإِذْ بَقِيَ أَنَّ قَوْمًا
يَدْخُلُونَهَا وَالَّذِينَ بُشِّرُوا أَوَّلاً لَمْ يَدْخُلُوا لِسَبَبِ ٱلْعِصْيَانِ ٧ يُعَيِّنُ
أَيْضًا يَوْمًا قَائِلاً فِي دَاوُدَ ٱلْيَوْمَ بَعْدَ زَمَانٍ هٰذَا مِقْدَارُهُ كَمَا قِيلَ
ٱلْيَوْمَ إِنْ سَمِعْتُمْ صَوْتَهُ فَلَا تُقَسُّوا قُلُوبَكُمْ . ٨ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ
يَشُوعُ قَدْ أَرَاحَهُمْ لَمَا تَكَلَّمَ بَعْدَ ذٰلِكَ عَنْ يَوْمٍ آخَرَ .٩ إِذًا بَقِيَتْ
رَاحَةٌ لِشَعْبِ ٱللهِ . ١٠ لِأَنَّ ٱلَّذِي دَخَلَ رَاحَتَهُ ٱسْتَرَاحَ هُوَ أَيْضًا
مِنْ أَعْمَالِهِ كَمَا ٱللهُ مِنْ أَعْمَالِهِ . ١١ فَلْنَجْتَهِدْ أَنْ نَدْخُلَ تِلْكَ
ٱلرَّاحَةَ لِئَلاَّ يَسْقُطَ أَحَدٌ فِي عِبْرَةِ ٱلْعِصْيَانِ هٰذِهِ عَيْنِهَا . ١٢ لِأَنَّ

كَلِمَةَ ٱللهِ حَيَّةٌ وَفَعَّالَةٌ وأَمْضَى مِنْ كُلِّ سَيْفٍ ذِي حَدَّيْنِ وَخَارِقَةٌ
إِلَى مَفْرَقِ ٱلنَّفْسِ وَٱلرُّوحِ وَٱلْمَفَاصِلِ وَٱلْمِخَاخِ وَمُمَيِّزَةٌ أَفْكَارَ
ٱلْقَلْبِ وَنِيَّاتِهِ . ١٣ وَلَيْسَتْ خَلِيقَةٌ غَيْرَ ظَاهِرَةٍ قُدَّامَهُ بَلْ كُلُّ
شَيْءٍ عُرْيَانٌ وَمَكْشُوفٌ لِعَيْنَيْ ذٰلِكَ ٱلَّذِي مَعَهُ أَمْرُنَا .

١٤ فَإِذْ لَنَا رَئِيسُ كَهَنَةٍ عَظِيمٌ قَدِ ٱجْتَازَ ٱلسَّمٰوَاتِ يَسُوعُ
ٱبْنُ ٱللهِ فَلْنَتَمَسَّكْ بِٱلْإِقْرَارِ . ١٥ لِأَنْ لَيْسَ لَنَا رَئِيسُ كَهَنَةٍ غَيْرُ
قَادِرٍ أَنْ يَرْثِيَ لِضَعَفَاتِنَا بَلْ مُجَرَّبٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِثْلُنَا بِلاَ خَطِيَّةٍ
١٦ فَلْنَتَقَدَّمْ بِثِقَةٍ إِلَى عَرْشِ ٱلنِّعْمَةِ لِكَيْ نَنَالَ رَحْمَةً وَنَجِدَ
نِعْمَةً عَوْنًا فِي حِينِهِ .

فى هذا الفصل جوهر موضوع الراحة الحقيقية التى تكلم عنها الروح القدس فى (مز ٩٥) بما اقتبسه الرسول فى الفصل السابق (ص ٣ : ٧ — ١١) . على أن بحث هذا الموضوع فى الفصل الذى أمامنا يختلف عنه فى الفصل السابق حيث هناك يضع الرسول أمام العبرانيين موضوع الراحة من وجهة المسئولية الإنسانية ، فيلقى التحذيرات الأدبية ضد خطية عدم الطاعة ، ويوجه النظر إلى الإيمان بالله جاعلا إياه نقطة البحث العملية ولب التحذير فى قوله « انظروا أن لا يكون فى أحدكم قلب شرير بعدم إيمان فى الارتداد عن الله الحى » (عد ١٢) ، ويصل إلى نتيجة ذلك البحث فى قوله « فنرى أنهم لم يقدروا أن يدخلوا لعدم الإيمان » (عد ١٩) .

أما فى هذا الفصل فيضع الرسول أمام العبرانيين موضوع الراحة لا من وجهة المسئولية الانسانية بل من وجهة الوعد الإلهى ، ويبحث فيه لا من الوجهة العملية ، بل من الوجهة التعليمية ؛ ويلقى عليه من نور العهد القديم وتعليم الروح القدس ما فيه إيضاح لحقيقة الراحة المقصودة .

فى الفصل الماضى نرى موسى فى علاقته بالذين أخطأوا وسقطت جثثهم فى القفر وتاهوا فى البرية أربعين سنة تحت مقت الله . ومع أنه لم يشترك فى خطيئتهم ، ولم تسقط جثته مع جثثهم ، ولكنه لم يدخل هو أيضاً تلك الراحة — راحة أرض كنعان — ولا هرون أخوه (انظر عد ٢٠ : ٦ — ١٣ و ٢٢ — ٢٩ ، ٢٧ : ١٢ — ١٤ ، ٣٣ : ٣٨ ، تث ٣٢ : ٤٨ — ٥٢ ، ٣٤ : ١ — ٦ ، يش ١ : ١ و ٢) .

وإذا تحققنا أن موسى الذى لم يدخل إلى راحة أرض كنعان قد دخل إلى الراحة السماوية (مت ١٧ : ١ — ٨ ، ٩ : ٢ — ٨ ، لو ٩ : ٢٨ — ٣٦) ، ثبت لنـــا أن راحة أرض كنعان ليست هى الراحة المقصودة وأنها لم تكن سوى رمز إلى الراحة الحقيقية التى سنبحث عنها هنا .

وحيث أن هذا يرينا موسى فى علاقته بالذين لم يدخلوا الراحة فلا يصح اعتباره من هذا القبيل رمزاً إلى المسيح ، لذلك يأتى الرسول فى هذا الفصل إلى ذكر يشوع ويرينا إياه ، فى علاقته بالذين دخلوا إلى راحة كنعان ، رمزاً إلى المسيح .

فيكون إذاً موضوع هذا الفصل ابن الله وعلاقته بالذين يدخلون إلى الراحة الحقيقية .

هذه بعض أوجه الفرق بين هذا الفصل وسابقه فى بحث الموضوع . على أنهما مع كل ذلك مرتبطان معاً بالقول فى :

عد ١ . « **فلنخف** » حيث نجد الفاء تربط الفصلين . وحيث ، فى كلمة « **لنخف** » تتبين العلاقة بين العهدين فى الواجب الإنسانى نحو الخلاص كما بينه ذات الرسول فى قوله : « تمموا خلاصكم بخوف ورعدة » (فى ٢ : ١٢) وكما أوضحه بطرس فى قوله : « سيروا زمان غربتكم بخوف » (١ بط ١ : ١٧) . فهو ليس خوف العبودية بل خوف الاحتراص الذى قيل فيه « لذلك نحترص أيضاً ، مستوطنين كنا أو مغتربين ، أن نكون مرضيين عنده » (٢ كو ٥ : ٩) . « إذاً من يظن أنه قائم فلينظر أن لا يسقط » (١ كو ١٠ : ١٢) ، « **فلنخف** » .

« **أنه مع بقاء وعد بالدخول إلى راحته** » . هنا يرى الرسول فى بقاء الوعد أساساً يبنى عليه الخوف المشار إليه . وهو مثل قوله فى (٢ كو ٧ : ١) « فإذ لنا هذه المواعيد

أيها الأحباء لنطهر ذواتنا من كل دنس الجسد والروح مكملين القداسة فى خوف الله » . ويرى فى هذا الأساس باب الراحة مفتوحاً ، ويرى فى هذا الباب المفتوح إيذاناً بالدخول إلى تلك الراحة على أساس ذلك الوعد الإلهى .

أما الوعد فهو ذات الوعد الذى أعطى لابراهيم (تك ١٢ : ٣ و ٧) « وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض » و « لنسلك أعطى هذه الأرض » . وهو وعد مزدوج يختص بالنسل والإرث . أما النسل فقد أشار إليه الرسول فى (غل ٣ : ١٦ و ١٧) محققاً بأن هذا النسل هو المسيح الذى فيه قبلت المواعيد ، وأن العهـــد قد تمكن من الله نحوه . أما الميراث فقال فيه عن وارثيه إنهم تغربوا فى أرض الموعد لأنهم كانوا ينتظرون المدينة التى لها الأساسات التى صانعها وبارئها الله . وقد أقروا بأنهم غرباء ونزلاء فى أرض كنعان مبتغين وطناً أفضل أى سماوياً . لذلك لا يستحى بهم الله أن يدعى إلههم لأنه أعد لهم مدينة » (انظر تفسير عب ١١ : ٨ — ١٦) .

هذا الوعد لا يزال باقياً لم ينته بدخول إسرائيل إلى راحة أرض كنعان التى قيل عنها « ليست هذه هى الراحة . من أجل نجاسة تهلك والهلاك شديد » (مى ٢ : ١٠) . فلم تكن سوى ظل الراحة التى رآها المرنم بعين النبوة وهو فى أرض كنعان وتكلم عنها بالروح القدس (انظر تفسير عد ٨ و ٩) . ورآها أيضاً إشعياء النبى فى دائرة ملكوت المسيح الروحى (إش ٢ : ٢ — ٤ ، ١١ : ١ — ١٠ انظر مى ٤ : ١) .

هذه الراحة ، هى هنا منسوبة إلى هاء الغائب « راحته » كما نسبت فى الفصل الماضى إلى ياء المتكلم « راحتى » . وهاء الغائب وياء المتكلم كلاهما يعود إلى الله أى راحة الله . وهى « راحته » باعتبار ما قيل عنه فى (تك ٢ : ٢ و ٣ وخر ٢٠ : ١١) « واستراح » أى الله . ليس بمعنى الاستراحة بعد تعب أو إعياء «أماعرفت ؟ أم لم تسمع ؟ إله الدهر الرب خالق أطراف الأرض لا يكل ولا يعيا » (إش ٤٠ : ٢٨) . بل بمعنى الفراغ من العمل الذى عمله خالقاً واكماله وهذا ما تعنيه الكلمة العبرية « شبت » أى « سبت » (تك ٢ : ٣ — انظر تفسير عد ٤) . على أن الاستراحة المقصودة تتضمن أيضاً سرور الله بعمله الذى به استراحت أحشاؤه كما قيل « ورأى الله كل ما عمله فإذا هو حسن » (تك ١ : ٢١) .

هى راحته أيضاً باعتبار ما قيل عنه : « قم يارب إلى راحتك أنت وتابوت عزك » ، « لأن الرب قد اختار صهيون اشتهاها مسكناً له . هذه هى راحتى إلى الأبد ههنا أسكن لأنى اشتهيتها » (مز ١٣٢ : ٨ و ١٤) . « راحته » بعد إكمال عمله فى إخراج إسرائيل من أرض مصر والسير بهم فى البرية إلى أن أدخلهم إلى الأرض الموعود بها فتمت مقاصده واستراحت نفسه معهم فى أرض كنعان .

كل ذلك رمز إلى راحته فى المسيح الذى قال عنه « مختارى الذى سرت به نفسى » (إش ٤٢ : ١) . إذ فيه تعظمت حكمته وبره وقداسته ونعمته وتمت كل مقاصده وتدبيرات مجده ، وفيه يتم فرحه بالمؤمن كما قيل : « يبتهج بك فرحاً ، يسكت فى محبته ، يبتهج بك بترنم » (صف ٣ : ١٧) . فهى « راحته » إذ تنسم رائحة الرضا وقال فى قلبه « لا أعود ألعن الأرض أيضاً من أجل الإنسان » وذلك بواسطة المحرقة الكفارية المصعدة على مذبح الفداء ، الصاعدة إلى السماء مع بخور ذبيحة المسيح وشفاعته الشفاعة الزكية (تك ٨ : ٢٠ و ٢١) .

على أن هذه الراحة هى راحة الله ، ليس فقط باعتبار كونها راحة قلبه ، بل أيضاً باعتبار أنه هو الذى أعدها وأعد طريق الدخول إليها كما سنرى . فهى ، من هذا القبيل راحة معدة للمؤمنين. ويجدر بنا أن نتفهمها من هذه الناحية أيضاً .

أول ما ذكر الكتاب عن هذه الراحة ما شعر به لامك ونشده فى ابنه الذى دعاه « نوحاً . قائلا هذا يعزينا عن عملنا وتعب أيدينا من قبل الأرض التى لعنها الرب » (تك ٥ : ٢٨ و ٢٩) . فإن اسم « نوح » وكلمة « يعزينا » كلاهما من لفظ واحد معناه راحة ويريح . وفى الفكر إشارة إلى الراحة من نتائج اللعنة التى جلبتها الخطية على الإنسان تحت غضب الله ، ليس فقط باعتبار أنها راحة الأموات الذين يموتون فى الرب لكى يستريحوا من أتعابهم (رؤ ١٤ : ١٣) ، أو راحة الذين يتضايقون ، التى يدخلونها إليها عنـــد استعلان الرب يسوع من السماء مع ملائكة قوته متى جـــاء ليتمجد فى قديسيه (٢ تس ١ : ٧ — ١٠) ، بل هى راحة المؤمنين أيضاً فى هذه الحياة الدنيا ، لذلك نسمع صوتاً فى العهد القديم يقول : « هذه هى الراحة . أريحوا الرازح » (إش ٢٨ : ١٢) ،

وهو صدى صوت السيد الذى ينادى فى العهد الجديد قائلا : « تعالوا الى يا جميع المتعبين والثقيلى الأحمال وأنا أريحكم » (مت ١١ : ٢٨ — ٣٠) .

أما الدخول إلى هذه الراحة فهو من الطريق والباب اللذين أعدهما الله كما سبقت الإشارة :(١) بالتبرير ، « فاذ قد تبررنا بالإيمان لنا سلام مع الله بربنا يسوع المسيح . الذى به أيضاً قد صار لنا الدخول بالإيمان إلى هذه النعمة التى نحن فيها مقيمون » (رو ٥ : ١ و ٢) . (٢) بالتبنى . « إذ لم تأخذوا روح العبودية أيضاً للخوف بل أخذتم روح التبنى الذى به نصرخ يا أبا الآب » (رو ٨ : ١٥) ، « فلنتقدم بثقة إلى عرش النعمة لكى ننال رحمة ونجد نعمة عوناً فى حينه » (عب ٤ : ١٦) . (٣) بالتقديس ، « فإذ لنا أيها الأخوة ثقة بالدخول إلى الأقداس بدم يسوع طريقاً كرسه لنا حديثاً حياً بالحجاب أى جسده . لنتقدم بقلب صادق فى يقين الإيمان مرشوشة قلوبنا من ضمير شرير ومغتسلة أجسادنا بماء نقى » (عب ١٠ : ١٩ — ٢٢) « فلنخف أنه مع بقاء وعد بالدخول إلى راحته » .

« **يرى أحد منكم أنه قد خاب منه** » . الهاء فى « منه » إما أن تعود إلى الوعد بالراحة أو إلى الدخول إليها ، وفى كلتا الحالين الأمر متعلق بالراحة وهى بيت القصيد .

يقرأ البعض « أحد منا » فى مكان « أحد منكم » وهذه القراءة تطابق القول «فلنخف» كما سبق ، والقول فى ما يلى « لأننا نحن أيضاً قد بشرنا » (عد ٢) « لأننا نحن المؤمنين ندخل الراحة » (عد ٣) ، « فلنجتهد » (عد ١١) ، حيث كلها قد وردت فى صيغة المتكلم للجماعة لا المخاطب . على أن الانتقال من صيغة المتكلم إلى المخاطب خطة الرسول كما نرى فى (ص ٣ : ١٢ — ١٤) وفى بعض المواضع الأخرى . حيث نجده يضم نفسه إلى الجماعة وفى الوقت نفسه يقف منهم موقف المخاطب لهم (قابل رو ١٤ : ١٣) أما عن العبارة فى ذاتها فارجع فى تفسيرها إلى القول « أحدكم » كما جاء فى (ص ٣ : ١٢).

أما الكلمة «يرى » فقد اختلفوا بشأن استعمالها فى أصلها ، فقد رأوا فيها كلمة مضافة إلى عبارة « قد خاب » إما للتشديد فى التحذير كما جاء فى (١ كو ١١ : ١٦) قوله « يظهر » (قابل ١ كو ١٢ : ٢٢ ، ٢ كو ١٠ : ٩) ، وإما للتلطف فى التعبير

كما وردت فى (١كو ٧ : ٤٠) قوله « وأظن » (قابل ١كو ١٠ : ١٢ ، ١٤ : ٣٧) . وربما كان المقصود باستعمالها هنا بالحرى التحذير من كل ما يظهر أنه خيبة بأى مظهر من المظاهر . أما الأصل فى كلمة « خاب » ففيه معنى التقصير أو التأخر بالنسبة للزمان والمكان والتقدم وهى حالة الذين ، فى طريق سيرهم فى البرية إلى أرض كنعان ، تثاقلت خطواتهم لعدم إيمانهم فأبطأوا فى تقدمهم فتركوا متأخرين حيث سقطت جثثهم فلم يدخلوا أرض الموعد . أذكر العذارى الجاهلات اللواتى وصلن إلى المكان بعد أن دخل العريس والمستعدات وأغلق الباب (مت ٢٥ : ١ — ١٢ قابل لو ١٣ : ٢٥) .

عد ٢ . « **لأننا نحن أيضاً قد بشرنا كما أولئك** » هنا دليل من الأدلة على « بقاء وعد بالدخول إلى راحته » ، فلو لم يكن وعد لما كانت بشارة ولا تبشير على حد قول السيد : « فى بيت أبى منازل كثيرة وإلا فإنى كنت قد قلت لكم » (يو ١٤ : ٢) . « **أولئك** » الذين أسخطوا وسقطت جثثهم فى القفر « **بشروا** » أى سمعوا الخبر الجيد « وما أجمل على الجبال قدمى المبشر المخبر بالسلام المبشر بالخير المخبر بالخلاص » (إش ٥٢ : ٧) . لأنه « كأس ماء باردة لنفس عطشانة الخبر الطيب من أرض بعيدة » (أم ٢٥ : ٢٥) . هذه البشارة هى ذلك الخبر الطيب الذى سمعه أولئك خاصاً بتلك الراحة . أما تبشيرهم بذلك الخبر فقد بدأ كما رأينا بإعطاء الوعد لأبيهم ابراهيم وتثبيته لنسله من بعده ، ليس فقط بالإعلان الواضح ، بل أيضاً فى الطقوس والرموز والإشارات . وحيث قد رأينا أن المواعيد قيلت فى المسيح ، وأن الميراث الموعود به هو الوطن السماوى ، الذى هو الراحة الحقيقية ، لهذا وبهذا « **نحن أيضاً قد بشرنا** » . « وهذا هو الإنجيل الذى قد ابتدأ الرب بالتكلم به . ثم تثبت لنا من الذين سمعوا » (عب ٢ : ٣) . هذه هى البشارة الجيدة والخبر الطيب الذى جاءنا من الأرض البعيدة مبشراً بالراحة والسلام للبعيدين والقريبين . الإنجيل الذى بشر به هؤلاء العبرانيون وجميع المؤمنين فى العهد الجديد فقبلوه وفيه يقومون وبه يخلصون (١كو ١٥ : ١ و ٢) .

« **ولكن لم تنفع كلمة الخبر أولئك** » : « **كلمة الخبر** » هى كلمة الوعد بالدخول إلى الراحة ، والخبر هو الطريقة الوحيدة التى بها يصل إلينا ما يمكن أن ينتفع به من أى كلمة « وكيف يؤمنون بمن لم يسمعوا به » ؟ « إذاً الإيمان بالخبر والخبر بكلمة الله »

(رو ١٠ : ١٤ و ١٧) . ولهذا الخبر صوت يذاع هو كلمة الخبر التى تسمع « هوذا صوت خبر جاء » (إر ١٠ : ٢٢) . « **ولكن لم تنفع كلمة الخبر أولئك** » . ألم يهلكوا فى القفر ؟ ألم ينفذ فيهم ، تحت غضب الله ، حكم عدم الدخول إلى الراحة ؟ فأين النفع ؟ ولكن لماذا لم تنفع كلمة الخبر أولئك ؟ ألعلهم لم يسمعوا ؟ بلى . إلى كل الأرض خرج صوتهم وإلى أقاصى المسكونة أقوالهم » (رو ١٠ : ١٨) . ألعل كلمة الخبر ضعيفة فى ذاتها وغير قادرة ؟ إنها ليست كلمة الناموس العاجز الضعيف فى شأن الخلاص (رو ٨ : ٣) بل هى كلمة البشارة القوية ، خبر الإنجيل الذى هو قوة الله للخلاص (رو ١ : ١٦) ، هى وعد الراحة الذى أعطى قبل الناموس بأربعمئة وثلاثين سنة عهداً لا ينسخ وموعداً لا يبطل بالناموس (غل ٣ : ١٧) . إذاً لماذا لم تنفع كلمة الخبر أولئك ؟ الجواب فى القول :

« **إذ لم تكن ممتزجة بالإيمان فى الذين سمعوا** » هنا يضع الرسول حقيقة « الإيمان » بين « **كلمة الخبر** » وبين « الذين سمعوا » ويبين سر عدم نفع كلمة الخبر ليس فى ذاتها بل بالنسبة للذين سمعوها إذ لم تكن هذه الكلمة « ممتزجة بالإيمان » فيهم . وإذا أصغينا ، نسمع الكتاب يتحدث عن كلمة الخبر بوصف كونها شراباً وطعاماً . فقال الرسول فيها بوجه التمثيل : « سقيتكم لبناً » (١ كو ٣ : ٢) « لأن كل من يتناول اللبن هو عديم الخبرة فى كلام البر لأنه طفل » (عب ٥ : ١٣) ، وهذا ما نصح به الرسول بطرس : « كأطفال مولودين الآن اشتهوا اللبن العقلى العديم الغش لكى تنموا به » (١ بط ٢ : ٢) ، وهو عين ما نادى به نبى الإنجيل قديماً « أيها العطاش جميعاً هلموا إلى المياه . . هلموا اشتروا خمراً ولبناً » (إش ٥٥ : ١) . أما عن كونها طعاماً فقد أشير إليه أيضاً فى (١ كو ٣ : ٢ ، عب ٥ : ١٢ و ١٤ ، إش ٥٥ : ٢) . وكما أنه كثيراً ما يشار إلى الشراب القوى بالممزوج (مز ٧٥ : ٨ ، أم ٢٣ : ٣٠ ، رؤ ١٨ : ٦) وكما أن الطعام ، لينتفع به الجسم ، يجب أن يمتزج باللعاب وبما تفرزه المعدة لأجل الهضم والفرز وتنظيم الدورة الدموية ، هكذا الكلمة لكى ينتفع بها سامعوها يجب أن تكون ممتزجة بالإيمان فيهم . فالإيمان هو القوة التى بها تغرس الكلمة فى القلب وتثمر فتصير قادرة على الخلاص (يع ١ : ٢١) ، بل هو اللعاب الذى يسيغها ، والمفرزات

التى تهضمها ، والحياة التى تسرى بها فى كل قوى النفس فتجعلها نافعة . أما فى أولئك فلم تمتزج بالإيمان فلم تنفعهم . على أننا ازاء هذه الحقيقة يجب أن لا ننسى أن الإيمان هو عطية الله كما أن الكلمة هى كلمة الله (أف ٢ : ٨) . وهذا منطبق على حق الإنجيل وبخاصة على الوعد الذى نحن بصدده فهو إلهى فائق الطبيعة يلزم لقبوله قوة فوق العقل ، هى الإيمان الذى هو عطية الله . هذه القوة لم تمتزج بذلك الوعد فى الذين سمعوا . لذلك إذ سمعوا لم يؤمنوا كما قال إشعياء « من صدق خبرنا ولمن استعلنت ذراع الرب » (إش ٥٣ : ١) .

عد ٣ ــ ١٠ . فى (عد ٢) قابل الرسول بين جماعة دل عليهم بلفظ « أولئك » وبين جماعة دل عليهم بلفظ « نحن » ، وفى هذه الآيات يعين المقصودين بالجماعة الأخيرة بالقول : « **نحن المؤمنين** » ، ويقابل بين « أولئك » الذين لم يقدروا أن يدخلوا لعدم الإيمان ، وبين « **نحن المؤمنين** » الذين « ندخل الراحة » ، مبيناً العلاقة بين الإيمان والراحة ، موضحاً حقيقة الراحة التى تكلم عنها المرنم فى (مز ٩٥) ، ذاكراً تلك الراحة الأسبوعية التى أنشئت بعد الخليقة (عد ٣ و ٤) ، مشيراً إلى راحة أرض كنعان سواء التى لم يدخلها العصاة (عد ٥ ــ ٧) أو التى دخلها يشوع وجماعته (عد ٨) ، ثم يخرج بنا إلى الراحة الباقية لشعب الله مبنية على أساس راسخ (عد ٩ و ١٠) .

عد ٣ . « **لأننا نحن المؤمنين ندخل الراحة** » . هنا دليل آخر على بقاء وعد بالدخول إلى الراحة . فكما أن وجود بشارة وتبشير يدل على وجود الوعد ، (عد٢) ، هكذا أيضاً يدل عليه وجود الإيمان والمؤمنين . وحيث أن الإيمان مرتبط بالوعد ، والوعد متعلق بالراحة ، يكون الإيمان إذاً وسيلة الدخول إلى الراحة وبالإيمان « **نحن المؤمنين ندخل الراحة** » .

« **كما قال حتى أقسمت فى غضبى لن يدخلوا راحتى** » : تفسير هذه العبارة سبق فى (ص ٣ : ١١) . أما علاقتها بالعبارة التى قبلها فواضحة من مبدأ ، وبضدها تتبين الأشياء ، فإن كون الله يقسم فى غضبه أن لا يدخل إلى راحته الذين لا يؤمنون ، هذا يعنى أنه تعالى يفتح باب الدخول واسعاً أمام الذين يؤمنون . أو ليس هذا مبدأ فى

لاهوت الكتاب ؟ حيث نجد ضمناً فى كل وعيد وعداً ، وفى كل وعد وعيداً ، ولو لم يذكر صريحاً هذا الوعد أو ذاك الوعيد . فمن الوعيد لآدم مثلا « يوم تأكل منها موتاً تموت » (تك ٢ : ١٧) . يتضمن بلا ريب أنه يحيا إن لم يأكل . وكذا المواعيـــد المتضمنة فى تطويبات المسيح تتضمن ،ولابد ، وعوداً لضدها ،فإن كان الرحماء يرحمون فغير الرحماء لا يرحمون « لأن الحكم هو بلا رحمة لمن لا يعمل رحمة » (يع ٢ : ١٣) وقس على ذلك .

« **مع كون الأعمال قد أكملت منذ تأسيس العالم** » : لفهم القول يلزم معرفة علاقته بقرينة الكلام السابق ، والتثبت من حقيقة الأعمال المذكورة فيه .

أما علاقته بالقرينة فيبينها قوله « **مع كون** » . وقد اختلف العلماء كثيراً فى تبيانها . وإذا غضضنا النظر عن اختلافاتهم ، نقدر أن نراه متعلقاً بالراحة فى الكلام السابق ، راحة الله التى إليها يدخل المؤمنون والتى قال فيها : « أقسمت فى غضبى لن يدخلوا راحتى » ، أى أن الرسول يعلق على ذلك القول الإلهى بالقول : « **مع كون الأعمال** » الخ مبيناً بذلك أن الراحة المشار إليها لابد أن تكون هى تلك الراحة المستفادة من « **كون الأعمال قد أكملت منذ تأسيس العالم** » .

أما حقيقة الأعمال المذكورة فقد اختلفوا فى شأنها فإن البعض يفهمون هذه الأعمال بنسبتها إلى الإيمان الذى سبق الكلام عنه ، ويرون فيها إشارة إلى تعليم الرسول أن الإيمان — دون الأعمال — هو العامل فى الخلاص ، ويتخذون من العبارة بجملتها مقابلة بين العهد الجديد باعتبار أنه كلمة المسيح متعلقاً بالإيمان ، وبين العهد القديم باعتبار أنه كلمة موسى متعلقاً بالأعمال .

على أن كون الأعمال قد « أكملت منذ تأسيس العالم » مضافاً إليه الفكر الذى سنتبينه فى العدد التالى ، هذا يعين هذه الأعمال بوصف كونها أعمال الخلق التى أجراها الله فى ستة أيام الخليقة وأكملها منذ تأسيس العالم ؛ ويجعل الإشارة واضحة إلى راحة الله فى اليوم السابع ، كما سنرى ، وإلى أن هذه الراحة وإن كانت هى راحة الله ، إلا أنها ليست هى التى يشير إليها هنا فى قوله « راحتى » .

أما الكلمة « تأسيس » فتدل فى أصلها على إلقاء شىء من الأعالى إلى حيث يبقى . ففيها إشارة إلى القوة العلوية التى كونت العالم وأنشأته ليبقى فى مكانه تحت القـــادرة الكائنة فوق كل شىء . ويكون القول « منذ تأسيس العالم » تعبير عن بدء الأشياء . بينما العبارة « قبل تأسيس العالم » تعبير عن الأزل .

عد ٤ . « لأنه قال فى موضع عن السابع هكذا » : هذا الكلام يحقق أن الرسول، وهو يتكلم فى العبارة السابقة عن الأعمال التى أكملت ، كان فكره منحصراً فى اليوم السابع . الذى جاء بعد ستة أيام الخليقة ، وتكلم عنه موسى فى (تك ٢ : ٢ و ٣). باعتبار أنه يوم راحة الله بعد عملية الخلق كما سنراه فى الاقتباس التالى .

الكلمة اليونانية المترجمة « السابع » هى كلمة « أبدومى » وهى كلمة قد تستعمل على اطلاقها فتعنى اليوم السابع مطلقاً بالنسبة لليوم الأول الذى تبدأ به الدورة الأسبوعية بدون تحديد اليوم أو تعيينه . على أنها قد تستعمل أيضاً فنياً كتسمية ليوم معلوم خاص أو كلقب لأحد أيام الأسبوع التى يعطى لكل منها لقبه الخاص به . وفى وقت كتابة الرسالة كان اليونانيون يطلقون كلمة « أبدومى » على يوم السبت وهو المشار إليه هنا بالقول .

« واستراح الله فى اليوم السابع من جميع أعماله » : فى جزء الآية السابق رأينا يوم الراحة الأسبوعية ، وفى هذا الجزء نرى الراحة ذاتها التى على أساسها اعتبر اليوم السابع يوم الراحة ، حيث قيل فى موضع الاقتباس المشار إليه سابقاً أى فى (تك ٢ : ٣). « وبارك الله اليوم السابع وقدسه . لأنه فيه استراح من جميع عمله الذى عمل الله خالقاً » . وقد ذكرنا فى العدد الأول شيئاً عن كلمة « استراح » حيث رأيناها ترجمة للفظة العبرية « شبت » وهى ذات الكلمة العربية « سبت » ، وهى فى ذاتها تفيد مجرد الانتهاء من العمل واكماله والانقطاع عنه إذ انتهى وكمل . ولذلك تسمى اليوم السابع ، الذى فيه أكمل العمل ، بيوم السبت ، أى يوم الاستراحة ، حيث دخل الله فيه إلى راحته منذ تأسيس العالم .

على أنه يظهر أن الرسول هنا يبحث عن هذه الراحة ليس على اطلاقها بل باعتبار أنها أساس الراحة التى يمكن للخلائق المطيعة الدخول إليها ، كما جاء فى الوصية الرابعة « أذكر يوم السبت لتقدسه . ستة أيام تعمل وتصنع جميع عملك وأما اليوم السابع ففيه سبت للرب إلهك . لا تصنع عملا ما . . . لأن فى ستة أيام صنع الرب السماء والأرض والبحر وكل ما فيها . واستراح فى اليوم السابع لذلك بارك الرب يوم السبت وقدسه » (خر ٢٠ : ٨ — ١١) .

عد ٥ . « **وفى هذا أيضاً لن يدخلوا راحتى** » : أى فى هذا الموضع الذى هو (مز ٩٥ : ١١) الذى قيل فيه « لن يدخلوا راحتى » ، الموضع الذى نحن بصدده وهو موضوع البحث هنا .

« **فى هذا أيضاً** » أى بمقارنته بما قيل فى الموضع الذى ذكر فى الآية السالفة أى فى (تك ٢ : ٢ و ٣) ، ففى ذلك الموضع قيل : « واستراح الله » « **وفى هذا** » « الموضع قيل : « لن يدخلوا راحتى » . ففى الموضعين ذكر راحة هى راحة الله . وفى هـذا الذكر ومتعلقاته دليل على أن الله أعد هذه الراحة للذين يدخلونها . فإن فى هذا القول : « **لن يدخلوا راحتى** » نصاً تاريخياً فى موسى ، ونصاً نبوياً فى داود ، رأى فيه الرسول نصاً على راحة روحية باقية ، وعلى دعوة جديدة إلى راحة مقدسة ليست هى راحة السبت الأسبوعى منذ تأسيس العالم ، ما دام النبى فى النص يشير إلى راحة أخــرى كما تقتضيه قرينة الكلام .

عد ٦ . « **فإذ بقى أن قوماً يدخلونها والذين بشروا أولا لم يدخلوا لسبب العصيان** » هذه خلاصة أقوال الرسول فى الموضوع ، وقد ضمنها أمرين :

أحدهما متضمن فى القول : « **بقى أن قوماً يدخلونها** » (قابل عد ٣ وانظر تفسير عد ٩) . وهو قول مبنى على عدم دخول قوم لتلك الراحة . إذ لم يبن على عدم دخولهم زوال الراحة ، بل بنى عليه دخول قوم آخرين . فالراحة باقية ولا بد من قوم يدخلونها . وهذه حقيقة بينها جلياً مثل العشاء العظيم الوارد فى (لو ١٤ : ١٥ — ٢٤) وبخاصة قول السيد للعبد فى ختام المثل : « اخرج إلى الطرق والسياجات والزمهم

بالدخول حتى يمتلىء بيتى لأنى أقول لكم إنه ليس واحد من أولئك الرجال المدعوين يذوق عشائى » فان العشاء قد أعد ، ، وعدم إجابة الدعوة إليه لا يلغى العشاء بل يفتح الباب ويفسح الطريق لآخرين ليدخلوا ويأكلوا . مع حرمان أولئك الذين استعفوا من قبول الدعوة .

ثانيهما متضمن فى القول : « والذين بشروا أولا لم يدخلوا لسبب العصيان » . وهؤلاء هم أولئك المذكورون فى (عد ٢) وكانوا موضوع الكلام فى كل الفصل الماضى. (أنظر أيضاً تفسير عد ١٠) .

فى الأمر الأول يتجلى قوم يدخلونها ويتجلى فيهم الإيمان ، وفى الأمر الثانى يتبين القوم الذين لم يدخلوا ويتبين فيهم العصيان الذى هو عدم الإيمان فى صورته العملية .

أما الكلمة « فإذ » التى تبدأ بها الآية فيمكننا معها أيضاً أن نعتبر هذه الآية مقدمة أساسية يقوم عليها بناء الكلام فى :

عد ٧ . « يعين أيضاً يوماً » . هنا جواب « إذ » كما أشرنا فى العدد السابق متضمن فى الفعل « يعين » الذى فيه أصلا معنى إقامة الحدود لحقل أو لمكان ما ، فاستعمل هنا لتحديد الزمان . والواضح أن الفاعل فى هذا التعيين هو الله تعالى الذى يقال عنه « يعين أيضاً يوماً » .

لقد رأينا فى البشارة والتبشير (عد ٢) وفى الإيمان والمؤمنين (عد ٣) ، دليلين على « بقاء وعد بالدخول إلى راحته » وقد سبق الكلام عنهما ؛ والآن نرى هنا فى تعيين « يوم » لتلك الراحة الموعود بها ، دليلا آخر . وهذا « اليوم » هو بيت القصيد فى هذه الآية وما بعدها . هو اليوم الذى يبينه :

« قائلا فى داود اليوم » . حيث اقتطف الرسول فى هذا القول كلمة « اليوم » من العبارة التى قالها الروح القدس فى (مز ٩٥ : ٧ و ٨) وعلق عليها قائلا :

« بعد زمان هذا مقداره » ، وهو تعليق مبنى على كون داود نطق بهذه الكلمات بعد أن صار لإسرائيل نحو ٥٠٠ سنة فى أرض كنعان . ومع ذلك فهو يقول « اليوم » .

وحيث أنه تكلم فى موضوع راحة متعلقة بهذا « اليوم » فلابد أن تكون تلك الراحة المشار إليها غير راحة كنعان ، ولابد أن تكون هنالك نبوة إلى يوم عصر المسيا وهو ، بالنسبة لليهود كشعب ، ذلك الزمان الذى مرَّ بين بدء السيد نفسه بالكرازة لهم بالتوبة وبين ختام نصيبهم فى مجيئه الرمزى عند خراب أورشليم . وأما بالنسبة لشعب العهد الجديد ، إسرائيل الروحى ، فهو الوقت ما بين مجيئه الأول ببشارة الخلاص والمجىء الأخير للختم على كل نصيب .

« كما قيل اليوم إن سمعتم صوته فلا تقسوا قلوبكم »(انظر شرح ص ٣ : ٧ و٨ و١٥) .

عد ٨ . « لأنه لو كان يشوع قد أراحهم » . فى هذه العبارة نجد تثبيتنا للدليل المشار إليه فى الآية السابقة خاصاً بتعيين يوم لراحة غير راحة أرض كنعان . وفى ذات الوقت نشتم فيها رائحة الرد على اعتراض يمكن أن يقدم ضد براهين الرسول وأدلته ، كأن يقال مثلا ولو أن الشعب الذى خرج من مصر لم يدخل إلى راحة الله الموعود بها بسبب عدم إيمانهم وعصيانهم ، إلا أن جيل أبنائهم دخل تحت قيادة يشوع وتمتع بالراحة التى حرم منها الآباء . وهذه هى الراحة المقصودة ، فعلى أى أساس تتكلم أيها الرسول عن راحة أخرى يجب أن ندخلها وتخشى أن يخيب منها أحدنا ؟ على هذا الاعتراض ، سواء وقع فرضاً أو حقيقة ، نشتم رائحة جواب الرسول بالقول :

« لو كان يشوع قد أراحهم لما تكلم بعد ذلك عن يوم آخر » ، حيث نرى :

١ ـ أن يشوع ولو أنه أدخل إسرائيل إلى أرض كنعان ، لكنه لم يرحهم : وبعبارة أخرى أن الإسرائيليين الذين دخلوا إلى أرض كنعان لم يجدوا فيها راحة . وأية راحة يجدونها فى أرض يسكنها الأعداء الذين بيدهم كثيراً ما بيعوا عبيداً ، أرض فيها حروبها الداخلية وغزواتها الخارجية ، أرض هى مسرح ارتداد وعصيان شرهما يفوق شر ارتداد وعصيان القفر ، فلا عجب إذا كانت أرضا تقذف سكانها وتلقى بهم إلى قرارة عبودية السبى الأليم .

٢ — أن كل ما تكلم به الله عن تلك الراحة ومتعلقاتها فى أرض كنعان وكل ما أشارت به إليها الطقوس الموسوية . والرموز التمثيلية ، لم يكن فيه نفس تلك الأشياء ولا جوهرها (عب ١٠ : ١) فلا الله ولا شعبه حينئذ وجد راحة فى شيء منها . ولم يكن لها غرض ولا نفع إلا بكونها أشياء رمزية مدربة وموديه إلى تلك الراحة الموعود بها منذ القديم فى نسل المرأة الذى يسحق رأس الحية (تك ٣ : ١٥) . وهذه هى الراحة التى قصدها الله عندما « تكلم عن يوم آخر » قائلا فى داود « اليوم » بعد زمان هذا مقداره .

عد ٩ . « **إذاً بقيت راحة لشعب الله** » : هذه هى النتيجة التى وصل إليها الرسول بالدليل ، وهى أيضاً ذات الموضوع الذى قصد أن يقيم عليه الدليل . وهنـــا يجدر بنا أن نراجع خلاصة بحثه :

(١) من التاريخ ، حيث يتضح أن لإسرائيل وعداً بالدخول إلى أرض كنعان التى هى بمعنى ما راحة الله ، وأن قوماً منهم بسبب عصيانهم لم يدخلوا تلك الراحة بل سقطت جثثهم فى القفر تحت غضب الله ، وأن أبناء أولئك قد دخلوها إتماماً لوعد الله بقيادة يشوع بن نون .

(٢) من النبوة ، حيث يتضح أن أرض كنعان لم تكن هى الراحة المقصودة لأن داود يتكلم عن راحة أخرى ، وأنه لو كان يشوع قد أراحهم لما تكلم داود عن يوم راحة آخر ، وأن الوعد بالراحة لا يزال موضوع التبشير ، وأن وعد الله لابد أن يتم للمؤمنين الذين يدخلون الراحة .

« **إذاً بقيت راحة لشعب الله** » .

إزاء هذه النتيجة المحققة لنقف قليلا ونلق نظرة فاحصة إلى عمق هذه الراحة لعلنا نهتدى إلى حقيقتها وجوهرها . فإننا نجد أن الرسول فى كل بحثه السابق يستعمل الكلمة اليونانية « **كاتابوسيس** » للتعبير عن الحالة التى توصف بأنها « **راحة** » ، ولكنه لمـــا وصل إلى نتيجة بحثه فى هذه الآية ، سما بالتعبير إلى كلمة — فى أصلها — عبرانية ذيلها ببعض الأحرف اليونانية وكأنه قد صاغها صوغاً للتعبير عن قصده وهى كلمة :

« **سباتيسمس** » من الأصل العبرى شبّات أى راحة ، وهى كلمة السبت التى استعملها موسى للتعبير عن راحة الله بعد الخلق فى قوله « واستراح الله » (تك ٢ : ١ — ٣) . ولم تستعمل هذه الكلمة اليونانية « **سباتيسمس** » فى العهد الجديد إلا فى هذا الموضع كما أنه يقال إنها لم ترد فى اليونانية الأصلية إلا فى مؤلفات بلوتارك الشهيرة . وهى تعبر عن الراحة ، ليس بوصف كونها حالة يتمتع بها الإنسان ، بل باعتبار كونها ذكرى يحتفل بها ، هى ذكرى السبت المقدس ، ذكرى راحة الله نفسه ، ليس بمقتضى الفكرة الناموسية التى وردت فى الوصية الرابعة من الناموس مبنية على تلك الذكرى ، بل باعتبار تلك الحقيقة المقدسة التى قصد الله أن يبرزها فى راحة اليوم السابع منذ تأسيس العالم بدخوله بنفسه إلى تلك الراحة عينها بعد الخليقة كما سبق القول وكما سنرى أيضاً فى ما يلى :

« **شعب الله** » : ليس هو الشعب الذى أعطاه الناموس عند جبل سيناء وعلى أساسه قطع معه العهد المقدس ، وسرعان ما عبد هذا الشعب العجل الذهبى ، ونقض العهد الإلهى ، فغضب الله ، وأية راحة فى غضب الله ؟ فقد قيل « أما الأشرار فكالبحر المضطرب . لأنه لا يستطيع أن يهدأ وتقذف مياهه حمأة وطيناً . ليس سلام قال إلهى للأشرار » ؟ (إش ٥٧ : ٢٠ و ٢١) .

اليهودى الكتابى المدرك ، كالفريسى مثلا ، لا يحصر امتيازات أمته فى الأمور الزمنية ، ولكنه ينتظر بركة روحية مستقبلة وخلوداً فى السماء ، ولكنه يربط كنعان ، بوصف كونها رمزاً ، بالسماء ، بوصف كونها مرموزاً إليه ، ربطاً محكماً ، ويعلم أن الطريق الوحيد للدخول فى العهد الروحى ، إنما هو الدخول فى العهد القومى ، ويحكم أنه ليس نصيب فى السماء إلا لليهود ورثة كنعان الأرضية ، وأن طريق الخلاص الوحيد هو التهود عن طريق الاختتان وحفظ الناموس .

هذه هى الفكرة اليهودية التى أظهر بحث الرسول هنا خطأها ، لأننا نحن المؤمنين ندخل الراحة (عد ٣) ، ولأن عدم الإيمان ، لا عدم الاختتان ، هو الذى يحرم من الدخول إليها (عد ٦) ، فإن جيلا كاملا من المختونين سقط فى القفر وخاب من الدخول

إليها بسبب العصيان ، كما أن جيلا كاملا أيضاً وهو فى أرض كنعان فى زمان داود ، وله القومية اليهودية كان فى خطر الحرمان من الدخول لذات السبب . إذاً ليس اليهود هم الشعب المقصود فى القول « إذاً بقيت راحة لشعب الله » « لأن ليس جميع الذين من إسرائيل هم إسرائيليون ولا لأنهم من نسل ابراهيم هم جميعاً أولاد » (رو ٩ : ٦ و ٧) ، بل هو ذلك الشعب الذى هو « إسرائيل الله » (غل ٦ : ١٦) ، شعب الخروف الواقفين معه على جبل صهيون . الذين اشتروا من بين الناس باكورة لله وللخروف من كل الأمم والشعوب والقبائل والألسنة ، الواقفين أمام العرش . الذين غسلوا ثيابهم وبيضوا ثيابهم فى دم الخروف (اقرأ رؤ ٧ : ٩ — ١٧ و ١٤ : ١ — ٥) ، هؤلاء ، وإن كانوا فى هذه الحياة الدنيا تعانى بسبب ما فى داخلهم من المقاومات ، وما يحيط بهم من الشرور ، وما يقع عليهم من الاضطهادات والضيقات ، لكنهم يجدون راحتهم فى المسيح بالإيمان ، الذى يؤيدهم بالقوة فى الإنسان الباطن (أف ٣ : ١٦) إلى أن يأخذهم إلى راحة المجد الأبدى (مز ٧٣ : ٢٤ ، يو ١٤ : ٣ ، ١٧ : ٢٤) .

عد ١٠ . **« لأن الذى دخل راحته استراح هو أيضاً من أعماله كما الله من أعماله »** : المفهوم غالباً فى هذه الآية أنها تقرر حقيقة عامة . وأكثر المفسرين يقولون فيها إن كلمة « الذى » تشير إلى المؤمن الذى يدخل الراحة ، وأن ضمير الهاء فى كلمة « راحته » يشير إلى الله ، ويكون معنى الآية على هذا القياس هو : أن المؤمن ، الذى دخل بالإيمان راحة الله ، استراح هو (المؤمن) أيضاً من أعماله ، أى من أتعابه فى هذه الحياة ، كما استراح الله من أعماله فى اليوم السابع بعد الخليقة . هذا هو التفسير الغالب للآية .

على أننا بالحرى نرى فيها تقريراً ، لا لحقيقة عامة ، بل لحقيقة خاصة ، تقتضيها القرينة ويتطلبها موضوع البحث وطريقته .

هذه الحقيقة الخاصة تتجلى فى شخصية يسوع الذى هو الموضوع العام فى الرسالة ، فهو الذى تقول عنه الآية إنه « دخل إلى راحته » الخاصة « واستراح هو أيضاً من أعماله كما الله من أعماله » . على أن اسم يسوع لم يذكر فى الآية اكتفاء بذكر لفظة فى

(عد ٨) ، حيث نجد هناك لفظة « إيسوس » اليونانية التى ترجمت يشوع وهى ذاتها التى يترجمونها يسوع ، وذلك فى طريق المقابلة بين يشوع الذى لم يكن فى مقدوره أن يريح الشعب مع أنه أدخلهم إلى أرض كنعان ، وبين يسوع الذى دخل إلى راحته بنفسه ليعد تلك الراحة لشعبه الخاص . وفى دخوله إلى راحته استراح من أعماله ، بل من أعمال البشرية بأسرها ، حيث دخلت معه إلى راحته إذ أكمل عملية الفداء لأجلها ، كما استراح الله من أعماله إذ أكمل عملية الخلق .

إزاء هذه الحقيقة الخاصة ، وبما تلقيه أمامنا من نور جديد ، نتقدم الآن إلى كشف معانى هذه الآية التى تتضمن أساس الراحة الحقيقية باحثين عن « الذى دخل راحته » ، وعن دخوله إلى تلك الراحة ، وعن الأعمال التى استراح منها :

(١) « **الذى دخل راحته** » سبق القول إنه يسوع وهذا يتبين من سير البحث هنا بمقابلته مع سيره فى الباب الأول . فإن الرسول فى ذلك الباب الأول ، فى بحث رتبة المسيح الملكية ، وفى علاقته من هذا القبيل بالإنسان ورفعه فوق الملائكة ، ذكر ثلاث قضايا . وفى هذا الباب الثانى من بحث رتبة المسيح النبوية ، وفى علاقته من هذا القبيل بالإنسان وإدخاله إلى الراحة ، ذكر أيضاً ثلاث قضايا . ومن مقابلة هاتين الثلاثيتين إحداهما بالأخرى ، نستطيع أن نرى نوراً يكشف لنا عن يسوع موضوع البابين معاً ، ومركز دائرتيهما الوحيد . وهاك المقابلة :

الباب الأول (ص ٢ : ٥ — ٩)	الباب الثانى (ص ٤ : ١ — ١٠)
رفع الإنسان فى يسوع فوق الملائكة :	**دخول شعب الله فى يسوع إلى راحته :**
١ — الإنسان وما وضع له من مجد السلطان (٥ — ٨) .	١ — الإنسان وما أعد له من الراحة (١ — ٤) .
٢ — الإنسان لم يصل إلى هذا المجد (٨)	٢ — الإنسان لم يدخل إلى تلك الراحة (٥—٨) .
٣ — الإنسان فى يسوع ، وصل إلى المجد (٩)	٣ — الإنسان فى يسوع ، دخل إلى الراحة (٩ و ١٠) .

إذا أضفنا إلى هذه المقابلة ذلك القياس الذى سنراه فى القول : « كما الله من أعماله » ، يتحقق لنا أن يسوع هذا هو ذلك الشخص العجيب الذى يقال عنه هنا إنه : —

(٢) « دخل راحته » . ليس باستراحة جسده فى القبر إلى حين ، لأن هذا وان كان قد وقع فعلا فهو جزء من اتضاعه ، بل جزء من عمله لإتمام الفداء ، وكان لابد منه فى خضوعه تحت سلطان الموت إتماماً لرفع حكم الموت العقابى بكل ما يتعلق به . ولم يكن أيضاً دخوله إلى « راحته » بصعوده إلى السماء حيث أخذ مجداً وكرامة وتكلل بهما ، إذ كان قد سبق فدخل إلى تلك الراحة بالقيامة من الأموات حيث تحرر من حكم الناموس ، ونقض أوجاع الموت ، وكسر شوكته ، وظفر بغلبة الهاوية ، وأكمل النبوات ، وتمم الرموز والإشارات ، وتعين ابن الله بقوة من جهة روح القداسة . ومن هذا يتبين أنه فى اليوم السابع من الأسبوع كان ابن الله فى القبر تحت سلطان الموت يعمل عمله لكى يتمم عملية الفداء ؛ وأنه لم ينته من أعماله ، ولم يدخل إلى راحته إلا فى فجر اليوم الأول من الأسبوع (انظر مت ٢٨ : ١ — ٧ ، مر ١٦ : ١ — ٧ ، لو ٢٤ : ١ — ٨ ، لو ٢٠ : ١ — ١٨) لهذا أيضاً يتكلم فى داود عن يوم آخر قائلا « اليوم إن سمعتم صوته » .

وكما أن اليوم الذى استراح فيه الله قد دعى سبتاً أى راحة ، هكذا اليوم الذى استراح فيه يسوع من أعماله ، وفيه دخل إلى راحته ، يدعى سبتاً . فيكون دخول المسيح إلى راحته هو دخوله إلى سبته ، الذى هو اليوم الأول من الأسبوع ، كما رأينا ، الذى أصبح بهذا الاعتبار سبت الخليقة الثانية فى المسيح كما كان اليوم السابع سبت الخليقة الأولى .

(٣) « استراح هو أيضاً من أعماله كما الله من أعماله » وهنا يأتينا السؤال فى موضوع الأعمال التى « استراح هو » (يسوع) منها . ومنه نتبين أن له أعمالا قام بها كما أن لله أيضاً أعمالا قام بها . أما الأعمال التى قام بها الله فهى أعمال الخليقة ، كما علمنا ، وهى أعمال تأسيسية فى بنيان ملكوت الله وإتمام مقاصده لمجده . ومن هـذا القبيل أعمال يسوع فى دائرة الملكوت بعينه لمجد أبيه فى تأسيس الخليقة الجديدة ، وإعادة

المجد الذى عبثت به يد الخطية الخاطئة ، فهى أعمال الفداء العجيب بكل ما يحويه من جمال المبنى وسمو المعنى . وما بين أعمال الخلق وأعمال الفداء من الروابط والعلاقات يؤكد لنا أنه إن كانت الأعمال الأولى هى أعمال الله ، فلابد أن تكون الثانية هى أعمال ابن الله .

وحيث قد تبينا الأعمال فلنبحث فى موضوع الاستراحة منها . وكما رأينا الاستراحة لله من أعماله فى معنى الانتهاء من العمل ، والسرور به بعد الانتهاء منه ، هكذا نراها فيما يتعلق بيسوع ، فهى الانتهاء من عمل الفداء الذى جاء إلى العالم ليكمله ، وسروره القلبى بهذا العمل عند انتهائه . فقد قدم نفسه مرة واحدة (عب ٧ : ٢٧ و ٩ : ٢٥ — ٢٨) ومات مرة واحدة للخطية فلا يسود عليه الموت بعد (رو٦ : ٩ و ١٠) .

وكما أن الله بعد أن أكمل الخلق لم يترك الخليقة وشأنها ، بل بقيت تحت عنايته ولا تزال إلى أن تتم فيها جميع مقاصده الأزلية ، هكذا يسوع ، وقد أكمل عمل الفداء ، وجلس فى يمين العظمة فى السماء ، لا تزال نعمته تعمل بروحه فى حفظ الخليقة الجديدة والوصول بها إلى القصد الأسمى . فيتم بذلك القول « أبى يعمل حتى الآن وأنا أعمل » (يو ٥ : ١٧) .

عد ١١ . « **فلنجتهد أن ندخل تلك الراحة لئلا يسقط أحد فى عبرة العصيان هذه عينها** » لقد دخل المسيح إلى سبته (راحته) المقدس . وفيه ، جل اسمه ، أعدت هذه الراحة السبتية لشعبه الخاص . « إذاً بقيت راحة (سبت) لشعب الله » « وبقى أن قوماً يدخلونها » .

« **فلنجتهد أن ندخل تلك الراحة** » لأن فى الطريق إليها عثرات ، ومقاومات ، ومخاوف ، وضيقات ، وأهوالا ، داخلية وخارجية وكلها تعمل معاً للحيلولة بيننا وبين « **تلك الراحة** » . وازاء هذه كلها وغيرها تقدر النصيحة القائلة « **فلنجتهد** » كما وضعت أمامنا مشروحة شرحاً وافياً فى كلمات بطرس الرسول حيث قال : « كما أن قدرته الإلهية قد وهبت لنا كل ما هو للحياة والتقوى بمعرفة الذى دعانا بالمجد والفضيلة اللذين بهما قد وهب لنا المواعيد العظمى والثمينة لكى تصيروا بها شركاء الطبيعة الإلهية

هاربين من الفساد الذى فى العالم بالشهوة . ولهذا عينه وأنتم باذلون كل اجتهاد قدموا فى إيمانكم فضيلة ، وفى الفضيلة معرفة ، وفى المعرفة تعففاً ، وفى التعفف صبراً ، وفى الصبر تقوى ، وفى التقوى مودة أخوية ، وفى المودة الأخوية محبة ؛ لأن هذه إذا كانت فيكم وكثرت تصيركم لا متكاسلين ، ولا غير مثمرين لمعرفة ربنا يسوع المسيح . لأن الذى ليس عنده هذه هو أعمى قصير البصر قد نسى تطهير خطاياه السالفة . لذلك بالأكثر اجتهدوا أيها الأخوة أن تجعلوا دعوتكم واختياركم ثابتين . لأنكم إذا فعلتم ذلك لن تزلوا أبداً . لأنه هكذا يقدم لكم بسعة دخول إلى ملكوت ربنا ومخلصنا يسوع المسيح الأبدى » (٢ بط ١ : ٣ — ١١) لأن « ملكوت السموات يغضب والغاصبون يختطفونه » (مت ١١ : ١٢) « فلنجتهد » :

« **لئلا يسقط أحد فى عبرة العصيان هذه عينها** » . هذا هو الغرض الذى يريد الرسول أن تتوجه إليه كل جهودنا . أما التعبير عن هذا الغرض فيتضح منه أن الرسول لا يزال يوجه نظرنا إلى كل ما سبق فقاله بشأن سقوط الآباء فى البرية ، ويحدد هذا السقوط بكونه سقوطاً فى :

« **عبرة العصيان** » ، وهذا طبعاً يتضمن سقوطهم فى « **العصيان** » نفسه فانهم لم يطيعوا الله بل عصوه وصار فيهم « قلب شرير بعدم إيمان فى الارتداد عن الله الحىّ » كما أنه يوضح لنا أيضاً أن هذا العصيان صار « **عبرة** » إذ صيرهم مثالا ردياً يتحذر منه ويعتبر به . أما « **العبرة** » فهى العظة التى يتعظ بها كأن يقال : إن فى ذلك عبرة لمن اعتبر ، أو كما قال الحكيم « فى يوم الخير كن بخير ، وفى يوم الشر اعتبر » (جا ٧ : ١٤) فكما صار الآباء فى عصيانهم « **عبرة** » للآخرين يعتبرون بها ، هكذا يخشى أننا نحن أيضاً نصير فى عصياننا « عبرة » لسوانا . فلنجتهد لئلا يسقط أحد فى « **عبرة العصيان** » « **هذه عينها** » أى بالنسبة إلى الراحة التى نحن مدعوون للدخول إليها كما سقط أولئك .

عد ١٢ و ١٣ . « لأن كلمة الله حية وفعالة وأمضى من كل سيف ذى حدين وخارقة إلى مفرق النفس والروح والمفاصل والمخاخ ومميزة أفكار القلب ونياته . وليست خليقة غير ظاهرة قدامه بل كل شىء عريان ومكشوف لعينى ذلك الذى معه أمرنا » .

حقق الرسول لجماعة العبرانيين المؤمنين أن هنالك راحة باقية لهم ، ونصح لهم أن يجتهدوا بالدخول إلى تلك الراحة الموعود بها ، وأن يحترسوا من إهمال هذا الأمر الجوهرى ، والآن يحضهم أكثر على الاهتمام والإخلاص والمثابرة فى إتمام هذا الواجب الضرورى ، موجهاً التفاتهم إلى « كلمة الله » الحى . موضوع هاتين الآيتين «**كلمة الله**» .

على أن علماء التفسير قد اختلفوا فى تعيين هذا الموضوع من حيث أن الكتاب المقدس نفسه يشير إلى « **كلمة الله** » باعتبارين جوهريين : الاعتبار الأول من كونها لقباً لابن الله الذى هو موضوع هذه الرسالة بجملتها كما أعلن ذلك يوحنا الرسول فى إنجيله وفى رؤياه حيث قال : « فى البدء كان الكلمة ، والكلمة كان عند الله ، وكان الكلمة الله ، هذا كان فى البدء عند الله . . . والكلمة صار جسداً وحل بيننا » (يو١ : ١ و ٢ و ١٤) ، أو كما رآه « وعيناه كلهيب نار وعلى رأسه تيجان كثيرة ؛ وهو متسربل بثوب مغموس بدم ويدعى اسمه « **كلمة الله** » .. وعلى ثوبه وعلى فخذه اسم مكتوب ملك الملوك ورب الأرباب » (رؤ ١٩ : ١١ — ١٦) وقد لقبه أيضاً فى رسالته الأولى (١ : ١) « كلمة الحياة » . أما الاعتبار الثانى فمن كونها تدل على الكلمة التى نطق بها الله تعالى على فم أنبيائه وتكلم بها ابنه الذى هو « **كلمة الله** » بالذات ، حين كان على الأرض بين البشر ونطق بها بروحه فى رسله القديسين . وهذه هى الكلمة النبوية التى عندنا (٢ بط١ : ١٩ — ٢١) المتضمنة فى الكتب المقدسة التى تشهد للكلمة الأزلى (يو ٥ : ٣٩ ، رو١ : ١ — ٤) .

بشأن هذين الاعتبارين يجب أن نذكر ، بل أن نعترف بهذه الحقيقة وهى : أن كل ما ينسب إلى الكلمة المكتوبة من خاصية أو فعل لا يمكن أن ينسب إليها كأصل فيها أو كطبيعة لها فى ذاتها ، بل بالنسبة لعلاقتها بذات الكلمة الأزلى ، باعتبار أنها كلمته صادرة منه ، مستمدة مفعولها من قوته الغير المحدودة . فلا يمكن فصلها عنه إلا وتموت وتفقد تأثيرها وحياتها . ومن الجهة الأخرى يجب أن لا ننسى أن ابن الله ، الكلمة الأزلى ، إنما يجرى مقاصده وينفذها فى قلوب البشر وفى خلاصهم بتأثير هذه الكلمة المكتوبة . فهى كلمة الحق التى بها شاء الله فولدنا لكى نكون باكورة من خلائقه (يع ١ : ١٨) « مولودين ثانية لا من زرع يفنى بل مما لا يفنى بكلمة الله الحية الباقية إلى الأبد » (١ بط ١ : ٢٣ — ٢٥) .

على أنه يحسن بنا هنا أن نحدد الاعتبار المقصود من « كلمة الله » فى هاتين الآيتين ، إن كان هو اعتبار كونها الكلمة الأزلى الذى هو بهاء مجد الآب ورسم جوهره ؟ أو هو اعتبار كونها الكلمة المكتوبة ؟

الذين يأخذونها على الاعتبار الثانى اختلفوا فى تعيينها بالذات فقال بعضهم إنها تهديدات العهد القديم ، وقال غيرهم إنها إعلانات العهد الجديد . وقال آخرون إنها إعلان الله لضمير الإنسان خاصاً بدينونته . وجميعهم عندما جاءوا إلى (عد ١٣) اعترفوا بأن موضوع الكلام فيه هو الله ان لم يكن هو المسيح وبذلك يكونون قد انتقلوا من موضوع الكلمة المكتوبة إلى موضوع الله أو الكلمة الأزلى . على أننا إذا تأملنا قليلا إلى ارتباط الآيتين وعرفنا أن التذكير ، وليس التأنيث ، فى وصف « كلمة الله » هو المتغلغل فى قلب الآيتين معاً ، لوجدنا أنه طبيعى بالأحرى أن نقرأهما على هذه الصورة : « لأن كلمة الله حى ، وفعال ، وأمضى من كل سيف ذى حدين ، وخارق إلى مفرق النفس والروح والمفاصل والمخاخ ، ومميز أفكار القلب ونياته ، وليست خليقة غير ظاهرة قدامه بل كل شيء عريان ومكشوف لعينى ذلك الذى معه أمرنا » (اقرأ الآيتين فى طبعة اليسوعيين العربية حيث تجد صيغة المذكر كما ذكرناها مع اختلاف الألفاظ) . وإذا أضفنا إلى هذا الدليل كون هذا الكلمة الأزلى هو فى جوهر شخصه العجيب موضوع هذه الرسالة المركزى (عب ١ : ٢ و ٣) ، وأن الرسول يرجع إليه فى كل بحوثه الفرعية عنه كنقطة مركزية منه يخرج وإليه يعود ، وأنه يتكلم عنه فى (ص ٣) مقابلا إياه بموسى الذى لم يدخل إسرائيل إلى الراحة ، وفى هذا الأصحاح مقابلا إياه بيشوع الذى ، وإن كان قد أدخلهم إلى أرض كنعان ، ولكنه لم يرحهم ؛ إذا أضفنا كل ذلك وتأملناه جلياً ، ألا نقدر أن نعين ترجيحاً ، إن لم يكن تحقيقاً ، الاعتبار الأول أى أن « **كلمة الله** » هنا هو الكلمة الأزلى ابن الله الوحيد ، الذى رأيناه فى (عد ١٠) وقد دخل إلى راحته بعد أن أكمل عمل الفداء ، وبذلك أعد راحته لشعبه الخاص ، والذى نراه هنا كاشفاً لكل السرائر دياناً للجميع ، أمامه نقف محترسين لئلا نسقط فى عبرة العصيان التى سقط فيها الآباء فنحرم من تلك الراحة المعدة ، مستمدين من قدرته على تمييز الأفكار والنيات ، ومن قوته على أن

يخترق المفارق الداخلية ، وقدرة وقوة على الاجتهاد ضد السقوط المشار إليه ، واثقين من بلوغ الغرض المقصود بفعل ذاك الذى إذ ابتدأ يكمل ؟ .

هذا يأتى بنا إلى فحص هذه القوة المنوه عنها كما يبينها كل وصف من أوصاف الكلمة الأزلى فى هاتين الآيتين :

« حىّ » وهو وصف قد رأيناه ى (ص ٣ : ١٢) وصفاً لله نفسه . وهنا نراه وصفاً « لكلمة الله » الذى هو الله أيضاً (يو ١ : ١) . وهذا عين ما أعلنه عن نفسه بقوله ليوحنا : « أنا هو الحىّ وكنت ميتاً وها أنا حىّ إلى أبد الآبدين » (رؤ١ : ٨) .

هو حىّ فى ذاته « لأنه كما أن الآب له حياة فى ذاته كذلك أعطى الابن أيضاً أن تكون له حياة فى ذاته » (يو٥ : ٢٦) ولكنه أيضاً ، بالنسبة للآخرين ، رئيس الحياة (أع ٣ : ١٥) « فلنحترس » لأنه بحسب هذه النسبة « لا بد أننا جميعاً نظهر أمام كرسيه» (٢كو ٥ : ١٠) . « ولنجتهد » أيضاً لأنه بذات النسبة « فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس » (يو ١ : ٤) « إذ هو حى فى كل حين ليشفع فيهم » (عب ٧ : ٢٥) .

« **فعال** » الكلمة الأصلية تفيد معنى المجهود العملى ، لا الكلامى ، مع القوة التنفيذية . وهذا ما نراه فى قدرة المسيح دون سواه ، مقترنة بإرادته الصالحة نحو البشر ، فإذا قال له الأبرص « إن أردت تقدر أن تطهرنى » معترفاً بتلك القدرة الفائقة ، يسمع منه القول « أريد فاطهر » (لو ٥ : ١٢ و ١٣) ؛ فتقترن القوة المنفذة الصادرة منه ، بفعل الإرادة الكائنة فيه ، فتتم عملية التطهير المطلوبة . المسيح فعال لأنه حىّ ، وهو حىّ فلابد أن يكون فعالا ، فالحياة فيه أصل القوة العملية ، والقوة منه مظهر الحياة الكامنة .

« **أمضى من كل سيف ذى حدين** » . « اسمعى لى أيتها الجزائر واصغوا أيها الأمم من بعيد . الرب من البطن دعانى ، من أحشاء أمى ذكر اسمى وجعل فمى كسيف حاد . فى ظل يده خبأنى وجعلنى سهماً مبرياً . فى كنانته أخفانى » اقرأ (إش ٤٩ : ١ — ٧) وقابل (عد ٦) بما قاله سمعان الشيخ فى (لو ٢ : ٣٠—٣٢) لتتحقق أن هذا هو قول السيد المسيح عن نفسه وفيه يوصف بأنه سهم مبرى فى كنانة الله وأن فمه كسيف حاد .

وما رآه إشعياء بعين النبوة تحققه يوحنا بعين الرؤيا حيث رآه « وسيف ماض ذو حدين يخرج من فمه » (رؤ ١ : ١٦ ، ١٩ : ١٥) على أن قوة الكلام فى الرسالة هى فى خلوه من كاف التشبيه الواردة فى قول إشعياء « كسيف حاد » وفى خلوه أيضاً من تخصيص التشبيه بعضو من أعضاء الجسم هو الفم ، كما عبر يوحنا ، فان القول إن المسيح « **أمضى من كل سيف ذى حدين** » فيه إشارة إلى ملء القوة الفعالة التى لا حد لهـا كالقول « الله محبة » (١ يو ٤ : ٨ و ١٦) للتعبير عن كلية المحبة التى لا تدرك . وكالقول « لأن إلهنا نار آكلة » (عب ١٢ : ٢٩) للتعبير عن سمو القداسة الغير المحدودة والغير الملتهبة التى لا تطفأ نارها . المسيح « **سيف ذو حدين** » بفعل كونه كلمة الله الحى ولذلك تخرج الكلمة من فمه سيفاً ذا حدين هو « سيف الروح » (أف ٦ : ١٧) يقطع ذات اليمين وذات اليسار . وهو فى مضائه لا يقف شىء فى طريقه يمنع فعله وليس لسيف مهما كان مضاؤه أن يضارعه فهو « **أمضى من كل سيف ذى حدين** » ، **فلا عجب** إذا قيل عنه إنه « يضرب الأرض بقضيب فمه ويميت المنافق بنفخة شفتيه » (إش ١١ : ٤) هو الجبار المتقلد سيفه على فخذه من أجل الحق والدعة والبر فتنتشب نبله فى قلب أعدائه (مز ٤٥ : ٣ — ٥) فإن لم يكن لتغيير تلك القلوب واخضاعها له ، يكون للقضاء عليها قضاء مبرماً .

« **خارق إلى مفرق النفس ، والروح ، والمفاصل ، والمخاخ** » : هذا فعل « كلمة الله » باعتبار أنه « سيف » بل « أمضى من كل سيف ذى حدين » فهو ، ولابد « **خارق** » وهو تعبير مأخوذ من فعل السيف الأرضى فى الجسد إذا طعنه فاخترقه فوصل إلى داخله فمزق لحمه وكسر عظمه وشق قلبه فأودى بحياته . وهذا كان فعل طعنة الحربة لجنب السيد الفادى لتحقيق موته ، إذ اخترقت إلى الداخل فأخرجت دماً وماء من جسمه . هذا السيف الخارق ، كلمة الله الحى ، يصل إلى « **مفرق النفس ، والروح ، والمفاصل والمخاخ** » . والمفرق من الطريق هو الموضع الذى منه ينشعب طريق آخر . ولا يقصد به هنا أنه موضع منه تنشعب هذه الأربعة المسميات فيكون مفرقاً بين « **النفس والروح** » أو بينهما معاً وبين « **المفاصل والمخاخ** » . أو بين أحدها وبين الآخر . فإن كلمة « **مفرق** » مرتبطة بكل واحدة منها على حدتها أى أن كلمة الله سيف يخترق « **النفس** » كما

يخترق « الروح » كما يخترق « المفاصل » كما يخترق « المخاخ » فيفرقها كلا على حدته ويفصل أجزاءه مفككاً ومحللا . أما « النفس ، والروح ، والمفاصل ، والمخاخ ، فكل اثنين منها من رتبة واحدة . فالنفس ، والروح ، من رتبة أولية أسمى ، والمفاصل ، والمخاخ من رتبة ثانوية أدنى . «النفس ، والروح ، كل منهما له اختصاصه فى وصف حياة الإنسان ، وتتميز إحداهما عن الأخرى بهذا الاختصاص ؛ فالنفس تعبر عن الإنسان بالنسبة لحياته الحيوانية الأدنى . أما الروح فتعبر عنه بالنسبة لحياته الروحانية الأسمى . وربما هذا ما قصده الرسول أيضاً فى قوله فى (١ كو ١٥ : ٤٥) : « هكذا مكتوب أيضاً صار آدم الأول نفساً حية وآدم الأخير روحاً محيياً » مقابلا بين حياة الإنسان الدنيا ، التى اشترك فيها مع آدم الأول فى علاقته معه بالجسد الحيوانى الترابى ، وبين تلك الحياة العليا التى ينالهامن آدم الأخير فى شركتهمعه فى الطبيعة الإلهية إلى أن يلبس الجسد الروحانى . مع العلم اليقينى أنه « ليس الروحانى أولا بل الحيوانى وبعد ذلك الروحانى » (١كو ١٥ : ٤٦) فإن الإنسان صار نفساً حية فى طبيعته الحيوانية ليتغير بقوة حياة الطاعة ، المرموز إليها فى شجرة الحياة والأكل منها ، إلى تلك الطبيعة الروحانية المجيدة ، لو لم يسقط فى عبرة ذلك العصيان المهلك ، على أن ما خسره الإنسان فى ذلك العصيان الأليم لابد أن يستعيضه بنعمة الإيمان بقوة الروح المحيي «كلمة الحياة » الأبدية ، وربها المجيد ، . أما « المفاصل » فهى حيث تلتقى العظـــام من الجسد وبها يرتبط بعضه ببعض ارتباطاً محكماً . وهذا ما أشار إليه الرسول أيضاً مجازاً وتشبيهاً فى قوله « الذى منه (المسيح) كل الجسد مركباً معاً ومقترناً بمؤازرة كل مفصل حسب عمل على قياس كل جزء يحصل نمو الجسد لبنيانه فى المحبة »(أف ٤ : ١٦) . أما « المخاخ » فهى العصارة الموجودة داخل العظام فى الجسد ، وهى التى يسميها العامة نخاعاً . على أن « المفاصل والمخاخ » هنا ليستا مفاصل الجسد ومخاخ عظامه ، بل هى مفاصل النفس والروح ومخاخهما على قياس التمثيل . فكما يخترق السيف الجسد بحديه الماضيين هكذا يخترق المسيح ، بقوة كلمته الفعالة ، وبسيف روحه الحى ، قلب الإنسان الباطن ويصل إلى عمق أعماق حياة التفكير الداخلية فيصير إما رائحة موت لموت فى الذين يهلكون فيتعذبون بوخزات الضمير المهلكة . ويتألمون من طعنات القلب

المميتة ، ويستد كل فم أمام ظهور الأسرار الخفية فى ضوء نور الحق الكاشف ؛ وإما رائحة حياة لحياة فى الذين يخلصون فيموتون عن الخطية ويحيون للبر فيدخلون إلى راحة القلب الأبدية إلى أن يؤخذوا إلى راحة المجد العلوى .

« **مميز أفكار القلب ونياته** » : يقصد بالقلب الإنسان جملة بكل ما له من قوة باطنية مفكرة يجمعها مبدأ واحد تصدر عنه جميع الأعمال الأدبية العاقلة فهو يتضمن النفس والروح اللتين سبق الكلام فيهما . لهذا القلب « **أفكار** ، **ونيات** » . أما « **أفكاره** » فهى تلك التصورات التى يتخيلها العقل وتتولد فى الباطن وقد عبر عنها بالقول : « إن كل تصور أفكار قلبه هو شرير كل يوم » أو كما قال عنه الله نفسه : « لأن تصور قلب الإنسان شرير منذ حداثته » (تك ٦ : ٥ و ٨ : ٢١) ، وقال فيه السيد نفسه « لأن من القلب تخرج أفكار شريرة » (مت ١٥ : ١٩) . أما « نياته » فهى تلك المقاصد التى تتولد فيه من تصورات الأفكار ، وتلك العزائم التى بها يتحرك لإتمام الأعمال ، أو هى المبدأ الأدبى الذى تصدر عنه جميع أعمال الإنسان ، ولأجله يجازى على تلك الأعمال ، وإليه أشار الرسول فى موضوع العطاء بقوله : « كل واحد كما ينوى بقلبه » (٢ كو ٩ : ٧) . وقد اعتبره الرسول بطرس سلاحاً يجب أن يتسلح به المؤمن الحقيقى فى جهاده المسيحى فقال « فإذ قد تألم المسيح لأجلنا بالجسد تسلحوا أنتم أيضاً بهذه النية فإن من تألم فى الجسد كف عن الخطية » (١ بط ٤ : ١) .

« **مميز** » الأفكار والنيات الباطنية هو المسيح الرب . أما التمييز فى أصل معناه هنا فيدخل فى دائرة القضاء بفحص القضية ، وكشف معالمها ، وإصدار الحكم فيها ، ولكنه يسمو على دائرة القضاء الأرضى فى كونه يضيف إلى كل ما قيل ، الفكر عن قوة التمييز فى الحكم ، وعن حق الاختصاص فى القضاء ، لأن « القلب أخدع من كل شىء وهو نجيس من يعرفه » (إر ١٧ : ٩) ، فلا يستطيع أحد أن يميز أفكار القلب ونياته إلا يسوع وحده لأنه :

« **ليست خليقة غير ظاهرة قدامه بل كل شىء مكشوف وعريان لعينى ذلك الذى معه أمرنا** » : فى هذه الكلمات نجد سببين جوهريين : الأول ما للمسيح من قوة التمييز .

والثانى ما له من حق الاختصاص فى القضاء — وهما ما أشرنا إليه فى الكلام السابق — السبب الأول مزدوج ، جزوءه الواحد سلبي والآخر إيجابي . أما السلبي فهو قوله « **ليست خليقة غير ظاهرة قدامه** » . أما الإيجابي فهو قوله « **بل كل شيء مكشوف وعريان لعيني ذلك** » ، وفى هذين الجزئين تتجلى قوة التمييز واضحة . أما حق الاختصاص فى القضاء فيبين فى وصف السيد بكونه : « **الذى معه أمرنا** » . فلنتقدم الآن إلى فحص هذين السببين فى هذه الأجزاء الثلاثة كل على حدته :

« **ليست خليقة غير ظاهرة قدامه** » : الكلمة المعبرة عن « الخليقة » فى أصلها تدل على كل مصنوعات الله فى كل دائرة الكون سواء أكان مادياً أو أدبياً أو روحياً ، أشياء أم أشخاصاً ، بشراً أم ملائكة ، مع كل ما تكنه قلوبهم من أفكار ونيات ، وما يحيط بهم من ظروف متنوعة لها تأثير على حياتهم . هذه الخليقة بجملتها

« **ليست غير ظاهرة قدامه** » . ونفي النفي إيجاب فهى إذاً ظاهرة قدامه . الكلمة « **غير ظاهرة** » هى فى الأصل « **أفانيس** » ، وهى مركبة من كلمتين هما « **الألفا** » اليونانية و « **فانيس** » . وكلمة « **فانيس** » هى الفانوس عربياً ، وربما كان أعجمياً ، وهو النمام الذى يتحدث إلى القوم فينم عليهم فيكشف ما يكره كشفه . وكأن فانوس الشمع مأخوذ منه لأنه ينم على حامله فى الليل ؛ فكلمة الله فانوس له نوره الكشاف ، إذ يستطيع على الإنسان يكشفه ، فينكشف كل ما فيه ولا يبقى فيه شيء غير منكشف « قدامه » لأنه « كلمة الله حى وفعال وأمضى من كل سيف ذى حدين وخارق إلى مفرق النفس ، والروح ، والمفاصل ، والمخاخ ، ومميز أفكار القلب ونياته وليست خليقة غير ظاهرة قدامه » .

« **بل كل شيء عريان ومكشوف لعينى ذلك** » : هذا هو الوجه الإيجابي لما رأيناه فى العبارة السلبية السابقة ، والمعنى جلى . إلا أنه مما يلذ ويفيد أن نرى فى القول : « **عريان ومكشوف** » إشارة إلى عادة جارية تدل عليها الكلمتان اليونانيتان . فالكلمة « **مكشوف** » هى ترجمة كلمة أصلها « **تراخيلوس** » . وقد ترجمت بلفظ « عنق » (فى مت ١٨ : ٦ ، أع ١٥ : ١٠ ، رو ١٦ : ٤) . أما فى هذا الموضع فقد

وردت بصيغة تعطيها معنى القبض على العنق وثنيه إلى الوراء ليصير مكشوفاً . كما فى ذبح حيوان . وإذا أضفنا إلى هذا الفكر معنى كلمة « عريان » لتمثل أمامنا حيوان جاء به اليهودى ليقربه للرب فقبض الكاهن على عنقه ، فذبحه ، فسلخه ، فشق بطنه ، واستخرج أمعاءه ، فقطعه إلى قطعه ؛ وبهذه العملية كلها أصبح مكشوفاً خارجاً وداخلا فى كل أجزائه أمام كل عين . هكذا أراد الرسول أن يعبر عن قوة « كلمة الله » فى كشف كل شىء ، فبعد أن وصفه بأنه سيف خارق إلى مفرق النفس والروح والمفاصل والمخاخ ، أرانا إياه وإذا كل شىء ، بفعله كسيف ، أصبح عرياناً ومكشوفاً لعينيه : وهذا يعززه كونه :

« الذى معه أمرنا » : وفى الأصل « الذى نحن مسئولون أمامه » ولابد أن نظهر أمام كرسيه لنعطى حساباً عن كل قول أو فكر أو فعل (٢كو٥ : ١٠ ، مت١٢ : ٣٦ رؤ ٢٢ : ١٢) فهو إذاً ديانا ، وأمرنا بيده ، وله أن يقرر مصيرنا ، فإما أن يقول : « تعالوا يا مباركى أبى رثوا الملكوت » أو أن يقول « إذهبوا عنى يا ملاعين إلى النار الأبدية » (مت ٢٥ : ٣١ — ٤٦) . ومتى خرجت الكلمة من فمه لا تتغير ، فتقرر المصير نهائياً لأنه هو « القدوس الحق الذى له مفتاح داود الذى يفتح ولا أحد يغلق ويغلق ولا أحد يفتح » (رؤ ٣ : ٧) ، هو الذى له أعطيت كل الدينونة . وأعطى سلطاناً أن يدين (يو ٥ : ٢٢ و ٢٧ — ٣٠) ، وهو « لا يقضى بحسب نظر عينيه ولا يحكم بحسب سمع أذنيه ، بل يقضى بالعدل للمساكين ويحكم بالانصاف لبائسى الأرض ، ويضرب الأرض بقضيب فمه ويبيد المنافق بنفخة شفتيه » (إش ١١ : ٣و٤) لأنه « يعرف الجميع » « ويعلم ما فى الإنسان » « ويعلم كل شىء » (يو ٢ : ٢٤ و٢٥ ، ٢١ : ١٧) . وهو الفاحص الكلى والقلوب ليعطى كل واحد حسب أعماله (رؤ ٢ : ٢٣) ، « لذلك نحترص . . . أن نكون مرضيين عنده » (٢كو٥ : ٩) .

عد ١٤ — ١٦ . لنا فى هذه الآيات الثلاث خاتمة الباب الثانى وفيها إشارة إلى وظيفة المسيح الكهنوتية . فكما ختم الرسول كلامه فى الباب الأول ، فى موضوع فضل المسيح كملك ، بالإشارة إليه ككاهن (أنظر الشرح هناك) هكذا فعل فى هذا

الباب ، فى موضوع فضل المسيح كنبى ، إذ ختم كلامه بالإشارة إليه ككاهن أيضاً ، فقال فى :

عد ١٤ . « **فإذ لنا رئيس كهنة عظيم قد اجتاز السماوات يسوع ابن الله فلنتمسك بالإقرار** » : لقد خرجنا من البحث فى هذا الباب الثانى بالفكر أن كلمة الله بالأنبياء قديماً لم تنفع أولئك الذين سمعوها إذ عصوا ولم يؤمنوا فلم يدخلوا إلى الراحة الموعود بها ، أما كلمة العهد الجديد ، وهى كلمة الله فى ابنه ، بل هى ابنه ، الكلمة الأزلى ، فقوة حية فعالة فى إزالة العصيان وإعطاء الإيمان وتنفيذ الوعد بالدخول إلى الراحة الحقيقية . من هذا ينتج أن لنا فى المسيح ، ليس فقط نبياً كموسى ، بل شخصاً دخل كسابق لأجلنا إلى راحة الأقداس السماوية ، راحة السبت الأبدية ، فنراه النبى الكاهن كما رأيناه الملك الكاهن فنقف أمامه هنا وجهاً لوجه قائلين « **فإذ لنا رئيس كهنة** » (أنظر الكلام عن رئيس الكهنة فى ص ٢ : ١٧) ، ونتحقق مكان وجوده إذ « اجتاز السموات » ، وننظر بهاء شخصه فى « يسوع ابن الله » ، ونشعر بالواجب إزاءه فى القول : « لنتمسك بالإقرار » .

« **اجتاز السموات** » : **يظهر** من هذا التعبير أن « **السموات** » المذكورة هنا ليست هى التى فيها رئيس كهنتنا الآن ما دام قد اجتازها . وإذا رجعنا إلى العهد القديم ورأينا رئيس الكهنة يجتاز القدس ويدخل إلى ما وراء الحجاب ، إلى قدس الأقداس ، نستطيع أن نفهم شيئاً فى معنى هذا التعبير : « **اجتاز السماوات** » . وقد يزداد وضوحاً أمامنا إذا وقفنا مع الرسل فوق جبل الزيتون ورأينا المسيح وهو يصعد إلى السماء وشخصنا معهم إليه فى صعوده ورأيناه وقد أخذته سحابة عن عيونهم وهو يجتاز سماء الطيور والهواء ، فسماء الاجرام والأفلاك ، ويشق حجبها ، كما شق حجاب الهيكل ، ويدخل من ورائها إلى السماء الثالثة التى يجب أن تقبله إلى أزمنة رد كل شىء ، ومنها ننتظر مجيئه ثانية فى مجده للخلاص للذين ينتظرونه (قابل أع ١ : ٩ — ١١ ، ٣ : ٢٠ و ٢١ ، فى ٣ : ٢٠ و ٢١ ، عب ٩ : ٢٨ مع ٢كو ١٢ : ٢) . هذا هو قدس الأقداس السماوى حيث كاهننا الأعظم فى راحته السبتية الأبدية وحيث يستطيع شعبه أن يدخلوا إلى تلك الراحة عينها . **ألا ترى** اسطفانوس تحت ثقل ضيقته الوقتية وقد شخص إلى

السماء وهو ممتلىء من الروح القدس ، فاخترق بصره الحجب التى فوقه واجتاز السموات التى تحجب عنه سماء المجد ، فدخل إلى حيث رأى مجد الله ويسوع قائماً عن يمين الله ، فاستراحت نفسه واطمأن قلبه ، فمات فى سلام تلك الراحة وذلك الاطمئنان ، فدخل إلى راحته الأبدية فى أحضان رئيس الكهنة العظيم » ؟ (اقرأ أع ٧ : ٥٤ — ٦٠) . هذا عين ما يتاح لكل مؤمن حقيقى يستطيع بعين الإيمان أن يخترق الحجب ويجتاز السموات فيلقى بمرساة نفسه المؤتمنة والثابتة إلى ما داخل الحجاب حيث دخل يسوع كسابق لأجلنا رئيس كهنة إلى الأبد » (عب ٦ : ١٩ و ٢٠) ، هنالك يسمع القول : « تعالوا إلىَّ يا جميع المتعبين وأنا أريحكم » (مت ١١ : ٢٨) . هنالك يرى بتلك البصيرة القوية :

« يسوع ابن الله » : رئيس كهنتنا العظيم فى شخصه العجيب الذى رأيناه فى مكان وجوده . وقد مر بنا باسمه « يسوع » فى (ص ٢ : ٩ — ٣ : ١) باعتبار كونه ابن الانسان الذى وضع قليلا عن الملائكة ، واشترك مع الأولاد فى اللحم والدم ، واحتمل ألم الموت لأجل كل واحد منهم ، وتكمل بالآلام كرئيس خلاص لهم ، مشبهاً إخوته فى كل شىء لكى يكون رحيما ورئيس كهنة أميناً فى ما لله حتى يكفر خطايا الشعب . فارجع إلى الشرح هناك ولا تنس قول الملاك الذى قاله ليوسف خطيب أمه فى حلم ، معلناً له حقيقة هذا الشخص العجيب الذى كانت تحمله فى بطنها وهى عذراء حبلى : « يا يوسف ابن داود لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك لأن الذى حبل به فيها هو من الروح القدس فستلد ابناً وتدعو اسمه يسوع ، لأنه يخلص شعبه من خطاياهم » (مت ١ : ٢٠ و ٢١ انظر أيضاً لو ١ : ٣٠ و ٣١) .

هذا هو رئيس كهنتنا « يسوع » رئيس خلاصنا . أما باسمه « **ابن الله** » فقد رأيناه فى الأصحاح الأول ، وتحققناه الابن الوحيد الأزلى الذى تسمى « ابن الله » عند تجسده فى النبوة والتاريخ على أساس تلك البنوة الأزلية . (راجع الشرح هناك وبخاصة عد ٢ و ٥) . « فإذ لنا رئيس كهنة عظيم يسوع ابن الله » :

« **فلنتمسك بالإقرار** » : الكلمة المترجمة « بالاقرار » هى ذاتها المترجمة « اعتراف » (فى ص ٣ : ١) حيث رأينا المسيح « رسول اعترافنا ورئيس كهنته » .

« الاقرار » هو الإيمان القلبي بأن يسوع هو المسيح ابن الله الحى الآتى إلى العالم ، رئيس كهنة عظيم ورئيس خلاص أبدى ، لا بإعلان لحم ودم بل بإعلان الآب القائل : « هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت » (قابل مت ١٦ : ١٦ — ١٨ ، يو ١ : ٤٩ ، ١١ : ٢٧ ، مر ٩ : ٧) وتأمل كيف أن المسيح اعتبر هذا الإيمان صخرة يبنى عليها كنيسته .

« الاقرار » ليس هو مجرد الإيمان القلبي ، بل هو أيضاً الاعتراف بهذا الإيمان وإعلانه جهاراً المجد ذاك الذى به نؤمن ونقر «لأنك إن اعترفت بفمك بالرب يسوع وآمنت بقلبك أن الله أقامه من الأموات خلصت . لأن القلب يؤمن به للبر والفم يعترف به للخلاص » (رو ١٠ : ٩ و ١٠) . وهذا طبعاً يتضمن الاعتراف العملى الذى قال فيه المسيح لتلاميذه : « أنتم نور العالم . فليضئ نوركم هكذا قدام الناس لكى يروا أعمالكم الحسنة ويمجدوا أباكم الذى فى السموات » (مت ٥ : ١٤ — ١٦ قابل فى ٢ : ١٤ و ١٥) .

بهذا الإقرار يجب أن « نتمسك » . هذه الكلمة وردت فى (ص ٣ : ٦) ، على أنها مشتقة من أصل يعنى القوة ، وشدة القوة ، والنمو فيها ، مع العزم الثابت بها (قابل لو ١ : ٥١ ، أف ١ : ١٩ ، ١كو ١٦ : ١٣) . فكأن الرسول يطلب أن « نتمسك بالإقرار » بهذه الشدة الثابتة وبكل الوسائل المشروعة وبالعزم الأكيد القلبي محتفظين به ونامين فيه إلى أن يجئ ربنا (رؤ ٢ : ٢٥) . وإن كان الفريسيون قد وطدوا العزم على التمسك بتقليد الشيوخ إلى النهاية (مر ٧ : ٣ — ١٣) ، وإن كان قوم فى كنيسة برغامس يتمسكون بتعليم بلعام والنيقولاويين الذى يبغضه الله (رؤ ٢ : ١٤ و ١٥) أفلا يجب بالحرى أن نتمسك نحن المؤمنين باسم ذاك الذى له السيف الماضى ذو الحدين ، ولا ننكر إيمانه ولو ختمت حياتنا كما ختمت حياة الشهيد الأمين أنتيباس حيث يسكن الشيطان ؟ (رؤ ٢ : ١٢ و ١٣) .

عد ١٥ . **« لأنه ليس لنا رئيس كهنة غير قادر أن يرثى لضعفاتنا بل مجرب فى كل شئ مثلنا بلا خطية »** : الرسول هنا إزاء واجب التمسك بالإقرار الذى وضعه أمامنا فى الآية

السابقة . يوقفنا كعادته بين عاملين ، عامل متقدم وعامل متأخر ، ويربط العاملين معاً برئيس الكهنة العظيم فيقول : « فإذ لنا رئيس كهنة عظيم قد اجتاز السماوات يسوع ابن الله فلنتمسك بالإقرار » هذا هو العامل المتقدم . ويقول أيضاً فلنتمسك بالإقرار لأنه ليس لنا رئيس كهنة غير قادر » الخ . . . وهذا هو العامل المتأخر .

فى العامل الأول يدفعنا للقيام بهذا الواجب بأن يرينا رئيس الكهنة العظيم فى الأقداس العليا فى بهاء مجده الإلهى ، وفى عظمة قدرته الخلاصية ، كما سبق القول : أما فى العامل الثانى فيدفعنا للقيام بالواجب بأن يرينا رئيس الكهنة هذا مثلنا . فى العامل الأول نراه حيث لا نستطيع نحن الوصول ، حيث البهاء والمجد ، وحيث نصرخ مع بطرس الذى إذ اعترته دهشة تلك العظمة ، خر عند ركبتى يسوع قائلا : « اخرج من سفينتى يارب لأنى رجل خاطىء » (لو ٥ : ٨ و ٩). وكأنى بالرسول وقد خاف أن نرهب تلك العظمة وأن يستولى علينا الرعب والخوف فنبتعد ولا نتقدم ، لذلك جاء بهذا العامل الثانى حيث يرينا اقتراب هذا الكاهن الأعظم إلينا رغم سموه عنا : وفى هذا العامل يصفه لنا سلباً بكونه : « ليس غير قادر أن يرثى لضعفاتنا » ، وإيجاباً بالقول : « بل مجرب فى كل شىء مثلنا » . وكأنى به أيضاً وقد خاف أن نأخذ هذا الوصف العجيب على إطلاقه بالنسبة للخطية وعلاقتها بالتجربة ، فقيده بقيد صريح عبر عنه بالقول « بلا خطية » .

« ليس لنا رئيس كهنة غير قادر أن يرثى لضعفاتنا » : يتجلى أمامنا المقصود بهذا القول إذا اكتشفنا « ضعفاتنا » ، وتفهمنا معنى كلمة « يرثى» ، ورأينا فى يسوع رئيس كهنة « قادراً » أن يرثى .

« ضعفاتنا » : الكلمة المعبرة عن هذه الضعفات تشمل كل أنواعها سوء أكانت مرضاً جسمانياً أم اضطراباً فكرياً ، أم انزعاجاً نفسياً ، أم فقراً وذلا ، أم جوعاً وعرياً ، أم اضطهاداً وألماً ، أم ضعفاً إزاء التجربة الشيطانية ، أم غير ذلك . على أن الفكر فى هذه الضعفات هنا مقيد بكون المسيح « مجرباً فى كل شىء مثلنا » » كما سنرى فى مكانه (انظر أيضاً شرح ص ٢ : ١٧ و ١٨) .

« يرثى » : هذه الكلمة تدلنا على أن المسيح إزاء ضعفاتنا رحيم يعطف علينا ويرق لنا . وهذا ما كان أيوب فى شديد الاحتياج إليه تحت ثقل بليته المحرقة (اقرأ أى ١٩ : ١٣—٢٢) واسمعه وهو يتوسل قائلا : «تراءفوا تراءفوا أنتم عليّ يا أصحابى لأن يدالله قد مستنى » . وهذا ما عبر عنه المرنم فى قوله : « انتظرت رقة فلم تكن ومعزين فلم أجد » (مز ٦٩ : ٢٠) . القلب الذى يرثى هو القلب الذى تهتز أوتاره باهتزاز أوتار القلب الواقع تحت تأثير تلك الضعفات ، كاهتزاز أوتار الموسيقى بعضها مع البعض فى الطش أى توقيع الأنغام واتفاق الألحان بذات المعنى الذى يقصده الرسول فى قوله : « فرحاً مع الفرحين وبكاء مع الباكين » (رو ١٢ : ١٥) فى قوته العملية كشركاء حقيقيين للذين هم تحت ثقل الضيق وألم القيود (عب ١٠ : ٣٣ و ٣٤) .

« **ليس لنا رئيس كهنة غير قادر أن يرثى** » : هذا هو الوجه السلبى وفيه نرى إيجاباً بنفى النفى كما رأينا فى (عد ١٣) ونستطيع أن نقول إن صيغة التعبير بايجاب نفي النفى أقوى من صيغته بالإيجاب المباشر . وتدل هنا على ما فى قلب الرسول من الغيرة المتوقدة لإثبات ما لرئيس كهنتنا العظيم من القدرة على الرثاء لضعفاتنا ، وذلك إما لإظهار مجد تلك القدرة ، وإما لتقوية إيماننا بها ، وربما لأجل الأمرين معاً . أما مجد القدرة فواضح فى القول :

« **بل مجرب فى كل شىء مثلنا** » : هذا هو الوجه الإيجابى (انظر فيه شرح ص ٢ : ١٧ و ١٨) .

« **بلا خطية** » : فهو « مجرب فى كل شىء مثلنا » شكلا فقط أى أنه احتمل الصليب بما فيه من ألم وعار واختبار نار دينونة الله العادلة ، وبما فيه من بغض الناس ومقاومتهم ، وبما فيه من قوة الشيطان وحيله ، ولكن لم تكن له فى تجاربه أية علاقة بالخطية مثلنا . لا باعتبار كونها أصل التجربة . ولا باعتبار كون التجربة تؤدى إليها . فإننا من هاتين الناحيتين نرى :

(١) أن المسيح لم يجرب من الخطية ولو أنه تجرب من إبليس، (مت ٤ :١—١١، مر١ : ١٣ ، لو ٤ : ١ — ١٣). وذلك لأنه كان فى طبيعته « بلا خطية » ساكنة فيه .

الإنسان مولود من الجسد « والمولود من الجسد جسد هو » (يو ٣ : ٦) . وهذا ما عبر عنه المرنم بالقول : « هأنذا بالإثم صورت وبالخطية حبلت بى أمى » (مز ٥١ : ٥) وهو قول يصل بنا إلى الخطية الساكنة فى أعماق القلب ، ويجعلنا نقول مع الرسول : «فإنى أعلم أنه ليس ساكن فى ، أى فى جسدى شىء صالح ولكنى أرى ناموساً آخر فى أعضائى يحارب ناموس ذهنى ويسبينى إلى ناموس الخطية الكائن فى أعضائى . ويحى أنا الإنسان الشقى من ينقذنى من جسد هذا الموت ؟ » رو ٧ : ١٨ و ٢٣ و ٢٤) . المسيح من هذا القبيل « بلا خطية » إذ قد حبل به فى بطن العذراء بالروح القدس ، فهو « القدوس » الذى « لم يعرف خطية » (٢ كو ٥ : ٢١) لأنها ليست فى طبيعته .

(٢) المسيح ، إذ تجرب ، لم يخطىء ، فهو أيضاً « بلاخطية » متحركة أى أن التجربة لم تحركه لفعل الخطية . فكما خلا من الخطية الأصلية ، خلا كذلك من الخطية الفعلية . فى كل تجاربه انتصر ساهراً وسهر منتصراً فلم يخطىء . « لأنه كان يليق بنا رئيس كهنة مثل هذا قدوس بلا شر وبلا دنس قد انفصل عن الخطاة وصار أعلى من السموات » (عب ٧ : ٢٦) .

عد ١٦ . **فلنتقدم بثقة إلى عرش النعمة لكى ننال رحمة ونجد نعمة عوناً فى حينه »**
أمامنا هنا « عرش النعمة » ، « لنتقدم إليه » ، « ولنتقدم بثقة » ، « لننال رحمة ونجد نعمة عوناً فى حينه » .

« عرش النعمة » . يسمى بـ « الأقداس » (ص ١٠ : ١٩ — ٢٢) . وهذا يرجع بذاكرتنا إلى قدس الأقداس فى خيمة الاجتماع وبعدها فى هيكل سليمان حيث نرى وراء الحجاب ذلك العرش المجيد ، وهو تابوت العهد المقدس وفوقه الغطاء وعلى طرفيه كروبان يظللانه بأجنحتهما (خر ٣٧ : ١—٩ ، ١ مل ٨ : ٦و٧) . هناك كان الرب يتراءى فى السحاب على الغطاء (لا ١٦ : ٢) ، وهناك كان يجتمع بشعبه ويتكلم معهم من على الغطاء من بين الكروبين (خر ٢٥ :٢٢) والكروبان كما تعلمها علامة حضور الله كما ظهر شرقى جنة عدن عندما طرد الإنسان وأقام شرقى الجنة

الكروبيم ولهيب سيف متقلب لحراسة طريق شجرة الحياة ، دالا بذلك على أنه وإن كان طريق شجرة الحياة التي في الجنة قد أغلق دون الإنسان إلى الأبد إلا أنه لا يزال يتمتع بحضرة الله الجالس على الكروبيم . وهذا عين ما يدل عليه الكروبان سواء أكان في تمثالها فوق الغطاء داخل المحراب أى قدس الأقداس ، أو في نقش الكروبيم على جميع حيطان البيت المقدس في مستديرها (اقرأ ١ مل ٦ : ٢٣ — ٣٥) . هذا هو العرش الذى قال عنه إرميا : « كرسى مجد مرتفع من الابتداء هو موضع مقدسنا » وتضرع من أجله إلى الله قائلا « لا تهن كرسى مجدك . اذكر . لا تنقض عهدك معنا » » (إر١٧ : ١٢ ، ١٤ : ٢١) . أما الآن ، وقد سلم الرب للسبي عزه وجلاله ليد العدو (مز ٧٨ : ٦١) ، وتبرأ المسيح من بيته وتركه للخراب (مت ٢٣ : ٣٧ و ٣٨) ، ونقضت الأقداس الرمزية الأرضية ، فلنا تلك الأقداس الحقيقية التي هى السموات عينها حيث عرش العظمة (قابل عب ١ : ٣ ، ٨ : ١ ، ٩ : ٢٤) . هذا هو العرش الذى رآه حزقيال (١ : ٢٦ ، ١٠ : ١) ، دانيال (٧ : ٩) ويوحنا (رؤ ٤ : ٢ ، ٢٠ : ١١) . هذا هو :

« **عرش النعمة** » : الغطاء المشار إليه في نظام العهد القديم . اسمه في العبرية « كبورت » كما قلنا في شرح (ص ١ : ٣) . وهى كلمة مشتقة من الفعل « كفر » الذى معناه يغطى أو يكفر أو يستر الخطية ويغفرها . وهذا هو مدلول الغطاء في حقيقته. ففى كونه غطاء تابوت العهد الذى يخفى تحته لوحى الشريعة حيث تتمثل قداسة الله ودينونة الخاطىء المتعدى على ناموس الله . وفى كونه مرشوشاً بالدم في يوم الكفارة العظيم (لا ١٦) . في هذا وذاك — اشارة واضحة إلى كونه عرش نعمة لا كرسى دينونة حيث تستر الخطية عن وجه الله وحيث يكفر بالدم الكريم . وإذا أضفنا إلى ذلك هيئة الكروبين في وضعهما فوق الغطاء على طرفيه مظللين عليه بأجنحتهما ووجهاهما كل واحد إلى الآخر نحو الغطاء ، لرأينا أيضاً فوق الغطاء مكان احتماء من كل غضب وشر يقول فيه المرنم : « الساكن في ستر العلى في ظل القدير يبيت » (مز ٩١ : ١) ويهتف قائلا « طوبى للذى غفر إثمه وسترت خطيته » (مز ٣٢ : ١) .

« فلنتقدم » : إلى عرش النعمة فى الأقداس الأرضية كان يدخل رئيس الكهنة العظيم مرة واحدة فى السنة بدم تيس الخطية إلى داخل الحجاب وينضح من الدم على الغطاء وقدام الغطاء الذى قد رأيناه عرش النعمة رمزياً ، فيكفر عن القدس من نجاسات بنى إسرائيل ومن سيآتهم مع كل خطاياهم (لا ١٦ : ١٥ و ١٦) ، وبذلك تصبح عباداتهم ، سواء أكانوا شعباً أم كهنة ، مقبولة أمام الله ، وتقدماتهم مرضية لديه إذ قد انتزع إثمهم وكفر عن خطيتهم . وحيث أن لنا رئيس كهنة دخل إلى أقداس السماء بدم نفسه « فلنتقدم » ، بل بالحرى فلنقدم أجسادنا ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله عبادتنا العقلية » (رو ١٢ : ١) ، « فلنقدم به فى كل حين لله ذبيحة التسبيح أى ثمر شفاه معترفة باسمه . ولكن لا تنسوا فعل الخير والتوزيع لأنه بذبائح مثل هذه يسر الله » (عب١٣ : ١٥ و ١٦) .

« بثقة » : انظر معنى هذه الكلمة فى (ص ٣ : ٦) وطبقها هنا على قرينة الكلام المختص بالعبادة ، فتستطيع أن ترى فيها الفكر الذى عبر عنه ذات الرسول فى (٢ كو ٣ : ١٧) بقوله : «حيث روح الرب هناك حرية » ، وهى حرية التقدم أمام الله لتقديم العبادة لديه ، وبخاصة ، كما عبر فى (عد ١٦و١٨) ، إذ قد رفع البرقع فصرنا جميعاً ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف . وأين الحجاب الذى يخفى وراءه قدس الأقداس وعرش النعمة ؟ لقد انشق ، من فوق إلى أسفل ، بتقديم جسد يسوع ،وظهرت طريق الأقداس . لقد كان هرون فى تقدمه يرتعد خائفاً ولا يستطيع أن يبقى ، فلا يلبث بعد إتمام مهمة التكفير حتى يخرج مسرعاً ويعود الحجاب كما كان . أمارئيس كهنتنا العظيم يسوع ابن الله فهو الآن وإلى الأبد فى الأقداس السماوية وليس ما يحجبه عنا . ألا تراه بعين الرائى فى وسط العرش خروفاً قائماً كأنه مذبوح ؟ (رؤ ٥ : ٦) . بل ألا تراه الكاهن الأعظم الخادم للأقداس والمسكن الحقيقى ، لا واقفاً أمام العرش بل جالساً فى يمين عرش العظمة ؟ (عب ٨ : ١) فكيف إذاً لا نتقدم « بثقة » ؟ .

« لننال رحمة ونجد نعمة عوناً فى حينه » . هذا هو الغرض من التقدم ، بل هذه هى النتيجة التى نصل إليها . وفى الأمرين معاً يتجلى لنا التقدم ليس فقط فى كونه تقديم عبادتنا العقلية كما رأينا بل فى كونه أيضاً طلباً للرحمة والنعمة ، طلباً للعون فى حينه ،

وهذا ما أمرنا به السيد فى قوله : « اسألوا تعطوا ، اطلبوا تجدوا ، اقرعوا يفتح لكم . لأن كل من يسأل يأخذ ، ومن يطلب يجد ، ومن يقرع يفتح له » (مت ٧ : ٧ و ٨). فلنتقدم إذاً :

« لننال . . . ونجد » : والكلمتان معاً تدلان على قوة الطلب . فالنوال مقترن بالسؤال والوجدان مقترن بالطلب باهتمام كاهتمام التاجر وهو يطلب لآلىء حسنة فوجد لؤلؤة واحدة كثيرة الثمن فمضى وباع كل ما كان له واشتراها (مت ١٣ : ٤٥ ، ٤٦) . كما أنهما تدلان أيضاً على قبول الذين يتقدمون إذ ينالون ما يسألون ويجدون ما يطلبون .

« لننال رحمة ونجد نعمة » الرحمة والنعمة تعبران عن شىء واحد جوهراً ولو اختلف مظهراً ، « فالرحمة » تنظر إلينا كأشقياء ، خطاة ، فريسة المرض والحزن والموت. أما النعمة ، وفيها معنى الرضى الإلهى بل ما يتضمنه من عطف وشفقة ، فتنظر إلينا كضعفاء لا عون لنا وبلا استحقاق ، موضوع الكرم المجانى والمحبة فضلا(هو ١١ : ١ ، ١٤ : ٤) .

« عوناً فى حينه » : هذه الجملة متعلقة بالكلام السابق فى الآية معبرة عن القصد من نوال الرحمة ووجدان النعمة أما ما ينشأ عنهما كأن يقال : « لننال رحمة ونجد نعمة » للعون فى حينه أو كما جاء فى الترجمة اليسوعية « للاغاثة فى أوانها » . وبعبارة أخرى أن لنا ، فى الرحمة التى ننالها وفى النعمة التى نجدها ، «عوناً» . أما الكلمة المترجمة « عوناً » فهى مشتقة من أصل يفيد معنى الجرى لاغاثة ملهوف ينادى ويستغيث ، كالمرأة الكنعانية التى كانت تصيح وراء المسيح وهى تصرخ قائلة : «ارحمنى يا سيد يا ابن داود » حتى أتت وسجدت له قائلة : « يا سيد أعنى » (مت ١٥ : ٢٢ و ٢٥) . فالكلمة إذاً تعنى الإعانة نتيجة صراخ لشخص متضايق كما عبر عنه المرنم بالقول : « هذا المسكين صرخ والرب استمعه ومن كل ضيقاته خلصه » . أولئك صرخوا والرب سمع ومن كل شدائدهم أنقذهم » (مز ٤٤ : ٦ و ١٨) . وهذا يحقق لنا أنه حتى أمام « عرش النعمة » ، أمام الغطاء الكفارى العظيم ، أمام العرش المرشوش بالدم حيث الخطية مغفورة والإثم مستور ، لا ننتظر « عوناً » بدون صراخ ، لأن من يشعر بأنه

في خطر الهلاك هو الذى يصرخ . وإلى صراخه يستمع رئيس الكهنة العظيم ويجرى لاغاثته .

أما وقت العون فيعبر عنه بالقول « فى حينه » . وأحسن إيضاح لهذا التعبير ما جاء عن بطرس الرسول عندما نزل ليمشى على الماء قوله : « ولكن لما رأى الريح شديدة خاف وإذا ابتدأ يغرق صرخ قائلا يارب نجنى ففى الحال مد يسوع يده وأمسك به » لاحظ القول « ففى الحال » (مت ١٤ : ٢٩ — ٣١) . وإن كان قاضى الظلم يقول : وإن كنت لا أخاف الله ولا أهاب إنساناً . فإنى لأجل أن هذه المرأة تزعجنى أنصفها لئلا تأتى دائماً فتقمعنى . . أفلا ينصف الله مختاريه الصارخين إليه نهاراً وليلا وهو متمهل عليهم ؟ إنه ينصفهم سريعاً » (لو ١٨ : ٤ — ٨) .

يوجد عرش حيث يجتمع الله بالإنسان ، هذا العرش مرشوش « بدم كريم كما من حمل بلا عيب ولا دنس » « حمل الله الذى يرفع خطية العالم » (١ بط ١ : ١٩ ، يو ١ : ٢٩) .

هذا الحمل هو كاهننا كما أنه ذبيحتنا فلنتقدم واثقين بدمه معترفين بكهنوته ، ولنصرخ ، « لننال رحمة ونجد نعمة عوناً فى حينه » .

« أطلبوا الرب ما دام يوجد . ادعوه وهو قريب ليترك الشرير طريقه ورجل الإثم أفكاره وليتب إلى الرب فيرحمه وإلى إلهنا لأنه يكثر الغفران » (إش ٥٥ : ٦و٧) .

رسالة بولس الرسول الى العبرانيين : — شرحها

القسم التعليمى

(٣) المسيح فى رتبته الكهنوتية (ص ٥ : ١ — ١٠ : ٣١)

هذا هو الباب الثالث من القسم التعليمى فى الرسالة كما بينا فى شرح الجزء الأول منها .

فى ذلك الشرح اجتزنا البابين الأولين المختصين برتبة المسيح الملكية ، ورتبته النبوية . وهنا نحن الآن على أعتاب الباب الثالث المتعلق بالرتبة الكهنوتية . وسندخل منه بعونه تعالى لنتبين فضل ابن الله على هرون وسائر الكهنة . لنتحقق أيضاً من وراء هذا الفضل ، فضل العهد الجديد على العهد القديم الذى هو موضوع الرسالة العام .

أما مفتاح هذا الباب فنجده ، كما أشرنا فى الجزء الأول ، فى قوله « فإن الناموس يقيم أناساً بهم ضعف رؤساء كهنة . وأما كلمة القسم التى بعد الناموس فتقيم إبناً مكملاً إلى الأبد » (٧ : ٢٨) .

طريق الدخول من هذا الباب هى ذات طريق الدخول من البابين الأولين حيث نجد أمامنا ثلاثة فصول :

فى أولها نتبين المبادىء الأولية للرتبة الكهنوتية (٥ : ١ — ٤) .

مع تطبيق تلك المبادىء على المسيح ومماثلته لهرون فى هذه الرتبة (٥ : ٥ — ١٠) :

وفى ثانيها فصل تحذيرى معترض (٥ : ١١ — ٦ : ٢٠) :

وفى ثالثها يتلألأ سمو المسيح على هرون ككاهن على رتبة ملكى صادق (٧ : ١ — ١٠ : ٣١) .

فلنقف الآن خاشعين أمام بهاء ابن الله الكهنوتى ، كما وقفنا أمام مجده الملكى ، وسنائه النبوى ، باحثين بالروح هذه الفصول الثلاثة كلا على حدته .

الفصل الأول

أولا ــ المبادىء الأولية للرتبة الكهنوتية

ص ٥ : ١ ــ ٤

١ لِأَنَّ كُلَّ رَئِيسِ كَهَنَةٍ مَأْخُوذٍ مِنَ ٱلنَّاسِ يُقَامُ لِأَجْلِ ٱلنَّاسِ
فِي مَا لِلهِ لِكَيْ يُقَدِّمَ قَرَابِينَ وَذَبَائِحَ عَنِ ٱلْخَطَايَا ٢ قَادِراً أَنْ
يَتَرَفَّقَ بِالْجُهَّالِ وَٱلضَّالِّينَ إِذْ هُوَ أَيْضًا مُحَاطٌ بِالضَّعْفِ. ٣ وَلِهٰذَا
ٱلضَّعْفِ يَلْتَزِمُ أَنَّهُ كَمَا يُقَدِّمُ عَنِ ٱلْخَطَايَا لِأَجْلِ ٱلشَّعْبِ هٰكَذَا
أَيْضًا لِأَجْلِ نَفْسِهِ . ٤ وَلاَ يَأْخُذُ أَحَدٌ هٰذِهِ ٱلْوَظِيفَةَ بِنَفْسِهِ بَلِ
ٱلْمَدْعُوُّ مِنَ ٱللهِ كَمَا هٰرُونُ أَيْضًا .

فى هذه الآيات يشير الرسول إلى مطلبين جوهريين أساسيين يلزم توفرهما فى من يكون رئيس كهنة ، وهما : (١) ــ كونه مأخوذاً من الناس ، وهو طريق اتصاله بالناس (عد ١ ــ ٣) ، (٢) ــ كونه مدعوا من الله ، وهو طريق اتصاله بالله (عد ٤) :

عد ١ ــ ٣ « لأن » كلمة رابطة لهذا الباب بما قبله ، يفتتح بها الرسول هنا شرح موضوع الرتبة الكهنوتية الذى أشار إليه فى (ص ٤ : ١٤ ــ ١٦) . حيث ، وهو يقارن بين موسى ويسوع فى (ص ٣) ، وبين يشوع ويسوع فى (ص ٤) ، قادته هذه المقارنة إلى أن يرى يسوع على رأس شعبه مجتازاً السماوات للدخول إلى راحته فى أقداسها العليا ، متمثلا إياه فى أبهى سربال كهنوتى . فاختتم ، بهذه الرؤيا ، كلامه فى موضوع الرتبة النبوية ، كما سبق فاختتم بها كلامه فى موضوع الرتبة الملكية ، (انظر شرح ٢ : ١٧ و ١٨) . وهنا يعود إليها من جديد كموضوع خاص ، مفصلا ما أجمله

فى تينك الاشارتين ، مبتدئاً من المبادىء الأولية ، متدرجاً فى سمو ، حتى وصل إلى قمة بهاء هذه الرتبة الكهنوتية الفائقة .

« كل رئيس كهنة » : يظهر أن لفظ « رئيس الكهنة » لقب خاص بالعهد الجديد . أما فى العهد القديم فقد ورد بلفظ « الكاهن العظيم » « هكوهين هجادول » (عد ٣٥ : ٢٥ و ٢٨ ، يش ٢ : ٦ ، حج ١ : ١٢ ، ١٤ ، زك ٣ : ١ و ٨) . وقد ترجم فى (لا ٢١ : ١٠) « الكاهن الأعظم بين اخوته » . وسمى فى (لا ٤ : ٣) « الكاهن الممسوح » « هكوهين هماشيح » وفى (٢ أى ١٩ : ١١ ، ٢٤ : ١١ ، ٢٦ : ٢٠) لقب « الكاهن الرأس » « هكوهين هاروش » .

كان هرون أول رئيس كهنة فى النظام اللاوى . . وفى عائلته انحصرت الرتبة الكهنوتية اللاوية حيث « أفرز هرون لتقديسه قدس أقداس هو وبنوه إلى الأبد ليوقد أمام الرب ويخدمه ويبارك باسمه إلى الأبد » (١ أى ٢٣ : ١٣ — انظر لا ٨ ، ٩) . ولم يسمح لأحد من غير هذه العائلة الهرونية بهذه الوظيفة حتى من اللاويين أنفسهم . وهذه حقيقة أعلنتها الأرض التى انشقت تحت قورح وجماعته وفتحت فاها وابتلعتهم وبيوتهم أحياء وانطبقت عليهم ، كما أنها أمر واقع ختم بخاتم عصا هرون التى أفرخت ، وشهادة أيدها البرص الذى ظهر فى جبهة عزيا الملك إذ ضربه الرب لتعديه على هذه الوظيفة التى ليست له. (انظر عد ص ١٦ و ١٧ ، مز ١٠٦ : ١٦ — ١٨ ، يه ١١ ، ٢ أى ٢٦ : ١٦ — ٢١) .

كان أولاد هرون ، ناداب وأبيهو وألعازار وإيثامار ، كهنة معه (خر ٢٨ : ١ ، لا ٨ : ١ ، ٩ : ١) . أما ناداب وأبيهو فقد أكلتهما نار من عند الرب لأنهما قربا أمامه ناراً غريبة (لا ١٠) . لذلك بعد موت هرون آلت رئاسة الكهنوت إلى ألعازار ، أكبر ابنيه الباقيين ، (عد ٢ : ٢٥ — ٢٩) . وانحصرت فيه وفى بيته (١ أى ٦ : ١ — ١٥) . على أن بيت ايثامار الابن الأصغر لم يحرم من هذا النصيب إذ تمتع بشرف هذه الرئاسة فترة من الزمان . ومع أنه لم يذكر كيف أو متى آلت إليه الرئاسة فى تلك الفترة ، إلا أننا إذا راجعنا (١مل ١ و ٢) نجد هنالك كاهنين هما أبياثار وصادوق . وإذا عرفنا أن صادوق هو من بيت ألعازار كما يتضح من (١ أى ٦ : ٤ — ١٥

و ٥٠ - ٥٣) ، فلابد أن يكون أبياثار من بيت إيثامار . وهذا يوضحه أكثر كون سليمان طرد أبياثار من الكهنوت وجعل صادوق مكانه ، وكون طرد أبياثار جاء إتماماً لكلام الرب الذى تكلم به على بيت عالى فى شيلوه (قابل ٢ صم ٢ : ٢٧ - ٣٦) . كأن الفترة التى آلت فيها الرئاسة إلى بيت ايثامار كانت من عالى إلى أبياثار ثم عادت فى صادوق إلى بيت ألعازار .

على أنه من المعلوم أن لكلا البيتين حق الكهنوت لأنهما ابنا هرون . وفى وقت ما كانت تخلع الرئاسة على أحدهما ، يكون الآخر شريكاً بمعنى ما . وفى الواقع كان الكهنوت المزدوج مقترناً بخدمة مزدوجة فكان صادوق واخوته أمام مسكن الرب فى المرتفعة التى فى جبعون يخدمون (أى ١٦ : ٣٩) بينما كان أبياثار يخدم أمام التابوت فى أورشليم (راجع ٢ صم ١٥ : ٢٤ و ٢٥ و ٢٧ و ٢٩ و ٣٤ و ٣٦ ، ١٧ : ١٥ ، ١٩ : ١١ ، ٢٠ : ٢٥ ، ١ أى ١٥ : ١١ ، ٨ : ١٦) . وعند نهاية ملك داود أظهر التعداد الذى عمله أن لبنى ألعازار رؤوس رجال أكثر من بنى إيثامار فقسمهم حسب وكالتهم فى خدمة الكهنوت إلى أربع وعشرين فرقة [١] . لبنى العازار رؤساء لبيت آبائهم ستة عشر [٢] . ولبنى ايثامار لبيت آبائهم ثمانية [٣] (١ أى ٢٤ : ١ - ١٩) .

هذه لمحة تاريخية كتابية عن الرتبة الكهنوتية فى رئيس الكهنة موضوع الكلام فى هذا الباب وعنه يقال :

---

(١) لعل رؤوس هذه الفرق الأربع والعشرين هم الذين يسمون فى العهد الجديد « رؤساء الكهنة » . ولعل الأرجح أن هذه التسمية كانت تشمل الحبر الأعظم (وكان حينئذ حنان وقيافا صهره ، الأول اعتبره اليهود رئيس كهنة حقاً ، والثانى اعتبره الرومان رئيس كهنة شرعاً) ، ومعه جميع الذين بلغوا هذه الرتبة قبله ثم عزلوا ، وكل رؤوس هذه الفرق المشار إليها ، هؤلاء جميعاً هم رؤساء الكهنة فى العهد الجديد ومنهم مع الكتبة وشيوخ الشعب يؤلف السنهدريم (مجمع اليهود) (انظرمت ٢ : ٤ ، ١٦ : ٢١ ، ٢٦ : ٣ و ٥٧ ، لو ٣ : ٢ ، يو ١١ : ٤٩ - ٥١ ، ١٨ : ١٣ و ١٤ ، أع ٤ : ٦) .

(٢) كانت الفرقة الثامنة من هذه الفرق الست عشرة ، فرقة أبيا التى منها كان زكريا أبو يوحنا المعمدان (قابل ١ أى ٢٤ : ١٠ مع لو ١ : ٥ - ١٠) .

(٣) ربما يعزى سبب قلة رؤوس بيت آباء بنى ايثامار إلى قتل كهنة ذلك البيت فى الحرب مع الفلسطينيين ، وبيد دواغ الأدومى كأمر شاول (١ صم ٤ : ١١ و ١٧ ، ٢٢ : ١٧ - ٢٣) .

« مأخوذ من الناس » :

هذه جملة ، فى وضعها ، وصفية ، ولكن ليس ما يمنع أيضاً من اعتبارها خبرية ، كمبدأ أولى ، فى وصف رئيس الكهنة ، يتطلب أن يؤخذ من الناس ، لا من الملائكة ، ولا من أية طبقة أخرى غير الطبقة البشرية . فهو واحد من البشر له طبيعتهم وفيه ضعفاتهم . « مأخوذ » منهم أى مختار مفرز للخدمة ، كما أفرز هرون من وسط إسرائيل ومن جماعة سبط لاوى ، ومن بين اخوته ، « رفعت مختاراً من بين الشعب » (مز ٨٩ : ١٩) فهو « مأخوذ من الناس » .

« يقام لأجل الناس » :

أى معين ومنصب : معين بالأمر الإلهى القائل لموسى : « قرب هرون أخاك وبنيه معه من بين إسرائيل ليكهن لى » (خر ٢٨ : ٢ ــ ٥) ، ومنصب بالعملية التى قام بها موسى لتقديسه وبنيه للخدمة . وهى عملية مفصلة فى (خر ٢٩ولا ٨و ٩) تفصيلا دقيقاً أدلى به الله إلى موسى .

بالتعيين والتنصيب يقام رئيس الكهنة « لأجل الناس » لا ليسمو عليهم بل ليخدمهم بما تؤهله به نعمة الله من المواهب الروحية . لأنه « من يميزك ، وأى شىء لك لم تأخذه ؟ وإن كنت قد أخذت فلماذا تفتخر كأنك لم تأخذ »؟ (١ كو ٤ :٧) . وإذا أدركنا أن الكلمة الأصلية المترجمة « لأجل » ترجمت أيضاً « عن » فى قول المسيح عن نفسه : « الراعى الصالح يبذل نفسه « عن » الخراف » (يو ١٠ : ١١) ، وفى قوله لبطرس : « أتضع نفسك عنى ؟ » (يو ١٣ : ٣٨) ، فيكون معنى قيام رئيس الكهنة لأجل الناس ، أنه يقف موقفهم ويأخذ مكانهم ويتقدم لأجلهم خادماً لخيرهم كما قال الرسول : « أنا أصبر على كل شىء لأجل المختارين لكى يحصلوا هم أيضاً على الخلاص » (٢ تى ٢ : ١٠) وهذا ما كان يفعله رئيس الكهنة فى يوم الكفارة حيث كان يضع يديه على رأس التيس ويقر عليه بكل ذنوب إسرائيل (لا ١٦ : ٢١) .

« فى ما لله » :

أى فى الشؤون المختصة به تعالى ، والواجبات المطلوبة من الناس القيام بها نحو اسمه القدوس ، ليرضى عنهم ويصفح عن زلاتهم فيقول فى قلبه «لا أعود ألعن» (تك ٨ : ٢١) بل «أرضى . . وأتمجد» (حج ١ : ٨ انظر شرح ٢ : ١٧) .

« لكى يقدم قرابين وذبائح عن الخطايا » :

(انظر ٨ : ٣) فى العبرية كلمتان تترجمان «قرابين» ، إحداهما «قربان» والثانية «منحاه» وهذه الأخيرة هى المترجمة هنا «قرابين» . وفى (لا ٢ ، ٦ : ١٤ – ٢٣) مترجمة تقدمة . وهكذا ترجمتها اليسوعية هنا «تقادم» . ولذلك ميزها بعضهم بكونها التقدمات غير الدموية كالأطعمة ، والأشربة ، والزيوت ، وباكورات الأثمار ، وما شابهها . فتكون «الذبائح» والحالة هذه هى الحيوانات التى تذبح كالتيوس والعجول ، والخراف ، والكباش ، والحمام ، واليمام ، التى يرش دمها على المذبح : على أن بعضاً آخر يرى أنه إن كان هنالك فرق ما بين القرابين والذبائح ، يكون لا فى النوع ، كما ذكر ، بل بالنسبة للمقرب فتكون «القرابين» هى التقدمات التى يقدمها الإنسان من تلقاء ذاته كالنذور ، والنوافل أى العطايا غير المفروضة شرعاً ، وتكون «الذبائح» ما تفرضه الشريعة فيلتزم بها مقدمها التزاماً . على أننا فى (عب ٨ : ٤) نجد كلمة «قرابين» متضمنة «الذبائح» (قابل عد ٣) . وفى (مر ٩ : ٤٩) نجد كلمة «ذبيحة» متضمنة «القرابين» (قابل لا ٢ : ١٣) . ويمكننا أن نعتبر «الذبائح» قرابين لأنها تقرب بيد مقربها إلى الكاهن الذى يقربها عنه إلى الله . وفى ذات الوقت هى ذبائح إذ يجب أن تذبح لتكون كفارة نيابية . «وبدون سفك دم لا تحصل مغفرة» (عب ٩ : ٢٢) .

أما «الخطايا» فيمكن أن نبدل لفظها ونقرأ الجملة ؟ هكذا : «لكى يقدم قرابين وذبائح عن الناس» دون أن يختل المعنى . فتكون «الخطايا» خطايا «الناس» ويكون «الناس» هم الخطاة الذى قصدهم يسوع فى قوله : «لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب ،

بل المرضى . . إنى أريد رحمة لا ذبيحة ، لأنى لم آت لأدعو أبراراً ، بل خطاة ، إلى التوبة » (مت ٩ : ١٢ و ١٣ ، مر٢ : ١٧ ، لو ٥ : ٣١ و ٣٢) .

إذاً رئيس الكهنة فى شخصه « مأخوذ من الناس » ، وفى وظيفته « يقام لأجل الناس » وفى خدمته « يقدم قرابين وذبائح عن الخطايا » عن الناس .

« قادراً » :

كلمة فى أصلها تدل قبل كل شيء على القدرة الطبيعية سواء أكانت فى الله ذاتية غير محدودة ، أم فى الإنسان مكتسبة محدودة . على أنها استعملت أيضاً للدلالة على القدرة الأدبية كما جاءت فى (١كو ١٠ : ٢١) : « ألا تقدرون أن تشربوا كأس الرب وكأس شياطين » الخ . وفى (٢كو١٣ : ٨) : « لأننا لا نستطيع شيئاً ضد الحق » . من هذا القبيل ما قيل عن الله فى (٢تى٢ : ١٣) : « لن يقدر أن ينكر نفسه ». وفى (تك ٣٢ : ٢٥) : « ولما رأى أنه لا يقدر عليه » أى على يعقوب . فالقدرة بهذا المعنى الأدبى هى قدرة متطابقة مع واجبنا ، تبذل فى سبيل أدائه ، شعر بها يوسف فقال : « كيف أصنع هذا الشر العظيم وأخطىء إلى الله » (تك ٣٩ : ٩) . على أن الكلمة أيضاً تستعمل لوصف شخص مؤيد بقوة للقيام بعمله مؤهلا بأميال ورغائب تتناسب مع ذلك العمل كما قيل عن كاهننا الأعظم إيجاباً : « يقدر أن يعين المجربين » (عب ٢ : ١٨) . وسلبا « ليس لنا رئيس كهنة غير قادر » (عب ٤ : ١٥) . وهذا هو الوصف المقصود هنا .

« أن يترفق » :

كلمة فى يونانيتها لم تستعمل فى غير هذا الموضع من الكتاب ولكنها فى عربيتها وردت أيضاً فى (١ تس ٢ : ٧ ، ٢ تى ٢ : ٢٤ ، يع ٣ : ١٧ ، ١ بط ٢ : ١٨) مترجمة عن لفظ يونانى آخر . وإذا غضضنا النظر عن الترجمة فالكلمة فى أصلها معنى خاص اختلفوا فى تحديده . ولكننا نستطيع أن نجد أحسن ما يعبر عنه كتابياً فى القول عن موسى أنه « كان حليما جداً » (عد ١٢ : ٣) وهو تعبير يتعلق بموقف الكاهن فى تأدية وظيفته كانسان حليم يترفق :

« بالجهال والضالين » :

وهما فئتان من الخطاة أو بالحرى نوعان من الخطايا ميز بينهما موسى فى (عد ١٥ : ٢٧ — ٣١) ناظراً إلى « الجهال » كنفوس تخطىء « سهواً » ، وإلى « الضالين » كنفوس تعمل « بيد رفيعة » وأشار إليهما المرنم فى (مز ١٩ : ١٢ و ١٣) معبراً « بالسهوات . . الخطايا المستترة » عن خطايا الجهل . « وبالمتكبرين » عن خطايا اليد الرفيعة ، خطايا العمد والكبرياء .

خطايا الجهل التى يشار إليها هنا ليست هى فقط الخطايا التى يفعلها الأمم الذين « يسلكون ببطل ذهنهم إذ هم مظلمو الفكر ومتجنبون عن حياة الله لسبب الجهل الذى فيهم » (أف ٤ : ١٧ و ١٨) ، وليست فقط كخطية أبيمالك الذى قال : « بسلامة قلبى وبنقاوة يدى فعلت » (تك ٢٠ : ٢ — ٧) ، وليست فقط كتجديف بولس واضطهاده ليسوع الناصرى الذى قال فيه : « فعلت بجهل فى عدم إيمان » (١ تى ١ : ١٣) ، بل هى أيضاً الخطايا المعروفة الصادرة من الإنسان من تأثير تلك الخطية الساكنة فيه الكائنة فى أعضائه ، والانغلاب منها فى ظروف حرجة أو مؤثرات قاهرة ، فيفعل الشر الذى لا يريده فيصرخ صراخ بولس : « ويحى أنا الإنسان الشقى . من ينقذنى من جسد هذا الموت » ، ويبكى بكاء بطرس المر (اقرأ رو ٧ : ١٤ — ٢٤ ، مت ٢٦ : ٦٩ — ٧٥) .

ما قيل فى « الجهال » يقال أيضاً فى « الضالين » فهم ليسوا الذين قيل عنهم فى (ص ٣ : ١٠ و ١١) : « إنهم دائماً يضلون فى قلوبهم » الذين وصفهم فى (ص ١٠ : ٢٦ و ٢٧) بالقول : « إن أخطأنا باختيارنا بعد ما أخذنا معرفة الحق لا تبقى بعد ذبيحة عن الخطايا بل قبول دينونة مخيف وغيرة نار عتيدة أن تأكل المضادين » ، كما قيل « مقت ذلك الجيل حتى أقسمت فى غضبى لن يدخلوا راحتى » . بل هم الذين ولو مالت بهم التجربة عن طريق الله إلى طريقهم ، يكون قلبهم كاملا مع الله كل أيامهم ، كما قيل فى آسا « أما المرتفعات فلم تنزع من إسرائيل . إلا أن قلب آسا كان كاملا كل أيامه » (٢ أى ١٥ : ١٧) وكما قال المرنم « ضللت كشاة ضالة . اطلب

عبدك لأني لم أنس وصاياك » (مز ١١٩ : ١٧٦) وهم أيضاً الذين ، وإن ضلوا ، يرتدون عن ضلال طريقهم ، « لأنكم كنتم كخراف ضالة «كلنا كغنم ضللنا ». ولكنكم رجعتم الآن إلى راعي نفوسكم وأسقفها » (١ بط ٢ : ٢٥ ، إش ٥٣ : ٦) .

رئيس الكهنة يكون « قادراً » أن يميز بحكم وظيفته ومؤهلات قيامه بها . بين تلك الخطايا التي يكفر عنها بالقرابين والذبائح . وبين الخطايا التي يقول عنها يوحنا : « لأنه توجد خطية للموت . ليس لأجل هذه أقول أن يطلب » (١ يو ٥ : ١٦) . وأشار إليها السيد بالقول : « من جدف على الروح القدس فلا يغفر له » (لو ١٢ : ١٠ — انظر شرح ص ٦ : ٤ — ٦ ، ١٠ : ٢٦ — ٣١) .

وبعد هذا التمييز ، عليه «أن يترفق » بهم فلا يستشيط غضباً ويتميز غيظاحتى يفرط بشفتيه ، كما فعل موسى الرجل الحليم ، فعثر في أقدس قداسته ، وانهزم في أمنع حصونه قائلا للرب : « لماذا أسأت إلى عبدك . . حتى إنك وضعت ثقل جميع هـــذا الشعب عليّ » (اقرأ عد ١١ : ١٠ — ١٥ ، مز ١٠٦ : ٣٢ و ٣٣) . ولا يقول «لا أرعاكم . من يمت فليمت ، ومن يبد فليبد ، والبقية فليأكل بعضها لحم بعض ». (زك ١١ : ٩) بل يكون شعاره « كنا مترفقين في وسطكم كما تربي المرضعة أولادها ». (اتس ٢ : ٧) .

« إذ هو أيضاً محاط بالضعف الطبيعي :

فهو واحد من الناس مشترك معهم في لحم ودم الجسم الحيواني الذي يحتاج إلى القوت والكسوة والرياضة والراحة : وبالضعف الأدبي المقترن بالخطية . فالضعفاء من هذا النوع فجار (رو ٥ : ٦ و ٨) . « وضميرهم إذ هو ضعيف يتنجس » (١ كو ٨ : ٧) وهم معرضون للتجارب الأدبية كما أنهم معرضون للآلام الطبيعية ، فهو من كل ناحية « محاط » بالضعف متلبس به ، يحاصره ويطوق عنقه كما يحاصر الجيش المدينة ، وكما يطوق عنق الإنسان بحجر رحى ويطرح في البحر ، وكما لو كان سجيناً موثقاً بسلاسل ومقيداً بأغلال لا قوة له على التخلص منها (مر ٩ : ٤٢) ،

لو ١٧ : ٢ ، أع ٢٨ : ٢٠) و « إذ هو أيضاً » محاط بالضعف كالجهال والضالين يعرف ضعفهم اختبارياً فيرثى لهم ويترفق بهم .

« ولهذا الضعف يلتزم » :

التزاماً أدبياً نظراً لفساده الأدبي وظلامه الفكرى ، والتزاماً شرعياً بمقتضى مطاليب الناموس الموسوى التي لا تفرق بين الشعب والكاهن الذى « يلتزم » : —

« أنه كما يقدم عن الخطايا لأجل الشعب هكذا أيضاً لأجل نفسه » :

بمقتضى الالتزام المشار إليه . (راجع لا ص ٤ و ٩ و ١٦) فى ما يقدمه الكاهن عن نفسه خاصة . هذا عدا المحرقة الدائمة التى تشير إلى تكريس كل الجماعة للرب ، كهنة وشعباً ، تكريساً تاماً أشار إليه الرسول قائلا : « فاطلب إليكم أيها الأخوة برأفة الله أن تقدموا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله عبادتكم العقلية » (رو١٢ : ١)

عد ٤ : رأينا فى الآيات الثلاث السابقة ، المطلب الأول اللازم توفره فى رئيس الكهنة . حالة كونه مأخوذاً من الناس . وفى هذه الآية الرابعة سنرى المطلب الثانى ، حالة كونه مدعواً من الله . وإن كنا فى المطلب الأول رأينا أهلية الكاهن الشخصية للخدمة . ففى المطلب الثانى سنرى دعوته الشرعية للخدمة . وفيها يضع الرسول أمامنا : (١) مبدأ (٢) مثلا تطبيقياً واقعياً . أما المبدأ فيقول فيه سلباً : « لا يأخذ أحد هـذه الوظيفة بنفسه » وإيجاباً : « بل المدعو من الله » . أما التطبيق فيقول فيه تمثيلا « كما هرون أيضاً » .

« لا يأخذ أحد هذه الوظيفة بنفسه :

الكلمة المترجمة « الوظيفة » هنا ترجمت فى (ص ٣ : ٣) « كرامة » ، وإذ أراد عزيا الملك أن يأخذها لنفسه بنفسه قال له عزريا الكاهن : « أخرج من المقدس لأنك خنت وليس لك من كرامة من عند الرب الإله » (٢ أى ٢٦ : ١٨) . وإذ أراد قورح و جماعته اغتصابها لذواتهم قال لهم موسى : « اسمعوا يا بنى لاوى . أقليل عليكم أن إله إسرائيل أفرزكم من جماعة إسرائيل ليقربكم إليه لكى تعملوا خدمة مسكن الرب وتقفوا قدام الجماعة لخدمتها ؟ . . وتطلبون أيضاً كهنوتاً » ؟ (عدد ١٥ : ٨ و ٩) ؟ فلا يأخذ أحد هذه الوظيفة بنفسه .

« بل المدعو من الله » :

فكما أنه يقام فى ما لله هكذا ينبغى أن يدعى من الله .

« كما هرون أيضاً » :

وهو أول كاهن ممسوح ، ومن بيته قام جميع الكهنة ، كما ذكرنا ، فيحق أن يمثل به فى تطبيق مبدأ الدعوة الكهنوتية . أما الدعوة التى دعى بها فقد نص عنها فى قول الرب لموسى : « قرب إليك هرون أخاك وبنيه معه من بين بنى إسرائيل ليكهن لى » (خر ٢٨ : ١) . وتأيدت بعد ثورة قورح وجماعته بعصا هرون التى أخرجت فروخاً وأزهرت زهراً وأنضجت لوزاً بمعجزة فائقة (انظر عد ١٧ : ١ — ١٢) . وبتجديد الدعوة لهرون بنص قول الرب له : « أنت وبنوك وبيت أبيك معك تحملون ذنب المقدس . وأنت وبنوك معك تحملون ذنب كهنوتكم . . عطية أعطيت كهنوتكم. والأجنبى الذى يقترب يقتل » (عد ١٨ : ١ و٧)

ثانياً — تطبيق المبادئ الأولية للرتبة الكهنوتية (ص ٥ : ٥ — ١٠) :

٥ كَذٰلِكَ ٱلْمَسِيحُ أَيْضًا لَمْ يُمَجِّدْ نَفْسَهُ لِيَصِيرَ رَئِيسَ كَهَنَةٍ
بَلِ ٱلَّذِي قَالَ لَهُ أَنْتَ ٱبْنِي أَنَا ٱلْيَوْمَ وَلَدْتُكَ ٦ كَمَا يَقُولُ
أَيْضًا فِي مَوْضِعٍ آخَرَ أَنْتَ كَاهِنٌ إِلَى ٱلْأَبَدِ عَلَى رُتْبَةِ مَلْكِي
صَادَقَ . ٧ ٱلَّذِي فِي أَيَّامِ جَسَدِهِ إِذْ قَدَّمَ بِصُرَاخٍ شَدِيدٍ وَدُمُوعٍ
طَلِبَاتٍ وَتَضَرُّعَاتٍ لِلْقَادِرِ أَنْ يُخَلِّصَهُ مِنَ ٱلْمَوْتِ وَسُمِعَ لَهُ مِنْ
أَجْلِ تَقْوَاهُ ٨ مَعَ كَوْنِهِ ٱبْنًا تَعَلَّمَ ٱلطَّاعَةَ مِمَّا تَأَلَّمَ بِهِ ٩ وَإِذْ
كُمِّلَ صَارَ لِجَمِيعِ ٱلَّذِينَ يُطِيعُونَهُ سَبَبَ خَلَاصٍ أَبَدِيٍّ ١٠ مَدْعُوًّا
مِنَ ٱللهِ رَئِيسَ كَهَنَةٍ عَلَى رُتْبَةِ مَلْكِي صَادَقَ

فى المبادئ الأولية رأينا مطلبين فى كل رئيس كهنة : (١) مأخوذ من الناس . (٢) مدعو من الله . وفى التطبيق سنرى فى رئيس كهنتنا الأعظم : (١) كونه مدعوا من الله (عد ٥ و ٦) . (٢) كونه مأخوذاً من الناس (عد ٧ — ١٠) أى أن المطلب الثانى مقدم على المطلب الأول بمقتضى النص .

عد ٥ و ٦ : فى هاتين الآيتين : (١) إشارة إلى أمر مسلم به هو أن « المسيح رئيس كهنة » . (٢) تطبيق لمبدأ الدعوة :

(أ) سلباً « لم يمجد نفسه » الخ . (ب) إيجاباً « بل الذى قال له » الخ .

« كذلك المسيح أيضاً » :

رأينا سابقاً أن من ألقاب رئيس الكهنة « الكاهن الممسوح » (لا ٤ : ٣) لأنه مسح ليكون كاهناً (خر٢٩ : ٤ — ٩ ، لا ٨ : ٥ — ١٢) . وهذا هو لقب كاهننا الأعظم هنا « المسيح » وقد رأيناه فى الباب الأول المسيح الملك اتماماً للقول : « مسحك الله إلهك بزيت الابتهاج » (مز ٤٥ : ٧) . ووجدناه فى الباب الثانى المسيح النبى اتماماً للقول : « روح السيد الرب على لأنه مسحنى لأبشر » (إش ٦١ : ١ ، لو٤ : ١٦ — ٢١) . وفى هذا الباب الثالث نلتقى به المسيح الكاهن الذى :

« لم يمجد نفسه ليصير رئيس كهنة » :

وهنا الأمر المسلم به ، كما يتضح من القرائن أن المسيح صار رئيس كهنة . وكيف يكون ذلك وهو ليس من بيت هرون ولا من سبط لاوى ؟ إنه لم يأخذ هذه الوظيفة بنفسه ، ولم يدع مجدها لذاته ، ولم يكن ممكناً له وهو من سبط يهوذا أن يزج بنفسه فى السبط اللاوى ، ليأخذ لنفسه تلك الكرامة ويتشح بوشاحها البهى .

« بل الذى قال له » :

هذا هو الذى مجده وأكرمه ورفعه إلى المقام الكهنوتى السامى ، ويعرف هنا بأنه « الذى قال له » فمن هو ؟ وماذا قال ؟ وأين قال ؟

ذكر الرسول قولين : (١) « أنت ابنى أنا اليوم ولدتك » : (٢) « أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكى صادق » . وإذا رجعنا إلى حيث نص القولين : الأول فى (مز ٢ : ٧) : « إنى أخبر من جهة قضاء الرب قال لى : « أنت ابنى أنا اليوم ولدتك » الثانى فى (مز ١١٠ : ٤) : « أقسم الرب ولن يندم . أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكى صادق » ، نجد الاشارة صريحة إلى أن الذى قال هو « الرب » . ولكن لماذا اختار الرسول هذين القولين دون سواهما إن كان الغرض من ذكرهما مجرد تعريف من قال ؟ ولماذا لم يختر سواهما من أقوال الرب الكثيرة للمسيح ؟ لابد أن لهما شأناً خاصاً فى الموضوع وهذا ما نريد بحثه الآن :

« أنت ابنى أنا اليوم ولدتك » :

رأينا فى هذا القول بنوة المسيح الأزلية أساساً للملك (١ : ٥) وأساساً للنبوة (٣ : ٦) وهنا نجدها أساساً للكهنوت . فيكون هذه القول إذاً أساس تعيين المسيح لرتبة الثلاث ، وبه أخذ مجد الملك وجلال النبوة وبهاء الكهنوت . فقبل أن يقول له كملك : « اسألنى فأعطيك الأمم ميراثاً وأقاصى الأرض ملكاً لك » قال ، وكان لابد أن يقول : « أنت ابنى أنا اليوم ولدتك » . وقبل أن يبدأ المسيح خدمته الجهارية «كرسول » (عب٣ : ١) قيل ، وكان لابد أن يقال : « أنت ابنى الحبيب الذى به سررت » (مز ١ : ١١) ، بل قبل أن يقول صوت جبل التجلى « له اسمعوا » كنبى ، قال : « هذا هو ابنى الحبيب » (لو ٩ : ٣٥) . وهنا نجد الرسول يضع هذا القول عينه أساساً يبنى عليه ما قيل له ككاهن فى (مز ١١٠ : ٤) .

« أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكى صادق » :

بهذا القول ألبس الله ابنه الوحيد ثياب المجد والبهاء الكهنوتية . ونقش على صدرته القضائية أسماء مختاريه الأحباء ليحملهم على قلبه للتذكار أمام العرش دائماً ، ووضع على جبهته صفيحة الذهب النقى منقوشاً عليها نقش خاتم « قدس للرب » لتكون على جبهته دائماً للرضى عن شعبه أمام الرب (انظر خر ٢٨) .

أما صيغة التعبير فى القول : « أنت كاهن » لا رئيس كهنة ، كما كنا ننتظر، فتدلنا على أن هرون وخلفاءه إنما هم رؤساء كهنة فقط بالنسبة لاخوتهم الكهنة « الكاهن الأعظم بين اخوته » أو الكاهن الرأس بالنسبة إليهم . أما بالنسبة لخدمته أمام الله فى هيكله المقدس فهو كاهن ليس إلا . ولهذا جاء فى الكتاب « هرون الكاهن » (خر ٣٥ : ١٩) . و«كاهن أون» (تك ٤١ : ٤٥ و ٥٠) و « كاهن مديان » (خر ٢ :١٦ و٣ :١و ١٨ : ١) . وهذا ما قيل عن نفس ملكى صادق «كان كاهناً لله العلى » (تك ١٤ : ١٨) وهو الذى على رتبته جاء المسيح كاهناً كما سنرى فى الأصحاح السابع بعون الله ؛

عدد ٧ — ١٠ : فى عد ٥ و ٦ رأينا المسيح « المدعو من الله » متوفراً فيه المطلب الأول ككاهن . اما فى هذه الآيات الأربعة فإننا سنراه متوفراً فيه المطلب الثانى « مأخوذ من الناس » « ولأجل الناس » « رئيس كهنة » . فى طبيعته البشرية : يصارع مع مخاوف الموت (عد ٧) : ويتعلم الطاعة فى الآلام (عد ٨) : فيتكمل لعمله الكهنوتى الذى إليه دعى (عد ٩و ١٠) .

الــذى » :

اسم موصول ، أول ما يخطر للقارئ بشأنه ، أنه يعود إلى « ملكى صادق » المذكور فى آخر الآية السابقة ، فيظن لأول وهلة أن « ملكى صادق » هذا هو موضوع الكلام فى هذه الآيات . على أن ما يظهر من القرائن فى هذه الآيات وبخاصة الوصف فى عد ١٠ ، يخرج كلياً « ملكى صادق » من موضوعها ويحقق أنه وصف للمسيح الذى بدأ عنه الكلام من عد ٥ . فهو « الذى » :

« فى أيام جسده » :

الأيام التى عاشها على الأرض . منذ أن صار جسداً (يو ١ : ١٤) ووضع فى مذود البقر مهداً (لو ٢ : ١٦) إلى أن وضع فى القبر لحداً (يو ١٩ : ٤١و ٤٢) : الأيام المحدودة بالقول « أخلى نفسه آخذاً صورة عبد صائراً فى شبه الناس واذ وجد

فى الهيئة كانسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب » (فى ٢ : ٧ و ٨) : « أيام بشريته » على الأرض التى فيها :

« قـدم » :

كما قيل عن رئيس الكهنة « يقدم قرابين وذبائح » (عد ١) .

« بصراخ شديد ودموع طلبات وتضرعات » :

الكلمة المترجمة تضرعات تعنى أصلا غصن زيتون ملفوفاً بصوف يحمله فى أيديهم الذين يرغبون فى أن يستعطفوا آخرين لينالوا منهم سلاماً أو ليسترضوهم فى أمر ما . والكلام هنا عن « طلبات وتضرعات » المسيح ، يذكرنا بحالة السيد فى ذلك الجهاد العنيف فى بستان جثسيمانى فى تلك الليلة التاريخية الرائعة التى فيها « إذ كان فى جهاد كان يصلى بأشد لجاجة . وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض (لو ٢٢ : ٤٤). حين خر على وجهه قائلا : « يا أبتاه إن أمكن فلتعبر عنى هذه الكأس » . مكرراً هذا الكلام عينه ثلاث مرات (مت٢٦ : ٣٩ — ٤٤) .

لم تذكر رواية البستان صراخاً للمسيح ، ولكنه على الصليب « صرخ بصوت عظيم » (مت ٢٧ : ٤٦ ومر ١٥ : ٣٤) . أما الدموع فلم يرد لها ذكر إلا عند قبر لعازر حيث قيل : « بكى يسوع » (يو ١١ : ٣٥) : وعند دخوله الانتصارى إلى أورشليم حيث « نظر إلى المدينة وبكى عليها » (لو ١٩ : ٤١) : على أن تعبير الرسول هنا صريح والإشارة فيهواضحة فعدم ذكر الصراخ والدموع فى تلك الليلة ليس دليلا على عدمها . وبخاصة إذا ذكرنا القول : « ابتدأ يحزن ويكتئب» . « نفسى حزينة جداً حتى الموت » امكثوا ههنا واسهروا معى » (مت ٢٦ : ٣٧ و ٣٨) : وكذا إذا استعرضنا الجهاد والحجاجة اللذين أشرنا إليهما : وكذا إذا رجعنا إلى النبوة القديمة ، نسمع صوتها فى العصور الخالية ، يتردد صداه فى الأجيال التالية ، فى صوت زفرات وأنات وصرخات امتلأ بها (مز ٢٢) : إذا ذكرنا كل ذلك مجتمعاً ، نتحقق ، ولابد ، أنه « قدم بصراخ شديد ودموع طلبات وتضرعات .

« للقادر أن يخلصه من الموت » :

شخصية بارزة كلية القدرة . شخصية الآب الذى خاطبه بالقول « يا أبتاه » . « الله القدير » (تك ١٧ : ١) ، الذى بيده كل نسمة (دا ٥ : ٢٣) ، القادر أن يقيم من الأموات وأن ينجى من موت مثل هذا (٢كو ١ : ٩ و ١٠) .

كان إيمان المسيح بقدرة أبيه عظيما محققاً أن بيده الحياة والموت ، وأن له سلطاناً على الشريعة التى قضت بالموت وحتمته ، إلا أن إيمانه العظيم بهذه القدرة لم ينسه أن لأبيه إرادة ، وأن بين قدرته تعالى وبين إرادته ارتباطاً قوياً . فلم ينس فى شديد جهاده وفى كثرة لجاجته أن يجعل طلباته وتضرعاته رهينة تلك الإرادة الأبوية فقال : « ولكن لتكن لا إرادتى بل إرادتك » (لو ٢٢ : ٤٢) .

ولكن أى موت يشار إليه هنا ؟ قال المسيح لتلاميذه فى البستان : « نفسى حزينة جداً حتى الموت » (مت ٢٦ : ٣٧) . فقد ملك الحزن نفسه واشتدت وطأته عليه لدرجة معها كادت قواه البشرية تذوب أمامه ، وكثيراً ما يموت الناس من شدة الحزن . ولذلك ذهب البعض إلى أن الموت المقصود هو الموت الذى كان يتهدد جسد المسيح الضعيف المنهوكة قواه ليستلب منه الحياة ويقضى عليه قبل أن يصل إلى الصليب . فيقولون إن هذا ما كان يخشاه المسيح أى أن يموت فى البستان . فتوسل للقادر أن يخلصه من هذا الموت ليتم موت الصليب الذى لأجله جاء إتماماً للقصد الأزلى . على أن آخرين رأوا موتاً آخر غير هذا الموت ، هو الموت ، لا قبل الصليب بل بعد الصليب . الموت ، لا تحت أشجار بستان جثسيمانى بل تحت أحجار قبر يوسف الرامى . فيقولون إن هذا ما كان يخشاه المسيح ، أن يبقى تحت سلطان الموت فلا يقوم من القبر . فتوسل للقادر أن يخلصه من هذا الموت بالقيامة منه لكى يتم الغرض من الصليب أيضاً فى تمجيده وفداء البشرية .

على أننا لو بحثنا الأمر كتابياً لتحققنا أن الخوف من موت الصليب الذى ألقى شبحه المخيف على يسوع فى البستان ، هو الذى روع قلبه وأزعج نفسه فقدم بصراخ شديد ودموع طلبات وتضرعات للقادر أن يخلصه من موت الصليب هذا .

ولإثبات هذه الحقيقة لنقف قليلا أمام الكأس التى طلب المسيح فى صلاته أن تعبر عنه متسائلين أية كأس هى ؟ .

أشار السيد إلى الكأس مرتين أخريين فى حياته : مرة قبل هذه الصلاة ، ومرة أخرى بعد هذه الصلاة : الأولى فى سؤاله لابنى زبدى اللذين أرادا الجلوس عن يمينه وعن يساره قائلا : « أتستطيعان أن تشربا الكأس التى سوف أشربها أنا وأن تصطبغا بالصبغة التى أصطبغ بها أنا »؟ (مر ١٠ : ٣٨) . وفى هذا السؤال يشير إلى كأس كان لابد أن يشربها مصطبغة بصبغة الآلام والدم الذى سفكه على الصليب ، متمماً قوله : « ولى صبغة أصطبغها وكيف أنحصر حتى تكمل ؟ » (لو ١٢ : ٥٠) . أما المرة الثانية ففى قوله لبطرس : « اجعل سيفك فى الغمد . الكأس التى أعطانى الآب ألا أشربها ؟ (يو ١٨ : ١١) . وقد كان هذا القول بعد أن انتهى جهاد البستان ، والكأس لا تزال باقية . هى الكأس التى طلب أن تعبر عنه فلم تعبر ، هى كأس الموت التى لابد أن يشربها من يد الآب . وها هو الآن فى طريق شربها على الصليب . فكيف إذاً يقال :

« وسمع له من أجل تقواه » :

إذا رجعنا مرة أخرى إلى صلاة المسيح فى البستان ووقفنا أمام كلمة أخرى نراها بارزة أيضاً فى تلك الصلاة هى كلمة « ولكن » ، لوجدنا جوابا شافياً لهذا السؤال . وماذا نرى فى القول « ولكن » ؟ إنها كلمة استدراك ، استدرك بها المسيح فى طلبته موقفه إزاء إرادة أبيه « القادر » فقال : « ولكن ، ليس كما أريد أنا ، بل كما تريد أنت » (مت ٢٦ : ٣٩) . وهذا عينه كان موقفه مرة أخرى قبل ذلك ، حين كان يتكلم عن ساعة تمجيده عن طريق موته — تلك الساعة الرهيبة — فصرخ قائلا : « الآن نفسى قد اضطربت . وماذا أقول ؟ أيها الآب نجنى من هذه الساعة » . وفى الحال استدرك الموقف فقال « ولكن » لأجل هذا أتيت إلى هذه الساعة ، أيها الآب مجد اسمك » (انظر يو ١٢ : ٢٣ — ٢٨) .

هذا الاستدراك فى صلاة المسيح يحدد طلباته وتضرعاته ويربطها ربطاً محكماً بإرادة الآب ومشيئته ومجده تعالى ، ويجملها فى جوهرها وفى جملتها معبراً عنها بالقول : « لتكن إرادتك » . « مجد اسمك » ، وفيها نجده مكرساً إرادته الذاتية على مذبح إرادة أبيه ومجده .

هذه هى « تقواه » المشار إليها ، فى مبناها ومعناها ومظهرها وجوهرها . وهذه هى صلاة البار التى تقتدر كثيراً فى فعلها . فلا عجب إذا قيل : « وسمع له من أجل تقواه » .

ولكن كيف « سمع له » ما دام قد شرب الكأس ؟ — لقد طلب بلجاجة أن تكون ، لا إرادته ، بل إرادة أبيه فكانت تلك الإرادة ، كما طلب ، إذ أعلن الآب إرادته أن يشرب ابنه الكأس التى أعطاها له .

على مذبح المحرقة فى البستان قدم يسوع إرادته الذاتية محرقة تحت نار غضب الله المسكوب على رأسه من السماء . « فخرجت من عند الرب وأحرقت على المذبح المحرقة والشحم » (لا ٩ : ٢٤ انظر قض ١٣ : ١٩ و ٢٠ و ١ مل ١٨ : ٣٨) ؛ فصعد لهيب المحرقة إلى قلب الآب لهيب محبة اضطرمت فى قلبه نحو ابنه . فأرسل ملاكاً يقويه (لو ٢٢ : ٤٣) . لابد أنه ظهر له بمجد سماوى وتحدث معه عن موته وقيامته ومجده العتيد (انظر لو ٩ : ٣ و ٣١) . ولابد أنه كان لهذا الحديث الملائكى وما فيه من الإعلان للرضى الأبوى من الأثر الفعال الذى سرى سريان الكهرباء فى تلك الروح الحزينة المرة فغلب فيها ضعف الجسد وقضى على الخوف من أهوال الموت ، بقوة سمت على كل مغالبات الشيطان ومقاوماته ، وبسلاح قاطع ضد كل مصارعاته . فخرج ابن الله ظافراً منتصراً يردد القول : « لهذا يحبنى الآب لأنى أضع نفسى لآخذها أيضاً » (يو ١٠ : ١٧) . فهل إزاء هذا الانتصار العجيب لا يقال « سمع له من أجل تقواه ؟ » ، بل ألا يقال أيضاً بحق ؟ .

« مع كونه ابناً تعلم الطاعة مما تألم به » :

لا يزال الرسول ناظراً إلى المسيح باعتبار «كونه ابناً » فكما أثبت فضله على الملائكة كابن ، هكذا سيثبت فضله على هرون كابن . ومع أن الرسول لم يدخل بعد فى موضوع الأفضلية على هرون ، فليس ما يدعو بعد إلى الإشارة إلى هذه البنوة ، إلا أنه يرى ضرورة للاشارة إليها هنا إزاء صرخاته ودموعه أمام الله حتى لا يتطرق إلى الذهن شيئاً يمس مقامه البنوى إزاء آلامه . « فمع كونه ابناً » « قدم بصراخ شديد ودموع طلبات وتضرعات » ، « مع كونه ابناً » له هذا المقام البنوى الرفيع ، لم يستنكف أن يخلى نفسه ليضعها تحت الآلام ليتعلم الطاعة .

وهل تعلم الطاعة يتفق مع «كونه ابناً » ؟ أو ليست البنوة فى طبيعتها هى الطاعة فى جوهرها وحقيقتها فإنه طبيعى أن « الابن يكرم أباه » (ملا ١ : ٦) ويطيع وصاياه . وهل مسرة الرب بالمحرقات والذبائح كما باستماع صوت الرب ؟ هوذا الاستماع أفضل من الذبيحة والإصغاء أفضل من شحم الكباش » (١ صم ١٥ : ٢٢) . وهذا ما وقفه المسيح كابن لأبيه . كان شعاره فى مجيئه « هأنذا جئت . أن أفعل مشيئتك يا إلهى سررت . وشريعتك فى وسط أحشائى » (انظر مز ٤٠ : ٦ و ٧ وقابل عب ١٠ : ٥ — ٩) . وعنوان حياته « أنى فى كل حين أفعل ما يرضيه » (يو ٨ : ٢٩) . « طعامى أن أفعل مشيئة الذى أرسلنى وأتمم عمله » « لأنى قد نزلت من السماء ليس لأعمل مشيئتى بل مشيئة الذى أرسلنى » (يو ٤ : ٣٤ و ٦ : ٣٨) . فالطاعة طبيعته وحياته ولذته .

فكيف إذاً يقال إنه « تعلم الطاعة » ؟ لقد رأينا فيما سبق استعداده الطبيعى للاطاعة فلم يبق إلا اجتيازه طريق الطاعة ودخوله عملياً فى إتمام مطاليبها ، لا عن طريق السمع والنظر ، بل عن طريق الذوق « لكى يذوق الموت » وقد ذاقه وشرب كأسه المرة التى أعطاه إياها أبوه (عب ٢ : ٩ ، يو ١٨ : ١١) .

ومع أن حياة المسيح بجملتها كانت حياة آلام حتى قيل عنه : « رجل أوجاع ومختبر الحزن » (إش ٥٣ : ٣) ، إلا أن الرسول ينظر إليه هنا ككاهن فى موقف

تقديمه ذاته لله بالطاعة العملية . فتكون الإشارة إلى نار الآلام المحرقة التى اجتازها فى البستان وخرج منها صادق العزم لشرب كأس الصليب إتماماً لإرادة الآب . وهل فى غير أحزان البستان وآلام الصليب اختبر المسيح معنى الطاعة لأبيه وإتمام مسرته فى أن يموت البار من أجل الأثمة (١ بط٣ : ١٨) ؟ وهل فى غيرهما ذاق الكاهن الأعظم آلام تلك الطاعة ؟ .

« **وإذ كمـــل** » : بالآلام (انظر شرح ٢ : ١٠) .

ولعلها تعبير آخر للقول : « تعلم الطاعة » . فبالآلام تعلم الطاعة ، وبالطاعة كمل أى تكرس تكريساً تاماً عملياً لخدمته الكهنوتية وتقدست كل قواه النفسية والحسية للقيام بها وبذلك :

« **صار لجميع الذين يطيعونه سبب خلاص أبدى** » :

كما كان رئيس الكهنة فى العهد القديم يتراءى أمام الله ويتقدم إليه لأجل أفراد معينين بالذات ، هكذا المسيح أيضاً ككاهن مكمل يتراءى أمام العرش ويقدم ذبيحة نفسه أمام أبيه من أجل أبناء معينين للمجد والحياة الأبدية (عب٢ : ١٠ ، أع١٣ : ٤٨) « اختارهم منذ البدء للخلاص » (٢ تس ٢ : ١٣) . « وسبق فعينهم للتبنى بيسوع » (أف ١ : ٥) لينالوا وعد الميراث الأبدى » (عب ٩ : ١٥) .

هؤلاء هم « جميع الذى يطيعونه » فبطاعتهم ينالون منه الخلاص كما أنه هو ، له المجد ، بطاعته صار لهم سبب خلاص . على أن طاعتهم ليست أصيلة فيهم كطاعته الأصيلة فيه ، « لأنهم بالطبيعة أبناء المعصية وأبناء الغضب » (أف ٢ : ٢ و ٣) . فالطاعة فيهم نعمة الإيمان « بالنعمة أنتم مخلصون ، بالإيمان وذلك ليس منكم هو عطية الله » (أف ٢ : ٨) « لا بمقتضى أعمالنا بل بمقتضى القصد والنعمة التى أعطيت لنا فى المسيح يسوع قبل الأزمنة الأزلية » (٢ تى١ : ٩) « إذاً يا أحبائى ، كما أطعتم كل حين . . تمموا خلاصكم بخوف ورعدة . لأن الله هو العامل فيكم أن تريدوا وأن تعملوا من أجل المسرة » (فى ٢ : ١٢ و ١٣) .

« مدعوا من الله رئيس كهنة على رتبة ملكى صادق » :

(انظر شرح ص ٧) يلذ لنا أن نذكر مع ملكى صادق وهرون كاهناً ثالثاً هو فينحاس ابن ألعازار ابن هرون الكاهن . جاء عنه فى (عد ٢٥ : ٦ – ١٣) أنه غار للرب عند ما تعلق إسرائيل ببعل فغور . وإذ رأى رجلا من اخوته متعلقاً بامرأة مديانية قام فى وسط الجماعة ، وأخذ رمحاً بيده وطعن كليهما الرجل الإسرائيلى والمرأة فى بطنها . فكلم الرب موسى قائلا « فينحاس . . قد رد سخطى عن بنى إسرائيل بكونه غار غيرتى فى وسطهم حتى لم أفن بنى إسرائيل بغيرتى . لذلك قل هأنذا أعطيه ميثاقى ميثاق السلام . فيكون له ولنسله من بعده ميثاق كهنوت أبدى لأجل أنه غار لله وكفر عن بنى إسرائيل » :

فينحاس إذاً أخذ وظيفة الكهنوت لا بنفسه ، بل « مدعواً من الله » : لا بمجرد صفة كونه من بيت هرون المدعو من الله ، بل بميثاق كهنوت أبدى على أساس عمل كفارى قام به غيرة لله فرد عن إسرائيل غضباً عظيما . المسيح رئيس كهنة : ليس كهرون فقط « مدعواً من الله » ، بل كفينحاس أيضاً ، حيث فى البستان قدم ذاته محرقة ، وفوق الصليب قدم نفسه ذبيحة وهو ينضح دماً ويحترق بنار السماء حتى انشق حجاب الهيكل فدخل إلى ما داخل حجاب الأقداس السماوية كسابق لأجلنا صائراً على رتبة ملكى صادق رئيس كهنة إلى الأبد (عب ٦ : ٩ و ٢٠) .

الفصل الثانى

تحذير – فصل معترض – (ص ٥ : ١١ – ٦ : ٢٠)

أشار الرسول فى الفصل الأول إلى ملكى صادق إشارة تشعرنا بأفضلية رتبته الكهنوتية على رتبة هرون ، وتنبه مشاعرنا لننتظر دخول الرسول مباشرة ، على هـــذا الأساس ، إلى بحث أفضلية كهنوت المسيح على كهنوت هرون . ولكننا نراه وإذاً به قد اضطر إلى ارجاء هذا البحث ، وإذا بفصل تحذيرى يعترضنا . ومنه نتبين هذا الارجاء ، وفيه نجد أنفسنا أمام : تأنيب (٥ : ١١ – ١٤) : وتنبيه (٦ : ١ – ٨) وتشجيع (٦ : ٩ – ٢٠) .

أولا : ــ تأنيب (ص ٥ : ١١ ــ ١٤)

١١ اَلَّذِى مِنْ جِهَتِهِ ٱلْكَلَامُ كَثِيرٌ عِنْدَنَا وَعَسِرُ ٱلتَّفْسِيرِ لِنَنْطِقَ
بِهِ إِذْ قَدْ صِرتُمْ مُتَبَاطِيءِ ٱلْمَسَامِعِ . ١٢ لِأَنَّكُمْ إِذْ كَانَ يَنْبَغِى أَنْ
تَكُونُوا مُعَلِّمِينَ لِسَبَبِ طُولِ ٱلزَّمَانِ تَحْتَاجُونَ أَنْ يُعَلِّمَكُمْ أَحَدٌ
مَا هِىَ أَرْكَانُ بَدَاءَةِ أَقْوَالِ ٱللهِ وَصِرْتُمْ مُحْتَاجِينَ إِلَى ٱللَّبَنِ لَا إِلَى
طَعَامٍ قَوِىٍّ . ١٣ لِأَنَّ كُلَّ مَنْ يَتَنَاوَلُ ٱللَّبَنَ هُوَ عَدِيمُ ٱلْخِبْرَةِ فِى
كَلَامِ ٱلْبِرِّ لِأَنَّهُ طِفْلٌ . ١٤ وأَمَّا ٱلطَّعَامُ ٱلْقَوِىُّ فَلِلْبَالِغِينَ ٱلَّذِينَ
بِسَبَبِ ٱلتَّمَرُّنِ قَدْ صَارَتْ لَهُمُ ٱلْحَوَاسُّ مُدَرَّبَةً عَلَى ٱلتَّمْيِيزِ بَيْنَ
ٱلْخَيْرِ وَالشَّرِّ .

يرتبط هذا الفصل بسابقه فى معناه فى ضمير الموصول :

« الــذى » :

وهو ضمير يعيده بعضهم إلى «ملكى صادق» ويعيده غيرهم إلى «المسيح » وربما كان الأحرى أن نعيده إلى موضوع الكلام الذى هو المسيح كاهناً على رتبة ملكى صادق الموضوع الذى يقول عنه الرسول هنا :

« من جهة الكلام كثير عندنا » :

لابد أن يكون الكلام المشار إليه هو الكلام الذى سنراه فى (ص ٧) ونسر بمعرفته ونستمتع بفوائده : وهو كلام « كثير » لا على قياس النسبة العددية فحسب ، لأن رسولنا لا يكيل القول جزافاً ، بل على قياس المنفعة الجوهرية ، باعتبار كونه كلاماً له قيمته واتزانه .

« عسر التفسير لننطق به » :

ليس مجرد نطق الفم أو التكلم باللسان ، بل أيضاً النطق كتابة كالقول مثلا « تم الكتاب القائل » (مر ١٥ : ٢٨) « وأيضاً يقول كتاب آخر » (يو ١٩ : ٣٧) : فالكتاب ينطق بما هو مكتوب فيه ، والناس يسمعون منطوقاته فى كتاباته . هكذا قيل عن زكريا وهو صامت معقود اللسان « طلب لوحاً وكتب قائلا » أى قال كتابة (أنظر لو ١ : ١٩ – ٢٢ و ٦٢ – ٦٤) . وهذا ما يقصده الرسول هنا أن عنده كلاماً كثيراً لينطق به أى ليكتبه إلى العبرانيين ، يقول عنه :

« عسر التفسير » : ليس باعتبار الموضوع فى ذاته كما لو كان أسراراً خفية ومكنونات إلهية لا تستطيع كشفها قوة عقلية : وليس باعتبار الرسول فى فهمه وإدراكه فهو الذى سما لفرط الاعلانات ورأى مناظر الرب وتمتع باعلاناته (قابل ١ كو ٢ : ١٢ و ١٣ ، ٢ كو ١٢ : ١ – ٤ ، غل ١ : ١١ و ١٢ ، أف ٣ : ٣) : وليس باعتبار ما كتبه فى هذا الموضوع ، وقد وصفه بطرس الرسول بالقول : « كما كتب إليكم أخونا الحبيب بولس بحسب الحكمة المعطاة له ، كما فى الرسائل كلها أيضاً متكلماً فيها عن هذه الأمور التى فيها أشياء كثيرة عسرة الفهم يحرفها غير العلماء وغير الثابتين كباقى الكتب لهلاك أنفسهم » (٢ بط ٣ : ١٥ و ١٦) : بل بسبب ما عبر عنه فى قوله لهم :

« إذ قد صرتم متباطئى المسامع » :

المسمع فى لغة الكتاب هو الفهم كما يتبين فى قول المسيح لليهود « لماذا لا تفهمون كلامى ؟ لأنكم لا تقدرون أن تسمعوا قولى » (يو ٨ : ٤٣) . وهذا ما يفيده قول الرسول فى (١ كو ١٤ : ٢) « لأن من يتكلم بلسان لا يكلم الناس بل الله . لأن ليس أحد يسمع » أى يفهم . وعليه فتباطؤ المسامع هو تباطؤ الفهم . أما التباطؤ فى ذاته فيمثله أمامنا العهد القديم فى حركة مركبات المصريين فى البحر الأحمر بعد ما خلع الرب بكرها حتى ساقوها بثقله (خر ١٤ : ٢٥) . ويصوره لنا سليمان فى هيئة الكسلان الذى يدور على فراشه كما يدور الباب على صائره ، والذى يخفى يده فى الصحفة ويشق

عليه أن يردها إلى فمه (أم ٢٦ : ١٤ و ١٥) . وهى حالة يراها الرسول هنا فى سامعيه عكس انتظاره الذى بينه فى قوله لهم :

« لأنكم إذ كان يجب أن تكونوا معلمين لسبب طول الزمان » :

الذى صرفوه فى المسيحية ، فإنهم لم يكونوا حديثى الإيمان ، بل كانوا شيوخاً فيه . ولذلك كان الرسول ينتظر أنهم يكونون معلمين ، لا ليجلسوا على كرسى موسى كما جلس الكتبة والفريسيون ، معلمين (مت ٢٣ : ٢ . قابل يع ٣ : ١) ، بل باذلين كل اجتهاد لكى يصيروا ، لا متكاسلين ، ولا غير مثمرين لمعرفة ربنا يسوع ، بل نامين فى النعمة (٢ بط ١ : ٥ — ٨ و ٣ : ١٨) . ليكونوا نوراً مشرقاً متزايداً أكفاء أن يعلموا آخرين أيضاً (٢ تى ٢ : ٢) فتسير الأمم فى نورهم والملوك فى ضياء إشراقهم (إش ٦٠ : ١ — ٣) .

هذا كان انتظار الرسول فى سامعيه ، وبخاصة وهم ، كما بينا فى عنوان الرسالة ، عبرانيو فلسطين وأوشليم التى بدأ فيها الإنجيل ومنها خرج التعليم وانتشر فيها المعلمون . ولكن انتظاره خاب إذ رآهم فى حالة يصفهم فيها بالقول :

« تحتاجون أن يعلمكم أحد ما هى أركان بداءة أقوال الله » :

تلك الأقوال الحية التى قبلها موسى ليعطيها لهم (أع ٧ : ٣٨) . وقد استؤمنوا عليها (رو ٣ : ٢) : فهى أقوال الناموس التى تقبلها الشعب عند جبل سيناء (تث ٣٣ : ١ — ٥) مع جميع ما كلم به الله الآباء بالأنبياء قديماً (عب ١ : ١) : هى كتب العهد القديم التى قيل فيها « كل الكتاب هو موحى به من الله (٢ تى٣ : ١٦) . الكلمة النبوية التى تكلم بها أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس(٢بط ١ : ١٩ — ٢١) على أن هذا لا يخرج اعلانات العهد الجديد ، فهى أيضاً أقوال الله التى فيها قال بطرس : « إن كان أحد يتكلم فكأقوال الله » (١ بط ٤ : ١١) . فيكون المقصود بأقوال الله إذاً جميع الاعلانات الإلهية قديمة وجديدة .

يشير الرسول إلى « أركان بداءة » أقوال الله . وقد ذكرت « الأركان » فى ست مواضع فى العهد الجديد . (راجع غل ٤ : ٣ و ٩ ، كو ٢ : ٨ و ٢٠) . وترجمت « العناصر » فى (٢ بط ٣ : ١٠ و ١٢) . ويذهب البعض إلى أنها عناصر الماء والهواء والنار والتراب التى اعتقد القدماء أن المادة مؤلفة منها : وهى الأوليات فى كل علم أو فلسفة أو تعليم دينى أى أصوله التى قبل غيرها وأساساته التى عليها يقوم . وهى الأبجدية للأطفال فى تعلم القراءة ، وللمبتدئين فى كل علم . على هذا الاعتبار تكون « أركان بداءة » أقوال الله هى مبادئها الأولية ودروسها الابتدائية ، أصول الدين المسيحى التى يبدأ بها فى تعليم الأطفال والأحداث .

على أننا إذا نظرنا إلى التعبير من وجهة كونه بولسيا وقابلناه باستعماله فى المواضع الأربعة الأولى التى أشرنا إليها ، لأمكننا أن نرى الفكرة متجهة إلى الفرائض الناموسية والمناسك الدينية الخارجية ، التى أعطاها الله لليهود استعداداً لقبول تعاليم الإنجيل الروحية ، فقد كانت الكنيسة مفتقرة إلى مثل هذه الأركان فى طفولتها مدة كونها قاصرة وتحت أوصياء ووكلاء (غل ٤ : ٣ و ٤) . حيث كان على اليهود أن يتعلموا ، وعلى كرسى التعليم بينهم أن يعلم ، تلك الأركان ، ومنها ، وبواسطتها ، عن المسيح وشخصه ورتبته وكفارته كما شهد موسى والأنبياء .

يرى الرسول مسيحيي العبرانيين ، وقد مالوا إلى تلك الأركان ورجعوا إليها بأفكارهم ، ولم يتقدموا لإدراك أسرارها المسيحية العميقة ، فأصبح خطر الارتداد عن المسيح يتهددهم ، فصاروا فى حالة معها يحتاجون إلى أن يعلمهم أحد ، تلك الأركان ، بعد ما زالت بمجيء المسيح وموته ، وتحررت الكنيسة من عبوديتها (غل ٢ : ١٩ ، ٤ : ٩) [١] .

هنا يضع الرسول أساس فكرته لاعتبار هؤلاء العبرانيين أطفالا مخاطباً إياهم بالقول :

---

(١) على قياس التمثيل يمكن أن يشمل هذا الفكر أيضاً المبادئ الجوهرية الأولية فى الديانة المسيحية .

« وصرتم محتاجين إلى اللبن لا إلى طعام قوى » :

وهو طعام الأطفال إيجاباً وسلباً . فهم من الوجه الإيجابى محتاجون إلى اللبن ، ومن الوجه السلبى لا قدرة لهم على هضم الطعام القوى . وهى حالة يراهم فيها الرسول ، وقد صاروا إليها ، ويا ليتها كانت كحالة الحجارة تصير خبزاً (مت ٤ : ٣) . أو كحالة البزرة تصير شجرة (مت ١٣ : ٣٢) . فإنها كحالة امرأة وقد تحولت عن رجلها لتصير لرجل آخر (رو ٧ : ٣ و ٤) . فهى حالة انحطاط فى المعرفة المسيحية . فبعد أن كان ينبغى أن يهضموا الطعام القوى أصبحوا محتاجين إلى اللبن .

عد ١٣ و ١٤ [1] : لنا فى هذين العددين ثلاث مقارنات بين الطفل وبين البالغين : ١ — الطفل « يتناول اللبن » ، أما البالغون فلهم « الطعام القوى » . ٢ — الطفل « عديم الخبرة فى كلام البر » ، أما البالغون « فلهم الحواس مدربة على التمييز بين الخير والشر » : ٣ — الطفل متباطىء المسمع (انظر عد ١١) ، أما البالغون فتمرنون . فلننظر إلى كل من الجانبين على حدته .

« الطفـــل » :

له فى الكتاب وجهان : الوجه الأول عبر عنه المسيح قائلا : « إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأولاد فلن تدخلوا ملكوت السماوات » (مت ١٨ : ٤ ، لو ١٨ : ٧) : وفيه وصف للطفل فى سلامة النية ، وبساطة القلب وروح الخضوع الذى عبر عنـــه المرنم بقوله : « هدأت وسكتت نفسى كفطيم نحو أمه نفسى نحوى كفطيم » (انظر مز ١٣١ : ١ و ٢) :

الوجه الثانى عبر عنه الرسول قائلا : «كى لا نكون فى ما بعد أطفالا مضطربين ومحمولين بكل ريح تعليم » (أف ٤ : ١٤) . وفيه وصف الطفل فى ضعفه وجهله . وقد جمع الرسول الوجهين معاً فى قوله « لا تكونوا أولاداً فى أذهانكم بل كونوا أولاداً فى الشر . وأما فى الأذهان فكونوا كاملين » (١ كو ١٤ : ٢٠) .

---

(١) الفكر والتعبير فى هاتين الآيتين بولسيين » (١ كو ٣ : ١ — ٣) : ولو أنهما جاءا أيضاً فى أقوال بطرس الذى استعمل كثيراً من تعبيرات بولس (انظر صفحة ٧ جزء أول) .

« اللـــبن » :

وهو المبادىء الأولية فى التعاليم الإلهية وله أيضاً ذات وجهى الطفل : فى أولهما قيل : « اطرحوا كل خبث وكل مكر والرياء والحسد وكل مذمة . وكأطفال مولودين الآن اشتهوا اللبن العقلى العديم الغش لكى تنمو به » (١ بط٢ : ١ و ٢) . وفى ثانيهما قيل : « وأنا لم أستطع أيها الأخوة أن أكلمكم كروحيين بل كجسديين كأطفال فى المسيح . سقيتكم لبناً لا طعاماً » (١ كو ٣ : ١ و ٢) .

الوجه الثانى هو المقصود وقد ظهر فى لغة المنتفخين باطلا من قبل ذهنهم الجسدى فى قولهم هذا فى (إش ٢٨ : ٩) : « لمن يعلم معرفة ولمن يفهم تعليما ؟ أللفطومين عن اللبن ؟ للمفصولين عن الثدى » ؟ « لذلك اطرحوا كل نجاسة وكثرة شر ، فاقبلوا بوداعة الكلمة المغروسة القادرة أن تخلص نفوسكم » (يع ١ : ٢١) .

« لأن كل من يتناول اللبن هو عديم الخبرة فى كلام البر » :

الذى هو « كلمة الحق » (أف ١ : ١٣ ، ٢ تى ٢ : ٥) : و « كلمة الحياة » (فى ٢ : ١٦) : و « كلمة نعمته » (أع ١٤ : ٣ ، ٢٠ : ٣٢) : و « كلام الحياة الأبدية » (يو ٦ : ٦٧) : ويدعى « كلام البر » لأن « فيه معلن بر الله » (رو ١ : ١٧). « بر الله بالإيمان بيسوع المسيح » اقرأ (رو ٣ : ٢١ — ٢٤) حيث تتجلى حقيقة التبرير مجاناً والتعليم عنها الذى ينوى الرسول أن يسمو بأفكار العبرانيين إليه ، متحدثاً إليهم عن كهنوت المسيح المختص بهذه الحقيقة الجوهرية . وهو تعليم لا يقوى الطفل فى الذهن على هضمه إذ هو عديم الخبرة بالنسبة له . فمثله فى ذلك مثل داود وهو غلام ، وقد ألبسه شاول ثيابه الحربية الملكية فعزم أن يمشى لأنه لم يكن قد جرب ، فقال « لا أقدر أن أمشى لأنى لم أجربها ونزعها عنه » (١ صم ١٧ : ٣٨ و ٣٩) .

هذا كان حال ألوف من العبرانيين المؤمنين قبيل خراب المدينة المقدسة وإزالة الهيكل وعبادته الطقسية ، لأنهم لم يكونوا يميزون بين رجاء إسرائيل الأرضى ، وبين رجاء الكنيسة السماوى : ولم يفرقوا بين ظلال النظام اللاوى وحقيقة الإعلان المسيحى ،

فلا عجب إذا كانت حقيقة كهنوت ربنا يسوع الملكيصادقى ، لا اللاوى ، طعسام لا يهضمونه ، وشراب لا يستسيغونه ، عسر التفسير عليهم .

« البالغون » :

وما أعظم الفرق بينهم وبين الأطفال ، فهم فى لغة الرسول بولس « الروحيون » بإزاء « الجسديين » (١كو ٣ : ١) هم الرجل بإزاء الطفل « لما صرت رجلا أبطلت ما للطفل » (١كو ١٣ : ١١) : هم المهذبون والمعلمون بإزاء الأغبياء والأطفال(رو٢ : ٢٠) : هم الانسان الكامل بإزاء الأطفال المضطربين والمحمولين (أف ٤ : ١٣ و١٤) فى (١كو ٢:٦ ، ١٤ : ٢٠ ، فى ٣ : ١٥) وردت الكلمة «كاملين» ترجمة لذات الكلمة المترجمة هنا « بالغين » .

من كل ذلك ندرك أن البالغين هم الذين تحررت عقولهم من الأميال الجسدانية ، واستنارت بالروح القدس ، فاطلعوا على سرائر الله وعرفوا أسرار ملكوت السماوات قارنين الروحيات بالروحيات نامين فى المعرفة إلى بلوغ الكمال ، لا المطلق بل النسبي ، عن طريق المواظبة والاجتهاد (أف٤ : ٧ ، فى ٣ : ١٢ ، كو١ : ١٨) .

« الطعــام القوى » :

للبالغين وهو كلام البر الذى أوضحناه ، الذى به يغتذون ، وإياه يهضمون ، وبه ينتفعون لأنهم :

« متمرنون » :

الكلمة الأصلية تدل على حالة جسدية أو عقلية ناشئة بالتدقيق عن الممارسة والتعود . فهى عادة ، بل ميل متأصل ثابت ، بل فطرة تجعل فى النفس استعداداً ، وتعطى فى العمل سهولة ، بالنظر إلى الغرض الرئيسى : فهى فى البالغين مواظبة على الكلمة والصلاة والطاعة ، وممارسة لكل وسائط النعمة بكل أمانة واجتهاد ، ونمو متواصل معه يصبحون فى حالة روحية تصير فيهم طبيعة وسجية بها يجتازون دور الطفولة إلى البلوغ فليسوا بعد عديمى ، بل عظيمى ، الخبرة فى كلام البر .

« قد صارت لهم الحواس مدربة على التمييز بين الخير والشر » :

فهم يميزون عن طريق « الحواس » وهى فى الأصل آلات الحس الخمس : العين ، والأذن ، والأنف ، واللسان ، وأطراف الأصابع ، : وحيث أن هذه فى الأطفال كاملة الوجود . كما فى البالغين ، فلا يمكن أن يقصد بها الآلات الظاهرة بل القوى الباطنة التى يمتاز بها البالغ عن الطفل . قوى البصر ، والسمع ، والشم ، والذوق ، واللمس ، : وهى فى الإنسان الروحى بها يرى ما لا يرى (٢كو٤ : ١٨ ، عب ١١ : ٢٧) ويسمع كلمات لا ينطق بها (٢ كو ١٢ : ٤) ، ويشتم رائحة المسيح الذكية ورائحة معرفته (٢كو٢ : ١٤ و ١٥) . ويذوق أن الرب صالح وما أطيبه ويذوق الموهبة السماوية وكلمة الله الصالحة (١ بط٢ : ٣ ، مز ٣٤ : ٨ ، عب ٦ : ٤ و ٥) . لكى يطلبوا الله لعلهم يتلمسونه فيجدوه (أع ١٧ : ٢٧) . وهذا يستلزم أن تكون الحواس .

« مدربة » :

وفى الأصل « جيمنازو » من التمرين « الجمنازى » وهو الرياضة البدنية ، وهكذا قالت الترجمة اليسوعية : « الذين حواسهم قد تروضت » . وهذه نصيحة بولس لابنه تيموثاوس : « روض نفسك للتقوى لأن الرياضة الجسدية نافعة لقليل ولكن التقوى نافعة لكل شىء » (١ تى٤ : ٧ و ٨) ، وهذا ما قيل عن التأديب : إنه « يعطى الذين يتدربون به ثمر بر للسلام » (عب١٢ : ١١) ، وعن الأئمة « لهم قلب متدرب فى الطمع » (٢ بط٢ : ١٤) . فالبالغون إذاً هم الذين « بسبب التمرن » صاروا مروضين للتقوى ومدربين فى النعمة ولهم قوة :

« التمييز بين الخير والشر » :

ولماذا لا يكون التمييز بين صحيح التعليم وكاذبه ليكون أوفق لموضوع الكلام ؟ وهل للخير والشر من علاقة بالتعليم الصحيح والكاذب ؟ .

إن أول خطية فعلية فى العالم ارتكبت عن طريق إغواء الشيطان لحواء فى قوله لها : « يوم تأكلان . . تنفتح أعينكما وتصيران كالله عارفين الخير والشر » (تك ٣ : ٥) .

وهكذا قصدت الحية حواء فى جهلها ، وهكذا أغوت آدم للحصول على معرفة الخير والشر والتمييز بينهما ، فسقطا من تلك الصورة المجيدة صورة الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله فى البر وقداسة الحق » . « الذى يتجدد للمعرفة حسب صورة خالقه » (أف ٤: ٢٢-٢٤ ، كو٣: ٩ و ١٠) . فالبالغون المتمرنون الخبيرون فى كلام البر ، هم الذين قد تجددوا بروح ذهنهم ، ومحبتهم تزداد أكثر فأكثر فى المعرفة وفى كل فهم حتى يميزوا الأمور المتخالفة لكى يكونوا مخلصين وبلا عثرة إلى يوم المسيح مملوئين من ثمر البر (فى ١ : ٩ و ١٠)

ثانياً — تنبيه (ص ٦ : ١ — ٨)

١ لِذٰلِكَ وَنَحْنُ تَارِكُونَ كَلَامَ بَدَاءَةِ ٱلْمَسِيحِ لِنَتَقَدَّمْ إِلَى
ٱلْكَمَالِ غَيْرَ واضِعِينَ أَيْضًا أَسَاسَ ٱلتَّوْبَةِ مِنَ ٱلْأَعْمَالِ ٱلْمَيِّتَةِ
وَٱلْإِيمَانِ بِاللهِ ٢ تَعْلِيمَ ٱلْمَعْمُودِيَّاتِ وَوَضْعَ ٱلْأَيَادِى قِيَامَةَ ٱلْأَمْوَاتِ
وَٱلدَّيْنُونَةَ ٱلْأَبَدِيَّةَ . ٣ وَهٰذَا سَنَفْعَلُهُ إِنْ أَذِنَ ٱللهُ . ٤ لِأَنَّ ٱلَّذِينَ
ٱسْتُنِيرُوا مَرَّةً وَذَاقُوا ٱلْمَوْهِبَةَ ٱلسَّمَاوِيَّةَ وَصَارُوا شُرَكَاءَ ٱلرُّوحِ
ٱلْقُدُسِ ٥ وَذَاقُوا كَلِمَةَ ٱللهِ ٱلصَّالِحَةَ وَقُوَّاتِ ٱلدَّهْرِ ٱلْآتِى ٦
٦ وَسَقَطُوا لَا يُمْكِنُ تَجْدِيدُهُمْ أَيْضًا لِلتَّوْبَةِ إِذْ هُمْ يَصْلِبُونَ
لِأَنْفُسِهِمْ ٱبْنَ ٱللهِ ثَانِيَةً وَيُشَهِّرُونَهُ . ٧ لِأَنَّ أَرْضاً قَدْ شَرِبَتِ
ٱلْمَطَرَ عَلَيْهَا مِرَاراً كَثِيرَةً وَأَنْتَجَتْ عُشْبًا صَالِحًا لِلَّذِينَ فُلِحَتْ
مِنْ أَجْلِهِمْ تَنَالُ بَرَكَةً مِنَ ٱللهِ . ٨ وَلٰكِنْ إِنْ أَخْرَجَتْ شَوْكًا
وَحَسَكاً فَهِىَ مَرْفُوضَةٌ وَقَرِيبَةٌ مِنَ ٱللَّعْنَةِ ٱلَّتِى نِهَايَتُهَا لِلْحَرِيقِ .

رأينا الرسول فى (ص ٥ : ١١ — ١٤) مؤنباً وهنا نراه منبهاً . وفى تنبيهه : ١ — حض على التقدم إلى الكمال (عد ١ — ٣) ، ٢ — إنذار بخطر عدم التقدم إلى الكمال (عد ٤ — ٨) .

١ — حض على التقدم إلى الكمال

عد ١ — ٣ : الأمر الذى يستحق الالتفات فى هذه الآيات هو صيغة جمع المتكلم فى القول : « ونحن تاركون . . غير واضعين . . لنتقدم . . سنفعله » . فهل يتكلم الرسول بهذه الصيغة عن ذاته كما فى (ص ٥ : ١١) ؟ شعوراً منه بواجبه نحو خدمته والمهمة الموضوعة على عاتقه التى تقضى عليه بأن يسمو بالقراء إلى إدراك كنه وظيفة المسيح الكهنوتية على رتبة ملكى صادق ؟ أو هو يقصد بصيغة الجمع هذه جماعة السامعين الذين اعتبرهم فى الآية المذكورة وما بعدها متباطىء المسامع ومحتاجين إلى اللبن ، كما ذهب كثيرون من علماء التفسير ؟ .

إن الصيغة المشار إليها ، مع قرينة الكلام التى تتضح فى (عد ٤) ، وإن كانت تدخل المتعلمين حتما ، ولكنها أيضاً فى ذات الوقت لا تخرج المعلم الذى نراه هنا فى روح المعلم الحقيقى الذى ينزل إلى مستوى ما وصل إليه المتعلمون من التعليم ويضم نفسه إليهم معتبراً كلا التعلم والتعليم عملا واحداً . وأنه هو كمعلم ، وهم كمتعلمين ، مرتبطون معاً يسيرون جنباً إلى جنب متضامنين فى القول :

« لنتقدم » :

هذه الكلمة هى جوهر الموضوع وقلبه . وتشير فى أصل معناها ، إلى حركة فيها يرى الإنسان كما لو كان محمولا على ظهر سفينة خطفتها الريح بقوة لا تقاوم (أع ٢٧ : ١٤ و ١٥) وكما لو كان يمنطقه آخر ويحمله حيث لا يشاء (يو ٢١ : ١٨) ، الأمر الذى يدل على وجود قوة كامنة تحرك المتقدم وتحمله ، والاشارة إلى استعداد الله لتأييد المتقدم بالقوة بروحه فى الإنسان الباطن (أف ٣ : ١٦) وإلى قدرته على حمله بتلك القوة والصعود به فى درجات سلم التقدم . وإزاء كل ذلك تقع على المتقدم

تلك المسئولية التى أثبتها الرسول فى قوله : « تمموا خلاصكم بخوف ورعدة لأن الله هو العامل فيكم أن تريدوا وأن تعملوا من أجل المسرة » (فى ٢ : ١٢ و ١٣) .

على أن حركة التقدم ، كما تبيناها ، لا بد أن تقترن بعملية ترك ، لذلك قبل أن يقول الرسول « لنتقدم » قال :

« ونحن تاركون » :

وهى كلمة ، فى لغة الخطباء والمؤرخين ، تشير إلى نيتهم أن يتجاوزوا موضوعاً ما ، أو أن يغفلوا ذكره : على أنها استعملت أيضاً للدلالة على إهمال أمر عملى وطرحه جانباً كما جاءت فى قول السيد للفريسيين والكتبة : « لأنكم تركتم وصية الله وتتمسكون بتقليد الناس » (مر ٧ : ٨) . وكما قيل عن تلاميذ الرب الأولين إنهم « تركوا كل شىء وتبعوه » (لو ٥ : ١١) : على أن مثل هذا الترك لا بد أن يقترن بحركة التقدم وفقاً لقول الرسول : « أفعل شيئاً واحداً إذ أنا أنسى ما هو وراء وأمتد إلى ما هو قدام » (فى ٣ : ١٣) على اعتبار أن « ما هو وراء » إنما هو درجة وصل إليها الرسول فى طريقه إلى الكمال المسيحى لا ليقف عندها بل ليتقدم منها تاركاً إياها للوصول إلى الغرض الموضوع نصب عينيه ، وهذا هو المعنى المقصود هنا الذى يضع أمامنا دائرة أولية علينا أن نتركها ، ودائرة أسمى علينا أن نتقدم إليها . ويمكن أن نعبر عن الدائرة الأولية بدائرة الترك : وعن الدائرة الأسمى بدائرة التقدم . أما دائرة الترك فهى مبينة فى القول :

« كلام بداءة المسيح :

أى المبادئ الأولية فى التعليم المتعلق بالمسيح ، حروف الهجاء للمبتدئين فيه ، الأبجدية لحديثى الإيمان ، فهو اللبن للأطفال الذى لا يليق بالبالغين الذين يجب أن يفطموا عن اللبن . لأن :

النفس كالطفل إن تهمله شب على ... حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم

هذا هو « كلام بداءة المسيح » باعتبار وصفه . أما باعتبار موضوعه ففيه ذات الفكر الذى فى « أركان بداءة أقوال الله » الذى بيناه فى (ص ٥ : ١٢) . وهو ما يخشى

أن يقف العبرانيون عند حده فلا يدركون غايته (رو ١٠ : ٤ ، غل ٣ : ٢٤) ولا يستطيعون تمييز رموزه ، ولا يرون تلك الشخصية العجيبة . لذلك يهيب بهم الرسول إلى التقدم بل يضم نفسه إليهم ليتقدم بهم .

« إلى الكمال » :

وهو عين البلوغ (٥ : ١٤) فكلاهما من أصل واحد . واستعمال هذا الأصل فى الموضعين يدل على أن الكمال المقصود هو البلوغ فى المعرفة والقدرة على الطعام . وهذا هو المعنى الأولى : على أن هذا لا ينفى معنى البلوغ فى الحياة العملية التى يجب أن تقترن بالبلوغ فى المعرفة المسيحية ، فيتحقق الغرض من المحافظة على الإيمان واتقاء خطر الارتداد عنه ، ومن النمو فى النعمة وفى معرفة ربنا ومخلصنا يسوع المسيح (٢ بط ٣ : ١٨) وهذا هو ما أشار إليه الرسول فى قوله : « نتكلم بحكمة بين الكاملين . . بحكمة الله فى سر » (١ كو ٢ : ٦ و ٧) وفى قوله : « ليس أنى قد أدركت أو صرت كاملا ولكنى أسعى لعلى أدرك . . أسعى نحو الغرض . . فليفتكر هذا جميع الكاملين منا » (فى ٣ : ١٢ — ١٥) « لذلك ونحن تاركون كلام بداءة المسيح لنتقدم إلى الكمال » :

« غير واضعين أيضاً أساس » :

انتقل الرسول فى تمثيله من دائرة الغذاء إلى دائرة البناء التى يتكلم فيها فى (١ كو ٣ : ١٠—١٢) قائلا : « حسب نعمة الله المعطاة لى كبناء حكيم قد وضعت أساساً » الخ . والتعبير فى كلا الموضعين مجازى مأخوذ من نظام الهندسة والبناء ، لتوضيح حقيقة الكرازة بالإنجيل التى تبنى على يسوع المسيح الذى تأسس فى صهيون حجراً ، حجر امتحان ، حجر زاوية ، كريماً ، أساساً مؤسساً » (إش ٢٨ : ١٦ . انظر أيضاً مت ٢١ : ٤٢ ، أع ٤ : ١١ ، أف ٢ : ٢٠ ، ٢ تى ٢ : ١٩ ، ١ بط ٢ : ٦) . وهذا يصدق على شخص المسيح باعتبار أنه فى تجسده وموته وقيامته وشفاعته معتمد كل مؤمن ، ويصدق أيضاً على التعليم المتعلق بهذا الشخص العجيب : والقرينة هنا تعين أن الأساس هو التعليم فى مبادئه الأولية ، وقد وضع ليقوم عليه بناء التعليم فى

بلوغه وكماله . فالأساس للأطفال والبناء للبالغين ، والبقاء عند الأساس طفولة تحمل بكل ريح تعليم فى خطر الارتداد .

إنه لأمر معلوم أن بولس لم يكن رسول الختان بل كان رسول الأمم (غل ٢ : ٧ مع أف ٣ : ١ ــ ٨ ، رو ١١ : ١٣ و ١٤) . فالأمر واضح إذاً أنه ليس هو الذى وضع أولا أساس المسيح للعبرانيين كما وضعه للكورنثيين وغيرهم الذين بشرهم محترساً أن يبشر ليس حيث سمى المسيح لئلا يبنى على أساس آخر (رو ١٥ : ٢٠ مع ١ كو ٣ : ١٠ ، ٤ : ١٥) ولكنه فى ذات الوقت ، عالم أن معلميهم كانوا أمناء فى وضع ذلك الأساس فليس هو فى احتياج أن يضعه « أيضاً » ، أى أن يعود إلى وضعه ، وليسوا هم ليصرفوا الوقت عند هذا الأساس شاغلين أنفسهم بوضعه « أيضاً » أى بالبقاء عنده غير متقدمين إلى الكمال .

يذكر الرسول تلك المبادىء الأولية الأساسية فى ستة أمور . ويقرن كل أمرين منها معاً بواو العطف فتصير بذلك ثلاث ثنائيات ، أو ثلاث دوائر متنوعة هى : ــ

١ ــ دائرة التوبة من الأعمال الميتة ، والإيمان بالله ، ٢ ــ دائرة تعليم المعموديات ووضع الأيادى ، ٣ ــ دائرة قيامة الأموات ، والدينونة الأبدية [1] .

هذه الأمور الستة أو الثنائيات الثلاث هى « أساس » ، هى « أركان بداءة أقوال الله » (٥ : ١٢) . هى « كلام بداءة المسيح » (٦ : ١) . هى ، كما سبق القول ، ما هو موضوع فى العهد القديم ، فى رموزه وطقوسه واعلاناته ، باعتبار كونه أساساً

---

(١) اختلف العلماء فى ترتيب هذه الأمور . فبعضهم يقرأها هكذا : ــ « التوبة من الأعمال الميتة والإيمان بالله ، المعموديات ، التعليم ، ووضع الأيادى ، قيامة الأموات والدينونة الأبدية » . على اعتبار أنها سبعة أمور لا ستة أى ثنائية فثلاثية فثنائية . وهذا يحتمله الأصل أيضاً : وبعضهم يقرأها : « التوبة من الأعمال الميتة والإيمان بالله (تعليم المعموديات ووضع الأيادى) ، قيامة الأموات والدينونة الأبدية » . على اعتبار أنها أربعة أمور لا ستة ولا سبعة ، وأن الثنائية التى بين القوسين معترضة . بالفكر أن المبتدىء فى الإنجيل يأخذ التعليم الإبتدائى فى التوبة ، والإيمان ، وقيامة الأموات ، والدينونة ، قبل أن يعتمد وتوضع عليه الأيادى : وبعضهم يقرأها : ــ « التوبة من أعمال ميتة ، والإيمان بالله ، معموديات التعليم ووضع الأيادى ، قيامة الأموات ، والدينونة الأبدية » على اعتبار أنها خمسة .

على أن ترتيب ترجمتنا العربية توافقه اليسوعية والانجليزية .

للعهد الجديد الذى يبنى عليه . وهذا سنتحققه بإرشاد روح الله عند التأمل فى هذه الدوائر الثلاث : —

١ — « التوبة من الأعمال الميتة والإيمان بالله » :

التوبة والإيمان صنوان فى كلام بداءة المسيح فى العهد القديم كما فى العهد الجديد . فهوذا حزقيال ويوحنا المعمدان ، كل منهما ينادى قائلا : « توبوا » (حز ١٨ : ٣٠ ، مت ٣ : ٢) وكلاهما يؤسس على الناموس « لأن جميع الأنبياء والناموس إلى يوحنا تنبأوا » (مت ١١ : ١٣) . وبعد ما أسلم يوحنا جاء يسوع إلى الجليل يكرز ببشارة ملكوت الله ويقول قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله فتوبوا وآمنوا بالإنجيل » (مر ١ : ١٤ و ١٥) ، وبطرس يجيب على السؤال : « ماذا نصنع » ؟ بالقول : « توبوا » ، وبولس يجيب على السؤال : « ماذا ينبغى أن أفعل لكى أخلص » ؟ بالقول : « آمن » (أع ٢ : ٣٨ ، ١٦ : ٣١) .

« التوبة » تكون « من الأعمال الميتة » « والإيمان » يكون « بالله » . فالتوبة حالة سلبية والإيمان حالة إيجابية ، وكل منهما مكمل للآخر .

« التوبة » فى الأصل « متانوأيا » . ولعلها (المطانوه) التى تفترضها بعض القوانين الكنسية على المعترفين بخطاياهم لنيل المغفرة . على أن التوبة ليست هى فرضاً كنسياً ، بل هى أمر إلهى : « فالله الآن يأمر جميع الناس فى كل مكان أن يتوبوا » (أع ١٧ : ٣٠)، وهى فى ذاتها كما يدل أصلها ، تغيير فى فكر الإنسان فهى حالة فيها يرجع الإنسان إلى نفسه ليرجع إلى أبيه نادماً على ما فعل عازماً على أن لا يعود إليه (لو ١٥ : ١٧ — ٢١ . قابل هو ١٤ : ١ و ٢) .

« الأعمال الميتة » التى يتوب منها الإنسان هى أعماله فى حالة عدم التوبة ، حالة كونه ميتاً بالذنوب والخطايا (أف ٢ : ١) ، الأعمال التى تؤدى به إلى الموت الأبدى . التى ، ولو أن لها صورة التقوى ، ولكنها منكرة قوتها ، تشبه قبوراً مبيضة تظهر من خارج جميلة وهى من داخل مملوءة عظام أموات وكل نجاسة (٢ تى ٣ : ٥ ، مت ٢٣ :

٢٧) . أعمال بر الناموس التى حفظها الشاب الغنى منذ حداثته ولكنه كان بعيداً عن الحياة الأبدية . (لو ١٨ : ١٨ — ٢٥ — انظر شرح عب٩ : ١٤) .

« الإيمان بالله » : هو الثقة بمواعيد الله قديماً عن ابنه ، وتصديق شهادته عنه « وإن كنا نقبل شهادة الناس فشهادة الله أعظم » (١ يو ٥ : ٩) . وبما أن الإيمان بدون أعمال ميت (يع ٢ : ١٧ و ٢٠) تكون الأعمال الميتة هى التى تصدر فى حالة عدم الإيمان : وإن كانت التوبة هى الرجوع عن الفجور والشهوات العالمية ، يكون الإيمان هو قوة العيشة بالتعقل والبر والتقوى فى العالم الحاضر (تى٢ : ١١ و ١٢) . هكذا عمل إيمان ابراهيم مع أعماله وبالأعمال أكمل الإيمان وتم الكتاب القائل « فآمن ابراهيم بالله فحسب له براً ودعى خليل الله » (يع ٢ : ٢١ — ٢٣ ، تك ١٥ : ٦) . أو ليس الإيمان بالله هو الإيمان بالمسيح الذى قال : « أنتم تؤمنون بالله فآمنوا بى » (يو ١٤ : ١) ؟ .

٢ — « تعليم المعموديات ووضع الأيادى » :

الذين يقرأون هذه العبارة ثلاثية « المعموديات ، التعليم ، ووضع الأيادى » يعتبرون « تعليم الرسل » (أع ٢ : ٤٢) من الأوليات التى يلزم أن يثقف فيها المؤمنون . والذين يقرأونها وحدة « معموديات التعليم ووضع الأيادى » قارنين كلا التعليم ووضع الأيادى بالمعموديات ، يعتبرون التعليم معمودية على قياس التمثيل فى القول : « يهطل كالمطر تعليمى .ويقطر كالندى كلامى . كالطل على الكلأ ، وكالوابل على العشب » . « كما ينزل المطر من السماء . . هكذا تكون التى تخرج من فمى » (تث ٣٢ : ٢ ، إش ٥٥ : ١٠ و ١١) . بهذا المعنى جميع إسرائيل فى بدء حياتهم « اعتمدوا لموسى فى السحابة وفى البحر » (١ كو ١٠ : ٢) . والذين يقرأونها جملة معترضة يعتبرون دائرة التوبة والإيمان ، وكذا دائرة القيامة والدينونة موضوع التعليم الأولى للمعموديات أى أن المؤمن قبل أن يعتمد يجب أن يتعلم هذا التعليم . أما ترتيب ترجمتنا فيفيد أن التعليم هو « تعليم المعموديات » ، واللغة تحتمل قصره عليها أو اقترانه أيضاً بكل ما بعده أى كما لو قيل : « تعليم المعموديات » ، وتعليم « وضع الأيادى » ، وتعليم « القيامة من الأموات » ، وتعليم « الدينونة الأبدية » . .

أما « المعموديات » : فهي كلمة في صيغة الجمع وترجمت في الحاشية « أنواع الغسل » أي الغسلات اليهودية المختلفة (عب ٩ : ١٠) وهي قائمة تقليدياً في « غسل كؤوس وأباريق وآنية نحاس وأسرة » (مر ٧ : ٤ و ٨) وطقسياً في غسل الكهنة ، وغسل الثياب وأنواع الأمتعة (خر ٢٩ : ٤ ، لا ١١ : ٢٥ و ٢٨ و ٣٢ و ٤٠) . وكل هذه الغسلات قائمة بالماء ممثلة في الخيمة والهيكل ، في المرحضة النحاسية المعـــدة للاغتسال . وفيهط إشارة إلى التطهير من النجاسة (خر ٣٠ : ١٧ — ٢١) : على هذا الأساس عمد يوحنا بالماء (مر ١ : ٤ و ٨) وكذا يسوع وتلاميذه (يو ٣ : ٢٦ و ٤ : ١ و ٢) . ووضع في الكنيسة رسم المعمودية بالماء (مت ٢٨ : ١٩ ، مر ١٦ : ١٦ ، أع ٨ : ٣٦ — ٣٩) .

هنالك معمودية أخرى هي « غسل الميلاد الثاني » (تي ٣ : ٥) « غسل الماء بالكلمة » (أف ٥ : ٢٥ و ٢٦) الولادة « من فوق » . . « من الماء والروح » (يو ٣ : ٣ و ٥) . لا إزالة وسخ الجسد بل سؤال ضمير صالح عن الله بقيامة يسوع » (١ بط ٣ : ٢٠ و ٢١) . هي معمودية الروح والنار (مت ٣ : ١١ ، أع ١ : ٥ ، ٢ : ١ — ٤) .

على أن هنالك معمودية أخرى يجب أن لا نغفل ذكرها وردت ترجمة لذات اللفظ اليوناني ، لا « معموديات » ولا « غسلات » بل « صبغة » قال عنها المسيح : « لي صبغة أصطبغها » (لو ١٢ : ٥ . قابل مت ٢٠ : ٢٢ و ٢٣) . وهي معموديته الأخيرة التي تعمد بها بعد أن تعمد بالماء وبالروح (مت ٣ : ١٣ — ١٦ ، لو ٣ : ٢١ و ٢٢) . هي معمودية الآلام والدم المسفوك على عود الصليب التي كان لابد أن يعتمد بها قبل أن يعمد تلاميذه بالروح القدس والنار (يو ٧ : ٣٩ ، لو ٢٤ : ٢٦ ، أع ٢ : ٣٣) .

معمودية الماء للتوبة والاعتراف شهادة خارجية : ومعمودية الروح القـــدس والنار قوة شهادة باطنية : ومعمودية الدم شهادة خارجية لقوة باطنية . « الذين يشهدون في الأرض هم ثلاثة : الروح ، والماء ، والدم ، والثلاثة هم في واحد » (١ يو ٥ : ٨) :

« وضع الأيادى » : يعتقد بعض آباء الكنيسة أن « وضع الأيادى » كان رسماً فى الكنيسة من أيام الرسل ، ويرون فيه اثباتاً لمعمودية الأطفال على اعتبار أن طالبى التعليم المسيحى وأصول الإيمان كانوا نوعين : أحدهما الوثنيون البالغون الذين كانوا يطلبون التعليم قبل المعمودية فيتعلمون ويعترفون بإيمانهم ويعتمدون : أما النوع الثانى فهم أطفال المؤمنين الذين يعتبرون من البطن أبناء الكنيسة بالنظر إلى القول : « لأن الموعد هو لكم ولأولادكم » (أع ٢ : ٣٩) . فهؤلاء يعمدون أطفالا ، ويقبلون أحداثاً ، كطالبى التعليم ، بوضع الأيادى . ويقال إن هذا هو رسم التثبيت فى بعض الكنائس اليوم ، ولو أنه تشوه بإدخال بعض التقاليد الخرافية عند بعضهم .

على أننا لو فحصنا الكتاب حيث ورد ذكر « وضع الأيادى » لرأيناه عادة شائعة وممارسة فى العهدين ، للبركة : كما فعل يعقوب وهو يبارك أفرايم ومنسى ابنى يوسف (تك ٤٨ : ١٣ ــ ٢٠) . وكما فعل السيد المسيح وهو يبارك الأولاد (مر١٠ : ١٦) . وليس فى هذا العمل ما يؤدى بنا إلى الاعتقاد بأنه رسم كنسى ، أو تعليم دينى ، فما هو إلا عمل شخصى . للشفاء ، وهذا ما كان ينتظره نعمان السريانى الأبرص مع أليشع النبى اليهودى ، أن يخرج إليه ويقف ويدعو باسم الرب إلهه ويردد يده فوق الموضع فيشفى الأبرص (٢ مل ٥ : ١١) . وهذا ما فعله السيد ورسله إذ كانوا يضعون أيديهم على المرضى ويشفونهم (مت ٩ : ١٨ ، مر ٥ : ٢٣ ، ١٦ : ١٨ ، لو ٤ : ٤٠ ، أع ٢٨ : ٨) . وهو عمل فوق العادة فائق الطبيعة يدل على موهبة الشفاء الخاصة . فليس هو رسماً كنسياً . للفرز للخدمة ، هكذا فعل موسى عندما أفرز يشوع للخدمة (عد ٢٧ : ١٨ و ٢٣) . وهكذا فعل الرسل (أع ٦ : ٦و١٣ : ٣ ، ١ تى٤ : ١٤ ، ٥ : ٢٢ ، ٢ تى ١ : ٦) . وهكذا تفعل الكنيسة اليوم لافراز خدامها بوضع أيدى المشيخة . لحلول الروح القدس على المعمدين بالماء بوضع أيدى الرسل دون سواهم : كما فعل بطرس ويوحنا فى السامرة ، وكما فعل بولس فى أفسس (أع ٨ : ١٤ ــ ٢٠ ، ١٩ : ١ ــ ٧) . وربما كان هذا الفكر الأخير هو المشار إليه فى هذا الموضع لما له من العلاقة « بالمعموديات » . ومع ذلك يجب أن لا ننسى أن سيمون الساحر كان من

معمدى السامرة ، وأن بيت كرنيليوس حل عليهم الروح القدس بمواهبه قبل المعمودية ووضع الأيادى (أع ٨ : ١٨ — ٢٣ ، ١٠ : ٤٤ — ٤٨) .

على أننا لو ذكرنا أننا عند الأساس وأن « تعليم المعموديات ووضع الأيادى » من « كلام بداءة المسيح » الموضوع أساسه فى العهد القديم ، ورجعنا إلى رسوم الهيكل وعبادته ، لرأينا « وضع الأيادى » بجانب « المعموديات » . وحيث قد سبقنا فرأينا « المعموديات » فى أنواع الغسلات ممثلة فى المرحضة ، نستطيع أن نرى الآن « وضع الأيادى » عند مذبح المحرقة بجانب المرحضة حيث كان اليهودى يأتى بذبيحته إلى المذبح ويضع يده على رأسها مشيراً بذلك إلى أن الذبيحة نائبة عنه . وفى ذلك إشارة إلى « الإيمان بالله » . وفى زمن الهيكل الثانى كان يضع كلتا يديه بين قرنى الذبيحة وهى حية معترفاً بخطاياه قائلا : « قد أخطأت وارتكبت الإثم وتعديت وفعلت . . . ولكنى أتوب أمامك وهذه كفارتى . وهنا إشارة إلى « التوبة من الأعمال الميتة » . فنى المعموديات نرى إزالة القذر والنجاسة ، وفى وضع الأيادى نرى صورة الكفارة عن الخطية . وفى كليهما معاً نرى الينبوع المفتوح لبيت داود للخطية والنجاسة (زك ١٣ : ١) .

(٣) « قيامة الأموات والدينونة الأبدية : »

فى الدائرة الأولى اقترنت التوبة والإيمان : وفى الثانية اقترنت المعموديات ووضع الأيادى : وفى هذه الدائرة الثالثة والأخيرة اقترنت القيامة والدينونة . وقد قرن الرسول فى خاتمة خطابه فى أريوس باغوس الدائرتين الأولى والثالثة بذكر التوبة والإيمان والقيامة والدينونة فى قوله : « فالله الآن يأمر جميع الناس فى كل مكان أن « يتوبوا » متغاضياً عن أزمنة الجهل . لأنه أقام يوماً هو فيه مزمع أن « يدين » المسكونة بالعدل برجل قد عينه ، مقدماً للجميع « إيماناً » إذ « أقامه من الأموات » (أع ١٧ : ٣٠ و ٣١) . وقد رأينا فى بحثنا السابق العلاقة بين الدائرتين الأولى والثانية ، ، الأمر الذى يدل على ارتباط الدوائر الثلاث فى التعليم المسيحى الابتدائى .

أما « قيامة الأموات » فقد هزأ أهل الفلسفة بتعليمها (أع ١٧ : ١٨ و ٣٢) . وانكرها الصدوقيون (مر ١٢ : ١٨ و أع ٢٣ : ٨) ، أما الفريسيون فقد اعتقدوا

بحقيقتها (أع ٢٣ : ٦ — ٨) وقد أثبتها العهد القديم ، وبنى عليه العهد الجديد تعليمه بها كما أشار المسيح فى قوله «أما من جهة الأموات إنهم يقومون ، أما قرأتم فى كتاب موسى فى أمر العليقة كيف كلمه الله قائلا: «أنا إله ابراهيم وإله اسحق وإله يعقوب ؟ «ليس هو إله أموات بل إله أحياء» (مر ١٢ : ٢٦ ، خر ٣ : ٦) .

أما عن «الدينونة» الأبدية» فقد تنبأ أخنوخ السابع من نوح قائلا : «هوذا الرب قد جاء فى ربوات قديسيه ليصنع دينونة على الجميع ويعاقب جميع فجارهم على جميع أعمال فجورهم التى فجروا بها وعلى جميع الكلمات الصعبة التى تكلم بها عليه خطاة فجار» (يه ١٤ و ١٥) : وفى هلاك العالم بالطوفان قديماً إثبات لحقيقة الدينونة الأبدية أوضحه الرسول بطرس (٢ بط٣ : ٥ — ٧) . وقد صور المسيح منظر الدينونة وأبديتها (مت ٢٥ : ٣١ — ٤٦) . وأثبت الجامعة والرسول معاً وقوعها الذى لابد منه : الأول فى قوله : «لأن الله يحضر كل عمل إلى الدينونة على كل خفى إن كان خيراً أو شراً» (جا ١٢ : ١٤) : والثانى فى قوله : «لأنه لابد أننا جميعاً نظهر أمام كرسى المسيح لينال كل واحد ما كان بالجسد بحسب ما صنع خيراً كان أم شراً» (٢ كو ٥ : ١٠) وحققه الديان بالقول : «ها أنا آتى سريعاً وأجرتى معى لأجازى كل واحد كما يكون عمله» (رؤ ٢٢ : ١٢) .

أما اقتران قيامة الأموات بالدينونة الأبدية فقد أوضحه المسيح فى قوله : «فإنه تأتى ساعة فيها يسمع جميع الذين فى القبور صوته فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة والذين فعلوا السيئات إلى قيامة الدينونة» (يو ٥ : ٢٨ و ٢٩) . وهى عين ما قيل لدانيال قديماً «وكثيرون من الراقدين فى تراب الأرض يستيقظون ، هؤلاء إلى الحياة الأبدية : وهؤلاء إلى العار للازدراء الأبدى» (دا ١٢ : ٢) . وهذه هى الصورة التى تمثلها الرائى فى (رؤ ٢ : ١١ — ١٥) .

هذه هى الأمور الستة التى ذكرها الرسول فى ثلاث دوائر هى : «كلام بداءة المسيح» «الأساس» الذى لا يريد الرسول أن يبقى عنده بسامعيه ، بل أن يتركه متقدماً بهم إلى الكمال مظهراً عزمه على ذلك بالقول :

« وهذا سنفعله إن أذن الله :

وستراه فاعلا ذلك فى (ص ٧) حيث يدخل بهم إلى موضوع المسيح كاهناً على رتبة ملكى صادق .

على أنه يحدد هذا العزم بإذن الله ، كعادته قائلا « إن أذن الله » . (انظر ١ كو ٤ : ١٩ ، ١٦ : ٧) . ذلك لأنه يعلم أنه قد تحول موانع دون إتمام عزمه « لأن الإنسان لا يعرف وقته » « لأنك لا تعلم ماذا يلده يوم » « أنتم اللذين لا تعرفون أمر الغد » (جا ٥ : ١١ و ١٢ مع ٢ كو ١ : ١٥ — ١٨ ، أم ٢٧ : ١ ، يع ٤ : ١٣ — ١٥) : هذا عدا عن كونه أيضاً تحت قيادة الروح (أع ١٦ : ٦ و ٧) . ومن يعلم إن كان الروح الذى منعه من الكرازة فى أسيا ، لا يمنعه من الكتابة فى موضوع عسر التفسير لهؤلاء الذين صاروا متباطىء المسامع محتاجين إلى اللبن لا إلى طعام قوى ، وقد كان ينبغى أن يكونوا معلمين لسبب طول الزمان .

٢ — إنذار بخطر عدم التقدم إلى الكمال

عدد ٤ — ٨ : بعد أن حض الرسول سامعيه فى (عد ١ — ٣) على التقـــدم إلى الكمال ، إذا به فى هذه الأعداد يرفع الراية الحمراء عالية منذراً بخطر عظيم يتهدد الذين لا يتقدمون مبيناً العلاقة بين هذا الإنذار وذلك الحض بكلمة :

« لأن » :

جاعلا فيها الخطر المهدد المذكور بعدها ، سبباً لما حدا به إلى العزم على التقـــدم بهم إلى الكمال ، العزم الذى أعلنه بالقول : « وهذا سنفعله إن أذن الله » واضعاً أمامهم قوماً عينهم بالوصف فى (عد ٤ و ٥) : وتكلم عن سقوطهم فى (عد ٦) : ثم أوضح بتمثيل فى (عد ٧ و ٨) .

عد ٤ و ٥ : فى هاتين الآيتين يعين الرسول القوم الذين يتكلم عنهم فى خمسة أوصاف :

(أ) « استنيروا مرة » :

يحقق البعض أن الكلمة المترجمة « استنيروا » استعملت فى الكنيسة الأولى للدلالة على المعمودية فكانوا يقولون عن الذين اعتمدوا إنهم « استنيروا » ، ويطلقون على أيام ممارسة المعمودية أيام النور . وهذه ما تدل عليه الترجمة السريانية . والفكرة قائمة على كون المعمودية تمارس فى حياة المعمد مرة واحدة ليس إلا ، وبها ينتقل من ملكوت الظلمة إلى ملكوت النور ، ويدخل إلى أسرار الكنيسة وامتيازاتها .

على أن الكلمة فى ذاتها تعنى إعطاء النور والمعرفة عن طريق التعليم كما جاء فى قول الرب لموسى : « وأعلمك » وفى قول المرنم : « علمنى » (خر ٤ : ١٢ ، مز ١١٩ : ١٢) . واستعملها الرسول أيضاً عن الرب الإلهى « سينير خفايا الظلام » (١ كو ٤ : ٥) ، وعن المسيح الذى « أنار الحياة والخلود » (٢ تى ١ : ١٠) ، فيمكن أن تكون هنا وصفاً لقوم كان إله هذا الدهر قد أعمى أذهانهم لئلا تضىء لهم إنارة إنجيل مجد المسيح ، وإذا بالإنجيل قد جاء ، وإذا بالنور الذى ينير كل إنسان قد أضاء ، وأشرق عليهم ذلك المجد فى أسمى بهاء ، فرأوه لأول مرة . وبهذا المعنى يقال إنهم « استنيروا مرة » (٢ كو ٤ : ٤ و ٦) .

(ب) « ذاقوا الموهبة السماوية :

والأصل يعنى أيضاً « العطية » كل عطية صالحة وكل موهبة تامة هى من فوق نازلة من عند أبى الأنوار » (يع ١ : ١٧) . ولذلك قيل « الموهبة (العطية) السماوية » . فما هى ؟

أهى « عطية الله » التى أشار إليها السيد فى كلامه مع المرأة السامرية فى (يو ٤ : ١٠) ؟ وأشار إليها الرسول فى (٢ كو ٩ : ١٥) قائلا : « شكراً لله على عطيته التى لا يعبر عنها » ؟ ابن الله الذى هو « عطية الله » العظمى التى أعطاها للبشر شاملة جميع العطايا (رو ٨ : ٣٢) ؟ والذى «سبى سبياً وأعطى الناس عطايا » (أف ٤ : ٧ و ٨) ؟. أو هى « موهبة الله » التى رآها سيمون فى السامرة فاشتهى أن يقتنيها لنفسه ؟ موهبة الروح القدس الفائقة العادة التى ظهرت فى يوم الخمسين وكانت تمنح للمؤمنين بوضع

أيدى الرسل دون سواهم ؟ (أع ٢ : ١ — ٤ ، ٨ : ١٤ — ٢٠ ، ١٩ : ١ — ٧) ؟ أو هى كلاهما معاً ؟ عطية المسيح وموهبة الروح ؟ فيكون الذين « ذاقوا » الموهبة السماوية هم الذين اختبروا قوة الروح القدس فى إعلان الحق الخاص بابن الله وتقديم العبادة الروحية باسمه بعد أن رأوا مجده وذاقوا صلاحه متلذذين بحلاوة الشركة معه (انظر شرح كلمة « ذاق » فى ص ٢ : ٩ فى الجزء الأول .

(ج) « صاروا شركاء الروح القدس » :

هذا هو الوصف الثالث متوسطاً بين الوصفين السابقين والوصفين اللاحقين . فالاستنارة « عمل الروح القدس » الذى يعلم ويذكر ويرشد إلى جميع الحق (يو ١٤ : ٢٦ ، ١٦ : ١٣) : وذوق الموهبةالسماوية فعله ، فهو المعزى ، وختم الموعد ، وعربون الميراث (يو ١٤ : ١٦ و ١٧ ، أف ١ : ١٣ و ١٤) .

شركاء الروح القدس — من هذا الجانب — إذاً هم أولئك « الذين استنيروا مرة وذاقوا الموهبة السماوية » وتمتعوا بأنواع مواهب وخدم ذلك العصر الرسولى التى كان يعملها الروح الواحد قاسما لكل واحد بمفرده كما يشاء ، مؤلفاً من الجميع شركة روحية فى كلام حكمة ، وكلام علم ، وإيمان ، ومواهب شفاء ، وعمل قوات ، ونبوءة وتمييز أرواح ، وأنواع ألسنة ، وترجمة ألسنة (انظر ١ كو ١٢ : ١ — ١٢) : ويمكن ، والحالة هذه ، أن يكونوا أيضاً شركاء الروح فى تأدية الشهادة للمسيح (قابل يو ١٦ : ١٤ مع أع ١ : ٨) .

هؤلاء هم « شركاء الروح القدس من الجانب الواحد ، أما من الجانب الآخر فهم الذين « ذاقوا كلمة الله الصالحة وقوات الدهر الآتى » .

(د) « ذاقوا كلمة الله الصالحة » :

وفى الترجمة اليسوعية « كلمة الله الطيبة » . وفى العهد القديم كلم الله شعبه « بكلام صالح » (يش ٢١ : ٤٥) « وبكلام طيب » هو كلام تعزية (زك ١ : ١٣) : هو مواعيد الله العظمى والثمينة (انظر عد ١٢ — ٢٠ و ٢ بط ١ : ٤) « مراحم داود

الصادقة التى وعد بها الله الآباء قديماً وأكمل وعده لأولادهم فى يسوع المسيح (إش ٥٥: ٣ ، أع ١٣ : ٣٢ – ٣٤) : كلمة الإنجيل الذى هو الخبر الطيب من أرض بعيدة كمياه باردة لنفس عطشانه . فشربوا منها وأكلوا طيبها وتلذذوا بدسمها وذاقوا :

(هـ) « قوات الدهر الآتى » :

كلمة « الدهر » هنا هى فى العبرية « ها عولام » . وفى (ص ٢ : ٥) ترجمت « العالم » : وقد قسم علماء اليهود « الدهر إلى قسمين عبروا عن أحدهما بالقول : « ها عولام هزه » أى هذا الدهر أو هذا العالم ، وعبروا عن الثانى بالقول : « ها عولام هبا » أى الدهر الآتى أو العالم الآتى : وكلا التعبيرين ورد فى قول السيد فى (مت ١٢ : ٣٢) : « وأما من قال على الروح القدس فلن يغفر له لا فى هذا العالم (الدهر) ولا فى الآتى » : ويقصد العلماء « بهذا العالم » أو « هذا الدهر » دور الكنيسة اليهودية . و « بالعالم الآتى » أو « الدهر الآتى » زمان مسيا (انظر الكلام عن « العالم العتيد » (ص ٢ : ٥) ، وعن « الأيام الأخيرة » وعن « العالمين » فى (ص ١ : ٢) ، فى (الجزء الأول) .

« قوات » الدهر الآتى إذاً هى تلك الآيات والعجائب والقوات المتنوعة ، ومواهب الروح القدس ، التى شهد الله بها مع الرسل تثبيتا لحق الإنجيل ولصدق تعاليمه ، وقد شاهدها هؤلاء ومنها تثبت لهم خبر الخلاص (ص ٢ : ٣ و ٤) .

عد ٦ : بعد أن عين الرسول هؤلاء القوم بهذا الوصف الخماسى الذى رأيناه ، أخذ فى هذا العدد يبين خطر سقوطهم وعدم إمكانية تجديدهم للتوبة إذا :

« سقطوا » :

وهى كلمة فى صيغتها الأصلية لم ترد فى غير هذا الموضع فى العهد الجديد : على أن من أصولها ، ترجموا كلمة « زلة » فى (مت ٦ : ١٤ و ١٥ ، مر ١١ : ٢٥ و ٢٦) على أن الرسول فى (رو ١١ : ١١ و ١٢) يميز بين الزلة والسقوط فى قوله على اليهود « ألعلهم عثروا لكى يسقطوا ؟ حاشا . بل بزلتهم صار الخلاص للأمم لاغارتهم » الخ حيث قصد بالزلة درجة من الخطأ لا تمتنع عندها المغفرة ، أما السقوط فيقصد به أنه

سقوط بلا نهوض يعقبه هلاك أبدى . وهذا هو السقوط المراد هنا . فهو ليس سقوط من أخذ فى زلة ما (غل ٦ : ١) . أو من بغتته التجربة وغلبته نظراً لضعفه وعدم استعداده إزاء قوة مفاجئتها كما حدث لبطرس فى إنكار سيده ، ولكنه تاب بدموع ورد إلى مقامه (انظر مت ٢٦ : ٦٩ — ٧٥ ، مر ١٦ : ٧ ، لو ٢٤ : ٣٤ ، ١ كو ١٥ : ٥ ، يو٢١ :١٥— ٢٢) : ولا هو حتى السقوط زمناً فى مجرى حياة شريرة . كما جرى فى حياة منسى ملك يهوذا الذى عمل الأرجاس بعد أن تربى فى بيت الاستقامة فأذله الرب ، فطلب وجه الله ، فرده ، فعلم أن الرب هو الله (انظر ٢ أى ٣٣ : ١ — ١٢ مع إش ٦٥٥:و ٧ ، حز ١٨ :٢١ و ٢٢) : ولا هو حتى السقوط فى بعض الضلالات العقائدية كما ضل فى أمر القيامة قوم من الكورنثيين (١ كو ١٥) وكما ضل فى أمر التبرير بالإيمان قوم من الغلاطيين ، حتى قال لهم الرسول : « قد تبطلتم عن المسيح ؛ سقطتم من النعمة » أى عدلتم عن طلب الخلاص بها ما داموا يطلبون التبرير بالناموس (غل ٥ : ٤) : إذاً لابد أن يكون المراد بالسقوط هنا الارتداد للهلاك عن المسيحية بالرجوع إلى اليهودية . الارتداد عن المسيح وتعاليمه وحياته والوقوف موقف العداوة المرة له ولديانته (انظر شرح ص ١٠ : ٢٦ — ٢٩ و٣٨ و ٣٩ . . هؤلاء إذا «سقطوا » :

« لا يمكن تجديدهم أيضاً للتوبة » :

الكلمة « أيضاً » تفيد أنهم كانوا مرة فى دائرة التوبة ، فهم الذين « استنيروا مرة » ولكنهم « سقطوا » من تلك الدائرة ، فلا يمكن والحالة هذه تجديدهم لها ثانية أى :

« تجديدهم للتوبة » : تكلمنا عن التوبة فى (عد ١) ومثلنا لها ببطرس ومنسى فى الكلمات السابقة (انظر أيضاً شرح ص ١٢ : ١٧) وليس علينا إلا معرفة معنى التجديد للتوبة الذى فيه معنى الاستنارة ، كما أشرنا ، ويقابل السقوط عكسياً ، حيث أن فى السقوط حركة طبيعية نحو الأسفل . أما فى التجديد فحركة استعارية إلى الأعلى — حركة نهوض من السقوط وقيام منه : فالمنظر أمامنا لقوم سقطوا من مقام عال ، فهل يعودون إليه ؟ هل يتجدد مثل النسر شبابهم ؟ (مز ١٠٣ : ٥) ، كما يجدد الله بروحه وجه الأرض (مز ١٠٤ : ٣٠) ؟ يجيب الرسول على هذا التساؤل بالقول :

« لا يمكن » : هال بعضهم هذا التعبير فقصدوا تخفيف وطأته على مسمعهم فاعتبروه تعبيراً فى صيغة المبالغة عن مجرد الصعوبة العظيمة القائمة فى طريق التجديد المشار إليه ، لا عدم الإمكان الداخل فى دائرة المستحيل : على أن آخرين أقروا عدم الإمكانية بمعناه الصحيح ولكنهم نسبوه إلى عجز القوم أنفسهم عن تجديد ذواتهم ، كما إلى عجز معلميهم عن تجديدهم ، باعتبار أن هذا وإن كان عند الناس غير مستطاع ولكنه عند الله مستطاع (مت ١٩ : ٢٣ – ٢٦) .

على أننا نستطيع أن نرى فى صيغة الكلام وصول الحالة إلى حد تدخل الله القضائى الذى نلمحه فى التصريح الإلهى ضد الذين لم يريدوا أن يأتوا إلى العشاء العظيم ، إذ قيل عنهم « ليس واحد من أولئك الرجال المدعوين يذوق عشائى » (لو ١٤ : ٢٤) « وكما لم يستحسنوا أن يبقوا الله فى معرفتهم أسلمهم الله إلى ذهن مرفوض ليفعلوا مالا يليق » (رو ١ : ٢٨ . انظر أيضاً أم ١ : ٢٩ – ٣٢) :

على أن الأمر يتجلى أمامنا واضحاً إذا أدركنا السبب الذى يذكره الرسول هنا حائلا دون إمكانية التجديد حيث يقول :

« إذ هم يصلبون لأنفسهم ابن الله ثانية ويشهرونه » :

هنا يتكلم الرسول عن ابن الله الذى هو موضوع الرسالة بجملتها كما رأينا فى الجزء الأول وفى ما سبق من هذا الجزء ، ويعلن موقف أولئك المرتدين بالنسبة إليه فى صلبه وتشهيره فهم :

(١) « يصلبونه » كما سبق آباؤهم ففعلوا به إذ بأيدى أثمة صلبوه وقتلوه معلقين إياه على خشبة (أع ٢ : ٢٣ ، ٣ : ١٥ ، ٥ : ٣٠) أما القول « يصلبون . . . ثانية » فهو فى الأصل تركيب واحد يفيد عملية الصلب مكررة ، لا صلباً جسدياً ، بل صلباً معنوياً أدبياً بكل ما يتضمنه الصلب من رفض وبغض (يو ١ : ١١ ، ١٥ : ٢٤ و٢٥) .

وفى هذا الصلب « ثانية » من الشر ما يجعله أفظع بما لا يقاس من الصلب الأول . وذلك لأن عملية الصلب « ثانية » يقوم بها أناس قد « استنيروا مرة وذاقوا الموهبة

السماوية » الخ . الأمر الذى لم يكن متوفراً فى أولئك الذين صلبوه أولا ، وإذ عرفوا ، تابوا وأتتهم أوقات الفرج (أع ٢ : ٣٧ – ٤١ ، ٣ : ١٩) . فكانت خطيتهم مجرد تجديف على ابن الإنسان فغفرت . أما الصلب ثانية فهو تجديف على الروح القدس لن يغفر (مت ١٢ : ٣١ و٣٢) : بل هو خطية للموت لا يطلب من أجلها (١ يو ٥ : ١٦) .

يزاد على ذلك أنهم يصلبونه « لأنفسهم » : إما بمعنى أنهم هم أنفسهم بأنفسهم قائمون بهذه العملية وبذلك يشهدون أنهم أبناء قتلة المسيح كما شهد آباؤهم على أنفسهم أنهم أبناء قتلة الأنبياء (مت ٢٣ : ٣١) . أو بمعنى أنهم صلبوا المسيح لأنفسهم كما صلب بولس العالم لنفسه وصلب نفسه للعالم (غل ٦ : ١٤) بمعنى الرفض والإنكار . « وإذ هم ينكرون الرب الذى اشتراهم يجلبون على أنفسهم هلاكاً سريعاً » (٢ بط ٢ : ١) .

٢ – « يشهرونه » . الكلمة الأصلية جاءت فى العهد القديم « علق » فى قول الرب لموسى : « خذ جميع رؤوس الشعب وعلقهم للرب مقابل الشمس » (عد ٢٥ : ٤) . و « انكشف » فى قول الرب لأورشليم : « لأجل عظمة اثمك هتك ذيلاك وانكشف عنفاً عقباك » (إر ١٣ : ٢٢) . و « لينظروا » فى قول الرب لرئيس صور : « سأطرحك إلى الأرض وأجعلك أمام الملوك لينظروا إليك » (حز ٢٨ : ١٧) . وفى هذه الترجمات الثلاث تتمثل أمامنا صورة التشهير فى الفضيحة والعار . هذا لم يشأ أن يفعله يوسف بمريم امرأته أم يسوع لما رآها حبلى قبل أن يجتمعا . « لم يشأ أن يشهرها »(مت١ :١٨ و ١٩) لأنه كان باراً . أما المرتدون عن يسوع فيشهرونه ، لأنهم أشرار ، كما لو كان نصاباً محتالا يفضحون أمره ويذيعون عاره .

ولكن مثل هؤلاء كيف لا يمكن « تجديدهم للتوبة » ؟ « هل إلى الدهور يرفض الرب . ولا يعود للرضى بعد ؟ هل نسى الله رأفة أو قفص برجز مراحمه ؟ (مز ٧٧ : ٧ – ٩) . إن صيغة الفعلين « يصلبون » و « يشهرون » تعطينا جواباً لهذا السؤال . فهى صيغة تفيد المداومة والمقاومة وتدل على الاستمرار فى خطية الارتداد الحالية من

روح الصلاة « أرددنا يارب إليك فنرتد ، جدد أيامنا كالقديم » (مرا ٥ : ٢١). هى عيشة عيسو الذى رفض لأنه « لم يجد للتوبة مكاناً » (انظر شرح ١٢ : ١٧). وهذه هى الخطية التى لن تغفر للناس .

يظهر كأن هذا الكلام ينقض تعليم الكنيسة بشأن ثبات المؤمنين الذى يبنونه على قول السيد : « خرافى تسمع صوتى وأنا أعرفها فتتبعنى ، وأنا أعطيها حياة أبدية ، ولن تهلك إلى الأبد ، ولا يخطفها أحد من يدى . أبى الذى أعطانى إياها هو أعظم من الكل ولا يقدر أحد أن يخطف من يد أبى . أنا والآب واحد » (يو ١٠ : ٢٧ — ٣٠).

فإما أن يكون كلام المسيح هذا لا يؤخذ منه ، ولا يبنى عليه ، تعليم ثبات المؤمنين وإما أن يكون كلام الرسول هنا لا يعتبر وصفاً للمسيحيين الحقيقيين : على أننا إذا فحصنا الأمر بتدقيق لا نجد منافاة بين الكلامين فإن لكل منهما وجهة نظر خاصة . فالمسيح يتكلم عن خرافه الذين أعطوا له من الآب ويحقق ثباتهم وحفظهم من الوجهة الإلهية المحضة . ثباتاً وحفظاً يؤكدان عدم إمكانية سقوطهم أى ارتدادهم للهلاك . وهذا ما أثبته الكتبة القديسون فى العهدين . لأنه « من قبل الرب تتثبت خطوات الإنسان . . إذا سقط لا ينطرح لأن الرب مسند يده » (مز ٣٧ : ٢٣ و ٢٤) « لأن الذين سبق فعرفهم فعينهم . . والذين سبق فعينهم فهؤلاء دعاهم أيضاً ، والذين دعاهم فهؤلاء بررهم أيضاً والذين بررهم فهؤلاء مجدهم أيضاً (اقرأ رو ٨ : ٢٨ — ٣٩ ، ١٤ : ٤). أما الرسول فيتكلم عن هؤلاء الخراف بعينهم إنما من ناحية المسئولية الشخصية وإذا ذكرت المسئولية الشخصية وجب التحذير من السقوط كالقول : « إذاً من يظن أنه قائم فلينظر أن لا يسقط » (١كو١٠ : ١٢). وكالقول « لذلك بالأكثر اجتهدوا أيها الاخوة أن تجعلوا دعوتكم واختياركم ثابتين لأنكم إذا فعلتم ذلك لن تزلوا أبداً . لأنه هكذا يقدم لكم بسعة دخول إلى ملكوت ربنا ومخلصنا يسوع المسيح الأبدى » . (٢ بط١ : ١٠ و ١١) .

أما العلاقة بين قصد الله الأزلى الذى لا يمكن أن يبطل ، وبين مسئولية الانسان التى توجب عليه الحذر ، فهى سر من أسرار المسيحية الفائقة ، كسر التثليث فى الإله

الواحد ، وكسر إتحاد الناسوت باللاهوت فى الشخص العجيب الواحد . على أننا نستطيع أيضاً أن نرى المسئولية متضمنة فى ذات القصد باعتبار أن القصد متضمن لوسائل اتمامه ومثبت لفاعلية تلك الوسائل . ومع أن القصد والوسيلة هما ، بالنسبة للترتيب الإلهى ، محققان ، ولكنهما فى ذاتهما مرتبطان بحيث يتوقف أحدهما على الآخر ومن هذا القبيل قول بولس للذين كانوا معه فى السفينة : « أنذركم أن تسروا لأنه لا تكون خسارة نفس واحدة منكم إلا السفينة لأنه وقف بى هذه الليلة ملاك الإله الذى أنا له والذى أعبده قائلا : « لا تخف يا بولس ينبغى لك أن تقف أمام قيصر . وهوذا قد وهبك الله جميع المسافرين معك » . لذلك سروا أيها الرجال لأنى أؤمن بالله أنه يكون هكذا كما قيل لى » . فإن هذا الإيمان الوثيق وهذه التأكيدات الراسخة لم تمنعه عن أن يقول لهم أيضاً عند ما حاول النوتية أن يهربوا من السفينة : » « إن لم يبق هؤلاء فى السفينة فأنتم لا تقدرون أن تنجوا » وفى ذات الوقت نصحهم أن يتناولوا طعاماً لأن هذا يكون مفيداً لنجاتهم . معتبراً أن الوسائل داخلة فى القصد الإلهى وأن المسئولية الشخصية فى استعمال تلك الوسائل موضوعة على الإنسان (اقرأ أع ٢٧ : ٢١ — ٣٧) . أى أن المؤمنين لا يحفظون فى حال النعمة بالإكراه ، وأن الله يعاملهم ككائنات عاقلة فيحذرهم من خطر الارتداد الذى يؤدى إلى الهلاك وهذا ما يفعله الكاتب والكارز فى كل عصر ومكان .

عد ٧ و ٨ : بعد أن وصف الرسول القوم ، وبعد أن أشار إلى سقوطهم ، أوضح الحقيقة بتمثيل تطبيقى زراعى يذكرنا بمثل المسيح عن الزارع وعن الحنطة والزوان (مت ١٣ : ٣ — ٨ و ١٨ — ٣٠) . وفى هذا التمثيل وضع أمامهم « أرضاً » جعلها موضوعاً لتطبيقه رسم حولها دوائر الرى ، والتفليح ، والانتاج ، وأرانا إياها ، بالنسبة لدائرتى الرى والتفليح ، أرضاً واحدة : أما بالنسبة للانتاج فأرانا إياها أرضين :

« أرضـــاً » :

وإذا سمعنا الرب ينادى الأرض قائلا : « يا أرض ، يا أرض ، يا أرض ، اسمعى » (إر ٢٢ : ٢٩ انظر إش ١ : ٢ ، تث ٣٢ : ١) نتحقق أن الأرض يكنى بها عن عقول الناس وضمائرهم . وهنا يكنى بها عن الأمة أو الكنيسة اليهودية ، وفقا للقول

« إن كرم رب الجنود هو بيت إسرائيل وغرس لذته رجال يهوذا » (أش ٥ : ٧) . أما عن الري فقد قيل عن الأرض إنها :

« شربت المطر الآتي عليها مراراً كثيرة :

وإذا كانت الأرض كناية عن عقول الأمة وضمائرها ، يكون المطر كناية عن خدمة الكلمة الإلهية المتصلة بتلك العقول والضمائر على حد القول : « يهطل كالمطر تعليمي ويقطر كالندى كلامي ، كالطل على الكلأ وكالوابل على العشب » (تث ٣٢ : ٢) وفي :

« المطر الآتي عليها » تمثيل بأرض كنعان التي قيل عنها : « ليست كأرض مصر : ؟ . تزرع زرعك وتسقيه برجلك كبستان بقول . بل . . هي أرض جبال وبقاع من مطر السماء تشرب ماء . » وعليها يأتي « المطر المبكر » في بدء سنتهم عند إلقاء البذار في الأرض « والمطر المتأخر » في أيام الحصاد حيث يمتلىء الأردن بسببه إلى جميع شطوطه (يش ٣ : ١٥ ، ١ أي ١٢ : ١٥ . انظر تث ١١ : ١٠ و ١١ و ١٤) . ويتضح تطبيق ذلك في القول الإلهي : « لأنه كما ينزل المطر من السماء ولا يرجعان إلى هناك . . هكذا تكون كلمتي التي تخرج من فمي » (إش ٥٥ : ١٠ و ١١) . وعلى ذلك يكون اتيان المطر على الأرض :

« مراراً كثيرة » كناية عن إرسال الرب كلمته إلى الأمة الإسرائيلية بل إلى عقول الناس وضمائرهم على يد عبيده الكثيرين وأنبيائه العديدين « مبكراً ومكلماً » ، « مبكراً ومرسلا » (إر ٢٥ : ٣ و ٤ . قابل مت ٢١ : ٣٣ — ٤٤) وهذا ما جعل السيد يقول بحق « يا أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا » (مت٢٣ : ٣٧) .

على أن عملية الري لا تقوم بمجرد اتيان المطر على الأرض مراراً كثيرة ، بل بان تكون الأرض قد « شربت » هذا المطر . وهذا ما يحقق الرسول أن الأرض قد فعلته إذ « شربت » . وهو كلام يتعلق بخاصية الأرض بالنسبة إلى طبيعتها ، فمن خاصيتها

بوجه عام أنها تشرب الماء بغض النظر عما فيها من البقاع الصخرية والأماكن المحجرة التي لا يؤثر فيها الماء . وهذا ما تشهد به عملية الري في اطلاق الماء على الأرض . هكذا يشهد إرسال الله كلمته إلى الإنسان على أنه من سجاياه الطبيعية أنه يشرب ، بمعنى ما ، وبكيفية ما ، تعليم الإنجيل حيث تدركه قواه النفسية وتقبله بفرح وإلا فيكون إرسالها إليه عبثا . وهذه حقيقة لا ينفيها وجود بعض المعاندين حتى للرؤى السماوية .

إذ عرفنا شيئاً عن الأرض ، وعن دائرة ريها ، يجدر بنا أيضاً أن ندخل إلى دائرة التفليح ، ولو أن الرسول أشار إلى هذه الدائرة تلميحاً في قوله : « للذين فلحت من أجلهم » . فلا يكفي أن تروى الأرض بل يلزم أن تفلح لكي تأتي بالثمر المطلوب . وتتضمن عملية التفليح ، حرث الأرض وشقها وقلبها ، ثم تسوية وجهها وتمهيدها وإلقاء البذار فيها (انظر إش ٢٨ : ٢٣ — ٢٦) . من أجل ذلك كان لابد لانبات عشب الأرض ليس فقط أن يكون مطر وضباب ليسقيها ، بل أن يكون أيضاً إنسان ليعملها ، وكان لابد لجنة عدن ، ليس فقط أن يكون نهر ليسقيها بل أن يكون فيها آدم أيضاً ليعملها ويحفظها (انظر تك ٢ : ٤ — ١٥) .

الأرض إذاً واحدة في ذاتها : وفي دائرة ريها . وفي دائرة تفليحها . ولكنها انقسمت في الإنتاج . وبالتالي في النتيجة . أما في الإنتاج فيقال عن الواحدة : « أنتجت عشباً صالحاً » . أما عن الأخرى فيقال « أخرجت شوكاً وحسكاً » . أما عن النتيجة فالواحدة تنال بركة من الله » . أما الثانية « فهي مرفوضة وقريبة من اللعنة التي نهايتها الحريق » .

« أنتجت عشباً صالحاً » :

أتت بالنتيجة المطلوبة من عملية التفليح ، ولذلك يقول الرسول : « أنتجت » وهي كلمة في أصلها تستعمل لولادة البنين (لو ١ : ٣١) . وهو استعمالها الأشهر في كل العهد الجديد إلا في هذا الموضع حيث الإشارة إلى الأرض تلد عشباً وفي (يع ١ : ١٥) حيث الاشارة إلى الشهوة تلد خطيئة . وكأني بعملية التفليح هي عملية تلقيح ألقيت بها البذرة فحبلت بها الأرض ، وعند وقت الولادة ولدت :

« عشباً » : وفى الأصل « بوتانين » وهو العشب الأخضر الذى تنبته الأرض نتيجة تفليحها وهو يتضمن كل أنواع النباتات النافعة (تك ١ : ١١) . لذا يقال عنه عشباً :

« صالحاً » : إما بالنسبة لأوانه كالشجرة المغروسة عند مجارى المياه التى تعطى ثمرها فى أوانه وبها يشبه به الرجل الذى لم يسلك فى مشورة الأسرار ، وفى طريق الخطاة لم يقف ، وفى مجلس المستهزئين لم يجلس . لكن فى ناموس الرب مسرته وفى ناموسه يلهج نهاراً وليلا » (مز ١ : ١ — ٣) : أو بالنسبة لنفعه فى ذاته . وهو كناية عن ثمر الروح فى حياة المؤمنين الذى هو « محبة فرح سلام طول أناة لطف صلاح إيمان وداعة تعفف » (غل ٥ : ٢٢ و ٢٣) . أو بالنسبة للأمرين معاً وقد أشار إليهما الرسول يعقوب (٥ : ٧) . « هوذا الفلاح ينتظر ثمر الأرض الثمين متأنياً عليه حتى ينال المطر المبكر والمتأخر » . وما أثمن الثمر الصالح الذى تنتجه الأرض الجيدة وقد أتت بثمر بعض مئة وآخر ستين وآخر ثلاثين (مت ١٣ : ٢٣) .

« للذين فلحت من أجلهم » :

أو بيدهم ، كما يحتمله الأصل فهم الذين ينتظرون ثمر الأرض سواء أكانوا أصحاب الأرض أم فلاحيها لأنه « يجب أن الحرّاث الذى يتعب يشترك هو أولا فى الأثمار » (٢ تى ٢ : ٦ قابل ١ كو ٩ : ١٠) . فكم بصاحب الكرم الذى نقبه ونقى حجارته وغرسه كرم سورق وبنى برجاً فى وسطه ونقر فيه أيضاً معصرة ، أفلا ينتظر أنه يصنع عنباً ؟ (إش ٥ : ١ و ٢) .

هذه الأرض التى أنتجت عشباً صالحاً للذين فلحت من أجلهم لابد ، نتيجة لذلك ، أن :

« تنال البركة من الله » :

وهذه البركة هى (١) فخر الرب بها وبنسبتها إليه واعتبارها خاصته فلا يستحى بهم الله أن يدعى إلههم (عب ١١ : ١٦) .

(٢) الإهتمام بها والعناية الخاصة بأمرها كما تعلنه الأغنية للكرمة المشتهاة « أنا الرب حارسها ، أسقيها كل لحظة ، لئلا يوقع بها . أحرسها ليلا ونهاراً » (إش ٢٧ : ٢و٣) :

(٣) المجد الأبدى المعد لها « لأن الذين سبق فعرفهم سبق فعينهم . . والذين سبق فعينهم فهؤلاء دعاهم أيضاً ، والذين دعاهم فهؤلاء بررهم أيضاً ، والذين بررهم فهؤلاء مجدهم أيضاً » (رو ٨ : ٢٩ و ٣٠) .

وما أعظم الفرق بين هذه الأرض الجيدة المثمرة وبين تلك الأرض الردية التى :

أخرجت شوكاً وحسكاً » :

هو نبت الأرض الملعونة (تك ٣ : ١٧ و ١٨ ، ٤ : ١٢) : هو العنب الردىء (إش ٥ : ٢) : هو شر الإنسان الصادر من قلبه الشرير كل يوم وقد وصف بالقول « حنجرتهم قبر مفتوح ، بألسنتهم قد مكروا ، سم الأصلال تحت شفاههم . وفمهم مملوء لعنة ومرارة ، أرجلهم سريعة إلى سفك الدم ، فى طرقهم اغتصاب وسحق ، وطريق السلام لم يعرفوه . ليس خوف الله قدام عيونهم » (تك ٦ : ٥ ،رو٣: ١٠–١٨):

هذه كلها من طبيعة الإنسان الفاسدة كما أن الشوك والحسك هما من طبيعة الأرض الملعونة : لذلك عند ما جاء الرسول إلى الكلام عنها غير فعل الإنتاج ، فعوضاً عن القول « أنتجت » كما قال فى الأرض الجيدة قال هنا : « أخرجت » بحسب طبيعتها ، لا نتيجة لتفليحها . فكأن كل تفليح ورى ، ذهب تعبه سدى ونتيجته هباء منثوراً فلم يغير شيئاً من طبيعتها . وفى ذلك إشارة إلى كل الأعمال الميتة التى تصدر من الإنسان الذى لم يتغير قلبه ولم يتجدد بروح الله (٩ : ١٤) . فكلها ، ولو كانت فى ظاهرها صلاح ، فهى فى حقيقتها شوك وحسك .

« مرفوضة وقريبة من اللعنة التى نهايتها الحريق » :

ثلاث دركات تتناسب مع ثلاث درجات البركة التى ذكرناها :

١ — « مرفوضة » أى أن الرب يرفض نسبتها إليه . « لأنى دعوت فأبيتم ، ومددت يدى وليس من يبالى ، بل رفضتم كل مشورتى ، ولم ترضوا توبيخى . . حينئذ يدعوننى فلا أستجيب يبكرون إلى فلا يجدوننى » (اقرأ أم ١ : ٢٤ — ٣٣) .

٢ – قريبة من اللعنة . وهذا ما حدث للتينة التى جاء إليها المسيح وهو جائع لعله يجد فيها ثمراً فلم يجد إلا ورقاً فقط فلعنها قائلا : «لا يكن منك ثمر بعد إلى الأبد» . «لأن كل من له يعطى فيزداد ومن ليس له فالذى عنده يؤخذ منه» (مت ٢١ : ١٩ ، ٢٥ : ٢٩) .

(٣) «نهايتها الحريق» وهو القضاء النهائى للهلاك الأبدى .

«هوذا ثلاث سنين آتى أطلب ثمراً فى هذه التينة ولم أجد . أقطعها ، لماذا تبطل الأرض أيضاً ؟» (لو ١٣ : ٧) . «إن كان أحد لا يثبت فى يطرح خارجاً كالغصن فيجف ويجمعونه ويطرحونه فى النار فيحترق» (يو ١٥ : ٦) . «اذهبوا عنى يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته» (مت ٢٥ : ٤١) .

بهذا التمثيل يوضح الرسول لقارئى الرسالة خطر عدم التقدم إلى الكمال ، منذراً إياهم ، ليتجنبوا هذا الخطر ، بأن ينموا فى النعمة وفى معرفة ربنا ومخلصنا يسوع .



ثالثاً – تشجيع (ص ٦ : ٩ – ٢٠)

٩ وَلٰكِنَّنَا قَدْ تَيَقَّنَّا مِنْ جِهَتِكُمْ أَيُّهَا ٱلْأَحِبَّاءُ أُمُوراً أَفْضَلَ وَمُخْتَصَّةً بِالْخَلَاصِ وَإِنْ كُنَّا نَتَكَلَّمُ هٰكَذَا . ١٠ لِأَنَّ ٱللهَ لَيْسَ بِظَالِمٍ حَتَّى يَنْسَى عَمَلَكُمْ وَتَعَبَ ٱلْمَحَبَّةِ ٱلَّتِى أَظْهَرْتُمُوهَا نَحْوَ ٱسْمِهِ إِذْ قَدْ خَدَمْتُمُ ٱلْقِدِّيسِينَ وَتَخْدِمُونَهُمْ . ١١ وَلٰكِنَّنَا نَشْتَهِى أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ يُظْهِرُ هٰذَا ٱلِاجْتِهَادَ عَيْنَهُ لِيَقِينِ ٱلرَّجَاءِ إِلَى ٱلنِّهَايَةِ ١٢ لِكَيْ لَا تَكُونُوا مُتَبَاطِئِينَ بَلْ مُتَمَثِّلِينَ بِالَّذِينَ بِالْإِيمَانِ وَٱلْأَنَاةِ يَرِثُونَ ٱلْمَوَاعِيدَ .

١٣ فَإِنَّهُ لَمَّا وَعَدَ اللهُ إِبْرٰهِيمَ إِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَعْظَمُ يُقْسِمُ
بِهِ أَقْسَمَ بِنَفْسِهِ ١٤ قَائِلاً إِنِّى لَأُبَارِكَنَّكَ بَرَكَةً وَأُكَثِّرَنَّكَ
تَكْثِيراً . ١٥ وَهٰكَذَا إِذْ تَأَنَّى نَالَ ٱلْمَوْعِدَ . ١٦ فَإِنَّ ٱلنَّاسَ
يُقْسِمُونَ بِٱلْأَعْظَمِ وَنِهَايَةُ كُلِّ مُشَاجَرَةٍ عِنْدَهُمْ لِأَجْلِ ٱلتَّثْبِيتِ هِىَ
ٱلْقَسَمُ . ١٧ فَلِذٰلِكَ إِذْ أَرَادَ ٱللهُ أَنْ يُظْهِرَ أَكْثَرَ كَثِيراً لِوَرَثَةِ
ٱلْمَوْعِدِ عَدَمَ تَغَيُّرِ قَضَائِهِ تَوَسَّطَ بِقَسَمٍ ١٨ حَتَّى بِأَمْرَيْنِ عَدِيمَىِ
ٱلتَّغَيُّرِ لَا يُمْكِنُ أَنَّ ٱللهَ يَكْذِبُ فِيهِمَا تَكُونُ لَنَا تَعْزِيَةٌ قَوِيَّةٌ
نَحْنُ ٱلَّذِينَ ٱلْتَجَأْنَا لِنُمْسِكَ بِٱلرَّجَاءِ ٱلْمَوْضُوعِ أَمَامَنَا ١٩ الَّذِى
هُوَ لَنَا كَمِرْسَاةٍ لِلنَّفْسِ مُؤْتَمَنَةٍ وَثَابِتَةٍ تَدْخُلُ إِلَى مَا دَاخِلَ
ٱلْحِجَابِ ٢٠ حَيْثُ دَخَلَ يَسُوعُ كَسَابِقٍ لِأَجْلِنَا صَائِراً عَلَى رُتْبَةِ
مَلْكِى صَادَقَ رَئِيسَ كَهَنَةٍ إِلَى ٱلْأَبَدِ .

بعد التأنيب (٥ : ١١ — ١٤) : وبعد التنبيه (٦ : ١ — ٨) : يتقدم الرسول في هذه الآيات للتشجيع على التقدم إلى الكمال ، جاعلا أساس تشجيعه أمرين جوهريين : أحدهما الدليل العيانى فى الحياة العملية (عد ٩ — ١٢) : وثانيهما الوعد الإلهى فى عهد المراحم الأبدية (عد ١٣ — ٢٠) .

عد ٩ : فى هذا العدد يبين الرسول يقينيته بخلاص الذين يكتب إليهم ويبدأ بالقول :

« ولكننا » :

وهى عبارة بها استدرك موقفه إزاء الذين يخاطبهم بالنسبة لكلامه السابق . وكأننا به ، وقد شعر بثقل وطأة ذلك الكلام على قلوبهم كمن يحسون فيه ، على الأقل ، بشىء

من عدم الثقة فيهم ، فأخذ يبين لهم حقيقة شعوره من نحوهم لتخفيف وطأة ذلك الثقل فى قوله :

« قد تيقنا من جهتكم » :

ولا عجب فهو رسول الإيقان الذى كثيراً ما تكلم بلغة اليقين التام . فى موضوع تبشيره نسمعه يقول : «إن بشرناكم نحن أو ملاك بغير ما بشرناكم فليكن أناثيما » (غل ١ : ٨ و ٩) : وفى موضوع ثقته بمحبة الرب يقول : « إنى متيقن أنه لا موت ولا حياة ولا ملائكة ولا رؤساء . . . ولا خليقة أخرى تقدر أن تفصلنا عن محبة الله » (رو ٨ : ٣٨ و ٣٩) . ومن هذا القبيل قوله : « لأننى عالم بمن آمنت وموقن أنه قادر أن يحفظ وديعتى إلى ذلك اليوم » (٢ تى ١ : ١٢) : وفى موضوع ثقته من جهة الآخرين يقول لإبنه تيموثاوس : « إنى أتذكر الإيمان العديم الرياء الذى سكن أولا فى جدتك لوئيس وفى أمك أفنيكى ، ولكنى موقن أنه فيك أيضاً » (٢ تى ١ : ٥) . ومن هذا القبيل قوله هنا لهؤلاء العبرانيين : « قد تيقنا من جهتكم » :

« أيها الأحبـــاء » :

وهو تعبير كتابى ورد فى الأناجيل للدلالة على محبة الآب لابنه يسوع المسيح (مت ٣ : ١٧ ، ١٢ : ١٨ ، ١٧ : ٥ ، مر ١ : ١١ ، ٩ : ٧ ، ١٢ : ٦ ، لو ٣ : ٢٢ ، ٩ : ٣٥ ، ٢٠ : ١٣) . وورد فى الرسائل وبخاصة فى رسائل بولس للدلالة على ما تكنه نفسه من المحبة الصادقة نحو جميع القديسين ونحو هؤلاء العبرانيين الذين قال عنهم : « إن لى حزناً عظيما ووجعاً فى قلبى لا ينقطع فإنى كنت أود لو أكون أنا نفسى محروماً من المسيح من أجل اخوتى أنسبائى حسب الجسد » . « إن مسرة قلبى وطلبتى إلى الله لأجل إسرائيل هى للخلاص » (رو ٩ : ٢ و ٣ ، ١٠ : ١) . فهل يحزن الرسول أحباءه ؟ كيف لا ؟ ما دامت المحبة هى الدافع ، كما قال لأهل كورنثوس : « لأنى من حزن كثير وكآبة قلب كتبت إليكم بدموع كثيرة لا لكى تحزنوا بل لكى تعرفوا المحبة التى عندى ولا سيما من نحوكم » (اقرأ ٢ كو ٢ : ١ — ٤) . وهكذا فى محبته يخاطب هؤلاء الأحباء ، بعد تأنيب وإنذار ، قائلا « قد تيقنا من جهتكم » :

« أموراً أفضـــل » :

وهل هى أفضل ، بالنسبة لما ذكره فى (عد ٤ — ٦) من المواهب الروحية ؟ هذا يتفق مع فكر الرسول من جهة تلك المواهب الذى بينه بعد ما تكلم عنها فى (١ كو ١٢) إذ ختم كلامه فيها بالقول : « جدوا للمواهب الحسنى وأيضاً أريكم طريقاً أفضل » : أم هى أفضل بالنسبة لما ذكره فى (عد ٧ و ٨) فى تمثيله التطبيقى الذى ختمه بالكلام عن الأرض المرفوضة ، القريبة من اللعنة التى نهايتها الحريق ؟ سواء هذه أم تلك فإننا نعلم أن هذه الأمور الأفضل :

« مختصة بالخلاص » :

وهل هنالك ما هو أفضل من الأمور التى تختص بالخلاص تؤول إليه ؟ فما المنفعة من المواهب الروحية التى يسقط أصحابها ولا يمكن تجديدهم للتوبة لهذا الخلاص الذى هو غاية الإيمان ، والقصد من الكرازة ، وموضوع بحث الأنبياء ، ومشتهى اطلاع الملائكة (١ بط١ : ٨ — ١٢) ؟ هذا هو شعور الرسول نحو هؤلاء العبرانيين الذى بينه بالقول : « قد تيقنا من جهتكم أيها الأحباء أموراً أفضل ومختصة بالخلاص » .

« ولو كنا نتكلم هكذا »

محذرين ضد الارتداد وضد خطر السقوط فى حالته المخيفة ، ليس باعتبار أن لا ثقة لنا فيكم ، بل لكى تثبتوا فى الإيمان. على حد القول : « إذاً من يظن أنه قائم فلينظر أن لا يسقط » (١ كو ١٠ : ١٢) . وهل ثقة الأب فى ابنه أنه لا يمد يده ليتناول جرعة من سم زعاف يقضى على حياته ، هل هذه الثقة تمنع ذلك الأب من تحذير ابنه ؟ وهل يقينية الرسول ، بخلاص القراء ، تمنع تحذيره إياهم ؟ وهو ذاته يقول عن نفسه : « أقمع جسدى وأستعبده حتى بعد ما كرزت للآخرين ، لا أصير أنا نفسى مرفوضاً » (١ كو ٩ : ٢٧) وهو الذى يحذر الثابتين بالقول : « أنت بالإيمان ثبت . لا تستكبر بل خف » (رو ١١ : ٢٠) .

ولكن على أي شيء بنى الرسول يقينيته هذه ؟ أعلى اعلان من الله كالاعلان الذى جاء لبطرس عن حنانيا وسفيرة مثلا ؟ (أع ٥ : ١ — ١١) . ولو كان الأمر عكسياً ؟ أو على مجرد اقتناع أدبي عقلي ؟ أو على دليل الإيمان الواضح ؟ — يمكننا أن نجد الجواب في :

عدد ١٠ : وهى آية لها شأن كبير فى مجمع ترنت ، وهو المجمع الذى اجتمع فى مدينة ترنت فى الجزء الجنوبي الإيطالي من التيرول ، فى فترات متقطعة ما بين سنة ١٥٤٥ وسنة ١٥٦٣ ميلادية ، . فإن هذا المجمع بنى على هذه الآية التعليم بشأن استحقاق الأعمال واعتبارها علة الخلاص ، لهذا المجمع شأن كبير فى الكنيسة الرومانية لأنه أعظم مجمع فى تاريخها وبه تشددت فى تعليم الخلاص بالأعمال ضد تعليم الكنائس البروتستانتية أن الخلاص بالإيمان . ولو أن آباءهم اختلفوا فى تطبيق مبادئ تعليمهم هذا . فقال بعضهم : إن كان أحد وهو فى حالة التبرير قد عمل أعمالا صالحة تستحق الحياة الأبدية ، ولكنه سقط فى خطيئة مميتة ، ففى الحال يضيع عليه كل استحقاق وكل نفع لتلك الأعمال الصالحة : على أن الله فى عدله يحتفظ له بذكرى تلك الأعمال حتى إذا رجع ، بواسطة التكفير العقابي إلى حالة التبرير الأولى ، فان تلك الأعمال تحيا وتعود إلى قوة استحقاقها : أما البعض الآخر فيرى فى الآية لا أعمال حالة التبرير السابقة بل أعمال الحالة الحاضرة : وسواء هؤلاء أم أولئك فإن جوهر التعليم مبنى على استحقاق الأعمال ونفعها للخلاص . فهل فى الآية ما يبرر هذا التعليم أو يبرهنه ؟ إنهم ولا شك يبنون تعليمهم هذا : (١) على أساس عدل الله بازاء تلك الأعمال الصالحة ، ٢ — على استحقاق تلك الأعمال لارضاء ذلك العدل . ولذلك نريد أن ندرس هذين الأمرين فى نور هذه الآية : أما أساس عدل الله فواضح فى القول :

« لأن الله ليس بظالم » :

هذه حقيقة أدركها جميع القديسين فى كل الأجيال وقد جعلها ابراهيم أبو المؤمنين أساساً لتحاججه مع الرب من أجل سدوم فى قوله : « أديان كل الأرض لا يصنع عدلا » ؟ (انظر تك ١٨ : ٢٣ — ٣٣) . على أننا لو فحصنا تلك المحاجة لرأينا أمرين لا يمكن غض الطرف عنهما : الأول رضى الله أن يصفح عن كل المدينة الأثيمة إذا

وجد فيها بعض الأبرار . فهل يعتبر الصفح عن الأثمة من باب كون الله عادلا وليس بظالم ؟ أو ليس بالأحرى من باب كونه رحيما يصفح عن الذنوب والمعصية ؟ الأمر الثانى أنه لم يوجد بار فى المدينة فأهلكت لأنه ليس بار ولا واحد ، الكل قد زاغوا معاً وفسدوا ورجسوا بأفعالهم ، ليس من يعمل صلاحاً ، ليس ولا واحد (مز ١٤ : ١ — ٣ ، مز ٥٣ : ١ — ٣ ، رو ٣ : ٩ — ١٨) .

هذا من جهة عدل الله من وجهة أعمال الإنسان الذى فسد ولا استحقاق له فى الهلاك . أما عدل الله بالنسبة إلى أعمال المؤمنين فلا يمكن أن نراه إلا فى صليب ربنا ومخلصنا يسوع المسيح الذى به دعى هؤلاء إلى تلك الأعمال وخلقوا لها ووعدوا بالمكافأة فى القيام بها . على هذا المبدأ نفهم معنى القول إن « الله ليس بظالم »ويكون معنى القول :

« حتى ينسى » :

بالحرى « حتى ينسى » عهده وأمانته فى دعوته ووعده ليكافىء تلك الأعمال الصالحة التى خلقها لنا إذ خلصنا ودعانا دعوة مقدسة ، لا بمقتضى أعمالنا ، بل بمقتضى القصد والنعمة التى أعطيت لنا فى المسيح يسوع قبل الأزمنة الأزلية » (٢ تى ١ : ٩) . هذا يوضح لنا معنى « حتى ينسى » :

« عملكم وتعب المحبة » :

وإذا رجعنا إلى كتابات الرسول نراه يذكر ما هو أفضل من المواهب الروحية ، كما رأينا ، فى ثلاثية محبوبة لديه جداً فيها يقول « أما الآن فيثبت الإيمان والرجاء والمحبة هذه الثلاثة » (١ كو ١٣ : ١٣) . ويخص كلا منها بأمر خاص فى قوله « عمل إيمانكم ، وتعب محبتكم ، وصبر رجائكم » (١ تس ١ : ٣) . وعلى هذا القياس يكون « عملكم » هو « عمل إيمانكم » يضاف إليه « تعب المحبة » . و « يقين الرجاء » مقروناً بالأناة كما سنرى فى الآيتين التاليتين فنجد أمامنا هنا هذه الثلاثة مجتمعة وهى الإيمان فى عمله والمحبة فى تعبها والرجاء فى صبره .

وعليه يكون العمل المذكور هنا هو عمل الإيمان ، ولا شك ، « لأنكم بالنعمة مخلصون بالإيمان وذلك ليس منكم هو عطية الله . . . لأننا نحن عمله مخلوقين فى المسيح يسوع لأعمال صالحة قد سبق الله فأعدها لكى نسلك فيها » (أف ٢ : ٨ — ١٠) . فالأعمال ثمر الإيمان ، والإيمان عطية الله . الإيمان حياة الكرمة تسرى فى الغصن فيثمر ولا يثمر بدونها ولابد له من الثبات فيها (يو ١٥ : ١ — ٨) بل هو المسيح يحيا فى المؤمن يثمر فيه ثمر أعمال حياته الداخلية فى الحياة الخارجية (غل ٢ : ٢٠) .

أما « تعب المحبة » فهو عمل الإيمان بعينه الذى قيل عنه : « الإيمان العامل بالمحبة » (غل ٥ : ٦) . وإذ يصدر عن المحبة لا يكون مجرد عمل بل يصير عملاً مقروناً بمجهود وتضحية وانكار ذات فيصير « تعباً » . وإذا تحققنا أن المحبة المقصودة هى محبة الله التى تصدر عنها محبة الأخوة وبدونها لا تكون . لأنه « إن قال أحد إنى أحب الله وأبغض أخاه فهو كاذب . لأن من لا يحب أخاه الذى أبصره كيف يقدر أن يحب الله الذى لم يبصره . ولنا منه هذه الوصية أن من يحب الله يحب أخاه أيضاً » (١ يو ٤ : ٢٠ و٢١) . وعلمنا أنه لا يمكن أن نحب الله إن لم تنسكب محبة الله فى قلوبنا بالروح القدس المعطى لنا ؟ (رو ٥ : ٥) إذاً لتحققنا أن المحبة من الله (١ يو ٤ : ٧) كما رأينا أن الإيمان من الله . فعمل الإيمان وتعب المحبة هما من الله ومكافأتهما لا عن استحقاق بل نعمة ، ولابد ، « لأنه ماذا يقول الكتاب ؟ فآمن ابراهيم بالله فحسب له براً . أما الذى يعمل فلا تحسب له الأجرة على سبيل نعمة بل على سبيل دين » (رو ٤ : ٤) والدين لا يدخل فى حساب عهد النعمة الذى يدخل فى دائرته عمل الإيمان وتعب المحبة :

« الذى أظهرتموه نحو اسمه إذ قد خدمتم القديسين وتخدمونهم » :

وهل تكمن المحبة فى القلب ولا تدل على وجودها فى تعبها ؟ وهل يملأ الإيمان النفس ولا يعلن ذاته فى أعماله ؟ أو لم يقل يع (٢ : ١٨) : « أنا أريك بأعمالى إيمانى » ؟ فكما أن الإيمان نبع الأعمال وأصلها ، هكذا الأعمال دليل الإيمان والمحبة » ويكون الإيمان الذى ليست له أعمال إيماناً ميتاً فى ذاته لا حياة له (اقرأ يع ٢ : ١٤ — ٢٦) .

أما مظهر الإيمان والمحبة فهو فى خدمة ذات اتجاهين : أحدهما « نحو اسمه » أى اسم الله المذكور فى الآية وهو ذات الله : وثانيهما إلى « القديسين » : وبعبارة أخرى هو خدمة القديسين على اعتبار علاقتهم بالله كقول السيد لتلاميذه : « من يقبلكم يقبلنى ومن يقبلنى يقبل الذى أرسلنى . من يقبل نبياً باسم نبي فأجر نبي يأخذ ، ومن يقبل باراً باسم بار فأجر بار يأخذ ، ومن سقى أحد هؤلاء الصغار كأس ماء بارد فقط باسم تلميذ فالحق أقول لكم إنه لا يضيع أجره » (مت ١٠ : ٤٠ — ٤٢) : أى باعتبار كونه نبياً مرسلا من الله ، أو باراً مؤمناً بالمسيح أو تلميذاً يتبعه ، على قياس قول المرأة الشونمية لرجلها عن أليشع : « قد علمت أنه رجل الله مقدس الذى يمر علينا دائماً . فلنعمل علية على الحائط صغيرة ونضع له هناك سريراً وخواناً وكرسياً ومنارة حتى إذا جاء إلينا يميل إليها » (٢ مل ٤ : ٩ و١٠) .

ففى خدمة هؤلاء القديسين المقدسين لله خدمة لله ذاته ، لهذا قال السيد : « جعت فأطعمتمونى » الخ . ولما سئل « متى رأيناك جائعاً فأطعمناك ؟ أجاب « بما أنكم فعلتموه بأحد إخوتى هؤلاء الأصاغر فبى فعلتم » (مت ٢٥ : ٣٥ — ٤٠ انظر ١٠ : ٣٣ و٣٤) . فى هذه الخدمة ، خدمة الإيمان والمحبة المقدسة التى قام بها ويقوم أولئك العبرانيون نحو اسم الله والمسيح ، يرى الرسول بارشاد الروح دليلا يجعله يتيقن من جهتهم أموراً أفضل مختصة بالخلاص .

عدد ١١ و ١٢ : إن يقين الرسول هذا لم يقعده عن تشجيعهم للتقدم إلى الكمال ومواصلة جهادهم إلى النهاية ، بل بالحرى يزيده هو حماسة على هذا التشجيع . وهــذا هو الغرض من التهديد : لا الفشل ، بل الخوف من الخطر والهروب منه عن طريق البلوغ والتقدم . وهذا هو الغرض الذى يبينه الرسول هنا معبراً عن شدة رغبته فيه بالقول :

« ولكننا نشتهى » :

لا بفكرة الشهوة المحرمة الممنوعة فى الوصية العاشرة القاتلة « لا تشته » (خر ٢٠ : ١٧ .انظر رو ٧ : ٧) : الشهوة التى إذا حبلت تلد خطية (يع ١ : ١٥ . انظر مت

٥ : ٢٨) . شهوة الجسد وشهوة العيون وتعظم المعيشة التى هى من العالم وهى عداوة لله (١ يو ٢ : ١٦ . انظر رو ٨ : ٧) . بل بفكرة الرغبة المقدسة المقرونة بالشوق القلبى لتنفيذها لنوال أمر حسن ومشروع . شهوة الجائع أن يسد جوعه (لو ١٥ : ١٦ ، ١٦ : ٢١) . وشهوة المؤمن أن يتمتع بوجود المسيح معه جسدياً (لو ١٧ : ٢٢) وشهوة المسيح نفسه أن يأكل الفصح مع تلاميذه (لو ٢٢ : ١٥) . ومن هذا القبيل شهوة الرسول هنا وهى رغبته الشديدة وشوقه الكلى :

« أن كل واحد منكم يظهر هذا الاجتهاد عينه :

فإن اهتمامه ، لا بالقطيع جماعة فحسب ، بل بكل واحد منهم على حدته . وما أجمل صورة الراعى يرعى قطيعه التى يمثلها لنا إشعياء (٤٠ : ١١) « بذراعه يجمع الحملان وفى حضنه يحملها ويقود المرضعات » وهى صورة تكمل فى الراعى الصالح الذى يدعو خرافه الخاصة بأسماء (اسما اسما) ويخرجها ويذهب أمامها فتتبعه (يو ١٠ : ٣ و ٤) . هكذا شوق قلب الرسول إلى كل واحد من هذا القطيع الذى يكتب له أن :

« يظهر هذا الاجتهاد عينه » أى ذات الاجتهاد الذى أشار إليه بأنهم أظهروه فى عملهم وتعب محبتهم كما أشار فى (عد ١٠) . وبهذا يحقق لهم يقينيه من جهتهم التى أشار إليها فى (عد ٩) ويشجعهم على أن يكونوا « غير متكاسلين فى الاجتهاد . حارين فى الروح (رو ١٢ : ١١) محاضرين بالصبر فى الجهاد الموضوع أمامهم (عب ١٢ : ١) ثابتين » فيتمكن منهم :

« يقين الرجاء إلى النهاية » :

أما « الرجاء » فهو حركة مزدوجة نحو أمر معين : وجهها الأول اشتهاء القلب لذلك الأمر : ووجهها الثانى توقع نواله . وهو فى أسلحة محاربتنا « خوذة الخلاص » كما قيل فى موضع آخر « خوذة هى رجاء الخلاص (أف ٦ : ١٧ ، ١ تس ٥ : ٨) « لأننا بالرجاء خلصنا ، ولكن الرجاء المنظور ليس رجاء لأن ما ينظره أحد كيف يرجوه

أيضاً . ولكن إن كنا نرجو ما لسنا ننظره فإننا نتوقعه بالصبر» (رو ٨ : ٢٤ و ٢٥) . على ذلك يكون :

« يقين الرجاء » هو أسمى درجة يصل إليها الإنسان فى الرجاء ، فهو اقتناع قلبى ثابت لا يتزعزع صادر عن الإيمان بمواعيد الله والانشغاف بها لدرجة معها ننال قوة وتعزية فى ضيقات الحياة وبلاياها ، وننتصر عليها . هذا اليقين نصل إليه بذلك الاجتهاد عينه كما عبر عنه الرسول فى (٢ بط ١ : ٥ — ١١) فى قوله : « لهذا عينه وأنتم باذلون كل اجتهاد ، قدموا فى إيمانكم فضيلة وفى الفضيلة معرفة . . . لأن هذه إذا كانت فيكم وكثرت تصيركم ، لا متكاسلين ، ولا غير مثمرين لمعرفة ربنا يسوع المسيح ، . . . لذلك اجتهدوا أيها الإخوة أن تجعلوا دعوتكم واختياركم ثابتين لأنكم إذا فعلتم ذلك لن تذلوا أبداً لأنه هكذا يقدم لكم بسعة دخول إلى ماكوت ربنا ومخلصنا يسوع المسيح الأبدى » .

أما القول « إلى النهاية » فإما أن يكون متعلقاً بيقين الرجاء فيجعل ذلك اليقين دائماً إلى نهاية الحياة ، أو أن يكون متعلقاً باظهار الاجتهاد فيجعله أيضاً دائماً إلى نهاية الحياة . ولعله متعلق بالحالة بجملتها من اجتهاد ورجاء ويقين لأن من يرجو حالة المجد والجزاء فى الآخرة يثبت فى الإيمان المسيحى ولا يرتد عنه . وحيث أن الرجاء يصير يقينياً بالاجتهاد كما رأينا ، لذلك يحض الرسول عليه ويشدد الحض فى :

عد ١٢ : فى صورة سلبية وفى صورة إيجابية : الصورة السلبية معبر عنها بالقول :

« لكى لا تكونوا متباطئين » :

وهى صورة عكسية للاجتهاد ، لأن التباطؤ لا يتفق مع الاجتهاد بتة ، والمجتهدون من طبيعتهم لا يتباطأون . وقد سبق الرسول فوصف قارئيه بأنهم متباطئو المسامع ، لا إطلاقاً بل نسبياً . والآن يحذرهم من التباطؤ فى العمل أو فى القيام بالواجبات المسيحية. أما التباطؤ فى ذاته فقد سبق الكلام عنه فى (ص ٥ : ١١) . أما الوجه الإيجابى فهو ظاهر فى القول :

« بل متمثلين بالذين بالإيمان والأناة يرثون المواعيد :

وفيه صورة تمثيلية للاجتهاد ترسم أمامنا المجتهدين الذين يريد الرسول أن يضعهم مثالا أمام قارئيه . ومن هم ؟ إن اللغة يمكن أن تعنى جميع المؤمنين الذين سلفوا الذين تعتبر حياتهم مثالا يتبع ، وقد ماتوا فى الإيمان . ولكن حيث أن الرسول فى ما سبق كان يضع أمثلة من العهد القديم فى كل حال من الأحوال أمام هؤلاء العبرانيين ، وحيث أنه يضع أمامهم فى الآيات التالية ابراهيم مثالا ، وحيث أنه فى (ص ١١) يضع أمامهم سحابة من الشهود عظيمة المقدار ، لذلك يمكن القول بدون ريب أن قديسى العهد القديم هم المقصودون هنا ولو أن هذا لا يخرج ، بالضرورة ، غيرهم من المؤمنين إلى وقت مجيء المسيح الأول . ولهذا نجد الكلمة « يرثون » فى صيغة الحاضر لا الماضى .

على أن الرسول فى (ص ١١ : ١٣ و ٣٩) يثبت عن هؤلاء القديسين أنهم أجمعون : « لم ينالوا المواعيد » فكيف يقال هنا إنهم « يرثون المواعيد » ؟ ولكن ألا نلاحظ أن الرسول يستعمل كلمتين مختلفتين فى الموضعين هما كلمة «ينالوا» وكلمة « يرثون » ففى الموضع الأول يقصد الرسول بالموعد ، تجسد المسيح على الأرض إتماماً للمواعيد . فأولئك الذين ماتوا قبل هذا التجسد لم ينالوا ، ولم يكن ممكناً أن ينالوا الموعد بهذا المعنى . على أنهم وإن كانوا لم ينالوا الموعد ولكنهم ورثوه ولذلك ينسب الرسول هذه الوراثة إلى الإيمان فيقول : « الذين بالإيمان . . . يرثون » . فهم وإن « لم ينالوا المواعيد » ولكنهم « من بعيد نظروها وصدقوها وحيوها » وبذلك تمتعوا بالشركة فى النعمة والرحمة وسائر البركات الموعود بها فى ذاك الذى فيه قيلت كل المواعيد للخلاص والمجد اللذين نالوهما بالإيمان (عب ٤ : ٢) . أو لم يقل عن ابراهيم : « فآمن ابراهيم بالله فحسب له براً » ؟ (تك ١٥ : ٦) .

فى (عد ٩) رأينا عمل الإيمان وتعب المحبة ، وهنا نرى « الأناة » وهى « صبر الرجاء » كما رأينا ، وهى نعم ممتازة فى موضوع التمثل ، ذكرها الرسول فى شخصه وفى تمثل تيموثاوس به قائلا له : « وأما أنت فقد تبعت . . إيمانى وأناتى ومحبتى وصبرى » (٢ تى ٣ : ١٠) . وفى (كو ١ : ١١) يقرن الصبر بطول الأناة . وكثيراً ما يخصص

الأناة (٢ كو ٦ : ٦ ، غل ٥ : ٢٢ ، أف ٤ : ٢ ، كو ٣ : ١٢) ، وفى (رو ٢ : ٤ ، ٩ : ٢٢) ينسبها إلى الله ، وفى (١ تى ١ : ١٦) ينسبها إلى المسيح . وهى المترجمة فى العهد القديم « طويل الروح » . هى بطؤ الغضب (يع ١ : ١٩) هى الصبر الذى يحتاج إليه القديسون ليصنعوا مشيئة الله وينالوا الموعد (عب ١٠ : ٣٦) . لذلك لا نكن متباطئين فى المسامع ولا فى العمل ، بل لنتقدم إلى الكمال ، باذلين كل اجتهاد متمثلين بالذين بالإيمان والأناة يرثون المواعيد فننال وعد الميراث الأبدى والخلاص المستعد أن يعلن فى الزمان الأخير (١ بط ١ : ٣ — ٥) .

عد ١٣ — ٢٠ : اختتم الرسول الدليل العيانى للحياة العملية فى (عد ٩ — ١٢) بارث المواعيد : وفى هذه الأعداد يتكلم عن الوحيد الأساس الراسخ لهذه المواعيد من الجانب الإلهى دون سواه ، جاعلا موضوع كلامه وعد الله لابراهيم :

« فإنه لما وعد الله ابراهيم » :

وكان يدعى أولا ابرام ومعناه أب رفيع فغير الله اسمه إلى ابراهيم إعلاناً لصيغة العهد الذى قطعه معه قائلا : « أما أنا فهوذا عهدى معك وتكون أباً لجمهور من الأمم . فلا يدعى اسمك بعد ابرام « بل يكون اسمك ابراهيم لأنى أجعلك أبا لجمهور من الأمم » (تك ١٧ : ٤ و ٥ . اقرأ كل الأصحاح) وقد شرح الرسول هذا الأمر بعينه فى (رو ٤ : ١١ و ١٢) بقوله عن ابراهيم إنه : « أخذ علامة الختان ختما لبر الإيمان الذى كان له فى الغرلة ليكون أبا لجميع الذين يؤمنون وهم فى الغرلة كى يحسب لهم أيضاً البر . وأبا للختان للذين ليسوا من الختان فقط ، بل أيضاً يسلكون فى خطوات إيمان أبينا ابراهيم الذى كان وهو فى الغرلة » . لذلك كان ابراهيم أليق من يمثل به أولاده سواء أكانوا من اليهود أم من الأمم . أما الوعد المشار إليه فسنراه فى العدد التالى . أما هنـــا فقد مهد له الرسول قائلا : « لما وعد الله ابراهيم » :

« **إذ لم يكن له أعظم يقسم به أقسم بنفسه** » :

فالوعد إذا مقترن بقسم (انظر عد ١٧ و ١٨) . هنا نسمع الله :

« يقسم » وقد سمعناه أيضاً « يقسم » فى (ص ٣ : ١١ و ١٨ ، ٤ : ٣ — انظر مز ٩٥ : ١١ والشرح فى الجزء الأول) . وبمن يقسم ؟ — إن أمره يقول : « الرب إلهك تتقى . إياه تعبد ، وبه تلتصق ، وباسمه تحلف » (تث ٦ : ١٣ و ١٠ : ٢٠) فهو الذى به يقسم إذ ليس أعظم ، فإذا هو « أقسم » يقسم بذاته . وبذاته أقسم قائلا :

« **إنى لأباركنك بركة وأكثرنك تكثيراً** » :

وهى صيغة تأكيد بمثابة صيغة القسم التى وردت فى (تك ٢٢ : ١٦ و ١٧) « بذاتى أقسمت يقول الرب . . . أباركاك مباركة وأكثر نسلك تكثيراً » باعتبار أن تكثير ابراهيم يتم ولابد ، فى تكثير نسله . وعلى اعتبار أن القسم بالذات العلية واضح فى قوله : « « إنى » وعلى أن القسم عينه منطوق به فى لام القسم « لأباركنك » ، وممكن بالتوكيد فى ألفاظ الوعد . أما تكرار اللفظ فى القول : « لأباركنك بركة » فهو صيغة عامة فى العبرية كالقول « موتاً تموت » وافترس افتراساً . ومكراً يمكر . وغير ذلك .

أما الوعد فى ظروفه فنرى فيه أمرين جوهريين : أولها أن الذى بارك ابراهيم الذى قال : « بذاتى أقسمت يقول الرب » هو « ملاك الرب » (تك ٢٢ : ١١ و ١٥) « ملاك العهد » (ملا ٣ : ١) فلا عجب إذا دعا ابراهيم اسم ذلك المكان « يهوه يرأه » أى الرب إله العهد مع شعبه ، إله عهد الفداء من عبودية مصر (خر ٣ : ١٥ — ١٧) الذى فيه تم الفداء وفيه كملت المواعيد : ثانيهما أن ابراهيم نال الوعد بالبركة مدعماً بالقسم لأول مرة بعد أن أظهر طاعته الكلية بتقديم ابنه محرقة وبعد أن قدم كبش الفداء عن ابنه . الأمر الذى يؤكد لنا أن بركة ابراهيم محققة فى ملاك العهد ذاته الذى صار لعنة لأجلنا لتصير تلك البركة لجميع الأمم الذين بهم يكثر نسل ابراهيم عندما يدخلون إلى وعد الميراث الأبدى عن طريق موت المسيح الذى فيه تتبارك جميع قبائل الأرض (راجع غل ٣ : ٨ — ١٤) .

« وهكذا إذ تأنى نال الموعد » :

وهنا بيت القصيد فى قصد الرسول أن يبين مثال ابراهيم فى الإيمان والأناة فى انتظار الموعد ، فإن « الإيمان » يلد « الأناة » والأناة تشدد « الإيمان » . وبالإيمان ابراهيم « تأنى » . فإن الموعد الذى أدعم بالقسم له ، فى حادثة تقديم اسحق محرقة على جبل المريا كما رأينا ، هو ذات الموعد الذى أعطى له قبل ولادة اسحق بخمس وعشرين سنة (انظر تك ١٢ : ١ — ٣ ، ١٥ : ٥ و ٦ ، ١٧ : ١ — ٨) وهى مدة طويلة تأنى فيها ابراهيم حتى نال الموعد فىولادة اسحق ، وفيه رأى بالإيمان إتمام الموعد فى النسل المبارك الرب يسوع كما قال يسوع نفسه لليهود : « أبوكم ابراهيم تهلل أن يرى يومى فرأى وفرح » (يو ٨ : ٥٦) . ولم يكن ممكناً أن يتأنى ابراهيم بدون ذلك الإيمان الذى بينه الرسول (رو ٤ : ١٨ — ٢٢) فى قوله : « فهو على خلاف الرجاء آمن على الرجاء . . وإذ لم يكن ضعيفاً فى الإيمان لم يعتبر جسده وهو قد صار مماتاً . . . ولا مماتية مستودع سارة ولا بعدم إيمان ارتاب فى وعد الله ، بل تقوى بالإيمان معطياً مجداً لله . وتيقن أن ما وعد به هو قادر أن يفعله أيضاً » « وهكذا إذ تأنى نال الموعد » « فتأنوا أيها الاخوة إلى مجيء الرب . هوذا الفلاح ينتظر ثمر الأرض الثمين متأنياً . . . فتأنوا أنتم وثبتوا قلوبكم » (يع ٥ : ٧ و ٨) .

على أنه يجب أن لا ننسى أن نوال الموعد لا يتحقق لمجرد إيمان وأناة المؤمن ، بمقدار ما يتحقق على أساس أمانة الله فى وعده . ومع أن الله أمين فى وعده ولكنه أراد أن يجعل أمانته أساساً لتقوية الإيمان لذلك « توسط بقسم » .

« فإن الناس يقسمون بالأعظم » :

فالقسم عادة عندهم وقد أجازته الشريعة الإلهية فى المواقف الرهيبة (عد ٥ : ١٩ و ٢١ ، مت ٢٦ : ٦٣ و ٦٤) وهذا ما فعله الله إذ أقسم فى دائرة شريعته المقدسة وهو ، جل جلاله ، شريعة لذاته . كما أن قسمه لا يمكن إلا يكون بذاته .

يندفع الإنسان إلى القسم شعوراً منه بأنه ضعيف وأن كلامه المتقلقل يحتاج إلى قوة تدعمه وتثبته فلا بد أن تكون هذه القوة أعظم منه لتستطيع أن تقوم بمأمورية التدعيم

والتثبيت . وحيث أن كل إنسان ، ولو كان ملكاً من الملوك وبيده كل سلطان ، لذلك كان ذلك « الأعظم » الذى به الناس يقسمون هو الله الذى ليس هو إنساناً ليكذب ولا ابن إنسان ليندم ، (عد ٢٣ : ١٩ ، ١ صم ١٥ : ٢٩) . وحيث أن الإنسان الذى يقسم يستشهد الله ويجعل نفسه تحت طائلة عقاب مخيف ، لذلك كان كلام المؤمن بالله ولو كان مجرد « نعم » « ولا » من باب القسم ، لأنه يتكلم موقناً بوجود الله شاهداً عليه (اقرأ مت ٥ : ٣٣ — ٣٧ ، يع ٥ : ١٢ ، رو ٩ : ١) .

فإذا أقسم الله وهو الأعظم ، وليس منه أعظم ، فبمن يقسم ؟ إلا بذاته ؟ وقسمه بذاته إعلان منه عن ذاته ، ليس فقط بأنه هو الأعظم ، بل أيضاً بأنه مهما كانت مواعيده ففيه النعم والأمين لمجده ، فهو لا يتغير وليس عنده تغيير ولا ظل دوران (٢كو ١ : ٢٠ ، ملا ٣ : ٦ ، يع ١ : ١٧) فهو لا يحتاج إلى القسم إلا لأجل البشر الذين :

« نهاية كل مشاجرة عندهم لأجل التثبيت هى القسم » :

والمشاجرات كثيرة بين الناس ، فإذا تنازع اثنان على أمر ما ، ولم يقم دليل ظاهر لحسم النزاع ، تشاجر الطرفان ، وقد يستفحل الأمر إلى استعار نار حرب إن لم توجد وسيلة للسلام . ففى حالة كهذه لابد من القسم لتثبيت جانب من الجانبين وإنهاء المشاجرة . ولأجل ذلك تجد الأقسام القانونية فى المحاكم باسم الإله الأعظم الذى يسود العالم ويقضى بين القضاة (مز ٨٢ : ١) : وحيث أن هذه طريقة البشر وقد أثبتتها الشريعة المدنية الإلهية كما رأينا :

« فلذلك ، إذ أراد الله » :

من تلقاء ذاته ، بدون اضطرار ، فى ما يتعلق بشخصه الأمين أو بمواعيده الصادقة لا لسبب مشاجرة قامت بينه وبين آخر ، لأنه إن كان يراقب الآثام فمن يقف ؟ (مز ١٣٠ : ٣) . وماذا إن كان ، وهو يريد أن يظهر غضبه ويبين قوته ، احتمل بأناة كثيرة آنية غضب مهيأة للهلاك ؟ (رو ٩ : ٢٢) . فان الله يعمل كل شىء حسب قصده حسب رأى مشيئته التى منها تصدر كل نعمة ورحمة وتعزية للمؤمنين : « فى

هذا هى المحبة ليس أننا نحن أحببنا الله ، به أنه هو أحبنا وأرسل ابنه كفارة لخطايانا » (١ يو ٤ : ١٠) وفى هذه المحبة « أراد الله » :

« أن يظهر أكثر كثيراً لورثة الموعد » :

وهم المسيحيون . ويسمون هنا « ورثة الموعد لمناسبة المقام . وهم فى الأصل جماعة العبرانيين الذين هم إسرائيليون ولهم التبنى والمجد والعهود والاشتراع والعبادة والمواعيد (رو ٩ : ٤) . ولكن ليسوا هم وحدهم ، كما قال لهم بطرس : « لأن الموعد هو لكم ولأولادكم ولكل الذين على بعد ، كل من يدعوه الرب إلهنا » (أع ٢ : ٣٩) من جميع الأمم البعيدين الذين قيل عنهم أيضاً أجنبيين عن رعوية إسرائيل وعن عهود الموعد ، ولكنهم صاروا قريبين فى صليب المسيح (اقرأ أف ٢ : ١١ — ٢٢ وقابل إش ٢ : ٢ ، ٤٠ : ٥ ، ٥٤ :٣ ، مى ٤ :١ و ٢ ، عا ٩ :١١ و ١٢) وهذا لا يخالف البتة أن الموعد لابراهيم ونسله لأن الكتاب يقول صريحاً : « باسحق يدعى لك نسل » وليس باسماعيل ولا بزمران ويقشان ومدان ومديان ويشباق وشوحاً ، مع أنهم أيضاً أولاد ابراهيم (انظر تك ٢١ : ٩ — ١٣ و ٢٥ : ١ — ٦) ، حيث نتحقق أن الوارث الوحيد لابراهيم كان اسحق ، وعلى هذا يعقب الرسول بالقول : « ولا لأنهم من نسل ابراهيم هم جميعاً أولاد ؛ بل باسحق يدعى لك نسل أى ليس أولاد الجسد هم أولاد الله بل أولاد الموعد يحسبون نسلا لأن كلمة الموعد هى هذه : « أنا آتى نحو هذا الوقت ويكون لساره ابن » (رو ٩ : ٧ — ٩ انظر أيضاً غل ٤ :٢٨— ٣١) . إذاً ورثة الموعد هم أولاد الله الذين دعاهم الله وجعلهم ورثة الله ووارثين مع المسيح (١ يو ٣ : ١ ، رو ٨ : ١٧) . هؤلاء هم الذين أراد الله أن يظهر لهم أكثر كثيراً :

« عدم تغير قضائه » :

رأينا سابقاً أن الله يعمل كل شىء حسب رأى مشيئته ، حسب قصده ، وهنا نرى أن الله يعمل بقضائه . فقضاؤه ، وقصده ، ورأى مشيئته ، شىء واحد به سبق فعين لأجل مجده كل ما يحدث بمجرد مشيئته دون تأثير خارجى . فيكون إعلان أى حادث أو قول هو إعلان لذلك القضاء أو القصد أو الرأى كما قيل : « إنى أخبر من جهة قضاء

الرب قال لى : « أنت ابنى » الخ (مز ٢ : ٧) . وهنا فى إعلان الموعد إعلان للقضاء المتعلق به ، وما دام القضاء لا يتغير فالوعد لا يتغير كما قال الرسول أيضاً عن الحياة الأبدية التى وعد بها الله المنزه عن الكذب قبل الأزمنة الأزلية (تى ١ : ٢) ، وإذ أراد أن يظهر . . . عدم تغير قضائه .

« توسط بقسم » :

فى صيغته التى تكلمنا عنها . على أن الكلمة « توسط » تعنى إقامة ذاته وسيطاً . وأما الوسيط فلا يكون لواحد . ولكن الله « واحد » وهو رب الوعد دون سواه وقد أعطاه لابراهيم بنفسه دون وسيط وهو تعالى لا يتغير فى وعده . ولكن حيث أن هناك الطرف الآخر الذى عليه أن يقبل الوعد وأن يقبله دون أخذ ورد ، لأن « من لا يصدق الله فقد جعله كاذباً » . (١ يو ٥ : ١٠) . إلا أن الله جلت رحمته الذى يعرف جبلة الإنسان ويدرك ضعفه أمام شكوك ومخاوف تعترضه كما وقع لابراهيم نفسه وظهر فى قوله لله ، حتى بعد إعطائه الوعد : « أيها السيد الرب ماذا تعطينى وأنا ماض عقيما ومالك بيتى هو ألعازر الدمشقى ؟ . . إنك لم تعطنى نسلا وهوذا ابن بيتى وارث لى » (تك ١٥ : ٢ و ٣) . وإذا كان هذا هو الحال مع أبى المؤمنين الذى أخذ الوعد من فم الله مباشرة فماذا تكون الحال مع غيره .

رأينا أن القسم من إنسان هو بمثابة دعوة منه لله الذى به أقسم ، بالاتفاق مع الطرف الآخر ، أن يقف الله شاهداً بين الطرفين ، وسيطاً وضامناً . وإذ يسلم الطرفان قضيتهما له تنتهى المشاجرة . على هذه الطريقة عينها ، إذ يقسم الله ، يقيم ذاته شاهداً على نفسه .

« حتى بأمرين » :

وقد تباينت آراء المفسرين فى ماهية هذين الأمرين ، فقال بعضهم إنهما القسمان المذكوران : أحدهما هنا : والآخر فى (ص ٣ : ١١) « أقسمت فى غضبى لن يدخلوا راحتى » : أحدهما فى (تك ٢٢ : ١٥ — ١٨) مقترناً بالوعد بالبركة لجميع قبائل

الأرض فى نسل ابراهيم الذى هو المسيح : والآخر فى (مز ٩٥ : ١١) مقترناً بالغضب وحرمان غير المؤمنين من راحة الله ، متضمناً ، بالضرورة ، تأكيداً بدخول المؤمنين إليها كما هو واضح فى (ص ٤ : ٣ — ٩) . على أن البعض الآخر يرى أن القسم الآخر ليس هذا القسم الذى ذكرناه الآن ، بل هو القسم المذكور فى (مز ١١٠ : ٤) وأشار إليه الرسول فى (ص ٥ : ٦ و ١٠ ، ٦ : ٢٠ ، ٧ : ١٧ و ٢١) . فيكون الأمران هما القسمان : الواحد بإعطاء ابراهيم ابناً من نسله هو المسيح ، والثانى بإقامة هذا الابن كاهناً على رتبة ملكى صادق .

أما نحن فنستطيع أن نرى ، مع جمهور المفسرين ، أن الأمرين مبينان فى الآيات التى نحن بصددها ، وهما « الوعد » و « القسم » أى أن الله لم يكتف بإعطاء « الوعد » بل زاد أن « توسط بقسم » وهذا توافقه القرينة التى تدلنا على هذين الأمرين وترينا إياهمـــا :

« عديمى التغير لا يمكن أن الله يكذب فيهما » :

فإن وعد الله فى ذاته لا يتغير لأنه مبنى على قضاء الله قبل الأزمنة الأزلية ، وكذا لأنه وعد نصيح إسرائيل الذى لا يكذب ولا يندم لأنه ليس إنساناً ، كما رأينا . وإن كان الله لا يكذب فى الوعد فهل يكذب فى القسم ؟ لذلك يقال عن الوعد والقسم معاً أنهما أمران « لا يمكن أن الله يكذب فيهما » وبذلك :

« تكون لنا تعزية قوية » :

و « التعزية » ترجمت فى (ص ١٢ : ٥ ، ١٣ : ٢٢) بكلمة « الوعظ » (انظر شرح ٣ : ١٣) حيث ترى الوعظ الإلهى والتعزية الروحية مقترنين معاً ، ونراهما هنا قوة تشجيع تملأ القلب فلا يخور العزم ولا يفشل الإيمان . ونعمة سلام للقلب المضطرب بسبب الخطية فى ضمان الخلاص التام ووعد الميراث الأبدى . وفى كل ذلك تكون لنا تعزية « قوية » لأنها تستند ، بل تتكىء بكل ما فيها من قوة ، لا على قوة الإنسان فى ذاته ، ولا على استحقاق أعماله ، وإلا لتزعزع الأساس وانهار البناء وسقط وكان سقوطه عظيما ، بل على وعد الله وقسمه العديمى التغير ، فتقوى تعزيتنا :

« نحن الذين التجأنا نمسك بالرجاء الموضوع » :

وهل نترسم فى كلمة « التجأنا » صورة مدن الملجأ فى العهد القديم (عد ٣٥ : ١١ و ١٢) ونرى قاتلا يهرب من الخطر الذى يتهدده من الوراء ، فلا يقف ولا يهدأ حتى يدخل إحدى تلك المدن ؟ أو هل نترسم فى كلمة « نمسك » صورة من يتوقع قتلا فيهرب من وقوعه حتى يدخل إلى هيكل الرب وهناك يتمسك بقرون المذبح ؟ (١ مل ١ : ٥٠ — ٥٣) . سواء هذه الصورة أم تلك ، فإننا نترسم أنفسنا هاربين من مدينة الهلاك ونار الله معدة لاحراقها . من الأرض المحفوظة للنار إلى يوم الدين وهلاك الناس الفجار (٢ بط٣ : ٧) . من بابل ، الزانية ، العظيمة التى سقطت وصارت مسكناً للشياطين ومحرساً لكل روح نجس . ومحرساً لكل طائر نجس وممقوت لأنه من خمر غضب زناها قد شرب جميع الأمم . وملوك الأرض زنوا معها وتجار الأرض استغنوا من وفرة نعيمها . أفلا تسمع صوت الله ينادى « اخرجوا منها يا شعبى لئلا تشتركوا فى خطاياها ولئلا تأخذوا من ضرباتها لأن خطاياها لحقت السماء وتذكر الله آثامها » (رؤ ١٨ : ١ — ٥) ؟ . « لأنه أية خلطة للبر والأثم ، وأية شركة للنور مع الظلمة ، وأى اتفاق للمسيح مع بليعال . . . لذلك اخرجوا من وسطهم واعتزلوا يقول الرب ولا تمسوا نجساً » . (٢ كو ٦ : ١٤ — ١٧) . « اهرب لحياتك » . اهرب « لئلا تهلك بإثم المدينة » « أسرع اهرب » (تك ١٩ : ١٢ — ٢٢) .

ولكن أين الملجأ الذى إليه نلتجىء ؟ هو « الرجاء الموضوع أمامنا » . هو ذات الوعد الإلهى المدعم بالقسم ، الذى يولد فينا الرجاء . فذلك الوعد هو علة ذاته ونتيجتها. هو الموعد الذى وضعه الله أمامنا باعطائنا إياه ليكون موضوع رجائنا ولهذا يسمى « بالرجاء الموضوع أمامنا».وحيث أننا إليه نهرب من شر الحياة وخطرها فيكون لنا بمثابة فلك نوح الذى فيه خلص من الطوفان ثمانى أنفس بالماء الذى مثاله يخلصنا نحن الآن أى المعمودية ، « لا إزالة وسخ الجسد . بل سؤال ضمير صالح عن الله بقيامة يسوع المسيح » . التى بها « ولدنا لرجاء حى » (١ بط ٣ : ٢٠ و ٢١ ، ١ : ٣) . بل هو بمثابة مدن الملجأ التى فيها يجد القاتل ، سهواً ، ملجأ من يد ولى الدم حيث يقيم فى أمان طالما الكاهن العظيم حياً . وكاهننا الأعظم حى فى كل حين ليشفع فينا قادر أن يخلص إلى التمام الذين يتقدمون به إلى الله (عد٣٥ : ٢٨ وعب ٧ : ٢٥). بل هو بمثابة قرون المذبح :

« لنمسك» به لتكون حياتنا فى أمان : « لنمسك باقرار الرجاء راسخاً لأن الذى وعد هو أمين » (١٠ : ٢٣ — انظر الشرح) . «تمسك بما عندك لئلا يأخذ أحد اكليلك ». (رؤ ٣ : ١١) : لنمسك بالرجاء الموضوع أمامنا » :

« الذى هو لنا كمرساة للنفس مؤتمنة وثابتة تدخل إلى ما داخل الحجاب : »

تشبيه للرجاء يبدأ بالمرساة وينتهى بالحجاب ، الأمر الذى يوقفنا أمام تمثيلين مختلفين : الأول يسير بنا فى بحر هذه الحياة : والثانى يدخل بنا إلى قدس أقداس بيت الرب : الأول يرسم أمامنا العالم فى صورة بحر ، والنفس سفينة تمخر عباب ذلك البحر والمجد المستقبل المستور عن العيون والبعيد عن النظر ، كقاع البحر العميق الذى لا تكتشفه عين مجردة . : أما الثانى فيرسم لنا الحياة الحاضرة فى صورةالدار الخارجية فى الهيكل ويمثل لنا المجد المستقبل فى سعادة السماء بقدس الأقداس المحجوب وراء الحجاب عن العيان البشرى : على أننا فى التشبيهين نرى النفس كملاح انكسرت به السفينة (١ تى١ : ١٩) يمسك بمرساة لا يرى أين سلسلتها (زنجيرها) ولكنه يعلم أنها ثابتة وراء الحجاب وأنه ما دام ماسكاً بها فسيدخل معها . بيد قوية تجتذبه إلى قدس الأقداس عينه .

« المرساة » هى جهاز حديدى من جهازات السفن به تتعلق السفن فى الأرض فلا تدفع بها العواصف على الصخور ولا تطرحها إلى البر فتتكسر ويكنى بها عادة عن الرجاء ، إذ يصورونه فى صورة مرساة . ونسبتها إلى النفس هنا يحقق لنا أنها جهاز مجازى مستعار مصنوع لا من مادة تخرج من بطن الأرض ، بل من مادة أعدت فى مجلس القضاء الأزلى ، لا من وصية جسدية يصير إبطالها من أجل ضعفها وعدم نفعها إذ الناموس لم يكمل شيئاً ولكن يصير إدخال رجاء أفضل به نقترب إلى الله يكون هو كمرساة للنفس :

« مؤتمنة وثابتة » مؤتمنة بالنسبة لطبيعتها حيث رأينا الرجاء فى قضاء لا يتغير ، وثابتة بالنسبة لعملها حيث رأينا الرجاء قوة تحفظ المؤمن فى وسط مخاطر الحياة بحيث لا تنكسر به السفينة من جهة الإيمان ، محفوظة نفسه من الهلاك ضد فعل التجارب وغرور الدنيا وشر الأفكار الكفرية والارتداد عن الإيمان . وهذا يوجه فكرنا إلى :

« الحجاب » : الذى يقال إن المرساة تدخل إلى ما داخله . وهو الحجاب الذى كان فى الهيكل يحجب وراءه قدس الأقداس حيث تابوت العهد وفى داخله لوحا الشريعة . وفوقه غطاء يحل عليه مجد الرب بين كروبين ، ويرش عليه دم ذبيحة الخطية مرة فى السنة بيد رئيس الكهنة دون سواه . وبذلك يصح أن يكون عرش النعمة الذى إليه نتقدم بثقة لكى ننال رحمة ونجد نعمة عوناً فى حينه (عب ٤ : ١٦) وحيث أن المرساة فى ذاتها ليست من أثاثات الهيكل ولا تمت إليه بصلة ما ، يكون المقصود بما يدخل إلى ما داخل الحجاب ، لا المرساة ، بل الرجاء . ويكون الحجاب ذاته أيضاً رمزى وكذا قدس الأقداس :

« حيث دخل يسوع » :

لأنه أمر محقق أن يسوع لم يدخل قط إلى قدس الأقداس الأرضى فى أيام جسده . ولم يكن له أن يدخل إليه لأنه ليس من سبط لاوى ولا من بيت هرون ، ولو كان على الأرض لما كان كاهناً (٧ : ١٣ و ١٤ ، ٨ : ٤) . لذلك لابد أن يكون المكان الذى يعبر عنه بداخل الحجاب ، هو السماء عينها حيث دخل يسوع ، لأنه بعد ما صنع بنفسه تطهيراً لخطايانا وقام من الأموات صعد إلى السماوات وجلس فى يمين العظمة فى الأعالى صائراً أعظم من الملائكة (١ : ٣) .

« كسابق لأجلنا » :

أى ليظهر الآن أمام وجه الله لأجلنا (٩ : ٢٤) إلى أن يعد لنا مكاناً ويأتى ليأخذنا إليه حتى حيث يكون هو نكون نحن أيضاً (يو ١٤ : ٣) . لأن «كل واحد فى رتبته ؟ المسيح باكورة ثم الذين للمسيح فى مجيئه » (١ كو ١٥ : ٢٣) : أما الأقداس التى دخل يسوع إليها فسنلتقى بها فى سير البحث كثيراً وسنتفهمها فى حينه حيث نجده ، له المجد :

« صائراً على رتبة ملكى صادق رئيس كهنة إلى الأبد :

وهذا هو موضوع الفصل الثالث من هذا الباب الثالث وبخاصة الأصحاح السابع كما سنرى (انظر أيضاً ٥ : ٦ و ١٠) .

الفصل الثالث

سمو المسيح على هرون ككاهن على رتبة ملكى صادق

أشار الرسول فى الفصل الأول من هذا الباب إشارة مزدوجة إلى ملكى صادق (ص ٥ : ٦ و ١٠) ، فيها أشعرنا ، كما قلنا ، بأفضلية رتبته الكهنوتية على رتبة هرون ، ونبه حواسنا لننتظر دخوله مباشرة على هذا الأساس إلى موضوع أفضلية كهنوت المسيح على كهنوت هرون باعتبار كونه ، له المجد « مدعواً من الله كاهناً على رتبة ملكى صادق » . وإذا بنا نرى الرسول وقد أرجأ هذا الموضوع ، مضطراً ، لسبب تبيناه فى الفصل الثانى المعترض . على أنه لم ينته من هذا الفصل الثانى حتى اختتمه بذات الاشارة ، تمهيداً للعودة فى الفصل الثالث إلى الموضوع الذى أرجأه وفيه نجد بحثين جوهريين :

أولهما : الرتبة الكهنوتية الملكيصادقية (ص ٧) .

ثانيهما : الخدمة الكهنوتية ومتعلقاتها (ص ٨ — ١٠ : ٣١)

أولا : الرتبة الملكيصادقية (ص ٧)

فى هذا الأصحاح نجد : —

(١) كلاماً عن شخصية ملكى صادق (عد ١ — ١٠)

(٢) إيضاحاً لضعف الكهنوت اللاوى وعدم نفعه (عد ١١ — ١٩)

(٣) تحقيقاً لرتبة المسيح الملكيصادقية (عد ٢٠ — ٢٨) .

١ – شخصية ملكي صادق (عد١ – ١٠)

١ لِأَنَّ مَلْكِي صَادَقَ هٰذا مَلِكَ سَالِيمَ كَاهِنَ ٱللهِ ٱلْعَلِيِّ ٱلَّذِي
ٱسْتَقْبَلَ إِبْرٰهِيمَ رَاجِعاً مِنْ كَسْرَةِ ٱلْمُلُوكِ وَبَارَكَهُ ٢ ٱلَّذِي قَسَمَ
لَهُ إِبْرٰهِيمُ عُشْراً مِنْ كُلِّ شَيْءٍ . ٱلْمُتَرْجَمَ أَوَّلاً مَلِكَ ٱلْبِرِّ ثُمَّ أَيْضًا
مَلِكَ سَالِيمَ أَيْ مَلِكَ ٱلسَّلامِ ٣ بِلَا أَبٍ بِلاَ أُمٍّ بِلاَ نَسَبٍ .
لاَ بَدَاءَةَ أَيَّامٍ لَهُ وَلَا نِهَايَةَ حَيٰوةٍ بَلْ هُوَ مُشَبَّهٌ بِٱبْنِ ٱللهِ هٰذَا
يَبْقَى كَاهِنًا إِلَى ٱلْأَبَدِ . ٤ ثُمَّ ٱنْظُرُوا مَا أَعْظَمَ هٰذَا ٱلَّذِي أَعْطَاهُ
إِبرٰهِيمُ رَئِيسُ ٱلْآبَاءِ عُشْراً أَيْضًا مِنْ رَأْسِ ٱلْغَنَائِمِ . ٥ وَأَمَّا
ٱلَّذِينَ هُمْ مِنْ بَنِي لَاوِي ٱلَّذِينَ يَأْخُذُونَ ٱلْكَهَنُوتَ فَلَهُمْ وَصِيَّةٌ
أَنْ يُعَشِّرُوا ٱلشَّعْبَ بِمُقْتَضَى ٱلنَّامُوسِ أَيْ إِخْوَتَهُمْ مَعْ أَنَّهُمْ قَدْ
خَرَجُوا مِنْ صُلْبِ إِبْرٰهِيمَ . ٦ وَلٰكِنَّ ٱلَّذِي لَيْسَ لَهُ نَسَبٌ مِنْهُمْ
قَدْ عَشَّرَ إِبرٰهِيمَ وَبَارَكَ ٱلَّذِي لَهُ ٱلْمَوَاعِيدُ . ٧ وَبِدُونِ كُلِّ
مُشَاجَرَةٍ ٱلْأَصْغَرُ يُبَارَكُ مِنَ ٱلْأَكْبَرِ ٨ وهُنَا أُنَاسٌ مَائِتُونَ يَأْخُذُونَ
عُشْراً وَأَمَّا هُنَاكَ فَٱلْمَشْهُودُ لَهُ بِأَنَّهُ حَيٌّ . ٩ حَتَّى أَقُولُ كَلِمَةً
إِنَّ لَاوِي أَيْضًا ٱلْآخِذَ ٱلْأَعْشَارِ قَدْ عُشِّرَ بِإِبْرٰهِيمَ . ١٠ لِأَنَّهُ كَانَ
بَعْدُ فِي صُلْبِ أَبِيهِ حِينَ ٱسْتَقْبَلَهُ مَلْكِي صَادَقَ .

في هذه الآيات نرى ملكي صادق : في شخصيته التاريخية (عد ١ – ٣) . وفي نسبته إلى سبط لاوي (عد ٤ – ١٠) .

عد ١ ـــ ٣ : فى هذه الأعداد الثلاثة يعلن الرسول لنا اسم ملكى صادق ، ووظيفته ، ومكانه ، ولمحة صغيرة جداً من تاريخه كما جاء فى (تك ١٤ : ١٨ ـــ ٢٠) :

« لأن ملكى صادق هذا » :

الذى ذكر فى ختام الفصل الماضى فى القول عن المسيح « صائراً على رتبة ملكى صادق » . فتكون كلمة « لأن » رابطة بين الفصل الثانى والثالث (أى بين ص ٦ : ٢٠ ، ص ٧) . وبالأحرى بين الفصل الأول والثالث (أى بين ص ٥ : ٢٠ ، ص ٧) على اعتبار ما قيل سابقاً . أما كلمة « هذا » وهى إشارة إلى ملكى صادق فيمكن أن نراها رابطة بين أول هذا العدد الأول ، وآخر العدد الثالث . حيث نجد الكلمة « هذا » مكررة . كما لو قرأنا هكذا « صائراً على رتبة ملكى صادق رئيس كهنة إلى الأبد . لأن ملكى صادق هذا . . . هذا يبقى كاهناً إلى الأبد » . كأن يكون ما بين « هذا » الأولى ، و « هذا» الثانية ، بياناً معترضاً عن :

« ملكى صادق » وهذا هو بيت القصيد فى الموضوع الذى أمامنا . وقد تضاربت الآراء فى شخصيته حتى امتلأت بها مجلدات . ويمكن أن نحصر هذه الآراء بين قسمين كبيرين : أحدهما يرفعه فوق البشرية : وثانيهما يضعه فى مستواها . أما الذين يرفعونه فوق البشرية ، فمنهم من اعتبره الروح القدس ، أو شخصاً منبثقاً من الله ، أو الله الآب ذاته متمثلا بشراً ، أو ملاكاً فى شبه إنسان . وهؤلاء نفر قليل لم يقم لآرائهم وزن .

ومنهم من اعتبره ذات ابن الله وقد اتخذ صورة إنسان خارجية قبل أن يتخذ بالتجسد ، الجسد الحقيقى والنفس الناطقة من العذراء المباركة . وهذا الرأى أيضاً رفضه كثيرون من العلماء مناقضين إياه كرأى لا يتفق مع قول الرسول عن ملكى صادق إنه « مشبه بابن الله » . ولا مع أسلوب ذكره فى العهد القديم كما سنرى . والحقيقة التى سنتبينها فى دراستنا هنا هى أن كل ما يرفع ملكى صادق فوق البشرية لا يطابق غرض الرسول فى كل ما أوضحه .

أما القسم الثانى من الآراء الذى يجعله فى مستوى البشر فأشهر ما فيه أن ملكى صادق هذا هو شخصية سام ابن نوح الذى كان لا يزال عائشاً فى أيام ابراهيم . وهذا الرأى

ما هو إلا تقليد يهودى قال به اليهود ليجعلوا هذا الشخص المقدس أباً لعائلتهم السامية وهكذا جاء فى ترجوم يوناثان قوله : أما ملكى صادق فهو سام ابن نوح ملك أورشليم ، وفى ترجوم أورشليم : وأما ملكى صادق ، ملك أورشليم ، فهو سام الذى كان الكاهن الأعظم لله العلى ، . تقليد غريب لا يستند إلى الكتاب بشيء ما . ألم يكن موسى يعرف سام ؟ فلماذا لم يذكره باسمه ؟ وهل من سبب لاخفائه تحت ستار اسم ملكى صادق ؟ وكيف يقول رسول العبرانيين عن سام إنه بلا أب ، بلا أم ، بلا نسب ، لا بداءة أيام له ، ولا نهاية حياة ، ما دام الكتاب قد أوضح نسب وتاريخ سام إيضاحاً جلياً ؟ (تك ٥ : ٣٢ ، ١٠ : ٢١ — ٣١ ، ١١ : ١٠ — ٢٦) الخ : وإذا كان ملكى صادق هو سام ، يكون ابراهيم من صلب ملكى صادق ، لأنه من نسل سام كما رأينا ، وبالتالى يكون لاوى أيضاً من صلب ملكى صادق لأنه من نسل ابراهيم ، فيكون كهنوت لاوى من صلب كهنوت ملكى صادق . وبهذه النتيجة تبطل قوة المقارنة بين الكهنوتين وتزول ميزة رتبة ملكى صادق على رتبة هرون . إذاً لا يمكن أن يكون ملكى صادق هو سام . أما قول بعض المحدثين أن ملكى صادق هو أيوب ، فهو قول على غير أساس .

بقى علينا أن نلتفت إلى ما ورد عن ملكى صادق فى العهد القديم لعلنا ندرك شيئاً عنه . وليس لنا أى ذكر عنه سوى فى موضعين : الأولى (تك ١٤ : ١٨ — ٢٠) ، كما ذكرنا ، حيث يروى خبر مقابلة منه لابراهيم ، وإليها أشار الرسول هنا فى (ص ٧ : ١ و ٢) : أما الموضع الثانى فهو (مز ١١٠ : ٤) حيث نجد الإشارة النبوية إلى رتبته الكهنوتية بالنسبة للرب يسوع كما أوضح الرسول فى (ص ٥ : ٦ و ١٠ ، ٦ : ٢٠ ، ص ٧) . ومن هذين الموضعين نرى أن العناية الربانية قصدت أن يوضع على تاريخ ملكى صادق برقع لا يرفع . وأن يكفن أصله بكفن لا يكشف عنه الزمان . فلم يذكر عن أصله ولا عن تاريخه شيء ما . أما مقابلته لابراهيم أبى الأمة اليهودية ، فيظهر من إشارة الرسول إليها ، بأن ذكرها كان لكى يعرف اليهود أنفسهم ومن ذات تاريخهم ، عند ما يأتى الوقت لتغيير كهنوتهم اللاوى ، أنه سيستبدل بكهنوت على رتبة شخص انحنى أمامه أبوهم ابراهيم وكهنوتهم فى صلبه . لهذا الغرض

الوحيد كتب الروح القدس عن ملكي صادق تلك الكلمات القليلة جداً ليعلنه رمزاً إلى مرموز إليه أعظم ، وسنرى كيف أن إخفاء ما خفي ، كاظهار ما ظهر ، مقصود لإتمام الرمز المطلوب في :

« ملكي صادق . . . المترجم أولاً ملك البر » :

يقول « أولا » . بالنسبة لاسمه لأنه، سيذكر له ترجمة ثانية ، كما سنرى ، بالنسبة إلى مكان ملكه . أما الاسم « ملكي صادق » فهو علم مركب في الأصل من كلمتين هما « ملك » و « صادق» ودخلت الياء بينهما لسهولة النطق كما جاء في « أدوني صادق » (يش ١٠ : ١) « وأدوني بازق » (قض ١ : ٥) و« أبيمالك » (تك ٢٠ :٢) وغيرهم، فتكون ترجمة « ملكي صادق » هي « ملكي » أي « ملك » و « صادق » أي « البر » « ملك البر » وهي ترجمة حرفية للغة الأصلية في صيغة المضاف والمضاف إليه بمعنى الصفة والموصوف بإضافة الموصوف إلى الصفة ، إذ المراد « بملك البر » الملك البـــار . وفي هذا الإسم المبارك رمز عجيب لذلك « القدوس البار » (أع ٣ : ١٤) الذى « بمعرفته يبرر كثيرين » (إش ٥٣ : ١١) . لأن « البر منطقة متنيه والأمانة منطقة حقويه » (إش ١١ : ٥) .

بعد أن أعلن الرسول « ملكي صادق » باسمه وترجمته ، أعلنه بوظيفته وترجمتها قائلا :

« ملك ساليم . . . ثم أيضاً ملك ساليم أي ملك السلام » :

حيث نتحقق أن « ملكي صادق » أصلا « ملك » كاسمه وأنه « ملك ساليم[١] » التي يظن البعض أنها المكان الذى كان يوحنا يعمد بقربه في عين نون في الأردن (يو ٣ : ٢٣) . على أن كثيرين يحققون أنها أورشليم مدينة القدس (نح ١١ : ١ ،

---

(١) ساليم هي شاليم في (تك ١٤ : ١٨) . والسين عند العبرانيين هي لثغة في الشين كما تدل عليه الحادثة المذكورة في قض (١٢ : ٤ —٦) حيث كان رجال جلعاد يذبحون رجال أفرايم وكانوا يتعرفون عليهم بلفظ « شبولت » فمن نطقها « سبولت » عرفوه أفرايمياً وذبحوه . وفي العهد الجديد نجد السين اليونانية بدل الشين العبرية كما في « يسوع » بدل « يشوع » وهما في اليونانية لفظ واحد « إيسوس » .

مز ٧٦ : ٢) التى صارت فيما بعد قصبة مملكة داود . وكان لابد لإبراهيم من مروره عليها وهو راجع إلى حيث كان يسكن فى بلوطات ممرا الأمورى ، بعد ما طارد الملوك إلى دان وكسرهم وقابله ملك سدوم فى عمق الملك ، وخرج « ملكى صادق ملك شاليم » لمقابلته أيضاً هناك (تك ١٤ : ١٣ – ١٨) .

كان ملكى صادق ملكاً من ملوك كنعان . ولذلك يذهب أكثر العلماء إلى أنه كان كنعانياً كما يقول المؤرخ اليهودى العظيم يوسيفوس . وإذا علمنا أن الكنعانيين هم أبناء كنعان ابن حام الذى نطق عليه نوح باللعنة قائلا « ملعون كنعان . عبد العبيد يكون لإخوته » وهم القبائل التى وعد الرب بطردها من كنعان وإعطاء أرضهم لإبراهيم ونسله أولاد سام شعب الله المبارك (انظر تك ٩ : ٢٥ و٢٦ ، ١٥ : ١٨ – ٢٠) . إذا علمنا ذلك لرأينا عجباً أن نجد من هذا الشعب الملعون ، هذا الملك المبارك . وهل قصدت العناية الربانية أن تعده رمزاً عجيباً إلى ذاك الذى صار فى تعليقه على الخشبة لعنة لترفع فيه تلك اللعنة المخيفة عن جميع الذين يلتجئون إليه من غضب الله المخيف ، ولو كانوا من أبناء كنعان الملعون ؟ (تث ٢١ : ٢٢ و ٢٣ مع غل ٣ : ١٠ – ١٣) .

على أن بعضهم لم يرض أن يسلم بأن يكون هذا الملك البار ، صاحب هذا المركز الفائق بين جميع البشر ، من نسل العبيد الملعونين فقال إنه ، وإن لم يكن هو ذات سام ، فلابد أن يكون من نسله الذى إلهه الله وقد اتخذه شعباً لذاته مميزاً إياه عن سائر الشعوب فى ابراهيم . فإذا صح هذا الفرض يكون ملكى صادق فى كهنوته الملوكى أعجب رمز إلى ذلك النسل المبارك الذى فيه تتبارك جميع قبائل الأرض (تك ١١ : ١٠ – ١٢ : ٣ مع غل ٣ : ١٦) .

على أن آخرين يرون أنه لم يكن كنعانياً لأنه لا يمكن أن تقوم من تلك القبائل الملعونة للعبودية والخراب فى كنعان ، أمجد خدمة جعلها الله فى كل العالم فى صورتها الرمزية ، الخدمة الكهنوتية التى كانت كل ما يمكن أن يكون فى الأرض إلى أن يأتى إليها ابن الله بشخصه العجيب . وفى ذات الوقت يشعرون أنه لا بد أن يكون خادم تلك الخدمة من غير نسل سام الذى كان منه ابراهيم ، لذلك يخمنون اعتبار ملكى صادق

من نسل يافث ، الابن الثالث لنوح ، الذى باركه أبوه تلك البركة النبوية قائلا : « ليفتح الله ليافث فيسكن فى مساكن سام » وذلك بعد أن قال عن سام « مبارك الرب إله سام » (تك ٩ : ٢٦ و ٢٧) .

هؤلاء يرون فى سام ذلك النسل المبارك الموعود به ، واستمرار كنيسة الله محصورة فيه إلى أن يأتى شيلون وله يكون خضوع شعوب (تك ٤٩ : ١٠) وهى الشعوب التى يفتح الله لها لتسكن فى خيام سام ، الأمم الخارجة من صُلب يافث . وحيث أن الله قصد أن تكون أرض كنعان مركزاً للكنيسة التى من نسل سام ، لذلك سمح أن يمتلكها أولا نسل كنعان الملعون عبد العبيد ابن حام ليكون فى طردهم منها وإعطائها لنسل سام (تك ١٥ : ١٨ — ٢٠) رمزاً لتلك النصرة وضماناً لذلك الفوز النهائى ، فوز الرب يسوع وكنيسته على جميع الأعداء . على أنه قبل حدوث شيء من ذلك ، يظهر أن الله أتى بملكى صادق هذا (وربما ببعض الآخرين من نسل يافث) إلى أرض كنعان ، ووضعه هناك ، حتى قبل أن يمتلك ابراهيم نفسه شيئاً من تلك الأرض ، ويجعله فى مركز وظيفته أسمى من ابراهيم ذاته . إذا صح هذا الفرض تحقق فى ملكى صادق حق الأمم فى أرض كنعان أو بلغة العهد الجديد يتحقق السر العجيب ، سر « أن الأمم شركاء فى الميراث والجسد ونوال موعده فى المسيح بالإنجيل . . . السر المكتوم منذ الدهور فى الله خالق الجميع بيسوع المسيح » (أف٣ : ١ — ١١) .

هذه كلها فروض وتخمينات . وكلها تشهد بخفاء سر شخصية ملكى صادق وراء ستار القصد الأزلى الأبدى ليكون أعجب رمز لتلك الشخصية الإلهية الفائقة التى تحيط بها أسرار وتكتنفها غوامض ومكنونات ، شخصية ابن الله العجيب الذى هو « ملك البر » كما أنه « ملك السلام » أى صانعه ومنشئه فهو الله « إله السلام » (رو ١٥ : ٣٣ ، ١٦ : ٢٠ ، عب ١٣ : ٢٠) وهو « رئيس السلام . لنمو رياسته وللسلام لا نهاية على كرسى داود وعلى مملكته ليثبتها ويعضدها بالحق والبر من الآن إلى الأبد » (إش ٩ : ٦ و ٧) .

بعد أن أشار الرسول إلى شخصية « ملكى صادق » بالنسبة لاسمه ومعناه ، وبالنسبة لوظيفته الأصلية الملكية ذكر أنه كان أيضاً :

« كاهن الله العلى » :

وهو اقتباس من (تك ١٤ : ١٨) . وفيه لأول مرة وردت فى الكتاب المقدس لفظة «كاهن » . أما أصل اشتقاقها فمعناه غير معلوم . على أن الكلمة فى ذاتها ، تؤدى معنى الخدمة عموماً . فالكاهن شخص يتكفل بالقيام بمصلحة شخص آخر نائباً ومعتمداً. أو هو من يقوم بأمر الرجل ويسعى فى حاجته (انظر شرح ص ٢ : ١٧ صفحة ١٠٨ الجزء الأول) . بهذا المعنى وردت لفظة «كاهن » فى (٢ صم ٨ : ١٨) حيث جاء فى ذكر الخادمين فى مملكة داود قوله : « وبنو داود كهنة » وتفسير ذلك ما جاء فى (١ أى ١٨ : ١٧) قوله « وبنو داود ، الأولين بين يدى الملك » والإشارة إلى خدمة ممتازة فائقة عبر عنها بلفظ « كهنة » . ومن هذا القبيل ما جاء (فى ١ مل ٤ : ٥) قوله عن زابود ابن ناثان : «كاهن » و « صاحب الملك » ولعل فى القول الثانى شرح للأول. ودليل على أن اللفظة كان يعبر بها عن خدمة فوق العادة إلى أن أخذت استعمالها الخاص فى خادم الله الذى كان يقوم بتقديم القرابين على المذبح الإلهى والوقوف أمام الله لأجل الإنسان .

هذه الخدمة كان يقوم بها فى أول الأمر ، غالباً ، أبو العائلة يرثه فى ذلك ابنه البكر (أى ١ : ٥ انظرتك ٨ : ٢٠ ، ١٢ : ٨ ، ٢٢ : ١ — ١٤ ، ٢٦ : ٢٥ ، ٣٣ : ٢٠) ويظهر أيضاً من تواريخ الأمم القديمة التى وصلت إلينا أن الرتبتين الملكية والكهنوتية كانتا تجتمعان فى شخص واحد إلى أن جاءت الشريعة الموسوية وحصرت الرتبة الملكية فى سبط يهوذا وفى بيت داود ، كما أنها حصرت الرتبة الكهنوتية فى سبط لاوى وفى بيت هرون . (قابل سفر العدد ١٧ ، ٢ أى ٢٦ : ١٦ — ٢٠). فليس بغريب إذاً أن نرى« ملكى صادق قبل الناموس وقبل تاريخ الأمة الإسرائيلية، ملكاً وكاهناً .

إنما الغريب أن نراه «كاهناً » و «كاهناً لله العلى » ، الأمر الذى نستدل منه ، ولابد ، على أن معرفة الله العلى لم تكن قد اختفت تماماً من بين الأمم فى ذلك الزمان كما شهد الرب نفسه قائلا لابراهيم «لأن ذنب الأموريين ليس إلى الآن كاملا » (تك ١٥ : ١٦) .

وهل قصدت العناية الربانية أن يكون « ملكي صادق » أول من ذكر في التاريخ « كاهناً لله العلي » وهل في هذا القصد أيضاً سر لا يدرك ؟

أو ليس كونه كاهناً يحقق كونه إنساناً ومجرد إنسان بمقتضى المبدأ الذي ذكره الرسول في قوله : « لأن كل رئيس كهنة مأخوذ من الناس » (ص ٥ : ١) وهو مبدأ تراعيه السماء والأرض حتى في ابن الله ذاته الذي صار إنساناً شريكاً في اللحم والدم « إذ كان ينبغي أن يشبه إخوته في كل شيء لكي يكون رحيماً ورئيس كهنة أميناً في ما لله حتى يكفر خطايا الشعب لأنه في ما هو قد تألم مجرباً يقدر أن يعين المجربين » (ص ٢ : ١٤ و ١٧ و ١٨) .

بهذه الصفة الكهنوتية يقال عن ملكي صادق هذا إنه :

« استقبل ابراهيم راجعاً من كسرة الملوك وباركه » :

هذه نتفة أخرى من النتف القليلة الموجودة لنا من تاريخ حياة « ملكي صادق » المذكورة في (تك ١٤) . وتزيد رواية التكوين أن ملكي صادق « أخرج خبزاً وخمراً » وقد اتخذت الكنيسة الرومانية من هذا أن الخبز والخمر (الجسد والدم) من مستلزمات خدمة الكاهن التي يلزم أن يقوم بها في ذبيحة القداس . على أن الخبز على بساطة وروده لا يفيد أكثر من أن ملكي صادق استقبل ابراهيم والذين معه وهم راجعون من حرب استنفذت منهم مجهوداً عظيماً حتى صاروا معيين ، ولو كانوا مطاردين ، محتاجين إلى ما يسند قلوبهم وينعشها (انظر قض ٨ : ٤ و ٥) فمن الطبيعي جداً أن يستقبلهم بخبز وخمر . وبخاصة إذا أدركنا العلاقة التي لابد من وجودها بين ملكي صادق بصفة كونه « كاهن الله العلي » وبين ابراهيم وقد كان معتبراً رئيساً من الله بينهم (تك ٢٣ : ٥) .

على أننا نلاحظ أن الرسول لم يجعل لهذا الخبر شيئاً من الأهمية فأغفل ذكره ، ولكنه لم يغفل النقطة الجوهرية التي أراد أن يوجه إليها الفكر ، وهي كون ملكي صادق بارك ابراهيم بعد رجوعه منتصراً . وسنرى أهمية هذا الأمر في الكلام عن (عد ٦ و ٧) .

هنالك نقطة أخرى لم يغفلها الرسول في تلك المقابلة أشار إليها هنا بالقول :

« الذى قسم له ابراهيم عشرا من كل شيء :

وهى أيضاً نقطة سنرى أهميتها فى شرح (عد ٥ — ١٠) .

بعد أن ذكر الرسول اسم ملكى صادق ولقبه ووظيفته وتاريخ مقابلته لابراهيم ، استخلص من كل ما ذكر مطلوب موضوعه الذى هو كل بيت القصيد للوصول منه إلى قلب الموضوع بعينه . وهذا المطلوب هو أن ملكى صادق فى كهنوته :

« مشبه بابن الله »

وقد رأينا فى هذا القول سابقاً دليلا على أن ملكى صادق ليس هو ابن الله وإلا لما كان مشبهاً به . وبحسب ما يقتضيه التشبيه لابد أن يكون المشبه به أعظم من المشبه وهذا هو سر تلقيب المسيح هنا « بابن الله » لإظهار مقامه الإلهى ، وفى ذات الوقت لإعلان عظمته على ملكى صادق رغم ما رأيناه من سمو تلك الشخصية الفذة فى العهد القديم فإن شخصية ابن الله ، ولابد ، أعظم .

أما وجه الشبه المشار إليه فمزدوج سلباً وإيجاباً : حيث نرى الوجه السلبي فى ألفاظ سابقة . والوجه الإيجابى فى ألفاظ لاحقة : أما ألفاظ الوجه السلبي السابقة فهى :

« بلا أب ، بلا أم ، بلا نسب ، لا بداءة أيام له ، ولا نهاية حياة » :

هذه الألفاظ هى التى جعلت البعض يرفعه فوق البشرية ، باعتبار كونها ألفاظاً لا تنطبق على بشر ما :

على أننا نرى أن نفس غرابتها فى نسبتها إلى بشر تجعل فيها سراً عجيباً يصلح أن يكون رمزاً لسر أعجب . وحيث أنه لم يذكر لملكى صادق فى التاريخ المقدس نسب ما ، مع أن جميع الآباء ذكرت أنسابهم . وفى ذكر الأنساب ذكر الميلاد وتاريخه ، والموت وتاريخه : وحيث أن ذكر الميلاد يستلزم ذكر الأب والأم وبداءة الحياة ، وحيث أن ذكر الموت هو ذكر نهاية الحياة (انظر تك ٥ و ١١ : ١٠ — ٣٢) ، يكون المقصود إذاً أن ملكى صادق ليس له نسب بين أنساب آباء العهد القديم مطلقاً .

وحيث قد رأينا أن الموضوع الأساسي الذى أمامنا هو «كهنوت المسيح على رتبة ملكي صادق» : وحيث كان للأنساب الكهنوتية ضرورتها فى تقلد تلك الوظيفة لدرجة معها أن الذين فى أيام عزرا رذلوا من الكهنوت إذ فتشوا على كتابة أنسابهم فلم توجد ، وقيل لهم أن لا يأكلوا من قدس الأقداس (عز ٢ : ٦٢ و ٦٣) . الأمر الذى يدل بوضوح على أن الأنساب الكهنوتية اللاوية كانت تحفظ بدقة . فمن هرون تسلسلت أنساب بنى لاوى إلى أن أبطل كهنوتهم : وحيث أن الرسول يثبت فى (عد ٦) عن « ملكي صادق » أنه ليس له نسب من بنى لاوى أى أنه لم يذكر أنسابهم الكهنوتية ؛

بناء على كل ذلك يكون المقصود بهذه الألفاظ عدم ورود ذكر ما لتاريخ نسبه أو حياته . سواء أكان بين أنساب الآباء عامة أو أنساب الكهنة خاصة ، فقد ظهر على صفحات التاريخ كما لو كان شخصاً نزل من السماء بغتة وملك فى ساليم وكان كاهناً لله العلى دون أن يذكر له أب أو أم أو متى بدأ أو متى انتهى ، وفى كل هذا هو « مشبه بابن الله » . هذا هو الوجه السلبي فى الشبه .

أما الوجه الإيجابي فيه فقد ذكر في الألفاظ اللاحقة للقول « مشبه بابن الله» التى هى :

« هذا يبقى كاهناً إلى الأبد » :

وهو القول الإيجابي لذات القول السلبي « لا نهاية حياة » . فبما أنه لم تذكر له نهاية حياة فبالتالى لم تذكر له نهاية كهنوت . وفى هذا أيضاً هو « مشبه بابن الله » الذى قيل عنه « أقسم الرب ولن يندم أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق » (مز ١١٠ : ٤) ؛ وهنا مركز الدائرة فى كل الموضوع : غرض الرسول أن يثبت أنه يوجد فى الكتب المقدسة قبل رسم الكهنوت الهرونى ، مثال رمزى لكهنوت لا يتغير ، أبدى ، كما سيبينه بوضوح واثبات .

عد ٤ — ١٠ : فى هذه الآيات يتكلم الرسول عن نسبة ملكي صادق إلى بنى لاوى بانياً كلامه على تلك المقابلة التى صارت بين ملكي صادق وابراهيم بعد رجوعه من كسرة الملوك . وهى المقابلة التى أشار إليها فى الآيات السابقة . وفيها يرينا ابراهيم ،

يوم تمت المقابلة ، فى حركة اعتراف بسمو ملكى صادق عليه وبالتالى على بنى لاوى الذين كانوا فى صلبه . وفى هذا السمو يضع أساساً لا ينقض لسمو الكهنوت الملكيصادقى على الكهنوت اللاوى ، وبالتالى لسمو كهنوت المسيح على كهنوت هرون .

أما هذا السمو فيتبين من أمرين تما فى تلك المقابلة المشار إليها وهما : (ا) إعطاء ابراهيم عشراً من رأس الغنائم لملكى صادق . وبعبارة أخرى أن ملكى صادق « عشر ابراهيم » وفى هذه المناسبة يدعى ابراهيم « رئيس الآباء » : (ب) قبول ابراهيم بركة من ملكى صادق فيها نرى ملكى صادق يبارك ابراهيم . وفى هذه المناسبة يدعى ابراهيم « الذى له المواعيد » وفى كل ذلك يوقفنا الرسول أمام أعظم شخصيتين متعاصرتين فى العهد القديم هما ابراهيم وملكى صادق . ويرينا ابراهيم يعطى العشر ويأخذ البركة . وملكى صادق يأخذ العشر ويعطى البركة فمن منهما أعظم ؟ — هذا سؤال يجيب عليه الرسول مبتدئاً بالقول :

« ثم انظروا ما أعظم هذا » :

أى « ملكى صادق هذا » الذى تكلم عن شخصيته منتقلا بالقراء بلفظ « ثم » إلى عظمته ، موجهاً النظر إليها بالقول : « انظروا » (ص ٣ : ١) ، معجباً بها فى صيغة التعجب « ما أعظم » هذا :

« الذى أعطاه ابراهيم رئيس الآباء عشرا أيضاً من رأس الغنائم » :

وفى (تك ١٤ : ٢٠) قيل « فأعطاه عشراً من كل شيء » . وهذا ما يوضحه الرسول هنا فى القول « رأس الغنائم » وهو تعبير يوجه فكرنا إلى ما اغتنمه ابراهيم فى حربه مع الملوك الأربعة (انظر تك ١٤ : ١١ و ١٦) . ويضع أمامنا تلك الغنائم أكداساً مكدسة ، عرماً مكومة ، استعداداً ليأخذ كل واحد نصيبه منها . ولكن قبل أن توزع يفرز عشرها للرب . وهذه كانت عادة متبعة أيضاً عند الوثنيين الذين كانوا يقدمون لآلهتهم عشرا من غنائم حروبهم .

أما « رأس الغنائم » فيقصد بها أفضل ما فى تلك الأكداس بمقتضى شريعة التقدمات للرب كما قيل : « أكرم الرب من مالك ومن كل باكورات غلتك » (أم ٣ : ٩ انظر خر ٢٣ : ١٩) . وكما قدم هابيل من أبكار غنمه ومن سمانها (تك ٤ : ٤) ، هكذا قدم ابراهيم ، بصفة كونه مالكاً لتلك الغنائم ، بحق اغتنامها فى الحرب ، عشرها من أفضل ما فيها ، لملكى صادق . ليس كصديق لصديقه ، بل بوصف كونه كاهن الله العلى ، يقف بين يديه متعبداً للرب بكل خشوع وتقوى اعترافاً منه بسمو تلك الشخصية العجيبة عليه بالنسبة لتلك الوظيفة الكهنوتية التى كان يسمو بها فوق جميع بنى البشر .

مما يزيد هذا السمو بهاء ومجداً وجلالا أمران هما :

(ا) أن ابراهيم الذى أعطاه العشر هو « رئيس الآباء » وفى الأصل « بطريرك » وهى كلمة استعملتها السبعينية للتعبير عن رأس العائلة فصارت بعد ذلك للتعبير عن رأس الأمة . وإن كنا نقرأ عن « رئيس الآباء داود » . وعن « رؤساء الآباء الاثنى عشر» أولاد يعقوب . وعن رؤساء الآباء يعقوب واسحق وابراهيم (أع ٢ : ٢٩ ، ٧ : ٨ و ٩) ، يكون ابراهيم رأسهم جميعاً ورئيسهم لأنه منشىء تلك الأمة وأصلها .

(ب) يزيد تلك العظمة أيضاً بهاء وجلالا ومجداً أن ابراهيم أعطاه عشراً ، وهو راجع من كسرة الملوك ، منتصراً ظافراً مسترجعاً جميع الغنائم من مال وبشر . وفى نشوة انتصاره هذا ، وفى مجد ظفره ، يتعبد بين يدى ملكى صادق . فانظروا ما أعظم ملكى صادق هذا ككاهن أعلى من ابراهيم وبالتالى أعلى من الذين هم من بنى لاوى !

« وأما الذين هم من بنى لاوى الذين يأخذون الكهنوت » :

« أما » أخذ العشور ، وما يترتب عليه من عظمة ، فهذا يمكن الاستدلال عليه بما جاء فى الناموس عنه (وأفضل استدلال يقوم على ما يدين به القوم) . أما ما جاء فى الناموس عن هذا الموضوع فهو عن :

« الذين هم من بنى لاوى الذين يأخذون الكهنوت » . لأنه وإن كان الكهنة من سبط لاوى ، ولكن ليس كل سبط لاوى كهنة . وهذا يبين سمو مقام الكهنوت من

هذه الناحية . فليس كل نسل ابراهيم كهنة ، ولا حتى كل سبط لاوى المفرز . بل كان هذا امتيازاً خاصاً انحصر فى بيت واحد من ذلك السبط ، من ذلك النسل ، هو بيت هرون ، كما سبق القول (انظر عد ١٦ : ٩ و ١٠) . وهؤلاء هم الذين :

« لهم وصية أن يعشروا الشعب بمقتضى الناموس » :

وهى الوصية التى أوجبت على الشعب تقديم العشور بالقول : « كل عشر الأرض . هو للرب . قدس للرب » (لا ٢٧ : ٣٠ اقرأ إلى عد ٣٣ ، تث ١٤ : ٢٢ — ٢٩) . فإذا لم يقم الشعب بهذه الوصية ، يسمع قول الرب : « سلبتمونى . . . فى العشور والتقدمة . قد لعنتم لعناً وإياى أنتم سالبون » (ملا ٣ : ٨ و ٩ . اقرأ إلى عد ١٢) . لذلك كان على كل فرد من الشعب أن يحرص على تنفيذ هذه الوصية حتى يقول أمام الرب إلهه « قد نزعت المقدس من البيت » (تث ٢٦ : ١٣ . اقرأ من عد ١٢ — ١٥) .

هذه العشور « بمقتضى الناموس » كانت تعطى لبنى لاوى كسبط مفرز لخدمة بيت الرب . وبنو لاوى من جميع عشورهم التى يأخذونها من بنى إسرائيل يرفعون رفيعة الرب عشرا من العشر لهرون الكاهن (اقرأ عد ١٨ : ٢١ — ٣٢) وبهذا يتم القول إن الذين هم من بنى لاوى الذين يأخذون الكهنوت يعشرون الشعب بمقتضى الناموس .

وهذا عينه يوجب على الكهنة ألا يتعدوا هذا الناموس فى تعشير الشعب مراعين حدود الوصية فلا يدنسون أقداس الرب فيحتقرونه كما فعل بنو عالى الذين كانوا بنى بليعال فلم يعرفوا الرب ولا حق الكهنة من الشعب ، فكانت خطيتهم عظيمة جداً أمام الرب . لأن الناس استهانوا تقدمة الرب (١ صم ٢ : ١٢ — ١٧) .

ولكن من هو الشعب الذى منه يأخذ الكهنة الأعشار ؟ يجيب الرسول على السؤال بالقول :

« أى اخوتهم الذين خرجوا من صلب ابراهيم » :

وعلى هذه النسبة ينير الرسول واضعاً أهمية عظمى لتثبيت الغرض الذى أمامه فى الموضوع . أى أن هؤلاء الكهنة الهرونيين اللاويين لم يكونوا فى نسبهم أشرف من

الشعب الذين يعشرونهم . فجميعهم من صلب أب واحد ، وعلى مستوى بنوة واحدة ، بالنسبة لذلك الأب الذى هو ابراهيم الذى منه اسحق الذى منه يعقوب أبو الإثنى عشر. إذاً لم يكن شىء ليرفع هؤلاء الكهنة على اخوتهم إلا تلك الوظيفة الكهنوتية التى ميزهم الرب باختياره إياهم للقيام بها . وهذه الرفعة واضحة فى أخذ الأعشار منهم .

« ولكن الذى ليس له نسب منهم قد عشر ابراهيم » :

أى ملكى صادق الذى : « ليس له نسب منهم » أى من بنى لاوى ، إذ ليس له اسم فى جدول أنسابهم الكهنوتية ، ولا يمكن أن يكون ، ما دام لم يذكر له نسب على الاطلاق (انظر شرح عد ٣). ولم يكن لاوى نفسه قد وجد بعد ، يوم ظهر ملكى صادق على مسرح التاريخ . إذاً بأى حق؟ وبمقتضى أى ناموس ؟ يكون ملكى صادق قد :

« عشر ابراهيم » : إن الناموس لم يكن بعد قد أعطى ، فلابد إذاً أن يكون ملكى صادق قد أخذ من ابراهيم العشر بحق الدعوة الإلهية والامتياز الكهنوتى الخاص الذى منحه إياه الله بدون نسب كما رأينا وبهذا يسمو كهنوت ملكى صادق على كهنوت هرون ، ويزيده سمواً أنه

« بارك الذى له المواعيد :

(انظر عد ١) : ويعطينا (تك ١٤ : ١٩ و ٢٠) صيغة البركة فى قول ملكى صادق « مبارك أبرام من الله العلى مالك السموات والأرض . ومبارك الله العلى الذى أسلم أعداءك فى يدك » والجزء الأول من البركة هو الذى يقصده الرسول كما تدل عليه القرينة . وقد رأينا الله ذاته تعالى يبارك أبرام قائلا « إنى لأباركنك بركة » (انظر شرح ٦ : ١٤) . ومن غير الله يبارك ؟ فهو الذى ، إذ دعا أبرام ، وعده قائلا « أباركك .. وأبارك مباركيك » (تك ١٢ : ١ — ٣) . وإن كان الله قد وعد أبرام بالبركة ، فيكون ملكى صادق قد بارك :

« الذى له المواعيد » :

الذى هو أبرام ، وتكون مباركة ملكى صادق له طبقاً للمواعيد التى له وإتماماً لها . ويكون ملكى صادق نفسه فى مباركته لأبرام ، قد قام مقام الله فى إتمام تلك المواعيد بوصف كونه « كاهن الله العلى » يؤدى طقساً من طقوس وظيفته الكهنوتية كما جاء فى قول الله لموسى : «كلم هرون وبنيه قائلا : « هكذا تباركون بنى إسرائيل قائلين لهم : « يباركك الرب ويحرسك . يضىء الرب بوجهه عليك ويرحمك .يرفع الرب وجهه عليك ويمنحك سلاماً » . فيجعلون اسمى على بنى إسرائيل وأنا أباركهم » (عد ٦ : ٢٣ — ٢٧) وعلى هذا المثال يبارك خدام الإنجيل الشعب كجزء من خدمتهم المقدسة .

« وبدون كل مشاجرة الأصغر يبارك من الأكبر » :

فهذه قضية لا خلاف فيها وقاعدة صحيحة لا قبل لليهود على إنكارها . على أن الصغر والكبر لا يقصد بهما السن بمقدار ما يقصد بهما المقام والرتبة كما وهب الله . بحسب هذا القصد بارك يعقوب وموسى الأسباط (تك ٤٩ ، تث ٣٣) . وكان يبارك الكهنة الشعب ، كما رأينا ، . وعلى هذه القاعدة يكون يعقوب أعظم من فرعون لأنه باركه عند وقوفه أمامه وعند خروجه من لدنه (تك ٤٧ : ٧ و ١٠) . ويكون ملكى صادق على هذه القاعدة أعظم من ابراهيم .

خلاصة القول هى أن ملكى صادق ، قام بتأدية وظيفته الكهنوتية ، فى أثناء استقباله لابراهيم ، فى أمرين جوهريين هما : أخذ العشور من ابراهيم : ومباركته إياه . وفى كلا الأمرين إعلان بسمو ملكى صادق ككاهن أعلى من ابراهيم ، وبالتالى أعلى من بنى لاوى الذين يقابل بينهم وبين ملكى صادق فى أخذ العشور ككهنة فى :

عد ٨ : حيث نجد المقابلة بين(١) « هنا » و « هناك » (٢) بين « أناس مائتون » و « المشهود له بأنه حى » :

« هنا . . . هنـــاك » :

وكلاهما اسم إشارة للمكان . ولكنهما هنا يشيران إلى الأمرين المختلفين اللذين تحت النظر . « كما لو قلنا من الجانب الواحد » معبراً عنه فى « هنا » ، و« من الجانب الآخر » معبراً عنه فى « هناك » . فمن الجانب الواحد أمامنا :

« أناس مائتون » :

وهم الكهنة اللاويون الذين « يأخذون عشراً » من إخوتهم ، فهم نظيرهم تحت سلطان الموت الجسدى يموتون الواحد بعد الآخر . وقد رأينا هرون أولهم وكبيرهم وقد مات وقام ابنه ألعازار بعده ، وهذا أيضاً مات وأخذ ابنه وظيفته من بعده . وهكذا من أجل منعهم بالموت عن البقاء صاروا كهنة كثيرين (انظر شرح عد ٢٣). وبذلك صارت وظيفتهم الكهنوتية وقتية .

هذا من الجانب الواحد « هنا » . أما من الجانب الآخر « هناك » :

« فالمشهود له بأنه حى » :

فهذا أيضاً « يأخذ عشراً » والكلام عن « ملكى صادق » الذى أخذ عشراً من ابراهيم . وقد قيل عنه فى (عد ٤) : « هذا يبقى كاهناً إلى الأبد » (انظر الشرح هناك) . ولكن من شهد عن ملكى صادق بأنه حى ؟ وأين ؟ . هى شهادة العهد القديم ، كما أشرنا ، على أننا لا نرى فى تاريخ ملكى صادق هذه الشهادة ، إلا وراء حجاب الصمت العميق الذى يخفى بداءة أيامه ونهاية حياته (عد ٣) . الصمت الغير المعتاد فى حياة الكهنوت ، الصمت الذى رأيناه فى حياة ملكى صادق أفضل رمز لأبدية كهنوت المسيح (انظر شرح عد ٢٤) . وفيه نرى هنا دليلا آخر على سمو كهنوت ملكى صادق على الكهنوت اللاوى وفوق ذلك لنا فى :

عد ٩ و ١٠ : دليل آخر استخلصه الرسول من أخذ ملكى صادق العشور من لاوى . ويمكننا أن نقرأ هذين العددين بعد (عد ٤) مباشرة ، معتبرين (عد ٥—٨) كلاماً معترضاً بين (عد ٤ و ٩) . كأننا نقرأ « ثم انظروا ما أعظم هذا الذى أعطاه ابراهيم أيضاً عشراً من رأس الغنائم » . . .

« حتى أقول كلمة » الخ :

وهذا القول ذاته جملة معترضة قد يقصد بها توجيه النظر إلى ما سيقال بعد وتلطيف شدة التعبير عنه ، أو عن ما يتضمنه من حقيقة قد تكون مرة فى ذاتها . كما لو قال « والآن اسمحوا لى أن أقول كلمة أيضاً » .

أما الحقيقة التى يريد أن يقررها فهى :

« أن لاوى أيضاً الآخذ الأعشار :

بمقتضى الوصية باعتباره سبط الكهنوت . وبالتالى هرون وذريته باعتبار كونهم بيت الكهنوت الذى كان يأخذ الأعشار من سائر الأسباط — لاوى هذا نفسه :

« عشر فى إبراهيم . لأنه كان بعد فى صلب أبيه حين استقبله ملكى صادق » :

باعتبار كونه واحداً من الأسباط الإثنى عشر الذين خرجوا من صلب ابراهيم (انظر شرح عد ٥) . وهنا يتجلى أمامنا المبدأ النيابى المجيد الذى يتغلغل فى كل تعليم الكتاب منذ آدم ، الذى فيه سقط جميع الجنس البشرى ، الذى كان هو نائباً عنه أمام الله ، قبل أن يولد منه : « من أجل ذلك كأنما بانسان واحد دخلت الخطية إلى العالم وبالخطية الموت وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع » . وهكذا إلى المسيح الذى ببره النيابى تبرر الكثيرون . « لأنه كما بمعصية الإنسان الواحد جعل الكثيرون خطاة هكذا أيضاً باطاعة الواحد سيجعل الكثيرون أبراراً » (اقرأ رو ٥ : ١٢ — ٢١) . أو ليس هذا المجرى من ذلك الينبوع ؟ وهذه الأغصان من ذلك الأصل ؟ وهذا الأصل فى تلك البذرة ؟ . ففى صلب آدم كان كل نسله . وفى سقوطه سقطوا جميعهم سقوطاً أعمق مما تصل إليه مجرد فكرة الحسبان الغاصبة ، إذ يصل إلى عمق الفساد الذى لا يستأصل ، وقد احتل قلب الجنس البشرى الذى كان فى صلب آدم حين استقبله الشيطان فى جنة عدن .

على هذا المبدأ نرى ابراهيم هنا باعتبار أنه رأس جنس مختار ناب عنه فى أخذ المواعيد من الله . وفى كل ما يتعلق بمصير العالم المعلق به . وفى صلبه كان هذا الجنس

« حين استقبلة ملكى صادق » فأعطاه ، بصفة كونه أبا لهذا الجنس ، نائباً عنه فى العهد ، عشراً من كل شيء . وعلى هذا المبدأ يقال بحق إن لاوى وهو فى صلب إبراهيم أعطى العشر لملكى صادق معترفاً بكهنوته وبسموه على الكهنوت اللاوى . وهذا ما سنراه بأكثر تحقيق وإيضاح فى :

٢ — ضعف الكهنوت اللاوى وعدم نفعه (عد ١١ — ١٩) :

١١ فَلَوْ كَانَ بِالْكَهَنُوتِ ٱللاَّوِيِّ كَمَالٌ . إِذِ ٱلشَّعْبُ أَخَذَ
ٱلنَّامُوسَ عَلَيْهِ . مَاذَا كَانَتِ ٱلْحَاجَةُ بَعْدُ إِلَى أَنْ يَقُومَ كَاهِنٌ آخَرُ
عَلَى رُتْبَةِ مَلْكِي صَادَقَ وَلَا يُقَالُ عَلَى رُتْبَةِ هٰرُونَ . ١٢ لِأَنَّهُ إِنْ
تَغَيَّرَ ٱلْكَهَنُوتُ فَبِالضَّرُورَةِ يَصِيرُ تَغَيُّرٌ لِلنَّامُوسِ أَيْضًا . ١٣ لِأَنَّ
ٱلَّذِي يُقَالُ عَنْهُ هٰذَا كَانَ شَرِيكاً فِي سِبْطٍ آخَرَ لَمْ يُلَازِمْ أَحَدٌ
مِنْهُ ٱلْمَذْبَحَ . ١٤ فَإِنَّهُ وَاضِحٌ أَنَّ رَبَّنَا قَدْ طَلَعَ مِنْ سِبْطِ يَهُوذَا
ٱلَّذِي لَمْ يَتَكَلَّمْ عَنْهُ مُوسَى شَيْئًا مِنْ جِهَةِ ٱلْكَهَنُوتِ . ١٥ وَذٰلِكَ
أَكْثَرُ وُضُوحاً أَيْضًا إِنْ كَانَ عَلَى شِبْهِ مَلْكِي صَادَقَ يَقُومُ كَاهِنٌ
آخَرُ ١٦ قَدْ صَارَ لَيْسَ بِحَسَبِ نَامُوسِ وَصِيَّةٍ جَسَدِيَّةٍ بَلْ بِحَسَبِ
قُوَّةِ حَيٰوةٍ لَا تَزُولُ . ١٧ لِأَنَّهُ يَشْهَدُ أَنَّكَ كَاهِنٌ إِلَى ٱلْأَبَدِ عَلَى
رُتْبَةِ مَلْكِي صَادَقَ .

١٨ فَإِنَّهُ يَصِيرُ إِبْطَالُ ٱلْوَصِيَّةِ ٱلسَّابِقَةِ مِنْ أَجْلِ ضَعْفِهَا وَعَدَمِ
نَفْعِهَا . ١٩ إِذِ ٱلنَّامُوسُ لَمْ يُكَمِّلْ شَيْئاً . وَلٰكِنْ يَصِيرُ إِدْخَالُ
رَجَاءٍ أَفْضَلَ بِهِ نَقْتَرِبُ إِلَى ٱللهِ .

فى (عد ١ — ٤) أبرز لنا الرسول شخصية ملكى صادق ، وسمو رتبته الكهنوتية على الرتبة اللاوية ، تمهيداً لإظهار سمو المسيح ككاهن على هرون ، بوصف كونه « مدعواً من الله رئيس كهنة على رتبة ملكى صادق » (ص ٥ : ١٠) وفى هذه الآيات يبين لنا ضعف الكهنوت اللاوى وعدم نفعه وضرورة تغيره ، وبالتالى ضعف الناموس المبنى عليه وعدم نفعه وضرورة تغيره ، تمهيداً لإدخال رجاء أفضل به نتقدم إلى الله . فيه يتبين سمو رتبة العهد الجديد على رتبة العهد القديم ، وأفضلية الديانة المسيحية على الديانة اليهودية . باعتبار كونها الحقيقة التى أشارت إليها جميع الرموز والطقوس اليهودية والأقوال النبوية ، وتمت كلها فيها ، وهو موضوع الرسالة الجوهرى الذى جعله الرسول أساساً لبحثه للوصول إلى غرضه فى توطيد العبرانيين فى إيمانهم المسيحى فلا يرتدون عنه كما بينا فى صفحة ١١ من الجزء الأول .

الرسول فى كلامه هنا :

١ — بين الارتباط الكلى الكائن بين الكهنوت اللاوى والناموس الموسوى ، ارتباطاً يجعل فى تغير الكهنوت بالضرورة ، تغيراً للناموس (عد ١١ و ١٢) .

٢ — دلل على أن الكهنوت قد تغير فعلا ، إذاً فالناموس قد تغير ، ولابد (عد ١٣ — ١٧) .

٣ — أثبت ضرورة إدخال رجاء أفضل ، ما دام الأمر كما توضح (عد ١٨ و ١٩) .

عد ١١ و ١٢ : فى هاتين الآيتين يضع الرسول قاعدة أساسية يبنى عليها تغير الكهنوت فتغير الناموس فى قوله :

« فلو كان بالكهنوت اللاوى كمال » :

الفاء فى « فلو » بمثابة « ثم » فى (عد ٤) بها انتقل الرسول فى كلامه إلى فكر جديد فى موضوع الكهنوت استخلصه من الكلام السابق عن :

« الكهنوت اللاوى » وهو كهنوت هرون وبنيه بوصف كونهم من بنى لاوى ابن يعقوب ، السبط الذى أفرز لخدمة بيت الرب ، ومنهم أفرز بيت هرون لخدمة الكهنوت ، بيت هرون بن عمرام بن قهات بن لاوى (خر ٦ : ١٦ — ٢٣ ، عد ١ : ٤٩ — ٥٣ ، خر ٢٨ : ١ و ٢) .

فى سبط لاوى إذاً ، وفى بيت هرون ، أقام الله الكهنوت اللاوى لغرض أشار إليه الرسول فى قوله « فلو كان بالكهنوت اللاوى » .

« كمال » : فالكمال هو الغرض الأساسى الإلهى فى إقامة الكهنوت . أى أن « يكمل الذين يخدمون » (انظر شرح ٩ : ٩) ليخدموا الله الحى ، مطهرة ضمائرهم من أعمال ميتة ، خدمة مرضية بخشوع وتقوى ، مقدمين أجسادهم ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله (عب ٩ : ١٤ ، ١٢ : ٢٨ ، رو ١٢ : ١) مولودين ثانية لرجاء حى ، لميراث لا يفنى « لا من زرع يفنى بل مما لا يفنى ، بكلمة الله الحية الباقية إلى الأبد » (١ بط ١ : ٣ و ٤ و ٢٣) . (راجع عملية التكميل التى تكلمنا عنها فى الجزء الأول فى شرح ص ٢ : ١٠ .

هذا هو « الكمال » الذى قصد الرسول أن يثبت أن « الكهنوت اللاوى » عجز عنه فلم يؤد الغرض الذى لأجله أقيم . فكان لابد من إقامة كهنوت غيره يؤدى الغرض المقصود . على أنه قبل الوصول إلى هذه النتيجة كشف الرسول عن العلاقة بين الكهنوت اللاوى والناموس الموسوى فى القول عن الكهنوت :

« إذ الشعب أخذ الناموس عليه» :

هذه جملة معترضة ، ولابد . لأن جواب « فلو » فى الجملة السابقة لا نجده إلا فى الجملة التالية . وإذا رفعنا هذه الجملة المعترضة وقرأنا بدونها ، هكذا : « فلو كان بالكهنوت اللاوى كمال . ماذا كانت الحاجة بعد إلى أن يقوم كاهن آخر » تكون القراءة طبيعية ولا يختل المعنى .

إلا أن لهذه الجملة المعترضة مكانها فى وضع قاعدة الكلام فى (عد ١٢ و ١٨ و ١٩) . وتكون كلمة : —

« إذ » رابطة لهذه الجملة وما قبلها ، ومبينة الارتباط الكائن بين الكهنوت والناموس .

« إذ الشعب أخذ الناموس عليه » : أى على الكهنوت . وكيف يكون ذلك ونحن نعلم من تاريخ الكتاب المقدس أن الناموس قد أعطى قبل نظام الكهنوت ؟ لأن هرون لم يدع ولم يفرز لخدمة الكهنوت إلا بعد أن نزل موسى من الجبل ومعه االوحان فى المرة الثانية (خر ٣٢ و ٣٤ ، ٤٠ : ١٢ — ١٤) . هذا سؤال يمكن الإجابة عليه إذا نظرنا إلى نقطتين جوهريتين هما :

(١) صيغة الكلمة الأصلية المترجمة « أخذ الناموس ». (ب) الناموس فى ذاته .

(١) « أخذ الناموس » : هذه العبارة وردت فى الأصل كلمة واحدة فى صيغة المبنى للمجهول للدلالة على وقوع الفعل على الشعب لا منه . فهى ، والحالة هذه ، تقع موقع الكلمة العربية إنمس (بتشديد النون) أى دخل فى الناموس وانغل فى ستره ، أى جعل تحت سلطانه ومطاليبه . فيكون الشعب ، بهذا المعنى ، قد «أخذالناموس ، لا باعتبار تقبله إياه عند جبل سيناء (تث ٤ : ١ — ٤) ، بل باعتبار دخوله عملياً فى تنفيذ مطاليبه والطاعة لسلطانه .

(ب) أما « الناموس » فى ذاته فيمكن اعتباره من ثلاث نواح : (١) من ناحية كونه ناموساً أدبياً وهو الوصايا العشر التى كتبها الرب بأصبعه على لوحى الحجر (خر ٢٠ : ١ — ١٧ ، ٣٤ : ١ — ٤) ، (٢) من ناحية كونه ناموساً مدنياً متعلقاً بحكومة الشعب ونظامه القضائى (خر ٢١ و ٢٢ و ٢٣ ، (٣) من ناحية كونه ناموساً طقسياً متعلقاً بالنظام الكهنوتى .

وهو أمر معلوم أن الناموس من الناحيتين الأوليين أى الناموس الأدبى والقضائى أعطى قبل الناموس الطقسى المتعلق بالكهنوت الذى لم يعط إلا بعد إقامة الخيمة وبعد

فرز هرون وبنيه لرتبة الكهنوت حيث نراه أعطى بجملته من خيمة الاجتماع (لا ١ : ١ و ٢) . فيكون معنى القول إن « الشعب قد أخذ الناموس » على الكهنوت ، لا باعتبار الترتيب التاريخى بل باعتبار التنفيذ العملى الذى لم يتم إلا بعبادة الله التى هى جوهر الناموس بجملته التى تقوم على النظام الكهنوتى فى فرائض العبادة وطقوسها وذبائحها وكل متعلقاتها للاقتراب إلى الله . وهو النظام الذى كان يعلق عليه الشعب رجاءه فى التكفير عن خطاياه التى يخطىء بها إليه فى تعدى الناموس وعصيانه . لذلك يكون النظام الكهنوتى هو الأساس المقصود أزلا . وعليه أعطى الناموس وأخذه الشعب إذ أنه عليه يبنى عملياً ولو تقدم عليه تاريخياً .

بعد أن أثبت الرسول الارتباط الكائن بين الكهنوت والناموس فى هذه الجملة المعترضة عاد إلى الكلام عن الكهنوت اللاوى الذى بدأ به قبلا قائلا : « فلو كان بالكهنوت اللاوى كمال » :

« ماذا كانت الحاجة بعد إلى أن يقوم كاهن آخر :

وهو سؤال مبنى على أمر واقع ، كان وقت كتابة الرسالة ، وهو أن كاهناً آخر غير هرون وبنيه كان موجوداً حقاً وقائماً فعلا فى رتبة كهنوتية غير الرتبة اللاوية ، وبالنسبة لهذا الأمر الواقع يحقق الرسول أن الكهنوت اللاوى لم يتمم الغرض من إقامة الكهنوت ، وأن الحاجة ماسة لإتمام ذلك الغرض الذى هو الكمال المشار إليه سابقاً ، لذلك كان لابد لإتمامه من « أن يقوم كاهن آخر » :

« على رتبة ملكى صادق . ولا يقال على رتبة هرون » :

أى أن هذا الكاهن الآخر ، لما دعى إلى رتبته الكهنوتية بصوت نبوة العهد القديم (مز ١١٠ : ٤) ، لم يقل له : « أنت كاهن على رتبة هرون ، وهى الرتبة التى كانت قائمة فى زمان تلك النبوة . بل قيل له : « أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكى صادق » وبهذا شهد العهد القديم بقيام هذا الكاهن الآخر شهادة لا يمكن أن ينكرها العبرانيون ، وليس لهم إلا أن يقدسوها ، وبها تدعم حجة الرسول لديهم ، وتثبت أمامهم حقيقة تغير الكهنوت ، وبالتالى تغير الناموس :

« لأنه إن تغير الكهنوت فبالضرورة يصير تغير للناموس أيضاً » :

رأينا الكهنوت أساساً بنى عليه الناموس الطقسى المتعلق بالنظام الكهنوتى ورأينا هذا الناموس الطقسى أساساً بنى عليه تنفيذ الناموس الأدبى والناموس المدنى ، ولو أنهما أعطيا قبله ، باعتبار أن الشعب دخل فيهما عملياً عن طريقه . على هذا الاعتبار رأينا الكهنوت أساساً لكل الناموس . وحيث أن الكهنوت تغير بقيام كاهن آخر على غير رتبة هرون ، فبالضرورة يصير تغير للناموس المبنى عليه . وهل يقبل العبرانيون الكلام عن تغير الناموس ؟ ألم تلتهب نار غضبهم على استفانوس مدعين عليه زوراً بأنهم سمعوه يقول « إن يسوع الناصرى هذا سينقض هذا الموضع ويغير العوائد الذى سلمنا إياها موسى » (أع ٦ : ١٤) ؟ أو لم نسمع صراخهم ضد الرسول نفسه قائلين : يا أيها الرجال الإسرائيليون أعينوا . هذا هو الرجل الذى يعلم الجميع فى كل مكان ضد الشعب والناموس وهذا الموضع » (أع ٢١ : ٢٨) ؟ وحتى من اليهود الذين آمنوا كان يوجد منهم ربوة وهم جميعاً غيورون للناموس (أع ٢١ : ٢٠) . وبعضهم لهذا السبب أوجدوا اضطراباً فى الكنيسة وأعاقوا بنيانها بين الأمم . وكم أثير من الاضطهاد بسبب ذلك حتى الدم !

وهل فى ذلك عجب ؟ وآمال اليهودى فى ناموسه كبيرة . وتشبثه بتلك الآمال تشبث الشعب الصلب الرقبة (خر ٣٣ : ٥) ؟ وكيف يتصور اليهودى نقض آماله من أساسها التى يبنيها على الكفارة الكهنوتية وفرائضها المقدسة ؟ وكيف يرضى بنقض ناموس عبادة الإله الحق التى يتفرد بها هو دون سائر الشعوب ؟

ولكن بالرغم من كل ذلك فإن الأمر الواقع هو أن الكهنوت قد تغير : والحقيقة المرة على قلب اليهودى هى أن الناموس الموسوى قد تغير : والموضوع الجوهرى هو أن العهد القديم قد تحول نظامه إلى نظام جديد .

أما التغير المشار إليه فيتضح أمامنا عملياً فى (عد ١٣ — ١٧) فى نقطتين : إحداهما تغير السبط الكهنوتى (١٣ و ١٤) : ثانيتهما تغير الرتبة الكهنوتية (١٥ — ١٧) .

عد ١٣ و ١٤ : فى هاتين الآيتين يوجه الرسول النظر إلى نقل الكهنوت من سبط لاوى إلى سبط يهوذا كدليل على تغير الكهنوت .

« لأن الذى يقال عنه هذا » :

وهو المسيح يسوع « الذى يقال عنه » إنه « لم يمجد نفسه ليصير رئيس كهنة » . « مدعوا من الله رئيس كهنة على رتبة ملكى صادق » . « كاهن آخر على رتبة ملكى صادق ولا يقال على رتبة هرون » (عب ٥ : و ٦ و ١٠ ، ٦ : ٢٠ ، ٧ : ١١) الخ . هذا الذى يقال عنه هذا » :

« كان شريكاً فى سبط آخر » :

أى غير سبط لاوى الذى أفرزه الله من بين أسباط إسرائيل الإثنى عشر . فمع أنه كان لجميع الأسباط ذات الاهتمام المشترك بمصلحة الكنيسة اليهودية ، إلا أنه كان لبعضهم امتيازات خاصة فى خدمتها منحتهم إياها الشريعة وأثبتتها لهم . وهذا ما أثبتته لسبط لاوى ، كما رأينا ، إذ منحته امتياز الكهنوت وحصرته فيه حصراً يخرج جميع الأسباط الأخرى .

وحيث أن المسيح لم يأت من سبط لاوى ، لذلك لم يكن له حق الشركة فى منحة الكهنوت الممتازة لأنه كان من سبط آخر :

« لم يلازم أحد منه المذبح » :

هذا وصف للسبط الآخر ، الذى منه المسيح ، فى نسبته إلى خدمة الكهنوت . فلم يكن لأى واحد من ذلك السبط حق الاقتراب إلى المذبح لتأدية خدمة ما سواء أكان إلى مذبح النحاس لتقديم المحرقات والذبائح للتكفير عن الخطايا ، أم إلى مذبح الذهب لتقديم البخور يصعد إلى العلاء مع صلوات الشعب رائحة زكية يشتمها الرب بالرضى والسرور .

أما هذا السبط بالذات فقد ذكره الرسول فى قوله :

« فإنه واضح أن ربنا قد طلع من سبط يهوذا »

وهذا واضح للجميع من جدول الأنساب . فإن نسبه وارد ، لا بين الأنساب الكهنوتية ، بل بين الأنساب الملكية ، لا من سبط لاوى ، بل من سبط يهوذا (اقرأ سلسلة نسبه فى مت ١ ، لو ٣) وهو أمر واضح أيضاً أنه بحسب الجسد ابن داود كما قال اليهود عنه (مت٢٢ : ٤١ و٤٢) ، وكما قال الملاك جبرائيل (لو ١ : ٣٠ — ٣٣) ، والرسول بطرس (أع ٢ : ٣٠) والرسول بولس (أع ١٣ : ٢٢ و ٢٤ ، رو ١ : ٣) . وهذا ما أثبته العهد القديم (إش ١١ : ١ و ١٠ ، إر ٢٣ : ٥ وغيره) . (قابل تك ٤٩ : ١٠ ، رؤ ٥ : ٥ ، ٢٢ : ١٦) . وقد رأينا كيف أن الملك عزيا أحد أبناء هذا السبط ارتفع قلبه إلى الهلاك يوماً ما فخان الرب إلهه ودخل هيكل الرب ليوقد على مذبح البخور . فضربه الرب بالبرص فطردوه من بيت الرب بدون كرامة (٢ أى ٢٦ : ١٦ — ٢١) وذلك لأنه ليس من سبط لاوى ، بل من سبط يهوذا . ولابد أن الله قصد بهذه الضربة القاسية إعلاناً بأنه لا يمكن أن يشترك أحد من غير السبط اللاوى فى خدمة المذبح طالما الكهنوت اللاوى قائماً . فإذا أقام كاهناً آخر من غير ذلك السبط يكون ذلك إعلاناً آخر بأن ذلك الكهنوت بالضرورة قد تغير وأن تلك الوصية قد أبطلت وبخاصة وقد جاء المسيح من سبط يهوذا :

« الذى لم يتكلم عنه موسى شيئاً من جهة الكهنوت » :

إذاً قد أبطل أيضاً ما قاله موسى ، ولم تعد لوصيته فى شأن الكهنوت قوة ما . وحيث أن المقصود بموسى هنا ، لا شخصيته ، بل ناموسه كما ورد كثيراً فى لغة العهد الجديد قوله : « عندهم موسى والأنبياء » (لو ١٦ : ٢٩ و ٣١ انظر ٥ : ٤٥ ، ٤٦ ، أع ١٥ : ٢١ ، ٢ كو ٣ : ١٥) لذلك تكون كلمة الناموس قد تغيرت بتغير الكهنوت . لأن السبط الذى لم يتكلم عنه الناموس شيئاً من جهة الكهنوت قام منه كهنوت غير الكهنوت اللاوى فيه تغير الكهنوت وصار بالضرورة تغير للناموس .

عد ١٥ — ١٧ : بعد أن أقام الرسول الدليل على تغير الكهنوت فى تغير السبط فى (عد ١٣ و ١٤) جاء فى هذه الآيات بالدليل على تغير الكهنوت فى تغير الرتبة ..

وهذا الدليل ، ولا شك ، مقام على الدليل السابق لأنه حيث يتغير السبط بالضرورة تتغير الرتبة .

« وذلك أكثر وضوحاً أيضاً إن كان على شبه ملكي صادق يقوم كاهن آخر » :

أى أن انتقال الكهنوت من رتبة إلى رتبة أخرى يعتبر دليلا على تغيره « أكثر وضوحاً » من دليل انتقاله من سبط إلى سبط وهذا هو الدليل الذى بدأ به الرسول ، وسار فيه ، ولا يزال يتكلم عنه منبراً عليه معتبراً إياه أعظم دليل لا ينقض يتوقف على إقراره خلاص الكنيسة أو هلاكها . فإن عبادة الله على أساس الكهنوت اللاوى قد وضعها الله ذاته على ذلك الأساس واستمرت فى الكنيسة نحواً من ألف وخمس مئة سنة . وعلى إقامتها أو عدمه كانت تتوقف بركة الله أو غضبه . وكان آخر إنذار فى شأنها قول الله : « اذكروا شريعة موسى عبدى التى أمرته بها فى حوريب على كل إسرائيل الفرائض والأحكام . . لئلا آتى وأضرب الأرض بلعن » (ملا ٤ : ٤ و ٦) وعليه كان الإسرائيليون شديدى التمسك بعبادة الله على هذا الأساس معتبرين إياها أعظم مميز لهم عن أمم الأرض . فكيف ، مع كل هذا ، يسهل على الرسول أن يعلن تغيير كل ذلك دون التدليل عليه بأعظم برهان وأوضح دليل ؟

وأى دليل على ذلك أوضح من قيام كاهن آخر على رتبة ملكي صادق ؟ (انظر شرح ما سبق من هذا الأصحاح) ، ومن أن يكون قيام هذا الكاهن الآخر :

« قد صار بحسب ناموس وصية جسدية » :

فإن المسيح « صار » كاهناً كما صار ملاكاً (١ : ٤) كما أقيم نبياً (٣ : ٢) ، ليس من تلقاء ذاته . إنه لم يمجد نفسه ليصير رئيس كهنة بل الذى قال له « أنت ابنى أنا اليوم ولدتك » كما يقول أيضاً فى موضع آخر « أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق » (انظر شرح ٥ : ٥ و ٦) فقد صار كاهناً :

« ليس بحسب ناموس وصية جسدية » : ولا شك أن الرسول يقصد بهذا التعبير شريعة الكهنوت اللاوى ، أو الطريقة التى بها دعى الكهنة الهرونيون لأول مرة لوظيفتهم

الكهنوتية وتوشحوا بها (خر ٢٨ : ١ و ٢ و ٢٩ ، لا ٨) ودستور النظام الكهنوتى الذى وضع لإثباته والسير بموجبه فى تأدية الخدمة وتقديم العبادة . وهو الذى يسميه الرسول فى (أف ٢ : ١٥) « ناموس الوصايا فى فرائض » وهو « ناموس وصية » :

« جسدية » متعلقة بدهن مسحة . وثياب كهنوتية ، وقرابين وذبائح لا يمكن من جهة الضمير أن تكمل الذين يخدمون إذ أنها ليست سوى دم ثيران وتيوس ورماد عجلة مرشوش على المنجسين يقدس إلى طهارة الجسد . وهى قائمة بأطعمة وأشربة وغسلات مختلفة وفرائض جسدية فقط موضوعة إلى وقت الإصلاح (انظر شرح ٩ : ٩ — ١٤) . وجميعها أشياء مادية متعلقة بالجسد والجسديات والأمور الخارجية التى لا ينطبق عليها القول :

« بحسب قوة حياة لا تزول » :

بالمقابلة بين هذا القول وما سبقه يبرز معناهما واضحاً ، فيتجلى أمامنا ناموس الوصية الجسدية ضعفاً إزاء « قوة » . وموتاً إزاء « حياة » . ونهاية إزاء « قوة حياة لا تزول » . وإن كان ناموس الوصيةالجسدية هو كهنوت هرون، تكونقوة الحياة التى لا تزول هى كهنوت المسيح . وكل ذلك يطابق ما رأينا من المقابلة بين بنى لاوى وبين ملكى صادق ، كرمز للمسيح ، التى فيهاظهربنولاوىأناساًمائتين ، وظهر ملكى صادق مشهوداً له بأنه حى لابداءة أيام له ولا نهاية حياة ، الأمر الذى يتلألأ بلمعان باهر فى المزمور إليه الحى له فى ذاته « قوة حياة » فيحمل الكهنوت ، لا بنسبته إلى سبط مائت ، بل بقوة حياة القيامة من الأموات التى بها ظفر بالموت فلا يسود عليه الموت بعد (رو ٦ : ٩) . بل بقوة حياة السلطان الذى له منذ ولادته فى الأرض ، السلطان الذى به يضع حياته ليأخذها أيضاً ، ليس أحد يأخذها منه بل يضعها هو من ذاته ويأخذها هو بذاته (يو ١٠ : ١٧ و ١٨) . بل بقوة حياة اتحاده بأقنومه الإلهى التى بها له حياة فى ذاته (يو ٥ : ٢٦) .

بقوة هذه الحياة التى لا تزول هو كاهن إلى الأبد حى فى كل حين :

« لأنه يشهد أنك كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق :

وهي الشهادة التي نطق بها الله ونقلها إلينا المرنم بالقول : « أقسم الرب ولن يندم أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق » (مز ١١٠ : ٤) . وهي الشهادة التي رأيناها معلنة من السماء طبيعة كهنوت المسيح الأسمى في أبدية مرموز إليها في كل ما أشرنا إليه سابقاً .

عد ١٨ و ١٩ : إذ أثبت الرسول تغير الكهنوت اللاوي وتغير شرائعه نظرياً وعملياً ، نجده الآن في هاتين الآيتين يقرر ، بعبارات واضحة قاطعة ، النتائج الكلية لهذا التغير . وفيها نجد النقطة المركزية التي يدور عليها كل هذا الأصحاح وهي أن الكهنوت والناموس ، بوصف كونهما عاجزين عن القيام بالعمل المقصود ، قد أزيلا من الطريق ليعطيا مكاناً لرجاء أفضل ، به نقترب إلى الله الذي نحن بعيدون عنه روحياً .

« فإنه يصير إبطال الوصية السابقة من أجل ضعفها وعدم نفعها » :

الوصية هنا هي الوصية السابقة للانجيل والعهد المسيحي ، وهي الناموس في (عد ١٢) الذي فيه يتكلم عن « تغير للناموس » . . أما هنا فيتكلم عن « إبطال الوصية » متنقلا من درجة التغير الخفيفة إلى درجة الإبطال الثقيلة . وقد رأينا أن المقصود بالوصية (عد ١٦) كالمقصود بالناموس ، هو الناموس الموسوي بجملته باعتبار كونه مبنياً على الكهنوت اللاوي . وقد رأينا ضعف الوصية وعدم نفع الناموس في كونه مبنياً على كهنوت لم يكن به كمال كما شرحنا في (عد ١١) . فعلى أساس قوله هناك « فلو كان بالكهنوت اللاوي كمال » يقول هنا :

« إذ الناموس لم يكمل شيئاً » :

وهذا يصدق على كل الناموس كما أثبتنا ، حتى على الأدبي منه ، الوصايا العشر ، الذي قال عنه الرسول في (رو ٨ : ٣) أنه عاجز وضعيف بالجسد فإنه ، وهو كامل (مز ١٩ : ٧) ، ويتطلب الكمال ولكنه عاجز عن أن يكمل ، إذ ليست له قوة تغيير

قلب الخاطىء ولا تبريره ولا تقديسه ، ولا يمكن أن يمنحه حق الاقتراب إلى الله . لذلك يلزم ابطاله لعجزه وضعفه وعدم نفعه .

وهنا نتساءل قائلين « إذا كان الأمر كذلك فلماذا أعطى ناموس كهذا »؟ أو بلغة الرسول « فلماذا الناموس » ؟ وجوابه : « قد زيد بسبب التعديات إلى أن يأتى النسل الذى وعد له » . لأنه لو أعطى ناموس قادر أن يحيي لكان بالحقيقة البر بالناموس . لكن الكتاب أغلق على الكل تحت الخطية ليعطى الموعد من إيمان يسوع المسيح للذين يؤمنون. ولكن قبلما جاء الإيمان كنا محروسين تحت الناموس مغلقاً علينا إلى الإيمان العتيد أن يعلن . إذاً قد كان الناموس مؤدبنا إلى المسيح » (غل ٣ : ١٦ — ٢٤) ولهذا يقول الرسول هنا :

« ولكن يصير إدخال رجاء أفضل به نقترب إلى الله » :

أى أن الأمر الذى رأينا الناموس عاجزاً عنه لابد أن يتم بواسطة :

« إدخال رجاء أفضل » فالعملية عملية إبطال فإدخال ، إبطال الناموس فإدخال الرجاء . وهل الرجاء يقابل الناموس ؟ — إذا كان الناموس هو موسى كما أوضحنا فى عد ١٤ ، يكون الرجاء هو المسيح باعتبار أنه موضوع رجائنا وكما أنه على كهنوت هرون يبنى ناموس موسى ، كذلك على كهنوت المسيح يبنى إنجيله ، ويكون المسيح ، بكل ما يتعلق به فى مجيئه وممارسته وظيفته ، هو الرجاء الأفضل لأن فيه كل التكميل الذى هو الملء . إذ « فيه يحل كل ملء اللاهوت جسدياً » « مملوءاً نعمة وحقاً » « ومن ملئه نحن جميعاً أخذنا . ونعمة فوق نعمة» «وأنتم مملوؤون فيه الذى هو رأس كل رياسة وسلطان » (يو ١ : ١٤ و ١٦ ، كو ٢ : ٩ و ١٠) « لأنه بقربان واحد قد أكمل إلى الأبد المقدسين » (عب ١٠ : ١٤) . بهذا الرجاء الأفضل :

« نقترب إلى الله » :

وهذا هو الغرض الذى لأجله أقيم الكهنوت. بل هو قمة خدمة الكهنوت وتاجها : وفى الكهنوت اللاوى رأينا الحجاب يخفى وراءه قدس الأقداس ، ويحجب الله بين

الكروبين عن العابدين فوق غطاء التابوت . وصوت من وراء الحجاب ينادى بلسان الحال قائلا : « آثامكم صارت فاصلة بينكم وبين إلهكم وخطاياكم سترت وجهه عنكم » (إش ٥٩ : ٢) . وكل خدمة الكهنوت ، من ذبائح ودم وغسلات وبخور ، لم تقو على رفع هذا الحجاب ، فبقى كما هو . معلناً الروح القدس بذلك أن طريق الأقداس لم يظهر بعد ، شاهداً بالذبائح اليومية ، أن فيها ذكر خطايا ولا يزال (عب ٩ : ٨ و ١٠ : ٣) . ولكن حالما قدم الكاهن الأعظم نفسه ذبيحة فوق الصليب ، وحالما نطق بالقول « قد أكمل » وأسلم الروح ، انشق حجاب الهيكل من فوق إلى أسفل وصارت لنا « ثقة بالدخول إلى الأقداس بدم يسوع . طريقاً كرسه لنا حديثاً حياً بالحجاب أى جسده ، وكاهن عظيم على بيت الله . لنتقدم بقلب صادق فى يقين الإيمان ، مرشوشة قلوبنا من ضمير شرير ومغتسلة أجسادنا بماء نقى . لنتمسك بإقرار الرجاء راسخاً لأن الذى وعد هو أمين » (يو ١٩ : ٣٠ ، مت ٢٧ : ٥١ ، عب ١٠ : ١٩ — ٢٣) .

(٣) تحقيق رتبة المسيح الملكيصادقية (عد ٢٠ — ٢٨)

٢٠ وَعَلَى قَدْرِ مَا إِنَّهُ لَيْسَ بِدُونِ قَسَمٍ . ٢١ لأَنَّ أُولٰئِكَ
بِدُونِ قَسَمٍ قَدْ صَارُوا كَهَنَةً وَأَمَّا هٰذَا فَبِقَسَمٍ مِنَ ٱلْقَائِلِ لَهُ
أَقْسَمَ ٱلرَّبُّ وَلَنْ يَنْدَمَ أَنْتَ كَاهِنٌ إِلَى ٱلأَبَدِ عَلَى رُتْبَةِ مَلْكِي
صَادَقَ . ٢٢ عَلَى قَدْرِ ذٰلِكَ قَدْ صَارَ يَسُوعُ ضَامِنًا لِعَهْدٍ أَفْضَلَ :
٢٣ وَأُولٰئِكَ قَدْ صَارُوا كَهَنَةً كَثِيرِينَ مِنْ أَجْلِ مَنْعِهِمْ بِالْمَوْتِ
عَنِ ٱلْبَقَاءِ . ٢٤ وَأَمَّا هٰذَا فَمِنْ أَجْلِ أَنَّهُ يَبْقَى إِلَى ٱلأَبَدِ لَهُ
كَهَنُوتٌ لَا يَزُولُ ٢٥ فَمِنْ ثَمَّ يَقْدِرُ أَنْ يُخَلِّصَ أَيْضًا إِلَى ٱلتَّمَامِ
ٱلَّذِينَ يَتَقَدَّمُونَ بِهِ إِلَى ٱللهِ إِذْ هُوَ حَيٌّ فِي كُلِّ حِينٍ لِيَشْفَعَ فِيهِمْ .

٢٦ لأَنَّهُ كَانَ يَلِيقُ بِنَا رَئِيسُ كَهَنَةٍ مِثْلُ هٰذَا قُدُّوسٌ بِلاَ شَرٍّ
وَلاَ دَنَسٍ قَدِ ٱنْفَصَلَ عَنِ ٱلْخُطَاةِ وَصَارَ أَعْلَى مِنَ ٱلسَّمٰوَاتِ.
٢٧ ٱلَّذِي لَيْسَ لَهُ ٱضْطِرَارٌ كُلَّ يَوْمٍ مِثْلُ رُؤَسَاءِ ٱلْكَهَنَةِ أَنْ
يُقَدِّمَ ذَبَائِحَ أَوَّلاً عَنْ خَطَايَا نَفْسِهِ ثُمَّ عَنْ خَطَايَا ٱلشَّعْبِ لأَنَّهُ
فَعَلَ هٰذَا مَرَّةً وَاحِدَةً إِذْ قَدَّمَ نَفْسَهُ . ٢٨ فَإِنَّ ٱلنَّامُوسَ يُقِيمُ أُنَاساً
بِهِمْ ضَعْفٌ رُؤَسَاءَ كَهَنَةٍ . وَأَمَّا كَلِمَةُ ٱلْقَسَمِ ٱلَّتِي بَعْدَ ٱلنَّامُوسِ
فَتُقِيمُ ٱبْناً مُكَمَّلاً إِلَى ٱلأَبَدِ .

فى (عد ١ — ١٠) برزت لنا شخصية ملكى صادق : وفى (عد ١١ — ١٩) اتضح أمامنا إبطال الكهنوت اللاوى وبالتالى الناموس الموسوى ، وفى هذه الآيات ستتحقق لبصائرنا رتبة المسيح الكهنوتية الملكيصادقية وسموها على الرتبة الهرونية من ثلاثة أوجه هى أ . إنه كاهن بقسم (٢٠ — ٢٢) ، ب : إنه كاهن إلى الأبد (٢٣ — ٢٥) : ج : إنه كاهن قدوس (٢٦ — ٢٨) .

عد ٢٠ — ٢٢ : فى هذه الآيات نرى سمو كهنوت المسيح على كهنوت هرون :

« على قدر ما إنه ليس بدون قسم » :

هذه جملة مرتبطة فى قوتها بالجملة الواردة فى (عد ٢٢) ويمكننا أن نقرأ هكذا : « على قدر ما إنه ليس بدون قسم . . . على قدر ذلك صار يسوع ضامناً لعهد أفضل » فالجملة إذاً تتحدث عن يسوع فى صيغة نفى النفى « ليس بدون قسم » ، ونفى النفى إيجاب ، لإثبات أنه بقسم كما هو ظاهر فى (عد ٢١) . ومعناه أن المسيح قد تمجد بمجد فائق فى كونه تعين كاهناً بصيغة قسم مهيبة . الأمر الذى لم يحدث لكاهن آخر سواه .

« لأن أولئك بدون قسم قد صاروا كهنة » :

« أولئك » الكهنة الذين هم من بنى لاوى ومن بيت هرون والذين ولو أنهم أقيموا من الله كهنة ولكنهم أقيموا بدون قسم . وهذا أمر يحققه مجرد الرجوع إلى الدعوة التى دعى بها هرون وبنوه للرتبة الكهنوتية كما جاء فى (خر ٢٨ : ١) فى أمر الرب لموسى قائلا : « وقرب إليك هرون أخاك وبنيه معه من بين بنى إسرائيل ليكهن لى » فإننا لا نسمع صوت قسم فى هذه الدعوة ، ولا فى طريقة التقديس الواضحة فى (لا ٨ و ٩) ، ولا فى تجديد الدعوة بعد حادثة قورح وجماعته (عد ١٧ : ٧) . ولا حتى فى ميثاق الكهنوت الذى أعطى لفينحاس بن ألعازار بن هرون « ميثاق كهنوت أبدى » إذ لم يكن مثبتاً لا بدم ولا بقسم (عد ٢٥ : ١٢ و ١٣) .

« وأما هذا فبقسم » :

« هذا » غير « أولئك » مميز عنهم فى كهنوته « بقسم » :

« من القائل له » :

أى الله الآب كما هو واضح من قوله « قال الرب لربى » (مز ١١٠ : ١) . وقسمه ليس إلا قضاءه الأزلى وقصد مشيئته الأبدى الذى لا يتغير ولا ينقض (انظر الكلام عن القسم الإلهى فى ص ٦ : ١٣ — ١٨) . فالذى قال له فى قضائه الأزلى : « أنت ابنى أنا اليوم ولدتك » هو الذى قيل عنه :

« أقسم الرب ولن يندم أنت كاهن إلى الأبد » :

هذا هو الاقتباس الذى اتخذه الرسول من (مز ١١٠ : ٤) ، ليجعله آية موضوعة عن كهنوت المسيح . وهذه مرة ثالثة ، فى أثناء الحديث فى هذا الموضوع ، فيها نلتقى بالقول : « أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكى صادق » عدا الإشارات إليه (انظر ٥ : ٦ ، ٧ : ١٧ مع ٥ : ١٠ ، ٦ : ٢٠ ، ٧ : ٣ و ١١ و ١٥) حيث نرى كيف أن الرسول أثبت من هذا القول : (١) شخصية قائله « الله » . (٢) شخصية المقول له « المسيح » ، (٣) تغير الكهنوت اللاوى « يقوم كاهن آخر على رتبة ملكى صادق

ولا يقال على رتبة هرون » . وهنا ، والرسول فى معرض إثبات سمو رتبة المسيح الكهنوتية وتفضيلها على الرتبة الهرونية ، يذكر الاقتباس بجملته وفى رأسه القول : « أقسم الرب ولن يندم » معلقاً عليه بالقول : « لأن أولئك بدون قسم قد صاروا كهنة وأما هذا فبقسم من القائل له أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكى صادق » مستنتجاً منه ما عبر عنه بالقول :

« على قدر ذلك قد صار يسوع ضامناً لعهد أفضل » :

أى على قدر ما إنه بقسم :

« قد صار يسوع » : وهذه أول مرة ، بل المرة الوحيدة التى فيها ذكر الرسول صريحاً فى هذا الأصحاح اسم هذا الكاهن الآخر الذى « على رتبة ملكى صادق » وهو :

« يسوع » : وقد أشار إليه « بابن الله » فى (عد ٣) وفى (ص ٦ : ٢٠) نجد ذات الاسم « يسوع » بعد أن دعى أيضاً « ابن الله » (٦ : ٦) . وهو الذى سمى « المسيح » (٥ : ٥) . فهو « يسوع » مخلص الخطاة بذبيحة نفسه الكفارية . « المسيح » الكاهن الممسوح لتقديم تلك الكفارة . « يسوع المسيح ابن الله » الذى جمع فى شخصه العجيب اللاهوت والناسوت ليصالح الإنسان مع الله . الذى :

« قد صار » . وهى عبارة ، إذا ألقينا عليها نوراً مما جاء عنه فى (١ : ٤) « صائراً » . وفى (٣ : ٢) « أقامه » : وفى (٥ : ٥) « لم يمجد نفسه ليصير رئيس كهنة ، بل الذى قال له « أنت ابنى أنا اليوم ولدتك » . بهذا النور نستطيع أن نرى أنه كما حدث فى وظيفة الملك ، وفى وظيفة النبوة هكذا حدث ، أى أن المسيح أقيم من الله ليصير رئيس كهنة :

« ضامناً لعهد أفضل » : وهذا العهد الأفضل يفترض لنا وجود عهد آخر ، له ضامن آخر ، تصح المقارنة بينه وبين هذا العهد الأفضل .

أما ذلك العهد الآخر فافتراض وجوده أمر واضح فى كل حديث الرسول الماضى فى موضوع الكهنوت ، وقد برز بوضوح أسمى فى (ص ٨) حيث يظهر من (عد ٨ و ٩) بأنه عهد قديم عمله الله مع آباء بيت إسرائيل يوم أمسك بيدهم لإخراجهم من أرض مصر : فهو إذاً عهد عمله الله ، مع شعب مفتدى . فلابد أن يكون عهداً طيباً ، صالحاً للتعليم عن الخطيةوشناعتها ، قائداً فى رموزه ونبواته وطقوسه إلى طريقة الخلاص فى بر المسيح وكفارته ، مقيماً عبادة مجيدة مقبولة عند الله فى زمانه .

أما ضامن ذلك العهد فمفترض أيضاً وجوده فى ذات الحديث ، ولابد أن يكون هو الكاهن الأعظم لأنه عهد مقطوع على ذبيحة (مز ٥٠ : ٥) . وإن كان موسى هو هذا الضامن فيكون باعتبار قيامه بخدمة كهنوتية ممتازة قبل قيام الكهنوت . وقد مارسها فى إقامة الكهنوت ذاته (انظر لا ٨) . وقبل إقامة الكهنوت عند قطع العهد المشار إليه ، (قابل خر ٢٤ : ٣ — ٨ ، عب ٩ : ١٩ — ٢٢) . فيقوم الضمان إذاً بقيام الكاهن بتقديم الذبائح باسم الشعب وعنه مكفراً عن خطاياهم بمقتضى شروط العهد . على هذا الأساس تقوم المقارنة بين العهد القديم وبين « عهد أفضل » : هو عهد جديد (٨ : ٨ و ١٣ ، ٩ : ١٥) . اقرأ فى : لفظة « عهد » شرح ما جاء فى (ص ٩ : ١٥ و ١٦) . حيث نتفهمه فى كلمتى « عهد » و « وصية » . واقرأ فى أفضلية هذا العهد ما جاء فى شرح (ص ٨ : ٦) حيث تراه مقترناً بخدمة أفضل ومثبتاً على مواعيد أفضل .

بقى علينا الآن أن نرى يسوع « ضامناً » . والضامن فى اللغة العربية هو الكفيل الملتزم . والكفالة شرعاً هى ضم ذمة الكفيل إلى ذمة الأصيل فى المطالبة ، وقد تطلق على صك الكفالة . والكلمة فى أصلها اليونانى يقال إنها لم ترد فى غير هذا الموضع من العهد الجديد ، ولا فى السبعينية مطلقاً ، وجاء ورودها نادراً فى المؤلفات الشهيرة . وأصل اشتقاقها غامض ولكنها تعنى شخصاً يدخل فى عهد من أجل شخص آخر ليضمن إتمام ما التزم به ذلك الشخص ، على أن يقوم هو بما عجز ذاك عن القيـــام به . وحيث أن يسوع ضامن لعهد قائم بين الله والإنسان ، لذلك يأتى السؤال : « أى الطرفين يضمنه يسوع لدى الطرف الآخر ؟ هل هو ضامن للانسان لدى الله ؟ أو لله لدى

الإنسان ؟ إن اللغة تفيد أن يسوع ضامن لا لشخص ، بل « لعهد » . وحيث أن العهد المقصود هو عهد نعمة أى عهد الله أن يثبت نعمته الخلاصية للانسان ، لذلك يكون يسوع ضامناً لتثبيت هذا العهد بموته الكفارى لإتمام عمل الفداء الذى به يستطيع الله أن يكون باراً ويبرر المؤمنين لأنه بدون سفك دم لا تحصل مغفرة (قابل رو ٣ : ٢١ — ٢٦ مع عب ٩ : ١٨ — ٢٢) . ومن الوجهة الأخرى ، حيث أنه لا يمكن أن يخلص إنسان وهو فى فجوره وشهواته العالمية وتعديه على الشريعة الإلهية ، لذلك يكون يسوع ضامناً لتثبيت ذلك العهد بالقيام عن الإنسان بوفاء الدين الذى عليه وإعداد طريق لعمل الروح القدس فى قلبه لتقديسه ليتم عمل الفداء والتبنى والمجد . فالمسيح إذاً ضامن للعهد بحياته وبموته أوفى الناموس حقه وضمن الإنسان لله فى القيام بالتزامات العهد . وبموته النيابى الكفارى فتح الطريق لله لتبرير الفجار وضمن لهم إتمام عهد الله فى خلاصهم . وفى كلتا الحالين هو الكاهن الأعظم ، الذى بمقتضى شروط العهد ، يكفر عن الإنسان ويتعهد عنه بالقيام بالتزامات ذلك العهد .

عد ٢٣ — ٢٥ : فى هذه الآيات يتقدم الرسول إلى دليل آخر لتفضيل كهنوت يسوع على كهنوت هرون باعتبار أن كهنة النظام الهرونى أناس مائتون (عد ٨) . وكهنوتهم عرضة للانتقال من كاهن إلى كاهن . أما المسيح فله كهنوت لا يزول ولا ينتقل .

« أولئك قد صاروا كهنة كثيرين :

أى رؤساء كهنة النظام اللاوى فى سلسلة نسبهم الكهنوتى من هرون فالعازار ، ففينحاس ، فأبيشوع ، فبقى ، فعزى ، فزرحيا ، فمرايوث ، فأمريا ، فأخيطوب ، فصادوق ، فأخيمعص ، إلى زمان داود (١ أى ٦ : ٥٠—٥٣) ، فغيرهم من زمان داود إلى نهاية الكهنوت اللاوى . « أولئك قد صاروا كهنة كثيرين » :

« من أجل منعهم بالموت عن البقاء » :

فكانوا سلفاً لخلف وخلفاً لسلف يموت الواحد منهم بعد الآخر ، ولا بد أن يموت لأنهم أناس مائتون (انظر شرح عد ٨) فيقوم الآخر . فليس لأحد منهم فى الحياة

بقاء ، وبالتالى فى الوظيفة . وقد ماتوا جميعهم . والأمر من قبل الرب كما حدث لكبيرهم هرون (عد ٢٠ : ٢٢ — ٢٩) .

« وأما هــذا » :

بمقابلة « أولئك » ، هذا الكاهن الآخر يسوع الذى على رتبة ملكى صادق . « أولئك » كثيرون « أما هذا » فواحد . « أولئك » لهم سلف وخلف . « وأما هذا » فلا سلف له لأنه « ابن الله » الوحيد الذى هو فى حضن الآب ، «بكر كل خليقة » (يو ١ : ١٨ ، كو ١ : ١٥) ولا خلف له :

« من أجل أنه يبقى إلى الأبد :

وهذه كانت عقيدة اليهود مبنية على ناموسهم ، وقد صرحوا بها فى قولهم : « نحن سمعنا من الناموس أن المسيح يبقى إلى الأبد » لذلك كان صليبه ، وحتى الكلام عن موته ، عثرة لهم (انظر يو ١٢ : ٣٢ — ٣٤) . ولكن ألم يمت المسيح وأصبح فى موته كواحد من أولئك المائتين ؟ .

إن أولئك فى موتهم كفوا عن خدمتهم الكهنوتية بالموت . أما هذا ففى موته كان كاهناً مؤدياً خدمته فى تقديم نفسه ذبيحة عن الخطايا تحت سلطان الموت نائباً عن الخطاة . وفى اتحاد ناسوته بلاهوته اتحاداً بلا انفصال ولا افتراق ، بوصف كونه « ابن الله » استطاع أن يقوم فى موته وقيامته ، ككاهن بما لم يكن ممكناً للكهنة المائتين أن يقوموا به . ومن أجل ذلك :

« له كهنوت لا يزول » :

« بحسب قوة حياة لا تزول » (انظر شرح عد ١٦ و ١٧) أى أنه ، إذ صار كاهناً ، بقى كاهنا ، ولم تكن لحظة لم يكن فيها كاهناً ، ولن تكون . فهو هو ، فى كهنوته ، أمساً واليوم وإلى الأبد (عب ١٣ : ٨) .

إزاء كهنوت المسيح الأبدى ، تضاربت الآراء بشأن الخلافة الكهنوتية فى الكنيسة المسيحية ، وبخاصة بين علماء كنيسة روما . فبعضهم يقول إن بطرس خلف المسيح

فى كهنوته كما خلف ألعازار أباه هرون ، وبعضهم يقول إنه ، له المجد ، لم يكن له خليفة بمعنى الكلمة ، محققين أنه لا يمكن أن يكون بطرس خليفة للمسيح بالمعنى الذى صار به ألعازار خليفة لهرون ، لأن كهنوت ألعازار كان ذات كهنوت هرون درجة وبهاء . ولا يمكن أن يكون كهنوت بطرس ككهنوت المسيح من هذا القبيل . على أن الجميع ، رغم هذا التضارب فى الآراء يسلمون بأن بطرس خليفة المسيح فى الكهنوت بالنسبة لنوعه وإن لم يكن بالنسبة لدرجته ، وبأن كهنتهم كخلفاء لبطرس ، ليس لهم كهنوت آخر ليقدموا ذبائح أخرى ، بل هم شركاء فى كهنوت المسيح يخدمون تحت يده ، لا كخلفائه ، له المجد ، بل كنواب عنه .

أما نحن فيكفينا أن نذكر هنا ما قصده الرسول فى حديثه وهو : (١)— أن كهنوت المسيح لا ينتقل منه إلى آخر ما دام هو حياً لأن هذا النقل لم يكن إلا بسبب موت الكاهن فيقوم عنه كاهن آخر خليفة له ، (٢)— أن الكهنة الخلفاء فى العهد القديم كانوا يقدمون ذات الذبائح التى كان يقدمها الأسلاف وبذلك كان لهم ذات كهنوتهم . أما ذبيحة المسيح التى قدمها ككاهن وهى ذات نفسه فلا يمكن أن يشاركه فى تقديمها بشر ، وعلى ذلك لا يمكن أن يشاركه فى كهنوته بشر ، (٣)— أن كهنة العهد القديم كانوا خلفاء سالفيهم بالتسلسل ، لا نوابهم ، لأن الخلافة ، لا النيابة ، هى الأمر الذى تقتضيه الخدمة الكهنوتية فى تقديم ذات الذبائح اليومية السنوية . فإذا انقطع تقديم الذبائح انقطعت الخلافة ولا يكون مكان لحلول النيابة . أما المسيح فقد قدم ذبيحة نفسه مرة واحدة ، وبدم نفسه دخل مرة واحدة إلى الأقداس فوجد فداء أبدياً . وبقربان واحد قد أكمل إلى الأبد المقدسين . وبهذه المشيئة نحن مقدسون بتقديم جسد يسوع المسيح مرة واحدة (رو ٦ : ١٠ ، عب ٩ : ١٢ ، ١٠ : ١٤) فلا حاجة بعد إلى تقديم ذبائح . وحيث لا تقديم ذبائح فلا كهنوت إلا إذا كان كهنوتاً من نوع آخر سنجده واضحاً فى (ص ١٣ : ٩ — ١٦ انظر الشرح هناك) .

ولكن هل هذا معناه أن كهنوت المسيح قد انقضى ؟ فكيف يقال إذاً إن له كهنوتاً لا يزول ؟ هذا نستطيع أن نجد الجواب عنه فى قول الرسول التالى :

« فمن ثم يقدر أن يخلص إلى التمام جميع الذين يتقدمون به إلى الله » :

والجملة متعلقة بالجملة السابقة لها وبالجملة اللاحقة بها ، ويمكن أيضاً أن تعتبر تعليقاً على ما سبق من الحديث فى موضوع سمو كهنوت المسيح وصيغة التعليق واضحة فى التعبير :

« فمن ثم » : تعبير فى أصله استعمله الرسول مراراً لمناسبة براهينه المنطقية فى بحث مواضيعه فى هذه الرسالة . كما فى (ص ٢ : ١٧ ، ٣ : ١ ، ٨ : ٣ ، ٩ : ١٨ ، ١١ : ١٩) وفى هذا الشاهد الأخير مترجمة « الذى » . وأما هنا كما فى باقى الشواهد فترجمة « من ثم » . أما « ثَم » بفتح الثاء وتشديد الميم فهى ظرف مكان كما لو قيل ، فمن هناك ، أى من موضع ذلك الكلام الذى سبق ، باعتبار أن القول بعدها نتيجة للقول قبلها . كأنه يقول حيث أن يسوع كاهن يبقى إلى الأبد ، وله كهنوت لا يزول ، فبناء عليه : « يقدر أن يخلص إلى التمام » ، وهنا يشير الرسول إلى العمل الذى يقوم به الكاهن وهو الخلاص . والخلاص فى لفظه يشير إلى خطر محدق هو خطر الخطية فى لعنة الناموس والغضب الآتى .

كما أنه يشير إلى المخلص الذى ذكر اسمه فى (عد ٢٢) « يسوع » الذى دعى « اسمه يسوع لأنه يخلص شعبه من خطاياهم » (مت ١ : ٢١) . وهو المسيح « الذى افتدانا من لعنة الناموس ، إذ صار لعنة لأجلنا لأنه مكتوب ملعون كل من علق على خشبة » (غل ٣ : ١٣) وهو ابن الله « الذى ينقذنا من الغضب الآتى » (١ تس ١ : ١٠) . على أن للخلاص أيضاً وجهاً إيجابياً إذ هو أيضاً خلاص لنعمة فيها نقيم ، ولمجد نفتخر على رجائه (رو ٥ : ١ و ٢) . « لأن الذين سبق فعرفهم سبق فعينهم . . . والذين سبق فعينهم فهؤلاء دعاهم أيضاً . والذين دعاهم فهؤلاء بررهم أيضاً . والذين بررهم فهؤلاء مجدهم أيضاً » (رو ٨ : ٢٩ و ٣٠) .

يلزم لإتمام هذا الخلاص قدرة عجيبة فائقة لذلك قيل عن يسوع إنه :

« يقدر » : وإذا رجعنا إلى (ص ٢ : ١٧ و ١٨) نرى الرسول يستعمل ذات الكلمة « يقدر » عن يسوع فى ذات المناسبة : « لأنه فى ما هو قد تألم مجرباً « يقدر » أنه

يعين المجربين » فتكون قدرة يسوع الخلاصية إذاً هى قدرته بوصف كونه كاهناً ، عليه أن يقوم بنزع الخطية وإخضاع الشيطان ، وإتمام الناموس ، والمصالحة مع الله ، والفوز بالغفران ، وإعداد النعمة والمجد وغير ذلك من الأمور الثمينة والجيدة المتعلقة بالخلاص . ولو نظرنا من الجهة الأخرى إلى الذين سيخلصهم وما فى قلوبهم من الفساد والعناد والأفكار الشريرة المغروسة والمتأصلة التى يلزم اقتلاعها واستئصالها منهم وغرس مبادىء الحق والبر والقداسة للوصول بهم إلى درجة الخلاص المشار إليه لتحققنا ما يلزم من القدرة الكهنوتية لإتمام العملية الخلاصية . هى ذات القدرة الإلهية التى على أساسها أقيم بناء العهد المقدس (تك ١٧ : ١ - ٨) . ذات القدرة التى عليها يقوم إتمام ذلك العهد إذ « يعطى المعيي قدرة ولعديم القوة يكثر شدة » (إش ٤٠ : ٢٨ و ٢٩) . ذات القدرة التى عليها يبنى الإيمان الذى به تقوى ابراهيم معطياً مجداً لله وتيقن أن ما وعد به هو قادر أن يفعله أيضاً . فهو القادر أن يطعم المؤمنين فى الزيتونة الأصلية ، وأن يفعل فوق كل شيء أكثر جداً مما نفعل أو نفتكر بحسب القوة التى تعمل فينا . (انظر رو٤ : ٢١ ، ١١ : ٢٣ ، أف ٣ : ٢٠ الخ) فلا عجب إذا كان فى هذه القدرة يخلص :

« إلى التمـــام » بالرغم من جميع المقاومات والعوامل المضادة للخلاص . « هو الصخر الكامل صنيعه » (تث ٣٢ : ٤) الذى لا يكل ولا يعيا حتى يخلص إلى التمام :.

« الذين يتقدمون به إلى الله » : أى بالإيمان باسمه ، واضعين ثقتهم فيه ، معترفين به كرئيس كهنتهم يتقدمون إلى عرش النعمة لكى ينالوا رحمة ويجدوا نعمة عوناً فى حينه » (عب ٤ : ١٦) .

« إذ هو حى فى كل حين ليشفع فيهم » :

هنا سر القدرة الكهنوتية الممتازة :

« إذ هو حى فى كل حين » . ليس فقط بقوة الحياة التى له فى ذاته بالولادة الأزلية من الآب الذى « وحده له عدم الموت » (يو ٥ : ٢٦ ، ١ تى ٦ : ١٦) . فهو من هذا القبيل « الألف والياء ، الأول والآخر ، البداية والنهاية » (رؤ١ : ٨ و ١١ و

٢٢ : ١٣أ) . وليس فقط بمجد الحياة التى يحياها لذاته فى طبيعته الإنسانية الممجدة التى فيها « بعد ما أقيم من الأموات لا يموت أيضاً . لا يسود عليه الموت بعد » (رو ٦ : ٩). بل أيضاً وبالحرى بفضل الحياة التى يحياها لأجلنا فى السماء إلى أن « يخلص إلى التمام الذين يتقدمون به إلى الله » . لأنه « كما وضع للناس أن يموتوا مرة ثم بعد ذلك الدينونة ، هكذا المسيح أيضاً بعد ما قدم مرة لكى يحمل خطايا كثيرين سيظهر ثانية بلا خطية للخلاص للذين ينتظرونه » (عب ٩ : ٢٧ و ٢٨) وبين مجيئه الأول ومجيئه الثانى هو الآن فى السماء وقد دخل بدم نفسه إلى الأقداس « ليشفع فيهم » : وهى خدمة تشمل كل ما يقوم به رئيس كهنة الكنيسة ضماناً لخلاصنا .

أما الشفاعة فى ذاتها فيمكننا أن ننظر إليها لغوياً ورمزياً :

أما لغوياً : فمعناها البسيط الأولى هو « الإلتقاء ب » ومنه قامت فكرة الالتقاء بأحدهم للتوسل لديه من جهة آخر سواء أكان هذا التوسل له أم عليه . كما قال فستوس عن بولس : « أنتم تنظرون هذا الذى « توسل » إلى من جهته كل جمهور اليهود فى أورشليم وهنا صارخين أنه لا ينبغى أن يعيش بعد » (أع ٢٥ : ٢٤) وكما ذكر عن إيليا : « كيف يتوسل إلى الله ضد إسرائيل » (رو ١١ : ٢) . ومن ذلك دخل عمل الشفاعة منسوباً إلى المسيح (رو ٨ : ٣٤ ، ١ يو ٢ : ١) وسمى من أجلها « معزياً » كما سمى الروح القدس (البارقليط) « الذى يشفع فينا بأنات لا ينطق بها » (يو ١٤ : ١٦ ، ١٥ : ٢٦ ، ١٦ : ٧ . قابل رو ٨ : ٢٦ و ٢٧) .

أما رمزياً : فمعناها ممثل فى العهد القديم فى ثلاثة أشياء رمزية هى :

(ا) النار الدائمة الاتقاد على المذبح . وقد خرجت أولا من عند الرب وأحرقت على المذبح المحرقة والشحم يوم تقديس هرون وبنيه لخدمة الكهنوت وبقيت على المذبح دائمة الاتقاد بالتغذية ، يؤخذ منها نار للتبخير (انظر لا ٩ : ٢٤ ، ١٦ : ١٢ ، عد ١٦ : ٤٦ ، رؤ ٨ : ٥) . وقد رأينا هذه النار رمزاً لطلبات المسيح وتضرعاته التى قدمها بصراخ شديد ودموع فى البستان عندما قدم نفسه لله (انظر شرح عب ٥ : ٧) ؛

(ب) المحرقة الدائمة صباحاً وفى العشية (خر ٢٩ : ٣٨ — ٤٢) . فو إن كانت فى طبيعتها كفارية باعتبار كونها دموية ، ولكن الغرض الرئيسى منها كان كما لو أنها صوت ضمائر الشعب صارخة منتظرة يوم الكفارة السنوية العظمى .

(جـ) البخور العطر الذى يوقده رئيس الكهنة كل صباح وفى العشية على مذبح البخور ، تؤخذ نار إيقاده من النار الدائمة الاتقاد على مذبح المحرقة . ويدخل به فى يوم الكفارة إلى قدس الأقداس أمام الرب فتغشى سحابة البخور الغطاء الذى على تابوت الشهادة ، فلا يموت ، وبيده دم ثور الخطية ينضح منه بأصبعه سبع مرات على وجه الغطاء وقدام الغطاء :

فى هذه الرموز نرى يسوع ذاته محرقة دائمة متقدة نارها على مذبح الأقداس السماوية ، شفاعة لا تنقطع أمام الآب فى استحقاق كونه الخروف المذبوح القائم فى وسط العرش (رؤ ٥ : ٦) . بل نراه الكاهن الأعظم فى تلك الأقداس العليا يحمل على قلبه وفوق كتفيه أسماء مختاريه (خر ٢٨ : ١٢ و ٢٩) مقدماً صلواتهم مقرونة برائحة بخور شفاعته العطر أمام العرش طالباً على الدوام حفظهم من الشرير ما داموا فى العالم إلى أن يكونوا معه حيث يكون لينظروا مجده ويبقوا فى مجده إلى دهر الدهور (اقرأ لو ٢٢ : ٣١ و٣٢ ، يو ١٧) .

عد ٢٦ — ٢٨ : هذه الآيات تتضمن برهاناً جديداً على أفضلية كهنوت المسيح على كهنوت هرون بوصف أنه قدوس بلا شر ولا دنس قد انفصل عن الخطاة .

« لأنه كان يليق بنا رئيس كهنة مثل هذا » :

بالكلمة « لأنه » ينتقل الرسول بسهولة إلى هذا البرهان الجديد ويربط بينه وبين البراهين السابقة . وفى كلمة « هذا » نجد ختما للكلام السابق وفتحاً لكلام جديد . فبالنسبة للكلام السابق يكون لنا « رئيس كهنة مثل هذا قادر أن يخلص إلى التمام » وبالنسبة للكلام الجديد يكون لنا « رئيس كهنة مثل هذا قدوس بلا شر ولا دنس » الخ .

أما العبارة : « كان يليق بنا » فتشير إلى اللياقة الأدبية التى تعنى الضرورة الأدبية كما جاء فى قوله عن الله : « لأنه لاق بذاك الذى من أجله الكل وبه الكل وهو آت بأبناء كثيرين إلى المجد أن يكمل رئيس خلاصهم بالآلام » (انظر شرح ٢ : ١٠ فى الجزء الأول) . أما هنا فالإشارة إلى المسيح كمن فيه دون سواه تسد جميع حاجات طبيعتنا وأحوالنا مع إقامة الدليل على هذه الحقيقة باعتبار أنه ، له المجد :

« قدوس ، بلا شر ولا دنس » :

وهنا نرى وصفاً مثلثاً للطهارة الأدبية التى تميز بها كاهن العهد الجديد عن جميع كهنة العهد القديم فهو :

« قدوس » : الكلمة الأصلية المستعملة هنا هى « أوسيوس » لا « أجيوس » وفيها معنى تقوى الله والكمال فى كل ما يتعلق به ، لا من باب التقديس الشرعى الخارجى ، بل من باب القداسة الإيجابية العملية الداخلية التى قيل عنه من قبيلها : « لا تدع قدوسك يرى فساداً » (أع ٢ : ٢٧) وفى (مز ١٦ : ١٠) « تقيك » . وعليه علق الرسول بطرس بالقول لليهود : « أنتم أنكرتم القدوس البار » (أع ٣ : ١٤) فهو القدوس المولود من العذراء (لو ١ : ٣٥) .

« بلا شر » وإن كانت « قدوس » تصف حياته مع الله فى التقوى ، فالكلمة « بلا شر » تصف حياته مع الناس فى البر . الحياة التى قيل فيها عنه : « الذى لم يفعل خطية ، ولا وجد فى فمه مكر . الذى إذ شتم لم يكن يشتم عوضاً ، وإذا تألم لم يكن يهدد » (١ بط٢ : ٢٢ و٢٣) إنه كقدوس سر أن يفعل مشيئة أبيه (مز ٤ : ٧ و٨ ، عب ١٠ : ٧) ، وكبلا شر جال يصنع خيراً ، لا شراً ، بالناس ، ويشفى جميع المتسلط عليهم إبليس (أع ١٠ : ٣٨) خالياً من كل عداوة وريب .

« وبلا دنس » : وهذا وصف لنا رمزه فى الكهنوت اللاوى فى الكاهن وفى الذبيحة معاً : فعلى جبهة الكاهن الرئيس فى العهد القديم صفيحة الذهب النقى منقوشاً عليها : « قدس للرب » . وقد رأى زكريا يهوشع الكاهن العظيم لابساً ثياباً قذرة وواقفاً قدام الملاك ، والشيطان قائم عن يمينه ليقاومه . فأمر الملاك أن ينزعوا عنه الثياب القذرة

ليلبسوه ثياباً مزخرفة وعمامة طاهرة . وفى كل ذلك إشارة إلى ما يجب أن يكون عليه الكاهن شرعاً وأدباً من حالة الطهارة كممثل للشعب (قابل خر ٢٨ : ٣٦ — ٣٩ ، زك ٣ : ١ — ٥) .

أما الذبيحة فقد كان مشترطاً فيها أن تكون صحيحة وأن لا يكون فيها عيب (اقرأ لا ٢٢ : ١٨ — ٢٥ ، ملا ١ : ٦ — ٩) ، وحيث أن يسوع كاهن وذبيحة معاً فيجب أن يتوفر فيه شرط « بلا دنس » . وقد كان بلا خطية ، ولم يفعل خطية ، ولم يعرف خطية « لأنه جعل الذى لم يعرف خطية خطية لأجلنا لنصير نحن بر الله فيه » (٢ كو ٥ : ٢١) وبذلك يتم القول :

« انفصل عن الخطـاة :

لقد جاء إلى الأرض فى شبه جسد الخطية مشتركاً مع الخطاة فى اللحم والدم ولكن بلا خطية . وهو على الأرض كان جميع العشارين والخطاة يدنون منه ليسمعوه وكانوا يتكئون معه حتى اشتهر عنه أنه يقبل خطاة ويأكل معهم . أما هو فلم ينف عنه هـذا القول بل حبذه وسر به (اقرأمر ٢ : ١٤—١٧ ، لو ١٥) . ولكنه بالرغم من اختلاطه بالخطاة وعطفه عليهم ، كان منفصلا عنهم فى حياتهم الخاطئة وسلوكهم الأثيم فلم يتدنس بدنسهم ولم يتلوث بقذرهم ، وحاشا أن ينطبق على « القدوس البار » المثل القائل « إن المعاشرات الردية تفسد الأخلاق الجيدة » (١ كو ١٥ : ٣٣) . فمع أنه عاش بينهم ، وأكل معهم ، ولم يعش فى البرارى كيوحنا ، ولكنه استطاع أن يقول لهم « أنتم من أسفل ، أما أنا فمن فوق . أنتم من هذا العالم ، أما أنا فلست من هذا العالم » . (يو ٨ : ٢٣) . فكم بالحرى وقد :

« صار أعلى من السموات » :

حيث هو الآن . فهو ليس بعد فى الأرض ، بل اجتاز السموات وبعد ما صنع بنفسه تطهيراً لخطايانا جلس فى يمين العظمة فى الأعالى » (انظر شرح ٤ : ١٤ ، ١ : ٣ فى الجزء الأول) .

بعد أن نزل المسيح إلى أقسام الأرض السفلى ، صعد فوق جميع السماوات فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة وكل اسم يسمى ليس فى هذا الدهر فقط بل فى المستقبل أيضاً » (انظر أف ١ : ٢٠ — ٢٢ ، ٤ : ٩ و ١٠ ، فى ٢ : ٩ — ١١) . هذا هو الكاهن القدوس .

« الذى ليس له اضطرار كل يوم مثل رؤساء الكهنة أن يقدم ذبائح » :

يظهر من هذا القول أن تقديم الذبائح عمل « رؤساء الكهنة » وهذا تحققناه فى ما سبق (انظر شرح ٥ : ١) ، وأنه عمل اضطرارى لابد منه بسبب ضعف الإنسان وجهله وضلاله (انظر شرح ٥ : ٢) ، وأنه عمل اضطرارى « كل يوم » لأن كل تصور أفكار قلب الإنسان إنما هو شرير « كل يوم » » فلابد إذاً من كفارة فى « كل يوم » . وهل يقصد « كل يوم » من الأيام ؟ أو « كل يوم » من السبوت ؟ أو « كل يوم » من رؤوس الشهور ؟ أو « كل يوم » من أيام الكفارة السنوية ؟ أو « كل يوم » من أيام الأعياد المقررة ؟ . إنه فى كل يوم من هذه الأيام ، كانت تقدم ذبائح . فلكل يوم محرقة دائمة صباحاً وبين العشاءين . وفى يوم السبت محرقة كل سبت فضلا عن المحرقة الدائمة . وفى رأس كل شهر محرقة فضلا عن المحرقة الدائمة وكذا فى عيد الفصح ، وفى يوم الباكورة ، وفى عيد المظال (اقرأ ص ٢٨ و ٢٩ من سفر العدد) . هذا عدا المحرقات الاختيارية والتقدمات وذبائح السلامة وذبائح الخطية وذبائح الإثم وقرابين الملء (اقرأ ص ١ — ٩ من سفر اللاويين) حيث يظهر أن رئيس الكهنة كان شريكاً لسائر الكهنة فى تقديم هذه القرابين بأنواعها وفى أوقاتها المقررة . أما فى يوم الكفارة العظيم فكان هو دون سواه الذى يقوم بالخدمة الكهنوتية والدخول بالدم إلى قدس الأقداس (لا ١٦) . كان رؤساء الكهنة كل فى دوره يقدم ذبائح :

« أولا عن خطايا نفسه ثم عن خطايا الشعب » :

أما عن خطايا نفسه ، فانظر (لا ٤ : ٣ — ١٢) حيث تجد شريعة ذبيحة الخطية التى يقدمها « الكاهن الممسوح » الذى يخطىء » و (لا ١٦) حيث ترى فى يوم الكفارة

كيف يكفر الكاهن العظيم عن نفسه وعن بيته وعن كل جماعة إسرائيل ، وكيف أنه يكفر عن نفسه أولا فعن بيته ثم عن الشعب فالقدس وخيمة الاجتماع والمذبح .

أما تكفير رئيس الكهنة عن نفسه « أولا » فيلزم منه أنه هو نفسه يجب أن يتطهر أمام الله شرعياً قبل القيام بخدمته فى التكفير عن الشعب . ويلزم منه أيضاً أنه (محاط بالضعف ولهذا الضعف يلتزم أنه كما يقدم عن الخطايا لأجل الشعب هكذا أيضاً لأجل نفسه) (انظر شرح ٥ : ٢ و ٣) .

أما يسوع ، فإنه من هذا القبيل ، يتميز عن رؤساء الكهنة بثلاثة أمور جوهرية هي :

(١) « أنه فعل هذا مرة واحدة » :

« لأنه بقربان واحد قد أكمل إلى الأبد المقدسين (انظر شرح ١٠ : ١١ — ١٤) .

(٢) « إذ قدم نفسه » :

« ليس بدم تيوس وعجول بل بدم نفسه دخل مرة واحدة إلى الأقداس فوجد فداء أبدياً » (انظر شرح ٩ : ١٢ — ١٤) .

(٣) بقى الأمر الثالث الذى به يتميز يسوع على رؤساء الكهنة وهو : « أنه ليس له اضطرار أن يقدم ذبائح أولا عن خطايا نفسه » : وهذه الحقيقة هى أساس القول فى :

(عد ٢٨) الذى يمكن اعتباره أيضاً خلاصة هذه البراهين السالفة .

« فإن الناموس يقيم أناساً بهم ضعف رؤساء كهنة » :

« الناموس » هنا هو ذات « الناموس » فى (عد ١١ و ١٦ و ١٩) والمعنى أن الذين يقاومون رؤساء كهنة بمقتضى النظام الموسوى ، هم أناس بهم ضعف ، ملتزمون أن يقدموا ذبائح أولا عن خطايا أنفسهم كما رأينا .

« وأما كلمة القسم التى بعد الناموس » :

وهى الكلمة القائلة « أقسم الرب ولن يندم أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكى صادق » والمقتبسة من (مز ١١٠ : ٤) . وهى كلمة قد نطق بها بعد ناموس موسى بزمان طويل وبها دعى المسيح ليكون كاهناً آخر على رتبة أخرى وتكرس لهذه الوظيفة الكهنوتية . هى كلمة القسم التى تبطل الكهنوت اللاوى وفى ذات الوقت :

« تقيم ابناً مكملا إلى الأبد » :

هذه العبارة هى مفتاح موضوع الرتبة الكهنوتية بجملته كما سبق القول . وإذا ذكرنا أيضاً مفتاح موضوع الرتبة الملكية فى القول : « صائراً أعظم من الملائكة بمقدار ما ورث اسماً أفضل منهم » (١ : ٤) باعتبار أنه (ابن » . وكذا مفتاح موضوع الرتبة النبوية فى القول « فإن هذا قد حسب أهلا لمجد أكثر من موسى » الذى كان « كخادم » وأما المسيح « فكابن » . إذا ذكرنا كل ذلك نتحقق أن يسوع : يقوم برتبه الثلاث كملك ونبى وكاهن بوصف كونه « ابناً » ، فيه كلمنا الله فى هذه الأيام الأخيرة وجعله وارثاً لكل شىء « وهو بهاء مجده ورسم جوهره وحامل كل الأشياء بكلمةقدرته » . وفى وظيفته الكهنوتية نراه :

« ابناً مكملا إلى الأبد » . يستطيع أن يكمل ما لم يكمله الكهنوت اللاوى والناموس الموسوى . أما الكلمة « مكملا » فقد شرح معناها بجلاء فى (شرح ٢ : ١٠) .

هذا هو الابن الذى بعد ما صنع بنفسه تطهيراً لخطايانا جلس فى يمين العظمة فى الأعالى (انظر شرح ص ١ : ١ — ٣) .

ثانياً : الخدمة الكهنوتية ومتعلقاتها (ص ٨ — ١٠ : ٣١) .

هذا هو ثانى البحثين اللذين لنا فى كهنوت المسيح فى هذا الفصل الثالث فى هذا الباب الثالث . وقد رأينا البحث الأول منهما وموضوعه الرتبة الكهنوتية الملكيصادقية فى (ص ٧) .

في هذا البحث الثاني المختص بالخدمة الكهنوتية ومتعلقاتها نجد رتبة المسيح الكهنوتية في دورها العملي ، ممثلة في الرتبة الهرونية ، سامية فوقها في اعتبارين : أحدهما يتعلق بالمسكن الذي فيه يخدم (ص ٨ — ٩ : ١١) ، وثانيهما الذبيحة التي يقدمها في ذلك المسكن (ص ٩ : ١٢ — ١٠ : ٣١) . ويدور هذا البحث حول فكرة واحدة مركزية هي تقديم يسوع دم نفسه في المسكن السماوي بالمقابلة مع تقديم رئيس الكهنة الأرضي دم ثيران وكباش وتيوس في المسكن الأرضي . وتحت هذه الفكرة المركزية يندمج كل بحث نلتقي به ، وعليه يلقي نورها :

١ — المسكن الذي فيه يقوم المسيح بخدمته الكهنوتية (ص ٨ — ٩ : ١١)

في هذا الفصل الكتابي نجد :

(ا) المسكن الأفضل (ص ٨ : ١ — ٥) .

(ب) الخدمة الأفضل في المسكن الأفضل (ص ٨ : ٦ — ١٣) .

(ج) المسكنان في تركيبهما (٩ : ١ — ١١) .

(ا) المسكن الأفضل (ص ٨ : ١ — ٥)

١ وَأَمَّا رَأْسُ ٱلْكَلَامِ فَهُوَ أَنَّ لَنَا رَئِيسَ كَهَنَةٍ مِثْلَ هٰذَا
قَدْ جَلَسَ فِي يَمِينِ عَرْشِ ٱلْعَظَمَةِ فِي ٱلسَّمٰوَاتِ ٢ خَادِماً لِلْأَقْدَاسِ
وَٱلْمَسْكَنِ ٱلْحَقِيقِيِّ ٱلَّذِي نَصَبَهُ ٱلرَّبُّ لَا إِنْسَانٌ . ٣ لِأَنَّ كُلَّ
رَئِيسِ كَهَنَةٍ يُقَامُ لِكَيْ يُقَدِّمَ قَرَابِينَ وَذَبَائِحَ . فَمِنْ ثَمَّ يَلْزَمُ أَنْ
يَكُونَ لِهٰذَا أَيْضًا شَيْءٌ يُقَدِّمُهُ . ٤ فَإِنَّهُ لَوْ كَانَ عَلَى ٱلْأَرْضِ لَمَا
كَانَ كَاهِنًا إِذْ يُوجَدُ ٱلْكَهَنَةُ ٱلَّذِينَ يُقَدِّمُونَ قَرَابِينَ حَسَبَ
ٱلنَّامُوسِ ٥ ٱلَّذِينَ يَخْدُمُونَ شِبْهَ ٱلسَّمٰوِيَّاتِ وَظِلَّهَا كَمَا أُوحِيَ

إِلَى مُوسَى وَهُوَ مُزْمِعٌ أَنْ يَصْنَعَ ٱلْمَسْكَنَ . لِأَنَّهُ قَالَ ٱنْظُرْ أَنْ تَصْنَعَ كُلَّ شَيْءٍ حَسَبَ ٱلْمِثَالِ ٱلَّذِي أُظْهِرَ لَكَ فِي ٱلْجَبَلِ .

فى هذه الآيات يدخل بنا الرسول إلى حيث دخل يسوع كسابق لأجلنا صائراً على رتبة ملكى صادق رئيس كهنة إلى الأبد (٦ : ٢٠) . وهذا هو :

« رأس الكلام » :

والتعبير فى أصله قد يعنى خلاصة ما تقدم من الكلام واجمال ما تفصل منه . وقد يعنى أيضاً « رأس الكلام » فى الموضوع أى نقطته المركزية وفكرته الأصلية الأولية الرئيسية . والمعنى الثانى هو الأرجح للمناسبة التى أمامنا . ولو أن المعنى الأول أيضاً محتمل . وكأن الرسول قصد بهذا التعبير انهاض أذهان العبرانيين وإلفات نظرهم بعد طول الحديث فى هذا الموضوع الخطير تجنباً للملل ، والتأثير على عقولهم بأهمية الموضوع ليعيروه التفاتاً يستحقه . أما رأس الكلام فهو :

« أن لنا رئيس كهنة مثل هذا قد جلس فى يمين عرش العظمة فى السموات » :

فهو إذاً كملكى صادق ملك وكاهن معاً ، « فهو يحمل الجلال ، ويجلس ويتسلط على كرسيه ، ويكون كاهناً على كرسيه ، وتكون مشورة السلام بينهما كليهما » (أى بين ملكه وكهنوته) (زك ٦ : ١٣) . انظر (شرح ١ : ٣ و ٤ ، ٧ : ١ و ٢ و ١٣ — ١٥) . على أنه وإن كان ، على رتبة ملكى صادق ، كاهناً يجلس على كرسى ملكه ولكننا نراه ، وهو « فى يمين عرش العظمة » :

« خادماً » :

كالكهنة اللاويين . وهو تعبير يعطينا صورة لرئيس الكهنة اللاوى وهو واقف فى الهيكل يؤدى وظيفته الكهنوتية لدى الله ويحقق لنا أن ابن الإنسان الذى جاء إلى الأرض ، لا ليخدم ، بل ليخدم ، قد ذهب إلى السماء أيضاً ليخدم كنيسته خدمة جهارية عامة كهنوتية . أى ليظهر أمام وجه الله لأجلنا (مر ١٠ : ٤٥ ، عب ٩ : ٢٤)

فكما أن كل عار وتعيير وحتى ألم الموت موت الصليب لم يقعده عن إتمام خدمته على الأرض ، هكذا أيضاً كل مجد تكلل به فى السماء لم يمنعه عن المثابرة فى الخدمة :

« للأقداس والمسكن الحقيقى الذى نصبه الرب لا إنسان :

فى هذا التعبير تحديد للخدمة المنوه عنها بالنسبة للغرض الخاص منها بالنظر إلى :

« الأقداس » : والأصل « هاجيون » وهى فى صيغة الجمع فى حالة الخفض وتستعمل إما للأحياء القديسين أو للأشياء المقدسة . على أننا يمكننا أن نرى بسهولة أنها تعبير خاص فى لغة الرسول فى هذه الرسالة . وسيتضح لنا ذلك جلياً فى (ص ٩) حيث يتكلم الرسول عن « القدس » (عد ٢) . و « قدس أقداس » . « هاجيا هاجيون » (عد ٣) وهو المسمى فى (عد ٨) « الأقداس » (انظر أيضاً ص ١٠ : ١٩ ، ١٣ : ١١) .

بمقابلة هذه الآيات يتضح بجلاء أن المقصود بالأقداس عند الرسول هو ذلك المكان المسمى « قدس الأقداس » فى خيمة الاجتماع حيث كان رئيس الكهنة يدخل فقط مرة فى السنة بدم ذبيحة الخطية (اقرأ خر ٢٦ : ٣٣ و ٣٤) .

أما « المسكن » فيظهر أن الرسول قصد بذكره شرحاً للأقداس . وفى (ص ٩) يسمى الرسول « القدس » « المسكن الأول » . و « قدس الأقداس » « المسكن الثانى » . على أن واو العطف فى قوله « والمسكن » قد تشير إلى أن المقصود به مسكن خيمة الاجتماع بكل ما فيه من عمل وخدمة (قابل خر ٢٦ ، ٣٩ : ٣٢ — ٤١) .

أما وصف المسكن بكونه « الحقيقى الذى نصبه الرب لا إنسان » ، فهو وصف للمقابلة بين المسكن الأرضى الذى كان يخدم فيه بنو هرون ، وبين المسكن السماوى الذى فيه يخدم المسيح الآن . فإن هذا يوصف « بالحقيقى » ، ليس لأن المسكن الأرضى كان كاذباً ، فهو قد أقيم بأمر الله وفيه حل بمجده (خر ٤٠ : ٣٤ — ٣٨) ، بل باعتبار كونه رمزاً فقط لذلك المسكن المرموز إليه ومثالا له فى عمله وخدمته وكل ما يتعلق به . كما قال الرب لموسى : « انظر فاصنعها على مثالها الذى أظهر لك فى

الجبل » فهى من هذا القبيل أشباه الحقيقة . (اقرأ خر ٢٥ : ٤٠ ، عب ٨ : ٥ ، ٩ : ٢٤) . أما المسكن السماوى فهو الحقيقة بعينها .

« الذى نصبه الرب لا إنسان » : باعتبار أن المسكن الأرضى نصبته يد إنسان سواء أكان مسكن خيمة الاجتماع الذى أقامه موسى بيد بصلئيل وأهو ليآب وكل حكيم القلب قد جعل الرب حكمة فى قلبه ، كل من أنهضه قلبه أن يتقدم إلى العمل ليصنعه (خر ٣٦ : ١ و ٢) ، أم الذى أقامه سليمان بيد صناع حكماء (١ مل ٦) . أما المسكن السماوى فلم تدخل فى إقامته يد إنسان ، بل الرب وحده هو الذى نصبه .

هذا يصل بنا إلى التساؤل فى شأن هوية هذا « المسكن الحقيقى » حيث يراه بعضهم الكون بجملته ، بناء السموات والأرض ، وربما هذا ما قصده المرنم بالقول « وفى هيكله الكل قائل مجد » (مز ٢٩ : ٩) . وبعضهم يراه العالم الروحى ، الكنيسة الجامعة كما جاء فى (إش ٣٣ : ٢٠ ، ٥٤ : ٢) حيث نرى أورشليم مسكناً مطمئناً ، خيمة لا تنتقل ، لا تقلع أوتادها إلى الأبد وشىء من أطنابها لا ينقطع . وأكثر المفسرين يرون « المسكن الحقيقى » ، كما لو كان هو ذات « الأقداس » فيعتبرونه السماء عينها (عب ٩ : ٢٤) .

ولكن لماذا لا يكون هذا المسكن الحقيقى ، ناسوت المسيح ، غير المصنوع بيد أى الذى ليس من هذه الخليقة ، الذى به دخل إلى الأقداس » ؟ (انظر تفسير ص ٩ : ١١ و ١٢) .

إلى هذا الناسوت كان المسكن القديم رمزاً ، ولهذا يسمى المرموز إليه « بالمسكن الحقيقى » . وهذا تؤيده اللغة التى عبر بها عن تجسد المسيح فى (يو ١ : ١٤) قوله : « الكلمة صار جسداً وحل بيننا » . فإن الكلمة « حل » فى أصلها اليونانى هى فعل ذات الكلمة المترجمة « مسكن » ، ومعناها أقام مسكنه بيننا . ومن هذا القبيل ما جاء فى (رؤ ٧ : ١٥) : « الجالس على العرش « يحل » فوقهم . أى يخيم عليهم فيستظلون بظله (انظر أع ٥ : ١٥) . فهكذا كانت الخيمة فى البرية وفى أرض كنعان هى مسكن الله بين شعبه قديماً وعلامة حضوره فى وسطهم (خر ٢٥ : ٨) . ولم تكن فى بنائها وفى

تركيبها إلا مسكناً يشير فى صورة رمزية إلى اتخاذه طبيعتنا وحلوله بيننا : أولم نسمع يسوع فى (يو ٢ : ١٩ — ٢٢) يدعو جسده هيكلا ؟ مشيراً إليه بالقول لليهود : « انقضوا هذا الهيكل وفى ثلاثة أيام أقيمه » . وكان يقول عن هيكل جسده الذى صلبه اليهود مسمرين إياه بالصليب فأقامه هو فى اليوم الثالث . هذا هو « المسكن الحقيقى » الذى حل فيه كل ملء اللاهوت جسدياً ، مسكن الله مع الناس ، وهو سيسكن معهم وهم سيكونون له شعباً . والله نفسه يكون معهم إلهاً لهم » (رؤ ٢١ : ٣) . وعلى ذلك يكون المسيح ليس فقط الكاهن الأعظم ، بل هو أيضاً « المسكن الحقيقى » الذى فيه تقوم الخدمة ، « الذى نصبه الرب لا إنسان » . وهل يحقق ذلك الوصف أكثر من قول الملاك جبرائيل فى بشارته بميلاد ذلك الكاهن العظيم جواباً على سؤال أمه العذراء : « كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلا » ؟ إذ أجابها قائلا : « الروح القدس يحل عليك وقوة العلى تظللك ، فلذلك أيضاً القدوس المولود منك يدعى ابن الله » (اقرأ لو ١ : ٢٦ — ٣٥) .

« هل من ضرورة لهذا « المسكن الحقيقى » ؟ يمكننا أن نجد الجواب فى :

عدد ٣ — ٥ : حيث يضع الرسول مبدأ عاماً ، ويبين ضرورة المسكن على أساس هذا المبدأ العام . أما المبدأ فواضح فى قوله :

« لأن كل رئيس كهنة يقام لكى يقدم قرابين وذبائح » :

وهذا هو عمل الكهنوت الخاص الذى تبيناه فى (ص ٥ : ١) ومنه نتحقق أنه لا يعطى لقب كاهن إلا للذين يقدمون القرابين والذبائح ، وأنه بناء على ذلك يكون جميع المؤمنين كهنة لله لتقديم ذبائح روحية مقبولة عند الله بيسوع المسيح رئيس الكهنة لنا هى العبادة العقلية ، وذبيحة التسبيح ، وفعل الخير والتوزيع ، لأنه بذبائح مثل هذه يسر الله (قابل ١ بط ٢ : ٥ ، عب ٣ : ١ ، ١٣ : ١٥ و ١٦ ، رو ١٢ : ١) .

فالمبدأ العام إذاً هو « أن كل رئيس كهنة يقام لكى يقدم قرابين وذبائح » .

« فمن ثم يلزم أن يكون لهذا أيضاً شيء يقدمه » :

« هذا » الذى نتكلم عنه ، رئيس الكهنة ، يسوع ، « هذا » يلزم أن يكون له « أيضاً شيء » يقدمه من هذه الذبائح والقرابين أو غيرها . أما هذا الشيء بالذات فهو ما سيكون موضوع الكلام مفصلا فى (ص ٩ : ١١ — ١٤) .

وحيث أن المسيح كاهن ، وحيث أنه ككل كاهن له شيء يقدمه ، وجب إذاً أن تكون له أقداس فى السموات يدخل إليها بالمسكن الأعظم .

« فإنه لو كان على الأرض لما كان كاهناً » :

لأنه من سبط آخر غير سبط لاوى ، لم يلازم أحد منه المذبح (٧ : ١٣ و ١٤) ولم يكن له أن يدخل إلى الأقداس الأرضية ولا إلى مسكن خيمة الاجتماع ليقوم بخدمة كهنوتية لاوية .

هذا لا يمنع كون المسيح وهو على الأرض قدم ذبيحته الكفارية بسفك دمه على الصليب . ولكن هذه الذبيحة لم تكن فى الهيكل الذى كان قائماً حينئذ ، ولا بحسب الشريعة ، ولا من نوع الذبائح المنصوص عنها فى الناموس . وفى الوقت نفسه يجب أن لا يغيب عن الذهن أنه ولو أكمل العمل على الأرض بذبيحته ، إلا أن الخدمة الكهنوتية المتعلقة بهذه الذبيحة فى شفاعته الدائمة لإتمام فواعل تلك الذبيحة لا يمكن أن تتم إلا فى الأقداس السماوية التى لا تنقض .

« إذ يوجد الكهنة الذين يقدمون قرابين حسب الناموس » :

هنا على الأرض ، وكانوا لا يزالون وقت كتابة هذه الرسالة إذ لم تكن أورشليم بعد قد تم خرابها وكان الهيكل لا يزال قائماً وخدمته سائرة فى عناد الأمة اليهودية وبالرغم من عدم نفع جميع تلك الممارسات ، لأن تقديم يسوع ذاته ذبيحة ، قد قضى على كل نظام الكهنوت اللاوى ، ودخوله إلى الأقداس السماوية نقض طقوس الأقداس الأرضية وخدمة كهنتها :

« الذين يخدمون شبه السمويات وظلها » :

فإن شبه الشيء ليس هو ذات الشيء ولا يمكن أن يكون ، وظل الإنسان ليس هو ذات الإنسان ولا ينتظر أن يكون . ولابد أن أشباه الحقيقة وظلالها تختفى إزاء الحقيقة فى ذاتها . وحيث أن الرسول يعتبر كل ما يتعلق بالخدمة الأرضية أشباه السمويات وظلالها ، فتكون السمويات هى الحقيقة بعينها .

كما أوحى إلى موسى وهو مزمع أن يصنع المسكن » :

إذ أوحى إليه أن المسكن المطلوب منه أن يصنعه ، والذى على هيئته صنع سليمان الهيكل ، سيكون شبهاً للأشياء السماوية فى تقسيمه وترتيب خدمته المقدسة .

« لأنه قال انظر أن تصنع كل شيء حسب المثال الذى أظهر لك فى الجبل » : هذا قول الله لموسى . وترجمة نصه الأصلى كما جاء فى (خر ٢٥ : ٤٠) هو : « انظر فاصنعها على مثالها الذى أظهر لك فى الجبل » . فليس فى النص الأصلى عبارة « كل شيء » وربما أضافها الرسول مما ورد قبل ذلك فى (عد ٨ و ٩) قول الله : « فيصنعون لى مقدساً لأسكن فى وسطهم بحسب جميع ما أنا أريك من مثال المسكن ومثال جميع آنيته هكذا تصنعون » . ويذهب بعض كتبة التلمود أن « المثال » الذى أراه الرب لموسى كان بناءاً حقيقياً ، كان ، ولا يزال قائماً على الجبل . وهذا ما ذهب إليه بعض المفسرين هنا مدفوعين إليه بما استعمله الرسول فى استدلاله من بلاغة التعبير حتى نسوا مجاز اللغة . أما إذا أتينا إلى الوقائع العملية فلا يمكننا بأى حال من الأحوال أن نتصور أنه كان هنالك فى السماء قدس أقداس داخلى منفصل عن القدس الخارجى بحجاب فاصل كما كان فى الخيمة الأرضية ، الذى هو فى حقيقته ليس إلا مجرد تعبير ، لا عن تخطيط مكانى واقعى ، بل عن علاقات أدبية وحقائق روحية ، مجرد تعبير عن الحالة الكائنة حينئذ التى كان يدل عليها الحجاب الفاصل وهى « أن طريق الأقداس لم يظهر بعد » أى لم يفتح أمام الإنسان ، باعتبار كونه خاطئاً لا يستطيع أن يقترب إلى الله بدون كفارة وغفران . وهذا ما أعلنه الرسول فى (٩ : ٨) . كما أنه بين أيضاً فكره فى الحجاب الفاصل بأنه هو أيضاً ، كالمسكن ، جسد يسوع الذى به كرس لنا طريقاً حديثاً حياً

إلى الأقداس (١٠ : ١٩ و ٢٠) . الأمر الذي يرينا أن الرسول نفسه لم ير فى قول الله لموسى مثالا حقيقياً ، تصميا مكانياً ، بل صورة رمزية لتجسد المسيح ووساطته و بجماعة المختارين الذين سيجمعون بواسطته ، وعبادتهم الروحية . وهذا هو اعتبار الرسول فى كل بحثه كما يتبين من (كو ٢ : ١٧) حيث يحسب أن جميع المناسك الموسوية والطقوس المتعلقة بالخيمة قديماً لم تكن إلا ظل الأمور العتيدة ، أى مجرد إشارات إلى أمور روحية متوقعة ، وهى التى يسميها فى العبرانيين « بالسماويات » ، ويسميها فى كولوسى « بالجسد » بمقابلتها مع الأشباه والظل . « أما الجسد فللمسيح » إذ قد كان المسيح هو ذلك الجسد الذى كانت تلك المناسك ظله « فإنه فيه يحل كل ملء اللاهوت جسدياً » ، كما كان يحل فى خيمة موسى طقسياً . وهذا يصل بنا إلى :

(ب) الخدمة الأفضل فى المسكن الأفضل (ص ٨ : ٦ — ١٣)

٦ وَلٰكِنَّهُ ٱلْآنَ قَدْ حَصَلَ عَلَى خِدْمَةٍ أَفْضَلَ بِمِقْدَارِ مَا هُوَ وَسِيطٌ
أَيْضًا لِعَهْدٍ أَعْظَمَ قَدْ تَثَبَّتَ عَلَى مَوَاعِيدَ أَفْضَلَ .
٧ فَإِنَّهُ لَوْ كَانَ ذٰلِكَ ٱلْأَوَّلُ بِلَا عَيْبٍ لَمَا طُلِبَ مَوْضِعٌ
لِثَانٍ . ٨ لِأَنَّهُ يَقُولُ لَهُمْ لَائِمًا هُوَذَا أَيَّامٌ تَأْتِي يَقُولُ ٱلرَّبُّ
حِينَ أُكَمِّلُ مَعَ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ وَمَعَ بَيْتِ يَهُوذَا عَهْدًا جَدِيداً .
لَا كَالْعَهْدِ ٱلَّذِي عَمِلْتُهُ مَعَ آبَائِهِمْ يَوْمَ أَمْسَكْتُ بِيَدِهِمْ لِأُخْرِجَهُمْ
مِنْ أَرْضِ مِصْرَ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَثْبُتُوا فِي عَهْدِي وَأَنَا أَهْمَلْتُهُمْ يَقُولُ
ٱلرَّبُّ . ١٠ لِأَنَّ هٰذَا هُوَ ٱلْعَهْدُ ٱلَّذِي أَعْهَدُهُ مَعَ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ
بَعْدَ تِلْكَ ٱلْأَيَّامِ يَقُولُ ٱلرَّبُّ أَجْعَلُ نَوَامِيسِي فِي أَذْهَانِهِمْ وَأَكْتُبُهَا

عَلَى قُلُوبِهِمْ وَأَنَا أَكُونُ لَهُمْ إِلَهاً وَهُمْ يَكُونُونَ لِي شَعْبًا . ١١ وَلاَ
يُعَلِّمُونَ كُلٌّ واحِدٍ قَرِيبَهُ وَكُلٌّ وَاحِدٍ أَخَاهُ قَائِلاً اعْرِفِ الرَّبَّ
لأَنَّ الْجَمِيعَ سَيَعْرِفُونَنِي مِنْ صَغِيرِهِمْ إِلَى كَبِيرِهِمْ . ١٢ لأَنِّي
أَكُونُ صَفُوحًا عَنْ آثَامِهِمْ وَلاَ أَذْكُرُ خَطَايَاهُمْ وَتَعَدِّيَاتِهِمْ فِي
مَا بَعْدُ . ١٣ فَإِذْ قَالَ جَدِيدًا عَتَّقَ الأَوَّلَ . وأَمَّا مَا عَتَقَ وَشَاخَ فَهُوَ
قَرِيبٌ مِنَ الاضْمِحْلاَلِ .

بقدر ما للمسكن الحقيقى من فضل على المسكن الرمزى ، بهذا القدر عينه تكون أفضلية الخدمة فى الواحد عنها فى الآخر . وعليه يكون يسوع الآن وهو خادم للأقداس والمسكن الحقيقى قد حصل على خدمة أفضل لعهد أفضل هو العهد الجديد بمقابلة العهد القديم الذى قام بخدمته كهنة بنى لاوى فى المسكن الرمزى .

« ولكنه الآن » :

أى يسوع . فإنه : وهو ليس الآن على الأرض ، ولكنه صعد إلى السماء ،

« قد حصل على خدمة أفضل » :

بدخوله إلى الأقداس السماوية لخدمة كانت كل خدمة العهد القديم رمزاً إليها ، وبهذا الاعتبار هى « خدمة أفضل » .

بمقدار ما هو وسيط أيضاً لعهد أعظم » :

« لأنه يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس الإنسان يسوع المسيح الذى بذل نفسه فدية عن كثيرين » (١تى٢ : ٥ و ٦) . هذا هو وسيط العهد الجديد الأعظم (قابل شرح ٧ : ٢٢، ٨ : ٨) . هنا يقابل الرسول بين العهدين ، ويفضل جديدهما على قديمهما ، وينشغل بهذا الموضوع فى باقى هذا الأصحاح فلا يستمر فى كلامه عن خدمة .

المسيح وذبيحته ، حتى يبرهن تلك الأفضلية المشار إليها ، فيعود بعد ذلك فى (ص ٩) إلى كلامه . وهذه عادة الرسول كما رأيناها ، لاستيفاء المباحث التى تعرض له فى طريق حججه وبراهينه . أما تلك الأفضلية فإنه يبنيها على أساس كون العهد الجديد :

« قد تثبت على مواعيد أفضل » :

فإن كل عهد يقطع بين الله والناس لابد أن يؤسس ويقام على مواعيد . وعلى ذلك يكون كلا الوعد والعهد فى جوهرهما واحد . وهذا ما نستطيع أن نراه فى قول الرب فى (تك ٩ : ١١) حيث يسمى وعد مطلق ، مؤسس على قضاء مطلق ، ميثاقاً . وفى قوله أيضاً فى (ار ٣٣ : ٢٠) حيث يعتبر قصده فى استمرار الليل والنهار ، عهداً معهما . فإن كينونة العهد الإلهى وجوهره كامنتان فى وعده لذلك قيل : « عهود الموعد » (أف ٢ : ١٢) أى العهود المبنية على المواعيد .

أما المواعيد الأفضل التى تقوم عليها أفضلية العهد الجديد فواضحة فى البحث التالى :

« فإنه لو كان ذلك الأول بلا عيب ، لما طلب موضع لثان » :

يسمى الرسول العهدين هنا بـ « الأول » و « الثانى » أما العهد الأول ، فإذا راجعنا كل الاشارات التى وردت فى هذه الرسالة ، وإذا تحققنا غرض الرسول من كل تلك الاشارات ، نستطيع أن نقول عنه :

(١) إنه ليس عهد الأعمال ، أى ليس عهد الحياة بالأعمال ، العهد المقطوع من الله مع آدم نائباً عن نسله فى جنة عدن على مبدأ أن وصية الله هى حياة أبدية وأن من يفعلها يحيا بها (قابل يو ١٢ : ٤٩ و ٥٠ مع لا ١٨ : ٥ ، رو ١٠ : ٥ ، غل ٣ : ١٢). فإن ذلك العهد قد نقض بمجرد أن تعدى آدم الشرط الأساسى مخالفاً وصية الله بالأكل من الشجرة المنهى عنها .

(٢) بل هو العهد المقطوع مع بنى إسرائيل عن يد موسى يوم أخرجهم من أرض مصر كما سنرى فى (عد ٩) ، وهو عهد الناموس الذى قطعه الله معهم عند جبل سيناء . والفرق بين هذا العهد وعهد الأعمال المقطوع مع آدم هو أن هذا دون ذاك

قد تكرس بالدم كما سنرى فى (ص ٩ : ١٨ — ٢٢ انظر أيضاً خر ٢٤ : ٣ — ٨) . فهو عهد تتجلى صورته فى قدس الأقداس ، فى تابوت العهد يضم تحت غطائه ناموس سيناء ، الوصايا العشر التى شعارها كما رأينا « إذا فعلها الإنسان يحيا بها » ، لكنه فوق غطائه مرشوش بدم ذبيحة الخطية الذى به يدخل رئيس الكهنة إلى الأقداس مرة فى السنة للتكفير عن الخطايا ، بل تتجلى صورته أيضاً فى الحجاب يفصل بين الله فى قدس الأقداس وبين الشعب الخاطىء الذى لا يجرؤ فى نجاسته على الدخول إلى حيث الله فوق الغطاء حال بمجده بين الكروبين . ولكنه أيضاً فى ذات الوقت لا يمنع من ظهور ذات الشعب أمام ذلك المجد فى شخص رئيس الكهنة ولو مرة فى السنة .

أما العهد الثانى فهو العهد المقطوع مع المسيح ، آدم الأخير ، نائباً عن نسله . وهو عهد كعهد الناموس مكرس بدم ، وفى ذات الوقت هو عهد كعهد الأعمال قائم على بر الحياة العملية الذى أكمله المسيح نفسه . . فهو عهد لا ينقض ولن ينقض . وبخاصة لأنه مكرس بدم كريم كما من حمل بلا عيب ولا دنس (١ بط ١ : ١٩) ومؤسس على كمال الناموس فى تلك الحياة الكاملة « لأنه ما كان الناموس عاجزاً عنه فى ما كان ضعيفاً بالجسد فالله إذ أرسل ابنه فى شبه جسد الخطية ، ولأجل الخطية ، دان الخطية فى الجسد ، لكى يتم حكم الناموس فينا نحن السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح » (رو ٨ : ٣ و ٤) .

هذا العهد الثانى أخذ موضع العهد الأول كما تفيده لغة الرسول فى الآية وهو يعبر عن الأمر الواقع الذى منه يستنتج أن العهد الأول لم يكن « بلا عيب » لأنه لو كان بلا عيب لما كان موضع لثان . أما عيبه فلا يمكن أن يكون فى ذاته ، ولا فى وضعه ، لأنه عهد من الله وهو تعالى واضعه ، ووصيته مقدسة وعادلة وصالحة (رو ٧ : ١٢) ، وقد تم الغرض الخاص من وضعه بوصف كونه مجرد رمز إلى أن يأتى المرموز إليه . بهذا الاعتبار الرمزى لم يكن قادراً أن يحيى (انظر غل ٣ : ١٩ — ٢٩) . فلم يكن ليتمم الغرض العام وهو خلاص الكنيسة وتقديسها وتمجيدها كعروس مزينة (انظر أع ١٣ : ٣٨ و ٣٩ وراجع شرح عب ٧ : ١١ و ١٨ و ١٩) .

«لأنه يقول لهم لائماً» :

استدل الرسول على عيب العهد القديم من نصوصه ، ورأى فى تلك النصوص أقوى حجة لكلامه لإقناع العبرانيين . فإن القائل هو الله وهو يقول لليهود أنفسهم :

« لائماً » ومن يلوم ؟ هل يلوم اليهود الذين لم يثبتوا فى العهد ؟ أو يلوم العهد نفسه الذى لم يكن « بلا عيب » ؟ أو يلوم الناحيتين معاً ؟ إن صيغة الكلام لا تعين الواقع عليه اللوم ، ولا تستلزم إيقاع لوم على ناحية من الناحيتين أو على الناحيتين معاً . بل تصف حال الله وهو يقول «لائماً» (انظر استعمال الكلمة فى مر ٧ : ٢ ، رو ٩ : ١٩) . فالكلمة تشير إلى مجرد حالة يراها الله فى العهد الأول تستلزم استبداله بعهد ثان .

أما القول الذى يقوله « لائماً » فقد قاله على لسان نبيه إرميا (٣١ : ٣١ – ٣٤) . وهو قول مأخوذ عن السبعينية بتغيير لفظى طفيف وهذا نصه :

« هوذا أيام تأتى يقول الرب » :

لابد أن تكون الأيام المشار إليها ، عصر المسيا ، موضوع النبوات وجوهرها الأعظم ، وقد رآه الرسول فى تلك النبوة القديمة ، فى علاقته بكهنوت المسيح واقتران ذلك الكهنوت بالعهد المشار إليه فى تلك النبوة ، حيث يقول الرب « هوذا أيام تأتى » :

« حين أكمل مع بيت إسرائيل ومع بيت يهوذا عهداً جديداً » :

كان « بيت إسرائيل » المملكة الشمالية فى أرض كنعان ، الأسباط العشرة الذين شقوا عصا الطاعة على رحبعام ابن سليمان بعد موت أبيه تحت قيادة يربعام ابن نباط أول ملوكهم : أما « بيت يهوذا » فكان هو المملكة الجنوبية فى أرض كنعان ، من سبطى يهوذا وبنيامين اللذين حفظا علاقتهما ببيت داود وملوكه (اقرأ ١مل ١١ : ٢٦ – ٣٩ ، ١٢ : ١ – ٢٠) .

فى زمان قول الرب هذا بفم إرميا ، كان « بيت إسرائيل » فى أرض السبى الأشورى ، حيث كان شلمنأصر ملك أشور قد سبق فسباهم إلى أشور بعد أن أخذ

السامرة عاصمة مملكتهم حينئذ ، فى أيام هوشع ابن أيلة آخر ملوكهم ، وفى أيام حزقيا ملك يهوذا (٢ مل ١٨ : ٩ — ١١) .

أما « بيت يهوذا » فكان فى زمان ذلك القول على أبواب السبى البابلى حيث كان نبوخذ نصر ملك بابل عتيداً أن يحاصر أورشليم ويسبى يهوذا إلى بابل ، الأمر الذى وقع فعلا بعد ذلك النطق الكريم بسنوات قليلة (قابل ٢ مل ٢٣ : ٣٦ ، ص ٢٤ و ٢٥ ، ٢ أى ٣٦ : ٥ — ٢١ ، إر ٢٥ : ١ و ٢) .

أما بعد الرجوع من السبى فقد اقترن البيتان الواحد بالآخر كما تمثلهما حزقيال النبى فى صورة ظهر مغزاها فى قول الرب بفمه : « هأنذا آخذ بنى إسرائيل من بين الأمم التى ذهبوا إليها وأجمعهم من كل ناحية وآتى بهم إلى أرضهم . وأصيرهم أمة واحدة فى الأرض على جبال إسرائيل وملك واحد يكون ملكاً عليهم كلهم ولا يكونون بعد أمتين ولا ينقسمون بعد إلى مملكتين. . . وداود عبدى يكون ملكاً عليهم ويكون لجميعهم راع واحد . . . وعبدى داود رئيس عليهم إلى الأبد وأقطع معهم عهد سلام فيكون معهم عهداً مؤبداً . . . ويكون مسكنى فوقهم وأكون لهم إلهاً ويكونون لى شعباً » (اقرأ حز ٣٧ : ١٥ — ٢٨) .

أفلا تحقق لنا هذه الأقوال طبيعة العهد الجديد الذى فيه وضع المسيح نفسه من أجل خرافه الحقيقيين من اليهود ومن الأمم ليأتى بهم ليكونوا رعية واحدة وراع واحد (يو ١٠ : ١٤ — ١٦) ؟ الذى مات عن الأمة ، وليس عن الأمة فقط ، بل ليجمع أبناء الله المتفرقين إلى واحد (يو ١١ : ٥١ و ٥٢) ؟ الذى طلب من كل قلبه أن يكون الجميع واحداً فيه وفى الآب كما أنهما هما أيضاً واحد (يو١٧ : ١١ و ٢١ — ٢٣) ؟ .

هذا هو العهد الجديد الذى يراه الرسول قد حل محل العهد القديم ، عهداً لا ينقض ولا يتغير ولا يحل محله آخر لذلك يستعمل كلمة « أكمل » مع أن الكلمة العبرية لا تعنى أكثر من معنى اللفظ « أقطع » ومع أنه ، عن العهد القديم ، يستعمل كلمة «أعمل» فى :

عد ٩ : حيث يقول :

« لا كالعهد الذى عملته مع آبائهم :

فى هذا القول نجد وصفاً سلبياً للعهد الجديد فى وصف إيجابى للعهد القديم ، وهو العهد الأول الذى تكلمنا عنه فى (عد ٧) الذى يوصف هنا بيوم قطعه ، فى قول الرب :

« يوم أمسكت بيدهم لأخرجهم من أرض مصر » :

فهو عهد مقترن بالفداء من عبودية مصر بذراع ممدودة وبيد رفيعة ، فهو إذاً عهد نعمة ، بدأ فى روحه بعد نقض عهد الأعمال بإعلان نسل المرأة الذى يسحق رأس الحية ، وعداً خلاصياً مجيداً فى جنة عدن (تك ٣ : ١٥) ، وتثبت فى البرية بالدم (خر ٢٤ : ٣-٨) : وبنى بجملته على القول : «أنا الرب إلهك الذى أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية » (خر ٢٠ : ٢) وشعاره فى كل أدواره : « هكذا يقول الرب خالقك يا يعقوب وجابلك يا إسرائيل : لا تخف لأنى فديتك دعوتك باسمك . أنت لى » (إش ٤٣ : ١) . وإذا كان العهد القديم هو هكذا فى علاقته الفدائية ، مرموزاً به ؟ فكم يكون العهد الجديد مرموزاً إليه ، عهداً أفضل ؟

« لأنهم لم يثبتوا فى عهدى » :

أى أن شعب إسرائيل الذين تقبلوا عهد الله عند جبل سيناء متعاهدين بصوت واحد قائلين : « كل الأقوال التى تكلم بها الرب نفعل » (خر ٢٤ : ٣ ، تث ٥ : ٢٧) لم يلبثوا حتى نقضوا العهد وكسروا الوصية وزاغوا سريعاً عن طريقها ، حتى قبل أن ينزل موسى عن الجبل ، وصنعوا لهم عجلا مسبوكاً وسجدوا له وذبحوا له وقالوا هذه آلهتك يا إسرائيل التى أصعدتك من أرض مصر . وهكذا كان شعار حياتهم كشعب غليظ القلب وصلب الرقبة ، إنهم أبدلوا مجد الله الذى لا يفنى بشبه صورة الإنسان الذى يفنى والطيور والدواب والزحافات (انظر خر ٣٢ ، إر٢٥: ١-٧ ، رو ١ : ٢٣) :

« وأنا أهملتهم يقول الرب » :

وفى النص المقتبس يقول « رفضتهم » . أما الأصل العبرى فهو الفعل « بعل » ومعناه أصلا السيادة . ومنه « البعل » أى الزوج من فكر « سيادته » على الزوجة بمقتضى النص : « إلى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك » (تك ٣ : ١٦) . ومنه يمكننا أن نرى أن الله دخل مع بنى إسرائيل فى عهد زيجة مقدس أصبح فيه « بعلا » لهم ولكنهم نقضوا هذا العهد وذهبوا وراء « البعليم » أى الأسياد الآخرين فرفضهم أو أهملهم أى قطع علاقته الزيجية معهم . أى أسلمهم فى شهوات قلوبهم إلى النجاسة وإلى أهواء الهوان ، وإلى ذهن مرفوض (اقرأ إر ٣١ : ٣٢ مع هو ٢ : ١ ـــ ١٣ ، رو ١ : ٢١ ـــ ٢٨) . فيكون العهد الجديد من هذا القبيل هو أن يعود الله إليهم فى عهد الزيجة فيخطبها لنفسه إلى الأبد بالحق والعدل والإحسان والمراحم والأمانة ويعزيها بالقول : « لا تخافى لأنك لا تخزين ولا تخجلى لأنك لا تستحين . فإنك تنسين خزى صباك وعار ترملك لا تذكرينه بعد . لأن بعلك هو صانعك رب الجنود اسمه ووليك قدوس إسرائيل إله كل الأرض » (قابل إش ٥٤ : ١ ـــ ١٠ مع هو ٢ : ١٤ ـــ ٢٣)

عد ١٠ ـــ ١٢ : تصف العهد الجديد وصفاً إيجابياً وتعلن طبيعته فى العلاقة بالله وفى التعرف الممتاز به ، وفى الصفح عن التعديات .

« لأن هذا هو العهد الذى أعهده مع بيت إسرائيل » :

العهد الجديد الموعود به فى (عد ٨) ، المقطوع « مع بيت إسرائيل » . وكما أن العهد القديم كان رمزاً للعهد الجديد هكذا يكون « بيت إسرائيل » المقطوع معهم العهد الجديد ، لا إسرائيل الحرفى الرمزى ، بل إسرائيل الروحى « الخليقة الجديدة » . « إسرائيل الله » « حيث ليس يونانى ويهودى ، ختان وغرلة ، بربرى ، سكيثى ، عبد ، حر ، بل المسيح الكل فى الكل » (قابل غل ٦ : ١٥ و ١٦ ، كو ٣ : ١٠ و ١١ مع ١ كو ١٠ : ١٨) : لذلك يقال :

« بعد تلك الأيام » :

أى بعد الأيام التى فيها نطق الله بالوعد على فم إرميا النبى كما رأينا . ولذلك رأى فيها البعض إشارة إلى سبى بابل والرجوع منه حيث أظهر الله لهم رحمة عظيمة ليستميلهم إلى الطاعة . ولكننا لا نرى أن عهداً جديداً قطع مع الراجعين من السبى ، بل كان العهد القديم باقياً على ما هو عليه كما هو واضح من كلمات ذلك العهد الختامية فى قول الرب : « اذكروا شريعة موسى عبدى التى أمرته بها فى حوريب على كل إسرائيل الفرائض والأحكام » (انظرمل ٤ : ٤ — ٦) حيث نتحقق أن تلك الأيام هى أيام العهد القديم التى عينها الله فى قصده الأزلى إلى أن يأتى ملء الزمان ليرسل ابنه إلى العالم « مولوداً من امرأة مولوداً تحت الناموس ليفتدى الذين تحت الناموس لننال التبنى (غل ٤ : ٤) . ملء الزمان الذى جاء فى بدئه يوحنا المعمدان ليعد الطريق أمام مولود المرأة المجيد ، حيث تقدم أمامه بروح إيليا « ليرد قلوب الآباء إلى الأبناء والعصاة إلى فكر الأبرار لكى يهيىء للرب شعباً مستعداً » (لو ١ : ١٣ — ١٧) . وهذا عينه يرينا طبيعة العهد الجديد المتعلق به كما يقول الرب :

« أجعل نواميسى فى داخلهم وأكتبها على قلوبهم » :

والعبارتان مجاز بمعنى واحد تشيران إلى العهد القديم مكتوباً على اللوحين من الحجر اللذين أعدهما موسى وكتب الله عليهما ناموسه بأصبعه ، ولم تمض برهة حتى كسر اللوحان لأن الشريعة المكتوبة عليهما قد كسرت (خر ٢٤ : ١٢ ، ٣٢ : ١٥ — ١٩). فى هذا لم يكن العهد الجديد كالقديم إذ كتبه الله « لا بحبر ، بل بروح الله الحى . لا فى ألواح حجرية ، بل فى ألواح قلب لحمية » (٢كو ٣ : ٣) . متمماً وعده لإسرائيل الحقيقى الذى نطق به بفم نبيه حزقيال (٣٦ : ٢٦) « وأعطيكم قلباً جديداً ، وأجعل روحاً جديدة فى داخلكم وأنزع قلب الحجر من لحمكم وأعطيكم قلب لحم . وأجعل روحى فى داخلكم وأجعلكم تسلكون فى فرائضى وتحفظون أحكامى وتعملون بها » . وإذا تولى الرب هذا العمل ، ينتفى طبعاً القول الذى قيل عن العهد القديم : « لأنهم لم يثبتوا فى عهدى » ، وكذا ينتفى القول : « وأنا أهملتهم » ويتمكن قول الله :

« وأنا أكون لهم إلهاً وهم يكونون لى شعباً » :

وهو قول مرتبط بما قبله كما يتبين من نفس الوعد الذى أشرنا إليه فى حزقيال (٣٦ : ٢٨ ، ٣٧ : ٢٣ و ٢٧) : وهو وعد البركة للطاعة وأبنائها ، بل وعد البركات الأبدية لأبناء الحياة الأبدية حيث يكون مسكن الله مع الناس وهو سيسكن معهم والله نفسه يكون معهم إلهاً لهم (رؤ ٢١ : ٣) . فالوعد بجزئيه وعد الطاعة من جانب الشعب ووعد البركة من جانب الله . وكلاهما وعد من الله كما قال : « إنى سأسكن فيهم وأسير بينهم وأكون لهم إلهاً وهم يكونون لى شعباً . لذلك أخرجوا من وسطهم واعتزلوا يقول الرب ولا تمسوا نجساً فاقبلكم . وأكون لكم أباً وأنتم تكونون لى بنين وبنات يقول الرب القادر على كل شىء » (٢ كو ٦ : ١٦ — ١٨) .

هذا يحقق لنا أن الله فى عهده الجديد لم يتغاض عن شريعته المقدسة . وإلا لماذا يكتبها فى القلب ويجعلها فى الإنسان الباطن ؟ فإنه وإن كان بأعمال الناموس كل ذى جسد لا يتبرر أمامه ، لأن الله واحد الذى سيبرر الختان بالإيمان والغرلة بالإيمان ، ولكن أفنبطل الناموس بالإيمان ؟ حاشا . بل نثبت الناموس » (اقرأ رو ٣ : ٢٠ — ٣١) . فهو لا يزال ، تحت طائلة المواعيد ، قانوناً للحياة ، ولو أنه ليس وسيلة للتبرير . « فإذ لنا هذه المواعيد أيها الأحباء لنطهر ذواتنا من كل دنس الجسد والروح مكملين القداسة فى خوف الله » (٢ كو ٧ : ١) .

من ميزات العهد الجديد أيضاً معرفة الله وقد ذكرها الرسول سلباً وإيجاباً .

أما الوجه السلبى فتتبين منه المباينة بين العهدين بالنسبة لهذه المعرفة حيث يقال :

« ولا يعلمون كل واحد قريبه وكل واحد أخاه قائلا : « أعرف الرب » :

وليس فى هذا القول ما ينقض كرسى التعليم أو ينقص من شأن التعليم إطلاقاً ، أو ينفى نظامه الكنسى ، وبالتالى ينزع خدمة الكنيسة وفرائضها وقيادتها ، كما لو كان قول الإنسان لأخيه أو لقريبه : « اعرف الرب » مخالفاً لنص الآية كما يرى البعض ، فإن هذا يكون معناه حجب النور ، وإبقاء الظلمة ، وترك العالم فى الخطية والجهل .

أما معنى العبارة الحقيقى فيظهر فى المقابلة المقصودة بين التعليم فى العهدين كما سنراها فى الوجه الإيجابى القائل :

« لأن الجميع سيعرفوننى من صغيرهم إلى كبيرهم » :

وهو وعد مبنى على الوعد السابق القائل : « أجعل نواميسى فى أذهانهم وأكتبها على قلوبهم » فإن نتيجة ذلك ، ولابد ، أن الجميع سيعرفونه فلا يحتاجون أن يعلم الإنسان أخاه أو قريبه قائلا » : أعرف الرب » . « لأن الأرض تمتلىء من معرفة الرب كما تغطى المياه البحر » حسب قول إشعياء (١١ : ٩) .

وإن كان البعض قد رأوا فى الوجه السلبى فكرة عدم لزوم الخدمة المسيحية والتعليم فإن البعض الآخر قد مالوا إلى الطرف الآخر فرأوا فى الوجه الإيجابى وعداً لا يتم إلا فى السماء فى حال المجد حيث يبطل التعليم إذ لا تكون حاجة إليه لأن المعرفة تكمل هناك .

أما الموضوع الذى أمامنا فلم يقصد فيه الرسول قط إبطال الخدمة المسيحية ، كما أنه لم يتكلم عن المجد العتيد ، بل عن « العالم العتيد » الذى هو زمان نظام الكنيسة فى العهد الجديد ، حال العالم حين انتشار معرفة المسيح وحكمه على الأرض . وعليه لابد أن يكون التعليم المقصود هو تعليم كان فى العهد القديم لا يكون فى العهد الجديد .

فما هو هـــذا التعليم المقصود ؟ أهو التعليم فى ذاته طبيعياً وأدبياً ؟ أو هو التعليم فى طريقته ؟

إن التعليم فى ذاته يتضمن الواجبات المتبادلة المشتركة بين الناس بعضهم نحو بعض ، وهو فى طبيعته طلب الخير للآخرين بتهذيبهم فى معرفة الله التى عليها تتوقف أعظم سعادة لهم ، وهذا لا يمكن أن ينقض نظراً لتلك الواجبات التى يثبتها القول الإلهى : « اسمع يا إسرائيل . الرب إلهنا رب واحد . فتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قوتك . ولتكن هذه الكلمات التى أنا أوصيك بها اليوم على قلبك ، وقصها على أولادك وتكلم بها حين تجلس فى بيتك وحين تمشى فى الطريق وحين تنام وحين تقوم » (تث ٦ : ٤ — ٧) .

أما التعليم فى طريقته، فهو صورة طقسية رسمها العهد القديم فى قول الرب لإسرائيل: « اربطها علامة على يدك ، ولتكن عصائب بين عينيك واكتبها على قوائم أبواب بيتك وعلى أبوابك » (تث ٦ : ٨) ، « أن يصنعوا لهم أهداباً فى أذيال ثيابهم فى أجيالهم ، ويجعلوا على هدب الذيل عصابة من أسمانجونى فتكون لكم هدبا فترونها وتذكرون كل وصايا الرب وتعلمونها ولا تطوفون وراء قلوبكم وأعينكم التى أنتم فاسقون وراءها لكى تذكروا وتعملوا كل وصاياى وتكونوا مقدسين لإلهكم » (عد ١٥ : ٣٨ — ٤٠).

على هذه الصورة الطقسية اعتمد اليهود كثيراً وتمسكوا بأهدابها (مت ٢٣ : ٥) ، فأصبحت لهم الجوهر ، وهى العرض ، فانقلب الغرض ، وصارت خدمة العهد القديم خدمة الحرف الذى يقتل (٢كو ٣ : ٦) . حرف الناموس لا روحه ، وشريعته الخارجية لا الداخلية . لذلك كان لابد أن تستبدل هذه الخدمة بخدمة الروح الذى يحيى ، الذى يجدد القلب ويقدسه ويجعل فيه بذرة الحياة الأبدية (رو ٨ : ٢ و ١٠) فهو يعلم كل شيء ويذكر بكل شيء ، ويرشد إلى جميع الحق ويأخذ مما للمسيح ويخبر به (يو ١٤ : ٢٦ ، ١٦ : ١٣ —١٥) . بهذا الروح وضع الرسل تعليمهم للأمم بشأن العهد القديم قائلين : « قد رأى الروح القدس ونحن أن لا نضع عليكم ثقلا أكثر » (انظر أع ١٥ : ١٩ و ٢٨) .

« لأنى أكون صفوحاً عن آثامهم ولا أذكر تعدياتهم فى ما بعد » :

ميزة أخرى من ميزات العهد الجديد ، يمكن اعتبارها أساساً لكل الميزات التى سبق ذكرها ، ولو ذكرت آخرها ، فقبل أن يتمتع بيت إسرائيل وبيت يهوذا ، إسرائيل الله ، بأية بركة من بركات العهد الجديد ، لا بد أن يتمتع ببركة الصفح والغفران التى تتبعها جميع البركات ؟

ولكن ألم يكن الله فى العهد القديم صفوحاً ؟ ألم يقل المرنم : « الرب رحيم ورؤوف طويل الروح وكثير الرحمة » ؟ (مز ١٠٣ : ٨ — ١٤) . بل ألم يقل عنه النبى : « يعود يرحمنا يدوس آثامنا وتطرح فى أعماق البحر جميع خطاياهم » ؟ (مى ٧ : ١٨ — ٢٠) . وإن كان الله فى العهد القديم صفوحاً ، فهل لم يتمتع إسرائيل قديماً ببركات هذا الصفح

المترتبة عليه ؟ هذا يرينا أن الفرق بين العهدين إنما هو فى كون القديم ليس إلا ظلا للجديد ، شبها للحقيقة ، رمزاً للمرموز إليه ، عرضاً للجوهر ، كما ذكرنا .

عد ١٣ : « فإذ قال جديداً عتق الأول » :

هذا القول مبنى على قول الرب فى (عد ٨) « أكمل مع بيت إسرائيل ومع بيت يهوذا عهداً جديداً » فبقوله « جديداً » عتق الأول أى جعله عتيقاً ، فلم يصر العهد الأول عتيقاً من تلقاء ذاته ، بل بقول الرب نفسه ، لأن عهداً من الله لا يمكن أن يؤثر فيه قدمه ، ولا أن تقلل من قيمته خطايا البشر ، حتى يتدخل الله ذاته فيعتقه .

« وأما ما عتق وشاخ فهو قريب من الاضمحلال » :

وهذه هى النتيجة النهائية ، بيت القصيد فى كل براهين الرسول المنطقية . وهى نتيجة تعبر عنها الطبيعة وتمثلها لنا فى كل دوائرها ، سواء أكانت فى دائرة الجماد أو النبات أو الحيوان ، حيث تكتب لنا ، فى العتق والشيخوخة ، بحروف بارزة إعلاناً بقرب الاضمحلال أى الزوال. على أن هذه الطبيعة عينها ترينا ، فى بعض دوائرها ، فى هذا الاضمحلال تجديداً . فإذ نخلع العتيق نلبس الجديد وإذ ينقشع السحاب ينجلى النور . أو لا نرى فى اضمحلال القمر أنباء بشروق الشمس وتزايدها إلى النهار الكامل ؟ هكذا نرى فى اضمحلال مجد قمر العهد القديم ، إعلاناً بشروق مجد شمس العهد الجديد . وهكذا نحقق فى ملء نور العهد الجديد قضاء على سحر العهد القديم . وبناء عليه نرى فى هذا العدد الأخير طابعاً تختم به تلك اللغة التى تبين بجلاء عدم كمال العهد الأول وزواله ليعطى مكاناً لعهد أفضل ، ووساطة أفضل ، وكهنوت أفضل .

الآن انتهى الرسول من المقارنة بين العهدين فى عد (٦ — ١٣) ، وأعد الطريق للعودة إلى الكلام فى موضوع « المسكن الذى فيه يقوم المسيح بخدمته الكهنوتية » وقد تكلم عنه فى مبحثين : (أ) المسكن الأفضل ، (ب) الخدمة الأفضل فى المسكن الأفضل ، وسيتكلم الآن عن المبحث الثالث وهو :

(جـ) المسكنان فى تركيبهما (٩ : ١٠ ــ ١١)

فى هذا المبحث الثالث يصل بنا الرسول إلى تبيان تلك الخدمة الكهنوتية فى العهد القديم التى وإن كانت غير كاملة وزائلة ، ولكنها كانت رمزاً لتلك الخدمة العليـــا وإليها تشير .

فى هذاالتبيان ذكر : ١ ــ ترتيب المسكن (عد١ــ٥) ، ٢ــالخدمة بالنسبة لهذا الترتيب (عد ٦ ــ ١١) .

(١) ترتيب المسكن (٩ : ١ ــ ٥)

١ ثُمَّ ٱلْعَهْدُ ٱلْأَوَّلُ كَانَ لَهُ أَيْضًا فَرَائِضُ خِدْمَةٍ وَٱلْقُدْسُ
ٱلْعَالَمِيُّ . ٢ لِأَنَّهُ نُصِبَ ٱلْمَسْكَنُ ٱلْأَوَّلُ ٱلَّذِى يُقَالُ لَهُ ٱلْقُدْسُ
ٱلَّذِى كَانَ فِيهِ ٱلْمَنَارَةُ وَٱلْمَائِدَةُ وخَبْزُ ٱلتَّقْدِمَةِ . ٣ وَوَرَاءَ ٱلْحِجَابِ
ٱلثَّانِى ٱلْمَسْكَنُ ٱلَّذِى يُقَالُ لَهُ قُدْسُ ٱلْأَقْدَاسِ ٤ فِيهِ مِبْخَرَةٌ
مِنْ ذَهَبٍ وَتَابُوتُ ٱلْعَهْدِ مُغَشًّى مِنْ كُلِّ جِهَةٍ بِالذَّهَبِ ٱلَّذِى فِيهِ
قِسْطٌ مِنْ ذَهَبٍ فِيهِ ٱلْمَنُّ وَعَصَا هرُونَ ٱلَّتِى أَفْرَخَتْ وَلَوْحَا ٱلْعَهْدِ .
٥ وَفَوْقَهُ كَرُوبَا ٱلْمَجْدِ مُظَلِّلَيْنِ ٱلْغِطَاءَ . أَشْيَاءُ لَيْسَ لَنَا ٱلْآنَ
أَنْ نَتَكَلَّمَ عَنْهَا بِالتَّفْصِيلِ .

« ثم العهد الأول كان له أيضاً فرائض خدمة والقدس العالمى » :

(انظر الكلام عن العهد الأول فى شرح ٨ : ٧ ــ ١٣) . لم يغب عن ذهن الرسول فى بحثه أن خدمة العهد الأول ، وإن كانت قد زالت ، فهى لا تزال ينظر إليها كرمز لمرموز إليه ، وكظل لحقيقة يمثلها ، وكصورة لأصل ، يرجع إليها لمعرفة ذلك الأصل وللوصول إلى تلك الحقيقة ولتبيين ذلك المرموز إليه . فلكى يوضح خدمة العهد الثانى ،

كان لابد له أن يرجع إلى خدمة العهد الأول ليأخذ منها هذا الإيضاح باعتبار أنه فى ذلك العهد أعلن الله للكنيسة سر الحكمة الأزلية قبل أن يعلنه لها فى ابنه .

أما الكلمة « أيضاً » فمتعلقة بالكلمة « ثم » وفى كليهما إشارة إلى أن الرسول سيذكر هنا شيئاً آخر عن « العهد الأول » خلاف ما ذكر وهو أنه :

« كان له . . . فرائض خدمة» : أى منذ أن وضع ، حيث أقيم له « الكهنة الذين يقدمون قرابين حسب الناموس » ويخدمون المسكن . وكانوا لا يزالون وقت كتابة هذه الرسالة حيث كان العهد قريباً من الاضمحلال (انظر ٨ : ٤ ، ١٣ : ١٠) .

أما الكلمة « فرائض » فى أصلها فقد ترجمت فى العهد الجديد ترجمات متنوعة منها « بارين » و « تبرير » و « تبررات » (لو ١ : ٦ ، رو٥ : ١٦ ، رؤ١٩ : ٨) : « ومنها « حكم » « وأحكام » (رو ١ : ٣٢ ، ٢ : ٢٦ ، ٥ : ١٨ ، ٨ : ٤ ، رؤ ١٥ : ٤) : ومنها « فرائض » وهى الترجمة المستعملة فى هذه الرسالة فى هذا الأصحاح (عد ١ و ١٠) ، وعليه نرى فى استعمال الكلمة إعلان أحكام الله العادلة التى أتمها المسيح ، واعلان الخاطىء باراً فى المسيح ، واعلان الحقوق الإلهية المستوجبة على الإنسان . والأخير هو المقصود هنا وبخاصة إذا عرفنا أن الكلمة العبرية هى « حقيم » فهى حقوقه التى يفرضها على الإنسان . هى فرائضه التى يطلبها منه . هى :

« فرائض خدمة » إذ يقوم بها الإنسان فى خدمة الله كما فرضها عليه جلاله الأقدس فى كتابه فهى مفروضة ، خدمة إلهية هى عبادة تؤدى له فى :

« القدس العالمى » : والقرينة هنا تدل على أن المقصود بـ « القـــدس » ليس « قدس الأقداس » كما فى (ص ٨ : ٢) . بل هو خيمة الاجتماع التى أقامها موسى ، أو الهيكل الذى أقامه سليمان ، مقدساً للرب فيه تقام خدمته وعبادته . وينعت « بالعالمى » نسبة إلى هذا العالم للمقابلة بينه ، كقدس العهد القديم الأرضى ، مصنوعاً من مواد أرضية ، بيد بشر أرضيين ، حيث الكهنة الأرضيون يخدمون خدمة أرضية ، وبين قدس العهد الجديد السماوى غير المصنوع بيد ، حيث الكاهن الأعظم يخدم خدمة سماوية .

« لأنه نصب المسكن » :

الذى سماه فى الآية السابقة « القدس العالمى » ، ويسمى فى العهد القديم « الخيمة » (خر ٣٣ : ٧ ــ ١١ ، ١ مل١ :٣٩) : ومنها « خيمة الاجتماع » حيث كان يجتمع الشعب للعبادة ، و«حيث كان يجتمع الرب بموسى » (خر٢٨ : ٤٣ ، ٢٩ : ٤و ١٠ و ١١ ، عدد ١٧ : ٤ الخ) : « وخيمة الشهادة » حيث وضع فيها لوحا الشهادة. أو لوحا العهد ، لوحا الحجر المكتوب عليهما الوصايا العشر اللذان وضعا فى تابوت العهد فى قدس الأقداس فى الخيمة التى سميت لذلك « خيمة الشهادة » كما سمى التابوت. « تابوت الشهادة » والحجاب « حجاب الشهادة » (قابل خر ٢٥ : ١٦ و ٢١و٢٢ ، ٣١ : ١٨ ، لا ٢٤ : ٣ ، عد ١٧ : ٧ و ٨ ، ٢ أى ٢٤ : ٦ الخ) . وكما تسمى « الخيمة » أيضاً « المقدس » وهو المكان المقدس للرب والمكرس لتقام فيه عبادته (خر ٢٥ : ٨ ، ٣٥ : ١٩ ، ٣٦ : ٣ ، لا ١٩ : ٣٠ الخ) و « البيت » بيت الله حيث يجتمع أهله ويعيش الأخوة معاً (١ مل ٦ : ١ ، إش ٦٦ : ١ ، إر ٧ : ١٠ قابل أف ٢ : ١٩ ، عب ٣ : ٦) . و « المسكن » مكان السكنى. (خر ٢٦ : ١ و ٦ ، ٣٦ : ٨ ، ٤٠ : ١٧ ــ ٣٨) . أما إذا قصد التمييز بين « الخيمة » و « المسكن » تكون الخيمة هى الغطاء الخارجى للمسكن (قابل خر ٢٦ : ١ و ٧ ، ٣٦ : ٨ و ١٤ و ١٩). وعلى ذلك قيل « يصنع . . المسكن وخيمته وغطاءه » (خر ٣٥ : ١١) وقيل أيضاً « مسكن خيمة الاجتماع » (خر ٤ : ٢ و ٦ و ٢٩) . أما تسميته بـ « المسكن » فمن باب المجاز وفيه إشارة إلى سكن الله مع شعبه ، « عمانوئيل الذى تفسيره « الله معنا » ، « الكلمة صار جسداً وحل بيننا » (قابل شرح ٨ : ٢ « المسكن الحقيقى ») .

هذا المسكن يتكلم عنه الرسول هنا فى قسمين : « الأول الذى يقال له القدس » ، «الثانى المسكن الذى يقال له قدس الأقداس» فهو يرى فى « المسكن » العام مسكنين وفى « القدس العالمى » قدسين :

« الأول الذى يقال له القدس » :

كان مدخل « المسكن » من الشرق . وعندما يدخله الداخل يجد نفسه واقفاً فى الدار (انظر وصفها فى خر ٢٧ : ٩ — ١٩) : وهى دار اجتماع الشعب للعبادة تحيط بمسكن خيمة الاجتماع وتفصل بينه وبين العالم الخارجى فتميزه مقدساً مفرزاً للرب . كان المسكن مسقوفاً ، أما الدار فكانت مكشوفة لأنه من الصعب أن تذبح الذبائح وتحرق فى موضع مسقوف . فكان مذبح المحرقة الذى هو مذبح النحاس فى الدار قدام الخيمة ، خارجها ، حيث تصعد المحرقات عليه . وبينه وبين الخيمة كانت مرحضة النحاس حيث يغتسل هرون وبنوه عند دخولهم إلى الخيمة أو عند اقترابهم إلى المذبح للخدمة . (قابل خر ٢٧ : ١ — ٨ ، ٣٠ : ١٧ — ٢١ ، ٣٨ : ١ — ٧ ، ٤٠ : ٢٩ — ٣٣) . وكان العابد فى هذه الدار الخارجية يولى وجهه نحو الغرب فيرى أمامه حجاباً وراءه المكان « الذى يقال له القدس » وهو المشار إليه فى هذه الآية بـ «المسكن الأول » فى مسكن خيمة الاجتماع .

« الذى كان فيه المنارة والمائدة وخبز التقدمة » :

رأينا فى الدار مذبح النحاس والمرحضة . أما فى القدس فيذكر :

(١) « المنارة » وقد ذكرت فى (خر ٢٥ : ٣١ — ٤٠ ، ٢٧ : ٢٠ و ٢١ ، ٣٠ : ٨ ، ٣٧ : ١٧ — ٢٤ ، ٤٠ : ٤ و ٢٤ ، لا ٢٤ : ١ — ٤ ، عد ٤ : ٩) ؛ وفى ما ذكر يتضح أنها من ذهب نقى ، عمل خراطة ، قائمة على قاعدة ، ومركبة من ساق مستقيمة عمودية على القاعدة ، وفى الساق ست شعب خارجة منها ، ثلاث من كل من جانبيها على هيئة أقواس نصر ، وكلها فى سطح واحد وارتفاع واحد . وكانت الساق والشعب مزينة بكاسات كهيئة زهر اللوز وبعجر (وهى العقد فى الخشب وفى الخيط) كهيئة الرمان . وبين كل كأس لوزية وعجرة زهرة كزهر الزنبق ، وفوق الزهرة الزنبقية الأعلى فى كل شعبة وفى الساق سراج للاضاءة ، فتكون عدد سرج المنارة سبعة . والغرض الخاص منها الإضاءة ليلا . وكانت موضوعة فى القدس فى الجانب نحو الجنوب على يسار الداخل . وكان يرفع سرجها الحبر الأعظم . وكانت تضىء من المساء إلى الصباح .

٢ – « المائدة » وقد جاء ذكرها فى (خر ٢٥ : ٢٣ – ٣٠ ، ٣٧ : ١٠ – ١٦ ، ٤٠ : ٤ و ٢٢) حيث يظهر أنها كانت مصنوعة من خشب سنط مغشاة بذهب ، طولها ذراعان وعرضها ذراع وارتفاعها ذراع ونصف ، وفى أعلاها إطار من ذهب إكليلا لها يحفظ ما يوضع عليها ، من السقوط ، ولها حجاب بين أعلاها وقوائمها بمثابة منطقة لتمكينها حيث تقام ، ولها أربع حلقات من ذهب وعصوان من خشب السنط لحملها . وكانت كل آنيتها من ذهب . وكانت موضوعة فى جانب القدس نحو الشمال ، على يمين الداخل .

٣ – « خبز التقدمة » : وهو الخبز الذى كان يوضع على « المائدة » ويذكر حيث تذكر . كان يخبز من دقيق بمقادير معينة ، اثنى عشر قرصاً فطيراً ، يرتبها الكاهن الأعظم على المائدة أمام الرب صفين ، كل صف ستة أقراص ، ويرتبها جديدة كل يوم سبت لتكون دائماً أمام الرب ميثاقاً دهرياً من عند أسباط إسرائيل الاثنى عشر ، فيكون لهرون وبنيه ليأكلوه فى مكان مقدس لأنه قدس أقداس له من وقائد الرب فريضة دهرية . وهذا ما أشار إليه السيد له المجد فى كلامه عن داود حين احتاج وجاع هو والذين معه كيف دخل بيت الله فى أيام أبياثار الكاهن وأكل خبز التقدمة الذى لا يحل أكله إلا للكهنة (قابل لا ٢٤ : ٥ – ٩ ، ١ صم ٢١ : ١ – ٦ ، مت ١٢ : ٣ و ٤ ، مر ٢ : ٢٥ و ٢٦) .

كان « خبز التقدمة » يسمى « خبز الوجوه » (قابل أيضاً خر ٣٥ : ١٣ ، ٣٩ : ٣٦ ، ٤٠ : ٢٣ ، عد ٤ : ٧ ، ١ أى ٩ : ٣٢ ، ٢٣ : ٢٩ ، ٢ أى ٤ : ١٩ ، نح ١٠ : ٣٣) . فهو « خبز التقدمة » باعتبار كونه تقدمة دائمة من الشعب إقراراً منهم بأن جميع خيرات الحياة إنما تأتى من عند الله ، وبوجوب تقديم أثمار الحياة على الدوام . وهو « خبز الوجوه » باعتبار أنه كان دائماً أمام وجه الله على حد التعبير العبرى «لحم هبانيم لفاناى » أى « خبز الوجوه لوجهى » يقول الرب .

أمام المنارة والمائدة نرى ذواتنا فى مسكن هو مسكن الله العلى فيه ترتب السرج كل يوم وترتب المائدة أيضاً كل يوم . وفيه يجد كهنة العلى نور حياتهم وقوامها فى

قدسه ، حيث يخدمونه ويترنمون : « الرب نورى وخلاصى ممن أخاف . . واحدة سألت من الرب وإياها ألتمس أن أسكن فى بيت الرب كل أيام حياتى لكى أنظر إلى جمال الرب . وأتفرس فى هيكله » ، « الرب راعى فلا يعوزنى شىء . . ترتب قدامى مائدة تجاه مضايقى . مسحت بالدهن رأسى كأسى ريا . إنما خير ورحمة يتبعاننى كل أيام حياتى . وأسكن فى بيت الرب إلى مدى الأيام » (مز ٢٧ : ١ و ٤ ، مز ٢٣) .

هذا كله يتمتع به كهنة العلى ، مؤمنوه المقدسون له ، فى ذاك « النور الحقيقى الذى ينير كل إنسان » ، «لأن الله الذى قال أن يشرق نور من ظلمة هو الذى أشرق فى قلوبنا لإنارة معرفة مجد الله فى وجه يسوع المسيح » ، « والمدينة لا تحتاج إلى الشمس ولا إلى القمر ليضيئا فيها لأن مجد الله قد أنارها والخروف سراجها » (يو ١ : ٩ ، ٢ كو ٤ : ٦ ، رؤ ٢١ : ٢٣) . هذا هو عينه خبز الله . . . النازل من السماء الواهب حياة للعالم » (انظر يو ٦ : ٣٢ — ٥٩) .

وهل نستطيع نحن أن نكون نور العالم ؟ وأن نعطيهم ليأكلوا ويحيوا ؟ إلا إذا كنا ننقى منا الخميرة العتيقة لنكون ، عجيناً جديداً فطيراً كخبز الوجوه ، بلا لوم وبسطاء أولاداً لله بلا عيب فى وسط جيل معوج وملتو ، نضىء بينهم كأنوار فى العالم ؟ (قارن مت ٥ : ١٤ ، ١٤ : ١٦ ، ١ كو ٥ : ٧ ، فى ٢ : ١٥) .

انتهى الرسول من ذكر « المسكن الأول » ومحتوياته وهو « الذى يقال له القدس ». والآن يأتى إلى ذكر المسكن الثانى فى قوله :

« ووراء الحجاب المسكن الثانى الذى يقال له قدس الأقداس » :

وقد رأينا الحجاب الأول يخفى وراءه القدس وما فيه عن عيون العابدين فى الدار الخارجية ، أما الحجاب الثانى فهو الذى يخفى وراءه قدس الأقداس فاصلا بين القدس وبينه . الحجاب الأول يسمى « سجفاً لمدخل الخيمة » (خر ٢٦ : ٣٦ و ٣٧ ، ٣٦ : ٣٧ و ٣٨) مصنوعاً من اسمانجونى وأرجوان وقرمز وبوص مبروم صنعة الطراز ، مثبتاً برز من ذهب فى خمسة أعمدة من سنط مغشاة بذهب ، مقامة على خمس قواعد

من نحاس . أما « الحجاب الثانى » فهو من ذات ألوان السجف صنعة حائك حاذق ، مصنوعاً بكروبيم ، مثبتاً برزز من ذهب فى أربعة أعمدة من سنط مغشاة بذهب ، مقامة على أربع قواعد من فضة (اقرأ خر ٢٦ : ٣١ — ٣٥ ، ٣٦ : ٣٥ و ٣٦) هذا هو الحجاب الذى انشق إلى اثنين عندما أسلم المسيح روحه على الصليب (مت ٢٧ : ٥٠ و ٥١ ، مر ١٥ : ٣٧ و ٣٨ ، لو ٢٣ : ٤٥) وهو الذى أشار إليه الرسول فى (عب ١٠ : ١٩ و ٢٠) مرموزاً به إلى جسد المسيح الذى به كرس لنا ، إلى الأقداس ، طريقاً حديثاً حياً .

وراء هذا الحجاب الثانى « المسكن الذى يقال له قدس الأقداس » . وهو تعبير عبرى يتفق مع التعبير العربى للدلالة على المكان الأقدس كما قيل : « نشيد الأناشيد » أى النشيد الأعظم والأسمى من كل الأناشيد . فقدس الأقداس هو أقدس الأقداس بجملتها .

فى قدس الأقداس هذا يذكر الرسول شيئين رئيسيين هما : ١ — مبخرة ، ٢ — تابوت العهد . كما أنه يذكر خمسة أشياء متعلقة بتابوت العهد هى (أ) قسط المن ، (ب) عصا هرون ، (ج) لوحا العهد ، (د) الغطاء ، (هـ) كروبا المجد . فلنتأمل فى كل منها :

١ — « مبخرة من ذهب » :

وإذا رجعنا إلى الترتيب الذى تبين لموسى ، لا نجد هذه المبخرة فى قدس الأقداس ولكننا نجد مذبح البخور فى القدس كما جاء فى النص « وتصنع مذبحاً لإيقاد البخور . وتجعله قدام الحجاب الذى أمام تابوت الشهادة قدم الغطاء الذى على الشهادة حيث أجتمع بك » . ومن إعطاء الأمر بإيقاد البخور كل صباح . ومن النهى البات القاطع عن دخول أحد من الكهنة إلى قدس الأقداس إلا رئيس الكهنة مرة فى السنة ، يتحقق لنا أن مذبح البخور كان فى القدس ، لا فى قدس الأقداس (قارن خر ٣٠ : ١ — ٨ ، لا ١٦ : ٢) . وكما سبق فرأينا فى القدس : « المائدة » عن يمين الداخل ،

« والمنارة » عن يسار ، نرى الآن أيضاً مذبح البخور ، وهو مذبح الذهب ، أمام الداخل ، بين المائدة والمنارة ، قدام الحجاب (خر ٤٠ : ٢٢ — ٢٦) .

لذلك قال بعضهم إن ذكر المبخرة فى قدس الأقداس خطأ من الكاتب يستدل منه على جهله بترتيب المسكن . فاستكبروا أن يكون الكاتب هو بولس الناموسى الفريسى المدقق . على أن آخرين غاروا على نسبة الجهل إلى كاتب ملهم أياً كان ذلك الكاتب فقالوا إن الخطأ لا بد أن يكون خطأ المترجم الذى ترجم الرسالة من العبرية إلى اليونانية ، ظناً منهم أنها كتبت أصلا بالعبرية . ولقد بينا فى الجزء الأول ترجيح خطأ هذا الظن (راجع « المخطوطة من رسائل بولس » و « عنوان الرسالة ») .

على أننا إذا رجعنا إلى مذبح البخور لرأيناه ، دون سواه من محتويات القدس ، متصلا فى استعماله ، اتصالا وثيقاً بقدس الأقداس ، لأنه أقرب ما يكون إليه بالنسبة لموضعه قدام الحجاب . ولأنه فى يوم الكفارة العظيم يصنع هرون كفارة على قرونه مرة فى السنة ، من دم ذبيحة الخطية التى للكفارة مرة فى السنة ، حيث يدخل إلى قدس الأقداس (قابل خر ٣٠ : ١٠ ، لا ١٦ : ٣٤) . ولأنه إذا رجعنا إلى (١ مل ٦ : ٢٢) نجد قولا صريحاً إن مذبح البخور هو لقدس الأقداس فى قوله : « كل المذبح الذى للمحراب غشاه بذهب ، والمحراب هو قدس الأقداس (قابل ١ مل ٨ : ٨) ، والمذبح هو مذبح البخور .

أما إذا حصرنا الكلام فى المبخرة فيمكننا أن نتبين العلاقة بقدس الأقداس بصورة أوضح ، حيث لم يكن ممكناً لرئيس الكهنة فى دخوله إلى قدس الأقداس « مرة فى السنة » إلا أن يأخذ المبخرة معه ، وبدونها لا يدخل . وما أقوى التشديد الإلهى من هذا القبيل الواضح فى (لا ١٦ : ١٢ و ١٣) « ويأخذ (هرون) ملء المجمرة (المبخرة) جمر نار عن المذبح (مذبح المحرقة حيث النار الدائمة) من أمام الرب ، وملء راحتيه بخوراً عطراً دقيقاً . ويدخل بهما إلى داخل الحجاب . ويجعل البخور على النار (فى المجمرة) أمام الرب فتغشى سحابة البخور الغطاء الذى على الشهادة فلا يموت » .

وحيث أن الغرض الأساسى أمام الرسول هنا هو الكلام عن عمل رئيس الكهنة فى قدس الأقداس فى التكفير والشفاعة وحيث أن التكفير مرموز إليه بالدم ، والشفاعة مرموز إليها بالبخور (رؤ ٥ : ٨ ، ٨ : ٣ و ٤) فكان لابد أن يدخل رئيس الكهنة إلى قدس الأقداس بدم وبخور ، مكفراً شفيعاً ، فليس بغريب إن أتى الرسول الدقيق على ذكر المبخرة فى قدس الأقداس لهذه المناسبة الدقيقة .

٢ — « تابوت العهد مغشى من كل جهة بالذهب » :

وهو صندوق من خشب السنط طوله ذراعان وعرضه ذراع ونصف وارتفاعه ذراع ونصف ، مغشى بذهب نقى من الداخل ومن الخارج . وله إكليل من ذهب وأربع حلقات من ذهب يحمل منها بعصوين من خشب السنط مغشاتين بذهب ، وكان موضوعاً فى محراب البيت فى قدس الأقداس ، ولم يكن سواه فى قدس الأقداس . فكان أقدس كل الأقداس . لأجله أقيمت الخيمة ونصب المسكن وأفرزت الأقداس وثبت الحجاب يخفيه عن العيون فلا يراه إلا رئيس الكهنة مرة فى السنة ، ويراه فيها مغشى بسحابة من البخور . وتخصص القهاتيون ، من سبط لاوى ، الذين من عشيرتهم الكهنوت ، لحمله عند ارتحال الشعب من المحلة « قابل خر ٢٥ : ١٠ — ١٥ ، ٣٧ : ١ — ٥ ، عد ٤ : ٤ — ١٥ ، ١ مل ٨ : ٢١) .

صنع هذا التابوت فى البرية ، وكان فيها مع الشعب راحلا أمامهم فى رحلاتهم ، وحالا بينهم فى حلولهم . وعند ارتحال التابوت كان موسى يقول : « قم يارب ولتتبدد أعداؤك ويهرب مبغضوك من أمامك » . وعند حلوله كان يقول : « ارجع يارب إلى ربوات ألوف إسرائيل » (عد ١٠ : ٣٣ — ٣٦) . وهكذا بقى معهم فى البرية إلى أن عبر أمامهم الأردن (يش ٣ و ٤) ، وفتح لهم أريحا (يش ٦) . . ولما استقر بهم المقام فى أرض كنعان ، استقر التابوت فى الخيمة فى شيلون ، إلا مرة رأيناه فى بيت إيل (يش ١٨ : ٨ — ١٠ مع قض ١٨ : ٣١ ، ٢٠ : ٢٦ و ٢٧ ، ٢١ : ١٩) . وبقى فى شيلوه حتى أخذه الفلسطينيون فى الحرب إلى أشدود ومنها أرسلوه إلى بيت شمس ، فقرية يعاريم ، إلى أن أصعده داود منها إلى بيت عوبيد أدوم الجتى ، فالى

مدينة داود ، هى صهيون ، وأوقفه فى وسط الخيمة التى نصبها له هناك ، إلى أن بنى سليمان الهيكل وأدخله إليه فى محراب البيت فى قدس الأقداس (راجع ١ صم ٤ و ٥ و ٦ ، ٧ : ١ و ٢ ، ٢ صم ٦ ، ١ مل ٨ : ١ — ١١ ، ٢ أى ٥ : ١ — ١٠) . وبقى فى هيكل سليمان ، إما إلى سبى يهوياقيم حيث أتى نبوخذ نصر ببعض آنية بيت الرب إلى بابل وجعلها فى هيكله فى بابل ، وإما إلى سبى يهوياكين حيث أتى بآنية بيت الرب الثمينة ، وإما إلى سبى صدقيا حيث أتى بجميع آنية بيت الله الكبيرة والصغيرة وأحرقوا بيت الله (راجع ٢ أى ٣٦ : ٧ و ١٠ و ١٨ و ١٩) . أما أسطورة التلمود بشأن إخفاء التابوت بيد يوشيا أو إرميا فهى أسطورة تفتقر إلى إثبات [١] ولكن هل أعيد التابوت إلى أورشليم مع الراجعين من السبى عن يد الملك كورش الذى أخرج آنية بيت الرب التى أخرجها نبوخذ نصر من أورشليم وجعلها فى بيت إلهه ، وقد أخرجها كورش وسلمها لشيشبصر رئيس يهوذا فأصعدها عند اصعاد السبى من بابل إلى أورشليم ؟ . هذا أمر لا يمكن التحقق منه ولا سيما والتابوت ليس مذكوراً بين الآنية المذكورة فى (عز ١ : ٧ — ١١) . وربما لأجل ذلك ، كثيرون من الكهنة واللاويين ورؤوس الآباء الشيوخ ، الذين رأوا مجد البيت الأول الذى بناه سليمان وأخرب عند السبى البابلى ، بكوا بصوت عظيم عند تأسيس البيت الثانى الذى بناه زربابل عند الرجوع من السبى ، لأنه كان فى أعينهم كلا شىء (عز ٣ : ١٢ ، حج ٢ : ٣) وذلك لأنه كان فى اعتبارهم تنقصه على الأشهر خمسة أشياء منها التابوت . الذى يقال إنه أقيم فى مكانه حجر فى مدة الهيكل الثانى (انظر شرح ص ١ : ٢ فى الجزء الأول) .

على هذا الاعتبار يكون ذكر الرسول للتابوت هنا ، من باب النظام الكهنوتى الذى أعده الرب كما هو وكما قصده الله بغض النظر عن قيامه فى أيام الرسول بكماله أم عدم قيامه . وهذا قد يحققه لنا أيضاً ما ذكر متعلقاً بالتابوت وهو :

---

(١) جاء فى هذه الأسطورة أن إرميا النبى فى وقت السبى ، بمقتضى وحى صار إليه ، أمر أن يذهب معه بالمسكن والتابوت حتى يصل إلى الجبل الذى صعد إليه موسى ورأى ميراث الله . ولما وصل إرميا وجد كهفاً فأدخل إليه المسكن والتابوت ومذبح البخور ، ثم سد الباب . فأقبل بعض من كان معه ليسموا الطريق فلم يستطيعوا أن يجدوه . فلما أعلم بذلك إرميا لامهم وقال : إن هذا الموضع سيبقى مجهولا إلى أن يجمع الله شمل الشعب ويرحمهم ، وحينئذ يبرز الرب هذه الأشياء ويبدو مجد الرب والغمام كما ظهر فى أيام موسى ، وحين سأل سليمان أن يقدس الموضع تقديساً بهياً (٢ مك ٢ : ٤ — ٨) .

(أ) قسط من ذهب فيه المن» :

وهو ما قال عنه موسى لهرون : « خذ قسطاً واحداً واجعل فيه ملء العمر مناً وضعه أمام الرب للحفظ فى أجيالكم » وهكذا وضعه هرون أمام الشهادة حسب قول الرب « للحفظ فى أجيالكم لكى يروا الخبز الذى أطعمتكم فى البرية حين أخرجتكم من أرض مصر » . وسواء بقى هذا القسط محفوظاً ، أم لم يبق ، فإن أولئك الأجيال لم ينسوا تلك الذكرى . فقالوا للسيد فى أيام جسده : « آباؤنا أكلوا المن فى البرية كما هو مكتوب « أنه أعطاهم خبزاً من السماء ليأكلوا » وما كان أمجد جواب المسيح مشيراً إلى ذاته العلية بالقول : « الحق الحق أقول لكم ليس موسى أعطاكم الخبز من السماء ، بل أبى يعطيكم الخبز الحقيقى النازل من السماء » (قابل خر ١٦ : ٣٢ – ٣٤ ، يو ٦ : ٣٠ – ٥٩ وانظر شرح « لوحا العهد » فى آخر الآية) .

(ب) «عصا هرون التى أفرخت» :

وتاريخها مذكور فى (عد ١٧ : ١ – ١٠) ويرجع إلى حادثة تمرد قورح وداثان وأبيرام واقتحامهم الوظيفة الكهنوتية ، ففتحت الأرض فاها وابتلعتهم أحياء . ولهذه المناسبة أمر الرب موسى بأن يقيم لكل سبط عصا فى تابوت العهد . وفى الغد أخرج موسى العصى ، فإذا بعصا هرون قد أخرجت فروخاً وأزهرت زهراً وأنضجت لوزاً . فقال الرب لموسى « رد عصا هرون إلى أمام الشهادة لأجل الحفظ علامة لبنى التمرد فتكف تذمراتهم عنى » . وهل عصا هرون هذه التى أفرخت هى ذات عصاه التى كانت بيده فى أرض مصر وأجريت بها العجائب أمام فرعون ؟ (راجع خر ٧ : ٩ و ١٠ و ١٢ و ١٥ و ١٩ و ٢٠ ، ٨ : ٦ و ١٦ و ١٧) . وهل هى ذاتها التى كانت تسمى أيضاً عصا موسى ؟ (خر ٩ : ٢٣ ، ١٠ : ١٣ ، ١٤ : ١٦) . وهل هى ذات العصا التى بعد أن أفرخت ، ووضعت أمام الشهادة ، أخذها موسى من أمام الرب كما أمره ، وضرب بها الصخرة فخرج ماء غزير ؟ (عد ٢٠ : ٧ – ١١) فشرب الشعب شراباً واحداً روحياً لأنهم كانوا يشربون من صخرة روحية تابعتهم والصخرة كانت المسيح (١ كو ١٠ : ٤) .

(ج) « لوحا العهـــد »

وهما لوحا الحجر اللذان نحتهما موسى وكتب الله عليهما باصبعه الوصايا العشر التى عليها قطع العهد بين الله وبين شعبه فهى « كلمة العهد » و «كتاب العهد » و« لوحا العهد » فى « تابوت العهد » (قابل تث ٥ : ٢ ، ٩ : ٩ — ١١ ، ٢٩ : ١ ، خر ٤٠ : ٢ مع يش ٣ : ٦) . ويسميان أيضاً «لوحى الشهادة» باعتبار أن وصايا الله هى شهاداته الصادقة (مز ١٩ : ٧) التى تشهد على البشر (تث ٣١ : ٢٤ — ٢٦) . وهكذا سمى التابوت تارة « تابوت العهد » وتارة « تابوت الشهادة » بالنسبة للوحى العهد أو لوحى الشهادة اللذين أمر الرب موسى أن يضعهما فيه (قابل تث ٩ : ١١ ، يش ٣ : ٦ ، خر ١٦ : ٣٤ ، ٢٥ : ١٦ و ٢١ ، ٢٦ : ٣٤ ، ٣٠ : ٦ ، ٤٠ : ٢٠ ، تث ١٠ : ١ — ٥) .

بناء على ذلك يكون معنى القول : « أمام الشهادة » إما أمام « تابوت الشهادة » وإما أمام « لوحى الشهادة » . فإن كان الأول يكون قسط المن وعصا هرون ، لا فى التابوت ، بل خارجه كما قيل صريحاً عن كتاب توراة موسى التى كتبها موسى وقال عنها للاويين : « خذوا كتاب التوراة هذه وضعوه بجانب تابوت عهد الرب إلهكم فيكون شاهداً عليكم » (تث ٢١ : ٢٦) . وإن كان الثانى فيحتمل أن يكون القسط والعصا داخل التابوت أمام لوحى العهد ولعل الفكر الأول يرجحه ما ورد فى (١ مل ٨ : ٩ ، ٢ أى ٥ : ١٠) من التصريح بأنه لم يكن فى تابوت عهد الرب ، حين أدخله الكهنة إلى مكانه فى محراب البيت الذى بناه سليمان فى قدس الأقداس ، إلا لوحا الحجر اللذان وضعهما موسى هناك فى حوريب حين عاهد الرب بنى إسرائيل حين خروجهم من أرض مصر . فهذان اللوحان كانا أساس كل العهد . أما القسط والعصا فلم يكونا إلا مجرد تذكار مقدس .

(د) « الغطـــاء » :

هو غطاء التابوت يوضع فوقه وقد أمر الرب فصنع من ذهب نقى طوله ذراعان ونصف وعرضه ذراع ونصف (خر ٢٥ : ١٧ ، ٣٧ : ٦) . ولفظه عبرياً «كبورت»

وهو ذات لفظ « كفارة » وفيه أيضاً معناه . لأن الكفارة « غطاء » يستر الخطايا عن وجه الله ويستر وجه الله عنها ، لأنه « إن كنت تراقب الآثام يارب يا سيد فمن يقف » ؟ لذلك « طوبى للذى غفر اثمه وسترت خطيته » « استر وجهك عن خطاياى » (مز ١٣٠ : ٣ ، ٣٢ : ١ ، ٥١ : ٩) . وفى يوم الكفارة العظيم ، كان الكاهن العظيم يأخذ من دم ذبيحة الخطية وينضح بأصبعه على الغطاء وهو مغشى بسحابة البخور العطر . فإذا تمثلنا الغطاء وفوقه دم رش الكفارة ، فيه تتمثل رحمة الله ، وتحته لوحا الشهادة ، فيهما يتمثل عدل الله ، لرأينا ، عرش نعمة ، لا كرسى دينونة ، وسمعنا النداء القائل : « فلنتقدم بثقة إلى عرش النعمة » لأنه « إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل إثم » (عب ٤ : ١٦ ، ١ يو ١ : ٩) .

(ه) « كروبا المجـــد » :

فوق التابوت وكانا مصنوعين من ذهب نقى ، صنعة خراطة ، مصنوعين من الغطاء على طرفيه . فكانا والغطاء قطعة ذهبية واحدة . أحدهما على الطرف من هنا والآخر على الطرف من هناك ، باسطين أجنحتهما إلى فوق مظللين بها على الغطاء ، ووجهاهما كل واحد إلى الآخر مطرقين بهما إلى أسفل نحو الغطاء . وكان القصد فيهما أن يكونا مكان حلول الله ، علامة حضوره بين شعبه ، كما قال الرب نفسه لموسى : « وأنا اجتمع بك هناك وأتكلم معك من على الغطاء بين الكروبين اللذين على تابوت الشهادة » (اقرأ خر ٢٥ : ١٧ — ٢٢ . وقابل ٢ أى ٣ : ١٠ — ١٣) .

وكان أول خبر لظهور الله بين البشر فى الكروبيم بعد طرد آدم من الجنة ، حيث أقام شرقى جنة عدن الكروبيم ولهيب سيف متقلب لحراسة طريق شجرة الحياة . وفى ذلك اعلان من الله بأنه لم يترك الأرض بالرغم من شر الإنسان ، فظل حاضراً فيها بين الكروبيم إلى أن حل فى المسيح كل ملء اللاهوت جسدياً ، حيث صار الكلمة جسداً وحل بيننا ورأينا مجده كما لوحيد من الآب (تك ٣ : ٢٤ ، يو ١ : ١٤ ، كو ٢ : ٩) . لهذه المناسبة لقب جلاله بأنه « الجالس على الكروبيم » (١ صم ٤ : ٤ ، ٢ صم ٦ : ٢ ، ٢ مل ١٩ : ١٥ ، ١ أى ١٣ : ٦ ، مز ٨٠ : ١ ، ٩٩ : ١ ، إش ٣٧ : ١٦) .

أما لفظ « الكروبيم » فهو عبرى وهو جمع مفرده « كروب» ومثناه «كروبان » ولم يهتد أحد إلى أصل اشتقاقه .ولكن هل لا يمكن أن نبدل بين الكاف والراء لتصير الكلمة « ركوبا » ؟ فنرى الله وقد « ركب على كروب وطار » وتنجلى أمامنا « مركبات الله ربوات ، ألوف مكررة ؟ (مز ١٨ : ١٠ ، ٦٨ : ١٧) . أو نجعل الكاف قافاً فتصير « قروبا » أو « مقربا » ؟ كما جاء فى لسان العرب ، الكروبيون والكروبية . سادة الملائكة أو المقربون منهم ، . وقيل « كروبية منهم ركوع وسجد ، . على اعتبار أنهم طغمة ملائكية . وهذا هو الاعتقاد السائد .

على أن بعض المدققين حللوا الكلمة كروب بصورة أخرى فاعتبروها كلمتين « ك » هى كاف التشبيه ، و « روب » جمهور على حساب أنها تمثل جمهوراً يمكننا أن نرى طبيعته من بعض الوجوه الكتابية فى ما يلى :

١ — من سفر العدد (ص ١ — ٤) يمكننا أن نتمثل فى نظام رحلات الأسباط الاثنى عشر ، شكلا فيه نستطيع أن نتصور ثلاثة مربعات : مربعاً داخلياً هو خيمة الاجتماع تتمثل فيه محلة الرب فى وسط شعبه ، ومربعاً متوسطاً يحيط بالمربع الداخلى من الجهات الأربع فيه موسى وهرون واللاويون حيث تتمثل محلة خدام الرب تحيط بمحلة الرب ، ومربعاً خارجياً تتمثل فيه محلة الشعب تحيط بمحلة الرب ، تتجلى فى أربع رايات فى أربع رياح الأرض ، تحت كل راية ثلاثة من أسباط إسرائيل الاثنى عشر . نحو الشرق راية محلة يهوذا تحتها أسباط يهوذا وزبولون ويساكر ، ونحو الغرب راية محلة أفرايم تحتها أسباط أفرايم وبنيامين ومنسى ، ونحو الشمال راية محلة دان تحتها أسباط دان ونفتالى وأشير ، ونحو الجنوب راية محلة راوبين تحتها أسباط رأوبين وجاد وشمعون وكأنها « قدس الأقداس » فى الداخل حيث الرب يسكن ؟ و « القدس » حيث الكهنة يخدمون ؟ والدار الخارجية حيث الشعب يتعبدون . وهل هذه هى صورة رؤيا يوحنا (ص ٤) ؟ صورة العرش وعلى العرش جالس : يحيط به أربعة وعشرون عرشاً عليها أربعة وعشرون شيخاً ، فأربعة حيوانات حول العرش ؟ ولكن هل من تشابه بين هذه الحيوانات الأربعة وتلك الرايات الأربع ؟

هذا هو ما ذهب إليه علماء التلمود فقالوا إن لكل راية لوناً معيناً وصورة معينة تزينها تتميز بها عن الراية الأخرى . فجعلوا لراية محلة يهوذا صورة أسد مستندين على القول : « يهوذا جرو أسد » (تك ٤٩ : ٩) . و « هوذا قد غلب الأسد الذى من سبط يهوذا » (روً ٥ : ٥) ، وجعلوا لراية محلة أفرايم صورة ثور بناء على ما جاء عن يوسف أبيه بلسان موسى : « بكر ثوره زينة له . وقرناه قرناً رئم . بهما ينطح الشعوب إلى أقاصى الأرض . هما ربوات أفرايم وألوف منسى » (تث ٣٣ : ١٧) : وجعلوا لراية محلة رأوبين صورة إنسان باعتبار ما قاله له أبوه : « أنت بكرى ، قوتى ، وأول قدرتى ، فضل الرفعة ، وفضل العز » (تك ٤٩ : ٣) . وهكذا جعلوا لراية محلة دان صورة نسر لتتم صور الحيوانات الأربع .

هذه لوحة هيروغليفية ، فقد تعود القدماء أن يصوروا ملوكهم وأبطالهم وجيوشهم فى هيئة أشرف الكائنات الحية وأسماها كما فى جلال الأسد ، ، وقوة الثور ، وحكمة الحية ، وسرعة النسر .

(٢) أو ليست « حيوانات » يوحنا الرائى هى «كروبيم » حزقيال النبى؟ (اقرأ حز ١ و ١٠ ، روً ٤ و ٥) . وإذا عرفنا أن الكلمة « حيوانات» هى فى أصلها «حيوت» جمع حياة ، ، لرأينا فيها صورة الكائنات الحية ممثلة فى الإنسان من البشر ، وفى الأسد من الوحوش ، وفى الثور من البهائم ، وفى النسر من الطيور . وفى هذه الصورة تغلب صورة الإنسان . وإذا سمعنا تلك الحيوانات وهى ترنم أمام العرش للخروف المذبوح قائلة : « مستحق أنت أن تأخذ السفر وتفك ختومه لأنك ذبحت واشتريتنا لله بدمك من كل قبيلة ولسان وشعب وأمة ، وجعلتنا لإلهنا ملوكاً وكهنة فسنملك على الأرض » لرأيناهم غير الملائكة الذين نسمعهم يترنمون بعد الحيوانات قائلين : «مستحق هو الخروف المذبوح أن يأخذ القدرة والغنى والحكمة والقوة والكرامة والمجد والبركة » (اقرأ روً ٥ : ٧ — ١٤) .

(٣) وحيث قد رأينا الكروبين فوق التابوت مصنوعين من الغطاء وهما معه قطعة واحدة ذهبية ترش بدم ذبيحة الخطية بيد رئيس الكهنة فى يوم الكفارة العظيم

تمثيلا للتكفير عن الشعب الأثيم الخاطىء ، فلنا أن نتساءل : ما للملائكة والكفارة ؟ وأية حاجة لهم بها ؟ وأية علاقة لهم بتابوت العهد المقطوع بين الله والناس الساقطين على أساس ذلك الدم وهم الملائكة الأطهار ؟ .

من هذه كلها يمكننا أن نتبين فى الكروبيم صورة تمثيلية للانسان على رأس الخليقة ، وقد أخضعت للبطل ، ليس طوعاً ، بل من أجل الذى أخضعها ، أى بسبب الإنسان إذ أخطأ فصارت له شريكة فى حال خطيئته على الرجاء أن تكون له شريكة فى حال قداسته ، لأن الخليقة نفسها ستعتق من عبودية الفساد إلى حرية مجد أولاد الله (رو٨ : ١٩ ـ ٢٣) وهذه هى ذات الصورة التى رأيناها فى وجود الكروبيم شرقى جنة عدن بعد سقوط آدم وطرده منها (تك ٣ : ٢٤) . وفيها نرى الله بين الكروبين فوق الغطاء فى قدس الأقداس دليلا على وجوده بين البشر بالرغم من خطاياهم إلى أن يصل بهم إلى السماء الجديدة والأرض الجديدة « مسكن الله مع الناس وهو سيسكن معهم وهم يكونون له شعباً والله نفسه يكون معهم إلهاً لهم » (رؤ ٢١ : ٣) . ولهذا عينه وضعت صورة الكروبيم على الحجاب الفاصل بين القدس وقدس الأقداس (خر ٢٦ : ٣١ قابل أيضاً ١ مل ٦ : ٢٩ و ٣٢ و ٣٥) . حيث يرى فيها الكهنة فى القدس صورة لما وراء الحجاب فيمتلئون رجاء فى خدمتهم ، بفداء البشرية الخاطئة وتحرير الخليقة المستعبدة المتألمة ؟ . هذان هما : ـ

كروبا « المجد » ، ليس فقط نظراً لبهاء الصنع الذهبى ، بل بالأحرى بالنسبة إلى بهاء المجد الحال بينهما ، مجد الله العظيم الذى كان فى السحاب يتراءى على الغطاء ، حيث كان موسى يسمع صوته من بين الكروبين حيث كان يكلمه وجهاً لوجه كما يكلم الرجل صاحبه (لا ١٦ : ٢ ، عد ٧ : ٨٩ ، ١٢ : ٧ و ٨ ، خر ٣٣ : ٩) . هذه كلها كما يقول الرسول :

« أشياء ليس لنا الآن أن نتكلم عنها بالتفصيل » :

لأنها ليست هى الأشياء المقصودة بالذات . فإن المراد ذكر المبدأ العام من جهة كون العهد القديم كان فى خدمته الدينية رمزاً للعهد الجديد ولخادم الأقداس السماوية

لا باعتبار أن هنالك «قدساً» و «قدس أقداس» ومسكناً وراء مسكن، أو مساكن وراء حجب (راجع تفسير ٨ : ٢ و ٥).

وحيث قد علمنا الآن ترتيب المسكن فعلينا أن نتفهم :

(٢) الخدمة بالنسبة لهذا الترتيب (ص ٩ : ٦ - ١١)

٦ ثُمَّ إِذْ صَارَتْ هٰذِهِ مُهَيَّأَةً هٰكَذَا يَدْخُلُ ٱلْكَهَنَةُ إِلَى ٱلْمَسْكَنِ
ٱلْأَوَّلِ كُلَّ حِينٍ صَانِعِينَ ٱلْخِدْمَةَ . ٧ وَأَمَّا إِلَى ٱلثَّانِي فَرَئِيسُ
ٱلْكَهَنَةِ فَقَطْ مَرَّةً فِي ٱلسَّنَةِ لَيْسَ بِلاَ دَمٍ يُقَدِّمُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَعَنْ
جَهَالاَتِ ٱلشَّعْبِ ٨ مُعْلِنًا ٱلرُّوحُ ٱلْقُدُسُ بِهٰذَا أَنَّ طَرِيقَ ٱلْأَقْدَاسِ
لَمْ يُظْهَرْ بَعْدُ مَا دَامَ ٱلْمَسْكَنُ ٱلْأَوَّلُ لَهُ إِقَامَةٌ ٩ ٱلَّذِي هُوَ رَمْزٌ
لِلْوَقْتِ ٱلْحَاضِرِ ٱلَّذِي فِيهِ تُقَدَّمُ قَرَابِينُ وَذَبَائِحُ لاَ يُمْكِنُ مِنْ جِهَةِ
ٱلضَّمِيرِ أَنْ يُكَمِّلَ ٱلَّذِي يَخْدِمُ ١٠ وَهِيَ قَائِمَةٌ بِأَطْعِمَةٍ وَأَشْرِبَةٍ
وَغَسَلاَتٍ مُخْتَلِفَةٍ وَفَرَائِضَ جَسَدِيَّةٍ فَقَطْ مَوْضُوعَةٍ إِلَى وَقْتِ
ٱلْإِصْلاَحِ . ١١ وَأَمَّا ٱلْمَسِيحُ وَهُوَ قَدْ جَاءَ رَئِيسَ كَهَنَةٍ لِلْخَيْرَاتِ
ٱلْعَتِيدَةِ فَبِٱلْمَسْكَنِ ٱلْأَعْظَمِ وَٱلْأَكْمَلِ غَيْرِ ٱلْمَصْنُوعِ بِيَدٍ أَيِ
ٱلَّذِي لَيْسَ مِنْ هٰذِهِ ٱلْخَلِيقَةِ .

في هذا النص نجد : الكهنة في القدس (عد ٦)، رئيس الكهنة في قدس الأقداس (عد ٧)، اعلاناً (عد ٨)، رمزاً (عد ٩ و ١٠)، المسكن الأعظم (عد ١١).

« ثم إذ صارت هذه مهيأة » :

أي إذ تهيأ المسكن الأول بما فيه من منارة ومائدة ، والمسكن الثانى بما فيه من مبخرة وتابوت ، وذلك يوم أقامه موسى بمقتضى المرسوم الإلهى . لأنه ولو أن المسكن كان قائماً فى زمان الرسول وقرائه ، إلا أن قيامه حينئذ لم يكن شرعياً ، وكذا لم تكن خدمة الكهنة فيه فى ذلك الوقت قانونية . فإن الكاهن الحقيقى قد جاء ، والذبيحة الحقيقية قد قدمت ، والمسكن الحقيقى قد أعلن . وقد انشق حجاب الهيكل الأرضى اعلاناً لابطال كل رسومه ورموزه إذ جاء المرموز إليه بها .

« هكذا يدخل الكهنة إلى المسكن الأول كل حين صانعين الخدمة » :

أى إلى القدس . وهم الكهنة بنو هرون فقط ، دون سواهم من اللاويين ومن سائر الأسباط ، حيث كان عليهم أن يرتبوا السرج فى المنارة (خر ٢٧ : ٢١) والخبز على المائدة (عد ٤ : ٧) وأن يبخروا على مذبح البخور (لو ١ : ٩ — ١١) . وفى أيام داود كان الكهنة أربعاً وعشرين فرقة ، رتبها داود بسبب كثرة عددهم ، لتتناوب الخدمة (١ أى ٢٤ ، لو ١ : ٥ — ٨) . وهكذا كانوا يدخلون :

« كل حين » أى فى الأوقات المعينة للخدمة يومياً :

« صانعين الخدمة » فإن المسكن بكل معداته قد تهيأ ليكون مكاناً لخدمة الله لا لمجرد المظهـــر .

ومما يجدر بنا أن نذكره هو أن عمل هؤلاء الكهنة لم يكن محصوراً فى دخولهم إلى القدس ، فكان عليهم أيضاً خدمة تقديم وإصعاد المحرقات على مذبح المحرقة خارج القدس فى دار المسكن حيث كان ذلك المذبح (خر ٣٠ : ٢٠ ، لا ١) .

« وأما إلى الثانى فرئيس الكهنة فقط مرة فى السنة » :

فى هذا القول مقابلة ثلاثية بينه وبين القول السابق ، ظاهرة فى ثلاث عبارات : (١) « الثانى » أى المسكن الثانى وهو « قدس الأقداس » بالنسبة إلى « المسكن الأول » أى « القدس » ، (٢) « رئيس الكهنة فقط » بالنسبة إلى « الكهنة » ، (٣) « مرة

فى السنة » بالنسبة إلى « كل حين » . وهذا أيضاً بمقتضى المرسوم الإلهى القائل لموسى : كلم هرون أخاك أن لا يدخل كل وقت إلى القدس داخل الحجاب أمام الغطاء الذى على التابوت لئلا يموت لأنى فى السحاب أتراءى على الغطاء » (لا ١٦ : ٢) فلم يكن ليدخل إلا فى يوم الكفارة العظيم للتكفير عن بنى إسرائيل من جميع خطاياهم مرة فى السنة (قابل خر ٣٠ : ١٠ ، لا ١٦ : ٣٤ ، اقرأ لا ١٦ كله) .

على أننا فى (لا ١٦ : ١٢ و ١٥) نجد أن رئيس الكهنة كان فى يوم الكفارة المشار إليه ، يدخل إلى قدس الأقداس ، لا مرة واحدة فقط ، بل مرتين على الأقل ، إن لم يكن أكثر كما يقول التلمود والربيون . فيكون المقصود بالقول « مرة فى السنة » دخوله فى يوم واحد معين فى السنة لمناسبة واحدة معينة . بخلاف الكهنة الذين يدخلون كل يوم إلى القدس صانعين الخدمة اليومية . أما المناسبة المعينة فقد أوضحها الرسول فى قوله :

« ليس بلا دم يقدمه عن نفسه وعن جهالات الشعب » :

إذ كان عليه أن يدخل بدم ثور للخطية للتكفير عن نفسه وعن بيته (لا ١٦ : ٣ و ١١ و ١٤) ، وبدم تيس للخطية للتكفير عن الشعب (عد ٥–١٠ و ١٥) وهكذا « يكفر عن مقدس القدس . وعن خيمة الاجتماع والمذبح يكفر . وعن الكهنة وكل شعب الجماعة يكفر » (عد ٣٣) . (راجع شرح ص ٥ : ١ — ٣ ، ٧:٢٧ و ٢٨ ، وانظر « جهالات الشعب » فى شرح ٥ : ٢) .

بعد أن تكلم الرسول عن المسكن فى ترتيبه والخدمة القائمة بالنسبة لهذا الترتيب علق بالقول :

« معلناً الروح القدس بهذا » :

وهذا يرينا أنه إذا كشف الرب عن عيوننا ورفع البرقع أمامنا عن وجه موسى ، نستطيع أن نرى فى ترتيب العهد القديم ، ونظاماته ، ورموزه ، وطقوسه ، وفرائضه ، وأحكامه ، اعلانات من الروح القدس ، لم يستطع أن يراها اليهود لأنه حتى اليـــوم

حين يقرأ موسى ، مع أنه يقرأ فى مجامعهم كل سبت (أع ١٥ :٢١) ، البرقع موضوع على قلبهم : فعجزوا عن أن يروا فيه الإعلان بالمسيح (اقرأ ٢ كو ٣ : ١٤ - ١٨) . وهذا عينه ما يجرى مع كثيرين اليوم الذين لا يستطيعون أن يروا هذه الإعلانات الفائقة فى العهد القديم . فلا يستطيعون أن يرجعوا إلى الرب بوجه مكشوف ليروا مجده كما فى مرآة ليتغيروا إلى تلك الصورة عينها من مجد إلى مجد كما من « الرب الروح » الذى علم موسى أن يصنع المسكن على هذا المثال معلناً به :

« أن طريق الأقداس لم يظهر بعد » :

والمقصود بـ « الأقداس »هنا « الأقداس » التى رأينا المسيح خادماً لها فى (ص٨:٢) وسنراه وقد دخل إليها فى (ص ٩ : ٢٤) وأعدها لكى ندخل إليها نحن فى (ص ١٠ : ١٩) . وهى المرموز إليها بـ« المسكن » الذى يقال له «قدس الأقداس » «وراء الحجاب الثانى » (ص ٩ : ٣) ، حيث يجد الإنسان ذاته وجهاً لوجه أمام الله الجالس على الكروبيم فوق عرش النعمة .

أما « طريق الأقداس » فهو طريق الدخول إليها ، مرموزا إليه فى الحجاب الذى كان منه يدخل الكاهن الأعظم إلى قدس الأقداس وراءه ، وقد كرسه لنا المسيح طريقاً حديثاً حيا بالحجاب أى جسده (١٠ : ٢٠) . فلا يمكن أن يظهر هذا الطريق ما دام الحجاب قائماً . وما دام الأمر كذلك ، فيحق لنا أن نقول إن طريق الأقداس قد أظهر بعد تلك الحادثة التاريخية المجيدة ، حادثة صليب المسيح حيث انشق حجاب الهيكل إلى اثنين من فوق إلى أسفل (انظر الكلام عن الحجاب الثانى فى شرح عد ٣) . فيكون الاعلان إذاً هو « أن طريق الأقداس لم يظهر بعد » :

« ما دام المسكن الأول له إقامة :

أى أن الروح القدس ، إذ رتب أن تكون إقامة المسكن الأول الذى هو القدس أولا . وجعل وراءه المسكن الثانى الذى له قدس الأقداس ، وجعه بينهما حجاباً يحجب الأقداس وراءه ، دل بذلك دلالة صريحة على أنه ما دام النظام الموسوى موجوداً والعهد

القديم قائماً فى خدمته وطقوسه ، فلا يمكن ظهور طريق الأقداس السماوية . وعلى قياس المنطق يكون ذلك معناه أنه حيث أن الحجاب قد انشق و ظهر طريق الأقداس بموت المسيح ، فيكون الروح القدس قد أعلن بذلك نهاية العهد القديم وزوال خدمته ، ومسكنه :

« الذى هو رمز للوقت الحاضر » :

« الوقت الحاضر » قد يكون هو وقت كتابة الرسالة الذى كان فيه المسكن لا يزال قائماً ، كما ذكرنا فى (٨ : ٤ قابل ١٣ : ١٠) . وهو ذات الوقت الذى كانت فيه خدمة العهد الجديد قائمة أيضاً . على أن الأوفق للقرينة هو أن يكون « الوقت الحاضر » تعبيراً فى هذه الرسالة يقابله تعبير « العالم العتيد » (ص ٢ : ٥) ، « والدهر الآتى » (ص ٦ : ٥) ، الذى رأيناه تعبيراً عن زمان مسيا ودور العهد الجديد . فيكون « الوقت الحاضر » تعبيراً عن دور العهد القديم . وذلك بمثابة قوله فى (غل ٤ : ٢٥) : « أورشليم الحاضرة » ممثلة فى « هاجر جبل سيناء ، فى العربية » . . مستعبدة مع بنيها » للناموس . بمقابلة « أورشليم العليا » أى الرتبة المسيحية ممثلة فى سارة الحرة من عبودية الناموس . على هذا الاعتبار تكون كلمة :

« رمز » : وهى فى أصلها ذات الكلمة المترجمة « مثلا » فى (مت ١٣) وغيره ، مما يصور أمامنا العهد القديم تعليماً بالأمثال ، ويظهر أمامنا العهد الجديد كلاماً علانية ، على المبدأ الظاهر فى قول التلاميذ للمسيح : « هوذا الآن تتكلم علانية ولست تقول مثلا واحداً » (يو ١٦ : ٢٩) . وحيث قد تجلى العهد الجديد فى مظهره العلنى الواضح. فقد قضى على العهد القديم فى صورته الرمزية المتضمنة فى المسكن وترتيبه والخدمة وطقوسها . المتعلقة بذلك « الوقت الحاضر » :

« الذى فيه تقدم قرابين وذبائح » :

وإلى يوم يعود اسم الموصول «الذى » ؟ إلى « المسكن الأول » الذى هو رمز للوقت الحاضر ؟ و« الذى فيه تقدم قرابين وذبائح » ؟ أو إلى « الوقت الحاضر » الذى فيه تقدم قرابين وذبائح » ؟ هذا هو أقرب ما يعود إليه اسم الموصول « الذى » . وذلك

باعتبار الفكرة التى أوضحناها سابقاً ، فكرة كون « الوقت الحاضر » هو وقت رتبة العهد القديم « الذى فيه » :

« تقدم قرابين وذبائح » : بحسب نظام الخدمة الكهنوتية فى أصل وضعها وفى حالة قيامها فى وقت الرسول التى أشرنا إليها مراراً (انظر شرح ص ٥ : ١ فى ما يتعلق « بالقرابين والذبائح ») . أما هنا فقد أتى الرسول على ذكرها ليبين أنها :

« لا يمكن من جهة الضمير أن تكمل الذى يخدم » :

لقد رأينا أنه لم يكن بالكهنوت اللاوى كمال ، وأن الناموس لم يكمل شيئاً على وجه الاطلاق (انظر شرح ٧ : ١١ و ١٩) . على أن الرسول هنا يحدد هذا التكميل بالقول :

« من جهة الضمير » : وهو ما أثبته فى (ص ١٠ : ١ — ٤ انظر الشرح هناك) : الضمير هو الذى يدين الخطية فى الإنسان ويبكت الإنسان عليها فهو صوت الله فينا « لأنه إن لامتنا قلوبنا فالله أعظم من قلوبنا ويعلم كل شيء . . إن لم تلمنا قلوبنا فلنا ثقة من نحو الله » (١ يو٣ : ٢٠ و ٢١) . وهذه الثقة لا يمكن لتلك القرابين والذبائح أن تنيلنا إياها . ولا أن تعطينا حرية الاقتراب إلى الله ، لأنه بالرغم من تقديمها يومياً وسنوياً لا يزال طريق الأقداس مغلقاً بحجاب يخفى وراءه مجد الله عن عين :

« الذى يخدم » : وبحسب القانون كان « الذى يخدم » هو الكاهن دون سواه ، سواء أكان فى قدس الأقداس حيث كان يدخل رئيس الكهنة فقط مرة فى السنة ، أم فى القدس حيث كان يدخل الكهنة ، أم فى الدار الخارجية حيث يقتربون إلى مذبح النحاس ليوقدوا للرب . أما هنا فإن « الذى يخدم » يقصد به ، لا الكاهن ، بل الشخص الذى يقدم القربان والذبيحة للتكفير عن خطاياه للتقدم إلى الله ، فهو بهذا المعنى خادم لله متعبد له .

وبالرغم من تعبده هذا لا يجد راحة لضميره إذ لا بد له أن يعيد الكرة مرة ومرات بالقرابين والذبائح كل حياته ، وذلك ليس بالنسبة لذاته بل بالنسبة لنظام خدمته ، باعتبار كونها خدمة رمزية لم يقصد بها أن تكمل .

« وهى قائمة بأطعمة وأشربة وغسلات مختلفة وفرائض جسدية فقط » :

هذه كلها أمور متعلقة بالعهد الأول وفرائض خدمته الذى هو رمز للوقت الحاضر الذى فيه تقدم قرابين وذبائح :

« قائمة » : أى مشروط فى تقديمها أن تكون مقترنة بهذه الفرائض ، وعلى أساسها ، تقوم ، وبدونها تبطل . أما الفرائض فتشمل الشعائر والتطهيرات الطقسية ، المفروض بعضها فى الشركة الإلهية ، والبعض الآخر بمقتضى الرسوم التقليدية ، معبراً عنها :

« بأطعمة وأشربة » : وتتضمن :(١) كل ما يتعلق بما هو طاهر ليؤكل ، أو نجس فلا يؤكل (لا ١١) ، (٢) نصيب الكهنة من الذبائح ، وما يتعلق بشرب الخمر والمسكر (خر ٢٩ : ٣١ — ٣٣ ، لا ٧ : ١٤ — ١٧ ، ١٠ : ٨ و ٩ و ١٢ — ١٨) ، (٣) ما يتعلق بأعياد الأمة (لا ٢٣) : وهذه كلها أشار إليها الرسول فى قوله : « إن كنتم قد متم مع المسيح عن أركان العالم فلماذا تفرض عليكم فرائض . لا تمس ولا تذق ولا تجس التى هى جميعها للفناء فى الاستعمال ، حسب وصايا وتعاليم الناس . التى لها حكاية حكمة ، بعبادة نافعة ، وتواضع ، وقهر الجسد ، ليس بقيمة ما من جهة إشباع البشرية » (كو ٢ : ٢ — ٢٣) .

عدا الأطعمة والأشربة هنا لك أيضاً كانت :

« غسلات مختلفة » : كغسل الكهنة بماء ، وتطهير اللاويين بماء الخطية ، والاغتسال من النجاسات . ولا ننسى المرحضة لغسل أيدى الكهنة وأرجلهم عند دخولهم إلى خيمة الاجتماع وعند اقترابهم إلى المذبح للخدمة ، وقد زاد التقليد غسل كؤوس وأباريق وآنية نحاس وأسرة (قابل خر ٢٩ : ٤ ، ٣٠ : ١٨ — ٢١ ، لا ١٥ و ١٦ ، عد ٨ : ٥ — ٧ ، مر ٧ : ٣ و ٤) .

وفى شرح (٦ : ٢) نوهنا أن هذه الغسلات فى الأصل هى المعموديات . وكلها :

« فرائض جسدية » لأنها متعلقة بالجسد ، فالأطعمة للجوف والجوف للأطعمة والله سيبيد هذا وتلك (١ كو٦ : ١٣ ، اقرأ مر ٧ : ١٤ — ٢٢) . هذا عدا كونها كلها لا تقدس إلا إلى طهارة الجسد (انظر تفسير عد ١٣) . زد على ذلك أنها فرائض :

« موضوعة إلى وقت الإصلاح » :

« موضوعة » كما لو كانت حملا على أكتاف الناس كتعبير الرسول بطرس فى قوله للرسل والمشايخ : « لماذا تجربون الله بوضع نير على عنق التلاميذ لم يستطع آباؤنا ولا نحن أن نحمله » ؟ (أع ١٥ : ١٠) . وهذا هو الذى أشار إليه المسيح عن التقليد فى كلامه عن الفريسيين : « إنهم يحزمون أحمالا ثقيلة عسرة الحمل ويضعونها على أكتاف الناس . وهم لا يريدون أن يحركوها بأصبعهم » (مت ٢٣ : ٤) : فهى ، والحالة هذه ، لا يمكن أن تكون قد وضعت لتبقى إلى الأبد ، بل إلى حد محدود ، وإلى وقت معين ، وهذا ما لا يسع اليهودى أن يسلم به ، وهو يعتقد أن ناموس موسى أبدى ، وأن حفظ الفرائض والطقوس سيبقى إلى نهاية العالم . أما الرسول فيقرر ، خلافاً لذلك أنه إلى وقت محدود يسميه :

« وقت الاصلاح » : ليس الإصلاح الذى يقصد به إزالة المفاسد التى دخلت إلى الكنيسة واختلطت بعبادتها ، فإن مثل هذا كان كثيراً فى العهد الأول نفسه حين قام ملوك أتقياء فأصلحوا ما أفسد سابقوهم فى عبادة الله وخدمته ، وأعادوا إليها صورتها الأصلية الحقيقية ، كالإصلاح الذى فعله حزقيا بإزالة الفساد الذى أدخله أبوه آحاز ، والإصلاح الذى فعله يوشيا بازالة الفساد الذى أوجده جده منسى (انظر ٢ أى ٢٨ إلى ٣٥) . أما الإصلاح المشار إليه هنا فهو الذى يقوم بإزالة مسكن خيمة الاجتماع ، وبالتالى نقض هيكل سليمان الذى قام على أساس المسكن ، وكل ما يتعلق بخدمتها وفرائضها واقامة حياة جديدة محيية ، لها وسائلها وطرقها الجديدة ورسوم عبادتها الجديدة ، وبعبارة أوجز ، فى لغة الرسول ، وقت الإصلاح هو العهد الجديد وتدبيره ، ملء الزمان الذى فيه أرسل الله ابنه إلى العالم مولوداً من امرأة مولوداً تحت الناموس ، ليفتدى الذين تحت الناموس (غل ٤ : ٤ قابل ملا ٣ : ١ و ٥ و ٦ ، إش ٦٦ : ٢٢ ، ٦٥ : ١٧ ، ١٦:٥١ ، لو ١ : ٦٨ — ٧٥ ، أع ٣ : ٢١ ، أف ١ : ١٠) .

بعد أن تكلم الرسول عن المسكن الأول المتعلق بالعهد الأول ، من جهة ترتيبه والخدمة القائمة على هذا الترتيب فى ذلك المسكن على يد رئيس الكهنة يعاونه الكهنة ، ذكر ذلك المسكن الأكمل والأعظم قائلا على سبيل المقارنة :

« وأما المسيح ، وهو قد جاء رئيس كهنة للخيرات العتيدة » :

فالمقارنة بين المسيح بصفة كونه رئيس كهنة (عب ٢ : ١٧ ، ٤ : ١٤ و ١٥ ، ٦ : ٢٠) وبين هرون وبنيه رؤساء كهنة العهد الأول (عب ٥ : ١ — ١٠ ، ٧ : ١١ — ٨ : ٦ ، ٩ : ٧) وفى هذه المقارنة يرينا المسيح :

« وهو قد جاء » : فهو الملقب بـ « الآتى » الذى كانت تنتظره الكنيسة قديماً ، كما يتضح من سؤال يوحنا على يد تلميذيه : « أنت هو « الآتى» أم ننتظر آخر » ؟ (مت ١١ : ٣) : وكذا فى أغنية الجمهور له يوم دخوله الانتصارى إلى أورشليم مبارك «الآتى »باسم الرب(مت٢١ :٩،مر١١ :٩و١٠ ، لو ١٩ :٣٨،يو ١٢ :١٣) . أو ليس هذا هو اسمه إلى الأبد وهذا هو ذكره إلى دور فدور ، الذى أعلنه من العليقة التى تدل عليه متجسداً ؟ « يهوه » الذى هو « الكائن والذى كان والذى يأتى » ؟ (خر ٣ : ٢ و ١٥ ، ٦ : ٢ و ٣ ، رؤ ١ : ٤ و ٨ ، ٤ : ٨) . وهو لقب يشير إلى تجسده معبراً عنه فى لغة الرسول يوحنا باعتبارين : أولهما كونه « فى البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله ، وكان الكلمة الله » ، وثانيهما « والكلمة صار جسداً » . أو بتعبير آخر : « أنه قد جاء فى الجسد » ؟ أو « أن ابن الله قد جاء » (يو١ :١ و١٤ ، ١ يو ٤ : ٢ و ٣ ، ٥ : ٢٠) . هذا اللقب يقرنه الرسول هنا بالرتبة الكهنوتية ، فكما أن المسيح قد أدخل إلى العالم بكراً فى رتبته الملكية (١ : ٦) ، وكما أنه رسول من الله إلى العالم فى رتبته النبوية (٣ : ١) ، هكذا قد جاء إلى العالم :

« رئيس كهنة » : عدا المقارنة التى رأيناها بين المسيح وبين رؤساء الكهنة ، نرى هنا مقارنة أخرى فى كون المسيح « رئيس كهنة » :

« للخيرات العتيدة » : ولكى ندرك حقيقة هذه المقارنة علينا أن ندرك المقصود « بالخيرات العتيدة . ويمكننا إدراكها بالرجوع إلى لغة الرسول فى الرسالة ، حيث يتكلم عن الأشياء العتيدة من نقطة نظر العهد القديم ، وهى الأشياء التى لم تكن فى ذلك العهد ، والتى كان أهله لا يرون فيه إلا ظلها . لأن الناموس لم يكن له إلا « ظل الخيرات العتيدة » ، لا نفس صورة الأشياء (عب ١٠ : ١) وجميع مناسك العهد

القديم كانت « ظل الأمور العتيدة » (كو٢ : ١٦ و ١٧) ، فإنهم تحت ظلال تلك الرموز والطقوس ، ماتوا فى الإيمان وهم لم ينالوا المواعيد بل من بعيد نظروها وصدقوها وحيوها (عب ١١ : ١٣) . فهى إذاً خيرات « العالم العتيد » والدهر الآتى ، زمان مسيا وكنيسة العهد الجديد (انظر شرح ٢ : ٥ ، ٦ : ٥) . فهى إذاً الخيرات التى يتمتع بها مؤمنو العهد الجديد على رجاء كمالها فى نهاية هذا الدهر ، بركات الفداء الأبدى شاملا كل بركة روحية فى السمويات فى المسيح (أف ١ : ٧ قابل ٢ كو٥ : ١٨ — ٢٠ ، أف ٢ : ١٤ — ١٦) .

وحيث أن رئيس الكهنة قديماً لم يكن يخدم إلا ظل الخيرات العتيدة ، يكون المسيح وهو قد جاء رئيس كهنة خادماً لذات الخيرات العتيدة فى حقيقتها لا فى ظلها . فلابد ، والحالة هذه من أفضلية خدمته وقيامه بتلك الخدمة :

« بالمسكن الأعظم والأكمل غير المصنوع بيد » :

هو « المسكن الحقيقى الذى نصبه الرب لا إنسان » (ص ٨ : ٢) .

« أى الذى ليس من هذه الخليقة :

فهو شرح للقول السابق « غير المصنوع بيد » .

بعد أن أثبت الرسول سمو رتبة المسيح الكهنوتية ، فى دورها العملى ، على رتبة هرون بالنسبة للمسكن الذى يقوم به المسيح بخدمته ، وسموه على مسكن خيمة الاجتماع فى العهد القديم ، أخذ الآن يبين سمو تلك الرتبة بالنسبة إلى :

(٣) الذبيحة التى يقدمها فى ذلك المسكن (ص ٩ : ١٢ — ١٠ :٣١) :

وحيث أن الرسول قد نبر ، فى الكلام السابق عن المسكن ، على دخول رئيس الكهنة مرة فى السنة إلى الأقداس « ليس بلا دم » ، وهو أعظم أسرار خدمة المسكن الأول لذلك ، ولاظهار التطبيق واضحاً ، يتكلم عن الذبيحة التى يقدمها المسيح ، بوصف كونها :

(أ) ذبيحة نفسه (٩ : ١٢ — ١٤).
(ب) « العهد الجديد (ص ٩ : ١٥ — ٢٤).
(جـ) « لا تكرر (ص ٩ : ٢٥ — ١٠ : ١٨) : ثم يختم لمناسبة المقام بكلمة إرشاد وتحذير (ص ١٠ : ١٩ — ٣١)

(أ) ذبيحة نفسه (ص ٩ : ١٢—١٤)

١٢ وَلَيْسَ بِدَمِ تُيُوسٍ وَعُجُولٍ بَلْ بِدَمِ نَفْسِهِ دَخَلَ مَرَّةً
وَاحِدَةً إِلَى ٱلْأَقْدَاسِ فَوَجَدَ فِدَءً أَبَدِيّاً . ١٣ لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ دَمُ
ثِيرَانٍ وَتُيُوسٍ وَرَمَادُ عِجْلَةٍ مَرْشُوشٌ عَلَى ٱلْمُنَجَّسِينَ يُقَدِّسُ إِلَى
طَهَارَةِ ٱلْجَسَدِ ١٤ فَكَمْ بِالْحَرِيِّ يَكُونُ دَمُ ٱلْمَسِيحِ ٱلَّذِي بِرُوحٍ
أَزَلِيٍّ قَدَّمَ نَفْسَهُ لِلهِ بِلاَ عَيْبٍ يُطَهِّرُ ضَمَائِرَكُمْ مِنْ أَعْمَالٍ مَيِّتَةٍ
لِتَخْدُمُوا ٱللهَ ٱلْحَيَّ .

عدد ١٢ : مرتبط (بعدد ١١) ارتباطاً لا ينفك . وحيث أن (عد ١١) مرتبط بما قبله فى الكلام عن المسكن ، و (عد ١٢) مرتبط بما بعده فى الكلام عن الذبيحة ، بناء على ذلك يكون الارتباط بين الكلام السابق واللاحق هو ارتباط المسكن بالذبيحة والذبيحة بالمسكن . فلا مسكن بدون ذبيحة ولا ذبيحة بلا مسكن بمقتضى النظـــام الإلهى فى تدبير خدمة العهد القديم .

وكما سمعنا فى الكلام السابق من الرسول نبرة قوية على الذبيحة السنوية الكفارية التى كان يدخل رئيس الكهنة بدمها إلى قدس الأقداس مرة فى السنة ، هكذا سنسمع فى هذا الكلام نبرة أقوى على ذبيحة الكفارة العظمى التى دخل رئيس الكهنة بدمها إلى الأقداس الحقيقية .

وكما قد رأينا فى (عد ١١) المسكن الحقيقى وهو ناسوت المسيح (ص ٨ : ٢)، سنرى فى (عد ١٢) وما يلى، كيف أن المسيح بهذا المسكن الذى هو ناسوته قد دخل إلى تلك الأقداس العليا التى هى السماء عينها ليقدم نفسه فى ناسوته هذا ذبيحة كفارية إلى الأبد. وهذه هى قوة واو العطف التى تربط الآيتين فى القول :

« وليس بدم تيوس وعجول بل بدم نفسه » :

فكما دخل بالمسكن الأعظم والأكمل دخل أيضاً « بدم » :

« ليس بدم تيوس وعجول » : كما كان يدخل رئيس الكهنة قديماً (عد ٧)، فى يوم الكفارة (لا ١٦) حاملا معه، فى إناء ولابد، دم ثور الخطية عن نفسه وعن بيته، ودم تيس الخطية عن الشعب، وينضح منه باصبعه على الغطاء وقدام الغطاء وراء الحجاب، سبع مرات. لأن المسيح لم يدخل « بدم تيوس وعجول » :

« بل بدم نفسه » : إذ « صنع بنفسه تطهيراً لخطايانا » وذلك بتجسده وموته على الصليب سافكاً دمه. « فإذ قد تشارك الأولاد فى اللحم والدم اشترك هو أيضاً كذلك فيهما لكى يبيد بالموت ذاك الذى له سلطان الموت أى ابليس ويعتق أولئك الذين خوفاً من الموت كانوا جميعاً كل حياتهم تحت العبودية » (انظر شرح عب ١ : ٣، ٢ : ١٤ و ١٥) لأنه « حمل هو نفسه خطايانا فى جسده على الخشبة » (١ بط٢ : ٢٤)، لذلك رآه يوحنا المعمدان، قبل موته، « حمل الله الذى يرفع خطية العالم » (يو ١ : ٢٩ و ٣٦)، وهو يراه الرسول وقد :

« دخل مرة واحدة إلى الأقداس فوجد فداء أبدياً » :

وهذا يحقق لنا : متى دخل « مرة واحدة »، وأين دخل « إلى الأقداس »، وماذا فعل « وجد فداء أبدياً ». حيث « بدم نفسه » :

« دخل » : وكيف يدخل المسيح « بدم نفسه » ؟ هل كما كان يدخل رئيس الكهنة بدم التيوس والعجول ؟ أى بأخذه معه مادة الدم المسفوك منه على الصليب ؟ إنه بعد موته لف بأكفان وبأطياب ووضع فى قبر جديد، حيث بقى إلى أن قام فى اليوم الثالث،

ولم يصعد إلى السماء إلا بعد أربعين يوماً من القيامة ؟ وهل فى السماء شىء من نوع هذه الماديات ؟ ونحن نعلم أن لحماً ودماً لا يقدر أن يرثا ملكوت الله (١ كو ١٥ : ٥٠) :

لذلك لا نجد فى هذا التعبير أكثر من القول عن المسيح إنه « بعد ما صنع بنفسه تطهيراً لخطايانا ، جلس فى يمين العظمة فى الأعالى » أو « فى يمين عرش العظمة فى السموات خادماً للأقداس » . أى أنه بقوة فاعلية الدم المسفوك على الصليب ذبيحة كفارية عن خطية العالم ، نزع الحجاب وفتح الأقداس ودخل إليها ليظهر أمام وجه الله عنا مكفراً عن خطايانا شفيعاً فينا . وهكذا رآه يوحنا الرائى : « فإذا فى وسط العرش والحيوانات الأربعة وفى وسط الشيوخ خروف قائم كأنه مذبوح » (رؤ ٥ : ٦) . هذا هو الذى « دخل » :

« مرة واحدة » : لا مرة فى السنة ، كما كان يدخل رئيس الكهنة الهرونى ، بل « مرة واحدة » لم تتكرر ولن تتكرر . وهذا ما سنراه فى ما يلى بتفصيل واف ويكفى هنا أن نقول ما قاله الرسول أيضاً فى (رو ٦ : ٩ و ١٠) « عالمين أن المسيح بعد ما أقيم من الأموات ، لا يموت أيضاً . لا يسود عليه الموت بعد . لأن الموت الذى ماته قد ماته للخطية « مرة واحدة » . والحياة التى يحياها فيحياها لله ، كما يقول هنا « دخل مرة واحدة » :

« إلى الأقداس » : هى الأقداس التى رأيناها فى (٨ : ٢ ، ٩ : ٨) وسنراها فى (٩ : ٢٤ ، ١٠ : ١٩) وهى التى أشير إليها فى (٦ : ٢٠) بالقول « ما داخل الحجاب » (انظر الشرح) .

إذ دخل يسوع « بالمسكن الأكمل والأعظم » الذى هو خيمة ناسوته « الذى ليس من هذه الخليقة » . و « بدم نفسه » « مرة واحدة » ، « إلى الأقداس » :

« وجد فداء أبدياً » : لا فداء سنوياً ، كما كان يجد رئيس الكهنة للشعب ، بل فداء أبدياً يتعلق بالروحيات التى هى فى ذاتها أبدية . فإنه ليس تطهيراً من نجاسات الجسد الشرعية ، بل من أدناس القلب الطبيعية ، بالحصول على قلب جديد لا يعود إلى الفساد إلى الأبد ، وبنوال ميراث ليس هو ميراث كنعان الأرضى الذى يزول وقد

زال ، بل هو ميراث لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل ، شركة ميراث القديسين فى النور ، ثقل مجد أبدى ، ونحن غير ناظرين إلى الأشياء التى ترى ، بل إلى التى لا ترى . لأن التى ترى وقتية وأما التى لا ترى فأبدية (١ بط ١ : ٤ ، كو ١ : ١٢ ، ٢ كو ٤ : ١٧ و ١٨) .

أما الفداء فى ذاته فهو التحرير من العبودية بكل مشتملاته ، هو الخلاص من السبى والأسر ، والتحرير من عبودية مصر ، والخلاص من سبى بابل . هو دفع فدية هى دم المسيح : « عالمين أنكم افتديتم لا بأشياء تفنى بفضة أو ذهب . . . بل بدم كريم كما من حمل بلا عيب ولا دنس دم المسيح » (١ بط ١ : ١٨ و ١٩) . بل هو شراء بثمن « مستحق أنت أن تأخذ السفر وتفتح ختومه لأنك ذبحت واشتريتنا لله بدمك » (رؤ ٥ : ٩ مع ١ كو ٦ : ٢٠ اقرأ أيضاً لا ١٧ : ١١ ، مت ٢٠ : ٢٨ ، أع ٢٠ : ٢٨ رو ٣ : ٢٤ و ٢٥ ، أف ٥ : ٢٢ ، ١ تى ٢ : ٦) .

عد ١٣ و ١٤ : فيهما مقارنة بين دم المسيح ودم ذبائح العهد القديم بالنسبة لتأثيرها لتبيين ما لدم المسيح من أفضلية وسمو :

« لأنه إن كان دم ثيران وتيوس ورماد عجلة :

هذا هو دم العهد القديم . وقد سبق الرسول فتكلم عنه فى العجول والتيوس (عد ١٢) بعد أن أشار إليه فى (عد ٧) . باعتبار كونه دم الكفارة العظمى السنوية (لا ١٦) ولكننا أيضاً من (لا ١ : ٢ —٥ و ١٠ و ١١) نعلم أنه كان يستعمل فى غير يوم الكفارة . على أن الرسول أضاف هنا أيضاً :

« رماد عجلة » : وقد جاء خبره فى سفر العدد (ص ١٩) عن « بقرة حمراء » وقد تكون فى لونها إشارة إلى الخطية التى يعبر عنها بالقرمز وهو صبغ أرمنى أحمر . وقد تكون فيه أيضاً إشارة إلى الدم وما أجمل أن تبيض الخطية القرمزية بتأثير الدم الأحمر : « إن كانت خطاياكم كالقرمز تبيض كالثلج . إن كانت حمراء كالدودى تصير كالصوف » (إش ١ : ١٨) .

كان يلزم أن تكون هذه البقرة الحمراء « صحيحة لا عيب فيها ولم يعل عليها نير » (قابل لا ٢٢ : ١٩ و ٢٠) وفى ذلك اشارة إلى « دم كريم كما من حمل بلا عيب ولا دنس دم المسيح » (١ بط ١ : ١٩) . كانت تذبح خارج المحلة قدام ألعازار الكاهن فيأخذ من دمها بأصبعه وينضح من دمها إلى جهة وجه خيمة الاجتماع سبع مرات ، إشارة إلى تقديمها أمام الله ذبيحة عن الجماعة للتكفير عن اثمهم ، وتحرق أمام عينيه بتمامها ، جلدها ولحمها ودمها مع فرثها بوصف كونها ذبيحة خطية ، كالحيوانات التى يدخل بدمها عن الخطية إلى الأقداس بيد رئيس الكهنة ، فإن أجسامها تحرق خارج المحلة . وفى ذلك إشارة إلى الآلام المحرقة التى احترق يسوع بنارها على الصليب إذ تألم خارج الباب لكى يقدس الشعب بدم نفسه . « فلنخرج إذاً إليه خارج المحلة حاملين عاره » (عب ١٣ : ١٠ — ١٣) .

فى وسط حريق البقرة يطرح الكاهن خشب أرز وزوفا وقرمزاً . وكلها كانت تستعمل بمقتضى الأمر الإلهى فى دائرة التطهير كما فى تطهير الأبرص (لا ١٤ : ٤ — ٧). حيث يؤخذ خشب الأرز وهو خشب طويل له خواص مضادة للفساد يمكن أن يعتبر فى علوه الفائق (عا ٢ : ٩) رمزاً إلى كبرياء النفس التى هى برصها الأدبى ، والزوفا وهى نبت واطىء ورقه كالصعتر ، وقد يشير إلى وضاعة الأبرص وضرورة اتضاعه لكى يبرأ من برص كبريائه ، والقرمز ، ويرجح أنه نسيج طويل من صوف قرمزى يربط بها خشب الأرز والزوفا وتغمس فى ماء حى مختلط بدم عصفور مذبوح . وفى ذلك إشارة إلى التطهير من الخطية « طهرنى بالزوفا فأطهر » (مز ٥١ : ٧) . وهـذا كله يتضح فى أمر الرب الذى يقضى بأن يوضع رماد البقرة الحمراء وخشب الأرز والزوفا والقرمز فى مكان طاهر فتكون فى حفظ ، « ماء نجاسة » حيث يحفظ الرماد ليوضع فى ماء ويستعمل للتطهير من النجاسة .

« مرشوش على المنجسين » :

وما هو هذا المرشوش ؟ أهو دم الثيران والتيوس ؟ أم هو رماد العجلة ؟ أم هو كلاهما ؟ هذا هو سؤال تضاربت الآراء فى جوابه . فقال بعضهم إن كلمة « مرشوش

إنما هي وصف للرماد ، لا للدم باعتبار كون الكتاب يعتبر الرماد محلولا بالماء « ماء نجاسة » ، كما رأينا ، يرش على المنجس بميت فيتطهر به فى اليوم الثالث وفى اليوم السابع (عد ١٩ : ١١ — ٢٢) . وأما دم الثيران والتيوس فلم يأمر الله برشه على الإنسان ، بل على الغطاء وقدام الغطاء ، وعلى قرون المذبح وعلى المذبح ، فى يوم الكفارة العظيم (لا ١٦ : ١٤ و ١٥ و ١٨ و ١٩) .

ولكن ، هل ننسى « أن موسى بعد ما كلم جميع الشعب بكل وصية بحسب الناموس أخذ دم العجول والتيوس مع ماء وصوفاً قرمزياً وزوفا ورش الكتاب نفسه وجميع الشعب . . . والمسكن أيضاً ، وجميع آنية الخدمة رشها كذلك بالدم » ؟ . وعليه دعى الدم « دم رش » (عب ١٢ : ٢٤) . وهو عين ما كان يعمل بـ « ماء النجاسة » إذا مات إنسان فى خيمة ينضحون منه بالزوفا على الخيمة وعلى جميع الأمتعة وعلى الأنفس .

فلابد إذاً للتطهير من رش الدم والماء معاً اللذين رأيناهما فى المرحضة ومذبح النحاس فى دار مسكن خيمة الاجتماع ، كما رأيناهما فى تطهير الأبرص . أو لسنا نراهما أيضاً فى المعمودية والعشاء الربانى فى كنيسة العهد الجديد ؟ أو لا يذكرنا ذلك بالماء والدم اللذين خرجا من جنب السيد المطعون فوق الصليب (يو١٩ : ٣٤) فنقول عنه مع من قال : « هذا هو الذى أتى بماء ودم يسوع المسيح . لا بالماء فقط ، بل بالماء والدم » (١ يو ٥ : ٦) .

ولكن سواء أكان دم الثيران والتيوس أو رماد العجلة أو كلاهما فإنه ، فى أى حال ، فقط :

« يقدس إلى طهارة الجسد » :

فلا قدرة له على الاتصال بالضمير . فالنجاسة خارجية تمس الجسد شرعياً والطهارة أيضاً خارجية تمس الجسد شرعياً . وحيث أن النجاسة الشرعية كانت بمقتضى الشريعة لتمنع النجس من الاقتراب إلى الله أو الدخول إلى بيته ، هكذا الطهارة الشرعية كانت بمقتضى الشريعة تعطى المتطهر شرعياً حق التعبد مع العابدين والدخول فى صفوف الساجدين .

وإن كان دم ثيران وتيوس ورماد عجلة مرشوش على المنجسين يقدس إلى طهارة الجسد ؟ :

« فكم بالحرى يكون دم المسيح ؟ » :

هذه هى طريقة تعبير الرسول فى تبيان أفضلية العهد الجديد على العهد القديم كما رأينا فى (ص ٢ : ٢ ، ٣ : ٣ – انظر أيضاً ١٠ : ٢٨ و ٢٩ ، ١٢ : ٢٥) : كما عبر فى موضع آخر قائلا : « إن كانت خدمة الموت المنقوشة بأحرف فى حجارة قد حصلت فى مجد حتى لم يقدر بنو إسرائيل أن ينظروا إلى وجه موسى لسبب مجد وجهه الزائل . فكيف لا تكون بالأولى خدمة الروح فى مجد . لأنه إن كانت خدمة الدينونة مجداً فبالأولى كثيراً تزيد خدمة البر فى مجد » (٢ كو٣ : ٧ – ٩) :

أما « دم المسيح » : فقد رأينا المقصود به فى الآية السابقة . على أننا هنا نرى قيمته بالنسبة إلى شخصية ذات « المسيح » « ابن الله الحى » الذى هو « أبرع من بنى البشر » « صورة الله غير المنظور بكر كل خليقة » « بهاء مجد الآب ورسم جوهره » (مت١٦ : ١٦ ، مز ٤٥ : ٢ ، كو ١ : ١٥ ، عب ١ : ٣) .

هذا هو ابن الله موضوع الرسالة ولقد لقبه فيها الرسول بألقاب متنوعة لها مناسباتها وملابساتها ومعانيها الخاصة . وفى هذه المناسبة يلقبه بـ « المسيح » لأنه يراه الكاهن الممسوح :

فهل نقدر أن نتصور عظمة الفرق بين تلك الحيوانات الدنيا وبين هذا المسيح ؟ :

« الذى بروح أزلى قدم نفسه لله بلا عيب » :

وهنا نتمثل المسيح الكاهن أمام مذبح الله يقدم ذبيحته لله ، فنرى :

(١) التقديم : فى روحه « بروح أزلى » ، وفى عمليته : « قدم . . لله » ،

(٢) الذبيحة : فى ذاتها : « قدم نفسه » ، وفى وصفها : « بلا عيب » .

« بروح أزلى » : وقد قرئ فى بعض النسخ « بالروح القدس » وكذا فى بعض الترجمات التى تتبعها . ولهذا اختلف المفسرون وتضاربت آراؤهم فى المعنى المقصود . فأخذ بعضهم بفكرة «الروح القدس» هذه زاعمين أن السيد المسيح «قدم نفسه لله » بفعل الروح القدس فى طبيعته البشرية ، إذ أوجد فيه غيرة نارية ملتهبة نحو مجد الله ، ومحبة قلبية مستعدة نحو نفوس الناس ، فاستطاع أن يحتمل الآلام وصارت طاعته قرباناً وذبيحة لله رائحة طيبة (أف٥ : ٢) . بانين ذلك على إرساله بالروح ، وولادته بالروح ، ومعموديته بالروح ، (انظر إش ٤٢ : ١ ، لو ١ : ٣٥ ، ٣ : ٢١ و ٢٢ ، يو ٣ : ٣٤) . على أن آخرين زعموا أن فى التعبير إشارة إلى حياته الأبدية كما فى (ص ٧ : ١٦) . وغيرهم رأوا اشارة إلى حالة ارتفاعه الأبدى إذ رفعه الله بعد موته فى يمين العظمة وأعطاه اسما فوق كل اسم (فى ٢ : ٨ و ٩ ، عب ١ : ٣ ، ١٠ : ١٢). على أن بعضاً رأوا فى الروح الأزلى طبيعة المسيح اللاهوتية التى هو بها « أزلى » والتى بها تقدر قيمة ذبيحته التى قدمها الله عن خطايا البشر .

بهـذا الاعتبار الأخير نأتى إلى بحث الخدمة العملية التى قام بها ابن الله ، أمام الله ، إذ :

« قدم نفسه لله » : فهو الكاهن المقدم ، وهو الذبيحة المقدمة . وحيث أن الكاهن مأخوذ من الناس كما رأينا فى (ص ٥ : ١) ، وجب أن يكون المسيح الكاهن إنساناً . وحيث أن الذبيحة تقوم فاعليتها على الدم المسفوك لأنه « بدون سفك دم لا تحصل مغفرة » « لأن الدم يكفر عن النفس » (لا ١٧ : ١١ ، عب٩ : ٢٢) ، لذلك وجب أن يكون المسيح الذبيحة أيضاً إنساناً مشاركاً الأولاد فى اللحم والدم ، لكى يذوق بنعمة الله الموت لأجل كل واحد » (عب ٢ : ٩ و ١٤) وباعتبار أن الروح الأزلى هو طبيعته اللاهوتية الأزلية ، نستطيع أن نرى أمام مذبح الله كاهناً وذبيحة هما شخصية واحدة عجيبة ، لا مجرد لاهوتية ، ولا مجرد إنسانية ، بل هى اتحاد سرى بين الطبيعتين لا يفك ، ولا يدرك كنهه . وأمام سر هذه الشخصية العميق يغطى السرافيم وجوههم .

بهذا السر ينكشف لنا فى أعماله الإلهية عنصر بشرى ، وفى أعماله البشرية عنصر إلهى . فى هذا السر نرى «روح القداسة» الذى من جهته تعين المسيح ابن الله بقوة بالقيامة من الأموات ، وهو الذى قد صار من جهة الجسد ابن داود (ر ١ : ٤) . بقوة هذا السر صار آدم الأخير « روحاً محيياً » إزاء آدم الأول الذى صار نفساً حية (١ كو١٥ : ٤٥) . بفضل هذا السر نراه محيي فى « الروح » ولو أنه مماتت فى الجسد (١ بط٣ : ١٨).

هذا هو الروح الأزلى ، « روح القداسة » الروح المحيي ، الذى به « قدم نفسه لله » والذى أعطى ذبيحته فاعليتها الممتازة ، التى لا يمكن أن تكون لذبيحة حيوانية ولا لذبيحة بشرية مجردة مهما سمت ، ولا يمكن أن تكون لغير ذبيحة المسيح فى شخصيته اللاهوتية الناسوتية أو الناسوتية اللاهوتية .

وحيث أن أقنوم المسيح اللاهوتى هو الأقنوم الثانى فى الثالوث الأقدس « الآب والابن والروح القدس » « مت ٢٨ : ١٩ » وحيث أنه هو الأقنوم المتجسد لأنه « لما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة » (غل ٤ : ٤) . وحيث أن عهد الفداء مقطوع بين الآب والابن كما يظهر من (يو ١٠ : ١٧ و ١٨) ومقارنة (مز ٤٠ : ٦ و ٧ ، عب ١٠ : ٥ — ١٠ ، يو ٦ : ٣٧ — ٤٠) وغيرها من المواضع الكتابية ، لذلك يكون الكاهن المسيح هو الابن المتجسد الذى نراه أمام مذبح الله مقدماً نفسه له .

وتكون عملية التقديم إذاً قائمة أولا وقبل كل شيء فى خضوع الابن الأزلى لأبيه ، ذلك الخضوع المتجلى فى قوله له : « هأنذا أجيء فى درج الكتاب مكتوب عني ، لأفعل مشيئتك يا الله » ، وفى تصريحه : « طعامى أن أعمل مشيئة الذى أرسلنى وأتمم عمله » (يو ٤ : ٣٤) فكان شعاره : « فى كل حين أفعل ما يرضيه » (يو ٨ : ٢٩) . إلى أن جاءت ليلة البستان بنارها المحرقة فلم يسعه ، تحت لهيبها ، إلا أن يقول : « يا أبتاه إن لم يمكن أن تعبر عنى هذه الكأس إلا أن أشربها فلتكن مشيئتك » (مت٢٦ : ٤٢) ، حتى جاء الصليب بآلامه المرة فقال : « قد أكمل » وتم القول : « العمل الذى أعطيتنى لأعمل قد أكملته » (يو ١٧ : ٤ ، ١٩ : ٣٠) ؛

وحيث أن ذبائح العهد القديم كان لابد أن يدخل بدمها إلى الأقداس لينضح منه أمام الله فوق الغطاء وقدامه للتكفير ، وذلك بعد أن تذبح خارجاً ، فعلى هذا القيـــاس بعد أن اجتازت عملية تقديم المسيح نفسه تلك الأدوار المذكورة سابقاً « وأطاع حتى الموت موت الصليب » ، كان لابد أن يدخل بدم نفسه إلى الأقداس السماوية ليظهر لأجلنا أمام وجه الله ليجد الفداء الأبدى (راجع شرح عد ١٢) وبذلك يصدق القول ، فى هذا الموضوع ، كما فى أى موضوع آخر ، أن المنظور رمز للروحى ، ضرورى ، وإن كان غير كامل . .

وهل بعد كل ما قيل عن ذبيحة المسيح نحتاج إلى برهان آخر للدليل على أنه له المجد ، « قدم نفسه لله بلا عيب » ؟ ذبيحة طاهرة ؟ كما أنه « رئيس كهنة قدوس » ؟ (انظر شرح ص ٧ : ٢٦) .

« يطهر ضمائركم من أعمال ميتة » :

دم الثيران والتيوس ورماد العجلة « يقدس إلى طهارة الجسد » وفعله خارجى لا يمس الداخل ! أما « دم » « المسيح » فيتصل بالضمير ، « بالإنسان الباطن » (أف ٣ : ١٦) « إنسان القلب الخفى » (١ بط ٣ : ٤) « وإن كان إنساننا الخارج يفنى فالداخل يتجدد يوماً فيوماً » (٢ كو ٤ : ١٦) : دم المسيح يقدس ، كما أنه يبرر ، ويخلق إنساناً باطنياً جديداً . فيستريح الضمير بسلام مع الله ويدخل إلى حضرته متعبداً مسروراً فرحاً بالرب ويتقدم بثقة إلى عرش النعمة (عب ٤ : ١٦) . « حتى إذا أظهر تكون لنا ثقة ولا نخجل منه فى مجيئه » (١ يو ٢ : ٢٨) .

أما الأعمال الميتة التى منها تطهر الضمائر فهى الأعمال الصادرة من قلوب غير متجددة ميتة بالطبيعة بالذنوب والخطايا ، وتؤدى إلى الموت الثانى فهى فى طبيعتها ونتيجتها موت فى موت (انظر شرح ص ٦ : ١ عن « التوبة من الأعمال الميتة »)

لتخدموا الله الحى » :

وصف الله بـ « الحى » تمييزاً له عن الآلهة الوثنية التى هى أصنام فضة وذهب وخشب وحجر « عمل أيدى الناس ، لها أفواه ولا تتكلم ، لها أعين ولا تبصر ، لها آذان ولا تسمع . . . لها أيد ولا تلمس ، لها أرجل ولا تمشى ، ولا تنطق بحناجرها » (مز ١١٥ : ٤ — ٦) : أما الله فهو الإله الحى فى ذاته الواجب الوجود ، مصدر كل حياة ، الذى نفخ فى الإنسان نسمة الحياة ، وهو إله أحياء يعبدونه وهم أحياء ، « الله الذى هو غنى فى الرحمة من أجل محبته الكثيرة ، ونحن أموات بالخطايا ، أحيانا مع المسيح » « لتخدموا » الله الحى . لأن « الله روح والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغى أن يسجدوا » (أف ٢ : ٤ و ٥ ، يو ٤ : ٢٤) . « وكأولاد الطاعة لا تشاكلوا شهواتكم السابقة فى جهالتكم ، بل نظير القدوس الذى دعاكم كونوا أنتم أيضاً قديسين فى كل سيرة . لأنه مكتوب كونوا قديسين لأنى أنا قدوس » (لا ١١ : ٤٤ ، ١٩ : ٢ ، ٢٠ : ٧ ، ١ بط١ : ١٤ — ١٦) . « كونوا كاملين كما أن أباكم الذى فى السموات هو كامل » (مت ٥ : ٤٨) « كونوا متمثلين بالله كأولاد أحباء » (أف ٤ : ٢٤ ، ٥ : ١) . فى كل هذه المعانى يتضمن معنى خدمة الله .

بعد أن بين الرسول أن الذبيحة التى قدمها المسيح الكاهن لله هى « نفسه » ، تقدم إلى ذكر تلك الذبيحة من وجهة كونها :

ب : ذبيحة العهد الجديد (ص ٩ : ١٥ — ٢٤)

١٥ وَلِأَجْلِ هٰذَا هُوَ وَسِيطُ عَهْدٍ جَدِيدٍ لِكَيْ يَكُونَ ٱلْمَدْعُوُّونَ
إِذْ صَارَ مَوْتٌ لِفِدَاءِ ٱلتَّعَدِّيَاتِ ٱلَّتِي فِي ٱلْعَهْدِ ٱلْأَوَّلِ يَنَالُونَ وَعْدَ
ٱلْمِيرَاثِ ٱلْأَبَدِيِّ . ١٦ لِأَنَّهُ حَيْثُ تُوجَدُ وَصِيَّةٌ يَلْزَمُ بَيَانُ مَوْتِ
ٱلْمُوصِي . ١٧ لِأَنَّ ٱلْوَصِيَّةَ ثَابِتَةٌ عَلَى ٱلْمَوْتَى إِذْ لَا قُوَّةَ لَهَا ٱلْبَتَّةَ
مَا دَامَ ٱلْمُوصِي حَيًّا . ١٨ فَمِنْ ثَمَّ ٱلْأَوَّلُ أَيْضًا لَمْ يُكَرَّسْ بِلَا

دَمٍ ١٩ لِأَنَّ مُوسَى بَعْدَ مَا كَلَّمَ جَمِيعَ ٱلشَّعْبِ بِكُلِّ وَصِيَّةٍ بِحَسَبِ
ٱلنَّامُوسِ أَخَذَ دَمَ ٱلْعُجُولِ وَٱلتُّيُوسِ مَعَ مَاءٍ وَصُوفًا قِرْمِزِيًّا وَزُوفَا
وَرَشَّ ٱلْكِتَابَ نَفْسَهُ وَجَمِيعَ ٱلشَّعْبِ ٢٠ قَائِلاً هٰذَا هُوَ دَمُ ٱلْعَهْدِ
ٱلَّذِي أَوْصَاكُمُ ٱللهُ بِهِ . ٢١ وَٱلْمَسْكَنَ أَيْضًا وَجَمِيعَ آنِيَةِ ٱلْخِدْمَةِ
رَشَّهَا بِالدَّمِ . ٢٢ وَكُلُّ شَيْءٍ تَقْرِيبًا يَتَطَهَّرُ حَسَبَ ٱلنَّامُوسِ
بِٱلدَّمِ وَبِدُونِ سَفْكِ دَمٍ لاَ تَحْصُلُ مَغْفِرَةٌ .

٢٣ فَكَانَ يَلْزَمُ أَنَّ أَمْثِلَةَ ٱلْأَشْيَاءِ ٱلَّتِي فِي ٱلسَّمٰوَاتِ تُطَهَّرُ
بِهٰذِهِ وَأَمَّا ٱلسَّمٰوِيَّاتُ عَيْنُهَا فَبِذَبَائِحَ أَفْضَلَ مِنْ هٰذِهِ . ٢٤ لِأَنَّ
ٱلْمَسِيحَ لَمْ يَدْخُلْ إِلَى أَقْدَاسٍ مَصْنُوعَةٍ بِيَدٍ أَشْبَاهِ ٱلْحَقِيقِيَّةِ بَلْ
إِلَى ٱلسَّمَاءِ عَيْنِهَا لِيَظْهَرَ ٱلْآنَ أَمَامَ وَجْهِ ٱللهِ لِأَجْلِنَا .

يرجع بنا هذا الفصل إلى (ص ٨) حيث ذكر الرسول العهد الجديد موعوداً به من الله ، مرموزاً إليه بالعهد القديم الذى عتق وصار قريباً من الاضمحلال . كما ذكر أيضاً أن هذه العلاقة بين العهدين هى العلاقة بعينها بين كهنوتهما وخدمتهما ومسكنهما ، مبيناً ذلك بأكثر إيضاح فى (ص ٩ : ١ – ١١) إلى أن أرانا الخدمة وقد كملت فى تقديم المسيح نفسه ذبيحة (٩ : ١٢ – ١٤) . وها هو هنا يرينا العلاقة التامة بين ذبيحة المسيح والعهد الجديد حيث نتبين العلاقة بين الدم والعهد ، وبين العهد والميراث ، وبين الميراث والوصية ، وبالتالى نتبين العلاقة بين العهد الأول والثانى من هذه الناحية .

عد ١٥ : يبنى على ما قبله ، وفى ذات الوقت يتقدم بنا إلى خطوة أوسع :

« لأجل هـذا » : أى لأجل فعل دم المسيح الذى يطهر الضمائر من أعمال ميتة :

« هو وسيط عهد جديد » :

والكلام عن « المسيح » (انظر عد ١١ و ١٤) الذى « هو وسيط عهد جديد » (راجع شرح ٧ : ٢٢ ، ٨ : ٦ و ٨ و ١٣) وانظر الكلام عن الوصية فى (عد ١٦ و ١٧) ، أما هنا فيليق أن نلقى نظرة إلى العلاقة الكتابية بين الدم والعهد حيث نرى العهود المقطوعة على ذبائح ، عادة جارية بين الأمم القديمة فى البلاد الشرقية بطريقة عبر عنها الرب قائلا : « وادفع الناس الذين تعدوا عهدى الذين لم يقيموا كلام العهد الذى قطعوه أمامى . العجل الذى قطعوه إلى اثنين وجازوا بين قطعتيه » (انظر إر ٣٤ : ١٨ و ١٩) . وهو تعبير يدل على أن قطع العهد مأخوذ من قطع العجل إلى قطعتين واجتياز الفريقين المتعاهدين بين القطعتين . وعلى هذا الأساس قال الله فى (مز ٥٠ : ٥) : « اجمعوا إلى أتقيائى القاطعين عهدى على ذبيحة » . ويتبين ذلك عملياً فى العهد الذى قطعه الله مع ابراهيم إذ قال له : « خذ لى عجلة ثلاثية وعنزة ثلاثية وكبشاً ثلاثياً ويمامة وحمامة . فأخذ هذه كلها وشقها من الوسط وجعل شق كل واحد مقابل صاحبه . وأما الطير فلم يشقه » ولما غابت الشمس فصارت العتمة . وإذا تنور دخان ومصباح نار يجوز بين تلك القطع ، اشارة إلى اجتياز الله بين تلك القطع بعد أن مر ابراهيم بينها طبعاً . « فى ذلك اليوم قطع الرب مع ابراهيم ميثاقاً » (اقرأ تك ١٥ : ٩ - ١٨) .

بهذه الطريقة كان يتثبت العهد قديماً بين الأمم كما بين الأفراد ، ويعتبر نقضه جريمة لا تغتفر حتى بين الأمم المشهورة بالكذب . فنجد فى الإلياذة اليونانية مثلا ، عند ما نقض بانداروس عهد الهدنة ، قام أجا ممنون معزياً أخاه الجزع قائلا : «لقد داس العدو عهده المقدس تحت قدميه ولطخه بدمك ، ولكنه لا يهدر باطلا . فالهدنة قد عقدت ، ودماء الحملان قد سفكت ، والسكائب سكبت ، والأيدى اليمنى تعاقدت فغضب الإله ، ولو سبت ، لا يدوم سباته فلا بد من الانتقام الغالى . الخونة لا ينجحون . ولا بد من أن الجوارح تأكل الذين تعدوا الهدنة . ونحن سنأخذ مدينتهم ونسبى زوجاتهم». ما أعظم الفرق بين هذا الكلام وبين السفسطة السياسية التى تعتبر المعاهدات قصاصات ورق فى لغة غليوم الثانى امبراطور ألمانيا السابق . أو لغة فردريك الثانى الملقب بالكبير الذى كان على رأس ألمانيا فى القرن الثامن للميلاد ، الذى قال : « من السياسة أن

تغش وتخدع فاعقد معاهدات وحرر وثائق وعهودا ولكن لا تستسلم للخطأ الفاضح القائل بالمحافظة عليها عندما تسنح لك الفرصة وتلوح لك المنفعة بالنكث فى جميع عهودك ووعودك ، . وماذا تكون علاقات الأمم ومصيرها على هذا المبدأ ؟ وإذا سار الله على هذه القاعدة فماذا يكون مصير الإنسان إلا الهلاك المؤبد ؟ « حاشا . بل ليكن الله صادقاً وكل إنسان كاذباً » . « إن كنا غير أمناء فهو يبقى أميناً لن يقدر أن ينكر نفسه » (رو ٣ : ٤ ، ٢ تى ٢ : ١٣) .

بعد سقوط الإنسان ونقض عهد الأعمال ، صار لابد من وسيط فى العهد المقطوع بين الله والإنسان . وكما كان موسى وسيط العهد القديم مرموزاً به ، هكذا كان المسيح وسيط العهد الجديد مرموزاً إليه . على أن موسى فى وساطته لم يكن إلا واقفاً بين الرب وبين الشعب ليخبرهم بكلام الرب (خر ٢٠ : ١٩ و ٢١ و ٢٢ ، تث ٥ : ٥ و ٢٢ ــ ٢٣) . أما المسيح فلم يكن وسيطاً من هذا النوع ، بل هو ذبيحة العهد الجديد وضامنه ، نائباً عن الإنسان طرفاً ثانياً .

« لكى يكون المدعوون » :

وهم « القديسون شركاء الدعوة السموية » (انظر شرح ٣ : ١). « الذين هم مدعوون حسب قصده » (رو ٨ : ٢٨) . ويظهر من القرينة أن هؤلاء المدعوين المشار إليهم ، منهم أيضاً قديسو العهد القديم الذين عاشوا فى زمان العهد الأول كما سيتضح من القول :

« إذ صار موت لفداء التعديات التى فى العهد الأول » :

وهو العهد القديم المشروح فى (ص ٨ : ٧ ــ ٩ ، ٩ : ١) .

أما التعديات التى فى ذلك العهد فقد أشير إليها فى (شرح ص ٢ : ٢) . فلم يبق إلا أن ننظر إلى الموت الذى صار لفداء تلك التعديات لنتحقق :

(١) أن الفداء المقصود هو الخلاص من العبودية بشراء العبيد وتحريرهم وجعلهم ملوكاً وكهنة كأبناء لله أحرار (انظر شرح عد ١٢ « فداء أبدياً ») .

(٢) أن هذا الفداء لم يكن ممكناً إتمامه بذبائح العهد الأول ، وإلا لما تساءل الشعب قديماً قائلا : « بم أتقدم إلى الرب ؟ وأنحنى للاله العلى ؟ هل أتقدم بمحرقات بعجول أبناء سنة ؟ هل يسر الرب بألوف الكباش ، بربوات أنهار زيت ؟ هل أعطى بكرى عن معصيتى ؟ ثمرة جسدى عن خطية نفسى » ؟ (مى ٦ : ٦ و ٧) . ولهذا التساؤل ، وفيه ، جوابه السلبي : « لأنه لا يمكن أن دم ثيران وتيوس برفع خطايا » (١٠ : ٤) .

يزاد على ذلك أن بعض التعديات التى فى العهد الأول كان جزاؤها الموت رجماً ، إذ لا يكفر عنها بذبيحة . وهى خطايا النفس التى تعمل بيد رفيعة « فتقطع النفس من بين شعبها ، لأنها احتقرت كلام الرب ونقضت وصيته » (عد ١٥ : ٣٠ و ٣١) . وهى الخطايا التى وصفها المرنم بالقول : «أيضاً من المتكبرين احفظ عبدك فلا يتسلطوا على » (مز ١٩ : ١٣) . وإذ سقط فيها داود بقتل أوريا والاستيلاء على زوجته (٢ صم ١١ و ١٢) قال فى توبته : « لأنك لا تسر بذبيحة وإلا فكنت أقدمها . بمحرقة لا ترضى » (مز ٥١ : ١٦) . أفلم يصر فداء لتعدى داود هذا ، وللتعديات التى مثله التى لم تكن لها ذبيحة فى العهد الأول ؟

(٣) هذا يؤكد لنا أن جميع التعديات سواء أكانت فى العهد الأول ، أو فى كل الأجيال ، إنما هى تعديات على ناموس العهد الأول ، وأنها جميعها قد افتديت ، لا بدماء العهد الأول الرمزية ، بل بدم كريم ، كما من حمل بلا عيب ولا دنس ، دم المسيح ، معروفاً سابقاً قبل تأسيس العالم (١ بط ١ : ١٩ و ٢٠) . وقد رآه إشعياء كشاة تساق إلى الذبح وقد وضع عليه إثم جميعنا « وقد سكب للموت نفسه وأحصى مع أثمة وهو حمل خطية كثيرين وشفع فى المذنبين » (إش ٥٣ : ٧ و ٨ و ١٢) . فهو الذى يطهر من كل خطية « لأن كل من يفعل الخطية يفعل التعدى ، والخطية هى التعدى » (١ يو ١ : ٧ ، ٣ : ٤) . « لأن من حفظ كل الناموس وإنما عثر فى واحدة فقد صار مجرماً فى الكل » (يع ٢ : ١٠ — ١٢) .

هذا ما أشار إليه الرسول فى كلامه عن « الفداء الذى بيسوع المسيح الذى قدمه الله كفارة بالإيمان بدمه : . . من أجل الصفح عن الخطايا السالفة بإمهال الله لاظهار بره

فى الزمان الحاضر » (رو ٣ : ٢٤ — ٢٦) ، معلناً بذلك أن الله صفح عن الخطايا فى جميع عصور العالم سواء التى قبل مجىء المسيح أو بعده لأنه وضع على المسيح عقاب الجميع منذ تأسيس العالم فى قضائه الأزلى ومشورته المحتومة (أع ٢ : ٢٣) . بناء عليه :

٤ — يكون خلاص قديسى العهد القديم كقديسى العهد الجديد بالإيمان بالمسيح الذى يأتى بالنسبة لأولئك ، والذى أتى بالنسبة لهؤلاء ، وكلاهما سواء من هذا القبيل وجميعهم عن هذا الطريق الواحد :

« ينالون وعد الميراث الأبدى » :

وهنا نتبين العلاقة بين العهد والميراث كما تبينا العلاقة بين الدم والعهد . وهذه العلاقة الثلاثية بين الدم والعهد والميراث ، واضحة فى عهد الله مع ابراهيم الذى أشرنا إليه . فإن الله قطع معه العهد على قطع تلك الذبائح لتوريثه أرض كنعان قائلا له : « أنا الرب الذى أخرجك من أور الكلدانيين ليعطيك هذه الأرض لترثها » « فى ذلك اليوم قطع الرب مع ابرام ميثاقاً قائلا : « لنسلك أعطى هذه الأرض » (تك ١٥ : ٧ و ٨ و ١٨) . وهنا نجد الإشارة إلى العلاقة بين التوريث والبنوية ، فإنه قبل الوعد بالميراث كان الوعد بالنسل (تك ١٥ : ٥) فالبنوية والميراث صنوان ، والبنوية أساس الميراث : « فإن كنا أولاداً فإننا ورثة أيضاً » (رو ٨ : ١٧) :

كان الوعد لابراهيم بأن يرث هو ونسله أرض كنعان ، ولكنها لم تكن ميراثاً أبدياً ، لأنها وهى المدعوة أرض الراحة لم تكن راحة أبدية : « لأنه لو كان يشوع قد أراحهم ، لمـــا تكلم بعد ذلك عن يوم آخر » (انظر شرح عب ٤ : ٦ — ٩) . فلم تكن كنعان إلا رمزاً لذلك :

« الميراث الأبدى » : الذى « لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل محفوظ فى السموات » (١ بط ١ : ٤) . « شركة ميراث القديسين فى النور (كو ١ : ١٢) .

أما « وعد » الميراث « الأبدى » فهو تعبير يدل على كونه ميراثاً موعوداً به ، ويرجع بنا إلى قول الرب لابراهيم : « لأن جميع الأرض التى أنت ترى لك أعطيها

ولنسلك إلى الأبد » (تك ١٣ : ١٥) . لأن المواعيد قيلت فى ابراهيم وفى نسله طبقاً للقول « ويتبارك فى نسلك جميع أمم الأرض » . لا يقول « وفى الأنسال » كأنه عن كثيرين ، بل كأنه من واحد « وفى نسلك » « الذى هو المسيح » ، الذى هو أيضاً ذات نسل المرأة الذى يسحق رأس الحية ، الذى فيه لنا جميع المواعيد ، وبه لنا « كل بركة روحية فى السمويات » وبسلطانه صرنا أولاداً وإن كنا أولاداً فإننا ورثة أيضاً ورثة الله ووارثون مع المسيح (قارن تك ٣ : ١٥ ، ١٢ : ٣ ، ٢٢ : ١٨ ، غل ٣ : ١٦—١٨ ، أف ١ : ٣ ، يو ١ : ١٢ ، رو ٨ : ١٧) . هذا يرينا كيف :

« ينالون » : وعد الميراث الأبدى . لأنه إن كان الميراث موعوداً به ، موهوباً من الله ، فلابد أن يكون نواله عن طريق الإيمان لا عن طريق الأعمال . وهذا ما فعله ابراهيم عندما وعد بالنسل والميراث حيث قيل : « فآمن ابراهيم بالله فحسب له براً » ، « أما الذى يعمل فلا تحسب له الأجرة على سبيل نعمة ، بل على سبيل دين ، وأما الذى لا يعمل ولكن يؤمن بالذى يبرر الفاجر فإيمانه يحسب له براً « (رو ٤ : ٣ — ٥) .

فماذا يقصد إذاً بنوال « وعد الميراث الأبدى » ؟ : إن كان الوعد فى صورته ، فيكون المقصود بنواله ، إن خبره قد وصل وقبل بالإيمان خلافاً للذين قال عنهم الرسول إن كلمة الخبر لم تنفعهم « إذ لم تكن ممتزجة بالإيمان فى الذين سمعوا » (٤ : ٢) . بهذا المعنى قيل عن ابراهيم إنه « قبل المواعيد » (١١ : ١٧) بوصف كونه ، « إذ لم يكن ضعيفاً فى الإيمان ، لم يعتبر جسده ، وهو قد صار مماتاً ولا مماتية مستودع سارة ، ولا بعدم إيمان ارتاب فى وعد الله ، بل تقوى بالإيمان معطياً مجداً لله » (رو ٤ : ١٩ و ٢٠) : أما إذا كان الوعد فى مادته ، فقد قيل فيه عن قديسى العهد القديم إنهم كلهم مشهوداً لهم ، بالإيمان ، لم ينالوا الموعد (١١ : ٣٩) الذى هو ظهور المسيح بالجسد فى ملء الزمان المعين .

أما نحن الآن فقد نلنا الموعد فى مادته ، إذ جاء المسيح بالجسد ومات على الصليب وقدم نفسه ذبيحة لله . ونلنا الموعد فى صورته بالنسبة لرجاء المجد فى الحياة التى وراء القبر . وبذلك يتم قول الرسول : « فإذ قد تبررنا بالإيمان لنا سلام مع الله بربنا يسوع

المسيح ، الذى به أيضاً قد صار لنا الدخول بالإيمان إلى هذه النعمة التى نحن فيها مقيمون ونفتخر على رجاء مجد الله » (رو ٥ : ١ و ٢ راجع أيضاً شرح ٦ : ١٢ و١٥).

عد ١٦ و ١٧ : نلمح فيهما صورة انتقال فجائى غريب ، يبرز لنا فى القول :

« لأنه حيث توجد وصية يلزم بيان موت الموصى » :

لأنه لم يسبق ذكر ، لا لوصية ولا لموصى ، حيث كان الكلام متعلقاً بعهد ، وبوسيط عهد ، وبموت ذلك الوسيط وإذا قرأنا (عد ١٥ و ١٦) تظهر العلاقة غريبة ، والارتباط كأنه لا معنى له لأنه أية علاقة بين الوصية والعهد ؟ .

تنتفى هذه الغرابة ويزول وجه الاستغراب إذا عرفنا :

(١) أن الكلمة المترجمة « وصية » هنا هى فى الأصل ذات الكلمة المترجمة « عهد » فى العدد السابق فالعلاقة إذاً فى الأصل لا غرابة فيها . فلماذا إذاً غير المترجمون الكلمة من « عهد » إلى «وصية » ؟ — إذا رجعنا إلى الكلمة «ذياثيكى » وهى الكلمة الأصلية ، نجدها مشتقة من أصل له معنى التدبير أو الترتيب وبخاصة الترتيب المختص بوصية والمعين بوصية . وليس فى تركيبها أصلا ما يشير إلى عهد أو اتفاق بين اثنين تحت التزام بشروط معينة إن لم تتم ينقض ذلك العهد .

(٢) إن الكلمة « ذياثيكى » هى الترجمة السبعينية للكلمة العبرية « بريت » المعبر بها عن العهد الذى قطعه الله مع شعب إسرائيل (خر ٢٤ : ٣ — ٨ . انظر تك ١٥ : ١٨ ، ١ صم ١٨ : ٣ ، إر ٣١ : ٣١ — ٣٤) ، حيث ترى ثلاثة أشياء جوهرية هى :

(أ) لوحا الحجر وعليهما الوصايا العشر ، وصفاً للطاعة لله من جانب إسرائيل وقد قبلها الشعب مؤمناً عليها بصوت واحد قائلا : «كل الأقوال التى تكلم بها الرب نفعل » (إقرأ خر ٢٤ : ٣ و ٤ ، تث ٥ : ١ — ٢٧) : وهذه هى الفكرة المتضمنة العهـــد .

(ب) وعد بميراث يمتلكونه هو ميراث أرض كنعان بما فيه من المزايا المخولة لهم . وهذه هي الفكرة المتضمنة للوصية ، حيث أن أرض الموعد هي لله (لا ٢٥ : ٢٣) وأنه أوصى بها ميراثاً لشعبه ، ، وكتب وصيته هذه في وعده لابراهيم الذى أثبته ليعقوب فريضة ولإسرائيل عهداً أبدياً ، قائلا : « لك أعطى كنعان احبل ميراثكم » (مز ١٠٥ : ٨ – ١١) لأنه شعب اختاره الرب أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض ، لا لشيء فيه يميزه عن سائر الشعوب ، بل من محبة الرب إياهم ، وحفظه القسم (تث ٤ : ٣٧ و ٣٨ ، ٧ : ٦ – ٨) .

(ج) : موت به يتثبت العهد وتنفذ الوصية كالعادة فى قطع العهد وفى تثبيت الوصية.

وحيث قد رأينا قطع العهد فى (عد ١٥) ، فعلينا الآن أن نرى تنفيذ الوصية .

فما هى هذه الوصية ؟ ومن هو الموصى ؟ وهل مات الموصى ؟ .

أما الوصية فهى من الايصاء حيث يقال أوصى فلان لفلان ، أى جعل له من ماله شيئاً يأخذه بعد وفاته . وعليه يكون :

الموصى هو الذى يوصى لغيره بماله أو بشيء منه يأخذه بعد وفاته .

وحيث قد رأينا الوصية متضمنة فى وعد الميراث الأبدى ، وأن الميراث الأبدى هو ذلك الشيء الموصى به ، يكون الموصى إذاً هو الله الذى أعطى ذلك الوعد .

وحيث أنه يلزم بيان موت الموصى لتثبيت الوصية لذلك يأتى أمامنا السؤال :

هل مات الموصى ؟ ان الله حى إلى الأبد وهو وحده الذى له عدم الموت (١ تى ٦ : ١٦) ولكن هل ننسى أن « الله ظهر فى الجسد » وحل بيننا فى ابنه الذى « صار جسداً ورأينا مجده مجداً كما لوحيد من الآب ؟ وأنه هو الذى اقتنى كنيسته بدمه ؟ (قابل ١ تى ٣ : ١٦ ، يو ١ : ١٤ ، أع ٢٠ : ٢٨) . وما دام الموصى قد مات فقد ثبتت الوصية :

« لأن الوصية ثابتة على الموتى إذ لا قوة لها البتة ما دام الموصى حياً » :

لأنه فى حياته له الحق أن يغير فيها وأن يبدل وأن يدخل وأن يخرج وأن يفعل بها ما يحسن فى عينيه . لذلك كان موت المسيح ضرورياً سواء أكان فى نص القضاء الأزلى قبل دهور التاريخ ، أو فوق الجلجثة فى بطن التاريخ ، لكى ينال المدعوون وعد الميراث الأبدى .

على أن موت الموصى لا يستلزم سفك دم . أما موت المسيح فكان بسفك دم على عود الصليب ، لذلك كان هذا الوعد لا مجرد وصية يلزم لتثبيتها بيان موت الموصى موتاً عادياً، بل أيضاً عهداً لا يتثبت إلا بسفك الدم كما رأينا . وبذلك يكون الوعد بالميراث وصية ثابتة وعهداً لا ينقض . وتكون الوصية ، والحالة هذه ، عهداً أبدياً مكرساً بالدم كما يتضح فى :

عد ١٨ — ٢٤ : حيث يقابل الرسول بين تكريس العهدين بالدم قديماً وجديداً مبيناً ضرورة الدم وقيمته من هذا القبيل .

« فمن ثم الأول أيضاً لم يكرس بلا دم :

أما هذا الأول فهو العهد القديم ، الذى يحقق لنا الرسول أنه تكرس بالدم فى لغة نفى النفى قائلا : « لم يكرس بلا دم » لأن نفى النفى إيجاب . وإن كانت الضرورة قد قضت بتكريس العهد القديم بدم ، أفلا تقضى بالأولى بتكريس العهد الجديد الأفضل بدم ؟

أما التكريس مطلقاً فهو الإفراز لقصد معين كتكريس الكنائس لعبادة الله وخدمته ، وكتكريس الخبز والخمر فى العشاء الربانى ، وكتكريس الخدام لخدمته . قس على ذلك تكريس العهد الأول أى إقامته لأجل فائدة الناس مبنياً على خدمة الذبائح التى كانت تقوم بسفك دم الحيوانات تكفيراً عن الخطايا رمزاً إلى ذبيحة العهد الجديد التى أقامها الله لأجل خلاص البشر فى موت المسيح الكفارى واحتماله العقاب النيابى الذى توجبه الشريعة على الخطاة .

« لأن موسى بعد ما كلم جميع الشعب بكل وصية بحسب الناموس :

عند جبل سيناء حيث نرى موسى يقوم بعملية هذا التكريس وسيطاً بين الله والشعب بتعيين الله وبرضى الشعب (اقرأ خر ٢٤ : ٣ — ٨ مع ٢٠ : ١٩ ، تث ٥ : ٢٢ — ٢٨ ، غل ٣ : ١٩) . وكوسيط أخذ من الله أقواله وأحكامه من جبل سيناء (اقرأ خر ٢٠ ، تث ٣٣ : ٢ — ٤) وحدث الشعب بها وبعد ذلك :

« أخذ دم العجول والتيوس مع ماء وصوفا قرمزياً وزوفا » :

ويقول النص الأصلي أنه بكر فى الصباح وبنى مذبحاً فى أسفل الجبل واثنى عشر عموداً لأسباط إسرائيل الاثنى عشر ، وأرسل فتيان بنى إسرائيل فأصعدوا محرقات وذبحوا ذبائح سلامة للرب من الثيران .

فإذا قابلنا بين هذا النص وبين نص قول الرسول يتضح لنا فرق بينهما فى ذكر الثيران فى نص موسى ، وذكر العجول والتيوس فى نص بولس . على أننا إذا أمعنا النظر جيداً فى نص بولس يمكننا أن نراه نصاً تفسيرياً فيه بيان لما خفى هنا فى نص موسى ، ولكنه ظهر فى نصوص أخرى ، فإنه ، وإن كان النص يذكر هنا أن ذبائح السلامة كانت من الثيران ولكننا نرى أيضاً أنه يمكن أن تكون من المعز (لا ٣ : ١٢) ، أى من التيوس . كما أن العجول والثيران فصيلة واحدة ويمكن أن تعبر عنهما فى الأصل كلمة واحدة . وفى يوم الكفارة تتجلى التيوس ذبائح تكفيرية عن الخطية كما تتجلى أيضاً الثيران (لا ١٦ : ٣ و ٥ و ١١ و ١٥ — ١٩) . وفى تقديس الكهنة تتجلى التيوس ذبائح خطية ، والثيران ذبائح سلامة (اقرأ لا ٩) ومن كل النصوص المشار إليها يتضح أنه لا تذكر محرقات أو ذبائح خطية وذبائح سلامة مقدمة معاً ، إلا وتكون التيوس منها . لذلك يقول الرسول إن موسى « أخذ دم التيوس والعجول :

« مع ماء وصوفا قرمزياً وزوفا » وهذه أيضاً لم يذكرها موسى حيث لم يذكر هناك إلا الدم . ولكننا من النصوص الأخرى نستطيع أن نتحقق أن المسألة تتعلق بمقدار الدم الذى يرش أو ينضح . فإن كان قليلا ينضح بالأصبع . وفى هذه الحالة لا يحتاج

الأمر إلى وضع ماء على الدم (قارن لا ٨ : ١٥ ، ١٦ : ١٤) . ولكن إن كان المطلوب رش مقدار كبير من الدم كما فى الحالة التى نحن بصددها الآن ، فكان لابد من خلط الدم بماء حتى يجعله سائلا يمكن رشه وفى هذه الحالة يكون الرش بالصوف القرمزى والزوفا (قارن لا ١٤ : ٤٩ — ٥٢ وراجع شرح عد ١٣ و ١٤ من هذا الأصحاح) . فلابد أن موسى ، كما يقول الرسول ، أخذ دماً مع ماء وصوفا قرمزياً وزوفا :

« ورش الكتاب نفسه وجميع الشعب » :

ونص موسى يرينا أنه أخذ نصف الدم ووضعه فى الطسوس ونصف الدم رشه على المذبح وبعد ذلك يقال « أخذ موسى الدم ورش على الشعب » ومن هذا يتضح أن موسى بعد أن رش نصف الدم على المذبح رش النصف الآخر ، مختلطاً بالماء ، ولابد ، على الشعب ، بل على جميع الشعب بلا استثناء أحد منهم . أما النصف المرشوش على المذبح ففيه إشارة إلى التكفير ، أما النصف المرشوش على الشعب ففيه اشارة إلى التطهير ، وفى كلا الأمرين اشارة إلى فاعلية الدم المزدوجة أى للتكفير والتطهير معاً ، الواحد من جانب الله والآخر من جانب الشعب . فى الواحد تستر الخطايا عن عين الله (مز ٥١ : ٩) ، وفى الثانى يتطهر الإنسان ويغتسل من خطاياه (مز ٥١ : ٧) . والأمران متوازيان ومتناسبان . هنا قوة برهان الرسول الرئيسية فى كون العهد الأول لم يكرس بلا دم . فكم يكون الثانى ؟ .

يذكر الرسول أيضاً « رش الكتاب » ، وهذا لم يذكره نص موسى . على أن سير الموضوع يحقق تفسير الرسول . فإنه يرينا موسى وقد جاء من الجبل وحدث الشعب بجميع أقوال الرب وجميع الأحكام التى سمعها فوق الجبل ، وسمع جوابهم بصوت واحد : « كل الأقوال التى تكلم بها الرب نفعل » ، ثم كتب جميع أقوال الرب فى كتاب أصبح هو كتاب العهد بين الله والشعب . ثم بنى المذبح ويظهر أنه وضع عليه الكتاب الذى كتبه ، ولابد أنه رش بالدم الذى رش على المذبح . ثم أخذه من على المذبح مرشوشاً بالدم وقرأ فى مسامع الشعب فجددوا عهدهم قائلين : « كل ما تكلم به الرب نفعل ونسمع له » .

أما رش الكتاب ففيه اشارة إلى التكفير بالدم عن الخطايا التى ترتكب ضد الأقوال والأحكام الإلهية . وفى ذات الوقت للتكفير عن هذا الكتاب الطاهر النقى من نجاسات الشعب ومن سيئاتهم مع كل خطاياهم . كما كان يفعل للتكفير عن القدوس وعن خيمة الاجتماع القائمة فى وسط نجاساتهم (لا ١٦ : ١٥ و ١٦) .

أما عملية الرش مطلقاً فهى الطريقة التى عينها الله لتوصيل فاعلية الدم المزدوجة إلى الشعب رمزاً إلى دم المسيح الذى هو دم رش (قابل عب ١٢ : ٢٤ ، ١ بط١ : ٢) .

عد ٢٠ : يبين لنا القول الذى قاله موسى عن الدم المرشوش بينما كان يرشه على الشعب .

« هذا هو دم العهد الذى أوصاكم الله به » :

وفى نص موسى يقول : « هوذا دم العهد الذى قطعه الرب معكم على جميع هذه الأقوام » فهل هو إذاً عهد موصى به كما يقول الرسول ؟ أم هو عهد مقطوع كما يقول موسى ؟ إنه هذا وذاك . فهو عهد موصى به باعتبار كتاب العهد المتضمن وصايا الله للشعب . وهو عهد مقطوع باعتبار دم العهد المرشوش على الكتاب وعلى الشعب(راجع الكلام عن العلاقة بين الدم والعهد فى شرح عد ١٥) . وهذا عين ما بينه لنا المسيح فى فريضة العشاء الربانى حيث قال عن الكأس : « هذه الكأس هى العهد الجديد بدمى الذى يسفك عنكم » (قارن زك ٩ : ١١ ، مت ٢٦ : ٢٨ ، لو ٢٢ : ٢٠ ، ١ كو١١ : ٢٥) . فالدم إذا كان هو العلامة المقبولة بين الطرفين المتعاهدين دليلا على رضاهما بقبول شروط العهد وإتمامه .

عد ٢١ : يدلنا على أن الرسول ، بعد أن رش الكتاب وجميع الشعب بدم العهد ، رش به .

« المسكن أيضاً وجميع آنية الخدمة :

هذا أيضاً لم يذكر فى نص موسى وربما كان السبب المباشر أن المسكن وجميع آنية الخدمة لم تكن بعد قد أعدت (قابل خر ص ٢٥ — ٣١ : ١١ ، ص ٣٦ — ٤٠).

فتكون الإشارة إلى ما لابد أنه حدث بعد ما أقيم المسكن ولو أنه لم يذكر صريحاً مع أنه ذكر خبر مسحه وكل ما فيه وكل آنيته بأمر الرب بدهن المسحة ليكون مقدساً (انظر خر ٤٠ : ٩ — ١٥)

على أننا نقدر أن نرجح رش المسكن وكل آنيته بالدم فى وقت التكريس المشار إليه مما كان يجرى سنوياً فى يوم الكفارة ومن عملية التكريس المشار إليه فى (لا ٨ : ١٥ و ١٩ و ٣٤) . ويوسيفوس ، وقد كان هو نفسه كاهناً ، يخبرنا فى تقاليد اليهود صراحة بأن ثياب هرون والمسكن وآنيته كانت ترش بدم الذبائح . وعلى هذا فى :

عد ٢٢ : نجد تأكيدين يستخلصهما الرسول من كل ما سبق : أحدهما :

«كل شىء تقريباً يتطهر حسب الناموس بالدم» :

يقول الرسول هنا «تقريباً» لأن بعض أنواع النجاسات كانت تتطهر بالماء (خر ١٩ : ١٠ ، لا ١٦ : ٢٦ و ٢٨ ، ٢٢ : ٦ و ٧ ، عد ٣١ : ٣٤) ، وبعضها كان يتطهر بالنار والماء (عد ٣١ : ٢٢ و ٢٣) . على أن التطهير بهذين العنصرين أساسه التطهير بالدم . ويتمثل ذلك فى العهد الجديد فى التطهير «بغسل الماء بالكلمة» (أف ٥ : ٢٦) وفى المعمودية «بالروح القدس ونار» (قارن مت ٣ : ١١ ، أع ٢ : ١ — ٤) . وكثيراً ما اقترنت النار بالماء فى معمودية الروح والماء إما عن طريق المقارنة (أع ١ : ٥) أو عن طريق المصاحبة (يو ٣ : ٥) . (قارن أيضاً أع ٨ : ١٤ — ١٧ ، ١٠ : ٤٤ — ٤٨ ، ١٩ : ١ — ٦) .

على أن كل ذلك أساسه التطهير بدم يسوع المسيح الذى يطهرنا من كل خطية (١ يو ١ : ٧) . لذلك يؤكد الرسول ثانية أنه :

«بدون سفك دم لا تحصل مغفرة» :

وهنا تقف أمامنا حالة الفقير الذى لم تنل يده حتى يمامتين أو فرخى حمام ، فتسمح له الشريعة بأن يأتى بقربانه عما أخطأ به عشر الايفة من دقيق قربان خطية . لا يضع عليه زيتاً ولا يجعل عليه لباناً لأنه قربان خطية (إقرأ لا ٥ : ١١ — ١٣) وربما أيضاً لأجل

هذه الحالة الخاصة استعمل الرسول كلمة «تقريباً » . على أننا إذا نظرنا إلى المسألة في ذاتها نجدها وليدة الضرورة التى حتم بها الفقر الذى لا يليق ، بحسب التدبير الإلهى ، أن يحول دون اقتراب المؤمن إلى إلهه فهى ضرورة من الضرورات التى تبيح المحظورات كالضرورة التى أباحت لداود أن يأكل الخبز الذى لا يحل أ كله إلا للكهنة وهو لم يكن واحداً منهم . وكالضرورة التى تبيح بعض الأعمال فى يوم السبت (اقرأ ١ صم ٢١ : ١ — ٦ ، مت ١٢ : ١ — ٥) .

زد على ذلك أن الدقيق فى ذاته هو دقيق الخبز الذى هو قوام حياة الإنسان ، وبتقديمه يعترف مقدمه أنه بسبب خطاياه قد خسر حياته . وهذا هو ذات المعنى الظاهر فى تقديم الذبائح الدموية . وهل ننسى يوم الكفارة العظيم الذى فيه يكفر الكاهن العظيم بالدم عن نفسه ، وعن بيته ، وعن جميع الشعب ، وعن القدس ، وعن خيمة الاجتماع ، وعن المذبح !

فإذا كان أبناء العهد القديم قد أعطوا مثل هذا النور الذى به يرون ويؤمنون ويعترفون أنه « بدون سفك دم لا تحصل مغفرة » ، فكم يكون ظلام أبناء العهد الجديد ! الذين يسعون وراء غفران الخطايا عن غير هذا الطريق . وهذا ما أراد الرسول تبيينه فى :

عد ٢٣ و ٢٤ : بالمقابلة بين أمثلة الأشياء وبين حقائقها حيث :

« كان يلزم أن أمثلة الأشياء التى فى السموات تطهر بهذه » :

سبق الكلام عن شبه السماويات فى شرح (ص ٨ : ٥) . وهى هذه الأمثلة المذكورة هنا المراد بها الهيكل الأرضى وأوانيه وخدمته . وحيث أنها « أمثلة » و «أمثلة» أرضية للأشياء السماوية ، وحيث أن الأشياء السماوية طاهرة ، وجب أن تكون أمثلتها طاهرة ، فكان يلزم إذاً أن «تطهر بهذه» الأشياء التى ذكرت أى بدم ثيران وتيوس ورماد عجلة مرشوش (انظر شرح عدد ١٣ و ١٨ — ٢٢) .

« وأما السمويات عينها فبذبائح أفضل من هذه » :

السماويات هى « الأشياء التى فى السماوات » المذكورة فى الجزء السابق من الآية . هى ذلك السر المكتوم منذ الدهور فى الله خالق الجميع حسب قصد الدهور الذى صنعه فى المسيح يسوع (أف ٣ : ٨ — ١٠) . وقد وضع تصميمها فى ذلك القصد الأزلى لتؤول إلى مجده الأبدى . وأظهر مثالها لموسى فى جبل سيناء وأوحى إليه ، وهو مزمع أن يصنع المسكن ، أن يصنعه وكل ما يتعلق بالخدمة فيه حسب ذلك المثال . وبذلك كان الكهنة ، وهم يقدمون قرابين حسب الناموس يخدمون شبه السماويات وظلها . فيكون كل مجد خدمة العهد القديم الكهنوتية قائم ، لا فى تلك المواد التى منها صنع المسكن ، ولا فى تلك الأوانى التى يحتويها ، ولا فى ذات الخدمة التى تقوم فيه ، بل فى كونها ، كما قصد الله أن تكون ، رمزاً إلى خدمة العهد الجديد التى هى « السماويات » عينها انظر :

عد ٢٤ : الذى فيه سنكتشف حقيقة « السماويات » وتطهيرها :

« لأن المسيح لم يدخل إلى أقداس مصنوعة بيد أشباه الحقيقية » :

وهى الأقداس الأرضية التى صنعها موسى على حسب المثال أشباهاً ، وكانت فى خيمة الاجتماع وفى هيكل سليمان . هذه لم يدخل إليها المسيح لأنه لم يكن كاهناً على الأرض إذ لم يكن من سبط لاوى ولا من بيت هرون (راجع شرح ٨ : ٤ و ٥ ، ٩ : ١ — ١٠) .

« بل إلى السماء عينها » :

حيث جلس عن يمين عرش العظمة فى السماوات خادماً للأقداس والمسكن الحقيقى الذى نصبه الرب لا إنسان . (راجع شرح ص ١ : ٣ ، ٨ : ١ و ٢ ، ٩ : ١١ و ١٢). راجع أيضاً شرح (ص ٤ : ١٤ ، ٧ : ٢٦) حيث ترى « السماء عينها » وتحقق دخول المسيح إليها ، لا بوصف كونه ملكاً ظافراً منتصراً ، بل بوصف كونه كاهناً :

« ليظهر أمام وجه الله لأجلنا » :

وهنا ضرورة تطهير « السماويات » وطريقته ، لأنه إن كانت « السماويات » هي « الأشياء التي في السماوات » وإن كانت السماوات هي « السماء » التي دخل إليها يسوع ، وإن كان يسوع في « السماء » يظهر أمام وجه الله لأجلنا ، تكون السماء على هذا القياس هي محضر الله الطاهر القدوس . فكيف إذاً يقال إن « السماويات » تطهر بذبائح أفضل ؟ إلا بمعنى أن غضب الله معلن من السماء على جميع فجور الناس وإثمهم (رو ١ : ١٨) ، وأن الفاجر أو الأثيم لا يستطيع أن يتقدم إلى عرش النعمة لكي ينال رحمة ويجد نعمة عوناً في حينه (عب ٤ : ١٦) إلا بدم الذبيحة التي يتنسم فيها الرب رائحة الرضى ويشتمها رائحة طيبة (قارن تك ٨ : ٢٠ و ٢١ أف ٥ :٢) فيزول من السماء الغضب ويتقدم الخاطىء أمرشوشاً قلبه من ضمير شرير ومغتسلا جسده بماء نقي (عب ١٠ : ٢٢) لأجل هذا دخل يسوع إلى السماء :

« ليظهر أمام وجه الله لأجلنا » : كما كان يظهر رئيس الكهنة في قدس الأقداس لأجل الشعب قديماً أمام الغطاء حيث كان الله يتراءى فوق الغطاء بين الكروبين (انظر لا ١٦ : ٢ — ١٤) . أما الظهور فهو ظهور يسوع في ذبيحة نفسه وفي دمه المسفوك الذي به دخل إلى الأقداس لأجلنا شفيعاً (راجع شرح ٧ : ٢٥ ، ٩ : ١٢) وبذلك يتم التحاجج مع الله الذي يطلبه الله نفسه في قوله : « هلم نتحاجج يقول الرب إن كانت خطاياكم كالقرمز تبيض كالثلج وإن كانت حمراء كالدودي تصير كالصوف » (إش ١ : ١٨) .

جـ : ذبيحة لا تكرر (ص ٩ : ٢٥ — ١٠ : ١٨)

بدأنا بحث ذبيحة المسيح من (ص ٩ : ١٢) باعتبار ثلاثة أوجه تتعلق بها :

الوجه الأول: أ : كونها ذبيحة نفسه (٩ : ١٢ — ١٤) ؛

« الثاني : ب : « « العهد الجديد (٩ : ١٥ — ٢٤) .

والآن سنأتي إلى بحث الوجه الثالث في تلك الذبيحة باعتبار كونها :

جـ : ذبيحة لا تكرر (ص ٩ : ٢٥ — ١٠ : ١٨) .

وفى بحث ذبيحة المسيح بالنسبة لعدم تكرارها يتجلى لنا أيضاً ثلاثة أمور :

(١) حادث تاريخى واقع (ص ٩ : ٢٥ — ٢٨) .

(٢) مشيئة إلهية تامة (ص ١٠ : ١ — ١٠) .

(٣) تكميل أبدى محقق (ص ١٠ : ١١ — ١٨) .

١ — حادث تاريخى واقع (ص ٩ : ٢٥ — ٢٨)

٢٥ وَلَا لِيُقَدِّمَ نَفْسَهُ مِرَاراً كَثِيرَةً كَمَا يَدْخُلُ رَئِيسُ
ٱلْكَهَنَةِ إِلَى ٱلْأَقْدَاسِ كُلَّ سَنَةٍ بِدَمِ آخَرَ ٢٦ فَإِذْ ذَاكَ كَانَ يَجِبُ
أَنْ يَتَأَلَّمَ مِرَارًا كَثِيرَةً مُنْذُ تَأْسِيسِ ٱلْعَالَمِ وَلٰكِنَّهُ ٱلْآنَ قَدْ أُظْهِرَ
مَرَّةً عِنْدَ ٱنْقِضَاءِ ٱلدُّهُورِ لِيُبْطِلَ ٱلْخَطِيَّةَ بِذَبِيحَةِ نَفْسِهِ . ٢٧ وَكَمَا
وُضِعَ لِلنَّاسِ أَنْ يَمُوتُوا مَرَّةً ثُمَّ بَعْدَ ذٰلِكَ ٱلدَّيْنُونَةُ ٢٨ هٰكَذَا
ٱلْمَسِيحُ أَيْضًا بَعْدَ مَا قُدِّمَ مَرَّةً لِكَيْ يَحْمِلَ خَطَايَا كَثِيرِينَ سَيَظْهَرُ
ثَانِيَةً بِلَا خَطِيَّةٍ لِلْخَلَاصِ لِلَّذِينَ يَنْتَظِرُونَهُ .

فى (عد ١٢) وضع الرسول أساس هذا الموضوع فى القول : « بدم نفسه دخل مرة واحدة إلى الأقداس » : وفى (عد ١٣ و ١٤) بنى أولا على هذا الأساس طبيعة ذبيحة المسيح الروحية الداخلية : وفى (عد ١٥ — ٢٤) بنى ثانياً على ذات الأساس قيام العهد الجديد : وهنا فى :

عد ٢٥ و ٢٦ : يتكلم عن موضوع ظهور المسيح الأول :

«لا ليقدم نفسه مراراً كثيرة » :

وقد تضاربت آراء العلماء فى أمر هذا التقديم فمنهم من رأى فيه مجرد ظهور المسيح أمام وجه الله لأجلنا وهؤلاء يريدون بهذا القول القضاء على فكرة ذبيحة المسيح الكفارية

متخذين حجة لهم فى ذلك ، تمثيل الرسول بدخول رئيس الكهنة إلى الأقداس ليظهر أمام وجه الله . وقد نسوا أن رئيس الكهنة لا يمكنه أن يدخل إلى الأقداس بدون دم . وهذا ما يثبته (لا ١٦) .

« كما يدخل رئيس الكهنة إلى الأقداس بدم آخر :

أى دم ثيران وتيوس . الأمر الذى يحقق لنا أن المسيح لا يمكن أن يظهر أمام وجه الله لأجلنا بدون دم نفسه . . وكما كانت الذبائح التى يدخل بدمها إلى الأقداس بيد رئيس الكهنة تذبح خارج الأقداس ، هكذا يكون تقديم المسيح نفسه لا يقصد به فقط ظهوره فى الأقداس السماوية أمام وجه الآب ، بل أيضاً ذبحه على الصليب . فالدخول إلى الأقداس يستلزم الذبيحة ، والذبيحة تفترض الدخول ، والأمران متلازمان . والتمثيل هنا ، إن لم يكن التعبير أيضاً ، يوضح هذه الحقيقة ويوجه نظرنا إلى تقديم المسيح نفسه عن الصليب . وهذا فعله المسيح ، لا :

« مراراً كثيرة » : كما يدخل رئيس الكهنة إلى الأقداس « كل سنة » بمقتضى الناموس .

« فإذ ذاك كان يجب أن يتألم مراراً كثيرة منذ تأسيس العالم » :

سبقت الإشارة إلى أن موت المسيح كان لفداء التعديات التى فى العهد الأول (انظر شرح عد ١٥) لأن الله قدمه كفارة بالإيمان بدمه لإظهار بره من أجل الصفح عن الخطايا السالفة (رو ٣ : ٢٥) . كما سبق القول أيضاً إنه قدم نفسه لله « بروح أزلى » (انظر شرح عد ١٤) . فافتدانا بدم كريم كما من حمل بلا عيب ولا دنس ، دم المسيح « معروفاً سابقاً قبل تأسيس العالم » . لأن العالم كله قد وضع فى الشرير منذ خطية آدم الذى به دخلت الخطية إلى العالم وبالخطية الموت وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع (قارن ١ يو ٥ : ١٩ ، رو ٥ : ١٢ ») . فلو كان على المسيح أن يقدم نفسه مراراً كثيرة ، لكان ، والحالة هذه ، يجب أن يتألم مراراً كثيرة منذ تأسيس العالم » .

« ولكنه الآن قد أظهر مرة عند انقضاء الدهور ليبطل الخطية بذبيحة نفسه »:

ويشار بـ « الآن » إلى الوقت الذى فيه قدم المسيح نفسه متألماً مرة واحدة . وفيه :

« قد أظهر مرة » : والتعبير يدلنا ، لا على ظهور المسيح أمام وجه الله لأجلنا ، بل على إظهاره فى الأرض ، إذ أرسله الله إليها فظهر فى الجسد وحل بين الناس رأته العيون .

« عند انقضاء الدهور » : وليس منذ تأسيس العالم » ولو أنه معروف سابقاً قبل تأسيس العالم . وإن كان الوقت المشار إليه هو وقت تجسد المسيح وظهوره على الأرض كما أشرنا ، فكيف يعبر عن هذا الوقت بانقضاء الدهور ، وقد مضى نحو عشرين قرناً ولا تزال الدهور ، ولما تنقض بعد ؟ هذا يرجع بنا إلى « الأيام الأخيرة التى ذكرها الرسول فى (ص ١ : ٢) ، وإلى « العالم العتيد » فى (ص ٢ : ٥) ، وإلى « الدهر الآتى » فى (ص ٦ : ٥) . انظر الشرح فى المواضع المذكورة وقابل « أواخر الدهور » فى (١ كو ١٠ : ١١) ، « والأزمنة الأخيرة » فى (١ بط ١ : ٢٠) و « الأيام الأخيرة » فى (أع ٢ : ١٧) ، حيث ترى أن « انقضاء الدهور » هنا هو زمان انقضاء نظـام الكنيسة اليهودية فى رتبة العهد القديم « ملء الزمان » الذى جاء فيه شيلون (تك ٤٩ : ١٠) وبرز فيه كوكب يعقوب وقضيب إسرائيل (عد ٢٤ : ١٧ ــ ١٩) وأرسل الله ابنه إلى العالم مولوداً من امرأة (غل ٤ : ٤) . وهذا يحققه لنا غرض الاظهار الواضح فى القول :

« ليبطل الخطية بذبيحة نفسه » : لأن « من يفعل الخطية فهو إبليس لأن إبليس من البدء يخطىء . لأجل هذا أظهر ابن الله لكى ينقض أعمال إبليس » (١ يو ٣ : ٨) . « عالمين أن انساننا العتيق قد صلب معه ليبطل جسد الخطية كى لا نعود نستعبد بعد للخطية » (رو ٦ : ٦) . فيكون معنى إبطال الخطية هو إبطال قوتها وهدم سلطانها ، فيتحرر الإنسان من عبوديتها . وفى ذات الوقت إبطال دينونتها ، فيصبح الإنسان فى المسيح ولا شىء من الدينونة الآن عليه (اقرأ رو ٧ : ١٤ ــ ٨ : ١) . هذا يفعله المسيح :

« بذبيحة نفسه » : التى قدمها لأبيه فى نار آلام محرقة ، وبقوة الدم المسفوك على الصليب .

إذاً يكون المسيح قد قدم نفسه ذبيحة على الصليب مرة واحدة وانقضى الأمر فلا يعود بعد إلى تقديمها . أفلا يعنى ذلك أن وظيفته الكهنوتية قد انقضى أمرها باعتبار أن ذبيحته ، ولابد ، متعلقة بكهنوته ؟ — هذه نتيجة فاسدة ولو كانت المقدمة صحيحة ، ومنطق مغلوط ذهبت إليه كنيسة رومية لتصل منه إلى تحقيق كون المسيح لا يزال يقدم نفسه مراراً كثيرة فى ذبيحة القداس على يد كهنة الكنيسة ، وإلى تثبيت أن تلك الذبيحة هى ذات ذبيحة المسيح الحقيقية التى قدمها على الصليب بالرغم من كونها ذبيحة غير دموية .

وأية حاجة لنا إلى هذا التفسير والرسول يعلم صريحاً أن المسيح بفضل ذبيحته على الصليب دخل إلى الأقداس السماوية رئيس كهنة ، له كهنوت لا يزول إذ هو حى فى كل حين يشفع فينا (قارن عب ٦ : ٢٠ ، ٧ : ٢٤ و ٢٥) حيث ترى أن المسيح كاهن إلى الأبد بفضل ذبيحته الواحدة فى شفاعته الدائمة . هذا عدا ما سنراه فى الفصل التـالى وما بعده من فضل قربان المسيح الواحد فى إتمام مشيئة الله ، وفى تكميل المقدسين إلى الأبد .

عد ٢٧ و ٢٨ : هما العددان الأخيران فى هذا الأصحاح وفيهما يصل بنا الرسول إلى غاية ذبيحة المسيح النهائية خاتماً لنا ببرهان مثلث على حقيقة كونها ذبيحة قدمت ، لا « مراراً كثيرة » بل « مرة واحدة » حيث نرى تمثيلا تعليمياً وتطبيقاً قياسياً :

« كما وضع للناس أن يموتوا مرة ثم بعد ذلك الدينونة » :

فإنه وإن كنا نحن الذين فى الخيمة نئن مثقلين إذ لسنا نريد أن نخلعها ، بل أن نلبس فوقها لكى يبتلع المائت من الحياة . ولكن الذى صنعنا لهذا عينه هو الله » (٢ كو ٥ : ٤ و ٥) ، فهو الذى يرجع الناس إلى التراب وهو يقول لهم : « ارجعوا يا بنى

آدم » (مز ٩٠ : ٣) « لأنك تراب وإلى تراب تعود » (تك ٣ : ١٩) . و « أى إنسان يحيا ولا يرى الموت ؟ أى ينجى نفسه من الهاوية » ؟ (مز ٨٩ : ٤٨) . فالموت وضع إلهى عام ولو استثنى منه أخنوخ وإيليا والذين يكونون أحياء عند مجىء المسيح . لأنه وإن كنا لا نرقد كلنا ولكننا كلنا نتغير : لأن هذا الفاسد ، لابد أن يلبس عدم فساد وهذا المائت يلبس عدم موت . . . حينئذ تصير الكلمة المكتوبة « ابتلع الموت إلى غلبة » (راجع تك ٥ : ٢٤ ، عب١١ : ٥ ، ٢ مل ٢ : ١١ ، ١ كو١٥ : ٥١ — ٥٧)

« ثم بعد ذلك الدينونة » : لأنه أقام يوماً هو فيه مزمع أن يدين المسكونة بالعـــدل برجل قد عينه مقدماً للجميع إيماناً إذ أقامه من الأموات » (أع ١٧ : ٣١) « لأن الآب لا يدين أحداً بل قد أعطى كل الدينونة للابن » « وأعطاه سلطاناً أن يدين أيضاً لأنه ابن الإنسان . لا تتعجبوا من هذا . فإنه تأتى ساعة حين يسمع الذين فى القبور صوته . فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة والذين فعلوا السيئات إلى قيامة الدينونة » (يو ٥ : ٢٢ و ٢٧ — ٢٩) .

الموت ، فالقيامة ، فالدينونة ، وكما أن الموت عام لجميع الناس هكذا الدينونة . فإنه ، ولو أنه ليس شىء من الدينونة الآن على الذين هم فى المسيح يسوع (رو ٨ : ١) إلا أنه فى يوم الغضب يوم استعلان دينونة الله العادلة ، الذى سيجازى كل واحد حسب أعماله ، لابد أننا جميعاً نظهر أمام كرسى المسيح لينال كل واحد ما كان بالجسد بحسب ما صنع خيراً كان أم شراً (٢ كو ٥ : ١٠) « وكما وضع للناس أن يموتوا مرة ثم بعد ذلك الدينونة » :

« هكذا المسيح أيضاً » :

هنا التطبيق القياسى بالنسبة للموت وبالنسبة للدينونة . لأن المسيح :

« بعد ما قدم مرة لكى يحمل خطايا كثيرين » :

والإشارة إلى موت المسيح الذى يمثل بموت الناس ، مع أنه يختلف عنه بالنسبة لنوعه ، وبالنسبة للغرض منه . أما بالنسبة لنوعه فالتعبير « قدم » فى معناه يرينا ، كما

رأينا ، أنه موت ذبيحة مقدمة لله . وفى صيغته كمبنى للمجهول بضم القاف وكسر الدال مشددة يرينا أن فعل التقديم واقع عليه لا منه . وإذا رجعنا إلى ما قيل عنه فى (عد ١٤) « قدم نفسه لله » ، لرأينا فعل التقديم واقعاً منه على نفسه فيكون هو المقدم والمقدم . ففى الحالة الأولى نراه الكاهن ، وفى الحالة الثانية نراه الذبيحة : أما بالنسبة للغرض منه ، فالتعبير :

« لكى يحمل خطايا كثيرين » : يدل على أن الموت كفارى نيابى يرجع بنا إلى قول إشعياء النبى : « وهو حمل خطية كثيرين » ، باعتبار أننا « كلنا كغنم ضللنا ، ملنا كل واحد إلى طريقه ، والرب وضع عليه إثم جميعنا » « فحمل هو نفسه خطايانا فى جسده على الخشبة » « لأنه إن كان بخطية واحدة مات الكثيرون فبالأولى كثيراً نعمة الله والعطية بالنعمة التى بالإنسان الواحد يسوع المسيح قد ازدادت للكثيرين . . . لأنه كما بمعصية الإنسان الواحد جعل الكثيرون خطاة هكذا أيضاً باطاعة الواحد سيجعل الكثيرون أبراراً » (قارن إش ٥٣ : ٦ و ١٢ ، رو ٥ : ١٥ و ١٩ ، ١ بط٢ : ٢٤) . على أن موت المسيح وإن اختلف عن موت الناس فى النوع وفى الغرض إلا أنه يصح أن يمثل به فى كونه :

« مرة » : وهذا هو بيت القصيد ، لا بالنسبة لدخول المسيح ككاهن إلى الأقداس السماوية ، فإنه من هذا القبيل هو الكاهن الذى كهنوته لا يزول والخروف القائم فى وسط العرش كأنه مذبوح (عب ٧ : ٢٤ ، رؤ ٥ : ٦) بل بالنسبة لتقديمه نفسه على الصليب فإنه فعل ذلك « مرة » لم يعد ولن يعود بعدها ليظهر على الأرض يموت لأجل البشر لأن « الموت الذى ماته قد ماته للخطية مرة واحدة » (رو٦ : ٩ و ١٠) . ولكنه « بعد ما قدم مرة » :

« سيظهر ثانية بلا خطية للخلاص للذين ينتظرونه » :

تدل الكتب المقدسة على ظهورين أو مجيئين للمسيح : الأول ظهوره أو مجيئه فى الجسد « الله ظهر فى الجسد » (١ تى ٣ : ١٦) « الكلمة صار جسداً » (يو ١ : ١٤) « إلى خاصته جاء » (يو ١ : ١١) وقد دلت عليه الأنبياء وأعلنه التاريخ « مولوداً من

امرأة » (غل ٤ : ٤) « هوذا العذراء تحبل وتلد ابناً » . وفى هذا المجىء أو الظهور الأول تمت المواعيد وتحققت النبوات وكملت الرموز والطقوس فى تقديم الكفارة على الصليب . وهذا هو الظهور أو المجىء المذكور فى (عد ٢٦ — انظر الشرح) .

أما الظهور الثانى فهو الذى نحن بصدده الآن ويذكر الرسول حقيقته بالقول :

« سيظهر ثانية » : وهذا القول يستند على تعليم المسيح الصريح (مت ٢٤ ، ٢٥) ورسالة الملاكين لتلاميذه عند صعوده ونصها : « أيها الرجال الجليليون ما بالكم واقفين تنظرون إلى السماء . إن يسوع الذى ارتفع عنكم إلى السماء سيأتى هكذا كما رأيتموه منطلقاً إلى السماء » (أع ١ : ١١) .

ذكر الرسول زمان الظهور الأول « عند انقضاء الدهور » ، أما هذا الظهور الثانى فلم يذكر شيئاً عن زمانه ، فإن ذلك اليوم وتلك الساعة لا يعلم بهما أحد ولا الملائكة الذين فى السماء ولا الابن إلا الآب (مر ١٣ : ٣٢) . أو لستم « تعلمون بالتحقيق أن يوم الرب كلص فى الليل هكذا يجىء » ؟ (١ تس ٥ : ٢ قابل مت ٢٥ : ١٣ ، لو ١٢ : ٣٥ — ٤٦) . فلماذا يقول المستهزئون : « أين هو موعد مجيئه ؟ هل أخفى عليهم بإرادتهم أن السماوات والأرض الكائنة الآن هى مخزونة بكلمة الله محفوظة للنار إلى يوم الدين وهلاك الناس الفجار ؟ وأن يوماً واحداً عند الرب كألف سنة ؟ وأنه سيأتى كلص فى الليل يوم الرب الذى فيه تزول السموات بضجيج وتنحل العناصر محترقة وتحترق الأرض والمصنوعات التى فيها ؟ (اقرأ ٢ بط ٣ : ٣ — ١٣) .

يميز الرسول هذا الظهور الثانى عن الظهور الأول بوصف كونه :

١ — « بلا خطية » : إنه أمر لا ينكر أنه فى ظهوره الأول كان « بلا خطية » ، « القدوس » المولود من العذراء بقوة الروح القدس بدون زرع بشرى ، الذى « لم يفعل خطية » و « لم يعرف خطية » ، ولم يكن أحد ليبكته على خطية (قارن لو ١ : ٣٥ ، ١ بط ٢ : ٢٢ ، ١ كو ٥ : ٢١ ، يو ٨ : ٤٦) . ولكنه مع كل ذلك « حمل خطايانا » « وأحصى مع أثمة » وجعل خطية ، وصار لعنة ، كما رأينا فكانت حياته ومأموريته متعلقة كلها بالخطية .

أما فى ظهوره الثانى فإنه يكون قد انتصر على الخطية انتصاراً تاماً . فالأشرار يفرزون من بين الأبرار ويطرحون فى أتون النار . حينئذ يضيء الأبرار كالشمس فى ملكوت أبيهم (مت ١٣ : ٤١ — ٤٣ و ٤٩ و ٥٠) . وتلبس الكنيسة بزها النقى البهى (رؤ ١٩ : ٧ و ٨) وتصبح كنيسة مجيدة لا دنس فيها ولا غضن أو شيء من مثل ذلك ، بل تكون مقدسة وبلا عيب (أف ٥ : ٢٧) ، وتجلس الملكة عن يمين الملك بذهب أوفير وكلها مجد (مز ٤٥ : ٩ و ١٣) .

٢ — « للخلاص » : قد رأينا بعد الموت الدينونة ، ورأينا الدينونة مقترنة بالظهور الثانى ، وحيث أن استعلان دينونة الله العادلة هو يوم الغضب فيكون الخلاص الذى يتم فى ذلك الظهور هو الخلاص من غضب الله المعلن على جميع الناس وإثمهم (رو١ : ١٨) ، الخلاص :

« للذين ينتظرونه » : « مختاريه الصارخين إليه نهاراً وليلا » (لو ١٨ : ٧) . فعند ما يأتى اليوم المتقد كالتنور وكل فاعلى الشر يكونون قشاً ويحرقهم اليوم الآتى فلا يبقى لهم أصلا ولا فرعاً ، تشرق شمس البر للمتقين اسمه والشفاء فى أجنحتها (ملا ٤ : ١ و ٢ انظر ٣ : ١٦ — ١٨) . كما حدث فى خلاص نوح يوم هلاك العالم بالطوفان (١ بط ٣ : ٢٠) وكما حدث فى خلاص لوط يوم إحراق سدوم بالنار والكبريت (٢ بط٢ : ٧) . هؤلاء هم الذين يحبون ظهوره فوضع لهم إكليل البر الذى يهبه فى ذلك اليوم الرب الديان العادل (٢ تى ٤ : ٨) ، هم اللذين يعيشون فى سيرة مقدسة وتقوى منتظرين وطالبين سرعة مجيء يوم الرب ، منتظرين بحسب وعده سماوات جديدة وأرضاً جديدة (٢ بط ٣ : ١١ — ١٣) ، وهم بقوة الله محروسون بإيمان الخلاص مستعد أن يعلن فى الزمان الأخير (١ بط ١ : ٥) .

٢ — مشيئة إلهية تامة (ص ١٠ : ١ — ١٠)

١ لِأَنَّ ٱلنَّامُوسَ إِذْ لَهُ ظِلُّ ٱلْخَيْرَاتِ ٱلْعَتِيدَةِ لَا نَفْسُ صُورَةِ
ٱلْأَشْيَاءِ لَا يَقْدِرُ أَبَدًا بِنَفْسِ ٱلذَّبَائِحِ كُلَّ سَنَةٍ ٱلَّتِي يُقَدِّمُونَهَا

عَلَى ٱلدَّوَامِ أَنْ يُكَمِّلَ ٱلَّذِينَ يَتَقَدَّمُونَ . ٢ وَإِلاَّ أَفَمَا زَالَتْ
تُقَدَّمُ . مِنْ أَجْلِ أَنَّ ٱلْخَادِمِينَ وَهُمْ مُطَهَّرُونَ مَرَّةً لاَ يَكُونُ لَهُمْ
أَيْضًا ضَمِيرُ خَطَايَا . ٣ لٰكِنْ فِيهَا كُلَّ سَنَةٍ ذِكْرُ خَطَايَا . ٤ لأَنَّهُ
لاَ يُمْكِنُ أَنَّ دَمَ ثِيرَانٍ وَتُيُوسٍ يَرْفَعُ خَطَايَا . ٥ لِذٰلِكَ عِنْدَ
دُخُولِهِ إِلَى ٱلْعَالَمِ يَقُولُ ذَبِيحَةً وَقُرْبَاناً لَمْ تُرِدْ وَلٰكِنْ هَيَّأْتَ لِي
جَسَداً . ٦ بِمُحْرَقَاتٍ وَذَبَائِحَ لِلْخَطِيَّةِ لَمْ تُسَرَّ . ٧ ثُمَّ قُلْتُ
هٰنَذَا أَجِيءُ فِي دَرْجِ ٱلْكِتَابِ مَكْتُوبٌ عَنِّي لأَفْعَلَ مَشِيئَتَكَ يَا أَللهُ
إِذْ يَقُولُ آنِفًا إِنَّكَ ذَبِيحَةً وَقُرْبَانًا وَمُحْرَقَاتٍ وَذَبَائِحَ لِلْخَطِيَّةِ لَمْ
تُرِدْ وَلاَ سُرِرْتَ بِهَا . ٱلَّتِي تُقَدَّمُ حَسَبَ ٱلنَّامُوسِ . ٩ ثُمَّ قَالَ
هٰنَذَا أَجِيءُ لأَفْعَلَ مَشِيئَتَكَ يَا اللهُ . يَنْزِعُ ٱلأَوَّلَ لِكَيْ يُثَبِّتَ ٱلثَّانِيَ
١٠ فَبِهٰذِهِ ٱلْمَشِيئَةِ نَحْنُ مُقَدَّسُونَ بِتَقْدِيمِ جَسَدِ يَسُوعَ يَسُوعَ
ٱلْمَسِيحِ مَرَّةً وَاحِدَةً .

قال السيد له المجد : « إنى قد نزلت من السماء ليس لأعمل مشيئتى بل مشيئة الذى أرسلنى . وهذه مشيئة الآب الذى أرسلنى أن كل ما أعطانى لا أتلف منه شيئاً بل أقيمه فى اليوم الأخير . لأن هذه هى مشيئة الذى أرسلنى أن كل من يرى الإبن ويؤمن به تكون له حياة أبدية وأنا أقيمه فى اليوم الأخير » (يو ٦ : ٣٨ — ٤٠) .

هذه المشيئة الإلهية هى التى نراها قد تمت فى هذا الفصل الذى أمامنا ، ليس فى ذبائح العهد القديم (عد ١ — ٤) ، بل فى تقديم يسوع المسيح مرة واحدة (عد٥ — ١٠) فيكون مفتاح هذا الفصل وختامه هو قوله : « فبهذه المشيئة نحن مقدسون » .

عد ١ — ٤ : فى هذه الأعداد يبين الرسول جلياً ضعف الناموس وذبائحه وعدم نفعها فى إتمام مشيئة الله لتطهير الخطايا ، وهذا هو ما سبق فبينه فى (ص٧ : ١٨و١٩) . ولكنه هنا يقيم الدليل عليه ، لمناسبة الموضوع ، من كونها ذبائح مكررة كل سنة :

عد ١ : يرينا سر ضعف الناموس وعدم مقدرته التى رأيناها فى (فى ص ٧ : ١١ و ١٩) أما سر هذا الضعف فيبينه الرسول هنا فى القول .

« لأن الناموس إذ له ظل الخيرات العتيدة لا نفس صورة الأشياء » :

هنا تعبيران مجازيان ، أحدهما إيجابى والآخر سلبى . وكلاهما يعبر عن علاقة الناموس بـ « الخيرات العتيدة » التى هى هى ذاتها « نفس صورة الأشياء » . فتكون المقابلة فى هذين التعبيرين المجازيين ، الإيجابى والسلبى مقابلة بين الـ « ظل » (اسكيا) وبين الـ « صورة » (ايكون) وهى الأيقونية . أما الظل فيراد به هنا رسم غير تام كالخيال أو ظل الصورة « لا نفس الصورة » التى هى الرسم التام بكل أجزائه . فلكى نعرف الـ « ظل » علينا أن نعرف « نفس صورة الأشياء » التى هذا الظل ظلها ، ولكى نعرف « نفس صورة الأشياء » علينا أن نعرف « الخيرات العتيدة » التى هى « نفس صورة الأشياء » ولكى نعرف « الخيرات العتيدة » علينا أن نتفهم أولا وقبل كل شىء معنى كلمة :

« العتيدة » : فهى إما أن تكون « العتيدة » مطلقاً أو نسبياً . أما هنا فالاطلاق ممنوع لأن النسبة واضحة بالنسبة إلى « الناموس » الذى « له ظل الخيرات العتيدة » . فهى عتيدة بالنسبة إلى العهد القديم الذى وضع « إلى وقت الاصلاح » (راجع شرح ٢ : ٥ عن « العالم العتيد » وشرح ٩ : ١٠ عن « وقت الإصلاح ») . بنا على هذا الاستعمال والنسبة تكون :

« الخيرات العتيدة » التى هى « نفس صورة الأشياء » هى خيرات العهد الجديد الذى هو « العالم العتيد » و « وقت الإصلاح » . هى المسيح ذاته بكل ما يحويه من شخصية مباركة ، ونعمة فائقة ، ورحمة واسعة ، ومزايا صادقة ، ، نقول معها جميعها بلغة

الرسول : « مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذى باركنا بكل بركة روحية فى السماويات فى المسيح » (اقرأ أف ١ : ٣ ــ ١٤) . وعليه يكون :

« ظل » الخيرات العتيدة » : هو جميع المناسك الموسوية التى لم تكن سوى إشارات ورموز « لأن الناموس إذ له ظل الخيرات العتيدة لا نفس صورة الأشياء : ــ

« لا يقدر أبداً . . أن يكمل الذين يتقدمون » :

هنا تعبير عن ضعف الناموس الكلى عن إتمام الغرض الإلهى بحسب المشيئة العليا والقصد الأزلى منذ الدهور . أما الغرض فواضح فى القول :

« أن يكمل الذين يتقدمون » : وهو ذات الغرض الذى عبر عنه الرسول بالقول : « إذ الناموس لم يكمل شيئاً » (راجع شرح ٧ : ١٨ و ١٩) . لأنه « لا يقدر أبداً » .

« بنفس الذبائح كل سنة التى يقدمونها على الدوام » :

هذا يدلنا على أنه مفروض أن الناموس ، إن كان سيتمم الغرض ، لا يقدر أبداً أن يتممه بدون ذبائح . لأنه بدون سفك دم لا تحصل مغفرة ولا يتم تطهير ما (راجع شرح ٩ : ٢٢ و ٢٣) ولكننا قد رأينا أنه حتى الذبائح والقرابين لا يمكن من جهة الضمير « أن تكمل الذى يخدم » وهو عينه الذى يتقدم (راجع شرح ٩ : ٩) . فالناموس إذاً لا يقدر أبداً بهذه الذبائح أن يكمل . على أن الرسول هنا يكشف لنا سر الأمر من دليله الواضح فى تكرير الذبائح معبراً عنه بثلاث كلمات :

١ ــ « بنفس الذبائح » فى نوعها ــ « ثيران وتيوس » ، بلا تغيير ولا تبديل .

٢ ــ « كل سنة » حيث كانت تكرر فى يوم الكفارة السنوية العظيم .

٣ ــ « على الدوام » من سنة إلى سنة وبدون انقطاع بمقتضى الناموس .

ففى هذه التعبيرات الثلاثة نرى البرهان على عدم إمكانية الذبائح من التكميل .

« وإلا أفما زالت تقدم » :

هذه العبارة بحسب هذه الترجمة فى صيغة استفهام استنكارى ، فيه جوابه إيجاباً ، منه نتحقق أنها ما زالت تقدم . ليس بالضرورة باعتبار أنها كانت لا تزال باقية فى زمن الرسول ، بل بالأحرى باعتبار الكلام السابق بشأن استمرار تقديمها ودوامه . على أن العبارة وردت أيضاً فى بعض الترجمات فى غير صيغة الاستفهام ، كما جاءت فى الترجمة الانجليزية مثلا ، وكما عبرت عنها العربية اليسوعية بالقول : « وإلا لترك تقريبها » . وإذا عدلنا صيغة ترجمتنا ، تكون « وإلا لزال تقديمها » وهذا يبين بأكثر وضوح قرينة الكلام الآتى وهو :

« من أجل أن الخادمين وهم مطهرون مرة لا يكون لهم أيضاً ضمير خطايا » :

على أن المعنى واحد سواء فى هذه الصيغة أو تلك ، وهو أنه لو كانت الذبائح يمكن أن تكمل المقدمين أو الخادمين لكان يكفى تقديم تلك الذبائح مرة واحدة لتطهيرهم فلا يكون لهم بعد ذلك ضمير خطايا ، بل يشعرون بثقة نحو الله ويتقدمون إليه بتلك الثقة وبحرية الاقتراب إلى العرش . غير أن الذبائح لم تفعل ذلك (راجع شرح ٩ : ٩ و ١٠) .

« لكن فيها كل سنة ذكر خطايا » :

أى أنه فى كل مرة تقدم فيها تلك الذبائح السنوية يكون ذكر خطايا . . وهذا كان هو القصد الإلهى من تقديم مثل هذه الذبائح التى وإن لم تنفع فى إزالة ضمير الخطايا ، فإنها كانت نافعة للتذكير بتلك الخطايا . وهذا ما كان يفعله هرون فى يوم الكفارة سنوياً وهو يضع « يديه على رأس التيس الحى ويقر عليه بكل ذنوب إسرائيل وكل سيئآتهم مع كل خطاياهم ويجعلها على رأس التيس ويرسله بيد من يلاقيه إلى البرية ليحمل التيس عليه كل ذنوبهم إلى أرض مقفرة » (لا ١٦ : ٢١ و ٢٢) . فى الذكر اعتراف كاعتراف رئيس السقاة قائلا : « أنا أتذكر اليوم خطاياى » وكاعتراف أخوة يوسف عندما قالوا بعضهم لبعض : « حقاً إننا مذنبون إلى أخينا » (تك ٤١ :

٩ ، ٤٢ : ٢١) . وما أرهب ذكر الخطايا أمام الناموس (انظر عد ٥ : ١٥ و١٨ ، ١ مل ١٧ : ١٨) . وبازاء رهبة الناموس المخيفة يهرب الخاطىء إلى صليب المسيح المجيد . فنى الذبائح قديماً ذكر خطايا ، يولد الخوف من العقاب ، فيؤدى إلى الهروب للصليب .

« لأنه لا يمكن أن دم ثيران وتيوس يرفع خطايا » :

إذاً لا يمكن للناموس أن يرفع خطايا . وهذه هى حقيقة لا ريب فيها بالرغم من قول الله الصريح : « لأن نفس الجسد هى فى الدم فأنا أعطيتكم إياه على المذبح للتكفير عن نفوسكم . لأن الدم يكفر عن النفس » (لا ١٧ : ١١) . فإن كل ما قيل عن الدم إنما قيل فى نور ذبيحة المسيح ودمه المسفوك لأجل خطايانا .

عد ٥ ــ ١٠ : رأينا فى (عد ١ ــ ٤) كيف أن مشيئة الآب فى تكميل المؤمنين لم تتم فى ذبائح العهد القديم المتعددة المتكررة . أما فى هذه الأعداد فسنراها وقد تمت بتقديم جسد يسوع المسيح مرة واحدة . حيث نرى الرسول كعادته يبنى أقواله ويؤيدها بشهادة العهد القديم نفسه مدللا لليهود على صدق نظريته وتعليمه بأقوال وحيهم المقدس ، التى فيها تتجلى لنا محبة الآب ونعمته وحكمته ، ومحبة الابن وطاعته وآلامه ، والمعاهدة بين الآب والابن فى عمل الفداء ، والتوافق التام بين العهدين القديم والجديد فى إعلان هذه الحقيقة السامية :

فى هذه الآيات نجد اقتباساً (عد ٥ ــ ٧) ، وتعليقاً عليه (عد ٨ ــ ١٠) .

عد ٥ ــ ٧ : فيها الاقتباس ممهداً له بسببه وبظرفه . أما سببه ففى قوله :

« لــذلك » :

أى حيث « أن الناموس . . لا يقدر أبداً . . . بنفس الذبائح . . . أن يكمل » وحيث أنه لا يمكن أن دم ثيران وتيوس يرفع خطايا « لذلك » :

« يقــول » :

ومن هو الذى « يقول » غير الروح القدس باعتبار أن القول قول الكتاب الموحى به ، (راجع شرح عد ١٥ وانظر ٢ تى ٣ : ١٦ ، ٢ بط ١ : ٢١) .
أما ظرفه فواضح فى قوله :

« عند دخوله إلى العالم » :

سبق الكلام بالتفصيل عن دخول المسيح إلى العالم فى شرح (ص ١ : ٦) فارجع إليه فى موضعه . أما هنا فيكفى أن نسأل : ماذا يقول الروح القدس عن المسيح ، وبلسان حاله ، عند دخوله إلى العالم ؟ « يقول » فى :

عد ٥ : ويكرر القول فى (عد ٦) ما نصه :

« ذبيحة وقرباناً لم ترد . . . بمحرقات وذبائح للخطية لم تسر » :

وهو نص مقتبس من (مز ٤٠ : ٦) ونصه هناك : « ذبيحة وتقدمة لم تسر . . . محرقة وذبيحة خطية لم تطلب » والفرق بين النصين أكثره لفظى ناشىء عن كون الاقتباس مأخوذاً من الترجمة السبعينية . أما النص الأصلى فعن العبرية . وإذا جمعنا النصين معاً نجد أمامنا فيهما « ذبيحة ، وقرباناً ، وتقدمة ، وذبيحة خطية » . وكلها مجموعة فى ثلاثة أنواع : الأول ما يقدم فى الدار ، فوق مذبح النحاس ، بالدم والنار ، والثانى ما يقدم فى القدس ، على مذبح البخور ومائدة خبز الوجوه ، والثالث ما يقدم فى قدس الأقداس أمام التابوت وفوق الغطاء : فى الأول يتمثل موت المسيح الدموى وذبيحته على الصليب ، وفى الثانى تتمثل شفاعته فى السماء ، وفى الثالث يتمثل فعــل الاثنين الأولين فى الكفارة والمصالحة . وهذه الأنواع الثلاثة تسمى ، على وجه الاطلاق قرابين وتكون إما وقائد ، أو رفائع ، أو ترادبد . أما الوقائد فهى ستة ذكرت فى (لا ٧ : ٣٧) وهى المحرقة ، والتقدمة ، وذبيحة الخطية ، وذبيحة الإثم ، وذبيحة الملء ، وذبيحة السلامة (اقرأ لا ص ١ ــ ٧) . وكلها تدخل تحت لفظ ذبائح وقرابين أو ذبائح وتقدمات (راجع شرح ٥ : ١ ، ٨ : ٣ و ٤ . وقابل تك ٤ : ٣ ــ ٥ مع عب

عب ١١ : ٤) . أما الرفائع والترادید ، فلم تكن لتحرق على المذبح ، بل كانت لتكرس للرب إما برفعها على اليد أمام الله أو بترديدها قدامه ، كما يتضح من القول : « ساق الرفيعة وصدر الترديد يأتون بهما مع وقائد الشحم ليرددا ترديداً أمام الرب » (لا ١٠ : ١٥) . وكلها بأنواعها وأشكالها بمقتضى النصين يقال فيها :

« لم ترد » . . « لم تسر » . . « لم تطلب » : ويقول المرنم فى موضع آخر « لأنك لم تسر بذبيحة وإلا فكنت أقدمها بمحرقة لا ترضى » (مز ٥١ : ١٦) . « وهل يسر الرب بألوف الكباش ، بربوات أنهار زيت » ؟ (اقرأ مى ٦ : ٦ — ٨) : لذلك يقول ذبيحة وقرباناً لم ترد :

« ولكن هيأت لى جسداً » :

والنص المقتبس يقول « أذنى فتحت » . وبمقابلة النصين نجد الفرق عظيما جـداً بينهما وهو فرق الترجمة السبعينية التى منها اقتبس الرسول عن النص العبرى « ازنايم كاريت لى » « أذنين ثقبت لى » أو « أذنى فتحت » فكيف ترجمت السبعينية هذا النص بالقول : « هيأت لى جسداً » ؟ هذا أمر لا يسهل البت فيه . وليس لنا أن نبحثه بتدقيق . ويكفى أن نرى أنه ، وإن اختلفت الترجمة عن الأصل لفظاً اختلافاً بينا ، فهى لا تخالفه قصداً ومعنى . فكلاهما ينصان على طاعة المسيح التامة لأبيه .

فالنص الأصلى سواء ترجم « أذنى فتحت » أو (أذنين ثقبت لى » فهو فى كلتـا الحالتين يؤدى ذات معنى الطاعة . كما قيل « يوقظ لى أذناً لأسمع كالمتعلمين . السيد الرب فتح لى أذناً وأنا لم أعاند . إلى الوراء لم أرتد . بذلت ظهرى للضاربين وخدى للناتفين . وجهى لم أستر عن العار والبصق » (إش ٥٠ : ٤ — ٦) . فكم إذا رجعنا به إلى عادة يهودية قضت بها الشريعة الموسوية ، نصها : « إن قال العبد أحب سيدى وامرأتى وأولادى . لا أخرج حراً ، يقدمه سيده إلى الله ويقربه إلى الباب أو إلى القائمة ويثقب سيده أذنه بالمثقب فيخدمه إلى الأبد » (خر ٢١ : ٥ و ٦ انظر تث ١٥ : ١٦ و ١٧) . ففى هذه العادة يتجلى لنا عبد حر جعل نفسه عبداً وهو حر ، واستعبد ذاته بحرية إرادته . وهذا ظل ضئيل لتلك الصورة الواضحة البارزة فى تجسد ذاك « الذى

إذ كان فى صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلا لله لكنه أخلى نفسه آخذاً صورة عبد صائراً فى شبه الناس وإذ وجد فى الهيئة كانسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب » (فى ٢ : ٦ — ٨) .

فالتجسد إذاً صورة بارزة للطاعة . والطاعة هى الذبيحة الحقيقية التى يطلبها الله ويريدها ويرضاها : و « هل مسرة الرب بالمحرقات والذبائح كما باستماع صوت الرب ؟ هوذا الاستماع أفضل من الذبيحة والإصغاء أفضل من شحم الكباش » (١ صم ١٥ : ٢٢) ، « ذبائح الله هى روح منكسرة . القلب المنكسر والمنسحق يا الله لا تحتقره » (مز ٥١ : ١٧) لذلك « يقول » : « هيأت لى جسداً » وهو لسان حال ابن الله المبارك الأقنوم الثانى يخاطب أباه الأقنوم الأول بهذه الكلمات التى تكشف لنا عن سر زوال جميع المحرقات والتقدمات ، باعتبار كونها غير نافعة كلياً للتكفير ، وتعلنه ، له المجد ، طريقة الله الوحيدة العظمى فى معاملة الإنسان ، باتحاد اللاهوت بالناسوت فى شخصه العجيب ، اتحاداً سرياً غريباً لا يدركه عقل ولا يعبر عنه لسان . لذلك يدعى « عمانوئيل » الذى تفسيره الله معنا (إش ٧ : ١٤ ، مت ١ : ٢٣) .

تهيأ هذا الجسد فى قصد الله الأزلى قبل تأسيس العالم (أم ٨ : ٢٤ — ٣١) . فكان معداً قبل السقوط (١ بط ١ : ١٨ — ٢٠) وأعلن حالا بعد السقوط فى وعد (تك ٣ : ١٥) . وفى ملء الزمان تهيأ بالروح فى بطن مريم العذراء وظهر فى مذود بيت لحم (لو ١ : ٢٦ — ٣٨ ، ٢ : ١ — ٧) .

هل وقفت يوماً أمام المذود متأملا فى هذا الجسد المقمط المضجع فيه ؟ هل خطر فى بالك أنك واقف أمام جسد تهيأ ليكون ذبيحة ومحرقة يسر بها الله ؟ وهل انتقلت بفكرك من المذود إلى الصليب ورأيت هذا الجسد معلقاً عليه ؟ هناك تجد الجواب الحقيقى لسؤال اسحق لأبيه : « يا أبى . . هوذا النار والحطب ولكن أين الخروف للمحرقة » ؟ بل هناك تجد جواب ابراهيم لابنه : « الله يرى له الخروف للمحرقة يا ابنى » . ليس فى الكبش الذى رآه ابراهيم ممسكاً فى الغابة بقرنيه فأصعده محرقة عوضاً عن ابنه اسحق . لأن الله بمحرقات وذبائح لا يسر . بل فى ذلك الجسد الذى هيأه الآب الأزلى لابن أحضانه

الأزلية . الذى أعلن مسرته به قائلا : « هوذا عبدى الذى أعضده ، مختارى الذى سرت به نفسى . وضعت روحى عليه فيخرج الحق للأمم » (قارن إش ٤٢ : ١ — ٤ ، مت ٢ : ١٧) .

عد ٧ : فيه اقترن القول « هيأت لى جسداً » بقول آخر هو : -

« هأنذا أجىء فى درج الكتاب مكتوب عنى لأفعل مشيئتك يا الله » :

وهذا القول أيضاً مأخوذ عن الترجمة السبعينية لقول المرنم : « حينئذ قلت هأنذا جئت . بدرج الكتاب مكتوب عنى . أن أفعل مشيئتك يا إلهى سررت » فإن كنا نرى فى القول « هيأت لى جسداً » إعلاناً لقصد الآب ومشيئته ، فإننا نرى فى هذا القول إعلاناً لموقف الابن إزاء مشيئة الآب ، موقف الطاعة لتلك المشيئة والمسرة التامة بتنفيذها . فكأنا نرى الابن فى مجلس الشورى السماوى ، وهو عالم بما فى نفس أبيه وكأنا نسمعه يقول له : « أيها الآب لقد « هيأت لى جسداً » لإتمام مشيئتك فى فداء البشر الخطاة ، وها أنا ، برغم ما سيكون لى من التألم فى هذا الجسد المهيأ ، مستعد أن أفعل مسرتك فى اتخاذ هذا الجسد » . وهكذا تم الأمر فى التجسد وصار شعار حياته : « طعامى أن أعمل مشيئة الله الذى أرسلنى وأتمم عمله » (يو ٤ : ٣٤) . ولم يسترح حتى قال : « أنا مجدتك على الأرض . العمل الذى أعطيتنى لأعمل قد أكملته » . وحتى قال على الصليب : « قد أكمل » (يو ١٧ : ٤ ، ١٩ : ٣٠) .

بهذا أتم المسيح المكتوب عنه فى درج الكتاب المقدس المتضمن فى كل المواعيد وعلى رأسها الوعد الأول فى (تك ٣ : ١٥) بنسل المرأة الذى يسحق رأس الحية ، وفى كل النبوات ، وفى قلبها : « وعبدى البار بمعرفته يبرر كثيرين وآثامهم يحملها » (إش ٥٣ : ١١) ، وفى كل الرموز ، وفى قمتها الحية النحاسية المرفوعة على راية فى البرية (عد ٢١ : ٩ ، يو ٣ : ١٤ و ١٥) وفى كل الطقوس متضمنة فى دماء الذبائح وثياب الكهنوت . وغير ذلك .

عد ٨ — ١٠ : رأينا الاقتباس فى (عد ٥ — ٧) وهنا نرى التعليق عليه ففى :

عد ٨ و ٩ : يعيد الرسول القولين السابقين بنصهما ويعلق عليهما بالقول : ..

« ينزع الأول لكى يثبت الثانى » :

الأمر الذى يدلنا على : ١ — أن دخول ذبيحة المسيح إلى الكنيسة وتثبيتها فيها كان قضاءاً على كل الذبائح الطقسية . وهذا واضح من نفس ترتيب القولين إذ أن أولها يثبت عدم المسرة بالذبائح الطقسية . وثانيهما يبين تدخل المسيح لإتمام تلك المسرة . وهذا ما أشار إليه الرسول فى (عد ٨) بالقول : « إذ يقول آنفاً » . وفى (عد ٩) بالقول : « ثم قال » .

٢ — حيث أن الذبائح التى لم يرض بها الله كانت تقدم حسب الناموس وهذه نزعت ، فبنزعها ينزع الناموس أيضاً ، فلتقم تلك الذبائح ما تقيم من البراهين على كونها مثبتة بالناموس ، فإن الأمر المحقق هو أن الله لم يسر بها كفارة عن الخطية ووسيلة لخلاص كنيسته .

٣ — أنه كان لابد من نزع تلك الذبائح لتثبيت مجىء المسيح إتماماً لمسرة الآب .

عد ١٠ : فيه نتيجة شاملة ، خرج بها الرسول من بحثه ، هى جوهر الإنجيل :

« فبهذه المشيئة نحن مقدسون بتقديم جسد يسوع المسيح مرة واحدة » :

« هذه المشيئة » هى مشيئة الله التى سبق الكلام عنها فى (عد ٧) وقد ظهرت فى عدم رضاه تعالى بالذبائح الطقسية وفاء للخطية . وهى التى جاء المسيح ليفعلها ، كما رأينا ، وبها :

« نحن مقدسون » : « كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم لنكون قديسين وبلا لوم قدامه فى المحبة . إذ سبق فعيننا للتبنى بيسوع المسيح لنفسه حسب مسرة مشيئته . . . إذ عرفنا بسر مشيئته التى قصدها فى نفسه لتدبير ملء الأزمنة ليجمع كل شىء فى المسيح ما فى السموات وما على الأرض فى ذاك الذى فيه نلنا نصيباً معينين سابقاً حسب قصد الذى يعمل كل شىء حسب رأى مشيئته » (اقرأ أف ١ : ٣ — ١٤ وراجع شرح ٢ : ١١) .

« بتقديم جسد يسوع المسيح » : لأنه بمقتضى مشيئة الله وقصده « صار جسداً » ولاتمام تلك المشيئة قدم جسده على الصليب ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الآب :

قرباناً ورائحة طيبة ، وفى هذا الجسد حمل هو نفسه خطايانا على الخشبة . وبهذا الجسد قام أيضاً ، وبه هو أيضاً عن يمين الله يشفع فينا ، وبه سيأتى أيضاً ثانية للخلاص للذين ينتظرونه (راجع شرح ٩ : ٢٦ — ٢٨) .

٣ — تكميل أبدى محقق (ص ١٠ : ١١ — ١٨)

١١ وَكُلُّ كَاهِنٍ يَقُومُ كُلَّ يَوْمٍ يَخْدُمُ وَيُقَدِّمُ مِرَاراً كَثِيرَةً
تِلْكَ ٱلذَّبَائِحَ عَيْنَهَا ٱلَّتِى لاَ تَسْتَطِيعُ ٱلْبَتَّةَ أَنْ تَنْزِعَ ٱلْخَطِيَّةَ .
١٢ وَأَمَّا هٰذَا فَبَعْدَ مَا قَدَّمَ عَنِ ٱلْخَطَايَا ذَبِيحَةً وَاحِدَةً جَلَسَ إِلَى
ٱلْأَبَدِ عَنْ يَمِينِ ٱللهِ ١٣ مُنْتَظِراً بَعْدَ ذٰلِكَ حَتَّى تُوضَعَ أَعْدَاؤُهُ
مَوْطِئًا لِقَدَمَيْهِ . ١٤ لأَنَّهُ بِقُرْبَانٍ وَاحِدٍ قَدْ أَكْمَلَ إِلَى ٱلْأَبَدِ
ٱلْمُقَدَّسِينَ . ١٥ وَيَشْهَدُ لَنَا الرُّوحُ ٱلْقُدُسُ أَيْضًا . لأَنَّهُ بَعْدَ مَا قَالَ
سَابِقًا ١٦ هٰذَا هُوَ ٱلْعَهْدُ ٱلَّذِى أَعْهَدُهُ مَعَهُمْ بَعْدَ تِلْكَ ٱلْأَيَّامِ
يَقُولُ ٱلرَّبُّ أَجْعَلُ نَوَامِيسِى فِى قُلُوبِهِمْ وَأَكْتُبُهَا فِى أَذْهَانِهِمْ .
١٧ وَلَنْ أَذْكُرَ خَطَايَاهُمْ وَتَعَدِّيَاتِهِمْ فِى مَا بَعْدُ . ١٨ وَإِنَّمَا
حَيْثُ تَكُونُ مَغْفِرَةٌ لِهٰذِهِ لاَ يَكُونُ بَعْدُ قُرْبَانٌ عَنِ ٱلْخَطِيَّةِ .

فى هذا الفصل نجد ختام البحث فى موضوع رتبة المسيح الكهنوتية متضمناً ذبيحته الكفارية . وفيه نجد أيضاً برهاناً ختامياً بشأن تلك الذبيحة باعتبار كونها ذبيحة لا تكرر.

رأيناها من هذا القبيل حادثاً تاريخياً واقعاً (ص ٩ : ٢٥—٢٨) ، كما رأينا فيها أيضاً مشيئة إلهية تامة (ص ١٠ : ١ — ١٠) . وهنا نرى فيها تكميلا أبدياً محققاً ، مفتاحه فى القول : « لأنه بقربان واحد قد أكمل إلى الأبد المقدسين » . فى الحادث التاريخى رأينا شهادةمن كتاب الطبيعة . وفى المشيئة الإلهية رأينا شهادةمن كتاب المزامير ، وهنا

سنرى شهادة من كتاب العهد . وكلها تشهد بأن ذبيحة المسيح لا تكرر . ولكن حيث قد رأينا أيضاً أن المسيح ليس هو ذبيحة فحسب ولكنه كاهن أيضاً ، فكما رأينا المسيح ذبيحة لا تكرر سنراه هنا كاهناً دخل مرة واحدة إلى الأقداس وجلس إلى الأبد عن يمين الله .

لنا فى هذا الفصل أمران :

أولهما فعل قربان المسيح الواحد فى التكميل (عد ١١ — ١٤) .

ثانيهما شهادة الروح القدس لذلك الفعل (عد ١٥ — ١٨) .

عد ١١ — ١٤ : فيها يقابل الرسول بين كهنة العهد القديم وهم يقدمون الذبائح (عد ١١) . وبين المسيح وهو يقدم ذبيحة واحدة (عد ١٢ — ١٤) : ففى :

عد ١١ : يجمل الرسول كل ما قيل سابقاً عن الكهنة والذبائح :

فعن الكهنة يقول : ١ — كل كاهن يقوم ، ٢ — كل يوم يخدم ، ٣ — يقدم مراراً كثيرة :

وعن الذبائح يقول : ١ — إنها هى عينها ٢ — إنها لا تستطيع أن تنزع الخطية .

« كل كاهن يقوم كل يوم يخدم ويقدم مرارة كثيرة » :

« يقوم » و « يخدم » و « يقدم » . وهل « يقوم » ؟ أو « يقام » (انظر شرح ٥ : ٢ ، ٨ : ٣) حيث ترى أن رئيس الكهنة مقام من الله لكى يخدم ويقدم ذبائح ولكنه إذ « يقام » من الله ، « يقوم » هو بما أقامه الله عليه ومن أجله . على أن فى الكلمة أيضاً إشارة إلى هيئة تأدية خدمتهم قياماً أى وقوفاً فى هيكل الرب وهم يخدمون ويقدمون (راجع ما قيل عن جلوس المسيح خادماً فى ص ٨ : ١و ٢) .

ولكن هل الكلام هنا خاص برئيس الكهنة أو شامل لجميع الكهنة ؟ لقد رأينا فى (ص ٥ : ٦) أنه يمكن اطلاق لفظ «كاهن » على رئيس الكهنة . كما رأينا أيضاً فى شرح (ص ٧ : ٢٧) أن رئيس الكهنة كان شريكاً للكهنة فى الخدمة اليومية ولو أنه

كان مختصاً ، لا شريك له ، فى الخدمة السنوية . على أن القول « كل كاهن » وإن كان يشمل رئيس الكهنة ولكنه أيضاً يشمل الكهنة الآخرين الذين يخدمون يومياً ويقدمون مراراً كثيرة :

« تلك الذبائح عينها التى لا تستطيع أن تنزع الخطية » :

« لأنه لا يمكن أن دم ثيران وتيوس يرفع خطايا » (راجع شرح عد ١ — ٤ وبخاصة عد ٤ و ص ٩ : ٩)

عد ١٢ — ١٤ : فيها تتجلى المقابلة بين المسيح وبين أولئك الكهنة بالقول :

« وأما هــذا » :

هذا الكاهن الذى هو موضوع كل حديث الكهنوت فى هذه الرسالة .

« فبعد ما قدم عن الخطايا ذبيحة واحدة » :

انظر شرح (ص ٩ : ١٢ و ٢٥ و ٢٦ و ٢٨) .

« جلس إلى الأبد عن يمين الله » :

(انظر شرح ص١ : ٣ ، ٨ : ١) . هنا يضاف القول :

« إلى الأبد » لمناسبة موضوع عدم تكرار الذبيحة ، وإثباتاً بأن المسيح « بعد ما قدم ذاته ذبيحة واحدة » على الصليب وصعد إلى السماء وجلس عن يمين العظمة لا يعود إلى تقديم تلك الذبيحة ولا يظهر ثانية إلا للدينونة كما رأينا فى شرح (٩ : ٢٧ و ٢٨) ولكنه سيبقى هنالك :

« منتظراً بعد ذلك حتى توضع أعداؤه موطئاً لقدميه » :

بناء على العهد الملكى الذى قطع معه فى (مز ٢ : ٦ — ٩) والوعد النبوى فى (مز ١١٠ : ١) . وقد بدأ إتمامه فى جلوسه عن يمين الله حيث يجب أن يملك حتى يضع جميع الأعداء تحت قدميه . وبعد ذلك النهاية متى سلم الملك لله الآب متى أبطل

كل رياسة وكل سلطان وكل قوة (راجع شرح ١ : ٥ و ١٣ وقارن ١ كو ١٥ : ٢٣ – ٢٥) .

« لأنه بقربان واحد قد أكمل إلى الأبد المقدسين » :

« وإذ كمل (بالآلام) صار لجميع الذين يطيعونه سبب خلاص أبدى » راجع شرح ص ٥ : ٩ مع ٢ : ١٠ ، ٩ : ١٢ ، ١٠ : ١٠) .

عد ١٥ – ١٨ : فى هذه الآيات نرى شهادة الروح القدس عن تكميل المقدسين الأبدى بهذا القربان الواحد . فى (عدد ١٥) نجد الروح القدس يشهد : وفى (عدد ١٦ و ١٧) نسمع نص الشهادة : وفى (عدد ١٨) نرى تعليق الرسول على هذهالشهادة .

« ويشهد لنا الروح القدس أيضاً » :

« لأنه لم تأت نبوة قط بمشيئة إنسان بل تكلم أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس » (٢ بط ١ : ٢١) ، « كما هو مكتوب ما لم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على بال إنسان ما أعده الله للذين يحبونه ، فأعلنه الله لنا نحن بروحه . لأن الروح يفحص كل شيء حتى أعماق الله » وليس هذا فقط ، بل « نحن لم نأخذ روح العالم بل الروح الذى من الله لنعرف الأشياء الموهوبة لنا من الله » . وفوق ذلك فإننا نتكلم بهذه الأشياء أيضاً « لا بأقوال تعلمها حكمة إنسانية بل بما يعلمه الروح القدس قارنين الروحيات » بالروحيات (اقرأ ١ كو ٢ : ٩ – ١٣) .

فى كل ذلك إثبات لأقنوم الروح القدس الإلهى الذى يشهد هنا « أيضاً » قائلا :

« هذا هو العهد الذى أعهده معهم بعد تلك الأيام يقول الرب أجعل نواميسى فى قلوبهم وأكتبها فى أذهانهم ولن أذكر خطاياهم وتعدياتهم فيما بعد » :

فى هذه الأقوال نجد جزءاً من نص العهد الذى قطعه الرب مع بنى إسرائيل وقد ورد فى (إر ٣١ : ٣١ – ٣٤) واقتبسه الرسول فى (ص ٨ : ٨ – ١٣) فارجع إلى الشرح هناك .

أما ترتيب الشهادة فمعبر عنه بما جاء فى آخر (عد ١٥) قوله :

« لأنه بعد ما قال سابقاً » :

أى إن الروح القدس بعد ما قال فى (عدد ١٦) « هذا هو العهد » الخ ، قال فى (عد ١٧) : « ولن أذكر خطاياهم » الخ .

عد ١٨ : فيه يعلق الرسول على كل ما قيل بهذه النتيجة الختامية قائلا :

« وإنما حيث تكون مغفرة لهذه لا يكون بعد قربان عن الخطية » :

ففى العهد رأى الرسول المغفرة ، رأى الخطية وقد رفعت فى حمل الله (يو ١ : ٤٥) بل ديست ، وطرحت فى أعماق البحر ، إذ حملت فى جسده على الخشبة (انظر مى ٧ : ١٨ — ٢٠ ، ١ بط٢ : ٢٤) . فقال « بقربان واحد قد أكمل إلى المقدسين » . « دخل مرة واحدة إلى الأقداس فوجد فداء أبدياً » .

حض وإنذار (ص ١٠ : ١٩ — ٣١)

١٩ فَإِذْ لَنَا أَيُّهَا ٱلْإِخْوَةُ ثِقَةٌ بِٱلدُّخُولِ إِلَى ٱلْأَقْدَاسِ بِدَمِ
يَسُوعَ ٢٠ طَرِيقًا كَرَّسَهُ لَنَا حَدِيثًا حَيًّا بِٱلْحِجَابِ أَيْ جَسَدِهِ
٢١ وَكَاهِنٌ عَظِيمٌ عَلَى بَيْتِ ٱللهِ ٢٢ لِنَتَقَدَّمْ بِقَلْبٍ صَادِقٍ فِي يَقِينِ
ٱلْإِيمَانِ مَرْشُوشَةً قُلُوبُنَا مِنْ ضَمِيرٍ شِرِّيرٍ وَمُغْتَسِلَةً أَجْسَادُنَا بِمَاءٍ
نَقِيٍّ ٢٣ لِنَتَمَسَّكْ بِإِقْرَارِ ٱلرَّجَاءِ رَاسِخًا لِأَنَّ ٱلَّذِي وَعَدَ هُوَ أَمِينٌ .
٢٤ وَلْنُلَاحِظْ بَعْضُنَا بَعْضًا لِلتَّحْرِيضِ عَلَى ٱلْمَحَبَّةِ وَٱلْأَعْمَالِ
ٱلْحَسَنَةِ ٢٥ غَيْرَ تَارِكِينَ ٱجْتِمَاعَنَا كَمَا لِقَوْمٍ عَادَةٌ بَلْ وَاعِظِينَ
بَعْضُنَا بَعْضًا وَبِٱلْأَكْثَرِ عَلَى قَدْرِ مَا تَرَوْنَ ٱلْيَوْمَ يَقْرُبُ ٢٦ فَإِنَّهُ

إِنْ أَخْطَأْنَا بِاخْتِيَارِنَا بَعْدَ مَا أَخَذْنَا مَعْرِفَةَ ٱلْحَقِّ لاَتَبْقَى بَعْدُ
ذَبِيحَةٌ عَنِ ٱلْخَطَايَا ٢٧ بَلْ قُبُولُ دَيْنُونَةٍ مُخِيفٌ وَغَيْرَةُ نَارٍ عَتِيدَةٌ
أَنْ تَأْكُلَ ٱلْمُضَادِّينَ . ٢٨ مَنْ خَالَفَ نَامُوسَ مُوسَى فَعَلَى شَاهِدَيْنِ
أَوْ ثَلاَثَةِ شُهُودٍ يَمُوتُ بِدُونِ رَأْفَةٍ . ٢٩ فَكَمْ عِقَابًا أَشَرَّ تَظُنُّونَ
أَنَّهُ يُحْسَبُ مُسْتَحِقًّا مَنْ دَاسَ ٱبْنَ ٱللهِ وَحَسِبَ دَمَ ٱلْعَهْدِ ٱلَّذِي
قُدِّسَ بِهِ دَنِسًا وَٱزْدَرَى بِرُوحِ ٱلنِّعْمَةِ . ٣٠ فَإِنَّنَا نَعْرِفُ ٱلَّذِي
قَالَ لِيَ ٱلاِنْتِقَامُ أَنَا أُجَازِي يَقُولُ ٱلرَّبُّ . وَأَيْضًا ٱلرَّبُّ يَدِينُ
شَعْبَهُ . ٣١ مُخِيفٌ هُوَ ٱلْوُقُوعُ فِي يَدَيِ ٱللهِ ٱلْحَيِّ .

كنا ننتظر أن يبدأ هنا القسم العملى كما يرى كثيرون من المفسرين . ولكن يحسن اعتبار هذا الفصل فصلا عملياً معترضاً بين القسمين التعليمى والعملى تابعاً لأولهما ، ممهداً لثانيهما (انظر الكلام عن طريقة البحث فى صفحة ١١ و ١٢ فى الجزء الأول) .

عد ١٩ — ٢١ : تبين علاقة هذا الفصل العملى بالتعليم فى الكهنوت والذبيحة :

« فإذ لنا أيها الأخوة ثقة بالدخول إلى الأقداس » :

« الأقداس » هى التى قيل عنها « ما داخل الحجاب » (ص ٦ : ١٩ و ٢٠) وهى « السماء عينها » (ص ٩ : ٢٤) : مرموزاً إليها بـ « قدس الأقداس » (ص ٩ : ٣ و ٧) : انظر أيضاً (ص ٨ : ٢ ، ٩ : ٨ و ١٢) وراجع شرح هذه الشواهد .

« الدخول إلى الأقداس » هو الدخول إلى السماء ، ليس بعد الموت ، ولا فى نهاية العالم ، عندما يأتى الرب ليأخذنا إليه لنكون معه كل حين (يو ١٤ : ٢ و ٣ ، ١٧ : ٢٤ ، ١ تس ٤ : ١٦ و ١٧) ، بل فى هذه الحياة الدنيا بالاقتراب إلى الله والدنو من عرشه والجلوس فى حضرته (مز ١٤٠ : ١٣) ، وهذا ما صار لأشراف

إسرائيل يوم قطع الله العهد معهم حين صعدوا إلى جبل سيناء ورأوا إله إسرائيل وتحت رجليه شبه صنعة من العقيق الأزرق الشفاف وكذات السماء فى النقاوة . ولكنه لم يمد يده « إليهم فرأوا الله وأكلوا وشربوا » (خر ٢٤ : ٩ — ١١) . فإذا دخلنا إلى مخادعنا فى شركة عميقة معه واشتركنا مع أحبائه فى عبادة طاهرة بزينة مقدسة ، وجلسنا على مائدة العشاء المبارك ، ندخل إلى الأقداس :

و « لنا ثقة » كما قال الرسول : « فلنتقدم بثقة إلى عرش النعمة » (انظر شرح ٤ : ١٦ ، ٣ : ٦) :

« بدم يسوع » :

الذى به هو نفسه دخل إلى الأقداس فوجد فداء أبدياً (٩ : ١٢) :

« طريقاً كرسه لنا حديثاً حياً بالحجاب أى جسده » :

فقد كان جسد المسيح حجاباً ناسوتياً يخفى مجداً لاهوتياً ، كما كان الحجاب فى الهيكل يخفى مجد الله بين الكروبين ، شكنيا فوق الغطاء ، (انظر الكلام عن الحجاب فى ٦ : ١٩ ، ٩ : ٣) . عندما انشق جسد المسيح على الصليب ، انشق حجاب الهيكل من فوق إلى أسفل وأعلن الروح القدس أن طريق الأقداس قد ظهر (راجع شرح ٩ : ٨)، « طريقاً كرسه لنا» المسيح بدمه ، كما تكرس العهد الأول بالدم (راجع شرح ٩ : ١٨ — ٢٤) .

« حديثاً حياً » : فهو حديث لأنه أعد حديثاً ، وخاص بالعهد الجديد ، لا يعتق ولا يشيخ بالنسبة لفعله ، وهو حى لأنه تكرس بدم حمل حى ، وفيه حياة ، ويؤدى إلى الحياة الأبدية .

« وكاهن عظيم على بيت الله » :

الواو هنا تعطف جملة على جملة . وتقدير الكلام هو « إذ لنا : ثقة بالدخول » الخ . وإذ لنا :

«كاهن عظيم» : بالنسبة لشخصه العجيب ، «بهاء مجد الآب ورسم جوهره» ، بالنسبة لمقامه «فى يمين العظمة فى الأعالى» ، وبالنسبة لسلطان وظيفته وقوة تأديتها «إذ هو حى فى كل حين يشفع فينا» (انظر شرح ١ : ٢ و ٣ ، ٨ : ١ و ٢ ، ٧ : ٢٥) . فهو بلا ريب «كاهن عظيم» :

«على بيت الله» : «وبيته نحن إن تمسكنا بثقة الرجاء وافتخاره ثابتة إلى النهاية» (٣ : ٦) . لأن «منه تسمى كل عشيرة فى السموات وعلى الأرض» (أف ٣ : ١٥) . وبيته هو بيت الله أبيه الذى هو فيه الآن يخدم لأجل بيته على الأرض ، وإليه نحن أيضاً ندخل فى صلواتنا وعبادتنا المقدسة ونقدم ذبائحنا الروحية مقبولة بشفاعته الأبدية (١ بط ٢ : ٥) .

عد ٢٢ — ٣١ : تمهد للقسم العملى بحض (عد ٢٢ — ٢٥) ، وإنذار (عد ٢٦ — ٣١) .

عد ٢٢ — ٢٥ : نجد ثلاثة أفعال «لنتقدم» (عد ٢٢) ، «لنتمسك» (عد ٢٣) ، «لنلاحظ» (عد ٢٤) . ثم نجد فعلين فى (عد ٢٥) فى صيغة اسم الفاعل أحدهما سلبى «غير تاركين» ، والثانى إيجابى «واعظين» وكلها حض على الواجبات : إذاً :

١ — «لنتقدم بقلب صادق فى يقين الإيمان :

انظر شرح (٤ : ١٦) «فلنتقدم» «بقلب صادق» كقلب نثنائيل وهو تحت التينة يتعبد وقد رآه المسيح وقال عنه : «هوذا إسرائيلى حقاً لا غش فيه» (يو ١ : ٤٧) . فإن «الله روح والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغى أن يسجدوا» (يو ٤ : ٢٤) وهو يسر بالحق فى الباطن (مز ٥١ : ٦) . كل شىء مكشوف وعريان لعينيه (عب ٤ : ١٣) ، فلنحذر كذب حنانيا وسفيره (أع ٥ : ١ — ١١) . ورياء الشعب الذى يكرم الله بشفتيه وأما قلبه فمبتعد عنه بعيداً (مر ٧ : ٦) ولنتقدم :

«فى يقين الإيمان» : أى الإيمان اليقين بالمسيح الذى به نقدم كل حين ذبيحة التسبيح وذبائح فعل الخير والتوزيع ، التى بها يسر الله (١٣ : ١٥ و ١٦) لأنه بدون

إيمان لا يمكن إرضاؤه (١١ : ٦) ، ونقدم أجسادنا ذبيحة حية مقدسة مرضية عندالله عبادتنا العقلية (رو ١٢ : ١) .

« مرشوشة قلوبنا من ضمير شرير ومغتسلة أجسادنا بماء نقى » :

الله طاهر وقدوس وهو ، جل جلاله ، يطلب تطهيراً وتقديساً للذين يتقدمون إليه . لذلك عند نزوله على جبل سيناء قال لموسى : « اذهب إلى الشعب وقدسهم اليوم وغداً . وليغسلوا ثيابهم » (خر ١٩ : ١٠) . لهذا ورد القول « اسجدوا للرب فى زينة مقدسة » (٩٦ : ٩) . ولذلك كانت القرابين والذبائح قائمة بأطعمة وأشربة وغسلات مختلفة وفرائض جسدية ورش دم يقدس إلى طهارة الجسد فقط (٩ : ١٠ و ١٣) . أما دم المسيح فإنه يطهر القلب وينقيه من :

« ضمير شرير » : وحيث أن الضمير هو الإنسان الباطن فى داخل الإنسان ففى ذكره شريراً إشارة إلى الخطايا الداخلية وهى الأفكار الشريرة والنيات السيئة والمفاسد القلبية التى لا يعلمها أحد إلا الله ، سواء شعر بها صاحبها أو لم يشعر . وهذه لا يمكن أن تتطهر إلا برش دم المسيح .(انظر خر ٢٤ : ٦ و ٨ ، لا ٤ : ١٧ ، ١٤ : ٧ ، عب ١٢ : ٢٤ ، ١ يو ١ : ٧) .

وكما أن تطهير القلب ضرورى ، هكذا تطهير الجسد أيضاً ، لا بإزالة وسخ الجسد وأقذاره الجلدية (١ بط ٣ : ٢١) ، بل بإزالة أقذار الخطايا الظاهرة لتكون الزينة المقدسة داخلية وخارجية . « لنطهر ذواتنا من كل دنس الجسد والروح مكملين القداسة فى خوف الله » (٢ كو ٧ : ١) . « إذاً لا تملكن الخطية فى جسدكم المائت لكى تطيعوها فى شهواته . ولا تقدموا أعضاءكم آلات اثم للخطية ، بل قدموا ذواتكم لله كأحياء من الأموات وأعضاءكم آلات بر الله » (قابل رو ٦ : ١٢ و ١٣ ، ٨ : ١٣ ، كو ٣ : ٥) . « مغتسلة أجسادنا » :

« بماء نقى » : (انظر حز ٣٦ : ٢٥ وراجع شرح ٩ : ٢٢ عن الدم والماء والنار) .

٢ — « لنتمسك بإقرار الرجاء راسخاً لأن الذى وعد هو أمين » :

« الرجاء » : وفى بعض الترجمات « الإيمان » وهما معاً متلازمان . فإن كان الرجاء مرساة سفينة النفس التى تلقى على صخر الدهور داخل الحجاب لتضمن وصول السفينة بأمان إلى شاطئها الأبدى ، يكون الإيمان هو الزنجير (الجنزير أو السلسلة) الذى يصل المركب بالمرساة ويربطها بها مؤتمنة وثابتة (راجع شرح٦ : ١٩ و ٢٠) . أما :

« إقرار الرجاء » : فهو حركة مزدوجة نحو أمر معين : وجهها الأول اشتهاء القلب إياه ، ووجهها الثانى توقع نواله لأن « الرجاء المنظور ليس رجاء . لأن ما ينظره أحـد كيف يرجوه أيضاً . ولكن إن كنا نرجو ما لسنا ننظره فإننا نتوقعه بالصبر » (رو٨ : ٢٤ و ٢٥) لذلك :

« لنتمسك بإقرار الرجاء راسخاً » : كمن يقبض عليه بحرص وانتباه مراقباً بحذر « كن ساهراً . . . وتمسك بما عندك لئلا يأخذ أحد إكليلك » (انظر رؤ ٣ : ٢ و ٣ و ١١) « كونوا راسخين غير متزعزعين مكثرين فى عمل الرب كل حين » (١ كو ١٥ : ٥٨) .

« لأن الذى وعد هو أمين » : هذا يبين أن « الرجاء » مبنى على « وعد الحياة التى فى يسوع المسيح ، وعد الدخول إلى الراحة ، « وعد الميراث الأبدى » ، (انظر ٢ تى ١ : ١ ، عب ٤ : ١ ، ٩ : ١٥) وحيث « أن الذى وعد هو أمين » فلنتمسك (انظر شرح عب ٦ : ١٣ — ٢٠) .

٣ — « لنلاحظ بعضنا بعضاً للتحريض على المحبة والأعمال الحسنة : »

الملاحظة هى التفكير الجدى والمراقبة الدقيقة والانتباه الحاد الدال على شدة اهتمام وملاحظة :

« بعضنا بعضاً » : فإننا جميعاً سائرون كعائلة واحدة فى طريق واحد إلى الميراث الواحد ، ومصلحة الواحد متعلقة بمصلحة الآخر . وعلى الواحد مسئولية نحو الآخر للاهتمام بخيره الزمنى والأبدى . وهذا ما تؤدى إليه المحبة الأخوية المتبادلة ، كما ظهر جلياً

بين جمهور الذين آمنوا فى بدء الكنيسة ، حيث كان لهم قلب واحد ونفس واحدة . ولم يكن أحد يقول إن شيئاً من أمواله له بل كان كل شيء مشتركاً (اقرأ أع ٤ : ٣٢ – ٣٧) . لنلاحظ :

« للتحريض على المحبة والأعمال الحسنة » : فالأعمال الحسنة هى أعمال المحبة دون سواها والمحبة تؤدى ، ولابد ، إلى الأعمال الحسنة ، ومن عينتها ما عملته مريم بالمسيح (مت ٢٦ : ١٠ ، مر١٤ :٦) ، وما عملته غزالة (أع ٩ :٣٦) ، ولهذا بذل المسيح « نفسه لأجلنا لكى يفدينا من كل إثم ويطهر لنفسه شعباً خاصاً غيوراً فى أعمال حسنة » (تى ٢ : ١٤) .

التحريض على المحبة هو من هذه الأعمال الحسنة ويتطلب أن نكون :

« غير تاركين اجتماعنا كما لقوم عادة » :

اجتماع الكنيسة هو الطريقة الوحيدة لإعلان وجودها واتحادها ، وتقديم العبادة لإلهها وفاديها ، وتغذية حياة إيمانها ورجائها ، وتحريض أعضائها على المحبة والأعمال الحسنة ، والشهادة لرأسها . فإذا ترك قوم اجتماعهم ، فإنهم إنما يتركون كل ذلك ، ويصيرون مجرمين فى حق ذواتهم وفاديهم . فهل نرنم : « فرحت بالقائلين لى إلى بيت الرب نذهب » ؟ (مز ١٢٢) .

« واعظين بعضنا بعضاً » :

فبالوعظ تتقوى اجتماعاتنا ولأجله تدوم . وبترك اجتماعنا تضيع فرصة المقابلة والوعظ والملاحظة للخير (راجع شرح ٣ : ١٢ و ١٣) .

« وبالأكثر على قدر ما ترون اليوم يقرب » :

وما هو هذا « اليوم » ؟ إنه يوم ، ولا بد ، فى تاريخ حياة هؤلاء العبرانيين كأمة ، فلا هو يوم الموت لكل فرد منهم على حدته ، ولا هو يوم الدينونة العام لكل العالم . هو اليوم الذى أشار إليه المسيح عندما نظر إلى أورشليم وبكى عليها قائلا : « ستأتى أيام ويحيط بك أعداؤك بمترسة ويحدقون بك ويحاصرونك من كل جهة .

ويهدمونك وبنيك فيك ولا يتركون حجراً على حجر لأنك لم تعرفى زمان افتقادك » (اقرأ لو ١٩ : ٤١—٤٤ . قارن مت ٢٣ : ٣٧ و ٣٨ ، ص ٢٤ ، مر ١٤ ولو ٢١) . فهو يوم خراب أورشليم على يد جيش الرومانيين الذى تم فى سنة ٧٠ م بعد كتابة هذه الرسالة بقليل ، وقد تقدمه زمان اضطهاد شديد على الكنيسة ، كان المؤمنون العبرانيون فيه فى خطر ارتداد مخيف ، فكان عليهم أن يلاحظوا بعضهم بعضاً ويحرضوا بعضهم بعضاً ويعظوا بعضهم بعضاًو بالأكثر على قدر ما يرون اليوم يقرب وهذا يوجهنا إلى :

عد ٢٦ — ٣١ : التى فيها نجد التحذير من خطر مخيف محدق : يوصف فى (عد ٢٦) ، ويذكر عقابه فى (عد ٢٦ و ٢٧) ممثلا فى (عد ٢٨ و ٢٩) ، محققاً فى (عد ٣٠ و ٣١) .

« لأنه إن أخطأنا باختيارنا بعد ما أخذنا معرفة الحق » :

هنا الخطر موصوفاً بالوقوع فى خطيئة ذات وجهين : أولهما كونها خطية إختيارية ، وثانيهما كونها خطية ضد معرفة ، وهذان الوجهان يعينانها خطية تعمدية ، ويدلان على أنها الخطية التى أشار إليها موسى (عد ١٥ : ٣٠) وميزها بكونها خطية « النفس التى تعمل بيد رفيعة . وهى التى قال عنها المسيح إنها التجديف على الروح القدس (مت ١٢ : ٣١ و ٣٢) . هى الخطية التى للموت التى ذكرها يوحنا (١يو ٥:١٦) . فهى ليست خطية الجهل التى ارتكبها شاول الطرسوسى وقال عنها : « أنا الذى كنت قبلا مجدفاً ومضطهداً ومفترياً . ولكننى رحمت لأنى فعلت بجهل فى عدم إيمان » (١ تى ١ : ١٣) . فإنها ولو توفر فيها شرط الاختيار ، لم يتوفر فيها شرط المعرفة . وهى ليست خطية بطرس فى إنكار سيده التى وإن توفر فيها شرط المعرفة ، فلم يتوفر فيها شرط الاختيار إذ بغتته التجربة وغلبته (مت ٢٦ : ٦٩ — ٧٥) . كما أنها أيضاً ليست خطية داود النبى فى قتل أوريا الحثى لأنها ، ولو توفر فيها شرطا الاختيار والمعرفة ، ولكن التوبة الصادقة رفعتها عنه (٢ صم ١١ : ١٤ — ١٢ : ١٤) . بل هى خطيئة الإرتداد عن الإيمان التى ذكرها الرسول فى (ص ٦ : ٤ — ٨) وعنها يقال :

« لا تبقى بعد ذبيحة عن الخطايا » :

فى كل نظام العهد القديم بما فيه من ذبائح وقرابين لم يكن تدبير لذبيحة تقدم عن خطايا اليد الرفيعة ولذلك يقول داود بالرغم من توبته وانكسار قلبه وانسحاق روحه : « لأنك لا تسر بذبيحة وإلا فكنت أقدمها بمحرقة لا ترضى » (مز ٥١ : ١٦) . وفى ذلك إشارة واضحة إلى أنه لا يوجد للمرتدين عن المسيح ذبيحة عن خطاياهم (انظر أيضاً شرح ٦ : ٦) :

« بل قبول دينونة مخيف وغيرة نار عتيدة أن تأكل المضادين » :

هنا يصف المرتدين بكونهم مضادين وهم الذين قال عنهم فى (٦ : ٦) إنهم يصلبون ابن الله ثانية ويشهرونه . فهم بذلك يقيمون أنفسهم أضداداً للمسيح وملكوته ومقاومين له منضمين إلى صفوف أعدائه . فكما كانت النفس التى تخطىء بيد رفيعة تقطع من شعبها ، هكذا يكون الهلاك الأبدى مصير المضادين للمسيح . لأنك « من أجل قساوتك وقلبك غير التائب تذخر لنفسك غضباً فى يوم الغضب واستعلان دينونة الله العادلة » (رو ٢ : ٥) : « لأنه الوقت لابتداء القضاء من بيت الله ، فإن كان أولا منا ، فما هى نهاية الذين لا يطيعون إنجيل الله » ؟ (قابل ١ بط ٤ : ١٧ و ١٨) .

« غيرة نار عتيدة أن تأكل » : « غيرة نار » هى « نار غيرة » ، وإلهنا نار وهو أيضاً « غيور » (تث٤ : ٢٤) فهو فى غيرته « نارآكلة » بل « وقائد أبدية » (إش ٣٣ : ١٤ ، عب١٢ : ٢٩) . فى غيرته يفتقد الذنوب (خر ٢٠ : ٥) وبنار غيرته تؤكل كل الأرض (صف ٣ : ٨) . وما أرهب « غيرة ناره » العتيدة أن تأكل المضادين التى أعدها لإبليس وملائكته (مت ٢٥ : ٤١) وتتقد فى غضبه فيصعد دخان عذابهم إلى أبد الآبدين (رؤ ١٤ : ٩ — ١١) .

« من خالف ناموس موسى فعلى شاهدين أو ثلاثة شهود يموت بدون رأفة » :

هنا يضع الرسول مبدأ التمثيل الذى سنراه مقروناً بمقابلة فى العدد التالى وفيه نرى « ناموس موسى » يصدر حكمه على مخالفيه بالإعدام ، بنص صريح يقول : « وأما

النفس التى تعمل بيد رفيعة من الوطنيين أو من الغرباء فهى تزدرى بالرب. فتقطع تلك النفس من بين شعبها لأنها احتقرت كلام الرب ونقضت وصيته ، قطعاً تقطع تلك النفس . ذنبها عليها » (عدد ١٥ : ٣٠ و ٣١ . قابل تث ١٧ : ٢ — ٥ ، ١٩ : ١ — ١١ وانظر شرح ٥ : ٢ فى الجهال والضالين) .

« يموت بدون رأفة » رجماً (قابل خر ١٩ : ١٣ ، تث ١٣ : ١٠ ، يو ٨ : ٥) .

« على شاهدين أو ثلاثة » : على أن تكون أيدى الشهود عليه أولا لقتله ثم أيدى جميع الشعب أخيراً (قابل تث ١٧ : ٦ و ٧ ، ١٩ : ١٥ ، مت ١٨ : ١٦ ، أع ٧ : ٥٨ ، ٢ كو ١٣ : ١) .

« فكم عقاباً أشر يحسب مستحقاً » :

هنا المقابلة بين عقاب مخالف ناموس موسى وعقاب المرتد عن المسيح الذى يوصف بوصف مثلث :

١ — « من داس ابن الله » :

« ابن الله » هو موضوع الرسالة كلها وجوهر تعليمها (راجع شرح ١ : ٢ — ٨ ، ٣ : ٥ و ٦ ، ٧ : ٢٨) .

الدوس تعبير مجازى للاحتقار والإهانة كما رأينا فى نص الحكم بالإعدام الذى قرأناه فى (عد ١٥ : ٣٠ و ٣١) . ودوس ابن الله يتم :

(أ) برفضه ملكاً مع القائلين « لا نريد أن هذا يملك علينا » « لنقطع قيده ونطرح عنا ربطه » (قابل مز ٢ : ١ — ٣ مع لو ١٩ : ١٤) .

(ب) بعدم الاعتراف به نبياً (ص ٣ : ١) .

(ج) بعدم قبوله رئيس كهنة (ص ٥ : ٥ و ٦) .

٢ - « وحسب دم العهد الذى قدس به دنساً » :

قد رأينا العلاقة بين العهد والدم فى شرح (٩ : ١٥) التى بناء عليها يقال للدم « دم العهد » ، وهو هنا دم المسيح الذى قال عنه : « هذا هو دمى الذى للعهد الجديد الذى يسفك من أجل كثيرين » (انظر مر ١٤ : ٢٤ وشرح ٩ : ١٣ و ١٤) .

وحيث أن المرتد كان أصلا فى الإيمان الذى عنه ارتد فبهذا المعنى يكون قد « قدس » بدم العهد عند دخوله فى الإيمان وأفرز قبل ارتداده ، فيكون ارتداده حسبان هذا الدم نجسا أى اعتباره بلا فاعلية للتقديس وبلا قدرة على إتمامه (راجع شرح ٦ : ٤ - ٦) .

« وازدرى بروح النعمة » :

« روح النعمة » هو الروح القدس روح الله المنبثق من الآب وروح المسيح الذى أرسله إلى العالم ليشهد له ، روح الحق الذى يرشد إلى جميع الحق (قابل يو ١٥ : ٢٦ ، ١٦ : ١٣ و ١٤ ، ١ بط : ١٢) ليتمتعوا بالنعمة لأن النعمة والحق بيسوع المسيح صارا (يو ١ : ١٧) .

المرتد كان قبل إرتداده شريك الروح القدس (انظر ٦ : ٤) فبارتداده يزدرى « بروح النعمة » ، أى يهينه بمقاومة عمله فيه ويحتقره برفض النعمة التى وهبه إياها .

فإن كان من خالف ناموس موسى ، على شاهدين أو ثلاثة يموت بدون رأفة فالذى داس ابن الله ، ، وحسب دم العهد الذى قدس به دنساً ، وازدرى بروح النعمة :

« فكم عقاباً أشر يحسب مستحقاً ؟ : وأى عقاب أشر من الموت والقطع من بين الشعب ؟

عد ٣٠ و ٣١ : يوقفاننا أمام المنتقم ، الديان ، المخيف ، ويريانا شر العقاب المستحق .

« فإننا نعرف الذى قال » :

ومن هو « الذى قال » ؟ إننا نعرفه بما قال ، وهكذا يعرفه العبرانيون لأنه قال فى كتبهم ، فماذا قال ؟

« لى الانتقام أنا أجازى . وأيضاً الرب يدين شعبه » :

وهو قول مزدوج قاله الرب فى (تث ٣٢ : ٣٥ و ٣٦) انظر أيضاً (رو ١٢ : ١٩) . وفى القول إعلان من الله عن نفسه بأنه منتقم ديان . فإذ يدين شعبه ينتقم من خطاياهم ، فالدينونة انتقام من الخاطىء لأن وقوعها عليه شر ، كما أنها جزاء له على أعماله . ولهذا قال ابن الله الذى أعطيت له كل الدينونة : « ها أنا آتى سريعاً وأجرتى معى لأجازى كل واحد كما يكون عمله » (قارن يو ٥ : ٢٢ ، رؤ ٢٢ : ١٢) .

وإذا كان هذا هو إعلان الله عن نفسه صريحاً ، فكل كلام عن العقاب وعن أشر عقاب كلام صحيح . وكل ما يقال عن النار والعذاب وجهنم قول حق لا ريب فيه . ويقال بالحق :

« مخيف هو الوقوع فى يدى الله الحى » :

سبق الكلام عن « الله الحى » فى (ص ٣ : ١٢ ، ٩ : ١٤) فى الأول بمناسبة الذين يرتدون عنه ، وفى الثانى بمناسبة الذين يخدمونه . وبين الفريقين نراه هنا الديان الحى الذى يقيم الأولين عن يساره ، والآخرين عن يمينه ويقول للذين عن يمينه : « رثوا الملكوت المعد لكم » وللذين عن يساره يقول : « اذهبوا عنى يا ملاعين إلى النار الأبدية » .

لهذه المناسبة الأخيرة يختتم الرسول كلامه هنا بذكر :

« الوقوع فى يدى الله الحى » : وهو وقوع تحت سلطان عدو قدير على الإنتقام . وما أشر العقاب الذى يصفه المرنم فى قوله : « فليطارد عدو نفسى وليدركها » (مز ٧ : ٥) . ولكن هل الله عدو ؟ أو لا تسمع ما يقول إشعياء عنه مع شعبه الذين

«تمردوا عليه وأحزنوا روح قدسه فتحول لهم عدواً» (٦٣ : ١٠) . وإن تحول الله عدواً فالوقوع فى يديه ، ولابد :

« مخيف » : لأن الحكم هو بلا رحمة لمن لم يعمل رحمة (يع ٢ : ١٣ قارن مت ١٨ : ٢٣ ـــ ٢٥) . كما أنه حكم لا نقض فيه ولا ابرام كما صرح ابراهيم للغنى الذى رفع عينيه فى الهاوية وهو فى العذاب ورآه من بعيد ولعازر فى حضنه فنادى وقال : « يا أبى ابراهيم ارحمنى وأرسل لعازر ليبل طرف أصبعه بماء ويبرد لسانى لأنى معذب فى هذا اللهيب». فقال ابراهيم « يا ابنى أذكر أنك استوفيت خيراتك فى حياتك وكذلك لعازر البلايا . والآن هو يتعزى وأنت تتعذب . وفوق هذا كله بيننا وبينكم هوة عظيمة قد أثبتت حتى إن الذين يريدون العبور من ههنا إليكم لا يقدرون ، ولا الذين من هناك يجتازون إلينا » (قابل لو ١٦ : ١٩ ـــ ٢٦) .

فاهرب لحياتك إلى ذبيحة الصليب وكاهنها الحى وأمسك بقرون المذبح السماوى .

القسم العملى

لقد انتهينا فى شرح هذه الرسالة ، من الكلام عن عنوانها (راجع المقدمة) : كما انتهينا من الكلام عن ديباجتها (ص ١ : ١ — ٣) : كما انتهينا من الكلام عن قسمها التعليمى ، الذى فيه تبينا السيد المسيح :

أولا : «أعظم من الملائكة» فى رتبته الملكية (ص ١ : ٤ — ٢ : ١٨) :

ثانياً : «أهلا لمجد أكثر من موسى» فى رتبته النبوية (ص ٣ : ١ — ٤ : ١٦) :

ثالثاً : « مدعواً من الله رئيس كهنة على رتبـة ملكى صادق » (لا على رتبة هرون) فى رتبته الكهنوتية (ص ٥ : ١ — ١٠ : ٣١) : كما انتهينا من شرح النصائح العملية التى تخللت ذلك القسم التعليمى ؛ كما جاء فى (ص ٢ : ١—٤و ٣ : ٧ — ١٩ و ٤ : ١٤ — ١٦ و ٦ : ١ —٣—و ١٠ : ١٩ — ٣١) .

وها نحن الآن سندخل إلى القسم العملى ، الذى منه أيضاً ، سنحقق ما سبقت الإشارة إليه وهو أن غرض الرسول ، فى هذه الرسالة ، إنما هو عملى أكثر منه نظرياً . وأن أصل هذا البحث العملى ، كغيره من البحوث الكتابية قائم ، ولا بد ، على الضرورات الروحية الملحة ؛ لتوطيد الذين آمنوا من العبرانيين ، فأصابتهم محنة الأضطهاد — لتوطيدهم كى لا يزيغوا عن الحق الإلهى ، حاثاً إياهم على الثبات فى الإيمان وعلى الصبر على الشدائد والبلايا ، ابتغاء « لوجه يسوع ابن الله » وتوقعاً لما وعدهم به المسيح بصدق الرجاء الحى والثقة الوافية .

فى هذا القسم العملى نرى الإيمان أساساً مؤسساً يبنى عليه كل عمل : يرتفع بنا ويسمو بأفكارنا وقلوبنا إلى المجد الأسنى : وهذا نراه فى ثلاثة أبواب هى : —

الباب الأول : الإيمان والموعد (ص ١٠ : ٣٢ — ٣٩) ، بارزاً فى قول الرسول لأنه بعد قليل جداً (جداً) سيأتى الآتى ولا يبطىء » (ص ١٠ : ٣٧) .

الباب الثـــانى : الإيمان وشهوده (ص ١١ و ١٢) ، بارزاً فى قوله « فى هذا شهد » (ص ١١ : ٢) .

الباب الثالث : الإيمان ووحيه العملى (ص ١٣ : ١ – ٢٥) ، بارزاً فى قوله « لتثبت المحبة الأخوية » (ص ١٣ : ١) .

الباب الأول

الإيمان والموعد (عب ١٠ : ٣٢ ـ ٣٩)

لنا فى هذا الباب ثلاثة فصول :

١ ـ تذكير (ص ١٠ : ٣٢ ـ ٣٤) :

٢ ـ تحـذير (ص ١٠ : ٣٥ ـ ٣٧) :

٣ ـ إنـذار (ص ١٠ : ٣٨ و ٣٩) :

الفصل الأول

تذكيرٌ (عب ١٠ : ٣٢ — ٣٤)

٣٢ وَلٰكِنْ تَذَكَّرُوا ٱلْأَيَّامَ ٱلسَّالِفَةَ ٱلَّتِي فِيهَا بَعْدَ مَا أُنِرْتُمْ
صَبَرْتُمْ عَلَى مُجَاهَدَةِ آلامٍ كَثِيرَةٍ ٣٣ مِنْ جِهَةٍ مَشْهُورِينَ بِتَعْيِيرَاتٍ
وَضِيقَاتٍ وَمِنْ جِهَةٍ صَائِرِينَ شُرَكَاءَ ٱلَّذِينَ تُصُرِّفَ فِيهِمْ هٰكَذَا .
٣٤ لِأَنَّكُمْ رَثَيْتُمْ لِقُيُودِي أَيْضًا وَقَبِلْتُمْ سَلْبَ أَمْوَالِكُمْ بِفَرَحٍ
عَالِمِينَ فِي أَنْفُسِكُمْ أَنَّ لَكُمْ مَالاً أَفْضَلَ فِي السَّمٰوَاتِ وَبَاقِيًا .

أمامنا ، فى هـــذه الآيات الثلاث . رابط فى كلمة « ولكن » . ثم تذكير بأيام « مجاهدة آلام كثيرة » سالفة . من جهة آلام شهرة « مشهورين » . ومن جهة آلام شركة « شركاء » . ثم بيان لآلام الشركة « رثيتم لقيودى » . وأخيراً بيان لآلام الشهرة « قبلتم سلب أموالكم » .

« ولــكن » :

يبدأ الرسول هذا القسم العملى بهذه الكلمة « ولكن » مؤكداً الإرتباط القائم بين هذا الجزء الثالث العملى وبين النص العملى الأخير فى القسم التعليمى من هذه الرسالة (إقرأ ع ١٩ —٣١). وبالتالى مثبتاً الإرتباط بين جزئى الرسالة ، التعليمى والعملى معاً .

على أن هذا الإرتباط هنا هو ارتباط انتقالى من إنذار خطير إلى تشجيع كبير ، كطريقة الرسول التى اتبعها مع هذه الجماعة العبرانية فى هذه الرسالة . ومن عينة ذلك ما جاء فى الأصحاح السادس ؛ حين أنذرهم بخطر يتهدد « الذين استنيروا مرة . . . وسقطوا » حيث « لا يمكن تجديدهم ، أيضاً ، للتوبة ؛ إذ هم ، يصلبون ، لأنفسهم « ابن الله » ثانية ويشهرونه » (اقرأ ص ٦ : ٤ — ٨) . معقباً على ذلك الإنذار الخطير بتشجيع كبير ، قائلا : « ولكننا ، قد تيقنا ، من جهتكم ، أيها الأحباء ! أموراً أفضل ومختصة بالخلاص . وإن كنا نتكلم هكذا » (اقرأ ص ٦ : ٩ — ٢٠) :

هكذا : فى هذه المناسبة التى أمامنا الآن ! حيث نراه وقد انتقل بهم من إنذار خطير يهدد « من داس ابن الله » (اقرأ ص ١٠ : ٢٦ — ٣١) إلى تشجيع كبير مستدركاً قائلا : « ولكن » :

« تذكروا الأيام السالفة » :

التذكر إجراء تقوم به الذاكرة ، وهى قوة باطنية فى الإنسان : يتميز بها عن سائر الحيوان : قوة تتصل بالذهن ، لذلك يقال عن السيد « المسيح » فى اجتماعه مع تلاميذه ، بعد قيامته من الأموات : أنه « فتح ذهنهم ليفهموا الكتب » مذكراً إياهم بما هو مكتوب عنه فى « ناموس موسى والأنبياء والمزامير » (اقرأ لو ٢٤ : ٤٤ — ٤٦ قابل ١ كو ١٤ : ١٤— ١٧) .

هى قوة النفس التى قال عنها الحكيم : « نفس الإنسان سراج الرب : يفتش كل مخادع البطن » (أم ٢٠ : ٢٧) . قوة تكشف تلك المخادع الباطنية بنورها الكشاف ، وتقشع ظلمات خفاياها : وتبين مخادعاتها المنصوص عنها فى قول الوحى « القلب أخدع من كل شىء وهو نجيس : من يعرفه ؟ أنا الرب فاحص القلب : مختبر الكلى ؛ لأعطى كل واحد حسب طرقه حسب ثمر أعماله » (إر ١٧ : ٩ و ١٠) .

على هذا الأساس الوطيد يقول الرب : « أذكروا الأوليات منذ القديم ؛ لأنى أنا الله وليس آخر ، الإله وليس مثلى ، مخبر منذ البدء بالأخير : ومنذ القديم بما لم يفعل ، قائلا « رأيى يقوم وأفعل كل مسرتى » (إش ٤٦ : ٩ و ١٠) .

وما أمجد مثل هذه الذكريات ! وما أوجبها ! لإلهاب قلب المتعبد الحقيقى ، ليردد فى قلبه : ويرفع صوته بالهتاف ، مترنماً بالوحى المقدس ، قائلا : « تذكرت أيام القدم : لهجت بكل أعمالك : بصنائع يديك أتأمل : بسطت إليك يدى : نفسى نحوك ، كأرض يابسة » (مز ١٤٣ : ٥ و ٦) : لذلك كان جديراً بالرسول تشجيعاً للعبرانيين وتوطيداً لإيمانهم : أن يكتب إليهم ، قائلا « تذكروا الأيام السالفة » :

«التى فيها ، بعد ما أنرتم صبرتم»

فى هذه الجملة فعلان منسوبان إلى أولئك العبرانيين — أحدهما : — فعل واقع لهم ، مفعول فيهم ، هو الفعل «أنرتم» — وثانيهما : — فعل واقع منهم ، هم فاعلوه ، وهو الفعل «صبرتم» ويجدر بنا التأمل فى هذين الفعلين ، كل على حدته ، وفى نسبة أحدهما إلى الآخر :

« أنرتم »

فعل ورد ، فى صيغة أخرى ، فى كلام الرسول عن الذين «استنيروا» (ص٦ : ٤) ، وفى هاتين الصيغتين ، «أنرتم» و«استنيروا» ، نتبين البناء للمجهول لوقوع الفعل عليهم ، لا منهم ؛ سواء فى الإنارة أو الأستنارة ، فالفاعل مجهول مبنى ولكنه معلوم معنى ؛ كما نراه بارزاً متجلياً ، أيضاً ، فى قول ذات الرسول : «لأن الله» الذى قال : «أن يشرق نور من ظلمة» هو الذى أشرق فى قلوبنا «لإنارة» معرفة مجد الله فى وجه «يسوع المسيح» ، «اللابس النور كثوب» ، «كان النور الحقيقى الذى ينير كل إنسان آتياً إلى العالم ، كان فى العالم وكون العالم به ولم يعرفه العالم» (قابل ٢ كو ٤ : ٦ مع تك ١ : ١ اقرأع ١ — ٥ مع مز ١٠٤ : ٢ مع يو ١ : ٩و١٠)

وما أمجد بهاء ذلك النور الساطع من وجه «المسيح» ! الذى رآه موسى على جبل سيناء ؛ فلمع «جلد وجهه» فى كلامه معه (قابل خر ٣٤ : ٢٩ مع ٢ كو ٣ : ١٢ — ١٤) : وكيف لا نرى هذا الوجه الساطع بالنور البهى فى الكتب المقدسة التى تشهد له ؟ فى تلك الكلمة التى قال عنها الرسول بطرس : «وعندنا الكلمة النبوية ، وهى أثبت ، التى تفعلون ، حسناً إن انتبهتم إليها ؛ كما إلى سراج منير فى موضع مظلم ، إلى أن ينفجر النهار ويطلع «كوكب الصبح» فى قلوبكم ، عالمين هذا أولا ، أن كل نبوة الكتاب ليست من تفسير خاص ؛ لأنه لم تأت نبوة قط ، بمشيئة إنسان ؛ بل تكلم أناس الله القديسون ، مسوقين من الروح القدس» (قابل ٢ بط ١ : ١٩ — ٢١ مع يو ١ : ٦ — ٨ و ٥ : ٣٣ — ٤٧ مع رو ٢٢ : ١٦ مع مز ١١٩ : ١٠٥ — ١١٢) .

هذا هو النور الحقيقى الذى ينير كل إنسان ؛ الذى قال عن نفسه : « أنا هو نور العالم من يتبعنى فلا يمشى فى الظلمة ؛ بل يكون له نور الحياة » ، « أنا قدجئت نوراً إلى العالم ؛ حتى كل من يؤمن بى لا يمكث فى الظلمة » (قابل يو ٨ : ١٢ مع١٢ : ٤٦) لذلك يقول الرسول بولس بلسان خدام هذا النور : « إذ لنا هذه الخدمة ، كما رحمنا لا نفشل ؛ بل قد رفضنا خفايا الخزى ، غير سالكين فى مكر ، ولا غاشين كلمة الله ؛ بل بإظهار الحق ، مادحين أنفسنا لدى ضمير كل إنسان ، قدام الله ، ولكن ! إن كان إنجيلنا مكتوماً ؛ فإنما هو مكتوم فى الهالكين ، الذين فيهم ، إله هذا الدهر قد أعمى أذهان غير المؤمنين ؛ لئلا تضىء لهم « إنارة إنجيل مجد المسيح الذى هو صورة الله » (٢ كو٤ : ١ — ٤) : بهذه « الإنارة » — « إنارة إنجيل مجد المسيح » يقول الرسول لهؤلاء العبرانيين :

« بعد ماصبرتم أثرتم » :

وماذا بعد الإنارة ؟ وماذا بعد الاستنارة ؟ هل نعود إلى الظلمة ؟ مرتدين عن الإيمان ؟ ألا نسمع التحذير القائل « لا يغركم أحد بكلام باطل ؛ لأنه ؛ بسبب هذه الأمور ، يأتى غضب الله على أبناء المعصية ، فلا تكونوا شركاءهم ؛ لأنكم كنتم ، قبلا ، ظلمة ، وأما الآن ، فنور فى الرب ، اسلكوا كأولاد نور ؛ لأن ثمر الروح هو فى كل صلاح وبر وحق ، مختبرين ما هو مرضى عند الرب ، ولاتشتركوا فى أعمال الظلمة غير المثمرة ؛ بل ، بالحرى ، .وبخوها ؛ لأن الأمور الحادثة منهم ، سراً ، ذكرها ، أيضاً ، قبيح ، ولكن الكل ، إذا توبخ . يظهر بالنور لأن كل ما أظهر فهو نور ؛ لذلك يقول : استيقظ أيها النائم وقم من الأموات ؛ فيضىء لك المسيح » (أف ٥ : ٦ — ١٤ إقرأ ع ١ — ١٤ مع ١ تس ٥ : ١ — ١١ مع يو ٣ : ١٩ — ٢١ راجع شرح ص ٦ : ١ — ٨) .

وكم يجدر بنا ! أن نستمع ، فى هذا الصدد ، إلى ذلك النصح الثمين من فم السيد ، له المجد ، فى قوله : « النور معكم زماناً قليلا بعد ؛ فسيروا ما دام لكم النور ؛ لئلا يدرككم الظلام : والذى يسير فى الظلام لا يعلم إلى أين يذهب : ما دام لكم النور ،

آمنوا بالنور ؛ لتصيروا أبناء النور » (يو ١٢ : ٣٥ و ٣٦) : وكم هو جميل ! وما أجمله ! أن يشهد الرسول فى هؤلاء العبرانيين أمراً يستحق الذكر ، بعد الإنارة والاستنارة فيقول فيهم : «تذكروا الأيام السالفة التى فيها ، بعد ما أنرتم » :

« صبرتم » :

هذا هو الفعل الثانى الذى ينسبه الرسول إلى جماعة العبرانيين ، مذكراً إياهم بفعله : وهو فعل مبنى للمعلوم : يحمل صبراً حقيقياً : يستمد من النور قوة ! بها يكتشف ما يعينه على احتمال أمر البلايا وأشدها ضغطاً ؛ فتبرز فيه تلك الصورة التى رسمها النبى « إرميا » فى مراثيه ؛ بتعبيرات فنية عجيبة ، قائلا : « طيب هو الرب ! للذين يترجونه ، للنفس التى تطلبه : جيد أن ينتظر الإنسان ويتوقع ، بسكوت ، خلاص الرب ، جيد للرجل أن يحمل النير فى صباه ، يجلس وحده ويسكت ؛ لأنه قد وضعه عليه ، يجعل فى التراب فمه ؛ لعله يوجد رجاء يعطى خده لضاربه ، يشبع عاراً ؛ لأن السيد لا يرفض إلى الأبد » (اقرأ مرا ٣١ : ٢٥ — ٣٨) .

هى صورة بديعة الفن والتمثيل ! لا يمكن أن يصل إلى حدها الفائق ، إلا الذين أنيروا واستنيروا ، فإن النور الذى ينير الإنسان ، بنعمة الإيمان وثقة الرجاء ، بالمواعيد الإلهية ، يكشف ، أمام عينيه ، مقاصد الله العليا لأبناء المجد ، ويلهمهم ذلك الصبر الجميل ؛ إذ يرون ما لا يرى فيصبرون ، منتظرين « استعلان يسوع المسيح الذى ؛ وإن لم تروه تحبونه ، ذلك ، وإن كنتم لا ترونه ، الآن ! لكن تؤمنون به ؛ فتبتهجون بفرح لا ينطق به ومجيد » (١ بط ١ : ٧ — ٩) .

على أن ذكر « الصبر » بعد الإنارة والإستنارة يوحى ، بأن تلك الإنارة ، قد أوقعت العبرانيين فى مركز حرج ، وأوقفتهم موقفاً يستلزم صبراً ، لا يعبر عن تقديره لاقتناء أنفسهم (لو ٢١ : ١٩ انظر شرح ع ٣٩) ، وهذا واضح من قوله : « تذكروا الأيام السالفة التى فيها بعد ما أنرتم ، صبرتم » :

« على مجاهدة آلام كثيرة » :

هذه الآلام هى ذات الآلام التى وقعت على السيد المسيح ، وقد سبقت الإشارة إليها فى القول : لأنه لاق بذاك (الآب) الذى ، من أجله الكل وبه الكل ؛ وهو آت بأبناء كثيرين إلى المجد ، أن يكمل رئيس خلاصهم (يسوع) بالآلام » (راجع شرح ص ٢ : ١٠) : « الذى فى أيام جسده ، إذ قدم بصراخ شديد ودموع . . طلبات وتضرعات للقادر أن يخلصه من الموت ، وسمع له من أجل تقواه ، مع كونه ابناً ! تعلم الطاعة مما تألم به : وإذ كمل ، صار لجميع الذين يطيعونه ، سبب خلاص أبدى » (راجع شرح ص ٥ : ٧ — ٩ قابل مت ٢٦ : ٣٦ — ٤٥ مع لو ٢٢ : ٤١ — ٤٤ مع يو ١٨ : ١١) .

هى آلام تقع على البشر ، وشدائد تصيبهم ، وبلايا تنتابهم ؛ لذلك يشدد الرسول بطرس الحذر على المؤمنين ، قائلا : « لا تستغربوا البلوى المحرقة ، التى بينكم حادثة ، لأجل امتحانكم ؛ كأنه أصابكم أمر غريب ، بل ؛ كما اشتركتم فى آلام المسيح ، افرحوا ؛ لكى تفرحوا فى « استعلان مجده » أيضاً ، مبتهجين » (١ بط ٤ : ١٢ و١٣) ، وهذا هو الفرح الذى أبهج قلب الرسول بولس وهو يتكلم عن رجاء الإنجيل للأمم ، قائلا : « الذى الآن أفرح فى آلامى لأجلكم وأكمل نقائص شدائد المسيح فى جسمى لأجل جسده ، الذى هو الكنيسة » (كو ١ : ٢٤) : حيث نتبين ما يقاسيه شركاء آلام المسيح الكثيرة ، من « قوة » :

« مجاهـــدة على آلام كثيرة » :

هذه « المجاهدة » هى ذات « الجهد » الذى تكلم عنه الرسول بطرس فى قوله : « لأنه الوقت لابتداء القضاء من بيت الله ، فإن كان أولا منا ؛ فما هى نهاية الذين لا يطيعون إنجيل الله ، وإن كان البار بالجهد يخلص ، فالفاجر والخاطىء أين يظهران » (١ بط ٤ : ١٧ و ١٨) .

ولعل هذا هو ذات الفكر الذى أعلنه السيد المسيح فى قوله لبنات أورشليم : « لأنه إن كانوا بالعود الرطب يفعلون هذا ، فماذا يكون باليابس » ؟ (لو ٢٣ : ٣١) ، فى

هذا « العود الرطب » ابتدأ القضاء الإلهى ، فرأته بنات أورشليم وهو سائر فى شوارعها حاملا صليبه : تلك الآلة الرومانية التى أعدها القضاء الإلهى ، لتعذيبه وقتله ، فكن يلطمن ، وينحن عليه ، فحول نظرهن إلى ذلك الخراب القريب ، الآتى سريعاً ،على « العود اليابس » أى تلك الأمة اليهودية العاصية المتمردة ، بيد تلك النسور الرومانية المعدة لتمزيق تلك الجثة ، تمزيقاً لا شفاء منه (اقرأ لو ٢٣ : ٢٣ — ٣١ قابل ص ١٩ : ٤١ — ٤٤ مع مت ٢٣ : ١٩ — ٣٩) ، وإن كانوا قد اضطهدوا السيد والمعلم ، فكم يكونون مع تلاميذه ! وبالتالى مع « أهل بيت الله » (اقرأ يو ١٥ : ١٨ — ٢٥ انظر شرح ص ١٣ : ١٣) .

فى كل ذلك ، نرى عينة « للكلمة النبوية » التى نطق بها إشعياء النبى ، قائلا : « إذا غسل السيد قذر بنات صهيون ، ونقى دم أورشليم من وسطها ؛ بروح القضاء وبروح الإحراق » (إش ٤ : ٤) ، أما « روح القضاء » فهو ذات « روح الإحراق » الذى عبر عنه الرسول بطرس « بالبلوى المحرقة » و « بالقضاء » الذى ابتدأوه « من بيت الله » (١ بط ٤ : ١٢ و ١٧) ، فتكون الإشارة فى هذا « الإحراق » إلى نار تحرق الشوك الذى يخنق الكلمة الإلهية ، وفسره السيد نفسه « له المجد » بأنه « هم هذا العالم وغرور الغنى » ، فنار الآلام تقضى ، بفعل الروح القدس ، قضاء مبرماً على الهموم والغرور ، فتثبت كلمة الحق وتأتى بثمرها الصالح ، كما عبر الرسول بطرس ، أيضاً ، بقوله للمحروسين بالإيمان : « مع أنكم ، الآن! إن كان يجب ، تحزنون ، يسيراً ، بتجارب متنوعة ، لكى تكون تزكية إيمانكم — وهى أثمن من الذهب الفانى ؛ مع أنه يمتحن بالنار — توجد للمدح والكرامة والمجد ، عند استعلان يسوع المسيح » (١ بط ١ : ٦ و ٧ اقرأ ع ٣ —٩) ، لذلك يوصى قائلا : « فإذ قد تألم « المسيح » لأجلنا ، بالجسد ، تسلحوا أنتم ، أيضاً ، بهذه النية ؛ فإن من تألم فى الجسد ، كف عن الخطية » (١ بط ٤ : ١ اقرأ ع ١ — ٦) .

« روح القضاء » هذا ، الذى هو ذات « روح الإحراق » يعود بنا إلى الكلام عن « الصبر » : حيث قال لمؤمنى العبرانيين « صبرتم على مجاهدة آلام كثيرة » ،

ويوقفنا أمام الصبر فى الآلام ، ويبين لنا تفاعل الآلام فى الصبر ، وتفاعل الصبر فى الآلام ، أما تفاعل الآلام فى الصبر ، فيوضحه الرسول يعقوب ، فى قوله : « أحسبوه كل فرح يا إخوتى ! حينما تقعون فى تجارب متنوعة ، عالمين أن امتحان إيمانكم (بالتجارب والآلام) ينشئ « صبراً » ، وأما الصبر فليكن له عمل تام ؛ لكى تكونوا تامين وكاملين ، غير ناقصين فى شىء » (يع ١ : ٢ — ٥) .

وأما تفاعل الصبر فى الآلام ، فيتبين فيما يحدثه الصبر فى المتألمين من السرور بالآلام ؛ الذى عبر عنه الرسول بولس ، فى قوله : « لذلك أسر بالضعفات والشتائم والضرورات والاضطهادات والضيقات لأجل المسيح ، لأنى حينما أنا ضعيف ، فحينئذ أنا قوى » (٢ كو ١٢ : ١٠) ، وكيف لا تسمو نغمة الآلام فى المؤمن ! لا إلى نغمة السرور ، فحسب ؛ بل ترتفع إلى نغمة الافتخار الأسمى التى عبر عنها ذات الرسول ، أيضاً ، قائلا : « بل نفتخر ، أيضاً ، فى الضيقات ، عالمين أن الضيق ينشىء صبراً ، والصبر تزكية ، والتزكية رجاء ، والرجاء لا يخزى ؛ لأن محبة الله قد انسكبت فى قلوبنا بالروح القدس المعطى لنا » (رو ٥ : ٣ — ٥) .

الآن ، وقد رأينا العلاقة العامة بين الإنارة والصبر فى قوله : «بعد ما أنرتم صبرتم» كما رأينا العلاقة بين الصبر والآلام ، فى قوله « صبرتم على مجاهدة آلام كثيرة » : سنتقدم ، بروح الله ، لمعرفة « الآلام » الخاصة بأولئك العبرانيين ، مبينة فى قوله :

« من جهة : مشهورين بتعييرات وضيقات » :

هذه هى آلام الشهرة ، التى سبق الكلام عنها فى مقدمة الكلام عن الآيات الثلاث (ع ٣٢ — ٣٤ راجع تلك المقدمة) حيث يبين الرسول ، هذا النوع من الآلام ، مبتدئاً بالقول :

« من جهة » :

هذه هى الكلمة ، التى يعبر بها الرسول عن النوع المباشر من مجاهدة الآلام الكثيرة التى وقعت عليهم من أعدائهم موضحاً إياها بالقول :

« مشهورين بتعييرات وضيقات » :

رأينا ، فيما سبق ابتداء القضاء « من بيت الله » (١ بط ٤ : ١٧) : كما رأينا وقوع هذا القضاء أولا فى « إبن الله » « العود الرطب » — (لو ٢٣ : ٣١) — « رب المجد » (١كو ٢ : ٨) : لذلك يجدر بنا : أن نرى هنا هذه التعييرات والضيقات ، أيضاً ، واقعة ، أولا ، على هذا الإبن المبارك ؛ كما قال بلسان المرنم: «تعييرات معيريك وقعت على » (مز ٦٩ : ٩) ، ويفسر لنا الرسول بولس هذا المكتوب بقوله : « لأن المسيح ، أيضاً ، لم يرض نفسه ، بل كما هو مكتوب : تعييرات معيريك وقعت على » (رو ١٥ : ٣) : محققاً لنا بأن الناطق بهذه الكلمات ، بلسان المرنم ، هو السيد المسيح نفسه ، الذى ، بروحه « سبق فشهد ، فى الأنبياء ، بالآلام التى للمسيح والأمجاد التى بعدها » (١ بط ١ : ١٠ و ١١) .

بمقتضى هذه الكلمة النبوية ، تعتبر « التعييرات » التى وقعت على المسيح ، فى كل معناها ، واقعة على أبيه ، كما عبر السيد نفسه ، بمكتوب آخر من ذات المزمور ، قائلا عن اليهود : « أبغضونى أنا وأبى . . . لكى تتم الكلمة المكتوبة فى ناموسهم « إنهم أبغضونى بلا سبب » (يو ١٥ : ٢٤ و ٢٥ قابل مز ٦٩ : ٤) ، ومن يستطيع أن يعبر عن « التعييرات » التى عير بها أولئك اليهود الآب الصالح ، فى شخص ابنه الحبيب وهى « تعييرات » متنوعة — منها قولهم له : « إننا لم نولد من زنا : لنا أب واحد وهو الله » (يو ٨ : ٤١) ، وذلك رداً على إنكاره عليهم أنهم أولاد إبراهيم (اقرأ يو ٨ : ٣٩ — ٤١) قائلين له : « ألسنا نقول حسناً ، إنك سامرى وبك شيطان » (يو ٨ : ٤٨) ، منكرين عليه نسبته إلى إبراهيم وإلى الله ، معيرينه بأنه ليس يهودياً ، معتبرين إياه أجنبياً مجدفاً ، جاعلا نفسه إلهاً وهو إنسان (يو ١٠ : ٣٣) كذلك هزأوا به وبصقوا فى وجهه ولكموه ولطموه (مت ٢٦ : ٦٧) .

ويا للعار الذى لحقه ! حين سلمه الوالى لعسكره فأخذوه إلى دار الولاية وجمعوا عليه كل الكتيبة ، فعروه وألبسوه رداء قرمزياً وضفروا إكليلا من شوك ووضعوه على رأسه وقصبة فى يمينه ، وكانوا يجثون قدامه ويستهزئون به ، قائلين : « السلام

يا ملك اليهود » وبصقوا عليه وأخذوا القصبة (التى وضعوها فى يده كصولجان ملك) وضربوه على رأسه (مت ٢٧ : ٢٧ — ٣٠) متممين تلك « الكلمة النبوية » الثابتة التى نطق بها بلسان الرائى إشعياء ، قائلا : « بذلت ظهرى للضاربين وخدى للناتفين ، وجهى لم أستر عن العار والبصق » (إش ٥٠ : ٦) .

وهكذا ، وهو على الصليب ، كان المجتازون يهزأون به ، ويهزون رؤوسهم ويعيرونه ، وكذلك رؤساء الكهنة ، أيضاً ، مع الكتبة والشيوخ ، كانوا يستهزئون به ، وكذا اللصان المصلوبان معه كانا يعيرانه (مت ٢٧ : ٣٩ — ٤٤) ، وهكذا أتم الجميع تلك الكلمة النبوية ، التى نطق بها بلسان المرنم ، قائلا : « أما أنا ، فدودة « لا إنسان » ، عار عند البشر ، ومحتقر الشعب ، كل الذين يروننى يستهزئون بى ، يفغرون الشفاه ، وينغضون الرأس قائلين : « اتكل على الرب فلينجيه . لينقذه ؛ لأنه سر به » (مز ٢٢ : ٦ — ٨ اقرأ كل المزمور) : « صرت أجنبياً عند إخوتى وغريباً عند بنى أمى . . . وأبكيت بصوم نفسى ؛ فصار ذلك عاراً على ، جعلت لباسى مسحاً : وصرت لهم مثلا ، يتكلم فى الجالسون فى الباب ، وأغانى شرابى المسكر » (مز ٦٩ : ٨ — ١٢ اقرأ مز ٢٢ : ١ — ٢١ مع مز ٦٩ : ١ — ٢١) ، هذه هى الكلمات الصعبة ، التى تكلم بها عليه خطاة فجار » (يه ١٥) .

وإن كان السيد والمعلم يعير ويهزأ به ، وفيه يعير الآب القدوس ، فهل هو كثير أن يعير التلاميذ والإخوة والأبناء ؟ بمقتضى ما قاله لهم : « إن كانوا قد لقبوا رب البيت «بعلزبول» فكم بالحرى أهل بيته » ؟ (مت ١٠ : ٢٥) ، لذلك ، فى خطاب العرش ينبئ السيد تلاميذه بهذا التعيير ، ليعدهم له ، قائلا : « طوبى لكم ، إذا عيروكم وطردوكم ، وقالوا عليكم كل كلمة شريرة ، من أجلى ، كاذبين » (مت ٥ : ١١) ، ولذات المناسبة ، يوصى الرسول بطرس ، قائلا : « أيها الأحباء ! أطلب إليكم ، كغرباء ونزلاء ، أن تمتنعوا عن الشهوات الجسدية التى تحارب النفس ، وأن تكون

سيرتكم ، بين الأمم ، حسنة ؛ لكى يكونوا فى ما يفترون عليكم كفاعلى شر ؛ يمجدون الله ، فى يوم الافتقاد من أجل أعمالكم الحسنة ، التى يلاحظونها» (١ بط ٢ : ١١ و١٢) : أى فى يوم إعلان الحق وظهوره .

هذه « التعييرات » ولابد ، وقعت على أولئك العبرانيين وسببت لهم « مجاهدة آلام كثيرة صبروا عليها ، محتملين إياها :

« مشهورين » :

وهى كلمة تعبر بالأخص عن الذين يأتون بهم إلى المنصات العمومية ، معرضين لكل أنواع العقوبات والبلايا ؛ ليكونوا كالذين أشار إليهم الرسول بولس ، بالقول : « فإنى أرى ، أن الله أبرزنا ، نحن الرسل ، آخرين ؛ كأننا محكوم علينا بالموت ؛ لأننا صرنا « منظراً » للعالم : للملائكة والناس » (١ كو ٤ : ٩) .

أما الكلمة « منظراً » فى أصلها اليونانى ؛ فتدخل بنا إلى مشهد من مشاهد الألعاب الأولمبية ؛ حيث يشاهد الناظرون فى تلك المسارح ، ويرون عجباً من البلايا التى تقع على بعض الناس فى تلك المشاهد : وهم يقاتلون بعضهم بعضاً : أو يحاربون الوحوش الضارية ؛ حتى يسقطوا ضحايا الافتراس والقتل : ولعل هذا هو ما أشار إليه الرسول بولس ، أيضاً مجازياً ، عن نفسه فى قوله : « حاربت وحوشاً فى أفسس » (١ كو١٥ : ٣٢ قابل ٢ تى ٤ : ١٤ — ١٧) ، وربما ، فى قوله هذا ، كان يذكر ذلك المشهد الوحشى ، الذى رآه فى أفسس ، فى يوم عيد أرطاميس إلهة الأفسسيين ، وقد وصفه لوقا بالقول : « امتلأت المدينة كلها اضطراباً واندفعوا ، بنفس واحدة إلى المشهد ، خاطفين معهم غايوس وأرسترخس المكدونيين ، رفيقى بولس فى السفر ، ولما كان بولس يريد أن يدخل بين الشعب ، لم يدعه التلاميذ ، وأناس من وجوه أسيا ، كانوا أصدقاءه ، أرسلوا يطلبون إليه أن لا يسلم نفسه إلى المشهد » (أع ١٩ : ٢٩ — ٣١) .

وهل كان « بولس الرسول » أمام هذه المشاهد ، يذكر ما فعله « شاول » الطرسوسى ، تشهيراً بالمؤمنين ؛ كما أفادنا لوقا ، أيضاً ، بقوله : « أما شاول فكان يسطو على الكنيسة ، وهو يدخل البيوت ويجر رجالا ونساء ، ويسلمهم إلى السجن »

(أع ٨ : ٣ قابل ٩ : ١ و ٢ و١٣ و ٢١) ، يا للتشهير والتعيير المتضمنين فى الكلمة «مشهورين » (انظر مت ١ : ١٩ راجع شرح ص ٦ : ٦) ، هكذا صار أولئك العبرانيون مشهداً « مشهورين بتعييرات » :

« وضيقات » :

وما أقسى ! أن تقترن التعييرات بالضيقات ! أو ليس فى التعييرات « ضيقات » ؟ فلماذا يختص الرسول « الضيقات » هنا بالذكر ؟ لا عجب ! فإنه وهو الذى ، فى آسيا : كان هو وأحد رفقائه فى الخدمة « يشددان أنفس التلاميذ ويعظانهم ، أن يثبتوا فى الإيمان ، وأنه « بضيقات كثيرة » ينبغى أن ندخل ملكوت الله » (أع ١٤ : ٢٢) ، ويحق له أن يشدد هكذا ويعظ ، عن اختيار فى كل حياة خدمته ؛ كما أوضح فى قوله « فإننا لا نريد أن تجهلوا ، أيها الإخوة ! من جهة « ضيقتنا » التى أصابتنا فى آسيا ، أننا تثقلنا ، جداً فوق الطاقة ؛ حتى أيسنا من الحياة ، أيضاً ، لكن كان لنا ، فى أنفسنا ، حكم الموت ؛ لكى لا نكون متكلين على أنفسنا ؛ بل على الله ، الذى يقيم الأموات » (٢ كو ١ : ٨ و ٩ اقرأ ع ٣ — ١٠) .

فلا عجب ! أن نسمعه يشيد بالضيقات ، قائلا : « نفتخر ، أيضاً ، فى الضيقات ، عالمين أن الضيق ينشىء صبراً ، والصبر تزكية ، والتزكية رجاء ، والرجاء لا يخزى » (رو ٥ : ٣ — ٥ اقرأ ع ١ — ٥) ، وفى كل ذلك ، إنما يتبع طريق المعلم العظيم الذى نبه تلاميذه ، قائلا : « فى العالم سيكون لكم ضيق » : مشجعاً إياهم ومشدداً أياديهم بالقول : « ولكن ثقوا أنا قد غلبت العالم » (يو ١٦ : ٣٣) ، ناصحاً جميع المؤمنين أن يدخلوا من « الباب الضيق » وأن يسيروا فى « الطريق الكرب » لأنه « ما أضيق الباب وأكرب الطريق ! الذى يؤدى إلى الحياة ، وقليلون هم الذين يجدونه » (قابل مت ٧ : ١٣ و ١٤ مع لو ١٣ : ٢٤ — ٣٠) .

أو لم نسمع ؟ ما يقوله الرائى اللاهوتى عن شركة « الضيقات » » التى لجميع المؤمنين ؟ وهو يكتب إلى الكنائس السبع ، التى فى أسيا ، عن نفسه ، قائلا : « أنا يوحنا . . كنت فى الجزيرة التى تدعى بطمس(منفياً) من أجل كلمة الله ، ومن أجل

شهادة يسوع المسيح » (رؤ ١ : ٩) : وقد نظر ، فى رؤياه « وإذا جمع كثير ! لم يستطع أحد أن يعده ، من كل الأمم والقبائل والشعوب والألسنة ، واقفون أمام العرش وأمام الخروف ، متسربلين بثياب بيض ، وفى أيديهم سعف النخل ، وهم يصرخون... قائلين : «الخلاص لإلهنا الجالس على العرش وللخروف » . وسمع أحد الشيوخ يقول له : « هؤلاء هم الذين أتوا من الضيقة العظيمة » (رؤ ٧ : ٩ و١٠ و ١٤ اقرأ ع ٩ — ١٧) .

إذاً ، لابد ، أن هؤلاء العبرانيين قد دخلوا فى ضيقات شديدة ، بسبب الاضطهادات المرة التى وقعت عليهم من اليهود إخوتهم ؛ حتى قيل عنهم « من جهة : مشهورين بتعييرات وضيقات » :

« ومن جهــة » :

نوه الرسول — فى الجملة السابقة — عن نوع من الآلام وضعناه تحت عنوان «آلام الشهرة » فى القول « مشهورين » بتعييرات وضيقات » ، وقد رأينا هذا النوع ، وها نحن الآن أمام النوع الثانى ، الذى وضعناه ، تحت عنوان « آلام الشركة » منوهاً عنه ، بالقول « ومن جهة » :

« صائرين شركاء الذين تصرف فيهم هكذا » :

حيث نتبين آلاماً اشترك فيها هؤلاء العبرانيون مع آخرين ، واقعين تحت ذات الآلام ، ولعل هذا هو ما نبه إليه الرسول بطرس ، فى تحذيره ، قائلا : « اصحوا واسهروا ؛ لأن إبليس خصمكم ، كأسد زائر ، يجول ملتمساً من يبتلعه هو ؛ فقاوموه راسخين فى الإيمان ، عالمين ، أن نفس هذه الآلام تجرى على إخوتكم الذين فى العالم ، وإله كل نعمة ، الذى دعانا إلى مجده الأبدى ، فى « المسيح يسوع » بعد ما تألمتم يسيراً ، هو يكملكم ويثبتكم ويقويكم ويمكنكم ، له المجد والسلطان إلى أبد الآبدين آمين » (١ بط ٥ : ٨ — ١١) .

على هذا الأساس ، يقول الرسول بولس لهؤلاء العبرانيين : اذكروا المقيدين ؛ كأنكم مقيدون معهم ، والمذلين كأنكم أنتم ، أيضاً ، فى الجسد » (انظر شرح ص ١٣ :

٣) ، على مبدأ القول : « فرحاً مع الفرحين ، وبكاء مع الباكين » (رو ١٢ : ١٥) ، هذه هى آلام الشركة التى رآها بولس واقعة على مؤمنى العبرانيين ، بوصف كونهم « شركاء الذين تصرف فيهم هكذا » مبيناً تلك الشركة ، قائلا :

« لأنكم رثيتم لقيودى ، أيضاً » :

هنا بيان النوع الثانى من الآلام ، الذى وضعناه تحت عنوان « آلام الشركة » : وقد قدم الرسول الكلام عن هذا النوع الثانى على الكلام عن النوع الأول ؛ الذى هو « آلام الشهرة » لسبب سنبينه بعد ، لذلك يقول عنهم كشركاء :

« رثيتم لقيودى » :

أى أنهم رثوا لحالة بولس ، فى قيوده ، التى تقيد بها موثقاً بالسلاسل ، فى تأدية خدمته كرسول للأمم ، وهى القيود التى عبر عنها ، بكلمات صريحة ، فى ميليتس ، لقسوس كنيسة أفسس ، قائلا : « الآن ! ها أنا أذهب ، إلى أورشليم ، مقيداً بالروح ، لا أعلم ماذا يصادفنى هناك ، غير أن الروح القدس يشهد ، فى كل مدينة ، قائلا : « إن وثقاً وشدائد تنتظرنى » (أع ٢٠ : ٢٢ و٢٣ اقرأ ع ١٧ — ٢٤) .

وفى قيصرية ، فى بيت فيلبس المبشر ، إذ تنبأ أغابوس ، بأن اليهود ، فى أورشليم ، سيربطونه ويسلمونه إلى أيدى الأمم ، طلب منه الإخوة بإلحاح ودموع ، أن لا يصعد إلى أورشليم ، فأجابهم بحزم وعزم شديدين ، قائلا : « ماذا تفعلون ؟ تبكون وتكسرون قلبى ؛ لأنى مستعد ، ليس أن أربط فقط ؛ بل أن أموت ، أيضاً ، فى أورشليم ، لأجل اسم الرب يسوع » (أع ٢١ : ١٣ اقرأ ع ٧ — ١٦) .

هكذا تمت نبوة أغابوس : واحتمل بولس « القيود كمذنب » » (٢ تى ٢ : ٩ قابل أع ٢٦ : ٢٩ و ٢٨ : ١٧ مع ٢ تى ١ : ٨) ، وما أروع ما عبر به هذا الرسول عن وثقه ، فى بعض رسائله ، قائلا : « حتى إن وثقى صارت ظاهرة « فى المسيح » فى كل دار الولاية (الرومانية) وفى باقى الأماكن أجمع : وأكثر الإخوة ، وهم واثقون « فى الرب » « بوثقى » يجترئون ، أكثر ، على التكلم بالكلمة بلا خوف » (فى ١ : ١٣ قابل ع ٧ مع كو ٤ : ٣ و ١٨) .

وما أجمل ! تعبيره : « الذى ولدته فى قيودى » ، وهو يكتب عن ابنه أنسيمس ، الذى ولده فى قيود ، وهو أسير فى رومية (فل ١ و٩ و ١٠ اقرأ كل الرسالة) ، وليس بغريب أن يفتخر بولس بهذه الوثق ، التى أعدها له « رب المجد » وأعلنها بلسان حنانيا ، فى دمشق ، قائلا : « هذا لى إناء مختار ؛ ليحمل اسمى أمام أمم وملوك بنى إسرائيل ؛ لأنى سأريه : كم ينبغى أن يتألم من أجل اسمى » ، وقد كان الروح القدس يريه ما ينتظره ، فى كل مكان ، من الشدائد والآلام ، ولكنه كان على أتم استعداد لتحمل كل ما يأتى عليه مفتخراً ، كما نوه لقسوس أفسس ، قائلا : « لست أحسب لشىء : ولا نفسى ثمينة عندى ، حتى أتمم ، بفرح ، سعيى ، والخدمة التى أخذتها من « الرب يسوع » لأشهد ببشارة نعمة الله » (قابل أع ٩ : ١٥ و ١٦ مع ٢٠ : ٢٤) : إلى هذه القيود يشير الرسول قائلا لجماعة العبرانيين :

« رثيتم .... أيضاً » :

فإن الكلمة «أيضاً» تعطينالمحة إلىأن هذا الرثاء لقيود الرسول ، كان من العبرانيين ، بالإضافة إلى آلام الشركة مع الآخرين الموضحة فى القول « صائرين شركاء الذين تصرف فيهم هكذا » : فبالإضافة إلى هذه الشركة العامة ، يشير الرسول ، إلى هـــذا الرثاء الخاص لقيوده التى سبق الكلام عنها :

أما الرثاء ، فقد تعبر عنه دموع الباكين وقلوبهم المنكسرة من أجل المقيدين ؛ كما سبق أن رأينا (أع ٢١ : ١٣ اقرأ ع ١٠ — ١٤) ، وقد يعبر عنه ، برفع الصلوات والأدعية إلى العرش السماوى ، شركة مع المقيدين (أع ١٢ : ٥ اقرأ كل الأصحاح) ، وقد يعبر عنه بالاشتراك معهم فى قيودهم وعدم الخجل منهم (٢ تى ١ : ٨ و ١٥ — ١٧) . وكم يكون التعبير عنه مجيداً ! إذا اقترن بخدمة إيجابية لأولئك المقيدين ، كما فعل فيلكس الوالى ، حين أصدر أمره إلى قائد المئة أن يحرس بولس ، وتكون له رخصة ، وأن لا يمنع أحداً من أصحابه أن يخدمه ؛ أو يأتى إليه (أع ٢٤ : ٢٣ اقرأ ع ٢٢ — ٢٤) . وكما فعل الإخوة فى فيلبى ، مما نوه عنه بولس بأسمى الإشارات

والتعبيرات ، قائلا « قد أزهر ، أيضاً مرة ، اعتناؤكم بى ، الذى كنتم تعتنونه ، ولكن لم تكن لكم فرصة . . . غير أنكم فعلتم حسناً ، إذ اشتركتم فى ضيقتى . . . قد امتلأت ، إذ قبلت من أبفرودتس الأشياء التى من عندكم ، نسيم رائحة طيبة ، ذبيحة مقبولة مرضية عند الله ، فيملأ إلهى كل احتياجكم » (اقرأ فى ٤ : ١٠ — ٢٠) .

وكم يكون الرثاء للمقيدين والمذلين فى أسمى درجاته ! إذا وصل إلى القمة فى وضع الأعناق استعداداً للموت فى شركة الآلام مع المتألمين ؛ كما قيل : « سلموا على بريسكلا وأكيلا العاملين معى فى « المسيح يسوع » ، اللذين وضعا عنقيهما من أجل حياتى ، اللذين ، لست أنا وحدى أشكرهما ؛ بل ، أيضاً ، جميع كنائس الأمم » (رو ١٦ : ٣ و ٤) ، فما أمجد الرثاء وأبهاه ! إذا وصل إلى هذا السمو الفائق ، جامعاً لكل ما قيل عنه فى آلام الشركة تحت عنوان : « صائرين شركاء الذين يصرف فيهم هكذا » ، أما آلام الشهرة فتتبين فى القول :

« قبلتم سلب أموالكم بفرح » :

يرجع بنا هذا الكلام إلى آلام الشهرة المعبر عنها بالقول « من جهة مشهورين بتعييرات وضيقات باعتبار أن سلب أموالهم يزيد فى تعييراتهم وضيقاتهم ، وهــذا هو أول ما يفعله أعداء الإنجيل ، بالمؤمنين فى زمان الإضطهاد ، أن يسلبوا أموالهم ، ويجردوهم من ضرورات الحياة وحاجيات المعيشة فيضايقونهم وعائلاتهم ، حتى يصيروا « معتازين ، مكروبين » (انظر شرح ص ١١ : ٣٧) : وذلك يفعلونه عن طريقة :

« سلب » :

وهى طريقة الانتزاع قهراً ، بقوة غاشمة — طريقة تسلط القوة على الحق ، بهذه الطريقة انتزعوا أموالهم ، سالبين إياها ، لا للانتفاع بها ، فحسب ؛ بل ، أيضاً ، شفاء لغليلهم . وإطفاء لنار حقدهم ، على قديسى المسيح ؛ لإيقاعهم فى الدمار ، وهــذا هو ما فعله الشيطان بأيوب « لأنه ليس مثله فى الأرض ، رجل كامل ومستقيم ، يتقى

الله ويحيد عن الشر » (أى ١ : ٨) . وهكذا يفعل العالم بتلاميذ المسيح ؛ لأنه يبغضهم ، كما يبغض سيدهم (يو ١٥ : ١٨ و ١٩) . أما مؤمنو العبرانيين ؛ فإنهم ، إزاء هذه القوة خضعوا وتم فيهم القول :

« وقبلتم » :

وماذا كان يمكنهم أن يعملوا إزاء تلك القوة السالبة القاهرة ؟ ماذا كان يمكن أن يفعل أيوب أمام كل قوات الجحيم ، التى تسلمته وأعطيت إذناً من الإله القدير ؟ : ماذا كان عليه أن يفعل ، وقد توالت عليه الأخبار ، وتواردت تباعاً عن « السبئيين الذين أخذوا البقر والأتن سلباً ونهباً ؟ وعن « نار الله التى سقطت من السماء » فأحرقت الغنم والغلمان ؟ وعن الكلدانيين الذين هجموا على الجمال وأخذوها ؟ وعن الريح الشديدة التى صدمت زوايا البيت فسقط على البنين والبنات فماتوا » ؟ (اقرأ أى ١ : ١٣ — ١٩) : هل يمكن لإنسان ما ، إزاء هذه القوات القاهرة السالبة ، إلا أن يقبل مرغماً مقهوراً ، ولكن الرسول يقول « قبلتم سلب أموالكم » :

« بفـــرح » :

وما أعجب فعل الفرح إزاء الآلام ! وما أقوى تأثيره الفعال ! فى نزع الشعور بالآلام ، وقلبه إلى شعور بفرح عميق ! هو الفرح بالرب ، الذى أوصى الرسول ، مشدداً قائلا : « افرحوا فى الرب ، كل حين ، وأقول ، أيضاً ، افرحوا » (قابل فى ٣ : ١ و ٤ : ٤) .

بذات الفكر الذى أعلنه السيد المسيح ، فى تطوبياته العجيبة ؛ وهو يلقى خطـــاب عرشه المجيد ، فوق الجبل ، قائلا « طوبى لكم إذا عيروكم وطردوكم وقالوا عليكم كل كلمة شريرة ، من أجلى كاذبين ، افرحوا وتهللوا (مت ٥ : ١١ و ١٢) ، بل ما أشد تأثير هذا الفرح فى قلب أوضاع الاضطهاد عينه ، عند ذات المضطهدين ، ونزع روح الاضطهاد منهم ! كما بينه ، أيضاً ، رب المجد ، فى ذات المطلب ! وما أمجد هذا الفرح وذلك التهليل ! اللذين بهما فاضت قلوبهم ، عندما جلدوا ؛ حيث

قيل : « فذهبوا فرحين أمام المجمع ؛ لأنهم حسبوا مستأهلين أن يهانوا من أجل اسمه » (أع ٥ : ٤١ اقرأ ١٧ – ٤٢) .

وهل يمكن أن يكون هذا « الفرح » أمراً طبيعياً لإنسان ما ؟ لم يعرف فى حياته قوة القول الإلهى « تكفيك نعمتى ، لأن قوتى فى الضعف تكمل » كما عرف ذلك الرسول فقال : « لذلك أسر بالضعفات والشتائم والضرورات والاضطهادات والضيقات ، لأجل المسيح ؛ لأنى حينما أنا ضعيف ، فحينئذ أنا قوى » (اقرأ ٢كو ١٢ : ٩ و ١٠ قابل رو ٥ : ١ – ٥) .

وأى عقل يستطيع أن يدرك فعل هذا الفرح عند المضطهدين المتألمين فى تغيير الأوضاع عند المضطهدين الغادرين ؟ ولعل هذا هوما قصده السيد فى قوله ، أيضاً ، فى خطاب العرش « سمعتم أنه قيل عين بعين وسن بسن . وأما أنا فأقول لكم « لا تقاوموا الشر » ، ولم يقف عند هذه الطريقة السلبية ؛ فتقدم عن طريق الإيجاب ، قائلا : بل من لطمك على خدك الأيمن ؛ فحول له الآخر أيضاً ، ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك ، فاترك له الرداء أيضاً ، ومن سخرك ميلا واحداً ؛ فاذهب معه اثنين » (قابل مت ٥ : ٣٨ – ٤١ مع خر ٢١ : ٢٤ و ٢٥ مع لا ٢٤ : ٢٠ وتث ١٩ : ٢١). فإنه ، إذا تمم المضروب أو المسلوب أو المسخر هذا الأمر الإلهى المجيد بفرح القلب بنعمة الرب من أجل المسيح ، فلا بد أن تكون العواقب قلب الأوضاع وتغييرها للتأثير فى قلوب الضاربين والسالبين والمسخرين . ولعل هذا ما حدا بالرسول إلى تذكير أولئك العبرانيين بما فعلوه معبراً عنه بالقول « قبلتم سلب أموالكم بفرح » :

« عالمين فى أنفسكم » :

رابطاً بين فرحهم وعلمهم ربطاً محكماً . كثيراً ما يكون للجهل فاعلية قوية ، كسبب من أسباب الحزن ، كما يتبين من قول الرسول لجماعة التسالونيكيين : « ثم لا أريد أن تجهلوا أيها الإخوة من جهة الراقدين، لكى لا تحزنوا » (١تس ٤ : ١٣) . فإذا نزع الجهل زال الحزن والهم والغم ، أما العلم ، فى ذاته ، فهو فى النفس ، ذلك اليقين التام ، الذى عبر عنه الرسول ، أيضاً ، فى قوله : « لهذا السبب أحتمل هذه الأمور ، أيضاً ، لكننى لست أخجل ؛ لأننى عالم بمن آمنت ، وموقن أنه قادر أن

يحفظ وديعتى إلى ذلك اليوم » (٢ تى ١ : ١٢) ، وفى قوله ، أيضاً « ونحن نعلم أن كل الأشياء (خيرها وشرها) تعمل معاً للخير ، للذين يحبون الله ، الذين هم مدعوون حسب قصده ؛ لأن الذين سبق فعرفهم (فى اختيار نعمته ومحبته) سبق فعينهم ، ليكونوا مشابهين صورة ابنه ؛ ليكون هو بكراً ؛ بين إخوة كثيرين ، والذين سبق فعينهم ؛ فهؤلاء دعاهم أيضاً ، والذين دعاهم فهؤلاء بررهم أيضاً ، والذين بررهم فهؤلاء مجدهم أيضاً » ((رو ٨ : ٢٨ — ٣٠) .

علم هو يقين تام ، مبنى على شهادة الآب التى شهد بها عن ابنه يوم أن قال : « هذا هو ابنى الحبيب » (قابل مت ٣ : ١٧ و ١٧ : ٥ مع مر ٩ : ٧ مع لو ٩ : ٣٥ اقرأ ٢ بط ١ : ١٦ — ١٨) ، ومن يؤمن بابن الله ، فعنده الشهادة فى نفسه » (١ يو ٥ : ١٠) والشهادة فى النفس لا تحتاج إلى برهان تستند إليه ، ولا إلى دليل تقوم عليه ، إذ تصبح فى النفس ، قضية أولية بديهية « لأن مهما كانت مواعيد الله ؛ فهو فيه النعم ، وفيه الأمين ؛ لمجد الله بواسطتنا » (٢ كو ١ : ٢٠) .

علم يقينى مبنى على شهادة « الروح القدس » الذى « يشهد لأرواحنا : أننا أولاد الله ، فإن كنا أولاداً ؛ فإننا ورثة ، أيضاً ، ورثة الله ووارثون مع المسيح ، إن كنا نتألم معه ، لكى نتمجد ، أيضاً ، معه » (رو ٨ : ١٦ و ١٧) : وذلك بالإضافة إلى الثقة التامة بالعناية الإلهية ؛ لإتمام المقاصد الربانية الأزلية ، التى نوه بها الرسول ، قائلا « ولكن الرب وقف معى وقوانى ؛ لكى تتم بى الكرازة ، ويسمع جميع الأمم ، فأنقذت من فم الأسد ، وسينقذنى الرب من كل عمل ردىء ، ويخلصنى لملكوته السماوى . الذى له المجد إلى دهر الدهور آمين » (٢ تى ٤ : ١٧ و ١٨) .

علم يقينى مبنى على أساس متين فى نفوس المؤمنين ، يتولد منه « فرح لا ينطق به ومجيد » (١ بط ١ : ٨) ، يرفعهم فوق كل الآلام مهما اشتدت وكثرت ، يشجع به الرسول جماعة العبرانيين ، قائلا « قبلتم اسلب أموالكم بفرح ، عالمين فى أنفسكم » :

« إن لكم مالا أفضل ، فى السموات وباقيا »

تعويض لا يقدر ، مال عوض مال ، مال أفضل من المال الذى سلب منهم .

وهل يحتاج الأمر إلى تدليل لتحقيق هذه الأفضلية والبحث عنها ؟ وقد أغنانا الرسول عن هذا البحث والتدليل ؛ إذ وصف هذا المال بأمرين جليلين : أولهما . أنه مال « فى السموات » وثانيهما — كونه مالا « باقياً » :

« فى السموات » :

وهل « فى السموات » أموال ؟ إن هذا التعبير مجازى استعارى بينه الملك السماوى ، فى خطاب العرش ، الذى أشرنا إليه سابقاً فى قوله : « لا تكنزوا لكم كنوزاً على الأرض ؛ حيث يفسد السوس والصدأ : وحيث ينقب السارقون ويسرقون ؛ بل اكنزوا لكم كنوزاً فى السماء ؛ حيث لا يفسد سوس ولا صدأ ، وحيث لا ينقب سارقون ، ولا يسرقون ؛ لأنه ، حيث يكون كنزك ، هناك يكون قلبك ، أيضاً » (مت ٦ : ١٩ — ٢١ قابل لو ١٢ : ٣٣ و ٣٤) .

هذا هو الذى عبر عنه الرسول بطرس بالقول : « لميراث لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل ، محفوظ ، فى السموات ، لأجلكم ، أنتم الذين ، بقوة الله ، محروسون ، بإيمان ، لخلاص مستعد أن يعلن ، فى الزمان الأخير ، الذى به تبتهجون ، مع أنكم ، الآن ، إن كان يجب ، تحزنون يسيراً بتجارب متنوعة » (١ بط ١ : ٤ — ٦ اقرأ ع ٣ — ٩) . هذا هو الوصف الأول للمال « فى السموات » . أما الوصف الثانى فهو :

« باقيـاً » :

ليس فقط لأنه « لا يفنى » كما قيل سابقاً ، بل ، أيضاً ، لأنه « لن ينزع » ، كما قيل « فاختارت مريم النصيب الصالح ، الذى لن ينزع منها » (لو ١٠ : ٤٢) . وهو قول نطق به السيد عن « مريم » فى اختيارها الجلوس عند قدميه تستمع إلى كلام النعمة الخارج من فمه (اقرأ لو ١٠ : ٣٨ — ٤٢ انظر ص ٤ : ٢٢ اقرأ ع ١٦ — ٢٢) .

وأى مال أفضل من ذلك « الفرح » العظيم ، الذى يملأ القلب بهجة وسروراً ، الذى أشار إليه السيد المسيح ، فى خطابه الوداعى ، قائلا لتلاميذه : « عندكم الآن حزن ، ولكنى سأراكم ، أيضاً ، فتفرح قلوبكم ، ولا ينزع أحد فرحكم منكم » (يو ١٦ : ٢٢) : وأى مال أفضل ، مما نوه عنه ، أيضاً ، قائلا لهم : «لا تخف أيها القطيع الصغير ، لأن أباكم قد سر أن يعطيكم الملكوت » (لو ١٢ : ٣٢) .

الآن ! وقد انتهينا من تذكير الرسول أولئك العبرانيين بالأيام السالفة فى إنارتهم وصبرهم فى الآلام ، وفرحهم فى الضيقات ، سنتقدم الآن إلى :

الفصل الثانى

تحذيرٌ (عب١٠ : ٣٥ — ٣٧)

٣٥ فَلَا تَطْرَحُوا ثِقَتَكُمُ ٱلَّتِي لَهَا مُجَازَاةٌ عَظِيمَةٌ . ٣٦ لِأَنَّكُمْ
تَحْتَاجُونَ إِلَى ٱلصَّبْرِ حَتَّى إِذَا صَنَعْتُمْ مَشِيئَةَ ٱللهِ تَنَالُونَ ٱلْمَوْعِدَ .
٣٧ لِأَنَّهُ بَعْدَ قَلِيلٍ جِدًّا سَيَأْتِي ٱلْآتِي وَلَا يُبْطِئُ .

فى هذه الآيات الثلاث تحذير من ضياع المجازاة العظيمة ، على أساس الحاجة الملحة إلى الصبر لنوال الموعد ، الذى نراه قريباً جداً على الأبواب ، مبتدئاً بالقول :

(ع ٣٥) « فلا تطرحوا ثقتكم » :

تلك الثقة العظمى التى امتلأوا بها عن علم بأن «لهم « مالا أفضل فى السموات وباقياً » (راجع شرح ع ٣٤) «أكياساً لا تفنى وكنزاً لا ينفد » (لو ١٢ : ٣٣) ، هو « ميراث لا يفنى » (١ بط١ : ٤) ، بل هو ذلك « الملكوت » الذى سر الآب أن يعطيه لقطيعه الصغير (لو١٢ : ٣٢) .

وهى تلك الثقة العظمى ، التى تملأ قلوب المؤمنين بما طوب به السيد المسيح تلاميذه المطرودين والمعيرين ، قائلا : « طوبى لكم إذا عيروكم وطردوكم ، وقالوا عليكم كل كلمة شريرة ، من أجلى ، كاذبين ، افرحوا وتهللوا ؛ لأن أجركم عظيم فى السموات ، فإنهم هكذا طردوا الأنبياء الذين قبلكم » (مت ٥ : ١١ و ١٢) ، تلك هى الثقة ، التى أعطت أولئك العبرانيين قوة لاحتمال محنتهم ، وصبراً فى شديد ضيقتهم ، وفرحاً فى سلب أموالهم : فانتصروا فى جهادهم محمولين بقوة النعمة الإلهية ؛ كما لو كانوا على « أجنحة النسور » (قابل خر ١٩ : ٤ مع تث ٣٢ : ١٠ — ١٢ مع رو ١٢ : ١٣ و ١٤) : « فرحين فى الرجاء ، صابرين فى الضيق ، مواظبين على الصلاة » (رو١٢ : ١٢) ، إلى تلك « الثقة » العظمى ؛ يشير الرسول ، حاضاً إياهم ، قائلا :

« لا تطرحوا » :

«لا تطرحوا» : أى «لا تطرحوا ثقتكم» لا بمعنى التمسك بها ؛ فحسب : ولا بمعنى مجرد المحافظة عليها فى أنفسهم ، أيضاً ، حيث هى متأصلة وثابتة ، بل ، أيضاً ؛ وبالأكثر جداً بمعنى الممارسة العملية ، ولعل هذا هو ذات المعنى ، فى نصيحة الرسول بطرس للخدام ؛ حيث يقول لهم : « أيها الخدام ! كونوا خاضعين ، بكل هيبة ، للسادة ، ليس للصالحين المترفقين فقط ، بل للعنفاء ، أيضاً ؛ لأن هذا فضل إن كان أحد ، من أجل ضمير نحو الله ، يحتمل أحزاناً ، متألماً بالظلم ، لأنه ؛ أى مجد هو ؟ إن كنتم تلطمون مخطئين ؛ فتصبرون ؟ بل ، إن كنتم تتألمون عاملين الخير فتصبرون ؛ فهذا فضل « عند الله » (١ بط٢ : ١٨ ــ ٢٠) .

هذا هو المعنى الحقيقى الإيجابى لثقة المؤمنين الحقيقيين ، التى تعطيهم امتيازاً فائقاً ، ليكونوا « رعية مع القديسين وأهل بيت الله » (أف ٢ : ١٩) . كما بينه الرسول ، أيضاً لهؤلاء العبرانيين قائلا : « أما المسيح فكابن على بيته ، وبيته نحن ، إن تمسكنا بثقة الرجاء وافتخاره ثابتة إلى النهاية » معلناً ما يتمناه لنفوسهم من الثبات فى هذه الثقة فى قوله : « ولكننا نشتهى ، أن كل واحد منكم يظهر هذا الاجتهاد عينه ، ليقين الرجاء إلى النهاية » (راجع شرح ص ٣ : ٦ و ٦ : ١١ و ١٠ : ١٩ ــ ٢٣) . هكذا كان لابد للرسول هنا ، للسير فى جهادهم ، أن يحذرهم من ضياع هذه الثقة ، قائلا « فلا تطرحوا ثقتكم » :

« التى لها مجازاة عظيمة » :

هذه المجازاة لها ، حتماً ، وجهتان : فهى من الوجهة الواحدة ، تتصل بمجازاة المضطهدين العنفاء والظالمين المتجبرين المضايقين ، وهى ، من هذه الوجهة دينونة رهيبة : وما أرهب التعبير عنها فى فتح الختم السادس ؛ حيث يقول الرائى اللاهوتى : « نظرت . . . وإذا زلزلة عظيمة حدثت ، والشمس صارت سوداء كمسح من شعر ، والقمر صار كالدم ، ونجوم السماء سقطت إلى الأرض . . . والسماء انفلقت كدرج ملتف ، وكل جبل وجزيرة تزحزحا من موضعهما ، وملوك الأرض والعظماء والأغنياء

والأمراء والأقوياء ، وكل عبد وكل حر : اخفوا أنفسهم فى المغاير وفى صخور الجبال وهم يقولون للجبال والصخور : « أسقطى علينا وأخفينا : عن وجه الجالس على العرش ، وعن غضب الخروف ؛ لأنه قد جاء يوم غضبه العظيم ، ومن يستطيع الوقوف ». (قابل رؤ ٦ : ١٢ ــ ١٧ مع ٢٠ : ١١ ــ ١٥).

ومن الوجهة الثانية ، تتصل بمكافأة الذين احتملوا الآلام من أولئك المضايقين ، بفرح عظيم وصبر جميل ؛ من أجل سيدهم ، وما أعظم تلك المكافأة ، التى وصفها الرائى ، أيضاً ، فى قوله : « نظرت ، وإذا جمع كثير لم يستطع أحد أن يعده . . . واقفون أمام العرش وأمام الخروف ، متسربلين بثياب بيض ، وفى أيديهم سعف النخل ، وهم يصرخون بصوت عظيم ، قائلين : « الخلاص لإلهنا الجالس على العرش وللخروف » . . . من هم ؟ ومن أين أتوا ؟ . . . هؤلاء هم الذين أتوا من الضيقة العظيمة وقد غسلوا ثيابهم وبيضوا ثيابهم فى دم الخروف ، من أجل ذلك هم أمام عرش الله ويخدمونه نهاراً وليلا فى هيكله ، والجالس على العرش يحل فوقهم ، لن يجوعوا بعد ولن يعطشوا بعد ، ولا تقع عليهم الشمس ، ولا شىء من الحر ؛ لأن الخروف الذى فى وسط العرش يرعاهم ويقتادهم إلى ينابيع ماء حية ، ويمسح الله كل دمعة من عيونهم ». (اقرأ رؤ ٧ : ٩ ــ ١٧ قابل ١٢ : ٧ ــ ١١ و ٢٠ : ٤ انظر شرح ص ٩ : ٢٧ و ٢٨) .

على أن الوحى الإلهى يرينا ، بصورة واضحة ، أن هذه المجازاة ، من وجهتيها ، لابد أن تتم بوجهتيها معاً ، فى وقت واحد ؛ كما نرى فى قول السيد ، عن نفسه : « لا تتعجبوا من هذا ، فإنه تأتى ساعة ، فيها يسمع جميع الذين فى القبور صوته ، فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة ، والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة » (يو ٥ : ٢٨ و ٢٩ اقرأ ع ٢٥ ــ ٢٩) .

وهى صورة بارزة فى قوله ، أيضاً : « ومتى جاء ابن الإنسان فى مجده : وجميع الملائكة القديسين معه ، فحينئذ يجلس على كرسى مجده ، ويجتمع أمامه جميع الشعوب فيميز ، بعضهم من بعض ، كما يميز الراعى الخراف من الجداء : فيقيم الخراف عن

يمينه ، والجداء عن اليسار ، ثم يقول الملك للذين عن يمينه : « تعالوا يا مباركي أبي : رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم » . . ثم يقول ، أيضاً ، للذين عن اليسار : « إذهبوا عني يا ملاعين ، إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته » . . . فيمضي هؤلاء إلى عذاب « أبدى » ، والأبرار إلى حياة أبدية » (مت ٢٥ : ٣١ — ٤٦) .

لذلك يقول ذات الرسول لجماعة التسالونيكيين عن هذه المجازاة من وجهتيها « إننا نحن أنفسنا نفتخر بكم في كنائس الله ، من أجل صبركم وإيمانكم في جميع اضطهاداتكم والضيقات التي تحتملونها بينه على قضاء الله العادل ، أنكم تؤهلون لملكوت الله الذي لأجله تتألمون ، أيضاً ؛ إذ هو عادل عند الله ، أن الذين يضايقونكم يجازيهم ضيقاً ، وإياكم الذين تتضايقون (يجازيكم) راحة معنا ؛ عند استعلان الرب يسوع من السماء مع ملائكة قوته في نار لهيب معطياً نقمة للذين لا يعرفون الله ، والذين لا يطيعون إنجيل ربنا يسوع المسيح ، الذين سيعاقبون بهلاك أبدي من وجه الرب ومن مجد قوته ، متى جاء ليمجد في قديسيه ، ويتعجب منه في جميع المؤمنين » (اقرأ ٢ تس ١ : ٣ — ١٠ قابل ٢ بط ٢ : ٥ — ٩ اقرأ تك ٦ و ٧ و ٨ و ١٩ قابل ١ بط ٣ : ١٨ — ٢٢ و ٤ : ١٢ — ١٩) ، لذلك ينصح الرسول جماعة العبرانيين قائلا : « لا تطرحوا ثقتكم التي لها مجازاة عظيمة » بانياً على أساس القول :

« لأنكم تحتاجون إلى الصبر » :

سبق الرسول أن قال لهؤلاء العبرانيين : « صبرتم على مجاهدة آلام كثيرة » (راجع شرح ع ٣٢) ، وها هو ، الآن ، يقول لهم : « لأنكم تحتاجون إلى الصبر » فيكون المعنى المقصود هو التحذير من أن يعيل صبرهم أو أن ينفذ في « مجاهدة آلام كثيرة » لا يزالون يعانون من شدتها وقوة ضغطها ، فعليهم أن يحتفظوا بقوة صبرهم ، مثابرين عليه ومتزايدين فيه ، مجاهدين بثقة وطيدة « فلا يطرحوا ثقتهم التي لها مجازاة عظيمة » (راجع شرح ع ٣٥) ، محققاً لهم أن هذه هي مشيئة الله ، لذلك يقول لهم :

« حتى إذا صنعتم مشيئة الله » :

باعتبار أن وقوع المؤمنين في الآلام الكثيرة والبلايا المحرقة داخل في دائرة :

« مشيئة الله » :

من جهتهم : وهذه حقيقة بارزة – أتم بروز – فى آلام السيد المسيح ؛ عبر عنها فى قوله لتلاميذه : « لا أتكلم (أيضاً) معكم كثيراً ؛ لأن رئيس هذا العالم يأتى : وليس له فى شىء : ولكن ! ليفهم العالم ، أنى أحب الآب ، وكما أوصانى الآب ؛ هكذا أفعل ، قوموا ننطلق من ههنا » (يو ١٤ : ٣٠ و ٣١ .)

قال هذا فى خطابه الوداعى : وهو يتحدث عن انطلاقه من هذا العالم ، عن طريق الصليب ، وعن آلامه التى لا يمكن أن يعبر عنها – تلك الآلام التى بدأت فى « بستان جثسيمانى » بإصعاد إرادته « محرقة » ارتفع لهيبها ، وهو يصلى ، خاراً على وجهه ، قائلا : « يا أبتاه ! إن أمكن ، فلتعبر عنى هذه الكأس : ولكن ! ليس كما أريد أنا ؛ بل كما تريد أنت » : هكذا أصعد إرادته «محرقة» على مذبح إرادة الآب (اقرأ مت ٢٦ : ٣٨ – ٤٦) : « وإذ كان فى جهاد ، كان يصلى بأشد لجاجة ، وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض » (لو ٢٢ : ٤٤) : وقد كان شعاره (أولا وآخراً) فى جهاده : « لتكن لا إرادتى ؛ بل إرادتك » (لو ٢٢ : ٤٢) .

تلك الإرادة التى سبق فبينها لتلاميذه ، قائلا : « هوذا يد الذى يسلمنى هى معى على المائدة ، وابن الإنسان ماض ، كما هو محتوم » (لو ٢٢ : ٢١ و ٢٢) ، كما أوضحه « الروح القدس » بفم بطرس الرسول ، فى يوم الخمسين ، قائلا : « يسوع الناصرى . . . هذا أخذتموه ، مسلماً بمشورة الله (الآب) المحتومة وعلمه السابق ، وبأيدى أثمة صلبتموه وقتلتموه » (أع ٢ : ٢٢ و ٢٣) .

هذا تحقق السيد « المسيح » مشيئة « الآب » وأعلن تصميمه التام لإتمامها ؛ فى قوله لبطرس : « اجعل سيفك فى الغمد ، الكأس التى أعطانى « الآب » ألا أشربها » ؟ (يو ١٨ : ١١) . وأكد علمه بتلك المشيئة الأبوية ؛ فى قوله لبيلاطس : «لم يكن لك على سلطان ، البتة ، لو لم تكن قد أعطيت من فوق » (من الآب) : قال هذا رداً على قول بيلاطس له : « أما تكلمنى ؟ ألست تعلم ؟ أن لى سلطاناً أن أصلبك وسلطاناً أن أطلقك » ؟ (اقرأ يو ١٩ : ١٠ و ١١) . الآن قد ثبت أن «مشيئة الله » هنا متعلقة « بالآلام » : لذلك يقول :

« حتى إذا صنعتم » :

« مشيئة الله » بمعنى : إذا كنتم ، فى آلامكم ، خاضعين لله ؛ بمقتضى الأمر الإلهى القائل : « تواضعوا تحت يد الله القوية ، لكى يرفعكم فى حينه : ملقين كل همكم عليه ؛ لأنه هو يعتنى بكم » (اقرأ ١ بط ٥ : ٦ و ٧) : « فإذا الذين يتألمون بحسب « مشيئة الله » فليستودعوا أنفسهم « فى عمل الخير » كما لخالق أمين » (١ بط ٤ : ١٩) .

وما أبدع صورة استيداع النفس ! « للخالق الأمين » التى صورها النبى « إرميا » فى مراثيه ، قائلا : « جيد أن ينتظر الإنسان ويتوقع ، بسكوت ، خلاص الرب . جيد للرجل أن يحمل النير فى صباه . يجلس وحده ويسكت ؛ لأنه قد وضعه عليه . يجعل فى التراب فمه ؛ لعله يوجد رجاء . يعطى خده لضاربه . يشبع عاراً » (مرا ٣ : ٢٦ ــ ٣٠ قابل إش ٥٠ : ٦ مع مت ٢٦ : ٦٧ و ٢٧ : ٣٠) .

فكم يكون ! جمال صورة المستودعين أنفسهم لله فى آلامهم ؛ إذا اقترن هــذا الاستيداع بالسير فى « عمل الخير » والمثابرة فيه ؛ بمقتضى النصح المقدس القائل : « فلا نفشل فى « عمل الخير » لأننا سنحصد فى وقته : إن كنا لا نكل » (غل ٦ : ٩) : لذلك يقول لهم الرسول « لا تطرحوا ثقتكم التى لها مجازاة عظيمة : لأنكم تحتاجون إلى الصبر ، حتى ، إذا صنعتم مشيئة الله » :

« تنالون الموعــد » :

هل يرجع بنا هذا التعبير إلى الفكر الذى أشار إليه الرسول ، فى كلامه عن « وعد الميراث الأبدى » ؟ قائلا : « ولأجل هذا : هو وسيط عهد جديد ، لكى يكون المدعوون (إذ صار موت لفداء التعديات التى فى العهد الأول) ينالون وعد الميراث الأبدى » (راجع شرح ص ٩ : ١٥) : الذى تكلم عنه الرسول بطرس ، قائلا : « مبارك « الله » أبو ربنا « يسوع المسيح » : الذى حسب رحمته الكثيرة : ولدنا ثانية « لرجاء حى » بقيامة يسوع المسيح من الأموات « الميراث » لا تفنى ولا يتدنس ولا يضمحل : محفوظ فى السموات لأجلكم » (١ بط ١ : ٣ و ٤) .

أو هل يرجع بنا هذا التعبير ؟ إلى « الأجر الذى أشار إليه السيد فى كلامه مع تلاميذه ، فى خطاب العرش ؟ قائلا : « طوبى لكم ، إذا عيروكم وطردوكم ، وقالوا عليكم كل كلمة شريرة ؛ من « أجلى » كاذبين ، افرحوا وتهللوا ! لأن « أجركم » عظيم فى السموات . فإنهم ، هكذا طردوا الأنبياء الذين قبلكم » (مت ٥ : ١١ و ١٢) أم الإشارة فيه إلى ما قيل سابقاً عن « المال الأفضل الباقى فى السموات » ؟ و « المجازاة العظيمة » (راجع شرح ع ٣٤ و ٣٥) .

سواء أكان هذا أو ذاك ، فالفكر الأساسى لنوال «الموعد » لا يتغير ؛ من جهة ارتباط الآلام بالميراث ؛ كما قال الرسول بولس ، « فإن كنا أولاداً ؛ فإننا ورثة ، أيضاً ، ورثة الله ووارثون مع المسيح ، إن كنا نتألم معه ؛ لكى نتمجد ، أيضاً ، معه » (رو ٨ : ١٧) ، وهذه حقيقة : أثبتها « السيد المسيح » من جميع الكتب المقدسة ، فى قوله لتلميذى عمواس « أيها الغبيان والبطيئا القلوب فى الإيمان بجميع ما تكلم به الأنبياء ، أما كان ينبغى ؟ أن المسيح يتألم بهذا ، ويدخل إلى مجده » ؟ (لو ٢٤ : ٢٥ و ٢٦ اقرأ ع ١٣ — ٣٢) ، على هذا الأساس المتين ، يقرن الرسول قوله للعبرانيين « تنالون الموعد » بقوله :

(ع٣٧) « لأنه ، بعد قليل جداً . سيأتى الآتى . ولا يبطئ » :

هذا القول اقتباس من نبوة « حبقوق » القائلة : « لأن الرؤيا بعد ، إلى الميعاد ، وفى النهاية تتكلم ولا تكذب ، إن توانت ؛ فانتظرها ؛ لأنك ستأتى إتياناً ولا تتأخر » (حب ٢ : ٣) .

إلا أننا ، إذا قارنا بين نص هذا الاقتباس وبين النص المقتبس منه ، نلاحظ فرقاً لفظياً ؛ ما يلبث أن يزول أمام المعنى الموحد فى النصين ، والقصد المشترك فيهما . سنبينه من سياق الكلام ، فى شرح هذا النص ، كما يلى :

« سيأتى الآتى ولا يبطىء » :

أما النص المقتبس ، فيقول « الرؤيا . . . ستأتى إتياناً ولا تتأخر » : وإذا عرفنا أن الترجمة السبعينية لهذا النص المقتبس تبرز أمامنا مخلصاً شخصياً ، هو ذات الله ؛ باعتبار أنه « المسيا » . وهذا هو ذات تلك الشخصية العجيبة ، التى يعبر عنها الرسول بولس بلفظ :

« الآتى » :

هو الذى تنبأ عنه قديماً النبى ، قائلا : « يأتى بغتة إلى هيكله السيد الذى تطلبونه : وملاك العهد الذى تسرون به . هوذا يأتى قال رب الجنود » (ملا٣ : ١) . هذا هو « السيد » ، « ملاك العهد » الذى تنبأ عنه زكريا قائلا : « ابتهجى جداً يا ابنة صهيون اهتفى يا بنت أورشليم ، هوذا ملكك يأتى إليك ، هو عادل ومنصور ، وديع وراكب على حمار ، وعلى جحش ابن أتان » » (زك ٩ : ٩) .

هذا هو الذى تقابل مع المرأة السامرية ، عند بئر يعقوب ، وقالت له : « أنا أعلم أن « مسيا » الذى يقال له المسيح « يأتى» . . . فقال لها يسوع : « أنا الذى أكلمك هو » (يو ٤ : ٢٥ و ٢٦ اقرأ ع ٥ — ٢٦) . هذا هو الذى أشبع الجموع بالخبز ، فقالوا : « هذا هو بالحقيقة النبى « الآتى » إلى العالم » وأرادوا أن يختطفوه ليجعلوه ملكاً فانصرف عنهم (يو ٦ : ١٤ و ١٥ إقرأ ع ١ — ١٥) . هذا هو الذى أرسل إليه يوحنا المعمدان من السجن تلميذيه ، سائلا : « أنت هو « الآتى» أم ننتظر آخر » ؟ (مت ١١ : ٣ اقرأ ع ١ — ٦ مع لو ٧ : ١٩ — ٢٣) ، هذا هو :

« الآتى » :

الذى « إلى خاصته جاء ، وخاصته لم تقبله » (يو ١ : ١١) : ومع أنهم احتفوا به أخيراً ، فى دخوله الانتصارى إلى أورشليم ، قائلين : « أوصنا لابن داود ، مبارك « الآتى » باسم الرب : أوصنا فى الأعالى . « مباركة مملكة أبينا داود « الآتية » باسم الرب » . « سلام فى السماء ومجد فى الأعالى » : « مبارك « الآتى » باسم الرب ملك

إسرائيل » (مت ٢١ : ٩ اقرأ ع ١ — ١١ مع مر ١١ : ١٠ اقرأ ع ١ — ١١ مع لو ١٩ : ٣٨ اقرأ ع ٢٨ — ٤٠ مع يو ١٢ : ١٣ اقرأ ع١٢—١٩ قارن مز ١١٨ : ٢٤ — ٢٦) : هذا « الآتى » الذى « أتى » هو الذى يقول عنه الرسول هنا :

« سـيأتى » :

كما تكلم عنه ، عند صعوده ، رجلان بلباس أبيض ، وهما يتحدثان إلى الأحد عشر تلميذاً ، قائلين : أيها الرجال الجليليون ! ما بالكم واقفين تنظرون إلى السماء ؟ ، إن يسوع هذا ، الذى ارتفع عنكم إلى السماء «سيأتى» هكذا كما رأيتموه منطلقاً إلى السماء» (اقرأ أع ١ : ١٠ و ١١) . وعلى أساس هذا القول ، يكتب الرائى يوحنا اللاهوتى ، قائلا : « هوذا يأتى مع السحاب ، وستنظره كل عين ، والذين طعنوه ، وينوح عليه جميع قبائل الأرض ، نعم آمين » (رؤ ١ : ٧) : لأنه لابد ، أن يتم الوعد القائل : « وها أنا آتى سريعاً ، وأجرتى معى ، لأجازى كل واحد ، كما يكون عمله ، أنا الألف والياء ، البداية والنهاية ، الأول والآخر » (رؤ ٢٢ : ١٢ و ١٣ اقرأ ع ١٠ — ١٥) .

هكذا يرينا إياه الرسول بولس فى « قضاء الله العادل . . . إذ هو عادل عند الله ، أن الذين يضايقونكم . . . عند استعلان الرب يسوع من السماء مع ملائكة قوته ، فى نار لهيب ، معطياً نقمة للذين لا يعرفون الله ، والذين لا يطيعون إنجيل ربنا يسوع المسيح ، الذين سيعاقبون بهلاك أبدى ، من وجه الرب ، ومن مجد قوته ، متى جاء » ليتمجد فى قديسيه ، ويتعجب منه فى جميع المؤمنين » (اقرأ ٢ تس ١ : ٥ — ١٠ قابل يو ٥ : ٢٧ — ٢٩ مع مت ٢٥ : ٣١ — ٤٦) .

هذا هو مجيئه للدينونة العامة ؛ الذى أشار إليه ذات الرسول فى قوله : «كما وضع للناس أن يموتوا مرة ، ثم بعد ذلك الدينونة ، هكذا المسيح ، أيضاً ، بعد ما قدم مرة

لكى يحمل خطايا كثيرين ، « سيظهر ثانية » بلا خطية : للخلاص للذين ينتظرونه » (راجع شرح ص ٩ : ٢٧ و ٢٨) ، وما أمجد هذا الظهور المبارك ! لجميع الراقدين فى المسيح ، والأحياء الذين سيلاقونه فى الهواء ، ليكونوا معه ، حيث هو فى مجده العتيد ، إلى أبد الآبدين (اقرأ ١ تس ٤ : ١٣ — ١٨) .

على أن الرسول ، فى هذه الرسالة ، يكتب لمؤمنى العبرانيين ، وهم فى مجاهدة آلام كثيرة ، محذراً إياهم ، أن لا يطرحوا ثقتهم ، التى لها مجازاة عظيمة ، وأن يتذرعوا بالصبر ، حتى ينالوا الموعد ، ويحثهم على ذلك ، قائلا :

« لأنه بعد قليل جـداً » :

«سيأتى الآتى ولا يبطىء » أى « المخلص » — « المسيا » — الذى رآه حبقوق ، فى الرؤيا التى « ستأتى إتياناً ولا تتأخر » (حب٢ : ٣) ، وبمقارنة النصين معاً ، نستطيع أن نرى فى هذا الإتيان السريع ، تشابهاً دقيقاً ، ودقيقاً جداً ، بين صورتين :

الصورة الأولى فى رؤيا حبقوق ، برزت أمامه ، معبراً عنها ، فى قوله : « على مرصدى أقف ، وعلى الحصن أنتصب وأراقب ؛ لأرى ماذا يقول لى ، وماذا أجيب عن شكواى » (حب ٢ : ١ اقرأ ع ١ — ٣) ، وهى تلك الشكوى التى قدمها حبقوق إلى الله ، عندما رأى فى الكلمة النبوية ، تلك الأمة الكلدانية ، الأمة القاصمة والهائلة والمخوفة ، مقتحمة شعبه بدون رحمة ولا شفقة ؛ بمقتضى أمر الرب ؛ فصرخ قائلا : « يارب ! للحكم جعلتها ، ويا صخر ! للتأديب أسستها . عيناك أطهر من أن تنظرا الشر ، ولا تستطيع النظر إلى الجور ، فلم تنظر إلى الناهبين وتصمت ؟ حين يبلع الشرير ، من هو أبر منه » ؟ (حب ١ : ١٢ و ١٣ اقرأ ١ — ١٧) .

وإذ وقف على مرصده ، وانتصب على الحصن وقدم شكواه ؛ أجابه العلى برؤيا طلب منه أن يكتبها وينقشها على الألواح ، لكى يركض قارئها ؛ لأن الرؤيا بعد إلى الميعاد ، وفى النهاية تتكلم ولا تكذب ، إن توانت فانتظرها ؛ لأنها ستأتى إتياناً ولا تتأخر ،

هى رؤيا المسيا المخلص ، الذى سيقضى قضاء مبرماً على تلك الأمة الكلدانية القاصمة : وينقذ شعبه من يدها الحديدية ، ومن سلطانها البابلى النبوخذ نصرى ، وهو ذلك المسيا الذى تنبأ عنه إشعياء ، قائلا : « هكذا يقول الرب « لمسيحه » : « لكورش » الذى أمسكت بيمينه . . . لأجل عبدى يعقوب ، وإسرائيل مختارى ، دعوتك باسمك ، لقبتك وأنت لست تعرفنى ، أنا الرب وليس آخر ، لا إله سواى ، نطقتك وأنت لم تعرفنى ، لكى يعلموا من مشرق الشمس ومن مغربها ، أن ليس غيرى ، أنا الرب وليس آخر » (اقرأ إش ٤٥ : ١ — ٧) .

وقد تمت هذه النبوة « وظهرت يد إنسان ، وكتبت بإزاء النبراس ، على مكلس حائط قصر الملك » البابلى (دا ٥ : ٥) . وما أروع تلك الكتابة ! وما أرهبها ! « منا . منا . تقيل . وفرسين » . وما أفزع تفسيرها ! « منا » : أحصى الله ملكوتك وأنهاه . « ثقيل » : وزنت بالموازين فوجدت ناقصاً . « فرسين » : قسمت مملكتك وأعطيت لمادى وفارس : هكذا سقطت بابل العظيمة فى يد فارس ومادى العظيمة .

هكذا تمت النبوة ، وبرز كورش فى الأفق ، وظهر مجد إله السماء ، فى نداء « مسيحه » «كورش » الذى أطلقه فى كل مملكته وبالكتابة ، أيضاً « هكذا قال كورش ملك فارس » : « جميع ممالك الأرض دفعها لى الرب إله السماء ، وهو أوصانى أن أبنى له بيتاً فى أورشليم التى فى يهوذا ، من منكم من كل شعبه ليكن إلهه معه ، ويصعد إلى أورشليم التى فى يهوذا فيبنى بيت الرب إله إسرائيل ، هو الإله الذى فى أورشليم . وكل من بقى فى أحد الأماكن ، حيث هو متغرب فلينجده أهل مكانه بفضة وبذهب وبأمتعة وببهائم ، مع التبرع لبيت الرب ، الذى فى أورشليم » (عز١ : ٢ — ٤) .

هذه هى الرؤيا التى رآها حبقوق : وقد تنبأ عنها إشعياء وإرميا . رؤيا الخلاص العجيب ، للشعب من السبى البابلى واقتحام الأمة الكلدانية . وعلى قياس هذا التمثيل ،

يكتب الرسول بولس للعبرانيين المؤمنين ، عن الخلاص العجيب ؛ الذى سيتم بعد قليل جداً جداً بالمسيا الآتى ، المرموز إليه فى كورش ؛ الذى سيأتى إتياناً ولا يبطىء ، لهلاك الأمة اليهودية وتبديدها ، لتخليص المؤمنين باسمه منهم : من أيدى المضطهدين الذين سبق فتنبأ عنهم قائلا لهم : « أنتم تشهدون على أنفسكم : أنكم أبناء قتلة الأنبياء ، فاملأوا أنتم مكيال آبائكم . . . لكى يأتى عليكم كل دم زكى سفك على الأرض ، من دم هابيل الصديق إلى دم زكريا بن برخيا » (اقرأ مت ٢٣ : ٢٩ – ٣٩) .

فقد ملأوا مكيال آبائهم بإتمامهم كل ما أنبأ به السيد فى هذا القول ؛ كما بينه لهم الشهيد استفانوس ، فى قوله لهم : « يا قساة الرقاب وغير المختونين بالقلوب والآذان ، أنتم دائماً تقاومون الروح القدس ، كما كان آباؤكم كذلك أنتم ، أى الأنبياء لم يضطهده آباؤكم ؟ ! وقد قتلوا الذين سبقوا فأنبأوا بمجىء البار ، الذى أنتم الآن صرتم مسلميه وقاتليه ، الذين أخذتم الناموس بترتيب ملائكة ، ولم تحفظوه » (أع ٧ : ٥١ – ٥٣ مع ٨ : ١ – ٣) .

وكما حدث فى السنة السبعين من سبى يهوذا إلى بابل أن سقطت بابل العظيمة ؛ وخلص الشعب عن يد مسيح الرب « كورش » ، هكذا فى السنة السبعين من ميلاد مسيح الرب المرموز إليه ، والملقب بالآتى ، قد أتى هذا المسيا المنتظر لإهلاك تلك الأمة وتبديدها على وجه كل الأرض ؛ بمقتضى ما رآه بعين النبوة ، حين بكى على تلك المدينة وقال : إنك لو علمت أنت أيضاً ، حتى فى يومك هذا ما هو لسلامك ولكن الآن ! قد أخفى عن عينيك ، فإنه ستأتى أيام ، ويحيط بك أعداؤك بمترسة ، ويحدقون بك ويحاصرونك من كل جهة ، ويهدمونك وبنيك فيك ، ولا يتركون فيك حجراً على حجر ؛ لأنك لم تعرفى زمان افتقادك » (لو ١٩ : ٤٢ – ٤٤) .

لم تعرف زمان افتقادها ، وأخفى عن عينيها ، وملأت مكيال آبائها وقتلوا « المسيا » ، « الآتى » ، فأتى هذا « الآتى » وظهرت علامة ابن الإنسان فى جيوش النسور الرومانية ، التى أحاطت بالمدينة ، وهدمت أسوارها ، وأحرقت الهيكل ، وحرثت الأرض ، وتبدد شمل الأمة .

إلى هذا الإتيان ، يشير الرسول ، فى قوله « لأنه بعد قليل جداً (جداً)، وذلك بالنسبة إلى كتابة هذه الرسالة ، قبل خراب أورشليم) سيأتى الآتى ولا يبطىء ، ليخلص هؤلاء المضطهدين من شر اضطهاد إخوتهم لهم ، ولعل هذا ما أشار إليه السيد نفسه قائلا « ومتى ابتدأت هذه تكون ، فانتصبوا وارفعوا رؤوسكم ، لأن نجاتكم تقترب » (لو ٢١ : ٢٨) .

انتظاراً لهذا الخلاص العجيب ، بيد ذلك الآتى ، الذى سيأتى ولا يبطىء ، يحذرهم من طرح ثقتهم العظيمة التى لها مجازاة ، ومن القلق الذى يضيع فرصة نوالهم الموعد .

الآن ! وقد انتهينا من (١) التذكير (ص ١٠ : ٣٢ ـ ٣٤) ومن (٢) التحذير (ص ١٠ : ٣٥ ـ ٣٧) ، سنتقدم إلى :

الفصل الثالث

(٣) إنذارٌ عب ١٠ : ٣٨ و٣٩

٣٨ أَمَّا ٱلْبَارُّ فَبِالْإِيمَانِ يَحْيَا وَإِنِ ٱرْتَدَّ لاَ تُسَرُّ بِهِ نَفْسِي.
٣٩ وَأَمَّا نَحْنُ فَلَسْنَا مِنْ ٱلْأَرْتِدَادِ لِلْهَلاَكِ بَلْ مِنَ ٱلْإِيمَانِ لِٱقْتِنَاءِ
النَّفْسِ .

من هذين العددين ، يبدأ الرسول كلامه عن الإيمان ، الذى سيستمر فيه فى الأصحاحين التاليين ؛ حيث يذكر هنا « الإيمان » الذى به يحيا البار والإيمان الذى هو « لاقتناء النفس » فيقول :

(ع ٣٨) « أما البار فبالإيمان يحيا » :

هذا نص آخر مقتبس من نبوات حبقوق ؛ حيث يقول : « والبار بإيمانه يحيا » (حب ٢ : ٤) . وقد اقتبسه ذات الرسول فى موضعين آخرين . أحدهما ورد فى رسالته إلى أهل رومية ونصه : « كما هو مكتوب : أما البار فبالإيمان يحيا » تعليقاً على قوله : « لست أستحي بإنجيل المسيح ، لأنه قوة الله للخلاص ، لكل من يؤمن ، لليهودى أولا ، ثم لليونانى ؛ لأن فيه معلن بر الله بإيمان لإيمان » (اقرأ رو ١ : ١٦ و١٧) ، كما اقتبسه ، أيضاً ، فى رسالته إلى أهل غلاطية ؛ حيث قال : « لأن البار بالإيمان يحيا » (غل ٣ : ١١) ، تعليقاً على قوله « لأن جميع الذين هم من أعمال الناموس ، هم تحت لعنة ؛ لأنه مكتوب : « ملعون كل من لا يثبت فى جميع ما هو مكتوب فى كتاب الناموس ، ليعمل به » . ولكن أن ليس أحد يتبرر بالناموس عند الله فظاهر » (غل ٣ : ١٠ و ١١ راجع شرح ع ٩ ــ ١٤ للمؤلف) .

فى هذا الاقتباس ، دليل من الدلائل التى تبين : أن كاتب الرسالة إلى العبرانيين هو ذاته كاتب رسالتى رومية وغلاطية ؛ وهو الرسول « بولس » . ومن هذا النص المقتبس نرى :

« البــار » :

يبين لنا الرسول بطرس : من هو البار ؛ بمقارنته مع ضده . قائلا : « إن كان البار بالجهد يخلص ، فالفاجر والخاطىء أين يظهران » (١بط ٤ :١٨) : وهو تعبير مقتبس من قول الحكيم : « هوذا الصديق يجازى فى الأرض ، فكم بالحرى الشرير والخاطىء » ؟ (أم ١١ : ٣١) ، حيث نرى أن البار » هو الإنسان الذى يجتهد كل الجهد ، أن يبتعد كل البعد عن طريق الأشرار والفجار والخاطئين . وأن يسلك بمقتضى القول : « قد أخبرك أيها الإنسان ! ما هو صالح ، وماذا يطلبه منك الرب ؟ إلا أن تصنع الحق ، وتحب الرحمة ، وتسلك متواضعاً مع إلهك » (مى ٦ : ٨) . وهو بذلك يختلف كل الاختلاف عن أولئك الفجار الذين يسلكون وراء عناد قلوبهم ضـــد وصية الله ، ويحتقرون أوامره : ويستهينون بشهاداته وأحكامه ، لأنه يعيش بمقتضى «النعمة المخلصة ، التى ظهرت لجميع الناس ، «معلمة» إيانا : أن ننكر الفجور والشهوات العالمية ، ونعيش بالتعقل والبر والتقوى فى العالم الحاضر » (تى ٢ : ١١ و ١٢) .

بهذا المعنى قال الله لنوح « إياك رأيت « باراً » لدى فى هذا الجيل » (تك ٧ : ١).
وبهذا المعنى شهد عن أيوب ، أيضاً ، فى قوله للشيطان : « هل جعلت قلبك على عبدى أيوب ؟ لأنه ليس مثله فى الأرض ، رجل كامل ومستقيم ، يتقى الله ، ويحيد عن الشر » (أى ١ : ٨) : هذا هو كل ابن يقبله الآب واضعاً إياه تحت التأديب بمقتضى القول : « قد نسيتم الوعظ الذى يخاطبكم كبنين ،يا ابنى لا تحتقر تأديب الرب ، ولا تخر إذا وبخك ؛ لأن الذى يحبه الرب يؤدبه ، ويجلد كل ابن يقبله » (انظر شرح ص ١٢ : ٥ ــ ١١ قابل مز ٩٤ : ١٢ ــ ١٥ و ١١٨ : ١٨ مع ١ كو ١١ : ٣٢) .
هذا هو « البار » الذى :

« بالإيمان يحيـا » :

فلا يحيا ببره ؛ كما يقول النبي إشعياء : « قد صرنا كلنا كنجس ، وكثوب عدة كل أعمال برنا ، وقد ذبلنا كورقة ، وآثامنا ، كريح ، تحملنا » (إش ٦٤ : ٦) . « لأنه بأعمال الناموس ؛ كل ذى جسد لا يتبرر أمامه ؛ لأن ، بالناموس ، معرفة الخطية » (رو ٣ : ٢٠ انظر شرح غل ٢ : ١٦ للمؤلف) . ذلك يحققه لنا ما عبر به يعقوب ، قائلا : « لأن من حفظ كل الناموس ؛ وإنما عثر فى واحدة . فقد صار مجرماً فى الكل ؛ لأن الذى قال : «لا تزن » قال ، أيضاً : «لا تقتل » فإن لم تزن ولكن قتلت فقد صرت متعدياً الناموس » (يع ٢ : ١٠ و ١١) .

هذا كله يؤكد كل التأكيد ، ويعلن الحقيقة الناصعة الجلية فى « الكلمة النبوية » التى تثبت بدون شك وبلا ريب أن البار مهما سما بره الذاتى ، لا يمكن أن يحيا ببره الذى هو «كثوب عدة » وبذلك يثبت القول الصريح « أما البار » :

« فبالإيمان يحيـا » :

هكذا يقول بولس الرسول « إذ نعلم أن الإنسان لا يتبرر بأعمال الناموس ؛ بل « بإيمان يسوع المسيح » آمنا نحن ، أيضاً ، بيسوع المسيح ، لنتبرر «بإيمان يسوع » لا « بأعمال الناموس » (انظر شرح غل ٢:١٦ للمؤلف) ، منبراً بشدة على فضل النعمة الإلهية المجانية التى تفضلت ، فجعلت : أن يكون الخلاص عن طريق الإيمان ، لا «عن طريق الأعمال ؛ حيث قال: « لأنكم بالنعمة « مخلصون بالإيمان » وذلك ليس منكم ، هو عطية الله ، ليس من أعمال ؛ كيلا يفتخر أحد ؛ لأننا نحن عمله ، مخلوقين ، فى المسيح يسوع ؛ لأعمال صالحة ، قد سبق الله فأعدها ؛ لكى نسلك فيها » (أف ٢ : ٨ــ ١٠ اقرأ ع ١ ــ ١٠) .

فليس بعجيب إذاً ! أن يصرح الرسول ؛ على رؤوس الأشهاد ، قائلا « ما كان لى ربحاً ؛ فهذا قد حسبته ، من أجل المسيح ؛ خسارة ، بل إنى أحسب كل شىء ، أيضاً ، خسارة من أجل فضل معرفة المسيح يسوع ربى الذى ، من أجله ؛ خسرت كل الأشياء ، وأنا أحسبها نفاية ؛ لكى أربح المسيح وأوجد فيه ، وليس لى برى الذى

من الناموس ؛ بل الذى بإيمان المسيح ، البر الذى من الله بالإيمان » (فى ٣ : ٧ — ٩ اقرأ ع ١ — ١١) .

هذا هو « إنجيل المسيح » الذى قال فيه ذات الرسول : « لأنى لست أستحى « بإنجيل المسيح » لأنه قوة الله للخلاص ؛ لكل من يؤمن . . . لأن فيه معلن « بر الله » بإيمان لإيمان ؛ كما هو مكتوب « أما البار فبالإيمان يحيا » :

« وإن ارتد لا تسر به نفسى » :

هذه الفقرة مقتبسة ، أيضاً ، من كلمة حبقوق النبوية وفى أصلها العبرى تقول : « هوذا منتفخة غير مستقيمة نفسه فيه » (حب ٢ : ٤) مذيلة بالقول « والبار بإيمانه يحيا » حيث نلاحظ أمرين جوهريين فى هذا الاقتباس ، أحدهما : خلاف فى وضع الفقرتين ؛ حيث نرى الرسول يقدم الفقرة الثانية الخاصة « بالإيمان » على الفقرة الأولى الخاصة « بالنفس المنتفخة » . ولعل فى ذلك حكمة إلهية فى قصد الرسول بقلب هـذا الوضع ؛ وهو يخاطب جماعة العبرانيين المؤمنين لتوطيد إيمانهم فى مجاهدة آلام كثيرة ، فيجعل « الإيمان » رأساً لكلامه معهم لتثبتهم فيه فلا يرتدون عنه .

أما الأمر الجوهرى الثانى ، فهو الفرق البين اللفظى بين الاقتباس الذى هو « إن ارتد لا تسر به نفسى » وبين النص المقتبس القائل: « هوذا منتفخة غير مستقيمة نفسه فيه » . ولعل سر هذا الخلاف اللفظى يرجع إلى الترجمة السبعينية للأصل العبرى التى اقتبس منها الرسول . على أن هذا الفرق هو فى مبنى العبارتين لفظاً ، لا فى معناهما حقيقة ؛ كما سيظهر بإرشاد الروح القدس فى شرح هذا الاقتباس :

« وإن أرتد لا تسر به نفسى » :

سبق القول أن هذه الجملة اقتباس من الترجمة السبعينية اليونانية ، وهى فى العبرية « هوذا منتفخة ، غير مستقيمة ؛ نفسه فيه » (حب ٢ : ٤) ، حيث نتبين : أن النفس المنتفخة غير المستقيمة ، هى نفس ذلك البار المرتد عن الإيمان ، تلك النفس التى وصفها السيد المسيح ، فى مثله لقوم واثقين «أنهم أبرار :ويحتقرون الآخرين »

قائلا « إنسانان صعدا إلى الهيكل ليصليا ، واحد فريسي والآخر عشار ، أما الفريسي فوقف يصلي في نفسه ؛ هكذا : « اللهم ! أنا أشكرك ، إني لست مثل باقي النـــاس الخاطفين الظالمين الزناة ولا مثل هذا العشار ، أصوم مرتين في الأسبوع وأعشر كل ما أقتنيه » (اقرأ لو ١٨ : ٩ — ١٢) .

وقد عقب السيد المسيح على هذا المثل ، محققاً ، أن هذا الفريسي رجع إلى بيته غير مبرر (لو ١٨ : ١٤) . لأن نفسه منتفخة فيه ببره الذاتي ، وليست مستقيمة أمام الله الفاحص القلب المختبر الكلى (قابل إر ١٧ : ٩ و ١٠) .

هذه هي الصورة التي يرسمها أمامنا الرسول بولس ، وهو يعلن مسرة قلبه نحو شعب إسرائيل ، طالباً من الله خلاصهم ، لأنه يشهد أن لهم غيرة لله ؛ ولكن ليس حسب المعرفة « لأنهم إذ كانوا يجهلون بر الله ، ويطلبون أن يثبتوا بر أنفسهم ؛ لم يخضعوا لبر الله » (اقرأ رو ١٠ : ١ — ٣) . منتفخة أنفسهم ؛ لذلك يقول الله لمثل هذا :

« لا تسر به نفسي » :

وما أروع الصورة التي يرسمها السيد المسيح نفسه . ! لمثل هؤلاء القوم الذين « يعملون كل أعمالهم ؛ لكي تنظرهم الناس ، فيعرضون عصائبهم ويعظمون أهداب ثيابهم » ! (قابل مت ٢٣ : ٥ مع عد ١٥ : ٣٧ — ٤١) ، ناطقاً عليهم بالقول : « ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تشبهون قبوراً مبيضة تظهر من خارج جميلة وهي من داخل مملوءة عظام أموات وكل نجاسة » (مت ٢٣ : ٢٧) . وهل يسر الله بالرياء والكبرياء ؟ وهو يرى القلوب وقد ملأها الدنس ، ويختبر الكلى وقد أفسدتها النجاسة ؟ !

هذا إنذار رهيب ، يضعه الرسول أمام المرتدين عن الإيمان بالمسيح لنوال بره. عن طريق ذلك الإيمان ، متمسكين ببرهم الذاتي ، منتفخة نفوسهم غير مستقيمة فيهم ، لكنه يستدرك الأمر ؛ بالنسبة للذين يكتب إليهم ، قائلا :

(ع ٣٩) « وأما نحن » :

هنا إستدراك حكيم ، يأتيه الرسول بحكمة إلهية فى كلمة « أما » لتخفيف حدة ذلك الإنذار الرهيب الذى سبق الرسول أن قدمه ، بشأن المرتدين ، تطميناً وتشجيعاً للذين يكتب إليهم من المؤمنين ، تثبيتاً لإيمانهم ، وتحفيزاً لذلك يقول : « وأما » :

« نحـــن » :

حيث يضم الرسول نفسه مع جماعة العبرانيين المؤمنين ؛ وبخاصة وهو شريك لهم ومعهم « فى مجاهدة آلام كثيرة » مضطهداً نظيرهم ، من ذات إخوته غير المؤمنين ؛ كما سبقت الإشارة ، وبهذا المعنى يقول « وأما نحن » :

« فلسنا من الإرتداد للهلاك » :

هنا إنذار ضمنى ، يوقفنا أمام منظر أروع وأرهب من كل ما سبق من المناظر والصور التى مررنا بها ؛ فإننا ، فى الآية السابقة ؛ يصل بنا الإرتداد إلى نتيجة سلبية يعبر عنها بقول الله : « لا تسر به نفسى » ، أما فى الآية التى أمامنا ؛ فيصل بنا الإرتداد إلى عمق أعماق مخيفة ومزعجة ، إلى نتيجة إيجابية تصل إلى قاع الجحيم وإلى قرار الهلاك الأبدى ؛ تحت نيران غضب الله المتقدة ، تلك « النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته » (مت٢٥ : ٤١) ، معرضين لأن يدخروا لأنفسهم « غضباً فى يوم الغضب واستعلان دينونة الله العادلة » (رو ٢ : ٥) : « عند استعلان الرب يسوع من السماء مع ملائكة قوته فى نارلهيب ، معطياً نقمة للذين لا يعرفون الله والذين لا يطيعون إنجيل ربنا يسوع المسيح ، الذين سيعاقبون بهلاك أبدى ، من وجه الرب ومن مجد قوته » (قابل ٢ تس ١ : ٧ — ٩ مع رو ٦ : ١٦ و ١٧) ، إلا أن :

« فلسنا » :

وهنا ، بطريقة سلبية ؛ ينفى الرسول ذلك الهلاك عن نفسه وعن جماعة المؤمنين. وهذا النفى يدعمه بمتانة قوية قول ذات الرسول ، أيضاً ، لجماعة التسالونيكيين « وأما نحن . . . فلنصح لابسين . . . لأن الله لم يجعلنا للغضب » (١ تس ٥ : ٨ و ٩) .

وإذا قرأنا هاتين الفقرتين معاً يتبين لنا سر انتفاء الهلاك عن جماعة المؤمنين ، باعتبار كونهم ليسوا « للهلاك » لأن الله لم يجعلهم « للغضب » .

هذا يفسر لنا موقف الله من الهالكين : بوصف كونه ، تعالى ، ليس علة هلاكهم ؛ كما يقول الرسول يعقوب « لا يقل أحد ، إذا جرب : إنى أجرب من قبل الله ، لأن الله غير مجرب بالشرور ، وهو لا يجرب أحداً ؛ ولكن كل واحد يجرب إذا انجذب وانخدع من شهوته ، ثم الشهوة ، إذا حبلت ؛ تلد خطية ، والخطية ، إذا كملت تنتج موتاً » (يع ١ : ١٣ — ١٥) .

بمقتضى هذه القضية السلبية : يتجلى ، أمامنا ، معنى ما قاله الرسول بطرس عن « الذين لا يطيعون ذلك « الحجر الذى قد صار رأس الزاوية ، مختاراً من الله كريماً » فأصبح لهم « حجر صدمة ، وصخرة عثرة . . . الأمر الذى جعلوا له » (انظر ١ بط ٢ : ٦ — ٨ اقرأ ع ٣ — ١٠ مع إش ٢٨ : ١٦ — ١٨ قابل مز ١١٨ : ٢٢ و ٢٣ مع مت ٢١ : ٤٢ — ٤٤ مع أع ٤ : ١٠ — ١٢ مع رو ٩ : ٣٠ — ٣٣) . كما يتجلى لنا ، أيضاً ، قول الوحى الإلهى لفرعون : « إنى لهذا ، بعينه ، أقمتك ؛ لكى أظهر فيك قوتى ، ولكى ينادى باسمى فى كل الأرض » (انظر رو ٩ : ١٧ اقرأ ع ١٤ — ٢٩ قابل خر ٩ : ١٣ — ١٧) .

فى هذه الشواهد نتبين موقف الله السلبى ، بعيداً عن الذين لا يطيعون صوته فى عناد وقساوة قلب ، تاركاً إياهم للخزى والعار والعثرة والإبادة الساحقة للهلاك الأبدى .. لذلك يقول الرسول ، فى نور الوحى المقدس : « أما نحن ؛ فلسنا من الارتداد للهلاك » .

« بل من الإيمان لإقتناء النفس » :

هنا نرى هذه القضية السماوية ، من طرفها الإيجابى ، فى مقابلة مع طرفها السلبى ؛ حيث يتبين لنا ثلاث مقارنات : الأولى فى مقارنة كلمة « بل » بكلمة « فلسنا » . الثانية فى مقارنة القول « من الإيمان » بالقول « من الارتداد » . الثالثة مقارنة بين التعبير « لاقتناء النفس » والتعبير « للهلاك » : فالقضية ، إذاً واحدة فى طرفيها : —

السلبي نفياً ، الإيجابي إثباتاً ، أما النفي فقد رأيناه في طرف القضية السلبي ؛ قضاء مبرماً على « الارتداد للهلاك » : أما الإثبات فهو موضوع بحثنا الآن في المقارنات الثلاث :

« بــل » :

كلمة بمقارنتها مع كلمة « فلسنا » يكون موقعها نفياً لنفي : ويقول علماء اللغــة « أن نفي النفي إثبات » فهي إذاً تنفي ما سبق من النطق السلبي ، وتثبت ما سيأتي بعدها من النطق الإيجابي ، فلا نقول بعد « فلسنا » بل نقول بثقة وإتقان ، « بل » » :

« من الإيمــان » :

هو « الإيمان » الذي سبق الكلام عنه ، في الآية السابقة في النص القائل : « أما البار فبالإيمان يحيا » ، إيمان « إنجيل المسيح . . . الذي فيه معلن « بر الله » بإيمان لإيمان ؛ كما هو مكتوب : أما البار فبالإيمان يحيا » (رو ١ : ١٦ و ١٧ راجع ما قيل عن الإيمان في النص المشار إليه ع ٣٨ وانظر ما سيقال عنه في الأصحاحين التاليين) إحذر من الارتداد عنه بمقتضى النصح الذي أوحى به في قول الرسول بولس : « إن الأمم ، الذين لم يسعوا في أثر البر ؛ أدركوا البر « البر الذي بالإيمان » ، ولكن إسرائيل ! وهو يسعى في أثر ناموس البرُ ، لم يدرك ناموس البر ، لماذا ؟ لأنه فعل ذلك ليس بالإيمان ؛ بل كأنه بأعمال الناموس ؛ فإنهم اصطدموا بحجر الصدمة ، كما هو مكتوب « ها أنا أضع في صهيون حجر صدمة وصخرة عثرة ، وكل من يؤمن به لا يخزى » (رو ٩ : ٣٠ — ٣٣ قابل إش ٢٨ : ١٦ مع ١ بط ٢ : ٦) .

الآن ! وقد انتهينا من المقارنة بين « بل » وبين « فلسنا » : كما انتهينا من المقارنة بين « من الإيمان » وبين « من الارتداد » عن الإيمان ؛ بقي علينا بحث المقارنة الثالثة في العبارة القائلة :

« لإقتناء النفس » :

وإذا صح المنطق الذي فحواه وبضدها تتبين الأشياء : يكون « اقتناء النفس » مبيناً في ضده الذي هو « الهلاك » : بمعنى أنه ربح واكتساب واحتفاظ ، عملية تستدعي

بذلا وافتداء وحرصاً واعتناء ، مبيناً فى قول رب المجد « تمسك بما عندك لئلا يأخذ أحد إكليلك » (رؤ ٣ : ١١) ، جهاد عنيف « لإقتناء » :

« النفس » :

فالنفس قنية فاخرة : عبر عن قيمتها ربنا يسوع فى قوله : « لأنه ماذا ينتفع الإنسان؟ لو ربح العالم كله وخسر نفسه ؟ أو ماذا يعطى الإنسان فداء عن نفسه ؟ (مت ١٦ : ٢٦) . وقد مثل لسمو تلك القنية الفاخرة بعظمة ذلك المجهود الشاق الذى يبذله الراعى فى التفتيش عن خروف واحد ضال ، يفرح بوجدانه هو وأصدقاؤه والسماء معاً . ومثل المرأة التى تعانى شقاء لا يقدر ، فى التفتيش عن درهم واحد مفقود فتفرح بوجدانه ، وتفرح صديقاتها معها ، والسماء تتهلل ، ومثل الأب الذى يهيم شوقاً ويطير قلبه نحو ابنه الضال ؛ فيطرب فرحاً برجوعه : ويمد مائدة السرور والابتهاج (اقرأ لو ١٥)

« فإقتناء النفس » إذاً هو ضد « هلاكها » :

وبالتالى هو خلاصها من « الهلاك » وهذا يوافقه قول الرسول أيضاً : « لأن الله لم يجعلنا للغضب (فلسنا للهلاك) بل لاقتناء الخلاص بربنا يسوع المسيح » (١ تس ٥ : ٩) . وبعبارة أخرى هو افتداؤها من الموت الأبدى ، ولعل إلى هـذا أشار الرسول بولس أيضاً ؛ فى ما كتبه إلى القديسين الذين فى أفسس ، قائلا : « الذى فيه (فى المسيح) أيضاً ، إذ آمنتم ختمتم بروح الموعد القدوس . الذى هو عربون ميراثنا ؛ لفداء « المقتنى » لمدح مجده » (أف ١ : ١٣ و ١٤) .

أما المقتنى ، فقد يكون هو ذات « النفس » كما رأينا : أو شعب المؤمنين ؛ كما قيل « . . أنتم . . . شعب اقتناء » (١ بط٢ : ٩ و ١٠) . وقد يكون «الكنيسة » كما قيل « كنيسة الله التى اقتناها بدمه » (أع ٢٠ : ٢٨) . وقد يكون هو الميراث الأبدى « الذى لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل ، محفوظ فى السموات » (قابل أف ١ : ١٤ مع ١ بط١ : ٣ — ٥ مع رو ٨ : ١٥ — ١٧) . وكل ذلك يتصل اتصالا وثيقاً بالإيمان ببر المسيح الفادى الذى سبق الكلام عنه .

وإذا أضفنا إلى ما قيل ، انذار رب المجد ، لتلاميذه فى زمن الآلام الذى يأتى عليهم باضطهادهم من أعدائهم حين يقعون فى « مجاهدة آلام كثيرة » حيث يختم كلامه عن هذه الآلام المرة والضيقات المؤلمة ، قائلا : « بصبركم اقتنوا أنفسكم » (لو ٢١ : ١٩ اقرأ ع ٩ — ١٩) .

أولسنا نرى مماثلة «تامة» بين هذا الإنذار ، وبين حالة أولئك العبرانيين الذين يقول لهم الرسول : « قد صبرتم على مجاهدة آلام كثيرة » (ع ٣٢) : « لإنكم تحتاجون إلى الصبر ، حتى إذا صنعتم مشيئة الله تنالون الموعد » (ع ٣٦) . وهو الصبر المقترن بالرجاء فى قول الرسول : « صبر رجائكم » (١ تس ١ : ٣) . وفى قوله أيضاً « فرحين فى الرجاء صابرين فى الضيق » (رو ١٢ : ١٢) . وما أتم الاتصال بين « الرجاء » وبين « الإيمان » كما بين ذات الرسول فى قوله : « متذكرين بلا انقطاع « عمل إيمانكم » . . . و « صبر رجائكم » (١ تس ١ : ٣) . لذلك بعد أن بين الرسول « صبر الرجاء » يتقدم بنا الآن إلى « عمل الإيمان » الذى سنتبينه ، فى :

الباب الثاني

الإيمان وشهوده (عب ١١ و ١٢)

وفيه فصلان :

الفصل الأول : « الإيمان » وأبطاله « القدماء » (ص ١١ : ١ — ٤٠) . بارزاً في قوله « في هذا شهد للقدماء » (ص ١١ : ٢) .

الفصل الثاني : « الإيمان » و « رئيسه ومكمله » (ص ١٢ : ١ — ٢٩) . بارزاً في قوله « ناظرين إلى رئيس الإيمان ومكمله يسوع » (ص ١٢ : ٢) .

الفصل الأول

« الإيمان » — وأبطاله « القدماء » — (عب ١١ : — ٤٠)

فى هذا الفصل ثلاثة أركان تتعلق « بالإيمان » وهى :— أولا : الإيمان وتعريفه (ص ١١ : ١ و ٢) : ثانياً : الإيمان « بأمور لا ترى » (ص ١١ : ٣) . ثالثاً : الإيمان فى اتصاله « بما يرجى » (ص ١١ : ٤ — ٤٠) .

الركن الأول : الإيمان وتعريفه (عب ١١ : ١ و ٢)

١ وَأَمَّا ٱلْإِيمَانُ فَهُوَ ٱلثِّقَةُ بِمَا يُرْجَى وَٱلْإِيقَانُ بِأُمُورٍ لَا تُرَى .
٢ فَإِنَّهُ فِي هٰذَا شُهِدَ لِلْقُدَمَاءِ .

فى هاتين الآيتين نرى « الإيمان » فى نسبتين معلومتين ، إحداهما : بالنسبة إلى ذاته ، معرفاً « بالثقة » بما يرجى و « الإيقان » بأمور لا ترى ، أما نسبته الأخرى : فهى إلى المؤمنين القدماء ، إلا أن الكلمة :

(ع ١) « وأما الإيمـــان » :

الكلمة « أما » هى حرف شرط وتفصيل وتوكيد . وهى هنا مقرونة بواو العطف . فهى ، على هذا النحو ، عاطفة لما سيأتى بعدها من الكلام بما أتى قبلها منه ، مفصلة ومؤكدة . وصيغة الكلام الذى أمامنا تربطها ربطاً تاماً بموضوع الإيمان — ابتـــداء من القول : « أما البار فبالإيمان يحيا » (ص ١٠ : ٣٨) : « وأما نحن فلسنا من الارتداد للهلاك بل ، من « الإيمان » لاقتناء النفس » (ص ١٠ : ٣٩) . إلى أن قال : « وأما الإيمان » (ص ١١ : ١) .

فى هذه الآيات الثلاث : يستـ[illegible] ـرر فائق : ويظهر جلياً لكل متأمل دقيق النظر . إنه هو المركز الثابت والمحور الا[illegible] الذى حوله يدور البحث للوصول

إلى نيل الموعد « بإتيان » « الآتى » ، الذى « بعد قليل جداً سيأتى . . . ولا يبطئ » ، ويبرز « الإيمان » الذى به « يحيا البار » وبقوته ينال المؤمنون اقتناء أنفسهم وخلاصها (راجع شرح ص ١٠ : ٣٦ — ٣٩).

وهل ننسى واو العطف المتصلة بكلمة « وأما » : والعاملة معها ، للتأكيد بأن الرسول سائر فى بحثه عن « الإيمان » الذى سبق الكلام عنه كما رأينا ، مبتدئاً ، هنا ، بوضع تعريف « للايمان » قائلا : « وأما الإيمان » :

« فهــو » :

و « هو » ضمير منفصل ينبه الفكر ليتنبه ، ويوقظ الذاكرة فتستيقظ لاستماع ما سيقوله من تعريف للايمان ، داعياً للذهن مفتوح وفكر جاد ، موجهاً كل قوى أولئك العبرانيين لإدراكه ، قائلا : « وأما « الإيمان » فهو » :

« الثقة بما يرجى ، والإيقان بأمور لا ترى » :

هذا هو تعريف الإيمان مركباً من شقين متساويين : الشق الأول قوله « الثقة بما يرجى » ، والشق الثانى قوله « الإيقان بأمور لا ترى » وبين هذين الشقين مقارنة ثلاثية ، لا متضاربة ولا متخالفة ، بل متوازية متشابهة هى :

(أ) « الثقة » . . . و« الإيقان » (ب) « بما » . . « بأمور » (جـ) « يرجى » .. و « لا ترى » : ويجدر بنا أن ندرس هذه الثلاثية كلا على حدته ..

(أ) « الثقــة » . . . . و « الإيقان » :

أما « الثقة » فهى فى الأصل اليونانى « هايبوستاسيس » وقد وردت فى هذه الرسالة مرتين سابقتين ، فى إحداهما ترجمت : « جوهر » فى سياق الكلام عن ابن الله الوحيد فى نسبته إلى الآب المبارك ، حيث قيل « هو بهاء مجده ورسم جوهره » (ص ١ : ٣).

والجوهر تعبير عن حقيقة لا تراها العين ، ولا يدركها الذهن وهذا هو الإيمان فى جوهره ، حالة تتولد فى القلب ، بالنسبة إلى الأشياء التى ترجوها ، فتتجلى أمام

حقائق بينة جلية ؛ بها يسر ويبتهج ؛ بمقتضى ما عبر به الرسول فى قوله : « لأننا بالإيمان نسلك ، لا بالعيان ؛ فنثق ونسر ، بالأولى ، أن نتغرب عن الجسد ونستوطن عند الرب » (٢ كو ٥ : ٧ و ٨) .

وبهذا المعنى يقول عن ابراهيم وإسحق ويعقوب : « فى الإيمان مات هؤلاء أجمعون ، وهم لم ينالوا المواعيد ، بل ، من بعيد نظروها ، وصدقوها ، وحيوها ، وأقروا بأنهم غرباء ونزلاء على الأرض » (انظر شرح ع ١٣) .

أما المرة الأخرى ، التى وردت فيها هذه « الثقة » مترجمة عن الأصل اليونانى « هايبوستاسيس » (« جوهر ») فهى قوله : « لأننا قد صرنا شركاء المسيح ، إن تمسكنا ببداءة الثقة ثابتة إلى النهاية » (راجع شرح ص ٣ : ١٤) ، حيث يتمثل الإيمان فى أمتن قوة وأسمى ارتقاء ، له بداءة تحل فى القلب « بروح الموعد القدوس » تبدأ معها شركة مجيدة مع المسيح ، ورؤيا فائقة لكل ما هو بعيد وغير منظور ، فيصبح حقيقة حاضرة مرئية ؛ تتولد منها الثقة » .

فالإيمان ، إذاً ، يكون هو « الثقة » فى تأثيره ونتائجه التى ، إن تمسكنا بها ؛ نستطيع أن نقول : « مع المسيح صلبت فأحيا ، لا أنا ؛ بل « المسيح » يحيا فى ؛ فما أحياه الآن فى الجسد ، فإنما أحياه فى الإيمان ، إيمان ابن الله الذى أحبنى ، وأسلم نفسه لأجلى » (انظر شرح غل ٢ : ٢٠ للمؤلف) : هذا يأتى بنا إلى :

« الإيقــان » :

الأصل اليونانى لهذه الكلمة « إيقان » يحمل معان متعددة : منها « الحجة » كما وردت فى منطوقات أيوب وهو يقول لأصحابه : « اسمعوا الآن « حجتى » ، واصغوا إلى دعاوى شفتى » كما يقول ، أيضاً : « من يعطينى أن أجده ؟ فآتى إلى كرسيه ؛ أحسن الدعوى أمامه ، وأملأ فمى حججاً » (أى ١٣ : ٦ و٢٣ : ٣ و٤) : ومن معانيه أيضاً « التوبيخ » بكل ما يتضمنه من تأثير فى القلب و« حجة » للاقناع ؛ كما ورد فى القول : « كل الكتاب هو موحى به من الله ، ونافع للتعليم والتوبيخ ، للتقويم والتأديب الذى فى البر ؛ لكى يكون إنسان الله كاملا ، متأهباً لكل عمل صالح » (٢ تى ٣ :

١٦ و ١٧) . فهو « النور » الذى « يوبخ » كل أعمال السيآت والشر وجميع أعمال الظلمة (اقرأ يو ٣ : ١٩ — ٢١ قابل أف ٥ : ١١ — ١٤) .

« فالإيقان » فى أصله يعطى « الإيمان » معنى الدليل الواضح ، والإعلان الذى يجعل « الأمور التى لا ترى » بينة ، كما لو كانت عيانية ؛ وتصبح حجة قوية ، توبخ كل نكران ؛ كما يوبخ النور « أعمال الظلمة » ، وبذلك يكون « الإيمان » لا مجرد « ثقة » فحسب ؛ بل « إيقان » أيضاً ، لا ينقض ولا يدحض ، وهذا يأتى بنا إلى :

(ب) « بمـــا » . . . « بأمور » :

عبارتان تعبران عن شيء واحد ، بحيث يصبح استبدالهما وضعاً ؛ فنقول : «الثقة بأمور » كما نقول « الإيقان بما » : فاستبدالها وضعاً لا يغير شيئاً من المعنى فى العبارتين . فالكلمة « ما » هى من الأسماء الموصولة . ويمكن التعبير بها ، لا عن اسم مفرد فحسب بمعنى : « الذى » ، بل يمكن أن ترد فى صيغة الجمع معبرة عن « أمور » متعددة ، ولتكميل المعنى إلى :

(ج) « يرجى . . . « لا ترى » :

و« ما يرجى » هو ذات «أمور لا ترى » : « فالمرجوات » هى ذاتها « غير المرئيات » : فكلاهما يعبر عن أمور لا تقع تحت الحواس ، فلا تنظر ولا تلمس ولا تذاق ولا يسمع لها صوت ولا تفيح لها رائحة . ولكنها ، بالرغم من كل ذلك موجودة حقاً . وقد بين الرسول هذه الحقيقة ، فى قوله : « لأننا بالرجاء خلصنا ؛ ولكن الرجاء المنظور ليس رجاء ؛ لأن ما ينظره أحد ، كيف يرجوه ، أيضاً ؟ ولكن إن كنا نرجو ما لسنا ننظره ؛ فإننا نتوقعه بالصبر » (رو ٨ : ٢٤ و ٢٥) .

بهذه « الثقة » اليقينية يقول « لذلك لا نفشل ؛ بل وإن كان إنساننا الخارج ؛ يفنى ؛ فالداخل يتجدد يوماً فيوماً ؛ لأن خفة ضيقتنا الوقتية تنشيء لنا أكثر فأكثر ؛ ثقل مجد أبدياً ، ونحن غير ناظرين إلى الأشياء التى ترى ؛ بل إلى التى « لا ترى » لأن التى ترى وقتية ، وأما التى « لا ترى » فأبدية ؛ لأننا نعلم أنه ، إن نقض بيت

خيمتنا الأرضى ؛ فلنا « فى السموات بناء من الله ، بيت ، غير مصنوع ، بيد ـ أبدى » (٢ كو ٤ : ١٦ – ٥ : ١ اقرأ ع ١٦ – ٥ : ١٠)

هذا يبعدنا كل البعد عن « طور سيناء » لأنه جبل واقع تحت الحواس ملموس ، مضطرم بالنار ، يرى فيه ضباب وظلام ؛ وتسمع منه أصوات زوابع وأبواق ، فهو إذاً من المرئيات بعيداً عن المرجوات ؛ فلا يدخل فى دائرة الإيمان (انظر شرح ص ١٢ : ١٨ – ٢١) . على أنه وإن كانت « المرجوات » « لا ترى » إلا أنه ليس كل « الغير المرئيات » « ترجى » . وهذا سنتبينه بإرشاد الرب فى ما قيل عن المؤمنين القدماء :

(ع ٢) « فإنه فى هذا » :

أى هذا الإيمان الذى هو « الثقة بما يرجى والإيقان بأمور لا ترى » الذى سبق الرسول فأنذر أولئك العبرانيين بعدم الارتداد عنه ، محتملين بالصبر الجميل الآلام المتنوعة ، ثابتين فيه لاقتناء أنفسهم ؛ راجعاً بهم إلى التاريخ القديم ، قائلا : « فإنه فى هذا : »

« شهد للقدماء » :

هؤلاء « القدما » يرجع تاريخهم إلى اليوم الذى فيه تعدى آدم العهد الإلهى (هو ٦ : ٧) ، فطرد من الجنة (اقرأ تك ٢ : ٧ – ١٧ مع ص ٣) . وبتاريخ أدق ، من تلك الساعة التى فيها نطق الرب الإله فى كلامه مع تلك الحية القديمة » – « التنين العظيم الأحمر » – « المدعو إبليس والشيطان » (انظر رو ١٢ : ٩ اقرأ كل الأصحاح) .

ذلك التاريخ الذى بدأ بعهد إلهى نصه « أضع عداوة بينك وبين المرأة ، وبين نسلك ونسلها ، هو يسحق رأسك وأنت تسحقين عقبه » (تك ٣ : ١٥). وقد أخذ هذا العهد قوته العملية فى ذات البرهة ، التى فيها « صنع الرب الإله أقمصة من جلد وألبسهما » (آدم وحواء تك ٣ : ٢١) ، إشارة إلى « دم كريم » ؛ كما من حمل

بلا عيب ولا دنس « دم المسيح » معروفاً سابقاً ، قبل تأسيس العالم »(١بط ١ : ١٩ (راجع شرح ص ٩ : ١٤) .

يبدأ تاريخ هذا العهد من « آدم » حتى يصل بنا إلى « يوحنا المعمدان » الذى جاء ليهيىء الطريق أمام المسيح بمقتضى الكلمة النبوية التى ختمت بها أسفار العهد القديم فى قول الرب : « هأنذا أرسل إليكم « إيليا النبى » (يوحنا المعمدان) قبل مجيء يوم الرب اليوم العظيم والمخوف ، فيرد قلب الآباء على الأبناء ، وقلب الأبناء على آبائهم ، لئلا آتى وأضرب الأرض بلعن » (ملا ٤ : ٥ و ٦ قابل لو ١ : ١٣ — ١٧ مع مت ١١ : ٧ و ١٤ اقرأ ع ٧ — ١٤ مع مت ١٧ : ١٠ — ١٣ مع لو ١٦ : ١٦ قابل إش ٤٠ : ٣ مع ملا ٣ : ١ مع مر ١ : ٢ — ٤) .

من هذه الفترة التاريخية ، يجمع الرسول عدداً من أبطال الإيمان وشهادات القدماء مفصلا قوله « فى هذا (الإيمان) شهد للقدماء » (انظر شرح ع ٤ — ٣٨) . أما الآن فعلينا أن نتأمل فى :

الركن الثانى : الإيمان « بأمور لا ترى » (عب ١١ : ٣)

٣ بِالْإِيمَانِ نَفْهَمُ أَنَّ الْعَالَمِينَ أُتْقِنَتْ بِكَلِمَةِ اللهِ حَتَّى لَمْ يَتَكَوَّنْ مَا يُرَى مِمَّا هُوَ ظَاهِرٌ .

فى هذا العدد يقدم الرسول الشق الثانى من تعريف الإيمان الذى هو « الإيقان بأمور لا ترى » على الشق الأول من هذا التعريف وهو « الثقة بما يرجى » ؛ أى أنه يقدم الكلام عن الغير المرئيات على الكلام عن المرجوات ، جاعلا نفسه واحداً من الخلائق التى تؤمن « بما لا يرى » معبراً عن ذلك ، بالقول :

(ع ٣) « بالإيمان نفهم » :

فى هذا التعبير يجعل الرسول « الإيمان » أساساً للفهم ، وبذلك ينفى نفياً باتاً فكرة كون الفهم أساساً « للايمان » ، فلم يقل « نفهم فنؤمن » بل قال نؤمن فنفهم ، منبراً بشدة على هذه الحقيقة الراهنة .

أما الفهم ، فهو ، فى تعريفه تصور الأشياء بمعانيها وحقائقها وجوهرها . عن طريق العقل والإنسان الباطن ، فيتبينها جلية ثابتة بالدليل القاطع . فبهذا المعنى ، يكون الفهم بياناً عقلياً ، يعتمد عليه الحكيم فى حكمته والكاتب فى ما يكتبه والمباحث فى مباحثه ، على أن الرسول يتجاسر فيقول : « أين الحكيم ؟ أين الكاتب ؟ أين مباحث هذا الدهر ؟ ألم يجهل الله حكمة هذا العالم » : فإن العالم لم يستطع أن يصل إلى معرفة الله بتلك الحكمة » (١كو ١ : ٢٠ و ٢٢) .

هذه الحقيقة يبينها الرسول بأكثر وضوح ، فى قوله : « لأن غضب الله معلن من السماء على جميع فجور الناس وإثمهم . . . إذ معرفة الله ظاهرة فيهم ؛ لأن الله أظهرها لهم ، لأن أموره غير المنظورة (« قدرته السرمدية ولاهوته ») ترى منذ خلق العالم مدركة بالمصنوعات ، حتى إنهم بلا عذر ؛ لأنهم لما عرفوا الله ؛ يمجدوه أو يشكروه كإله ، بل حمقوا فى أفكارهم وأظلم قلبهم الغبى ، وبينما هم يزعمون أنهم حكماء ؛ صاروا جهلاء » (رو ١ : ١٨ — ٢٢) ، فأين الفهم ؟ وأين البيان العقلى ؟

على قياس هذا التمثيل فى العلاقة بين الإيمان والفهم ، الذى هو البيان العقلى ، تتجلى أمامنا ، أيضاً ، العلاقة بين الإيمان و« العيان » ، بمقتضى النص الصريح القائل « لأننا بالإيمان نسلك ، لا بالعيان » (٢كو ٥ : ٧) ، وهى حقيقة برزت بصورة واضحة فى قول السيد المسيح لمرثا : « ألم أقل لك ؟ إن آمنت ؛ ترين مجد الله » (يو ١١ : ٤٠ إقرأ ع ٢٥ و ٢٦) ، ويبينه بأكثر وضوح ، فى قوله لتلميذه توما « لأنك رأيتنى يا توما ، آمنت ، طوبى للذين آمنوا ولم يروا » (يو ٢٠ : ٢٨ اقرأ ع ٢٤ — ٢٩) .

بمقتضى هذا الوضوح ، يقول الرسول فى الكرازة بالإنجيل : « لم أعزم أن أعرف شيئاً بينكم ، إلا يسوع المسيح وإياه مصلوباً » (اقرأ ١ كو ٢ : ١ — ٥) ، فى صدد قوله سابقاً : « لأن اليهود يسألون « آية » (« عياناً ») (اقرأ يو ٦ : ٣٠ و ٣١ مع مت ٢٧ : ٣٩ — ٤٤) . واليونانيين يطلبون « حكمة » (بياناً) . ولكننا نكرز بالمسيح مصلوباً ، لليهود عثرة ، ولليونانيين جهالة ، وأما للمدعوين (« بالإيمان ») يهوداً

ويونانيين ، فبالمسيح قوة الله وحكمة الله » (١ كو ١ : ٢٢ — ٢٥) . إذاً الإيمان فالعيان ، الإيمان فالبيان ، لذلك يقول الرسول : « بالإيمان نفهم » :

« أن العالمين » :

هذه الكلمة « العالمين » هي ترجمة الكلمة العبرية « هاعولاميم » وقد وردت بذات لفظها قبلا في (ص ١ : ٢) . ولكنها وردت ، أيضاً ، مترجمة بلفظ « الدهور » (ص ١ : ٨) (راجع شرح ذينك الموضعين) ، على أن الرسول ، في الموضع الذي أمامنا ، يتكلم عن « العالمين » مقترنة اقتراناً تاماً ومنحصرة انحصاراً كلياً في « العالمين » التي : —

« أتقنت » :

وهي كلمة تحمل معنى الدقة في العمل مع كمال في الإبداع وجمال في المصنوعات . على حد القول الإلهي المقدس « ورأى الله كل ما عمله فإذا هو « حسن » جداً » (تك ١ : ٣١) ، إلى حد القول عن الخالق العظيم ، « أنه ، في ستة أيام ، صنع الرب السماء والأرض ، وفي اليوم السابع « استراح وتنفس » (خر ٣١ : ١٧) . كما لو أنه ، جل جلاله ، إذ رأى ، في ما خلق ، ذلك الإتقان العجيب والبهاء الفائق والمجد الذي لا يعبر عنه ، في ذلك الإبداع والإتقان ، استراحت نفسه « وتنفس تنفس الراحة التامة الفائقة ، ولا سيما في خلق الإنسان على صورة بهائه ومجده الفائقين ، متسلطاً على جميع المخلوقات (قابل تك ١ : ٢٦ — ٢٨ مع مز ٨ و ١٠٤ راجع شرح ص ٢ : ٥ — ٩) .

كل ما قيل في شرح هذه الكلمة « أتقنت » يحدد موقعها بالنسبة إلى « العالمين » باعتبار كونها تعبيراً عن كل ما أتقن وأبدع في مدة الستة الأيام ؛ حينما ظهر النور في اليوم الأول : « ورأى الله النور أنه حسن » (اقرأ تك ١ : ٣ — ٥ قابل مز ١٠٤ : ٢ مع يو ١ : ٩ و ١٠ مع ٢ كو ٤ : ٦) ، إلى اليوم السادس الذي فيه « خلق الله الإنسان ، على شبه الله عمله ، ذكراً وأنثى خلقه وباركه ، ودعا اسمه آدم يوم خلق » (قابل تك ٥ : ١ و ٢ مع ١ : ٢٦ — ٢٨) .

كان إتقان « العالمين » فى ستة أيام :

اليوم الأول — « النور » : وفصل الله بين النور والظلمة ، ودعا الله النور نهاراً ، والظلمة دعاها ليلا » (تك ١ : ٣ — ٥) .

اليوم الثانى : « الجلد » : « فى وسط المياه . . . فاصلا بين المياه التى تحت الجلد والمياه التى فوق الجلد . . . ودعا الله الجلد سماء » (تك ١ : ٦ — ٨) .

اليوم الثالث : « اليابسة » و« مجتمع المياه » ، و« دعا الله اليابسة أرضاً ، ومجتمع المياه دعاه بحاراً » : وأخرجت الأرض نباتها (تك ١ : ٩ — ١٣) .

اليوم الرابع : « أنوار فى جلد السماء » : « تكون لآيات وأوقات وأيام وسنين . النور الأكبر (الشمس) لحكم النهار ، والنور الأصغر (القمر) لحكم الليل ، والنجوم » (تك ١ : ١٤ — ١٩) .

اليوم الخامس : أسماك فى المياه ، وطيور فى الفضاء « على وجه جلد السماء » ، « خلق التنانين العظام ، وكل ذوات الأنفس الحية الدبابة التى فاضت بها المياه كأجناسها وكل طائر ذى جناح كجنسه » (تك ١ : ٢٠ — ٢٣) .

اليوم السادس : « ذوات أنفس حية كجنسها » من الأرض وعلى الأرض ، بهائم ودبابات ووحوش أرض ، والإنسان : تاجها فوق رأسها سلطاناً عليها (تك ١ : ٢٤ — ٣١) : هذا هو وضع « العالمين » التى « أتقنت » :

« بكلمة الله » :

هذه هى « الكلمة » التى نطق بها ذلك المبدع القدير ، بديع السموات والأرض حيث « قال فكان ، هو أمر فصار » (مز ٣٣ : ٩ قابل تك ١ : ٣ و ٦ مع باقى الفصل) . تحقيقاً للقول « بكلمة الرب صنعت السموات ، وبنسمة فيه كل جنودها ، يجمع كند أمواه اليم ، يجعل اللجج فى أهراء » (مز ٣٣ : ٦ قابل تك ١ : ٩) .

هكذا ينبئنا الرسول بطرس ، قائلا « إن السموات كانت ، منذ القديم ، والأرض « بكلمة الله » قائمة من الماء وبالماء » (٢ بط ٣ : ٥) . وما أصدق تعبير الخالق نفسه

فى هذا الصدد ! قائلا : « هكذا تكون كلمتى التى تخرج من فمى ، لا ترجع إلى فارغة ، بل تعمل ما سررت به : وتنجح فى ما أرسلتها له » (إش ٥٥ : ١١ إقرأ ع ٨ — ١١) . وإن نسينا ! فلا ننسى ذلك الكائن الأعلى الذى « يدعى اسمه » :

« كلمة الله » :

(رؤ ١٩ : ١٣ اقرأ ع ١١ — ١٦) ، هذا هو الذى قال عنه يوحنا فى بشارته : « فى البدء كان « الكلمة » ، و « الكلمة » كان عند الله ، وكان « الكلمة » الله ، هذا كان فى البدء عند الله : كل شىء به كان : وبغيره لم يكن شىء مما كان : فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس » (يو ١ : ١ — ٤ اقرأ ع ١ — ١٠) .

هذا هو الذى سبق أن رأيناه تحت عنوان « به عمل العالمين » وقال فيه المرنم « من قدم أسست الأرض والسموات هى عمل يديك ، هى تبيد وأنت تبقى وكلها كثوب تبلى ، كرداء تغيرهن ، فتتغير ، وأنت هو وسنوك لن تنتهى » (مز ١٠٢ : ٢٥ — ٢٧ راجع شرح ص ١ : ٤ و ١٠ — ١٢ اقرأ أم ٨ : ٢٢ — ٣١) .

وما أجل قدرته ! التى بينها لعبده أيوب ، فى قوله له : « من حجز البحر بمصاريع ؟ حين اندفق فخرج من الرحم ، إذ جعلت السحاب لباسه والضباب قماطه ، وجزمت عليه حدى ، وأقمت له مغاليق ومصاريع . وقلت « إلى هنا تأتى ولا تتعدى ، وهنا تتخم كبرياء لججك » (أى ٣٨ : ٧ — ١١ اقرأ ع ١ — ١١ قابل تك ١ : ٩ و ١٠) . ألا نرى إذاً ، من هذه الشواهد ؟ « أن العالمين أتقنت بكلمة الله » :

« حتى لم يتكون ما يرى مما هو ظاهر » :

فى هذا القول تعبيران رئيسيان متقابلان يتفقان فى معناهما : التعبير الأول « ما يرى » منطبق انطباقاً تاماً مع التعبير الثانى « ما هو ظاهر » فهما بمعنى واحد ، لا خلاف بينهما .

إلا أن اعتراض القول : « لم يتكون » بين هذين التعبيرين ، ينفى ما فى التعبير الثانى من ظهور ويجعله خفاء كلياً ، كما لو قيل : حتى تكون « ما يرى » « مما هو خفى » (غير ظاهر) ، وهذا يدعونا إلى درس هذه الجملة تفصيلياً ، مبتدئين بكلمة :

« حتى » :

ولعل المقصود بها هنا : أن ترتفع بأفكارنا وتسمو بعقولنا إلى أعلى درجة لقدرة ذلك المكون البديع ولاهوته الذى لا يدرك ، الذى قيل فيه : « لأن أموره غير المنظورة « ترى » منذ خلق العالم ؛ مدركة بالمصنوعات ؛ قدرته السرمدية ولاهوته » (رو ١ : ٢٠) ، وأنشد المرنم فى هذا الصدد ، قائلا : « السموات تحدث بمجد الله ، والفلك يخبر بعمل يديه » (مز ١٩ : ١ اقرأ ع ١ — ٦) .

وما أمجد تعبير النبي ! فى قوله : « إرفعوا إلى العلاء عيونكم وانظروا ، من خلق هذه ؟ من الذى يخرج بعدد جندها ؟ يدعو كلها بأسماء ، لكثرة القوة وكونه شديد القدرة ، لا يفقد أحد » (إش ٤٠ : ٢٦ فابل مز ١٤٧ : ٤ و ٥) ؛ إلى هذه القدرة الخالقة ؛ و هذا اللاهوت السامى العجيب ، يرفع الرسول أنظارنا ، قائلا « حتى » :

« لم يتكون ما يرى » :

وبمقتضى المنطق : الذى سبق الكلام عنه ، فى تكوين هذه الجملة ، يمكننا ، بصيغة إيجابية ، أن نقول : حتى تكون « ما يرى » : أما « ما يرى » فهو تعبير عن « العالمين » التى سبق الكلام عنها بالإشارة إلى ما برز من الخلق فى مدة الستة الأيام (راجع الشرح) . أما كلمة « تكون » فهى تعبير عن ذات الكلمة « أتقنت » التى سبق الكلام عنها . أيضاً (راجع الشرح) . بقى علينا أن نفهم قوله « لم يتكون ما يرى » :

« مما هو ظاهر » :

هذا تعبير له علاقة ثابتة وقوية بعبارة « ما يرى » (كما سبقت الإشارة) : وهى علاقة لا يمكن أن تدرك ، إلا مع القول « لم يتكون » ، فنقرأها « ما يرى لم يتكون مما هو ظاهر » ، فالكلمة « لم » ليست نافية لتكوين « ما يرى» ، فقد سبق أن رأينا تكوينه فى اتقان « العالمين» : فهى ، بالحرى ، نافية لتكوين « ما يرى » (« العالمين ») « مما هو ظاهر » إثباتاً لتكوينه مما هو خفى غير ظاهر .

إلى هذا الخفاء : يشير الوحى المقدس فى المكتوب النبوى : «وكانت الأرض خربة وخالية ، وعلى وجه الغمر ظلمة ، وروح الله يرف على وجه المياه » (تك ١ : ٢) . والتعبير العبرى « تيه وبهو » يبين لنا بوضوح القول : « خربة وخالية » باعتبار كونه وصفاً لحالة . . . الأرض قبل إتقان « العالمين » (« ما يرى ») فى الأيام الستة وقبل ظهورها واضحة مرئية ؛ حيث لم يكن سوى الخراب والخلاء والظلمة وغمر ماء لا هيئة له ولا نظام ولا ترتيب ولا إتقان ، بل تشويش تام ، ككتلة مائية مظلمة لا هيئة لها ولا شكل .

هذه الكتلة المائية المظلمة كانت هى تلك المادة التى منها أتقنت العالمين — من تلك المادة التى لم تكن ظاهرة تكون « ما يرى » .

أما كيف وجدت هذه المادة ؟ فهو سؤال نجد جوابه فى الكلمة النبوية : «فى البدء خلق الله السموات والأرض » (تك ١ : ١) ، حيث بدأ العمل الإلهى فى الخلق من لا شىء بإيجاده من العدم ، مادة هى تلك الكتلة المائية المظلمة الخفية ، ومنها أتقن العالمين « فقال أن يشرق نور من ظلمة » (٢ كو ٤ : ٦) . وأخرج من التشويش نظاماً بديعاً متقناً ، وترتيباً باهراً ؛ فهو ليس «إله تشويش بل إله سلام » يعمل «كل شىء بلياقة وبحسب ترتيب » (١ كو١٤ : ٣٣ و ٤٠) . وأوجد من الموت حيـــاة ومن الموتان حيواناً ، وأخرج من اليابسة نباتاً (« راجع » شرح العالمين) .

فى هذه الكلمة النبوية إعلان صريح به نؤمن فنفهم ، أن المبدع القدير « فى البدء خلق السموات والأرض » بكلمة قدرته من « لا شىء » (أى من العدم) (تك ١ : ١) ، غمراً مظلماً ، كتلة مشوشة ، كياناً مادياً — منه أتقن « العالمين » .

هذا الإيمان يقضى ، قضاء مبرماً ، على فكرة أزلية المادة ، ويحكم حكماً كلياً ، ببطلان تلك النظرية ، ويؤيد ، تأييداً تاماً ، صحة النظرية القائلة بإيجاد الكيان المادى من «لا شىء» (أى من العدم) ، ومن ذلك الكيان المادى — الموجود (المخلوق) من العدم — أبدع القدير الحكيم ، بكلمة قدرته وبهاء حكمته ، هذا الكون (الكيان) المنظور .

هذا هو الإعلان الإلهي المبين في الكلمة النبوية ، الذى فيه نرى « بالإيمان » لا بالعيان ، ونفهم « بالإيمان » لا بالبيان ، أن العالمين أتقنت بكلمة الله . حتى أنه « لم يتكون « ما يرى » مما « هو ظاهر » .

فى هذا الإعلان النبوى يتضح لنا ببيان جلى :

(أ) أن النص الكتابى « فى البدء خلق الله السموات والأرض » (تك ١ : ١) — هو إعلان عن تلك القوة السرمدية التى أوجدت الكيان المادى للسموات والأرض عن طريق الخلق من العدم ، أى بإيجاد وجود من لا وجود .

(ب) أن هذا الكيان المادى لم يكن إلا كتلة مائية مظلمة خربة لا هيئة لها ولا شكل — كياناً مائياً فى أعماق جوف الظلمة ؛ مخفياً ومستوراً ومكنوناً ، لا عين تراه سوى عين ذاك . الذى « يكشف العمائق من الظلام . ويخرج ظل الموت إلى النور » (أى ١٢ : ٢٢) كما هو معبر عنه فى النص النبوى القائل « وكانت الأرض خربة وخالية ، وعلى وجه الغمر ظلمة ، وروح الله يرف على وجه المياه » (تك ١ : ٢) .

(ج) أن التفصيل الوافى لإتقان « العالمين » . وإخراج الكيان المادى المشوش إلى النور والنظام والحياة . هو الذى نصت عنه تلك الكلمة النبوية فى إبداع الأيام الستة ، المنصوص عنه فى (تك ١ : ٣ — ٢ : ١) .

الآن ، وقد رأينا الإيمان أولا : — فى تعريفه (ع ١ و ٢) . ثانياً : « بأمور لا ترى » (ع ٣) . فلنتقدم . الآن . بإرشاد روح الله وعونه إلى :

الركن الثالث : الإيمان فى اتصاله بما يرجى » (عب ١١ : ٤ — ٤٠)

فى هذا الركن نتبين « الإيمان » مع « الرجاء » المبارك مقترنين معاً فى أبطال . مشهود لهم من قدماء المؤمنين ، ويمكننا أن نفصل ما شهد فيه لهم فى هذا الوحى التفسيرى المبين فى هذا الإعلان الإلهى فى أربعة أجزاء على النحو التالى :

الجزء الأول : شهادة لثلاثة منهم قبل الطوفان (ع ٤ — ٧) .

الجزء الثانى : شهادة لثلاثة فى « أرض الموعد » — غرباء (ع ٨ — ٢١) .

الجزء الثالث : شهادة لاثنين آخرين فى أرض مصر — فى « بيت العبودية » (ع ٢٢ — ٢٩) .

الجزء الرابع : شهود الإيمان فى « أرض الموعد » (ع ٣٠ — ٤٠) .

الجزء الأول : شهادة لثلاثة قبل الطوفان (عب ١١ : ٤ — ٧)

هؤلاء الثلاثة هم : أولا : « هابيل » — عبادة الله (ع ٤) — ثانياً : « أخنوخ » السير مع الله (ع ٥ و ٦) — ثالثاً : « نوح » دينونة الله (ع ٧) .

أولا : « هابيل » — عبادة الله (عب ١١ : ٤)

٤ بِٱلْإِيمَانِ قَدَّمَ هَابِيلُ لِلّٰهِ ذَبِيحَةً أَفْضَلَ مِنْ قَايِينَ. فَبِهِ شُهِدَ لَهُ أَنَّهُ بَارٌّ إِذْ شَهِدَ ٱللّٰهُ لِقَرَابِينِهِ. وَبِهِ وَإِنْ مَاتَ يَتَكَلَّمُ بَعْدُ.

فى هذه الآية (٤) يوقفنا الرسول أمام بطل من أبطال الإيمان (أ) اسمه « هابيل » (ب) عبادته : « قدم لله ذبيحة أفضل من قايين » (ج) تبريره : « شهد له أنه بار » (د) كلامه : « وإن مات يتكلم بعد » .

« هابيل » : (أ) اسمه

« هابيل » :

هذا هو المولود الثانى لآدم وحواء . حيث قيل « ثم عادت فولدت أخاه « هابيل » وكان « هابيل » راعياً للغنم . وكان قايين عاملاً فى الأرض » (تك ٤ : ٢) .

وهذا الاسم « هابيل » هو اسم . فى أصله العبرى . من مادة (هبل) وهى ذات المادة فى اللغة العربية ، حيث يقال (هبلته أمه) : أى ثكلته بمعنى فقدته ، وهذا هو ما حدث فعلا ، فى تاريخ « هابيل » ، فقد هبلته أمه — أى فقدته — بيد أخيه

الأكبر « قايين » : تلك اليد الأثيمة التي أشار إليها يوحنا الرسول - في تعبيره عن شر القضية ، قائلا : «ليس كما كان قايين من الشرير وذبح أخاه ، ولماذا ذبحه ؟ لأن أعماله كانت شريرة ، وأعمال أخيه بارة » (١ يو ٣ : ١٢ اقرأ تك ٤ : ٨ - ١٢) .

وإذا عدنا إلى الأصل العبرى ، نجد مادة هذا الاسم : هابيل » مترجمة « باطل » ، في قول الجامعة « باطل الأباطيل ، الكل باطل » (جا ١ : ٢) ، وقد ترجمت ، أيضاً « نفخة » - « باطلا » في قول المرنم « إنما « نفخة » كل إنسان قد جعل ، إنما كخيال يتمشى الإنسان ، إنما « باطلا » يضجون » (اقرأ مز ٣٩ : ٥ و٦) . هو ذات المعنى المقصود في القول : « لأنه ما هي حياتكم ؟ إنها بخار يظهر قليلا ثم يضمحل » (يع ٤ : ١٤) .

ولكن ! هل كانت أمه تعلم ؟ أن حياته ستكون هكذا « نفخة » و « باطلا » ! وأنها ستهبله يوماً ، وتصير هي ، بالنسبة إليه ، ثكلى ؟ لذلك دعت اسمه « هابيل » ؟ ومن أين جاءها هذا العلم ؟ هل كان بوحي إلهي ؟ كما كان الأمر مع « لامك » ؟ حين دعا اسم ابنه « نوحاً » ، قائلا : « هذا يعزينا عن عملنا وتعب أيدينا ، من قبل الأرض التي لعنها الرب » (تك ٥ : ٢٨ و ٢٩ انظر شرح ع ٧) . لعل هذا العلم استقته حواء من وحي لمسته في خيبة أملها في : -

« قايين » :

هذا هو المولود الأول ، بين كل بني آدم ، بكر (حواء) بمقتضى النص الكتابي النبوى القائل : « وعرف آدم حواء امرأته فحبلت وولدت « قايين » وقالت « اقتنيت رجلا من عند الرب » (تك ٤ : ١) .

وهو تعبير ورد ترجمة لأصل عبرى لفظه « قانيت إيش أت - يهوه . وتعريبه « قنيت إنساً (إنساناً) « يهوه » ، فدعت اسم هذا المولود « قايين » باعتبارها إياه قنية فاخرة من عند « يهوه » فرحت باقتنائها ، وامتلأ قلبها بالرجاء المبارك لإتمام الوعد الذي نطق به « يهوه » في جنة عدن ، عند النطق بلعنه الحية ؛ في قوله لها : « أضع

عداوة بينك وبين المرأة ، وبين نسلك ونسلها ، هو يسحق رأسك ، وأنت تسحقين عقبه » (تك ٣ : ١٥ اقرأ ع ١ — ١٥) .

كانت ترجو ، ولابد ، أن فى مولودها الأول هذا ، يتم رجاء ذلك الوعد المبارك بسحق رأس الحية ، لتعود الحياة إلى مجاريها فى جنة عدن إذ يعودون إليها بعد طردهم منها ، ولكن الرجاء خاب ، والانتظار فشل ، وضاع الأمل ؛ لأنها لم تر فيه سوى طفل مدلل على الركبتين ، يحمل بين اليدين ، يرضع من الثديين ، يصرخ صرخات مرة من آلام تنتابه ، ويبكى بكاء يقطع نياط القلب ؛ دليلا على ما فى طبيعته من آثار حكم الموت ، وسم الحية الناقع ؛ بمقتضى الحكم الصادر على الجنس البشري ؛ فى قول الله « لآدم » بوصف كونه نائباً شرعياً ، « ملعونة الأرض بسببك ، بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك ، وشوكاً وحسكاً تنبت لك . . . حتى تعود إلى الأرض التي أخذت منها ؛ لأنك تراب ، وإلى تراب تعود » (تك ٣ : ١٧ — ١٩ قابل مز ٩٠ : ٣ — ٦ مع رو ٥ : ١٢ و ١٣) ، إتماماً للتحذير الإلهى الصادر لآدم ، سابقاً ، فى وصية له ، قائلا : « من جميع شجر الجنة تأكل أكلا ، وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها ؛ لأنك ، يوم تأكل منها « موتاً تموت » (تك ٢ : ١٦ و ١٧) .

خاب أمل حواء وفشل انتظارها وانطفأ نور رجائها ، ولعلها استقت ، من خيبة الرجاء هذه ، وحياً ببطلان الحياة واليأس منها ، ولعلها ، بهذا الوحى ، دعت اسم ابنها الثانى « هابيل » . وقد صدق وحيها وتمت الرؤيا ، وتحققت فى قتل « هابيل » بيد أخيه « قايين » ، وفى طرد « قايين » من وجه الرب ، وابتعاده ، كل البعد عن طريق الحق وعبادة القدوس (اقرأ تك٤ : ٨ —١٦قابل١ يو ٣ : ١٢) . هذا يأتى بنا إلى :

« هابيل » : (ب) عبـادته

« بالإيمان « قدم هابيل لله ذبيحة » أفضل من قايين » :

فى هذه الجملة : نتبين أول خبر عن هذين المولودين الشقيقين الوحيدين فى العالم فى علاقتهما بالإله الحى الأزلى فى صورة العبادة أمام الفاحص القلوب والكلى ؛ حيث يرسم أمامنا : — ١ — مكان العبادة ٢ — طريقة العبادة ؛

١ — مكان العبـادة :

يرينا التاريخ المقدس فى « الكلمة النبوية » ذلك المكان الأول الذى أعده « يهوه » لخلائقه من البشر ؛ حيث يتقدمون لديه ، متعبدين له ، وهو مكان محدد معلوم : أعلنه الله ذاته ، إذ « أقام شرقى جنة عدن الكروبيم ولهيب سيف متقلب لحراسة طريق شجرة الحياة » (تك ٣ : ٢٤) .

فقد كان المكان الأول المعد لاتصال الإنسان بمعبوده ، هو ذات جنة عدن ؛ حيث كان يسمع « صوت « يهوه الوهيم » ماشياً فى الجنة » (تك ٣ : ٨) ، إتماماً لفرح قلبه بمقتضى الإعلان الصادر منه ، الذى عبر عنه الحكيم بلسانه ، فى قوله : « لذاتى مع بنى آدم » (أم ٨ : ٣٠ و ٣١ اقرأ ع ١٢ — ٣١) .

أما الآن ! وقد طرد الإنسان من الجنة ؛ فقد تعين مكان ذلك الاتصال شرقى الجنة حيث أقيم الكروبيم ولهيب سيف متقلب لحراسة طريق شجرة الحياة ، وهو إعلان نتبينه بأكثر وضوح فى التاريخ المقدس بالوحى الإلهى (قابل خر ٢٥ : ١٨ — ٢٢ اقرأ ع ١٠ — ٢٢ مع ٢ أى ٥ : ٧ — ١٠ انظر عد ٧ : ٨٩ مع ١ صم ٤ : ٤ و ٢ صم ٦ : ٢ و ٢ مل ١٩ : ١٥ ومز ٨٠ : ١ و ٩٩ : ١ قابل أيضاً حز ١ : ٢٦ — ٢٨ اقرأ كل الأصحاح مع ص ١٠ : ١٥ — ٢٢ اقرأ كل الأصحاح) .

الآن ! وقد عرفنا المكان الذى عينه الله للانسان ، فيه يتصل بخالقه ويتقدم أمامه نأتى إلى :

٢ — طريقة العبـادة » :

وهذه الطريقة تتضح فيما أعلنه الرسول هنا ، قائلا « بالإيمان » : —

« قدم هابيل لله ذبيحـة » :

هذه هى الطريقة التى تقدم بها هابيل إلى الله متعبداً ، وفيها تتبين لنا الطريقة المرضية عند الله للعبادة العقلية بالروح وبالذهن (قابل رو ١٢ : ١ و ٢ مع ١ كو ١٤ : ١٥) ، بتقديم : —

« ذبيحة » :

وإذا رجعنا إلى تاريخ هذا التعبد نقرأ ، في سفر التكوين ، ما نصه « قدم » هابيل » أيضاً ، من أبكار غنمه ومن سمانها » (تك ٤ : ٤) . أما الكلمة « أيضاً » فترجع بنا إلى قول سابق ، نصه : « وحدث من بعد أيام ، أن قايين قدم من أثمار الأرض « قرباناً » للرب » (تك ٤ : ٣) .

بمقابلة هذين النصين ، يتبين لنا أن ما قدمه « هابيل » كان هو ، أيضاً « قرباناً » . وهذا القربان هو الذي يعبر عنه الرسول هنا بكلمة «ذبيحة» : وهل هذا التعبير يرجع إلى أن قربان « هابيل » كان « من أبكار غنمه ومن سمانها » ؟ الأمر الذي يستدعي الذبح وسفك الدم وسلخ الجلد لذلك دعاه « ذبيحة » ؟

إذاً كانت الذبيحة التي قدمها « هابيل » هي ، ولابد « قرباناً » هو « محرقة » من الغنم ذكراً صحيحاً ، ذبحه وسلخ جلده ورش دمه فوق المذبح الذي بناه ، وقطعه إلى قطعه مع رأسه وشحمه ورتب كل تلك القطع فوق المذبح مع الأحشاء والأكارع إنه محرقة وقود سرور للرب (إقرأ لا ١ : ١٠ — ١٣) . فإنه من الواضح أن قربان المحرقة كان هو أول القرابين (ولعله كان الوحيد) الذي كان يتقدم العابد به لرضاء معبوده . ولا نقول عبثاً إذا قلنا ، إن هذا هو الإعلان الذي أعلنه الله لآدم وحواء في جنة عدن يوم صنع الرب الإله أقمصة من جلد وألبسهما ساتراً عريهما وخزيهما (تك ٣ : ٢١) .

فإنهما ، ولابد ، رأيا مذبحاً يبنى وحيواناً يذبح لأول مرة ودمه يرش ولحمه يقطع قطعاً وتخرج أحشاؤه وتوضع كلها فوق المذبح وتظهر نار محرقة ، وتصعد إلى السماء ويصنع الجلد أقمصة يلبسانها بيد « يهوه » نفسه فكان لها ولأولادهما وللبشرية أجمع إعلان عن طريقة الاقتراب إلى الإله القدوس بالذبيحة المرضية في قربان المحرقة التي تصعد وقود رائحة سرور يتنسمها « يهوه » للرضا (قابل ٨ : ٢٠ و ٢١) . هذا ما يقرره الرسول هنا ، قائلا « بالإيمان قدم هابيل لله ذبيحة » :

« أفضل من قايين » :

من هذا القول يستفاد أن « قايين » قدم هو ، أيضاً ، ذبيحة ، كما قدم « هابيل » . وإذا رجعنا إلى نص التاريخ النبوى الذى اقتبس منه الرسول هذا القول : نجد الكلمة « قرباناً » عنواناً لما قدمه « قايين » كما لما قدمه « هابيل » أيضاً ، كما سبق أن رأينا فى النصين التماثلين : « وحدث من بعد أيام ، أن «قايين» قدم من أثمار الأرض « قرباناً » للرب (« يهوه ») ، وقدم « هابيل » أيضاً ، من أبكار غنمه ومن سمانها » (تك ٤ : ٣ و ٤) ، حيث نرى أن ما يعبر عنه فى « الكلمة النبوية » » بالقول « قرباناً » عبر عنه الرسول بالقول « ذبيحة » ، وقد سبق أن رأينا ذبيحة « هابيل » قربان « محرقة » باعتبار أنها « من أبكار غنمه ومن سمانها » (لا ١ : ١٠ — ١٣) .

أما قربان « قايين » فيظهر أنه هو ذلك القربان الموضوع فى تلك « الكلمة النبوية » تحت عنوان « قربان تقدمة » (اقرأ لا ص ٢) ، فهل بهذه النسبة بين « قربان المحرقة » و بين « قربان التقدمة » يقول الرسول ؟ « قدم هابيل لله ذبيحة أفضل من قايين » ؟ .

« أفضل » :

يستخلص الرسول فكرة الأفضلية هذه من النص الأصلى ، فى التاريخ النبوى ، حيث قيل : « فنظر الرب (« يهوه ») إلى « هابيل » وقربانه ، ولكن إلى «قايين» وقربانه لم ينظر » (تك ٤ : ٤ و ٥) ، فهى أفضلية أعلنها الرب قديماً وعليها بنى الرسول قوله هذا ، وهذه حقيقة تبين بجلاء أن الرسل بنوا تعاليمهم على ما جاء فى « ناموس موسى والأنبياء والمزامير » (لو ٢٤ : ٤٤ اقرأ ع ٢٥ — ٥٠) ، كما سبق أن اتضح أمامنا فى كل ما ورد فى هذه الرسالة من الاقتباسات النبوية القديمة التى رأيناها جلية واضحة وما نراه واضحاً الآن أمامنا فى أمر هذه الأفضلية .

وإذا أمعنا النظر فى هذا النص القديم نرى صريحاً ، أن نظرة الرب كانت أولا ، لا إلى القرابين ، بل إلى مقدميها . أى أنه ، له المجد ، نظر إلى « هابيل » قبل أن ينظر إلى قربانه ، كما أنه ، جل جلاله ، لم ينظر إلى قربان « قايين » ، لأنه لم ينظر إلى شخصه ، فكانت نظرة الرضا ، والحالة هذه ، إلى « هابيل » هى ، أيضاً ، نظرة

الرضا إلى قربانه وكان العكس بالعكس إلى « قايين » فلابد إذاً أن يكون سر هذه الأفضلية بالنسبة إلى كونه :

« بالإيمـــان قدم » :

وهل لم يكن « لقايين » إيمان بالله ؟ ألا يعتبر تقدمه لعبادة الرب دليلا على إيمانه به ؟ أو ليس ، فى تقديمه قرباناً للرب «من أثمار الأرض» التى كان عاملا فيها دليل على اعترافه بوجود الله ؟ وبما لجلاله من الحق فى الأرض التى صنعها ؟ وفى الأثمار التى أنتجها منها ؟ أو لا يجوز لنا أن نعتبر قربان قايين دليلا على ما فى قلبه من الشكر لمعبوده ؟ فكيف إذاً ، والحالة هذه ، يقال ؟ والقول حق : وحى البهى ؟ « إلى قايين وقربانه لم ينظر » ؟

هل كانت نظرته ، تعالى اسمه ، إليه ، كنظرة رب المجد ، يسوع إلى ذلك الفريسى ؟ الذى وقف فى الهيكل ، يصلى ، قائلا : « اللهم أنا أشكرك إنى لست مثل باقى الناس الخاطفين الظالمين الزناة ، ولا مثل هذا العشار ، أصوم مرتين فى الإسبوع ، وأعشر كل ما أقتنيه » (لو ١٨ : ١١ و ١٢) وحكم حكماً إلهياً بأنه رجع إلى بيته غير مبرر ؟ (اقرأ لو ١٨ : ٩ — ١٤) .

هل على هذا القياس لم ينظر الله إلى قايين وقربانه الذى أتى به من أثمار الأرض التى كان عاملا فيها من تعب يديه ؟ (تك ٤ : ٢) ، وإنتاج عمله ومجهودات قوته ، وكأنه يأتى بها فخوراً بما جنت يداه حاسباً نفسه أفضل من أخيه الذى أتى بقربان ليس من إنتاجه ولا من خلق يديه ممتلئاً بالروح الفريسية ، التى ، ولو آمنت بالله ، ولو تقدمت إلى الله فى هيكله متعبدة ، إلا أنها ، تأتى بروح الكبرياء والفخر الذاتى الذى ينفى روح التعبد نفياً باتاً ، ينطبق عليه القول : « لهم صورة التقوى ، ولكنهم منكرون قوتها » (٢ تى ٣ : ٥) .

هذه هى الروح الفريسية التى لها غيرة لله ولكنها ليست حسب المعرفة ، تجهل بر الله ولا تريد أن تخضع له ، متشبثة ببرها الذاتى « منتفخة نفسها فيها » (قابل

رو ١٠ : ١ — ٣ مع حب ٢ : ٤) . فتخسر ذلك البر الإلهى المعد من الله ، الذى قال عنه الرسول ، هنا : « بالإيمان قدم « هابيل » لله ذبيحة أفضل من « قايين » هذا يأتى بنا إلى : —

« هابيـــل » : (ج) تبريره

« فيه شهد له أنه بار » :

هذا التعبير يرجع بنا إلى « الإيمان » الذى هو « الثقة » بما يرجى « والإيقان » بأمور لا ترى » (راجع شرح ع ١) : ويصل بنا إلى الإيمان الذى « فيه شهد للقدماء » (راجع شرح ع ٢) : لنرى هنا هذه الشهادة مبينة لأول مشهود له « بالإيمان » : أنه : —

« بار » :

بالرغم من الحكم الإلهى الصادر من السماء ونصه : « ليس بار ولا واحد ، ليس من يفهم ، ليس من يطلب الله ، الجميع زاغوا وفسدوا معاً ، ليس من يعمل صلاحاً ، ليس ولا واحد » (رو ٣ : ١٠ — ١٢ اقرأ ع ١٠ — ١٨ راجع مز ١٤ : ١ — ٣ و ٥٣ : ١ — ٣) . فإن « آدم » كأب للجنس البشرى . إذ « تعدى العهد » (هو ٦ : ٧ قابل تك ٣) ، فقد البر الأصلى وكل بر فى خلقته وفسدت طبيعته وطبيعة كل الجنس البشرى فيه . حتى قال المرنم : « هأنذا بالإثم صورت وبالخطية حبلت بى أمى » (مز ٥١ : ٥) . وقرر السيد المسيح بفمه الطاهر تقريره الرسمى الذى لا ينقض ، قائلا : « المولود من الجسد جسد «هو» (يو ٣ : ٦) ، وأقر به رسول الأمم فى قوله : « فإنى أعلم أنه ليس ساكن فى — أى فى جسدى — شىء صالح ؛ لأن الإرادة حاضرة عندى وأما أن أفعل الحسنى فلست أجد » (رو ٧ : ١٨ اقرأ ١٤ — ٢٤) . فمن العجيب أن يقال عن « هابيل » « شهد له أنه بار » . وهذا يدعونا إلى قدس هذا التعبير فى نسبته إلى الإيمان : —

« بالإيمان . . . هابيل . . . بار » :

الكلمة « بار » هي في الأصل ذات الكلمة المترجمة « صديق » التي وصف بها السيد المسيح « هابيل » في قوله : « هابيل الصديق » ، بل هي أيضاً ، ذات الكلمة المترجمة « زكي » وقد جمع السيد هذين المعنيين « صديق » و « زكي » في قوله للكتبة والفريسيين « لكي يأتي عليكم كل دم « زكي » سفك على الأرض ، من دم هابيل الصديق » الى دم زكريا بن برخيا » (مت ٢٣ : ٣٥) . أما الكلمة « زكي » فقد ورد في بعض المعاجم العربية بأنها تعني : « غلاماً طاهراً من الذنوب ، نامياً على الخير » وهو وصف لا ينطبق على غير هذا السيد القدوس البار ، أما نسبته إلى أبرار الناس فإنما هي نسبة عن طريق الحسبان النسبي بالإيمان لا عن طريق الكمال المطلق ، وبهذا المعنى يقال : « طوبى للرجل الذي يحتمل التجربة ؛ لأنه إذا تزكى ، ينال إكليل الحياة الذي وعد به الرب للذين يحبونه » (يع ١ : ١٢) .

أما علاقة هذا « البر » « بالإيمان » ، فقد بينه الرسول بطرس في قوله : « إن كان يجب ، تحزنون يسيراً بتجارب متنوعة ؛ لكي تكون تزكية إيمانكم وهي أثمن من الذهب الفاني ، مع أنه ، يمتحن بالنار — توجد للمدح والكرامة والمجد عند استعلان يسوع المسيح » (١ بط ١ : ٦ و ٧) ، على أن « البار » الذي يتبرر بالإيمان ، لابد أنه ، أيضاً ، يحيا « بالإيمان » كما قيل : « والبار بإيمانه يحيا » (قابل حب ٢ : ٤ مع رو ١ : ١٧ انظر شرح غل ٣ : ١١ للمؤلف راجع شرح ص ١٠ : ٣٨) . فإنه ، بنعمة « الإيمان » يثبت المؤمن في المسيح ؛ كما يثبت الغصن في الكرمة ؛ فيأتي بثمر كثير (اقرأ يو ١٥ : ١ — ١٧) .

فما أشهى ذلك « الثمر الكثير » ! الذي يصفه الرسول بالقول : « ثمر الروح » الذي رأسه وعنوانه وخلاصته « محبة » (غل ٥ : ٢٢) ، « لأنه « في المسيح يسوع » لا الختان ينفع شيئاً ولا الغرلة ؛ بل الإيمان العامل بالمحبة » (غل ٥ : ٦) . هذه هي الصورة المجيدة التي يرسمها أمامنا رسول المحبة الكريم ، في مقارنته بين « البر » و « المحبة » ؛ قائلاً : « بهذا أولاد الله ظاهرون وأولاد إبليس ، كل من لا يفعل البر ، فليس من الله .

«كذا من لا يحب أخاه ؛ لأن هذا هو الخبر الذى سمعتموه من البدء : «أن يحب بعضنا بعضاً» : ليس كما كان «قايين» من الشرير وذبح أخاه : ولماذا ذبحه ؟ لأن أعماله كانت شريرة وأعماله أخيه بارة» (١ يو ٣ : ١٠ — ١٢) .

من قرينة هذا الكلام نتبين : أن «المحبة» التى هى أول «ثمر الروح» (غل ٥ : ٢٢) هى ذاتها «الأعمال البارة» التى هى «ثمر الإيمان العامل بالمحبة» . هذا يرجع بنا : أن «هابيل» أحب أخاه «قايين» بالرغم من الكلام عن بغض هذا له وذبحه إياه ؛ بل يحقق لنا ، أنه من البدء ، ظهر «أولاد الله فى «هابيل الصديق» («البار») الذى كان «بالإيمان» «يفعل البر» : و«يحب أخاه» كما ظهر «أولاد إبليس» فى «قايين» الذى كان «من الشرير» فلم يفعل البر ولم يحب أخاه .

ولعل ! فى أثناء حديث «قايين» مع «هابيل» أخيه (تك ٤ : ٨) ، حدث أن «هابيل» تشدد فى المحاماة عن الله ضد غيظ أخيه ؛ ليخفف من حدة غيظه على جلاله ويرده إلى جادة الصواب ، واضعاً أمامه قول الله له : «إن أحسنت أفلا رفع ؟ وإن لم تحسن ، فعند الباب خطية رابضة وإليك اشتياقها وأنت تسود عليها» . فلابد أن أعصابه إنهارت فى غضبه وثارت ثورته على أخيه وقتله (اقرأ ع ٥ — ٨) .

ولعل ! إلى هذا الحادث بالذات ، وجه السيد المسيح نظر اليهود ، قائلا لهم : «لماذا لا تفهمون كلامى ؟ لأنكم لا تقدرون أن تسمعوا قولى ، أنتم من أب هو «إبليس» وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا ، ذاك كان قتالاً للناس «من البدء» ولم يثبت فى الحق ، لأنه ليس فيه حق ، متى تكلم بالكذب ، فإنما يتكلم مما له ، لأنه كذاب وأبو الكذاب ، وأما أنا ، فلأنى أقول الحق ، لستم تؤمنون بى» (يو ٨ : ٤٣ — ٤٥) .

فى هذا الموقف يتمثل نسل المرأة فى «هابيل البار» كما يتمثل نسل الحية فى «قايين» الذى هو «من الشرير» وتتمثل العداوة الموضوعة بين الحية والمرأة ، وبين نسليهما اللذين يمثلان «أولاد الجسد» و«أولاد الموعد» على قياس «أن الذى ولد حسب الجسد يضطهد الذى حسب الروح ، لكن ماذا يقول الكتاب ؟ «أطرد الجارية

وابنها ، لأنه لا يرث ابن الجارية مع ابن الحرة » (اقرأ تك ١٦ : ١ – ٦ و ٢١ : ٩ – ١٢ مع رو ٩ : ٦ – ٩ مع تك ١٨ : ١٠ – ١٤ راجع شرح غل ٤ : ٢٩ و ٣٠ للمؤلف). « فشركة ميراث القديسين فى النور » (كو ١ : ١٢) ، هى شركة أولاد الموعد الذين لهم وعد الميراث الأبدى (راجع شرح ص ٩ : ١٥) . فإنهم ، ولو قتلوا فى الجسد ، لكنهم أحياء فى المجد إلى الأبد ، هكذا « بالإيمان » شهد لهابيل « أنه بار » :

« إذ شهد الله لقرابينه » :

فى هذه العبارة نتبين : ١ – شاهداً يؤدى شهادة واضحة صادقة عن « هابيل » وعن بره ، يعبر عنه بلفظ الجلالة : « الله » ٢ – الطريقة التى أدى بها ، رب الجلالة العظيم ، تلك الشهادة معبراً عنها بالقول « شهد لقرابينه » .

١ – الشاهد : « إذ شهد الله » :

« الله » رب الجلالة : « الشاهد الأمين الصادق » (رؤ ٣ : ١٤) : « هذا هو الإله الحق » (١ يو ٥ : ٢٠) : « وإن كنا نقبل شهادة الناس ، فشهادة الله أعظم » (١ يو ٥ : ٩) : وما أجمل الشهادة ! التى أداها « الله » عن أيوب الصديق ، فى قوله للشيطان : « هل جعلت قلبك على عبدى أيوب ؟ لأنه ليس مثله فى الأرض ، رجل كامل ومستقيم ، يتقى الله ويحيد عن الشر » ؟ (قابل أى ١ : ٨ و ٢ : ٣ مع ٤٢ : ٧ و ٨) . وما أمجد تلك الشهادة التى تثلج الصدور ، وتلتذ بها الآذان ، وتستريح لها الأحشاء . الشهادة التى يدوى بها صوت الديان الرهيب ، قائلا : نعماً أيها العبد الصالح والأمين ! كنت أميناً فى القليل ، فأقيمك على الكثير ، أدخل إلى فرح سيدك » (مت ٢٥ : ٢٠ – ٢٣) .

على أن هذه الشهادات الطيبة ، لا يمكن أن تقوم إلا على أساس قبول تلك الشهادة التى شهد بها الله عن ابنه الوحيد ، وهذه هى الشهادة « أن الله أعطانا حياة أبدية ، وهذه الحياة هى فى أبيه ، من له الابن فله الحياة ، ومن ليس له ابن الله فليست له الحيـــاة » (١ يو ٥ : ١١ و ١٢ اقرأ ع ٩ – ١٢) . هذا هو – ١ – الشاهد « الله » والآن نتقدم لنرى : –

٢ — طريقة الشهادة :

« إذ شهد ... لقرابينه »

هذه هي الطريقة التي شهد بها « الله » لهابيل أنه بار « إذ شهد » :

« لقرابينـــه » :

ليس أمامنا هنا ، ما يبين لنا سبب ورود هذه الكلمة « قرابين » في صيغة الجمع ، في حال أن موضوع الكلام عن « قربان » واحد ؛ كما جاء في سفر التكوين (٤ : ٤) ، أو « ذبيحة » واحدة ؛ كما جاء في هذه الآية ، وهل تدل صيغة الجمع هذه على كل ما قدم « هابيل » من القرابين في حياته ؟ باعتبار أنها جميعها كانت مرضية لله ، مقبولة أمامه مشهوداً لها منه تعالى ؟ أو تدل على عدد من المحرقات قدمها في هذه المرة ؛ كما قيـل عن نوح : أنه « أخذ من كل البهائم الطاهرة ومن كل الطيور الطاهرة ، وأصعد محرقات على المذبح » ؟ ، سواء هذا أم ذاك ؛ فإن لب الموضوع هو ، أن الله « شهد لقرابينه » ، كما قيل « فنظر الرب إلى هابيل وقربانه » (تك ٤ : ٤) .

على أن الوحي لم يعلن لنا العلامة التي بها أظهر الله شهادته لقرابين هابيل : هل كانت تلك العلامة هي النار ؟ التي رآها الشعب ؟ في النظام الموسوي ؟ التي خرجت من عند الرب ، وأحرقت على المذبح « المحرقة والشحم » (لا ٩ : ٢٤) ، أو النار التي خرجت من الصخرة وأكلت اللحم والفطير اللذين وضعهما جدعون على تلك الصخرة ؟ (قض ٦ : ١٩ — ٢٢) ، أو التي صعد لهيبها إلى السماء من تقدمة منوح وصعد فيه ملاك الرب ؟ (قض ١٣ : ١٩ و ٢٠) ، أو النار التي طلبها إيليا فسقطت من السماء على جبل الكرمل وأكلت المحرقة والحطب والحجارة والتراب ولحست المياه التي في القناة ؟ (١ مل ١٨ : ٣٦ — ٣٨) .

أهي النار ؟ أم هي علامة أخرى كانت معروفة عند تلك العائلة ؟ في كلتا الحالين . كانت هنالك علامة تعلن رضى الله ومسرته وتنسمه رائحة الرضى ، الأمر الذي يثبت أنه كان هنالك ، ولابد ، إعلان من الله يرسم خطة العبادة المقبولة عنده تعالى في كل نواحيها .

هكذا « بالإيمان » : قدم هابيل لله ذبيحة أفضل من قايين ، و « بالإيمان » ، شهد له أنه « بار » إذ شهد الله لقرابينه» :- وهذا يأتى بنا إلى :

« هابيل » : (د) كلامه

« وبه (بالإيمان) وإن مات يتكلم بعد » :

لقد مات « هابيل » من آلاف السنين . ولكن اسمه حى وذكره باق « لأنه لا يتزعزع إلى الدهر ، الصديق يكون للذكر أبدى » (مز ١١٢ : ٦ قابل مت ٢٣ : ٣٥) وهنا يتجلى لنا هذا السر العجيب ! كيف « يتكلم بعد » ! من « مات » من آلاف السنين ؟ سر غريب يدعو إلى الدهشة والانذهال والتساؤل ، جوابه ينكشف لنا فى القول :-

« وبه يتكلم بعد » :

أى « بإيمانه » ، فهو بإيمانه حى ولو مات وبإيمانه يتكلم ، وماذا يقول ؟ هل يقول ما كلم به متقو الرب كل واحد قريبه والرب أصغى وسمع ، وكتب أمامه سفر تذكرة للذين اتقوا الرب وللمفكرين فى اسمه « ويكونون لى قال رب الجنود ، فى اليوم الذى أنا صانع « خاصة » وأشفق عليهم ، كما يشفق الإنسان على ابنه الذى يخدمه فتعودون وتميزون بين « الصديق » والشرير ، بين من يعبد الله ومن لا يعبده » (ملا ٣ : ١٦-١٨).

أما إذا نظرنا إلى كون « هابيل » مات شهيد بره بالإيمان فى سبيل المحاماة عن حق الله ، وفى مرضاته ، ففى هذه الحالة نسمعه « يتكلم » بلغة ذاك الذى هو « الأول والآخر » الذى كان ميتاً فعاش » (رؤ ٢ : ٨) ، وهو يقول « أنا عارف أعمالك . . . وأنت متمسك باسمى ولم تنكر إيمانى ، حتى فى الأيام التى فيها كان أنتيباس شهيدى الأمين ، الذى قتل عندكم ، حيث الشيطان يسكن » (رؤ ٢ : ١٢ و ١٣) .

أما إذا سمعنا صوت دم « هابيل » صارخاً إلى الله من الأرض التى فتحت فاها لتقبل دمه من يد أخيه ، فإننا نسمع إنذاراً رهيباً ، يبدو من لسان حال الذين قتلوا من أجل كلمة الله ، ومن أجل الشهادة التى كانت عندهم ، وهم يصرخون بصوت

عظيم ، قائلين : «حتى متى ؟ أيها السيد القدوس والحق لا تقضى وتنتقم لدمائنا من الساكنين على الأرض» ؟ ؟ (رؤ ٦ : ٩ و ١٠) .

وهل نسمع الجواب فى إما أعده لتلك المرأة من شر مستطير ؟ بابل العظيمة ، أم الزوانى ورجاسات الأرض وهى «سكرى من دم القديسين ومن دم شهداء يسوع» (رؤ ١٧ : ٥ و ٦) ، ونصه : «ويل ويل ، المدينة العظيمة بابل . . . لأنه فى ساعة واحدة جاءت دينونتك» . «افرحى لها أيتها السماء والرسل القديسون والأنبياء ، لأن الرب قد دانها دينونتكم (رؤ ١٨ : ١٠ و ٢٠) .

بعد موت «هابيل» بيد «قايين» خرج «قايين» من لدن الرب ، وسكن شرقى عدن فى أرض «نود» وهى فى العربية من مادة «ناد» ، «ينود نوداً ونواداً» أى تمايل فى النعاس : وتتضمن معنى تحرك الرأس والكتفين ، وتشير فى أصلها العبرى ، إلى ما قاله قايين للرب «ذنبى أعظم من أن يحتمل ، إنك قد طردتنى اليوم عن وجه الأرض ، ومن وجهك أختفى ، وأكون تائهاً وهارباً فى الأرض» (تك ٤ : ١٣ - ١٦) .

هكذا بدأ الارتداد عن الرب فى نسل قايين : الذين استهانوا بغنى لطف الله وإمهاله وطول أناته ، غير عالمين : أن لطف الله ، إنما يقتادهم إلى التوبة (رو ٢ : ٤ - ٦) ، قائلين فى قلوبهم ، «إن الله قد نسى ، حجب وجهه . لا يرى إلى الأبد» : «كيف يعلم الله ؟ وهل عند العلى معرفة» (مز ١٠ : ١١ و ٧٣ : ١١) .

هكذا قتل هابيل وارتد قايين ، فهل سقط الوعد الإلهى بالنسبة إلى «نسل المرأة» الذى يسحق رأس الحية ويبيد نسلها ؟ (تك ٣ : ١٥ قابل ١ يو ٣ : ٨) . كأننا نسمع فى صدر حواء حشرجة أنين وقد أخذ منها اليأس كل مأخذ . وتولاها القنوط . وتملكتها خيبة الأمل ، حتى ولدت ابناً ودعت اسمه «شيثاً» : قائلة «لأن الله قد وضع لى نسلا آخر عوضاً عن «هابيل» لأن «قايين» كان قد قتله» (تك ٤ : ٢٥) .

فى هذا النسل الذى وضعه الله فى عنايته ، وبمقتضى قصده ونعمته ، عاد الرجاء حياً إلى قلب حواء ، فتعزت عن ابنها المقتول : ولم تعد عالقة ببكرها القاتل .

ولشيث أيضاً ولد ابن فدعاه «أنوش»، «حينئذ ابتدىء أن يدعى باسم الرب» (تك ٤ : ٢٦)، وهكذا عاد أبناء الله إلى الظهور؛ بعد أن اختفوا بموت هابيل، عادوا فى حركة ملحوظة ونهضة روحية فى عبادة حية لله .

وهل نرى فى اسم «أنوش» وهو الإنس والإنسان؟ رمزاً حياً إلى «ابن الإنسان» الوحيد الذى تأنس لكى يأخذ بيد الإنسان الضعيف؟ وليكون هو «نسل المرأة الذى يسحق رأس الحية؟ ويقضى، فى إنسانيته على الوحش والوحشية؟ وهو ذات «ابن الله» الذى «أظهر لكى ينقض أعمال إبليس» (١ يو ٣ : ٨).

وهل كانت هذه النهضة المباركة، حركة قوية اتجهت فيها النفوس نحو العلاء؟ تدعو الرب القدير أن يعطيهم قوة فعالة تطغى على شر الارتداد الذى سرى فى قايين ونسله، فلا يطغى على عبادة الرب، فتتغلب؛ الروح على الجسد؟، ويظهر أولاد الله على المولودين من دم ومن مشيئة جسد ومن مشيئة رجل؟ (يو ١ : ١٢ و ١٣). وهكذا تفرع العالم إلى فرعين، أحدهما فرع المرتدين عن الله، فمثلا فى نسل قايين، التائه عن الرب، الهارب من وجهه، المطرود من حضرته، والآخر فرع الملتصقين بالرب، المقيمين لعبادته، الغيورين على ملكوته .

الآن! انتهى الرسول من الكلام عن (١) «هابيل» فى (أ) اسمه و(ب) عبادته و(حـ) تبريره و(د) كلامه : وها هو يتقدم بنا إلى الكلام عن :

ثانياً ــ أخنوخ ــ السير مع الله (عب ١١ : ٥ و ٦)

٥ بِالْإِيمَانِ نُقِلَ أَخْنُوخُ لِكَيْ لاَ يَرَى الْمَوْتَ وَلَمْ يُوجَدْ لأَنَّ اللهَ نَقَلَهُ . إِذْ قَبْلَ نَقْلِهِ شُهِدَ لَهُ بِأَنَّهُ قَدْ أَرْضَى اللهَ .
٦ ولٰكِنْ بِدُونِ إِيمَانٍ لاَ يُمْكِنُ إِرْضَاؤُهُ لأَنَّهُ يَجِبُ أَنَّ الَّذِي يَأْتِي إِلَى اللهِ يُؤْمِنُ بِأَنَّهُ مَوْجُودٌ وَأَنَّهُ يُجَازِي الَّذِينَ يَطْلُبُونَهُ .

في هاتين الآيتين (٥ و ٦) يتحدث الرسول عن بطل ثان من أبطال الإيمان القدماء المشهود لهم « بالإيمان » قبل الطوفان هو :

« أخنوخ » : (أ) اسمه « أخنوخ » — (ب) نقله « نقل أخنوخ لكى لا يرى الموت ، ولم يوجد لأن الله نقله » (جـ) سيره في مرضاة الله « إذ قبل نقله شهد له بأنه قد أرضى الله (د) تعليق على إيمانه « ولكن بدون إيمان لا يمكن إرضاؤه ؛ لأنه ، يجب أن الذى يأتى إلى الله ؛ يؤمن بأنه موجود وأنه يجازى الذين يطلبونه » .

« أخنوخ » : (أ) اسمه

« أخنــوخ » :

هذا الاسم ورد في الأصل العبرى بلفظ « حنوك » (تك ٥ : ١٨) ، وهو هو بنصه وفصه في أصله ، ذات اسم «حنوك» بن قايين بحروفه وحركاته(تك٤:١٧). وقد جاء الاسمان معاً في الترجمة اليسوعية بلفظ « أخنوخ » .

وما أعظم الفرق بين هاتين الشخصيتين المسماتين بذات الاسم الواحد ، فالبون شاسع ، والبعد بينهما واسع ، فلا حد لاتساع الشقة بين « حنوك » (أخنوخ) بن قايين (تك ٤ : ١٧) . وبين « أخنوخ » (حنوك) بن يارد (تك ٥ : ١٨) . فإن الأول — في نسبه — متصل بذلك الفرع — فرع المرتدين عن الله ، التائهين عن الرب ، الهاربين من وجهه ، المطرودين من حضرته — « نسل الحية القديمة » (قابل تك ٣ : ١٥ مع رؤ ١٢ : ٩ و ١٥ اقرأ تك ٣ : ١ — ١٥) : أما الثانى فهو — في نسبه — يمت بصلة إلى ذلك الفرع — فرع الداعين « باسم الرب » القائمين على عبادته ، الغيورين على ملكوته — نسل المرأة » (تك ٣ : ١٥ و ١٦ و ٤ : ٢٥ و٢٦ مع رؤ ٢ : ٢٦ و ٢٧ اقرأ رؤ ١٢) .

ولعل الروح القدس ، بوحيه الإلهى ، نبه فكر الرسول يهوذا للتمييز بين هاتين الشخصيتين بالقول« أخنوخ السابع من آدم » (إقرأ تك ٥ : ١—٢٤). حيث قال عنه : «وتنبأ عن هؤلاء ، أيضاً ، أخنوخ السابع من آدم » (يه ١٤و ١٥) . مميزاً إياه بهذا

التعريف «السابع من آدم» — من «حنوك» (أخنوخ من قايين) . هذا هو «أخنوخ» (أ) اسمه : وسنتقدم الآن بنور الرب إلى :

«أخنوخ» : (ب) نقله

«بالإيمان نقل أخنوخ» :

الكلمة «نقل» فى صيغة المبنى للمجهول ، باعتبار أن الفاعل مستتر ، على أن الوحى لم يتركنا فى حالة الجهل بالنسبة إلى حقيقة ذلك الفاعل المجيد ، إذ يثبت شخصيته جلياً هنا ، فى ذات العدد ، فى قول الرسول : «لأن الله نقله» كما أعلنه صريحاً واضحاً فى قول موسى ، فى هذا الصدد : «لأن الله أخذه» (تك ٥ : ٢٤) . فإن «أخنوخ» بعد أن عاش فى هذه الحياة على الأرض «ثلث مئة وخمسا وستين سنة» (تك ٥ : ٢٣) ، فيها عاصر جميع آبائه وأجداده من آدم إلى يارد ؛ كما عاصر من أبنائه وأحفاده متوشالح ولامك ، نقل بعد ذلك ، قبل ميلاد نوح بنحو ٦٤ سنة» (قابل تك ٥ : ١ — ٣٠)

لا يذكر الرسول مكان النقل ولا طريقته ، ولكننا يمكننا أن نتبينهما فى قول موسى : «لأن الله أخذه» ، بالمقارنة مع قول السيد المسيح لتلاميذه : «أنا أمضى لأعد لكم مكاناً وإن مضيت ، وأعددت لكم مكاناً ، آتى ، أيضاً ، وآخذكم إلىَّ ؛ حتى حيث أكون أنا تكونون أنتم ، أيضاً» . (قابل تك ٥ : ٢٤ مع يو ١٤ : ١ — ٣) . وقد كان هذا شوق قلبه الذى بينه فى صلاته الشفاعية ، قائلا : «أيها الآب ! أريد أن هؤلاء الذين اعطيتنى يكونون معى ، حيث أكون أنا ، لينظروا مجدى الذى أعطيتنى ؛ لأنك أحببتنى قبل إنشاء العالم» (يو ١٧ : ٢٤) بل هذه هى شهوة قلب المؤمن التى أظهرها الرسول فى قوله : «لى اشتهاء أن أنطلق وأكون مع المسيح ؛ ذاك أفضل جداً» (فى ١ : ٢٣) .

أما طريقة النقل ، فليس لنا بشأنها ، إعلان معين ، فإنه إذ أراد الله ، أن يأخذ «إيليا» إلى السماء ، حدث فجأة وهو سائر فى الطريق مع تلميذه «أليشع» يتحدثان معاً ، إذا مركبة من نار وخيل من نار ففصلت بينهما ، فصعد «إيليا» فى العاصفة إلى

السماء ، وكان « أليشع » يرى وهو يصرخ «يا أبي يا أبي مركبة إسرائيل وفرسانها» (٢ مل ٢ : ١١ و ١٢) أما بالنسبة لنقل « أخنوخ » فليس لنا إلا القول «لأن الله نقله » :

« لكي لا يرى الموت » :

فلم ينفذ فيه الحكم الذى أصدره الرب ذاته على آدم ونسله ، فى قوله لآدم « لأنك تراب وإلى تراب تعود » (تك ٣ : ١٩ و رو ٥ : ١٢ — ١٤) ، وعبّر عنه « موسى » فى صلاته إلى الله بالقول : « ترجع الإنسان إلى الغبار ، وتقول ارجعوا يا بنى آدم » (مز ٩٠ : ٣) ، وذكره الجامعة كأمر واقعى قائلا : « فيرجع التراب إلى الأرض كما كان ، وترجع الروح إلى الله الذى أعطاها » (جا ١٢ : ٧) .

هذا كله لم يحدث منه شيء « لأخنوخ » (« حنوك ») ولا « لإيليا » كما رأينا ، ولن يحدث منه ، أيضاً ، شيء لجميع القديسين الذين يبقون على قيد الحياة فى مجيء المسيح ثانية إذ تتغير أجسادهم فتصير عديمة فساد لملاقاة الرب ، ويبقون معه كل حين (قابل ١ كو ١٥ : ٥١ — ٥٨ مع ١ تس ٤ : ١٣ — ١٧) .

على أنه ، إستناداً إلى قول الوحى : « إن لحماً ودماً لا يقدران أن يرثا ملكوت الله ، ولا يرث الفساد عدم الفساد » ، «لأن هذا (الجسد) الفاسد لابد أن يلبس عدم فساد ، وهذا (الجسد) المائت يلبس عدم موت » . وكما لبسنا صورة الترابى ، سنلبس ، أيضاً ، صورة السماوى » . كما يحدث فى أجساد الأموات عند القيامة ، هكذا يحدث فى أجساد الأحياء ، وعن هذا يقول الرسول : « هوذا سر أقوله لكم : «لا نرقد كلنا ، ولكننا كلنا نتغير ، فى لحظة ، فى طرفة عين ، عند البوق الأخير ، فإنه سيبوق ، فيقام الأموات ، عديمى فساد ، ونحن نتغير » (١ كو ١٥ : ٤٢ — ٥٥) . هذا هو ما حدث ولابد ، لجسد أخنوخ ولجسد إيليا .

على أن الوحى يوقفنا ، أيضاً ، أمام جسد ثالث تحت عنوان : « جسد موسى » الذى مات فى أرض موآب حسب قول الرب ، ودفنه فى الجواء ، أى فى بطن الجبل ، ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم (اقرأ تث ٣٤ : ١ — ٦) . إلا أن الوحى يوقفنا

أمام خصومة ومحاجة عن «جسد موسى » بين ميخائيل رئيس الملائكة وبين إبليس (يه ٩) ، لسنا نعلم موضوعيهما .

إلا أننا إذا وقفنا فوق جبل التجلى ، وشاهدنا ذلك المنظر المجيد وذلك النور البهى الذى سطع فى كل أرجاء ذلك الجبل ، ورأينا موسى هنالك فى مجد فائق يتجلى مع إيليا فى مجده ، ويسمو كلاهما فى مجد مع السيد يسوع المسيح وهو فى مجد تجليه ، وكانا « يتكلمان معه عن خروجه ، الذى كان عتيداً أن يكمله ، فى أورشليم » (لو ٩ : ٢٨ — ٣٦) ، نتساءل من أين جاء لموسى هذا الجسد الممجد الذى اشترك فيه مع إيليا الذى صعد حياً ؟ هل قام من الأموات ؟

هل نستنتج من مقابلة هذه الآيات معاً ؟ بأن إبليس حاول أن لا يدفن « جسد موسى » ليتخذ منه معبوداً أصنامياً لإسرائيل ؛ لإبعادهم عن عبادة الله الحى ؛ فخاصمه «ميخائيل رئيس الملائكة » محاجاً ، وانتهت هذه المخاصمة ، لا إلى مواراة «جسد موسى» عن عيون الناس بدفنه فحسب ، بل ، بالحرى ، برفع هذا الجسد ، مقاماً من الأموات ممجداً بين صفوف ربوات الملائكة القديسين وأرواح الأبرار المكملين ، وهكذا اختفى عن عيون البشر فلم يعرف أحد قبره ؛ حتى رآه بعض شعبه على جبل التجلى فى مجده ، مع سيدهم .

ألا نرى فى دفن موسى ، صورة رمزية لدفن النظام الموسوى بكل ما فيه من عبادة وطقوس وفرائض ورموز عند حدود أرض كنعان ؟ باعتبار أنها لا تفيد شيئاً فى وعد الميراث الأبدى ؛ كما نرى فى إقامته ممجداً صورة رمزية ، أيضاً لإقامة العهد الجديد فى قيامة يسوع من الأموات ، التى أشار إليها موسى نفسه ، فى كلامه مع السيد فوق جبل التجلى ؟ (لو ٩ : ٣١) . كما أشار ، رب المجد ، نفسه وبقوله لليهود : « انقضوا هذا الهيكل ، وفى ثلاثة أيام أقيمه (يو ٢ : ١٩) .

وقد تم هذا الرمز عندما انشق ، على الصليب ، حجاب هيكل جسد المسيح بموته ؛ فانشق حجاب الهيكل اليهودى ؛ فنقض الهيكل وبالتالى قضى قضاء مبرماً على كل النظام الموسوى . وبقيامته من الأموات ، أقام عهداً جديداً أفضل صار هو

وسيطاً له . وإذ قال : « جديداً عتق الأول » . « ينتزع الأول لكى يثبت الثانى » (قابل مت ٢٧ : ٥١ راجع شرح ص ١٠ : ١٩ و ٢٠ مع ص ٨ : ٦ و ٩ : ١٥ و ١٠ : ٩) .

على هذا الأساس ، نرى ثلاثة أشخاص من العهد القديم ، أحياء فى أجسادهم الممجدة ، مع المسيح ، فى جسد مجده فى السماء ، أحدهم من عصر الآباء ، هو « أخنوخ » (حنوك) : وثانيهم من عصر الناموس ، هو « موسى » : وثالثهم من عصر الأنبياء ، هو « إيليا » ، وقد ظهر منهم اثنان فى الجسد الممجد مع المسيح : فى مجد التجلى فوق الجبل : هما « موسى وإيليا » « اللذان ظهرا بمجد وتكلما معه عن خروجه الذى كان عتيداً أن يكمله فى أورشليم » (لو ٩ : ٣٠ و ٣١) .

ولعل ! فى ظهور هذين الشخصين بالذات ، إعلاناً لحقيقة مقام « موسى والأنبياء » إزاء المسيح ، فلقد « كان الناموس والأنبياء إلى يوحنا ، ومن ذلك الوقت يبشر بملكوت الله ، وكل واحد يغتصب نفسه إليه » (لو ١٦ : ١٦) : فقد انتهى « بيوحنا المعمدان » نظام العهد القديم ، وكملت رموزه وطقوسه ونبواته جميعها فى ذاك الذى إليه رمزت ، وعنه تنبأت — فى المسيح الذى جاء المعمدان ليعد الطريق أمامه منادياً بملكوته ، قائلا : «توبوا ؛ لأنه قد اقترب ملكوت السموات » (مت ٣ : ٢)فعلى جبل التجلى ظهر « الناموس والأنبياء » يتحدثان عن الصليب الذى فيه تكمل جميع رموزهما ونبواتهما ليستقبلاه ويفسحا له الطريق ؛ حيث يتضاءل نورهما أمامه كالمحاق أمام الشمس ، يختفى ولا يرى .

وهل لا نرى ؟ فى ظهور هذين الاثنين بالذات ، مع المسيح الممجد ، إعلاناً بهياً لقيامة الراقدين فى الرب عديمى فساد ، كما قام موسى؟ وتغيير الأحياء ، كما تغير إيليا ؟ فى قوة المخلص العجيب الذى ننتظره من السماء ، «الذى سيغير شكل جسد تواضعنا ؛ ليكون على صورة جسد مجده ؛ بحسب عمل استطاعته ، أن يخضع لنفسه كل شىء » ؟ (فى ٣ : ٢٠ و ٢١) ، هكذا « نقل « أخنوخ » لكى لا يرى الموت » : —

« ولم يوجد ، لأن الله نقله » :

لقد أوضحنا النقل ، فى الكلام السابق ، وهنا يضيف الرسول إيضاحاً أعجب ، قائلا :

« ولم يوجـــد » :

وهو ذات النص الوارد فى رواية موسى (تك ٥ : ٢٤) ، وفى الأصل العبرى «فاينّنو»؟ من مادة «آين» التى ترجمت ، أيضاً «أين هو» ؟ فى قول أيوب «الإنسان يسلم الروح ، «فأين هو» ؟ (أى ١٤ : ١٠) ، وهى ذات الكلمة المترجمة «فلا أوجد» فى قول المرنم «اقتصر عنى فأتبلج . قبل أن أذهب «فلا أوجد» (مز ٣٩ : ١٣) ، والكلمة تصور لنا «أخنوخ» وهو بين أهله وفى وسط بنى جيله ومعاصريه ، يتحدث إليهم ويخالطهم ويسير فى وسطهم وإذا به يختفى عن عيونهم ، يبحثون عنه فى كل مكان فلا يجدونه ، وكأنهم يتساءلون ، «أين هو» ؟ «فليس هو» ، إنه لم يمت بينهم ولم يدفنوا جسده فى قبر ما ، فأين هو ؟

لعلهم ! لم يروه صاعداً أمام عيونهم ، كما رأى أليشع وبنو الأنبياء أباهم «إيليا» صاعداً فى العاصفة إلى السماء ، وإن كان هؤلاء الذين رأوا لم يقتنعوا بما رأت عيونهم ، بل أخذوا يفتشون «لئلا يكون قد حمله روح الرب وطرحه على أحد الجبال أو فى أحد الأودية» ، ففتشوا ثلاثة أيام ولم يجدوا (اقرأ ٢ مل ٢ : ١٦ — ١٨) ، أفلا ينتظر بالأولى أن يفتش آل «أخنوخ» عليه ؟ ولكنه «لم يوجد» ، «ولا يعرفه موضعه بعد» (مز ١٠٣ : ١٦) .

الآن ! وقد انتهينا من الكلام عن «أخنوخ» ، (أ) اسمه — (ب) نقله : نتقدم إلى : —

«أخنوخ» : (ج) سيره فى مرضاة الله

« إذ قبل نقله شهد له » :

الكلمة « شهد له » قيلت ، أيضاً ، سابقاً عن « هابيل » إذ « شهد له أنه بار » (راجع شرح ع ٤) ، ومع أن الشاهد الذى شهد لكليهما واحد هو الله ، إلا أن نهاية حياة الإثنين لم تكن واحدة ، فالواحد قتل بيد أخيه ، وهو « هابيل » وفتحت الأرض فاها وقبلت دمه (تك ٤ : ١١) ، أما الثانى وهو « أخنوخ » فنقل ولم ير الموت ، وفتحت السماء أبوابها وقبلته حياً ، جسماً روحانياً لا حيوانياً لأن لحماً ودماً لا يقدران أن يرثا ملكوت الله ، ولا يرث الفساد عدم الفساد » (١ كو ١٥ : ٥٠) .

على أنه ينبغى أن لا يغيب عن أذهاننا ، أن الذى نقل « أخنوخ » روحاً وجسداً ، أخذ روح « هابيل » إليه ، تاركاً الجسد الترابى فى التراب إلى اليوم الذى فيه « يخرج الرب من مكانه ليعاقب إثم سكان الأرض فيهم ؛ فتكشف الأرض دماءها ولا تغطى قتلاها فى ما بعد » (إش ٢٦ : ٢١) ، وكما تلاقى الروحان ؛ هكذا سيتلاقى الشخصان يوم قيامة الأجساد ، حيث يكمل الإثنان معاً فى المجد ، إذ قد شهد لأحدهما قبل قتله « بأنه بار » » وشهد للثانى « قبل نقله بأنه » :

« قد أرضى الله » :

فى هذه الكلمات صيغة ما شهد به « لأخنوخ » بمقتضى نص قول الرسول عنه : « بأنه قد أرضى الله » وهى صيغة عبر عنها « موسى » فى التاريخ المقدس ؛ حيث قيل : « كانت كل أيام أخنوخ » ثلاث مئة وخمساً وستين سنة : « وسار أخنوخ مع الله » ولم يوجد ؛ لأن الله أخذه » (تك ٥ : ٢٣ و ٢٤) .

وما هو الذى يبتغيه الإنسان مدة أيام حياته على الأرض ؟ إلا أن يسير مع الله ويرضى جلاله الأقدس ، وبخاصة لأن « رضاه حياة » ؟ لذلك يقول المرنم : « رنموا للرب يا أتقياءه ! واحمدوا ذكر قدسه ؛ لأن للحظة غضبه ، حياة فى رضاه » (مز ٣٠ : ٤ و ٥) .

ففي رضاه ، جل اسمه ، تمتع حقيقي بكل بركات السماء والأرض : بل ، هو « رضاه » إكليل جميع تلك البركات ، فإذا تتوجت تلك البركات بذلك الرضى ، تحقق القصد منها ، لهذا نسمع « موسى » – وهو يبارك يوسف بنفائس السماء ومغلات الشمس ونفائس منبتات الأقمار ومفاخر الجبال القديمة ونفائس الآكام الأبدية ونفائس الأرض وملئها – يختم كل تلك المفاخر والنفائس بالقول : « ورضى الساكن فى العليقة » « الساكن فى سيناء » ، متوجاً إياها جميعها بهذا الرضى الإلهى – رضى « ملاك الرب» – رضى « يهوه » – « إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب » (قابل تث ٣٣ : ١ و ٢ و ١٤ – ١٦ مع خر ٣ : ١ – ١٥) .

فلا عجب ! إذا طلب المرنم ، ملحاً : « علمنى أن أعمل رضاك ، لأنك أنت إلهى » (مز ١٤٣ : ١٠) ، فقد عاش « أخنوخ » بين الناس على الأرض عاملا ما يرضى الله فى السماء ، كما قيل « سار « أخنوخ » مع الله » (تك ٥ : ٢٤) : فى « سيرة مقدسة وتقوى » (٢ بط ٣ : ١١) : « فى وسط جيل معوج وملتو » (فى ٢ : ١٥) ، ينطبق عليه قول الرسول بطرس : « كأولاد الطاعة ، لا تشاكلوا شهواتكم السابقة فى جهالتكم ، بل نظير القدوس الذى دعاكم ، كونوا أنتم ، أيضاً ، قديسين فى كل سيرة ، لأنه مكتوب : « كونوا قديسين » لأنى أنا قدوس » (١ بط ١ : ١٤ – ١٦ قابل لا ١١ : ٤٤ و ١٩ : ٢ و ٢٠ : ٧) .

هكذا كان « أخنوخ » فى جيله « سيرة مقدسة وتقوى » نوراً مضيئاً بينهم ، بسيرته الطاهرة النقية فى وسط ظلام جهلهم وفسادهم الدامس ، لا فى السيرة والسريرة فحسب ؛ بل ، أيضاً ، فى الوقوف بجانب الحق والمحاماة عن ملكوت الله « والإيمان المسلم مرة للقديسين » (يه ٣) ، فلابد أنه قام فى جيله ، نبياً غيوراً كارزاً « ببر الإيمان » كما يتبين لنا فى صورة لخدمته النبوية المجملة فى القول : « وتنبأ عن هؤلاء ، أيضاً « أخنوخ » السابع من آدم ، قائلا : « هوذا قد جاء الرب فى ربوات قديسيه ؛ ليصنع دينونة على الجميع ويعاقب جميع فجارهم : على جميع أعمال فجورهم التى فجروا بها ، وعلى جميع الكلمات الصعبة التى تكلم بها عليه خطاة فجار » (يه ١٤ و ١٥) .

هكذا ، شهد « أخنوخ » لله ضد فجور جيله ؛ كما شهد « هابيل » لعزته ، ضد فجور أخيه ؛ فقتله أخوه ، فلابد على هذا القياس ، أن تعرض « أخنوخ » لبعض أهل جيله وحقدهم عليه وإصرارهم على قتله ، كما فعل قايين لهابيل ؛ لو لم تتداركه العناية الربانية ، ويمد الله يده لينقله إليه .

على أنه فى كلتا الحالتين ، لا نجد فرقاً جوهرياً بين شاهد يقتل ، وشاهد ينقل ؛ لذلك يقول المعلم العظيم لتلاميذه « الذى أقوله لكم فى الظلمة ، قولوه فى النور ، والذى تسمعونه فى الآذان ، نادوا به على السطوح ، ولا تخافوا من الذين يقتلون الجسد ، ولكن النفس لا يقدرون أن يقتلوها ؛ بل خافوا ، بالحرى ، من الذى يقدر أن يهلك النفس والجسد كليهما فى جهنم » (مت ١٠ : ٢٧ و ٢٨) .

الآن وقد انتهينا من الكلام عن « أخنوخ » (أ) اسمه — (ب) نقله — (جـ) سيره فى مرضاة الله ، نأتى إلى : —

« أخنوخ » : (د) تعليق على إيمانه (ع ٦)

فى هذا التعليق على الإيمان . لنا ثلاثة أركان : — الأول : الإيمان وإرضاء الله « بدون إيمان لا يمكن إرضاؤه » . — الثانى : الإيمان والإتيان إلى الله « يجب أن الذى يأتى إلى الله يؤمن » . — الثالث : الإيمان ومادته بالنسبة إلى الله يؤمن بأنه موجود وأنه يجازى الذين يطلبونه » .

ولإيضاح هذه الثلاثة الأركان : يبدأ الرسول بالقول : —

(ع ٦) « ولكن » :

الكلمة « لكن » هى فى صورة كتابتها أصلا « لاكن » حذفت ألفها واستعيض عنها بحرف ألف صغير فوق اللام للمحافظة على نطقها . وهى مخففة من الأصل « ولكن » بإلغاء التشديد وتسكين النون ، وهى ، فى هذا المكان ، حرف ابتداء لإستدراك أمر ما ، واقترانها بواو العطف « ولكن » يدل على أنها حرف ابتـــداء للاستدراك ، عاطف جملة سابقة هى قوله ، عن « أخنوخ » : « بالإيمان . . . أرضى الله » على جملة لاحقة ، قائلا « ولكن » : —

« بدون إيمان لا يمكن إرضاؤه » :

هذا هو الركن الأول فى التعليق على إيمان « أخنوخ » الذى به « شهد له بأنه قد أرضى الله » . على أساس أنه « بدون إيمان لا يمكن إرضاؤه » .

وهل لنا فى هذين الشاهدين الأولين فى التاريخ المقدس ؟ (« هابيل » الذى قتل و « أخنوخ » الذى نقل) — هل لنا فيهما ؟ حقيقة عملية لتلك الرؤيا التمثيلية التى تمثلها الرائى اللاهوتى ، فى ذينك الشاهدين اللذين ينبئان فيقتلان : « ويشمت بهما الساكنون على الأرض ويتهللون ويرسلون هدايا بعضهم لبعض ، لأن هذين النبيين كانا قد عذبا الساكنين على الأرض . . . ثم دخل فيهما روح حياة من الله . . . فوقفا . . . وصعدا إلى السماء فى السحابة ونظرهما أعداؤهما » ؟ (اقرأ رؤ ١١ : ٣ — ١٤) .

هذان الشاهدان هما « الزيتونتان والمنارتان القائمتان أمام رب الأرض » (رؤ ١١ : ٤) : تمثلان الكهنوت الملوكى فى « يهوشع الكاهن العظيم » (زك ٣ : ١ اقرأ كل الأصحاح) ، مع الملكوت الكهنوتى فى « زربابل » القائد الأعلى « لمملكة الكهنة المقدسة » (خر ١٩ : ٦) — الذى أمامه يصير « الجبل العظيم » سهلا « فيخرج حجر الزاوية بين الهاتفين كرامة كرامة له » (زك ٤ : ٧ اقرأ كل الأصحاح) .

ففى هذين الشاهدين والمنارتين « القائمتين أمام رب الأرض » يتمثل جميع مختاريه (مختارى رب الأرض) القديسين فى رتبتهم — الملوكية والكهنوتية — بمقتضى القول عن « يسوع المسيح ، الشاهد الأمين ، البكر من الأموات ورئيس ملوك الأرض ، الذى أحبنا وقد غسلنا ، من خطايانا ، بدمه ، وجعلنا « ملوكاً وكهنة » لله أبيه ، له المجد والسلطان إلى أبد الآبدين ، آمين » (اقرأ رؤ ١ : ٥ و ٦ مع ٥ : ٨ — ١٠) ، فجميع قديسى العلى ، هم شهوده الأمناء « بالكلمة النبوية » (٢ بط ١ : ١٩) ، فى « موسى » — « ناموس موسى » — وفى « الأنبياء » — ممثلين فى إيليا : (زك ٤ : ١١ — ١٤ قابل لو ١٦ : ٢٩ — ٣١ و ٢٤ : ٢٥ — ٢٧ و ٤٤ مع رؤ ١١ : ٣ — ٦) .

وهل نقف مع الرائى اللاهوتى ، لنرى معه « تحت المذبح » « نفوس الذين قتلوا من أجل كلمة الله ، ومن أجل الشهادة التى كانت عندهم ؟ وصرخوا بصوت عظيم

قائلين : « حتى متى ! أيها السيد القدوس والحق ! لا تقضى لدمائنا من الساكنين على الأرض ؟ فأعطوا كل واحد ثياباً بيضاء ، وقيل لهم أن يستريحوا زماناً يسيراً ، أيضاً ، حتى يكمل العبيد رفقاؤهم وإخوتهم ، أيضاً ، العتيدون أن يقتلوا مثلهم » (اقرأ رؤ ٦ : ٩ — ١١ و ١٢ : ١٠ و ١١) .

وإذا تمثلنا مع هذا الرائى اللاهوتى ، أيضاً ، تلك « العروش » التى رآها « فجلسوا عليها وأعطوا حكماً » حيث رأى « نفوس الذين قتلوا من أجل شهادة يسوع ومن أجل كلمة الله ... فعاشوا وملكوا مع المسيح ألف سنة » (اقرأ رؤ ٢٠ : ٤ — ٦) — إذا تمثلنا تلك النفوس الجالسة فوق العروش ، نتحقق معنى القول : —

« هذه هى القيامة الأولى » (رؤ ٢٠ : ٥ و ٦) ، والتى هى بتعبير نبوى « إخراج الحق إلى النصرة » (مت ١٢ : ٢٠ اقرأ ع ١٤ — ٢١) ، وفى « الكلمة النبوية » (٢ بط ١ : ١٩) ، تعبيران جليان لمعنى هذه القيامة الأولى فى نصرة الحق » : وهذان التعبيران هما : « إلى الأمان يخرج الحق » (إش ٤٢ : ٣) ، يضع الحق فى الأرض » (إش ٤٢ : ٤ اقرأ ع ١ — ٤) ، وذلك إتماماً « للكلمة النبوية » القائلة : « إنى أسمع ما يتكلم به الله الرب (يهوه) ، لأنه يتكلم بالسلام لشعبه ولأتقيائه ، فلا يرجعن إلى الحماقة ، لأن خلاصه قريب من خائفيه ، ليسكن « المجد » فى أرضنا . الرحمة والحق التقيا ، البر والسلام تلاثما ، « الحق » من الأرض ينبت ، و « البر » من السماء يطلع » (مز ٨٥ : ٨ — ١١) .

« هذه هى القيامة الأولى » — جلوس « نفوس » الذين قتلوا من أجل « الحق » فوق « عروش » النصرة والأمان — قيامة ليست هى قيامة روحية (قابل يو ٥ : ٢٤ و ٢٥ مع رو ٦ : ٣ — ٥ مع كو ٣ : ١ — ٤) ، وليست هى قيامة جسدية (قابل يو ٥ : ٢٨ و ٢٩ مع ١ كو ١٥ : ٣٥ — ٥٥ مع ١ تس ٤ : ١٣ — ١٨) ، بل هى قيامة معنوية ، تتمثل فى ما قيل عن يعقوب « فعاشت روح يعقوب » حين أخبروه ، قائلين : « يوسف حى بعد ، وهو متسلط على كل أرض مصر » ، ثم كلموه بكل كلام يوسف الذى كلمهم به ، وأبصر العجلات التى أرسلها يوسف لتحمله ، « فعاشت روح

يعقوب » أبيهم : فقال إسرائيل : كفى ! يوسف ابنى حى ، بعد ! أذهب وأراه قبل أن أموت » (تك ٤٥ : ٢٥ — ٢٨) . فإن الكلمة « عاشت روح يعقوب » تعبر بقوة عن تلك « القيامة الأولى » لا باعتبار الصيغة العددية ، بل باعتبار الدرجة السامية المعنوية للانتعاش المعنوى ، بعد الموت المعنوى .

هذه هى الشهادة « للحق » التى لا يمكن أن تموت ولو قتل الشاهدون بها ؛ فلا بد أن تحيا وتبقى حية إلى الأبد وتنتصر وتملك إلى دهر الدهور : وهذه حقيقة أوضحها السيد المسيح بوصف كونه « الآمين ، الشاهد الأمين ، الصادق » (رؤ ٣ : ١٤) . عندما سأله بيلاطس الوالى : « أفأنت إذاً ملك » ؟ أجابه : « أنت تقول « إنى ملك » ، لهذا قد ولدت أنا ، ولهذا قد أتيت إلى العالم ؛ لأشهد للحق » (يو ١٨ : ٣٧) .

فقد كان المسيح « شاهداً للحق » كما يتضح من قوله ، لأعدائه من اليهود : « تطلبون أن تقتلونى وأنا إنسان قد كلمكم « بالحق » الذى سمعه من الله » (يو ٨ : ٤٠ — اقرأ يو ١٠ : ٣١ — ٣٨ و ١٥ : ١٨ — ٢٥ و ١٨ : ١٢ — ٢٣ مع مت ٢٦ : ٦٣ — ٦٧ و ٢٧ : ٢٧ — ٣١) .

وهكذا من أجل الشهادة للحق لإظهار اسم أبيه ، وإعلان المشورة الإلهية : « وليؤتى بالبر الأبدى ، ولختم الرؤيا والنبوة ، ولمسح قدوس القدوسين » . مات السيد المسيح مثقوب اليدين والرجلين معلقاً على خشبة (قابل دا ٩ : ٢٤ مع يو ١٧ : ٦ مع مز ٢٢ : ١٦ مع أع ٢ : ٢٣ و ١٠ : ٣٩) .

ولكنه قام من الأموات منتصراً على الموت ؛ فانتصرت « شهادة الحق » وانتصر « الحق » ، وكان انتصار الحق هو « القيامة الأولى » ، القيامة المعنوية ، الشهادة لحق الآب السماوى ولحق ابن الآب ؛ كما أعلن الوحى المقدس فى القول عن هذا السيد المبارك « ابن الآب » : « الذى صار من نسل داود من جهة الجسد وتعين ابن الله بقوة من جهة روح القداسة (روح اللاهوت) بالقيامة من الأموات يسوع المسيح ربنا » (رو ١ : ٣ و ٤) ، على أنه كما شهد لهابيل « بأنه بار » — « بالإيمان ، هكذا شهد » أيضاً ، لأخنوخ « بأنه قد أرضى الله » .

ولكن هل كان « لأخنوخ » « إيمان » بأنه سينقل من الأرض إلى السماء ». فكان له بحسب إيمانه ؟ على غرار ما قيل للمرأة الكنعانية ؟ « عظيم إيمانك ! ليكن لك كما تريدين » ؟ (مت ١٥ : ٢٨) . أو كما قيل للرجل الذى كان بابنه روح نجس ؟ « إن كنت تستطيع أن « تؤمن » كل شيء مستطاع للمؤمن » ؟ (مر ٩ : ٢٣ اقرأ ع ١٧ – ٢٤) .

إن التاريخ المقدس لم يشر إلى حدوث أى أمر ، من هذا القبيل ، بالنسبة إلى « أخنوخ » فلم تكن فاعلية « الإيمان » فى نقل أخنوخ ، إلا بوصف كون ذلك « الإيمان » مجرد وسيلة لاتحاده بالله وثبوته فى الكرمة الحقيقية ليأتى بثمر يرضى الله ؛ بفعل ذلك الاتحاد العجيب وذلك الثبوت الفائق ، فى تلك القوة الإلهية . تأصل «أخنوخ وتأسس فى المحبة حتى استطاع أن يدرك مع جميع القديسين ما هو العرض والطول والعمق والعلو ، وأن يعرف محبة المسيح الفائقة المعرفة ، وأن يمتلىء إلى كل ملء الله (اقرأ أف ٣ : ١٨ – ٢٠) ، فلا عجب أن ينقل بتلك القدرة الإلهية إلى مجد السماء الأعلى .

هنا قضية منطقية قياسية مبنية على الأمر الواقع المبين فى النصوص الآنفة الذكر ؛ حيث قرأنا وشرحنا قول الرسول : « بالإيمان نقل أخنوخ . . . (لأن الله نقله) ؛ إذ قبل نقله شهد له ، بأنه قد أرضى الله ، ولكن بدون إيمان لا يمكن إرضاؤه » . أما القضية المنطقية القياسية فموضوعها رضا الله بأخنوخ ومسرته به وتبنيه إياه لنفسه ، وشهادته عنه شهادة الرضا والقبول ، معلناً ذلك بنقله إياه إلى سماء المجد ؛ وهذا ما سبق أن رأيناه فى ما تقدم من الكلام عن نقل الله لأخنوخ راضياً عنه شاهداً له .

أما كيف حاز أخنوخ رضى الله عنه ، وشهادته له ، ونقله إليه ، فقد تبين أنه عن طريق الإيمان به ؛ حيث قيل : « بالإيمان نقل أخنوخ لكى لا يرى الموت ، ولم يوجد لأن الله نقله » : باقتران هذين الجانبين تتكون تلك القضية المنطقية القياسية التى بناها الرسول قائلا : « بدون إيمان لا يمكن إرضاؤه » (راجع الشرح) .

هذا يوضح لنا العلاقة بين « الإيمان » و « الأعمال » باعتبار أن جميع الأعمال التى تصدر من الإنسان ، عن غير إيمان بالله ؛ لا تكون مرضية عنده تعالى . وهذا يقضى على جميع أعمال الأمم الذين هم « بلا إله فى العالم » (أف ٢ : ١٢) — الذين « لما عرفوا الله (فى مصنوعاته) لم يمجدوه أو يشكروه كإله ؛ بل حمقوا فى أفكارهم وأظلم قلبهم الغبى . . . وأبدلوا مجد الله ، الذى لا يفنى ، بشبه صورة الإنسان الذى يفنى ، والطيور والدواب والزحافات » (رو ١ : ٢١ — ٢٣ اقرأ ع ١٨ — ٣١ مع أف ٢ : ١١ و ١٢ مع أع ١٧ : ٢٢ — ٢٩) .

هذا البيان يقضى ، أيضاً ، على جميع « الأعمال الميتة » التى تقوم على مجرد تقاليد وطقوس وفرائض ، وهى التى قال الوحى عن القائمين بها : « هذا الشعب يكرمنى بشفتيه ؛ وأما قلبه فمبتعد عنى بعيداً ، وباطلا يعبدوننى ؛ وهم يعلمون تعاليم هى وصايا الناس » (مر ٧ : ٦ و ٧ اقرأ إش ٢٩ : ١٣ — ١٦ مع ١ كو ١ : ١٧ — ٢٠)

وهذا ما يدعو الرسول إلى القول : « أطلب إليكم أيها الإخوة ! برأفة الله ، أن تقدموا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله — « عبادتكم العقلية » — ولا تشاكلوا هذا الدهر ، بل تغيروا عن شكلكم ، بتجديد أذهانكم ، لتختبروا ما هى إرادة الله الصالحة المرضية الكاملة » (رو ١٢ : ١ و ٢) ، على اعتبار أن جميع هذه الأعمال صادرة من ضمائر حية مطهرة بدم المسيح الحى من أعمال ميتة لخدمة الله الحى قائلا : « كم بالحرى يكون « دم المسيح » الذى ، بروح أزلى ، قدم نفسه لله بلا عيب يطهر ضمائركم من أعمال ميتة ؛ لتخدموا الله الحى » (ص ٩ : ١٤ راجع الشرح) ، حاثاً إياهم ، قائلا : « لا تنسوا فعل الخير والتوزيع ؛ لأنه بذبائح مثل هذه يسر الله » (انظر شرح ص ١٣ : ١٦) .

هذا هو الركن الأول الخاص بعلاقة الإيمان بإرضاء الله ، إذ أنه « بدون إيمان لا يمكن إرضاؤه » : —

« لأنه يجب أن الذى يأتى إلى الله يؤمن » :

سبق أن رأينا الركن الأول الذى هو : علاقة الإيمان بإرضاء الله ، وذلك فى قوله : « بدون إيمان لا يمكن إرضاؤه » (راجع الشرح) . وها نحن الآن أمام الركن الثانى الذى هو : الإيمان والإتيان إلى الله ، وهو الركن المعبر عنه بالقول « لأنه يجب أن الذى يأتى إلى الله يؤمن » وهو قول نلمح فيه أمرين : — أحدهما — أمر مفروض ، بارز فى القول « الذى يأتى » أما الأمر الآخر — فهو أمر واجب محتوم بارز فى القول « يؤمن » ، وكلا الأمرين متعلق بلفظ الجلالة « الله » .

أما الإتيان إلى الله ، فإنما هو عمل فرضى ناشىء عن العلاقة الطبيعية الكائنة بين الإنسان وبين الله ، كمخلوق أمام خالقه . فإنه مفروض أن كل مخلوق فى الوجود يأتى إلى الذى خلقه ، هذا هو « الإله الذى خلق العالم وكل ما فيه . . . وهو يعطى الجميع حياة ونفساً وكل شىء . . . لأننا به نحيا ونتحرك ونوجد . . . لأننا ، أيضاً ، ذريته » . (اقرأ أع ١٧ : ٢٤ — ٢٨) .

وما أسمى ! ما عبر به أيوب ، فى بلاياه ، عن هذه العلاقة الموضوعة فى طبيعة الإنسان . حيث قال : « أما أنا فقد علمت أن وليى حى ، والآخر على الأرض يقوم ، وبعد أن يفنى جلدى هذا — وبدون جسدى — أرى الله : (« الله ») الذى أراه أنا نفسى ، وعيناى تنظران وليس آخر ، إلى ذلك تتوق كليتاى فى جوفى » (أى ١٩ : ٢٥ — ٢٧) .

هذا الإتيان إلى الله ، يفترض الابتعاد عن جلالته أصلا ، وهذا هو ما أحدثته الخطية « آثامكم صارت فاصلة بينكم وبين إلهكم ، وخطاياكم سترت وجهه عنكم » (إش ٥٩ : ٢) . ألم يكن هذا هو المظهر الذى حققه أبو البشرية « آدم » ؟ . . حين « سمع صوت الرب الإله ماشياً فى وسط الجنة فاختبأ » ؟ (تك ٣ : ١٠) .

فلابد ، إذاً : أن يستلزم هذا الإتيان دعوة من الله نفسه فإنه ، جل شأنه ، لم يترك الإنسان فى ابتعاده وانفصاله عنه ، بل ناداه قائلا : « أين أنت » ؟ (تك ٣ : ٩) . اقتربوا إلى الله فيقترب إليكم » (يع ٤ : ٨) . ألسنا نسمع صوته الحلو ينادى ؟

« تعالوا إلى يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم » (مت ١١ : ٢٨) . فهو الذى « خلصنا ودعانا دعوة مقدسة ، لا بمقتضى أعمالنا ؛ بل بمقتضى القصد والنعمة التى أعطيت لنا فى « المسيح يسوع » قبل الأزمنة الأزلية » (٢ تى ١ : ٩) . وهل نسمعه يقول : « طول النهار بسطت يدى » (رو ١٠ : ٢١) .

« فإذ لنا ، أيها الإخوة ! ثقة بالدخول إلى الأقداس « بدم يسوع » . . . وكاهن عظيم على بيت الله ، لنتقدم بقلب صادق ، فى يقين الإيمان ، مرشوشة قلوبنا من ضمير شرير ، ومغتسلة أجسادنا بماء نقى ، لنتمسك بإقرار الرجاء راسخاً ، لأن الذى وعد هو أمين » (راجع شرح ص ١٠ : ١٩ — ٢٣) .

وهل نثق بالحق المعلن فى القول الإلهى عن ذاك ؟ « الذى إذ تأتون إليه حجراً حياً مرفوضاً من الناس ولكن مختار من الله كريم » (١ بط ٢ : ٤ قابل مز ١١٨ : ٢٢ مع مت ٢١ : ٤٢ ومر ١٢ : ١٠ و لو ٢٠ : ١٧ مع أع ٤ : ١١ و ١٢) . « يقدر أن يخلص أيضاً إلى التمام الذين يتقدمون به إلى الله » (ص ٧ : ٢٥ راجع الشرح) .

الآن قد انتهينا من الكلام عن الأمر المفروض ، فى القول « الذى يأتى إلى الله » : وهذا يأتى بنا إلى الأمر الواجب فى القول : —

« يجب . . . يؤمن » :

لأنه « يجب أن — الذى يأتى إلى الله — يؤمن : — على أساس أن الكلمة « يؤمن » تعبر عن واجب « الإيمان » العملى ، لا مجرد « الإيمان العملى اللاهوتى كما أعلن فى الكتب المقدسة ، بل هو « ثقة » و « إيقان » فى قلب « المؤمن » . فيه شهد للقدماء كما رأينا فى « هابيل » الذى تقدم إلى عرش النعمة فى عبادة عقلية مرضية ، وكما ظهر فى « أخنوخ » الذى سار مع الله فى طريق الحق شاهداً للاله الحق (راجع شرح ع ١ — ٥) .

هذا هو « الإيمان » العملى الذى به « البار يحيا » بعيداً ، كل البعد ، عن طريق « الارتداد للهلاك » موطداً ذاته فى نعمة الإيمان « لاقتناء النفس » (راجع شرح ص ١٠ : ٣٨ و ٣٩) . هذا هو الإيمان العملى الواجب الذى قيل فيه : « يجب أنَّ الذى يأتى إلى الله يؤمن » .

هذا هو الإيمان العملي الذي يقترن بالإتيان العملي ، فإننا ، إذ « نؤمن » نأتي ؛ وإذ « نأتي » يجب أن نؤمن ، فالإتيان والإيمان قرينان لا يفترقان ، وكلاهما مقترن بالدعوة السماوية ؛ كما قيل « الروح والعروس يقولان تعال ، ومن يسمع فليقل تعال ، ومن يعطش فليأت ، ومن يرد فليأخذ ماء حياة مجاناً » (رؤ ٢٢ : ١٧) ، وذلك على أساس الوعد القائل « وتستقون مياهاً بفرح من ينابيع الخلاص » (إش ١٢ : ٣) ، الذي يمكن أن تبنى عليه الدعوة الغنية ، التي وجهها السيد المسيح إلى الشعب في عيد المظال — عيد الفرح والبهجة — قائلا : « إن عطش أحد فليقبل إلى ويشرب ، من آمن بي ، كما قال الكتاب ، تجري من بطنه أنهار ماء حي » . قال هذا عن « الروح » الذي كان « المؤمنون به » مزمعين أن يقبلوه ، لأن « الروح القدس » لم يكن قد أعطي بعد ، لأن يسوع لم يكن قد مجد بعد » (قابل يو ٧ : ٣٧ — ٣٩ و ٦ : ٣٥ — ٣٧ و ٤٤ مع إش ٥٥ : ١ — ٥ مع ٢ أي ٦ : ٤٢) .

على أساس اقتران الإتيان بالإيمان ، والإيمان بالإتيان ، يقول الرسول : « لأنه يجب أن الذي يأتي إلى الله يؤمن » مبيناً مادتين لهذا الإيمان العملي ، قائلا « يؤمن » :

« بأنه موجود » :

أي « يؤمن بأن — الله — موجود » . هذه هي المادة الأولى لهذا الإيمان العملي - الإيمان بوجود الله . وهي مادة ترجع بنا إلى ما سبق الله ذاته فأعلنه : عن نفسه « لموسى » من « العليقة » في جبل حوريب ، عندما سأله عن اسمه ؛ فقال له : « أهيه الذي أهيه » (خر ٣ : ١٤) . ومن هذا اللفظ « أهيه » اشتق الاسم المبارك المجيد « يهوه » الذي اتخذه ، رب الجلالة ، له اسماً ، قائلا : « هذا اسمي إلى الأبد ، وهذا ذكري إلى دور فدور » (خر ٣ : ١٥ اقرأ ع ١ — ١٥ مع ٦ : ١ — ٣) .

هذا الاسم « يهوه » إنما هو ، في حقيقته ، فعل (فعل كينونة) : ومنه تلك الثلاثية المقدسة التي أبرزها الرائي اللاهوتي ، في قوله للسبع الكنائس التي في أسيا : « نعمة لكم وسلام من « الكائن » والذي كان ، والذي يأتي » (رؤ ١ : ٤ و ٨ و ٤ : ٨) . وقد ورد بصيغة أخرى عن السيد الوحيد المبارك في القول : « يسوع

المسيح « هو هو » أمساً واليوم وإلى الأبد » (انظر شرح ص ١٣ : ٨) . وهو يشير ، لا إلى وجود الله فحسب ، بل ، بالأخص ، إلى كونه ، جل اسمه ، واجب الوجود . أى الذى يكون وجوده من ذاته ، ولا يحتاج إلى شىء فهو : « الإله الذى خلق العالم وكل ما فيه . . . ولا يخدم بأيادى الناس ، كأنه محتاج إلى شىء ، إذ هو يعطى الجميع حياة ونفساً وكل شىء » (أع ١٧ : ٢٤ و ٢٥) ، الذى « كل شىء به كان ، وبغيره لم يكن شىء مما كان » (يو ١ : ٣) .

ولكن ! كيف يمكن أن « يؤمن بالله » أى إنسان لا يعرفه ؟ ، يقول بعض فلاسفة العصور الوسطى (ويجاريهم ، فى قولهم ، بعض مدرسى الكتاب) ، بأن قضية « وجود الله » إنما هى نظرية من بنات النظريات العلمية الطبيعية التى يكشفها نور العقل ، على غرار المثل السائر (الله يعرفونه بالعقل) .

على أن هذه النظرية العلمية الفلسفية لا تتفق ، مطلقاً ، مع حقيقة « الإيمان » الذى عرفه الرسول بقوله سابقاً : أما الإيمان فهو الثقة بما يرجى ، والإيقان بأمور لا ترجى » (راجع شرح ع ١) . وبينه ، بأوفى بيان فى تعبيره القائل : « بالإيمان نفهم » (راجع شرح ع ٣) ، جاعلا الإيمان القلبى أساساً للفهم العقلى النظرى (وليس العكس بالعكس) .

هذه حقيقة أثبتها ذات الرسول عن ، ذات الله ، فى حديثه عن « ظهور ربنا يسوع المسيح » الذى سيبينه ، فى أوقاته « المبارك العزيز الوحيد ، ملك الملوك ورب الأرباب ، الذى ، وحده ، له عدم الموت ، ساكناً فى نور لا يدنى منه ، الذى « لم يره أحد من الناس ، ولا يقدر أن يراه » (اقرأ ١ تى ٦ : ١٤ - ١٦) ، طبقاً لما بينه رب العزة نفسه ، فى جوابه « لموسى » عندما طلب منه ، تعالى ، قائلا : « أرنى مجدك » ، حيث قال له : « لا تقدر أن ترى وجهى ، لأن الإنسان لا يرانى ويعيش » (خر ٣٣ : ٢٠ اقرأ ع ١٨ — ٢٠) .

مبدأ إلهي ثابت ، ينفي نفياً باتاً نظرية البحث العلمي والتنقيب الفلسفي الذي سبقت الإشارة إليه ، مثبتاً على الأساس الذي وضعه الرب نفسه في نبوة « إشعياء » قائلاً : « هأنذا أعود أصنع بهذا الشعب عجباً وعجيباً ؛ فتبيد حكمة حكمائه ، ويختفي فهم فهمائه » (إش ٢٩ : ١٤) ، وعلى أساس هذا المكتوب ، يبني الرسول بولس تساؤله : « أين الحكيم ؟ أين الكاتب ؟ أين مباحث هذا الدهر ؟ ألم يجهل « الله » حكمة هذا العالم ، لأنه ، إذ كان العالم في «حكمة الله » لم يعرف الله بالحكمة (« حكمة الله ») ، استحسن الله أن يخلص « المؤمنين » بجهالة الكرازة » (١كو ١ : ٢٠ و ٢١) .

في هذه الحكمة - « حكمة الله » - يعيش العالم ، محاطاً بها من كل ناحية . كما يقول المرنم : « السماوات تحدث بمجد الله ، والفلك يخبر بعمل يديه ، يوم إلى يوم يذيع كلاماً ، وليل إلى ليل يبدي علماً ، لا قول ولا كلام ، لا يسمع صوتهم » (مز ١٩ : ١ - ٣) . كذلك « يقول القدوس » ، فبمن تشبهونني فأساويه ؟ ارفعوا إلى العلاء عيونكم وانظروا من خلق هذه ؟ من الذي يخرج ، بعدد ، جندها ؟ يدعو كلها بأسماء ، لكثرة القوة وكونه شديد القدرة ، لا يفقد أحد » (قابل إش ٤٠ : ٢٥ و ٢٦ مع مز ١٤٧ : ٤ و ٥) .

هكذا « حكمة الله » تحدث وتصور وترسم ، ولكن ! هل يسمع العالم ويرى ؟ يتحدث الرسول بولس في هذا الصدد ، قائلاً : « ألعلهم لم يسمعوا ؟ بلى (جواب موجب للتحقيق ملازم) ، إلى جميع الأرض خرج صوتهم ، وإلى أقاصي المسكونة أقوالهم » (قابل رو ١٠ : ١٨ مع مز ١٩ : ٤) .

وكأننا بالرسول ، يريد بهذا الحديث ، أن يحقق أن الطبيعة ناطقة بوجود الخالق ، وأن « أموره غير المنظورة - « قدرته السرمدية ولاهوته » - ترى ، منذ خلق العالم مدركة بالمصنوعات ؛ حتى إنهم بلا عذر » (رو ١ : ٢٠) . وعلى أساس هذا الإدراك يقول الرسول : « إذ معرفة الله ظاهرة فيهم ؛ لأن الله أظهرها لهم » في مصنوعاته (اقرأ رو ١ : ١٩ و ٢٠) : لكن الأمم - بالرغم من ظهور هذه المعرفة - «معرفة الله » - التي أظهرها الله لهم « مدركة بالمصنوعات » - بالرغم من كل ذلك لم يمجدوه (ألم

يمجدوا الله) أو يشكروه كإله ؛ بل جمعوا فى أفكارهم وأظلم قلبهم الغبى ، وبينما هم يزعمون «أنهم حكماء» صاروا جهلاء ، وأبدلوا مجد الله الذى لا يفنى بشبه صورة الإنسان الذى يفنى — والطيور والدواب والزحافات » (رو ١ : ٢١ — ٢٣ اقرأ ع ١٨ — ٣٢ و ٢ : ١٤ — ١٦) .

وما يقال عن « قدرة الله ولاهوته » فى مصنوعاته ، يقال ، أيضاً ، عن « قدرته ولاهوته » بالنسبة لأعمال عنايته ، التى تحدث ذات الرسول عنها مع الأثينويين ، أمام الفلاسفة الأبيكوريين والرواقيين عن هذا « الإله » الذى كانوا يجهلونه ، وعملوا له مذبحاً مكتوباً عليه « لإله مجهول » حيث قال لهم : « أيها الرجال الأثينويون ! أراكم ، من كل وجه ، كأنكم متدينون كثيراً ؛ لأننى بينما كنت أجتاز وأنظر إلى معبوداتكم — وجدت أيضاً ، مذبحاً مكتوباً عليه « لإله مجهول » . فالذى تتقونه وأنتم تجهلونه — هذا — أنا أنادى لكم به : « الإله » الذى خلق العالم وكل ما فيه . . . هو يعطى الجميع حياة ونفساً وكل شىء ، وصنع من دم واحد ، كل أمة من الناس ، يسكنون على كل وجه الأرض ، وحتم بالأوقات المعينة وبحدود مسكنهم ؛ لكى يطلبوا « الله » لعلهم يتلمسونه ! فيجدوه ؛ مع أنه ، عن كل واحد منا ليس بعيداً ، لأننا به نحيا ونتحرك ونوجد » (اقرأ أع ١٧ : ٢٢ — ٢٨ انظر أع ١٤ : ١٤ — ١٧) .

إلا أن هذا الإله الغير المنظور ، قد تجلى فى ناسوت الابن المبارك « صورة الله غير المنظور » (كو ١ : ١٥ اقرأ ع ١٣ — ١٩) ، « بهاء مجده (مجد الآب ، ورسم جوهره » (جوهر الآب) (ص ١ : ٣ راجع شرح ع ١ — ٤) . على حد قول البشير يوحنا : « الله لم يره أحد قط ، الابن الوحيد الذى هو فى حضن الآب هو خبر » (يو ١ : ١٨) ، فإذا خبر الابن عن الآب بناسوته ، وإذا شهد الآب عن ابنه بإعلانه وبروحه فى قوله : « هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت » (مت ٣ : ١٧ انظر مر ١ : ١١ ولو ٣ : ٢٢ و مت ١٧ : ٥ ومر ٩ : ٧ ولو ٩ : ٣٥ و ٢ بط ١ : ١٧ اقرأ ع ١٦ — ١٨) . فليس أمامنا إلا أن نعترف بهذا الإعلان ونقبل هذه الشهادة .

لذلك يقول الرسول يوحنا ، عن هذه الشهادة المتكررة والمثبتة : « إن كنا نقبل شهادة الناس ، فشهادة الله أعظم ، لأن هذه هي شهادة الله التي قد شهد بها عن « ابنه » : من يؤمن بابن الله فعنده الشهادة في نفسه (قابل ١ يو ٥ : ٩ و ١٠ مع يو٣ : ٣٢ و ٣٣) . الشهادة في الإنسان الباطن ، في قلب الإنسان المؤمن بوحي الروح القدس ، بتصديق الحق المعلن وشهادة الكتب المقدسة ، وهذه هي الناحية الخاصة التي يتكلم عنها الرسول ولا سيما وهو يتحدث عن الذين يأتون إلى الله مؤمنين « بأنه موجود » : .

« وأنه يجازي الذين يطلبونه » :

أي «يؤمن بأن — الله — يجازي الذين يطلبونه » ، هذه هي المادة الثانية لهذا الإيمان العملي — « الإيمان بأن الله يجازي الذين يطلبونه » ، وهل من علاقة بين المجازاة والطلب ؟ سواء أكان بالنسبة إلى موضوع الطلب؟ أم بالنسبة إلى النتيجة التي يحصل عليها الطالبون ؟ أم إلى كلا الأمرين معاً ؟ .

ذلك يتبين جلياً على أساس أن الطالبين . يطلبون ذات الله ، ففي هذه الحالة تكون مجازاة « الذين يطلبونه » هي أنهم « يجدونه » ولابد ، وذلك على حد القول الإلهي ، بتعبير الحكمة العلوية : « أنا أحب الذين يحبونني ، والذين يبكرون إلى يجدونني » (أم ٨ : ١٧) .

ولكن كيف يطلب « الله » ويبكر إليه من لا يعرفه ؟ لذلك « إشعياء » يتجاسر ويقول : « وجدت من الذين لم يطلبوني ، وصرت ظاهراً للذين لم يسألوا عني » (قابل رو ١٠ : ٢٠ مع إش ٦٥ : ١). كما يقول « هوشع » أيضاً : «سأدعوا الذي ليس شعبي شعبي . والتي ليست محبوبة محبوبة ويكون في الموضع الذي قيل لهم فيه « لستم شعبي » أنه ، هناك ، يدعون أبناء الله الحي » (قابل رو ٩ : ٢٥ و ٢٦ مع هو١ : ١٠ مع ١ بط ٢ : ١٠) .

وكيف يمكن أن يحب الإنسان «الله» ؟ إلا على أساس القول : « نحن نحبه ؛ لأنه هو أحبنا أولا » (١يو ٤ : ١٩) . لأنه «في هذا هي المحبة ، ليس أننا نحن أحببنا الله ؛ بل أنه هو أحبنا ، وأرسل ابنه كفارة لخطايانا » (١ يو ٤ : ١٠) . وهكذا قال

المعلم العظيم : «لا يقدر أحد أن يقبل إلى ، إن لم يجتذبه الآب الذى أرسلنى » . وبعبارة أخرى « لا يقدر أحد أن يأتى إلى » ، إن لم يعط من أبى » (يو ٦ : ٤٤ و ٦٥) . كما قال ، أيضاً : « كل ما يعطينى الآب فإلى يقبل ، ومن يقبل إلى لا أخرجه خارجاً » (يو ٦ : ٣٧) .

هذا كله يحقق لنا ، أن هذه المجازاة لا يمكن أن تكون « أجرة عن استحقاق » ، تعطى على سبيل دين ؛ بل هى هبة ضمن دائرة « عهد النعمة » . و «إن كان « بالنعمة » فليس ، بعد « بالأعمال » : وإلا فليست النعمة ، بعد ، نعمة ، وإن كان « بالأعمال » فليس ، بعد ، « نعمة » : وإلا فالعمل لا يكون ، بعد ، عملاً » (رو ١١ : ٦) . « لأن الذى « يعمل » فلا تحسب له « الأجرة » على سبيل « نعمة » بل على سبيل « دين » (رو ٤ : ١ — ٤) . كما قيل « ليس من « أعمال » كيلا يفتخر أحد » (أف ٢ : ٩ اقرأ ع ٨ — ١٠) .

وهل كان ممكناً للمجدلية المغبوطة أن تجد المسيح ؟ وهى تطلبه باهتمام ودموع في وسط القبور ، بين الأموات ؟ حتى وجدته حياً ؟ وكيف كان ممكناً أن تجده حياً بين الأموات ؟ لو لم يأت هو بنفسه ، بقوة حياته ؟ وبنغمة صوته ، منادياً إياها ، متحدثاً إليها ، معلناً ذاته لها ؟ حتى كشف عن عينيها ؛ فرأته وعرفته : وقالت له « ربونى ! الذى تفسيره يا معلم » : وتحدثت إليه (اقرأ يو ٢٠ : ١ — ١٨) . هكذا طلبته باجتهاد عظيم ، وبكرت إليه فى الصباح الباكر ، فجازاها مجازاة عظيمة ، وتمتعت بنعمة تفاضل بها عليها حباً ورحمة .

لقد تبينا بوضوح تام من كل ما قيل ، أن المجازاة للذين يطلبون الله ليست عن استحقاق ما ، لأن العامل الحقيقى ، فى الطلب وفى إجابته ، ليس فى الإنسان بالذات ؛ بل هو عامل خارج عن قدرة الإنسان الطبيعى وطاقته ، وذلك على مبدأ القول : «لأن الله هو العامل فيكم ، أن تريدوا ، وأن تعملوا من أجل المسرة » أى مسرة الله العليا (فى ٢ : ١٣) .

وهذه الحقيقة يثبتها الوحي السماوي بفم « الجامعة » الذي « كان حكيما ، وأيضاً علم الشعب علماً . ووزن وبحث وأتقن أمثالا كثيرة » (جا ١٢ : ٩) . حيث قال « انظر ! هذا وجدت فقط « أن الله صنع الإنسان مستقيما » (تك ١ : ٢٦ و ٢٧ و ٥ : ١ و ٢) . « أما هم فطلبوا اختراعات كثيرة » (جا ٧ : ٢٩ قابل يون ٢ : ٨ مع أع ١٤ : ١٥ و ١٦ و ١٧ : ٣٠ و ٣١) .

الآن ! قد انتهينا من الحديث عن البطلين الأولين « هابيل » و « أخنوخ » – من أبطال الإيمان القدماء . وقد رأينا في إيمانهما من المقارنات والمشابهات التي تشعرنا تداع يدعونا إلى ختم الحديث عنهما بتعليق خاص يتبين فيما يلي تحت عنوان :

تعليق على حياة البطلين « هابيل » و « وأخنوخ »

رأينا « هابيل » وقد انتهت حياته على الأرض مقتولا . ورأينا « أخنوخ » وقد انتهت حياته على الأرض « منقولا » . أما « هابيل » فقد كان صوت دمه صارخاً إلى السماء من الأرض التي فتحت فاها لتقبل دمه (تك ٤ : ١٠ و ١١) ، ولكنه « وإن مات » وابتلعت الأرض دمه وخفت صوته . إلا أنه ، لا يزال « يتكلم بعد » شاهداً « للحق » في دم ذبيحته التي قدمها لله « بالإيمان » الذي « به شهد له أنه بار ، وبه (بالإيمان) . . يتكلم بعد » (راجع شرح ع ٤ انظر شرح ص ١٢ ع ٢٤) .

أما « أخنوخ » فقد نقل إلى السماء من الأرض التي كانت « ولابد » مستعدة أن تفتح فاها لتقبل دمه لو لم يسرع الله بنقله إليه من وسط الفجار الذين تنبأ عن فجورهم وفجارتهم (يه ١٤ و ١٥) ، نقل شاهداً للحق ؛ كما قتل هابيل شهيداً للحق (تك ٥ : ٢٤ انظر شرح ع ٥) .

الآن ! وقد رأينا فاعلية الإيمان في بطلين من الأبطال القدماء المشهود لهم بالإيمان . وهما : ١ – « هابيل » (ع ٤) ٢ – « أخنوخ » (ع ٥ و ٦) نتقدم الآن إلى : –

ثالثاً : «نـــوح» – دينونة الله (عب ١١ : ٧)

٧ بِالإِيمَانِ نُوحٌ لَمَّا أُوحِيَ إِلَيْهِ عَنْ أُمُورٍ لَمْ تُرَ بَعْدُ خَافَ فَبَنَى فُلْكاً لِخَلَاصِ بَيْتِهِ فَبِهِ دَانَ ٱلْعَالَمَ وَصَارَ وَارِثًا لِلْبِرِّ حَسَبَ ٱلإِيمَانِ .

فى هذه الآية (٧) : يأتى بنا الرسول إلى بطل ثالث من أبطال الإيمان القـــدماء ، قبل الطوفان : (أ) اسمه «نوح» (ب) خوفه «خاف» – (حـ) «بيته» بنى فلكاً لخلاص بيته (د) دينونته «دان العالم» (هـ) ميراثه «صار وارثاً للبر الذى حسب الإيمان» .

«نـــوح» : (أ) اسمـــه

«نـــوح» :

هو العاشر من آدم والرابع من «أخنوخ» . هو ابن لامك ، وقد دعاه أبوه «نوحاً» قائلا «هذا يعزينا عن عملنا وتعب أيدينا من قبل الأرض التى لعنها الرب» (تك ٥ : ٢٨ و ٢٩) . وهل رأى أبوه ، بعين النبوة ، فى هذا المولود «نسل المرأة» الذى «يسحق رأس الحية» ؟ ويخلص جماعته من هذه الأرض الملعونة التى قيل عنها «بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك ، وشوكاً وحسكاً تنبت لك» ؟ (تك ٣ : ١٧ ... ١٩) ليعيد إليهم سعادة جنة عدن ؟ .

أو هل رأى ، فى هذا المولود ؟ مستقبلا مجيداً قصده الله لهذه الأرض بنزع جيل الأشرار منها ؟ ورفع اللعنة عنها ؟ وتجديدها لخدمة الإنسان ؛ لإعداد طعامه وتفريح قلبه وإلماع وجهه؟حيث يتمجد الرب ويفرح بأعماله ؟ (قابل مز ١٠٤ : ١٤ و ١٥ و ٣٠ و ٣١ مع مت ١٣ : ٣٠ و ٤١ و ٤٢ مع رو ٧ : ٩ – ١٧ و ٢١ : ١ – ٥) .

ألا نسمع بالأحرى فى الكلمة «يعزينا» ؟ نغمة العزاء وترنيمة الفرح التى أنشد بها أتقياء العلي متغنين بتعزية الفداء العجيب المنتظر عند بروز فجره وظهور نوره وانتظار

عزائه ؟ (اقرأ لو ٢ : ٨ — ١٤ و ٢٥ — ٣٨. قابل ص ١ : ٦٧ — ٨٠) ، فلم يكن « نوح » فى اسمه الذى معناه « يعزى » إلا مجرد صورة رمزية تمثيلية ، للملك المعزى القوى الذى هو « أبو الرأفة وإله كل تعزية ، الذى يعزينا فى كل ضيقتنا ؛ حتى نستطيع أن نعزى الذين هم فى كل ضيقة : بالتعزية التى نتعزى نحن بها من الله » (٢ كو ١ : ٣ و ٤) .

على أن هذا الاسم « نوحاً » الذى معناه « يعزينا » فى أصله العبرى هو من مادة (نحم ويقال عربياً نحم الإنسان ، أى استراح إلى شبه أنين من صدره ! ويقال الحمال ينحم ويستعين بنحيمه على حمله ، ومنه زفير الحبلى عند إجهاضها فى دفع الجنين (وهى تبدى صوتاً كالأنين) ، فالكلمة إذاً ، تعبر عن أشواق قلوب الذين كانوا ، حينذاك يئنون ويتنهدون على كل الرجاسات المصنوعة فى وسط الأرض ، وعلى جميع أعمال الفجور التى فجر بها ، فجار المسكونة ، وعلى جميع الكلمات الصعبة التى تكلم بها على الرب ، خطاة فجار (يه ١٤ و ١٥) .

بل هو أنين الخليقة ، الذى عبر عنه الرسول ، قائلا : لأن انتظار الخليقة يتوقع استعلان أبناء الله ، إذ أخضعت الخليقة للبطل ، ليس طوعاً ، بل من أجل الذى أخضعها على الرجاء ، لأن الخليقة نفسها ، أيضاً ، ستعتق ، من عبودية الفساد ، إلى حرية مجد أولاد الله ، فإننا نعلم أن كل الخليقة تئن وتتمخض معاً إلى الآن ، وليس هكذا فقط ، بل نحن الذين لنا باكورة الروح — نحن أنفسنا ، أيضاً ، نئن فى أنفسنا ، متوقعين التبنى فداء أجسادنا » (رو ٨ : ١٩ — ٢٣) .

هذا الرجاء المبارك — رجاء العتق من العبودية ، رجاء التمتع بالحرية المجيدة ؛ هو ما وعد به « نوح » فى صورته الرمزية ، بعد خروجه من الفلك وبعد إصعاده محرقات للرب ؛ حيث تنسم الرب رائحة الرضا ، وقال الرب فى قلبه « لا أعود ألعن الأرض ، أيضاً ، من أجل الإنسان » (اقرأ تك ٨ : ٢٠—٢٢) . فكم وهو — جل شأنه — يتنسم « رائحة الأدهان الطيبة » للملك الشخص العجيب ، الذى اسمه « دهن مهراق » أى المسيح ! (قابل نش ١ : ٣ مع أف ٥ : ٢) — رائحة المسحة العلوية ، مسحة

بالروح الكهنوتية ، لذلك الكاهن الأعظم ، الذى قدم ذاته محرقة تنسمها « الآب » بالرضا التام والسرور الأسمى ؛ فقال ، لا فى قلبه فحسب ، بل ، بالأحرى ، من كل قلبه للكنيسة المحبوبة « الحيطة » . تركتك ، وبمراحم عظيمة سأجمعك ، بفيضان الغضب حجبت وجهى عنك لحظة ، وبإحسان أبدى أرحمك » قال ولك الرب « لأنه كمياه نوح » : هذه لى ؛ كما حلفت أن لا تعبر ، بعد ، مياه « نوح » على الأرض ، هكذا حلفت أن لا أغضب عليك ، ولا أزجرك ؛ فإن الجبال تزول والآكام تتزعزع ، أما إحسانى فلا يزول عنك ، وعهد سلامى لا يتزعزع قال راحمك الرب » (اقرأ إش ٥٤ : ٧ — ١٠)

الآن ! وقد انتهينا من الكلام عن « نوح » — (أ) اسمه : سنتقدم إلى الكلام عن :

« نـــوح » : (ب) خوفـــه

« لما أوحى إليه ؛ عن أمور لم تر بعد : خاف » :

يظهر للمتأمل المدقق فى هذه الجملة ؛ بعد إنعام النظر ، أن النتيجة المعبر عنها بالكلمة « خاف » تدل دلالة واضحة على حقيقة الإيمان الذى يتحدث عنه الرسول هنا بالنسبة إلى نوح ؛ كما لو قال : « نوح » « لما أوحى إليه عن أمور لم تر بعد ، آمن » وهذه الحقيقة واضحة جلياً ، فى الصلة التامة بين خوف نوح وإيمانه ؛ حيث قيل « بالإيمان . . . خاف » .

وما أسمى ما تتضمنه هذه الكلمة « خاف » ! من بديع المعانى فى أصلها ؛ حيث تصل بنا إلى عمق أعماق التقوى ؛ فى سرها العميق الذى وصل إليه الرسول فى تعبيره عن تقوى رب المجد يسوع ، فى قوله « سمع له من أجل تقواه » (ص ٥ : ٧ راجع الشرح) . حيث تتجلى أمامنا كلمة الوحى فى صورة قرار ملكى لا ينقض « كشريعة مادى وفارس التى لا تنسخ » (دا ٦ : ٨) ، صدر من البلاط السماوى ، وإذ أعلم به « نوح » شعر فى الحال ، عن طريق « الإيمان » برهبة الأمر الصادر ؛ وبعظمة ذلك الذى أصدره الإله « العلى الحى إلى الأبد » الذى سلطانه سلطان أبدى ؛ وملكوته إلى دور فدور ؛

وبحسبت جميع سكان الأرض كلا شيء ، وهو يفعل ، كما يشاء في جند السماء وسكان الأرض ، ولا يوجد من يمنع يده ، أو يقول له « ماذا تفعل » (دا ٤ : ٣٤ و ٣٥) ، وكأننا به إزاء ما أوحى إليه من قضاء مرعب : دخل إلى « نقر الصخور وفي شقوق المعاقل . واختبأ في تراب الأرض من أمام هيبة الرب ، ومن بهاء عظمته » (اقرأ إش ٢ : ١٠ و ٢١) .

على أن خوف « نوح » الذي كان « بالإيمان » لم يكن البتة هو ذلك الخوف الذي وصفه رسول المحبة بالقول : « لا خوف في المحبة ، بل المحبة الكاملة تطرح الخوف إلى خارج ، لأن الخوف له عذاب ، وأما من خاف فلم يتكمل في المحبة » (١ يو ٤ : ١٨) . وعلى هذا الأساس — أساس هذه المحبة الكاملة — نفهم معنى نصيحة الرسول بطرس . وهو يقول : « إن كنتم تدعون « أبا » الذي يحكم بغير محاباة ، حسب عمل كل واحد فسيروا زمان غربتكم بخوف » (١ بط ١ : ١٧) . وعلى ذات الأساس المقدس — أساس المحبة الصادقة — يتسع قلب المؤمن المملوء بالمحبة الإلهية مصلياً « علمني يارب طريقك ، أسلك في حقك ، وحد قلبي ، لخوف اسمك » (مز ٨٦ : ١١)

والخوف الحقيقي هو خوف الإيمان بالله ، هو التقوى التي بينها الجامعة في ختام حديثه قائلا « اتق الله واحفظ وصاياه ، لأن هذا هو الإنسان كله » (جا ١٢ : ١٣) . هو الحذر من كل ما من شأنه أن يغضب الله ، والتدقيق في المحافظة على كل ما يرضيه والتسليم لإرادته بكل القلب طوعاً وخضوعاً ، بمقتضى النصيحة القائلة : « ونحن قابلون ملكوتاً لا يتزعزع ، ليكن عندنا شكر به نخدم الله ، خدمة مرضية « بخشوع وتقوى » لأن إلهنا نار آكلة » (انظر شرح ص ١٢ : ٢٨ و ٢٩) .

هذا هو عين ما فعله السيد المسيح ، وهو في البستان « إذ كان في جهاد » وهو « يصلي بأشد لجاجة ، وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض » (لو ٢٢ : ٤٤ اقرأ ع ٤١ — ٤٤ مع مت ٢٦ : ٣٩ — ٤٤ مع مر ١٤ : ٣٥ و ٣٦) ، حيث قدم ، بصراخ شديد ودموع ، طلبات وتضرعات للقادر أن يخلصه من الموت ، وسمع له من أجل تقواه » (راجع ص ٥ : ٧) :

هذا يقضى قضاء مبرماً على « روح العبودية للخوف » (اقرأ رو ٨ : ١٥) ، على اعتبار أن السيد المسيح نفسه قد تجسد « ليبيد ، بالموت ، ذاك الذى له سلطان الموت — أى إبليس — ويعتق أولئك الذين ، خوفاً من الموت ، كانوا جميعاً كل حياتهم تحت العبودية » (راجع شرح ص ٢ : ١٤ و ١٥) ، أما خوف الإيمان فهو ذات « روح التقوى » التى أظهرها كاهن الله الشيخ عالى — عندما جاءه إعلان القضاء على بيته إذ قال : هو الرب : ما يحسن فى عينيه يعمل » (١ صم ٣ : ١٨) : هكذا « بالإيمان نوح . . . خاف » :

« لمـا أوحى إليه » :

الكلمة الأصلية المترجمة « أوحى » تستعمل عادة ، فى الكتاب المقدس ، للتعبير عن أقوال الله (رو ٣ : ٢ و ١ بط ٤ : ١١) ، سواء بوحى روحه القدوس ، كما « أوحى » إلى سمعان « أنه لا يرى الموت ، قبل أن يرى مسيح الرب » (لو ٢ : ٢٦) . أو « بملاك مقدس » كما أوحى إلى كرنيليوس ، أن يستدعى بطرس الرسول إلى بيته (أع ١٠ : ٢٢ و ٢٣) ، أو بالأحلام ، كما أوحى إلى « المجوس » ، أن لا يرجعوا إلى هيرودس ، وكما أوحى إلى « يوسف » رجل مريم ، أن ينصرف إلى نواحى الجليل ويسكن فى الناصرة بالصبى يسوع (مت ٢ : ١٢ و ٢٢) ، أو بصوت مسموع من السماء ، كما أوحى إلى « إيليا » بالقول : « أبقيت فى إسرائيل سبعة آلاف « كل الركب التى لم تجث للبعل وكل فم لم يقبله » (قابل ١ مل ١٩ : ١٨ مع رو ١١ : ٤) . أما القرينة هنا ، فتدل على أن ما « أوحى » إلى « نوح » ، كان إنذاراً مباشراً إليه « عن » :

« أمور لم تر » :

هى أمور « لم تر » ليس باعتبار أنها من الأمور التى من طبيعتها لا ترى و لن ترى أى لاتقع تحت الحواس ولا تدرك بها كأمور الله « غير المنظورة » التى هى « قدرته السرمدية ولاهوته » (رو ١ : ٢٠ بوصف أنه ، جل شأنه « المبارك العزيز الوحيد ،

ملك الملوك ورب الأرباب ، الذى وحده له عدم الموت ، ساكناً فى نور لا يدنى منه ، الذى لم يره أحد من الناس ولا يقدر أن يراه ، الذى له الكرامة والقدرة الأبدية » (اقرأ ١ تى٦ : ١٥ و ١٦ قابل يو ١ : ١٨ مع خر ٣٣ : ١٨ — ٢٣ مع ١ بط ١ : ٨) .

أما الأمور التى « أوحى بها » إلى نوح فلم توصف بأنها « أمور لا ترى » بالنسبة إلى طبيعتها أى لا تستطيع أن تستوعبها العقول ولا تقدر الحواس أن تدركها فهى من المنظورات ومن المعقولات ، ومن الحوادث التى تتبين مع الأيام ؛ لذلك قيل عنها « الأمور » التى « لم تر » : —

« بعـد » :

فهى أمور ستأتى « بعد » وحوادث ستجرى فى العالم ، ترى منظورة مدركة بالحواس أوحى بها إلى « نوح » بوحى صريح واضح — إنذاراً مباشراً — عن أمر مقضى به سيأتى الوقت لإتمامه وذلك بمقتضى ما قيل : « هوذا الديان واقف قدام الباب » (يع ٥ : ٩) ، « واقترب يوم الدينونة » . أما هذه الأمور « التى لم تر بعد » ، فقد كشفها التاريخ المقدس فى « الكلمة النبوية » (٢ بط ١ : ١٩) التى أوحى بها إلى نوح فى قول الله له : « نهاية كل بشر قد أتت أمامى ؛ لأن الأرض امتلأت ظلماً منهم ، فها أنا مهلكهم مع الأرض : إصنع لنفسك فلكاً من خشب جفر . . . فها أنا آت بطوفان الماء على الأرض ؛ لأهلك كل جسد فيه روح حياة ؛ من تحت السماء ، كل ما فى الأرض يموت ، ولكن أقيم عهدى معك ؛ فتدخل الفلك ، أنت وبنوك وامرأتك ونساء بنيك معك » (اقرأ تك ٦ : ١٣ — ١٨) .

هذا هو الوحى الإلهى الذى أتى إلى « نوح » من السماء العليا ، يحمل إليه وعيداً وتهديداً بهلاك شديد ، كما يعلن له إرشاداً وتمهيداً لخلاص مجيد ، وحى يؤدى بنا أن نتقدم فى البحث عن : —

« نـوح » : (حـ) بيتـه

« فبنى فلكاً لخلاص بيتـه » :

ليس خوفاً من الهلاك ، فهو موعود بالنجاة ؛ بل احتراماً للتعليمات الإلهية ، وقبولاً للطريقة التي عينها الرب للخلاص ، وهي التي أعلنها له مفصلة في القول : « إصنع لنفسك فلكاً من خشب جفر ، تجعل الفلك مساكن ، وتطليه من داخل ومن خارج بالقار (والقار مادة سوداء تطلى به السفن ، وقيل هو الزفت) ، وهكذا تصنعه ، ثلاث مئة ذراع يكون طول الفلك ، وخمسين ذراعاً عرضه ، وثلاثين ذراعاً ارتفاعه ، وتصنع كوا للفلك وتكمله إلى حد ذراع من فوق ، وتضع باب الفلك في جانبه ، مساكن سفلية ومتوسطة وعلوية تجعله (تك ٦ : ١٤ — ١٦) .

ولماذا هذه العملية الكبيرة التي تستلزم مجهوداً جباراً ؟ وتشغل وقتاً طويلا ؟ وتتطلب حكمة نادرة ؟ ألم يكن في استطاعته ، تعالى اسمه ، أن يخلص بدونها ؟ إن نوحاً لم يتساءل في هذا الصدد ، وليس لإنسان أن يتساءل ، فالخلاص ليس من الإنسان ولا بتدبيره ؛ بل هو تفكير الله وتدبيره ، فمن البدء فكر الإنسان أن يستر عريه ودبر لنفسه مآزر من أوراق التين وخاطها بيديه ، ولكنه لم ينتفع شيئاً (اقرأ تك ٣ : ٧ — ١١ مع رو ٣ : ١٨) .

« ونعمان السرياني » (لو ٤ : ٢٧) ، كاد أن يخسر ، إلى الأبد ، بركة الطهر من نجاسة البرص الذي كان لاصقاً به ؛ لأنه لم ترق ، في عينيه ، الطريقة التي رسمها له نبي الله « أليشع » عندما أرسل إليه رسولا يقول له : « اذهب واغتسل سبع مرات في الأردن ؛ فيرجع لحمك إليك وتطهر » . أما هو فغضب ومضى وقال : « هوذا قلت : إنه يخرج إلي ، ويقف ويدعو باسم الرب إلهه ، ويردد يده فوق الموضع ؛ فيشفي الأبرص » . ولم يكن شيء من كل ما رسمه في فكره طريقة لشفائه داخلاً في التدبير الإلهي لهذا الشفاء فغضب ، ولو لم يذعن لعبيده ويرجع إلى صوابه لما نال بركة الطهر (اقرأ ٢ مل ٥ : ١ — ١٤) .

فالملاحظون بحذافيره ، ودقائقه تدبير الحكمة الأزلية . ولا دخل للانسان فيه فما عليه إلا أن يقبل خاضعاً وأن يعمل مطيعاً غير معاند أو متسائل . وهذا حق إلهي أوحى به إلى نوح في صورة رمزية ملموسة فآمن به وبني .

« فلكاً » :

للفلك شأن عظيم جداً في حديث السيد المسيح وتعليمه وفي تفسير رسله القديسين بوحي الروح القدس ، سواء ذكر برمزه أو بالإشارة إليه ، نراه يتجلى أمامنا بوضوح تام في ثلاث علاقات : (أ) الفلك والقضاء « كما كانت أيام نوح ، كذلك يكون ، أيضاً ، مجيء ابن الإنسان » (مت ٢٤ : ٣٧) (ب) الفلك والفداء « الذي فيه (« الفلك ») خلص قليلون أي ثماني أنفس بالماء » (١ بط ٣ : ٢٠) (ج) الفلك والبناء « في أيام نوح ، إذ كان الفلك يبنى » (١ بط ٣ : ٢٠) .

(أ) الفلك والقضـــاء :

« كما كانت أيام نوح ، كذلك يكون ، أيضاً ، مجيء ابن الإنسان » . في أيام نوح « رأى الرب أن شر الإنسان قد كثر في الأرض ، وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم . فحزن الرب أنه عمل الإنسان في الأرض وتأسف في قلبه فقال الرب : « أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذي خلقته » (تك ٦ : ٥ - ٧) . لذلك قال الله لنوح : « نهاية كل بشر قد أتت أمامي ، لأن الأرض امتلأت ظلماً منهم ، فها أنا مهلكهم مع الأرض » (تك ٦ : ١٣) .

هذه هي الصورة السوداء القاتمة التي رآها « أخنوخ » (حنوك) في أيامه ، قبل نقله من الأرض ، قبل الطوفان ، وهي ذات الصورة التي رآها يهوذا ، أيضاً ، في أيامه ، قبل خراب أورشليم ، وهي ذات الحال التي ستكون عليها أشرار الأرض يوم مجيء السيد الديان ، وهي التي عبر عنها « أخنوخ » في تنبؤه ، قائلا : « جاء الرب في ربوات قديسيه ، ليصنع دينونة على الجميع ويعاقب جميع فجارهم على جميع أعمال فجورهم التي فجروا بها ، وعلى جميع الكلمات الصعبة التي تكلم بها عليه خطاة فجار » (يه ١٤ و ١٥) .

هؤلاء الفجار ، هم تلك « الأرواح » التي عصت قديماً ، حين كانت أناة الله تنتظر في أيام نوح » . وكان نوح — بروح المسيح — كارزاً لهم لمدة مئة وعشرين سنة بالبر الذي من الله (اقرأ ١ بط ٣ : ١٨ — ٢٠ مع ٢ بط ٢ : ٥ قابل تك ٦ : ٣) ، ولكنها لم تتب من شرها ؛ فهلكت بطوفان الماء ؛ ولذلك عبر عنها الرسول بطرس ، بوصف كونها « في السجن » — أي في سجن الهلاك — أرواحاً مفصولة من أجسادها مع الأثمة المحفوظين إلى يوم الدين ؛ معاقبين ، كما سيفعل الله ، أيضاً ، في أمر إبليس وملائكته الذين أخطأوا . ولم يشفق عليهم « بل في سلاسل الظلام ؛ طرحهم في جهنم ؛ وسلمهم ، محروسين للقضاء » : وبعبارة أخرى « حفظهم إلى دينونة اليوم العظيم بقيود أبدية تحت الظلام » (قابل ٢ بط ٢ : ٤ و ٥ و ٩ مع يه ٦) .

هؤلاء هم الذين أشار إليهم السيد بتلك الإشارة الخفيفة العابرة ، قائلاً : « لأنه كما كانوا في الأيام التي قبل الطوفان ، يأكلون ويشربون ، ويتزوجون ويزوجون ؛ إلى اليوم الذي دخل فيه نوح الفلك ، ولم يعلموا ؛ حتى جاء الطوفان ، وأخذ الجميع ، كذلك يكون ، أيضاً ، مجيء ابن الإنسان » (مت ٢٤ : ٣٨ و ٣٩ قابل لو ١٧ : ٢٦) . وهل نستهين بهذه الإشارة الخفيفة ؟ وهل نستخف بالإشارة إلى الأكل والتزوج ؟ أليست الإشارة هنا ؟ هي ذات الإشارة إلى أولئك الذين « يسمعون ثم يذهبون ؛ فيختنقون من هموم الحياة وغناها ولذاتها ، ولا ينضجون ثمراً » ؟ (لو ٨ : ١٤ قابل مت ١٣ : ٢٢) .

وما أشنع ما أصاب ذلك الغني ! وهو يتنعم كل يوم في أرجوانه وبزه مترفهاً ، ويتلذذ بكل أنواع الأطعمة الشهية ، ولم يعلم بنار العذاب الأبدي ؛ حتى وجد نفسه في لهيبها معذباً إلى الأبد (اقرأ لو ١٦ : ١٩ — ٢٦) : هؤلاء هم الذين وصفهم الوحي المقدس بأنهم « أعداء صليب المسيح ، الذين نهايتهم الهلاك ، الذين إلههم بطنهم : ومجدهم في خزيهم ، الذين يفتكرون في الأرضيات » (في ٣ : ١٨ و ١٩) .

هكذا : « كما كانت أيام نوح ؛ كذلك يكون ، أيضاً ، مجيء ابن الإنسان » (مت ٢٤ : ٣٧) . أي كما حدث في أيام نوح ؛ معبراً عنه بالقول : « الرب بالطوفان

جالسين ، ويجلس الرب ملكاً إلى الأبد » (مز ٢٩ : ١٠) في ذلك اليوم : الذي فيه « إنفجرت كل ينابيع الغمر العظيم ، وانفتحت طاقات السماء ، وكان المطر على الأرض أربعين يوماً وأربعين ليلة » : « وتعاظمت المياه وتكاثرت جداً على الأرض فتغطت جميع الجبال الشامخة التي تحت كل السماء » (تك ٧ : ١١ و ١٢ و ١٩) ؛ « فمات كل ذي جسد كان يدب على الأرض » (اقرأ تك ٧ : ١٠ — ٢٤ مع ٢ بط ٣ : ١ — ٦).

« أما السموات والأرض الكائنة الآن ؛ فهي مخزونة بتلك الكلمة عينها . محفوظة للنار ، إلى يوم الدين وهلاك الناس الفجار . . . سيأتي كلص في الليل يوم الرب ، الذي فيه تزول السموات بضجيج ، وتنحل العناصر محترقة ، وتحترق الأرض والمصنوعات التي فيها . . ولكننا بحسب وعده ننتظر سموات جديدة وأرضاً جديدة ، يسكن فيها البر ؛ لذلك أيها الأحباء ! إذ أنتم منتظرون هذه ، اجتهدوا أن توجدوا عنده بلا دنس ولا عيب في سلام » (اقرأ ٢ بط ٣ : ٧ — ١٤) . « لنطهر ذواتنا من كل دنس الجسد والروح ، مكملين القداسة في خوف الله » (٢ كو ٧ : ١) . هذا يؤدي بنا إلى البحث في :

(ب) الفلك والفداء :

« الذي فيه (« الفلك ») خلص قليلون ؛ أي ثماني أنفس بالماء » (١ بط ٣ : ٢٠) . ولذلك يقول ، أيضاً ، في ذات المناسبة « لم يشفق على العالم القديم ؛ بل إنما حفظ « نوحاً ثامناً » كارزاً للبر » (٢ بط ٢ : ٥) أي واحداً من ثمانية ، فداء عجيب من موت رهيب بتدبير محكم تجلى أمامنا ، في حكمة فائقة ، في تأملاتنا السابقة ، أعد الخلاص ثماني أنفس بمقتضى القصد والنعمة ؛ حيث نجد أنفسنا :

١ — داخل باب مغلق . ٢ — تحت كو مشرق ٣ — فوق ماء متدفق .

١ — داخل باب مغلق :

كان ، من تصميم الفلك : قول الرب لنوح « تصنع باب الفلك في جانبه » ؛ وهذا الباب ، ولابد ، كان للدخول منه إلى الفلك ، ولما دخل نوح والداخلون والداخلات

معه «أغلق الرب عليه» (تك ٧ : ١٦). وهل فى هذه المناسبة ؟ نذكر مثل العذارى ؟ حين «جاء العريس» والمستعدات دخلن معه إلى العرس، وأغلق الباب» ؟ وهل كان عريباً ؟ أم دياناً ؟ أو كان كليهما معاً ؟ ألا نسمع الواقفات خارجاً قائلات ؟ «يا سيد ! يا سيد ! افتح لنا» ؟ وهل لا نسمع الجواب من الداخل ؟ «الحق أقول لكن إنى ما أعرفكن» (اقرأ مت ٢٥ : ١ — ١٣).

على هذا النمط نتمثل «ملاك العهد» (ملا ٣ : ١) الذى سمع صوته ماشياً فى الجنة عند هبوب ريح النهار» (تك ٣ : ٨ و ١٠). والذى كان يتمشى مع الفتيان الثلاثة فى وسط «أتون النار» (دا ٣ : ٢٥)، والذى سد أفواه الأسود، وأضاء بنوره ليلة الجب المظلمة مع دانيال (دا ٦ : ٢٢)؛ هذا هو بعينه «ابن الله الوحيد» عريس الكنيسة المجيد الذى دخل، ولا بد، مع نوح والذين معه إلى الفلك، ولو غير ظاهر، وأغلق الباب عليه؛ لكى لا يتغير القصد الإلهى فى حفظهم «لاستبقاء نسل على وجه الأرض»، تاركاً تلك الأرواح التى «عصت قديماً» تحت تيارات الغضب الإلهى والجحيم المنفجرة وغمار سخطه المتدفقة.

وماذا ينتفع الإنسان ؟ من «بعد ما يكون رب البيت، قد قام وأغلق الباب ؟ وابتدأتم تقفون خارجاً ؟ وتقرعون الباب ؟ قائلين «يارب ! يارب ! افتح لنا» يجيب ويقول لكم «لا أعرفكم من أين أنتم». حينئذ تبتدئون تقولون: «أكلنا قدامك وشربنا وعلمت فى شوارعنا» فيقول أقول لكم: لا أعرفكم من أين أنتم، تباعدوا عنى يا جميع فاعلى الظلم. هناك يكون البكاء وصرير الأسنان» (لو ١٣ : ٢٥ — ٢٨). فاحترزوا لأنفسكم؛ لئلا تثقل قلوبكم فى خمار وسكر وهموم الحياة، فيصادفكم ذلك اليوم بغتة» (اقرأ لو ٢١ : ٣٤ — ٣٦).

٢ — تحت كو مشرق :

كان، أيضاً، من تصميم الفلك، قول الله لنوح «تصنع كوا للفلك، وتكمله إلى حد ذراع من فوق» (تك ٦ : ١٦). هنا نقف أمام أمر مبهم، نحاول استجلاءه واستكشافه فى نور الكلمة الأصلية المترجمة «كوا» وهى «صوهر» وتعريبها «ظهر»

كما ترجمت فى قول المرنم : « مساء وصباحاً وظهراً أشكو وأنوح فيسمع صوتى » (مز ٥٥ : ١٧) . وكما ترجمت أيضاً « ظهرة » فى قوله : « ولا من وباء يسلك فى الدجى ، ولا من هلاك يفسد فى « الظهيرة » (مز ٩١ : ٦) .

فإذا اعتبرنا لفظها هذا مع صيغتها الأصلية ، يمكننا أن نراها أنواراً ساطعة متلألئة ، ولعل النص ! يوجه أبصارنا إلى سقف الفلك ، لنرى فى وسطه قبواً مرتفعاً إلى حد ذراع ، منه تنحدر جوانبه بميل خفيف ؛ فلا يستبقى فوقه شىء من مياه الطوفان النازلة من العلاء ، ولعل ! هذا القبو مركب من مواد شفافة تعكس أنوار السماء ، أو لعله هو ذاته شفاف يسطع من ذاته ، متلألئاً ببهاء ، ويعطى ضوءه لسكان الفلك جميعهم .

ولعل ! إلى هذا الفكر يعزى ما تخيله بعض علماء اليهود القدماء ؛ حيث يقول أحدهم مثلا (إن حجراً كريماً معلقاً فى الفلك ، أضاء لجميع الخلائق التى كانت فيه ؛ كمنارة لامعة) . وترجوم يوناثان يمثل الله وهو ، تعالى ، يقول لنوح : إذهب إلى الفيشون وخذ من هناك حجراً كريماً وضعه فى الفلك لتوزيع النور ، (مع العلم أن الفيشون هو أحد الروؤس الأربعة التى ينقسم إليها النهر الذى كان يخرج من عدن ؛ ليسقى الجنة ، « وهو المحيط بجميع أرض الحويلة ، حيث الذهب ، وذهب تلك الأرض جيد ، هناك المقل وحجر الجزع » (تك ٢ : ١١ و ١٢) .

فالعريس الذى دخل ومعه المستعدات وأغلق الباب للصيانة والثبات ، هو بذاته نور العرس وبهاؤه وبهجته وسناؤه ، وما أعظم الفرق بين هذا النور البهى ! وتلك « الظلمة الخارجية » ، هناك يكون البكاء وصرير الأسنان » (مت ٢٢ : ١٣) . إذاً « لتكن أحقاؤكم ممنطقة وسرجكم موقدة . وأنتم ، مثل أناس ينتظرون سيدهم . متى يرجع من العرس ، حتى إذا جاء وقرع ، يفتحون له للوقت » (لو ١٢ : ٣٥ و ٣٦) .

٣ — فوق ماء متدفق :

« وكان الطوفان أربعين يوماً على الأرض ، وتكاثرت المياه ورفعت الفلك ، فارتفع عن الأرض ، وتعاظمت المياه وتكاثرت جداً على الأرض ، فكان الفلك يسير على وجه المياه » (تك ٧ : ١٧ و ١٨) . إلى هذا المنظر العجيب ، إلى الفلك وهو

يسير فوق الماء المتدفق ، يشير الرسول بطرس ، قائلا : « كان « الفلك » يبنى ، الذى فيه خلص قليلون ، أى ثمانى أنفس بالماء ، الذى مثاله يخلصنا نحن الآن ، أى « المعمودية » لا إزالة وسخ الجسد ، بل سؤال ضمير صالح عن الله ، بقيامة يسوع المسيح الذى هو فى يمين الله » (اقرأ ١ بط ٣ : ٢٠ - ٢٢) .

ولكن ! هل كان الطوفان ، حقاً ، معمودية بالماء ؟ هل كانت « مياه نوح » مياه « الغضب » التى أهلكت جميع الأشرار ؟ هل كانت ، حقاً ، مياه معمودية لتجديد وجه الأرض ؟ وهل كان لهذه المعمودية المائية تأثير للبر والتطهير والتجديد والتعميد ؟ إن المدينة التى بناها قايين ، ودعاها على اسم أبيه « حنوك » ، وكانت عنوان المدينة المزيفة والعالمية الطاغية ، وقد اندثرت بالطوفان مع كل جبابرتها الطغاة ، ما لبثت أن ظهرت ، بعد الطوفان ، بصورة أشر وأكثر طغياناً ، فى « نمرود » المتمرد فى « وجه الرب » (اقرأ تك ١٠ : ٨ — ١٢) ؛ ليجعل لنفسه ولقومه اسماً فى كل الأرض ، وليقيم مملكة عنوانها مدينة وبرج رأسه يمس السماء (اقرأ تك ١١ : ١ — ٩) .

أما هذه المدينة التى قامت بعد الطوفان ، وبعد معمودية الماء ، وكانت أشد ظلماً وأكثر طغياناً ؛ فهى مدينة « بابل » التى بناها ذلك النمرود المتمرد ، وبرز فيها ذلك الملك العاتى « نبوخذ نصر » : « ملك ملوك » الأرض (دا ٢ : ٣٧) : فى زمانه ، الذى اعتز بنفسه ودهاه غرور العظمة والسلطان فقال فى قلبه : « أصعد إلى السموات ، أرفع كرسى فوق كواكب الله ، وأجلس على جبل الاجتماع فى أقاصى الشمال ، أصعد فوق مرتفعات السحاب ، أصير مثل العلى » (إش ١٤ : ١٣ و ١٤) . فلا عجب إذا سمعناه يقول فى غرور قلبه : « أليست هذه بابل العظيمة ؟ ! التى بنيتها لبيت الملك ؟ بقوة اقتدارى ولجلال مجدى » ؟ (دا ٤ : ٣٠) . فلا عجب ! أن يصدر حكم السماء بزوال الملك عنه وبطرده من بين الناس ؛ لتكون سكناه مع حيوان البر والثيران وتمضى عليه سبعة أزمنة « حتى يعلم أن العلى متسلط فى مملكة الناس وأنه يعطيها من يشاء » (اقرأ دا ٤ : ٣١ و ٣٢) .

هذه هي بابل التي رآها الرائي في صورتها التمثيلية « امرأة جالسة على وحش قرمزي مملوء أسماء تجديف » متسربلة بأرجوان وقرمز : ومتحلية بذهب وحجارة كريمة ولؤلؤ ، ومعها كأس من ذهب في يدها مملوة رجاسات ونجاسات زناها ، وعلى جبهتها اسم مكتوب « سر : بابل العظيمة ، أم الزواني ورجاسات الأرض » (رؤ ١٧ : ٣ — ٦ اقرأ ١٧ و ١٨) .

فلم تكن معمودية الماء للعالم القديم ، إلا صورة المعمودية النار للعالم الكائن الآن . كما كانت معمودية يوحنا المعمدان بالماء للتوبة إعداداً لمعمودية النار للآتي بعده ، للفصل بين الحنطة والتبن : كما قيل : « أنا أعمدكم « بماء للتوبة » ، ولكن الذي يأتي بعدي ، هو أقوى مني ، الذي لست أهلاً أن أحمل حذاءه ، هو سيعمدكم « بالروح القدس ونار » الذي رفشه في يده ، وسينقي بيدره ، ويجمع قمحه إلى المخزن ، وأما التبن فيحرقه بنار لا تطفأ » (مت ٣ : ١١ و ١٢) .

لذلك : بعد الطوفان تنسم الرب ، في المحرقات التي قدمها « نوح » لجلاله الأقدس — « تنسم . . . رائحة الرضا » وقال في قلبه « لا أعود ألعن الأرض ، أيضاً ، من أجل الإنسان ؛ لأن تصور قلب الإنسان شرير منذ حداثته ، ولا أعود ، أيضاً ، أميت كل حي كما فعلت . « أقيم ميثاقي معكم ؛ فلا ينقرض كل ذي جسد ، أيضاً ، بمياه الطوفان ولا يكون ، أيضاً ، طوفان ليخرب الأرض » (اقرأ تك ٨ : ٢٠ و ٢١ مع ٩ : ١١ — ١٧) .

على أن الرسول بطرس ، يؤكد لنا ، تمام التأكيد ، أن معمودية الماء هذه ، لم ينتفع بها العالم شيئاً من التطهير والتعميد ، وهذا يبينه بالقول الصريح ، عن معمودية الماء المعبر عنها ، في قوله : « إن السموات كانت ، منذ القديم : والأرض ، بكلمة الله ، قائمة من الماء وبالماء ، اللواتي (أي السموات والأرض) بهن العالم الكائن حينئذ (أي السموات والأرض القائمة من الماء وبالماء) فاض عليه (على العالم) الماء فهلك » (٢ بط ٣ : ٥ و ٦) . أي هلك العالم بالماء ، أي ماء الطوفان الذي تفجرت به ينابيع الغمر من الأرض ، وانفتحت طاقات السماء ، وبه فاضت وتمت معمودية الماء بهذه الطريقة الطوفانية ، كما سبقت الإشارة .

أما معمودية النار ، فيشير ذات الرسول إليها ، قائلا : « وأما السموات والأرض الكائنة الآن ، فهي مخزونة ، بتلك الكلمة عينها ، محفوظة للنار ، إلى يوم الدين ، وهلاك الناس الفجار » : « ولكن ! سيأتي كلص في الليل « يوم الرب » الذي فيه تزول السموات بضجيج ، وتنحل العناصر محترقة ، وتحترق الأرض والمصنوعات التي فيها » (اقرأ ٢ بط ٣ : ٧ — ١٠) .

هذه هي معمودية النار الفعالة في تطهيرها وتنقيتها وتأثيراتها القوية التي عبر عنها الرائي بقوله : « ثم رأيت سماء جديدة وأرضاً جديدة . . . وأنا يوحنا رأيت المدينة المقدسة « أورشليم الجديدة » نازلة من السماء ، من عند الله ، مهيأة كعروس ، مزينة لرجلها ، وسمعت صوتاً عظيما من السماء قائلا : « هوذا مسكن الله مع الناس ، وهو سيسكن معهم ، وهم يكونون له شعباً ، والله نفسه يكون معهم إلهاً لهم ، وسيمسح الله كل دمعة من عيونهم ، والموت لا يكون في ما بعد ، ولا يكون حزن ولا صراخ ولا وجع في ما بعد ، لأن الأمور الأولى قد مضت » . وقال الجالس على العرش « ها أنا أصنع كل شيء جديداً » (اقرأ رؤ ٢١ : ١ — ٥ قابل مت ١٣ : ٤٠ — ٤٣) .

« أي أناس يجب أن تكونوا أنتم في سيرة مقدسة وتقوى ، منتظرين وطالبين سرعة مجيء يوم الرب ، الذي به تنحل السموات ملتهبة والعناصر محترقة تذوب ؛ ولكننا بحسب وعده ننتظر سموات جديدة وأرضاً جديدة يسكن فيها البر » (٢ بط ٣ : ١١ — ١٣) . الآن ! وقد انتهينا من الكلام عن (ا) الفلك والقضاء و(ب) الفلك والفداء : نتقدم إلى الكلام عن : —

(ج) الفلك والبناء :

« في أيام نوح ، إذ كان الفلك يبنى » (١ بط ٣ : ٢٠) ، وضع الله لنوح تصميم الفلك ، كما هو مبين في (تك ٦ : ١٤ — ١٦) ، ولكنه أمره أن يقوم بصنعه بمقتضى ذلك التصميم الموضوع له تماماً . أوصى موسى بعد ذلك أن يقيم خيمة المسكن المقدس ، على المثال الذي أظهره له ، محذراً تمام التحذير ، قائلا له : « انظر

فاصنعها على مثالها الذى أظهر لك فى الجبل » (خر ٢٥ : ٤٠ قابل ع ٩ مع ص ٨ : ٥ راجع الشرح) .

فى مثل هذه التصميمات ، نجد أمثلة رمزية للجسد الذى هيأه الآب لابنه ، لفداء البشرية ، وفيه قال ، عند دخوله إلى العالم « ذبيحة وقرباناً لم ترد ، ولكن هيأت لى جسداً » (قابل مز ٤٠ : ٦ — ٨ مع خر ٢١ : ٢ — ٦ راجع ص ١٠ : ١ — ٥)

فإن كان يجب أن يصنع نوح الفلك فإنه كان يجب أن يصنعه بمقتضى التصميم الموحى به بكل حذافيره ، بدون تغيير أو تبديل ، وبلا إدخال أو إخراج ، وبغير زيادة أو نقص ، أى بدون أية صغيرة أو كبيرة من تفسيرات البشر ، التى فى مثل هذه الحالة ، تكون كالنار الغريبة التى قربها ناداب وأبيهو ولم يأمر بها الرب فخرجت نار من عند الرب وأكلتهما فماتا أمام الرب (اقرأ لا ١٠ : ١ — ٤) .

وبالأكثر إذا اعتبرنا الفلك ، فى بنائه ، مقترناً بأمر الخلاص ؛ لأن الله ، جل اسمه العظيم ، دبر أمر بناء الفلك تمهيداً لخلاص الأنفس التى أعدها للخلاص « حسب مسرته التى قصدها فى نفسه ، لتدبير ملء الأزمنة ؛ ليجمع كل شىء فى المسيح ما فى السموات وما على الأرض » (أف ١ : ٩ و ١٠) . « بحسب قوة الله الذى خلصنا ودعانا دعوة مقدسة ، لا بمقتضى أعمالنا ؛ بل بمقتضى القصد والنعمة التى أعطيت لنا فى المسيح يسوع قبل الأزمنة الأزلية (٢ تى ١ : ٨ و ٩) .

وإن كان الفلك تصميماً إلهياً محضاً ، إلا أن صنعه ، ولابد ، كان بأيد بشرية ؛ إلا أننا إذا ذهبنا إلى جبل سيناء ووقفنا أمام صناع خيمة الاجتماع ، لرأينا طابعاً إلهياً هو روح حكمة سموية تعمل بأولئك الصناع لإتمام العمل ، كما قيل : « قد دعوت بصلئيل بن أورى بن حور من سبط يهوذا باسمه وملأته من روح الله بالحكمة والفهم والمعرفة وكل صنعة لاختراع مخترعات . . . ليعمل فى كل صنعة وها أنا قد جعلت معه أهوليآب بن أخيساماك من سبط دان ، وفى قلب كل حكيم القلب ، جعلت حكمة ليصنعوا كل ما أمرتك . . . حسب كل ما أمرتك به يصنعون » (اقرأ خر ٣١ : ١ — ١١)

على هذا النمط وبهذا القياس ، نستطيع أن ندرك ذلك الإرشاد السماوى بالروح الإلهى فى قيادة نوح وكل الذين كانوا يعاونونه فى بناء الفلك بحسب التصميم الذى وضعه الله تماماً . وهذا يقودنا إلى معرفة حقيقة المسئولية التى تقع على الإنسان فى أمر الخلاص الذى دبره الله له ، بحسب قصده الأزلى وأعلنه فى وحيه المقدس ، وهى المسئولية التى عبر عنها الرسول بولس ، فى قوله : « إذاً يا أحبائى ! كما أطعتم كل حين ، ليس فى حضورى فقط ، بل الآن ، بالأولى جداً ، فى غيابى ، تمموا خلاصكم بخوف ورعدة ؛ لأن الله هو العامل فيكم أن تريدوا ، وأن تعملوا ؛ من أجل المسرة » أى من أجل مسرة الله التى جعلها فى نفسه قبل الأزمنة الأزلية (فى ٢ : ١٢ و ١٣ قابل أف ١ : ٣ — ٩) .

وهكذا بهذا المعنى ، يوصى الرسول بطرس ، قائلا : « لذلك ، بالأكثر ، اجتهدوا أيها الإخوة ! أن تجعلوا دعوتكم واختياركم ثابتين ؛ لإنكم إذا فعلتم ذلك ، لن تزلوا أبداً ؛ لأنه ، هكذا ، يقدم لكم ، بسعة ، دخول إلى ملكوت ربنا ومخلصنا يسوع المسيح الأبدى » (٢ بط ١ : ١٠ و ١١) . وتكمل نصيحة الرسول بولس القائلة : « فإذ لنا أيها الإخوة ! ثقة بالدخول إلى الأقداس « بدم يسوع » ، طريقاً كرسه لنا حديثاً حياً بالحجاب ، أى « جسده » ، وإذ لنا « كاهن عظيم » على بيت الله ، لنتقدم بقلب صادق ؛ فى يقين الإيمان ، مرشوشة قلوبنا من ضمير شرير ، ومغتسلة أجسادنا بماء نقى ، لنتمسك بإقرار الرجاء راسخاً ؛ لأن الذى وعد هو أمين » (راجع شرح ص ١٠ : ١٩ — ٢٣) . هكذا فعل نوح حسب كل ما أمره الله فى بناء الفلك قابل (تك ٦ : ١٤ و ٢٢) : « وإذ كان الفلك يبنى » (١ بط ٣ : ٢٠) .

« كانت أناة الله تنتظر » (١ بط ٣ : ٢٠) ، فى الفترة التى حددها الرب فى قوله : « لا يدين روحى فى الإنسان إلى الأبد ؛ لزيغانه ، هو بشر ، وتكون أيامه مئة وعشرين سنة » (تك ٦ : ٣) ، هى الفترة التى حددها « رب المجد » مدة انتظاره فى أناته ؛ على أولئك الطغاة الجبابرة الساقطين (تك ٦ : ٤) ، وهذه الفترة ، هى ثلاثة أضعاف انتظار أناة الله ؛ فى البرية ، التى عبر عنها جلاله ، قائلا : « حيث جربنى آباؤكم ،

اختبرونى . أبصروا ، أيضاً ، فعلى : « أربعين سنة » مقت ذلك الجيل ، وقلت هم شعب ضال قلبهم ، وهم لم يعرفوا سبلى ؛ فأقسمت فى غضبى ، « لا يدخلون راحتى » (قابل مز ٩٥ : ٩ — ١١ مع نح ٩ : ٣٠ راجع شرح ص ٣ : ٧ — ١٨) .

« أم تستهين بغنى لطفه وإمهاله وطول أناته ؟ غير عالم أن لطف الله ، إنما يقتادك إلى التوبة ؟ ولكنك ، من أجل قساوتك وقلبك غير التائب ، تذخر ، لنفسك غضباً ؛ فى يوم الغضب ، واستعلان دينونة الله العادلة » (رو ٢ : ٤ و ٥) . « لذلك ، أيها الأحباء ! . . اجتهدوا لتوجدوا عنده بلا دنس ولا عيب فى سلام ؛ وأحسبوا أناة ربنا خلاصاً » (٢ بط ٣ : ١٤ و ١٥) ، فى هذه الفترة (١٢٠ سنة) :

« حفظ (الله) نوحاً ، ثامناً كارزاً للبر » (٢ بط ٢ : ٥) ، معلناً غضب الله من السماء على جميع فجور الناس وإثمهم (رو ١ : ١٨) ، كما سبق أن فعل قبله أخنوخ ولا بد ، قبل نقله إلى السماء بسيرته وتنبوئه (قابل تك ٥ : ٢١ — ٢٤ مع يه ١٤ و ١٥) داعياً إلى التوبة ، « فالله ، الآن ! يأمر جميع الناس ، فى كل مكان ، أن يتوبوا ، متغاضياً عن أزمنة الجهل ؛ لأنه أقام يوماً ، هو (جل اسمه) فيه ، مزمع أن يدين المسكونة بالعدل « برجل » قد عينه مقدماً للجميع إيماناً ؛ إذ أقامه من الأموات » (أع ١٧ : ٣٠ و ٣١) .

وإذا سلطنا نور الوحى المقدس الكشاف على هذه الكرازة ، نكتشف ، ولا بد ، روح الكارز الحقيقى للعصاة البغاة والجبابرة الطغاة فى تلك الأيام ؛ حيث نسمع الرسول بطرس ، وهو يتحدث فى ذات الموضوع ، قائلا : « إن المسيح ، أيضاً ، تألم مرة واحدة . . . مماتاً فى الجسد ؛ ولكن محيى فى الروح » (أى مماتاً فى الناسوت — ولكن محيى فى اللاهوت الذى لا يموت) : « الذى فيه ، أيضاً ، ذهب فكرز للأرواح التى فى السجن ؛ إذ عصت قديماً ، حين كانت أناة الله تنتظر مرة ، فى أيام « نوح » إذ كان الفلك يبنى » (١ بط ٣ : ١٨ — ٢٠) :

هذا المسيح البار فى روحه بلاهوته : كان هو الكارز الحقيقى فى « نوح » لأولئك الطغاة الذين عصوا قديماً فى تلك الأيام ، وهذه الحقيقة يثبتها الرسول بطرس ، أيضاً :

فى قول آخر له ، وهو يتحدث عن « الخلاص الذى فتش وبحث عنه أنبياء ، الذين تنبأوا عن النعمة التى لأجلكم ، باحثين ، أى وقت ؟ أو ما الوقت ؟ الذى كان يدل عليه « روح المسيح » الذى فيهم ؛ إذ سبق فشهد بالآلام التى للمسيح ، والأمجاد التى بعدها » (١ بط ١ : ١٠ و ١١ قابل نح ٩ : ٢٠ و ٣٠) .

فى هذا النور الكشاف يتجلى أمامنا « رب المجد » بروحه الأزلى الإلهى ، يكرز بفم نوح مئة وعشرين سنة لأولئك العصاة ، وبذات الروح الإلهى كان هو النبى الحقيقى من سائر الأنبياء ، منذراً ومحذراً ، شاهداً أميناً صادقاً لنفسه بنفسه ، وبذات الروح الإلهى كان هو كارزاً فى أيام جسده ، مفسراً لوحيا المقدس ، كما كان مع رسله بعد قيامته وصعوده ، مثبتاً لبشارة الخلاص العجيب « شاهداً معهم بآيات وعجائب وقوات متنوعة ومواهب الروح القدس حسب إرادته » وهكذا سيبقى ، إلى أن يأتى كارزاً بكلمة الحق المعلن فى الوحى المقدس ، فى « الكلمة النبوية » لإنه « كما كان فى أيام نوح ، هكذا يكون فى أيام ابن الإنسان » (قابل تث ١٨ : ١٨ و ١٩ مع يو ١ : ١٩ — ٢٥ و ٦ : ١٤ و ١٢ : ٤٨ — ٥٠ مع ٢ تى ٣ : ١٥ — ١٧ مع ٢ بط ١ : ١٦ — ٢١ راجع شرح ص ٢ : ١ — ٤) .

أو لا نسمع ؟ فى ذات عملية بناء الفلك ، صوت كرازة ؟ ألم يرتفع دوى آلات النجارين والحدادين ؟ وكل آلات المهن ؟ التى كانت تعمل فى بنائه مدة مئة وعشرين سنة (تك ٦ : ٣) — ألم يكن ، فى ذهاب وإياب الأيدى العاملة ، من أماكنهم ، إلى مكان العمل ، يومياً ؟ مع طول المدة ؟ ما يدعو إلى لفت النظر والإهتمام بهذا الأمر الجلل ؟ فاذا ؟ (لقد أسمعت ، لو ناديت حياً ، ولكن ! لا حياة لمن تنادى) لذلك يقول : « استيقظ أيها النائم ! وقم من الأموات ، فيضىء لك المسيح » (أف ٥ : ١٤) .

لقد أعاننا الرب وانتهينا من بحث موضوع إيمان « نوح » تحت عنوان (أ) اسمه « نوح » — (ب) خوفه « خاف » — (ج) بيته « خلاص بيته » والآن نتقدم إلى :

« نوح » : (د) دينونته

« فيه دان العالم » :

تدل القرينة على أن ضمير الغائب « الهاء » فى قوله « فيه » يعود بنا إلى الإيمان فنقرأ « بالإيمان دان العالم » ، وقد سبق أن رأينا أن موضوع هذا الإيمان هو الوحى الإلهى الذى أوحى إليه من الله « عن أمور لم تر بعد » « فخاف » أى آمن بالوحى . مصدقاً ما قيل : واثقاً به كل الوثوق محققاً ما خرج من فم الله لابد أن يتم .

ومن هو الذى دان العالم ؟ أهو الإنسان (« نوح ») أم هو (« الإيمان ») ؟ أم هو الإنسان بالإيمان ؟ وأى إنسان هذا الذى يدين العالم ؟ ألم يعلمنا السيد المسيح نفسه فى هذا الموضوع بالذات ؟ قائلا « لأن الآب لا يدين أحداً ؛ بل قد أعطى كل الدينونة للابن ؛ لكى يكرم الجميع الابن كما يكرمون الآب . . . لأنه ؛ كما أن الآب له حياة فى ذاته ؛ كذلك أعطى الإبن ، أيضاً ، أن تكون له حياة فى ذاته ؛ وأعطاه سلطاناً أن يدين ، أيضاً ، لأنه ابن الإنسان ، لا تتعجبوا من هذا ، فإنه تأتى ساعة ، فيها يسمع جميع الذين فى القبور صوته ؛ فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة ، والذين عملوا السيآت إلى قيامة الدينونة » (اقرأ يو ٥ : ٢٢ — ٢٩) .

فهذا هو الذى كتب عنه الرسول بولس ، فى هذا الصدد ، قائلا : « ليست خليقة غير ظاهرة قدامه ؛ بل كل شىء ، عريان ومكشوف لعينى ذلك ، الذى معه أمرنا » (راجع شرح ص ٤ : ١٢ و ١٣) . « فلا يقضى بحسب نظر عينيه ، ولا يحكم بحسب سمع أذنيه ؛ بل يقضى بالعدل للمساكين ، ويحكم بالإنصاف لبائسى الأرض ؛ ويضرب الأرض بقضيب فمه ، ويميت المنافق بنفخة شفتيه ، ويكون البر منطقة متنيه ، والأمانة منطقة حقويه » (اقرأ إش ١١ : ١ — ٥ و ٢ تس ١ : ٦ — ١٠) .

على أنه ، فى ذات الوقت نجد السيد المسيح أيضاً ، يجلس معه ، فوق كرسى الدينونة ، أناساً يدينون ؛ كما قال لتلاميذه : « الحق أقول لكم : « إنكم أنتم الذين تبعتمونى فى التجديد ؛ متى جلس ابن الإنسان على كرسى مجده ، تجلسون أنتم ،

أيضاً على اثنى عشر كرسياً تدينون أسباط إسرائيل الإثنى عشر » (مت ١٩ : ٢٨) ، هكذا يقول الرسول بولس لجماعة المؤمنين . « ألستم تعلمون أن القديسين سيدينون العالم » ؟ « ألستم تعلمون أننا سندين ملائكة » ؟ (١ كو ٦ : ٢ و ٣) .

ولعلنا ! إذا رجعنا إلى قول السيد المسيح عن « رجال نينوى » و « ملكة التيمن » : نلمس نوراً يكشف لنا شيئاً عن سر هذه الدينونة التى تنسب إلى الإنسان ، حيث يقول : « رجال نينوى سيقومون فى الدين ، مع هذا الجيل ، ويدينونه ؛ لأنهم تابوا بمناداة « يونان » ، وهوذا أعظم من يونان ههنا ، ملكة التيمن ستقوم ، فى الدين مع هذا الجيل ، وتدينه ؛ لأنها أتت من أقاصى الأرض ؛ لتسمع حكمة سليمان ، وهوذا أعظم من سليمان ههنا » (مت ١٢ : ٤١ و ٤٢ قابل لو ١١ : ٣١ و ٣٢ مع يون ٣ : ١ — ٥ مع ١مل ١٠ : ١ — ١٠) : بهذا المعنى دان نوح العالم :

١ — لأنه « بإيمانه » : برر الله تعالى فى « خصومته » مع العالم (قابل هو ١٢ : ٢ مع مى ٦ : ١ و ٢) . فقد كان روحه « يدين » (تك ٦ : ٣) وأناته « تنتظر » (١ بط ٣ : ٢٠) ، وكان « يظهر غضبه ، ويبين قوته » محتملا « بأناة كثيرة آنية غضب ، مهيأة للهلاك » (رو ٩ : ٢٢) ، « لكى يتبرر فى أقواله ، ويزكو فى قضائه » (قابل مز ٥١ : ٤ مع رو ٣ : ٤) . فإن « نوحاً » إذ آمن وخلص ، دان « الذين لم يؤمنوا وأظهرهم مستحقين الهلاك الذى أعده الرب ونفذه بالطوفان .

٢ — إن « نوحاً » إذ آمن ، قضى على كل عذر للعالم ، حينئذ ، فى عدم إيمانه ؛ لأن ما فعله نوح كبشرى كان يمكن لكل بشرى أن يفعله ، فإن الله لم يطلب من ذلك العالم أمراً إداً (أى ثقيلا أو عظيما عليهم فوق طوقهم) ، بل هو أمر فى طاقة البشر أن يفعلوه كما فعل أهل نينوى إذ « تابوا بمناداة يونان » ، « فندم الله على الشر الذى تكلم أن يصنعه بهم ، فلم يصنعه » (إقرأ يون ٣ : ٣ — ١٠) .

٣ — دان « نوح » العالم بإيمانه مقروناً بالكرازة « للبر » ، فلم يترك لهم فرصة فى مدة الـ ١٢٠ سنة ؛ بدون تحذير وإنذار ، داعياً إياهم إلى التوبة والرجوع عن

طرقهم الردية ؛ كما فعل الرسل مع اليهود ، مع الاثنى عشر سبطاً ، مخصصين كل مجهودهم ؛ ولا سيما « بطرس » رسول الختان للاتيان بهم إلى المخلص ، منادياً لهم ، قائلا :

« توبوا : وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا » (اقرأ أع ٢ : ٣٨ و ٣٩) . « توبوا وارجعوا ؛ لتمحى خطاياكم . لكى تأتى أوقات الفرج من وجه الرب » (أع ٣ : ١٩ و ٢٠) .

بهذا المعنى ، يدين القديسون بإيمانهم وسيرتهم وإنذاراتهم ؛ بل يدينون ، أيضاً ، الملائكة الذين سقطوا وأسقطوا العالم معهم ، فى يوم الدينونة العظيم الذى فيه يسمعون صوت الملك الديان « اذهبوا عنى يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته » فى الوقت الذى يسمعون فيه صوته « تعالوا يا مباركى أبى ، رثوا الملكوت المعد لكم ؛ منذ تأسيس العالم » (قابل مت ٢٥ : ٤١ و ٤٣ اقرأ ع ٣١ — ٤١) .

الآن ! وقد رأينا إيمان نوح تحت عنوان (ا) اسمه « نسوح » (ب) خوفه « خاف » — (ح) بيته « خلاص بيته » — (د) دينونته «دان العالم » : الآن ، نضع حجر المعونة ، ونتقدم بقوة العون الإلهى إلى : —

« نـوح » : (هـ) مـيراثه

« وصار وارثاً للبر حسب الإيمان » :

رأينا فى (د) « نوحاً » على كرسى الدينونة : دياناً بالمعنى الذى تعلمناه (راجع الشرح) : أما هنا فإننا نراه « وارثاً للبر » وهذا يذكرنا بقول المعمدان ، عن الديان «هو سينقى بيــدره : ويجمع قمحه إلى المخزن ، وأما التبن فيحرقه بنار لا تطفأ » (مت ٣ : ١٢) ، وفى تفسير ذات الديان المبارك نسمع القول ، يرسل ابن الإنسان ملائكته ؛ فيجمعون ، من ملكوته ، جميع المعاثر وفاعلى الإثم ، ويطرحونهم فى أتون النار ، هناك يكون البكاء وصرير الأسنان ، حينئذ ، يضىء الأبرار كالشمس ؛ فى ملكوت أبيهم » (مت ١٣ : ٤١ — ٤٣) . وما أعظم الفرق بين الوارثين والمطرودين !

كان « نوح » أول من ذكر الوحي ، أنه « بار » في قول الله له : « إياك رأيت باراً لدى في هذا الجيل » (تك ٧ : ١ قابل أيضاً حز ١٤ : ١٢ــ٢٠) . وقد وصف في كتب الأبوكريفا (الكتب غير القانونية) بلقب « الصديق » حيث قيل لما غمر الطوفان الأرض بسببه ، عادت الحكمة ؛ فخلصتها ؛ بهدايتها « للصديق » (البار نوح) في آلة خشب حقيرة (أي الفلك) (سفر الحكمة ١٠ : ٤) ، وجاء في سفر يشوع بن سيراخ « نوح وجد براً (باراً) كاملا ، وبه كانت المصالحة في زمان الغضب ؛ فلذلك أبقيت بقية على الأرض ، حين كان الطوفان ، وأقيمت معه عهود ؛ لكي لا يهلك بالطوفان ، كل ذي جسد » (فصل ٤٤ : ١٧ ــ ١٩) .

هكذا رأى الله نوحاً أنه « بار » ، لا بأعماله ؛ لأن الكلمة النبوية تصف كل أعمال البشر بالقول ، « قد صرنا كلنا كنجس ، وكثوب عدة كل أعمال برنا ، وقد ذبلنا كورقة ، وآثامنا كريح تحملنا » (إش ٦٤ : ٦) . « لأنه ؛ إن كان إبراهيم قد تبرر بالأعمال ، فله فخر ، ولكن ليس لدى الله » ، لذلك يقول عن إبراهيم : « فآمن بالرب ، فحسبه له براً » (قابل رو ٤ : ٢ مع تك ١٥ : ٦) . « لأنه بأعمال الناموس كل ذي جسد لا يتبرر أمامه » (رو ٣ : ٢٠) . لذلك يقول : « ليس من أعمال كيلا يفتخر أحد » (أف ٢ : ٩) ، فكان لا بد أن يقال :

« البر الذي حسب الإيمان » :

هو البر الذي عبرت عنه « الكلمة النبوية » بالقول : « البار بإيمانه يحيا » (حب ٢ : ٤). واقتبسه الرسول بولس في ثلاث مناسبات : ــ الأولى : بمناسبة كلامه عن « إنجيل المسيح » الذي فيه معلن بر الله بإيمان : لإيمان » : كما هو مكتوب : « أما البار فبالإيمان يحيا » (اقرأ رو ١ : ١٦ و ١٧) . وأما الثانية فبمناسبة كلامه عن الناموس الذي ليس أحد يتبرر به عند الله مستشهداً بالقول : «ان البار بالإيمان يحيا » (انظر شرح غل ٣ : ١١ للمؤلف) . أما الثالثة ، فلذات المناسبة التي وردت في (حب ٢ : ٤) ، كما هو ظاهر في (ص ١٠ : ٣٨ راجع الشرح).

هو البر الذي أشار إليه بولس الرسول ، وهو يكتب عن نفسه ، قائلا « لكن ما كان لي ربحاً ؛ فهذا قد حسبته ، من أجل المسيح ؛ خسارة ؛ بل إني أحسب كل

شيء ، أيضاً ، خسارة ، من أجل فضل معرفة « المسيح يسوع ربي » الذي ، من أجله ، خسرت كل الأشياء ، وأنا أحسبها نفاية ؛ لكي أربح «المسيح » وأوجد فيه ، وليس لي برى الذى من الناموس ؛ بل الذى بإيمان المسيح « البر الذى من الله بالإيمان » (فى ٣ : ٧ — ١٣ اقرأ ع ٣ — ١٣) ، هذا هو : —

« البر الذى حسب الإيمان » :

مبنياً على كل «مواعيد الله العظمى والثمينة » التى بدأت ، فى جنة عدن ، بنسل المرأة الذى هو « المسيح » الذى يسحق رأس « الحية القديمة ، التنين العظيم الأحمر » : « المدعو إبليس والشيطان » (قابل تك ٣ : ١٤ و ١٥ مع رؤ ١٢ : ١ — ٩) ، وانحصرت فى نسل إبراهيم الذى هو ، أيضاً « المسيح » الذى فيه « تتبارك جميع أمم الأرض » (انظر تك ١٢ : ١ — ٣ و ٢٢ : ١٥ — ١٨) ، و « فيه قبلت جميع المواعيد » (اقرأ ٢ كو ١ : ١٩ و ٢٠ و ٢ بط ١ : ٣ و ٤ انظر شرح غل ٣ : ١٦ للمؤلف .

تلك المواعيد القائمة على الدم الكريم « دم المسيح » « الذى بروح أزلى قدم نفسه لله بلا عيب ولا دنس . . . معروفاً سابقاً ، قبل تأسيس العالم » (١ بط ١ : ١٨ — ٢٠) ، أو لم يكن هذا الدم الثمين الكريم ؟ معلناً لأولئك القدماء ، مرموزاً إليه فى الذبائح ؟ التى كان دمها يهرق ؟ ولحمها يحرق ، صاعداً لهيبه إلى السماء ؟ ألم نقرأ أن نوحاً ، بعد خروجه من الفلك « بنى مذبحاً للرب ؟ وأخذ من كل البهائم الطاهرة ، ومن كل الطيور الطاهرة وأصعد محرقات على المذبح ، فتنسم الرب رائحة الرضا » ؟ (تك ٨ : ٢٠ و ٢١) ، بهذا الإيمان « نوح » : —

« صار وارثاً » :

« للبر الذى حسب الإيمان » بمعنى ، أنه ، إذ آمن بالله ؛ حسب الله له الإيمان براً ؛ كما قيل عن أبرام : « فآمن بالرب ؛ فحسبه له براً » (تك ١٥ : ٦) ، أى حسب له إيمانه براً ، هكذا تبرر « نوح » فى عينى الله بإيمانه ، فلم يكن خلاصه من الهلاك بالفلك والماء (١ بط ٣ : ٢٠) ، إلا عربوناً لذلك الميراث الذى « لا يفنى ولا يتدنس

ولا يضمحل ، المحفوظ فى السموات لأجل الذين هم بقوة الله محروسون بإيمان لخلاص مستعد أن يعلن فى الزمان الأخير » (اقرأ ١ بط ١ : ٣ — ٥) .

بهذا الإيمان ندخل فى عداد أولاد الله ، الذين ولدوا « من الله » ، ونأخذ روح التبنى الذى به نصرخ : « يا أبا الآب » ، « فإن كنا أولاداً : فإننا ورثة ، أيضاً ، ورثة الله ووارثون مع « المسيح » (قابل رو ٨ : ١٥ — ١٧ مع مر ١٤ : ٣٦ انظر شرح غل ٤ : ٤ — ٧ للمؤلف) :

إلى هنا قد رأينا فاعلية الإيمان والرجاء مقترنين معاً فى (أولا) شهادة لثلاثة منهم قبل الطوفان (ع ٤ — ٧) ، وهم « هابيل » و « أخنوخ » و « نوح » ، والآن سنتقدم بإرشاد روح الرب إلى :—

الجزء الثانى : شهادة لثلاثة فى « أرض الموعد » — غرباء (عب ١١ : ٨ — ٢١) :

هؤلاء الثلاثة هم « إبراهيم وإسحق ويعقوب » يمثلهم أمامنا الوحى المقدس فى هذه الآيات فى صور ثلاث : — الصورة الأولى — الثلاثة فى إيمان إبراهيم (ع ٨ — ١٠) . الصورة الثانية — الثلاثة فى شركة الإيمان معاً (ع ١٣ — ١٦) . الصورة الثالثة الثلاثة فى إيمان كل منهم على حدة (ع ١٧ — ٢١) .

على أن هنالك شخصية أخرى تدخل ضمن هؤلاء الشهود الثلاثة ، والكلام عنها يتخلل ما قيل عنهم ، وهذه الشخصية هى شخصية « سارة » (ع ١١ و ١٢) وسنرى الكلام عنها بالتفصيل فى ما بعد .

الصورة الأولى : الثلاثة فى إيمان إبراهيم (عب ١١ : ٨ — ١٠)

٨ بِالْإِيمَانِ إِبْرَاهِيمُ لَمَّا دُعِيَ أَطَاعَ أَنْ يَخْرُجَ إِلَى ٱلْمَكَانِ
ٱلَّذِي كَانَ عَتِيدًا أَنْ يَأْخُذَهُ مِيرَاثًا فَخَرَجَ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ إِلَى أَيْنَ
يَأْتِي . ٩ بِالْإِيمَانِ تَغَرَّبَ فِي أَرْضِ ٱلْمَوْعِدِ كَأَنَّهَا غَرِيبَةٌ

سَاكِنًا فِي خِيَامٍ مَعَ إِسحٰقَ وَيَعْقُوبَ ٱلْوَارِثَيْنِ مَعَهُ لِهٰذَا ٱلْمَوْعِدِ عَيْنِهِ . ١٠ لِأَنَّهُ كَانَ يَنْتَظِرُ ٱلْمَدِينَةَ ٱلَّتِي لَهَا ٱلْأَسَاسَاتُ ٱلَّتِي صَانِعُهَا وَبَارِئُهَا ٱللهُ .

سبق أن رأينا فاعلية الإيمان ، كما بينها لنا الرسول فى الأبطال الثلاثة الذين عاشوا فى الفترة ما بين الطرد من الجنة ، والهلاك بالطوفان وهم ، « هابيل » الذى فى سبيل الإيمان قتل و « أخنوخ » الذى بقوة الإيمان نقل ، و « نوح » الذى ببر الإيمان كمل

وهنا نحن الآن ! نأتى إلى « إبراهيم » لنعرف : — (أ) اسمه — (ب) كونه عبرانياً — (ج) إيمانه .

« إبراهيم » : (أ) اسمه

« إبراهيم » :

وهو فى العبرية « إبراهام » ، وكان اسمه أولا « أبرام » ، وهو مركب من جزئين أولهما « أب » وثانيهما « رام » ، والتركيب معاً وهو « أبرام » يعنى « أب سام » أو أبو علاء ، أو أبو رفعة ، وذلك بوصفه أباً سامى المقام ذا علاء ورفعة ، جداً ممتازاً رفيع القدر لسلالة . أما الله ، فعندما قطع العهد معه ومع نسله ، قال له : « أما أنا ، فهوذا عهدى معك ، وتكون أباً لجمهور من الأمم ، فلا يدعى اسمك بعد « أبرام » بل يكون اسمك « إبراهيم » . لأنى أجعلك أباً لجمهور من الأمم ، وأثمرك كثيراً جداً وأجعلك أمماً » (تك ١٧ : ٤ — ٦ اقرأ كل الأصحاح بالمقارنة مع رو ٤) ، الآن وقد عرفنا « إبراهيم » (أ) اسمه : نتقدم الآن إلى :

« إبراهيم » : (ب) كونه عبرانياً :

سبق أن رأينا « إبراهيم » فى معنى اسمه الأصلى « أبرام » جداً ممتازاً لسلالة ، ولعل ! فى هذه النسبة ، دعى قديماً « أبرام العبرانى » (تك ١٤ : ١٣) ، وهذا يرجع

بنا إلى أصل هذه السلالة العبرانية بمقتضى نص التاريخ الموحى به في قوله : « سام أبو كل بني عابر » (تك ١٠ : ٢١) .

وإذا أدركنا أن « عابر » هو من سلالة « سام » ، وأنه أبو « فالج » ، وقد دعا ابنه بهذا الاسم (فالج) « لأن فى أيامه قسمت الأرض » (قابل تك ١٠ : ٢٥ مع تث ٣٢ : ٨ مع أع ١٧ : ٢٦) ، إذا أدركنا ذلك ، ندرك أصل تلك السلالة العبرانية وعلاقة « إبراهيم العبرانى » بالعبرانيين الذين يكتب إليهم الرسول فى أيامه ، وفى ذات الوقت ندرك ما يكون لذكر هذا الجد من تأثير عميق ، فى أولئك العبرانيين ، لتقوية إيمانهم ، وتوطيد رجائهم فى المسيح يسوع ، وبخاصة وهم يعتبرون نسبتهم إلى هذا الجد من أقوى الروابط وأثبت العلاقات وأسمى الحوافز ، لا من باب الأوهام الباطلة ، كما حسب آباؤهم فى جيل السيد المسيح (قابل مت ٣ : ٩ مع يو ٨ : ٣٣ — ٥٩ مع مت ٢٣ : ٣٣ — ٣٩) ، بل بإيمان أبيهم إبراهيم الذى سنتقدم إلى الكلام عنه تحت عنوان : —

« إبراهيم » : (ج) إيمانه (ع ٨ — ١٠)

فى هذه الأعداد الثلاثة الخاصة « بإبراهيم » نرى — ١ — دعوته وطاعته : « لما دعى أطاع أن يخرج إلى المكان الذى كان عتيداً أن يأخذه ميراثاً ؛ فخرج وهو لا يعلم إلى أين يأتى » (ع ٨) — ٢ — غربته : « تغرب فى أرض الموعد ؛ كأنها غريبة ، ساكناً فى خيام مع إسحق ويعقوب الوارثين معه لهذا الموعد عينه » (ع ٩) ٣ — إنتظاره : لأنه كان ينتظر المدينة التى لها الأساسات التى صانعها وبارئها الله » ، وهذا سيتبين توضيحه فى الشرح التالى : —

« لما دعى » :

فى موضوع دعوة « إبراهيم » يقول الشهيد المسيحى الأول « استفانوس » ، « ظهر إله المجد لأبينا إبراهيم ، وهو فى ما بين النهرين ؛ قبلما سكن فى حاران ، وقال له : « اخرج من أرضك ومن عشيرتك ، وهلم إلى الأرض التى أريك » (ع ٧ : ٢ و٣) وهذا القول مقتبس من التاريخ النبوى القديم المتعلق بهذه الدعوة ، ويرجع بنا إلى

النص القائل : « اذهب من أرضك ، ومن عشيرتك ، ومن بيت أبيك ، إلى الأرض التي أريك ؛ فأجعلك أمة عظيمة ، وأباركك ، وأعظم اسمك ، وتكون بركة ، وأبارك مباركيك ، ولاعنك ألعنه ، وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض » (تك ١٢ : ١ — ٣) .

على أن استفانوس ، بالوحي الإلهي ، يحدد لنا مكان هذه الدعوة بالقول : « وهو (أي إبراهيم) في ما بين النهرين » أي نهري الفرات والدجلة ، ويحدد المكان باسم « أور الكلدانيين » كما يتضح لكل مطالع على تاريخ هذه الأسرة (إقرأ تك ١١ : ٢٧ — ٣٢ قابل تك ١٥ : ٧) .

هذه المدينة « أور الكلدانيين » الواقعة فيما بين النهرين وردت عبرياً « أور كاسديم » وقد نسبها بعضهم إلى « كاسد » ابن ناحور أخي أبرام (تك ٢٢ : ٢٢) ، ونسبها غيرهم إلى « أرفكشاد بن سام » (تك ١٠ : ٢٢) ، ودعوها أورفا ، وهي مدينة عامرة واقعة شمالي حاران ؛ في بلاد آرام (أرض الكلدانيين) ، وتعتبر من أقدس المدن عند المسلمين واليهود ، يحجون إليها ، تكريماً لهذا الأب الرفيع المقام (أبرام) ؛ حيث يقال : إن هناك جامعاً وكهفاً باسمه ، على أن آخرين يحققون أنها «أم قير» على ضفة نهر الفرات الغربية قرب ملتقاه بدجلة » .

ولعل في معنى هذا الاسم « أور الكلدانيين » وحياً بما كان أولئك القوم يعبدون ؛ فإن الكلمة « أور » في العبرية هي « النور » في العربية :

فهل كان قوم إبراهيم يعبدون النار والأنوار ؟ إن يشوع يقول ، في هذا الصدد لجميع شعب إسرائيل « هكذا قال الرب إله إسرائيل : «آباؤكم سكنوا في عبر النهر منذ الدهر ، « تارح أبو إبراهيم وأبو ناحور » وعبدوا آلهة أخرى ؛ فأخذت إبراهيم أباكم من عبر النهر » (يش ٢٤ : ٢ و ٣) . هناك في عبر النهر يقول استفانوس « ظهر إله المجد لأبينا إبراهيم » (أع ٧ : ٢) .

وما أشد بهاء ذلك المجد الذي ظهر به«إله المجد » قديماً ! كما تجلى ضياؤه الباهر وأبرق نوره اللامع ؛ يوم حل كنار آكلة فوق جبل سيناء ! (قابل خر ٢٤ : ١٦ — ١٨ و ٤٠ : ٣٤ و ٣٥ انظر شرح ص ١٢ : ٢٩) .

هذا هو . ولابد «رب المجد» الذى صلبه عظماء هذا الدهر فى جهالاتهم (١ كو ٢ : ٧ و ٨) . هذا هو «بهاء مجده (مجد الآب) ورسم جوهره» (راجع شرح ص ١ : ٣) — «صورة الله غير المنظورة» (كو ١ : ١٥) ، هذا هو «ملاك العهد» (ملا ٣ : ١) — «الابن الوحيد» (يو ١ : ١٨) — «ابن الآب» (٢ يو ٣) .

هذا هو «الكلمة» الذى حل بين الناس فى ملء الزمان متجسداً (يو ١ : ١٤ قابل شرح غل ٤ : ٤ للمؤلف مع ١ تى ٣ : ١٦) ، بعد أن ظهر قديماً متجلياً بصور متعددة . كما تجلى لموسى فى عليقة متوقدة بنار ولا تحترق (خر ٣ : ٢ قابل تث ٣٣ : ١٦) . وصارع يعقوب فى فنيئيل (اقرأ تك ٣٢ : ٢٤ — ٣٠) ، هذا هو بعينه «إله المجد» الذى ظهر لإبراهيم فى أور الكلدانيين ودعاه «وإبراهيم ، لما دعى» .

أطاع أن يخرج . . . فخرج» :

قد كانت صيغة الدعوة ، كما سبق أن رأينا «اذهب ، أخرج» من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك» (قابل تك ١٢ : ١ مع أع ٧ : ٣) ، وإذا استمعنا إلى ذلك النطق الكريم الذى نطق به «رب المجد» «فى أيام جسده» مخاطباً أهل وطنه ، قائلا : «ليس نبي بلا كرامة إلا فى وطنه ، وبين أقربائه . وفى بيته» (مر ٦ : ٤) : نجد فى هذا النطق الكريم مقارنة بين هذه الثلاثية وبين سابقتها أى بين «أرضك» و «وطنه» وبين «عشيرتك» و «أقربائه» وبين «بيت أبيك» و «بيته» .

وهل نرى فى هذه المقارنة ؟ ما يوحى إلينا بأن «رب المجد» قد دعا «إبراهيم» ليخرج من أرضه ومن عشيرته ومن بيت أبيه ، بوصف كونه «نبياً» ؟ لا يمكن أن تكون له كرامة عندهم ؟ وهل نرى تحقيقاً لهذا الوحى ، فى تصريح «رب المجد» فى قوله عن «إبراهيم» لأبيمالك ملك جرار ؟ «إنه نبي فيصلى لأجلك فتحيا» ؟ (تك ٢٠ : ٧)

وهل نرى تأكيداً لهذا التحقيق ؟ فى قول الرب ، أيضاً «هل أخفى عن إبراهيم ما أنا فاعله» ؟ (تك ١٨ : ١٧) على قياس القول الإلهى «إن السيد الرب لا يصنع أمراً ، إلا وهو يعلن سره لعبيده الأنبياء» . (عا ٣ : ٧) ، باعتبار كون «سر الرب لخائفيه . وعهده لتعليمهم» (مز ٢٥ : ١٤) . وعلى هذا الأساس المتين تبنى هذه

الدعوة المباركة المبينة فى قول الرب . أيضاً : « إبراهيم يكون أمة كبيرة » وقوية ، « ويتبارك به جميع أمم الأرض ؛ لأنى عرفته (اخترته) لكى يوصى بنيه وبيته من بعده ، أن يحفظوا طريق الرب ، ليعملوا براً وعدلا ؛ لكى يأتى الرب لإبراهيم بما تكلم به » « تك ١٨ : ١٨ و ١٩) ، هكذا لما دعى إبراهيم أن يخرج :

« أطــاع » :

ومَن ذا الذى نستطيع أن يخرج بروح الطاعة التامة ؟ وبدون سؤال أو تساؤل ؟ « (أ) من أرض ميلاده (ب) من العشيرة التى منها ولد (ح) من ألزم العــلاقات الجسدية ؟ هكذا وجد إبراهيم نفسه أمام موقف من أحرج المواقف . ولكنه لم ينبس ببنت شفة ولم تخرج كلمة من لسانه ، بل أطاع الأمر وخرج :

(أ) من أرض ميلاده :

هنالك ولد « إبراهيم » بالجسد : من « الجسد » ، حسب الجسد . قال السيد « المولود من الجسد جسد هو » (يو ٣ : ٦) . « رأى الرب أن شر الإنسان قد كثر فى الأرض « وأن كل تصور أفكار قلبه ؛ إنما هو شرير كل يوم » (تك ٦ : ٥) . « لأن تصور قلب الإنسان شرير منذ حداثته » (تك ٨ : ٢١) ، لذلك يقول المرنم : « هأنذا بالإثم صورت وبالخطية حبلت بى أمى » (مز ٥١ : ٥) .

فالولادة من دم آدمى ومن مشيئة جسد بشرى ومن مشيئة رجل (يو ١ : ١٢ و ١٣) ، ولو كان هذا الرجل هو إبراهيم « أبو جميع المؤمنين » (اقرأ رو ٤ : ١١ — ١٦) . ولو كان هذا الرجل هو إسحق « ابن الموعد » (انظر شرح غل ٤ : ٢٢ — ٢٨ للمؤلف) . فالولادة الطبيعية جسدية محضاً لا تمت بصلة ما إلى الإيمان أو الموعد . فليس لمؤمن أن يلد مؤمناً ؛ ولا لابن الموعد أن يلد ابناً موعوداً به ؛ بل كما قال الرسول : « إن اليهودى فى الظاهر ؛ ليس هو يهودياً ، ولا الختان الذى فى الظاهر فى اللحم ختاناً » (رو ٢ : ٢٨) . « ليس جميع الذين من إسرائيل هم إسرائيليون ، ولا لأنهم من نسل إبراهيم هم جميعاً أولاد » (رو ٩ : ٦ و ٧) .

. فلا عجب ! إذا صرخ بولس الرسول ، قائلا : «أما أنا فجسدى مبيع تحت الخطية . . . فإنى أعلم ، أنه ليس ساكن فى — أى فى جسدى — شىء صالح . . . فإن كنت ما لست أريده ، إياه أفعل — فلست ، بعد ، أفعله أنا ، بل الخطية الساكنة فىّ . . . أرى ناموساً آخر ، فى أعضائى ، يحارب ناموس ذهنى ، ويسبينى إلى ناموس الخطية الكائن فى أعضائى ، ويحى أنا الإنسان الشقى ! من ينقذنى من جسد هذا الموت » (اقرأ رو ٧ : ١٤ — ٢٤) ، « اذهب » « أخرج » من أرض ميلادك :

(ب) من عشيرتك :

أى من العشيرة التى منها ولد ، أى من أهل العشيرة الذين منهم نشأ ، ومعهم تربى ، عشراء حياته ، وما أقوى تأثير المعاشرات فى تكوين الأخلاق والآداب ! لذلك يقول الرسول : «لا تضلوا ؛ فإن المعاشرات الردية تفسد الأخلاق الجيدة ، اصحوا للبر ، ولا تخطئوا ؛ لأن قوماً ليست لهم معرفة بالله » (١ كو ١٥ : ٣٣ و ٣٤) ، وقد رأينا أن قوم « إبراهيم » كانوا يتخذون الأصنام آلهة ؛ حتى بعد أن تركوا « أور الكلدانيين » وسكنوا فى « حاران » (قابل يش ٢٤ : ٢ مع تك ٣١ : ٣٠ — ٣٥) : « وأية موافقة لهيكل الله مع الأوثان . . . لذلك أخرجوا من وسطهم واعتزلوا يقول الرب « ولا تمسوا نجساً فأقبلكم » (٢ كو ٦ : ١٧ و ١٨ اقرأ ع ١٤ — ١٧ مع إش ٥٢ : ١١ مع رؤ ١٨ : ٤) . فلا يكفى أن نخرج من الأرض التى منها نبتنا ولا من العشيرة التى فيها نشأنا ، بل ، أيضاً : —

(ج) من بيت أبيك :

أى من ألزم العلاقات الجسدية التى فيها تربى ، وهى أضيق الدوائر الثلاث ؛ إذ تتصل بالبيت — بيت الأب والأم — ولعل هذه الدوائر هى التى أشار إليها السيد له المجد ، فى قوله لتلاميذه ، وبالتالى لجميع الذين يريدون أن يتبعوه : «من أحب أباً أو أماً أكثر منى ؛ فلا يستحقنى » (مت ١٠ : ٣٧) . وهل نجد تشديداً قوياً لهذه النقطة الدقيقة ؟ فى قول السيد ، أيضاً ، فى مناسبة أخرى « إن كان أحد يأتى

إلىَّ ولا يبغض أباه وأمه وامرأته وأولاده وإخوته وأخواته ؛ حتى نفسه ، أيضاً ، فلا يقدر أن يكون لى تلميذاً » (لو ١٤ : ٢٦) .

وهل إلى هذا الحد ؟ يصل التدقيق فى هذه الناحية الخطيرة ؛ حتى نسمع السيد وهو يتحدث إلى شخص دعاه ليتبعه ؛ فقال له : «يا سيد ائذن لى أن أمضى أولا :وأدفن أبى » فقال له يسوع : « دع الموتى يدفنون موتاهم ، وأما أنت فاذهب وناد بملكوت الله » بل لم يأذن لمن أراد أن يتبعه ، أن يودع الذين فى بيته واضعاً أمامه خطورة المسئولية ، قائلا : «ليس أحد يضع يده على المحراث وينظر إلى الوراء ، يصلح لملكوت الله » (اقرأ لو ٩ : ٥٩ — ٦٢) ، هكذا إذ « دعى » إبراهيم أن يخرج وأن يذهب من أرضه ومن عشيرته ومن بيت أبيه ، « أطاع أن يخرج » :

« إلى المكان الذى كان عتيداً أن يأخذه ميراثاً :

لم يذكر التاريخ النبوى شيئاً عن هذا المكان ، ولا عن ذلك الميراث إلا بقوله « إذهب . . . إلى الأرض التى أريك » (تك ١٢ : ١) . فلم يعرفه بتلك الأرض التى ستكون له ميراثاً ، إذاً تكون الإشارة هنا فى هذا القول الرسولى إلى قصد إلهى كان فى قلب الآب القدوس عن مكان معين ليكون ميراثاً لإبراهيم غير المكان الذى ولد فيه والذى فيه نشأ وتربى لإتمام قصد أزلى هو سر لا يعرفه غير « إله المجد » ولا يستطيع أن يعلنه سواه بالطريقة التى تحسن فى عينيه والتى بها يتمجد ، ولعل أسمى تعبير عن هذا السر المكتوم . هو تلك « الحكمة » التى نص عنها الوحى فى قول ذات الرسول : « نتكلم بحكمة الله فى سر ، الحكمة المكتومة ، التى سبق الله فعينها قبل الدهور لمجدنا ، التى لم يعلمها أحد من عظماء هذا الدهر » (١ كو ٢ : ٧ و ٨) .

أبقى « إله المجد » أمر هذا « المكان » سراً مخفياً لم يعلنه فى دعوته إياه ، وفى هذا الإخفاء امتحان لطاعته ما أقساه وما أصعبه ! وهل نتمثل إبراهيم فى موقفه أمام هذا الامتحان ، وكأن نفسه تقف أمامه وتسأله فى قوة مساومة شديدة مستقاة من فم الشيطان الرجيم وتقول له : كيف تترك « أرضك وعشيرتك وبيت أبيك » ؟ حيث أنت مستقر ومتمتع بنعيم مقيم لتذهب إلى حيث لا تدرى ؟ ومن يعلم ماذا يكون المصير ؟ .

فى هذا المركز الحرج والموقف الخطير دخل إبراهيم فى امتحان دقيق جداً بين دعوة سموية إلهية وبين نفس آمرة متآمرة شيطانية ، فترى ماذا يفعل ؟ وكيف تكون نتيجة هذا الامتحان الدقيق الخطير ؟ إن التاريخ المقدس يعلن لنا إعلاناً صريحاً تلك النصرة العظيمة التى فاز بها إبراهيم فى الحرب العوان التى قامت ولابد بينه وبين نفسه ضد هذه الدعوة المقدسة ، فأطاع : وبالطاعة قضى على تلك المؤامرة الخبيثة ؛ فخرج من الميدان فائزاً منتصراً .

وهل نستطيع أن ندرك ، أيضاً ، صعوبة موقف إبراهيم أمام أهله وعشرائه ؟ وهم ينظرون إليه مندهشين ! إذ يرونه وهو يهدم بيديه كل ما بناه لحياته السابقة تاركاً وراءه كل ما له ؛ ليخرج إلى حيث لا يعلم ، وإلى حيث هم ، أيضاً ، لا يعلمون ؟ فماذا يكون جواب إبراهيم لهؤلاء المنذهلين المندهشين المنتظرين جواباً لحيرتهم ودهشتهم ؟

وهل نستطيع أن نستمع إلى نغمة تتردد فى صدور بيت أبيه ؟ أليس هـذا هو أبرام الذى يعتبر (فى معنى اسمه) جداً رفيعاً لسلالة له ؟ ولعل هذا التساؤل من بيت أبيه يفسر لنا ما أوحى إلى استفانوس ، فى قوله : « ظهر إله المجد لأبينا إبراهيم وهو فى ما بين النهرين : قبلما سكن فى حاران . . . فخرج حينئذ من أرض الكلدانيين وسكن فى حاران ، ومن هناك نقله ، بعد ما مات أبوه إلى . . . أرض كنعان » (أع ٧ : ٢ — ٤) . ويرجع بنا إلى قول موسى : « فخرجوا معاً من أور الكلدانيين ليذهبوا إلى أرض كنعان ؛ فأتوا إلى حاران وأقاموا هناك » (تك ١١ : ٣١) ومات تارح فى حاران .

وبمقارنة هذا الإعلان التاريخى عن (موسى) بالوحى المقدس ثم بفم (استفانوس) يتضح لنا أن خروج إبراهيم من « أور الكلدانيين » كان بناء على دعوة من « إله المجد » وأن سكنه فى حاران ، كان ، فقط ، إلى « أن مات أبوه » حيث نقله الرب ، بعد ذلك ، منها إلى أرض كنعان (قابل تك ١١ : ٢٧ — ١٢ : ١ مع أع ٧ : ٢ — ٤) .

إزاء هذا التساؤل المثلث سواء أكان من نفسه الآمرة المتآمرة أو من عشيرته وأهل وطنه أو من بيت أبيه ، كان جواب إبراهيم الطاعة العملية الكاملة للأمر الإلهي المنصوص عنه بالقول : « لما دعى ، أطاع أن يخرج إلى المكان الذى كان عتيداً أن يأخذه ميراثاً ؛ فخرج » : —

« وهو لا يعلم إلى أين يأتى » :

لأن « إله المجد » لم يعلمه بذلك الأمر كما رأينا سابقاً ، إذ قد جعله سراً مخفياً فى نفسه لم يبينه له وبذلك أوقفه أمام الأمر الواقع ، امتحاناً لطاعته التى أظهرها عملياً بخروجه إتماماً للدعوة دون تساؤل أو تردد .

طاعة غريبة فى بابها ، عجيبة فى مظهرها ، طاعة عملية استطاعت أن تخضع كل قوة مقاومة ، وأن تقضى على كل عوامل العصيان ؛ لتظفر بميراث فى قصد أزلى بوعد إلهى صادق ثابت الأركان ، فما هو سر تلك الطاعة الفائقة ؟ إن الرسول يبين لنا هذا بالقول الصريح : —

« بالإيمـــان » :

« إبراهيم ؛ لما دعى ، أطاع أن يخرج إلى المكان الذى كان عتيداً أن يأخذه ميراثاً » فخرج وهو لا يعلم إلى أين يأتى » (راجع شرح ع ٨) ، هذا هو الإيمان الذى رأينا تعريفه بأنه « الثقة بما يرجى والإيقان بأمور لا ترى » أى الثقة بالمرجوات والإيقان بغير المرئيات (راجع شرح ع ١) ، كما رأيناه فى « هابيل » عاملا قوياً فى تعبده لله ، وكما رأيناه فى « أخنوخ » قوة فعالة فى سيره مع الله ، وفى « نوح » سراً مميزاً لخوف الله وتقواه ، هكذا نراه فى « إبراهيم » فاعلية لطاعة كاملة لدعوة الله ، لإتمام قصد أعطاه ؛ وهنا نجد سر النعمة الإلهية التى ملأت قلب إبراهيم وصبغت حياته بالطاعة المكرسة التى أظهرها إبراهيم واضعاً كل ثقته فيه وجاعلا كل اتكاله عليه ، وملقياً كل أمر مستقبله بين يديه بدون سؤال أو احتجاج خاضعاً لأمره « فخرج وهو لا يعلم إلى أين يأتى » ، طاعة « الإيمان » الذى فيه ، أيضاً « بالإيمان » : —

(ع ٩) « تغرب في أرض الموعد » :

في الآية السابقة رأينا إيمان إبراهيم وهو في أرض مولده بالجسد « أور الكلدانيين » عاملا قوياً في نعمة الطاعة ، حيث قيل : لما دعي ، أطاع أن يخرج . . . فخرج » . أما في هذه الآية فسنرى « الإيمان » في قوته الفعالة في قلب إبراهيم وهو في : —

« أرض الموعـــد » :

وهي « أرض كنعان » كما ذكر موسى في قوله : « أخذ تارح ابرام ابنه ولوطاً ابن هاران ابن ابنه وساراي كنته امرأة أبرام ابنه ، فخرجوا معاً من « أور الكلدانيين » ليذهبوا إلى أرض كنعان » (تك ١١ : ٣١) ، وهي المكان الذي دعي إبراهيم ليذهب إليه وهو لا يعلم ، لأن « إله المجد » لم يعلمه به ، بل قال له : « إذهب . . . إلى الأرض التي أريك » (تك ١٢ : ١) .

إلا أن موسى وهو يكتب تاريخه النبوي هذا ، كان يعلم أن الأرض المشار إليها هي « أرض كنعان » وهكذا فعل استفانوس في قوله ، لشعب إسرائيل ، عن إبراهيم « من هناك (من حاران) نقله . . . إلى هذه الأرض التي أنتم ساكنون فيها (« أرض كنعان ») : وهذا ثابت من قول موسى ، أيضاً : « فأخذ أبرام ساراي امرأته ولوطاً ابن أخيه . . . وخرجوا ليذهبوا إلى « أرض كنعان » فأتوا إلى « أرض كنعان » (تك ١٢ : ٥) : هذه هي : —

« أرض الموعـــد » :

دعيت بهذا الاسم ، لأن فيها ظهر الرب لأبرام ووعده أن يعطيها ميراثاً له ولنسله من بعده (تك ١٢ : ٧ قابل ص ١٣ : ١٤ — ١٧ و ١٧ : ٨ وص ٢٢ : ١٥ — ١٨) ، إلا أن « استفانوس » في هذا الموضوع ، يخبرنا أن الله أتى به إلى تلك الأرض (« أرض الموعد ») « ولم يعطه فيها ميراثاً ولا وطأة قدم ، ولكن وعد أن يعطيها ملكاً له ولنسله من بعده » (أع ٧ : ٤ و ٥) . وهذا مبني على ما قيل نبوياً ، حيث نقرأ أن الله قال لأبرام : « إعلم يقيناً ، أن نسلك سيكون غريباً في أرض ليست لهم (أرض مصر)

ويستعبدون لهم . . . وأما أنت ، فتمضي إلى آبائك بسلام ، وتدفن بشيبة صالحة ، وفي الجيل الرابع يرجعون إلى ههنا » (تك ١٥ : ١٣ — ١٦ اقرأ كل الأصحاح ، فلا عجب إذا قال الرسول : إن إبراهيم « بالإيمان » : —

« تغــرب » :

« في أرض الموعد » ، تغرب « إبراهيم » أي عاش غريباً بين أهل البلاد ؛ كما صرح لهم عند موت زوجته قائلا : « أنا غــريب ونزيل عندكم ، أعطوني ملك قبر معكم ، لأدفن ميتي من أمامي » (تك ٢٣ : ٤) . وهكذا تم الأمر وأعطوه « فوجب حقــل عفرون الذي في المكفيلة . . . لإبراهيم ملكاً لدى عيون بني حث » (تك ٢٣ : ١٧ اقرأ كل الأصحاح) . فكان كل ما امتلكه إبراهيم في « أرض الموعد » ليس إلا قبراً لدفن ميته ؛ لأن الله « لم يعطه » فيها ولا وطأة قدم » (أع ٧ : ٥) . هكذا « بالإيمان تغرب إبراهيم في أرض الموعد » : —

« كأنها غريبــة » :

فلم يعتبرها وطناً له ، ولم ينظر إليها إلا كمجرد أرض موعود بها ، منتظراً إتمام الوعد من الرب ولم يعتبرها « ميراثاً » حتى يتمم الرب وعده ، وهذا يؤكد لنا حيــاة « الإيمان » التي عاشها إبراهيم في أرض الموعد ، وصدق فيه القول « تغرب في أرض الموعد » : —

« كأنها غريبــة » :

وذلك لأمرين واقعيين ، أولها : — أنها ليست أرض ميلاده ولا مكان عشيرته ، ولا بيت أبيه ؛ كما كانت « أور الكلدانيين » التي منها خرج ؛ بل كان ساكناً بين أمم لم يعرفها من قبل ، ولم يكن أحد منهم يعرفه حتى أتى إليهم ، وهذا هو المعنى من قوله السابق « أنا غريب ونزيل عندكم » معترفاً بهذه الحقيقة في أرض قد وعد : « أن يأخذها ميراثاً » : —

وبالرغم من اعتبار أهل تلك البلاد إياه ؛ اعتباراً فائقاً ، عبر عنه «بنوحث» بقولهم له : « أنت رئيس من الله بيننا » بالرغم من هذا الإكرام والاحترام العظيمين ، عاش إبراهيم ، بينهم غريباً .

أما الأمر الثانى الذى لأجله « تغرب فى أرض الموعد ، كأنها غريبة » : فهو أنه لم يمتلك ، فى تلك الأرض « ولا وطأة قدم » لا هو : ولا ابنه « اسحق » : ولا حفيده « يعقوب » اللذين رآهما « إبراهيم » قبل موته يعيشان كما عاش هو غريباً فى « أرض الموعد » إذ كان عمر يعقوب يوم وفاة جده خمس عشر سنة (تك ٢١ : ٥ و ٢٥ : ٧ و ٢٦ مع رو ٤ : ١٩) .

بهذه المناسبة يجدر بنا : أن نذكر هنا : أن نسل « إبراهيم » حسب الجسد ، هم ، أيضاً ، كانوا فى أرض الموعد « غرباء ونزلاء » كما أعلن الله لهم بالقول الصريح الواضح الذى نصه : « الأرض لا تباع بتة ؛ لأن لى الأرض وأنتم غرباء ونزلاء ، عندى ، فى كل أرض ملككم تجعلون فكاكاً للأرض » (لا ٢٥ : ٢٣ و ٢٤ اقرأ ع ٢٣ — ٣٤ قابل عد ٢٧ : ١ — ١١ و ٣٦ : ١ — ٩ مع ١ مل ٢١ : ١ — ٣) ، أو لم يكن هذا الإقرار بالغربة فى « أرض الموعد » عاماً من جميع الأتقياء فى تلك الأرض ؟ ألا نسمع صوت المرنم يقول : « لأنى أنا غريب عندك ، نزيل مثل جميع آبائى » ؟ « غريب أنا فى الأرض ، لا تخف عنى وصاياك » ؟ (مز ٣٩ : ١٢ و مز ١١٩ : ١٩) . وهكذا تعددت اختبارات أتقياء إسرائيل فى « أرض الموعد » .

وإذا استمعنا إلى نصيحة الرسول بطرس ، بوحى الله ؛ وهو يقول : « أيها الأحباء أطلب إليكم « كغرباء ونزلاء » ، أن تمتنعوا عن الشهوات الجسدية ؛ التى تحارب النفس » (١ بط ٢ : ١١) . نجد فى هذه النصيحة المقدسة وفى مغزاها الحقيقى معنى رمزياً لتغرب إبراهيم فى « أرض الموعد كأنها غريبة » . نترسم فيها نصيحة ؛ لرسول الأمم ، فى قوله للمؤمنين ، عن المسيح « إن كنتم قد سمعتموه وعلمتم فيه ؛ كما هو حق فى يسوع ؟ أن تخلعوا ، من جهة التصرف السابق ، الإنسان العتيق الفاسد ، بحسب شهوات الغرور ، وتتجددوا بروح ذهنكم ، وتلبسوا الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله فى البر وقداسة الحق » (أف ٤ : ٢١ — ٢٤ قابل كو ٣ : ٩ و ١٠) .

هذه هي الصورة الرمزية الروحية التي تتمثل في إيمان إبراهيم بوصف كونه « أباً لجميع المؤمنين » حيث نراه بالإيمان خرج من أرض ميلاده فخلع الإنسان العتيق الفاسد ، وصلب الأهواء والشهوات الجسدية ؛ كما نراه في إيمانه الذي به : « تغرب في أرض الموعد ، كأنها غريبة » ، صورة للبس الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق : —

« ساكناً في خيــام » :

هذا هو المظهر الإيجابي الذي يبين حقيقة تغربه في « أرض الموعد » التي لم يمتلك فيها ، في كل حياته : « ولا وطأة قدم » حيث كان « أبرام » يتنقل من مكان إلى مكان في تلك الأرض . وكان ؛ حيث يحل ، ينصب هنالك خيمته ويبني مذبحاً للرب (انظر تك ١٢ : ٦ — ٨ و ١٣ : ٣ و ٤ و ١٨ اقرأ ص ٢٢) .

مظهر يرينا « أبرام » متغرباً في « أرض الموعد » نزيلا عند الرب ، ضيفاً تحت عنايته ورعايته ؛ محوطاً بظله ليلا ونهاراً مع أسرته تحت الحفظ والوقاية ، مشمولاً ، في غربته ، برعايته الصالحة . وهو ، مع كل من له ، متعبد لجلاله ساجد لهذا المعبود الحقيقي : شاهد لاسمه ، ممجد لذاته ، معلن مجده بين أمم تلك الأرض ؛ حتى اعترف أهل تلك البلاد بأنه « رئيس من الله » بينهم (تك ٢٣ : ٦) .

وما أقوى تأثير المؤمنين الحقيقيين ! إذا عاشوا ؛ حيث « يسكنون على كل وجه الأرض » (أع ١٧ : ٢٦) ، « غرباء ونزلا » في الأرض « رعية مع القديسين » متصلين بالسماء (قابل أف ٢ : ١٩ مع في ٣ : ٢٠ و ٢١) . كم يكون تأثيرهم فعالا في الذين يشاهدونهم ويرون في حياتهم شهادة صادقة له ، كما عبر عنه الرسول بطرس في نصيحته للغرباء والنزلاء ؛ حيث قال : « أن تكون سيرتكم ، بين الأمم حسنة ؛ لكي يكونوا ، في ما يفترون عليكم ، كفاعلي شر ، يمجدون الله في يوم الافتقاد من أجل أعمالكم الحسنة التي يلاحظونها » (١ بط ٢ : ١٢ اقرأ ١ بط ٢ : ١١ و ١٢) ، بالمقارنة مع قول الرسول بولس للقديسين « لكي تكونوا بلا لوم وبسطاء ، أولاداً لله ، بلا عيب ؛ في وسط جيل معوج وملتو ، تضيئون بينهم كأنوار في العالم » (في ٢ : ١٥) .

وكم بالحرى وهى نصيحة « رب المجد » ذاته لتلاميذه ، قائلا : «أنتم نور العالم . . . فليضىء نوركم ، هكذا ، قدام الناس ؛ لكى يروا أعمالكم الحسنة ويمجدوا أباكم الذى فى السموات » (اقرأ مت ٥ : ١٣ — ١٦) . هكذا كان إبراهيم « غريباً » فى « أرض الموعد » « نزيلا » عند إلهه شاهداً لمجده ، بركة لأهل البلاد « نوراً » يضىء لهم طريق الحياة ، « ساكناً فى خيام » : —

« مع إسحق ويعقوب الوارثين معه لهذا الموعد عينه » :

سبق أن رأينا ، أن إبراهيم قد رأى « اسحق » ابنه و « يعقوب » حفيده ، ساكنين فى خيام ، غريبين فى « أرض الموعد » وهذه حالة ، لابد ، أنها كانت تجربة شديدة وامتحاناً قوياً لإيمان « ابراهيم » بشأن هذا الموعد ، موعد الميراث فى هذه الأرض ، وبالأكثر عند موته ؛ حيث لم يكن قد أعطى ولم ير ابنه وحفيده يأخذان الأرض ميراثاً ، ولكنه قد احتمل التجربة « وتزكى » ، وخرج إيمانه من هذا الامتحان ذهباً مصفى بالنار (قابل يع ١ : ١٢ مع ١ بط ١ : ٧) ، على أننا نقف هنا أمام كل من : —

« إسحق ويعقوب » :

للبحث فى هذه المناسبة عن كل منهما شخصياً ، وجهاً لوجه إزاء هذا الامتحان بعينه ، باعتبار أن كلا منهما « تغرب فى أرض الموعد كأنها غريبة ، ساكناً فى خيام » كما كان «إبراهيم » فلابد أن «إسحق » قد ولد فى الخيمة التى كان يسكنها أبواه (قابل تك ١٨ : ٩ مع ٢٥ : ٨ و ٩) . وبعد موت أبيه ودفنه « تغرب » هو ، أيضاً ، فى الأرض ونصب خيمته فى بئر سبع ، وبنى هناك مذبحاً للرب (تك ٢٦ : ٢٣ — ٢٥) .

هكذا الحال مع « يعقوب » فلابد أنه ولد فى خيمة جده إبراهيم وأبيه إسحق (قابل تك ٢٤ : ٦٧ مع ٢٥ : ٢٧) . وهكذا كان الحال معه بعد رجوعه من فدان آرام من حاران ، حيث نصب خيمته فى قطعة حقل ابتاعها أمام شكيم ، وأقام هناك مذبحاً ودعاه « إيل إله إسرائيل » ، وهكذا تغرب « إسحق ويعقوب » أيضاً ، فى أرض الموعد « ساكنين مع إبراهيم فى خيام » مع أنهما كانا : —

« الوارثين معه هذا الموعد عينه » :

هذا ما يشهد به التاريخ النبوى المقدس ، فى نصه الصريح لكل منهما ، فإننا نرى جلياً ، كيف أن الرب ظهر لإسحق بعد موت أبيه ودفنه ، وأثبت له ذات الوعد الذى أثبته لإبراهيم أبيه قبلا ، كما ورد فى القول : « وكان فى الأرض جوع . . . فذهب إسحق إلى أبيمالك ، ملك الفلسطينيين ، إلى جرار ، وظهر له الرب ، وقال : لا تنزل إلى مصر ، اسكن فى الأرض التى أقول لك ، تغرب فى هذه الأرض ، فأكون معك وأباركك ، لأنى لك ولنسلك أعطى جميع هذه البلاد ، وأفى بالقسم الذى أقسمت لإبراهيم أبيك ، وأكثر نسلك كنجوم السماء ، وأعطى نسلك جميع هذه البلاد ، وتتبارك فى نسلك جميع أمم الأرض » (تك ٢٦ : ١ - ٤ انظر ع ٢٤ و ٢٥ بالمقارنة مع تك ٢٢ : ١٥ - ١٨ مع شرح ص ٦ : ١٣ - ٢٠) .

على هذه الصورة عينها ، وبذات تلك الطريقة ، كان الوعد ليعقوب شخصياً ، فإنه ، فيما كان فى طريقه إلى حاران ، وقد بات فى الطريق ليلة ما ، رأى حلمه المعروف ، إذ أبصر سلماً منصوبة على الأرض ورأسها يمس السماء ، والرب واقف على رأسها وملائكة ينزلون ويصعدون عليها .

هنالك ظهر له الرب فى حلم وقال له : « أنا الرب إله إبراهيم أبيك وإله إسحق ، الأرض التى أنت مضطجع عليها أعطيها لك ولنسلك ، ويكون نسلك كتراب الأرض ، وتمتد غرباً وشرقاً وشمالا وجنوباً ، ويتبارك فيك وفى نسلك جميع قبائل الأرض ، وها أنا معك وأحفظك حيثما تذهب وأردك إلى هذه الأرض ، لأنى لا أتركك حتى أفعل ما كلمتك به » (قابل تك ٢٨ : ١٠ - ١٥ مع ٣٥ : ٩ - ١٥) .

من كل ما تقدم فى الكلام ، نستدل على حقيقة معاملة الله لقديسيه ، فى نقطتين جوهريتين لحياة الإيمان :—

النقطة الأولى : أنه يريد أن يعاملهم « كغرباء » فى الأرض « ونزلاء » عنده أى أنهم ، بالنسبة لسكان الأرض فى حالتها الحاضرة ، يعيشون بينهم : « غرباء » عنهم ، فى كل ما يتعلق بعوائدهم وآرائهم وعلومهم الكاذبة وعباداتهم الباطلة ، فى صورة

مثلها لنا فى وصية صريحة وتحذير قاطع لشعبه المختار ، بشأن أرض الموعد ، حيث قال لهم : « متى دخلت الأرض التى يعطيك الرب إلهك ، لا تتعلم أن تفعل مثل رجس أولئك الأمم ، لا يوجد فيك من يجيز ابنه أو ابنته فى النار ، ولا من يعرف عرافة ولا عائف ولا متفائل ولا ساحر ، ولا من يرقى رقية ، ولا من يسأل جاناً أو تابعة ، ولا من يستشير الموتى ، لأن كل من يفعل ذلك مكروه عند الرب » . (تث ١٨ : ٩ - ١٢ اقرأ ع ٩ - ١٤ مع إش ٨ : ١٩ - ٢٢ انظر شرح غل ٤ : ٨ - ١١) .

أما النقطة الثانية التى نستدل عليها مما قيل فهى : - أن معاملة الله للمؤمنين معاملة فردية شخصية دون مراعاة ، بأى حال من الأحوال ، للعلاقات الأهلية ونسب القرابة ، فلا ينظر إلى الابن من أجل أبيه ، ولا إلى الأب كنائب عن ابنه الراشد المسئول ، بل يعامل كلا منهما على حدته ، وهذا نستدل عليه جلياً من إقامته العهد مع كل من إبراهيم وإسحق ويعقوب بمفرده ، دون نظر إلى أية علاقة قرابة بينهم (راجع الشواهد السابقة فى إعطاء هذا العهد واقرأ حز ١٨ واجعل كل ذلك أساساً لتفسير صحيح للوصية الثانية « افتقد ذنوب الآباء فى الأبناء . . الخ (حز ٢٠ : ٤ - ٦) .

على أن هؤلاء الآباء الثلاثة « إبراهيم » أبا المؤمنين « وإسحق » ابن الموعد و « يعقوب » أبا الأسباط قد ضمهم الرسول معاً فى القول عن إبراهيم « بالإيمان تغرب فى أرض الموعد ، كأنها غريبة ، ساكناً فى خيام مع إسحق ويعقوب » الوارثين معه لهذا الموعد عينه » بصيغة تحصر الكلام فى إبراهيم وتتابع القول عنه :

(ع ١٠) « لأنه كان ينتظر » :

يمكننا أن نرى هنا سر إيمان إبراهيم الذى « ينتظر » فقد رأيناه بالإيمان « أطاع » الدعوة ، وبالإيمان « خرج » من أرض ميلاده ، وبالإيمان « تغرب » فى أرض الموعد ، وها نحن الآن ! نراه بالإيمان « ينتظر » : ولعل فى هذا الانتظار يبرز سر فاعلية الإيمان التى قدرت إبراهيم على أن يعيش كل حياته متغرباً فى أرض الموعد ، ساكناً فى خيام متنقلا من مكان إلى مكان ، وهذا يدعونا إلى التأمل الدقيق فى فعل هذا الانتظار العجيب :

ومن أين أتاه هذا الانتظار ؟ هل كان فى صيغة ما وعده به الرب ما يدعوه إلى هذا الانتظار ؟ هل نرى فى محيط الوعد الذى تحدث به إليه « رب المجد » عن غربة نسله ومذلته قائلا : « اعلم يقيناً ! أن نسلك سيكون غريباً فى أرض ليست لهم ، ويستعبدون لهم فيذلونهم أربع مئة سنة . . . وأما أنت فتمضى إلى آبائك بسلام وتدفن بشيبة صالحة » (تك ١٥ : ١٣ — ١٥) .

هل نرى فى هذا الحديث ما يولد فى إبراهيم رجاء فى انتظار ما ؟ . إننا فى فحص هذا الوعد فحصاً دقيقاً ، لا نستطيع أن نلمس أمراً ما يمكن أن يولد فى « إبراهيم » شيئاً من الرجاء لانتظار أى أمر مستقبل ؛ بل بالعكس ، نرى صريحاً ما يفيد بأنه سيبقى غريباً فى تلك الأرض إلى يوم وفاته ، إذاً لابد أن يكون هذا الانتظار متعلقاً بأمر يرجوه بعد وفاته ، وكان بالإيمان ينتظره ، وهذا الأمر واضح فى قوله « لأنه كان ينتظر » .

« المدينــة » :

من الأمور التى تستحق الذكر ويجدر الالتفات إليها ، أن هذه « المدينة » معرفة بـ « أل » ولعلها ، « أل » العهدية التى تدل على أن هذه « المدينة » معهودة ومعلومة ، وليست غريبة عن الذكر ، ولا بعيدة عن الذهن والفكر ، بل كانت مرسومة أمام البصيرة الداخلية وحاضرة فى الذهن الروحى ، تراها عين الإيمان وتنتظرها النفس ؛ وهذا يدعونا إلى التساؤل عن هذه المدينة المعهودة المنتظرة .

أية مدينة هى ؟ إن الرسول لم يتركنا أمام هذه « المدينة » حيارى ، نجول بأفكارنا هنا وهناك ، مفتشين وباحثين عن أية « مدينة » هى ؟ ، معرفاً إياها بثلاثة أوصاف هى — ١ — كونها « مدينة » —٢ — « لها الأساسات » — ٣ — « صانعها وبارئها الله » :

١ — « مدينــة » :

بالمقارنة مع الخيام المذكورة فى الآية السابقة فى القول الإلهى عن إبراهيم « ساكناً فى خيام » ينتظر « بالإيمان » « مدينة » : وفى هذا الانتظار إيقان بنقض الخيام التى لا يمكن أن تتفق مع المدن بأى حال من الأحوال ، فالمدينة تقضى على الخيمة ؛

وإذا رجعنا إلى ما رأينا فى القول السابق من الإعلان لإبراهيم بأنه سيبقى غريباً فى أرض الموعد إلى يوم وفاته ، نستطيع أن نربط بين نقض خيام السكن ونقض خيمة الجسد بالصورة التمثيلية التى أبرزها الرسول بولس ، أيضاً ، فى قوله « لأننا نعلم ، أنه إن نقض بيت خيمتنا الأرضى ؛ فلنا ، فى السموات بناء من « الله » بيت غير مصنوع بيد ، أبدى » (٢ كو ٥ : ١) .

ولعل النظر إلى هذا البناء الأبدى هو الذى أوحى إلى « يوناداب بن ركاب » أن يوصى بنيه ، قائلا : « لا تشربوا خمراً أنتم ولا بنوكم إلى الأبد ، ولا تبنوا بيتاً ، ولا تزرعوا زرعاً ، ولا تغرسوا كرماً ، ولا تكن لكم ؛ بل اسكنوا فى الخيام كل أيامكم لكى تحيوا أياماً كثيرة على وجه الأرض التى أنتم متغربون فيها » (اقرأ إر ٣٥ : ٦ — ١١) . وصية غريبة فى بابها إلا أن فيها حكمة مع بعد النظر والفكر . ليس لنا أن نتكلم عنها هنا ، فنعود إلى المدينة التى كان ينتظرها إبراهيم « المدينة » : —

٢ — « التى لها الأساسات » :

هذا الوصف يوعز إلينا بوجود مدن لا أساس لها ، ولعل هذا الإيعاز يثبته قول الرسول ، أيضاً : « ليس لنا هنا مدينة باقية » (انظر شرح ص ١٣ : ١٤) ، وهو قول يحققه التاريخ النبوى المقدس فى بناء ثلاث مدن « ينطبق عليها عدم البقاء ، إحداها مدينة « حنوك » ، وثالثها مدينة « بابل » ، وثالثتهما مدينة « أورشليم » ، وحيث بضدها تتميز الأشياء ، لذلك يجدر بنا لتمييز « المدينة التى لها الأساسات » أن نقابلها بهذه المدن الثلاث التى ينطبق عليها القول « ليس لنا هنا مدينة باقية » : —

أما : مدينة « حنوك » :

فهى المدينة التى بناها قايين بكر أبينا آدم ودعاها كاسم ابنه « حنوك » (تك ٤ : ١٧) ، وذلك بعد أن خرج من « لدن الرب » مطروداً ، تائهاً وهاربا فى الأرض ساكناً فى أرض نود (أى بعيداً عن الرب) شرقى عدن (اقرأ تك ٤ : ١٢—١٦) . مدينة بنتها يد ملوثة بالدم ؛ وقلب ملآن بالحقد والغضب والبغضة والكراهية ، بغض الأخ لأخيه « وكل من يبغض أخاه فهو قاتل نفس » (١ يو ٣ : ١٥) . « كما كان قايين

من الشرير وذبح أخاه ، ولماذا ذبحه ؟ لأن أعماله كانت شريرة وأعمال أخيه بارة » (١ يو ٣ : ١٢ قابل تك ٤ : ٨ – ١٠) . مدينة مؤسسة على محبة الذات وعدم الاهتمام بالغير وعلى طلب مصلحة النفس دون مصلحة الآخرين ، تمدين فاسد ؛ فلنهرب من نوع هذه المدينة ومن كل ما تدل عليه وتشير إليه .

انتفخ هؤلاء المتمدينون وجحظت عيونهم وتجاوزوا تصورات القلب والفكر ، وتمشت ألسنتهم فى السماء ومست مجد العلى فجلس الرب بالطوفان (مز ٢٩ : ١٠) ، وأجرى أحكامه العادلة وأباد عن وجه الأرض كل حى ؛ بحيث انفتحت طاقات السماء وتفجرت كل ينابيع الغمر وجرت مياه الغضب على الأرض وارتفعت إلى الجبال العالية ؛ فمحت كل معالم الأرض القديمة التى كانت حينئذ ؛ وذهبت مدينة «حنوك» أدراج الرياح ، وأمحت آثارها من الأرض على أننا نعود فنرى بعد الطوفان :

مدينـــة « بابل » :

وهى المدينة التى بنيت بعد أن أمحت مدينة « حنوك » ، وزالت آثار الحنكة الإنسانية بكل ما لها من مدنية وتهذيب إنسانى وتمدين بشرى مع كل أهواء الجسد وشهواته ، ودفنت كل معالمها بمياه الطوفان ، على أنه ما لبث أن برزت ، بعد الطوفان ، مدينة أخرى لا من حنكة العقل البشرى وتمدينه فحسب ، بل ، أيضاً ، من كبرياء نفس الإنسان وارتفاع قلبه وتعظيم اسمه ، حيث قام « نمرود جبار صيد أمام الرب » مارداً متمرداً فى وجه « رب المجد » يصطاد الوحوش لتنقية الأرض منها توسيعاً لمملكة عظمته (تك ١٠ : ٨ – ١٠) .

وصل الغرور بنمرود هذا إلى اعتبار نفسه ملكاً متسلطاً على كل بنى البشر ، غير حاسب أى حساب لملك السموات والأرض ، وهكذا كان شعار جميع الذين التفوا حوله : « هلم نبن لأنفسنا مدينة وبرجاً رأسه بالسماء ، ونصنع لأنفسنا اسماً لئلا نتبدد على وجه كل الأرض » (تك ١١ : ٤) . فنزل الرب وبلبل لسانهم حتى لا يسمع بعضهم لسان بعض . وبددهم من هناك على وجه كل الأرض ، ولذلك دعى اسمها « بابل » (اقرأ تك ١١ : ١ – ٩) .

هذه هى مدينة « بابل » قصبة « مملكة بابل » التى سبت شعب الرب « يهوذا » وأذلته سبعين سنة بعد أن أحرقت هيكل الرب وأخربت المدينة المقدسة « أورشليم » (اقرأ ٢ مل ٢٤ و ٢٥) . هذه هى مدينة « بابل » عنوان العظمة الإنسانية وكبرياء القلب وانتفاخ النفس . وشعارها مكتوب بأحرف بارزة فى قول ذلك الملك الجبار العاتى « نبوخذ نصر » وهو يتمشى على قصر مملكة بابل ، وما أعظم كبرياءه ! فى قوله : « أليست هذه بابل العظيمة ؟ التى بنيتها لبيت الملك بقوة اقتدارى ولجلال مجدى » ؟ (دا ٤ : ٣٠) ، وما أصدق القول النبوى ! فى وصف هذه الكبرياء الشامخة وهى تتمشى بلسانها فوق السماء منتفخة ناطقة بالقول : « أصعد إلى السموات ، أرفع كرسى فوق كواكب الله وأجلس على جبل الاجتماع فى أقاصى الشمال ، أصعد فوق مرتفعات السحاب ، أصير مثل العلى » (إش ١٤ : ١٣ و ١٤) .

وقد وصلت بها الكبرياء الموهومة إلى أن تجلس فى وليمة عظيمة لألف من العظماء على مائدة الفخر والكبرياء ، حيث يصل بها الأمر إلى أن تأتى بآنية بيت الرب المقدسة ليشرب بها الملك وعظماؤه وزوجاته وسراريه فكانوا يشربون الخمر ويسبحون آلهة الذهب والفضة والنحاس والحديد والخشب والحجر ، ويا لهول ما حدث فى تلك الليلة ! فقد أتت النهاية لهذه الكبرياء الفارغة وتلك العظمة الباطلة ، وسقطت تلك المدينة من علو سمائها إلى دركات الجحيم وقضى عليها قضاء مبرماً إتماماً لنبوة كتبت بإصبع يد خفية ، على مكلس الحائط فى كلمات مكتومة ، منطوقها : « منا منا ، تقيل ، وفرسين » وتفسيرها « منا منا » : « أحصى الله ملكوتك وأنهاه » : « تقيل » : « وزنت بالموازين فوجدت ناقصاً » ، « وفرسين » « قسمت مملكتك وأعطيت لمادى وفارس » (دا ٥ : ٢٥ — ٢٨ اقرأ كل الأصحاح) ، هكذا انتهت مدينة « بابل » وامحت من الوجود ، فلنتقدم إلى المدينة الثالثة :

مدينة « أورشليم » :

وهى المدينة التى كانت فى أيام « إبراهيم » ، كانت تدعى حينئذ « شاليم » أو « ساليم » التى كان فيها « ملكى صادق » ملكاً « وكاهناً لله العلى » وقد خرج لملاقاة

«أبرام العبرانى» بعد رجوعه من كسرة الملوك . وباركه (قابل تك ١٤ : ١٨ — ٢٠ مع شرح ص ٧ : ١ — ١٠ اقرأ تك ١٤ : ١٣ — ٢٤) .

على أن هذه المدينة كانت حصناً لليبوسيين ، بعد تأسيس مملكة إسرائيل ، واقعاً فى قسم يهوذا من تلك المملكة ؛ حتى ملك داود وأخذ ذلك الحصن «حصن صهيون» هى «مدينة داود» (اقرأ ٢ صم ٥ : ٤ — ٩) عنوة بقوة وجبروت ، ويظهر من التاريخ النبوى المقدس ، أنه ، فى هذا الحصن «جبل صهيون» استقر كرسى داود للقضاء ، وهناك أقيم «هيكل الرب» للعبادة ؛ كما جاء النص صريحاً «وشرع سليمان فى بناء بيت الرب» فى أورشليم فى جبل المريا ؛ حيث تراءى لداود أبيه ؛ حيث هيأ داود مكاناً فى بيدر أرنان اليبوسى» (٢ أى ٣ : ١ اقرأ ١ أى ٢١ مع مز ١٢٢ ومز ١٣٢) .

ولعل هذا هو ما قصده المرنم فى قوله : «أساسه فى الجبال المقدسة : الرب أحب أبواب «صهيون» أكثر من جميع مساكن يعقوب» (اقرأ مز ٨٧ مع مز ٧٨ : ٦٥ — ٧٢) ، لذلك ينشد قائلا : «عظيم هو الرب وحميد جداً فى مدينة إلهنا «جبل قدسه» : جميل الارتفاع ، فرح كل الأرض جبل صهيون ، فرح أقاصى الشمال مدينة الملك العظيم» (مز ٤٨ : ١ و ٢) . على أنه إذا رجعنا ، بالفحص الدقيق ، إلى تفسير الوحى عن طريق السيد المسيح والرسل القديسين ، لوجدنا تفريقاً واضحاً بين «جبل صهيون» وبين :

«أورشليم» :

حيث نرى «رب المجد» يبكى ويذرف الدموع سخينة على مدينة «أورشليم» فى يوم افتقادها مخاطباً إياها ، بالقول : «إنك لو علمت أنت ، أيضاً ؛ حتى فى يومك هذا ، ما هو لسلامك ! ولكن الآن قد أخفى عن عينيك ؛ فإنه ستأتى أيام ويحيط بك أعداؤك بمترسة ، ويحدقون بك ، ويحاصرونك من كل جهة ، ويهدمونك وبنيك فيك ، ولا يتركون فيك حجراً على حجر ؛ لأنك لم تعرفى زمان افتقادك» (لو ١٩ : ٤١ — ٤٤ مع مت ٢٣ : ٣٧ — ٣٩ مع لو ١٣ : ٣١ — ٣٥) .

أما الرسول بولس فيتكلم عن هذه المدينة «أورشليم» واصفاً إياها بالقول : «أورشليم الحاضرة» ويقول عنها : «إنها مستعبدة مع بنيها» قارناً إياها بجبل سيناء الوالد للعبودية الذى هو هاجر ؛ لأن هاجر (جارية سارة) جبل سيناء فى العربية ، ولكنه يقابل أورشليم الحاضرة فإنها مستعبدة مع بنيها (انظر شرح غل ٤ : ٢٢ — ٢٥ للمؤلف) .

هذه هى أورشليم الحاضرة المستعبدة ، مع بنيها ، للخوف من نار جبل سيناء يوم تصرخ بنوها قائلين : «لماذا نموت ؟ لأن هذه النار العظيمة تأكلنا إن عدنا نسمع صوت الرب إلهنا ، أيضاً ، نموت» (تث ٥ : ٢٥ اقرأ ع ٢٣ — ٣٦ مع خر ١٩ : ١٨ و ١٩ و ٢٠ : ١٨ و ١٩) .

بالنسبة إلى هذه المقارنة بين «أورشليم الحاضرة» المستعبدة مع بنيها وبين «جبل سيناء الوالد للعبودية» يكتب الرسول بولس إلى العبرانيين المؤمنين بالمسيح، قائلا :

«لأنكم لم تأتوا إلى جبل ملموس مضطرم بالنار ، وإلى ضباب وظلام وزوبعة وهتاف بوق ، وصوت كلمات ، استعفى الذين سمعوه من أن تزاد لهم كلمة ؛ لأنهم لم يحتملوا ما أمر به ؛ «وإن مست الجبل بهيمة ترجم أو ترمى بسهم» ، وكان المنظر هكذا ، مخيفاً حتى قال موسى : «أنا مرتعب ومرتعد» (انظر شرح ص ١٢ : ١٨ — ٢١) .

هذه هى أورشليم الحاضرة المستعبدة للخوف مع بنيها ، التى جلس فيها «على كرسى موسى» أولئك الكتبة والفريسيون فى مجلس آلهة لشعب مستعبد ، سبق أن تنبأ عنه «إشعياء» قائلا : «لأن هذا الشعب قد اقترب إلى بفمه وأكرمنى بشفتيه ، وأما قلبه فأبعده عنى ، وصارت مخافتهم منى وصية الناس معلمة ؛ لذلك هأنذا أعود أصنع بهذا الشعب عجباً وعجيباً فتبيد حكمة حكمائه ويختفى فهم فهمائه ، ويل للذين يتعمقون ليكتموا رأيهم عن الرب ؛ فتصير أعمالهم فى الظلمة ويقولون ، من يبصرنا ومن يعرفنا يا لتحريه ! هل يحسب الجابل كالطين ؟ حتى يقول المصنوع عن صانعه «لم يصنعنى» ؟ أو تقول الجبلة عن جابلها لم يفهم» ؟ (إش ٢٩ : ١٣ — ١٦ اقرأ مت ١٥ : ١ — ٩ مع مر ٧ : ١ — ١٣ مع ١ كو ١ : ١٨ — ٢٦) .

فأورشليم الحاضرة وهى مستعبدة مع بنيها أخذت لنفسها كرسى التعليم بتقاليد وتعاليم بشرية وأبطلت وصية الله ؛ فجعلت من ذاتها إلهاً « يجلس فى هيكل الله مظهراً نفسه أنه إله » ، على كل ما يدعى إلهاً أو معبوداً طالباً إطاعة الناس له وخضوعهم لأوامره ، وقد يصل إلى درجة ، فى هذا الإدعاء الكاذب ، معها ، يضل الناس « بعمل الشيطان بكل قوة وبآيات وعجائب كاذبة وبكل خديعة الإثم فى الهالكين ؛ لأنهم لم يقبلوا محبة الحق حتى يخلصوا » (إقرأ ٢ تس ٢ : ١ – ١٠ مع ٣ يو ٩ و ١٠) .

هذه المدينة « أورشليم الحاضرة » المستعبدة مع بنيها بالخوف من جبل سيناء المضطرم بالنار التى تجعل من نفسها إلهاً يفرض على شعبه تقاليد وتعاليم هى وصايا الناس ، إنما هى صورة فى كل التاريخ للكنيسة المرتدة عن الحق المعلن التى تبطل وصية الله » بتعاليمها وتجعل من نفسها سلطة عليا تجلس بها فى هيكل الله آمرة متحكمة ، وهى تلك الكنيسة التى يتمثلها الرائى اللاهوتى فى رؤياه روحياً امرأة تحت عنوان « الزانية العظيمة الجالسة على المياه الكثيرة » وقد رآها « متسربلة » بأرجوان وقرمز ، ومتحلية بذهب وحجارة ولؤلؤ ، ومعها كأس من ذهب فى يدها ، مملوءة رجاسات ونجاسات زناها ، وعلى جبهتها اسم مكتوب : « سر ، بابل العظيمة أم الزوانى ورجاسات الأرض » ورأيت المرأة سكرى من دم القديسين ومن دم شهداء يسوع » (اقرأ رؤ ١٧ : ١ – ٦).

فليس بعجيب أن يرى الرائى اللاهوتى « ملاكاً نازلاً من السماء ، له سلطان عظيم ، واستنارت الأرض من بهائه ، وصرخ بشدة بصوت عظيم ، قائلا : سقطت سقطت بابل العظيمة ، وصارت مسكناً لشياطين ، ومحرساً لكل روح نجس ، ومحرساً لكل طائر نجس وممقوت ؛ لأنه ، من خمر غضب زناها قد شرب جميع الأمم ، وملوك الأرض زنوا معها وتجار الأرض استغنوا من وفرة نعيمها » (رؤ ١٨ : ١ – ٣ اقرأ ص ١٧ و ١٨ معاً) .

وهل هنالك مدينة ينطبق عليها الوصف بأنها امرأة « سكرى من دم القديسين ومن دم شهداء يسوع » (رؤ ١٧ : ٦) ، نظير مدينة أورشليم ؟ التى قال « عنها رب المجد » . « لا يمكن أن يهلك نبى خارجاً عن أورشليم » (لو ١٣ : ٣٣ اقرأ ع ٣١ – ٣٥) .

وهي حقيقة أثبتها الوحي الإلهي بفم « استفانوس » الشهيد المسيحي الأول ، في قوله لمجمع اليهود : « يا قساة الرقاب ! وغير المختونين بالقلوب والآذان ! أنتم دائماً تقاومون « الروح القدس » كما كان آباؤكم كذلك أنتم ، أي الأنبياء لم يضطهده آباؤكم ؟ وقد قتلوا الذين سبقوا فأنبأوا بمجيء « البار » الذي أنتم الآن ، صرتم مسلميه وقاتليه » (أع ٧ : ٥١ و ٥٢) .

هذه شهادة صريحة ، سبق السيد المسيح فأنبأ بها في قوله لهم : « أنتم تشهدون على أنفسكم أنكم أبناء قتلة الأنبياء ، فاملأوا أنتم مكيال آبائكم » (مت ٢٣ : ٣١ و ٣٢ اقرأ ع ٢٩ – ٣٩) ، فلا عجب أن يمثل مصير هذه المدينة ، السكرى بدم القديسين ؛ ببابل الزانية ! وأن يمثل سقوطها وخرابها بتعبيرات تفوق الوصف في أقوال الأنبياء قديماً ؛ كما قال النبي إشعياء : « وتصير بابل بهاء الممالك وزينة فخر الكلدانيين كتقليب الله سدوم وعمورة » (إش ١٣ : ١٩) .

هذا قول ينطبق ، أيضاً ، على تمثيل هذه المدينة « أورشليم » بسدوم ومصر كما تمثلها الرائي في تعبيره عن النبيين ، قائلا « وتكون جثتاهما على شارع المدينة العظيمة التي تدعى روحياً « سدوم ومصر » حيث صلب ربنا ، أيضاً » (رؤ ١١ : ٨ اقرأ كل الأصحاح) .

ولا عجب من هذا التمثيل ! ما دام حزقيال يخاطب أورشليم بالوحي المقدس ، قائلا : « يا زانية اسمعي كلام الرب . . . هأنذا . . . أحكم عليك أحكام الفاسقات السافكات الدم . . . إن سدوم أختك لم تفعل هي ولا بناتها كما فعلت أنت وبناتك هذا كان إثم أختك سدوم ؛ الكبرياء والشبع من الخبز ، وسلام الاطمئنان كان لها ولبناتها . . . ، وتكبرن وعملن الرجس أمامي فنزعتهن كما رأيت » (انظر حز ١٦ : ٣٥ – ٥٠ اقرأ كل الأصحاح) ، هكذا قضى على « أورشليم الحاضرة » وتمت « الكلمة النبوية التي نطق بها السيد المسيح ، على يد النسور الرومانية في سنة ٧٠ ميلادية ؛ بحرق الهيكل وخراب المدينة وتشتيت الأمة ، بحسب ما هو مبين في الكلمة النبوية في (مت ٢٤ و لو ٢١) .

قضى الطوفان بدينونته العادلة على مدينة « حنوك » إعلاناً للقضاء على كل مدينة إنسانية وعلى كل حكمة بشرية ، وقضى حكم الأمم على مدينة بابل فتم القضاء على كل عظمة إنسانية وعلى كل انتفاخ بشرى وقضت الكلمة النبوية على « أورشليم الحاضرة » فتم القضاء على كل زنى روحى وابتعاد عن الحق الإلهى ؛ فلابد أن تكون نهاية كل قضاء على الأرضيات إعلاناً سموياً لحقيقة : —

« المدينة التى لهـا الأساسات » :

هى المدينة التى وصفت بالقول « العتيدة » (انظر شرح ص ١٣ : ١٤) ، وهذا الوصف يلقى نوراً كشافاً على الكلمة السابقة « ينتظر » ، فقد كان إبراهيم « ينتظر المدينة التى لها الأساسات » لأنها مدينة « عتيدة » أى ستأتى بعد فى المستقبل .

هذه هى المدينة التى وصفها الرسول بولس بالقول : « أما أورشليم العليا التى هى أمنا جميعاً فهى حرة » (غل ٤ : ٢٦) ، بمقابلتها مع « أورشليم الحاضرة » ليرفع أنظارنا من الأرضيات إلى السمويات ، حيث تلك المـدينة العليا طبقاً للنصيحة المباركة القائلة : « إن كنتم قد قمتم مع « المسيح » فاطلبوا ما فوق حيث المسيح جالس عن يمين الله ، اهتموا بما فوق لا بما على الأرض ، لأنكم قد متم وحياتكم مستترة مع المسيح فى الله ، متى أظهر المسيح حياتنا فحينئذ تظهرون أنتم ، أيضاً ، معه فى المجد » (كو ٣ : ١ — ٤) .

وهل نرى هذه المقابلة واضحة ، أيضاً ، فى المقابلة بين الأرضيات والسمويات فى تعبيره القائل : « لأن كثيرين يسيرون ، ممن كنت أذكرهم لكم مراراً ، والآن أذكرهم ، أيضاً ، باكياً ، وهم أعداء صليب المسيح الذين نهايتهم الهلاك ، الذين إلههم بطنهم ومجدهم فى خزيهم ، الذين يفتكرون فى الأرضيات ؛ فإن سيرتنا ، نحن ، فى السموات التى منها ، أيضاً ، ننتظر مخلصاً ، هو الرب يسوع المسيح الذى سيغير شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده ؛ بحسب عمل استطاعته ، أن يخضع لنفسه كل شىء » (فى ٣ : ١٨ — ٣١) :

وإذا اعتبرنا المقارنة بين « أورشليم الحاضرة المستعبدة مع بنيها» باعتبارها « جبل سيناء في العربية » كما سبقت الإشارة ، نستطيع أن نرى مقابلة مجيدة تبين لنا الفرق العظيم بين « جبل سيناء » وبين «جبل صهيون » حيث يقول الرسول لأولئك العبرانيين : « لأنكم لم تأتوا إلى جبل ملموس مضطرم بالنار » (انظر شرح ص ١٢ : ١٨ — ٢١) ، وهو قول سلبي يقابله إيجاباً « بل قد أتيتم إلى جبل صهيون وإلى مدينة الله الحي « أورشليم السموية» ، وإلى ربوات هم محفل ملائكة وكنيسة أبكار مكتوبين في السموات وإلى الله ديان الجميع ، وإلى أرواح أبرار مكملين ، وإلى وسيط العهد الجديد « يسوع » وإلى دم رش يتكلم أفضل من هابيل » (انظر شرح ص ١٢ : ٢٢ — ٢٤) .

هذا يوقفنا أمام « جبل صهيون » في سماعية مجيدة مقدسة ، يرينا الفرق العظيم الواضح بين « جبل ملموس مضطرم بالنار » وبين جبل هو « مدينة الله الحي أورشليم السموية » ويملأ أفواهنا بنشيد المرنم « جميل الارتفاع ، فرح كل الأرض ، « جبل صهيون » : فرح أقاصي الشمال « مدينة الملك العظيم » (مز ٤٨ : ٢ اقرأ كل المزمور) .

وبهذه المقابلة ، أيضاً : نرى ، عند جبل سيناء ، تأسيس ملكوت متزعزع ، في في أشياء متزعزعة كمصنوعة ، بالمقابلة مع ملكوت لا يتزعزع لا دخل فيه للأيدي البشرية يصل بنا إلى « جبل صهيون » « أورشليم السموية » التي تمثلها الرائي اللاهوتي فقال عنها : « رأيت « المدينة المقدسة « أورشليم الجديدة » نازلة من السماء ، من عند الله ، مهيأة « كعروس مزينة لرجلها .» (رؤ ٢١ : ٢) ، وسمع صوتاً يناديه « هلم فأريك « العروس امرأة الخروف » ، وذهب به « بالروح » إلى جبل عظيم عال وأراه هذه العروس » وهي المدينة العظيمة « أورشليم المقدسة » لها مجد الله لامعة بهية بأسوارها المرتفعة وأبوابها اللؤلؤية ، وسوقها الذهبي وأساساتها المؤسسة بالأحجار الكريمة (اقرأ كل الأصحاح) . هذه هي « المدينة التي لها الأساسات » العروس المجيدة المزينة بكل أنواع الأزيان (انظر أف ٥ : ٢٦) هذه هي الكنيسة في « زينة أزيانها » (حز ١٦ : ٧) ، هي : —

« المدينة التي لها الأساسات » :

مبنية على الصخر المتين الذى لا يتزعزع كما قال « رب الجنود » نبوياً : « هى مرة بعد قليل فأزلزل السموات والأرض والبحر واليابسة وأزلزل كل الأمم ، ويأتى مشتهى كل الأمم فأملأ هذا البيت مجداً . . . لى الفضة ولى الذهب » (حج ٢ : ٦ — ٨ قابل إش ٦٠ : ٤ — ٧ انظر شرح ص ١٢ : ٢٥ — ٢٩) . هذه هى « المدينة التى لها الأساسات » : —

« التى صانعها وبارئها الله »

هذا التعبير يحقق لنا أن أساسات تلك المدينة ، لا يمكن أن تكون من مواد أرضية ؛ مهما تكن تلك المواد بما لا يقاس من المتانة والصلابة ، ومهما وصلت إلى أسمى شدة من القوة ، وهذا يذكرنا بالمسكن الذى وصف بالقول « المسكن الحقيقى الذى نصبه الرب لا إنسان » (ص ٨ : ٢ راجع الشرح) ، كما قيل ، أيضاً « المسكن الأعظم والأكمل ، غير المصنوع بيد أى الذى ليس من هذه الخليقة » (راجع شرح ص٩ : ١١)

وما أعظم الفرق بين هذا « المسكن الأعظم والأكمل » وبين « المسكن » الذى أقامه « موسى » خيمة بلا أساس ! (قابل خر ٢٥ — ٤٠) ، وهو المسكن الذى قال عنه استفانوس : « وأما خيمة الشهادة فكانت مع آبائنا فى البرية » (أع ٧ : ٤٤) . فقد كانت خيمة بلا أساس ، متنقلة معهم فى البرية ، يحلون حيث تحل ويرتحلون حيث ترتحل بقيادة تابوت عهد الرب ، وكان موسى يقول ، عند ارتحال التابوت : « قم يارب فلتتبدد أعداؤك ويهرب مبغضوك من أمامك » ، وعند حلوله كان يقول : « ارجع يارب إلى ربوات ألوف إسرائيل » (عد ١٠ : ٣٥ و ٣٦) .

وهكذا بقيت هذه الخيمة متنقلة إلى أن دخلوا أرض كنعان ؛ فأدخلوها معهم إلى هناك « إذ تخلفوا عليها مع يشوع ؛ فى ملك الأمم الذين طردهم الله من وجه آبائنا ؛ إلى أيام داود الذى وجد نعمة أمام الله والتمس أن يجد مسكناً لإله يعقوب ؛ ولكن سليمان ، بنى له بيتاً » (اقرأ أع ٧ : ٤٤ — ٤٧) .

على أن الله العلى لا يسكن فى هياكل « مصنوعات الأيادى » ، لأن كل «مصنوعات الأيادى » تتزعزع كما رأينا ؛ لذلك تقول الكلمة النبوية : « السماء كرسى لى والأرض موطئ لقدمى ، أى بيت تبنون لى ؟ يقول الرب : وأى هو مكان راحتى ؟ أليست يدى صنعت هذه الأشياء كلها » ؟ (أع ٧ : ٤٨ — ٥٠ قابل إش ٦٦ : ١ و ٢ مع ١ مل ٨ : ٢٧ مع ٢ أى ٦ : ١٨) .

لذلك ليس بغريب أن يسلم العلى عزه ؛ كما قيل : « أغاظوه بمرتفعاتهم وأغاروه بتماثيلهم : سمع الله فغضب ، ورذل إسرائيل جداً ورفض « مسكن شيلو » الخيمة التى نصبها بين الناس و« سلم للسبى عزه وجلاله ليد العدو » (مز ٧٨ : ٥٨ — ٦١) وكما صنع « بشيلو » هكذا تنبأ بفم إرميا ، قائلا : « أصنع بالبيت الذى دعى باسمى عليه ، الذى أنتم متكلون عليه ، وبالموضع الذى أعطيتكم وآباؤكم إياه » (إر ٧ : ١٤) . وهو البيت الذى بناه سليمان « هيكلا للرب » وظنوا أنه « أساس مؤسس » (إش ٢٨ : ١٦) ، لا يتزعزع ؛ كما يدل عليه قولهم ، هيكل الرب ! هيكل الرب ! هيكل الرب هو ! » (إر ٧ : ٤) .

وبالرغم من اتكالهم على كلام الكذب هذا (اقرأ إر ٧ : ١ — ١٤) ، نفذ الرب وعيده وتهديده بفم نبيه إرميا « وسلم للسبى عزه وجلاله ليد العدو » (مز ٧٨ : ٦١) . وأحرقوا بيت الله بعد أن أخربوه تماماً « وهدموا سور أورشليم وأحرقوا جميع قصورها بالنار وأهلكوا جميع آنيتها الثمينة » (اقرأ ٢ أى ٣٦ كل الأصحاح) . وهكذا انتهى الملكوت المتزعزع « لكى يبقى الذى لا يتزعزع » (انظر شرح ص ١٢ : ٢٧ و ٢٨). « المدينة التى لها الأساسات » : —

« التى صانعها وبارئها الله » :

ولعلنا فى أصل الكلمتين « صانعها » و« بارئها » ، نستطيع أن نلمس ما يتصل بفن البناء جوهرياً ، وبإقامته عملياً وكأن الرسول يريد أن يصور ، أمامنا ، ربالجلالة الإلهية : وهو يضع التصميم الفنى لتلك « المدينة » ، وفى ذات الوقت يتولى إقامة البناء بيده الكريمة بعد وضع تصميمه ؛ إلى أن يكمل نهائياً ، وإذا رجعنا إلى فكرة مسكن

خيمة الاجتماع وهيكل سليمان : يمكننا أن نرى الله : جل اسمه ، مصمماً فنياً ؛ ولكننا نرى الأيادى العاملة فى إقامة المسكن ، سواء بيد موسى أو بيد سليمان ، أيادى بشرية (اقرأ خر ٣١ : ١ ـ ١١ مع ١ مل ٥ : ٧ ـ ١٨) . وأن المواد من هـــذه الخليقة الأرضية .

أما التصميم الفنى ، فإننا نسمع فيه : قول الله ذاته : لموسى « بحسب جميع ما أنا أريك من مثال المسكن ومثال جميع آنيته ، هكذا تصنعون » « وانظر فأصنعها على مثالها الذى أظهر لك فى الجبل » (قابل خر ٢٥ : ٩ و ٤٠ و ٢٦ : ٣٠ مع عد ٨ : ٤ مع أع ٧ : ٤٤ راجع شرح ص ٨ : ٥) . وهكذا قيل ، أيضاً ، عن « داود » أنه قبل موته « أعطى داود سليمان ابنه مثال الرواق وبيوته وخزائنه وعلاليه ومخادعه الداخلية وبيت الغطاء ومثال كل ما كان عنده بالروح لديار بيت الرب ولجميع المخادع حواليه ولخزائن بيت الله وخزائن الأقداس » قائلا ، فى هذا الصدد : « قد أفهمنى الرب كل ذلك بالكتابة بيده ، على . أى كل أشغال المثال » (١ أى ٢٨ : ١١ و ١٩ اقرأ ١١ ـ ١٩) .

هذا كله شهادة نبوية صريحة : بأن الله ، بذاته ، وضع بيده الكريمة مثالا للخيمة . أظهر « لموسى » فى الجبل رسماً ؛ كما وضع ، أيضاً ، مثالا للهيكل أعطاه لداود « كتابة » بيده ؛ فهو إذاً واضع مثال ذلك المسكن القديم فنياً ، وقد عبر الرسول عن هذا المثال بأنه « أمثلة الأشياء التى فى السموات . . : أشباه الحقيقية » (راجع شرح ص ٩ : ٢٣ و ٢٤) .

أما البناء ، فيتضح ، من التاريخ المقدس ، بأنه كان بيد فنانين بشريين ، سواء كانوا للحياكة أو لرسم الأشغال الفنية ، أو بعمل البنائين والنجارين والنحاتين ، وغير ذلك ، حيث استخدمت كل حكمة البشر ومهاراتهم وقواهم العقلية والبدنية فى إتمام ذلك العمل ، أما المواد فكانت ، ولابد ، من مخرجات الأرض كما هو واضح مما ورد فى (خر ٢٥ : ١ ـ ٨ و ١ أى ٢٨ و ٢٩ مع ١ مل ٥ : ١٠ ـ ١٨) .

ولعل ١ فى ذلك كله ، إعلاناً صريحاً بأن هذا البناء بجملته بناء متزعزع ، من الأرض أتى وإلى الأرض يعود ، وقد تم ذلك فعلياً ، فأين ، اليوم ، الخيمة التى أقامها موسى فى البرية ؟ والتى أدخلها الآباء إلى أرض كنعان ؟ وأين الهيكل الذى أقامه سليمان فى أورشليم ؟ وأحرقه نبوخذ نصر ملك بابل ، كما رأينا ؟ وأعاد بناءه « كورش ملك فارس » ؟ (اقرأ ٢ أى ٣٦ : ٢٢ و ٢٣ مع عز ١ : ١ — ٣) ، على يد « زربابل » القائد « ويهوشع » الكاهن بتشجيع النبيين « حجى وزكريا » (اقرأ عز ٣ : ٢ — ٨ و ٥ : ٢ مع حج ص ١ و ٢ مع زك ص ٣ و ٤) ، وأين هذا البيت الأخير الذى بناه كورش بيد زربابل ؟ (حج ٢ : ٢ — ٩ مع زك ٤ : ٧ — ٩) .

لقد درست كل هذه المعالم ونقض هذا البيت الأخير وقضى بنقضه قضاء مبرماً على كل مؤسسات البشر وبناء الأيدى الإنسانية إتماماً لكلمة النبوية (اقرأ إر ٧ : ١ — ١٦) ، ولما أنبأ به السيد المسيح نفسه فى هذا الشأن (اقرأ لو ١٩ : ٤١ — ٤٤ مع مت ٢٣ : ٢٩ — ٣٩ مع ص ٢٤ مع لو ٢١) ، وقد بدأ إتمام هذه الكلمة النبوية بانشقاق حجاب الهيكل عندما أسلم السيد المسيح روحه إعلاناً لنقض هذا الملكوت المتزعزع إلى أن جاءت النسور الرومانية وأتمت هذا الإعلان ، بناء على القول : « حيثما تكون الجثة ، فهناك تجتمع النسور » (مت ٢٤ : ٢٨ اقرأ لو ١٧ : ٢٠ — ٣٧) وهكذا حتم القضاء المبرم نهائياً على هذا الهيكل وعلى كل نظام اليهودى وعلى هذا الملكوت المتزعزع لكى يبقى الملكوت الذى لن يتزعزع : « المدينة التى لها الأساسات » : —

« التى صانعها وبارئها الله » :

مؤسسة على النص الإلهى القائل : « ذبيحة وقرباناً لم ترد ولكن هيأت لى جسداً » وهو نص مبنى على القول النبوى : « بذبيحة وتقدمة لم تسر ، أذنى فتحت » وهى العبارة المترجمة « جسداً هيأت لى » (اقرأ مز ٤٠ : ٦ — ٨ راجع شرح ص ١٠ : ٥ — ١٠) . وهو قول نبوى مبنى على الشريعة الموسوية للعبد الحر المثقوبة أذنه (اقرأ خر ٢١ : ٢ — ٦) .

هذا هو « المسكن الحقيقي الذى نصبه الرب لا إنسان » (راجع شرح ص ٨ : ٢) . هذا هو « المسكن الأعظم والأكمل ، غير المصنوع بيد ، أى الذى ليس من هذه الخليقة » (راجع شرح ص ٩ : ١١) . هذا هو «الكلمة» الذى « صار جسداً وحل بيننا ، ورأينا مجده مجداً كما لوحيد من الآب » . هكذا يقول البشير (يو ١ : ١٤ اقرأ ع ١ ــ ١٨) .

هذا هو الذى قال عنه الرسول بولس : « فإنه فيه يحل كل ملء اللاهوت جسدياً » (كو ٢ : ٩) . هذا هو « صخر الدهور » (إش ٢٦ : ٤) « الأساس المؤسس » الحجر الكريم (قابل إش ٢٨ : ١٦ مع ١ بط ٢ : ٤ و ٦ ــ ٨) ــ « ابن الله الحى » (اقرأ مت ١٦ : ١٦ ــ ١٨) « الذى حل فيه كل ملء اللاهوت جسدياً » (قابل كو ١ : ١٧ ــ ١٩ مع كو ٢ : ٨ و ٩ مع شرح ص ٩ : ١ ــ ١١ للمؤلف) ــ « الذى حبل به فى بطن مريم العذراء من الروح القدس » (قابل لو ١ : ٢٦ ــ ٣٥ مع مت ١ : ١٨ ــ ٢٤) .

فلا عجب ! إذا قيل ، عن تلك « المدينة التى لها الأساسات » أن الله ، جل اسمه ، هو « صانعها وبارئها » . هذه هى المدينة التى كان ينتظرها « ابراهيم » . وكما وضع الله تصميمها بذاته ، هكذا بناها بيده دون دخل لعامل بشرى ، من مواد سموية روحية ، محضاً ، لا تمت بصلة ما إلى الأرضيات أو الجسديات ، كما يتضح جلياً من قول الرسول بولس : « لأن الذين سبق فعرفهم ، سبق فعينهم ، ليكونوا مشابهين صورة ابنه ، ليكون هو بكراً بين إخوة كثيرين ، والذين سبق فعينهم فهؤلاء دعاهم أيضاً ، والذين دعاهم فهؤلاء بررهم ، أيضاً ، والذين بررهم فهؤلاء مجدهم ، أيضاً (اقرأ رو ٨ : ٢٩ و ٣٠ انظر شرح غل ٤ : ١ ــ ٦ للمؤلف مع أف ١ : ٣ ــ ١٤ و ٢ : ١ ــ ١٠ مع ١ بط ١ : ٣ ــ ٥ راجع شرح ص ٢ : ١٠) .

كل من يقرأ هذه الفصول المكتوبة سابقاً وما يماثلها ، بتمعن ، يستطيع أن يرى أنه من بدء عملية الاختيار الأزلى والتعيين السابق والدعوة للحياة الأبدية مع التبنى والتبرير والتقديس والتمجيد ونيل الميراث الذى «لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل» :

يستطيع أن يرى أن العامل فى هذه العملية من بدئها إلى نهايتها هو « الله » دون سواه : « حسب مسرة مشيئته ، لمدح مجد نعمته التى أنعم بها علينا فى المحبوب » (أف ١ : ٤—٦).

أما ما أشار إليه الرسول بولس فى قوله للمؤمنين : تمموا خلاصكم بخوف ورعدة » (فى ٢ : ١٢) : وما أشار إليه الرسول بطرس فى قوله : « لذلك بالأكثر اجتهدوا أيها الإخوة ! أن تجعلوا دعوتكم واختياركم ثابتين ؛ لأنكم إذا فعلتم ذلك ، لن تزلوا أبداً ؛ لأنه هكذا يقدم لكم ، بسعة ، دخول إلى ملكوت ربنا ومخلصنا يسوع المسيح الأبدى » (٢ بط ١ : ١٠ و ١١) ، فإن هذه النصائح الثمينة وما يماثلها ، المتعلقة بمسئولية الإنسان عن أمر خلاصه ، والدخول إلى « ملكوت الله الأبدى » إنما هى نصائح مستندة استناداً كلياً عملياً على ذلك القول الخالد : « لأن الله هو العامل فيكم ، أن تريدوا ، وأن تعملوا ؛ من أجل المسرة » أى من أجل مسرة مشيئته ، كما يسر ؛ له المجد ، وكما يشاء (فى ٢ : ١٣).

فإذا قال الرسول بولس : « نحن عاملان مع الله ، وأنتم فلاحة الله ، بناء الله ، فإنما يقول ذلك القول ، معقباً عليه بالقول : « حسب نعمة الله المعطاة لى » (اقرأ ١ كو ٣ : ٩ و ١٠) ، كما أثبت ذلك فى قوله عن السيد المسيح : « إذ صعد إلى العلاء سبى سبياً ، وأعطى الناس عطايا . . . لأجل تكميل القديسين ، لعمل الخدمة ؛ لبنيان جسد المسيح ، إلى أن ننتهى جميعنا إلى وحدانية الإيمان ومعرفة ابن الله ، إلى إنسان كامل إلى قياس قامة ملء المسيح » (اقرأ أف ٤ : ٨ — ١٣ راجع شرح ص ٢ : ٣ و ٤).

لذلك إذ أقام « المسيح » رسله ؛ ليكونوا شهوداً له ، بعد صعوده « أوصاهم بالروح القدس » مشدداً عليهم « أن لا يبرحوا من أورشليم ؛ بل ينتظروا موعد الآب الذى سمعتموه منى » وأن لا يبدأوا بتأدية أية شهادة حتى ينالوا تلك القوة « من الأعالى » (اقرأ أع ١ : ١ — ٨ مع يو ١٤ : ١٦ و ١٧ و ١٥ : ٢٦ و ٢٧ و ١٦ : ٨ — ١٥ مع لو ٢٤ : ٤٨ و ٤٩).

هكذا يتم بناء ملكوت الله ، بيد الآب الذى وضع تصميمه وأعان مثاله عن يد الابن الذى وضع « أساساً مؤسساً » لذلك البناء وصار حجر زاويته وأساسه الكريم (قابل مز ١١٨ : ٢٢ مع إش ٢٨ : ١٦ مع أف ٢ : ٢٠ – ٢٢ مع ١ كو ٣ : ١١ مع ١ بط ٢ : ٦ – ١٠) . بقوة « الروح القدس » (زك ٣ : ٩ و ٤ : ٦ – ١٠ مع رؤ ٤ : ٥ و ٥ : ٥ و ٦ اقرأ ١ : ٤ – ٦) .

هذه هى « المدينة التى لها الأساسات » التى « صانعها وبارئها الله » ، « أورشليم العليا التى هى أمنا جميعاً » (راجع شرح غل ٤ : ٢٦ للمؤلف) ، هذه هى « مدينة الله الحى أورشليم السموية » (انظر شرح ص ١٢ : ٢٢) ، هذه هى « المدينة المقدسة أورشليم الجديدة » التى رآها الرائى اللاهوتى يوحنا « نازلة » من السماء ؛ من عند الله ، مهيأة ؛ كعروس مزينة لرجلها » (رؤ ٢١ : ٢ اقرأ ع ٩ – ١١ مع كل الأصحاح) . هذه هى المدينة « العتيدة » الباقية (انظر شرح ص ١٣ : ١٤) التى كان إبراهيم ينتظرها .

فلا يمكن البتة ، بأى حال من الأحوال ، أن تكون هذه المدينة العتيدة المنتظرة « أورشليم الحاضرة » التى قابلها الرسول بولس « بهاجر » الجارية ، وبـ « جبل سيناء الوالد للعبودية » ، « فإنها مستعبدة مع بنيها » (راجع شرح غل ٤ : ٢٢ – ٢٥ للمؤلف مع شرح ص ١٢ : ١٨ – ٢٤) . لم تكن هى مدينة أورشليم الأرضية فى أرض كنعان ؛ فلم تكن تسمية تلك الأرض بـ « أرض الموعد » إلا من باب المثال والرمز ، وهذا يؤكده لنا كون إبراهيم لم يرث فى تلك الأرض « ولا وطأة قدم » (أع ٧ : ٥) : إلا القبر الذى ، فيه ، دفن سارة امرأته (تك ٢٣ : ٢٠ اقرأ ص ١٥ : ١٣ – ١٦) .

ويزيد ذلك تحقيقاً ، أن نسله بحسب الجسد لم يأخذ مدينة أورشليم بالذات ؛ إلا فى أيام « داود الملك » وعن يده (٢ صم ٥ : ٦ و ٧) ، أى بعد دخولهم أرض كنعان بمئات السنين ، وأكثر من هذا وذاك ، أن الفكر عن « أورشليم الحاضرة » لا يمكن ، بأية طريقة كانت ، أن يدخل فى ذلك العهد الذى قطعه الله مع « أبرام » قائلا : « أما أنا فهوذا عهدى معك وتكون « أباً » لجمهور من الأمم ، فلا يدعى اسمك ،

بعد «أبرام» بل يكون اسمك «إبراهيم» لأنى أجعلك «أباً» لجمهور من الأمم وأثمرك كثيراً جداً وأجعلك أمماً ، وملوك منك يخرجون» (قابل تك ١٧ : ٤ — ٦ مع رو ٤ : ١٣ — ١٧ و ٩ : ٦ — ١٠ مع تك ٢١ : ١٢).

الآن ! وقد انتهينا من الصورة الأولى من الصور الثلاث التى سبق أن ذكرناها عن فاعلية الإيمان فى «ابراهيم وإسحق ويعقوب» وهى الصورة التى ترينا فاعلية الإيمان فى هؤلاء الثلاثة مندمجين معاً فى شخصية «إبراهيم» كما رأينا فى شرح (ع ٨ — ١٠). وكان يمكننا أن نتقدم إلى الصورة الثانية التى تصور لنا هؤلاء الثلاثة فى إيمانهم معاً كما هو واضح فى (ع ١٣ — ١٦). إلا أن العهد الذى قطعه الله مع «ابرام» ليكون «إبراهيم» — «أبا لجمهور من الأمم» — هذا العهد — قد شمل أيضاً «ساراى» امرأة «إبراهيم» التى تغير اسمها إلى «سارة» فى نسبتها إلى ذلك العهد (اقرأ تك ١٧ : ١٥ — ٢١) : لذلك يأتى بنا الكاتب فى سياق كلامه ، عن «إبراهيم» إلى : —

«سارة» عب ١١ : ١١ و ١٢)

١١ بِالْإِيمَانِ سَارَةُ نَفْسُهَا أَيْضاً أَخَذَتْ قُدْرَةً عَلَى إِنْشَاءِ نَسْلٍ وَبَعْدَ وَقْتِ ٱلسِّنِّ وَلَدَتْ إِذْ حَسِبَتِ ٱلَّذِي وَعَدَ صَادِقًا. ١٢ لِذٰلِكَ وُلِدَ أَيْضاً مِنْ وَاحِدٍ وَذٰلِكَ مِنْ مُمَاتٍ مِثْلُ نُجُومِ ٱلسَّمَاءِ فِي ٱلْكَثْرَةِ وَكَالرَّمْلِ ٱلَّذِي عَلَى شَاطِئِ ٱلْبَحْرِ ٱلَّذِي لَا يُعَدُّ.

فى هاتين الآيتين يخبرنا الرسول عن فاعلية الإيمان فى امرأة : الأمر الذى يحقق لنا القول الصريح الذى سبق أن ذكره ذات الرسول وكرره مراراً وتكراراً : «ليس ذكر وأنثى ، لأنكم جميعاً واحد فى المسيح يسوع» (راجع شرح غل ٣ : ٢٨ للمؤلف اقرأ ١ كو ١١ : ١١ مع رو ١٦ : ١ — ٦ و ١٢ و ١٣ و ١٥). وكما قيل عن إبراهيم أنه يكون أباً لجمهور من الأمم ، قيل بذات المعنى عن «سارة» «التى صرتن أولادها ، صانعات خيراً وغير خائفات خوفاً البتة» (١ بط ٣ : ٦). فلا عجب

أن الرسول ، بعد ما انتهى من الكلام عن فاعلية الإيمان فى إبراهيم ، يعقب عليه فى الكلام عن فاعلية الإيمان فى : —

« سـارة » :

حيث نتبين اسمها « بالإيمان » سارة نفسها ، أيضاً (ع ١١) : — ثقتها بالوعد « إذ حسبت الذى وعد صادقاً » (ع ١١) ، قدرتها الإنشائية « أخذت قدرة على إنشاء نسل » (ع ١١) ، — ولادتها « وبعد وقت السن ولدت » (ع ١١) ، كثرة النسل « مثل نجوم السماء فى الكثرة . وكالرمل الذى على شاطىء البحر الذى لا يعد » (ع ١٢) : وهذا كله سنبينه بإرشاد روح الرب فى شرح هاتين الآيتين :

« بالإيمان سارة نفسها ، أيضاً » :

« سارة » شخصية معروفة مذكورة فى الكتب المقدسة — وشهرتها أنها زوجة شرعية « لأبينا إبراهيم » الذى سبق الكلام عنه : أما اسمها فقد كان أولا « ساراى » (تك ١١ : ٣١ و ١٢ : ٥ و ١٣ : ١٦ و ١٧ و ١٦ : ١ و ٣ و ٦ و ٨) . وهو اسم مشتق من أصل عبرى هو ، عربياً من باب سرا يسرو (فعل واوى لا يائى) . ومنه سروات القوم أى سادتهم ورؤساؤهم ، وهذا هو معنى الاسم « ساراى » وهو ينطبق انطباقاً تاماً على نسبتها إلى هاجر ، كما يتبين من الحديث بين هاجر وملاك الرب فى قولها : « أنا هاربة من وجه مولاتى « ساراى » وقول الملاك لها « ارجعى إلى مولاتك واخضعى تحت يديها » (تك ١٦ : ٨ و ٩) .

ولكن الله ، له المجد ، لما قطع العهد مع « ابرام » ليكون « إبراهيم » ، رفع من ساراى ياء النسبة للتخصيص ، لتكون ، على وجه الإطلاق « سارة » أى مولاة أو أميرة ، كما يتبين من قوله له : « ساراى ، امرأتك لا تدعوا اسمها « ساراى » بل اسمها « سارة » . . . أباركها فتكون أمماً ، وملوك شعوب منها يكونون » (تك ١٧ : ١٥ و ١٦) ، بهذه البركة دخلت « ساراى » فى العهد المقدس الذى قطعه الرب مع « أبرام » ليكون « إبراهيم » — « أباً لجمهور من الأمم » و « ملوك منه يخرجون » (تك ١٧ : ٥ و ٦ ورو ٤ : ١٧) ، هكذا ، كما تغير اسم « أبرام » من التخصيص إلى « إبراهيم »

للتعميم ، تغير اسم « ساراى » من التخصيص إلى « سارة » للتعميم ، على هذا الأساس يبنى الرسول قوله : « بالإيمان سارة نفسها » : —

« أيضــاً » :

الكلمة «أيضاً» هنا ، فى معناها ، توحى إلينا بأن الرسول يعود بنا إلى أبطال الإيمان المشهود لهم فى الآيات السابقة ، ومنهم « إبراهيم » أبو المؤمنين ؛ ليدخل بينهم ويضيف إليهم « سارة » كشخصية لها مكانها مع الشخصيات السابقة الذكر ، ولوأنها من الإناء «النسائى الأضعف » الذى استضعفته الحية القديمة وأغوته فى شخص «حواء» أم كل حى (قابل تك ٣ : ١ — ٦ و ٢٠ مع ١ تى ٢ : ١٣) .

وهنا يجدر بنا أن نذكر أن الرسول ، أيضاً ، ذكر بين أبطال الإيمان بعض الشخصيات الأخرى من هذا الإناء النسائى الأضعف ، ومنهن يوكابد أم موسى التى ذكرت ، ضمناً ، دون ذكر اسمها (ع ٢٣) ، وراحاب الزانية (ع ٣١) ، وبعض النساء اللواتى أخذن أمواتهن بقيامة (ع ٣٥ انظر شرح هذه الأعداد الثلاثة) ، الأمر الذى يدل دلالة واضحة على أن الآب السموى قد «أهل» هذا « الإناء النسائى الأضعف» لشركة « ميراث القديسين فى النور » (كو ١ : ١٢) ، تحقيقاً لقول الرسول بولس عن المرأة أنها « ستخلص بولادة الأولاد إن ثبتن فى الإيمان والمحبة والقداسة مع التعقل » (١ تى ٢ : ١٥) . وعلى هذا الأساس الذى وضع من السماء ، يقول الرسول بطرس للرجال : «كونوا ساكنين ، بحسب الفطنة ، مع الإناء النسائى » كالأضعف معطين إياهن كرامة ، كالوارثات ، أيضاً ، معكم نعمة الحياة » (١ بط ٣ : ٧) .

أو لم نسمع ؟ عن بعض النساء اللواتى كن يسرن مع السيد المسيح فى رحلاته التبشيرية ؟ وكن يخدمنه من أموالهن ؟ (لو ٨ : ١ — ٣) بل كن أول من رأوه بعد قيامته مرسلات خصيصاً من الملائكة ، لإذاعة هذا الخبر ؟ (قابل مت ٢٨ : ٥ — ٧ مع مر ١٦ : ٥ — ٧ مع لو ٢٤ : ٤ — ٩ و ٢٢ و ٢٣) . أو لم تكن مريم المجدلية أول من أرسلها « رب المجد » نفسه لتخبر تلاميذه بقيامته المجيدة من الأموات » ؟ (يو ٢٠ : ١٧ اقرأ ع ١ — ١٧) .

أولا يكفى لإعطاء المرأة كرامتها اللائقة ، أن السيد نفسه ، له المجد ، قد ولد من عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود إذ حبل به فيها من الروح القدس الذى حل عليها بقوة العلى التى ظللتها ؟ (قابل لو ١ : ٢٦ — ٣٥ مع مت ١ : ١٨ — ٢٥ مع لو ٢ : ٤ — ٧) . فلا عجب ! أن يقول الرسول هنا : « بالإيمان سارة نفسها ، أيضاً » : —

« أخذت قدرة « على إنشاء نسل » :

فى هذه العبارة يمكننا أن نرى أمرين : أولها : — ضمنى : وثانيهما : — علنى :
أما الأمر الضمنى — : فهو الحالة التى كانت عليها « سارة » عند إعطاء الوعد بالنسل : وهى حالة عدم « القدرة على إنشاء نسل » وقد كان هذا أمراً واقعياً يتضح جلياً فى قول أبرام للرب عندما ترأى له ، قائلا : « لا تخف يا أبرام ، أنا ترس لك ، أجرك كثير جداً » فقال أبرام : « أيها السيد الرب ! ماذا تعطينى ؟ وأنا ماض « عقيما » ومالك بيتى هو أليعازر الدمشقى » ؟ (تك ١٥ : ١ و ٢) .

وإذا أردنا أن نبحث موضوع هذا العقم بحثاً دقيقاً ، نستطيع أن نتحقق اتصاله « بساراى » دون « أبرام » وهذا ايتبين بصورة واضحة فى اعتراف « ساراى » فى قولها لأبرام : « هوذا الرب قد أمسكنى عن الولادة ، أدخل على جاريتى ؛ لعلى أرزق منها بنين » . « فسمع أبرام لقول ساراى ؛ فأخذت ساراى امرأة أبرام « هاجر المصرية » جاريتها ، من بعد عشر سنين ؛ لإقامة أبرام فى أرض كنعان ، وأعطتها لأبرام رجلها زوجة له ، فدخل على هاجر فحبلت » (تك ١٦ : ١ — ٤) . وقد كان له من العمر حينئذ خمس وثمانين سنة (قابل تك ١٢ : ٤ و ١٦ : ٣) .

إذا كانت ساراى ، فى ذلك الوقت « عقيمة » لا تقدر البتة على « إنشاء نسل » ، وقد تكرر اعترافها بهذا العقم مرة أخرى ، عند سماعها قول الرب « لإبراهيم » : « أين سارة امرأتك » ؟ فقال : « ها هى فى الخيمة » فقال الرب : « إنى أرجع إليك ؛ نحو زمان الحياة ، ويكون لسارة امرأتك ابن » . وكانت سارة سامعة ، فى باب الخيمة ، وهو وراءه . وكان إبراهيم وسارة شيخين متقدمين فى الأيام : وقد انقطع أن يكون « لسارة » عادة كالنساء ، فضحكت سارة فى باطنها قائلة : « أبعد فنائى يكون لى تنعم ؟ وسيدى قد شاخ » ؟ (تك ١٨ : ٩ — ١٢) .

فقد كانت سارة نحو تسعين سنة ، ويضاف ، إلى تقدم هذه السن أنه « قد انقطع أن يكون لها عادة كالنساء » . وإذا أضفنا إلى ذلك ، العقم الطبيعي الذي سبقت الإشارة إليه ، تتجلى ، أمامنا حقيقة الوصف الذي وصفه الرسول لحالة سارة الطبيعية ، حيث قال في هذا الصدد : « مماتية مستودع سارة » (رو ٤ : ١٩) . هذا هو الأمر الضمني الذي فيه تبينا في «سارة » عدم القدرة الطبيعية على «إنشاء نسل» ، فمن أين ؟ « سارة نفسها ، أيضاً ، أخذت» : —

« قدرة على إنشاء نسل » :

وهنا نرى الأمر الثاني المعلن في كلمة الوحي المقدس عن المصدر الحقيقي الذي منه استمدت سارة «قدرة» على إنشاء نسل . وهل يحتاج الأمر إلى بحث وتنقيب ؟ وهل هنالك مصدر آخر أو علة أخرى ؟ غير المصدر الوحيد وعلة العلل ؟ . هذا هو الأمر الذي تجلى أمام عين إبراهيم بصورة مكشوفة ، كما هو مكتوب : « إني قد جعلتك أباً لأمم كثيرة ، أمام الله الذي آمن به الذي « يحيي الموتى » ، ويدعو الأشياء غير الموجودة ، كأنها موجودة » (رو ٤ :١٧) . «وهل يستحيل على الرب شيء » ؟ (تك ١٨ : ١٤) .

ولعل هذه القدرة الفائقة على «إنشاء نسل » ! لم تكن سوى صورة رمزية لتلك القدرة العجيبة التي ليس لها مثيل في كل تاريخ البشرية ، من بدء الخليقة إلى انقضاء الدهور . وهي « قدرة على إنشاء نسل » من « عذراء مخطوبة لرجل » . « قبل أن يجتمعا » . « قدرة » بمجرد الخبر عنها يدهش العقول ويحير الأفكار والألباب المبرهجة عبرت عنها العذراء نفسها قائلة : « كيف يكون هذا : وأنا لست أعرف رجلا » ؟ (لو ١ : ٣٤) .

وكم كان اندهاش رجلها إلى درجة ، إذ رآها حبلى «أراد تخليها سراً» إذ « لم يرد أن يشهرها » محافظة عليها من حكم الشريعة الموسوية التي تقضي برجمها (تث ٢٢ : ٢٣ و ٢٤) : قدرة لا يستطيعها إلا « الروح القدس » « وقوة العلي » كما يتضح من قول جبرائيل للعذراء ، رداً على سؤال اندهاشها « كيف يكون هذا ؟ وأنا لست أعرف

رجلا » ؟ فأجاب الملاك وقال لها « الروح القدس يحل عليك وقوة العلى تظللك » (قابل لو ١ : ٢٦ – ٣٥ مع مت ١ : ١٨ – ٢٠) .

هذا هو الأمر المعلن الخاص « بالقدرة على إنشاء نسل » ، قدرة فائقة الطبيعة ، فعالة فى إزالة العقم بالرغم من الشيخوخة وانقطاع عادة النساء ، قدرة أخرجت من الميت حياً ، هذه هى القدرة التى قيل فيها عن « سارة » : –

« أخـذت » :

« قدرة على إنشاء نسل » : وهذا يأتى بنا إلى السؤال ، كيف « أخذت » سارة هذه القدرة ؟ وهل كان يمكن لسارة أن تأخذ قدرة كهذه ، لم تعط لها ؟ إذاً فالحقيقة هى : أن الله نفسه ، بنفسه ، أعطاها قدرة لتأخذ « قدرة على إنشاء نسل » . فمن ذاتها لم يكن ممكناً لها أن تأخذ هذه القدرة . وهذا واضح جلياً كونها ، عندما سمعت قول الرب بأن سيكون « لسارة ابن » . « ضحكت فى باطنها » قائلة : « أبعد فنائى يكون لى تنعم ؟ وسيدى قد شاخ » ؟ (تك ١٨ : ١٢) . فكيف ، والحالة هذه ، يقال ؟ « بالإيمان سارة . . أخذت قدرة على إنشاء نسل » ؟ : –

« وبعد وقت السن ولدت » :

هنا ، أيضاً تظهر القدرة على « إنشاء نسل » لا بمجرد الكلام ؛ بل بالعمل والحق فإن سارة ولدت فعلا مولوداً ، وأنجبت نسلا حقاً ؛ كما يتضح من التاريخ النبوى ؛ حيث قيل : « وافتقد الرب سارة ؛ كما قال : وفعل الرب لسارة كما تكلم ؛ فحبلت سارة وولدت لإبراهيم « ابناً » فى شيخوخته ؛ فى الوقت الذى تكلم الله عنه » (تك ٢١ : ١ و ٢) : على أساس هذا التاريخ النبوى يقول الرسول إن سارة « ولدت » : –

« بعد وقت السن » :

لقد كانت سارة حينئذ فى التسعين من العمر ، وهى سن « الفناء » الذى وصفته هى نفسها ، قائلة « أبعد « فنائى » يكون لى تنعم » ؟ (تك ١٨ : ١٢) . وقد كان إبراهيم فى سن الشيخوخة » (قابل تك ١٨ : ١١ و ١٢ مع ٢١ : ٢) . إذ كان فى ذلك الوقت ابن مئة سنة (تك ١٧ : ١٧ مع ٢١ : ٥) .

فلا عجب إذا دعى هذا المولود الذى ولدته سارة ، باسم «إسحق » واللفظ العبرى لهذا الاسم هو نفس اللفظ العبرى العربى للكلمة « يضحك » وذلك لثلاث مناسبات : — الأولى عند كلام الرب مع « إبراهيم » قائلا : « سارای امرأتك ، لا تدعو اسمها « سارای » بل اسمها « سارة » وأباركها وأعطيك منها ابناً فسقط إبراهيم على وجهه « وضحك » ولكن الرب أكد له الأمر قائلا : « بل سارة امرأتك تلد لك ابناً ، وتدعو اسمه إسحق » (اقرأ تك ١٧ : ١٥ — ١٩) .

أما المناسبة الثانية فقد كانت ، أيضاً ، لذات الكلام الذى تكلم به الرب مع إبراهيم ، قائلا : « إنى أرجع إليك ، نحو زمان الحياة ، ويكون لسارة ابن » : وكانت سارة سامعة ، فضحكت فى باطنها » (تك ١٨ : ١٠ — ١٢) .

أما المناسبة الثالثة فهى عند ولادة هذا الابن ، حيث قالت سارة : « قد صنع إلىّ الله « ضحكاً » ، كل من يسمع « يضحك لى » (اقرأ تك ٢١ : ٦) ، لمناسبة هذا الضحك ، هذا الابن المولود دعى « اسحق » كما قال : « سارة امرأتك تلد لك ابناً وتدعو اسمه إسحق » (قابل تك ١٧ : ١٩ مع ٢١ : ٣ اقرأ ع ١ — ٨) .

هذا يأتى بنا إلى سر القدرة التى أخذتها سارة لإنشاء نسل ، كما يعبر الرسول عنها ، قائلا : « بالإيمان سارة نفسها ، أيضاً ، أخذت قدرة على إنشاء نسل ، وبعد وقت السن ولدت » : —

« إذ حسبت الذى وعد صادقاً » :

هذا السر الدفين الذى يرجع بنا إلى القول : « بالإيمان سارة . . أخذت قدرة على إنشاء نسل » . وما أعظم قوة الإيمان وفاعليتها ! تلك القوة الفعالة التى تستطيع أن تثق بالقول النبوى الأكيد : « لا بالقدرة ولا بالقوة بل « بروحى » قال رب الجنود » ، فتهتف ، بنغمة الافتخار ، قائلة : « من أنت أيها الجبل العظيم » ؟ (زك ٤ : ٦ و ٧) . هى تلك القوة التى لا تقاوم ، التى معها وأمامها « كل وطاء يرتفع ، وكل جبل وأكمة ينخفض ، ويصير المعوج مستقيما والعراقيب سهلا » (إش ٤٠ : ٤) . هذه هى القوة

التي أعطيت من الله لسارة ، فقضت على العقم ونفت ضعف الشيخوخة ولم تبال بانقطاع عادة النساء ، فجددت الشباب وأزالت الموتان ، وأعطت « قدرة » على إنشاء نسل ، هي قوة الإيمان بالله : —

« الذي وعد » :

هو « الرب » : « إله المجد » الذي « ظهر لأبينا إبراهيم وهو في ما بين النهرين » (قابل أع ٧ : ٢ مع تك ١٢ : ١) : ودعاه ليخرج من أرضه ويذهب إلى أرض الموعد » وهناك « ظهر له ، وقال : « لنسلك أعطي هذه الأرض » (اقرأ تك ١٢ : ٧ و ١٣ : ١٤ — ١٧) . ولم يكن لأبرام نسل في ذلك الوقت . وإذ قال للسيد الرب « ماذا تعطيني ! وأنا ماض عقيماً » ؟ « أخرجه إلى خارج » وقال : « انظر إلى السماء وعد النجوم ، إن استطعت أن تعدها » وقال له : « هكذا يكون نسلك » (تك ١٥ : ٢ — ٥) .

هكذا أعطى الله الوعد « لأبرام » : « بنسل » ثم عاد فكرر هذا الوعد ، قائلا له : « أنا إيل شداي — الله القدير — سر أمامي وكن كاملا ، فأجعل عهدي بيني وبينك وأكثرك كثيراً جداً . . . فلا يدعى اسمك ، بعد « أبرام » بل يكون اسمك « ابراهيم » لأني أجعلك أباً لجمهور من الأمم » (اقرأ تك ١٧ : ١ — ٧ مع رو ٤ : ١٧) . محدداً هذا النسل بقوله ، أيضاً : « ساراي امرأتك لا تدعو اسمها ساراي بل اسمها « سارة » وأباركها وأعطيك ، أيضاً ، منها ابناً ، أباركها فتكون أمماً وملوك شعوب « منها يكونون » (تك ١٧ : ١٥ — ١٦) .

وإذ « سقط إبراهيم على وجهه وضحك » ، وقال في قلبه : « هل يولد لابن مئة سنة ؟ وهل تلد سارة وهي بنت تسعين ؟ . . . ليت إسمعيل يعيش أمامك » . عاد الله فأثبت هذا التحديد بالقول : « بل سارة امرأتك تلد لك ابناً وتدعو اسمه اسحق » ثم عاد فشدد هذا التحديد بسؤاله « إبراهيم » قائلا : « أين سارة امرأتك ؟ . . . إني أرجع إليك ، نحو زمان الحياة ، ويكون لسارة ابن » وإذ ضحكت سارة في باطنها وقالت « أبعد فنائي يكون لي تنعم ؟ وسيدي قد شاخ » ؟ أكد هذا الوعد مكرراً القول :

«هل يستحيل على الرب شيء ؟ في الميعاد أرجع إليك نحو زمان الحياة ويكون لسارة ابن » (تك ١٨ : ٩ — ١٤) . هكذا « بالإيمان سارة نفسها أيضاً أخذت قدرة على إنشاء نسل . وبعد وقت السن ولدت : —

« إذ حسبت . . . صادقاً » :

« حسبت الذى وعد « صادقاً » وكيف يكون هذا الحسبان ؟ ألم نسمع أنها ، عندما سمعت كلام الرب بشأن هذا الوعد ؟ « ضحكت في باطنها ، قائلة : « أبعد فنائى يكون لى تنعم وسيدى قد شاخ » ؟ (تك ١٨ : ١٢) . فكيف يقال إذاً إنها آمنت ؟ وأنها « حسبت الذى وعد صادقاً » ؟ .

إن قائل هذا القول — « حسبت أن الذى وعد صادقاً » — هو « كاتب متعلم في ملكوت السموات . . . يخرج من كنزه جدداً وعتقاء » (مت ١٣ : ٥٢) ، بوحى « الروح القدس » فلابد أنه قال قولته هذه بذلك الوحى الإلهى الصادق الذى لا يكذب فهو قول حقيقى ، ولعل حقيقته تنسب إلى قوة تأكيد « الوعد » مراراً وتكراراً . ذلك التأكيد الذى ، ولابد ، عمل عمله في قلب سارة فولد من « الضحك » ثقة ورجاء ! « فحسبت الذى وعد صادقاً » .

هنا يتمثل لنا « الإيمان » في صورته الحقيقية ، ونسبته إلى الوعد الإلهى . فإننا ، إذ نؤمن بالله الذى يتكلم ، نثق بكلامه وبخاصة إذا كان كلامه « وعداً » فلابد أن نؤمن بالوعد ، واثقين ثقة تامة ؛ لأن ليس الله إنساناً ؛ فيكذب ، ولا ابن إنسان ، فيندم ، هل يقول ولا يفعل ؟ أو يتكلم ولا يفى » ؟ (قابل عد ٢٣ : ١٩ مع ١ صم ١٥ : ٢٩ مع رو ١١ : ٢٩) .

فكم إذا دعم الله وعده بقسم « فإنه ، لما وعد الله « إبراهيم » إذ لم يكن له أعظم يقسم به ، أقسم بنفسه ، قائلا : « إنى . . أباركك مباركة وأكثر نسلك تكثيراً » (تك ٢٢ : ١٧ راجع شرح ص ٦ : ١٣ — ٢٠) . فلنتحقق « أن ، مهما كانت مواعيد الله ، فهو (له المجد) « فيه النعم وفيه الآمين « لمجد الله » بواسطتنا » (قابل ٢ كو ١ : ٢٠ مع رو ١ : ٥ و ٣ : ١٤) .

هذا يوقفنا أمام « شهادة يسوع » التى قال فيها الملاك ليوحنا الرائى : « أنا عبد معك ومع إخوتك الذين عندهم شهادة يسوع ... فإن شهادة يسوع هى روح النبوة » (رؤ ١٩ : ١٠) . شهادته فى الأنبياء « بروحه » التى عبر عنها الرسول بطرس بالقول : « الخلاص الذى فتش وبحث عنه « أنبياء » . . . باحثين ، أى وقت ؟ أو ما الوقت ؟ الذى كان يدل عليه « روح المسيح » الذى فيهم ، إذ سبق فشهد بالآلام التى للمسيح والأمجاد التى بعدها » (١ بط ١ : ١٠ و ١١ قابل ٢ بط ١ : ١٩ — ٢١) .

إزاء هذه الشهادة ، شهادة يسوع فى الأنبياء عن آلامه وأمجاده (اقرأ إش ٥٢ : ١٣ — ٥٣ : ١٢) ، مقرونة بشهادة الآب عن ابنه (قابل يو ١ : ٣٢ — ٣٤ و ٣ : ٣١ — ٣٦ انظر مت ٣ : ١٦ و ١٧ و ١٧ : ٥ مع مر ١ : ١١ و ٩ : ٧ مع لو ٣ : ٢٢ و ٩ : ٣٥ مع ٢ بط ١ : ١٦ — ١٨) . نجد أنفسنا فى موقف خطير إزاء مسئولية عظمى ، أشار إليها الرسول يوحنا ، قائلا : « إن كنا نقبل شهادة الناس ، فشهادة الله أعظم ، لأن هذه هى « شهادة الله » التى قد شهد بها عن ابنه . . . من لا يصدق الله فقد جعله « كاذباً » لأنه لم يؤمن بالشهادة التى قد شهد بها الله عن ابنه » (اقرأ ١ يو ٥ : ٩ — ١٢) .

مسئولية ما أشدها خطراً ! توقفنا أمام الديان العظيم لديتونة ما أمرها وأرهبها ! بينها السيد نفسه فى قوله لليهود : « لا تظنوا إنى أشكوكم إلى الآب ، يوجد الذى يشكوكم ، وهو « موسى » الذى عليه رجاؤكم ، لأنكم لو كنتم تصدقون « موسى » لكنتم تصدقوننى ، لأنه هو كتب عنى ، فإن كنتم لستم تصدقون « كتب ذاك » فكيف تصدقون كلامى » ؟ (يو ٥ : ٤٥ — ٤٧) ، وإن كان الذى « عليه رجاؤنا » يقف ضدنا ، موقف المدعى والمشتكى علينا ، فماذا يكون المصير ؟ وكيف نهرب من ديتونة جهنم ؟ . فلنحذر ولنحذر حذو « سارة » التى « بالإيمان . . . أخذت قدرة على إنشاء نسل ، إذ حسبت الذى وعد صادقاً » : —

(ع ١٢) « لذلك ولد ، أيضاً ، من واحد وذلك من ممات » :

في هذه الجملة لم تتعين الشخصية المعبر عنها بلفظ « واحد » في القول « ولد ، أيضاً ، من « واحد » وذلك من ممات » . وهل هذا « الممات » ؟ هو ذلك « الواحد »؟ وإذا كان الأمر كذلك ، يكون « الواحد » هو « إبراهيم » و« سارة » معاً ، لا في شخصيهما ، بل في عقمهما الذي عبر عنه الرسول في قوله عن إبراهيم « إذ لم يكن ضعيفاً في الإيمان ، لم يعتبر جسده ، وهو قد صار « مماتاً » إذ كان نحو ابن مئة سنة ، ولا « مماتية » مستودع « سارة » (رو ٤ : ١٩) . وهو قول يشهد به إبراهيم عن نفسه في قوله : « ماذا تعطيني وأنا ماض « عقيماً » ؟ (تك ١٥ : ٢) .

وهي شهادة يؤيدها كونه « سقط على وجهه وضحك » عندما سمع قول الله عن سارة ، أباركها وأعطيك ، أيضاً ، منها ابناً » وقال : «ليت إسمعيل يعيش أمامك» (اقرأ تك ١٧ : ١٥ — ١٨) : وتؤيدها ، أيضاً ، سارة نفسها : إذ أنها لما سمعت ملاك الرب يقول لإبراهيم : « يكون لسارة امرأتك ابن » . « ضحكت في باطنها » وقالت : « أبعد « فنائي » يكون لي تنعم ؟ وسيدي قد شاخ » ؟ (اقرأ تك ١٨ : ٩ — ١٤) . على هذا الأساس الكتابي الصريح : يقول الرسول هنا : —

« ولد ، أيضاً ، من واحد وذلك من ممات »

مبعداً كل تصور عن كل مواليد « الجسد » ، موجهاً كل النظر والفكر إلى أبناء « الموعد » كما عبر قائلا : « ليس جميع الذين من إسرائيل هم إسرائيليون ، ولا لأنهم من نسل إبراهيم هم جميعاً أولاد ؛ بل « بإسحق » يدعى لك نسل » ، أي ليس « أولاد الجسد » هم أولاد الله ؛ بل « أولاد الموعد » يحنسبون نسلا » (رو ٩ : ٦ — ٨) .

أما كلمة الموعد التي هي : « لأنه بإسحق يدعى لك نسل » (تك ٢١ : ١٢) . فلها مقارنة بالقول : « وابن الجارية ، أيضاً ، سأجعله أمة ؛ لأنه « نسلك » (تك ٢١ : ١٣) . وما أعظم الفرق ! بين القول لإبراهيم « بإسحق يدعى لك نسل » وبين القول ، عن إسمعيل : «لأنه نسلك» مميزاً بين « ابن الموعد» الذي «ولد من ممات » بكلمة الوعد ، وبين ابن الجسد الذي ولد من هاجر الجارية بقوة جسدية طبيعية ؛ كما هو واضح جلياً من التاريخ النبوي (تقرأ تك ١٦) .

لذلك يميز الرسول بولس بين هذين الابنين ، أى بين ابن الموعد وابن الجسد ، قائلا : « كان لإبراهيم ابنان : واحد من الجارية والآخر من الحرة ، لكن الذى من الجارية ولد « حسب الجسد » وأما الذى من الحرة « فبالموعد » وكل ذلك رمز ؛ لأن هاتين هما العهدان : « أحدهما : من جبل سيناء » الوالد « للعبودية » الذى هو « هاجر » لأن « هاجر » « جبل سيناء » فى العربية (العربية هنا اسم المكان) . ولكنه (أى جبل سيناء) يقابل « أورشليم الحاضرة » فإنها « مستعبدة » مل بنيها ، وأما « أورشليم العليا » (ثانية العهدين) التى هى أمنا جميعاً فهى حرة » (انظر شرح غل ٤ : ٢١ — ٥ : ١ للمؤلف) .

حيث نرى أحد العهدين رمزاً لكل أبناء الجسد سواء بالنسبة إلى هاجر الجارية أو بالنسبة إلى جبل سيناء الوالد للعبودية أو بالنسبة إلى أورشليم الحاضرة المستعبدة مع بنيها ؛ حيث يتجلى سر العبودية للخوف من الموت الذى منه صرخ الشعب عند جبل سيناء قائلين : « لماذا نموت ، لأن هذه النار العظيمة تأكلنا إن عدنا نسمع صوت الرب إلهنا ، أيضاً ، نموت » (تث ٥ : ٢٤ و ٢٥ اقرأ ع ١٣ — ٢٦ مع خر ١٩ : ١٨ و ١٩ و ٢٠ : ١٨ و ١٩ انظر شرح ص ١٢ : ١٨ — ٢١) .

وما أعظم الفرق ! بين عهد العبودية والخوف من الموت لمواليد « الجسد » ، وبين عهد الحرية والعتق الأبدى لأبناء « الموعد » الذى قيل عنهم : « إذ قد تشارك الأولاد (« أبناء الموعد ») فى اللحم والدم ، اشترك هو . أيضاً ، كذلك فيهما ؛ لكى يبيد ، بالموت ، ذاك الذى له سلطان الموت — أى « إبليس » ويعتق أولئك الذين ، خوفاً من الموت ، كانوا ، جميعاً ، كل حياتهم ؛ تحت العبودية » (راجع شرح ص ٢ : ١٤ و ١٥) .

أما إذا سرنا مع « كلمة الموعد » تاريخيا ، نراها وقد بدأت بقول الله لإبراهيم : « وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض » (تك ١٢ : ٣) ، إلى أن « توسط بقسم » وإذ لم يكن له أعظم يقسم به أقسم بنفسه قائلا : « إنى ؛ من أجل أنك فعلت هذا الأمر ، ولم تمسك ابنك وحيدك ، أباركك مباركة . . . ويتبارك فى نسلك جميع أمم الأرض » (تك ٢٢ : ١٦ — ١٨ راجع شرح ص ٦ : ١٣ — ٢٠) .

إلى «كلمة الموعد» هذه ، سواء عن «إبراهيم» أو عن «نسله» يشير الرسول بولس ، أيضاً ، فى قوله : «فإنه ، ليس بالناموس كان الوعد «لإبراهيم» أو «لنسله» أن يكون وارثاً للعالم بل ببر الإيمان» (رو ٤ : ١٣) . ذلك «النسل» الذى به «تتبارك جميع أمم الأرض» (تك ٢٢ : ١٨) ، ذلك «النسل» الذى لم يكن إسحق إلا مجرد صورة تمثيلية رمزية له ؛ بوصف كونه الابن الوحيد «ابن الموعد» كما اعترفت به السماء فى قول الله لإبراهيم ، «خذ ابنك وحيدك الذى تحبه اسحق ، واذهب إلى أرض المريا ، وأصعده هناك محرقة على أحد الجبال الذى أقول لك» (تك ٢٢ : ٢) : حيث نرى فى هذا التعبير ثلاثة أوجه شبه فى إسحق كرمز للمسيح .

الوجه الأول : أنه الابن «الوحيد» : مرموزاً إليه باسحق ، فى قول الرب عنه : «خذ ابنك وحيدك» كما يظهر من الشواهد الآتية : — «الابن الوحيد الذى فى حضن الآب» (يو ١ : ١٨) ، «الكلمة» الذى «صار جسداً وحل بيننا ورأينا مجده ، مجداً كما «لوحيد» من الآب ، مملوءاً نعمة وحقاً» (قابل يو ١ : ١٤ و ٣ : ١٦ و١٨ و١ يو ٤ : ٩) .

الوجه الثانى : أنه الابن «الحبيب» : — مرموزاً إليه «باسحق» فى قول الرب عنه : «الذى تحبه» كما يظهر من الشواهد الآتية : «هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت» (مت ٣ : ١٧ و ١٧ : ٥ مع مر ١ : ١١ و٩ : ٧ مع لو ٣ : ٢٢ و٩ : ٣٥) ؛ «ابن واحد حبيب» (مر ١٢ : ٦) . «الآب يحب الابن وقد دفع كل شئ فى يده» (يو ٣ : ٣٥) . «لأن الآب يحب الابن ويريه جميع ما هو يعمله» (يو ٥ : ٢٠) . «كما أحبنى الآب» (يو ١٥ : ٩) .

الوجه الثالث : «بذل ابنه الوحيد» : — مرموزاً إليه «باسحق» فى قول الرب عنه : «خذ ابنك وحيدك . . وأصعده محرقة» كما يظهر من الشواهد الآتية : — «كما رفع موسى الحية فى البرية هكذا ينبغى أن يرفع ابن الإنسان . . . لأنه هكذا أحب الله العالم حتى «بذل ابنه الوحيد» (يو ٣ : ١٤ — ١٦) . «وأنا إن ارتفعت عن الأرض أجذب إلى الجميع ، قال هذا ، مشيراً إلى أية ميتة ، كان مزمعاً أن يموت» (يو ١٢ :

٣٢ و ٣٣) . « فماذا نقول لهذا ؟ إن كان الله معنا ، فمن علينا ؟ الذي لم يشفق على ابنه بل «بذله » لأجلنا أجمعين» (رو ٨ : ٣١ و ٣٢ اقرأ أيضاً مت ٢٦ : ٣٦ — ٤٦) .

هذا هو « الابن » « الوحيد » « الحبيب » — « نسل إبراهيم » الذي فيه « تتبارك جميع أمم الأرض » (تك ٢٢ : ١٨) . لذلك يقول الرسول ، معقباً : « وأما المواعيد فقيلت فى إبراهيم وفى نسله . . . « وفى نسلك الذى هو المسيح » (انظر شرح غل ٣ : ١٦) ، إلى أن قال : « فإن كنتم « للمسيح » فأنتم ، إذاً « نسل إبراهيم » ، وحسب الموعد « ورثة » (انظر شرح غل ٣ : ٢٩ للمؤلف) .

هذا هو النسل المبارك ، محور الدائرة ومركزها الذي فيه تتركز جميع المواعيد وكل ما يتعلق بها من رموز ورسوم وطقوس وفرائض ، وما أعظم البركة المشار إليها ! وما أسمى التعبير عنها في لغة الكلمة النبوية القائلة : « هوذا عبدي الذى أعضده « مختاري » الذي سرت به نفسي ، وضعت روحي عليه ؛ فيخرج الحق للأمم ، لا يصيح ولا يرفع ولا يسمع ، فى الشارع ، صوته ، قصبة مرضوضة لا يقصف ، وفتيلة خامدة لا يطفىء ، إلى الأمان يخرج الحق ، لا يكل ولا ينكسر ؛ حتى يضع الحق فى الأرض وتنتظر الجزائر شريعته » (إش ٤٢ : ١ — ٤) .

فأية بركة أعظم من أن تصير الأرض سماء بسيادة الحق الإلهي فيها ونصرته على كل أبواب الجحيم ! (انظر مت ١٦ : ١٦ — ١٨) ، بالصورة الرائعة والمجيدة التي صورها لنا رسول الأمم فى قوله : « إذ أسلحة محاربتنا ليست جسدية ؛ بل قادرة « بالله » على هدم حصون ، هادمين ظنوناً وكل «علو» يرتفع ضد معرفة الله ومستأسرين كل فكر إلى طاعة المسيح ، ومستعدين لأن ننتقم على كل عصيان ، متى كملت طاعتكم » (٢ كو ١٠ : ٤ — ٦ اقرأ أيضاً أف ٦ : ١٠ — ١٨) .

ومن يستطيع أن يقوم بهذه المأمورية العظمى ؟ مأمورية « وضع الحق فى الأرض » وتثبيته ونصرته ؟ وهو « لا يصيح ولا يسمع فى الشارع صوته » ؟ إلا ذلك « النسل » المبارك الموعود به الذى قال : « لهذا قد ولدت « أنا » ولهذا قد أتيت إلى العالم « لأشهد للحق » كل من هو من الحق يسمع صوتي » (يو ١٨ : ٣٧ اقرأ مت ١٢ : ١٨ — ٢١)

هذا هو « النسل » المبارك « نسل إبراهيم » ، النسل الموعود به « المسيح الرب » (لو ٢ : ١١) ، الذى أشار إليه الرسول بولس إشارة واضحة بالقول : « فإنه ، ليس بالناموس كان الوعد « لإبراهيم » أو « لنسله » أن يكون « وارثاً للعالم » بل ببر الإيمان » (رو ٤ : ١٣) .

أفهل نسمع فى هذا الصدد ؟ « ما يتكلم به الله الرب ؟ لأنه يتكلم بالسلام لشعبه ولأتقيائه ؛ فلا يرجعن إلى الحماقة ؛ لأن خلاصه قريب من خائفيه « ليسكن المجد فى أرضنا » ، الرحمة والحق التقيا ، البر والسلام تلاثما ؛ الحق من الأرض ينبت والبر من السماء يطلع » (اقرأ مز ٨٥ : ٨-١٣) . لذلك كان ، لابد ، أن يحقق الرب الوعد لإبراهيم ، مكرراً (قابل تك ١٧ : ١٥ و ١٦ مع ١٨ و ١٩) ، وهكذا لسارة ، أيضاً (قابل تك ١٨ : ١٠ مع ع ١٣ و ١٤) ، منبراً وموشحاً إياها بقوة الإيمان » ، الذى به « حسبت الذى وعد صادقاً » فحسب لها — « الإيمان » — براً : وأعطيت القدرة على إنشاء نسل . وبعد وقت السن ولدت . لذلك ولد ، أيضاً ، من واحد ، وذلك من ممات » :

« مثل نجوم السماء فى الكثرة » :

إذا رجعنا إلى نص قضية الموعد فى أصله ؛ نرى أنه ؛ بعد أن وعد الرب «أبرام» بنسل من أحشائه يرثه « أخرجه إلى خارج » وقال « انظر إلى السماء وعد النجوم إن استطعت أن تعدها » وقال له : « هكذا يكون نسلك » (تك ١٥ : ٥ اقرأ ع ١ — ٦) . وعندما قرب وقت إتمام «كلمة الموعد» أوضح « الله القدير » هذه القضية لأبرام بوعد أكثر صراحة ، قائلا : « أما أنا فهوذا عهدى معك ، وتكون « أباً لجمهور من الأمم » . فلا يدعى اسمك بعد « أبرام » بل يكون اسمك « إبراهيم » لأنى أجعلك أباً لجمهور من الأمم ، وأثمرك كثيراً جداً ، وأجعلك أمماً ، وملوك منك يخرجون » (تك ١٧ : ٤ — ٦) .

وقد زادت هذه القضية وضوحاً وتأكداً ، فى قول « الله القدير » أيضاً : « ساراى امرأتك لا تدعو اسمها ساراى بل اسمها سارة وأباركها ! وأعطيك أيضاً منها «ابناً» :

أباركها فتكون أمماً ، وملوك شعوب منها يكونون » (تك ١٧ : ١٥ و ١٦) ، هكذا انحصرت « كلمة الموعد » فى « نسل » يخرج من أحشاء « ابراهيم » و« سارة » ، هو ذلك النسل الذى قيل فيه ، سابقاً « لأبرام » « انظر إلى السماء وعد النجوم — إن استطعت أن تعدها — وقال له « هكذا يكون نسلك » (تك ١٥ : ٥) . فالإشارة فى كلمة الموعد واضحة متصلة بكثرة العدد الذى لا يحصى ولا يعد ، وهذه الإشارة إلى كثرة العدد تزداد وضوحاً ورسوخاً ، أيضاً فى القول : —

« وكالرمل الذى على شاطىء البحر الذى لا يعد » :

هذه الإشارة إلى كثرة ذلك النسل ترجع بنا ، أيضاً ، إلى هذه القضية فى أصلها كما عبر « إله المجد » لأبرام ، قائلا : « أجعل نسلك كتراب الأرض ؛ حتى إذا استطاع أحد أن يعد تراب الأرض ؛ فنسلك ، أيضاً ، يعد » (تك ١٣ : ١٦) .

وبالمقارنة بين « تراب الأرض » فى هذا الوعد وبين « نجوم السماء » فى ذات الوعد ، نجد أن وجه الشبه بين « تراب الأرض » و« نجوم السماء » ، إنما هو فى « الكثرة » لا فرق فى ذلك بين الأرض والسماء ولا بين التراب والنجوم ، فالأمر كله محصور فى القول : « حتى إذا استطاع أحد أن « يعد » تراب الأرض » وبين القول : « انظر إلى السماء « وعد » النجوم إن استطعت أن « تعدها » (قابل تك ١٣ : ١٦ مع ١٥ : ٥) . « فنسلك أيضاً يعد » . هكذا يكون نسلك » (قارن الآيتين معاً) .

فى هذه المقارنة نتحقق أن « النسل » الذى هو « فى الكثرة » ، « كتراب الأرض » « الذى لا يعد » . هو ذات « النسل » الذى هو « فى الكثرة » « كنجوم السماء » ، وهذا أمر نراه ، أكثر وضوحاً ، فى ضم الرسول هذين القولين معاً ، على النحو التالى : « مثل نجوم السماء فى الكثرة وكالرمل الذى على شاطىء البحر » . واضعاً « الرمل الذى على شاطىء البحر » مكان « تراب الأرض » ، وكل ذلك متصل بموضوع « الكثرة » عددياً ، وهذا يرجع بنا إلى ما أشار إليه كليم الله « موسى » فى كلامه مع شعب إسرائيل ، قائلا : « الرب إلهكم قد كثركم ، وهوذا أنتم اليوم « كنجوم السماء فى الكثرة » . الرب إله آبائكم يزيد عليكم مثلكم ألف مرة ويبارككم كما كلمكم » (قابل تث ١ : ١٠ و ١١ و ١٠ : ٢٢ و ٢٦ : ٥) .

على أن هذا التاريخ ؛ ليس إلا تاريخاً رمزياً تمثيلياً نبوياً عن الشعب المقدس — جماعة القديسين المختارين — « كنيسة الله التى اقتناها بدمه » (قابل أع ٢٠ : ٢٨ مع ١ بط ٢ : ٩) ، هم « جميع المعينين للحياة الأبدية » (أع ١٣ : ٤٨) — أولاد الله الذين لا يعرفهم العالم لأنه لا يعرف « الآب » (قابل يو ١٧ : ٢٥ مع ١ يو ٣ : ١و٢)، « كنيسة أبكار مكتوبين فى السموات » (انظر شرح ص ١٢ : ٢٣) .

هكذا رآهم يوحنا الرائى ، فقال : « نظرت وإذا جمع كثير لم يستطع أحد أن « يعده » من كل الأمم والقبائل والشعوب والألسنة ، واقفون أمام العرش وأمام « الخروف » (« حمل الله ») (يو ١ : ٢٩ و ٣٦) متسربلين بثياب بيض ، وفى أيديهم سعف النخل ، وهم يصرخون ، بصوت عظيم ، قائلين : « الخلاص لإلهنا الجالس على العرش وللخروف » (« حمل الله ») (رؤ ٧ : ٩ اقرأ ع ٩ — ١٧) . هؤلاء هم المقدسون الذين قدسهم المقدس (راجع شرح ص ٢ : ١١) . وأكملهم إلى الأبد « بقربان واحد » (راجع شرح ص ١٠ : ١٤) . وأتم فداءهم فى « يوم واحد » (قابل زك ٣ : ٩ مع يو ١٩ : ٣٠) .

ولعل على هذا الأساس الروحى المؤسس ! يبنى الرسول قوله : « كان الوعد لإبراهيم أو لنسله » أن يكون « وارثاً للعالم » « ببر الإيمان » (رو ٤ : ١٣ اقرأ ع ٩—١٦) . على اعتبار أنه ؛ إذ « آمن بالرب » الذى وعده بنسل ، حسب له ذلك الإيمان براً (تك ١٥ : ٦) .

فى هذا الإيمان الذى « حسبه له الرب براً » أصبح ابراهيم أباً لجميع المؤمنين فى كل العالم وبهذا المعنى صار وارثاً للعالم أى أباً لكل من يؤمن « بالله » . « الذى آمن به ، الذى يحيي الموتى ، ويدعو الأشياء غير الموجودة كأنها موجودة . فهو ، على خلاف الرجاء ، آمن على الرجاء ؛ لكى يصير « أباً لأمم كثيرة » كما قيل : « هكذا يكون نسلك » . وإذ لم يكن ضعيفاً فى الإيمان ، لم يعتبر جسده وهو قد صار « مماتاً » ، ولا مماتية مستودع سارة ، ولا بعدم إيمان ارتاب فى وعد الله ؛ بل تقوى « بالإيمان » معطياً مجداً لله ، وتيقن أن ما وعد به ، هو قادر أن يفعله ، أيضاً ؛ لذلك ، أيضاً

« حسب له براً » . ولكن لم يكتب من أجله وحده :- « أنه « حسب له » بل من أجلنا ، نحن ، أيضاً ، الذين سيحسب لنا ، الذين نؤمن بمن أقام يسوع ربنا من الأموات ، الذى أسلم من أجل خطايانا ، وأقيم لأجل تبريرنا » . (اقرأ رو ٤ : ١٧ — ٢٥ مع ١٠ : ٩ و ١٠) .

الآن وقد استوفينا الكلام فى ما كتبه الرسول عن « سارة » (ع ١١ و ١٢) ، نعود ، بالذكر إلى الصور الثلاث التى رسمناها عن الثلاثة الأشخاص — أبطال الإيمان فى أرض الموعد — غرباء وهم « إبراهيم وإسحق ويعقوب » (ع ٨ — ٢١) . وهذه الصور الثلاث هى : الصورة الأولى : — الثلاثة فى إيمان إبراهيم (ع ٨ — ١٠) . الصورة الثانية ، الثلاثة فى شركة الإيمان معاً (ع ١٣ — ١٦) . الصورة الثالثة : — الثلاثة فى إيمان كل منهم على حدة (ع ١٧ — ٢١) .

استوفينا الكلام عن الصورة الأولى التى هى : — الأبطال الثلاثة فى إيمان إبراهيم (ع ٨ — ١٠) . وانتهينا من الكلام عن سارة بمناسبة ارتباطها بإبراهيم فى موضوع النسل الموعود به (ع ١١ و ١٢) . وها نحن الآن سنتقدم لاستيفاء الكلام بإرشاد روح الرب عن : —

الصورة الثانية : الثلاثة فى شركة الإيمان معاً (عب ١١ : ١٣ — ١٦) .

١٣ فِى ٱلْإِيمَانِ مَاتَ هٰؤُلَاءِ أَجْمَعُونَ وَهُمْ لَمْ يَنَالُوا ٱلْمَوَاعِيدَ
بَلْ مِنْ بَعِيدٍ نَظَرُوهَا وَصَدَّقُوهَا وَحَيَّوْهَا وَأَقَرُّوا بِأَنَّهُمْ غُرَبَاءُ
وَنُزَلَاءُ عَلَى ٱلْأَرْضِ . ١٤ فَإِنَّ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ مِثْلَ هٰذَا يُظْهِرُونَ
أَنَّهُمْ يَطْلُبُونَ وَطَنًا . ١٥ فَلَوْ ذَكَرُوا ذٰلِكَ ٱلَّذِى خَرَجُوا مِنْهُ
لَكَانَ لَهُمْ فُرْصَةٌ لِلرُّجُوعِ . ١٦ وَلٰكِنِ ٱلْآنَ يَبْتَغُونَ وَطَنًا أَفْضَلَ
أَىْ سَمَاوِيًّا . لِذٰلِكَ لَا يَسْتَحِى بِهِمُ ٱللهُ أَنْ يُدْعَى إِلٰهَهُمْ لِأَنَّهُ
أَعَدَّ لَهُمْ مَدِينَةً .

إذا أمعنا النظر فى هذه الآيات الأربع (ع ١٣ – ١٦) ، لتبينا فرقاً بين هـذه الصورة الثانية وتلك الصورة الأولى . ففى الصورة الأولى نجد الكلام فى صيغة المفرد متصلا بشخص واحد هو « إبراهيم » حيث يقال : « لما دعى أطاع أن يخرج . . : تغرب . . . ساكناً فى خيام . . . لأنه كان ينتظر » ، فلم يذكر إسحق ويعقوب إلا فى صيغة الاندماج فيه ؛ كما قيل : « ساكناً فى خيام مع إسحق ويعقوب الوارثين معه لهذا الموعد عينه ؛ لأنه كان ينتظر » حيث يعود الكلام بجملته إلى شخصية « إبراهيم » فى تلك الصورة (ع ٨ – ١٠) .

أما فى هذه الصورة الثانية (ع ١٣ – ١٦) فالكلام كله فى صيغة الجمع ، يشمل الأبطال معاً الذين هم « إبراهيم وإسحق ويعقوب » أى الأب وابنه وحفيده ؛ مشتركين معاً فى ذات النقطة الواحدة الخاصة بتغربهم فى أرض الموعد « كأنها غريبة » وسكنهم فى « خيام » كل أيام غربتهم على تلك الأرض انتظاراً « للمدينة التى لها الأساسات التى صانعها وبارئها الله » ، ولابد ، أن سارة تدخل ، أيضاً ، معهم فى هذه الشركة المباركة (راجع شرح ع ٨ –١٢) : عن هؤلاء الثلاثة معاً ، يتحدث الرسول ، قائلا : —

(ع١٣) « فى الإيمان مات هؤلاء أجمعون » :

هذا الإيمان هو ذات — الإيمان — الذى رأيناه حافزاً « لإبراهيم » للاستجابة للدعوة الإلهية بالخروج من الأرض التى ولد فيها ومن عشيرته وبيت أبيه — « الإيمان » الذى به « تغرب فى أرض الموعد » — « ساكناً فى خيام مع إسحق ويعقوب » انتظاراً للمدينة الإلهية — «الإيمان» الذى به أخذت «سارة» «قدرة» على إنشاء نسل ، بمقتضى الوعد المبارك « فى هذا الإيمان » : —

« مات هؤلاء أجمعون » :

مات « إبراهيم وإسحق ويعقوب » فى أرض الموعد ، ولا ننسى أيضاً « سارة» بمقتضى ما يحدثنا به التاريخ النبوى المقدس : حيث يقول : « وماتت سارة فى قرية

« أربع » التى هى « حبرون » (الخليل الآن) فى أرض كنعان ، وكانت سنو حياتها مئة وسبعاً وعشرين سنة » : ودفن إبراهيم سارة امرأته فى مغارة حقل المخفيلة » أمام « ممرا » التى هى « حبرون » فى أرض كنعان — فى ذلك الحقل الذى وجب له « ملك قبر من عند بنى حث » (اقرأ تك ص ٢٣) .

هكذا يحدثنا التاريخ النبوى المقدس ، أيضاً ، عن أبينا « إبراهيم » أبى المؤمنين (انظر رو ٤ : ٩ — ١٢) ؛ وقد كانت سنو أيام حياته التى عاشها « مئة وخمسا وسبعين سنة » : « وأسلم روحه بشيبة صالحة ، شيخاً وشبعان أياماً » ، « ودفنه اسحق وإسمعيل ابناه فى مغارة المكفيلة فى حقل عفرون بن صوحر الحثى الذى أمام ممرا ، الحقل الذى اشتراه إبراهيم من بنى حث . هناك دفن إبراهيم وسارة امرأته » (تك ٢٥ : ٧ — ١٠) . وقد كان هذا الأمر ، بالنسبة إلى « إبراهيم » بمقتضى ما أعلنه له « الرب » يوم ظهوره له وإعطائه وعداً بنسل ، حيث قال له : « اعلم « يقيناً » أن نسلك سيكون غريباً فى أرض ليست لهم . . . وأما أنت فتمضى إلى آبائك بسلام ، وتدفن بشيبة صالحة » . « وفى الجيل الرابع يرجعون إلى ههنا » (اقرأ تك ١٥ : ١٣ — ١٦ مع أع ٧ : ١ — ٥) .

هكذا يحدثنا التاريخ النبوى المقدس ، أيضاً ، عن « إسحق » بعد رجوع يعقوب إلى « أرض الموعد » من عند خاله « لابان » حيث أتى إلى إسحق أبيه ، إلى « ممرا » — قرية أربع التى هى « حبرون » حيث « تغرب » إبراهيم وإسحق — « وكانت أيام اسحق مئة وثمانين سنة » ، « فأسلم إسحق روحه « ومات » وانضم إلى قومه ، شيخاً وشبعان أياماً » ، « ودفنه عيسو ويعقوب ابناه » ، فى المغارة التى فى حقل عفرون الحثى — فى « المغارة التى فى حقل المكفيلة » — التى أمام « ممرا » (« حبرون ») فى أرض كنعان — المغارة التى اشتراها « إبراهيم » مع الحقل من عفرون الحثى « ملك قبر » حيث دفن « إبراهيم وسارة امرأته » (اقرأ تك ٣٥ : ٢٧ — ٢٩ ، ٤٩ : ٢٩ — ٣١) .

هكذا يحقق لنا التاريخ النبوى المقدس هذا الأمر بشأن موت « يعقوب » ، وذلك فى وصيتين لهما اتصال وثيق بالموعد — إحداهما : — وصيته لابنه « يوسف » حيث لما قربت أيامه أن يموت ، دعا ابنه (« يوسف ») وقال له : « إن كنت قد وجدت

نعمة فى عينيك ؛ فضع يدك تحت فخذى واصنع معى معروفاً وأمانة ، لا تدفنى فى مصر ؛ بل أضطجع مع آبائى ، فتحملنى من مصر وتدفننى فى مقبرتهم » فقال : «أنا أفعل بحسب قولك » . فقال : « احلف لى » فحلف له « فسجد إسرائيل على رأس السرير » . « على رأس عصاه » (اقرأ تلك ٤٧ : ٢٩ — ٣١ انظر شرح ع ٢١) .

أما الوصية الأخرى ، فقد كانت وصية لبنيه « الاثنى عشر سبطاً — حيث ، بعد ما — « باركهم كل واحد بحسب بركته » — أوصاهم وقال لهم : « أنا أنضم إلى قومى ، ادفنونى عند آبائى فى المغارة التى فى حقل عفرون الحثى فى المغارة التى فى حقل المكفيلة التى أمام ممرا فى أرض كنعان التى اشتراها إبراهيم مع الحقل من عفرون الحثى ملك قبر ، هناك دفنوا إبراهيم وسارة امرأته ، هناك دفنوا إسحق ورفقة امرأته ، وهناك دفنت ليئة » (اقرأ تلك ٤٩ : ٢٨ — ٣١) . هكذا تمت الوصية المزدوجة « بمعروف وبأمانة » عندما مات يعقوب فى مصر « وكانت أيامه — سنو حياته — مئة وسبعاً وأربعين سنة » (قابل تلك ٤٧ : ٨ و ٩ و ٢٨) : « فحمله بنوه إلى أرض كنعان ودفنوه فى مغارة حقل المكفيلة التى اشتراها إبراهيم مع الحقل « ملك قبر » من عفرون الحثى أمام ممرا » (تلك ٥٠ ; ١٣) . وقد كان الاحتفال بهذا الدفن رهيباً مثيراً فائق الوصف (اقرأ تلك ٥٠ : ١ —١٣) . هكذا « فى الإيمان مات هؤلاء (الثلاثة الأبطال ودفنوا) أجمعون » : —

« وهم لم ينالوا المواعيد » :

والقرينة تدل على أن « المواعيد » المقصودة هى الخاصة « بأرض الموعد » وهى التى قيل عنها ؛ بالنسبة إلى إبراهيم : « المكان الذى كان عتيداً أن يأخذه ميراثاً » (راجع شرح ع ٨ و ٩) . أما ورود كلمة « المواعيد » فى صيغة الجمع ، فيظهر أن سببه ليس فى كثرة عددها ؛ لأنه « موعد » واحد ؛ لذلك دعيت الأرض « أرض الموعد » لا أرض « المواعيد » . فلابد ، أن تكون صيغة الجمع هنا ليس إلا للدلالة على تكرار ذلك الموعد مراراً عديدة ، ليس فقط لشخص واحد ، بل للثلاثة معاً — كل على حدته — وذلك يثبته التاريخ المقدس فى عدد الظهورات التى فيها ظهـــر

الرب لهؤلاء الثلاثة الذين « لا يستحى بهم الله أن يدعى إلههم » (انظر شرح ع ١٦) : قائلا « أنا إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب » (قابل خر ٣ : ٦ و ١٥ مع مت ٢٢ : ٣٢ و لو ٢٠ : ٣٧ مع أع ٧ : ٣٢) .

فإن الله ، تعالى اسمه ، بعد أن دعا « أبرام » ليذهب إلى « أرض الموعد » : هناك ظهر له فى مكان شكيم — فى بلوطة مورة ، وقال له : « لنسلك أعطى هذه الأرض ، فبنى هناك مذبحاً للرب الذى ظهر له » (تك ١٢ : ٦ و ٧) . وبعد اعتزال لوط عنه ، قال له الرب : « ارفع عينيك وانظر من الموضع الذى أنت فيه شمالا وجنوباً وشرقاً وغرباً ؛ لأن جميع الأرض التى أنت ترى ، لك أعطيها ولنسلك إلى الأبد » (تك ١٣ : ١٤ و ١٥) . وإذ أعطاه الوعد بنسل قطع معه عهداً على ذبيحة لتثبيت الوعد بذلك الميراث مع تحديد ميعاد إتمام الوعد « بأربع مئة سنة » (اقرأ تك ص ١٥ مع ١٧ : ٨ مع ٢٢ : ١٥ — ١٨) . هكذا تكررت « المواعيد » لإبراهيم بشأن ذات « الموعد » الواحد الخاص بالنسل والميراث .

يضاف إلى ذلك تكرار هذا الموعد لإسحق وأيضاً ليعقوب ، لكل منهما على حدته ؛ حيث ظهر الرب لإسحق وقال له : « لا تنزل إلى مصر ، اسكن فى الأرض التى أقول لك ، تغرب فى هذه الأرض ؛ فأكون معك وأباركك ؛ لأنى لك ولنسلك أعطى جميع هذه البلاد وأفى بالقسم الذى أقسمت لإبراهيم أبيك ، وأكثر نسلك كنجوم السماء وأعطى نسلك جميع هذه البلاد ، وتتبارك فى نسلك جميع أمم الأرض » (تك ٢٦ : ٢ — ٤) .

هكذا ، أيضاً ، ظهر ليعقوب فى حلم ، وهو فى طريقه إلى فدان آرام ، قبل ذهابه إلى حاران ، وقال له « أنا الرب إله إبراهيم أبيك وإله إسحق ، الأرض التى أنت مضطجع عليها ، أعطيها لك ولنسلك ، ويكون نسلك كتراب الأرض ، وتمتد غرباً وشرقاً وشمالا وجنوباً ويتبارك فيك وفى نسلك جميع قبائل الأرض . وها أنا معك وأحفظك حيثما تذهب ، وأردك إلى هذه الأرض ؛ لأنى لا أتركك حتى أفعل ما كلمتك به » (قابل تك ٢٨ : ١٣ — ١٥ مع ٣٥ : ٩ — ١٢) . هكذا أعطى الموعد

مكرراً مراراً عديدة لإبراهيم وإسحق ويعقوب ، لذلك قيل : « فى الإيمان مات هؤلاء أجمعون » : —

« وهم لم ينالوا المواعيـــد » :

وهذه حقيقة تاريخية واقعية ، يعبر عنها « استفانوس » الشهيد المسيحي الأول بالقول : « ظهر إله المجد لأبينا إبراهيم وهو فى ما بين النهرين . . . ونقله . . . إلى هذه الأرض . . ولم يعطه فيها ولا وطأة قدم ، ولكن وعد أن يعطيها ملكاً له ولنسله من بعده » (أع ٧ : ٢ — ٥) . وهكذا الحال تماماً مع « إسحق ويعقوب » اللذين تغربا مع « ابراهيم » فى « أرض الموعد » كأنها غريبة ساكنين معه فى خيام (راجع شرح ع ٩) .

هذه الحقيقة التاريخية الواقعية ، أثبتها « إبراهيم » فى اعترافه الجهارى لبنى حث من سكان تلك الأرض ، عند موت سارة امرأته ، فى قوله لهم : « أنا غريب ونزيل عندكم ، أعطونى ملك قبر معكم ؛ لأدفن ميتى من أمامى » (تك ٢٣ : ٤) . فأعطوه « فوجب الحقل والمغارة التى فيه لإبراهيم ملك قبر من عند بنى حث » (تك ٢٣ : ٢٠) . وهذا القبر هو كل ما امتلكه إبراهيم وإسحق ويعقوب فى « أرض الموعد » فحق القول عن هؤلاء الثلاثة « فى الإيمان مات هؤلاء أجمعون ، وهم لم ينالوا المواعيد » : —

« بل من بعيد نظروها » :

فى الكلمة « بل » يتحدث الرسول عن موقف إيجابى ، وقفة أولئك الآباء ، إزاء تلك « المواعيد » التى سبق أن تحدث عن موقفهم ، إزاءها سلباً ، قائلا : « لم ينالوا المواعيد » فيقول ، إيجاباً « بل من بعيد نظروها » (راجع الشرح) . وكيف نظروها ؟ أبنظرة العين الجسدية ؟ بمقتضى قول الرب لأبرام ، بعد اعتزال لوط عنه : ارفع عينيك و « انظر » من الموضع الذى أنت فيه شمالا وجنوباً وشرقاً وغرباً ؛ لأن جميع الأرض التى أنت « ترى » لك أعطيها ولنسلك إلى الأبد » (تك ١٣ : ١٤ و ١٥) . إن هذه النظرة الجسدية ، بالنسبة إلى « أبرام » تنتفى انتفاء تاماً بقول ذات الرب له :

« أنا الرب الذى أخرجك من أور الكلدانيين ؛ ليعطيك هذه الأرض لترثها . . . اعلم يقيناً أن نسلك سيكون غريباً فى أرض ليست لهم... وأما أنت فتمضى إلى آبائك بسلام ، وتدفن بشيبة صالحة ، وفى الجيل الرابع يرجعون إلى ههنا » (اقرأ تك ١٥ : ٧—١٦).

الأمر الذى يدل دلالة واضحة على انتفاء النظرة الجسدية إلى المواعيد ؛ فإنها ليست مواعيد أرضية ، فهكذا بات إبراهيم غريباً فى « أرض الموعد » ساكناً فى خيام مع إسحق ويعقوب » الوارثين معه لهذا « الموعد » وهم «لم ينالوا المواعيد» إذ لم يعطوا فيها ملكاً « ولا وطأة قدم » سوى « ملك قبر » كما سبق الشرح ، إذاً ماذا يكون المعنى الحقيقى للتعبير القائل :

« من بعيد نظروها » :

إنها ، ولابد ، نظرة « الإيمان » الذى فيه عاش أولئك الآباء وماتوا ، وبه تقوى نظرهم الروحى وتوثق رجاؤهم وتيقنت رؤياهم التى رأوها من أبعاد غير محدودة .

ولعل هذا « الإيمان » هو ما أشار إليه السيد المسيح فى كلامه مع اليهود عن « إبراهيم » قائلا : « أبوكم إبراهيم تهلل بأن يرى يومى ، فرأى وفرح وهو قول ما أبهاه وما أسماه ! تتلألأ فيه الكلمة « تهلل » كدرة كريمة ، وكلؤلؤة ثمينة ، طافحة بسرور لا يعبر عنه ملأ قلب إبراهيم يوم ظهور « ملاك العهد » له وإعطائه الوعد « بإسحق » ابن الموعد (اقرأ تك ١٧ و ١٨ : ١ — ١٤) ويوم ميلاد هذا الموعود به ؛ حيث حقق له « كلمة الموعد » القائلة : « بإسحق يدعى لك نسل » (تك ٢١ : ١٢ اقرأ ع ١ — ١٢ مع رو٩ : ٦ — ٩ انظر شرح غل ٤ : ٢٨ للمؤلف) . ويوم تقديمه لإسحق محرقة ؛ حيث « أخذه من الأموات » ، فى مثال (تك ٢٢ : ٤ — ١٤ اقرأ ع ١ — ١٨ انظر شرح ع ١٩ مع شرح غل ٣ : ١٦ للمؤلف) .

فلا عجب ! أن يدعو إبراهيم اسم ذلك الجبل — « جبل المريا » ! (قابل تك ٢٢ : ٢ مع ٢ أى ٣ : ١) ، لا عجب أن يدعو اسم ذلك الجبل « يهوه يرأه » ! حتى إنه يقال اليوم فى جبل «يهوه يراه » الذى معناه : الرب يرى (قابل تك ٢٢ : ٨ و ١٤) .

هذا هو الموقف الإيجابي إزاء تلك « المواعيد » بالنسبة لهؤلاء الأبطال الثلاثة أنه « من بعيد نظروها » :

« صدقوها » :

فى هذا التصديق صورة بارزة « لإبراهيم » وهو يتلقى الوعد للوراثة ؛ عندما صارت الشمس إلى المغيب . وهو « فى سبات » تحت تأثير رعبة مظلمة عظيمة واقعة عليه » ، « وأمام دخان ومصباح نار يجوز بين قطع الذبائح » فى ذلك اليوم الذى فيه قطع الرب مع أبرام ميثاقاً » بالميراث (اقرأ تك ١٥ : ٧ — ١٨) . فلم تكن الوراثة بالناموس ؛ لأن الناموس لم يكن قد أعطى بعد ولم يعط إلا بعد أربع مئة وثلاثين سنة من ذلك الوعد (قابل رو ٤ : ١٣ و ١٤ انظر شرح غل ٣ : ١٧ و ١٨ للمؤلف) .

هل لنا أن نقف مع « أبرام » هذا الموقف المجيد ، وهو يتلقى هذا الوعد المبارك بالميراث ؟ ونحس بنبضات قلبه التى تتماس مع نبضات قلب الله البعيد الغور ؟ وندرك سر تلك الحكمة الفائقة لا عن طريق الفهم والبيان ، بل بقوة فاعلية الإيمان متمتعين « بالثقة بما يرجى والإيقان بأمور لا ترى » ؟ (راجع شرح ع ١ و ٣) . ذلك « الإيقان » الذى معه يولد فى قلب المؤمن اقتناع تام بقوة حجة دامغة لا تدحض ولا تقاوم .

فكم تكون تلك الحجة الدامغة فى قوتها إذا دعمت وتثبتت « بقسم » ؟ فإن الله ، عزت قدرته « إذ أراد أن يظهر ، أكثر كثيراً ، لورثة الموعد ، عدم تغير قضائه ، توسط بقسم ، حتى بأمرين عديمى التغير (الوعد والقسم) ، لا يمكن أن الله يكذب فيهما ، تكون لنا تعزية قوية — نحن الذين التجأنا لنمسك بالرجاء الموضوع أمامنا » (اقرأ تك ٢٢ : ١٥ — ١٨ راجع شرح ص ٦ : ١٢ — ٢٠) .

هل يمكن أن نتمثل « إبراهيم » فى هذا الموقف أمام الله ، مستمعاً إلى وعد البركة والميراث ؟ وهو يتفهم إعلان الله له مشغلا عقله للادراك ؟ وليس للادراك ، فحسب بل للادراك إلى درجة الاقتناع القلبى الصادق « حاسباً الذى وعد صادقاً وأميناً » ، فهو « ليس إنساناً فيكذب ، ولا ابن إنسان فيندم » (قابل عد ٢٣ : ١٩ مع ١ صم

١٥ : ٢٩ مع ملا ٣ : ٦ مع رو ١١ : ٢٩ مع تى ١ : ٢ مع يع ١ : ١٧) . فيمتلىء قلبه بنعمة الإيمان ، فيرى من بعيد ما لا يرى ؟ ويمتلىء من الثقة بالرجاء ، وهكذا يصدق عليه مع اسحق ويعقوب الوارثين معه لهذا الموعد عينه ، القول : « فى الإيمان مات هؤلاء أجمعون ، وهم لم ينالوا المواعيد ، بل من بعيد نظروها وصدقوها » : —

« وحيـــوها » :

وما أمجدها تحية ! تحية البشر والسرور والبهجة ، تحية القلب الممتلىء بالفرح والتهليل ، وتقديم ذبائح الحمد شكراً وتمجيداً ؛ فيرضى الله ويسر ، وكيف لا يردد القلب المبتهج بمواعيد الرب ؟ تحية الجند السموى الميلادية مسبحاً وقائلا : « المجد لله فى الأعالى وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة » ؟ (لو ٢ : ١٤) ، صارخاً بصوت عظيم مع معيدى عيد « المظال الأبدية » (لو١٦ : ٩) ، هاتفاً : « الخلاص لإلهنا الجالس على العرش و« للخروف » (للحمل) ، مردداً تلك التحية السباعية الملائكية ، مع الأربعة والعشرين شيخاً والأربعة الحيوانات منشداً ، قائلا » « آمين » — « البركة والمجد والحكمة والشكر والكرامة والقدرة والقوة لإلهنا إلى أبد الآبدين — آمين » (اقرأ رؤ٧ : ٩ — ١٢ مع ٤ : ٨ — ١١) .

هكذا يوقفنا الرسول أمام « إبراهيم وإسحق ويعقوب » إزاء « المواعيد » موقفاً إيجابياً ثلاثياً متصلا بالنظر « نظروها » ، وبالتصديق « صدقوها » ، وبالتحية « حيوها » وهى ثلاثية متصل بعضها ببعض اتصالا وثيقاً متعلقاً بالعقل والقلب معاً ، أما النظر فهو الفهم والمعرفة ، وهما أمران يتعلقان بالعقل ، أما التصديق فيتصل بالعقل والقلب ، وهو قوة الإقناع والاقتناع .

أما التحية فتصدر عن قلب مبتهج شكور ، تتصل يدها بيد رب « المواعيد » فيتصافح القلبان ويتحابان ، وفى هذه المناسبة يدعى المؤمن « خليل الله » ، وذلك بوصف كونه من نسل إبراهيم وحسب الموعد وارثاً ، وباعتبار أن «إبراهيم» دعى « خليل الله » (يع ٢ : ٢٣) . وباعتبار أن نسله يدعى نسل إبراهيم « خليل الله » (إش ٤١ : ٨ و ٢ أى ٢٠ : ٧) . هكذا « فى الإيمان مات هؤلاء — الآباء — أجمعون ، وهم لم ينالوا المواعيد ؛ بل من بعيد نظروها وصدقوها وحيوها » :

« وأقروا بأنهم غرباء ونزلاء على الأرض » :

لابد أن يكون هذا الإقرار نتيجة طبيعية لما قيل سابقاً من أنهم « من بعيد نظروا وصدقوا وحيوا » تلك « المواعيد العظمى والثمينة » (٢ بط ١ : ٤) ، التي وهبها الله لهم وأراهم إياها ، فكان ، لرؤيتها ، أثر فعال جذب قلوبهم « بعيداً » عن الأرض التي كانوا فيها « فأقروا بأنهم غرباء ونزلاء على تلك الأرض » . وبالبحث الدقيق في هذا التعبير نرى أنه يتضمن أمرين : — الأمر الأول — الإقرار في طبيعته : — الأمر الثاني — الإقرار في موضوعه : —

الأمر الأول — الإقرار في طبيعته : « أقروا » : الإقرار يتضمن العلم بالشيء والعمل به ، أما العلم بالشيء فمعناه ، أن أولئك الذين « أقروا » قد أدركوا الحقيقة التي أقروا بها إدراكاً حقيقياً لا يمكن أن يحدث مثله في قوته وتأثيره إلا بفعل خارق العادة يفوق كل طاقة بشرية ، ولا يمكن أن يتم فعل كهذا إلا بوحي إلهي : وبنور سموي يسطع على القلب والعقل ؛ فيولد في المؤمن إدراكاً عجيباً وفهماً فائقاً لا ينطق به . هكذا يكون الإقرار اقتناعاً داخلياً قلبياً عميقاً . ناشئاً عن قوة إقناع فائق وعن ثقة وطيدة بكل ما يرجى وما لا يرى . هذا هو الإقرار في طبيعته بوصف كونه علماً بالشي .

أما الإقرار بوصف كونه أمراً عملياً ، فإنما هو مظهر ذلك العلم الباطني والإقرار القلبي ، فهو بمثابة الاعتراف الجهاري بالفم ؛ إلا أنه يفوقه : إذ فيه يصير الكلام عملا ، بمقتضى النص القائل : « لا بالكلام ولا باللسان ؛ بل بالعمل والحق » (١ يو ٣ : ١٨) . فقد كان إقرار أولئك الثلاثة ناطقاً بما أتوه من العمل المعبر عنه بالقول : « بالإيمان تغرب إبراهيم في أرض الموعد ؛ كأنها غريبة ، ساكناً في خيام مع إسحق ويعقوب الوارثين معه لهذا الموعد عينه ؛ لأنه كان ينتظر المدينة التي لها الأساسات التي صانعها وبارئها الله » (راجع شرح ع ٩ و ١٠) . فقد كان تغربهم ، إقراراً ناطقاً عملياً يصح معه القول بأنهم « أقروا » : —

« بأنهم غرباء ونزلاء على الأرض » :

هذا هو الأمر الثانى — الإقرار فى موضوعه ، إقرار بأنهم « غرباء ونزلاء على الأرض » التى هى أرض الموعد كما سبقت الإشارة فى (ع ٨ — ١٠ انظر الشرح) . ويمكن أن نحقق أن تغريب هؤلاء الأبطال الثلاثة كان فى أرض الموعد ، وأن إقرارهم بأنهم « غرباء ونزلاء » عليها ؛ إنما كان ، ولابد ، بوحى إلهى . وهذا التحقيق يمكن أن نستمده من الأمر الإلهى الذى صدر لموسى فى أرض الموعد ليبلغه لشعب إسرائيل بشأن تلك الأرض التى هى ملك لجلاله الأقدس ، قائلا له : «الأرض لا تباع بتة ؛ لأن لى الأرض وأنتم غرباء ونزلاء عندى » (لا ٢٥ : ٢٣) .

كما يمكن أن نستمد ذلك التحقيق - أيضاً - من اعتراف إبراهيم نفسه ، فى قوله لبنى حث : « أنا غريب ونزيل عندكم » (تك ٢٣ : ٤) . وفى اكتفائه بملك قبر لدفن ميته فى تلك الأرض (اقرأ كل الأصحاح . ولعل ذلك يرجع إلى ذات قول الرب له : « أعلم يقيناً أن نسلك سيكون غريباً فى أرض ليست لهم . . . وأما أنت فتمضى إلى آبائك بسلام ، وتدفن بشيبة صالحة ، وفى الجيل الرابع يرجعون إلى ههنا » (تك ١٥ : ١٣ — ١٦) .

هكذا أعلن « إله المجد » لإبراهيم : أنه سيبقى غريباً فى تلك الأرض نزيلا عنـــده ، إلى أن تنتهى حياته بسلام . وأما الميراث فسيكون لنسله فى الجيل الرابع . فلابد ، أن ابراهيم أعلن هذا الأمر بكل وضوح لإسحق ويعقوب كإعلان من الله ، اقتنع به الجميع ناظرين إلى « المواعيد » من بعيد وأقروا عملياً بالاقتناع والرضا بأنهم « غرباء » على الأرض « نزلاء » عند الله « فنظروا » إلى « المواعيد من بعيد » وصدقوها وحيوها : وأقروا بأنهم غرباء ونزلاء على الأرض » .

وهل نقدر أن ندرك لذة الحياة ، بوصف كوننا « غرباء » فى الأرض ؟ فإننا نحتاج إلى دليل نسير بنوره فى ظلمات هذه الحياة ؛ لذلك يقول المرنم : « اكشف عن عينى فأرى عجائب من شريعتك ، غريب أنا فى الأرض لا تخف عنى وصاياك ، انسحقت نفسى شوقاً إلى أحكامك فى كل حين » (مز ١١٩ : ١٨ — ٢٠) . وحيث

أن أيام الغريب لابد أن تنتهى ؛ وحيث أنه لابد أن يظهر أمام كرسى المسيح لينال كل واحد ما كان بالجسد ؛ بحسب ما صنع خيراً كان أم شراً ». (٢ كو ٥ : ١ — ١٠) لذلك يليق بنا أن نرفع ، مع المرنم ، قلوبنا إلى الله مصلين : « عرفنى يارب نهايتى ومقدار أيامى كم هى ؛ فأعلم كيف أنا زائل ، هوذا جعلت أيامى أشباراً وعمرى كلا شيء قدامك : إنما نفخة كل إنسان قد جعل ، إنما كخيال يتمشى الإنسان » (مز ٣٩ : ٤ — ٦) . وعلينا بالأحرى أن نستمع إلى النصيحة المباركة : « إن كنتم تدعون « أباً » الذى يحكم بغير محاباة ، حسب عمل كل واحد ؛ فسيروا زمان غربتكم بخوف » (١ بط ١ : ١٧) .

أما اعتبار أننا « نزلاء » فهو اعتبار ما أمجده ! وكم هو بهيج للنفس ! ومريح للقلب ومطمئن للفكر ! أن يكون الغريب فى الأرض ، نزيلا عند الرب ، إلا أن النزيل ، ولابد ، مسئول ؛ باعتبار كونه « نزيلا » وعليه مسئوليتان : الأولى : — نحو نفسه : الثانية : — نحو من هو نزيل عنده . أما مسئوليته نحو نفسه فهى الثقة والاطمئنان والارتياح . وهى مسئولية عنوانها « اتكل على الرب وافعل الخير . . . تلذذ بالرب فيعطيك سؤل قلبك ، سلم للرب طريقك واتكل عليه وهو يجرى ، ويخرج مثل النور برك وحقك مثل الظهيرة » (مز ٣٧ : ٣ — ٦ اقرأ كل المزمور) .

وما أجمل مزمور الراعى ! « الرب راعى ؛ فلا يعوزنى شيء ، فى مراع خضر يربضنى ، إلى مياه الراحة يوردنى ، يرد نفسى ، يهدينى إلى سبل البر ؛ من أجل اسمه » (اقرأ مز ٢٣) . وما أجمل الصورة وأبدعها ! تلك الصورة التى يرسمها لنا التاريخ النبوى ، على جبل سيناء ؛ حيث مدت الموائد ؛ فاتكأ السبعون شيخا عليها ، تحت قيادة « موسى وهرون وناداب وأبيهو » الذين صعدوا جميعهم إلى الرب : « ورأوا إله إسرائيل ، وتحت رجليه شبه صنعة من العقيق الأزرق الشفاف وكذات السماء فى النقاوة ، ولكنه لم يمد يده إلى أشراف بنى إسرائيل ، فرأوا الله وأكلوا وشربوا » (خر ٢٤ : ٩ — ١١) .

صورة ما أبدعها ! ترسم أمامنا صورة العهد المقطوع بين الرب وبين شعبه : صورة عهد على ذبيحة مرشوشن بالدم (اقرأ خر ٢٤ : ١ — ٨ راجع شرح ص ٩ : ١٨ — ٢٢) . عهد يرينا الشعب ، متكيء على الموائد ، ضيوفاً عند الرب الذى أعد لهم تلك الموائد ، بوصف كونهم « غرباء فى الأرض نزلاء عنده » تحت رعايته وعنايته ؛ ما داموا محافظين كل المحافظة على هذا العهد المقدس المرشوش بالدم ، العهد الذى قطعوه معه ، قائلين : « كل الأقوال التى تكلم بها الرب نفعل ونسمع له » (خر ٢٤ : ٣ و ٧) . ولكنهم لم يحتفظوا بهذا الإقرار ولم يحفظوا ذلك العهد ، وتصرفوا فى الأرض كأنها أرضهم يفعلون فيها ما شاءوا وأرادوا من كل موبقة وشر ؛ فقذفتهم الأرض (قابل خر ١٩ : ٥ و ٦ ، ٢٣ : ٢٠ — ٣٣ مع لا ١٨ : ٢٦ — ٢٨ مع تث ١٨ : ٩ — ١٤ مع يش ٢٣ : ١٢ و ١٣) .

ولكن ماذا جرى ؟ هل عاش هؤلاء غرباء فى « أرض الموعد » ؟ نزلاء فيها عند الرب ؟ كما عاش آباؤهم الثلاثة إبراهيم وإسحق ويعقوب ؟ فلنسمع ما يقوله الرب لهم : « قد أصعدتكم من مصر وأتيت بكم إلى الأرض التى أقسمت لآبائكم وقلت : « لا أنكث عهدى معكم إلى الأبد ، وأنتم فلا تقطعوا عهداً مع سكان هذه الأرض . اهدموا مذابحهم » : ولم تسمعوا لصوتى ، فماذا عملتم ؟ فقلت ، أيضاً : « أطردهم من أمامكم ؛ بل يكونون لكم مضايقين ، وتكون آلهتهم لكم شركاً » (قض ٢ : ١ — ٣) .

وما أرهب ذلك التهديد المخيف ؛ بل الدينونة العادلة التى نطق بها الرب بفم نبيه إرميا ، قائلا : « وأدفع الناس الذين تعدوا عهدى ، الذين لم يقيموا كلام العهد الذى قطعوه أمامى . العجل الذى قطعوه إلى اثنين وجازوا بين قطعتيه . رؤساء يهوذا ورؤساء أورشليم ، الخصيان والكهنة وكل شعب الأرض الذين جازوا بين قطعتى العجل ، أدفعهم ليد أعدائهم وليد طالبى نفوسهم ؛ فتكون جثثهم أكلا لطيور السماء ووحوش الأرض » (إر ٣٤ : ١٨ — ٢٠ اقرأ تك ١٥ : ٧ — ١٨) . أما إبراهيم وإسحق ويعقوب ؛ فماتوا جميعاً فى الإيمان ، بعد أن عاشوا غرباء فى أرض الموعد وهم « لم ينالوا المواعيد ؛ بل من بعيد نظروها وصدقوها وحيوها ، وأقروا بأنهم غرباء ونزلاء على الأرض : —

(ع ١٤) «فإن الذين يقولون مثل هذا يظهرون» :

هنا يتكلم الرسول بلسان الحال — حال أولئك الذين ، سبق فقال عنهم بأنهم «أقروا بأنهم غرباء ونزلاء على الأرض» مع أنه لم يذكر شيئاً عن صيغة إقرارهم ، ولو أنه أثبت ما كان لهذا الإقرار من قوة فعالة فيهم ، بدت فى حياة عملية بارزة فى تغربهم فى تلك الأرض ، وها هو الآن كأنه يسمع هذا الإقرار الصامت العميق ينطق بكلمات واضحة فى صوت جهورى ، ناطقاً بلسان حال ذلك التغرب ، ويسمع فيه تعبيراً بينه فى قوله : «أقروا بأنهم غرباء ونزلاء على الأرض» معلقاً عليه بالقول : «فإن الذين يقولون مثل هذا يظهرون» : —

«أنهم يطلبون وطناً» :

فإنهم «غرباء ونزلاء على الأرض» : لذلك فهم «يطلبون وطناً» ، وهذا أمر طبيعى ؛ لأن الغريب لا وطن له ، ومجرد قوله «أنا غريب» إنما هو شهادة منه وإعلان لهذه الحقيقة ، وتصريح باحتياجه إلى وطن ؛ لأنه فى أرض غربة ، لا استقرار فيها ، وبخاصة إذا كانت «أرض غريبة» لا تلائم حياته ؛ فلا يجد فيها راحة لنفسه ، ولسان حاله يقول : «ويلى لغربتى فى ما شك ، لسكنى فى خيام قيدار ، طال على نفسى سكنها مع مبغض السلام ، أنا سلام وحينما أتكلم فهم للحرب» (مز ١٢٠ : ٥ — ٧ اقرأ كل المزمور) .

فلا عجب ! أن تصعد إلى العلاء ، من هذا الأنين صلاة مستغيث ! قائلا : «استمع صلاتى يارب واصغ إلى صراخى ، لا تسكت عن دموعى ؛ لأنى أنا غريب عندك ، نزيل مثل جميع آبائى ، اقتصر عنى فأتبلج ؛ قبل أن أذهب فلا أوجد» (مز ٣٩ : ١٢ و ١٣) . فلنستمع إلى النصح الذهبى الثمين القائل : «أيها الأحباء ! أطلب إليكم «كغرباء ونزلاء» أن تمتنعوا عن الشهوات الجسدية التى تحارب النفس ، وأن تكون سيرتكم بين الأمم حسنة ؛ لكى يكونوا فى ما يفترون عليكم ، كفاعلى شر ، يمجدون الله فى يوم الافتقاد من أجل أعمالكم الحسنة التى يلاحظونها» (١ بط ٢ : ١١ و ١٢ اقرأ ع ١١ — ١٦) .

فى ما سمعناه من صوت هذا الأنين فى قلب المؤمن ، ومن كلمات النصح الإلهى ، نرى دليلا قاطعاً على أن المؤمن غريب فى الأرض « يطالب وطناً » كما كان « إبراهيم وإسحق ويعقوب » فى إقرارهم « بأنهم غرباء ونزلاء على الأرض » ، «يطلبون وطناً » : —

(ع ١٥) «فلو ذكروا ذلك الذى خرجوا منه » :

أى « فلو ذكروا ذلك « الوطن » الذى خرجوا منه » . أما الوطن المشار إليه هنا فهو ، ولابد « أور الكلدانيين » (تك ١١ : ٢٨ و ٣١) . وهى المدينة التى ولد فيها « أبرام » وفيها ظهر له الرب ودعاه للخروج منها ، وأخرجه ليسكن فى أرض كنعان (تك ١٥ : ٧ مع نح ٩ : ٧ اقرأ تك ١١ : ٢٨ — ١٢ : ٥) . أما المركز الجغرافى لهذا الوطن — « أور الكلدانيين » — فقد عينه الوحى بفم استفانوس الشهيد المسيحى الأول ؛ حيث قال : «ظهر إله المجد » لأبينا إبراهيم وهو فى ما بين النهرين ؛ قبلما سكن فى حاران ، وقال له : « اخرج من أرضك ومن عشيرتك وهلم إلى الأرض التى أريك » فخرج حينئذ من أرض الكلدانيين » (أع ٧ : ٣ و ٤) . بمقتضى هذه التعريفات يكون « الوطن » « الذى خرجوا منه » : هو « أور الكلدانيين» فى «أرض الكلدانيين » فى « ما بين النهرين » .

أما النهران فهما ، الفرات والدجلة ، ويرجع بنا تاريخه الجغرافى إلى ما كتبه الوحى المقدس بيد « موسى » (كليم الله) عن « نهر كان يخرج من عدن ؛ ليسقى الجنة ، ومن هناك ينقسم ؛ فيصير أربعة رؤوس . يذكر من هذه الرؤوس اسم الرأس الثالث نهر « حداقل » وهو الجارى شرقى أشور . واسم الرأس الرابع نهر « الفرات »(إقرأتك ٢ : ١٠ — ١٤) . أما « حداقل » فهو «الدجلة» كما يتبين من كلام « دانيال » وهو فى بابل ؛ حيث يقول : « إذ كنت على جانب النهر العظيم هو دجلة » (دا ١٠ : ٤) . أما الفرات فقد ورد ذكره كثيراً فى الكتاب المقدس . ومما ورد عنه ، ما جاء فى ميثاق الرب الذى قطعه مع أبرام ؛ حيث قال : « لنسلك أعطى هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير ، نهر الفرات » (تك ١٥ : ١٨ و١٩ انظر تث ١ : ٧ مع يش ١ : ٤) .

هذه البقعة هى التى تدعى « أرض الشمال » بجانب نهر الفرات (اقرأ إر ٤٦ : ٦ — ١٠) ؛ وقد غزاها ، يوماً ما ، فرعون نخو ملك مصر ؛ كما ينص التاريخ المقدس قائلا : « صعد فرعون نخو ، ملك مصر ، على ملك أشور إلى نهر الفرات » (٢ مل ٢٣ : ٢٩) . « فلو ذكروا ذلك (الوطن) الذى خرجوا منه » : —

« لكان لهم فرصة للرجوع » :

« للرجوع » إلى « ذلك (الوطن) الذى خرجوا منه » فلابد أن ذلك الوطن — « أور الكلدانيين » أو « حاران » — كان على أتم استعداد للترحيب بهم . ولقد كان ، أيضاً ، لأولئك الذين خرجوا منه « فرصة للرجوع » . فالطريق مفتوح ، وليست ، هناك ، عوائق ولا عقبات تحول بينهم وبين أرضهم وعشيرتهم وبيت آبائهم ، وكان ممكناً أن يعيشوا فى ذلك الوطن ، لو ذكروه ورجعوا إليه ، مرفوعى الرأس ، ولكنهم لم يذكروه ولم يرجعوا إليه .

وكيف يرجعون ! بعد أن عرفوا « إله المجد » رب السماء والأرض « الآمين ، الشاهد الأمين الصادق » (رؤ ٣ : ١٤) . « لأن ، مهما كانت مواعيد الله ؛ فهو فيه النعم وفيه الآمين لمجد الله بواسطتنا » (٢ كو ١ : ٢٠) . كيف يرجعون ! عن الإله الحق والحياة الأبدية » ؟ (١ يو ٥ : ٢٠) . إلى « الأباطيل الكاذبة » وهم يعلمون ، علم اليقين أن « الذين يراعون أباطيل كاذبة يتركون نعمتهم » (يون ٢ : ٨) فكيف يرتدون عن « نعمة الله » ؟ فيصدق عليهم القول : « لأنه كان خيراً لهم ؛ لو لم يعرفوا طريق البر ، من أنهم — بعد ما عرفوا — يرتدون عن الوصية المقدسة المسلمة لهم ، قد أصابهم ما فى المثل الصادق : « كلب قد عاد إلى قيئه ، وخنزيرة مغتسلة إلى مراغة الحمأة » (٢ بط ٢ : ٢١ و ٢٢) .

بل كيف يرجعون إلى أرض ولدوا فيها بالطبيعة الفاسدة ؟ التى قال عنها ، رب المجد : « المولود من الجسد جسد هو » (يو ٣ : ٦) — كيف يرجعون « إلى الإنسان العتيق الفاسد ، بحسب شهوات الغرور » ! (أف ٤ : ٢٢) — ألا يكون هذا رجوعا ؟ إلى « سائر الأمم » الذين يسلكون « ببطل ذهنهم ؛ إذ هم مظلمو الفكر ومتجنبون عن

« حياة الله » لسبب الجهل الذى فيهم ، بسبب غلاظة قلوبهم » ؟ (أف ٤ : ١٧ اقرأ ع ١٧ — ٢٢) . كيف يرجعون إلى أرض المولد ؟ بعد ما وصلوا إلى « أرض الموعد » ؟ الذى فيه يرتفعون عن الجسديات ولا « يفتكرون فى الأرضيات » ؟ لعل هذا الرجوع كان هو الخطر الداهم الذى كان يخشى منه على أولئك الأبطال : —

« لو ذكروا » :

وذلك لأنهم « لو ذكروا » لكان فى هذا الذكر « ارتداد إلى الهلاك » بالرجوع عن طريق السير نحو « المواعيد » . وما أشر الارتداد وأخطره ! على حد القول : « لأن البار بالإيمان يحيا ، وإن ارتد لا تسر به نفس » (راجع شرح ص ١٠ : ٣٨ و ٣٩) ، « لو ذكروا » لسقطوا سقوطاً لا يمكن معه تجديدهم للتوبة : «إذ هم يصلبون لأنفسهم ابن الله ثانية ويشهرونه » ، بمقتضى النص الصريح القائل : « لأن الذين استنيروا مرة ، وذاقوا الموهبة السموية ، وصاروا شركاء الروح القدس ، وذاقوا كلمة الله الصالحة وقوات الدهر الآتى وسقطوا : لا يمكن تجديدهم ، أيضاً ، للتوبة » (راجع شرح ص ٦ : ٤ — ٦) .

لو « ذكروا » لتم فيهم ما قاله الرسول : «كثيرين ، يسيرون ممن كنت أذكرهم لكم مراراً ، والآن أذكرهم ، أيضاً ، باكياً : وهم أعداء « صليب المسيح » ، الذين نهايتهم الهلاك ، الذين إلههم بطنهم ومجدهم فى خزيهم ، الذين يفتكرون فى الأرضيات » (فى ٣ : ١٨ و ١٩) . ولكنهم لم يذكروا ، لأن قدرة الله قد حفظتهم ، بعيداً جداً عن هذا الذكر . تلك القدرة التى قال فيها الرسول بطرس : « كما أن قدرته الإلهية قد وهبت لنا كل ما هو للحياة والتقوى ؛ بمعرفة الذى دعانا « بالمجد والفضيلة » اللذين بهما قد وهب لنا « المواعيد العظمى والثمينة » لكى تصيروا بها شركاء « الطبيعة الإلهية » هاربين من الفساد الذى فى العالم ، بالشهوة » (٢ بط ١ : ٣ و ٤) . فقد حفظتهم تلك « القدرة الإلهية » حتى من مجرد الذكر ؛ لأنهم « لوذكروا » لكان مجرد الذكر هو ارتداد فعلى ورجوع عملى بمقتضى القول : «حيث يكون كنزك ؛ هناك يكون قلبك ، أيضاً » (مت ٦ : ٢١) .

هذا هو عين « الذكر » الذى وقع فيه أبناؤهم ، بعد خروجهم من مصر ؛ كما عبر عنه « استفانوس » فى قوله : « الذى لم يشأ آباؤنا أن يكونوا طائعين له (لموسى) بل دفعوه ورجعوا بقلوبهم إلى مصر ، قائلين لهرون : « اعمل لنا آلهة تتقدم أمامنا ؛ لأن هذا « موسى » الذى أخرجنا من أرض مصر ، لا نعلم ماذا أصابه ، فعملوا عجلا فى تلك الأيام وأصعدوا ذبيحة للصنم وفرحوا بأعمال أيديهم » (قابل أع ٧ : ٣٩ — ٤١ مع خر ٣٢ : ١ — ٦ مع ١ كو ١٠ : ٧ انظر أيضاً خر ١٦ : ٣ مع عد ١١ : ٤ و ٥ و ١٤ : ١ — ٦) .

أما هؤلاء الآباء الثلاثة فقد حفظتهم نعمة الله « بالقدرة الإلهية » فارتفعت قلوبهم ارتفاعاً فائقاً عن وطنهم الأصلى الذى كان ينتظرهم مرحباً « أهلا وسهلا بهم » . كما أن الفرصة كانت سانحة لهم : لو ذكروه — للرجوع إليه ؛ فلم يرجعوا إليه لا بالذكر ولا بالفكر ، فثبت أنظارهم متجهة نحو المواعيد مركزة ؛ كما يقول الرسول : —

(ع ١٦) « ولكن الآن » :

كلمة « الآن » فى هذا الموضع ، لا تعنى معنى الوقت « الحاضر » الذى كان الرسول يكتب فيه هذه الرسالة ؛ لأن هؤلاء الثلاثة الذين هم موضوع الكلام ، كانوا فى وقت كتابة هذه الرسالة « عند الله أحياء » ، وهى حقيقة أعلنها السيد ، رب المجد ، فى حديثه مع الصدوقيين عن أمر القيامة من الأموات ؛ حيث قال لهم « أفما قرأتم ما قيل لكم من قبل الله القائل : « أنا إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب » ، ليس الله إله أموات ؛ بل إله أحياء » لأن الجميع عنده أحياء » (قابل مت ٢٢ : ٣١ و ٣٢ مع مر ١٢ : ٢٦ و ٢٧ مع لو ٢٠ : ٣٧ و ٣٨ اقرأ خر ٣ : ١ — ١٥) . كانوا فى « كنيسة الأبكار المكتوبين فى السموات » ، بين « أرواح الأبرار المكملين » (انظر شرح ص ١٢ : ٢٣) .

فلقد كان هؤلاء الأبطال الثلاثة — يوم كتابة هذه الرسالة — فى الأمجاد العليا ، يتمتعون بالوطن السموى « متوقعين التبنى فداء أجسادهم » (رو ٨ : ٢٣) ، « عند استعلان الرب يسوع من السماء مع ملائكة قوته » — « متى جاء ليتمجد فى قديسيه

ويتعجب منه فى جميع المؤمنين » (٢ تس ١ : ٧ و ١٠ اقرأ ١ تس ٤ : ١٣ — ١٧ مع ١ كو ١٥ : ٥١ — ٥٨) . « فإن سيرتنا — نحن — فى السموات التى منها ، أيضاً ننتظر ، مخلصاً ، هو « الرب يسوع المسيح » الذى سيغير شكل جسد تواضعنا ؛ ليكون على صورة جسد مجده ؛ بحسب عمل استطاعته أن يخضع لنفسه كل شىء » (فى ٣ : ٢٠ و ٢١) — فكلمة « الآن » لا تتصل بأى صلة من الصلات ، بوقت زمنى[1] ، ولكنها تفيد معنى ، يدخل بنا إلى ما يحمله الأصل اليونانى ؛ كما هو مترجم فى بعض الترجمات الأخرى التى تبين أنها تعبير لا يدخل فى دائرة الزمن ، بل فى دائرة المنطق ، كأننا بالرسول يبنى نتائج ثابتة على مقدمات منطقية صحيحة يعبر عنها بكلمة « الآن » .

وهى بهذا البيان المنطقى ، هى الكلمة الواردة فى حديث ذات الرسول مع الكورنثيين عن أمر القيامة ، حيث يقول : « ولكن « الآن » قد قام المسيح من الأموات » (١ كو ١٥ : ٢٠) . حيث يستعمل كلمة « الآن » لا بالاعتبار الزمنى ؛ بل بالبيان المنطقى ، كنتيجة مبنية على كل ما سبق من البراهين ، وهذا هو معنى كلمة « الآن » كما وردت فى حديث السيد ، له المجد ، مع بيلاطس الوالى ؛ حيث قال : « ولكن الآن » ليست مملكتى من هنا » (يو ١٨ : ٣٦) . فإن السيد ؛ إذ سأله بيلاطس الوالى : « أنت ملك اليهود » ؟ أجابه بما يدل على أنه ، حقيقة « ملك » ، وأن مملكته ليست من هذا العالم » بدليل وقوفه أمامه مقيداً ، وحيداً ، بلا عون من « هذا العالم » . وبلا قوة زمنية تحيط به للدفاع عنه ، وبلا سلاح يقضى على تسلمه ليد أعدائه ، حيث خرج من كل هذه الأدلة المبينة والمقدمات الواقعية بتلك النتيجة المنطقية التى عبر عنها بكلمة « الآن » إثباتاً لأن مملكته ليست من هنا » (اقرأ يو ١٨ : ٣٣ — ٣٧) .

هذا هو المعنى الحقيقى لكلمة « الآن » فى هذه المناسبات الثلاث ؛ حيث لا تمت بصلة ما إلى الزمن ؛ بل تتصل اتصالا وثيقاً بالنتيجة المنطقية بالنظر إلى موضوع الكلام لا إلى زمانه ، بذات المعنى يقول الرسول عن هؤلاء الأبطال : —

« ولكن الآن » :

ومن العجيب أن كلمة « الآن » فى كل المناسبات التى ذكرت ، متصلة لفظاً ومعنى بكلمة « ولكن » كما يتضح جلياً من النصوص الكتابية ؛ حيث يقال : « ولكن الآن قد قام المسيح » (١ كو١٥ : ٢٠) . كما قيل ، أيضاً « ولكن الآن ليست مملكتى من هنا » (يو ١٨ : ٣٦) . هكذا يقول الرسول فى المناسبة التى أمامنا « ولكن الآن » ، وهذا الاتصال بين الكلمتين يعطينا نوراً عن الفكرة الأساسية فى الكلمة « ولكن » : وذلك باعتبار أنها حرف استدراك — « لكن » — مقترنة بحرف العطف « و » فتكون بهذا المعنى حرف استدراك عاطف ، يعطف ، ما بعده على ما قبله ، مستدركاً ما قبله بما بعده ؛ لذلك يقول ، عن أولئك الآباء الثلاثة : « فلو ذكروا ذلك (الوطن) ، الذى خرجوا منه ؛ لكان لهم فرصة للرجوع ، ولكن الآن : —

« « يبتغون وطناً أفضل » :

أما كلمة « يبتغون » فتتضمن معنى الكلمة « يطلبون » الواردة فى قوله : « يطلبون وطناً » وهى الكلمة التى أظهرها إقرارهم « بأنهم غرباء » (راجع شرح ١٣ و ١٤) . على أن فى الكلمة « يبتغون » نلمح ابتغاء يفوق كل طلب ، فالابتغاء إنما هو اشتياق فى النفس وشهوة فى القلب ورغبة ملحة فى الضمير ، ابتغاء يلهج به عقل الغريب والنزيل الذى يشعر بعدم استقراره . وهو ينتقل من مكان إلى مكان ويسافر من نقطة إلى أخرى والشوق يلهب قلبه ويجذب نظره إلى ذلك « الوطن » الذى يطلبه ؛ بل الذى يبتغيه ؛ متوقعاً ذلك اليوم الذى فيه يصل إلى مبتغاه ومشتهاه . وأغنيته الشهية ، فى طريق غربته « إلى اسمك وإلى ذكرك شهوة النفس » (إش ٢٦ : ٨) : وشعاره فى حياته « لى اشتهاء أن أنطلق وأكون مع المسيح ، ذاك أفضل جداً » (فى ١ : ٢٣) . هكذا كان هؤلاء « يبتغون » : —

« وطناً أفضـــل » :

(١) « وطناً أفضل » من أرض « المولد » التى ولد فيها « إبراهيم » ؛ والتى فيها « لما دعى أطاع . . . فخرج » (راجع شرح ع ٨) — أرض الشمال عند نهر الفرات »

(إر ٤٦ : ١٠) — « أرض شنعار (بلاد الأشوريين) (تك ١٠ : ١٠ و ١١ و ١١ : ٢) — « أرض الكلدانيين » (أع ٧ : ٤) — « أور الكلدانيين » (تك ١١ : ٢٨ و ٣١ و ١٥ : ٧ ونح٩ : ٧) — « ما بين النهرين » (« حداقل » — « الدجلة » — « والفرات ») (قابل أع ٧ : ٢ مع تك ٢ : ١٤ مع دا ١٠ : ٤) — « عبر النهر » (نهر الفرات) (قابل يش ٢٤ : ٢ و ٣ مع تك ١٥ : ١٨ مع تث ١ : ٧ مع يش ١ : ٤) . هذا هو الوطن الذى منه خرجوا — أرض المولد — ولكنهم « يبتغون » : —

(٢) « وطناً أفضل » من أرض الموعد » التى تغربوا فيها « كأنها غريبة » « ساكنين فى خيام » . فإنه ، بالرغم من كل ما وصفت به تلك الأرض — « أرض الموعد » (ع ٩) — من الأوصاف الفائقة العجيبة ، بالرغم من كل ذلك . لم تكن هى الأرض التى كانوا يبتغونها وطناً أفضل » .

أما تلك الأوصاف الممتازة التى وصفت بها « أرض الموعد » فقد بينها الكتبة الملهمون « مسوقين من الروح القدس » (٢ بط ١ : ١٩ — ٢١) . وهوذا النبى « دانيال » يصفها بالفخر والبهاء ، فيقول أنها « فخر الأراضى » (دا ٨ : ٩) . وأنها « الأرض البهية » . « جبل بهاء القدس » (دا ١١ : ١٦ و ٤١ و ٤٥) . وهكذا يصفها النبى حزقيال بأنها « فخر كل الأراضى » بمعنى أنها أفخرها جميعها (حز ٢٠ : ٦ و ١٥) . أما النبى إرميا فيفسر لنا هذه الأوصاف الفخرية باعتبار أنها « أرض شهية — « ميراث مجد أمجاد الأمم » (إر ٣ : ١٩) . أوصاف ما أبلغها وما أسماها .

ولا عجب ! فقد كانت تلك الأرض موضوع عناية إلهية ممتازة خاصة . وذلك بوصف كونها « أرضاً تفيض لبناً وعسلا » (خر ٣ : ٨) . عنها يقول موسى للشعب : « ليست مثل أرض مصر التى خرجت منها ؛ حيث كنت تزرع زرعك وتسقيه برجلك كبستان بقول : بل الأرض التى أنتم عابرون إليها ، لكى تمتلكوها ، هى أرض جبال وبقاع ، من مطر السماء تشرب ماء ، أرض يعتنى بها الرب إلهك ، عينا الرب إلهك عليها ، دائماً ، من أول السنة إلى آخرها » (تث ١١ : ٨ — ١٢) .

فكيف لا يحق للمرنم أن ينشد بنشيد الرب القائل ؟ « لو سمع لى شعبى ، وسلك إسرائيل فى طرقى ؛ سريعاً كنت أخضع أعداءهم . . . وكان أطعمه من شحم الحنطة ، ومن الصخرة كنت أشبعك عسلا » (مز ٨١ : ١٣ — ١٦) . وهل من الغريب ، تحت هذه العناية الفائقة ، أن تكون تلك « الأرض البهية » « فخر كل الأراضى » — « أرض سقى » — « كجنة الرب ، كأرض مصر » ؟ (تك ١٣ : ١٠) .

هل من الغريب أن ينشد المرنم تسبيحاً للرب ؟ قائلا : « تعهدت الأرض وجعلتها تفيض ، تغنيها جداً ، سواقى الله ملآنة ماء . . . كللت السنة بجودك وآثارك تقطر دسماً ، تقطر مراعى البرية وتتنطق الآكام بالبهجة . . . تهتف وأيضاً تغنى » (اقرأ مز ٦٥ : ٩ — ١٣) .

هذه هى « أرض الموعد » — « الأرض البهية » — « فخر كل الأراضى » — « جبل بهاء القدس » — « ميراث مجد أمجاد الأمم » . إلا أن إبراهيم « تغرب » فى تلك الأرض — « أرض الموعد » ، « كأنها غريبة » ، « ساكناً فى خيام مع إسحق ويعقوب » . وأقر جميعهم « بأنهم غرباء ونزلاء فى تلك الأرض ، وكانوا « يبتغون وطناً أفضل » .

« أى سماوياً » :

الكلمة « أى » هى حرف تفسير ، يفسر عبارة « وطناً أفضل » مبيناً أن ذلك الوطن الأفضل إنما هو وطن سماوى ، وهذا التفسير يصرف النظر عن كل وطن أرضى عالمى ؛ مهما بلغت درجته من البهاء والفخر والزينة التى لا تقاس ولا تقدر ولا يعبر عنها بأسمى لغات البشر ، ولو كان هذا « الوطن » هو « أرض الموعد » .

فإن أى وطن أرضى عالمى ؛ إنما هو للزوال ؛ لذلك يقول الرسول بولس ، ناصحاً : « أيها الإخوة ! الوقت منذ الآن مقصر ؛ لكى يكون الذين لهم نساء كأن ليس لهم ، والذين يبكون كأنهم لا يبكون ، والذين يفرحون كأنهم لا يفرحون ، والذين يشترون كأنهم لا يملكون ، والذين يستعملون هذا العالم كأنهم لا يستعملونه ؛ لأن هيئة هذا العالم تزول » (١ كو ٧ : ٢٩ — ٣١) .

على هذا الأساس يقول الرسول يوحنا محذراً : «لا تحبوا العالم ولا الأشياء التى فى العالم ، إن أحب أحد العالم فليست فيه محبة الآب ؛ لأن كل ما فى العالم — شهوة الجسد وشهوة العيون وتعظم المعيشة — ليس من الآب بل من العالم ، والعالم يمضى وشهوته ، وأما الذى يصنع مشيئة الله فيثبت إلى الأبد » (١ يو ٢ : ١٥ — ١٧) .

وما أرهب « يوم الدين » ! (مت ١١ : ٢١ — ٢٤) ، الذى « سيأتى كلص فى الليل — « يوم الرب » — الذى فيه تزول السموات بضجيج ، وتنحل العناصر محترقة ، وتحترق الأرض والمصنوعات التى فيها » (٢ بط ٣ : ١٠). فلا يمكن أن تكون السموات التى تزول بضجيج ، والأرض التى تنحل عناصرها محترقة — لا يمكن أن تكون هذه ، هى « الوطن الأفضل » « السماوى » ، فما هو إذاً ؟ .

— « الوطن السماوى » — إن هذا «الوطن السماوى » هو ، ولابد ، ذلك « الوطن » الذى لا يأتيه زوال — ولو زالت « السموات والأرض » (قابل مت ٥ : ١٨ مع لو ١٦ : ١٧ مع مز ١٠٢ : ٢٥ — ٢٧ راجع شرح ص ١ : ١٠ — ١٢) — هو ذلك « الوطن » الذى لا يعتريه انحلال ولا يمسه شىء من الاضمحلال ، ولا يعتريه تغيير أو دوران ، هو ذلك الميراث الذى لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل ، الذى أشار إليه الرسول بطرس ، قائلا : « مبارك الله — أبو ربنا يسوع المسيح — الذى ، حسب رحمته الكثيرة ، ولدنا ثانية لرجاء حى بقيامة يسوع المسيح من الأموات » (١ بط ١ : ٣ و ٤) .

ولعل الرسول قد أشار إلى هذا الوطن إشارة — ولو خفية عابرة — فى تشجيعه لأولئك العبرانيين الصابرين « على مجاهدة آلام كثيرة »حيث يقول لهم « قبلتم سلب أموالكم بفرح عالمين ، فى أنفسكم ؛ أن لكم مالا أفضل فى « السموات » وباقياً » (راجع شرح ص ١٠ : ٣٤) .

ولعل الرسول بطرس ! هو أيضاً يوجه نظر إخوته إلى هذا الوطن السماوى الأفضل حيث يقول : « فبما أن هذه كلها تنحل ، أى أناس يجب أن تكونوا أنتم فى سيرة مقدسة وتقوى ، منتظرين وطالبين سرعة مجىء « يوم الرب» الذى به تنحل السموات

ملتهبة ، والعناصر ، محترقة تذوب ، ولكننا ، بحسب وعده ، ننتظر سموات جديدة. وأرضاً جديدة يسكن فيها البر » (٢ بط ٣ : ١١ — ١٣) : فلا عجب ! إذا قيل عن « إبراهيم وإسحق ويعقوب » — هؤلاء الثلاثة معاً : « ولكن الآن يبتغون وطناً أفضل أى سماوياً » —

« لذلك لا يستحى بهم الله » :

« لذلك » أى لأنهم أقروا بأنهم غرباء ونزلاء فى أرض الموعد ، وهكذا تغربوا فيها « كأنها غريبة » وكانوا يبتغون وطناً أفضل أى سماوياً » (راجع الشرح) ، « لذلك » : —

« لا يستحى بهم الله » :

انتساب غريب وعجيب أعلنه الله بذاته ، عن ذاته ، وبالنسبة إلى هؤلاء الثلاثة — « إبراهيم وإسحق ويعقوب » — أعلنه لموسى من عليقة متقدة بنار فى جبل سيناء ، فى قوله له : « موسى ! موسى ! . . . أنا إله أبيك ، إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب ». هكذا تقول لبنى إسرائيل : « يهوه إله آبائكم إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب ، أرسلنى إليكم » (خر ٣ : ٤ — ٦ و ١٥ اقرأ ع ١ — ١٥) .

وقد أمن السيد المسيح نفسه على هذا الانتساب الغريب فى حديثه عن قيامة الأموات. لجماعة الصدوقيين من اليهود ، قائلا لهم : « أفما قرأتم — فى كتاب موسى — فى أمر العليقة ؟ كيف كلمه الله قائلا : « أنا إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب » وليس هو إله أموات ؛ بل إله أحياء ؛ لأن الجميع عنده أحياء » (اقرأ مت ٢٢ : ٣١ و ٣٢ مع مر ١٢ : ٢٦ و ٢٧ مع لو ٢٠ : ٣٧ و ٣٨) . وقد أشار الشهيد المسيحى الأول. استفانوس إلى هذا الانتساب فى كلامه عن موسى الذى سمع صوت ملاك العهد من « وسط نار عليقة متقدة » يقول له : أنا إله آبائك إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب ». (اقرأ أع ٧ : ٣٠ — ٣٢) .

تنازل عجيب من « إله المجد » نحو بنى البشر ، أعلنه ، جل اسمه ، بصورة بينة فى الكلمة النبوية : « هكذا قال العلى المرتفع ، ساكن الأبد القدوس اسمه » — قال ، « فى الموضع المرتفع المقدس أسكن ، ومع المنسحق والمتواضع الروح ؛ لأحيي روح المتواضعين ولأحيي قلب المنسحقين ؛ لأنى لا أخاصم إلى الأبد ولا أغضب إلى الدهر ، لأن « الروح » يغشى عليها أمامى ، والنسمات (نسمات البشر) التى صنعتها » (إش ٥٧ : ١٥ و ١٦) .

وقد أدرك المرنم هذا التنازل العجيب وهو منحن تحت حمل خطيته الثقيل يئن صارخاً : « نجنى من الدماء يا الله إله خلاصى ؛ فيسبح لسانى برك ، يارب افتح شفتى ، فيخبر فمى بتسبيحك ؛ لأنك لا تسر بذبيحة ، وإلا فكنت أقدمها ، بمحرقة لا ترضى ؛ ذبائح الله هى روح منكسرة ، القلب المنكسر والمنسحق يا الله لا تحتقره » (مز ٥١ : ١٤ — ١٧) .

هكذا بالرغم من حقارة الإنسان وبالرغم من قذارة مولده الطبيعى — بالرغم من أنه « خزف بين أخزاف الأرض » (إش ٤٥ : ٩) . وليست حياته سوى « عشب يوجد اليوم ، ويطرح غداً فى التنور » (مت ٦ : ٣٠) . بالرغم من كل هذه الحقارة والقذارة « لا يستحى بهم الله » : —

« أن يدعى إلههم » :

انتساب غريب فى سره ، ولعل سره ! هو تغرب هؤلاء الثلاثة فى أرض الموعد ، وإقرارهم بأنهم غرباء ونزلاء عند الرب ، متعبدين لإله السماء والأرض ، بانين لجلاله مذابح خاصة ، متميزين ، بذلك ، عن سائر سكان البلاد عباد الأصنام والأوثان والأباطيل الكاذبة ، متصلين بالإله الواحد الحقيقى السرمدى ، فليس بغريب أنه ، تعالى اسمه ، ينتسب إليهم ، داعياً نفسه إلههم » ملتصقاً بهم ، راعياً إياهم ، مرتباً ومدبراً كل أمورهم ، قائماً بكل مصالحهم بعناية خاصة تميزهم عن سائر شعوب الأرض . وقد شعر سكان تلك الأرض بهذه النسبة الخاصة ، وعبروا عنها ، قائلين لإبراهيم : « أنت رئيس من الله بيننا » (تك ٢٣ : ٦) . فكانوا يسالمونه ويكرمونه

إكراماً فائقاً . وهكذا فعلوا مع ابنه إسحق وحفيده يعقوب » (قابل تك ١٤ : ١٣ مع ٢٦ : ٢٦ — ٣٠ مع ٣٥ : ٥ — ٧) . هكذا عاش هؤلاء الثلاثة فى «أرض الموعد» متغربين « وأقروا بأنهم غرباء ونزلاء » عند الرب . « يبتغون وطناً أفضل أى سماوياً لذلك لا يستحى بهم الله أن يدعى إلههم » : —

« لأنه أعد لهم مدينة » :

هى تلك المدينة التى قيل إن إبراهيم كان ينتظرها « المدينة التى لها الأساسات التى صانعها وبارئها الله » . وقد سبق أن رأينا أنها ليست مدينة « حنوك » التى بناها قايين وهو مطرود من وجه الرب (تك ٤ : ١٦ و ١٧) . ولا هى مدينة « بابل » التى بناها نمرود وهو قائم فى وجه الرب (تك ١٠ : ٨ — ١١ و ١١ : ١ — ٩) . ولا هى مدينة « أورشليم الحاضرة — المستعبدة مع بنيها » بل هى « أورشليم العليا التى هى أمنا جميعاً » (انظر شرح غل ٤ : ٢٥ و ٢٦ للمؤلف راجع شرح ع ١٠) .

هذه « المدينة » هى « جبل صهيون — مدينة الله الحى أورشليم السماوية — «كنيسة أبكار مكتوبين فى السموات » (انظر شرح ص ١٢ : ٢٢ — ٢٤) . هذه هى « المدينة » التى رآها الرائى اللاهوتى ، وقال فيها : « أنا يوحنا رأيت « المدينة المقدسة » — « أورشليم الجديدة » — نازلة من السماء ، من عند الله ، مهيأة كعروس مزينة لرجلها » (اقرأ رؤ ٢١ : ٢ و ٩ — ٢٢ : ٥ انظر شرح ص ١٣ : ١٤) . هذه هى « المدينة » التى يقال هنا أن الله ، تفاضلت نعمته ، إياها : —

« أعـــد » :

هذه الكلمة « أعد » متصلة بالله الذى « لا يستحى بهم ؛ لأنه أعد (انظر الشرح) . ومن يستطيع أن يعد تلك « المدينة » التى سبق الكلام عنها ؟ . ليس أحد سوى ذاك الذى قيل عنه أنه « صانعها وبارئها » (راجع شرح ع ١٠) . وهما تعبيران يدلان على « المدينة » بوصف كونها « بناء » و« بيتاً » . كما دل عليه الرسول فى قوله : « لأننا نعلم أنه إن نقض بيت خيمتنا الأرضى فلنا فى السموات « بناء » من الله « بيت» « غير مصنوع بيد » أبدى (٢ كو ٥ : ١) .

على أن الكلمة « أعد » تشير ، لا إلى صنع البناء وإنشائه فحسب ؛ بل ، أيضاً تدل على كل ما أعد به ذلك البناء من « محبة أبدية » (إر ٣١ : ٣) . « وراحة » فائقة دائمة (مت ١١ : ٢٨ — ٣٠ راجع شرح ص ٤ : ٩ — ١١) . و« فرح لا ينطق به ومجيد » (١ بط ١ : ٨) . ولا غرو فى ذلك ! ولا عجب ! فإن تلك « المدينة » هى « ملكوت معد » منذ تأسيس العالم » (مت ٢٥ : ٣٤) . هى جلوس مع المسيح فى مجده على عروش المجد والعظمة التى أعدت من قبل الآب « للذين يحبون الله ، الذين هم مدعوون حسب قصده » (قابل مت ١٩ : ٢٨ و٢٠ : ٢٣ مع رو٨ : ٢٨ — ٣٠).

وهل نستطيع أن ندرك كل ما جرى فى إعداد هذا « الملكوت » ؟ وهل نقدر أن نتصوره إعداداً لوليمة عرس بهية فاخرة ، هو ذلك العرس الذى تحدث عنه ذلك العريس المجيد « الابن الوحيد » فى مثل . قائلا : « يشبه ملكوت السموات إنساناً ملكاً صنع عرساً لابنه ، وأرسل يقول للمدعوين : « هوذا غدائى أعددته » ، ثيرانى ومسمناتى قد ذبحت ، وكل شىء معد ، تعالوا إلى العرس » (مت ٢٢ : ٤ اقرأ ع ١ — ١٣) .

وما أوفر ! وما أسمى وأكثر ما أنفق فى إعداد وليمة هذا « العرس » ! من مال لا يقدر ومن مجهود لا يعبر عنه ! وليمة عرسية ملكية أعدها الملك العظيم « ملك الملوك ورب الأرباب فى « عرس » ابنه الوحيد ، يقصر عن تمثيلها ذلك الوصف الذى وصفت به وليمة الملك أحشويروش الفارسى الذى ملك العالم حينئذ « من الهند إلى كوش » تلك الوليمة التى أعدها لقواد جيشه وعظماء مملكته مئة وثمانين يوماً ، ولجميع الشعب من كبيرهم إلى صغيرهم — سبعة أيام — فى دار جنة قصر الملك « حين أظهر غنى مجد ملكه ووقار جلال عظمته » .

وهل نجسر فندخل إلى دار جنة ذلك القصر ؛ لنرى « ما أعد » فيها من أنسجة بيضاء وخضراء وأسمانجونية ، معلقة بحبال من بز وأرجوان ، فى حلقات من فضة ، وما أبهى تلك الأعمدة الرخامية والأسرة الذهبية ! على مجزع من بهت ومرمر ودر ورخام أسود . وكان السقاء (الأوانى التى بها يسقى) من ذهب والآنية مختلفة الأشكال والخمر الملكى بكثرة حسب كرم الملك » (إش ١ : ٤ — ٧ اقرأ ع ١ — ٩) .

وما هي هذه العظمة ! وهذا الجلال الملكي الفائق ! إنه لا يساوي ذرة بالمقارنة مع ذلك « المجد والبهاء » الذي أعد من ملك السماء ، معلناً في تلك الدعوة المجانية : « أيها العطاش جميعاً ! هلموا إلى المياه ! والذي ليس له فضة ! تعالوا اشتروا وكلوا ! هلموا اشتروا « بلا فضة وبلا ثمن » خمراً ولبناً . . . استمعوا لي استماعاً وكلوا الطيب ، ولتتلذذ بالدسم أنفسكم . أميلوا آذانكم وهلموا إليَّ اسمعوا فتحيا أنفسكم وأقطع لكم عهداً أبدياً — « مراحم داود الصادقة » (إش ٥٥ : ١ — ٣ اقرأ ع ١ — ٥) .

هذه هي وليمة « العرس » الفاخرة — « الملكوت الذي لا يتزعزع » (انظر شرح ص ١٢ : ٢٨) — « الميراث الذي لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل » (١ بط ١ : ٤) . الذي أعده الآب ، ملكوتاً أبدياً وعرساً بهياً بفداء دموى « لانه هكذا أحب الله العالم ، حتى بذل « ابنه الوحيد » ، لكى لا يهلك كل من يؤمن به ؛ بل تكون له الحياة الأبدية » (يو ٣ : ١٦) . وإن كان الآب « لم يشفق على « ابنه » بل بذله لأجلنا أجمعين » ؛ « فكيف لا يهبنا ، أيضاً ، معه كل شيء » ؟ (رو ٨ : ٣٢) . كيف لا ؟ وهو « الذي يمنحنا كل شيء بغنى للتمتع » (١ تى ٦ : ١٧) .

هذا هو « الملكوت المعد » — وليمة « العرس » — « الميراث الأبدي الذي هو « حكمة الله في سر » — الحكمة المكتومة التي سبق الله فعينها ، قبل الدهور لمجدنا » كما هو مكتوب « ما لم تر عين ولم تسمع به أذن ، ولم يخطر على بال إنسان ما « أعده » الله للذين يحبونه » (اقرأ ١ كو ٢ : ٧ — ٩ اقرأ ع ٦ — ١٠ مع رو ٨ : ١٤ — ١٧) . هذه هي « المدينة » التي أعدها الله للذين كانوا « يبتغون وطناً أفضل أي سماوياً » : —

« لأنــه » :

الضمير « هـ » — هاء الغائب — يعود بنا إلى لفظ الجلالة — « الله » — الواردة في القول : « لا يستحي بهم الله » (راجع الشرح) . أما كلمة « لأن » فهي مركبة من « لـ » — حرف تعليل — ومن « أن » — حرف توكيد ، فهي ، بهذا الوضع ، تعليلية توكيدية ، تربط ، مؤكدة ، بين ما يقال بعدها عن « الله » وبين ما قيل قبلها عنه ، تعالى اسمه — وبعبارة أوجز — تربط بين مسبب ومسبب : أما المسببٌ المسببٌ فيتجليان

فى الجملة السابقة — «لا يستحى بهم الله أن يدعى إلههم» — (راجع الشرح) — وفى الجملة التابعة — «أعد لهم مدينة» — (راجع الشرح) .

على أنه — وإن كان ليس من السهل أن تبين أية الجملتين المسبب وأيتهما هى المسبب — على أنه يمكننا أن نستعرض الموقف جملة ، وذلك بأن نضع أساسه فى موقف الثلاثة الآباء — «إبراهيم وإسحق ويعقوب» — الذين عاشوا فى «أرض الموعد» كأنها غريبة . وهم «يظهرون أنهم يطلبون وطناً» ، لكنهم «يبتغون وطناً أفضل — أى سماوياً» : لذلك — على هذا الأساس «أعد لهم (الله) مدينة» ناظراً إلى إيمانهم وابتغاء قلوبهم واشتهاء نفوسهم . وعلى ذات الأساس «لا يستحى بهم الله أن يدعى إلههم» . على هذا الأساس يبنى جميع المؤمنين ، مرددين قول الرسول : «لى اشتهاء أن أنطلق وأكون مع المسيح ذاك أفضل جداً» (فى ١ : ٢٣) .

الآن ! وقد انتهينا من شرح الصورة الثانية التى رسم فيها أمامنا هؤلاء الثلاثة الأبطال — «إبراهيم وإسحق ويعقوب» — مشهوداً لهم «كغرباء ونزلاء فى الأرض يبتغون وطناً أفضل أى سماوياً» (ع ١٣ — ١٦) . وقد سبق أن انتهينا من شرح الصورة الأولى التى رسم فيها هؤلاء الثلاثة الأبطال فى إيمان «أبينا إبراهيم» ، الذى «تغرب فى أرض الموعد كأنها غريبة ساكناً فى خيام مع إسحق ويعقوب الوارثين معه لهذا الموعد عينه» (ع ٨ — ١٠) . وها نحن الآن نتقدم بعون الله إلى شرح .

الصورة الثالثة — الثلاثة فى إيمان كل منهم على حدة (عب ١١ : ١٧ — ٢١)

فى هذه الآيات الخمس (١٧ — ٢١) نرى : (أ) «إبراهيم» فى إيمانه مفرداً (ع ١٧ — ١٩) . (ب) «إسحق» فى إيمانه مفرداً (ع ٢٠) . (حـ) «يعقوب» فى إيمانه مفرداً .

(أ) «إبراهيم» فى إيمانه مفرداً (ع ١٧ — ١٩)

١٧ بِٱلْإِيمَانِ قَدَّمَ إِبْرٰهِيمُ إِسْحٰقَ وَهُوَ مُجَرَّبٌ . قَدَّمَ ٱلَّذِى
قَبِلَ ٱلْمَوَاعِيدَ وَحِيدَهُ ١٨ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُ إِنَّهُ بِإِسْحٰقَ يُدْعَى لَكَ

نَسْلٌ . ١٩ إِذْ حَسِبَ أَنَّ ٱللهَ قَادِرٌ عَلَى ٱلْإِقَامَةِ مِنَ ٱلْأَمْوَاتِ أَيضًا
ٱلَّذِينَ مِنْهُم أَخَذَهُ أَيضًا فِي مِثَالٍ .

فى هذه الآيات الثلاث يختص الرسول شخص « إبراهيم » بالإيمان فى حادث معين بالذات ، يرجع بنا فيه إلى نص الكلمة النبوية عن يد موسى فى قوله : « إن الله امتحن إبراهيم ، فقال له « يا إبراهيم » ! فقال « هأنذا » فقال « خذ ابنك وحيدك الذى تحبه « إسحق » ، واذهب إلى أرض المريا ، وأصعده هناك « محرقة » على أحد الجبال الذى أقول لك » (تك ٢٢ : ١ و ٢ اقرأ ع ١ — ١٤) . وهوذا الرسول هنا يشير إلى هذا الحادث ، قائلا : —

(ع ١٧) « بالإيمان قدم إبراهيم إسحق » :

فى هذا التعبير إشارة صريحة لا غبار عليها تحقق تحقيقاً جدياً بأن « إبراهيم » قدم « إسحق » إطاعة لأمر الله الذى قال له بصريح اللفظ : « يا إبراهيم ! ... خذ ابنك ... إسحق ، واذهب إلى أرض المريا ، واصعده هناك محرقة على أحد الجبال الذى أقول لك » .

ويقول التاريخ النبوى إن إبراهيم بكر صباحاً لإتمام هذا الأمر ، وأخذ إسحق وشقق حطباً لمحرقة ، وذهب إلى الموضع الذى قال له الله ، وأخذ السكين والنار وبنى المذبح ، ورتب الحطب وربط إسحق ابنه ووضعه على المذبح فوق الحطب ، ثم مد يده وأخذ السكين ليذبح ابنه . والرسول يعبر عن كل هذه الأعمال والإجراءات بالقول : « قدم إبراهيم إسحق » معتبراً أن التقديم حدث فعلا إلى درجة عبر عنها بالقول : « مد إبراهيم يده وأخذ السكين ليذبح ابنه » (تك ٢٢ : ١٠) .

وإلى هذا العمل الفعلى ، يشير الرسول يعقوب بالقول : « ألم يتبرر إبراهيم أبونا بالأعمال » ؟ « إذ قدم إسحق ابنه على المذبح » . « فترى أن الإيمان عمل مع أعماله . وبالأعمال أكمل الإيمان ، وتم الكتاب القائل « فآمن إبراهيم بالله فحسب له براً ودعى خليل الله » (يع ٢ : ٢١ — ٢٣) — مع وجوب الإدراك أن حسبان الإيمان لإبراهيم براً كان

قبل تقديم « إسحق » بمالا يقل عن أربعين سنة ؛ فلم يكن إسحق قد ولد ، حين « آمن — « إبراهيم » — بالرب فحسبه له براً » (قابل تك ١٥ : ٦ مع ١٧ : ١٥ — ١٩ مع ١٨ : ٩ — ١٤ مع ٢١ : ١ — ١٢ و ٢٢ : ١ — ١٤) .

أما قوله « وبالأعمال أكمل الإيمان » (يع ٢ : ٢٢) ، فهو بمثابة ما أعلنه السيد المسيح فى قوله لتلاميذه : « أنا الكرمة وأنتم الأغصان ، الذى يثبت فىَّ وأنا فيه ، هذا يأتى بثمر كثير ؛ لأنكم بدونى لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً » (يو ١٥ : ٥) . فالثبوت فى المسيح هو بمثابة « الإيمان الذى حسب لإبراهيم براً » ، وتقديم إسحق » هو بمثابة ثمر ذلك « الإيمان العامل بالمحبة » (غل ٥ : ٦ انظر الشرح للمؤلف) . لذلك قيل : « بالإيمان قدم إبراهيم إسحق » : —

« وهو مجــرب » :

كلمة « مجرب » فى تعبير الرسول هنا ، هى ذات الكلمة « امتحن » الواردة فى « الكلمة النبوية » فى قول موسى : « إن الله « امتحن » إبراهيم » (تك ٢٢ : ١) . وكلا الوحيين يفسر أحدهما الآخر . فالامتحان كان تجربة، والتجربة كانت امتحاناً . وهذا ينطبق تمام الانطباق على قول الرسول يعقوب : « احسبوه كل فرح يا إخوتى ! حينما تقعون فى « تجارب » متنوعة ؛ عالمين أن « امتحان » إيمانكم ينشىء صبراً » (يع ١ : ٢ و ٣) ، حيث ، وهو يتكلم عن « التجارب » يفسرها فى ذات القول « امتحان إيمانكم » ، ثم يعود فيسميها « تجربة » قائلا : « طوبى للرجل الذى يحتمل « التجربة » لأنه ؛ إذا تزكى ، ينال « إكليل الحياة » الذى وعد به الرب للذين يحبونه » (يع ١ : ١٢) .

على هذا النمط يقول الرسول بطرس ، « للمبتهجين بالخلاص » : « مع أنكم ، الآن ، إن كان يجب تحزنون يسيراً «بتجارب » متنوعة ؛ لكى تكون « تزكية إيمانكم» وهى أثمن من الذهب الفانى ، مع أنه «يمتحن » بالنار ، توجد للمدح والكرامة والمجد ، عند استعلان يسوع المسيح » (١ بط ١ : ٦ و ٧) ؟

على أساس هذا التفسير الكتابي ندرك تساؤل الرسول يعقوب : « ألم يتبرر إبراهيم أبونا بالأعمال » ؟ (يع ٢ : ٢١) — لا باعتبار أن المؤمن « يتبرر بأعمال الناموس » — الأمر الذى نفاه الرسول بولس نفياً باتاً قاطعاً ، قائلا : « لأنه بأعمال الناموس كل ذى جسد لا يتبرر أمامه » (رو ٣ : ٢٠ انظر شرح غل ٣ : ١٦ للمؤلف) . بل باعتبار أن « الأعمال » — التى يتكلم عنها الرسول يعقوب — إنما هى مجرد أثمار ناشئة عن إيمان المؤمن ، الذى بإيمانه يتبرر (راجع شرح غل ٢ : ١٦ للمؤلف) .

هذه قضية تؤكدها شهادة الكتب المقدسة ، وذلك على حد القول عن أبينا إبراهيم : « فآمن بالرب فحسبه له (أى حسب له الإيمان) براً (تك ١٥ : ٦) . وعلى مبدأ القول النبوى : « والبار بإيمانه يحيا » (قابل حب ٢ : ٤ مع رو ١ : ١٧ انظر شرح غل ٣ : ١١ للمؤلف ، راجع شرح ص ١٠ : ٣٨) (مع الملاحظة أن « إبراهيم » قد « حسب له الإيمان براً » قبل أن يولد إسحق بزمن بعيد ، وبالأحرى قبل أن يصعد إبراهيم « إسحق » محرقة (انظر تك ١٥ : ٦ و١٧ : ١ — ٩ و١٨ : ٩ — ١٤ و ٢١ : ١ — ١٢ و ٢٢ : ١ — ١٤) .

هذه هى القضية الأساسية التى أثبتها السيد المسيح لتلاميذه فى قوله لهم : « أنا الكرمة وأنتم الأغصان ، الذى يثبت (« بالإيمان ») فىَّ وأنا فيه ، هذا يأتى بثمر كثير » (يو ١٥ : ٥) : « بهذا يتمجد أبى أن تأتوا بثمر كثير » (يو ١٥ : ٨) . « أنا اخترتكم وأقمتكم لتذهبوا وتأتوا بثمر ويدوم ثمركم » (يو ١٥ : ١٦) . هــذا هو ثمر الغصن الثابت فى الكرمة — ثمر المؤمن الثابت بالإيمان فى المسيح (اقرأ يو ١٥ : ١ — ١٧) .

هذا يؤكد لنا أن « تجـــربة » إبراهيم ، لم تكن من النوع الذى قال فيه الرسول يعقوب : « لا يقل أحد ، إذا « جرب » : إنى « أجرب » من قبل الله ؛ لأن الله غير « مجرَّب » بالشرور ، وهو لا يجرب أحداً : ولكن كل واحد « يجرَّب » إذا انجذب وانخدع من شهوته ، ثم الشهوة ؛ إذا حبلت ، تلد خطية ، والخطية ؛ إذا ، كملت ، تنتج موتاً » (يع ١ : ١٣ — ١٥) . بل بالحرى يثبت أنها كانت من النوع الذى قال فيه : « طوبى للرجل الذى يحتمل التجربة ؛ لأنه ، إذا تزكى ، ينال « إكليل الحياة » الذى وعد به الرب للذين يحبونه » (يع ١ : ١٢) .

هذه هى التجربة التى يمكن أن يعبر عنها « بكلمة الحق » فى القول : « كل عطية صالحة ، وكل موهبة تامة ، هى من فوق ، نازلة من عند « أبى الأنوار » الذى ليس عنده تغيير ولا ظل دوران . شاء فولدنا « بكلمة الحق » لكى نكون باكورة من خلائقه » (يع ١ : ١٧ و ١٨) . هكذا احتمل إبراهيم التجربة ونفذ الأمر فعلا ؛ كما يقول الرسول : « بالإيمان قدم إبراهيم إسحق وهو مجرَّب » : —

« قدم الذى قبل المواعيد وحيده » :

هذه الجملة هى تعبير آخر للجملة السابقة التى هى « قدم إبراهيم إسحق » . حيث نرى فى الجملتين (١) شخصية المقدم : الذى هو « إبراهيم » — « الذى قبل المواعيد » كما نرى (٢) شخصية المقدم ، الذى هو « إسحق » — « وحيده » — (أى وحيد إبراهيم) . وهذا يأتى بنا إلى أمرين جوهريين : —

١ — شخصية المقـــدم :

بوصف كونه « الذى قبل المواعيد » : — هذا يرجع بنا إلى دراسة التاريخ النبوى فى هذا الشأن ؛ حيث يوقفنا هذا التاريخ النبوى ، فى ليلة ما ، فيها تراءى الرب لأبرام ، قائلا : « لا تخف يا أبرام ، أنا ترس لك ، أجرك كثير جداً » فقال أبرام « أيها السيد الرب ! إنك لم تعطنى نسلا ، وهوذا ابن بيتى وارث لى » . فإذا كلام الرب إليه ، قائلا : « لا يرثك هذا ؛ بل الذى يخرج من أحشائك هو يرثك » . ثم أخرجه ، إلى خارج ، وقال : « انظر إلى السماء ، وعد النجوم ؛ إن استطعت أن تعدها ، وقال له : « هكذا يكون نسلك » . فآمن بالرب فحسبه له براً » (إقرأ تك ١٥ : ١ — ٦) : فى ذلك اليوم قطع الرب مع « أبرام » ميثاقاً قائلا : « لنسلك أعطى هذه الأرض » (تك ١٥ : ١٨ اقرأ كل الأصحاح) .

ولما كان أبرام ابن تسع وتسعين سنة ظهر الرب لأبرام ، وقال له : « أنا الله القدير ، سر أمامى وكن كاملا ؛ فأجعل عهدى بينى وبينك وأكثرك كثيراً جداً . . . فلا يدعى اسمك ، بعد « أبرام » بل يكون اسمك « إبراهيم » لأنى أجعلك أباً لجمهور من الأمم » (تك ١٧ : ١ — ٥ اقرأ ع ١ — ٢٢ و ١٨ : ٩ — ١٤ و ٢١ : ١ — ٢

مع رو ٤ و ٩ : ٦ — ٩ انظر شرح غل ٤ : ٢٢ — ٣١ للمؤلف) . هذا هو « إبراهيم » « الذى قبل المواعيد » كما تبينا من التاريخ النبوى ، وهذا ينتقل بنا إلى : —

٢ — شخصية المقـدم :

« إسحق » بوصف كونه « وحيده » (وحيد إبراهيم) ، كما وصفه الله نفسه ، قائلا : « خذ ابنك وحيدك الذى تحبه إسحق » (تك ٢٢ : ٢) : وهذا يدعونا إلى التساؤل ، هل كان « إسحق » هو الابن « الوحيد » لإبراهيم ؟ ألم يكن إسمعيل هو ابن إبراهيم الأكبر ؟ (ويمكن أن نقول إنه البكر) ؟ . ألم تنل هاجر أمه وعداً من «ملاك الرب » بتكثير نسلها ؛ بعد أن أخبرها بولادة إسمعيل منها ؟ (اقرأ تك ١٦ : ٦ — ١٢) .

ألم يباركه الرب الذى قطع العهد مع إبراهيم أبيه ، فى قوله : وأما إسمعيل فقـد سمعت لك فيه . ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيراً جداً . اثنى عشر رئيساً يلد وأجعله أمة كبيرة » (اقرأ تك ١٧ : ١٨ — ٢١ و ٢١ : ١٣ و ٢٥ : ١٢ — ١٧) . فقد كان إسمعيل بمقتضى هذه النصوص الإلهية الكريمة « نسل إبراهيم » . فكيف يكون « إسحق » والحالة هذه وحيداً » لإبراهيم ؟ .

لعلنا نجد تعليلا لهذه الوحدانية المحققة فى قول الله « خذ ابنك وحيدك . . . إسحق » (تك ٢٢ : ٢) . لعلنا نجد تعليلا لذلك فى نص الوعد بولادة إسحق ؛ حيث قيل لأبرام : « سارى امرأتك لا تدعوا اسمها ساراى ؛ بل اسمها « سارة » ، وأباركها وأعطيك ، أيضاً منها « ابناً » والكلمة « أيضاً » هنا لا تعنى « ابناً » آخر غير إسمعيل ؛ بل تعنى الإضافة إلى مباركة سارة بإعطائها أيضاً نسل — مباركاً إياها معطياً لها نسلا .. والدليل على ذلك هو أنه « إذ سقط إبراهيم على وجهه وضحك » وقال لله « ليت إسمعيل يعيش أمامك » أجابه الرب مؤكداً القول : «بل سارة امرأتك تلد لك ابناً وتدعو اسمه إسحق وأقيم عهدى معه — « عهداً أبدياً » لنسله من بعده » (اقرأ تك ١٧ : ١٥ — ١٩ و ١٨ : ٩ — ١٤ و ٢١ : ١٢ مع رو ٩ : ٧ — ٩ انظر شرح غل ٤ : ٢٢ — ٣١ للمؤلف) .

إذاً يكون « إسحق » ابن إبراهيم « الوحيد » على أساس ثلاث شهادات كتابية صادقة : —

(أ) على أساس كونه « أبن الحـرة » بمقارنته مع « إبن الجارية » كما يتضح من قول الرسول الذى بناه على أساس « الكلمة النبوية » حيث يقول : «ألستم تسمعون الناموس ؟ فإنه مكتوب « كان لإبراهيم ابنان ، واحد من « الجارية » ، والآخر من « الحرة » لكن « الذى من « الجارية » («هاجر » وهو «إسمعيل ») و«لد حسب الجسد » وأما « الذى من الحرة » (« سارة » وهو « إسحق ») فبالموعد ، وكل ذلك رمز ؛ لأن هاتين هما « العهدان » : — أحدهما من « جبل سيناء الوالد للعبودية » الذى هو « هاجر » لأن « هاجر » — فى صورتها الرمزية ، بوصف كونها « جارية » — هى « جبل سيناء فى العربية » (أى جبل سيناء) . ولكنه يقابل « أورشليم الحاضرة » فإنها « مستعبدة » مع بنيها . وأما « أورشليم العليا » التى هى أمنا جميعاً ؛ فهى « حرة » (انظر شرح غل ٤ : ٢٢ — ٢٦) .

لكن ماذا يقول الكتاب ؟ « اطرد الجارية وابنها ؛ لأنه لا يرث ابن الجارية مع ابن الحرة » . أما الكتاب الذى قال هذا القول ، فقد نطق به بفم « سارة » يوم قالت لإبراهيم : « اطرد هذه الجارية وابنها ؛ لأن ابن هذه الجارية لا يرث مع ابنى إسحق » . « فقبح الكلام جداً فى عينى إبراهيم ؛ بسبب ابنه » ، فقال الله لإبراهيم مؤمناً على كلام سارة : « لا يقبح فى عينيك ؛ من أجل الغلام ومن أجل جاريتك : فى كل ما تقول لك « سارة » . اسمع لقولها » . وقد تمم إبراهيم قول الرب فعلا إذ « بكر — فى الصباح — وأخذ خبزاً وقربة ماء وأعطاهما لهاجر واضعاً إياهما على كتفها والولد وصرفها » (تك ٢١ : ٩ — ١٤ اقرأ ع ١ — ١٤ انظر شرح غل ٤ : ٣٠) ، الأمر الذى يدل على أن «إسمعيل » (ابن الجارية) قد طرد نهائياً من الميراث فى بيت أبيه إبراهيم ، وأن إسحق » (ابن الحرة) أصبح هو الوارث الوحيد ؛ كما يتبين بأكثر وضوح مما أجراه إبراهيم قبل وفاته ؛ حيث قيل : « وأعطى إبراهيم (ابنه الوحيد) إسحق كل ما كان له ، وأما بنو السرارى اللواتى كانت لإبراهيم ؛ فأعطاهم إبراهيم عطايا وصرفهم

عن « إسحق » ابنه شرقاً — إلى أرض المشرق — وهو بعد حي » (تك ٢٥ : ٥ و ٦ اقرأ ع ١ — ٦ و ٢٦ : ٢ — ٦ راجع شرح ع ٨ و ٩ انظر شرح غل ٤ : ٢٨ — ٣٠ للمؤلف) . هذا هو « إسحق » بوصف كونه « ابن الحرة »على أساس مقارنته «بإسمعيل » « ابن الجارية » ، يضاف إلى ذلك أنه : —

(ب) « ابن الموعد » بمقارنته مع ابن « الجسد » (انظر شرح غل ٤ : ٢٣ للمؤلف) . أما الموعد ، فهو تلك الكلمة التى أثبتها الرسول فى قوله : « لأن كلمة « الموعد » هى هذه : « أنا آتى نحو هذا الوقت ويكون لسارة ابن » (رو ٩ : ٩) . مقتبساً ذات القول الذى قاله الرب « لإبراهيم » عند بلوطات ممرا مكرراً ومؤكداً ، قائلا : « إنى أرجع إليك نحو زمان الحياة ويكون لسارة امرأتك ابن » ، مثبتاً قوله هذا بتأكيد نصه : « هل يستحيل على الرب شيء ؟ فى الميعاد أرجع إليك ؛ نحو زمان الحياة ، ويكون لسارة ابن » (تك ١٨ : ١٠ و ١٤ و ١٥) .

هذه هى « كلمة الموعد » التى هى ، فى حقيقتها ، صيغة العهد المقدس الذى سبق الله فقطعه مع إبراهيم ، قائلا : « أقيم عهدى بينى وبينك وبين نسلك من بعدك فى أجيالهم — « عهداً أبدياً — لأكون إلهاً لك ولنسلك من بعدك » (تك ١٧ : ٧) . وإذ لم يكن لإبراهيم ولد ، حين قطع هذا العهد ، سوى إسمعيل ؛ فكر إبراهيم أن هذا النسل المبارك المقصود هو « إسمعيل » ولكن الرب ، ما لبث ، أن نفى من ذهنه هذا الفكر ، نفياً باتاً ببيان واضح ، فى قوله له : « بل سارة امرأتك « تلد لك ابناً » . وتدعو اسمه « إسحق » وأقيم عهدى معه » (اقرأ تك ١٧ : ١٥—١٩) .

هذه هى « كلمة الموعد » المختصة بإسحق دون سواه ، كما يظهر من قول الرب « بإسحق يدعى لك نسل » (قابل تك ٢١ : ١٢ مع رو ٩ : ٧) . فإسحق إذاً هو « ابن الموعد » والعهد الأبدى ، وكما رأيناه « ابن الحرة » و « ابن الموعد » هكذا نراه : —

(حـ) وارثاً للعالم : هذه الجملة « وارثاً للعالم » هى تعليق علق به الرسول على العهد المقطوع من الله مع إبراهيم ونسله ؛ حيث قال : « فإنه ليس « بالناموس » كان الوعد لإبراهيم أو « لنسله » أن يكون « وارثاً للعالم » بل ببر الإيمان » (رو ٤ : ١٣) .

فى هذا التعليق نرى « إيمان إبراهيم » الذى « حسب له براً » يلعب دوره فى زمن لا يقل عن أربعمئة وثلاثين سنة ، قبل الناموس (انظر شرح غل ٣ : ١٧ للمؤلف) . فقد كان ذلك « الإيمان » خاصاً بإعطاء « نسل » ، كان إيماناً بالله « الذى يحيي الموتى ، ويدعو الأشياء غير الموجودة ؛ كأنها موجودة » ، كان إيماناً مقروناً بالرجاء الحى أعطى قدرة عجيبة على إنشاء نسل من ممات ، هذا هو « الإيمان » الذى صار به « إبراهيم » أو « نسله » وارثاً للعالم ، وذلك بوصف كونه أباً فى الإيمان لكل أبناء الموعد من كل جنس ولون ، لا فرق بين يهودى أو أممى ، أباً لجميع « الذين يؤمنون بمن أقام المسيح من الأموات » (اقرأ رسالة رومية ص ٤ و ٩ : ٦ — ٩) .

هكذا يعلن « الكتاب » — « الكلمة النبوية » — أن « إسحق » هو وحيد إبراهيم « ابن الموعد » الوارث الوحيد له ، الذى فيه « قبلت جميع المواعيد » . وهو بهذا الوصف ، ليس إلا مجرد صورة تمثيلية رمزية نبوية لذاك « الابن الوحيد الذى هو فى حضن الآب » ، الذى جعله الآب « بكراً بين إخوة كثيرين » هم أولاد الله الحقيقيون ورثة الموعد مع ذلك « الابن الوحيد » « الذى جعله الله وارثاً لكل شىء » (اقرأ يو ١ : ١٨ مع رو ٨ : ١٦ و ١٧ و ٢٩ انظر شرح غل ٤ : ٤ — ٧ للمؤلف . راجع شرح ص ١ : ٢) . هذا هو « الابن الوحيد » الوارث لكل شىء الذى نطق بلسان المرنم ، قائلا : « إنى أخبر من جهة قضاء الرب ، قال لى : « أنت ابنى ، أنا اليوم ولدتك ، اسألنى ، فأعطيك الأمم ميراثاً لك ، وأقاصى الأرض ملكاً لك » (مز ٢ : ٧ و ٨ راجع شرح ص ١ : ٥ و ٥ : ٥) .

هذا هو « المسيح » نسل « إبراهيم » الذى « فيه قبلت كل المواعيد » ، الذى نحوه ، تمكن العهد المقطوع من الله مع إبراهيم ونسله ، عهداً لا ينسخ ؛ لذلك يقول : « فإن كنتم « للمسيح » فأنتم إذاً « نسل إبراهيم » وحسب الموعد ورثة » (انظر شرح غل ٣ : ١٥ — ١٨ و ٢٩ للمؤلف) . على هذا الأساس النبوى الوطيد يبنى الرسول قوله : « بالإيمان قدم إبراهيم إسحق وهو مجرب — قدم — الذى قبل المواعيد ، وحيده » :

(ع ١٨) «الذى قيل له ، إنه بإسحق يدعى لك نسل» :

فى هذه العبارة — «بإسحق يدعى لك نسل» — يردد الرسول قول الرب الذى سبقت الإشارة إليه فى الحديث عن «ابن الموعد» فى (حرف ب — انظر الشرح) : وهى ذات العبارة التى قالها الرب «لأبرام» صريحاً فى (تك ٢١ : ١٢) . واقتبسها الرسول فى (رو ٩ : ٧) .

على أن الرسول يورد هذه العبارة «بإسحق يدعى لك نسل» — يوردها هنا لمناسبة علاقتها بإصعاد إسحق محرقة للرب ، وذلك بمقتضى أمره ، تعالى ، لإبراهيم (تك ٢٢ : ١ و ٢) . أما المناسبة فتتضح ، جلياً ، بالمقارنة بين قول الله لإبراهيم : «بإسحق يدعى لك نسل» . وبين الأمر الذى صدر منه لإبراهيم «خذ ابنك وحيدك الذى تحبه إسحق . . . وأصعده هناك محرقة» . وهل يتفق هذان الأمران معاً ؟ وهل لم يتردد فى قلب إبراهيم مثل هذا التساؤل عند صدور الأمر له بإصعاد ابنه محرقة ؟ .

هذه هى «التجربة» فى شدتها — «التجربة» التى واجهت «إبراهيم» ، وعبر عنها الرسول بالقول : «وهو مجرَّب» (راجع الشرح) . فقد كان ممكنا للمجرِّب الشيطانى أن يغتنم هذه الفرصة للقضاء على إيمان «إبراهيم» وبخاصة بعد أن تم — بمقتضى أمر الرب — طرد إسمعيل طرداً نهائياً ، فقد كان ممكناً أن يوسوس ذلك الوسواس الخناس فى قلب إبراهيم ، قائلا : إذاً أين «الموعد» الذى قيل لك ؟ إنه بإسحق يدعى لك نسل» ؟ ليتم القول : «أن الذى يخرج من أحشائك هو يرثك» ؟ (تك ١٥ : ٤) . وغير ذلك من الوساوس المهلكة ، التى كان يمكن أن يزرعها الشيطان فى قلب إبراهيم ، تجربة ما أشدها ! امتحان ما أقساه ! ولكن «إبراهيم» بقوة «الإيمان» بالنعمة الإلهية المتفاضلة جداً (١ تى ١ : ١٤) ، بمقتضى «الدعوة المقدسة» (٢ تى ١ : ٩) . قد اجتاز «الامتحان» ظافراً بذلك «الشيطان» الذى سحقه «إله السلام» تحت رجليه (رو ١٦ : ٢٠) . ولم ينبس ببنت شفة ؛ بل «بالإيمان» قدم إبراهيم إسحق وهو مجرَّب — «بالإيمان» — (إبراهيم) «الذى قبل المواعيد» «قدم وحيده» ، الذى قيل له «إنه بإسحق يدعى لك نسل» : —

(ع ١٩) «إذ حسب» :

الكلمة «إذ» هنا ظرف زمان تشير إلى زمن مضى ، وهى هنا تنبئنا بما كان جارياً فى فكر إبراهيم وفى قلبه ، بشأن الطلب الذى قدمه الله له ، حينئذ ؛ لإصعاد إسحق محرقة وتحقيق ذلك الطلب ، «إذ» أنه : —

«حسب» :

وما هو ذلك الحسبان ؟ أهو مجرد ظن طرأ على فكر إبراهيم كشيء عابر تبدد الرياح أثره ؟ أم هو ذلك «الحسبان» الذى هو فى حقيقة الأمر قوة «الإيمان» الذى ملأ قلب إبراهيم فى ذلك الزمان ؟ فى وقت تلك التجربة وذلك الامتحان ؟ هذه هى الحقيقة التاريخية المعلنة فى تاريخ ميلاد إسحق . هذا هو الإيمان البارز فى حياة «إبراهيم» من كل ذلك التاريخ المقدس : فإنه من بدء الوعد الذى قيل فيه لأبرام : «انظر إلى السماء : وعد النجوم . إن استطعت أن تعدها — وقال له : «هكذا يكون نسلك» : «فآمن بالرب فحسبه له براً» (تك ١٥ : ٥ و ٦ اقرأ ع ١ — ٦) .

مر على هذا الوعد نحو عشر سنوات كانت امتحاناً لإيمان إبراهيم ؛ لأن الوعد لم يتم فى تلك الفترة ، فلا عجب ! أنه يذعن لطلب ساراى امرأته التى قالت له : «هوذا الرب قد أمسكنى عن الولادة ، ادخل على جاريتى ؛ لعلى أرزق منها بنين» فسمع أبرام لقول ساراى (تك ١٦ : ٢) ، ولعله بنى ذلك الإذعان على ما ساوره من الظن الذى أخذ برأسه ؛ فأوهمه بأن هذه هى الطريقة التى بها قد يتم وعدالله بالنسل ، فغاب عنه قصد الله بإتمام وعده فى أبناء الموعد ، لا فى أبناء الجسد ، ولابد أن هـذا الظن ، قد ساور «ساراى» أيضاً .

أصبح هذا الظن ، فى قلب إبراهيم وساراى ، حقيقة راسخة ، وقد ظهرت هذه الحقيقة بينة جلية عند قطع الرب العهد مع إبراهيم ، تحقيقاً لوعده «بالنسل» كما يتضح فى قول إبراهيم — «حين سقط على وجهه وضحك» — وقال ، فى قلبه : «هل يولد لابن مئة سنة ! وهل تلد «سارة» وهى بنت تسعين سنة» ! وقال إبراهيم لله : «ليت إسمعيل يعيش أمامك» (تك ١٧ : ١٧ و ١٨) . كما يتضح هذا ، أيضاً ، من قول

سارة حين « ضحكت فى باطنها » قائلة : « أبعد فنائى يكون لى تنعم ؟ وسيدى قد شاخ » ؟ (تك ١٨ : ١٢) . لقد انتهى هذا الظن الوهمى ، وتبدد الوهم المزعوم الذى ساور إبراهيم وسارة وأخذ برأسيهما ، وأصبح الحسبان « إيماناً » يعبر عنه بالقول عن « إبراهيم ، إذ حسب »

« أن الله قادر » :

هذا هو الإعلان الصريح الذى أعلنه الله « لأبرام » عندما ظهر له ، لتجديد الوعد وقطع العهد ؛ حيث قال له « أنا الله القدير » (تك ١٧ : ١) . هذا هو اسم الجلالة « إيل شداى » (عبرياً) وتعريبه « إله الشدة » ، وهو ، جل اسمه ، ذات « يهوه » الذى ظهر « لموسى » فى العليقة المتقدة وقال له : « هكذا تقول لبنى إسرائيل « يهوه إله آبائكم أرسلنى إليكم » (خر ٣ : ١٥ اقرأ ع ١ — ١٥) . وقال له ، أيضاً : « أنا يهوه » وأنا ظهرت لإبراهيم وإسحق ويعقوب « بأنى إيل شداى » — « الإله القادر على كل شىء » (خر ٦ : ٢ و ٣) .

هكذا — عند إعطاء الوعد بميلاد « إسحق » وعداً موطداً بعهد — آمن إبراهيم « بالله القدير » — « إيل شداى » — « الإله القادر على كل شىء » — « الإله الذى آمن به ، الذى يحيى الموتى ، ويدعو الأشياء غير الموجودة كأنها موجودة » (رو ٤ : ١٧ اقرأ ع ١٧ — ٢٢ مع تك ١٧) . فليس بغريب إذاً ! أنه — إذ امتحنه « الله » قائلا له : « خذ ابنك وحيدك الذى تحبه « إسحق » . . . وأصعده محرقة » (تك ٢٢ : ٢) — ليس بغريب ! أن يقول عنه الرسول ، فى هذا الصدد : « بالإيمان قدم « إبراهيم » « إسحق » وهو مجرب — قدم « الذى قبل المواعيد » وحيده ، الذى قيل له « إنه بإسحق يدعى لك نسل ، إذ حسب أن الله قادر » : —

« على الإقامة من الأموات ، أيضاً » :

وليس بغريب أن يقال إن ابراهيم « حسب أن الله قادر على الإقامة من الأموات » . فإن « كلمة الموعد » التى ولدت « بالإيمان » ذلك الحسبان فى إبراهيم ، إنما هى ذات « كلمة الموعد » ، التى سبق أن ولدت فيه ذات الحسبان بميلاد إسحق ؛ حيث قيل عنه :

« وإذ لم يكن ضعيفاً فى « الإيمان » ، لم يعتبر جسده ، وهو قد صار مماتاً ؛ إذ كان ابن نحو مئة سنة ، ولا مماتية مستودع سارة ، ولا ، بعدم إيمان ، ارتاب فى وعد الله ؛ بل تقوى « بالإيمان » معطياً مجداً لله ، وتيقن أن ما وعد به ، هو قادر أن يفعله ، أيضاً » (رو ٤ : ١٩ — ٢١) .

هذه هى ، أيضاً ، قوة « الإيمان » التى قدرت « سارة » على ذايت الحسبان ؛ كما قيل : « بالإيمان سارة نفسها ، أيضاً ، أخذت قدرة على إنشاء نسل ، وبعد وقت السن ولدت ؛ إذ حسبت الذى وعد صادقاً » (بل « قادراً ») (راجع شرح ع ١١ و ١٢) . هكذا يعتبر إسحق ، ولابد ، مولود الإيمان بالله « القدير » — « إيل شداى » « الإله القادر على كل شيء » — الإله الذى يحيى الموتى ويدعو الأشياء غير الموجودة كأنها موجودة » .

بذات « الإيمان » بالله « القدير » — الإله الذى « يحيي الموتى » — دخل إبراهيم فى بوتقة هذا الامتحان النارى ، وخرج مزكى ، مطهراً ممحصاً ومنقى مصفى كالذهب والفضة ، محفوظاً للميراث الأبدى الذى لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل » . محروساً بقوة الله « بإيمان لخلاص مستعد أن يعلن فى الزمان الأخير » — بإيمان « يوجد للمدح والكرامة والمجد عند استعلان يسوع المسيح » (اقرأ ملا ٣ : ٢ و ٣ مع ١ بط ١ : ٣ — ٧) .

هكذا كان إيمان « إبراهيم » « بالله القدير » — « إيل شداى » — إيماناً بقدرة إلهية لا تحد ، تستطيع أن تقيم « من الأموات » حياً ؛ كما أخرجت من مماتية مستودع سارة ، محققاً بالحجج العملية الدامغة ، موقناً على أساس راسخ متين ، بأنه « مهما كانت مواعيد الله ؛ فهو فيه « النعم » وفيه الآمين لمجد الله بواسطتنا » (٢ كو ١ : ٢٠) .

مواعيد مبرمة لا نقض فيها ، لا يزول منها حرف واحد ولا نقطة واحدة حتى تتم بحذافيرها ؛ إذ لا تستطيع قوة ما أن تقف أمام قدرته الفائقة ، مؤمناً إيماناً راسخاً بأن « إسحق » ولو نقضت « خيمته » وانقطع عنها ، وزال عنه اعتماده ، ولو سيق إلى « ملك الأهوال » — إلى « الموت » الزؤام (أى ١٨ : ١٤) . فإن هذا الملك الجبار —

« ملك الأهوال » (الموت الزؤام) ، لا يستطيع أن يقف فى وجه القادر على الإقامة من الأموات » ، ذاك الذى لا يستطيع أحد أن يفهم « عد جبروته » (أى ٢٦ : ١٤) . « سلطانه سلطان أبدى . . . وهو يفعل كما يشاء فى جند السماء وسكان الأرض . ولا يوجد من يمنع يده أو يقول له ماذا تفعل » ؟ (دا ٤ : ٣٤ و ٣٥) .

فلا « ملك الأهوال » ولا « أبواب الجحيم » وكل قوات الهاوية تستطيع أن تقف فى وجه ذاك الذى له « مفاتيح الهاوية والموت » (رؤ ١ : ١٨) ، هكذا كان إيمان إبراهيم « بالله القدير » ، « إيل شداى » ، « الإله القادر على كل شىء » ، إذ حسب أن الله قادر على الإقامة من الأموات أيضاً : —

« الذين منهم أخذه ، أيضاً » :

الكلمة « أيضاً » مصدر منصوب من أصل آض يئيض « أيضاً » بمعنى ، عاد يعود أو رجع يرجع ، يقال فعله « أيضاً » أى فعله معاوداً ، وهوذا الرسول ، فى النص الذى أمامنا ، يذكر هذه الكلمة « أيضاً » مرتين : أما المرة الأولى ، — فقد كانت قوله : « إذ حسب أن الله قادر على الإقامة من الأموات ، أيضاً » . وهى فى هذه الجملة ، كما سبق أن رأيناها ، تعود بنا ، فى موضوع الكلام ، إلى « مماتية مستودع سارة » بوصف كونه قبراً أخرج منه إسحق مولوداً حياً (انظر الشرح) . أما المرة الثانية فهى مذكورة هنا فى قوله : —

« الذين منهم أخذه ، أيضاً » » :

حيث يعود بنا الرسول إلى إسحق بين الأموات ، وهو موضوع فوق الحطب على المذبح والسكين مشهرة لذبحه ، انتظاراً « لإصعاده محرقة » فإنه ، فى تلك اللحظة الدقيقة ، دخل إسحق فى « عداد الأموات » : وذلك بمقتضى القصد الإلهى مع نية إبراهيم الصريحة وتسليم الابن ذاته تسليما تاماً بالطاعة الكاملة لأبيه .

على هذا الأساس ، تعتبر مناداة ملاك الرب لإبراهيم « لا تمد يدك إلى الغلام ولا تفعل به شيئاً » (تك ٢٢ : ١٢) — تعتبر هذه المناداة — بمثابة الأمر الإلهى بإعادة

الحياة إلى « إسحق » عن طريق القيامة من الأموات — بذات الطريقة التى نادى بها « رب المجد » يسوع عند قبر لعازر حين « صرخ ، بصوت عظيم « لعازر هلم خارجاً » فخرج « الميت » ويداه ورجلاه مربوطات بأقمطة ، ووجهه ملفوف بمنديل ، فقال لهم يسوع : « حلوه ودعوه يذهب » (اقرأ يو ١١ : ٤٣ و ٤٤) . بهذا المعنى يصح تعليق الرسول على هذا الحادث الجلل — تقديم إبراهيم لإسحق — قائلا : « الذين منهم (من الأموات) أخذه ، أيضاً » : —

« فى مثـال » :

الكلمة « مثال » توقفنا أمام مثال فنان وبيده حجر نقش ، وقد نقش فيه صورة أو رسم تمثالا أبرز فيه وجهاً من الوجوه أو سمة من السمات ؛ حتى صار ذلك التمثال ، بياناً ناطقاً لتلك السمة أو ذلك الوجه ، الأمر الذى يدلنا على أن امتحان « إبراهيم » فى إصعاد ابنه إسحق محرقة ، كان صورة رمزية نبوية : تبرز أمام النظر والفكر والعقل ، تلك الحقيقة — حقيقة القيامة المجيدة — قيامة « الابن الوحيد » (يو ١ : ١٨) — الابن « البكر » (رو ٨ : ٢٩ راجع شرح ص ١ : ٦) .

هى قيامة ذلك « البكر من الأموات بوصف كونه « نسل إبراهيم » « الذى فيـه قيلت» كل « المواعيد » (انظر شرح غل ٣ : ١٦ و ٢٩ للمؤلف) « وفيه يقوم الكل » الذى « هو رأس الجسد الكنيسة ، الذى هو البداءة « بكر من الأموات » (كو١ : ١٧ و ١٨) — الذى « قام من الأموات وصار باكورة الراقدين . فإنه ، إذ الموت بإنسان ، بإنسان ، أيضاً قيامة الأموات ، لأنه ، كما فى آدم يموت الجميع ، هكذا « فى المسيح » سيحيا الجميع » (١ كو ١٥ : ٢٠ — ٢٣ اقرأ ع ٢٠ — ٢٨) .

ولعل الكلمة التى وردت فى سفر التكوين ؛ حيث يقول : « وفى اليوم الثالث : رفع إبراهيم عينيه ، وأبصر الموضع من بعيد » (تك ٢٢ : ٤) . تعطينا فكرة عن ما أنبأ به السيد المسيح عن موته وقيامته فى قوله لتلاميذه : « ها نحن صاعدون إلى أورشليم ، وسيتم كل ما هو مكتوب ، بالأنبياء ، عن ابن الإنسان ؛ لأنه يسلم إلى الأمم ويستهزأ به ويشتم ويتفل عليه ويجلدونه ويقتلونه ، وفى اليوم الثالث يقوم »

(لو ١٨ : ٣١ — ٣٣ انظر مت ١٦ : ٢١ و ٢٠ : ١٧ — ١٩ مع مر ٨ : ٣١ و ٩ : ٣١ و ١٠ : ٣٣ و ٣٤) .

بمقارنة هذه الأقوال : نستطيع أن نلمس بوضوح أن إسحق قد « أخذ من الأموات « في مثال » في « اليوم الثالث » ، وهو « اليوم الثالث » لصدور الأمر من الجلال الإلهي إلى إبراهيم لإصعاد ابنه محرقة ، وذلك على اعتبار أن إسحق حسب في عداد الأموات من تلك اللحظة التي صدر فيها ذلك الأمر ، وفي « اليوم الثالث » أخذ من « الأموات » — الذين حسب منهم — حياً .

هكذا ، يرسم أمامنا هذا التاريخ النبوي ، صورة رمزية تبرز أمام عيوننا حقيقة موت المسيح وقيامته التي تمت في « اليوم الثالث » ، كما سبقت الإشارة ، وهذه الحقيقة التي أشار إليها الرسول ، في قوله للكورنثيين : « فإنني سلمت إليكم ، في الأول ما قبلته أنا ، أيضاً « أن المسيح مات من أجل خطايانا « حسب الكتب » وأنه دفن وأنه قام في اليوم الثالث « حسب الكتب » (١ كو ١٥ : ٣ و ٤) . فكم يليق بنا ! أن نستمع إلى ما تدعونا إليه « الكتب » وهي تنادي : « هلم نرجع إلى الرب ؛ لأنه هو افترس فيشفينا ، ضرب فيجبرنا ، يحيينا بعد يومين ، في « اليوم الثالث » يقيمنا فنحيا أمامه » (هو ٦ : ١ و ٢) .

وليقل كل منا ، مع الرسول : « إني أحسب كل شيء ، أيضاً ، خسارة ؛ من أجل فضل معرفة « المسيح يسوع » ربي الذي ، من أجله ، خسرت كل الأشياء ، وأنا أحسبها نفاية ؛ لكي أربح المسيح وأوجد فيه ، وليس لي بري الذي من « الناموس » بل الذي « بإيمان المسيح » — البر الذي من الله بالإيمان — لأعرفه « وقوة قيامته » وشركة آلامه ، متشبهاً بموته » (في ٣ : ٨ — ١٠ اقرأ ع ٣ — ١٠) .

الآن ! قد انتهينا ، بمعونة الرب ، من شرح (أ) « إيمان إبراهيم » الخاص به مفرداً (ع ١٧ — ١٩) : حيث تجلت أمامنا — في تقديمه إسحق — تلك الصورة الرمزية التي فيها رسم لنا ذلك « الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب » ذبيحة فدائية في موته وقيامته (راجع شرح ع ١٧ — ١٩) . وها نحن الآن ! نتقدم بإرشاد الروح القدس لشرح :—

(ب) « اسحق » فى إيمانه مفرداً (ع ٢٠)

٢٠ بِالْإِيمَانِ إِسْحٰقُ بَارَكَ يَعْقُوبَ وَعِيسُو مِنْ جِهَةِ أُمُورٍ عَتِيدَةٍ .

أبرز ما يظهر غريباً فى هذه الآية : هو القول ، عن « إسحق » أنه « بارك .. عيسو » ، لأن الواضح من التاريخ النبوى المقدس ، هو ما عبر عنه الرسول بولس ، عن « عيسو » حيث قال للعبرانيين : «ملاحظين . . . لئلا يكون أحد زانياً أو مستبيحاً « كعيسو » الذى ، لأجل أكلة واحدة ؛ باع بكوريته » والإشارة ، هنا ، هى إلى ما فعله « عيسو » يوم عاد من الحقل « وهو قد أعيا » وطلب من يعقوب أخيه « أكلة عدس » للتخلص من إعيائه « وباع بكوريته » فى ذلك اليوم لأخيه يعقوب بحلف — (بقسم) — « فأكل وشرب . . واحتقر البكورية» (اقرأ تك ٢٥ : ٢٩—٣٤ انظر شرح ص ١٢ : ١٦).

ويعقب الرسول بولس على هذا الموقف الشائن ، فى قوله للعبرانيين « فإنكم تعلمون أنه ، أيضاً ، بعد ذلك ، لما أراد أن يرث « البركة » رفض ؛ إذ لم يجد للتوبة مكاناً ؛ مع أنه طلبها (طلب « البركة ») بدموع » (انظر شرح ص ١٢ : ١٧) ، فكيف يقال ، إذاً : « بالإيمان إسحق بارك يعقوب و« عيسو » ؟ هذه هى نقطة التحرى فى بحث هذه الآية التى تقول : —

(ع ٢٠) « بالإيمان اسحق » :

لقد رأينا فى الآيات السابقة (ع ١٧ — ١٩) « إبراهيم » فى إيمانه مفرداً ، أما الآن ! فإننا نجد أنفسنا أمام « إسحق » فى إيمانه مفرداً ، ومن الأمور ، التى يجب التنبيه إليها والتنويه عنها ، أمر اقتران اسم « إبراهيم » باسم « إسحق » . وهو أمر يشهد به التاريخ المقدس واضحاً ، فإن « الله القدير » (إيل شداى) ، لما أراد أن يبشر « أبرام » بابن يدعى اسمه « إسحق » ، جعل اسمه « إبراهيم » للمطابقة بين الاسمين فى « نسل » —

تتبارك فيه جميع أمم الأرض . وذلك ظاهر بجلاء من حديثه معه ، عند ظهوره له ، قائلا : —

« أما أنا فهوذا عهدى معك وتكون « أباً لجمهور من الأمم » فلا يدعى اسمك ، بعد « أبرام » (أب‌رفيع) ، بل يكون اسمك « إبراهيم » « أبراهام » — أب لجمهور من الأمم » (رو ٤ : ١٧) ، وأثمرك كثيراً جداً وأجعلك أمماً ، وملوك منك يخرجون » (تك ١٧ : ٤ — ٦) . هكذا قال له ، أيضاً : « ساراى امرأتك لا تدعو اسمها « ساراى » بل اسمها « سارة » وأباركها ، وأعطيك ، أيضاً ، منها ابناً ، أباركها فتكون أمماً ، وملوك شعوب منها يكونون . . . تلد لك ابناً وتدعوا اسمه « إسحق » ، وأقيم عهدى معه — عهداً أبدياً لنسله من بعده » (تك ١٧ : ١٥ و ١٦ و ١٩) . هذا هو : —

« إسحق » :

ليس ابن « أبرام » بل ابن « إبراهيم » — ابن الموعد والعهد : أما اسمه « إسحق » ، فهو ، فى العبرية ، فعل لفظه أقرب ما يكون إلى لفظ الفعل العربى « يضحك » ، وهذا هو معناه ؛ كمايتبين من نص التاريخ المقدس الذى فيه نقرأ أن « إبراهيم » لما قال له الرب ، عن سارة : « أباركها وأعطيك ، أيضاً ، منها ابناً » ، « سقط على وجهه « وضحك » (تك ١٧ : ١٧) .

هكذا « سارة » لما سمعت قول الرب : « يكون لسارة . . . ابن » ، « ضحكت » (اقرأ تك ١٨ : ١٠ — ١٢) : هكذا ، أيضاً ، عندما تم الوعد ، وأقيم العهد « وولدت » « سارة » لإبراهيم ابناً فى شيخوخته قالت : «قد صنع إلى الله « ضحكاً » : كل من يسمع « يضحك » لى (تك ٢١ : ٢ و ٦) : هكذا ولد « إسحق » (يضحك) «ضحكاً» « مولود « الإيمان » كما سبق أن رأينا — « إيمان » إبراهيم وسارة — (اقرأ رو ٤ : ١٧ — ٢٢ راجع شرح ع ١١ و ١٢) ، فلا عجب ! أن يقال : —

« بالإيمـــان » — « إسحق » :

هو ذلك الإيمان بالوعد الإلهى ؛ على غرار الوعد الذى سبق الله فأعطاه « لإبراهيم » ، كما يظهر من قوله ، تعالى « لإسحق » : تغرب فى هذه الأرض ؛ فأكون معك وأباركك

لأني ، لك ولنسلك أعطي جميع هذه البلاد وأفي بالقسم الذي أقسمت « لإبراهيم أبيك » وأكثر نسلك كنجوم السماء ، وأعطي نسلك جميع هذه البلاد ، وتتبارك في « نسلك » جميع أمم الأرض » (اقرأ تك ٢٦ : ١ — ٦ مع ٢٢ : ١٥ — ١٨) ، هذا هو « الإيمان » بذلك « الوعد » المدعم بالقسم ، الذي ، بمناسبته ، يقول الرسول هنا « بالإيمان » «إسحق » :—

« بارك يعقوب وعيسو » :

مما يجدر بنا أن نلاحظه ، في هذا التعبير ، هو أن الرسول يقدم اسم « يعقوب » على اسم « عيسو » وذلك بالرغم من أن التاريخ يقول صريحاً عن رفقة : « فلما كملت أيامها ، لتلد ، إذا في بطنها توأمان ؛ فخرج الأول أحمر . كله كفروة شعر ؛ فدعوا اسمه « عيسو » ، فالتاريخ يقول إن « عيسو » هو « الأول » — «البكر — » أما «يعقوب» فينص عنه ، قائلا : « وبعد ذلك خرج أخوه ويده قابضة بعقب عيسو ؛ فدعي اسمه يعقوب .

على أن ما يحمله الرسول ، في تقديمه يعقوب على عيسو ؛ إنما هو عمل « مطابق » كل المطابقة للقصد الإلهي الذي أعلنه (الرب) واضحاً ، في قوله لرفقة : « في بطنك أمتان : ومن أحشائك يفترق شعبان ، شعب يقوى على شعب وكبير يستعبد لصغير » (تك ٢٥ : ٢٣) . هكذا قدم « رب المجد » الابن الصغير على الكبير في المقام والسيادة وأعلن قصده هذا لرفقة ، ولابد ، أن « إسحق » أيضاً ، علم به ، يقيناً ، إن لم يكن بإعلان إلهي ، فعلى الأقل يكون عن طريق ما أخبرته به رفقة . وها نحن نرى الاثنين معاً أمام إسحق يباركهما كما يقول الرسول : « بالإيمان إسحق بارك يعقوب » : —

« من جهة أمور عتيدة » :

كلمة « عتيدة » معناها حاضرة مهيأة ، يقال (عتد الشيء وأعتده) بمعنى هيأه وأعده ليوم عتيد أي مستقبل . وبهذا المعنى تدخل « الأمور العتيدة » في دائرة التنبؤ « بأمور مستقبلة » ، يراها النبي ، بالوحي المقدس ؛ فيؤمن بها ويحقق وقوعها ،

وهذا هو معنى الإيمان فى قوله : « بالإيمان إسحق..بارك . . .. من جهة أمور عتيدة » رآها بعينى الإيمان وتنبأ بها : وذلك على غرار « وحى الذى يسمع أقوال الله ويعرف معرفة العلى ، الذى يرى رؤيا القدير ، ساقطاً ، وهو مكشوف العينين » ، فيقول : « أراه ولكن ليس الآن ، أبصره — ولكن ليس قريباً — يبرز كوكب من يعقوب ويقوم قضيب من إسرائيل » (عد ٢٤ : ١٦و ١٧) .

على هذا الغرار ، رأى « إسحق » أموراً عتيدة مهيأة فى الحاضر لتتم فى المستقبل — رآها بعينى الإيمان وعلى أساسها « بارك يعقوب وعيسو » ، على هذا النحو يكون لتلك « الأمور العتيدة » وجهان ، أحدهما — بالنسبة إلى يعقوب ، والثانى — بالنسبة إلى عيسو ، فإننا نراها بركة بكل ما تشتمل عليه تلك الكلمة من معان حسنة ومجيدة ؛ كما تنص عنه الكلمة النبوية التى نطق بها إسحق وهو يبارك يعقوب حسب قصد الله (ولو أنه كان يظن أنه كان يبارك عيسو) .

بدأ هذا النص النبوى بقول إسحق « تقدم وقبلنى يا ابنى » ، فتقدم وقبله ، فشم رائحة ثياب ابنه البكر ، الفاخرة ، التى ألبستها رفقة ليعقوب (تك ٢٧ : ١٥) . فباركه وقال : « انظر (ها هى ذه — هوذا) رائحة ابنى — كرائحة حقل قد باركه الرب ؛ فليعطك الله من ندى السماء ، ومن دسم الأرض و(ليعطك) كثرة حنطة وخمر ، ليستعبد لك شعوب وتسجد لك قبائل : كن سيداً لإخوتك ، وليسجد لك بنو أمك ، ليكن لاعنوك ملعونين ، ومباركوك مباركين » (تك ٢٧ : ٢٦ — ٢٩ اقرأ ع ١ — ٢٩) .

بركة بكل معنى الكلمة ، تتجلى فيها السيادة والقوة والعظمة والجلال — بركة رمزية تتحقق فى ذاك الذى « قيلت فيه كل المواعيد » « نسل إبراهيم » — « الذى هو المسيح » (انظر شرح غل ٣ : ١٦ للمؤلف) .

أما بالنسبة إلى « عيسو » فقد صرخ « إسحق » وهو يرتعد ارتعاداً عظيماً جداً ، قائلا له : « جاء أخوك بمكر وأخذ بركتك » (نعم ويكون مباركاً) ، مؤكداً له أن البركة قد «أخذت منه وأعطيت ليعقوب أخيه» ليصير سيداً له ، وكل إخوته عبيداً ، وليعطى حنطة وخمراً ، فلم يبق ما يباركه (يبارك « عيسو ») به (تك ٢٧ : ٣٠ — ٣٧).

في هذه البركة البنوية ، وضعت بذرة العداوة بين يعقوب وعيسو ، وذلك بمقتضى القصد الإلهي الذي أعلنه الله لرفقة : « من أحشائك يفترق شعبان ، شعب يقوى على شعب ، وكبير يستعبد لصغير » (تك ٢٥ : ٢٣) . وقد تأصلت تلك العداوة في قلب « عيسو » وباتت فيه نيته تنطق صامتة بالقول في قلبه : « قربت أيام مناحة أبي ؛ فأقتل يعقوب أخي » (تك ٢٧ : ٤١) ، فولد هذا القول ذعراً في قلب رفقة ؛ فدبرت مع « إسحق » طريقة بها يهرب « يعقوب » من غضب أخيه وشر قتله إياه ، وهكذا تم التدبير وهرب يعقوب من « أرض الموعد » وابتعد عنها عشرين سنة في أرض أجداده في فدان آرام في حاران (اقرأ تك ٢٧ : ٤١ — ٢٨ : ٥) .

على أن هذه المدة الطويلة ، لم تنزع من قلب « يعقوب » عذاب الخوف من أخيه « عيسو » حتى إنه ، لما ظهر له الرب ، في فدان آرام ، قائلا ، « أنا إله بيت إيل ؛ حيث مسحت عموداً ؛ حيث نذرت لي نذراً ، الآن قم اخرج من هذه الأرض وارجع إلى أرض ميلادك » (تك ٣١ : ١٣) ، فإن هذا الظهور ، مقروناً بتلك الدعوة ، لم يعطه شيئاً من الاطمئنان من جهة أخيه ، الذي كان يعمل له ألف حساب وحساب ، غير واثق بظهور أو بوعد ، فأرسل إليه رسلا ، قدامه ، إلى أرض سعير ، بلاد أدوم ، برسالة منه .

وما أغرب تلك الرسالة ! التي نقض فيها يعقوب بركة السيادة على إخوته — تلك السيادة الموهوبة له ، من الله في قصده الأزلي — فجعل نفسه عبداً لسيده عيسو ، قائلا : « هكذا تقولون « لسيدي عيسو » هكذا قال « عبدك يعقوب » — « أرسلت لأخبر « سيدي » (عيسو) لكي أجد نعمة في عينيك » (تك ٣٢ : ٤ و ٥ اقرأ ع ١ — ٥) .

وإذ عاد الرسل من عند « عيسو » وأخبروه بأنه « قادم للقائه وأربع مئة رجل معه » ، اشتد الخوف في قلبه وارتفعت جداً درجة عذابه من ذلك الخوف « وضاق به الأمر » (تك ٣٢ : ٦ و ٧) ، ومع أنه صلى إلى إله أبيه إبراهيم وإله أبيه إسحق ، قائلا : « نجني من يد أخي — من يد عيسو — لأني خائف منه أن يأتي ويضربني ، الأم مع البنين » (تك ٣٢ : ١١ إقرأ ع ٨ — ١٢) ، ولكن كل هذه الأمور التي ذكرها ، لم يكن لها تأثير في القضاء على عذاب خوفه — ذلك الخوف الذي تمكن منه

وكان فيه ، له ، عذاب شديد ؛ فلجأ إلى تدبير أفكاره وإلى إيحاء حكمته الشخصية ؛ ليترضى أخاه بهدية أرسلها إليه ، قدامه ، قطيعاً بعد قطيع ، مع عبيده ، وأمر كلا منهم ، وهو يصل بقطيعه إلى عيسو ، أن يقول له : « لعبدك يعقوب ، هو هدية مرسلة لسيدى عيسو ، وها هو ، أيضاً ، وراءنا » (تك ٣٢ : ١٨ اقرأ ع ١٣ — ٢١) .

هكذا فعل يعقوب مستعطفاً أخاه ليحوز رضاه عندما يرى وجهه ، وبالرغم من كل ذلك ، لم يطمئن قلبه ولم يهدأ عذاب الخوف فى نفسه ، فبقى ، وهو لا يزال خائفاً من عيسو أخيه القادم إليه بأربع مئة رجل معه لئلا يغدر به ويقتل جميع الأولاد ؛ ففكر ، أيضاً ، فى تدبير للمحافظة على عائلته (اقرأ تك ٣٣ : ١ و ٢) ، أما هو فاجتاز قدامهم « وسجد إلى الأرض سبع مرات حتى اقترب إلى أخيه » (تك ٣٣ : ٣) ، وحتى إذ تقابلا وتصافحا ، لم يطمئن يعقوب لما عرضه عيسو عليه ، أن يضعه تحت رعايته وحراسته ، فرفض هذا العرض وتضرع إليه ، قائلا : « دعنى أجد نعمة فى عينى سيدى » (تك ٣٣ : ١٥ اقرأ ع ٤ — ١٥) ، فقد كان الخوف لا يزال متسلطاً متربعاً فى قلبه .

أين سيادتك يا يعقوب وأنت عبد للخوف إذ تقف مرتعباً ومرتعداً أمام عبدك عيسو ؟ جاعلا إياه سيداً لك ؟ وأية سيادة للخائفين المرتجفين ؟ مع العلم اليقين بأنه « لا خوف فى المحبة ؛ بل المحبة الكاملة تطرح الخوف إلى خارج ؛ لأن الخوف له « عذاب » ، وأما من خاف ؛ فلم يتكمل ، بعد ، فى المحبة » (١ يو ٤ : ١٨) . وهل بركة إسحق ليعقوب لم تعطه « روح التبنى » ؟ لتنزع منه ، نزعاً باتاً « روح العبودية للخوف » ؟ (رو ٨ : ١٥ اقرأ ع ١٤ — ١٧ انظر شرح غل ٤ : ٤ — ٧ للمؤلف) .

من هذا التفصيل التاريخى نفهم حقيقة « الأمور العتيدة » التى من جهتها « بالإيمان إسحق بارك يعقوب وعيسو » ، حيث نراها متضمنة فى أمرين : — الأمر الأول — سيادة يعقوب على إخوته ، وعلى كل قبائل الأرض . الأمر الثانى — جموح عيسو على أخيه يعقوب وكسره نيره عن عنقه ، وذلك يتبين من قول أبيه له : « بسيفك تعيش ،

ولأخيك تستعبد ، ولكن ، يكون حينما تجمح ؛ أنك تكسر نيره عن عنقك » (تك ٢٧ : ٤٠ اقرأ ع ٣٨ — ٤٠) .

هذان الأمران معاً — سيادة يعقوب وجوح عيسو — يضعان عداوة لا تنتهى وخصومة لا حد لها بينهما ، هى تلك الخصومة التى ظهرت ، كما دل عليها التاريخ المقدس بين « إسرائيل » (يعقوب) وبين « أدوم » (الذى هو عيسو) ، كما يظهر من نص الكلمة النبوية القائل : « ألا أبيد فى ذلك اليوم — يقول الرب — الحكماء من « أدوم » والفهم من جبل « عيسو » فيرتاع أبطالك يا « تيمان » (تك ٣٦ : ١١ و١٥) ، لكى ينقرض كل واحد من جبل عيسو بالقتل . من أجل ، ظلمك لأخيك يعقوب ، يغشاك الخزى وتنقرض إلى الأبد » (عوبديا ٨ — ١٠ اقرأ كل السفر) .

وقد تمثل النبى إشعياء هذا الانقراض الأبدى فى رؤياه التى استهلها بالقول . « من ذا الآتى من « أدوم » (عيسو) بثياب حمر ؟ من « بصرة » ؟ (عاصمة أدوم) ، هذا البهى بملابسه المتعظم بكثرة قوته ؟ « أنا المتكلم بالبر ، العظيم للخلاص » . « ما بال لباسك محمر ؟ وثيابك كدائس المعصرة » ؟ قد دست المعصرة وحدى ، ومن الشعوب لم يكن معى أحد ؛ فدستهم بغضبى ووطئتهم بغيظى ؛ فرش عصيرهم على ثيابى ؛ فلطخت كل ملابسى ، لأن يوم النقمة فى قلبى ، وسنة مفديى قد أتت ، فنظرت ولم يكن معين وتحيرت إذ لم يكن عاضد ؛ فخلصت لى ذراعى ، وغيظى عضدنى » (اقرأ إش ٦٣ : ١ — ٦) .

صورة تمثيلية تعود بنا إلى تلك العداوة التى وضعها الله قديماً بين « الحية » (التنين العظيم » — الأحمر — « الحية القديمة » — « المدعو إبليس والشيطان » رؤ ١٢ : ٣ و ٩ و٢٠ : ٢) ، والمرأة ، وبين نسل الحية ونسل المرأة » — الابن الوحيد » (يو١ : ١٨) — الذى جاء« مولوداً من امرأة » (انظر شرح غل ٤ : ٤ للمؤلف) — « ابن الإنسان » (يو ٣ : ١٤ و ١٨ و ٢٨ و ١٢ : ٣٢ — ٣٤ اقرأ تك ٣ : ١٤ و ١٥) .

صورة تمثل تلك النصرة النهائية للحق الإلهى على كل باطل وكذب ، وتعلن سمو راية الإنجيل فى الحرب المقدسة — بين « إبليس » — وبين « ابن الله » — الذى « أظهر

لكى ينقض أعمال إبليس » (١ يو ٣ : ٨) . صورة يرسمها الرائى اللاهوتى فى رؤياه ، قائلا : « رأيت السماء مفتوحة وإذا فرس أبيض ، والجالس عليه يدعى أميناً وصادقاً ، وبالعدل يحكم ويحارب ، وعيناه كلهب نار وعلى رأسه تيجان كثيرة ، وله اسم مكتوب ليس أحد يعرفه إلا هو ، وهو متسربل بثوب مغموس بدم ، ويدعى اسمه «كلمة الله » (رؤ ١٩ : ١١ — ١٣ اقرأ ع ١١ — ٢٠ و ٦ : ١ و ٢ و ٢٠ : ١٠ قابل ٢ كو ١٠ : ٣ — ٦ مع أف ٦ : ١٠ — ٢٠ اقرأ أيضاً مت ١٣ : ٢٤ — ٣٠ و ٣٦ — ٤٠) .

هكذا تحدث الرسول إلينا عن « إبراهيم » فى إيمانه مفرداً (ع ١٧ — ١٩) : كما تحدث ، أيضاً عن « إسحق » فى إيمانه مفرداً (ع ٢٠) . وها نحن بروح الله نتقدم معه وهو يحدثنا عن : —

(ج) « يعقوب » فى إيمانه مفرداً (ع ٢١)

٢١ بِالْإِيمَانِ يَعْقُوبُ عِنْدَ مَوْتِهِ بَارَكَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنِ ٱبْنَيْ يُوسِفَ وَسَجَدَ عَلَى رَأْسِ عَصَاهُ .

سبق أن رأينا « إسحق » بعد إعطائه البركة ، وقد « ارتعد ارتعاداً عظيماً جداً » (تك ٢٧ : ٣٣) . لأنه ، بينما كان يظن أنه يبارك عيسو ، حسب قصده ، أدرك أنه بارك يعقوب الذى لم يكن يقصد أن يباركه . ولكنه ، بالرغم من ارتعاده هذا ، لم يندم ؛ بل قال : « نعم ويكون مباركاً »(تك ٢٧ : ٣٣) ، وهكذا أصبحت البركة وثيقة أمينة ليعقوب ؛ بمقتضى قصد الله الذى أعلنه صريحاً (تك ٢٥ : ٢٣) .

هكذا سبق أن رأينا « إسحق » إزاء بكاء عيسو وصراخه الشديد ومرارة نفسه وتكرار ، طلبه بإلحاح ، وهو يقول : « باركنى أنا ، أيضاً ، يا أبى » — « أما بقيت لى بركة » ؟ « ألك بركة واحدة فقط يا أبى » ؟ « باركنى أنا ، أيضاً ، يا أبى » (تك ٢٧ : ٣٤ — ٣٨) . إزاء هذا الإلحاح الشديد ، نطق « إسحق » إجابة لطلب عيسو ، قائلا : « هوذا ، بلا دسم الأرض ، يكون مسكنك ، وبلا ندى السماء من فوق ، وبسيفك

تعيش ، ولأخيك تستعبد ؛ ولكن يكون ، حينما تجمح أنك تكسر نيره عن عنقك » (تك ٢٧ : ٣٩ و ٤٠) .

هكذا كانت البركة التى بارك بها « إسحق » بالإيمان « يعقوب وعيسو » رؤيا نبوية « من جهة أمور عتيدة » (راجع شرح ع ٢٠) ، فى تلك الرؤيا أعلن له « روح الرب » تلك العداوة الموضوعة فى قلب عيسو ونسله ضد يعقوب ونسله ، على قياس العداوة التى وضعت فى جنة عدن فى قلب « الحية القديمة » — تلك العداوة التى انتهت بما أثبتته « الكلمة النبوية » بالقول : « وإبليس الذى كان يضلهم طرح فى بحيرة النار والكبريت ؛ حيث الوحش والنبي الكذاب ، وسيعذبون نهاراً وليلا إلى أبد الآبدين . . . وطرح الموت والهاوية فى بحيرة النار ، هذا هو الموت الثانى ، وكل من لم يوجد مكتوباً فى سفر الحياة طرح فى بحيرة النار » (اقرأ رؤ ٢٠ : ١٠ و ١٤ و ١٥ مع ١٩ : ٢٠ مع مت ٢٥ : ٤١ — ٤٦ راجع شرح ع ٢٠) ، هكذا ينتهى « عيسو » وعداوته بخراب أبدى (اقرأ سفر عوبديا . انظر شرح ص ١٢ : ١٦ و ١٧) . وها الرسول يحصر الكلام فى يعقوب ونسله ، قائلا : —

(ع ٢١) « بالإيمان يعقوب » :

رأينا « يعقوب » ثالثاً لثلاثة ماتوا فى « الإيمان » متغربين فى « أرض الموعد » التى أقسم الله أن يعطيها « لإبراهيم » ونسله (تك ٢٢ : ١٥ — ١٨) ، ووعد « إسحق » بأن يفى بهذا القسم له ولنسله (تك ٢٦ : ١ — ٥) وأعلنه « ليعقوب » فى « حلم » فيه رأى سلماً منصوبة على الأرض ورأسها يمس السماء ، وهوذا ملائكة الله صاعدة ونازلة عليها والرب واقف عليها ؛ فقال : « أنا الرب إله إبراهيم أبيك وإله إسحق ، الأرض التى أنت مضطجع عليها أعطيها لك ولنسلك ويكون نسلك كتراب الأرض ، وتمتد غرباً وشرقاً وشمالا وجنوباً ، ويتبارك فيك وفى نسلك جميع قبائل الأرض » (اقرأ تك ٢٨ : ١٠ — ١٥ و ٣٥ : ١ — ٧ و ٩ — ١٥) .

هذا هو الوعد المدعم بالقسم الذى بالإيمان به « قدم إبراهيم إسحق وهو مجرب » (راجع شرح ع ١٧ — ١٩) . وبالإيمان به نطق إسحق بالبركة البنوية من جهة « أمور

عتيدة » بالنسبة ليعقوب وعيسو . وبالإيمان به فعل يعقوب ما سنراه بعد ، هذا هو عهد الله فى كل مواعيده نحو السيد المسيح الذى فيه قيات كل المواعيد (انظر شرح غل ٣ : ١٥ — ١٧ للمؤلف واقرأ بتأمل يو ١ : ٤٧ — ٥١) ، « بهذا الإيمـــان يعقوب » : —

« عنـــد موته » :

فى هذا التعبير ينتقل بنا الرسول بولس من « أرض الموعد » إلى « أرض مصر » ، ليرينا يعقوب فى اللحظات الأخيرة من حياته ، قبل أن يسلم الروح ، وهو ساكن فى « أرض جاسان » بين نسله ؛ كما يقول النص التاريخى : « فأسكن يوسف أباه وإخوته وأعطاهم ملكاً فى » « أرض مصر » فى أفضل الأرض — فى أرض رعمسيس — كما أمر فرعون » (تك ٤٧ : ١١) . كان ذلك عندما وقف إخوة يوسف أمام الفرعون — « ملك مصر — وسألهم (فرعون) : « ما صناعتكم » ؟ فقالوا له « عبيدك رعاة غنم . . . جئنا لنتغرب فى الأرض ؛ إذ ليس لغنم عبيدك مرعى ؛ لأن الجوع شديد فى أرض كنعان ، فالآن ! ليسكن عبيدك فى « أرض جاسان » فكلم فرعون يوسف ، قائلا : « أبوك وإخوتك جاءوا إليك ، أرض مصر قدامك ، فى أفضل الأرض أسكن أباك وإخوتك ، ليسكنوا (دعهم يسكنوا) فى « أرض جاسان » (تك ٤٧ : ٣ — ٦ اقرأ ع ١ — ٦) ، هكذا تم ما وعد به يوسف أباه ، عندما أرسل إليه إخوته ليأتى به إلى أرض جاسان (اقرأ تك ٤٥ : ٩ — ١٣)

أما « أرض جاسان » (تك ٤٥ : ١٠) ، فهى المسماة ، أيضاً « أرض رعمسيس » (تك ٤٧ : ١١) ، والمسماة ، أيضاً « صوعن » (قابل مز ٧٨ : ١٢ و٤٣ مع إش ١٩ : ١١ و ١٣ و ٣٠ : ٤ اقرأ إش ٣٠ : ١ — ٤ مع حز ٣٠ : ١٤) ، ويقال إنها واقعة على شاطىء النيل الشرقى من قرب ممفيس إلى البحر المتوسط وحدود « أرض فلسطين » (اقرأ خر ١٣ : ١٧ و ١٨) . وقد كانت أرض مرعى مخصبة كثيرة الكلأ والمراعى ، صالحة ، من كل وجه ، لسكن هؤلاء العبرانيين مع مواشيهم (كما يظهر من كل الكلام الذى سبق عن هذه الأرض) .

والمرجح أن « أرض جاسان » لم تكن فى ذلك الوقت مسكونة ؛ بل كانت بعيدة عن مساكن المصريين الذين قيل عنهم : « كل راعى غنم رجس للمصريين » (تك ٤٦ : ٣٤) . وهو أمر يجعل طلب هؤلاء الرعاة — إخوة يوسف — طلباً سهلا ومقبولا للسكن فى « أرض جاسان » الخالية من السكان ، وبخاصة على اعتبار أنهم عبرانيون . معهم لا يتعامل المصريون ؛ كما يدل عليه الواقع التاريخى المنصوص عنه فى قول يوسف لعبيده : « قدموا طعاماً ؛ فقدموا له وحده ولهم (أى لإخوته العبرانيين) وحدهم ، وللمصريين الآكلين عنده وحدهم ؛ لأن المصريين لا يقدرون أن يأكلوا طعاماً مع العبرانيين ؛ لأنه « رجس عند المصريين » (تك ٤٣ : ٣١ و ٣٢ اقرأ ع ١٥ — ٣٢) . ها نحن الآن فى « أرض جاسان » فى « أرض رعمسيس » فى « بلاد صوعن » حيث سكن يعقوب فى أرض مصر مع أولاده وأحفاده ، بمقتضى اختيار يوسف وأمر فرعون ، وقد أتت اللحظات الأخيرة وحضر الوقت الذى يقول عنه الرسول : « بالإيمان يعقوب ، عند موته » :—

« بارك كل واحد من ابنى يوسف » :

وصل يعقوب إلى أرض مصر ليرى وجه ابنه يوسف تحت تأثير شديد نطق معه بالقول : « كفى ! يوسف ابنى حى بعد ! أذهب وأراه قبل أن أموت » (تك ٤٥ : ٢٨ اقرأ ع ٩ — ٢٨) ، هكذا وصل يعقوب إلى مصر وله من العمر ؛ كما قال لفرعون « أيام سنى غربتى مئة وثلاثون سنة ، قليلة وردية كانت أيام سنى حياتى » (تك ٤٧ : ٩) . وهكذا بقى يعقوب فى مصر سبع عشرة سنة متمتعاً بابنه الذى فقد رؤية وجهه المحبوب ما لا يقل عن اثنين وعشرين سنة (قابل تك ٣٧ : ٢ مع ٤١ : ٤٦ و ٤٧ مع ٤٥ : ٦) .

وها قد أتت الساعة التى فيها بلغ يوسف أن أباه مريض فأخذ معه إبنيه — منسى وأفرايم ؛ فأخبر يعقوب وقيل له : « هوذا ابنك يوسف قادم إليك » فتشدد إسرائيل (يعقوب) وجلس على السرير وذكر أمام يوسف وعد الله له (قابل تك ٤٨ : ٣ و ٤ مع ٢٨ : ١٣ — ١٥ مع ٣٥ : ٩ — ١٢) ، وعلى أساس هذا الوعد بنى قوله له :

« الآن ! ابناك المولودان لك فى أرض مصر ، قبلما أتيت إليك إلى مصر ، هما لى « أفرايم ومنسى » — كرأوبين وشمعون يكونان لى» (اقرأ تك ٤٨ : ٥ اقرأع ١—٥) .

أما « ابنا يوسف » فقد ذكر التاريخ المقدس عنهما ما يأتى : — « وولد ليوسف ابنان ؛ قبل أن تأتى سنة الجوع ، ولدتهما له أسنات بنت فوطى فارع كاهن أون . ودعا يوسف اسم « البكر » منسى ، قائلا : « لأن الله أنسانى كل تعبى وكل بيت أبى » (نسيان كل ما مضى من تعب وحنين إلى بيت أبيه) . ودعا اسم الثانى « أفرايم » قائلا : « لأن الله جعلنى مثمراً فى أرض مذلتى » (ثمراً متواصلا للصبر على كل أتعاب الحياة وآلامها (تك ٤١ : ٥٠ — ٥٢) ، من هذا التاريخ يظهر أن : —

« ابنى يوسف » :

هما منسى البكر وأفرايم الثانى . فالتاريخ المقدس يقول : « منسى وأفرايم » أما يعقوب فيقول : « أفرايم ومنسى » كما سبق أن رأينا فى حديثه مع يوسف : « ابناك المولودان لك فى أرض مصر ، قبلما أتيت إليك إلى مصر ، هما لى « أفرايم ومنسى » كرأوبين وشمعون يكونان لى » (تك ٤٨ : ٥) — مقدماً « أفرايم » على « منسى » واضعاً إياه موضع البكر ، وهذا الأمر يستحق الاعتبار والتفكير الجدى ؛ فإن « يعقوب » ولابد ، نطق بهذا التقديم والتأخير عن وحى إلهى مقدس ؛ ليعطى « أفرايم » البكورية دون « منسى » .

هذا يثبته نص التاريخ المقدس الذى منه نعلم بأن يوسف « أخذ الاثنين « أفرايم » بيمينه ، عن يسار إسرائيل و « منسى » بيساره ، عن يمين إسرائيل وقربهما إليه . فمد إسرائيل يمينه ووضعها على رأس « أفرايم » — وهو الصغير — ويساره على رأس « منسى » . وضع يديه بفطنة » الأمر الذى يدل على أن يعقوب فى عمله هذا ، لم يكن جاهلا أو ساهياً ؛ بل فطناً واعياً متحركاً بصحو وفهم (اقرأ تك ٤٨ : ٨ — ١٤) .

فلما رأى يوسف أن أباه وضع يده اليمنى على رأس « أفرايم » ساء ذلك فى عينيه ، فأمسك بيد أبيه لينقلها عن رأس « أفرايم » إلى رأس « منسى » ، وقال يوسف لأبيه : « ليس هكذا يا أبى ! لأن هذا هو « البكر » . ضع يمينك على رأسه » (أى على رأس

منسى) ، فأبى أبوه وقال : « علمت يا ابنى علمت ، هو (منسى) أيضاً يكون شعباً ، وهو ، أيضاً ، يصير كبيراً ، ولكن أخاه الصغير (أفرايم) يكون أكبر منه ونسله يكون جمهوراً من الأمم » (تك ٤٨ : ١٧ — ١٩) .

بهذه الطريقة أصبح يوسف« البكر » بين أسباط يعقوب الاثنى عشر بأخذ نصيب اثنين هما « أفرايم ومنسى » ، وذلك ليس باعتبار أنه فاتح رحم أمه راحيل ؛ لأن الشرع المقدس ينفى ذلك الاعتبار فى قوله :«إذا كان لرجل امرأتان ، إحداهما محبوبة والأخرى مكروهة فولدتا له بنين — المحبوبة والمكروهة — فإن كان الابن البكر للمكروهة ؛ فيوم يقسم لبنيه ما كان له ، لا يحل له أن يقدم ابن المحبوبة بكراً على ابن المكروهة البكر ؛ بل يعرف ابن المكروهة « بكراً » ليعطيه نصيب اثنين من كل ما يوجد عنده ؛ لأنه هو أول قدرته له حق البكورية » (تث ٢١ : ١٥ — ١٧) . وبخاصة وقد صار يوسف « بكراً » فى « أفرايم » الذى لم يكن فاتح رحم ؛ كما سبق أن رأينا ، فكانت بكوريته بمقتضى قصد الله المعلن ؛ كما يتبين من النص التاريخى القائل : « وبنو رأوبين « بكر إسرائيل » لأنه هو البكر (بوصفه فاتح رحم) ، ولأجل تدنيسه فراش أبيه ؛ أعطيت بكوريته لبنى يوسف بن إسرائيل ، فلم ينسب (رأوبين) « بكراً » لأن يهوذا اعتز على إخوته ومنه الرئيس ، وأما البكورية فليوسف » (قابل ١ أى ٥ : ١ و ٢ مع تك ٤٩ : ٣ و ٣٥ : ٢٢) .

هكذا دخل يوسف بكراً فى ابنه البكر أفرايم بنصيب اثنين هما ولداه «أفرايم ومنسى » وعلى هذا الأساس صارت أسباط إسرائيل الاثنى عشر على النحو الآتى : « رأوبين — شمعون — يهوذا — يساكر — أفرايم — بنيامين — زبولون — منسى — دان — أشير — نفتالى — جاد » (اقرأ عد ١٣ : ٤ — ١٥) . وذلك بعد إخراج « لاوى » من عداد الأسباط كسبط موهوب للرب فى خدمة الكهنوت اللاوى (اقرأ عد ٣ : ٥ — ١٣ و ٨ : ٥ — ٢٢) .

أما بركة يعقوب التى بها بارك ابنى يوسف « أفرايم ومنسى » فنصها « بارك يوسف » وقال : « الله الذى سار أمامه أبواى « إبراهيم وإسحق » — الله الذى رعانى

منذ وجودى إلى هذا اليوم — الملاك (ملاك العهد» اقرأ ملا ٣: ١ مع خر ٣ : ١— ١٥) الذى خلصنى من كل شر— يبارك الغلامين وليدع عليهما اسمى واسم أبوى «إبراهيم وإسحق » — وليكثرا كثيراً فى الأرض . . . بك (يا يوسف) يبارك إسرائيل، قائلا : يجعلك الله كأفرايم وكمنسى » (اقرأ تك ٤٨ : ١٥ — ٢٠) .

فى هذه البركة وفى كل تاريخ الكتاب المقدس لا ترتبط البكورية بفاتح الرحم ؛ كما رأينا ، ولعل يعقوب كان متأثراً بالبركة الإلهية التى أعلنها الله لأمه رفقة ، فى قوله لها ، « كبير يستعبد لصغير » (تك ٢٥ : ٢٣) ، فقد كان عيسو فاتح رحم ، لكنه لم يكن بكراً ؛ بل أعطيت البكورية لأخيه يعقوب الذى خرج بعده ، وهكذا كان منذ البدء ، فإن قايين ، وهو البكر ، فاتح الرحم ، لم يكن « بكراً » بل عاش مطروداً من الرب بعيداً عنه ، وأعطيت البكورية لشيث عوضاً عن هابيل الذى قتله أخوه (تك ٤ : ٢٥ اقرأ ع ١ — ٢٥) .

هذا يكشف لنا سر تكريس سبط « لاوى » وهو الابن الثالث ليعقوب ، مع أنه لم يكن « بكراً » ولكنه ، كما رأينا ، صار هذا السبط بنص إلهى ، وتفرز اللاويين من بين بنى إسرائيل فيكون اللاويون لى . . . لأنهم موهوبون لى هبة من بين بنى إسرائيل . بدل كل فاتح رحم بكر كل من إسرائيل قد اتخذتهم لى » (عد ٨ : ١٤ — ١٦) . فلا عجب ! أن يقال عن « ملاك العهد » عندما يأتى إلى هيكله : « لأنه مثل نار الممحص ، ومثل أشنان القصار (المبيض للثياب — مر ٩ : ٣) . فيجلس ممحصاً ومنقياً للفضة . فينقى بنى لاوى ويصفيهم كالذهب والفضة ؛ ليكونوا مقربين للرب تقدمة بالبر» (اقرأ ملا ٣ : ١ — ٣) .

فمن هم هؤلاء اللاويون؟الكهنوت اللاوى الذى فيه جميع الأبكار ممحصون كالفضة ، وتتطهر ثيابهم « فتلمع بيضاء جداً كالثلج » (مر ٩ : ٣) من هم ؟ إنما هم صورة رمزية لكهنة العلى الذين قيل عنهم « كهنوت ملوكى » (١ بط ٢ : ٥ و ٩) — « كنيسة الأبكار المكتوبين فى السموات » (انظر شرح ص ١٢ : ٢٣) ، الذين سمعهم الرائى اللاهوتى يترنمون بترنيمة جديدة ، قائلين : « مستحق أنت أن تأخذ السفر وتفتح

ختومه ؛ لأنك ذبحت واشتريتنا لله بدمك من كل قبيلة ولسان وشعب وأمة ، وجعلتنا لإلهنا « ملوكاً وكهنة » فسنملك على الأرض » (رؤ ٥ : ٩ انظر رؤ ١ : ٥ و ٦) .

هذا هو « البكر » لا بوصفه « فاتح رحم » ، ابن العذراء البكر (قابل مت ١ : ٢٥ مع لو ٢ : ٧ و ٢٣ اقرأ لا ١٢ : ١ — ٧) ، بل بوصف أنه « البكر » منذ الأزل — « الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب » (يو ١ : ١٨) — « ابن الآب » (٢ يو ٣) ، المولود منه أزلا ، إله من إله نور من نور جوهر من جوهر فهو « بهاء مجد الآب ورسم جوهره » (راجع شرح ص ١ : ٣) — « البكر » الذي قيل عنه : « متى أدخل البكر إلى العالم يقول : « ولتسجد له كل ملائكة الله » (راجع شرح ص ١ : ٦ و ١٠ : ٥) . « الذي هو صورة الله غير المنظور ، « بكر » كل خليقة ؛ فإنه فيه خلق الكل — ما في السموات وما على الأرض ، ما يرى وما لا يرى . . . الكل به قد خلق » ، (كو ١ : ١٥ و ١٦ راجع شرح ص ١ : ٢ و ١٠ — ١٢) .

هذا هو « البداءة » « بكر من الأموات » لكي يكون « باكورة الراقدين » في المسيح (اقرأ كو ١ : ١٨ مع ١ كو ١٥ : ٢٠ — ٢٣) — « رئيس ملوك الأرض » . كما قيل في « الكلمة النبوية » بفم المرنم : « هو يدعوني « أبي أنت » إلهي وصخرة خلاصي » . أنا ، أيضاً ، أجعله « بكر أعلى من ملوك الأرض » (قابل رؤ ١ : ٥ مع مز ٨٩ : ٢٦ و ٢٧) .

في نور كل ما قيل نكتشف ذلك المعنى العميق في قول الرسول : « الذين سبق فعرفهم سبق فعينهم ؛ ليكونوا مشابهين « صورة ابنه » ليكون هو « بكراً » بين إخوة كثيرين » (رو ٨ : ٢٩) . على قياس هذا التمثيل تكون البكورية الحقيقية « لكنيسة الأبكار المكتوبين في السموات » لا تكون لميراث أرضي ؛ بل كما قال الرسول بطرس : « لرجاء حي بقيامة يسوع المسيح من الأموات لميراث لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل محفوظ في السموات » (اقرأ ١ بط ١ : ٣ — ٥) أو كما يعبر الرسول بولس ، قائلا : « الروح نفسه ، أيضاً ، يشهد لأرواحنا « أننا أولاد الله » فإن كنا أولاداً ؛ فإننا ورثة ، أيضاً ، ورثة الله ووارثون مع المسيح ، إن كنا نتألم معه لكي نتمجد ، أيضاً ، معه » .

(رو ٨ : ١٦ و ١٧) . وما أسمى مجد الميراث الأبدى إذاً لم تكن بركة يعقوب ليوسف وابنيه معه إلا صورة رمزية لمجد ذلك الميراث . هكذا « بارك يعقوب ابنى يوسف » : —

« وسجد على رأس عصاه » :

هذا تعبير عن واقعة حال ، نتبين فيها تلك الحالة التى كان عليها « يعقوب » وهو يبارك كلا من ابنى يوسف ، فقد كان فى حالة تعبد لله ؛ ساجداً « على رأس عصاه » . وإذا رجعنا إلى وصف واقعة الحال هذه ، فى التاريخ النبوى قديماً ، نرى فرقاً بين النص التاريخى القديم ، وبين ما نحن بصدده الآن فى موضوع سجود يعقوب ؛ حيث نرى هذا الفرق واضحاً فى نقطتين : — الأولى — فى رواية الخبر ، والثانية — فى صيغة الخبر .

أما رواية الخبر ؛ فالفرق واضح بين رواية التاريخ ونص الآية التى نحن بصددها ، فالتاريخ يروى الخبر عن سجود يعقوب قبل أن يبدأ فى إعطاء البركة ؛ حيث يقول : « احلف لى : فحلف له ؛ فسجد إسرائيل على رأس السرير » (تك ٤٧ : ٣١) ، وهو قول يعقوب ليوسف ، حين استحلفه بأن يدفنه فى أرض كنعان فى مقبرة آبائه (اقرأ تك ٤٧ : ٢٩ — ٣١) ، وبعد هذا الاستحلاف ، حدث أنه قيل ليوسف (هوذا أبوك مريض » فأخذ معه ابنيه « منسى وأفرايم » ، فأخبر يعقوب وقيل له « هوذا ابنك يوسف قادم إليك » فتشدد إسرائيل (يعقوب) وجلس على السرير » لاستقباله ثم بارك ابنيه (اقرأ تك ٤٨ : ١ — ٢٠) .

أما الرسول فيذكر السجود بعد إعطاء البركة ، على أنه يمكننا أن نتبين ؛ فى هذا السجود حالة يعقوب عموماً ؛ فى المقابلة الأخيرة مع يوسف وابنيه قبل موته ، كما لو أنه كان يعد نفسه لملاقاة خالقه فى روح التعبد الحقيقى بالسجود المتواصل فى كل لحظة من لحظات تلك الفترة التى صرفها مع يوسف مباركاً ابنيه ؛ فليس بغريب ، أن يكون يعقوب فى حالة سجود تعبدى قبل وصول يوسف وابنيه إليه ، وأنه بقى فى هذه الحالة التعبدية ؛ حتى انتهائه من مباركة الابنين .

أما صيغة الخبر ، وهي في نص قول الرسول : « سجد على رأس عصاه » فإنها تختلف عنها في النص التاريخي الذي يقول : « فسجد إسرائيل (يعقوب) على رأس السرير » (تك ٤٧ : ٣١) . والفرق بين النصين ينحصر بين « عصاه » وبين « السرير ». وهو فرق ، ربما يعزى إلى الترجمة السبعينية للأصل العبرى ، على اعتبار أن هذه الترجمة السبعينية كانت هي الترجمة الجارى استعمالها في ذلك الزمان ، ومنها اقتبس الرسول ؛ كما اقتبس منها ، أيضاً ، السيد المسيح وسائر الرسل وكتبة العهد الجديد .

أما الكلمة « عصاه » فإنها — في شكل كتابتها العبرية ، يمكن — بصرف حركاتها — أن تقرأ « عصا » أو « سريراً » بلا فرق ، أولا يمكننا ، نحن ، أن نتصور « السرير » و « العصا » مقترنين معاً ، في وضع « يعقوب » في تلك الفترة ؟ فنراه جالساً على « السرير » (تك ٤٨ : ٢) . « وعصاه » بيده وهو منحن فوقها ، متكئاً عليها ، ساجداً متعبداً ؟! .

وما أرهب تلك الفرصة التعبدية ! التي فيها نتصور ابني يوسف راكعان أمام جدهما يتقبلان بركته . وأبوهما يلاحظهما والجميع في خشوع وتقوى ! منظر ما أرهبه ! في فترة تعبدية ما أسماها ! وهل يمكننا أن نسمع نبضات قلب ذلك الجد الشيخ في تلك الفترة الرهيبة ؟ ونستمع فيها إلى ذلك النشيد المعزى بلغة « مرنم إسرائيل الحلو » (٢ صم ٢٣ : ١) ، وهو يقول : « إذا سرت في وادي ظل الموت لا أخاف شراً ، لأنك أنت معي ، عصاك وعكازك هما يعزيانني » (مز ٢٣ : ٤) ، « عابرين في وادي البكاء يصيرونه ينبوعاً » (مز ٨٤ : ٦) .

الآن ! وقد انتهينا من بحث فاعلية « الإيمان » في ثلاثة أبطال من « القدماء » قبل الطوفان : « هابيل » (ع ٤) و « أخنوخ » (ع ٥ و ٦) و « نوح » (ع ٧) — كما انتهينا ، أيضاً ، من بحث فاعلية الإيمان في ثلاثة أبطال آخرين « أقروا بأنهم غرباء ونزلاء على الأرض » — أرض الموعد — « إبراهيم وإسحق ويعقوب » — في ثلاث صور :— الصورة الأولى — الثلاثة مندمجين معاً في شخص « إبراهيم » (ع ٨ — ١٠) — توازيهم « سارة » (ع ١١ و ١٢) . — الصورة الثانية — الثلاثة مجتمعين معاً (ع ١٣ — ١٦). الصورة الثالثة — الثلاثة كل بمفرده (ع ١٧ — ٢١) ، وها نحن الآن ! مع الرسول أمام ،

ثالثاً :: الشهادة لبطلين فى بيت العبودية (عب ١١ : ٢٢ — ٢٩)

هذان البطلان هما « يوسف » و« موسى » اللذان فيهما ، وعن طريقهما ، تتم الكلمة النبوية التى تنبأ بها « رب المجد » يوم ظهوره لأبرام وقطع معه ميثاقاً بنسله ، فى قوله له : « إعلم يقيناً أن نسلك سيكون غريباً فى أرض ليست لهم ويستعبدون لهم ؛ فيذلونهم أربع مئة سنة ، ثم الأمة التى يستعبدون لها أنا أدينها ، وبعد ذلك يخرجون بأملاك جزيلة ، وأما أنت فتمضى إلى آبائك بسلام وتدفن بشيبة صالحة ، وفى الجيل الرابع يرجعون إلى ههنا ؛ لأن ذنب الأموريين ليس إلى الآن كاملا » (تك ١٥ : ١٣ — ١٦ اقرأ كل الأصحاح) . وقد تمت هذه النبوة ، وها نحن الآن ! بصدد هذا الإتمام كما يشير إليه الرسول بولس هنا (أ) فى « يوسف » (ع ٢٢) — (ب) فى « موسى » (ع ٢٣ — ٢٩) .

(أ) « يوسف » (عب ١١ : ٢٢)

٢٢ بِالْإِيمَانِ يُوسُفُ عِنْدَ مَوْتِهِ ذَكَرَ خُرُوجَ بَنِى إِسْرَائِيلَ وَأَوْصَى مِنْ جِهَةِ عِظَامِهِ .

لقد سبقت الإشارة إلى « الكلمة النبوية » التى تنبأ بها «رب المجد» «لأبرام» عن نسله « أنه سيكون غريباً فى أرض ليست لهم ، ويستعبدون لهم ؛ فيذلونهم أربع مئة سنة» (تك ١٥ : ١٣ — ١٦) ، فقد كان إتمام هذه الكلمة النبوية ابتداء من بيع « يوسف » عبداً بيد إخوته (تك ٣٧ : ٢٦ — ٢٨ اقرأ ع ١٢ — ٣٥) ووجوده عبداً فى بيت فوطيفار خصى فرعون — رئيس الشرط — (تك ٣٧ : ٣٦ اقرأ ص ٣٩ : ١ — ٦) ووضعه فى السجن متهماً بتهمة باطلة (تك ٣٩ : ١٩ و ٢٠ اقرأ تك ٣٩ : ٧ — ٤١ : ٣) ، إلى وقت ارتقائه بحكم مصر ثانياً ، فى المرتبة الملكية ، لفرعون مصر (تك ٤١ : ٣٩ — ٤٤ اقرأ ع ١٤ — ٤٤) .

فى هذا الصدد يقول المرنم : «أرسل أمامهم رجلا ، بيع « يوسف » عبداً ، آذوا بالقيد رجليه ، فى الحديد دخلت نفسه إلى وقت مجىء كلمته ، قول الرب امتحنه ، أرسل الملك فحله ، أرسل سلطان الشعب فأطلقه ، أقامه سيداً على بيته ومسلطاً على كل ملكه ؛ ليأسر رؤساءه حسب إرادته ويعلم مشايخه حكمة » (مز ١٠٥ : ١٧ — ٢٢) .

فى أيامه ، وعن طريقه ، دخل يعقوب ، أباه ، وإخوته ونسلهم ، إلى مصر ، بدعوة رسمية ملحة صادرة من البلاط الفرعونى ، ونصها أمر من الفرعون إلى يوسف ، قائلا : « فأنت قد أمرت —افعلوا هذا — « خذوا لكم من أرض مصر عجلات لأولادكم ونسائكم واحملوا أباكم وتعالوا ، ولا تحزن عيونكم على أثاثكم ؛ لأن خيرات جميع أرض مصر لكم » (تك ٤٥ : ١٩و ٢٠ اقرأ ص ٤٥ : ١٦ — ٤٦ : ٧) .

يقول المرنم « فجاء إسرائيل إلى « مصر » ويعقوب تغرب فى « أرض حام » جعل شعبه مثمراً جداً وأعزه على أعدائه » (مز ١٠٥ : ٢٣ و ٢٤) ، هكذا عاش الشعب فى مصر ، فى عز وكرامة إلى موت « يوسف » الذى يتحدث عنه الرسول ، قائلا : —

(ع ٢٢) « بالإيمان يوسف » :

الآن ! نحن مع « يوسف » فى أرض مصر كما سبقت الإشارة ، أما اسمه « يوسف » فإنه يرجع بنا إلى التاريخ النبوى المقدس يوم « ذكر الله « راحيل » (امرأة يعقوب المحبوبة) وسمع لها الله وفتح رحمها ؛ فحبلت وولدت « ابناً » فقالت « قد نزع الله عارى » ودعت اسمه « يوسف » قائلة » « يزيدنى الرب ابناً آخر » (تك ٣٠ : ٢٢ و٢٣ اقرأ تك ٢٩ : ٣٠ و ٣١ و٣٠ : ١ و ٢) .

أما الاسم « يوسف » فمعناه ظاهر فى قول أمه : « يزيدنى الرب ابناً آخر » (تك ٣٠ : ٢٤) . فإن هذا التعبير يمكن أن يترجم بالقول « يضيف الرب عليه ابناً آخر ؛ لأن الكلمة « يوسف » فى أصلها العبرى ، هى ذات الكلمة « يضيف » أى « يزيد » كأنها ، بهذه التسمية ، تعلن شكرها لله راجية أن يضيف عليه ، متفضلا ، ابناً آخر :

وقد تم رجاؤها فحبلت ، أيضاً ، وولدت وتعسرت ولادتها ، و « حدث ؛ حين تعسرت ولادتها أن القابلة قالت لها : لا تخافى ؛ لأن ، هذا ، أيضاً ، « ابن » لك » . وكان ؛ عند خروج نفسها — لأنها ماتت — دعت اسمه « بن أونى » (ابن وجعى أو ابن حزنى) . وأما أبوه فدعاه « بنيامين » (ابن اليمين) (تك ٣٥ : ١٦ — ١٨) . فأصبح لراحيل ولدان ، يوسف « البكر » (انظر ١ أى ٥ : ١ و ٢ راجع شرح ع ٢١) . وقد أضيف إليه « بنيامين » أصغر أولاد يعقوب من راحيل ، هذا هو اسم « يوسف » بمعنى يضيف .

أما إيمان « يوسف » فهو ذلك الإيمان الذى به يدخل فى زمرة هؤلاء القدماء المشهود لهم فى الإيمان (راجع شرح ع ١ و ٢) . وهو ذات الإيمان الذى فيه ، ولابد يشترك الآباء « إبراهيم وإسحق ويعقوب » الذين فى « الإيمان ماتوا وهم لم ينالوا المواعيد، بل من بعيد نظروها وصدقوها وحيوها ، وأقروا بأنهم غرباء ونزلاء على الأرض » (راجع شرح ع ١٣) ، وهذا يتجلى لنا فى قول الرسول بولس ، «بالإيمان يوسف» :—

« عنــــد موته » :

هذه العبارة ترجع بنا إلى ما سبق أن رأيناه عند موت يعقوب ، وقد وقف يوسف أمامه فى تلك الساعة الرهيبة يتلقى وصيته بحلف مشهد لدفنه مع آبائه فى مقبرتهم فى أرض كنعان فى المغارة التى فى حقل المكفيلة (اقرأ تك ٤٧ : ٢٩ — ٣١ و ٤٩ : ٢٨ — ٣٣) . هكذا تم يوسف وإخوته وصية أبيهم (تك ٥٠ : ١ — ١٤) . وقد تم كل ذلك على أساس الإيمان بالوعد الذى أعطى « لإبراهيم وإسحق ويعقوب» (اقرأ تك ٢٢ : ١٥ — ١٨ و ٢٦ : ١—٥ و ٢٨ : ١٢ — ١٥). وعلى ذات الأساس يقول الرسول : « بالإيمان يوسف ، عند موته » : —

« ذكـــر » :

يذكر الرسول بولس هنا أمرين عملهما « يوسف » « بالإيمان . . عند موته » :— الأمر الأول هو : أنه « ذكر » — « خروج بنى إسرائيل » ، أما الأمر الثانى ، الذى فعله « يوسف » « بالإيمان . . عند موته » فهو ، أنه «أوصى» — « من جهة عظامه » ،

أما هذا الأمر الثانى فهو ما سيكون موضوع بحثنا فيما يلى ، والآن ! نتقدم لبحث الأمر الأول ؛ حيث يقال « بالإيمان يوسف ؛ عند موته » : —

« ذكـــر » :

قد يكون « الذكر » نطق باللسان ، وبهذا المعنى يكون ما ذكره « يوسف » « بالإيمان » ، هو مجرد حديث أنهاه إلى إخوته وأعلنه لهم ، يوم تحدث إليهم ، قائلا : « أنا أموت ، ولكن الله سيفتقدكم » (تك ٥٠ : ٢٤) ، فالذكر والحالة هذه مجرد نطق باللسان وكلام بالفم .

على أن الذكر نطقاً باللسان أو حفظاً فى الذهن يتصل بقوة الذاكرة فى الإنسان . وفى هذه الحالة ، لابد ، أن يكون « يوسف » وهو يتحدث إلى إخوته « عند موته » ، قد خطر على باله « بالإيمان » ما هو محفوظ فى ذهنه من ذلك الموعد الذى أعطاه الرب لآبائه ، وبهذا الذكر المحفوظ فى الذهن تحدث باللسان ، على أن هذا الذكر — سواء أكان نطقاً باللسان أو حفظاً فى الذهن — فإنه فى كلتا الحالتين يحمل تذكيراً ، وهذا هو ما يبينه الرسول هنا بقوله : « بالإيمان يوسف ، عند موته ، ذكر » : —

« خروج بنى إسرائيل » :

هو ذلك الخروج الذى عبر عنه « يوسف » بكلمة النبوة ، قائلا لهم : « الله سيفتقدكم ويصعدكم من هذه الأرض إلى الأرض التى حلف لإبراهيم وإسحق ويعقوب » (تك ٥٠ : ٢٤) . وهو قول فيه تذكير لإخوته ؛ ولعله كان يخشى أن يكون تمتعهم بخيرات أرض مصر — إبتداءمن خمس سنوات الجوع الذى كان ، حينئذ ، فى الأرض (تك ٤٥ : ١١) ، حيث كانوا هم ، فى تلك المدة ، متمتعين بالشبع والسرور والبهجة ، بانتعاش أبيهم وفى وجود أخيهم سلطان البلاد ، يأكلون ويشربون ويرعون أغنامهم فى دسم الأرض ؛ فإنهم كانوا غير شاعرين بشىء من الضيق والألم ، تحت عناية الله ، مشمولين بكل بركاته السموية والأرضية .

ولعله كان يخشى أن هذه العيشة السعيدة التي تمتعوا بها مدة لا تقل عن سبعين سنة ، تلهيهم عن « أرض الموعد » (راجع شرح ع ٨) – بل عن ذلك الموعد الذى أعلنه الرب لأبيهم إبراهيم (تك ١٥ : ٧ – ١٦) – لذلك « ذكر خروجهم » مذكراً ومحذراً من النسيان .

وما أشد تأثير الملاهى الجسدية والشهوات الأرضية ! وما أقوى فعلها وقوة جذبها ! كما يظهر من تاريخ هذا الشعب ، بعد خروجهم من أرض مصر ، فكم كانوا يشتهون الرجوع إلى مصر ! وكم قالوا : ليتنا متنا بيد الرب فى أرض مصر ، إذ كنا جالسين عند قدور اللحم نأكل خبزاً للشبع » (خر ١٦ : ٣) . وكم بكوا ، قائلين : « من يطعمنا لحماً ؟ قد تذكرنا السمك الذى كنا نأكله فى مصر مجاناً ، والقثاء والبطيخ والكراث والبصل والثوم » (عد ١١ : ٤ و ٥) : فلعل هذا ! ما كان يخشاه « يوسف » أن يستدرثوا تلك العيشة الهنية التى كانوا يتمتعون بها ، فى أرض مصر ، فينسون ذلك الموعد ويهملون أمر خروجهم ، للرجوع إلى « أرض الموعد » .

فقد كان لهذا التذكير ضرورته الملحة التى دفعت إليه قوة الإيمان « بالموعد » الإلهى : وذلك بالرغم من أن « يوسف » لم يكن يخطر فى باله أمر العبودية المرة القاسية التى كانوا سيقاسونها فى « أرض مصر » بعد موته ، فكان تذكيره هذا مبنياً على أساس «الموعد» والإيمان به ، وتحذيراً من اللذات الجسدية والملاهى الشهوانية التى قد تنسيهم ذلك الموعد وتلهيهم عنه .

وهل يلهينا « التفكير فى الأرضيات» ؟ (فى ٣ : ١٦) ، وهل « هم هذا العالم وغرور الغنى يخنقان الكلمة » (كلمة الحق الإلهية) ؟ فلا تثمر ؟ (مت ١٣ : ٢٢) ، وهل ندع هذه جميعها تفصل بيننا وبين « وعد الميراث الأبدى » ؟ (راجع شرح ص ٩ : ١٥) ، حاشا ؛ فإن « الإيمان » الذى يهبه الله لنا فى « المسيح » يرفع أنظارنا وأفكارنا لنعيش فى جو أعلى – سماوى (كو ٣ : ١–٤) . « ونحن غير ناظرين إلى الأشياء التى ترى ؛ بل إلى التى لا ترى ؛ لأن التى ترى وقتية ، وأما التى لا ترى فأبدية » (اقرأ ٢ كو ٤ : ١٦ – ٥ : ١) ، لذلك « بالإيمان يوسف ، عند موته ، ذكر خروج بنى إسرائيل » : –

« وأوصى » :

سبق أن ذكرنا أن يوسف ، عند موته عمل أمرين أولها « ذكر » — « خروج بنى إسرائيل من مصر » ، أما ثانيهما ، الذى نحن بصدده الآن ، فهو أنه « أوصى » ، وقد سبق أن رأينا فى « الذكر » نطق اللسان والتكلم بالفم ، كما رأينا ، أيضاً ، حفظ الأذهان ووعى الذاكرة وفى كلتا الحالتين يتم التذكير بالتكلم والنطق بما فى الأذهان والذاكرة .

هكذا نستطيع أن نرى فى كلمة « أوصى » ، فإنها تشير إلى أمر ما يوصى به الفم وينطق به اللسان عند تقديم وصية ما من موص (اسم فاعل) إلى موصى (اسم مفعول) . وهى فى ذات الوقت تشير إلى أمر يوصى به كما يقال : « أوصاه بكذا إيصاء أى عهد إليه » . وهذا هو ما فعله يوسف مع إخوته ، حيث تحدث إليهم ، بفمه موصياً بأمر عهده إليهم ، مشترطاً إتمامه . وبهذا المعنى تكون الوصية عهداً مشروطاً ، الملاك يقول « وأوصى » : —

« من جهـــة عظــامه » :

هذه هى الوصية التى « أوصى »بها « يوسف » إخوته « من جهة عظامه » ، فإنه بعد ما ذكر لهم « بالإيمان » أمر خروجهم من « أرض مصر » وصعودهم إلى أرض كنعان — « أرض الموعد » « أوصى من جهة عظامه » ونص تلك الوصية واضح فى قول « موسى » . « واستحلف يوسف بنى إسرائيل ، قائلا : « الله سيفتقدكم ؛ فتصعدون عظامى من هنا » (تك ٥٠ : ٢٥) .

وصية معهودة هى عهد مشروط بشأن عظامه ، وصية مقرونة بذات الإيمان الذى به « ذكر خروج بنى إسرائيل » من مصر . فإن الأمرين معاً — « خروج بنى إسرائيل » وإصعاد عظام يوسف — مقترنان فعلا وزمناً . هكذا استحلف « يوسف » إخوته بشأن عظامه ؛ كما استحلفه أبوه ، أيضاً ، بشأن دفنه فى أرض كنعان ، كما سبقت الإشارة (اقرأ تك ٤٧ : ٢٩ و ٣١) .

حلف ، فيه يلوح لنا تأكيد مع بيان واضح ، بعدم ارتياح « يوسف » لوجوده فى أرض مصر ؛ بالرغم مما كان له فيها من سلطان عظيم ومرتبة فائقة ، متمتعاً بالسيادة والكرامة والمجد . وهل كان يوسف — وهو يذكر أمر « خروج » إخوته من مصر ويوصى بإصعاد عظامه معهم — هل كان يجول فى خاطره ، فى تلك الساعة ؟ ذلك اليوم الذى فيه ألقاه إخوته فى البئر ، ناوين قتله ؟ ثم تغيرت نيتهم وقال بعضهم لبعض : « تعالوا فنبيعه « للاسماعيليين » وقد باعوه بعشرين من الفضة ؛ ليتخلصوا منه ومن أحلامه إلى الأبد ؟ (اقرأ تك ٣٧ : ١٨ — ٣٥) .

هل مرت أمام مخيلته ، فى هذه الساعة ، تلك السحابة السوداء ؟ سحابة ذلك اليوم الرهيب — هل ذكر حينئذ أنهم هم الذين أنزلوه إلى مصر ، ليكون عبداً مؤبداً ؟ هل دار فى خلده ؟ — وهو يوصى إخوته « من جهة عظامه » ليصعدوها معهم . يوم خروجهم من مصر — هل دار فى خلده ، فى تلك الساعة الرهيبة ، كل هذا التـــاريخ المظلم وتلك المعاملة القاسية التى بها أنزلوه إلى مصر ؟ نعم ، لقد تدخلت العناية الإلهية ورتبت ترتيبها المحكم ؛ لإتمام المقاصد الأزلية ، وتحقق قول « يوسف » الذى قاله لإخوته ، عندما تضرعوا إليه ليصفح عن ذنبهم وعن معاملتهم السيئه له ، حين قال لهم : « هل أنا مكان الله ؟ أنتم قصدتم لى شراً ، أما الله فقصد به خيراً ؛ لكى يفعل ، كما اليوم ، ليحيى شعباً كثيراً ، فالآن ! لا تخافوا ، أنا أعولكم وأولادكم ؛ فعزاهم وطيب قلوبهم » (تك ٥٠ : ١٩ — ٢١ اقرأ ع ١٦ — ٢١ مع ٤٥ : ٥ — ٧ مع مز ١٠٥ : ١٦ — ٢٣) .

هكذا مات « يوسف » فى أرض مصر « فحنطوه ووضعوه فى تابوت » هنـــاك ، استعداداً لإصعاد عظامه معهم ؛ عند إتمام النبوة بخروجهم . وقد كانت أيام سنى حياة « يوسف » « مئة وعشر سنة » (تك ٥٠ : ٢٦) . أما مدة إقامته فى مصر فكانت ثلاثا وتسعين سنة ، إذ كان عمره ، عند وصوله إليها « سبع عشرة سنة » » (تك ٣٧ : ٢ اقرأ كل الأصحاح) . وقد صرف ثلاث عشرة سنة من مدة تلك الإقامة عبداً فى بيت فوطيفار رئيس الشرط المصرى ، وسجيناً فى سجنه (قابل تك ٣٧ : ٢ مع ٤١ : ٤٦ اقرأ تك ص ٣٩ و ٤٠) .

أما باقى المدة — وقدرها ثمانون سنة (قابل ٤١ : ٤٦ مع ٥٠ : ٢٦) — فقد كان فيها سيداً على كل أرض مصر (إقرأ تك ص ٤١ — ٥٠) ، فى كرامة عليا إلى يوم وفاته . وقد حفظت عظامه محنطة فى مصر إلى أن أصعدها إخوته معهم عند خروجهم حيث قيل « وأخذ موسى عظام يوسف معه ؛ لأنه كان قد استحلف بنى إسرائيل (خر ١٣ : ١٩) « ثم دفنوها (بكرامة) فى « شكيم » فى قطعة الحقل التى اشتراها يعقوب من بنى حمور أبى شكيم بمئة قسيطة ؛ فصارت « لبنى يوسف » ملكاً » (قابل يش ٢٤ : ٣٢ مع تك ٣٣ : ١٨ و ١٩ و ٤٨ : ٢٢ مع يو ٤ : ٥ — ١٢) .

هذا الخبر ينبئنا بأن يوسف لم يدفن مع آبائه فى حقل المكفيلة فى حبرون — قرية أربع — بل فى « شكيم » فى نصيب سبط أفرايم ابن يوسف الذى أعطى البكورية (قارن تك ٢٣ : ١٩ و ٢٠ و ٢٥ : ٨ — ١٠ و ٣٥ : ٢٧ — ٢٩ و ٤٩ : ٢٨ — ٣٠ و ٥٠ : ٧ — ١٣ مع يش ٢٤ : ٣٢ مع ١ أى ٥ : ١ و ٢) . وليس بغريب أن يدفن « يوسف » فى نصيب أفرايم ابنه ، بعد تقسيم الأرض بالقرعة ، وبخاصة ؛ لأن الذى تولى أمر هذا الدفن من سبط أفرايم وهو « يشوع بن نون » القائد الأعلى الذى تولى إدخال الشعب إلى تلك الأرض وتقسيمها لهم بالقرعة (قابل عد ١٣ : ٨ و ١٦ و ٢٧ : ١٨ — ٢٣ مع يش ١ : ١ — ٩ و ١٤ : ١ — ٣ و ٢٤ : ٣٢) .

هذا التاريخ يرينا ، بوجه التقريب ، كل المدة التى فيها بقيت عظام يوسف بلا دفن ، وهى مدة عبودية إسرائيل المرة فى مصر ، بعد موت يوسف (اقرأ خر ١ : ٨ — ١٢ : ٢٨) : فى تلك الأثناء ولد موسى (اقرأ خر ٢ : ١ — ١٠) ، وبلغ سن الثمانين (اقرأ خر ٢ : ١١ — ٢٥ مع أع ٧ : ٢٠ — ٣٤ ، حين أخرج إسرائيل من مصر وسار بهم فى البرية أربعين سنة (اقرأ خر ١٢ : ٢٩ — ٥١ مع عد ١٤ : ٣٣ — ٣٥ مع تث ٨ : ١ — ٤ (خر ١٦ : ٣٥) مع مز ٩٥ : ٨ — ١٠ مع أع ٧ : ٣٥ — ٤٣ و ١٣ : ١٧ و ١٨ راجع شرح ص ٣ : ٨ — ١٠) ، حتى بلغ موسى من العمر مئة وعشرين سنة .

وبالتحرى الدقيق عن مدة حياة موسى منذ ولادته إلى يوم وفاته ، كما تتبين من كل الشواهد التى سبقت ، يثبت لنا أنها مدة تصل إلى مئة وعشرين سنة تنقسم إلى

ثلاث أربعينات من السنين (قابل تث ٣١ : ٢ و ٣٤ : ٧ مع أع ٧ : ٢٣ و ٣٦ و ٤٢ و ١٣ : ١٨) . فى كل تلك المدة وما قبلها ، بقيت عظام يوسف محفوظة فى أرض مصر وفى البرية ؛ حتى دخل الشعب أرض كنعان وهناك دفنت ، لا مع عظام آبائه — « إبراهيم وإسحق ويعقوب » — فى حقل المكفيلة فى حبرون فى قسم يهوذا (تك ٢٣ : ١٩ و ٢٠ و ٢٥ : ٧ — ١٠ و ٣٥ : ٢٧ — ٢٩ و ٤٩ : ٢٨ — ٣٢ و ٥٠ : ٧ — ١٢) ، بل فى قبر خاص فى قسم أفرايم ابنه البكر فى شكيم التى هى السامرة (يش ٢٤ : ٣٢) .

اهتمام بالعظام وبمكان دفنها — اهتمام إلى حد يدعو إلى التساؤل ، ما هو سره ؟ ولماذا كل هذه المشغولية ؟ لا عجب أن يتعدى بعض الربيين حد المعقول ! فيما يتعلق «بالقيامة من الأموات » إذ اعتبروا أن لاقيامة لأجساد الموتى إلا إذا كانت مدفونة فى أرض كنعان . وقد وصلت بهم هذه العقيدة إلى حد فيه اعتبروا وجوب نقل أجساد جميع اليهود المدفونين خارج أرض موعدهم ، وذلك عن طريق أنفاق تقام تحت الأرض ، تنقل عن طريقها تلك الأجساد لتصل إلى تلك البلاد ؛ لتقوم من الأموات داخل تلك المنطقة .

عقيدة غريبة فى بابها ترفع مقام الجسديات والأرضيات إلى غير الموضوع لها ، فإن الأجساد تراب من الأرض لتعود إلى الأرض التى أخذت منها بالحكم القائل لآدم : «ملعونة الأرض بسببك . . . بعرق وجهك تأكل خبزاً ؛ حتى تعود إلى الأرض التى أخذت منها ؛ لأنك تراب وإلى تراب تعود » (تك ٣ : ١٧ و ١٨) ، لا فرق بين منطقة ومنطقة من الأرض ، ولو كانت هذه المنطقة « أرض الموعد » التى قيل عنها إنها أرض تفيض لبناً وعسلا ، أرض كروم وزيتون ، يخرج منها الزيت (الزيتون) والمسطار (كرم العنب) والقمح (قوام المعيشة) تحت فرائض ومواسم وأعياد وسبوت وأهله ، كلها للجسد وتنتهى مع نهاية الجسد ؛ فإنها — « أرض الموعد » — حتى لو استخدمت بالحق والأمانة فى نطاق العهد الإلهى المقدس — لا يمكن أن تتميز عن أى أرض كانت فى موضوع قيامة الأجساد .

فكم بالحرى إذا أسيء استعمالها ! فنسمع القول الإلهى المخيف بالدينونة للهلاك : « اسمعوا كلام الرب يا قضاة سدوم (قضاة إسرائيل) ، أصغوا إلى شريعة إلهنا يا شعب عمورة (شعب إسرائيل) ، لماذا لى كثرة ذبائحكم يقول الرب ؟ اتخمت من محرقات كباش وشحم مسمنات . وبدم عجول وخرفان وتيوس ما أسر ، حينما تأتون لتظهروا أمامى ، من طلب هذا من أيديكم أن تدوسوا دورى » ؟ (إش ١ : ١٠ — ١٢) . وهل هو أمر غريب ؟ أن ترمد (تصير رماداً) أرض سدوم وعمورة والبلاد التى حولها بعد أن وصفت بأنها « كجنة الرب كأرض مصر » ؟ (قابل تك ١٣ : ١٠ و ١٩ : ٢٤ — ٢٨ مع ٢ بط ٢ : ٦) .

على قياس هذا التمثيل لسدوم وعمورة ، صدر الحكم الإلهى على إسرائيل وبيت يهوذا ، كما قيل عن « أورشليم » (« يهوذا ») ، « أختك الكبرى السامرة (إسرائيل) هى وبناتها الساكنة عن شمالك ، وأختك الصغرى الساكنة عن يمينك هى سدوم وبناتها ، ولا فى طريقهن سلكت ولا مثل رجاساتهن فعلت كأن ذلك قليل فقط ؛ ففسدت أكثر منهن فى كل طرقك ، حى أنا يقول السيد الرب . إن سدوم أختك لم تفعل هى ولا بناتها كما فعلت أنت وبناتك ، هذا كان إثم أختك سدوم . . . ولم تخطىء السامرة نصف خطاياك ، بل زدت رجاساتك أكثر منهن وبررت أخواتك بكل رجاساتك التى فعلت . فاحملى ، أيضاً ، خزيك ، أنت القاضية على أخواتك بخطاياك التى بها رجست أكثر منهن ، هن أبر منك . فاخجلى أنت ، أيضاً ، واحملى عارك بتبريرك أخواتك » (حز ١٦ : ٤٦ — ٥٢ اقرأ كل الأصحاح) .

فما هى قيمة الدفن فى أرض تدنست (ولو كانت « أرض الموعد ») ؟ فقذفت الذين دنسوها أولا ثم قذفت بيت إسرائيل وبيت يهوذا اللذين ، أيضاً ، دنساها (اقرأ لا ١٨ : ٢٤ — ٢٨) . وقد تم القذف لبيت إسرائيل وبيت يهوذا كما سمعنا النبي يقول : « قوموا واذهبوا ؛ لأنه ليست هذه هى الراحة ، من أجل نجاسة تهلك والهلاك شديد » (قابل مى ٢ : ١٠ مع لو ١٩ : ٤١ — ٤٤ مع مت ٢٣ : ٢٩ — ٣٧ راجع شرح ص ٤ : ٨ — ١٠) .

أما الإيمان الحقيقى بالرب يسوع المسيح فيحقق قيامة أجساد المؤمنين «الراقدين فى المسيح» أينما رقدوا وحيث تكون أجسادهم ؛ كما قال الرائى : «ثم رأيت عرشاً عظيماً أبيض والجالس عليه ، الذى من وجهه هربت الأرض والسماء ولم يوجد لهما موضع ، ورأيت الأموات صغاراً وكباراً واقفين أمام الله . . . وسلم البحر الأموات الذين فيه وسلم الموت والهاوية الأموات الذين فيهما ودينوا كل واحد بحسب أعماله» (رؤ ٢٠ : ١١ — ١٤ مع مت ٢٥ : ٣١ — ٤٦ و ٢٧ : ٥١ — ٥٣ مع يو ٥ : ٢٨ و ٢٩ مع رو ٨ : ١٠ و ١١ مع ١ كو ١٥ : ٢٠ — ٢٣ مع فى ٣: ٢٠ و ٢١) .

إلى هنا ينتهى الكلام عن بطل الإيمان «يوسف» وبه تختم سلسلة الأبطال الذين أتوا بعد الطوفان وهم «إبراهيم وإسحق وسارة ويعقوب ويوسف» والآن ! يبدأ الرسول بسلسلة أخرى فى نظام «ملكوت الله» فى صورته المنظورة على الأرض ، لنرى أبطال الإيمان فى هذا الملكوت وعلى رأسهم : —

(ب) «موسى» (ع ٢٣ — ٢٩)

فى هذه الآيات (٢٣ — ٢٩) سنرى «موسى» البطل الثانى فى أرض العبودية ، كما سبق أن رأينا «يوسف» البطل الأول فى تلك الأرض (راجع شرح ع ٢٢) . أما «موسى» فسنراه على النحو الآتى : — أولا : موسى يتهذب فى مصر (ع ٢٣ — ٢٦) — ثانياً : موسى يقود إسرائيل فى خروجهم من مصر (ع ٢٧ — ٢٩) .

(أولا) «موسى» يتهذب فى مصر (عب ١١ : ٢٣ — ٢٦)

٢٣ بِالإِيمَانِ مُوسَى بَعْدَ مَا وُلِدَ أَخْفَاهُ أَبَوَاهُ ثَلاَثَةَ أَشْهُرٍ لأَنَّهُمَا رَأَيَا الصَّبِيَّ جَمِيلاً وَلَمْ يَخْشَيَا أَمْرَ الْمَلِكِ . ٢٤ بِالإِيمَانِ مُوسَى لَمَّا كَبِرَ أَبَى أَنْ يُدْعَى ابْنَ ابْنَةِ فِرْعَوْنَ ٢٥ مُفَضِّلاً بِالأَحْرَى أَنْ يُذَلَّ مَعَ شَعْبِ اللهِ عَلَى أَنْ يَكُونَ لَهُ تَمَتُّعٌ وَقْتِيٌّ

بِٱلْخَطِيَّةِ ٢٦ حَاسِبًا عَارَ ٱلْمَسِيحِ غِنًى أَعْظَمَ مِنْ خَزَائِنِ مِصْرَ لِأَنَّهُ كَانَ يَنْظُرُ إِلَى ٱلْمُجَازَاةِ .

فى صدد هذه الآيات (٢٣ — ٢٦) يقول « استفانوس » (الشهيد المسيحى الأول) بوحى الروح القدس ، « قام ملك آخر (على مصر) لم يكن يعرف يوسف ؛ فاحتال هذا على جنسنا ، وأساء إلى آبائنا ؛ حتى جعلوا أطفالهم منبوذين ؛ لكى لا يعيشوا ، وفى ذلك الوقت « ولد موسى » وكان جميلا جداً ، فربى هذا ثلاثة أشهر فى بيت أبيه ، ولما نبذ اتخذته ابنة فرعون وربته لنفسها ابناً ؛ فتهذب « موسى » بكل حكمة المصريين ، وكان مقتدراً فى الأقوال والأعمال » (اقرأ أع ٧ : ١٨ — ٢٢ مع خر ١ : ١ — ٢ : ١٠) . إلى هنا يشير الرسول بولس بالقول : —

(ع ٢٣) « بالإيمان موسى » :

« موسى » اسم يظهر أنه من أصل مصرى خلعته ابنة فرعون ملك مصر على طفل منبوذ من أطفال إسرائيل « المنبوذين » (أع ٧ : ١٩) ، وربته ودعت اسمه « موسى » قائلة « إنى انتشلته من الماء » (خر ٢ : ١٠ اقرأ ع ١ — ١٠) ، وهذا الاسم يتلألأ ساطعاً ، فى سماء الوحى المقدس ، كوكباً من الكواكب البارزة اللامعة فى تاريخ « ملكوت الله » « كنيسة الله الحى عمود الحق وقاعدته » (١ تى ٣ : ١٥) كما سبق أن قال عنه ذات الرسول : « موسى كان أمينا فى كل بيته — «بيت الله» — كخادم ، شهادة للعتيد أن يتكلم به » (ص ٣ : ٥ راجع شرح ع ١ — ٦) .

إلى هذا الاسم البارز ، الكوكب اللامع الساطع ، أشار السيد المسيح مراراً مظهراً ما لهذه الشخصية المباركة من مركز فائق فى «بيت الله» . من هذه الإشارات قوله ، جواباً على سؤال الغنى المعذب ، قائلا « عندهم موسى والأنبياء » (لو ١٦ : ٢٩) ، ومنها قوله لليهود : « يوجد الذى يشكوكم وهو موسى الذى عليه رجاؤكم » (يو ٥ : ٤٥) . وقول البشير عن المسيح : « ابتدأ من موسى ومن جميع الأنبياء يفسر لهما الأمور المختصة به فى جميع الكتب » (لو ٢٤ : ٢٧ و ٤٤) .

هذه الإشارات وغيرها تفيد ما لهذا المشترع العظيم من ميزة سامية فى « ملكوت الله » حتى افتخر به الفريسيون رؤساء اليهود وكتبتهم قائلين : « أما نحن فإننا تلاميذ موسى ، نحن نعلم أن موسى كلمه الله » (يو ٩ : ٢٨ و ٢٩) ، وفى هذه المناسبة يقول السيد : « على كرسى « موسى » جلس الكتبة والفريسيون » (مت ٢٣ : ٢) : هذا هو « موسى » رجل الناموس الموسوى الذى سيكون موضوع كلامنا الآن فى قول الرسول « بالإيمان موسى » : —

« لمــا ولد » :

أشار الشهيد المسيحى الأول « استفانوس » كما سبق أن رأينا ، إلى هذه الولادة قائلا : « فى ذلك الوقت ولد موسى » (أع٧ : ٢٠) ، فى وقت عصيب جداً صدرت فيه الأوامر الفرعونية إلى شعب مصر ونصها ، « كل ابن يولد تطرحونه فى النهر » (خر ١ : ٢٢) ، على أن البلاط الملكى السماوى لا تهمه تلك الأوامر الفرعونية ؛ مهما تكن شدتها وقوة نفوذها ، كما يقول الجامعة : « إن رأيت ظلم الفقير ونزع الحق والعدل فى البلاد ؛ فلا ترتع من الأمر ؛ لأن فوق العالى عالياً يلاحظ ، والأعلى فوقهما (جا ٥ : ٨) .

هذا « الأعلى » — « العلى المرتفع ساكن الأبد القدوس اسمه » (إش ٥٧ : ١٥)— « الساهر والقدوس » الذى أعلن ذاته فى قوله لإرميا : « أحسنت الرؤية ؛ لأنى أنا ساهر على كلمتى لأجريها » (إر ١ : ١٢) ، هكذا رآه نبوخذ نصر فقال : « كنت أرى فى رؤى رأسى ؛ على فراشى ، وإذا « بساهر وقدوس » نزل من السماء فصرخ بشدة وقال هكذا : « اقطعوا الشجرة » (دا ٤ : ١٣ و ١٤ اقرأع ١٠ — ٣٧) .

هذا « الأعلى » — « الساهر القدوس » — « الساهر على كلمته ليجريها » — تذوب ، أمام مقاصده السامية كل أوامر الملوك والعظماء ولسان حاله يقول لفرعون العاتى « بالكلمة النبوية » : « اذكروا هذا وكونوا رجالا ، رددوه فى قلوبكم أيها العصاة ! اذكروا الأوليات منذ القديم ؛ لأنى أنا الله وليس آخر ، الإله وليس مثلى ، مخبر ، منذ البدء بالأخير ، ومنذ القديم بما لم يفعل ، قائلا : « رأيى يقوم وأفعل كل مسرتى»

(إش ٤٦ : ٨ — ١٠) ، لذلك إتماماً لمقاصده وتحدياً لأوامر فرعون تم مقصده وأصدر أمره « وولد موسى » كما يقول الرسول : « بالإيمان موسى ؛ بعد ما ولد » : —

« أخفـــاه أبواه » :

أما أبوه فهو « عمرام » وهو عمرام ابن قهات ابن لاوى ابن يعقوب (خر ٦ : ١٦ : ٢٠) . فهو من سبط اللاويين الذين اختارهم الله ليكونوا موهوبين له هبة من بين بنى إسرائيل ، بدل كل فاتح رحم ، بكر كل من إسرائيل قد اتخذتهم لى ؛ لأن لى كل بكر فى بنى إسرائيل . . . يوم ضربت كل بكر فى أرض مصر قدستهم لى ؛ فاتخذت اللاويين بدل كل بكر فى بنى إسرائيل » (عدد ٨ : ١٦ و ١٧ اقرأ ع ١—٢٢) .

أما أمه فكانت « يوكابد » ابنة لاوى بن يعقوب فهى أخت قهات أبى عمرام وبالتالى فكانت ، بهذه النسبة ، عمة لزوجها عمرام ، وقد ولدت له ثلاثة أولادهم : « مريم وهرون وموسى » (قابل خر ٦ : ٢٠ مع ٢ : ١ — ٤ مع عد ص ١٢ مع مى ٦ : ٤) ، لذلك يقول الرسول بولس : « « بالإيمان موسى ، بعد ما ولد » : —

« أخفاه أبواه » :

لكى لا يتم فيه أمر الملك الذى أصدره لجميع شعبه قائلا : « كل ابن يولد لبنى إسرائيل تطرحونه فى النهر ، لكن كل بنت تستحيونها » (خر ١ : ٢٢) . هكذا ينبئنا التاريخ المقدس الذى بنى عليه الشهيد المسيحى الأول استفانوس قوله : « فى ذلك الوقت » (أع ٧ : ٢٠). أى فى وقت صدور هذا الأمر الفرعونى ؛ حيث يقال : « ذهب رجل («عمرام ») من بيت لاوى وأخذ بنت لاوى (يوكابد) فحبلت المرأة وولدت ابناً . . . وخبأته » (خر ٢ : ١ و ٢) ، ويقول الرسول فى هذا الصدد : « أخفاه أبواه » : —

« ثلاثة أشهـــر » :

وفى هذا الشأن يقول التاريخ : « خبأته ثلاثة أشهر » (خر ٢ : ٢) . ويقول استفانوس : « فربى هذا ثلاثة أشهر فى بيت أبيه » (أع ٧ : ٢٠) . وفى هذين النصين نرى الأم في القول : « خبأته » ونرى الأب فى القول : « فى بيت أبيه » وبذلك

يصدق القول : « أخفاه أبواه » أى أبوه وأمه بالاشتراك معاً فى الرأى والتدبير لمدة ثلاثة أشهر . ولذلك ينسب الرسول عمل الأبوين فى الإخفاء إلى الإيمان ، أى إيمان الأبوين وهذا هو معنى قوله: « بالإيمان موسى ، بعد ما ولد ، أخفاه أبواه ثلاثة أشهر » : —

« لأنهما رأيا الصبى جميلا » :

كما يقول التاريخ : «ولدت ابناً ، ولما رأته أنه حسن ، خبأته ثلاثة أشهر » (خر ٢ : ٢) . وفى هذا الصدد يقول استفانوس : « ولد موسى وكان جميلا جداً » (أع ٧ : ٢٠) . وهل كان فى ذلك الحسن الفائق والجمال الباهر وحى إلهى ؟ ينبىء الناظرين إليه والمتأملين فيه بما سيكون لهذا « الولد » من مستقبل فذ ومركز سام قصده الله له فى دائرة ملكوته ؟ .

لعلنا نستطيع أن نجد جواباً لهذا السؤال فى ما صار « لموسى » على جبل سيناء ؛ حين كان واقفاً فوق الجبل عند الرب « ونادى باسم الرب ؛ فاجتاز الرب قدامه ونادى الرب : «الرب إله رحيم ورؤوف ، بطىء الغضب وكثير الإحسان والوفاء». وتكلم مع موسى وقال له : « ها أنا قاطع عهداً . قدام جميع شعبك . . . اكتب لنفسك هذه الكلمات » (اقرأ خر ٣٤ : ١ — ٢٧) ، «وكان لما نزل موسى من جبل سيناء ولوحا الشهادة فى يد موسى ، عند نزوله من الجبل ، أن موسى لم يعلم أن « جلد وجهه صار يلمع » فى كلامه معه . فنظر هرون وجميع بنى إسرائيل « موسى وإذا جلد وجهه يلمع » (اقرأ خر ٣٤ : ٢٩ —٣٥ مع ٢ كو ٣) .

هل لنا فى هذا اللمعان العجيب ، على جبل سيناء ؟ هل لنا تفسير لسر ذلك الجمال الطبيعى الذى أضفاه الرب عليه (على موسى) عند ولادته ؟ ليحفظه إلى أن يقف على هذا الجبل ؛ حيث أضاء الرب على وجهه بنور الحق الإلهى المشرق ، بالصورة التى بينها ، جل جلاله ، فى قوله لمريم وهرون : « اسمعا كلامى ! إن كان منكم نبى للرب فبالرؤيا استعلن له ، فى الحلم أكلمه ، وأما عبدى موسى فليس هكذا ؛ بل هو أمين فى كل

بيتى ، فما إلى فم وعياناً أتكلم معه — لا بالألغاز — وشبه الرب يعاين » (عد ١٢ : ٦ — ٨ راجع شرح ص ٣ : ٣ — ٥) .

فلا غرو ا أن يكون الله ، علا مجده ، قد قصد بهذا الجمال الفائق إعلاناً بما سيكون لهذا الصبى من المركز الممتاز فى بيت الرب ، قائداً عظيما لشعبه . فلابد أنه ، تعالى اسمه ، أوحى « بالإيمان » لأبويه فى هذا الجمال العجيب ذلك القصد الإلهى فأعطاهما قدرة على إخفائه ثلاثة أشهر ولم يخشيا أمر الملك ؛ لذلك يقول الرسول : « بالإيمان موسى ، بعد ما ولد ، أخفاه أبواه ثلاثة أشهر ؛ لأنهما رأيا الصبى جميلا » .

« ولم يخشيا أمر الملك » :

هذه هى فاعلية « الإيمان » فى قلب هذين الأبوين ولعله هو ذات الإيمان الذى يتحدث الرسول عن فاعليته فى أبطال « الإيمان » الذين يتحدث عنهم فى هذا الفصل ، وبخاصة عن فاعليته فى « إبراهيم وإسحق ويعقوب ويوسف » ، وهو الإيمان « بالوعد » المبارك الذى سبق عنه الكلام ، وبفاعليته قال يوسف لإخوته : « أنا أموت ولكن الله سيفتقدكم ويصعدكم من هذه الأرض إلى الأرض التى حلف لإبراهيم وإسحق ويعقوب... فتصعدون عظامى من هنا » (تك ٥٠ : ٢٤ و ٢٥ راجع نص الوعد فى تك ٢٢ : ١٥ — ١٨ و ٢٦ : ١ — ٥ و ٢٨ : ١٣ و ١٤) .

فلابد أن هذا الوعد كان موضوع إيمان هذا الشعب فى مصر ورجاء انتظارهم . ولابد ، أيضاً ، أن هذا الإيمان بذلك « الوعد » كان فى قلب أبوى «موسى » وأنهما أخفياه ثلاثة أشهر بقوة فاعلية ذلك الإيمان « ولم يخشيا أمر الملك » .

على أن التاريخ المقدس يحدثنا عن إجراء آخر أجراه « أبوا موسى » بعد نهاية الثلاثة أشهر التى ، فى أثنائها ، أخفياه . ويتبين هذا الإجراء فى القول : « لما لم يمكنها (أم موسى) أن تخبئه ، بعد ، أخذت سفطاً من البردى وطلته بالحمر والزفت ووضعت الولد فيه ، ووضعته ، بين الحلفاء ، على حافة النهر ، ووقفت أخته ، من بعيد ، لتعرف ماذا يفعل به » (خر ٢ : ٣ و ٤) . هذا كله عملته أمه يوكابد بالاتفاق ، ولابد ، مع أبيه عمرام بفاعلية الإيمان كما أخفياه ثلاثة أشهر بقوة الفاعلية التى عملت

فى قلبيهما معاً ، لإخفائه ثلاثة أشهر غير خاشيين أمر الملك ، واثقين « بالإيمان » فى وعد الله المبارك ، موقنين ولابد ، بتحقيقه ، وفى هذا الصدد يقول الرسول : « بالإيمان « موسى » بعد ما ولد ، أخفاه أبواه ثلاثة أشهر ؛ لأنهما رأيا الصبى جميلا ، ولم يخشيا أمر الملك » :—

(ع ٢٤) « بالإيمان موسى ، لما كبر ، أبى » :

فى العدد السابق (٢٣) رأينا « موسى » يحيط به « الإيمان » فى أبويه باعتبار أنهما « بطلا الإيمان » ، وأما فى هذه الآية فإننا نرى « موسى » ذاته بطل « الإيمان » كما سنراه فى الآيتين التاليتين (٢٥ و ٢٦) بطلا فذاً بقوة الإيمان ، لذلك ؛ فى هذه الآية ، يقول الرسول : « بالإيمان موسى » :—

« لما كبر ، أبى » .

فى هذه الجملةفعلان أحدهما : — « كبر » — وثانيهما : — « أبى » — والفعلان ينسبان معاً إلى « موسى » باعتبار أنه فاعلهما : —

أما الفعل الأول « كبر » : فهو فعل طبيعى يتم بمقتضى الناموس الطبيعى ، فتكون نسبته إلى موسى ، كفاعل له ، لا بحسب قدرته ولا بمقتضى إرادته ؛ لأنه نمو طبيعى يسير سيره الطبيعى بمقتضى ناموس الحياة الجسدية ، على أن نسبته إلى موسى ترجع بنا إلى التاريخ ؛ حيث رأينا فى شرح الآية السابقة طفلا موضوعاً فى سفط من البردى مطلياً بالحمر والزفت على شاطىء النيل بين الحلفاء ، ومريم أخته واقفة ، تراقبه من بعيد ، لترى ماذا يكون نصيبه ، وكان ذلك بتدبير أبويه بالإيمان بعد إخفائه ثلاثة أشهر لما رأيا أنهما لا يمكنهما أن يخبئاه أكثر (خر ٢ : ٣ و ٤ راجع شرح الآية السابقة) .

على أن التاريخ يخبرنا بأمر عجيب دبرته العناية الإلهية لإتمام المقاصد الأزلية ، ولعل من الأمور التى تسترعى النظر ، وتستحق التأمل الدقيق أن يكون ذلك الجمال الفائق الطبيعة ، الذى أضفاه الرب على موسى ، عاملا من العوامل الفعالة فى إتمام

ذلك التدبير الإلهي العجيب كما هو وارد فى النص التاريخي النبوى القائل : « فنزلت ابنة فرعون إلى النهر لتغتسل ، وكانت جواريها على ماشيات جانب النهر ؛ فرأت السفط بين الحلفاء ؛ فأرسلت أمتها وأخذته ، ولما فتحته رأت الولد وإذا هو صبي يبكى فرقت له » (ولعل ذلك الجمال الطبيعي الفائق كان عاملا من العوامل المؤثرة فى قلب ابنة فرعون ، فحنت إليه وقالت : « هذا من أولاد العبرانيين » ، فقالت أخته لابنة فرعون « هل أذهب وأدعو لك امرأة مرضعة من العبرانيات لترضع لك الولد »؟ فقالت لها ابنة فرعون « اذهبي » فذهبت الفتاة ودعت أم الولد ، فقالت لها ابنة فرعون : « اذهبي بهذا الولد وأرضعيه لى وأنا أعطى أجرتك ، فأخذت المرأة الولد وأرضعته » (خر ٢ : ٥ — ٩) .

سر مكتوم ، تدبير خفى يفوق كل إدراك ويسمو على كل أفكار البشر ، ويجهل كل حكمة الناس (١ كو ١ : ٢٠) . فقد عاد الصبي إلى بيت أبيه وإلى أحضان أمه يرضع ، لا لبن الثديين فحسب ، بل ، أيضاً « اللبن العقل العديم الغش » (١ بط ٢ ٢) ، ويتربى فى « حكمة الله فى سر ، الحكمة المكتومة التى سبق الله فعينها قبل الدهور لمجدنا ، التى لم يعلمها أحد من عظماء هذا الدهر » (١ كو ٢ : ٧ و ٨) .

هكذا « كبر موسى » سناً وجسما وعقلا ، ولما كبر ، جاءت به أمه إلى ابنة فرعون ؛ فصار لها ابناً ودعت اسمه « موسى » وقالت : « إنى انتشلته من الماء » (راجع الكلام عن هذا الاسم فى الآية السابقة) ، وهكذا تربى موسى « وتهذب بكل حكمة المصريين ، وكان مقتدراً فى الأقوال والأعمال » (أع ٧ : ٢٢) ، هكذا تضاءلت الأوامر الفرعونية وانحنت صاغرة أمام سلطان التدبير الإلهي ، وتربى موسى فى البلاط الفرعوني و« كبر » « ولما كبر » : —

« أبى » :

هذا هو الفعل الثانى ، وقد رأينا الفعل الأول « كبر » لا بإرادة موسى ولا بقوة إنسان ؛ بل بناموس طبيعى تحت رعاية إله السماء والأرض ، وها نحن أمام الفعل الثانى « أبى » وهو فعل ينبع من داخل الإنسان ويمت بصلة قوية إلى إرادته الذاتية فى دائرة

الأدبيات والروحيات . وبمقتضى التعليم الصحيح للوحى المقدس يرجع هذا العمل إلى فعل الإيمان بالروح القدس فى قلب المؤمن الحقيقى الذى إليه يشير الرسول بولس بالقول : « تمموا خلاصكم بخوف ورعدة ؛ لأن الله هو العامل فيكم أن تريدوا وأن تعملوا من أجل المسرة » (فى ٢ : ١٢ و ١٣) . فبفاعلية الإيمان فى قلب موسى تحركت إرادته بقوة فعالة وتمت الإرادة عملياً ، فلما « كبر » « أبى » : —

« أن يدعى ابن ابنة فرعون » :

هذا النص يرجع بنا تاريخياً إلى النص القائل : « لما كبر الولد (موسى) جاءت به (أمه) إلى ابنة فرعون فصار لها ابناً » (خر ٢ : ١٠) ، وهو تعبير يدل على أنها ، إذ انتشلته من الغرق وربته عن طريق أمه ، اتخذته لها ابناً ، متبنية إياه ، وهذا يدل على أنه كان لها ابناً وحيداً كما يستفاد من النص التاريخى . وبهذه النسبة البنوية وعن طريق هذه التربية الملكية « تهذب موسى بكل حكمة المصريين وكان مقتدراً فى الأقوال والأعمال » (أع ٧ : ٢٢) .

ولعل فى هذا التاريخ المقدس ، أيضاً ، ما يشير إلى أنه ، باعتبار صيرورته ابناً لابنة فرعون ، يكون هو الوارث الشرعى للكرسى الفرعونى بعد موت الملك ، وهذا الأمر الواقع يحقق لنا قوة الإيمان وفعله فى قلب موسى وفى صميم إرادته ، ذلك الإيمان المعبر عنه بالقول : « بالإيمان موسى ، لما كبر ، أبى (رفض) أن يدعى ابن ابنة فرعون : —

(ع ٢٥) « مفضلا بالأحرى » :

هذا التعبير يضع أمامنا تفضيلا فى مقارنة بين أمرين ، الأمر الأول ما قيل سابقاً ونصه : « أبى أن يدعى ابن ابنة فرعون » وقد رأينا هذا الإباء رفضاً لميراث أرضى هو عرش أعظم مملكة فى العالم فى ذلك الزمان ، بوصف كونه ابناً « لابنة فرعون » الوارثة لعرش أبيها كابنة وحيدة له ؛ فيؤول الميراث ، بهذا التبنى ، إلى « موسى » كما رأينا . وهذا هو الأمر الذى أباه « موسى » إباء من كل القلب بتصميم إرادة قوية بفعل روح الله « بالإيمان » الحى : —

« مفضلا بالأحــرى » :

فكأنه « بالإيمان » رأى شيئاً أفضل وأسمى وأعظم من عرش مصر ، وبالتالى من كل عروش العالم ، وهذا التفضيل تظهرقوته فى القول « مفضلا » : —

« بالأحــرى » :

كما لو أنه كان يعيش فى بيت فرعون فى تأملات واختبارات ومقايسات .وفى هذه المقايسات كان يقارن شيئاً بشىء وأمراً بأمر ليرى أى الأمرين أو أى الشيئين أولى وأجدر وأخلق بالتفضيل عن الآخر ، وكأنه عمل مقايسة — بين وجوده فى القصر الملكى الفرعونى ، كابن « لأبنة » فرعون ، يتعفف ويتهذب بكل حكمة المصريين ، استعداداً للجلوس على عرش مصر — وبين المذلة التى فيها شعبه وجنسه وبيت أبيه — وهكذا شغل عقله وفكره حتى وصل ، فى النهاية ، إلى اختيار الأمر الأحرى والأولى. « مفضلا بالأحرى » : —

« أن يذل مع شعب الله » :

هذا هو الجانب الذى رآه « أفضل » بعد المقايسات والتحريات والتأملات الكثيرة. « مفضلا . . أن يذل مع شعب الله » فقد كانت المقارنة والمقايسة بين مصر وبين « شعب الله » وبالتالى بين عرش مصر وبين مذلة شعب الله ، وهما أمران كانا واقعين فعلا ، فقد كان هو فى ذلك الوقت ، كما رأينا ، متمتعاً فى بيت فرعون فى القصر الملكى بمحبة ابنة فرعون ، مدللا كابن وحيد ، محروساً بعناية فائقة بعيداً عن كل مذلة وعن كل عبودية قاسية ، مكرماً بشرف ومجد عظيمين ينتظره العرش الملكى — عرش مصر العظيم .

كان هو فى هذا العز والشرف فى الوقت الذى كان فيه شعبه ، فى الذل والعــار والإهانة والعبودية القاسية المرة ، يقاسون أهوالا وشدائد وبلايا ومصائب لا تحصى ولا تقاس ، حسب النص التاريخى القائل : « فاستعبد المصريون بنى إسرائيل بعنف ومرروا حياتهم بعبودية قاسية فى الطين واللبن وفى كل عمل فى الحقل ، كل عملهم الذى عملوه

بواسطتهم عنفاً » (خر ١ : ١٣ و ١٤) ، وكان أطفالهم منبوذين يلقى ذكورهم فى النهر للقضاء على حياتهم ، وهكذا كانوا فى عذاب أليم وضيق وشدة (اقرأ خرص ١) :

هكذا كان موسى فى بيت فرعون فى تأملات عميقة ومقايسات مستمرة بين أمرين ، إما أن يعيش فى عز ورفاهية « ابناً لابنة فرعون » أو أن يخرج وينضم إلى شعبه ويشاركهم فى مرارة عبوديتهم ، وقد قاده ، ولابد ، روح الرب « بالإيمان » فى مواعيد الله إلى الأمر الأفضل المعبر عنه بالقول : « مفضلا بالأحرى أن يذل مع شعب الله » : —

« على أن يكون له تمتع وقتى بالخطية » :

وهنا تظهر المقايسة بين المذلة والتمتع ، أى بين « أن يذل مع شعب الله » وبين «أن يكون له تمتع » فى أحضان ابنة فرعون «مفضلا بالأحرى «أن يذل » مع شعب الله على أن يكون له « تمتع » وقتى بالخطية » معتبراً أن بقاءه « ابناً لابنة فرعون » إنما هو « تمتع وقتى بالخطية » وهذا الأمر يستدعى التأمل الدقيق والعميق لمعرفة هذا السر الغريب فى هذه المقارنة تحت هذا السؤال : —

كيف يعتبر موسى كونه « ابناً لابنة فرعون » تمتعاً وقتياً بالخطية ؟ وأية خطية فى كونه « ابناً لابنة فرعون » ؟ أهى من الخطايا المنهى عنها فى الناموس الأدبى الذى كتبه الرب بإصبعه على لوحى الشهادة وأعطى لموسى ، بعد ذلك على جبل سيناء ؛ شهادة وعهداً للشعب ؟ (قابل خر ٢٠ : ١ — ١٧ مع ٢٤ : ١٢ — ١٨ مع ٣٢ : ١٥ — ١٩ مع ٣٤ : ١ — ٣٥) . ذلك الناموس المكتوب أصلا فى قلوب الناس الذى أشار إليه الرسول بولس بالقول : « الأمم الذين ليس عندهم الناموس ؛ متى فعلوا بالطبيعة ماهو فى الناموس ، فهؤلاء ، إذ ليس لهم الناموس ، هم ناموس لأنفسهم ، الذين يظهرون عمل الناموس مكتوباً فى قلوبهم ، شاهداً ، أيضاً ، ضميرهم ، وأفكارهم ، فيما بينها ، مشتكية أو محتجة فى اليوم الذى فيه يدين الله سرائر الناس ، حسب إنجيلى ، بيسوع المسيح » (رو ٢ : ١٤ — ١٦) .

هل تدخل البنوية لابنة فرعون والجلوس على عرش مصر ، ضمن هذه الخطايا المهلكة والمميتة ؟ وبعبارة أخرى ، هل كان هلاك النفوس بالطوفان فى زمان نوح ؟ أو بالنار والكبريت فى أيام لوط ؟ هل كان سبب ذلك ما وصفهم به السيد فى قوله : «كانوا يأكلون ويشربون ويزوجون ويتزوجون . . . ويشترون ويبيعون ويغرسون ويبنون » ؟ (لو ١٧ : ٢٦ — ٢٩) ، هل فى الأكل والشرب والتزاوج والبيع والشراء والغرس والبناء خطية للهلاك ؟ هذه هى الحياة الدنيا ، إذا امتلكت قلب الإنسان وأصبحت كل هم نفسه وشهوة جسده ، غير ناظر إلى ما هو أفضل » (يو ١٠ : ١٠). تصير حياة قاتلة مهلكة لنفس ذلك الإنسان .

هذه هى خطية الإهمال التى عبر الرسول عنها بالقول : « فكيف ننجو نحن ، إن أهملنا خلاصاً هذا مقداره ، قد ابتدأ الرب بالتكلم به ؛ ثم تثبت لنا من الذين سمعوا (وهم رسل المسيح) شاهداً الله معهم بآيات وعجائب وقوات متنوعة ومواهب الروح القدس حسب إرادته » (راجع شرح ص ٢ : ١ — ٤ اقرأمر ١ : ١٤ و ١٥) .

على هذا القياس ، قاس موسى أمر وجوده فى بيت فرعون وإهماله شعب الله فى مذلتهم وعدم الاشتراك معهم فى هذه المذلة ، قاس ، بهذا القياس ، تبين الأمرين ، وخرج ، من قياسه بإرشاد إلهى وبعمل نعمة الحق السموى « مفضلا بالأحرى أن يذل مع شعب الله على أن يكون له تمتع وقتى بالخطية » : —

(ع٢٦) « حاسباً عار المسيح غنى » :

الكلمة « حاسباً » تمثل « موسى » أمام عيوننا وكأنه جالس يحسب حساب نفسه ، ويزن الأشياء بميزانها الحقيقى ؛ ليصل ؛ بإرشاد روح الرب ، إلى نتيجة حسابه ويختار ما كان رابحاً ، وحينئذ يسير فى طريق الربح المضمون ، هكذا اتبع موسى طريق « الحكمة » التى قيل فيها « أما الحكمة التى من فوق فهى ، أولا ، طاهرة ثم مسالمة ، مترفقة ، مذعنة ، مملوة رحمة وأثماراً صالحة ، عديمة الريب والرياء ، وثمر البر يزرع « فى السلام » من الذين يفعلون السلام » (يع ٣ : ١٧ و ١٨) .

هذه هى « الحكمة » التى ينصح السيد ، له المجد ، بالتسربل بها ، متصلة بالتعقل والتروى فى إجراء الحساب الدقيق للتقدير والتفصيل ، موضحاً إياها فى قوله « ومن منكم ، وهو يريد أن يبنى برجاً ، لا يجلس أولا ويحسب النفقة ؟ . . . وأى ملك ، إن ذهب لمقاتلة ملك آخر فى حرب ؟ لا يجلس أولا ويتشاور ؟ . . . كذلك كل واحد منكم ، لا يترك جميع أمواله ، لا يقدر أن يكون لى تلميذاً » (اقرأ لو ١٤ : ٢٨ — ٣٣).

هكذا عمل « موسى » بهذه « الحكمة النازلة من فوق » حساب النفقة ، وتشاور مع ضميره ؛ أمام الله « بالروح القدس » وخرج بالنتيجة التقديرية — وما أجملها ! وما أسماها ! — « حاسباً » : —

« عار المسيح غنى » :

أما التعبير « عار المسيح » فيقابله ، فى العدد السابق ، كما رأينا ، التعبير : « أن يذل مع شعب الله » ، على اعتبار أن مذلة « شعب الله » إنما هى مذلة لذات السيد « المسيح » وعار له ، على تقدير قوله ، تعالى اسمه « بما أنكم فعلتموه بأحد إخوتى هؤلاء الأصاغر ؛ فبى فعلتم » (مت ٢٥ : ٤٠ اقرأ ع ٣١ — ٤٠) . وذلك ينطبق ، على قياس التمثيل ، فى الخير والشر معاً (اقرأ مت ٢٥ : ٣١ — ٤٦) . وعلى غرار ما قاله لشاول الطرسوسى : « شاول ! شاول ! لماذا تضطهدنى ؟ . . . أنا يسوع الذى أنت تضطهده » (أع ٩ : ٤ و ٥) ، فى الوقت الذى كان فيه شاول « لم يزل ينفث تهدداً وقتلا على تلاميذ الرب » (أع ٩ : ١ اقرأ ع ١ — ٥) ، أو بتعبير شاول الخاص عن نفسه للغلاطيين قائلا : « فإنكم سمعتم بسيرتى ، قبلا ، فى الديانة اليهودية ، أنى كنت أضطهد كنيسة الله بإفراط وأتلفها » (راجع شرح غل ١ : ١٣ للمؤلف) . وفى قوله للفيلبيين : من جهة الغيرة مضطهد الكنيسة » (فى ٣ : ٦ اقرأ أيضاً ١ تى ١ : ١٣) . فالعلاقة بين « مذلة شعب الله » وبين « عار المسيح » مترابطة فى وجهتيها .

أما « عار المسيح » فقد دلت عليه الكلمة النبوية ، بلغة السيد المسيح نفسه ، فى قوله بلسان المرنم : « من أجلك (أيها الآب) ، احتملت العار ، غطى الخجل وجهى ، صرت أجنبياً عند إخوتى وغريباً عند بنى أمى ؛ لأن غيرة بيتك أكلتنى وتعييرات معيريك

وقعت على » (مز ٦٩ : ٧-٩) : « أهلكتني غيرتي ؛ لأن أعدائى نسوا كلامك » . (مز ١١٩ : ١٣٩) .

وقد أثبت الرسول بولس أن هذه الأقوال ، إنما هى أقوال ذات السيد المسيح ، حيث قال : « فليرض كل واحد منا قريبه للخير لأجل البنيان ؛ لأن « المسيح » أيضاً ، لم يرض نفسه ؛ بل ، كما هو مكتوب « تعييرات معيريك وقعت على » (رو ١٥ : ٢ و ٣) . وهكذا أثبت السيد المسيح نفسه ، أيضاً ، صحة نسبة هذه الأقوال النبوية إليه فى عملية تطهير الهيكل ، تلك العملية التى علق عليها البشير ، بالقول : « فتذكر تلاميذه أنه مكتوب غيرة بيتك أكلتنى » (يو ٢ : ١٧ اقرأ ع ١٣ — ١٧ مع مت ٢١ : ١٢ و ١٣) ، فقد جلبت عليه غيرته الشديدة ، على مجد الآب وبيت الآب ، عاراً ؛ حتى إنه « لما سمع أقرباؤه — « أمه وإخوته » (انظر مت ١٣ : ٥٤ — ٥٦ مع مر ٦ : ١ — ٣ مع يو ٢ : ١٢) — خرجوا ليمسكوه ؛ لأنهم قالوا : « إنه مختل » (اقرأ مر ٣ : ٢١ و ٣١ — ٣٥ مع يو ٧ : ١ — ٥) .

فلا عجب ! أن يقول ، أيضاً ، بلغة النبوة : « بذلت ظهرى للضاربين وخدى للناتفين ، وجهى لم أستر عن العار والبصق » (قابل إش ٥٠ : ٦ مع مت ٢٦ : ٦٣ — ٦٨ و ٢٧ : ٢٦ — ٣١ و ٣٩ — ٤٤ مع مز ٢٢ : ٦ — ٨ مع إش ٥٢ : ١٣ و ١٤ و ٥٣ : ١ — ٣) .

فى هذا الصدد يقول الرسول إن « المسيح » فى احتمال العار والتعييرات ، لم يكن ليرضى نفسه بل ليرضى أباه (اقرأ رو ١٥ : ١ — ٣) ، هكذا المؤمنون ، فى احتمال المذلات والمشقات وفى « مجاهدة آلام كثيرة » مع السيد المسيح يجب أن يكونوا ، لا ليرضوا أنفسهم ؛ بل ، ليرضوا الآب السماوى إرضاء تاماً ؛ كما قال الرسول : « فى ما بعد ، لا يجلب أحد على ، أتعاباً ؛ لأنى حامل فى جسدى سمات الرب يسوع » (انظر شرح غل ٦ : ١٧ للمؤلف) ، وبتعبير آخر ، يقول عن الإنجيل الذى كرز به « الذى الآن ! أفرح فى آلامى لأجلكم ، وأكمل نقائص شدائد المسيح ، فى جسمى ، لأجل « جسده » الذى هو الكنيسة » (كو ١ : ٢٤ اقرأ ع ٢١ — ٢٤) .

فإن « المسيح » لا يزال إلى اليوم يتحمل شدائد وضيقات تقع على كنيسته ، تكمل فى المؤمنين به ، الذين قيل عنهم « لأنه قد وهب لكم ، لأجل المسيح — لا أن تؤمنوا به فقط — بل ، أيضاً ، أن تتألموا لأجله » (فى ١ : ٢٩) ، هكذا رأى «موسى» بعد الحساب الدقيق ، كأن مذلة شعب الله هى عار واقع على السيد المسيح من معيريه المصريين الفرعونيين المضطهدين لشعبه ؛ فاتخذ قراره النهائى : « مفضلا بالأحرى ، أن يذل مع شعب الله ، على أن يكون له تمتع وقتى بالخطية ، حاسباً عار المسيح » :—

« غـنى » :

هذا هو الغنى الذى رآه موسى « غنى » فى « عار المسيح » كما رآه السيد المسيح نفسه ؛ فكأنه كان وهو يحسب النفقة ؛ ناظراً بالإيمان إلى « رئيس الإيمان ومكمله « يسوع » الذى ، من أجل السرور الموضوع أمامه ، احتمل الصليب مستهيناً بالخزى ؛ فجلس فى يمين عرش الله » (انظر شرح ص ١٢ : ٢) ، بمقتضى الكلمة النبوية الصادقة الثابتة : « أقسم له بين الأعزاء ، ومع العظماء يقسم غنيمة » (إش ٥٣ : ١٢) . وقد تم هذا الوعد النبوى ؛ إذ أطاع السيد المسيح أباه « حتى الموت موت الصليب ، لذلك « رفعه الله ، أيضاً ، وأعطاه اسماً فوق كل اسم » (فى ٢ : ٩ اقرأ ع ٦ — ١١ مع أف ١ : ٢٠ — ٢٣) .

هكذا عينه الآب « بكراً بين إخوة كثيرين » (رو ٨ : ٢٩) ، « وجعله وارثاً لكل شىء » (راجع شرح ص ١ : ٢ و ٥ اقرأ مز ٢ : ٨) ، ليرث إخوته هـــذا المجد معه (رو ٨ : ٣٠ راجع شرح ص ٢ : ١٠) ، ويتمتعوا معه بهذا الميراث الأبدى (قابل رو ٨ : ١٦ و ١٧ مع شرح غل ٤ : ٦ و ٧ للمؤلف مع ١ بط ١ : ٣ — ٥) . هذا هو « الغنى الذى رآه « موسى » فى الشركة مع المسيح فى عاره والمذلة مع شعبه « حاسباً » إياه « غنى » : —

« أعظم من خزائن مصر » :

أما خزائن مصر التى كانت ماثلة أمام عينى موسى ، وهو يحسب النفقة ، فقـــد كانت هى تلك « الخزائن » التى جعلها الشيطان ، ولابد ، تمر أمام ناظريه ، بصورة

مغرية — ذلك الشيطان الرجيم ليجتذب اقلبه إليها ويستأسر لبه ببهائها وسنائها ، هى تلك « الخزائن » التى كانت ، ولابد ، معدة لموسى إرثاً مجيداً فى الجلوس على عرش مصر والسلطان العظيم المقترن بذلك الجلوس .

منظر يسلب العقول ويبهر النظر ، وكأن ذلك الخداع يوسوس فى قلبه ، قائلا : هل ترضى يا موسى ؟ هل يطاوعك قلبك ؟ ألا تتحسر ، حسرة الندم ، إذا خسرت جميع هذه الكنوز الثمينة وكل هذه « الخزائن » الغنية ، مع ذلك السلطان العظيم الفائق — سلطان عرش مصر الرفيع ؟ .

أما « موسى » وهو منقاد « بروح الله » فلم يغب عن صوابه ، بل احتفظ برشده وقرر رأيه وصمم فى قلبه « مفضلا ، بالأحرى ، أن يذل مع شعب الله ، على أن يكون له تمتع وقتى بالخطية حاسباً عار المسيح « غنى » أعظم من خزائن مصر » : —

« لأنه كان ينظر إلى المجازاة »

لكى نتفهم معنى هذه « المجازاة » التى كان ينظر إليها ، علينا أن نفحص أمرها من ثلاثة جوانب ، وهى : — (١) المجازاة فى حقيقتها : — (٢) المجازاة فى نوعها : — (٣) المجازاة فى مصدرها .

١ — « المجازاة » فى حقيقتها » :

يبين لنا الوحى المقدس أن « المجازاة » هى أمر حقيقى واقعى ، لابد من حدوثه حقيقة يؤكدها تعليم الوحى ذاته ؛ حيث يقول : « لا تضلوا ، الله يشمخ عليه ؛ فإن الذى يزرعه الإنسان إياه يحصد ، أيضاً » (غل ٦ : ٧) . وبتعبير آخر : « إن من يزرع بالشح ؛ فبالشح ، أيضاً ، يحصد . ومن يزع بالبركات ؛ فبالبركات ، أيضاً ، يحصد » (٢ كو ٩ : ٦) .

وقد أثبت التاريخ المقدس هذه الحقيقة الراهنة وهذا الأمر الواقع بهلاك العالم قديماً « بالطوفان » حيث « فاض عليه الماء فهلك » كما أوضح موسى فى الاصحاحات السادس والسابع والثامن من سفر التكوين ، « حين كانت أناة الله تنتظر مرة فى أيام

« نوح » إذ كان الفلك يبنى الذى فيه خلص قليلون أى ثمانى أنفس بالماء » (إقرأ ١ بط ٣ : ١٨ — ٢٢) . فإن الله ، جل جلاله « لم يشفق على العالم القديم ؛ بل إنما حفظ نوحاً ثامناً كارزاً للبر ؛ إذ جلب طوفاناً على عالم الفجار » (اقرأ ٢ بط ٢ : ٥ و ٣ : ٥ و ٦ مع مز ٢٩ : ١٠ مع مت ٢٤ : ٣٧ — ٣٩ مع لو ١٧ : ٢٦ و ٢٧). كما حدث ، أيضاً ، فى أيام لوط « إذ رمد مدينتى سدوم وعمورة ، حكم عليهما بالانقلاب ، واضعاً عبرة للعتيدين أن يفجروا ، وأنقذ لوطاً البار » (٢ بط٢ : ٦ و٧ — اقرأ تك ١٩ مع لو ١٧ : ٢٨ و ٢٩) .

على هذا الأساس الموطد المثبت بالحوادث التاريخية والمبين فى النص الكتابى بالقول : « كما كانت أيام نوح ؛ كذلك يكون ، أيضاً ، مجيء ابن الإنسان » (قابل مت ٢٤ : ٣٧ مع لو ١٧ : ٢٦ و٢٩) . على هذا الأساس نميز ذلك الصوت الرهيب القائل : « ها أنا آتى ، سريعاً ، وأجرتى معى ؛ لأجازى كل واحد كما يكون عمله ، أنا الألف والياء البداية والنهاية الأول والآخر » (رؤ ٢٢ : ١٢ و ١٣) .

فليحذر المستهزئون القائلون : « أين هو موعد مجيئه » (إقرأ ٢ بط ٣ : ٣ — ١٠) وليرهب العبد الشرير الذى يقول : « سيدى يبطىء قدومه » فلابد أن : « يأتى سيد ذلك العبد فى يوم لا ينتظره : وفى ساعة لا يعرفها ، فيقطعه ويجعل نصيبه مع الخائنين » (إقرأ لو ١٢ : ٤١ — ٤٨) . هذه هى « المجازاة » فى حقيقتها .

٢ — « المجازاة » فى نوعها :

تتبين « المجازاة » فى نوعها ، كما سبقت الإشارة ، فى قول الوحى « من يزرع لجسده ؛ فمن الجسد يحصد فساداً ، ومن يزرع للروح ؛ فمن الروح يحصد حياة أبدية » (انظر شرح غل ٦ : ٧ و ٨ للمؤلف) ، إلا أن السيد ، له المجد ، فى تعليمه بين ، بصورة أوضح ، نوع « المجازاة » فى قوله : « متى جاء ابن الإنسان فى مجده وجميع الملائكة القديسين معه ، فحينئذ يجلس على كرسى مجده ، ويجتمع أمامه جميع الشعوب ؛ فيميز بعضهم من بعض ؛ كما يميز الراعى الخراف من الجداء ؛ فيقيم الخراف عن يمينه والجداء عن اليسار ، ثم يقول الملك للذين عن يمينه : « تعالوا يا مباركى أبى ! رثوا

الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم » . . . ثم يقول ، أيضاً ، للذين عن اليسار « اذهبوا عني يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته » (اقرأ مت ٢٥ : ٣١ — ٤٦) .

حيث نرى نوع « المجازاة » في الملكوت المعد للأبرار وفي النار الأبدية المعـدة لإبليس وملائكته . وقد عبر الرسول عن الفرق بين هذين النوعين في تعزية مؤمني تسالونيكي الواقعين تحت الاضطهادات والضيقات ، باعتبار أن تلك الاضطهادات والضيقات « بينة »على قضاء الله العادل ، أنكم تؤهلون لملكوت الله الذي لأجله تتألمون ، أيضاً ، إذ هو عادل عند الله ، أن الذين يضايقونكم يجازيهم ضيقاً وإياكم الذين تتضايقون (يجازيكم) راحة معناً »(اقرأ ٢ تس ١ : ٤ — ١٠) ، معبراً عن ملكوت الله للأبرار « براحة » الأبد ، وعن نار الأشرار بالضيق الذي لا يحد ، هذه هي « المجازاة » في نوعها : —

٣ — « المجازاة » في مصدرها :

أما « المجازاة » في مصدرها فإننا ، في ما رأيناه سابقاً ، عن « المجازاة » في حقيقتها وعن « المجازاة » في نوعها ، نستطيع أن نقرأ بين السطور ، بإيضاح كاف ، عن مصدر تلك « المجازاة » حيث نتبين ، في ما قاله السيد المسيح صريحاً ، في هذا الصدد مصدر تلك المجازاة ، حيث : « كما أن الآب » يقيم الأموات ويحيي ، كذلك « الابن » أيضاً ، يحيي من يشاء ، لأن « الآب » لا يدين أحداً ، بل أعطى كل الدينونة « للابن » لكي يكرم الجميع « الابن » كما يكرمون « الآب » . : الذي أرسله . . . وأعطاه سلطاناً أن يدين ، أيضاً ، لأنه ابن الإنسان . لا تتعجبوا من هذا ، فإنه تأتي ساعة فيها يسمع جميع الذين في القبور صوته ، فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة ، والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة » (اقرأ يو ٥ : ٢١ — ٢٩) .

وكما أن الآب أعطى سلطاناً لابن الإنسان أن يدين ، هكذا ، أيضاً ، أعطاه «سلطاناً على كل جسد ليعطي حياة أبدية »لكل من أعطاهم الآب له (إقرأ يو ١٧ : ٢ راجع شرح ص ٤ : ١٢ و ١٣) .

هذا السلطان الذى أعطى للابن سلطان جامع مانع يمنع كل من سواه منعاً باتاً عن التدخل فى أمر الدينونة كما قال ، جل جلاله ، فى خطاب العرش : «لا تدينوا لكى لا تدانوا ، لأنكم بالدينونة التى بها تدينون تدانون» (مت ٧ : ١ و ٢ اقرأ ع ١ — ٥).

وفى هذا الصدد يقول الرسول بولس : «من أنت الذى تدين عبد غيرك ؟ هو «لمولاه» يثبت أو يسقط ، ولكنه سيثبت ، لأن الله قادر أن يثبته» (قابل رو ١٤ : ٤ مع يع ٤ : ١١ و ١٢) ، كما سبق فقال لليهود : «لذلك أنت بلا عذر أيها الإنسان — كل من يدين — لأنك ، فى ما تدين غيرك ، تحكم على نفسك ، لأنك أنت الذى تدين تفعل تلك الأمور بعينها ، ونحن نعلم أن دينونة الله هى حسب الحق على الذين يفعلون مثل هذه ، أفتظن هذا ؟ أيها الإنسان الذى تدين الذين يفعلون مثل هذه وأنت تفعلها ؟ أنك تنجو من دينونة الله» ؟ (رو ٢ : ١ — ٣ اقرأ ع ١ — ١١) . فليحذر من يتعرض لإدانة غيره ، لئلا يقع فى خطية التعدى على الديان الوحيد سالباً حقه الذى له دون سواه فى الوجود ، وهل «يسلب الإنسان الله» وينجو ؟ فالمجازاة حق من حقوق الله الذى كان «موسى» إليه : —

«**ينظــر**» :

باعتبار أنها (المجازاة) حقيقة راهنة لابد منها ، وباعتبار أن مصدرها هو المسيح نفسه ، أما بالنسبة لنوعها فهى ذلك «الغنى» الذى نظر إليه «حاسباً عار المسيح «غنى» أعظم من خزائن مصر» (راجع شرح ع ٢٦ انظر شرح ص ١٣ : ١٣) ، إلى هنا ينتهى بنا الكلام عن «موسى» — أولا : — يتهذب فى مصر ، وسنتقدم الآن بإرشاد روح الرب إلى : —

(ثانياً) «موسى» يقود إسرائيل من مصر (عب ١١ : ٢٧ — ٢٩)

٢٧ بِٱلْإِيمَانِ تَرَكَ مِصْرَ غَيْرَ خَائِفٍ مِنْ غَضَبِ ٱلْمَلِكِ لِأَنَّهُ
تَشَدَّدَ كَأَنَّهُ يَرَى مَنْ لَا يُرَى . ٢٨ بِٱلْإِيمَانِ صَنَعَ ٱلْفِصْحَ وَرَشَّ

ٱلْدمَ لِئَلاَّ يَمَسَّهُمُ ٱلَّذِى أَهْلَكَ ٱلْأَبْكَارَ . ٢٩ بِٱلْإِيمَانِ ٱجْتَازُوا فِى ٱلْبَحْرِ ٱلْأَحْمَرِ كَمَا فِى ٱلْيَابِسَةِ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى لَمَّا شَرَعَ فِيهِ ٱلْمِصْرِيُّونَ غَرِقُوا .

فى الآيات السابقة (٢٣ — ٢٦) رأينا « موسى » — طفلا رضيعاً — يصل إلى بيت فرعون بعناية إلهية فائقة ، بقصد سماوى سام ، وهناك تربى « فتهذب بكل حكمة المصريين » (أع ٧ : ٢٠ — ٢٢) ، وذلك عن طريق ابنة فرعون وتحت عنايتها ؛ كوارث وحيد لعرش مصر العظيم ، ولكنه « أبى » هذا الوضع « وفضل بالأحرى أن يذل مع شعب الله ، حاسباً عار المسيح غنى أعظم من خزائن مصر ، لأنه كان ينظر إلى المجازاة » (راجع شرح ع ٢٦) ، وها نحن الآن نتقدم إلى أمر قيادته لشعبه من مصر ؛ حيث أنه : —

(ع ٢٧) « بالإيمان ترك مصر » :

ترك « موسى » مصر مرتين ، أما المرة الأولى فقد كانت عندما بلغ سن الأربعين حيث تركها هارباً « خائفاً من غضب الملك » .

هذا الترك يحدثنا عنه الشهيد المسيحى الأول — « استفانوس » حيث يقول : « ولما كملت له (لموسى) مدة أربعين سنة ، خطر على باله أن يفتقد إخوته « بنى إسرائيل » . وإذ رأى واحداً مظلوماً ، حامى عنه وأنصف المغلوب ؛ إذ قتل المصرى .. وفى اليوم الثانى ظهر لهم (لإخوته) وهم يتخاصمون فساقهم إلى السلامة . . . فالذى كان يظلم قريبه دفعه ، قائلا : « من أقامك رئيساً وقاضياً علينا ؟ أتريد أن تقتلنى كما قتلت ، أمس المصرى » ؟ فهرب موسى بسبب هذه الكلمة » (اقرأ أع ٧ : ٢٢ — ٢٩ مع خر ٢ : ١١ — ١٥) .

هذا الترك المشار إليه ؛ باعتبار أنه هروب خوفاً من غضب الملك ، لا يمكن أن يكون هو الترك المقصود من نص الآية التى أمامنا ؛ حيث يقال : « بالإيمان ترك مصر » .

« غير خائف من غضب الملك » :

هنا تتجلى أمامنا فاعلية « الإيمان » فى « موسى » ذلك الإيمان الذى نزع من قلبه ، بقوة المحبة الفعالة ، كل خوف ؛ لأنه «لا خوف فى المحبة ؛ بل المحبة الكاملة تطرح الخوف إلى خارج ؛ لأن الخوف له عذاب ، وأما من خاف فلم يتكمل فى المحبة » (ايو ٤ : ١٨) . هكذا امتلأ قلب موسى « بالإيمان العامل بالمحبة » (انظر شرح غل ٥ : ٦ للمؤلف) .

هذا يوقفنا أمام « موسى » الذى « بالإيمان ترك مصر غير خائف من غضب الملك » . وهذه هى المرة الثانية التى فيها ترك بالإيمان ، مصر ؛ كما يحدثنا ، أيضاً ، الشهيد المسيحى الأول « استفانوس » حيث يقول : « ولما كملت (لموسى) أربعون سنة (أخرى فى أرض مديان أى لما كان له من العمر ثمانون سنة) ، ظهر له « ملاك الرب » فى برية جبل سيناء ، فى لهيب نار عليقة ؛ فلما رأى موسى ذلك ، تعجب من المنظر ، وفيما هو يتقدم ليتطلع ؛ صار إليه صوت الرب « أنا إله آبائك إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب » فارتعد موسى ولم يجسر أن يتطلع ؛ فقال له الرب «اخلع نعل رجليك» لأن الموضع الذى أنت واقف عليه أرض مقدسة ، إنى لقد رأيت مشقة شعبى الذين فى مصر وسمعت أنينهم ونزلت لأنقذهم ؛ فهلم الآن أرسلك إلى مصر » (إقرأ أع ٧ : ٣٠ — ٣٤ مع خر ٣ : ١ — ١٥) .

هكذا عاد موسى إلى مصر فى سن الثمانين بعد أن خرج منها هارباً فى خوف ورعب ، بعد ما مات الملك الذى كان يريد أن يقتله وملك ملك آخر ، وتنهد بنو إسرائيل من العبودية وصرخوا ؛ فصعد صراخهم إلى الله من أجل العبودية وأرسل موسى لإخراجهم (خر ٢ : ٢٣) . بمقتضى هذا التاريخ ، يكون القول عن موسى :—

« بالإيمان ترك مصر ، غير خائف من غضب الملك » :

لا هروباً من وجه الملك الذى طلب أن يقتله ؛ كما حدث فى المرة الأولى (اقرأ خر ٢ — ١١ : ١٥) ، بل يوم خروجه تاركاً مصر على رأس شعبه ، قائداً وراعياً

لهم . وقد كان حينئذ فى سن الثمانين بعد ما ربى ، مدة الأربعين سنة الثانية فى رعاية الغنم ؛ استعداداً لرعاية إسرائيل . لذلك ، فى هذا الشأن ، يقال « بالإيمان ترك مصر » .

« غير خائف من غضب الملك » :

وإذا تتبعنا التاريخ المقدس ، فى واقعة الحال هذه ، نستطيع أن نرى العلاقة بين القول : « ترك مصر » وبين القول : « غضب الملك » . فإن العلاقة بينهما تتبين فى الرسالة التى سلمت لموسى ، من الله ، لإخراج إسرائيل من أرض مصر . فكان موقف « موسى » بمقتضى هذه الرسالة ، موقفاً حاسماً جدياً لترك مصر على رأس شعب إسرائيل ، تركاً نهائياً ، قلباً وقالباً ، إتماماً للمأمورية الإلهية التى انتدب لأجلها ؛ لإخراج إسرائيل من بيت العبودية ، فإن هذه الرسالة وذلك السعى يؤديان ، ولا بد ، إلى تهيج حالة الغضب فى قلب فرعون واشتعال نار الغيظ فى أحشائه .

أما الرسالة التى سلمت لموسى فإنها تحمل ، فى نصها ومعانيها ، ما يؤدى إلى توتر العلاقات بين الفرعون وبين (موسى) وبالتالى تحفز الفرعون إلى اتخاذ موقف غضب وتعنت ضد (إسرائيل) أما نص هذه الرسالة فهو : — « تقول لفرعون « هكذا يقول الرب ، إسرائيل ابنى البكر » فقلت لك « أطلق ابنى ليعبدنى فأبيت أن تطلقه ، ها أنا أقتل ابنك البكر » (خر ٤ : ٢٢ و ٢٣) . وما أخطرها رسالة ! محتومة ومختومة بتهديد عقابى مرهب ، متضمناً فى قول الرب لموسى — عن الفرعون — « ولكنى أشدد قلبه (قلب فرعون) حتى لا يطلق الشعب » (خر ٤ : ٢٣ إقرأ ع ٢١ — ٢٣) .

رسالة إلهية ، بيد موسى إلى الفرعون ، تولد حقداً فى قلب فرعون على « موسى » وتهيج غضبه ضده — رسالة مصحوبة بتأييد إلهى لموسى ليتشدد قلبه بقوة روحية سموية ؛ فلا يخشى غضباً ولا يبالى بحقد ؛ حتى يتمم قصد الإله القدير لإخراج إسرائيل من مصر ، رسالة تسببت فى إيجاد توتر لابد منه فى العلاقة بين موسى والفرعون ؛ وقد اشتد هذا التوتر وازداد ، وكانت نتيجته تثبت تصميم ، فى قلب موسى ، لا يتأثر البتة ولا يلين . وكانت كل ضربة من الضربات العشر ، التى ضرب بها فرعون من الله بيد موسى ، من أقوى العوامل على تشديد قلب موسى وتعزيز تصميمه ، على

إتمام قصد الله « وترك مصر) على رأس شعبه قائداً (لهم) غير خائف من غضب الملك » : —

« لأنه تشدد » :

أما سر هذا التشدد فيعزى إلى القوة التى امتلأ بها « موسى » عن طريق اتصاله الدائم بإلهه القوى « القدير » كل مدة قيامه بالرسالة التى كلف بها ؛ فلم يفشل ولم يلين إزاء التجبر الفرعونى وبالرغم من عناد الملك وقساوة قلبه ، وبخاصة وقد سبق الله فأعلن له أن يتوقع ذلك العناد وتلك القساوة ، معلناً له هذا الأمر بقوله : « عندما تذهب لترجع إلى مصر انظر جميع العجائب ، التى جعلتها فى يدك ، واصنعها قدام فرعون ، ولكنى أشدد قلبه ؛ حتى لا يطلق الشعب » (خر ٤ : ٢١) .

وقد اتخذ هذا الإعلان صورة أوضح ، فى قول الرب ، أيضاً « لموسى » ، « بكر فى الصباح وقف أمام فرعون وقل له : « هكذا يقول الرب ، إله العبرانيين « أطلق شعبى ليعبدونى ؛ لأنى ، هذه المرة ، أرسل جميع ضرباتى إلى قلبك وعلى عبيدك وشعبك لكى تعرف « أن ليس مثلى فى كل الأرض » فإنه ، الآن ، لو كنت أمد يدى وأضربك وشعبك بالوباء ، لكنت تباد من الأرض ، ولكن ، لأجل هذا أقمتك ؛ لكى يخبر باسمى فى كل الأرض ، أنت معاند ، بعد ، لشعبى ، حتى لا تطلقه » (خر ٩ : ١٣ — ١٧) .

وقد اتخذ رسول الأمم « بولس » هذا المكتوب النبوى الذى قاله الله لفرعون « إنى ، لهذا بعينه أقمتك ؛ لكى أظهر فيك قوتى ، ولكى ينادى باسمى فى كل الأرض » (رو ٩ : ١٧) معلقاً عليه بالقول : « فإذا هو يرحم من يشاء ويقسى من يشاء » (رو ٩ : ١٨ اقرأ ع ١٤ — ١٨ مع خر ٣٣ : ١٩ اقرأ ع ١٢ — ١٩) . بهذه الاعلانات الواضحة وبقوة هذه الاتصالات الإلهية المتواصلة ، يقال بحق : « بالإيمان ترك « موسى » مصر ، غير خائف من غضب الملك ؛ لأنه تشدد » : —

« كأنه يرى من لا يرى » :

لم يكن فرعون فى عناده وقساوة قلبه ، يرى الرب الذى أرسل «موسى» إليه ليقول له : « أطلق شعبي ليعبدونى فى البرية » فقال فرعون : « من هو الرب ؛ حتى أسمع لقوله ؛ فأطلق إسرائيل ؟ لا أعرف الرب ، وإسرائيل لا أطلقه » (خر ٥ : ١ و ٢) ، فقد أعمى الشيطان قلب فرعون فلم ير الرب ؛ فازداد قلبه قساوة واشتد غضبه جـداً ، وزاد النير على بنى إسرائيل وأثقله لدرجة فوق الطاقة ؛ فأصبحوا ، والحالة هذه ، تحت نير عبودية — ما أثقلها ! وما أمرها ! — رازحين تحت عار مذلة لا تحتمل وإهانة لا يتصورها عقل .

أما « موسى » فكان « يرى من لا يرى » وهو ذلك الإله « العلى المرتفع ، ساكن الأبد ، القدوس اسمه » — هو ذلك الإله الذى صرح ، قائلا : « فى الموضع المرتفع المقدس أسكن ، ومع المنسحق والمتواضع الروح ؛ لأحيي روح المتواضعين ولأحيي قلب المنسحقين » (إش ٥٧ : ١٥) ، هو « المبارك العزيز الوحيد ، ملك الملوك ورب الأرباب ، الذى وحده له عدم الموت ، ساكناً فى نور لا يدنى منه ، الذى لم يره أحد من الناس ولا يقدر أن يراه ، الذى له الكرامة والقدرة الأبدية . آمين » (١ تى ٦ : ١٥ و ١٦) .

أما « موسى » فقد رأى الرب بعين « الإيمان » وهو فى مصر ، إلى أن رآه فوق جبل سيناء ؛ حيث كان معه مدة « أربعين نهاراً وأربعين ليلة » حتى لمع وجهـه بمجد وبهاء ، وفيه تم قول الرب عنه : « فماً إلى فم وعياناً أتكلم معه ، لا بالألغاز وشبه الرب يعاين » (عد ١٢ : ٨ اقرأ ع ١ — ٨ مع خر ٢٤ : ٩ — ١٨ و ٣٤ : ٢٧ — ٣٥ قابل ٢ كو ٣ : ١٢ — ١٨) .

بهذه الرؤية تشدد موسى ، لا فى نفسه فحسب ؛ بل تشدد ، أيضاً ، فى الكلام مع الفرعون الجبار الذى هدده بالموت ، قائلا : « اذهب عنى ، احترز ، لا تر وجهى أيضاً ، إنك ، يوم ترى وجهى ، تموت » فقال موسى « نعماً » قلت : « أنا لا أعود أرى وجهك ، أيضاً » (خر ١٠ : ٢٨ و ٢٩) .

هكذا أمن موسى ، على تهديد الفرعون الجبار ، بتهديد أقوى شدة وقسوة ، غير خائف من غضبه ؛ لأنه كان يرى . بجانبه « من لا يرى » — « الرب » الذى لم يكن الفرعون يراه ، مؤكداً أن الفرعون ، مهما اشتد غضبه ، ليس فى حوزة يده أن يقدم على عمل شىء ما ، فكأنه يردد فى نفسه ذلك القول المجيد المأثور « الرب لى فلا أخاف ماذا يصنع بى الإنسان » ؟ الرب لى بين معينى ، وأنا سأرى بأعدائى . الاحتماء بالرب خير من التوكل على إنسان ، الاحتماء بالرب خير من التوكل على الرؤساء » (قابل مز ١١٨ : ٦ — ٩ مع رو ٨ : ٣١) .

ألا نرى فى قول موسى لفرعون ؟ « لا أعود أرى وجهك ، أيضاً — ألا نرى فى قوله هذا ؟ تصميماً قلبياً على ترك مصر تركاً نهائياً ، ثقة بقصد الرب الذى أرسله لإخراج إسرائيل من مصر ؟ بهذا المعنى وبهذه الطريقة يصدق القول عن موسى « بالإيمان ترك مصر ، غير خائف من غضب الملك ؛ لأنه تشدد كأنه يرى من لا يرى » — ترك نهائى مأثور يؤكده الرسول فى هذه الرسالة بأمرين واقعيين . الأول تمهيدى فى قوله : —

(ع ٢٨) « بالإيمان صنع الفصح » :

لا يزال الكلام ، هنا ، عن « موسى » حيث بدأ الكلام عنه بالقول : « بالإيمان « موسى » لما كبر ، أبى أن يدعى ابن ابنة فرعون » (ع ٢٤) ، وهو « موسى » ذاته الذى قيل عنه ، أيضاً : « بالإيمان ترك مصر » (ع ٢٧) ، فعلى هذا القياس يمكن أن يقال : « بالإيمان (موسى) صنع الفصح » (ع ٢٨) :

على أن التاريخ المقدس يؤكد ، لنا ، أن الأمر « بصنع الفصح » قد صدر من الرب الإله ، لا إلى « موسى » وحده فحسب ؛ بل إلى هرون أخيه ، أيضاً ، معه ، وذلك يتضح ، جلياً ، من النص القائل « وكلم الرب « موسى وهرون » . . . قائلا » (خر ١٢ : ١ اقرأ كل الاصحاح) .

أما الرسول فإنه ، فى هذه الآية التى أمامنا (ع ٢٨) ينسب « صنع الفصح » إلى « موسى » وحده ، وذلك التزاماً بحديثه الخاص عن « موسى » الذى « بالإيمان . . .

بعد ما ولد أخفاه أبواه ثلاثة أشهر . . . ولما كبر ، أبى أن يدعى ابن ابنة فرعون » ، وهو (موسى) الذى « بالإيمان ترك مصر غير خائف من غضب الملك » (راجع شرح ع ٢٣ — ٢٧) ، هذا هو « موسى » الذى « بالإيمان » : —

« صنع الفصح » :

قد يبدو غريباً أن الرسول يقرر عن « موسى » أنه «صنع الفصح» بعد ما سبق فقرر أنه « ترك مصر » (ع ٢٧) ، وهو تقرير قد يبدو غريباً ، وبخاصة إذا تحققنا أن « موسى » قد «صنع الفصح » ، «فى أرض مصر » بمقتضى النص الصريح فى الكلام عن الفصح ، حيث يبدأ بالقول « وكلم الرب موسى وهرون فى « أرض مصر » قائلا » (خر ١٢ : ١) .

على أن أمر هذه الغرابة يضمحل ، ولابد ، إذا أدركنا — ما سبق الحديث عنه — أن موسى « ترك مصر » بوصف كونه القائد الأعلى الذى أقامه الله ، فى ملكوته ، لإخراج إسرائيل « من مصر» ، وأن هذا الإخراج قد بدأ من اليوم الذى فيه خرج « موسى » من لدن الفرعون ، معلناً قطع كل صلة له به ، قطعاً نهائياً ، قائلا : « نعما قلت ، أنا لا أعود أرى وجهك ، أيضاً » — قال هذا القول تعليقاً على تهديد الفرعون له ، بقوله : « أذهب عنى ، احترز ، لا تر وجهى ، أيضاً ، إنك ، يوم ترى وجهى ، تموت » (اقرأ خر ١٠ : ٢٨ و٢٩ راجع شرح ع ٢٧) ، هكذا بدأ موسى ترك مصر بقطع كل اتصال له بفرعون ممهداً لهذا الترك بأن « صنع » : —

« الفصـــح » :

أما « الفصح » فقد ورد أول لفظ له فى قول الرب ، فى وصيته « لموسى وهرون » التى ختمها بقوله ، تعالى ، لهما : « هو فصح للرب » (خر ١٢ : ١١) . لأنى ، فى هذا اليوم عينه ، أخرجت أجنادكم من « أرض مصر » فتحفظون هذا اليوم ، فى أجيالكم ، فريضة أبدية » (خر ١٢ : ١٧) ، فإنه ، بمقتضى هذه الوصية الإلهية ، أصبح « الفصح » فريضة مقدسة ، موسماً سنوياً بين « مواسم الرب » — عيداً من الثلاثة الأعياد الرئيسية التى يعيدها الشعب للرب ، وذلك بمقتضى شريعة كل عيد منها .

أما هذه الأعياد الثلاثة فهى : — (١) « الفصح » — « الفطير » — فى اليوم الرابع عشر من الشهر الأول للسنة العبرية وهو « شهر أبيب » — نيسان — (قابل خر ١٢ : ١ — ١١ و ٣٤ : ١٨ — ٢١ مع لا ٢٣ : ٤ — ١٤ مع ١ كو ٥ : ٦ — ٨) :

(٢) « يوم الخمسين » — « الحصاد » — سبعة أسابيع من « غد سبت الفصح » ، ولذلك يدعى « عيد الأسابيع » (قابل خر ٣٤ : ٢٢ مع لا ٢٣ : ١٥ — ٢١ مع عد ٢٨ : ٢٦ — ٣١ مع تث ١٦ : ٩ — ١٢ مع أع ٢ : ١ — ٤ مع رو ١١ : ١٦) .

(٣) « عيد الجمع » — « المظال » — فى آخر السنة فى اليوم الخامس عشر من الشهر السابع (قابل خر ٣٤ : ٢٢ مع لا ٢٣ : ٣٤ — ٣٦ مع تث ١٦ : ١٣ — ١٥ اقرأ لو ٢٢ : ١٥ — ١٨ مع يو ٧ : ٢ و ٣٧ — ٣٩) . لذلك يقول الرب : « ثلاث مرات فى السنة يظهر جميع ذكورك أمام السيد الرب إله إسرائيل » (قابل خر ٣٤ : ٢٣ و ٢٣ : ١٤ — ١٧ مع تث ١٦ : ١٦) .

أما العيد الذى هو موضوع دراستنا الآن ، فهو العيد الأول من هذه الأعياد الثلاثة ، وهو أشهرها وأرفعها شأناً وذلك بالنسبة إلى موضوع دراستنا التى نتولاها الآن ، وهذا العيد هو « عيد » : —

« الفصح » :

« الفصح » فى لفظه عبرياً « بسح » أو « فسح » وإذا أطلعنا ، على هذا اللفظ العبرى ، فى اللغة الشقيقة — اللغة العربية — لأدركنا ، بطريقة ما ، حقيقة هذا « الفصح » قصداً ومعنى . فإن الكلمة فسح (فى العربية) تعنى وسع ؛ فيقال « فسح فلان » أى « باعد خطوه » ، ولعل معنى هذا الكلام يتبين ، بوضوح أكثر فى قول إعرابى لخراز إذا خرزت فافسح الخطا لئلا ينخرم الخرز » ، هكذا يقال خطا الرجل يخطو خطواً أى فتح ما بين قدميه للمشى .

بهذا المعنى يرسم « الفصح » أمام عيوننا ، صورة تعبر عن تحركات « الرب » فى أرض مصر ، مبينة فى التاريخ المقدس ؛ حيث يقول : « فإن الرب يجتاز ليضرب المصريين ، فحين يرى الدم ، على العتبة العليا والقائمتين ، يعبر الرب عن الباب ،

ولا يدع المهلك يدخل بيوتكم ليضرب » (خر ١٢ : ٢٣) ، فإننا ، بمقتضى هـذا التعبير ، نتبين أن معنى « الفصح » متضمن فى القول : « يعبر عن » كما سبق فوعد ، قائلا : « أرى الدم وأعبر عنكم » (خر ١٢ : ١٣) .

وهل نكتشف فى قول الرب : «أرى الدم وأعبر عنكم » ؟ هل نكتشف حركة تعريج تنطق بما يحويه لفظ « الفصح » من معنى ؟ إنها حركة الملاك « المهلك » فى ليلة ضرب الأبكار فى أرض مصر — حركة تظهر فى الكلمة العربية « عرج » ، حيث يقال «عرج على الشيء ،بمعنى أقام عليه » ، و « عرج عن الشيء » بمعنى « عدل عنه وتركه » . فقد كانت حركة الملاك « المهلك » «تعريجاً على » بيوت المصريين ليهلك أبكارهم ؛ كما كانت تعريجاً عن بيوت الإسرائيليين ليعبر عنها ويعفو فلا يضرب أبكارهم .

حركة تعطينا بياناً جلياً عن ما فى لفظ « الفصح » من معنى ؛ كما يتبين فى قول الرب عنه لبنى إسرائيل « ويكون حين يقول لكم أولادكم « ما هذه الخدمة لكم » ؟ أنكم تقولون «هى ذبيحة «فصح » للرب الذى « عبر عن » بيوت بنى إسرائيل فى مصر ؛ لما ضرب المصريين وخلص بيوتنا » (خر ١٢ :٢٦) . هذا هو « الفصح » فى صيغة لفظه وفى معنى موضوعه .

أما « الفصح » فى وصفه الرمزى فهو « ذبيحة » أمر بها الرب « موسى وهرون » قائلا : « كلما كل جماعة إسرائيل » قائلين : « فى العاشر من هذا الشهر (نيسان —أبيب) يأخذون لهم — كل واحد . . . شاة صحيحة — ذكراً ابن سنة . . . ويكون عندكم — تحت الحفظ — إلى اليوم الرابع عشر من هذا الشهر ، ثم يذبحه كل جماعة إسرائيل فى العشية . . . هو فصح للرب » (اقرأ خر ١٢ : ١ — ١١ مع لا ٢٣ : ٤ — ١٤) .

ألا تذكرنا هذه « الشاة » بالكلمة النبوية القائلة « كشاة تساق إلى الذبح وكنعجة صامتة أمام جازيها ، فلم يفتح فاه ، من الضغطة ومن الدينونة أخذ ، وفى جيله من كان يظن أنه قطع من أرض الأحياء ، أنه ضرب ، من أجل ذنب شعبى ، وجعل مع الأشرار قبره ومع غنى عند موته ، على أنه لم يعمل ظلماً ولم يكن فى فمه غش » (إش ٥٣ : ٧ — ٩ اقرأ ص ٥٢ : ١٣ — ٥٣ : ١٢) .

من هو هذا « الشاة » ؟ الذى « لم يفتح فاه » ؟ إنه هو ذلك الشخص العجيب — يسوع المسيح البار — الذى أسلم نفسه ليد القابضين عليه ؛ فأمسكوه وحكموا عليه ظلما وبصقوا فى وجهه ولكموه وألبسوه رداء قرمزياً وكللوا رأسه بالشوك ، مستهزئين به : وجلدوه وعلقوه على الصليب بين لصين ؛ ليكون قبره معهما » (مع الأشرار) .

هذا هو « ذبيحة الفصح » الذى قال عنه الرسول بولس ، فى هذه المناسبة : « لأن فصحنا ، أيضاً — « المسيح » — قد ذبح لأجلنا » ، بانياً ، على هذا الأساس ، تلك الوصية المباركة القائلة : « إذاً لنعيد ، ليس بخميرة عتيقة ولا بخميرة الشر والخبث ؛ بل بفطير الإخلاص والحق » (اقرأ ١ كو ٥ : ٧ و ٨) .

على ذات الأساس ، يبنى الرسول بطرس وصيته من ذات النوع ، قائلا : «الذى (المسيح) حمل هو نفسه خطايانا فى جسده على الخشبة ؛ لكى نموت عن الخطايا فنحيا للبر ، الذى بجلدته (« بحبره »إش ٥٣ : ٥) «شفيتم» (١ بط ٢ : ٢٤ اقرأ ع ٢١—٢٥ مع إش ٥٣ : ٤ — ٦) .

وهل ندرى أن السيد « المسيح » — ذبيحة « فصحنا » — قد أعد ، للذبح تحت الحفظ ، من اليوم العاشر إلى الرابع عشر من الشهر ؛ بمقتضى الوصية الإلهية (خر ١٢ : ٣ — ٦) ؟ نعم ! لقد تم هذا الإعداد للحفظ عملياً ، وذلك فى اليوم الذى كان فيه متكئاً فى بيت عنيا ؛ حيث كان لعازر الميت ، الذى أقامه من الأموات ، واحداً من المتكئين معه ؛ حين أخذت مريم—أخت لعازر— قارورة الطيب الناردين وسكبته على رأسه وعلى قدميه ومسحت قدميه بشعر رأسها ؛ فامتلأ البيت من رائحة الطيب .

وهل كان ، فى هذا العمل المبرور (دهن مريم للمسيح) ، إعلان من السماء على إعداد هذا الذبيح الإلهى ؛ ليكون « تحت الحفظ » فى ذات اليوم ؟ على هذا السؤال يجيب السيد المسيح نفسه بما لم تفكر فيه « مريم » وهى تقوم بعملها المبارك ، بل ، بما لم يخطر على بال بشر ؛ حيث قال للمتذمرين والمتآمرين عليها : « اتركوها ! إنها ، ليوم تكفينى ، قد حفظته » أو كما قال لها ، بفم كاتب آخر « لماذا تزعجون المرأة ؟ فإنها قد عملت بى عملا حسناً . . . فإنها ، إذ سكبت هذا الطيب على جسدى ؛ إنما

فعلت ذلك لأجل تكفيني » — « عملت ما عندها ، قد سبقت ودهنت بالطيب جسدى للتكفين » (اقرأ يو ١٢ : ١ — ٨ مع مت ٢٦ : ١٣ مع مر ١٤ : ٣ — ٩) .

فقد كانت إقامته لعازر من الأموات بدء تفكير جدى عند رؤساء اليهود لقتله ؛ حتى أنهم « أرادوا قتل لعازر ، أيضاً » — « لأن كثيرين من اليهود كانوا بسببه يذهبون ويؤمنون بيسوع » (اقرأ يو ١١ : ٤٥ — ٥٧ و ١٢ : ٩ — ١١) ، هكذا أعد السيد المسيح ذبيحة فصح تحت الحفظ إلى يوم صلبه .

كانت تلك الساعة الرهيبة هى التى أشار إليها السيد المسيح ، بقوله : « الآن دينونة هذا العالم ، الآن يطرح رئيس هذا العالم خارجاً وأنا إن إرتفعت ، عن الأرض أجذب إلى الجميع » (يو ١٢ : ٣١ و ٣٢) . كانت هى الساعة التى فيها أعطى إبليس « رئيس هذا العالم » أن يتمم الأمر الإلهى — بعد أن تم إعداد « خروف الفصح » تحت الحفظ — فإنه ، فى تلك الساعة ، قد أعد ذلك الشيطان الرجيم يهوذا الأسخريوطى لتسليم « خروف الفصح » (المسيح) فى يوم الذبح (انظر يو ١٢ : ٤ — ٦ مع مت ٢٦ : ٨ و ٩ و ١٤ — ١٦ مع مر ١٤ : ٤ و ٥ و ١٠ و ١١) .

فلا عجب ! فى رهبة تلك المناسبة ، أن يقول ذلك الذبيح المعد « لليونانيين » رداً على سؤالهم « نريد أن نرى يسوع » حيث قال : « الحق الحق أقول لكم « إن لم تقع حبة الحنطة فى الأرض وتمت فهى تبقى وحدها ، ولكن ، إن ماتت ، تأتى بثمر كثير » (اقرأ يو ١٢ : ٢٠ — ٢٤) ، مشيراً بذلك إلى يوم الذبح الذى أعد له .

وهل يعتبر أمراً غريباً ؟ أنه ، له المجد ، وهو يرى شبح ذبحه ماثلا أمام عينيه — هل يعتبر أمراً غريباً ، والحالة هكذا ؟ أن يقول : « الآن نفسى قد اضطربت » . وهو يقول : « أيها الآب ! نجنى من هذه الساعة »؟ لذلك يقول : «أيها الآب ! مجد اسمك » فجاء صوت من السماء مجدت وأمجد ، أيضاً » (اقرأ يو ١٢ : ٢٧ و ٢٨) .

فقد كان يوم ذبحه ، ماثلا أمام عينيه ، بصورة بارزة ، منذ يوم إعداده . على أنه كان يرى فى يوم ذبحه ، تمجيداً لذاته به يتمجد الآب ، وهذا واضح كل الوضوح فى قوله ليهوذا ، الذى ملأ الشيطان قلبه ليسلمه إلى أيدى أعدائه ؛ حيث ، بعد ما

أعطاه اللقمة ، قال له : « ما أنت تعمله فاعمله بأكثر سرعة » ، فلما خرج ، قال يسوع : « الآن ! تمجد ابن الإنسان ، وتمجد الله فيه . إن كان الله قد تمجد فيه ؛ فإن الله سيمجده فى ذاته ويمجده سريعاً » (اقرأ يو ١٣ : ٢١ — ٣٢) . فلم يكن يوم إعداده للذبح إلا يوماً لإعداده للمجد .

لعل الرسول بولس ، فى هذا الصدد ، يحذر الكورنثيين من « خميرة الشر » ويوصى بقوة ، قائلا : « إذاً نقوا منكم الخميرة العتيقة ؛ لكى تكونوا عجيناً جديداً ، كما أنتم فطير ؛ لأن فصحنا ، أيضاً ، المسيح قد ذبح لأجلنا . إذاً ، لنعيد ، ليس بخميرة عتيقة ولا بخميرة الشر والخبث ؛ بل بفطير الإخلاص والحق » (اقرأ ١ كو ٥ : ٧ و ٨ مع خر ١٢ : ١٥ — ٢٠ مع لا ٢٣ : ٦ — ٨ مع مت ٢٦ : ١ و ٢ و١٧ مع مر ١٤ : ١ مع لو ٢٢ : ٧ مع أع ١٢ : ٣) . هذا هو « الفصح » الذى بدأ موسى صنعه فى مصر كقائد للشعب (خر ١٢) ، والذى يقول عنه الرسول هنا : « بالإيمان صنع الفصح » : —

« ورش الــدم » :

رأينا موسى ، بوصفه قائداً للشعب ، وقد « صنع الفصح » تمهيداً أوليا لخروج بنى إسرائيل من مصر ، والآن نراه فى ذات الوقت مكملا لهذا العمل التمهيدى فى « رش الدم » بمقتضى الأمر الإلهى الصادر له ، وصية لبنى إسرائيل ، قائلا : « تكون لكم شاة صحيحة ذكراً ابن سنة . . . يذبحه كل جمهور جماعة إسرائيل فى العشية ، ويأخذون من الدم ويجعلونه على القائمتين والعتبة العليا ، فى البيوت التى يأكلونه فيها » (خر ١٢ : ٥ و ٧) .

هذه العملية — رش الدم — إنما هى عملية تمثيلية تجرى خارج الأبواب المغلقة التى وراءها يستتر بنو إسرائيل للحماية من شر ما ، فهى عملية تنتفى عنها الرؤية ويسيطر عليها « الإيمان » بمقتضى قول السيد المسيح : « طوبى للذين آمنوا ولم يروا » (يو ٢٠ : ٢٩ اقرأ ع ١٩ — ٢٩) . وهذه حقيقة كان السيد المسيح قد سبق فأعلنها فى كلامه مع مرثا أخت لعازر ، حيث قال لها : « ألم أقل لك — إن آمنت — ترين مجد الله » ؟ (يو ١١ : ٤٠ اقرأ ع ٣٨ — ٤٠) .

هذا هو الإيمان الذى به يتم الخلاص « الخلاص بالإيمان » الذى قال عنه الرسول لابنه تيموثاوس : « وأنك منذ الطفولية تعرف الكتب المقدسة القادرة أن تحكمك « للخلاص بالإيمان » الذى فى المسيح يسوع » (٢ تى ٣ : ١٥ اقرأ ع ١٤ — ١٧ مع أف ٢ : ٤— ١٠) .

هذا هو « البر الذى بالإيمان » الذى عنه يقول موسى الذى اقتبسه الرسول بولس : « لا تقل فى قلبك : « من يصعد إلى السماء » ؟ — أى ليحدر (ليهبط) المسيح — أو « من يهبط إلى الهاوية » ؟ — أى ليصعد المسيح من الأموات ، لكن ماذا يقول ؟ « الكلمة قريبة منك » — فى فمك وفى قلبك — أى « كلمة الإيمان » التى نكرز بها ، لأنك ، إن اعترفت بفمك بالرب يسوع وآمنت بقلبك « أن الله أقامه من الأموات » خلصت ؛ لأن القلب يؤمن به « للبر » والفم يعترف به « للخلاص » لأن الكتاب يقول : « كل من يؤمن به لا يخزى » (رو ١٠ : ٦ — ١١ اقرأ ع ٤ — ١١ مع تث ٣٠:١١—١٤ مع إش ٢٨ : ١٦ مع ١ بط٢ : ٦ و ٧ مع رو ٩ : ٣٠ — ٣٣) .

فى هذه الأقوال الإلهية الكتابية — يتضح لنا ، جلياً ، علاقة الدم المرشوش على الأبواب ، فى أرض مصر ، مع نعمة الإيمان فى قلوب المسترين وراءها للحماية والخلاص .

هذه هى نعمة التبرير المجانية التى قال فيها المرنم : « طوبى للذى غفر إثمه وسترت خطيته ، طوبى لرجل لا يحسب له الرب خطية ولا فى روحه غش » (مز ٣٢ : ١ و ٢) ، هذه هى نعمة التبرير بالإيمان التى علق عليها الرسول بولس بالقول : « أفهذا التطويب « طوبى » — هو على الختان فقط ؟ أم على الغرلة أيضاً ، لأننا نقول : « إنه حسب لإبراهيم الإيمان براً » ؟ فكيف حسب أو هو فى الختان ؟ أم فى الغرلة ؟ ليس فى الختان ؛ بل فى الغرلة ، وأخذ علامة الختان ختماً لبر الإيمان » (رو ٤ : ٩ — ١١ اقرأ ع ١ — ١١) . هذه هى علاقة الدم المرشوش على الأبواب بالمسترين وراءها فى عملية التبرير المجانى بالإيمان .

أما رش الدم ، فى ذاته ، فهو عملية أشار إليها الكتبة « المسوقون من الروح القدس » فى الكتب المقدسة ، ومن تلك الإشارات ما كتبه رسول العبرانيين ، قائلا : « لأن

موسى ، بعد ما كلم جميع الشعب بكل وصية ، بحسب الناموس ، أخذ دم العجول والتيوس ، مع ماء وصوفاً قرمزياً وزوفا ، ورش الكتاب نفسه وجميع الشعب ، قائلا : « هذا هو « دم العهد » الذى أوصاكم الله به » والمسكن ، أيضاً وجميع آنية الخدمة ، رشها كذلك « بالدم » ، وكل شيء ، تقريباً ، يتطهر ، حسب الناموس ، بالدم ، وبدون سفك دم لا تحصل مغفرة » (اقرأ خر ٢٤ : ١ — ١١ راجع شرح ص ٩ : ١٩ — ٢٢) .

هذا الدم المرشوش قديماً ، يصل بنا إلى « دم رش يتكلم أفضل من هابيل » (انظر شرح ص ١٢ : ٢٤ راجع شرح ص ١١ : ٤) « وبه » وإن مات يتكلم بعد » وهو ذلك « الدم » الذى تكلم عنه ذات الرسول ، عن طريق المقارنة قائلا : « وليس بدم تيوس وعجول ؛ بل بدم نفسه ، دخل مرة واحدة إلى الأقداس ؛ فوجد فداء أبدياً ؛ لأنه ، إن كان دم ثيران وتيوس ورماد عجلة ، مرشوش على المنجسين ، يقدس إلى طهارة الجسد ، فكم بالحرى يكون « دم المسيح » الذى ، بروح أزلى ، قدم نفسه لله بلا عيب ، يطهر ضمائركم من أعمال ميتة ، لتخدموا الله الحى » (راجع شرح ص ٩ : ١٢ — ١٤) .

هذا هو ذات « الدم » الذى تحدث عنه الرسول بطرس مع « القديسين » قائلا : « عالمين أنكم افتديتم . . . بدم كريم ، كما من حمل بلا عيب ولا دنس — « دم المسيح » معروفاً سابقاً قبل تأسيس العالم ، ولكن قد أظهر ، فى الأزمنة الأخيرة ، من أجلكم » (اقرأ ١ بط ١ : ١٧ — ٢٠) ، هذا هو الدم المشار إليه « بالكأس » فى عشاء الرب » ليلة عشاء الفصح الأخير فى حياة السيد على الأرض ، حيث أخذ الكأس وشكر وأعطاهم (التلاميذ) قائلا : « اشربوا منها كلكم ؛ لأن هذا هو دمى الذى للعهد الجديد الذى يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا » (مت ٢٦ : ٢٧ و٢٨ اقرأ ع ٢٠ — ٣٠)

هذا هو « دم الخروف المذبوح » — المشار إليه فى خروف الفصح — الذى رآه يوحنا اللاهوتى « فى وسط العرش والحيوانات الأربعة ، فى وسط الشيوخ ، خروفاً قائماً كأنه مذبوح » (رؤ ٥ : ٦) وسمع صوت ملائكة كثيرين حول العرش . . . وكان

عددهم ربوات ربوات وألوف ألوف ، قائلين بصوت عظيم : « مستحق هو « الخروف المذبوح » أن يأخذ القدرة والغنى والحكمة والقوة والكرامة والمجد والبركة » (اقرأ رؤ ٥ : ١١ — ١٤) . هذا هو المغزى الحقيقى لذلك « الدم » الذى رشه موسى ، قديماً ، على القائمتين والعتبة العليا فى كل بيت من بيوت الإسرائيليين فى أرض مصر (انظر خر ١٢ : ٦ و ٧) . وعنه يقول الرسول — متحدثاً عن موسى — « بالإيمان صنع الفصح ورش الدم » .

« لئلا يمسهم الذى أهلك الأبكار » :

بيت القصيد ، فى هذه الجملة ، هو ذاك « الذى أهلك الأبكار » ، هذا هو الذى يلزم أن نتبين شخصيته ، ولسنا نذهب ، بعيداً ، للوصول إلى هذا الهدف ، فإن الوحى الإلهى يشير إليه ، إشارة صريحة ، فى قول موسى ، عن فم الرب ، لشعب إسرائيل « هكذا يقول الرب : « إنى ، نحو نصف الليل ، أخرج فى وسط مصر ؛ فيموت كل بكر فى أرض مصر — من بكر فرعون الجالس على كرسيه إلى بكر الجارية التى خلف الرحى وكل بكر بهيمة — ويكون صراخ عظيم فى كل أرض مصر لم يكن مثله ولا يكون مثله ، أيضاً » (خر ١١ : ٤ — ٦) .

وهل يأخذنا العجب ؟ إذا أدركنا أن : هذا القضاء النهائى الحتمى ، هو ذات القضاء النبوى الذى أنذر به الرب الفرعون وعبيده ، بادىء ذى بدء ، عندما أرسل إليه موسى ، قائلا : « إسرائيل ابنى البكر ، فقلت لك : « أطلق ابنى ليعبدنى فأبيت أن تطلقه ، ها أنا أقتل ابنك البكر » (خر ٤ : ٢٢ و ٢٣) ، وقد تم هذا القضاء النبوى الذى أنذر به الرب « الفرعون » فى البداءة ، كما ينبئنا التاريخ المقدس ؛ حيث يقول : « فحدث ، فى نصف الليل ، أن الرب ضرب كل بكر فى أرض مصر — من بكر فرعون الجالس على كرسيه إلى بكر الأسير الذى فى السجن ، وكل بكر بهيمة — فقام فرعون ، ليلا ، هو وكل عبيده وجميع المصريين ، وكان صراخ « عظيم فى مصر ؛ لأنه لم يكن بيت ليس فيه ميت » (خر ١٢ : ٢٩ و ٣٠) .

وهل يزداد العجب ؟ وتكثر الدهشة ؟ إذا عرفنا أن هذا القضاء النبوى (خر ٤ : ٢٢ و ٢٣) ، لم يتم تنفيذه إلا فى الضربة الأخيرة من الضربات العشر التى ضرب بها الرب فرعون وكل أرض مصر ؟ (اقرأ سفر الخروج ص ٤ — ١٠) .

ولعلنا ، فى دهشتنا ، نتساءل ، عن سر هذا التأجيل ، ولكننا لا نلبث ، حتى يزول العجب وتنتهى الدهشة ، إذا رأينا كشف هذا السر ، فى قول الرب نفسه ؛ حيث قال لموسى : « بكر فى الصباح وقف أمام فرعون وقل له : « هكذا يقول الرب إله العبرانيين « أطلق شعبى ليعبدونى ؛ لأنى ، هذه المرة ، أرسل جميع ضرباتى إلى قلبك وعلى عبيدك وشعبك ؛ لكى تعرف أن ليس مثلى فى كل الأرض ؛ فإنه ، الآن ، لو كنت أمد يدى وأضربك وشعبك بالوبأ لكنت تباد من الأرض . ولكن ، لأجل هذا أقمتك ؛ لكى أريك قوتى ، ولكى يخبر « باسمى » فى كل الأرض » (خر ٩ : ١٣ — ١٦) .

إلى ذات هذا السر يشير الرسول بولس ؛ حيث يقول : « فماذا نقول ؟ ألعل عند الله ظلماً ! حاشا ؛ لأنه يقول لموسى : «إنى أرحم من أرحم وأتراءف على من أتراءف ، فإذاً ، ليس لمن يشاء ولا لمن يسعى ؛ بل لله الذى يرحم ؛ لأنه يقول الكتاب (لفرعون) « إنى لهذا ، بعينه ، أقمتك ؛ لكى أظهر فيك قوتى ولكى ينادى « باسمى » فى كل الأرض » . « فإذا هو يرحم من يشاء ويقسى من يشاء » (رو ٩ : ١٤ — ١٨ اقرأ ع ١ — ٢٣) ، هؤلاء هم « الأبكار » — أبكار المصريين : فمن هو ؟ —

« الذى أهلك الأبكار » :

تؤيد كل النصوص السابقة أن « الذى أهلك الأبكار » هو « الرب » ، ويؤكد هذا الأمر قول الرب نفسه : « فإنى أجتاز فى أرض مصر ، هذه الليلة ، وأضرب كل بكر ، فى أرض مصر ، من الناس والبهائم ، وأصنع أحكاماً بكل آلهة المصريين « أنا الرب » ، ويكون لكم الدم ، علامة ، على البيوت التى أنتم فيها ؛ فأرى « الدم » وأعبر عنكم ؛ فلا يكون عليكم ضربة للهلاك ؛ حين أضرب أرض مصر » » (خر ١٢ : ١٢ و ١٣) .

على أننا ، إزاء وصية ، أرسلها « الرب » إلى الشعب ، نصها : «خذوا باقة زوفا واغمسوها فى « الدم » الذى فى الطست ومسوا العتبة العليا والقائمتين بالدم الذى فى الطست ، وأنتم لا يخرج ، أحد منكم ، من باب بيته ؛ حتى الصباح ؛ فإن « الرب » يجتاز ليضرب المصريين ؛ فحين يرى « الدم » على العتبة العليا والقائمتين ، يعبر « الرب » عن الباب « ولا يدع المهلك » يدخل بيوتكم ليضرب » (خر ١٢ : ٢٢و٢٣).

وصية نرى فيها أمراً يدعو إلى التساؤل ؛ حيث فى (ع ١٣) يقول الرب نفسه : « أضرب أرض مصر » ، أما ، فى هذه الوصية فيقول فى (ع ٢٣) « يعبر » الرب » عن الباب ولا يدع « المهلك » يدخل بيوتكم ليضرب » ، وهنا ينشأ التساؤل ، إن كان « الرب » هو الضارب لأبكار المصريين ؟ فمن هو ، إذاً ، ذلك المهلك الذى « لا يدعه الرب » يدخل بيوت الإسرائيليين ليضرب ؟ (ع٢٣) .

ولعلنا نستطيع أن نصل إلى الإجابة الصحيحة عن هذا التساؤل بالمقارنة الكتابية ؛ حيث يقول بولس ، فى وصية للكورنثيين : « لا تتذمروا كما تذمر ، أيضاً ، أناس منهم « فأهلكهم المهلك » (١كو ١٠ : ١٠) .

وإذا رجعنا إلى النص التاريخى لحادث ذلك الهلاك نقرأ قول « الرب » لموسى وهرون : « إطلعا من وسط هذه الجماعة ؛ فإنى (أنا الرب) أفنيهم بلحظة » ، وفى تلك اللحظة « لأن السخط قد خرج من قبل « الرب » قد ابتدأ الوبأ » : فأخذ هرون (مجمرته) كما قال موسى ، وركض إلى وسط الجماعة ، وإذا الوبأ قد ابتدأ فى الشعب فوضع البخور وكفر عن الشعب ، ووقف بين الموتى والأحياء فامتنع الوبأ ، فكان الذين ماتوا بالوبأ أربعة عشر ألفاً وسبع مئة ، عدا الذين ماتوا بسبب قورح » (عد ١٦ : ٤٤ ــ ٤٩ اقرأ كل الأصحاح) . فمن هو « المهلك » هنا ؟ أهو « الرب » ؟ أم « الوبأ » الذى كان موتاً ؟ أم الأرض التى فتحت فاها وابتلعت (عد ١٦ : ٣٣) . أم النار التى خرجت من عند « الرب » وأكلت ؟ (عد ١٦ : ٣٥) .

فما هو « الوبأ » ؟ وما هى « الأرض » ؟ وما هى « النار » ؟ ما هذه أو تلك ؟ إنما هى « ملائكة الرب » أى رسله لتنفيذ قضائه ضد آثام البشر .

هذا يأتى بنا إلى بحث أدق ، فى هذا الموضوع ، يرجع بنا إلى ما حدث « لأيوب » يوم « خرج الشيطان من أمام وجه الرب » آخذاً ، من جلاله ، سلطاناً مسموحاً به ، مبيناً فى قوله ، تعالى : « هوذا كل ماله فى يدك (يد الشيطان) ، وإنما إليه لا تمد يدك » (أى ١ : ١٢ انظر أيضاً ص ٢ : ٦ اقرأ ص ١ و ٢) ، هكذا ، بسلطان هذا السماح الإلهى ، وقعت على « أيوب » كل بلاياه المحرقة ، بيد هذا الشيطان الرجيم « فالبلوى المحرقة » (١ بط ٤ : ١٢) إذاً ، إنما هى عمل شيطانى مسموح به من قبل العزة الإلهية ، وهذه هى الحقيقة التى أدركها أيوب وعبر عنها ، قائلا : « الرب أعطى والرب أخذ ، فليكن اسم الرب مباركاً » (أى ١ : ٢١) ، وهكذا ، كما أجاب زوجته المتذمرة ، قائلا لها : « تتكلمين ، كلاماً ، كإحدى الجاهلات ، الخير نقبل من عند الله ؟ والشر لا نقبل ؟ (أى ٢ : ١٠) .

هكذا نتبين ، من هذا الحادث الجلل ، أن « الهلاك » بكل أنواعه ، إنما هو بعمل الشيطان ، مسموحاً به من قبل الله — هلاكاً لأبناء الهلاك ، وخيراً لأبنائه المقدسين (اقرأ ١ بط ٢ : ٦ — ١٠ قابل ٢ كو ٢ : ١٥ و ١٦) ، وهذا أمر يظهر جلياً فى تاريخ حياة بولس الرسول ، معبراً عنه ، فى قوله « ولئلا أرتفع بفرط الإعلانات أعطيت شوكة فى الجسد — « ملاك الشيطان » ليلطمنى — لئلا أرتفع ، من جهة هذا ، تضرعت إلى الرب ثلاث مرات أن يفارقنى » فقال لى : « تكفيك نعمتى لأن قوتى فى الضعف تكمل » (٢ كو ١٢ : ٧ — ٩ اقرأ ع ١ — ١٠) .

فى هذا البيان ، يتجلى لنا صريحاً معنى ما قاله « إرميا » فى مراثيه : « من ذا الذى يقول فيكون والرب لم يأمر ؟ من فم العلى ألا تخرج الشرور والخير » ؟ (مراثى ٣ : ٣٧ و ٣٨) ، و « هل تحدث بلية ، فى مدينة و « الرب » لم يصنعها » ؟ (عا ٣ : ٦) .

على هذا النمط ، بل على هذا القياس ، يكون « الذى أهلك الأبكار » — أبكار المصريين — هو ذلك « التنين العظيم » — « الأحمر » — « الحية القديمة » — المدعو إبليس والشيطان » (رؤ ١٢ : ٣ و ٩) ، وذلك على مبدأ النص الإلهى القائل : « لأنهم ، لما عرفوا « الله » لم يمجدوه أو يشكروه كإله ؛ بل حمقوا فى أفكارهم وأظلم قلبهم الغبى ،

وبينما هم يزعمون ، أنهم حكماء صاروا جهلاء ، وأبدلوا مجد الله ، الذى لا يفنى ، بشبه صورة الإنسان الذى يفنى والطيور والدواب والزحافات ؛ لذلك « أسلمهم الله » أيضاً ، فى شهوات قلوبهم إلى النجاسة ؛ لإهانة أجسادهم بين ذواتهم — الذين استبدلوا حق الله بالكذب ، واتقوا وعبدوا المخلوق دون الخالق الذى هو مبارك إلى الأبد آمين » (رو ١ : ٢١ — ٢٥ اقرأ ع ١٨ — ٣٢ مع مز ٨١ : ٨ — ١٤ و ٧٨ : ٥٩ — ٦٤ مع أم ١ : ٢٤ — ٣٣) ، هكذا نجا شعب الرب من « الذى أهلك الأبكار » إذ أطاعوا ما أعلنه الرب لموسى بشأن « صنع الفصح ورش الدم » : —

« لئلا يمسهم » :

« الذى أهلك الأبكار » حفظاً لأبكارهم تمهيداً لخروجهم ، لأنه ، لو مست أبكارهم ، لتعطل الخروج ولم يتم العمل ، لأجل ذلك رش الدم ؛ لكى يرى « المهلك » الدم ويعبر معرجاً عنهم ؛ فلا يمس أبكارهم ، وهكذا صنع الفصح » كما رأينا عملا تمهيدياً لإعداد هذا الشعب فى علاقة حسنة بالرب تمهيداً ، أيضاً ، لخروجهم ، فى كل ذلك يمكن أن يقال ، إن موسى فى صنع الفصح وفى رش الدم « ترك مصر » تمهيدياً « غير خائف من غضب الملك » .

وما أمجد التمثيل الرمزى ، فى هؤلاء الأبكار المحفوظين ، فى قول الرب « لموسى » عن اللاويين (سبط لاوى) حيث قال : « يأتى اللاويون ليخدموا خيمة الاجتماع ؛ فتطهرهم وترددهم ترديداً ؛ لأنهم موهوبون لى هبة ، من بين بنى إسرائيل ، بدل كل فاتح رحم — بكر كل من إسرائيل — قد اتخذتهم لى ؛ لأن لى « كل بكر » فى بنى إسرائيل — من الناس ومن البهائم — يوم ضربت كل بكر فى أرض مصر — قدستهم لى — فاتخذت اللاويين بدل « كل بكر » فى بنى إسرائيل » (عد ٨ : ١٥ — ١٨ اقرأ ع ٦ — ٢٦ مع خر ١٣ : ١ — ١٣ مع عد ٣ : ٦ — ٤٥) . ألا نرى حقيقتهم ، جلية ، فى شخصية أولئك الذين أعطاهم الآب لابنه ؟ ومن أجلهم طلب ، قائلا : « أيها الآب ! قدسهم فى حقك — كلامك هو حق » (يو ١٧ : ١٧ اقرأ ع ٦ — ١٩) هؤلاء هم ، أيضاً ، الذين قيل لهم : « وأما أنتم فجنس مختار وكهنوت ملوكى — أمة

مقدسة ، شعب اقتناء — لكى تخبروا بفضائل الذى دعاكم من الظلمة إلى نوره العجيب» (١ بط ٢ : ٩) .

هؤلاء هم « الذين سبق — الآب — فعرفهم — سبق فعينهم ؛ ليكونوا مشابهين صورة ابنه (البكر الوحيد) ليكون هو بكراً بين إخوة كثيرين » (اقرأ رو ٨ : ٢٩ و ٣٠) ، هؤلاء هم « كنيسة الأبكار المكتوبين فى السموات » (انظر شرح ص١٢ : ٢٣ راجع شرح ما قيل فى هذا الصدد) .

الآن انتهينا من التمهيد لخروج بنى إسرائيل من مصر ، وذلك أولا ، فى إرسال موسى بتهديد لفرعون (خر ٤ : ٢٢ و ٢٣) وفى غضب فرعون على موسى لكى لا يرى وجهه إلى الأبد (خر ١٠ : ٢٨ و ٢٩) ، كما رأيناه ثانياً فى التمهيد الذى أعده موسى لهذا الخروج ، وذلك فى صنع الفصح ورش الدم « لئلا يمسهم الذى أهلك الأبكار » .

وإلى هنا تم ، تمهيدياً ما قيل ، عن موسى « بالإيمان ترك مصر ، غير خائف من غضب الملك ؛ لأنه تشدد كأنه يرى من لا يرى ، بالإيمان صنع الفصح ورش الدم ، لئلا يمسهم الذى أهلك الأبكار » والآن سنتقدم إلى ما قيل عنه فى تركه مصر عملياً مع شعب الرب ، فى القول : —

(ع ٢٩) « بالإيمان اجتازوا فى البحر الأحمر » :

ينبئنا التاريخ النبوى عن ما حدث فى مصر فى « نصف الليل » حيث نقرأ « أن الرب ضرب كل بكر فى أرض مصر » « وكان صراخ عظيم فى مصر ؛ لأنه لم يكن بيت ليس فيه ميت» ، «فقام فرعون ليلا — هو وكل عبيده وجميع المصريين » منزعجين ومرتعبين ، ودعا موسى وهرون ، ليلا ، وقال : « قوموا اخرجوا من بين شعبي — أنتما وبنو إسرائيل جميعاً — واذهبوا اعبدوا الرب ، كما تكلمتم » (اقرأ خر ١٢ : ٢٩ — ٣٣) .

بمقتضى هذا الأمر الفرعونى وبشدة الإلحاح لتنفيذه ، خرج الشعب ليلا وارتحلوا من « رعمسيس » (خر ١٢ : ٣٧ انظر خر ١ : ١١) ، حيث كانوا ساكنين فى « أرض جاسان » كما نتبين من النصوص الكتابية (إقرأ تك ٤٥ : ١٠ و ٤٦ : ٢٨

و ٢٩ و ٣٤ و ٤٧ : ١ و ٤ و ١١و ٢٧ و ٥٠ : ٨ راجع شرح ما قيل فى هذا الصدد ص ١١ : ٢١) ، وبهذا الحادث العجيب يتغنى المرنم ، قائلا : « احمدوا الرب لأنه صالح لأن إلى الأبد رحمته ، احمدوا إله الآلهة لأن إلى الأبد رحمته ، احمدوا رب الأرباب لأن إلى الأبد رحمته ، الصانع العجائب العظام وحده لأن إلى الأبد رحمته . . . الذى ضرب مصر مع أبكارها لأن إلى الأبد رحمته «وأخرج إسرائيل من وسطهم » لأن إلى الأبد رحمته ، بيد شديدة وذراع ممدودة لأن إلى الأبد رحمته » (اقرأ مز ١٣٦ : ١ — ١٢) .

بهذه اليد الشديدة والذراع الممدودة أخرج الرب شعبه من مصر ؛ فارتحلوا من « رعمسيس » إلى « سكوت » (ويقال إنها بركة التمساح شمالى السويس) ونزلوا فى « إيثام فى طريق البرية » (قيل هى السبع بيارات على بعد ثلاثة أميال غربى البحر الأحمر). وبحسب أمر الرب رجعوا ونزلوا أمام « فم الحيروث بين مجدل والبحر أمام بعل صفون » (وقد اختلف المحققون فى تحديد موقع فم الحيروت ، قيل هو قلعة عجرود على طريق الحج المصرى على أمد اثنى عشر ميلا غرب السويس) (انظر خر ١٢ : ٣٧ و ٥١ و ١٣ : ١٧ — ٢٠ اقرأ عد ٣٣ : ١ — ٧) .

وقد أدار الرب الشعب فى طريق برية بحر سوف لسببين جوهريين ذكرهما النبأ المقدس : — أحدهما واضح فى القول « لم يهدهم فى طريق أرض الفلسطينيين ؛ مع أنها قريبة ؛ لأن الله قال : « لئلا يندم الشعب إذا رأوا حرباً ويرجعوا إلى مصر » (خر١٣ : ١٧) ، أما ثانيهما فواضح فى القول : « فيقول فرعون عن بنى إسرائيل « هم مرتبكون فى الأرض ، قد استغلق عليهم القفر » ، وأشدد قلب فرعون ؛ حتى يسعى وراءهم ؛ فأتمجد بفرعون وبجميع جيشه ، ويعرف المصريون أنى أنا الرب » » (خر ١٤ : ٣ و ٤).

بهذه الإدارة العليا والتدبير الإلهى تم وصول الشعب الإسرائيلى إلى « بحر سوف » (البحر الأحمر) ، وندم فرعون على إطلاق الشعب ، وتشدد ليسعى وراءهم لإعادتهم عنوة إلى مصر ، ولحقهم وهم عند البحر فى مركبته مع قومه ، وأخذ معه ست مئة مركبة منتخبة وسائر مركبات مصر وجنوداً مركبية على جميعها (اقرأ خر ١٤ : ٥—٩).

هكذا أدرك فرعون بنى إسرائيل وحاصرهم أمام « بحر سوف » فرأوا ذواتهم فى مضيق لا طريق فيه للهرب ، البحر أمامهم وقوات العدو وراءهم ففزعوا جداً وتحققوا الموت فى أنفسهم ، ولا مفر ؛ فتذمروا على موسى (اقرأ خر ١٤ : ١٠ — ١٢) .

هنا حل على موسى « روح النبوة » فقال للشعب : « لا تخافوا ، قفوا وانظروا خلاص الرب الذى يصنعه لكم اليوم ؛ فإنه ، كما رأيتم المصريين اليوم لا تعودون ترونهم ، أيضاً ، إلى الأبد ، الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون » (خر ١٤ : ١٣ و ١٤) . ألا نرى ، فى هذه الأقوال ؟ تحقيقاً عملياً لقول الرسول ، عن « موسى » ؟ « بالإيمان ترك مصر غير خائف من غضب الملك » (راجع شرح ع ٢٧) ، بعد أن تحقق تمهيدياً فى صنع الفصح ورش الدم (راجع شرح ع ٢٨) ، أو لا نرى هـــذا التحقيق ؟ مقروناً بتأكيده القائل : « لا تعودون ترونهم (المصريين) أيضاً ، إلى الأبد »؟ ها نحن الآن مع الشعب أمام : —

« البحر الأحمـــر » :

وهو البحر المذكور فى التاريخ النبوى تحت اسم « بحر سوف » (خر ١٠ : ١٩ و ١٣ : ١٨ و ١٥ : ٢٢ و ٢٣ : ٣١ مع عد ١٤ : ٢٥ و ٢١ : ٤ و ٣٣ : ١٠ و ١١ مع تث ١ : ٤٠ مع مز ١٣٦ : ١٣) ، ويسمى « بحر القلزم » وهو يتصل بالمحيط الهندى ويفصل بين أسيا وأفريقيا ، وينقسم عند طرفه الشمالى إلى قسمين : غربى وهو خليج السويس ، وشرقى وهو خليج إيلة (إيلات) المعروف الآن بخليج العقبة . وقد اختلف المحققون كثيراً فى موقع المكان الذى اجتازه بنو إسرائيل ، والمرجح ، أنه لم يكن بعيداً عن السويس ، وأنه كان مقابل المحل المعروف الآن برأس موسى ؛ حيث توجد ، أيضاً ، ينابيع تدعى عيون موسى على نحو ١٠ أميال من السويس . هذا هو « البحر الأحمر » — « بحر سوف » — بحر القلزم — الذى فيه ، يقول الرسول ، عن الشعب : —

(٢٩) « بالإيمان اجتازوا » :

أمام « البحر الأحمر — « بحر سوف » — وقف الشعب مذعورين منزعجين ، فى شديد الخوف والاضطراب ، من فرعون وجيشه الذين أدركوهم هناك ، وهنا ظهر « ملاك العهد » بصوته الرهيب ، قائلا لموسى : « مالك تصرخ إلى ؟ قل لبنى إسرائيل أن يرحلوا ، وارفع أنت عصاك ومد يدك على البحر وشقه ؛ فيدخل بنو إسرائيل فى وسط البحر على اليابسة وها أنا أشدد قلوب المصريين ؛ حتى يدخلوا وراءهم ؛ فأتمجد بفرعون وكل جيشه — بمركباته وفرسانه — فيعرف المصريون « إنى أنا الرب » حين أتمجد بفرعون ومركباته وفرسانه » (خر ١٤ : ١٥ — ١٨) .

على أن « ملاك العهد » لم يظهر بصوت رهيب ، فحسب ؛ بل عمل عملا عجيباً تنفيذاً لذلك الأمر الصادر ؛ حيث « انتقل « ملاك الله » السائر أمام عسكر إسرائيل وسار وراءهم » (خر ١٤ : ١٩) . وقد تم ذلك بأن انتقل « عمود السحاب » الذى كان سائراً أمام بنى إسرائيل ووقف وراءهم حائلا بين المعسكرين — الإسرائيلى والمصرى — « وصار السحاب والظلام وأضاء الليل ؛ فلم يقترب هذا إلى ذاك كل الليل » (اقرأ خر ١٤ : ١٩ و ٢٠) .

هذا هو العمود الذى سبقت الإشارة إليه ، فى قول موسى « وكان الرب يسير أمامهم — نهاراً فى « عمود سحاب » ليهديهم فى الطريق — وليلا فى « عمود نار » ليضىء لهم ؛ لكى يمشوا نهاراً وليلا ، لم يبرح « عمود السحاب » نهاراً و « عمود النار » ليــلا من أمام الشعب » » (خر ١٣ : ٢١ و ٢٢) .

هذا هو العمود — عمود السحاب والنار — الذى تحدث عنه النبى إشعياء ، تمثيلياً ، قائلا : « يخلق الرب على كل مكان من « جبل صهيون » — (كنيسة الأبكار) (انظر شرح ص ١٢ : ٢٢ و ٢٣) — وعلى محفلها سحابة نهاراً ودخاناً ولمعان نار ملتهبة ليلا ؛ لأن ، على كل مجد ، غطاء ، وتكون مظلة للفىء نهاراً من الحر ، وللملجأ وللمخبإ من السيل ومن المطر » (نهاراً وليلا) (إش ٤ : ٥ و ٦) ، هكذا صار هذا العمود — « عمود السحاب » — عند « البحر الأحمر » — ليلا مظلماً مخيماً على المصريين ونهاراً

مضيئاً للإسرائيليين (خر ١٤ : ٢٠) : «وفصل الله بين النور والظلمة» فلم تقترب هذه إلى تلك .

صورة رمزية — ما أمجدها — ! للفصل بين النور والظلمة وبين الحياة والموت تتمثل أمامنا ، فى ما حدث ، فى مثل «العرس» حيث دخل «الملك» الصانع العرس لينظر المتكئين ؛ فرأى هناك «إنساناً لم يكن لابساً لباس العرس» فقال له : «يا صاحب كيف دخلت إلى هنا وليس عليك لباس العرس» ؟ . . . حينئذ قال الملك للخدام : اربطوا رجليه ويديه وخذوه واطرحوه فى «الظلمة الخارجية» ، هناك يكون البكاء وصرير الأسنان» (مت ٢٢ : ١١ — ١٣ اقرأ ع ١ — ١٤) .

وما أعظم الفرق ! بين «الظلمة الخارجية» حيث «البكاء وصرير الأسنان» — وبين بهو «العرس» المضاء بالزينات الضوئية والأنوار البهية ، حيث الفرح والبهجة ! «لأن ملكوت الله» إنما «هو بر وسلام وفرح فى الروح القدس» (رو ١٤ : ١٧ اقرأ رو ٥ : ١ — ٥ مع ٢ كو ٢ : ١٤ — ١٦) .

هذه هى الصورة التى رسمها «عمود السحاب» فى دخوله بين المعسكرين — الإسرائيلى والمصرى — فعلى أحد الجانبين تمثلت «الظلمة الخارجية» أما على الجانب الآخر فقد تمثلت أضواء العرس البهية ؛ حيث يتم القول النبوى : «الملك ببهائه تنظر عيناك ، تريان أرضاً بعيدة» (إش ٣٣ : ١٧) ، وما أعظم الفرق ! وما أبعد الشقة ! بين «الذين بصبر ، فى العمل الصالح ، يطلبون المجد والكرامة والبقاء» ! وبين «الذين هم من أهل التحزب ولا يطاوعون للحق ؛ بل يطاوعون للاثم» ! (رو ٢ : ٧ و ٨ اقرأ مت ٢٥ : ٣١ — ٤٦ مع ٢ تس ١ : ٣ — ١٠) .

فلا عجب ! والحالة هذه ، أن ينشق «البحر الأحمر» ليفسح الطريق أمام شعب الله ليجتاز فيه آمناً ؛ فقد اجتمعت «كند أمواه اليم» ، وجعلت «اللجج فى أهراء» (مز ٣٣ : ٧) ، واجتاز المعسكر «فى وسط البحر على اليابسة والماء سور لهم عن يمينهم وعن يسارهم» وساروا إلى البر آمنين (خر ١٤ : ٢١ و ٢٢) .

أما فرعون وجيشه ؛ فإنه ، فى محاولة فاشلة ، قد « تبعهم (تبع الإسرائيليين) ودخلوا وراءهم — جميع خيل فرعون ومركباته وفرسانه — إلى وسط البحر ، وكان ، فى هزيع الصبح ، أن الرب أشرف على عسكر المصريين ، فى عمود النار والسحاب ، وأزعج عسكر المصريين وخلع بكر مركباتهم ؛ حتى ساقوها بثقله » ، « فمد موسى — بأمر الرب — يده على البحر ؛ فرجع البحر ، عند إقبال الصبح إلى حاله الدائمة . . ، فرجع الماء وغطى مركبات وفرسان جميع جيش فرعون » (خر ١٤ : ٢٣ — ٢٥) ، وهكذا تم القول النبوى الذى نطق به موسى تشجيعاً للاسرائيليين المنزعجين ونصه : « لا تخافوا ، قفوا وانظروا خلاص الرب الذى يصنعه لكم اليوم ؛ فإنه ، كما رأيتم المصريين ، اليوم ، لا تعودون ترونهم ، أيضاً ، إلى الأبد » (خر ١٤ : ١٣ اقرأ ع ١٠ — ١٤) .

وهل نرى ، فى يد موسى ، التى مدها على البحر بأمر الرب ؟ — هل نرى فيها جواباً للسؤال الذى وجهه المرنم إلى البحر ، قائلا : « مالك أيها البحر قد هربت » ؟ (مز ١١٤ : ٥) ، قال هذا وهو ينشد مترنماً :

« عند خروج إسرائيل من مصر « وبيت يعقوب » من شعب أعجم ، كان يهوذا مقدسه و « إسرائيل » محل سلطانه ، البحر رآه فهرب ، الأردن رجع إلى خلف ، الجبال قفزت مثل الكباش والآكام مثل حملان الغنم ، مالك أيها البحر قد هربت ومالك أيها الأردن قد رجعت إلى خلف ، ومالكن أيتها الجبال قفزتن مثل الكباش وأيتها التلال مثل حملان الغنم . أيتها الأرض تزلزلى من قدام الرب — من قدام إله يعقوب ، المحول الصخرة إلى غدران مياه ، الصوان إلى ينابيع مياه » (مز ١١٤ اقرأ كل المزمور وترنم ومجد وعظم اسم الرب) ، فلا عجب ! أن يقول الرسول ، عن شعب الرب « بالإيمان اجتازوا فى البحر الأحمر » : —

« كما فى اليابسة » :

لعل الرسول ، فى هذه العبارة « كما فى اليابسة » يرجع بنا إلى أيام الخلق — إلى اليوم الثالث من تلك الأيام ، الذى فيه كانت الأرض كلها كتلة مائية كلها « غمر » ،

فقال الله : « لتجتمع المياه ، تحت السماء ، إلى مكان واحد ولتظهر اليابسة ، وكان كذلك ، ودعا الله اليابسة أرضاً . ومجتمع المياه دعاه بحاراً » (تك ١ : ٩ و ١٠ اقرأ ع ٢ و ٦ — ١٠).

بمقتضى هذا النص التاريخي النبوي تكون « اليابسة » هي الأرض التي انحسرت عنها المياه وعليها يعيش البشر ويسيرون ويتمشون بلا خوف من المياه وبخاصة تحت العناية الإلهية في رعاية القدير الذي قال لأيوب : « من حجز البحر بمصاريع ؛ حين اندفق فخرج من الرحم ؛ إذ جعلت السحاب لباسه والضباب قماطه ؟ وجزمت عليه حدي ؟ وأقمت له مغاليق ومصاريع ؟ وقلت : « إلى هنا تأتي ولا تتعدى ، وهنا تتخم كبرياء لججك » ؟ (أي ٣٨ : ٨ — ١١) .

هذه هي الصورة التي يرسمها أمامنا الرسول في القول : « كما في اليابسة » ولو أنها كانت في قلب « البحر الأحمر » حيث مشوا على اليابسة ، في وسط البحر « والماء سور لهم عن يمينهم وعن يسارهم » (خر ١٤ : ٢٩) ، وذلك كان ، ولا بد ، بقدرة رب القدرة الذي « يجمع كند أمواه اليم ، ويجعل اللجج في أهراء » (مز ٣٣ : ٧) .

على أن ، كل ذلك ، قد لا يعطي الشعب اطمئناناً للدخول بين المياه إن لم يكن أمر الرب لهم بذلك ، مقروناً ومصحوباً بإعطائهم إيماناً قوياً وطيداً ، في قلوبهم ، بإلههم الضابط لكل الأشياء « بقدرته السرمدية ولاهوته » (رو ١ : ٢٠) . بهذا الإيمان ، ولا بد ، يقول الرسول : «بالإيمان اجتازوا في البحر الأحمر كما في اليابسة ».

هكذا « اجتازوا في البحر » بنعمة « الإيمان » بالله ، تحت قيادة موسى رجل الله الذي أقامه الله قائداً لهم ، لا مؤمنين بالله فقط ؛ بل ، أيضاً — كما قال الرسول بولس ، « اعتمدوا لموسى في السحابة وفي البحر » (١ كو ١٠ : ١) ، حيث اقترنت المعمودية بالإيمان في أولئك الآباء ، وذلك عند دخولهم ، في تلك الساعة الرهيبة ، في عهد مع الرب « كأمة خاصة » له (اقرأ خر ١٩ : ١ — ٦ و ٢٤ : ١ — ١١) .

وأين كان الأطفال — أطفال أولئك الآباء ، عند دخولهم مع الله في ذلك العهد ؟ ألم يجتازوا هم ، أيضاً (أولئك الأطفال) « في السحابة وفي البحر » مؤمنين في إيمان

آبائهم ومعتمدين لموسى فى اعتماد آبائهم ، وذلك على مبدأ القول الذى نطق به « الروح القدس » بفم الرسول بطرس للذين آمنوا فى « يوم الخمسين » حيث قال : « توبوا ، وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح . . . لأن الموعد هو لكم ولأولادكم » (اقرأ أع ٢ : ٣٧ — ٣٩) .

تتمثل هذه الحقيقة جلياً ، أيضاً ، فى ما قيل بشأن السجان فى فيلبى ، عندما سأل بولس وسيلا : « يا سيدى ! ماذا ينبغى أن أفعل لكى أخلص » ؟ فقالا : «آمن بالرب يسوع المسيح فتخلص أنت وأهل بيتك » (أع ١٦ : ٣٠ و ٣١ اقرأ ع ٢٥ — ٣٤) .

هذا هو العهد الإنجيلى الذى قطعه الرب مع أبينا إبراهيم — عهد « النعمة والحق » — قبل إعطاء « الناموس » بموسى بنحو أربعمئة وثلاثين سنة (قابل يو ١ : ١٧ مع غل ٣ : ١٧ مع تك ٢٢ : ١٨ اقرأ شرح غل ٣ : ١٥ — ١٨ للمؤلف) ، وهو العهد الذى قيل فيه «والكتاب ، إذ سبق فرأى « أن الله بالإيمان يبرر الأمم » سبق فبشر إبراهيم « أن فيك تتبارك جميع الأمم » (قابل غل ٣ : ٨ مع تك ١٢ : ٣ اقرأ شرح غل ٣ : ١٥ — ١٨ للمؤلف) .

ومن الأمور التى تنعش نفوس الآباء وتبهر قلوبهم وتملؤها فرحاً وسروراً — من أعظم تلك الأمور وأسماها — دخول النسل مع الآباء فى هذا العهد الإنجيلى ؛ كما يتبين جلياً من صيغته ؛ حيث قال الرب لأبرام : « أما أنا ، فهوذا عهدى معك ، وتكون أباً لجمهور من الأمم ؛ فلا يدعى اسمك بعد « أبرام » بل يكون اسمك « ابراهيم » لأنى أجعلك أباً لجمهور من الأمم ، وأثمرك كثيراً جداً ، وأجعلك أمماً ، وملوك منك يخرجون ، وأقيم عهدى بينى وبينك وبين نسلك من بعدك فى أجيالهم— عهداً أبدياً ؛ لأكون إلهاً لك ولنسلك من بعدك » (تك ١٧ : ٤ — ٧) .

ومن أعجب ما يتضمنه هذا العهد الإنجيلى ! أن يبدأ مع النسل — والطفل ، بعد ، ابن ثمانية أيام — كما قيل « هذا هو عهدى الذى تحفظونه بينى وبينكم . . . ابن ثمانية أيام يختن منكم كل ذكر فى أجيالكم » (تك ١٧ : ١٠) . فالعهد الإنجيلى — الذى بدأ فى إبراهيم ونسله — إنما هو عهد نيابى ، وذلك على مبدأ القول الإلهى الصريح :

فإنه ، إذ الموت بإنسان ، بإنسان ، أيضاً ، قيامة الأموات ؛ لأنه ، كما فى « آدم » يموت الجميع ؛ هكذا فى « المسيح » سيحيا الجميع » (١ كو ١٥ : ٢١ و ٢٢ اقرأ ع ١٢ — ٢٣ مع رو ٥ : ١٢ — ٢١) .

أو ليس هذا هو التقديس الشرعى النيابى ؟ الذى تكلم عنه الرسول بولس ، بشأن الأولاد ؟ حيث ، قال : « لأن الرجل غير المؤمن « مقدس » فى المرأة (المؤمنة) ، والمرأة غير المؤمنة « مقدسة » فى الرجل (المؤمن) ، وإلا « فأولادكم » نجسون ، وأما الآن فهم مقدسون » (شرعاً فى الوالدين المقدسين) (١ كو ٧ : ١٤) .

على هذا الأساس ، يقول السيد المسيح نفسه — منتهراً تلاميذه الذين وقفوا حائلا بين الأمهات اللواتى أردن أن يقدمن أولادهن لشخصه المبارك ليباركهم — حيث يقول : « دعوا الأولاد يأتون إلى ولا تمنعوهم ؛ لأن لمثل هؤلاء ملكوت الله ، الحق أقول لكم « من لا يقبل « ملكوت الله » مثل ولد فلن يدخله » فاحتضنهم ووضع يديه عليهم وباركهم » (مر ١٠ : ١٣ — ١٦ اقرأ مت ١٨ : ١ — ٦ و ١٠) ، هكذا اجتاز الأولاد البحر الأحمر مؤمنين بالله — فى آبائهم — معتمدين لموسى — مع آبائهم — « فى السحابة وفى البحر » .

وهل لا نرى ، بوضوح ، فى صفحات الوحى المقدس ، أن إله المجد ، يتعامل مع الأجنة فى البطن ؛ إعلاناً لمقاصده الأزلية ؟ فإنه إذ تزاحم الجنينان فى البطن على « البكورية » ظهر ما تبينته رفقة أمهما ، فى قول الرب لها ، إذ سألته عن سر هـــذا التزاحم ، فإنه ، تعالى اسمه ، أجابها ، قائلا : « فى بطنك أمتان ، ومن أحشائك يفترق شعبان — شعب يقوى على شعب وكبير يستعبد لصغير » (تك ٢٥ : ٢٣ اقرأ ع ١٩ — ٣٤ مع ص ٢٧ قابل ملا ١ : ٢ مع رو ٩ : ١٠ — ١٣ راجع شرح ع ٢٠) .

وماذا نقول عن ما حدث بين « فارص وزارح » إذ جاء وقت خروجهما من البطن ؟ حيث قيل — عن ثامار — « وفى وقت ولادتها ، إذا فى بطنها توأمان ، وكان ، فى ولادتها ، أن أحدهما أخرج يداً ، فأخذت القابلة وربطت على يده قرمزاً ، قائلة : « هذا خرج أولا » (بكراً يتمتع بحق البكورية) ، ولكن ، حين رد يده ، إذا أخوه

قد خرج ، فقالت (القابلة) « لماذا اقتحمت ؟ عليك اقتحام » ، فدعى اسمه فارص (مقتحم) وبعد ذلك خرج أخوه الذى على يده القرمز ، فدعى اسمه زارح » (شروق) (تك ٣٨ : ٢٧ — ٣٠) .

أفهل كانت هذه الحركة ؟ مجرد حركة جنينين فى البطن ؟ أليست ، بالحرى ، هى حركة إلهية ؟ فيها نتبين ، جلياً . كيف يتعامل الله مع الأجنة فى البطن ، إتماماً لمقاصده الأزلية ، بالرغم من تزاحم أولئك المتزاحمين ؟ هذا أمر يظهر جلياً من سلسلة النسب الملكى المتصلة فى ما بين إبراهيم وداود إلى السيد المسيح (مت ١ : ٣ اقرأ ع ١ — ١٦) .

وماذا نقول أخيراً — وليس آخر — عن ذلك الجنين الذى « ارتكض بابتهاج » فى بطن أليصابات أم يوحنا المعمدان ؛ حيث قيل : « فلما سمعت أليصابات سلام مريم ارتكض الجنين (يوحنا وهو فى الشهر السادس) فى بطنها ، وامتلأت أليصابات من الروح القدس » (لو ١ : ٤١ اقرأ ع ٣٩ — ٤٥) .

أليس لنا فى كل هذه العينات الواقعة ، الحقيقية الواضحة ، ما يحقق لنا معاملة الله بروحه الصالح للأجنة فى البطن وللأطفال قبل سن الإدراك الطبيعى ؛ ليدركوا « بالروح القدس » ما لا يدرك ؟ سر عجيب ! هو من الغرابة بمكان عبر عنه « يسوع » حيث تهلل بالروح ، وقال : « أحمدك أيها الآب ! رب السماء والأرض ؛ لأنك أخفيت هذه عن الحكماء والفهماء وأعلنتها « للأطفال » ، نعم أيها الآب ! لأن هكذا صارت المسرة أمامك » (لو ١٠ : ٢١ قابل مت ١١ : ٢٥ و ٢٦) ، فهكذا اجتاز الأولاد فى البحر الأحمر مؤمنين بالله — فى آبائهم — معتمدين لموسى — مع آبائهم — «فى السحابة وفى البحر ، كما فى اليابسة » : —

« الأمر الذى ، لما شرع فيه المصريون ، غرقوا » :

هذا «الأمر» هو « الأمر » الذى فعله شعب الله ، تحت قيادة موسى «بأمر » الرب ، وهو « الأمر » المعبر عنه ، بالقول : « اجتازوا ، فى البحر الأحمر ، كما فى اليابسة » . هذا هو « الأمر » الذى — كما سبق أن رأينا — كتب عنه الرسول بولس للكورنثيين ،

قائلا : « فإنى — لست أريد ، أيها الإخوة ! أن تجهلوا « أن آباءنا جميعهم ، كانوا تحت السحابة ، وجميعهم اجتازوا فى البحر ، وجميعهم اعتمدوا لموسى فى السحابة وفى البحر » (١كو ١٠ : ١ و ٢) ، هذا هو « الأمر الذى » : —

« لما شرع فيه المصريون » :

« المصريون » هم الذين يحدثنا عنهم التاريخ المقدس ، فى هذه المناسبة ، قائلا : « فدخل بنو إسرائيل فى وسط البحر على اليابسة والماء سور لهم عن يمينهم وعن يسارهم ، وتبعهم « المصريون » ودخلوا وراءهم — جميع خيل فرعون ومركباته وفرسانه إلى وسط البحر » (خر ١٤ : ٢٢و٢٣) ، فإنه « لما أخبر ملك مصر أن الشعب (بنى إسرائيل) قد هرب ، تغير قلب فرعون (ملك مصر) وعبيده (المصريين) على الشعب» (بنى إسرائيل) . . . «فشد مركبته وأخذ قومه معه ، وأخذ ست مئة مركبة منتخبة وسائر مركبات مصر وجنوداً مركبية على جميعها » (خر ١٤ : ٥ و ٦) ، هؤلاء هم « المصريون » الذين دخلوا فى البحر مطاردين جميع إسرائيل لردهم إلى «أرض مصر »— « بيت العبودية » (خر ٢٠ : ٢) .

هؤلاء هم « المصريون » الذين « شرعوا » فى اجتياز البحر وراء بنى إسرائيل ، منقادين بالفرعون الذى شرع فى إحباط القضاء الإلهى محمولا بقساوة قلبه ؛ بمقتضى النص القائل : « تغير قلب فرعون وعبيده على الشعب ؛ فقالوا : « ماذا فعلنا ؟ حتى أطلقنا إسرائيل من خدمتنا » ؟ (خر ١٤ : ٥) ، هذا هو العامل الطبيعى الجسدى الذى غير قلبه فندم على إطلاق إسرائيل من خدمته وخدمة شعبه ، هو عامل محبة الذات والكبرياء الذى كان يغير قلبه بعد كل ضربة من الضربات التسع السالفة . فإذ كان يرتعب أمام كل من تلك الضربات ويتذلل ، يعود فيقسى قلبه ويتصلب عنقه فى عناده ويرفض طلب الرب رفضاً باتاً ؛ فلا يسمح بخروج الشعب — عامل طبيعى تحركه محبة الذات وتغذيه كبرياء القلب فيتقسى .

على أن هنالك ، أيضاً — مع هذا العامل الطبيعى — عاملا قضائياً إلهياً هو قضاء العدل العقابى الذى يجريه إله العدل — عقاباً على كل من يقسى قلبه ويصلب عنقه ضد

أوامره العليا ، قضاء عقابي يجريه الله ضد القلب القاسي ، وذلك بتركه إياه في قساوته وصلابته ؛ لذلك يقول الكتاب لفرعون : « إني لهذا بعينه أقمتك ؛ لكي أظهر فيك قوتي ؛ ولكي ينادي باسمي في كل الأرض » — كما قال لموسى : « أشدد قلب فرعون » حتى يسعى وراءهم « فأتمجد بفرعون وكل جيشه . . . فيعرف المصريون أني أنا الرب » (قابل رو ٩ : ١٧ مع خر ٩ : ١٦ و ١٤ : ١٧) .

هكذا تم هذا القصد القضائي ، عقاباً عادلا في تقسية قلب فرعون (رو ٩ : ١٨) حتى تبع « المصريون » جماعة الاسرائيليين ودخلوا وراءهم ، جميع خيل فرعون ومركباته وفرسانه إلى وسط البحر وكان ، في هزيع الصبح ، أن الرب أشرف على عسكر المصريين في عمود النار والسحاب وأزعج المصريين وعطل مسيرتهم ؛ حتى عبر الشعب ومد موسى يده على البحر فعادت المياه إلى مجاريها وأطبقت على فرعون وجيشه ، هكذا حم القضاء وتم القول عن هذا العبور : « الأمر الذي ، لما شرع فيه المصريون » :

« غرقــوا » :

هكذا جاءت الساعة وتم العمل الذي فيه تمجد الرب بفرعون وكل جيشه — بمركباته وفرسانه ؛ حيث قيل : « وكان في هزيع الصبح أن الرب أشرف على عسكر المصريين في عمود النار والسحاب ، وأزعج عسكر المصريين وخلع بكر مركباتهم ؛ حتى ساقوها بثقله . . . فقال الرب لموسى : « مد يدك على البحر ليرجع الماء على المصريين — على مركباتهم وفرسانهم » ، فمد موسى يده على البحر ؛ فرجع البحر ، عند إقبال الصبح إلى حاله الدائمة . . . وغطى مركبات وفرسان جميع جيش فرعون الذي دخل . . . ولم يبق منهم ولا واحد » (اقرأ خر ١٤ : ١٩ — ٣١) ؛ جميعهم « غرقوا » وتم قول الرب عنهم لشعبه « لا تعودون ترونهم ، أيضاً إلى الأبد » (خر ١٤ : ١٣) .

هكذا يتمجد الرب في جميع المعاندين المتصلبين الذين لا يعبأون بأمره ولا يطاوعون أحكامه ؛ كما قال ، عن ذات شعبه : « اسمع يا شعبي ! فأحذرك يا إسرائيل ! إن سمعت لي ! لا يكن فيك إله غريب ، ولا تسجد لإله أجنبي « أنا الرب إلهك الذي

أصعدك من أرض مصر » « من بيت العبودية » — خر ٢٠ : ٢) ، أفغر فاك فأملأه فلم يسمع شعبي لصوتي وإسرائيل لم يرض بي ؛ فسلمتهم إلى قساوة قلوبهم ليسلكو في مؤامرات أنفسهم » (قابل مز ٨١ : ٨ — ١٢ مع خر ٢٠ : ١ — ٦ اقرأ أم ١ : ٢٤ — ٣٣ مع رو ١ : ١٨ — ٣٢) .

فمرأشر القلب القاسي والعنق المتصلب ! الذى قال فيه الحكيم : « الكثير التوبيخ المقسى عنقه — بغتة يكسر ولا شفاء » (أم ٢٩ : ١) ، ولذلك فلنصغ إلى هذا التحذير البولسي : « أفتظن هذا أيها الإنسان ! . . . أنك تنجو من دينونة الله ؟ أم تستهين بغنى لطفه وإمهاله وطول أناته ؟ غير عالم أن لطف الله إنما تقتادك إلى التوبة ؟ ولكنك من أجل قساوتك وقلبك غير التائب ، تذخر لنفسك غضباً فى يوم الغضب واستعلان دينونة الله العادلة ، الذى سيجازى كل واحد حسب أعماله » (رو ٢ : ٣ — ٦ اقرأ ع ١ — ١١) .

انتهينا الآن من الكلام عن بطل الإيمان « موسى » الذى بالإيمان لعب دوره المعهود ، فى تأسيس « ملكوت الله » قديماً ، حيث رأيناه مبتدئاً بترك مصر نهائياً — تمهيداً وفعلا — استعداداً لتأسيس هذا « الملكوت » بعضوية ذلك الشعب الذى أخرجه من أرض مصر ، من بيت العبودية » (خر ٢٠ : ٢) ، فإنه قد تم هذا الأمر بعبور « البحر الأحمر » — « بحر سوف » — الأمر الذى فصل ، نهائياً ، بين « عبودية الفساد » وبين « حرية مجد أولاد الله » (رو ٨ : ٢١) ، بين « سلطان الظلمة » و« ملكوت ابن محبته » (كو ١ : ١٣) .

وما أجمل نشيد ذلك العبور الذى استهله ، بقوله : « أرنم للرب فإنه قد تعظم ، الفرس وراكبه طرحهما فى البحر » (خر ١٥ : ١) ، حيث أجابت مريم أخته مع النساء بدفوف ورقص منشدات بذات القرار (خر ١٥ : ٢١ اقرأ ع ١ — ٢١ مع مز ١١٤ مع رؤ١٥ : ١ — ٤) ، وهكذا قاد موسى الشعب فى البرية أربعين سنة ؛ حيث أعطاهم شريعة الله وناموسه المقدس وقطع معهم العهد الذى أساسه قول الرب نفسه : « فالآن ، إن سمعتم لصوتي وحفظتم عهدى ، تكونون لى خاصة من بين جميع

الشعوب ؛ فإن لى كل الأرض ، وأنتم تكونون لى مملكة كهنة وأمة مقدسة » (اقرأ خر ١٩ : ٥ و ٦ و ٢٤ : ١ — ١١ قابل هو ١ : ١ — ١٠ و ٢ : ٢٣ اقرأ أيضاً ١ بط ٢ : ١ — ١٠) ، وهكذا سار بهم إلى حدود أرض كنعان (اقرأ تث ٣٤) ، وهذا يصل بنا إلى : —

الجزء الرابع : شهود الإيمان فى أرض الموعد (عب ١١ : ٣٠ — ٤٠)

فى هذا الجزء نلمح أربعة بنود : — البند الأول — أبطال الإيمان أمام أريحا (ع ٣٠ و ٣١) ، — البند الثانى — ذكر أبطال وفواعل إيمانهم بالجملة (ع ٣٢ — ٣٥)، البند الثالث — ذكر فواعل الإيمان دون ذكر أشخاص معينين (ع ٣٥ — ٣٨) ، البند الرابع — ختام تمهيدى (ع ٣٩ و ٤٠) .

البند الأول — أبطال الإيمان أمام أريحا (عب ١١ : ٣٠ و ٣١)

٣٠ بِٱلْإِيمَانِ سَقَطَتْ أَسْوَارُ أَرِيحَا بَعْدَ مَا طِيفَ حَوْلَهَا
سَبْعَةَ أَيَّامٍ . ٣١ بِالْإِيمَانِ رَاحَابُ ٱلزَّانِيَةُ لَمْ تَهْلِكْ مَعَ ٱلْعُصَاةِ
إِذْ قَبِلَتِ ٱلْجَاسُوسَيْنِ بِسَلَامٍ .

الآن نحن مع الشعب الإسرائيلى فى أرض كنعان — « أرض الموعد » — تحت قيادة « يشوع بن نون » . فقد انتهت قيادة « موسى » التى قاد فيها الشعب — بعد إخراجهم من أرض مصر — « أربعين سنة » فى البرية ؛ حيث سقطت كل جثث المتذمرين الذين خرجوا من مصر « من ابن عشرين سنة فصاعداً » لعدم إيمانهم بالرب وبمواعيده الصادقة الأمينة (عد ١٤ : ٢٩ اقرأ ص ١٣ و ١٤ مع تث ١ : ٣٤ — ٣٦ قابل مز ٩٥ : ٦ — ١١ راجع شرح ص ٣ : ٧ — ١٩ و ٤ : ١ — ١١) .

هكذا كان «تمرمر» أولئك المتذمرين لدرجة معها «تأذى موسى بسببهم ، لأنهم «أمرّوا روحه » حتى فرط بشفتيه » (مز ١٠٦ . ٣٢ و ٣٣) . فقد تأذى هذا الرجل لدرجة

معها أضاع حلمه المشهور الذى وصفه به الوحى المقدس، قائلا : «وأما الرجل «موسى» فكان حليماً ،جداً، أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض » (عد ١٢ : ٣ اقرأ كل الأصحاح) ، فقد غضب ذلك الرجل « الحليم » على الشعب ، حتى أنه ، فى غضبه ، ضرب الصخرة مرتين ، مخالفاً ، بذلك ، أمر الرب له (عد ٢٠ : ١٢ اقرأ ع ٦ — ١٣ و ٢٧ : ١٢ — ١٤ مع تث ١ : ٣٤ — ٣٧ و ٣ : ٢٣ — ٢٦ و ٣١ : ٢ و ٣٢ : ٤٨ — ٥٢ و ص ٣٤) .

ومع أن « موسى » تضرع ، إلى الرب ، ملحاً من أجل هذا الأمر والرب لم يقبل تضرعه ؛ بل قال له : « كفاك ! لا تعد تكلمنى ، أيضاً ، فى هذا الأمر » (تث ٣ : ٢٦) ، إلا أن قلبه كان ، لا يزال ، نحو الشعب ، فقال للرب : « ليوكل الرب إله أرواح جميع البشر رجلاعلى الجماعة يخرج أمامهم...ويخرجهم ويدخلهم ؛ لكيلا تكون جماعة الرب كالغنم التى لا راعى لها » (عد ٢٧ : ١٦ و ١٧) ، فقد عاد « موسى » إلى حلمه المشهور وإلى قلبه الملآن بالشفقة والرفق على شعب الرب ، منكراً نفسه ومخلياً ذاته من كل أنانة (أنا) وأنانية (صلف وادعاء ومحبة ذات) ، وتم الأمر بيد موسى نفسه الذى أقام يشوع بن نون ؛ بمقتضى التعيين الإلهى الذى أعلن له (اقرأ عد ٢٧ : ١٨ — ٢٣ مع يش ١ : ١ — ٧) .

هكذا انتهت حياة القائد الأول لشعب الرب — حياة هذا المؤسس « لملكوت الرب » على الأرض — بكل ما لهذا الملكوت من وصايا إلهية مستقيمة وشرائع مقدسة وأحكام عادلة مع فرائض ورسوم ومواسم وعبادة كهنوتية وقوانين مدنية .

هكذا انتهت حياته على جبل عباريم — جبل نبو — الذى فى أرض موآب قبالة أريحا وهنالك على رأس الفسجة أسلم روحه وحيداً فى يد الرب الذى دفن جسده هناك فى الجواء مقابل بيت فغور (اقرأ تث ٣٢ : ٤٨ — ٥٢ مع ص ٣٤) . وهل إلى هنـــا انتهت تلك الحياة المليئة بالحوادث العجيبة والآيات السماوية والقيادة الفذة فى تأسيس ملكوت الله على الأرض ؟ — حياة ذلك الخادم الأمين الذى شهد الله نفسه ، عنه ، قائلا : « أما عبدى موسى . . . هو أمين فى كل بيتى » (عد ١٢ : ٧ راجع شرح ٣ : ٢ — ٥) .

يحدثنا البشيرون عن هذا القائد الفذ والخادم الأمين ، يوم ظهوره على « الجبل المقدس » – جبل التجلي – في نفس « أرض الموعد » التي حرم من الدخول إليها مع الشعب في حياته الجسدية ؛ ليحل فيها « بمجد » فائق يفوق كل أمجاد العالم (لو ٩ : ٣١) . وذلك لكي يتحدث مع « رب المجد » الذي تجلى فوق ذلك الجبل بقوة عظمته وفائق مجده وكرامة انتسابه إلى الآب السماوي – « مجد وحيد من الآب » (اقرأ ١٧ : ١ – ٨ مع مر ٩ : ١ – ٨ مع لو ٩ : ٢٨ – ٣٦ مع ٢ بط ١ : ١٦ – ١٨ مع يو ١ : ١٤) .

إذاً قد كان حرمانه من موعد كنعان الأرضية ، بركة لم يكن يدركها ، فلم يكن ذلك إلا لينال مجد الشركة مع إيليا الذي « صعد إلى السماء » حياً مختطفاً « في مركبة من نار وخيل من نار » (٢ مل ٢ : ١١ اقرأ ع ١ – ١٨) .

هذا أمر يوقفنا مندهشين ، متسائلين عن « جسد موسى » الذي مات ودفن في الجواء (تث ٣٤ : ٥ و ٦) ، الذي فيه ظهر بمجد على الجبل مع إيليا الذي صعد حياً إلى السماء ، أفهل كان هذا الظهور العجيب إعلاناً نبوياً تاريخياً لذلك السر الفائق الذي يحدثنا عنه الرسول بولس ، في قوله : « هوذا سر أقوله لكم « لا نرقد كلنا ولكننا كلنا (راقدين وأحياء) نتغير » – في لحظة ، في طرفة عين ، عند البوق الأخير ، فإنه سيبوق ؛ فيقام الأموات (الراقدون) عديمي فساد ونحن (الأحياء) نتغير » (١ كو ١٥ : ٥١ و ٥٢ اقرأ ع ٤٢ – ٥٥ مع إش ٢٥ : ٨ مع هو ١٣ : ١٤ مع رؤ ٧ : ٩ – ١٧ و ٢١ : ٢ – ٨ مع باقي الأصحاح) .

فإن كان « إيليا » قد ظهر بجسده الذي صعد به ممجداً ، فلابد ، بضرورة الحال ، أن يكون « موسى » الذي مات ودفن جسده ، قد قام هو ، أيضاً ، من الأموات بجسد ممجد (انظر في ٣ : ٢٠ و ٢١) ، وذلك بوصف كونه ممثلاً للناموس « لأن الناموس بموسى أعطي » (يو ١ : ١٧) ، لينضم إلى « إيليا » الذي ظهر ممثلاً للأنبياء ، وذلك ليتحدث « الناموس والأنبياء » معاً ، مع موضوع كل كتب العهد القديم – « الرب يسوع » – حديثاً خاصاً « عن خروجه الذي كان عتيداً أن يكمله في أورشليم » (لو ٩ : ٣١) ، عن طريق موته وقيامته وصعوده إلى السماء وجلوسه عن يمين الآب ؛

لتسليم الملك لله الآب ، ليكون الله الكل فى الكل (قابل يو ١٦ : ٢٧ و ٢٨ مع لو ٢٤ : ٤٤ مع ١ كو ١٥ : ٢٠ — ٢٨) .

فلا عجب ! أن يكون « جسد موسى » موضوع مخاصمة ومحاجة بين ميخائيل رئيس الملائكة «القديسين » وبين إبليس رئيس الملائكة — « الأشرار » — « الذين لم يحفظوا رياستهم » (يه ٩ قابل مت ٢٥ : ٣١ مع ٢ بط ٢ : ٤ و ٥ مع يه ٦ مع مز ٧٨ : ٤٩) ، تلك المحاجة التى كان موضوعها « جسد موسى » .

فقد كان لجسد هذا القائد العظيم شأناً كبيراً فى تاريخ ملكوت الله نراه فى ثلاث مناسبات يمكن أن نرى فيها تلك المحاجة بين السماء والجحيم : —

أما المناسبة الأولى :

فإننا نرى فيها « جسد موسى » طفلا معرضاً للهلاك موضوعاً فى « سفط من البردى » بين الحلفاء على حافة نهر النيل وكأنه على حافة الموت ؛ حيث يمكننا أن نتمثل فى تلك الساعة الرهيبة ، تلك المحاجة بين « ميخائيل » رئيس الملائكة وبين « إبليس » على هذا الجسد ، فإما أن يتم أمر الفرعون بإلقائه فى النهر فلا يبقى له أثر وقد كان هذا الأمر ، ولابد ، هو الذى يعمل إبليس للوصول إليه ، ولكن رئيس الملائكة القديسين قد فاز فى محاجته لهذا العدو اللدود بانتشال هذا الجسد ليتربى فى بيت الفرعون أربعين سنة فى عناية بنت فرعون بالذات (اقرأ خر ٢ : ١ — ١٠) .

أما المناسبة الثانية :

فقد كانت و« جسد موسى » فى سن الأربعين حين طلب الفرعون ، ملك مصر ، أن يقتله ، وهنا ، لابد ، أن تكون المخاصمة والمحاجة قد تجددت ؛ ففاز رئيس الملائكة القديسين محافظاً على حياة موسى بهروبه إلى أرض مديان ؛ حيث بقى أربعين سنة أخرى يعد ، برعاية الغنم ، للعمل العظيم الذى أعد له للقيام به فى رعاية شعب الرب أربعين سنة أخرى (اقرأ خر ٢ : ١١ — ٢٥) .

أما المناسبة الثالثة والأخير :

فقد كانت بعد أربعين سنة ثالثة حين انتهت خدمة موسى التى أعد لها ، لإخراج الشعب من مصر ورعايته فى البرية إلى حدود أرض الموعد؛ حيث دعاه الرب نفسه إلى « جبل نبو » ليموت هناك بين يديه ويدفنه بنفسه بحيث لا يعلم أحد أين قبره ، ولعل أمام هذا القبر ، جرت الخصومة والمحاجة ، أيضاً ، بين « ميخائيل » رئيس الملائكة و « إبليس » بشأن « جسد موسى » ، ولا يبعد أن تكون نتيجة هذه المحاجة إقامة موسى من الأموات بجسد ممجد الشأن إعداداً له للظهور الذى سبق أن تكلمنا عنه فوق الجبل المقدس مع إيليا (راجع الشرح) ، إلى هنا ينتهى بنا المطاف للانتقال من موسى عند حدود أرض الموعد إلى : —

« يشوع بن نون » :

هو من سبط « أفرايم » (١ أى ٧ : ٢٧ اقرأ ع ٢٠ — ٢٧) . وهو السبط الذى امتاز « بكراً » فى إسرائيل باعتبار أنه اختص بالبكورية بين الأسباط الاثنى عشر عن طريق أبيه « يوسف » الذى كانت له البكورية (١أى ٥ : ١و٢ اقرأ تك ٤٨ : ١ — ١٦) ، ولعل هذا التاريخ المقدس قد أوحى إلى موسى ؛ بإرشاد الرب ، ولابد ؛ لأن يختار من سبط البكورية « هوشع بن نون » الذى غير اسمه إلى « يشوع » (انظر عد ١٣ : ٨ و ١٦) .

أما اسم « يشوع » فى العبرية فهو ذات اسم « يسوع » (إيسوس) فى اليونانية ومعناه « مخلص » . وهو ذلك الإسم الممتاز الذى خلعه « ملاك الرب » على الجنين وهو ، فى بطن أمه . وذلك حين ظهر ليوسف « رجل مريم التى ولد منها المسيح » وقال له : « يا يوسف ابن داود ! لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك ؛ لأن الذى حبل به فيها هو من « الروح القدس » ؛ فستلد ابناً وتدعو اسمه « يسوع » (مخلص) لأنه « يخلص » شعبه من خطاياهم (مت ١ : ٢٠ و٢١ اقرأ ع ١٦ و ١٨ — ٢٥ مع لو ٢ : ١١ اقرأ ع ١ — ١١) .

فلابد إذاً إزاء هذا التاريخ المقدس — أن « موسى » بإرشاد روح الرب ، يختار « يشوع بن نون » — من سبط أفرايم — خادماً ملازماً شخصياً له فى كل تحركاته فوق جبل سيناء ؛ حيث كان يتقبل الشريعة من الرب ؛ كما يظهر من النصوص الكتابية الصريحة (اقرأ خر ١٧ : ٨ — ١٦ و ٢٤ : ١٣ و ٣٢ : ١٧ و ٣٣ : ١١) ، وقد بقيت هذه الملازمة إلى اليوم الذى فيه أقام « رب الجلالة » هذا الخادم الملازم ليكون قائداً أعلى للشعب ، بعد موسى ليعبر بهم الأردن ويريحهم فى أرض الموعد (اقرأ عد ٢٧ : ١٥ — ٢٣ مع يش ١ : ١ — ٩ اقرأ كل سفر يشوع راجع شرح ص ٤ : ٨ مع ع ١ — ١١) :

هكذا تسلم « يشوع » أمر قيادة الشعب ، وذلك بمقتضى التعيين الإلهى ، وهكذا بقيادة الرب نفسه ، عن طريق « تابوت العهد » الذى كان يسير أمام بنى إسرائيل ؛ ليعد لهم الطريق — عبر الشعب ، بقيادة يشوع ، نهر الأردن — من ضفته الشرقية إلى الغربية — إلى « الجلجال » .

هذا « الجلجال » كان هو أول مكان حل فيه الشعب ، بعد عبور الأردن ، أما معنى « الجلجال » فواضح من قول الرب ليشوع « اليوم قد دحرجت عنكم عار مصر ؛ فدعى اسم ذلك المكان « الجلجال » إلى هذا اليوم » (يش ٥ : ٩ اقرأ ص ٤ : ١٩ — ٥ : ٩) ، و « الجلجال » عربياً له معنى الحركة فيقال جلجل الشىء أى حركه بيده ، وذلك ينطبق على القول : « دحرجت عنكم عار مصر » أى حركته فتدحرج وزال ، وعلى هذا القياس يمكن أن نقرأ هذه الآية ، هكذا « اليوم جلجلت عنكم عار مصر » .

وقد تمت هذه الجلجلة عن طريق إجراء عملية الختان لجميع ذكور الشعب — الذين ولدوا فى « القفر » فى مدة تيه الأربعين سنة ؛ وذلك بوصف كون « الختان » علامة العهد الذى قطعه الرب مع « إبراهيم » أبيهم ، قائلا : « هذا هو عهدى الذى تحفظونه بينى وبينكم ، وبين نسلك من بعدك ، يختن منكم كل ذكر ؛ فتختتنون فى لحم غرلتكم ، فيكون علامة عهد بينى وبينكم » (تك ١٧ : ٩ — ١٤ و ٢٣ — ٢٧ اقرأ كل الأصحاح

مع ص ٢١ : ١ — ٨) هكذا أتم الله وعده لأبيهم إبراهيم الذى وعده به وهو فى « أرض كنعان » عند « بلوطات ممرا الأمورى » ، وذلك بانتهاء عبودية مصر ودخول أرض كنعان (اقرأ تك ١٢ : ١ — ٦ أو ١٤ : ١٣ و ١٥ : ٣ — ١٤) ، ها نحن الآن فى « أرض الموعد » مع أبطال الإيمان ؛ حيث نقرأ القول :

(ع ٣٠) « بالإيمان سقطت أسوار أريحا » :

قول غريب وإجراء عجيب ! أسوار حصينة تسقط — لا بقوة المدافع ، ولا بصولة القنابل ، ولا بأية آلة أخرى من الآلات النووية المدمرة ، ولا بهجمات جيش مسلح بكل أنواع الأسلحة الفتاكة — بل « بالإيمان » ، وهو سر فائق سماوى لا يدرك ، ولكننا نستطيع أن نكتشفه فى التاريخ المقدس ؛ حيث نقرأ القول : —

« وحدث — لما كان يشوع عند « أريحا » — أنه رفع عينيه ونظر وإذا برجل واقف قبالته وسيفه مسلول بيده » (يش ٥ : ١٣). فقد كانت هذه الرؤية ، ولابد ، ويشوع مع الشعب فى « الجلجال » بعد جلجلة العار — عار مصر — وتجديد العهد مع الله ؛ سبقت الإشارة (اقرأ يش ٥ : ٢ — ١٣) .

فسار يشوع إلى ذلك الرجل الواقف قبالة « أريحا » وسأله ، قائلا : « **هل لنا أنت أو لأعدائنا** » ؟ سؤال يظهر ما لهذا القائد الأعلى من سهر على مصلحة شعبه ومن بطولة للقيام بهذه المصلحة واستعداد لإتمامها بكل شجاعة وحرص ، أما ذلك الرجل ، الواقف قبالته عند أريحا ؛ فقد أجاب على هذا السؤال بصراحة ، قائلا : « كلا » (اقرأ يش ٥ : ١٣ — ١٥) .

وماذا نستطيع أن نفهم من هذه الكلمة « كلا » ؟ إنها جواب لسؤال « هل لنا أنت أو لأعدائنا » ؟ كما لو أنه يقول : «لست هذا ولا ذاك» — لا لكم ولا لأعدائكم — لست بشراً — لا إسرائيلياً ولا كنعانياً — لا صديقاً ولا عدواً ، إذاً ماذا ؟ .

بل « أنا رئيس جند الرب » :

هذا هو ذات الملاك الذى سبق أن قيل عنه لموسى وللشعب : « ها أنا مرسل « ملاكاً » أمام وجهك ليحفظك فى الطريق ؛ وليجىء بك إلى المكان الذى أعددته » (خر ٢٣ : ٢٠) .

هذا هو — « رئيس جند الرب » — هو ذات « ملاك الرب » الذى ظهر لموسى فى لهيب نار عليقة ، مقدساً « جبل سيناء » ليكون موضعاً خاصاً لعبادة الرب عند إتيان الشعب من مصر إليه ؛ حيث قال له : « إنى أكون معك وهذه تكون لك العلامة أنى أرسلتك — « حينما تخرج الشعب من مصر ، تعبدون الله على هذا الجبل » (خر ٣ : ١٢) ، هكذا صارت برية سيناء مقدساً للرب فيه يقدم شعبه عبادة مقدسة لجلاله ، كمقدسين له ، وذلك بمقتضى شريعته التى أعطيت فى ذلك الجبل .

هذا هو « رب الجنود » — يهوه صباؤوت » (إش ٦ : ١ — ٥) ، هذا هو « ملاك العهد » (ملا ٣ : ١ — ٣) ، هذا هو « المتكلم بالبر ، العظيم للخلاص » الذى رآه الرائى إشعياء آتياً من أدوم « بثياب حمر » البهى بملابسه ، المتعظم بكثرة قوته » (اقرأ إش ٦٣ : ١ — ٦) ، وهو الذى رآه الرائى حزقيال «شبهاً كمنظر إنسان» (اقرأ حز ١ : ٢٦ — ٢٨ مع رؤ ١٤ : ١٤ — ٢٠ و ١٩ : ١١ — ٢١) ، هذا هو الذى قال ليشوع « أنا رئيس جند الرب » :—

« الآن أتيت » :

ولهذا الإتيان معان ، لها أهميتها العظمى وتقديرها الفائق — ليس لنا من الوقت متسع للبحث فيه لكشف كنوزه وجواهره — فنكتفى بالعلم أنه « رئيس جند الرب » : وقد أتى « الآن » إلى « الجلجال » بعد دحرجة العار عن شعبه ؛ ليكون على رأس ذلك الشعب ، قائداً أعلى ؛ لإتمام مواعيده لإبراهيم وتوريث أرض كنعان (اقرأ تك ١٥ : ١٢ — ٢١) ، وها هو الآن واقف قبالة : —

« أريحـــا » :

تدعى « أريحا » أيضاً « مدينة النخل » (قابل تث ٣٤ : ٣ مع قض ١ : ١٦ و٣ :١٣مع ٢ أى ٢٨ :١٥) . ولعلها دعيت هكذا لكثرة النخل فيها ، وهى واقعة على الضفة الغربية من الأردن مقابل شطيم على الضفة الشرقية — التى منها (من شطيم) أرسل يشوع جاسوسين ليتجسسا الأرض وأريحا (يش ٢ : ١) ، ومقابل جبل عباريم الذى هو ، أيضاً ، على الضفة الشرقية الذى عنه ، قال الرب لموسى : « اصعد إلى جبل عباريم هذا — جبل نبو — الذى فى أرض موآب الذى قبالة « أريحا » وانظر « أرض كنعان » التى أنا أعطيها لبنى إسرائيل ملكاً ، ومت فى الجبل الذى تصعد إليه وانضم إلى قومك ؛ كما مات هرون أخوك فى جبل هور وضم إلى قومه » (تث ٣٢ : ٤٨ — ٥٠ اقرأ ص ٣٤ مع عد ٢٠ : ٢٢ — ٢٩ قابل عد ٢٢ : ١ و٣٣ : ٤٨ — ٥٠) .

من هذه الشواهد التى ذكرت وبخاصة من التعبير عن « أريحا » فى القول « أردن أريحا » ندرك أن الشعب عبر الأردن مقابل تلك المدينة ؛ فكانت هى (أريحا) أول مدينة تقابله وأول مدينة كان عليه أن يفتتحها ويمتلكها فى أرض الموعد . فإذ عبر الشعب الأردن إلى الجلجال ؛ كما سبقت الإشارة ، وجد نفسه وجهاً لوجه أمام « أريحا » ، وقد كانت مدينة محصنة بأسوار قوية وأبواب وعوارض حديدية « وكانت مغلقة مقفلة بسبب بنى إسرائيل ، لا أحد يخرج ولا أحد يدخل » (يش ٦ : ١) .

فلا بد ، أن أصحاب الأمر فيها ، إذ رأوا تلك الطريقة العجيبة الفائقة الطبيعة ، التى ، بها عبر شعب إسرائيل الأردن ، عملوا كل ما يمكنهم لتحصين مدينتهم ضد تلك القوات الفائقة ، ولكن ! أية حصون ، تستطيع أن تقف أمام قوات هربت من أمامها المياه وانشق الأردن ولم يقو فيضانه على أن يقف فى طريقهم ؟ ألم يدر أولو الأمر أنه لا يمكن أن تقف أية حصون أمام قوة فائقة الطبيعة ؟ إنهم ، ولو عرفوا ، يشعرون بمسئولية المحافظة على أنفسهم وعمل كل ما يمكنهم تحت تلك المسئولية شأن كل بشر ، ولكن ، بالرغم من كل تلك التحفظات والتحصينات : —

« سقطت أسوار » : « أريحـا » :

تلك الأسوار الحصينة ذابت ، وتلك الأبواب والعوارض الحديدية تفتتت ، سر عجيب ! وبخاصة إذا رجعنا إلى « الكلمة النبوية » لنرى تلك القوة الفائقة الطبيعة التي أسقطت تلك الأسوار وكسرت كل العوارض ، وما أعجب ما تنبئنا به تلك الكلمة ! التي ترينا الخطة العجيبة فى أعمال الرب ، التي لا تدرك ، كما رسمها « رئيس جند الرب » لإسقاط تلك الأسوار المحصنة ، وهى خطة رسمت ، فى القول الإلهى ليشوع : « قد دفعت بيدك أريحا وملكها جبابرة البأس ، تدورون دائرة المدينة — جميع رجال الحرب — حول المدينة مرة واحدة ، هكذا تفعلون ستة أيام ، وسبعة كهنة يحملون أبواق الهتاف السبعة أمام التابوت ، وفى اليوم السابع تدورون دائرة المدينة سبع مرات والكهنة يضربون بالأبواق ، ويكون عند امتداد صوت قرن الهتاف ، عند استماعكم صوت البوق ، أن جميع الشعب يهتف هتافاً عظيماً ؛ فيسقط سور المدينة ، فى مكانه » (يش ٦ : ٢ — ٥) .

وأية علاقة بين هذه الخطة وسقوط الأسوار — بين الدوران حول المدينة والهتاف وبين سقوط أسوارها ؟ هذا يوقفنا أمام تساؤل البعض بشأن أعمال الله العجيبة ؛ كما تساءل موسى لدى الرب ، قائلا : « ست مئة ألف ماش . . . وأنت قد قلت « أعطيهم لحماً ؛ ليأكلوا شهراً من الزمان» ، أيذبح لهم غنم وبقر ليكفيهم ؟ أم يجمع لهم كل سمك البحر ليكفيهم ؟ فقال الرب لموسى : « هل تقصر يد الرب ؟ الآن ترى أيوافيك كلامى أم لا » (عد ١١ : ٢١ — ٢٣) .

وكتساؤل نعمان السريانى الأبرص عن رسالة أليشع إليه ، قائلا : « اذهب واغتسل سبع مرات فى الأردن؛ فيرجع لحمك إليك وتطهر » فغضب نعمان ومضى وقال: «أليس أبانة وفرفر — نهر دمشق — أحسن من جميع مياه إسرائيل ؟ أما كنت أغتسل بهما فأطهر » ؟ (اقرأ ٢ مل ٥ : ٨ — ١٨) . وكما اعترضت مرثا ، عندما قال السيد : « ارفعوا الحجر » (عن قبر لعازر أخيها) حيث قالت « يا سيد قد أنتن ؛ لأن له أربعة أيام » (يو ١١ : ٣٩) ؟

بالرغم من أى تساؤل ، لابد أن يتم ما أعده الله وقضى به ، فى قصده الأزلى ؛ فكما وافى كلام الله موسى « أهاج شرقية السماء ، وساق ، بقوته ، جنوبية ، وأمطر عليهم لحماً مثل التراب وكرمل البحر طيوراً ذوات أجنحة وأسقطها فى وسط محلتهم حوالى مساكنهم ؛ فأكلوا وشبعوا جداً وأتاهم بشهوتهم » (مز ٧٨ : ٢٦ — ٢٩ اقرأ عد ١١ : ٣٠ — ٣٤) .

وكما تم لنعمان السريانى ما أوصاه به أليشع ؛ حيث « نزل وغطس فى الأردن سبع مرات حسب قول رجل الله ؛ فرجع لحمه كلحم صبى صغير وطهر » (٢ مل ٥ : ١٤) ، هكذا تم ، عند رفع الحجر عن قبر لعازر ، أن سمع الميت صوت ابن الله ، قائلا : «لعازر ! هلم خارجاً » فخرج (يو ١١ : ٤٣ و ٤٤) ، وكل ذلك يعزى إلى « الإيمان » المعبر عنه ، فى قول يسوع لمرثا : « ألم أقل لك إن آمنت ترين مجد الله » ؟ (يو ١١ : ٤٠ قابل ع ٤ مع ٢٥ و ٢٦) . بهذا المعنى ، يقول الرسول بولس « بالإيمان سقطت أسوار أريحا » : —

« بعد ما طيف حولها سبعة أيام » :

هذا تعبير يرينا « الإيمان » مرسوماً بصورة بارزة ومكتوباً بأحرف من نار مبيناً فى فضيلة الطاعة بحسب الخطة التى سبق الرب فرسمها ؛ كما رأينا (راجع يش ٦ : ٢ — ٥) ، حيث نتبين أنه ، فى الدورة السابعة ، فى اليوم السابع ، تمت الطاعة وهتف الشعب ؛ فسقط السور فى مكانه : وهل نرى ذات الصورة للطاعة الكاملة لنعمان السريانى فى القول « نزل وغطس فى الأردن سبع مرات ، بحسب قول رجل الله ؛ فرجع لحمه كلحم صبى صغير وطهر » ؟ (٢ مل ٥ : ١٤) .

هكذا تم الإيمان فى الطاعة الكاملة وفى كمال الطاعة بالإيمان ، وهذا هو الحق المعلن فى التعليم الصحيح مبيناً ، فى قول الرسول فى موضع آخر ؛ حيث قال : « إذ أسلحة محاربتنا ليست جسدية ؛ بل قادرة « بالله » على هدم حصون ، هادمين ظنوناً وكل علو يرتفع ضد معرفة الله ، ومستأسرين كل فكر إلى طاعة المسيح ؛ ومستعدين لأن ننتقم على كل عصيان متى «كملت» طاعتكم » (٢ كو ١٠ : ٤—٦) ، وهو عين

ما توضح جلياً إلى « زربابل » — قائد الرجوع من "السبي" وذلك فى مناسبة بناء بيت الرب — حيث قال : « لا بالقدرة ولا بالقوة ؛ بل بروحى قال رب الجنود » من أنت أيها الجبل العظيم ، أمام زربابل تصير سهلا ؛ فيخرج حجر الزاوية بين الهاتفين « كرامة » كرامة له » (زك ٤ : ٦ و ٧) .

هذا « الإيمان » ، البارز فى الطاعة الكاملة ، هو ذلك « الإيمان » الذى سبق أن تمثل أمامنا بارزاً ، عند المقابلة ، بين قائد الشعب « يشوع » المقاد بروح الله والمقام من الله ، وبين القائد الأعلى « رئيس جند الرب » ، معبراً عنه فى تسليم يشوع كل القيادة فى يد ذلك القائد الأعلى بالإيمان والطاعة ؛ حيث سقط يشوع على وجهه إلى الأرض وسجد (عند قدميه) وقال له : « بماذا يكلم سيدى عبده » ؟ فقال رئيس جند الرب ليشوع : « اخلع نعلك من رجلك (بكل احترام) لأن المكان الذى أنت واقف عليه هو مقدس » . ففعل يشوع كذلك » (يش ٥ : ١٤ و ١٥ اقرأ ع ١٣ — ١٥) .

وهل ، فى هذا الموقف الرهيب ، نترسم المقابلة بين « يشوع » (قائد الشعب) وبين « يسوع » (رئيس جند الرب) ؟ هل نترسم تلك الصورة ، فى ضوء ما قاله الرسول سابقاً ، « لو كان يشوع قد أراحهم ؛ لما تكلم بعد ذلك (مرنم إسرائيل الحلو — ٢ صم ٢٣ : ١) عن « يوم آخر » حيث قال : « هلم نسجد ونركع ونجثو أمام الرب خالقنا ؛ لأنه هو إلهنا ونحن شعب مرعاه وغنم يده . « اليوم » (هذا هو اليوم الآخر المشار إليه) — « اليوم » إن سمعتم صوته ، فلا تقسوا قلوبكم ؛ كما فى « مريبة » مثل يوم مسه ، فى البرية ؛ حيث جربنى آباؤكم ، اختبرونى ، أبصروا ، أيضاً ، فعلى ، أربعين سنة مقت ذلك الجيل ، وقلت « هم شعب ضال قلبهم ، وهم لم يعرفوا سبلى » ، فأقسمت فى غضبى لا يدخلون راحتى » (مز ٩٥ : ٦ — ١١) .

متخذاً من هذا القول النبوى دليلا على أمرين ، أولها — أن يشوع لم يرح الشعب ، ومعنى ذلك أن « أرض الموعد » التى أدخلهم « يشوع » إليها لم تكن هى أرض الراحة المعهودة أما الأمر الثانى — فهو أنه « بقيت راحة لشعب الله » يدخلهم إليها ، لا « يشوع » بل « يسوع » الذى قيل عنه ليوسف رجل مريم المخطوبة له وهى عذراء ،

لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك ؛ لأن الذى حبل به فيها هو من الروح القدس ؛ فستلد ابناً وتدعو اسمه « يسوع » لأنه « يخلص » شعبه من خطاياهم » (مت ١ : ٢٠ و ٢١ مع لو ٢ : ١ — ١١) .

هذا هو « يسوع » — « المخلص » — « المسيح الرب » — (لو ٢ : ٩ — ١١ مع إش ٩ : ٦ و ٧ مع مى ٥ : ١ — ٥ مع مت ٢ : ١ — ١١ مع لو ١ : ٢٦ — ٣٣) الذى دخل إلى راحته بعدما أكمل عمل الخلاص العجيب ليعد راحة الأبد لأبناء المجد ، كرئيس خلاصهم الأبدى (راجع شرح ص ٤ : ٧ — ١٠ مع ٢ : ١٠ و٥ :٨ — ١٠).

هذا هو « رئيس جند الرب » — « يسوع » — رئيس خلاص أبناء المجد ، الذى قال فى دعوته المباركة : « تعالوا إلى يا جميع المتعبين والثقيلى الأحمال « وأنا أريحكم » . احملوا نيرى عليكم وتعلموا منى ؛ لأنى وديع ومتواضع القلب ؛ فتجدوا « راحة» لنفوسكم ؛ لأن نيرى هين وحملى خفيف » (مت ١١ : ٢٨—٣٠) . فلنترنم هاتفين : « شكراً لله » الذى يقودنا فى موكب نصرته ، فى « المسيح » كل حين ، ويظهر بنا رائحة معرفته ، فى كل مكان ؛ لأننا رائحة المسيح الذكية لله ، فى الذين يخلصون وفى الذين يهلكون ، لهؤلاء رائحة موت لموت ولأولئك رائحة حياة لحياة ، ومن هو كفؤ لهذه الأمور » (٢كو ٢ : ١٤ — ١٧) ، هذا كله يدخل بنا إلى « أريحا » — « مدينة النخل » — حيث نسمع القول : —

(٣١) « بالإيمان راحاب الزانية » :

نلتقى بهذا الاسم « راحاب الزانية » لأول مرة فى التاريخ النبوى يوم أرسل « يشوع بن نون » من شطيم رجلين جاسوسين سراً ، فذهبا ودخلا بيت امرأة زانية اسمها «راحاب» (يش ٢ : ١ اقرأ كل الأصحاح)— الأمر الذى يدل على أنها امرأة كنعانية من سكان الأرض التى وعد بها شعب إسرائيل وبالتالى هى امرأة أممية — أى من الأمم الذين وصفهم الرسول بولس — فى كلامه عن « الإله الحى الذى خلق السماء والأرض والبحر وكل ما فيها » قائلا عنه : «الذى ، فى الأجيال الماضية ، ترك جميع « الأمم » يسلكون فى طرقهم ؛ مع أنه لم يترك نفسه بلا شاهد » (أع ١٤ : ١٥

و ١٧) ، على أن هذا الترك لم يكن ليمنع اختيار بعض الأفراد « المعينين للحياة الأبدية » (أع ١٣ : ٤٨) فى قصد الله الأزلى ، ومن هؤلاء الأفراد هذه المرأة : —

« راحـــاب » :

هذا الاسم « راحاب » يشير فى معناه إلى الرحب والسعة ؛ كما يدل عليه لفظة «راحاب » فيقال فلان رحب الصدر ، أى طويل الأناة ورحب الفهم أى متسع العقل ، ولعل تسميتها « راحاب » كان نبوة بما لها من اتساع قلب ورحبة صدر ظهرا فى ما عملته مع الجاسوسين ، وهو العمل الذى أدى إلى دخولها فى سلسلة نسب السيد المسيح الملكى ؛ كما هو واضح من القول : « وسلمون ولد بوعز من راحاب » متصلة بإبراهيم وداود وبيسوع المسيح نفسه (انظر مت ١ : ١ و ٥ و ٦ و ١٦ اقرأ ع ١ — ١٦) .

ذكر هذه المرأة الأممية الكنعانية « راحاب » يعطينا فكرة مباركة عن بعض أفراد من الأمم الذين وردت أسماؤهم فى العهدين ،ومنهم أرملة صرفةصيدا التى أرسل الرب إليها « إيليا » فى زمن الجوع ، قائلا له : « قم اذهب إلى صرفة التى لصيدون ، وأقم هناك ، هوذا قد أمرت هناك امرأة أرملة أن تعولك » وقد أشار إليها السيد المسيح ، وذلك بوصف كونها أرملة أممية تفضلت على جميع الأرامل فى إسرائيل ؛ حيث قال لأهل الناصرة : « بالحق أقول لكم : « إن أرامل كثيرة كن فى إسرائيل ، فى أيام « إيليا » حين أغلقت السماء مدة ثلاث سنين وستة أشهر ؛ لما كان جوع عظيم فى الأرض كلها ، ولم يرسل إيليا إلى واحدة منها ؛ إلا إلى امرأة أرملة ، إلى صرفة صيداء » (لو ٤ : ٢٥ و ٢٦ اقرأ ١ مل ١٧ : ٨ — ٢٤ قابل يع ٥ : ١٧ و ١٨) .

ومن أولئك الأمم « نعمان السريانى » الذى أشار إليه السيد المسيح فى هذه المناسبة ، قائلا : « وبرص كثيرون كانوا فى إسرائيل ، فى زمان « أليشع » النبى ، ولم يطهر واحد منهم إلا نعمان السريانى » — الأرامى (لو ٤ : ٢٧ اقرأ ٢ مل ص ٥) .

وهل ننسى المرأة الكنعانية ، فى تخوم صور وصيداء ؟ وهى تطالب السيد المسيح بإلحاح لشفاء ابنتها ؟ حيث قال لها : « يا امرأة ! عظيم إيمانك ، ليكن لك كما تريدين » فشفيت ابنتها من تلك الساعة (مت ١٥ : ٢٨ اقرأ ع ٢١ — ٢٨) ، بذات الوصف

وبتعبير أسمى يقول السيد المسيح عن قائد مئة رومانى : « لم أجد ، ولا فى إسرائيل ، إيماناً بمقدار هذا » (مت ٨ : ١٠) ، معقباً على هذه الشهادة ، بالقول : « إن كثيرين سيأتون من المشارق والمغارب ويتكئون مع إبراهيم وإسحق ويعقوب فى ملكوت السموات » (مت ٨ : ١١ اقرأ ع ٥ — ١٣ مع لو ٧ : ١ — ١٠) .

وما أجمل شهادة قائد المئة الأممى ، عند الصليب ! الذى ، لما رأى يسوع صرخ هكذا وأسلم الروح ، قال : « حقاً كان هذا الإنسان ابن الله » (قابل مت ٢٧ : ٥٤ مع مر ١٥ : ٣٩ مع لو ٢٣ : ٤٧) ، وهل ننسى « راعوث » الموآبية التى اتخذت إله إسرائيل إلهاً لها ، قائلة لحماتها : « لا تلحى على أن أتركك وأرجع عنك ؛ لأنه ، حيثما ذهبت أذهب ، وحيثما بت أبيت ، شعبك شعبي وإلهك إلهى ، حيثما مت أموت وهناك أندفن ، هكذا يفعل الرب بى وهكذا يزيد ، إنما الموت يفصل بينى وبينك » (را ١ : ١٦ و ١٧ اقرأ كل الأصحاح) .

فلا عجب أن تدخل هذه المرأة الموآبية « راعوث » مع المرأة الكنعانية « راحاب » جنباً إلى جنب فى سلسلة النسب الملكى التى للسيد المسيح — جدة « لداود الملك » ! حيث قيل : « وبوعز ولد عوبيد ، وعوبيد ولد يسى ، ويسى ولد داود الملك » (مت ١ : ٥ و ٦ اقرأ ع ١ — ١٦ مع را ٤ : ٢١ و ٢٢) ، وقد أصبح تاريخها كتاباً كاملا من « الكتب المقدسة » هو سفر راعوث (اقرأ كل السفر) .

هذه عينات ، من الأمم ، الذين أعلن الوحى المقدس أمر اختيارهم فى « الأجيال » التى فيها « الإله الحى . . . ترك جميع « الأمم » يسلكون فى طرقهم ؛ مع أنه لم يترك نفسه بلا شاهد » (أع ١٤ : ١٦ و ١٧) . فكم بالحرى « الآن » الذى تحدث عنه الرسول بولس ، قائلا : « فالله « الآن » يأمر جميع الناس ، فى كل مكان ، أن يتوبوا متغاضياً عن « أزمنة الجهل » لأنه أقام « يوماً » هو ، فيه ، مزمع أن يدين المسكونة بالعدل ؛ برجل قد عينه ، مقدماً للجميع « إيماناً » إذ أقامه من الأموات » (أع ١٧ : ٣٠ و ٣١ اقرأ ع ٢٢ — ٣١) .

هذا سر عجيب جداً هو « سر المسيح » — الذى ، فى أجيال أخر ، لم يعرف به بنو البشر ؛ كما قد أعلن « الآن » لرسله القديسين وأنبيائه بالروح » ، هذا هو « سر المسيح » وصيغته ، كما أوضحها ذات الرسول ، فى قوله : « أن الأمم شركاء فى الميراث والجسد ، ونوال موعده ، فى المسيح بالإنجيل » (اقرأ أف ٣ : ١ — ٨ مع كو ١ : ٢٦ و ٢٧ مع أع ص ١٠ وص ١١ : ١ — ١٨) ، هكذا تم قصد الله فى هذه المرأة الكنعانية الأممية « راحاب » لذلك يقول الرسول « بالإيمان راحاب » : —

« الزانيـــة » :

هذا الوصف « الزانية » لصق بهذه المرأة «راحاب » ، يذكر معها ؛ حيث ذكر اسمها ، فعندما أرسل«يشوع » رجلين جاسوسين ، سراً ؛ لينظرا أرض كنعان وأريحا قيل « فذهبا (الرجلان) ودخلا بيت امرأة زانية اسمها راحاب » (يش ٢ : ١) ، ولما سقطت أسوار « أريحا » قال يشوع للرجلين : « ادخلا بيت المرأة « الزانية » وأخرجا ، من هناك ، المرأة وكل مالها » (يش ٦ : ٢٢ و ٢٣) . هكذا يكتب « يعقوب » فى رسالته ، فى هذا الصدد ، قائلا : « كذلك راحاب « الزانية » أيضاً ، أما تبررت بالأعمال ؛ إذ قبلت الرسل وأخرجتهم فى طريق آخر » (يع ٢ : ٢٥ اقرأ يش ٢ : ١ — ٢٢) .

وها نحن ، الآن ، فى هذه الرسالة ، أمام الرسول بولس ؛ حيث نسمعه يقول : « راحاب الزانية » ، وهو وصف ، فى تعبيره ، يبين لنا هذه المرأة « راحاب » ولها بيت عمومى ، له شهرته من هذه الناحية .

هذه المرأة « الزانية » فى هذه المناسبة ، تذكرنا بما حدث فى بيت واحد من الفريسيين ، فى إحدى مدن الجليل ؛ حيث دعى السيد المسيح ليأكل مع ذلك الفريسى فدخل بيته واتكأ ، وإذا امرأة فى المدينة كانت خاطئة ؛ جاءت بقارورة طيب ، ووقفت عند قدميه ، من ورائه ، باكية ، وابتدأت تبل قدميه بالدموع ، وكانت تمسحهما بشعر رأسها وتقبل قدميه وتدهنهما بالطيب ، ولعلها كانت امرأة لها شهرة شائنة وصيت ردىء لخطيئة معروفة ، ولكن ما أجمل تلك الكلمات التى وقعت على أذنيها

وقلبها ! سلاماً واطمئناناً وراحة قلب وفرحاً ! كلمات السيد ، فى قوله لها : « إيمانك قد خلصك ، اذهبى بسلام » (لو ٧ : ٥٠ اقرأ ع ٣٦ — ٥٠) .

وما أرق قلبه ! فى موقفه إزاء امرأة أخرى ، تقدم بها إليه الكتبة والفريسيون ، قائلين : « هذه المرأة أمسكت ، وهى تزنى فى ذات الفعل ، وموسى ، فى الناموس ، أوصانا « أن مثل هذه ترجم » ثم سألوه ، ليجربوه ، قائلين : « فماذا تقول أنت » ؟ (يو ٨ : ٤ و ٥) ، أما هو ، فلابد ، أنه علم قصدهم وسوء نيتهم ، فانحنى رأسه وكان يكتب بأصبعه على الأرض ؛ كما لو أنه لم يسمع سؤالهم ولم يدر بهم ولم يبال بهم .

أما هم فقد استمروا يسألونه ، فانتصب وقال لهم : « من كان منكم ، بلا خطية ؛ فليرمها أولا « بحجر » (يو ٨ : ٧) ، بانياً كلامه على ما جاء فى الوصية المشار إليها ، فى هذا الصدد ؛ حيث قيل : « على فم شاهدين أو ثلاثة شهود يقتل الذى يقتل . لا على فم شاهد واحد ، أيدى الشهود تكون عليه « أولا » لقتله ؛ ثم أيدى جميع الشعب أخيراً » (قابل تث ١٧ : ٦ و ٧ و ١٩ : ١٥ مع لا ٢٠ : ١٠ مع تث ٢٢ : ٢٢ و ٢٣) .

فقد كان ، فى ما نطق به يسوع ، قائلا « فليرمها « أولا بحجر » كان فيه إثبات كلى لوصية موسى ؛ بوصف كونها شريعة إله السماء ، الإله الحق — مؤكداً أنها شريعة « الحق » الذى لا ينقض ، مثبتاً بذلك مصادقته التامة على ما قاله موسى .

على أنه وجه نظر هؤلاء المشتكين الذين جاءوا إليه ، ليجربوه بنية سيئة — وجه نظرهم إلى ما قاله موسى فى هذا الصدد ؛ حيث قيل « أيدى الشهود (اثنين أو ثلاثة) تكون عليه « أولا » لقتله » وبوصف كونه قاضياً — أتوا إليه بهذه المرأة للقضاء فى أمرها — نطق بالحكم الذى قضت به الوصية الموسوية ، قائلا : « من كان منكم ، بلا خطية ؛ فليرمها « أولا » بحجر» (يو ٨ : ٧) .

ثم انحنى ، أيضاً ، إلى أسفل ؛ ليحكموا فى أنفسهم ؛ وليتقدم من هو منهم ، بلا خطية ، ليرمها « أولا » بحجر بمقتضى الشريعة ، أما هم ؛ فلما سمعوا — وكانت ضمائرهم تبكتهم — خرجوا واحداً فواحداً ، مبتدئين من الشيوخ إلى الآخرين ، وبقى يسوع وحده والمرأة واقفة فى الوسط ؛ فلما انتصب يسوع ولم ينظر أحداً سوى

المرأة ، قال لها : « يا امرأة ! . . أما دانك أحد » ؟ فقالت : « لا أحد يا سيد » . فقال لها يسوع : « ولا أنا أدينك ، اذهبي ولا تخطئى ، أيضاً » (اقرأ يو ٨ : ١-١١).

بهذه الكلمات ، التى وجهها السيد لتلك المرأة ، تمتعت هى بأمرين عظيمين يتم بهما الخلاص كاملا ، — الأمر الأول : — نعمة التبرير بالإيمان ، فى قوله : « وأنا لا أدينك » ، وهى النعمة التى أشار إليها الرسول ، بقوله : « فإذ قد تبررنا « بالإيمان » لنا سلام مع الله بربنا يسوع المسيح ، الذى ، به . أيضاً ، قد صار لنا الدخول بالإيمان إلى هذه « النعمة » التى نحن فيها مقيمون ونفتخر على رجاء مجد الله » (رو ٥ : ١ و٢).

أما الأمر الثانى :— فهو « غسل الميلاد الثانى وتجديد الروح القدس» الذى أشار إليه ذات الرسول ، أيضاً ، قائلا : « حين ظهر لطف مخلصنا الله وإحسانه ، لا بأعمال ، فى بر ، عملناها نحن ؛ بل بمقتضى رحمته خلصنا ، بغسل الميلاد الثانى وتجديد « الروح القدس » الذى سكبه ، بغنى ، علينا ، بيسوع المسيح مخلصنا » (تى ٣ : ٤ — ٦) ، هذان هما الأمران ، ولابد ، اللذان حصلت عليهما « راحاب الزانية » » لذلك يقال « بالإيمان راحاب الزانية » : —

« لم تهلك مع العصاة » :

يقول النبأ التاريخى ، أن الرجلين الجاسوسين ، بعد سقوط « أسوار أريحا » دخلا بيت المرأة الزانية ، بناء على أمر يشوع و« أخرجا راحاب » وأباها وأمها وإخوتها وكل ما لها : وأخرجا كل عشائرها ، وتركاهم خارج محلة إسرائيل » .

وقد تم هذا العمل بناء على الاتفاق الذى أبرمه ذانك الجاسوسان ، مع تلك المرأة، بناء على طلبها منهما ؛ حيث قالت لهما : « فالآن ! احلفا لى بالرب وأعطيانى علامة أمانة ؛ لأنى قد عملت معكما معروفاً — بأن تعملا أنتما ، أيضاً ، مع بيت أبى معروفاً ، وتستحييا أبى وأمى وإخوتى وأخواتى وكل مالهم وتخلصا أنفسنا من الموت» ، فقال لها الرجلان : « نفسنا عوضكم للموت ، إن لم تفشوا أمرنا هذا ، ويكون ، إذا أعطانا الرب الأرض ، أننا نعمل معك معروفاً وأمانة . . . اجمعى إليك ، فى البيت ؛ أباك وأمك وإخوتك وسائر بيت أبيك » (يش ٢ : ١٢ - ١٤ و١٨ اقرأ ع ١ — ٢١) .

هكذا تم تاريخيا هذا الإبرام للعهد مع تلك المرأة . فإنه ، لما سقط السور (سور أريحا) فى مكانه ، وصعد الشعب إلى المدينة وأخذوا المدينة ، وحرموا كل ما فى المدينة ؛ حينئذ قال يشوع للرجلين الجاسوسين : « أدخلا بيت المرأة الزانية (راحاب) وأخرجا ، من هناك ، المرأة وكل ما لها ؛ كما حلفتما لها » ، وهكذا « استحيي يشوع راحاب الزانية وبيت أبيها وكل مالها ، وسكنت فى وسط إسرائيل » (يش ٦ : ٢٢ و ٢٥ اقرأ ع ٢٠ — ٢٥) ، بهذه الطريقة « راحاب الزانية لم تهلك مع العصاة » .

أما « العصاة » الذين هلكوا فى أريحا ، فهم الذين أغلقوا أبوابهم وحصنوا أسوارهم ضد شعب الرب . وذلك ، بالرغم من أنهم رأوا آياته العظمى وعجائبه الفائقة فى عبور الشعب نهر الأردن . ولابد ، أنهم سمعوا ، أيضاً ، عن آياته فى مصر وعن ما فعله بملكى الأموريين سيحون وعوج ، فقد كان ممكناً لهم أن يتخذوا ، لأنفسهم ، من كل ما سمعوا ورأوا عظة فعالة ؛ فتتبكت قلوبهم وضمائرهم ، ويتولد فيهم الإيمان بإله إسرائيل — إله المجد والقوة . فعوضاً عن أن يغلقوا أبواب مدينتهم فى وجهه ويشددوا العوارض أمامه ؛ حتى لا يدخل إليهم ، كان يجب ، بالأولى ، أن يفتحوا لا أبواب المدينة فحسب ؛ بل ، أبواب القلوب ، أيضاً، لخلاصهم والتمتع بميراث شعبه (رؤ ٣ : ٢٠) ، ولكنهم أغلقوا كل ذلك ضد أنفسهم لهلاكهم وتم فيهم القول : « إن لم تؤمنوا ؛ فلا تأمنوا » (إش ٧ : ٩ اقرأ ع ١ — ١٦) . أما راحاب الزانية » ، « فلم تهلك مع العصاة »: —

« إذ قبلت الجاسوسين بسلام » :

فى هذا الصدد يقول يعقوب الرسول : « كذلك راحاب الزانية ، أيضاً ، أما تبررت بالأعمال ، إذ قبلت الرسل وأخرجتهم فى طريق آخر » ؟ (يع ٢ : ٢٥) ، فقد وضع أمام المتأمل فعلين : — أولها — « قبلت » ، — وثانيهما : — « أخرجت » ، — وهما فعلان متعلقان بما عملته مع « الرسل » (اللذين أرسلهم يشوع) . وذلك إشارة إلى ما حدث فى التاريخ النبوى مع رجلين أرسلهما يشوع ، من شطيم ، قبل عبور الأردن ؛ لينظرا الأرض وأريحا ، فذهبا إلى أريحا ودخلا بيت امرأة زانية اسمها « راحاب » . «فقبلتهما »

(يش ٢ : ١) . وهذا هو الفعل الأول الذى ينسبه يعقوب إلى راحاب ، قائلا : « إذ قبلت » .

أما الفصل الثانى ، فإنه يرينا الرجلين فى بيت هذه المرأة « راحاب » مهددين بالخطر ؛ لأن خبر دخولهما إلى هناك قد وصل إلى أذنى ملك أريحا ؛ فأرسل الملك إلى « راحاب » يقول : « أخرجى الرجلين اللذين أتيا إليك ودخلا بيتك ؛ لأنهما قد أتيا لكى يتجسسا الأرض كلها » « فأخذت المرأة الرجلين وخبأتهما » ، إلى أن انصرفت الأذهان عنهما ؛ فأنزلتهما بحبل من الكوة ؛ لأن بيتها بحائط سور المدينة ، هكذا ، بقلب صادق وبيقين ثابت ، تصرفت راحاب مع الرجلين وأخرجتهما بسلام ، هكذا يشير الرسول يعقوب إلى هذين الفعلين « قبلت » و « أخرجت » كعملين أتتهما وبهما « تبررت » .

أما الرسول بولس فيعزو الأمر بجملته إلى « الإيمان » فى قوله : « بالإيمان » راحاب الزانية لم تهلك مع العصاة ؛ إذ قبلت الجاسوسين ، بسلام » كما لو أنه ، قال : « بالإيمان راحاب الزانية قبلت الجاسوسين بسلام » محافظة عليهما بكل حرص ، وبذلك يصدق عليهما القول : « إذ قد تبررنا « بالإيمان » ، « لنا سلام مع الله » بربنا يسوع المسيح الذى به ، أيضاً ، قد صار لنا الدخول « بالإيمان » إلى هذه النعمة التى نحن فيها مقيمون ، ونفتخر على رجاء مجد الله » (رو ٥ : ١ و ٢) .

فإذا قارنا بين « الإيمان » الذى ينسبه الرسول بولس إلى راحاب وبين « الأعمال » التى ينسبها الرسول يعقوب إليها ، فإننا ، فى هذه المقارنة ، نتبين جلياً ، أن «الأعمال» التى يتحدث عنها الرسول يعقوب ، ليست هى الأحكام والفرائض الناموسية التى وضعها موسى ؛ بل هى « الأعمال » التى أشار إليها السيد المسيح فى علاقة الأغصان بالكرمة ، فى قوله : « أنا الكرمة وأنتم الأغصان . الذى يثبت فى وأنا فيه ؛ هذا يأتى بثمر كثير ؛ لأنكم ، بدونى ، لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً »(يو ١٥ : ٥ اقرأ ع ١ — ٨) ، وهى أيضاً « الأعمال » التى يشير إليها الرسول بولس ، فى قوله : « لأنه ، فى المسيح يسوع ، لا الختان ينفع شيئاً ولا الغرلة ؛ بل « الإيمان العامل » بالمحبة » (انظر شرح غل ٥ : ٦ للمؤلف) .

فخلاصة ما قيل عن « راحاب الزانية » هو أنها : — « بالإيمان لم تهلك مع العصاة » فقد حفظها « الإيمان » الذى ملأ قلبها بنعمة الله — حفظها من الهلاك مع سكان أريحا ؛ فلم تحترق معهم بنار الغضب الإلهى ، وليس ذلك ، فحسب ، بل « بالإيمان » أيضاً ، تمتعت بنعمة السلام مع الله — السلام الناشىء من نعمة التبرير التى أشار إليها الرسول بولس ، قائلا : « إذ نعلم أن الإنسان ، لا يتبرر « بأعمال الناموس » بل « بإيمان يسوع المسيح » آمنا نحن ، أيضاً « بيسوع المسيح » لنتبرر بإيمان يسوع ، لا بأعمال الناموس » (انظر شرح غل ٢ : ١٦ للمؤلف) .

وهل يصل الأمر بأولئك المتبررين « بالإيمان » إلى الحصول على نعمة « غسل الميلاد الثانى وتجديد الروح القدس — الروح القدس الذى سكبه بغنى علينا بيسوع المسيح مخلصنا ؛ حتى ، إذ تبررنا بنعمته ، نصير ورثة حسب رجاء الحياة الأبدية » ؟ (تى ٣ : ٥ و ٦) ، بهذه النعمة الفائقة . دخلت « راحاب الزانية » التى « لم تهلك مع العصاة » بل « تبررت بالإيمان » بل تقدست بالروح القدس — دخلت فى نسب المسيح الملكى — متصلة بأبينا إبراهيم وبيت داود وبالسيد المسيح ، وارثة معه للآب القدوس المبارك (مت ١ : ٥ اقرأ ع ١ — ١٦ مع رو ٨ : ١٥ — ١٧ و ٢٨ — ٣٠) .

وإن نسينا ، ينبغى أن لا ننسى « هذا الحبل من خيوط القرمز » الذى أوصى به الجاسوسان ، فى قولها « لراحاب الزانية » عندما استحلفهما «بالرب » وطلبت منهما « علامة أمانة » ، بأن يعملا معها معروفاً ، وأن «يستحييا أباها وأمها وإخوتها وأخواتها وكل مالهم » ، وأن يخلصا أنفسهم من الموت ، فقالا لها الرجلان الجاسوسان ، « هوذا نحن نأتى إلى الأرض : « فاربطى هذا الحبل من خيوط القرمز ، فى الكوة التى أنزلتنا منها » (يش ٢ : ١٢ — ١٨ اقرأ ع ١ — ٢١) .

أما هذا الحبل من « خيوط القرمز » فهو حبل مبرم من خيوط حمراء مصبوغة بالقرمز الذى هو صبغ من عصارة دود يكثر فى آجام آرمينية ، وهو ، بهذا اللون الأحمر ، يذكرنا « بالدم » الذى أمر الرب بوضعه على بيوت الإسرائيليين ، فى أرض مصر ، ليلة قتل الأبكار ؛ ليكون علامة لنجاة أبكارهم من ضربة الملاك المهلك ؛

بمقتضى النص القائل : « ويكون لكم « الدم » علامة على البيوت التى أنتم فيها ؛ فأرى الدم وأعبر عنكم ؛ فلا يكون عليكم ضربة « للهلاك » حين أضرب أرض مصر » ، فإن الرب يجتاز ليضرب المصريين ، فحين يرى « الدم » على العتبة العليا والقائمتين ، يعبر الرب عن الباب ، ولا يدع المهلك يدخل بيوتكم ؛ ليضرب » (خر ١٢ : ١٣ و ٢٣ اقرأ ع ٥ — ٧ و ١٣ — ٢٣) .

وهل يتفاعل اللون الأحمر مع الأحمر ليصير أبيض ناصعاً كالثلج ؟ وهل يظهر هذا التفاعل فى قول الرب لشعبه « هلم نتحاجج . . . إن كانت خطاياكم « كالقرمز » تبيض كالثلج ، إن كانت « حمراء كالدودى » تصير كالصوف » ؟ (إش ١ : ١٨) .

هل نجد جواباً لهذا السؤال الخاص بهذا التفاعل العجيب ؟ فى قول واحد من الشيوخ الأربعة والعشرين للاجابة على سؤال يوحنا الرائى : « هؤلاء المتسربلون بالثياب البيض — من هم ؟ ومن أين أتوا ؟ حيث قال : « هؤلاء هم الذين أتوا من الضيقة العظيمة وقد غسلوا ثيابهم وبيضوا ثيابهم من « دم » الخروف»—« الحمل » (رؤ٧ :١٣ و ١٤) .

بهذه العلامة نجت « راحاب الزانية » مع كل من كان فى بيتها « ولم تهلك مع العصاة إذ قبلت الجاسوسين بسلام » ، وهنا ينتهى البند الأول من الجزء الرابع « شهود الإيمان فى أرض الموعد » — أبطال الإيمان أمام أريحا (ع ٣٠ و ٣١) ، وسنتقدم الآن بإرشاد روح الرب إلى بحث : —

البند الثانى — ذكر أبطال وفواعل إيمانهم بالجملة (عب ١١ : ٣٢ — ٣٥)

٣٢ وَمَاذَا أَقُولُ أَيْضًا لِأَنَّهُ يُعْوِزُنِي ٱلْوَقْتُ إِنْ أَخْبَرْتُ عَنْ
جِدْعَوْنَ وَبَارَاقَ وشَمْشُونَ وَيِفْتَاحَ وَدَاوُدَ وَصَمُوئِيلَ وَٱلْأَنْبِيَاءِ
٣٣ ٱلَّذِينَ بِٱلْإِيمَانِ قَهَرُوا مَمَالِكَ صَنَعُوا بِرًّا نَالُوا مَوَاعِيدَ سَدُّوا
أَفْوَاهَ أُسُودٍ ٣٤ أَطْفَأُوا قُوَّةَ ٱلنَّارِ نَجَوْا مِنْ حَدِّ ٱلسَّيْفِ تَقَوَّوْا مِنْ
ضَعْفٍ صَارُوا أَشِدَّاءَ فِي ٱلْحَرْبِ هَزَمُوا جُيُوشَ غُرَبَاءَ
٣٥ أَخَذَتْ نِسَاءٌ أَمْوَاتَهُنَّ بِقِيَامَةٍ . وَآخَرُونَ عُذِّبُوا وَلَمْ يَقْبَلُوا
ٱلنَّجَاةَ لِكَيْ يَنَالُوا قِيَامَةً أَفْضَلَ

فى هذه الآيات (٣٢ — ٣٥) يغير الرسول النمط الذى سار عليه ، فإنه ، فى النمط السابق ، كان يذكر كل بطل من أبطال « الإيمان » مع فاعلية « الإيمان » المتصلة به مباشرة ؛ كما سبق أن رأينا (راجع شرح ع ٤ — ٣١) ، أما الآن ، فإنه يذكر أولا عدداً من أبطال « الإيمان » جملة ، دون ذكر فاعلية الإيمان فى كل منهم على حدة (ع ٣٢) ثم يذكر ثانية عدداً من فواعل « الإيمان » دون تفصيل فى نسبتها إلى أبطال معلومين بالذات أو معينين شخصياً (ع ٣٣ — ٣٥) ، أما أبطال « الإيمان » الذين ذكرهم أولا دون ذكر لفواعل إيمان متصلة بهم ، فإنه يبدأ الكلام عنهم على النحو الآتى : —

(ع ٣٢) « وماذا أقول ، أيضاً » :

كما لو أنه قد أدرك بأن البيان قد طال ، ولم تبق ، بعد ، ضرورة للإسهاب فى ذكر كل بطل من أبطال الإيمان القدماء المشهود لهم (ع ٢) مع ذكر فاعلية « الإيمان » ، فى كل منهم على حدة ، ولعله تمثلهم كثيرى العدد ، لدرجة معها رأى ، أنه لا ضرورة فى السير على ذلك النمط التفصيلى ، وحيث أنه سبق فذكر كثيراً من تلك العينات ؛ لذلك رأى الاكتفاء بما ذكر معقباً عليه ، بالقول « وماذا أقول ، أيضاً » : —

« لأنه يعوزنى الوقت » :

فى هذا القول ، يذكر سر عدم التوسع فى هذه التفصيلات بالإسهاب ، ناسباً ذلك إلى « الوقت » حيث يقول : —

« يعوزنى الوقت » :

على أنه لم يبين ، جلياً ، أى وقت يقصد ، أهو « الوقت » بالنسبة إليه — « الوقت » الذى يعوزه لسرد كل تلك التفصيلات بالإسهاب ؟ أو هو « الوقت » بالنسبة إليهم — « الوقت » الذى يعوزهم لقراءة كل ما يكتبه عن هذه التفصيلات ، بالإسهاب ؟ سواء أكان هذا أم ذاك ، فالأمر الهام فى معنى هذا القول ، هو أنه ، توفيراً للوقت ، يعتذر عن التفصيل تمهيداً للكلام بالإجمال ؛ لذلك يقول « وماذا أقول ، أيضاً ، لأنه يعوزنى الوقت » : —

« إن أخبرت عن » :

هنا ينبه الرسول أذهان الذين يكتب إليهم ؛ ليتنبهوا إلى أنه — ولو أن « الوقت » يعوزه — لكن ، بالرغم من ذلك ، لابد له أن يخبر عن آخرين ، غير الذين ذكروا ؛ لأن ، للكلام عنهم ، ضرورة ؛ لمعرفة أشخاصهم الممتازة ، وذلك للانتفاع عن طريق التمثل بحياتهم التى تظهرهم أبطالا فى « الإيمان » بقوة سماوية خاصة ، أما أسماؤهم ، فهى : —

« جدعون وباراق وشمشون ويفتاح وداود وصموئيل والأنبياء » :

فى سجل هؤلاء الأبطال المذكورين ، نجد بيانين : — أحدهما تفصيلى فيه ذكر أسماء معينة ، وثانيهما إجمالى فيه ذكر لأشخاص دون أسماء معينة مجملون فى كلمة« الأنبياء» أما البيان الأول التفصيلى ، ففيه ذكر أسماء لستة من أبطال « الإيمان » : —

« جدعون وباراق وشمشون ويفتاح وداود وصموئيل » :

هذه الأسماء الستة يمكن تفصيلها إلى ثلاث ثنائيات هى : — (١) « جدعون وباراق » ، — (٢) «شمشون ويفتاح » ، — (٣)« داود وصموئيل » ، لذلك يجدر بنا أن نسير ، فى دراسة هؤلاء الستة الأشخاص ، عن طريق هذه الثنائيات الثلاث ، ملاحظين ، ما فى هذه الثنائيات الثلاث من تقديم وتأخير تاريخيين ؛ كما يلى : —

الثنائية الأولى : « جدعون وباراق » :

فإن التاريخ النبوى يورد اسم وذكر « باراق » قبل اسم وذكر « جدعون » حيث يلمع اسم « باراق » فى سفر القضاة (ص ٤ و ٥) ، بينما يلمع اسم وذكر « جدعون » فى ذات السفر (ص ٦ — ٨) ، هكذا الحال فى :—

الثنائية الثانية : «شمشون ويفتاح» :

فإن التاريخ النبوى يورد اسم وذكر « يفتاح » قبل اسم وذكر « شمشون » حيث يلمع اسم « يفتاح » فى سفر القضاة (ص ١١ و ١٢) ، بينما يلمع اسم « شمشون » فى ذات السفر (ص ١٣ — ١٦) ، هكذا الحال عينه فى : —

الثنائية الثالثة : « داود وصموئيل » :

فإن التاريخ النبوى يورد اسم وذكر « صموئيل » قبل اسم وذكر « داود » حيث يلمع اسم « صموئيل » فى التاريخ النبوى من بدء الأصحاح الأول من سفر صموئيل الأول ، أما اسم « داود » فقد بدأ يلمع من يوم مسحه ملكاً على إسرائيل بيد«صموئيل » ذاته (اقرأ ١ صم ١٦ : ١١ — ١٣) .

وبحسب التاريخ النبوى المقدس يكون ترتيب هذه الثنائيات هكذا : — « باراق وجدعون » — « يفتاح وشمشون » — « صموئيل وداود » — فهل لم يكن الرسول يدرى بهذا التاريخ ؟ لا يمكن أن يكون الجواب على هذا السؤال ، إلا أنه ، ليس من المعقول ولا من المقبول ، أن يجهل رسول الأمم أمر هذا التاريخ المقدس ، فلابد ، إذاً ، أن يكون للرسول قصد لم يبينه فى سرد هذه الثنائيات ، على صورة هذا التقديم والتأخير .

على أن سر هذا التقديم والتأخير ، مع أنه ليس واضحاً ، أمامنا ، فى قصدالرسول لكنه يحفزنا إلى شيء من البحث والتنقيب ، فى ما ورد فى ذات التاريخ المقدس ؛ لعلنا ! نكتشف هذا السر الدفين فى نور الوحى المقدس . وفى هذا الشأن ، يجدر بنا أن نبحث كل ثنائية على حدتها : —

« جدعون وباراق » :

إذا بحثنا موقف « جدعون » بالمقابلة مع موقف « باراق » نستطيع أن نكتشف فرقاً واضحاً فى « الإيمان » الذى ، أمام قوته ، انهزم الأعداء ، ففى « جدعون » نرى قائداً يخرج لمقابلة جيش عرمرم ، بدون سلاح ، على رأس ثلاث مئة رجل ، كل ما لهم من السلاح ؛ إنما هو « أبواق فى أيديهم كلهم » ، و« جرار فارغة » ، و« مصابيح فى وسط الجرار » (قض ٧ : ١٦) .

هكذا خرج « جدعون » بهذه الطريقة الفذة لمقابلة جيش المديانيين العظيم ؛ بقوة إيمان فائقة تحت قيادة « ملاك الرب » — « الرب » — (قض ٦ : ١١ و ١٢ — ١٤

اقرأ ع ١١-٢٤) -« ملاك العهد » (مل ٣ : ١) - « رئيس جند الرب » الذى ظهر ليشوع عند أريحا (يش٥ : ١٤) . هكذا خرج « جدعون » تحت قيادة ذلك القائد الأعلى الذى لم يعبأ بكثرة الجيش ؛ بل صرفهم جميعاً لئلا يفتخر إسرائيل على الرب ويقول : « يدى خلصتنى » (قض ٧ : ٢) ، فكانت « الحرب للرب » (١ صم ١٧ : ٤٧) ، وهو الذى دفع المديانيين إلى يد « جدعون » . هكذا لمع « إيمان » جدعون فى هذه الحرب وانتصر « بالرب » وخلص الشعب (اقرأ قض ٦ و ٧) .

وما أعظم الفرق بين «جدعون» فى هذا الصدد وبين « باراق » ! الذى ، لما دعته « دبورة » بأمر « الرب » ليخرج ، بعشرة آلاف رجل ؛ لمحاربة سيسرا رئيس جيش يابين ، أجابها ، قائلا : « إن ذهبت معى أذهب ، وإن لم تذهبى معى فلا أذهب » فقالت : « إنى أذهب معك ، غير أنه لا يكون لك فخر فى الطريق التى أنت سائر فيها ؛ لأن الرب يبيع سيسرا بيد امرأة » (قض ٤ : ٦-٩) . وما أعظم الفرق بين الموقفين ! «باراق » يسلم قيادة الجيش إلى يد امرأة ، ولا يريد أن يتمم أمر الرب . أما « جدعون » فقد تمم أمر الرب بحذافيره مسلماً أمره بكليته إلى يد الرب الذى ظهر له وعينه قائداً لخلاص الشعب ، بقوة تلك الكلمة المشهورة « الرب معك يا جبار البأس » (قض ٦ : ١٢) . فلا عجب أن يقدم الرسول بطل الإيمان « جدعون » على « باراق » .

وما أعظم الفرق بينهما ! أيضاً ، فى طريقة الخلاص ! فمع « باراق » كانت الحرب بين جيشين متقاتلين ، بل وصلت إلى حرب الأبواب ؛ حتى أن سيسرا رئيس جيش يابين وهو هارب أدخلته امرأة - هى ياعيل امرأة حابر القينى - إلى بيتها وقتلته ؛ فمات بيد امرأة (قض ٤ : ١٧ - ٢١) . وهكذا قام الشعب بمجهود لخلاص نفسه ، أما بالنسبة إلى « جدعون » فلم تكن الحرب للشعب بل للرب ؛ حيث تمت النصرة بقوة إيمان فائق فى « جدعون » والثلاث مئة الرجل الذين كانوا معه ، وذلك بمقتضى الأوامر التى أصدرها « جدعون » ، لرجاله الثلاث مئة ، قائلا : « انظروا إلى وافعلوا كذلك - وها أنا آت إلى طرف المحلة ؛ فيكون ، كما أفعل ، أنكم هكذا تفعلون ، ومتى ضربت بالبوق - أنا وكل الذين معى - فاضربوا أنتم ، أيضاً ، بالأبواق حول كل المحلة ، وقولوا « للرب ولجدعون » .

هكذا فعلوا بالتمام ، وبفاعلية « الإيمان » تمت النصرة ؛ كما ينص التاريخ عما حدث بجيش المديانيين الأعداء ، الذين ركضوا وصرخوا وهربوا : وجعل الرب سيف كل واحد بصاحبه وبكل الجيش (اقرأ قض ٧ : ١٩ — ٢٣) : فلا عجب ! أن الرسول بولس — وهو يتكلم عن أبطال « الإيمان » وفاعلية « الإيمان » فيهم — يقدم « جدعون » على « باراق » خلافاً لما فى التاريخ ويقول « وماذا أقول ، أيضاً ، لأنه يعوزنى الوقت ، إن أخبرت عن جدعون وباراق » :

« وشمشون ويفتاح » :

بالمقارنة ، بمقتضى — التاريخ المقدس — بين « شمشون » و « يفتاح » يتجلى أمامنا كما سبق الكلام ، أن الرسول ، فى كلامه ، عن هذين البطلين فى «الإيمان » يورد اسم وذكر « شمشون » المذكور تاريخيا فى سفر القضاة (ص ١٣ — ١٦) — هما قبل اسم وذكر « يفتاح » المذكور تاريخيا فى ذات السفر (ص ١١ و ١٢) ، ولعل سبب هذا التقديم والتأخير بينهما ! يرجع بنا إلى ذات السبب الذى تحدثنا عنه فى أمر «جدعون» وباراق » ، ألا وهو الفرق الواضح فى فاعلية الإيمان فى كل من هذين البطلين .

ففى « شمشون » نرى رجلا عجيباً فى أمر ولادته من أم عاقر تراءى لها « ملاك الرب » وقال لها : « ها أنت عاقر لم تلدى ، ولكنك تحبلين وتلدين ابناً ، والآن ! فاحذرى ولا تشربى خمراً ولا مسكراً ولا تأكلى شيئاً نجساً ؛ فها إنك تحبلين وتلدين ابناً ولا يعل موسى رأسه ؛ لأن الصبى يكون نذيراً لله من البطن ، وهو يبدأ يخلص إسرائيل من يد الفلسطينيين » (قض ١٣ : ٢ — ٥ اقرأ كل الأصحاح) هذا عجب ! لم نسمع عنه ولا قرأناه فى تاريخ « يفتاح » (قض ص ١١ و ١٢) .

هكذا ، أيضاً ، فى « شمشون » نرى رجلا واحداً وحيداً « ابتدأ روح الرب يحركه فى محلة دان » (قض ١٣ : ٢٥) ، وذلك فى مناسبات متنوعة لقهر الأعداء الفلسطينيين ، وتخليص إسرائيل من أيديهم ؛ فقد كان له جبروت لا يبارى ، به يستطيع أن يدحر العدو ويصرعه ، مهما تكن قوته .

وما أعجب اسمه ! وهو « شمشون » الذى ، لفظاً ومعنى ، يرتبط « بالشمس » ارتباطاً وثيقاً لا ينفك ، فيه نرى ، فى « شمشون » ذلك الوصف الذى نسبته « دبورة » إلى الشمس ؛ حيث قالت : « هكذا يبيد جميع أعدائك يارب ، وأحباؤه كخروج « الشمس » فى جبروتها » (قض ٥ : ٣١) . وفى قول المرنم : « جعل « للشمس » مسكناً — فيها — وهى مثل العروس الخارج من حجلته . يبتهج ، مثل الجبار ، للسباق فى الطريق ، من أقصى السموات خروجها ، ومدارها إلى أقاصيها ، ولا شىء يختفى من حرها » (مز ١٩ : ٤ — ٦) ، هكذا كان « شمشون » — « الشمس » فى « جبروتها » — « مثل العروس الخارج من حجلته ، يبتهج مثل « الجبار » للسباق فى الطريق » .

على أن للشمس ، أيضاً ، جانباً آخر غير جانب الجبروت والبهجة — هو جانب الخوف والرهبة ، كما قيل « لا تضربك الشمس » (مز ١٢١ : ٦) — « لا يضربهم حر ولا شمس » (إش ٤٩ : ١٠) — « لا تقع عليهم الشمس ولا شىء من الحر » (رؤ ٧ : ١٦) ، هكذا كان أيضاً ، « شمشون » اسماً على مسمى « جباراً » مرهباً ومرعباً ، وقد كان « جبروته » فى شعر رأسه ؛ إذ لم يعل موسى رأسه » بمقتضى أمر الرب ، فقد كان له ، فى ذاته — فى شعر رأسه — أساساً « للايمان » عن طريق الطاعة الكاملة فى حفظ نفسه نذيراً للرب « لايعلو موسى رأسه » — فما كان أعظم « شمشون » ! (اقرأ قض ص ١٣ — ١٦) .

أما « يفتاح » فالفرق بينه وبين « شمشون » فى ميلادهما شاسع جداً . فقد رأينا أن « شمشون » قد ولد بوعد نذيراً من البطن معيناً مخلصاً لإسرائيل ، قبل أن يولد ، أما « يفتاح » فالتاريخ ينبئنا بأنه وليد امرأة غير شرعية طرده إخوته الذين ولدوا من أم شرعية ، قائلين له : « لا ترث فى بيت أبينا ؛ لأنك أنت ابن امرأة أخرى » (قض ١١ : ٢) . فهرب من وجه إخوته وصار متشرداً وتزعم فئة من الرجال البطالين يدخلون ويخرجون معه .

أما اسمه « يفتاح » فمعناه كلفظه عربياً « يفتح » ويمكن أن يترجم يفك من الأسر أو يحرر . ولسنا نعلم من الذى أعطاه هذا الاسم ، إلا أننا نراه اسماً على مسمى ؛ كما

يدل عليه ما فعله فى تحرير شعب إسرائيل ، حيث ينبئنا التاريخ أن بنى عمون حاربوا إسرائيل ، فذهب شيوخ جلعاد (من نصف سبط منسى شرق الأردن) إلى « يفتاح » الجلعادى ، وقالوا له : « تعال وكن لنا قائداً ؛ فنحارب بنى عمون » (قض ١١ : ٦ اقرأ ص ١١ و ١٢) .

فما أعظم الفرق بين « شمشون » الذى دعى ، من السماء ، قبل ولادته ؛ ليكون مخلصاً لشعب إسرائيل من يد الفلسطنيين (قض ١٣ : ٢ — ٥) ، وبين « يفتاح » الذى دعى من شيوخ جلعاد لتخليص الشعب من يـد بنى عمون (قض ١١ : ٤ — ٦) . فلا عجب ! أن يغير الرسول بولس مجرى التاريخ فيقول : « وشمشون ويفتاح » مقدماً « شمشون » على « يفتاح » كما فعل ، سابقاً ، فى قوله « جدعون وباراق » مقدماً « جدعون » على « باراق » هكذا ، على هذا النمط ، يقول : —

« داود وصموئيل » :

كان « صموئيل » فى ميلاده عجيباً . فقد كان ميلاده استجابة لصلاة أمه « حنة » وتضرعاتها ، وبمقتضى وعد إلهى نلمحه فى قول عالى الكاهن : « اذهبى بسلام و « إله إسرائيل » يعطيك سؤلك الذى سألته من لدنه » . لذلك دعت اسمه « صموئيل » أى مسئول من إيل (الله) قائلة : « لأنى ، من الرب ، سألته » (١ صم ١ : ١٧ و ٢٠ اقرأ ع ٩ — ٢٠) .

وقد ائتمن الرب « صموئيل » نبياً له وهو ، بعد ، صبى ؛ حتى صار رئيساً للأنبياء فى أيامه ، ولم يقم الرب « صموئيل » نبياً — بل رئيساً للأنبياء — فحسب ؛ بل أقامه ، أيضاً ، قاضياً لإسرائيل كل أيام حياته . وهو الذى مسح شاول ملكاً على إسرائيل (قابل ١ صم ٣ : ٢٠ مع ١ صم ٩ : ٢٧ — ١٠ : ١٢) . بل هو ، أيضاً ، الذى مسح « داود » ملكاً بمقتضى أمر الرب عوضاً عن شاول (اقرأ ١ صم ١٦ : ١ — ١٣ مع أع ١٣ : ٢٠ — ٢٢) .

مع كل ما كان « لصموئيل » من المقام الرفيع والمركز السامى فى ملكوت الرب قديماً . ومع كل ما كان له من الإيمان الحى بإله السماء والأرض — مع كل ذلك —

فإن « داود » قد امتاز كثيراً فى التاريخ المقدس ، وذلك بانتسابه إلى سبط يهوذا بالمقابلة مع « صموئيل » الذى كان ينتسب إلى سبط أفرايم .

هذه المقابلة — هى مقابلة بين الرئاسة التى يقال فيها « لأن يهوذا اعتز على إخوته ومنه الرئيس » (١ أى ٥ : ٢) ، وبين « البكورية » التى قيل فيها « وأما البكورية فليوسف » (١أى ٥ :١) . ويحدثنا التاريخ أن هذه « البكورية » قد أعطيت ليوسف فى ابنه أفرايم ، كما يتبين جلياً ، مما فعله يعقوب ، فى أرض مصر ، وهو يبارك ابنى يوسف — منسى وأفرايم ؛ حيث أسند البكورية ، التى ليوسف إلى ابنه أفرايم ، عندما وضع يده اليمنى على رأس أفرايم الصغير ويده اليسرى على رأس منسى البكر . ولما أراد يوسف أن يغير هذا الوضع ، قال له أبوه : « علمت يا ابنى علمت ، هو (منسى البكر) أيضاً ، يكون شعباً وهو ، أيضاً ، يصير كبيراً ، ولكن أخاه الصغير يكون أكبر منه ، ونسله يكون جمهوراً من الأمم » (تك ٤٨ : ١٩ اقرأ ع ٨ — ٢٠) .

هكذا أسندت البكورية إلى سبط « أفرايم » الذى كان ينتسب إليه « صموئيل » ، أما « داود » فكان من سبط « يهوذا » الذى « اعتز على إخوته ومنه الرئيس » . هكذا امتازت الرئاسة ممثلة فى « داود » على البكورية ممثلة فى « صموئيل » ، وهو امتياز تم ، فعلا ، فى ذلك اليوم الذى فيه « أخذ صموئيل قنينة الدهن وصب على رأسه وقبله ، وقال : « أليس لأن الرب قد مسحك على ميراثه رئيساً » (١ صم ١٠ : ١) .

هنا أصبح « داود » الملك رئيساً لجميع الأسباط ومنهم سبط أفرايم الذى كان ينتسب إليه و« صموئيل » ذاته ، وكل ذلك حدث إتماماً لنص البركة التى بارك بها يعقوب يهوذا ؛ حيث قال : « لا يزول قضيب من يهوذا ومشترع من بين رجليه ؛ حتى يأتى « شيلون » وله يكون خضوع شعوب » (تك ٤٩ : ١٠ اقرأ ع ٨ — ١٢) .

وما أمجد ذلك الشخص العجيب — « ابن داود » ! الذى تمت فيه هذه النبوة ، الذى إليه ، وجه إشعياء أنظار الشعب وأذانهم ، قائلا : « أميلوا آذانكم وهلموا إلىّ ، اسمعوا ؛ فتحيا أنفسكم ، وأقطع لكم عهداً أبدياً — « مراحم داود الصادقة » — هوذا

قد جعلته شارعاً للشعوب ، رئيساً وموصياً للشعوب . ها أمة ، لا تعرفها ، تدعوها ، وأمة ، لم تعرفك ، تركض إليك ، من أجل الرب إلهك وقدوس إسرائيل ؛ لأنه قد مجدك » (إش ٥٥ : ٣ — ٥ اقرأ ع ١ — ٥ مع إش ٧ : ١٤ و ٩ : ٦ و ٧ و ٤٢ : ١ — ٤ مع مت ١٢ : ١٤ — ٢١ مع لو ١ : ٢٦ — ٣٣ مع مت ١ : ١٨ — ٢٥ مع رو ١ : ١ — ٤ مع ٢تى ٢ : ٨) .

هذا هو « داود » الذى تعين من الله ملكاً ، وذكر فى رأس القائمة لسلسلة نسب السيد المسيح الملكى ؛ حيث قيل : «كتاب ميلاد يسوع المسيح ابن داود » (مت١ :١)، وكان ، فى ذلك النسب ، أول من لقب بالملك ، فى القول « داود الملك » (مت ١ : ٦) فقد كان ، من هذه الناحية الملكية ، صورة رمزية فريدة « لابن داود » ، بل ، بالحرى « لرب داود » (اقرأ مت ٢٢ : ٤١ — ٤٥ مع لو ٢٠ : ٤١ — ٤٤ مع مز ١١٠) ، هذا هو « ابن الله » الذى « يعطيه الرب الإله كرسى داود أبيه ، ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ، ولا يكون لملكه نهاية » (لو ١ : ٣٠ — ٣٥) .

فى هذه الصورة الرمزية يسمو « داود » سمواً خاصاً فائقاً على جميع أبناء البشر ، وبالتالى على « صموئيل » . فلا غرو ! أن يقدمه الرسول على « صموئيل » الذى صب دهن المسحة على رأسه ، فى قوله « داود وصموئيل » حيث قيل « وماذا أقول ،أيضاً ؛ لأنه يعوزنى الوقت ، إن أخبرت عن جدعون وباراق وشمشون ويفتاح وداود وصموئيل » : —

« والأنبيــاء » :

فى اصطلاح « الكتب المقدسة » (٢ تى ٣ : ١٥) ، نرى « الأنبياء » عنواناً من عنوانات تلك « الكتب » مقترناً « بناموس موسى » و« المزامير » ، وهذا يتضح أمامنا ، فى ما جاء عن ذلك العنوان ، فى ما أشار إليه لوقا البشير ؛ حيث نسمع « إبراهيم » يقول لذلك الغنى الذى طلب منه — وهو فى « العذاب » أن يرسل « لعازر » إلى « إخوته » ، « حتى يشهد لهم ؛ لكيلا يأتوا هم ، أيضاً ، إلى موضع العذاب هذا » ، فقال له إبراهيم : « عندهم « موسى والأنبياء » ليسمعوا منهم . . . إن كانوا لا يسمعون

من « موسى والأنبياء » — ولا إن قام واحد من الأموات ، يصدقون » (لو ١٦ : ٢٨ و ٢٩ و ٣١ اقرأ ع ١٩ — ٣١) .

يتجلى هذا العنوان ، أيضاً ، فى قول السيد المسيح لتلميذين كانا فى طريقهما من أورشليم إلى عمواس ؛ حيث ظهر لهما وتحدث إليهما ، عن تلك « الكتب » قائلا : « أيها الغبيان والبطيئا القلوب فى الإيمان بجميع ما تكلم به « الأنبياء » ! ... ثم ابتدأ ، من « موسى » ومن جميع « الأنبياء » يفسر لهما الأمور المختصة به فى جميع « الكتب » (لو ٢٤ : ٢٥ و ٢٧ اقرأ ع ١٣ — ٢٧) ، هكذا نتبين هذه الحقيقة ، أيضاً ، فى قول السيد المسيح لتلاميذه ، عند صعوده ؛ حيث قال لهم : « هذا هو الكلام الذى كلمتكم به ، وأنا بعد معكم « أنه ، لا بد أن يتم جميع ما هو مكتوب « عنى » فى « ناموس موسى والأنبياء والمزامير » ، حينئذ فتح ذهنهم ليفهموا الكتب » (لو ٢٤ : ٤٤ و ٤٥) .

فى هذه الشواهد ، التى وردت ، نلاحظ أن الأنبياء يذكرون بعد موسى وقبل « المزامير » حيث يقال : « ناموس موسى والأنبياء والمزامير » (لو ٢٤ : ٤٤) ؛ وبمقتضى هذا التعبير تتجه أفكارنا إلى « الأنبياء » بوصف كونهم أشخاصاً تنبأوا بعد موسى — ليس بمعنى أن موسى لم يكن « نبياً » — لأنه ، بالحرى كان « نبياً ممتازاً — وذلك بشهادة ذات الرب فى قوله ، لأخويه « هرون ومريم » « اسمعا كلامى ! إن كان منكم « نبى للرب » فبالرؤيا أستعلن له — فى الحلم أكلمه — وأما عبدى « موسى » فليس هكذا ، بل هو أمين فى كل بيتى ، فماً إلى فم وعياناً أتكلم معه ؛ لا بالألغاز ، وشبه الرب يعاين » (عد ١٢ : ٦ — ٨ اقرأ ع ١ — ٨) .

على أن النسخة العبرية فى ترتيب تلك « الكتب المقدسة » تجعلها ثلاثة أجزاء هى : — أولا — « ناموس موسى » (توراة) وعددها خمسة كتب : — التكوين والخروج واللاويين والعدد والتثنية ، — ثانياً — « الأنبياء » (نبئيم) وهم قسمان : — (١) «الأنبياء » الأولون وعدد كتبهم ستة وهى — يشوع والقضاة وصموئيل الأول وصموئيل الثانى والملوك الأول والملوك الثانى — (٢) « الأنبياء » الآخرون وعددهم خمسة عشر كتاباً وهم — إشعياء وإرميا وحزقيال وهوشع ويوئيل وعاموس وعوبديا ويونان وميخا وناحوم

وحبقوق وصفنيا وحجى وزكريا وملاخى ، وبذلك يكون « لموسى والأنبياء »، ستة وعشرون كتاباً .

أما باقى « الكتب المقدسة » فواردة تحت عنوان « المزامير » (كتوبيم) وعددها ثلاثة عشر كتاباً هى — المزامير والأمثال وأيوب ونشيد الأنشاد وراعوث ومراثى إرميا والجامعة واستير ودانيال وعزرا ونحميا وأخبار الأيام الأول وأخبار الأيام الثانى .

من هذا البيان يبدأ ذكر «الأنبياء » بعد موسى مباشرة ، فقد ذكر الرسول من أسفار « الأنبياء » الأولين الأسماء التى سبق ذكرها وهم « جدعون وباراق وشمشون ويفتاح » فى سفر القضاة ، و « داود وصموئيل » فى سفرى صموئيل الأول والثانى ، ثم يذكر « الأنبياء » بعد ذكر هؤلاء الأشخاص مباشرة ؛ فهؤلاء جميعاً هم الذين سبق الكلام عنهم فى (ع ٣٢) ويواصل الكلام عنهم ، قائلا : —

(ع ٣٣) « الذين بالإيمـــان » :

هؤلاء هم الذين سبق ذكرهم فى العدد السابق (٣٢) . وهم « جدعون وباراق وشمشون ويفتاح وداود وصموئيل والأنبياء » . فهم من أبطال الإيمان الذين سبق ذكرهم من بدء هذا الأصحاح ، ومع أنه لم يبين فاعلية الإيمان فى كل منهم على حدة ، كما فعل مع الأبطال السابقين ؛ إلا أنه ، هنا ، يحقق بشأنهم أمر اتصالهم الوثيق « بالإيمان »، وبأبطال « الإيمان » . لذلك يقول : « الذين بالإيمان » : —

« قهروا ممالك » :

هنا يبدأ الرسول فى ذكر فواعل « الإيمان » بالجملة بالنسبة إلى هؤلاء الأبطال الذين ذكرهم فى العدد السابق ؛ حيث يقول « قهروا ممالك » — فواعل لا يدركها عقل إنسان ولا يصل إليها تصور بشر ؛ لأنها فوق الطاقة البشرية والعقل الإنسانى ، ولا يمكن إتمامها إلا بقوة « الإيمان » المتصل بالسماء وإله السماء العزيز القدير (مز ٦٢ : ١١) ، فهو له « العزة » وحده ، دون سواه ويستطيع أن يقهر كل ممالك الأرض ، ومن وجهه كل الأسلحة المادية وكل آلات اختراعات البشر تهرب وتتلاشى ؛ مهما تكن الدرجة التى تصل إليها من التفوق والاقتدار .

هكذا ظهرت العزة الإلهية بهذا التفوق العجيب ؛ كما سبق أن رأينا فى قهر جيش المديانيين والعمالقة — الجبابرة — وبنى المشرق — ذلك الجيش العرمرم المدجج بالعتاد الحربى وبكل ما له من قوة للبطش ، الذى رأيناه ، وقد هرب مبدداً مذعوراً ، من صوت أبواق ثلاث مئة رجل أزعجتهم وأرعبتهم ؛ حيث جعل الرب سيف كل واحد بصاحبه وبكل الجيش (اقرأ قض ٧ : ١٩ — ٢٣) ، فأى قوة تستطيع تبديد هذه القوى الساحقة وتدحرها ؟ إنما هى قوة « الإيمان » دون سواه .

هكذا رأينا فى « دبورة وباراق » أمام جيش الكنعانيين ، وفى « شمشون » الجبار أمام كل أنواع القوى الفلسطينية الفائقة ، وفى « يفتاح » أمام جيش بنى عمون ، وماذا نقول عن « داود » ؟ الذى وهو فتى صغير قطع رأس ذلك العملاق المخيف « جليات » الجبار الفلسطينى الذى عير شعب الله أربعين يوماً وأرهب شاول وكل قواته ؛ فانكمشوا أمامه (اقرأ ١ صم ١٧) ، وإن نسينا لا ننسى صلوات وتضرعات « صموئيل » التى اقتدرت فى فعلها ، وقهرت الأعداء وكانت انتصاراً عجيباً لشعب الرب (اقرأ ١ صم ٧ : ٥ — ١٤) ، وفى كل ذلك كان « الإيمان » هو القوة الفعالة لقهر كل تلك الممالك الأرضية والقضاء على كل معداتها الحربية وقواتها الوحشية ، لذلك قيل عن هؤلاء الأبطال « الذين بالإيمان قهروا » : —

« ممـــالك » :

ذكر هذه الكلمة « ممالك » يوحى إلينا « بمملكة » تأسست بين ممالك العالم ، عند « جبل سيناء » وذلك بمقتضى النطق الإلهى الكريم ، فى قول الرب لموسى : « هكذا تقول لبيت يعقوب ، وتخبر بنى إسرائيل « أنتم رأيتم ما صنعت بالمصريين ، وأنا حملتكم على أجنحة النسور ، وجئت بكم إلى ، فالآن — إن سمعتم لصوتى وحفظتم عهدى — تكونون لى « خاصة » من بين جميع الشعوب ؛ فإن لى كل الأرض ، وأنتم تكونون لى « مملكة كهنة وأمة مقدسة » (خر ١٩ : ٣ — ٦) .

على هذا الأساس وضع الرب دستور مملكته — أدبياً ومدنياً وطقسياً — لضبطها ، بالطاعة التامة ، للعبادة المقدسة ؛ وذلك لكى تكون له « مملكة » خاصة تقهر كل ممالك

الأمم البعيدين عنهم ، على أن هذه « المملكة » — مملكة إسرائيل — لم تسر بمقتضى الدستور السماوى الذى وضع لسيرها ؛ بوصف كونها قوة قاهرة لممالك العالم ، فإنها قد اختلطت بتلك الممالك وعبدت آلهتهم وتدنست بأدناسهم ، لذلك كان الرب يسلمها ليد تلك « الممالك » المعادية ؛ فيذلونهم سنوات عديدة ؛ فتصرخ إليه ؛ فيغيثها . وهكذا بقيت بين صعود وهبوط ، وهبوط وصعود ؛ حتى تلاشت واندثرت ؛ فلم يتم قصد الله فيها لقهر « الممالك » .

على أن أبطال « الإيمان » الذين أقامهم الله لقهر تلك الممالك — أولئك الأبطال يوحون إلينا « بمملكة » مؤسسة على صخرة « الإيمان » — ليست « مملكة » أرضية ؛ بل هى كنيسة الله التى يبنيها على صخرة « الإيمان » : « وأبواب الجحيم لن تقوى عليها » (اقرأ مت ١٦ : ١٣ — ١٧) — هى « كنيسة الله التى اقتناها بدمه » (أع ٢٠ : ٢٨) — هى « بيت الله الذى هو كنيسة الله الحى — عمود الحق وقاعدته » (١ تى ٣ : ١٥ اقرأ ع ١٤ — ١٦) .

هذه هى « المملكة السماوية » التى رآها الرائى إشعياء ، وتحدث عنها ، بقول الله : « هوذا عبدى الذى أعضده — مختارى الذى سرت به نفسى ، وضعت روحى عليه فيخرج الحق للأمم ، لا يصيح ولا يرفع ولا يسمع فى الشارع صوته ، قصبة مرضوضة لا يقصف ، وفتيلة خامدة لا يطفىء ، إلى الأمان يخرج الحق ، لا يكل ولا ينكسر حتى يضع الحق فى الأرض ، وتنتظر الجزائر شريعته » (اقرأ إش ٤٢ : ١ — ٤ و ٦١ : ١ و ٢ مع مت ١١ : ١ — ٦ و ١٢ : ١٤ — ٢١ مع يو ١٨ : ٣٣ — ٣٨) .

هذه هى « المملكة » الروحية التى تقهر جميع « ممالك » العالم الأرضية وتصارع ، لا « مع دم ولحم ؛ بل مع الرؤساء ، مع السلاطين ، مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر ، مع أجناد الشر الروحية فى السماويات » (أف ٦ : ١٢ اقرأ ع ١٠ — ١٨) — هذه المملكة الروحية أعلنها الله لنبوخذ نصر — ملك ملوك الأرض فى وقته فى حلم رأى فيه تمثالا عظيماً جداً ومنظره هائل « رأس هذا التمثال من ذهب جيد ، صدره وذراعاه من فضة ، بطنه وفخذاه من نحاس ، ساقاه من حديد ، قدماه بعضهما من حديد والبعض من خزف » (دا ٢ : ٣٢ و ٣٣) .

هكذا كان نبوخذ نصر ينظر ، فى حلمه « إلى أن قطع حجر بغير يدين ؛ فضرب التمثال على قدميه اللتين من حديد وخزف فسحقهما » . « أما الحجر الذى ضرب التمثال ؛ فصار جبلا كبيراً وملأ الأرض كلها » (دا ٢ : ٣٤ و ٣٥) ، وقد أعلن الله لنبيه « دانيال » تفسيراً لهذا الحلم ، فيه يتجلى ذلك الحجر « مملكة » يقيمها « إله السموات » — مملكة لن تنقرض أبداً وملكها لا يترك لشعب آخر ، وتسحق وتفنى كل هذه « الممالك » (ممالك العالم) ، وهى تثبت إلى الأبد » (دا ٢ : ٤٤ اقرأ الحلم وتفسيره ص ٢) .

ومن هو « الملك » لتلك المملكة التى يقيمها إله السموات « مملكة » لن تنقرض أبداً » ؟ هذا هو « الملك » الذى رآه دانيال نفسه وأنبأ عنه ، قائلا : « كنت أرى ، فى رؤى الليل ، وإذا ، مع سحب السماء ، مثل « ابن إنسان » أتى وجاء إلى « القديم الأيام » فقربوه قدامه ، فأعطى سلطاناً ومجداً وملكوتاً ؛ لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة ، سلطانه سلطان ، أبدى ، ما لن يزول : وملكوته ما لا ينقرض » (دا ٧ : ١٣ و ١٤ اقرأ كل الأصحاح) .

فلنترنم مع المرنم ، منشدين : « إنى أسمع ما يتكلم به الله الرب ، لأنه يتكلم بالسلام لشعبه ولأتقيائه ؛ فلا يرجعن إلى الحماقة ؛ لأن خلاصة قريب من خائفيه ؛ ليسكن المجد فى أرضنا ، الرحمة والحق التقيا ، البر والسلام تلاثما ، الحق من الأرض ينبت والبر من السماء يطلع » (مز ٨٥ : ٨ — ١١ اقرأ ع ٨ — ١٣) . هذا هو « ملكوت الله » — ملكوت النعمة والحق والمجد والبر والسلام والرحمة الذى « ملكه » لا يمكن أن يترك لشعب آخر .

فمن سواه يستطيع أن يقهر كل ممالك العالم ؟ وأن يسحق « إبليس » — « الحية القديمة والشيطان » تحت الأقدام ؟ (قابل تك ٣ : ١٥ مع رو ١٦ : ٢٠ مع رؤ ١٢ : ٩) ، ومن سواه يدك كل أبواب الجحيم ويكسر مغالقها ومصاريعها ؟ اومن سواه يستطيع أن يقبض على « التنين الأحمر » — « رئيس هذا العالم » — « ويطرحه فى بحيرة النار والكبريت ، حيث الوحش والنبى الكذاب ، وسيعذبون نهاراً وليلا إلى أبد الآبدين » ؟ (رؤ ٢٠ : ١٠ انظر رؤ ١٩ : ٢٠ اقرأ ع ١١ — ٢١) .

ومن سواه له « مفاتيح الهاوية والموت » ؟ ويستطيع أن يطرحهما فى بحيرة النـــار (قابل رؤ ١ : ١٨ مع ٢٠ : ١٤) ، « فمن هو الذى يغلب العالم » ؟ سؤال يجيبنا عنه الرسول يوحنا ، قائلا : من هو ؟ « إلا الذى يؤمن أن يسوع هو ابن الله » (١ يو ٥ : ٥ اقرأ ع ١ — ٦) . لذلك يقول الرسول بولس « فإذ قد تبررنا « بالإيمان » لنا سلام مع الله « بربنا يسوع المسيح » الذى ، به ، أيضاً ، قد صار لنا الدخول « بالإيمان » إلى هذه « النعمة » (ملكوت النعمة) التى نحن فيها مقيمون ، ونفتخر على رجاء « مجد الله » (ملكوت المجد) (رو ٥ : ١ و ٢) . هكذا يقول الرسول « الذين بالإيمان قهروا ممالك » : —

« صنعوا براً » :

ما أمجد الوصف الذى يصف به هذا الرسول ذلك « البر » ! فى قوله « وتلبسوا الإنسان الجديد المخلوق ، بحسب الله ، فى البر وقداسة الحق » (أف ٤ : ٢٤) . أما «المخلوق بحسب الله» عن طريق الطاعة ، فإنها كلمة ترجع بنا إلى أصل الخلق ؛ حيث نسمع ذلك القول الإلهى المجيد : « نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا » ، «فخلق الله الإنسان على صورته » — على صورة الله خلقه — « ذكراً وأنثى خلقهم » (انظر تك ١ : ٢٦ و ٢٧ و ٥ : ١ و ٢). وهو قول إلهى يبين لنا بجلاء واضح تلك الحقيقة التى أشار إليها الرسول هنا ، بقوله « المخلوق بحسب الله فى « البر » وقداسة الحق ، فإن ، فى هذا القول ، وصفاً لما خلق عليه الإنسان أصلا — وصفاً لطبيعته الأصلية ، قبل سقوطه — مخلوقاً على شبهه ، تعالى ، فى البر وقداسة الحق .

أما « البر » فى وصفه ، فهو تعبير عن ما للانسان من صلة بخالقه فى حياة الطاعة له والصدق فى معيشته ، وبهذا الوصف هو برّ (بار) ، وبذلك يكون الإنسان ، فى صلته بالله ، وفى طاعته له والصدق فى حياته معه — يكون باراً . على هذا الأساس يقال : برّ يمينه أى صدق ، وبرّ بوالده أى أحسن الطاعة له ورفق به وتحرى محابه وتوقى مكارهه ؛ فهو برّ به وبار .

كان هذا البرّ ، بكل محاسنه ، طبيعة أصيلة فى الإنسان ، على صورة الله كشبهه ، أما الإنسان فقد أضاع هذا « البرّ » وفقده فقداناً تاماً إذ تعدى العهد وغدر بالله (هو ٦ : ٧) عن طريق مخالفته للوصية بالأكل من « شجرة معرفة الخير والشر » التى نهاه « الله » عن الأكل منها ؛ قائلا : « من جميع شجر الجنة تأكل أكلا ، وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها ؛ لأنك ، يوم تأكل منها ، موتاً تموت » (تك ٢ : ١٦ و ١٧ اقرأ ع ١٥ — ١٧ و ٣ : ١ — ٧) .

هكذا سقط آدم من سماء البر الأصلى إلى هاوية الفساد الطبيعى ، وهكذا سقط معه جميع الجنس البشرى وأصبحت طبيعة الإنسان ، بالولادة الجسدية ، فساداً فى فساد ؛ بمقتضى الحكم الشرعى النيابى الذى أشار إليه الرسول ، فى قوله: « من أجل ذلك ، كأنما بإنسان واحد ، دخلت الخطية إلى العالم ، وبالخطية الموت ، وهكذا اجتاز « الموت » إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع . فإنه ، حتى الناموس ، كانت الخطية فى العالم ، على أن الخطية لا تحسب إن لم يكن ناموس . لكن قد ملك الموت من آدم إلى موسى ، وذلك على الذين لم يخطئوا على شبه تعدى آدم الذى هو مثال الآتى » (رو ٥ : ١٢ — ١٤) .

فلا عجب ! أن يعبر الرسول ذاته ، عن هذا الفساد الإنسانى الطبيعى ، بقوله: «الخطية الساكنة فى ، فإنى أعلم أنه ليس ساكن فى ، أى فى جسدى ، شىء صالح». (رو ٧ : ١٧ و ١٨ إقرأ ١٤ — ٢٥) وهو وصف لحالة الانسان الطبيعى وبيان لفساد طبيعته . ذلك الفساد الذى وصفه السيد ، له المجد ، قائلا : « المولود من الجسد جسد هو » (يو ٣ : ٦) . واعترف به المرنم ، قائلا : « هأنذا ، بالإثم ، صورت ، وبالخطية حبلت بى أمى » (مز ٥١ : ٥) . كما هو مبين فى القول النبوى ، « ماذا أصنع بك يا أفرايم (مملكة إسرائيل) ؟ ماذا أصنع بك يا يهوذا (مملكة يهوذا) ؟ فإن إحسانكم كسحاب الصبح وكالندى الماضى باكراً ؛ لذلك أقرضهم بالأنبياء ، أقتلهم بأقوال فمى والقضاء عليك كنور قد خرج ، إنى أريد رحمة لا ذبيحة ، ومعرفة الله أكثر من محرقات ، ولكنهم كآدم تعدوا العهد ، هناك ، غدروا بى » (هو ٦ : ٤ — ٦) ، فكيف ، والحالة هكذا ، يقال ؟

« صنعوا براً » ؟

يحدثنا الوحى المقدس عن « البر » من ثلاث نواح : — (أ) البر المحسوب : — (ب) البر المصنوع : — (ج) البر الموضوع : — بالتقصى عن « البر » من هذه النواحى الثلاث ندرك معنى القول : « صنعوا براً » .

(أ) « البر المحسوب » :

يتبين لنا هذا « البر » المحسوب فى قول موسى ، عن « إبراهيم » : « آمن بالرب فحسبه له براً » (تك ١٥ : ٦) . فهذا هو بر الإيمان الذى يحسب لجميع الذين يسلكون فى خطوات إيمان أبينا إبراهيم (اقرأ رو ٤ : ١٠ — ١٢) . وهو البر الذى يحدثنا عنه الرسول بولس ، من جهة نفسه ، قائلا : « لكى أربح المسيح وأوجد فيه ، وليس لى برى الذى من الناموس ؛ بل الذى بإيمان المسيح « البر » الذى من الله « بالإيمان » (فى ٣ : ٨ و ٩) .

هذا هو « البر » المحسوب الذى قال فيه المرنم : «طوبى للذى غفر إثمه وسترت خطيته . طوبى لرجل لا يحسب له الرب خطية » (مز ٣٢ : ١ و ٢ اقرأ رو ٤ : ٣ — ٩) . هذا هو بر المسيح الذى يحسب لجميع المؤمنين به ؛ فتختفى كل آثامهم ، وتغفر جميع خطاياهم ، ويتم فيهم ما قيل عن العروس « لأن عرس الخروف (الحمل) قد جاء ، وامرأته (عروسه) هيأت نفسها ، وأعطيت أن تلبس بزاً نقياً بهياً ؛ لأن البز هو تبررات القديسين » (رؤ ١٩ : ٧ و ٨ قابل رؤ ٣ : ٥ و ١٨ مع رؤ ٧ : ٩ — ١٤ و ٢٢ : ٢ — ٤) . هذا يأتى بنا إلى : —

(ب) البر المصنوع :

رأينا البر المحسوب الذى هو نعمة « الإيمان » الذى يحسب براً للانسان ، على أن هذا « الإيمان » المحسوب براً — له ، ولابد ، ثمره ؛ لأنه هو « الإيمان العامل بالمحبة » وثمره فعل « الروح القدس » الذى قيل عنه : «وأما ثمر « الروح » فهو محبة فرح سلام — طول أناة لطف صلاح — إيمان وداعة تعفف » (غل ٥ : ٢٢ و ٢٣) ،

فبنعمة « الإيمان » المحسوب براً ، يتمم المؤمن الوصية المقدسة ، بمقتضى القول : « لأنه قد ظهرت ، لجميع الناس ، نعمة الله المخلصة ، معلمة إيانا أن ننكر الفجور والشهوات العالمية ، ونعيش بالتعقل والبر والتقوى فى العالم الحاضر ، منتظرين الرجاء المبارك وظهور مجد الله العظيم ومخلصنايسوع المسيح ، الذى بذل نفسه لأجلنا ؛ لكى يفدينا من كل إثم ، ويطهر ، لنفسه ، شعباً خاصاً غيوراً فى أعمال حسنة » (تى ٢ : ١١ — ١٤) .

هذا توافقه أقوال الأنبياء ، فى هذا الصدد ؛ حيث يقال « بم أتقدم إلى الرب ؟ وأنحنى للاله العلى ؟ هل أتقدم بمحرقات — بعجول أبناء سنة ؟ هل يسر الرب بألوف الكباش — بربوات أنهار زيت ؟ هل أعطى بكرى عن معصيتى — ثمرة جسدى عن خطية نفسى ؟ قد أخبرك — أيها الإنسان ! ما هو صالح وماذا يطلبه منك الرب ، إلا أن تصنع الحق وتحب الرحمة ، وتسلك متواضعاً مع إلهك » (مى ٦ : ٦ — ٨) .

هكذا ، بمقتضى الناموس الإلهى المكتوب فى لوحى الحجر ، باصبع الله ، فوق جبل سيناء ، تتجلى الوصية الأولى والعظمى ؛ حيث قيل: «تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ، هذه هى الوصية الأولى والعظمى ، والثانية مثلها : تحب قريبك كنفسك ، بهاتين الوصيتين يتعلق الناموس كله والأنبياء » (مت ٢٢ : ٣٧ — ٤٠ انظر خر ٢٤ : ١٢ و ٣٤ : ٢٨ مع خر ٢٠ : ١ — ١٧ مع لا ١٩ : ١٨ مع رو ١٣ : ٨ — ١٠) ، وقد جمع رسول المحبة ، كل هذا الناموس ، فى وصية واحدة ، قائلا : «هذه هى وصيته : أن نؤمن باسم ابنه يسوع المسيح ونحب بعضنا بعضاً كما أعطانا وصية» (١ يو ٣ : ٢٣) . من هذه الشواهد وغيرها نوقن أن الإيمان المحسوب براً ، يصبح براً مصنوعاً وهو « الإيمان العامل بالمحبة » ، هذا يأتى بنا إلى : —

(ج) البر الموضوع » :

ما أفضل الذين إذ يحسب لهم « الإيمان » براً يتجملون « بالإيمان العامل بالمحبة » فيسعون ، أيضاً ، لوضع الحق فى الأرض وإخراجه إلى النصرة ، وذلك لما بين البر والحق من الصلة المتينة والعلاقة القوية التى تجلت بينهما ، فى قول المرنم : « الرحمة

والحق التقيا ، البر والسلام تلاثما ، الحق من الأرض ينبت والبر من السماء يطلع » (مز ٨٥ : ١٠ و ١١) . بهذا المعنى يكون الذين «صنعوا براً » هم الذين آمنوا فحسب إيمانهم لهم براً ، وحفظوا وصايا الله كسائر المؤمنين والأتقياء ، وبقوة إيمانهم «العامل بالمحبة » (غل ٥ : ٦) . وعن طريق حفظهم الوصية المقدسة (١ يو ٣ : ٢٣) ، هكذا قد استطاعوا أن يقضوا بالحق والاستقامة كصموئيل وسائر القضاة الأمناء وسائر الأنبياء الذين ، بروح سيدهم ، وضعوا الحق فى الأرض ؛ فأخرجوه إلى النصرة ، وأثبتوا البر والعدل بالوحى المقدس والعمل الصالح ، هؤلاء هم «الذين بالإيمان قهروا ممالك ، صنعوا براً » :

« نالوا مواعيد »

بالمقارنة بين هذه الجملة «نالوا مواعيد» وبين الجملة التى نصها : «لم ينالوا الموعد» (ع ٣٩) ، نجد أنفسنا ، فى هذه المقارنة ، مضطرين أن نميز بين «المواعيد» كما وردت هنا فى صيغة الجمع ، وبين «الموعد» كما هو وارد هناك ، وهذا التمييز يضطرنا أن نحصر أنفسنا فى «المواعيد» الخاصة الشخصية الفردية . ومن عينة هذه المواعيد — ذلك الوعد الذى أعطى لإبراهيم بشأن سارة امرأته ؛ حيث قيل : «إنى أرجع إليك نحو زمان الحياة ، ويكون لسارة امرأتك ابن » (تك ١٨ : ١٠ اقرأ ع ٩ — ١٥) .

وقد تم هذا الوعد كما هو ظاهر ؛ حيث قيل : «وافتقد الرب «سارة» كما قال ، وفعل الرب «لسارة» كما تكلم ، فحبلت وولدت لإبراهيم «ابناً» فى شيخوخته ، فى الوقت الذى تكلم الله عنه » (تك ٢١ : ١ و ٢ اقرأ ع ١ — ٨) ، وقد علق الرسول بولس على هذا «الوعد» وإتمامه ، قائلا : «بالإيمان سارة نفسها ، أيضاً ، أخذت قدرة على إنشاء نسل ، وبعد وقت السن ، ولدت ؛ إذ حسبت الذى وعد صادقاً » (راجع شرح ص ١١ : ١١و١٢) .

هكذا نال يشوع الوعد من الله الذى قال له : «تشدد وتشجع ؛ لأنك أنت تقسم ، لهذا الشعب (شعب إسرائيل) الأرض التى حلفت لآبائهم أن أعطيهم » (يش ١ : ٦

و ٣ : ٧ انظر تث ٣ : ٢١) ، فقد تم هذا «الوعد» فى دخول الشعب إلى أرض كنعان تحت قيادة يشوع ، وفى قسمته الأرض لهم ، كما تكلم الرب (إقرأ يش ١٤ : ١ — ٥ و ٢٤ إقرأ كل الأصحاح) ، وهل يتم نيل « المواعيد » بدون « الإيمان » ؟ أليس إتمام الوعد مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بقوة الإيمان ؟ لذلك يقول « الذين بالإيمان » : —

« نالوا مواعيد » :

« بالإيمان » بوعد الله الذى « ليس هو إنساناً فيكذب ، ولا ابن إنسان فيندم ، هل يقول ولا يفعل ؟ أويتكلم ولا يفى » ؟ (عد ٢٣ : ١٩) . « وأيضاً ، نصيح إسرائيل لا يكذب ولا يندم ؛ لأنه ، ليس إنساناً ، ليندم » (١ صم ١٥ : ٢٩) « لأن هبات الله ودعوته هى بلا ندامة » (رو ١١ : ٢٩)

فكم إذا اقترن وعده ، تعالى اسمه ، بقسم ، كما فعل عند إعطاء الوعد لإبراهيم ؟ هكذا يقول الرسول : « إذ أراد الله أن يظهر ، أكثر كثيراً ، لورثة « الموعد » عدم تغير قضائه ، توسط « بقسم » حتى بأمرين عديمى التغير (الوعد والقسم) لا يمكن أن الله يكذب فيهما — تكون لنا تعزية قوية — نحن الذين التجأنا لنمسك بالرجاء الموضوع أمامنا » (راجع شرح ص ٦ : ١٣ — ١٨) ، هذا بشأن القول « نالوا مواعيد » ، أما القول « لم ينالوا الموعد » فانظر الشرح (ع ٣٩) ، أما الآن فلنتقدم إلى القول : —

« سدوا أفواه أسود » :

هنا حادث تاريخى ينم عن شخصية من الشخصيات البارزة ، فى تاريخ سبى بابل — هى شخصية « دانيال » الذى ، بنسبته إلى هذا الحادث ، يدخل ضمن « الأنبياء » (الذين سبق الحديث عنهم) ، ولو أنه لم يعد بينهم ، لذلك يحسن بنا ، هنا ، أن ننظر إليه كأحد أولئك « الأنبياء » العظام ؛ حيث نراه يلعب دوراً فريداً فى سبى بابل ، به يشهد لدى ملوك بابل العظام وملوك فارس ، أيضاً ، كما يظهر من تاريخه فى السفر المسمى باسمه ، ولابد ، أن الرسول هنا يشير إلى تلك الشخصية العجيبة ، فى قوله : —

« سدوا أفواه أسود » :

أما سد أفواه الأسود ، فقد كان حادثاً تاريخياً مقدساً فريداً فى بابه ، وقد حدث فى أيام داريوس المادى ، ملك بابل ، الذى أفسح لدانيال مكاناً فائقاً فى مملكته ؛ حيث أراد أن يوليه على المملكة كلها ، وذلك لأنه رأى فيه « روحاً فاضلة » تفوقت به على جميع الوزراء والمرازبة (إقرأ دا ٦ : ١ — ٣) . وقد أغار ، هذا التفوق ، أولئك الوزراء والمرازبة ؛ فغلت صدورهم واشتعلت النيران فى قلوبهم ؛ فدبروا لدانيـــال مكيدة للقضاء عليه ؛ لكى يستريحوا منه ، فتشاوروا على أنه يضعوا « أمراً ملكياً » و « يشددوا نهياً » بأن كل من يطلب ، طلبة حتى ثلاثين يوماً ، من إله أو إنسان ، إلا منك أيها الملك ، يطرح فى جب الأسود » (إقرأ دا ٦ : ٤ — ٩) .

هكذا وضعوا ذلك الأمر الملكى والنهى المشدد ، وهم مؤكدون كل التأكيد أن دانيال الذى يعبد إله السماء والأرض ، دون سواه ، لا يمكن أن يخضع لهذا الأمر الملكى والنهى المشدد ؛ فلابد إذاً ، أن يطرح فى جب الأسود ، وهكذا قدموا تلك الوثيقة إلى الملك داريوس وطلبوا منه تثبيتها بإمضائه ؛ لتكون « كشريعة مادى وفارس التى لا تنسخ » . وهكذا فعل الملك عن غير إدراك — لقصد أولئك الأردياء — وأمضى الوثيقة . وهكذا وجد دانيال نفسه أمام الأمر الواقع ، ولكنه لم يذعن للأمر بل سار فى عبادة إلهه دون تغيير وبلاخوف ، مؤمناً بذلك « الإله الحق » (١ يو ٥ : ٢٠) ، فذهب إلى بيته وكواه مفتوحة ، فى عليته ، نحو « أورشليم » ليتعبد « لإله إسرائيل » كعادته دون حساب لأى أمر ملكى أو نهى مشدد .

إلا أن الملك قد أدرك أخيراً سوء نية أولئك الأردياء ؛ لوضع مكيدة للقضاء على « دانيال » ، على أن هذا الإدراك كان بعد فوات الفرصة ؛ حيث أن هذه الوثيقة ، بإمضائه الملكى ، قد أصبحت « شريعة مادى وفارس التى لا تنسخ » (دا ٦ : ٨) . ولذلك ، بالرغم من كل محاولاته لإنقاذ دانيال ، لم يفلح ؛ وقد أضحى أمام الأمر الواقع ، مرغماً أن ينفذ ما فى الوثيقة وأن يطرح دانيال فى الجب ، ومضى إلى بيته حزيناً ، بعد أن ودعه بالقول : « إن إلهك ، الذى تعبده دائماً ، هو ينجيك » . وأتى بحجر

ووضع على فم الجب وختمه الملك بخاتمه وخاتم عظمائه ؛ لئلا يتغير القصد فى دانيـــال (اقرأ دا ٦ : ١٠ — ١٧) .

الآن نحن مع « دانيال » فى جب الأسود ؛ حيث تتجلى أمامنا ، بوضوح تام ، فاعلية إيمانه ، وهى تلك الفاعلية الفذة التى عبر عنها دانيال نفسه فى رده على سؤال الملك الذى بات فى قصره ، تلك الليلة ، صائماً ساهراً حتى الفجر ، حين قام وذهب مسرعاً إلى جب الأسود واقترب إلى الجب ونادى ، بصوت أسيف ، قائلا : «يا دانيال عبد الله الحى ! اهل إلهك الذى تعبده ، دائماً ، قدر على أن ينجيك من الأسود » ؟ فتكلم دانيال ، مجيباً ، من الجب ، قائلا : « يا أيها الملك ! عش إلى الأبد ! إلهى أرسل ملاكه وسد أفواه الأسود فلم تضرنى ؛ لأنى وجدت بريئاً قدامه ، وقدامك ، أيضاً أيها الملك ، لم أفعل ذنباً » (دا ٦ : ٢٠ — ٢٢ اقرأ ع ١٨ — ٢٤)

ألا نلمح ، فى كلمات الملك ، وهو يودع « دانيال » مسلماً إياه ليد إلهه ؟ وفى تشدده لحراسة الجب ؟ هل نلمح فى تلك الكلمات وفى هذا العمل شبه إيمان « للملك » بإله دانيال وحراسته إياه ؟ وهل نشأ شبه الإيمان هذا فى الملك — هل نشأ عن ما رآه من قوة وثقة لدانيال بإلهه القادر أن يسد أفواه الأسود ؟ وكيف لا يكون الأمر هكذا ؟ أو ليس للايمان القوى بالإله الحى قوة يسرى مفعولها فى الذين يتعاملون مع المؤمنين الحقيقيين ؟ هكذا أكمل إيمان الملك وفرح مبتهجاً ، وهكذا انتصر إيمان دانيال الذى به سدت أفواه الأسود .

ومن هو هذا « الملاك » الذى أرسله إله دانيال لحمايته ؟ إنه «ملاك العهد» (مل ٣ : ١) — « رب الجنود يهوه صباؤت » (إش ٦ : ٣) — « رئيس جند الرب » (يش ٥ : ١٤ — — يهوه إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب » (خر ٣ : ١٥) ، هذا هو الذى كان فى البرية أربعين يوماً « مع الوحوش » (مر ١ : ١٣) ، هذا هو الذى إذ أتت عليه ساعة الأشرار وسلطان الظلمة نزل إلى الأعماق ، فى أرض الظلمة الدامسة ؛ لمحاربة الأسود الكاسرة والقضاء على أبواب الجحيم وصرخ «إلهى إلهى لماذا تركتنى » وإذا بالظلمة قد انقشعت وأبواب الجحيم قد انهزمت واندكت وكل قوات

الشر قد هربت ؛ فخرج ظافراً منتصراً وقال : « قد أكمل » (قابل لو ٢٢ : ٥٣ مع مت ٢٧ : ٤٥ و ٤٦ مع يو ١٩ : ٣٠) .

هذا هو الذى كان فى الجب مع « دانيال » وصرف ليلة معه بين الأسود — ليلة ما أسعدها ! جب ما أحلاه ! فيه تجلى نور مجد بن الله متلألئاً يضىء المكان ، وظهرت ابتسامات الوحوش الضارية تبهج القلب وتقضى على ما نفثه فيه الأعداء البشريون من سموم قاتلة . وتعلن مجد الحياة الأبدية الباهرة . وكل هذا فعل « الإيمان » البعيد المدى الذى ظهرت فاعليته فى جميع المؤمنين «الذين « بالإيمان » قهروا ممالك ، صنعوا براً ، نالوا مواعيد ، سدوا أفواه أسود » : —

(ع ٣٤) أطفأوا قوة النـــار » :

هكذا ، أيضاً ، حادث تاريخى فذ ينسبه التاريخ المقدس إلى ثلاثة فتيان من أبطال « الإيمان » فى سبى بابل ، وهذا هو الحادث الثانى الذى يذكره الرسول فى أرض السبى ؛ من سفر « دانيال » واضعاً إياه بين « الأنبياء » . وإذا أمعنا النظر ودققنا البحث نرى فى ذكر الحادثين « سدوا أفواه أسود » و « أطفأوا قوة النار » —نرى فى ذكرهما تاريخياً ، ما سبق أن رأيناه فى الثلاث ثنائيات من تقديم وتأخير (راجع شرح ع ٣٢) .

فإن التاريخ الزمنى لحادث إطفاء قوة النار قد ورد فى (دا ص ٣) فى أيام نبوخذ نصر ملك بابل — الرأس من ذهب (دا ٢ : ٣٢ و ٣٧ و ٣٨) — أما حادث « سد أفواه الأسود » فقد ورد فى (دا ص ٦) على يد داريوس المادى فى مملكة مادى وفارس — الصدر والذراعان من فضة (دا ٢ : ٣٢ و ٣٩) — ولكن الرسول يقدم حادث « سد أفواه الأسود » (ص ٦) على حادث « إطفاء قوة النار » (ص ٣) .

ولعل ما حدا بالرسول إلى هذا التقديم والتأخير — لعله يتصل بالشخصيات المتعلقة بهذين الحادثين . فقد رأينا أن حادث « سد أفواه الأسود » متعلق بشخصية « دانيال » ، أما حادث « إطفاء قوة النار » فهو متعلق بثلاثة فتيان- هم أصحاب دانيال (انظر دا ٢ : ١٧ و ١٨) ، والتاريخ يرينا مقام دانيال الأسمى ، لا بالنسبة إلى مركزه

الدولى ، فحسب ؛ بل ، أيضاً ، بالنسبة إلى هؤلاء الثلاثة الفتيان ؛ كما يبدو من التاريخ المقدس بوصف كونه ولياً عليهم قائماً بأمرهم ؛ كما هو مبين مما ورد فى الكتاب (اقرأ دا ص ١ و ٢ : ٤٨ و ٤٩) ، فقد ذكر اسمه فى التاريخ متقدماً دائماً على أسمائهم .

لعل مقام « دانيال » الأسمى فى المملكة وبين أصحابه بالنسبة إليهم ! هو الذى حدا بالرسول ، أيضاً ، إلى أن يذكر « جب الأسود » المتعلق بدانيال مقدماً إياه على « قوة النار » المتعلقة بالفتية الثلاثة ، على أن هذا لا يقلل من نسبة فاعلية « الإيمان » فى أولئك الفتيان الثلاثة ، عن نسبة فاعليته فى « دانيال » كما سنبين فى شرح القول : —

« أطفأوا قوة النـــار » :

هذا الأمر يوقفنا فى بابل — فى ملك نبوخذ نصر « ملك ملوك » الأرض فى زمانه (دا ٢ : ٣٧) — حيث فكر الملك ، فى تعظمه أن يصنع لنفسه تمثالا من ذهب طوله ستون ذراعاً وعرضه ستة أذرع (هل هذه الستون طولا والستة عرضاً ؟ توحى إلينا فكرة عن « الحكمة » التى قال عنها الرائى يوحنا « هنا الحكمة من له فهم ؛ فليحسب عدد الوحش ؛ فإنه عدد إنسان ، وعدده ستمئة وستة وستون » ٦٦٦ — رؤ ١٣ : ١٨ وذلك بوصف كونه عدداً لا يصل إلى الكمال الذى يشار إليه بالعدد « ٧ » مهما تعددت أسداسه) .

هذا التمثال نصبه الملك نبوخذ نصر « فى بقعة دورا فى ولاية بابل » وأرسل وجمع كل عظماء الدولة فى مملكته لتدشين هذا التمثال فى حفل مهيب رائع ؛ ليكون معبوداً إلهياً وأصدر أمراً قائلا : « قد أمرتم أيها الشعوب والأمم والألسنة ؛ عندما تسمعون صوت القرن والناى والعود والرباب والسنطير والمزمار وكل أنواع العزف أن تخروا وتسجدوا لتمثال الذهب الذى نصبه نبوخذ نصر الملك ، ومن لا يخر ويسجد ، ففى تلك الساعة ، يلقى فى وسط أتون نار متقدة » (دا ٣ : ٤ — ٦ اقرأ ع ١ — ٧) . هكذا أطاع الجميع الأمر وسجدوا للتمثال ؛ حسب أمر الملك .

إلا أن ثلاثة فتيان من اليهود هم « شدرخ وميشخ وعبدنغو » الذين كانت أسماؤهم أصلا « حننيا وميشائيل وعزريا » (دا ١ : ٧) — هؤلاء لم يطيعوا أمر الملك ، ولم يسجدوا لتمثال الذهب الذى نصبه ؛ فاستدعاهم وأعطاهم فرصة للسجود ، قائلا : « تعمداً يا شدرخ وميشخ وعبد نغو لا تعبدون آلهتى ؟ ولا تسجدون لتمثال الذهب الذى نصبت ؟ فإن كنتم الآن مستعدين . . . إلى أن تخروا وتسجدوا للتمثال الذى عملته ، وإن لم تسجدوا ، ففى تلك الساعة ، تلقون فى وسط أتون النار المتقدة ، ومن هو الإله الذى ينقذكم من يدى » ؟ (دا ٣ : ١٤ و ١٥) .

وهنا تجلت قوة فاعلية « الإيمان » فى هؤلاء الأبطال الثلاثة ؛ فأجابوا « يا نبوخذ نصر لا يلزمنا أن نجيبك عن هذا الأمر ، هوذا يوجد إلهنا الذى نعبده يستطيع أن ينجينا من أتون النار المتقدة ، وأن ينقذنا من يدك أيها الملك ، وإلا فليكن معلوماً لك ، أيها الملك ، أننا لا نعبد آلهتك ، ولا نسجد لتمثال الذهب الذى نصبته » (دا ٣ : ١٦ — ١٨) ، هكذا أظهروا أنفسهم « مستعدين » لا ليسجدوا لتمثال الذهب ؛ بل لأن يلقوا فى أتون النار ، وهنا تبرز قوة الإيمان فى فاعليته .

اتقد غضب الملك فاتقد الأتون سبعة أضعاف قوته « وأوثق جبابرة القوة هؤلاء الرجال الثلاثة فى سراويلهم وأقمصتهم وأرديتهم ولباسهم » ، وألقوا فى وسط أتون النار المتقدة الذى وصلت ناره إلى درجة غير معتادة حتى إن مجرد لهيبها ! قتل ، من بعيد ، جبابرة القوة الذين ألقوا الفتيان الثلاثة فى النار (اقرأ دا ٦ : ١٩—٢٣) ، حينئذ تحير نبوخذ نصر الملك ، وقام مسرعاً ؛ فأجاب وقال لمشيريه : « ألم نلق ثلاثة رجال موثقين فى وسط النار ؟ . . . ها أنا ناظر أربعة رجال محلولين يتمشون ، فى وسط النار ، وما بهم ضرر ، ومنظر الرابع شبيه بابن الآلهة » (دا ٣ : ٢٤ و ٢٥) .

من هو هذا الرابع الذى رآه نبوخذ نصر ، مع هؤلاء الثلاثة الفتيان ؟ يتمشى معهم ، فى وسط النار ؛ كما لو أنهم كانوا فى وسط جنة فيحاء مملوءة بكل أنواع الأطياب وزاخرة بأفخر وأشهى الأثمار « الشهية للنظر والجيدة للأكل » — جنة عدن فى مجدها الأول — فردوس السماء فى بهائه الأبدى — من هو هذا الرابع ؟ إنه « ملاك

العهد » الذى صرف ليلة مع « دانيال» فى الجب و« سد أفواه الأسود »(راجع شرح الفقرة السابقة) . ها هو الآن فى وسط النار يطفىء قوتها ؛ فلم تكن لها قوة على أجسامهم «وشعرة من رؤوسهم لم تحترق ، وسراويلهم لم تتغير ، ورائحة النار لم تأت عليهم » (دا ٣ :٢٧ اقرأ ع ٢٦ و ٢٧) .

ولا عجب ! فإن هؤلاء الثلاثة يحملون ، فى أسمائهم ، اتصالا وثيقاً بهذا الرابع القدير « الكائن والذى كان الذى يأتى» حيث نرى هذا الاتصال بارزاً، فى تلك الأسماء ، على النحو الآتى : — « حننيا » متصل فى اسمه بلفظ « ياه » — « يهوه » . وهذا يرجع بنا إلى«ملاك العهد » الذى ظهر لموسى فى العليقة ؛ لكى يرسله لإخراج شعبه من نير العبودية . وإذ سأله موسى ، عن اسمه ، أجابه قائلا : « أهيه الذى أهيه » — « يهوه » إله آبائكم — إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب أرسلنى إليكم ، هذا اسمى إلى الأبد ، وهذا ذكرى إلى دور فدور » (خر ٣ : ١٤ و ١٥) واتصال حننيا بهذا الاسم يعلن لنا إله الحنان والشفقة و « الإحسان » .

على هذا النحو نستطيع أن نرى اتصال « عزريا » بهذا الاسم « ياه » — « يهوه » حيث نرى إله المعونة — إله العون والإنقاذ ، ويطلق ألسنتنا بالترنم ، قائلين : « توكلوا على « يهوه » إلى الأبد ؛ لأن فى « ياه يهوه » صخر الدهور » (إش ٢٦ : ٤ اقرأ ع ١ — ٦) . وعلى هذا الأساس ، نترنم ، أيضاً ، مع ذات النبى قائلين : « هوذا الله خلاصى فأطمئن ولا أرتعب ؛ لأن « ياه يهوه » قوتى وترنيمتى ، وقد صار لى خلاصاً » (إش ١٢ : ٢ اقرأ كل الأصحاح) .

أما اسم « ميشائيل » فإننا ، فى تفصيله ، نراه مركباً من ثلاثة مقاطع هى : — المقطع الأول « مى » وهو عربياً « من » : — المقطع الثانى «شا» وهو عربياً « كا » التشبيه أو « كما » والمعنى « مثل » : — المقطع الثالث « أيل » وهو اسم الجلالة « الله » — رب القدرة والجلال الذى ظهر لإبراهيم وقاله له « أنا إيل شداى » أى أنا الله القدير » (قابل تك ١٧ : ١ مع خر ٦ : ٢ و ٣) .

بمقتضى هذا الإيضاح يكون معنى « ميشائيل » أو « ميكائيل » أو « ميخائيل » — « من مثل إيل » أو « من كالله القدير » (مز ٨٩ : ٦) . فى هذا يتصل المعنى بذلك الرابع الذى هو « ياه يهوه » — رب الحنان والإحسان ، وإله العون والإنقاذ ؛ بل أيضاً إله القدرة الذى له « العزة » وحده (مز ٦٢ : ١١) ، هذا هو « المبارك العزيز الوحيد ملك الملوك ورب الأرباب — الذى وحده له عدم الموت ، ساكناً فى نور لا يدنى منه » (١ تى ٦ : ١٥ و ١٦) ، هذا هو « بهاء مجده — مجد الآب — ورسم جوهره » (راجع شرح ص ١ : ٣) .

هذا هو « الشبيه بابن الآلهة » الذى حل فى أتون النار مع الثلاثة الفتيان المؤمنين الأمناء وأطفأ قوة النار وحل وثاقهم وكان يتمشى ، معهم ، آمنين بسلام فى وسط الأتون ، هكذا حق القول عن هؤلاء الثلاثة الفتيان « الذين بالإيمان » : —

أطفأوا قوة النار

فمع أن القوة الغاشمة الأصنامية — تحكمت فى تغيير أسماء هؤلاء الثلاثة ؛ فجعلت اسم « حننيا » شدرخ ، وجعلت اسم « ميشائيل » ميشخ ، وجعلت اسم « عزريا » عبد نغو (دا ١ : ٧) ، وقد كان القصد من ذلك ، ولابد ، إبعاد كل صلة بين هؤلاء الفتيان الثلاثة وبين إله آبائهم —«إله إسرائيل » — إلا أن تلك القوة الغاشمة لم يكن فى استطاعتها إلا أن تغير الأسماء فقط ، فلم يكن ، فى وسعها البتة ، أن تغير القلوب ؛ التى بقيت متصلة إتصالا وثيقاً بالإله الحى الحقيقى وبعبادته المقدسة ؛ كما يتضح جلياً من عزمهم الثابت فى ثقتهم التامة بإلههم والشجاعة الكلية لتسليم أنفسهم للحريق .

هكذا تم لهم وعد الله الصادق : « لأنه تعلق بى أنجيه ، أرفعه لأنه عرف اسمى ، يدعونى فأستجيب له ، معه أنا فى الضيق أنقذه وأمجده » (مز ٩١ : ١٤ و ١٥) . لقد رأينا « الذين بالإيمان قهروا ممالك — صنعوا براً — نالوا مواعيد — سد أفواه أسود — أطفأوا قوة النار » . والآن نتقدم لنرى « الذين بالإيمان » : —

« نجوا من حد السيف » :

لهذا التعبير « نجوا من حد السيف » وجهان — : الوجه الأول متصل بالناحية الإلهية — يد الله الفاعلة ، فى النجاة ، بقوة الإيمان ، الوجه الثانى — : قوة الإيمان الفاعلة ، فى النجاة ، بيد الله . والوجهان يتصلان معاً بمسئولية الإنسان فى هذه النجـــاة : —

الوجه الأول : يد الله الفاعلة ، فى النجاة ، بقوة الإيمان » :

فى هذا الوجه نتبين تلك الحقيقة الواضحة التى تؤكد كل التأكيد أن الله هو المنجى الحقيقى ، وليس ، من ينجى ، سواه ، وهذه حقيقة تتجلى بينة فى قول رسول الأمم ؛ فى إحدى المناسبات ؛ حيث قال : « فإننا لا نريد أن تجهلوا أيها الإخوة ! من جهة ضيقتنا التى أصابتنا فى آسيا ، أننا تثقلنا جداً فوق الطاقة ؛ حتى أيسنا من الحيـــاة ، أيضاً ، لكن كان لنا فى أنفسنا حكم الموت ؛ لكى لا نكون متكلين على أنفسنا ؛ بل على الله الذى يقيم الأموات ، الذى « نجانا » من موت مثل هذا وهو « ينجى » ، الذى لنا رجاء فيه ، أنه « سينجى » أيضاً ، فيما بعد » (٢ كو ١ : ٨—١٠)، فهو الذى « ينجى » وقد « نجى » و « سينجى » .

على أن الله الذى « نجى » فى الماضى ، و« ينجى » فى الحاضر ، و« سينجى » فى المستقبل ، إنما يقوم بهذه العملية عن طريق « الإيمان » ، كما هو واضح فى النص الوارد فى (ع ٨ — ١٠) ، الذى فيه يتجلى « رب المجد » أمام العيون ، فى عظمة قدرته الفائقة على الإقامة من الأموات ، فإذا نزع الإنسان نفسه ، من نفسه ، نزعاً تاماً ، غير متكل عليها ، وقضى على ثقته بها واتكاله عليها ، قضاء لا إبرام فيه ، وتمسك بالرب مؤمناً وموقناً « بقدرته السرمدية ولاهوته » (رو ١ : ٢٠) ، كانت له استطاعة بقوة إيمانه أن يحرك يد الله لإتمام عملية النجاة .

الوجه الثانى : قوة الإيمان الفاعلة ، فى النجاة ، بيد الله : —

هذا الوجه الثانى ، فى معناه ، يبين لنا أن هذا الإنسان الذى تمت له النجاة بيد الله ، أنه بقوة إيمان قد استطاع أن يحرك يد الله لإتمام عملية النجاة بقوة اقتداره الذاتى الإلهى .

ويمكن أن نجد عينه ، تمثيلا لهذا المعنى ، فى عينه من أسمى العينات ! وأرفع درجاتها ! فى ذلك الغلام الأشقر الغنام (راعى الغنم) ، وما كان أمجد إيمانه ! وهو يعبر عن ثقته الفائقة بالله ، إذ أنه ، لما قال له شاول : «لا تستطيع أن تذهب إلى هذا الفلسطينى ، لتحاربه ؛ لأنك غلام وهو رجل حرب منذ صباه » فقال داود لشاول : «كان عبدك يرعى لأبيه غنماً ؛ فجاء أسد ، مع دب ، وأخذ شاة من القطيع ؛ فخرجت وراءه وقتلته ، وأنقذتها من فمه ، ولما قام على أمسكته من ذقنه وضربته فقتلته ، قتل عبدك الأسد والدب جميعاً : وهذا الفلسطينى الأغلف يكون كواحد منهما ؛ لأنه قد عير صفوف الله الحى » (١ صم ١٧ : ٣٣ — ٣٦) .

وهكذا ظهرت قوة إيمان هذا البطل الشجاع الصغير فى تحريك يد الله للنجاة ، وذلك عند وقوفه ، وجهاً لوجه ، أمام ذلك العملاق الفلسطينى الجبار الذى ، لما رآه ، استحقره وازدرى به هازئاً ؛ فقال له داود : « أنت تأتى إلى بسيف وبرمح وبترس ، وأنا آتى إليك « باسم رب الجنود » — إله صفوف إسرائيل — الذين عيرتهم ، هذا اليوم « يحبسك الرب » فى يدى ؛ فأقتلك وأقطع رأسك ، وأعطى جثث جيش الفلسطينيين — هذا اليوم — لطيور السماء وحيوانات الأرض ؛ فتعلم كل الأرض أنه يوجد إله لإسرائيل ، وتعلم هذه الجماعة كلها ، أنه ، ليس بسيف ولا برمح يخلص الرب ؛ لأن « الحرب للرب » وهو يدفعكم ليدنا » (١ صم ١٧ : ٤٥ — ٤٧) .

بهذه الكلمات ، وبقوة « الإيمان » العجيب ؛ حرك داود يد الله القادرة ؛ فضبطت يده وأتقنت كل تحركاته وأحكمت حجر المقلاع «فارتز الحجر فى جبهته» وسقط — ذلك الجبار — على وجهه إلى الأرض ؛ فقطع رأسه . وهكذا تمت النصرة لشعب الرب وصارت الهزيمة والكسرة لكل شعب الفلسطينيين (انظر ١ صم ١٧ : ٤٢ — ٥٤ اقرأ كل الأصحاح) ، إلى الآن قد رأينا النجاة المخصصة ، بفاعلية الإيمان فى الذين « نجوا » : —

« من حد السيف » :

وما أمضى « حد السيف » ! وما أشد فعله ! وفى الكتب المقدسة نقرأ عن سيف « أمضى من كل سيف ذى حدين » (راجع شرح ص ٤ : ١٢) — هذا « السيف » رآه يوحنا « يخرج من فم » شبه ابن إنسان فى وسط سبع منابر ذهبية (رؤ ١ : ١٣ و ١٦) ، وتحدث عنه بوصف كونه « الذى له السيف الماضى ذو الحدين » وسمعه يقول له : « اكتب إلى ملاك كنيسة برغامس » وقل له : «تب وإلا فإنى آتيك سريعاً وأحاربهم بسيف فمى » (اقرأ رؤ ٢ : ١٢—١٦) . وقد رآه يوحنا جالساً على فرس أبيض « ومن فمه يخرج سيف ماض ؛ لكى يضرب به الأمم » وبه قتلهم (اقرأ رؤ ١٩ : ١١ — ٢١ مع مز ٢ : ٧ — ١٢ مع إش ١١ : ١—٥ و ٦٣ : ١—٦ راجع شرح ص ٤ : ١٢و ١٣) .

ومن أعجب ما قيل عن هذا « السيف » أن ذاك « الذى له السيف الماضى ذو الحدين » والذى ، من فمه يخرج « سيف ماض ذو حدين » هو ذاته جعله الرب سهماً مبرياً » وجعل فمه « كسيف حاد » (قابل إش ٤٩ : ١ — ٧ و ٥٥ : ١ — ٥ مع لو ٢ : ٢٥ — ٣٢ مع أع ١٣ : ٤٥ — ٤٨) ، على أن هذا الذى فمه كسيف حاد والذى جعل « سهماً مبرياً » ليس هو المقصود فى قول الرسول هنا ، عن أبطال الإيمان « نجوا » : —

« من حد السيف » :

فإن السيف المقصود هنا هو حد سيف الأعداء القاتل الذى بيد أعداء الرب ، الذين يريدون إبادة اسم الفتى القدوس يسوع من كل العالم ومحو ذكره من الوجود بملاشاة الذين له والقضاء على الذين يذكرون اسمه ، وهذا يؤدى بنا إلى بحث موضوع النجاة من حد هذا السيف ، ليس عن طريق الحماية الإلهية ، فحسب ؛ بل ، أيضاً ، عن مسئولية الإنسان عن نفسه ؛ ولو كانت هذه المسئولية تستلزم الهروب « من » حد السيف ، والهروب « إلى » المكان الذى يستطيع فيه أن يكون فى أمان من خطره—أى من خطر السيف .

أما الهروب « من » :

فقد يدخلنا إلى حضرة الملك شاول ، وهو فى حالة الجنون ، الذى كان يصيبه ؛ باقتحام الروح الردى إياه ، بعد ما صدر عليه حكم القضاء الإلهى من قبل الرب ، وهو الحكم الذى نطق به صموئيل النبى ، قائلا : « لأنك رفضت كلام الرب ؛ فرفضك الرب من أن تكون ملكاً على إسرائيل » — يمزق الرب مملكة إسرائيل عنك اليوم ، ويعطيها لصاحبك الذى هو خير منك ، وأيضاً ، نصيح إسرائيل لا يكذب ولا يندم ؛ لأنه ، ليس إنساناً ، ليندم » (١ صم ١٥ : ٢٦ — ٢٩ انظرع ٢٣ — ٢٩ اقرأ كل الأصحاح) .

تنفيذاً لهذا القضاء الإلهى الذى أصدره « نصيح إسرائيل » الذى « لا يكذب ولا يندم » — « ذهب روح الرب من عند شاول وبغته روح ردئ من قبل الرب » (١ صم ١٦ : ١٤) ، فأتوا إليه بعواد يحسن الضرب بالعود هو « داود بن يسى » ، « وهو جبار بأس ورجل حرب وفصيح ورجل جميل والرب معه» (١صم ١٦ :١٨) — فكان ، عندما بغت الروح الردى ، شاول ، من قبل الرب « أن داود أخذ العود وضرب بيده ؛ فكان يرتاح شاول ويطيب ، ويذهب عنه الروح الردى» . وقد أحب شاول داود وكان له حامل سلاح (اقرأ ١ صم ١٦ : ١٤ — ٢٣) .

على أن هذه المحبة الأرضية النفسانية الشيطانية ، لم تكن سوى محبة نفعية ، وما لبثت أن تحولت إلى غيرة ردية ، وحيث الغيرة الردية هناك التشويش وكل أمر ردىء ، فإنه ، بعد أن قتل « داود » جليات الجبار الفلسطينى « أن النساء خرجت من جميع مدن إسرائيل بالغناء والرقص للقاء شاول الملك بدفوف وبفرح وبمثلثات » قائلات : « ضرب شاول ألوفه ، وداود ربواته » . فاحتمى شاول جداً ، وساء هذا الكلام فى عينيه ، وقال « أعطين داود » « ربوات » ، وأما أنا فأعطينى الألوف » ، وبعد ، فقط ، تبقى له المملكة » (١ صم ١٨ : ٦ — ٨) .

ولعل شاول قد رأى فى غناء ودفوف أولئك اللاعبات مصادقة وموافقة تامة على ذلك الحكم القضائى الرهيب الذى صدر من الرب ، بفم « صموئيل » حيث قال

لشاول : « يمزق الرب مملكة إسرائيل عنك اليوم ويعطيها لصاحبك الذى هو خير منك » (١ صم ١٥ :٢٨) ، فكأنه رأى بعينيه وسمع بأذنيه من هو هذا الصاحب الذى هو خير منه ، من هو ؟ إلا « داود » الذى أعطته النساء « الربوات » وأما « الألوف » فأعطينها لشاول . هكذا تحقق شاول إتمام ذلك القضاء السماوى فى هذا الغناء النبوى ؛ فتحولت تلك المحبة النفسانية ، لا إلى غيرة ردية ؛ فحسب ؛ بل ، إلى عداوة شيطانية مصممة على قتل داود .

وقد ظهرت هذه العداوة بارزة ، كما يقول التاريخ : «كان شاول يعاين داود من ذلك اليوم فصاعداً » بعين العداوة القتالة ، و«كان فى الغد أن الروح الردى ، من قبل الله » اقتحم شاول وجن فى وسط البيت ، وكان داود يضرب بيده كما فى يوم فيوم ، وكان الرمح ، بيد شاول » فأشرعه والشر يملأ قلبه ؛ ليضرب داود بالرمح للقضاء عليه ؛ فتحول داود من أمامه مرتين ونجا فى ذلك الوقت (اقرأ ١ صم ١٨ : ٩ — ١١) ، وفى يوم تال ، وهو جالس فى بيته ورمحه بيده وكان الروح الردى من قبل الرب عليه ، وكان داود يضرب باليد ، فالتمس شاول أن يطعن داود بالرمح ، ففر من أمام شاول وهرب من أمامه ، ونجا تلك الليلة ، فكانت النجاة ، والحال هذه ، عن طريق الهروب من أمام شاول (١ صم ١٩ : ٩ و ١٠) .

فإلى أين هرب داود ؟ ينبئنا التاريخ المقدس ، قائلا : « هرب داود ونجا وجاء إلى صموئيل فى الرامة ، وأخبره بكل ما عمل به شاول وذهب هو وصموئيل وأقاما فى نايوت فى الرامة » (١ صم ١٩ : ١٨ و ١٩) . فاتجاه داود للهروب إلى صموئيل يقودنا إلى أمر جوهرى يتعلق بالإيمان كما لو أن يقال : « بالإيمان » هرب داود من وجه شاول والتجأ إلى صموئيل ، وذلك هو ، لأن « صموئيل » كان وقتئذ قاضياً لإسرائيل — معيناً من الرب ونبياً مؤتمناً منه ومعروفاً عند الجميع بأنه رجل الله (قابل ١ صم ٣ : ٢٠ و ٢١ و ٨ : ١ — ٥ مع ٩ : ٥ و ٦ مع أع ١٣ : ٢٠) ، وهو الذى مسح شاول ملكاً بمقتضى أمر الله (اقرأ ١ صم ٩ : ١٥ — ١٠ : ١) ، بل ، هو ، أيضاً ، الذى نطق عن فم الرب بالقضاء المخيف العادل بتمزيق المملكة من يد شاول

وإعطائها لآخر (اقرأ ١ صم ١٥ : ٢٣ — ٢٩) ، كما أنه بمقتضى التعليم الإلهي هو الذى مسح « داود » ليكون ملكاً على إسرائيل عوضاً عن شاول (اقرأ ١ صم ١٦ : ١ — ١٣). فكان ، إذاً ، أمراً طبيعياً أن يهرب داود من وجه شاول ويلتجىء إلى صموئيل ويكون هذا الالتجاء التجاء حقيقياً « بالإيمان » إلى الرب ذاته الذى أقامه ملكاً على إسرائيل بيد صموئيل .

من هذا الحديث ، يكون هروب إيليا النبي من وجه إيزابل الملكة الشريرة التى هددته بالقتل فهرب إلى جبل الله حوريب ، ليلتقى هناك بالرب — بذلك يكون هروبه إيماناً بالرب الذى إليه التجأ ، بوصف كونه صاحب الشأن الذى يتصرف فى كل الشئون مقدماً إليه دعواه (قابل ١ مل ١٩ : ١ — ٤ مع ع ٨ — ١٤ اقرأ ع ١ — ١٨ مع رو ١١ : ١ — ٤) ، فإلى الله « بالإيمان » هرب إيليا — إلى جبل الله حوريب (جبل سيناء) — الذى ، عليه ، كتبت شريعة الرب بإصبع الله وهناك قدم دعواه إلى « الإله القدير » الذى سبق فاستجاب لصلاته فى جبل الكرمل « فسقطت نار الرب وأكلت المحرقة والحطب والحجارة والتراب ولحست المياه التى فى القناة ؛ فلما رأى جميع الشعب ذلك سقطوا على وجوههم وقالوا « الرب هو الله ، الرب هو الله » (١ مل ١٨ : ٣٨ و ٣٩ انظر ع ٣٦ — ٣٩ اقرأ ع ١٩ — ٤٠) . وقد سمع الله إلى دعواه وهو هارب إلى جبل الله حوريب وسار به فى نهاية المطاف ، لا إلى جبل من الجبال ؛ بل ، إلى السماء ، عينها ؛ حيث أعدت له « مركبة من نار وخيل من نار . . . فصعد إيليا فى العاصفة إلى السماء » (٢ مل ٢ : ١١ اقرأ ع ١ — ١٨) .

فإلى أين نهرب لنجاتنا ؟ وبأى روح نهرب ؟ وماذا تكون النتيجة ؟ هذا يرجع بنا إلى من سبق أن تكلمنا عنه بوصف كونه « سهماً مبرياً » مخفى فى الكنانة الأبدية « كسيف حاد » فى يد الله « ومن فمه يخرج سيف ذو حدين » نهرب إليه ؛ لننجو من من غضب الله المعلن من السماء على جميع فجور الناس وإثمهم (رو ١ : ١٨) ، نهرب إليه وذلك بوصف كونه « كلمة الله الحى » ، « مولودين ثانية لا من زرع يفنى ؛ بل مما لا يفنى ، بكلمة الله الحية الباقية إلى الأبد ؛ لأن كل جسد كعشب ، وكل مجد إنسان كزهر عشب . العشب يبس وزهره سقط ، وأما « كلمة الرب » فتثبت إلى الأبد »

« قابل ١ بط٢ : ٢٣ — ٢٥ مع إش ٤٠ : ٦ — ٨) . هكذا « بالإيمان » تكون لنـــا نجاة عظيمة ، وهذا يأتى بنا إلى القول : —

« تقووا من ضعف » :

لهذا القول — « تقووا من ضعف » علاقة قوية بالقولين التاليين وهما — « صاروا أشداء فى الحرب » — « هزموا جيوش غرباء » — وبهذه العلاقة يمكن أن نرسم هـــذه الثلاثة الأقوال كثلاث حلقات فى سلسلة واحدة فى خط مائل من الأسفل إلى الأعلى مثلث الدرجات فيكتب على الدرجة السفلى منها كلمة « ضعف » . وعلى الدرجة الوسطى منها كلمة « أشداء » وعلى الدرجة العليا « هزم » . وهذه الدرجات الثلاث تربطها معاً كلمة « تقووا » : —

« تقووا من ضعف » :

هذه هى الدرجة السفلى من الدرجات الثلاث المرسومة أمامنا ، كما أوضحناها فى بدء هذا الكلام ، وكما نستطيع أن نراها فى أيام « يهوشافاط » ملك يهوذا عندما سطا عليه جيش عرمرم من بنى موآب ومن بنى عمون ، ومعهم جمهور عظيم من عبر البحر ، ولما أبلغ الأمر إلى يهوشافاط وقيل له : « قد جاء عليك جمهور كثير من عبر البحر من أرام ، وها هم فى حصون تامار ، هى عين جدى » (٢أى ٢٠ : ٢) . فخاف يهوشافاط واستولى عليه « الضعف » وارتعد قلبه ورجف من كثرتهم وجمع بنى يهوذا للمشاورة فى ما يتصرفون به أمام الخطر الداهم وتلقاء ذلك الجمهور الكثير الذى لا قبل لهم به ، وهم أمامه ضعفاء معترفين بضعفهم ، قائلين : « ليس فينا قوة أمام هذا الجمهور الكثير الآتى علينا ، ونحن لا نعلم ماذ نعمل » (٢ أى ٢٠ : ١٢) .

فى هذا الاعتراف يعلن شعب يهوذا ضعفهم ، من ناحيتين : — الناحية الأولى — عدم قدرتهم على مقابلة هذا الجيش الكثير العدد . — والناحية الثانية — عدم قدرتهم بو قلة حكمتهم فيما يجب أن يعملوه ، ولكنهم « تقووا من ضعفهم » بالتجائهم إلى الرب : —

« وصاروا أشداء فى الحرب » :

فلم يذعنوا للخوف ، ولم ينقادوا إلى الضعف ؛ بل رفعوا أنظارهم إلى رب القـــدرة العظيم الذى قال : « قوتى فى الضعف تكمل » (٢ كو ١٢ : ٩) . وتتلألأ قدرته فى أيام الشدة وفى أوقات المحنة فتقووا من ضعف » . « واجتمع يهوذا ليسألوا الرب ، جاءوا ، أيضاً ، من كل مدن يهوذا ليسألوا الرب » فوقف يهوشافاط فى جماعة يهوذا فى بيت الرب وقال : —

« يارب ! إله آبائنا ! أما أنت هو الله فى السماء ؟ وأنت المتسلط على جميع ممالك الأمم ، وبيدك قوة وجبروت وليس من يقف معك ؟ ألست أنت إلهنا الذى طردت سكان هذه الأرض ، من أمام شعبك إسرائيل ، وأعطيتها « لنسل إبراهيم خليلك » إلى الأبد»؟ والآن هوذا أعداؤنا الذين أحسنت إليهم « هوذا هم يكافئوننا بمجيئهم لطردنا من ملكك الذى ملكتنا إياه ، يا إلهنا ! أما تقضى عليهم » (اقرأ ٢ أى ٢٠ : ٤ — ١٣) . بهذا الاتجاه « تقووا من ضعف » وليس ذلك فقط ؛ بل ، أيضاً : —

« صاروا أشداء فى الحرب » :

« صارو أشداء فى حرب » لم يدخلوا إلى ميدانها ، ولم يندمجوا فى معمعتها ؛ فكانت شدتهم ، والحالة هذه ، إنما هى شدة قلوب واستعداد إرادة وسمو نفس تقضى على كل ضعف وتولد فيهم قوة فائقة الطبيعة للدخول إلى المعمعة والرجاء بالانتصار يحفزهم . هكذا تقوى الشعب من ضعف وانتصر الرجاء وفازوا بالنصر العظيم ، وذلك عن طريق التشجيع الإلهى الذى نطق به رب العزة على فم أحد اللاويين ، قائلا : «أصغوا يا جميع يهوذا وسكان أورشليم ! وأيها الملك يهوشافاط ! هكذا قال الرب لكم : «لاتخافوا ولا ترتاعوا بسبب هذا الجمهور الكثير ؛ لأن الحرب ليست لكم ؛ بل لله » (٢ أى ٢٠ : ١٥ انظر ١ صم ١٧ : ٤٧) .

هكذا « بالإيمان » تقوى يهوشافاط وتشدد قلبه فى الحرب وشدد قلوب شعبه ، قائلا : « اسمعوا يا يهوذا وسكان أورشليم ! آمنوا بالرب إلهكم فتأمنوا ، آمنوا بأنبيائه فتفلحوا » (٢ أى ٢٠ : ٢٠ انظر إش ٧ : ٩) ، موجهاً نظرهم إلى مواعيد الله .

« نصيح إسرائيل الذى لا يكذب ولا يندم » (١ صم ١٥ : ٢٩) ، فلا عجب ! إذا قيل : إنهم « تقووا من ضعف » وليس ذلك فقط ؛ بل ، أيضاً « صاروا أشداء فى الحرب» ولو أنهم لم ينازلوا الأعداء فيها ، ولو أنهم لم يدخلوا إلى ميدانها ولم يتغلغلوا فى معمعتها ؛ فإنهم تشددت قلوبهم وعلت نفوسهم وارتفعت « بالإيمان » بالنصرة بقوة رب الجنود إلى درجة يمكن أن يقال معها :

« هزموا جيوش غرباء » :

« هزموا جيوش غرباء » لا بالآلات الحربية ، ولا بقوة الفرسان وعددهم ، ولا بدهائهم السياسى الفائق . فلم يكن لديهم شيء من هذا القبيل ؛ لذلك انحصرت كل قواهم وتأهباتهم للحرب فى فاعلية « الإيمان » بالرب وبمواعيده الأمينة ، وبالتعبد له من كل القلب ، وبالهتاف لاسمه ولمجده بكل أنواع العزف والغناء وبصوت الثقة والفرح والرجاء . فإنهم ، إذ « جاءوا إلى المرقب ، فى البرية ، تطلعوا نحو الجمهور ، وإذا هم جثث ساقطة على الأرض ولم ينفلت أحد » . وإذ أتوا إلى الموضع وجدوا غنائم منوعة لا تحصى ولا تعد « وجدوا بينهم أموالا . . . وأمتعة ثمينة بكثرة ؛ فأخذوها لأنفسهم ؛ حتى لم يقدروا أن يحملوها » — وفى اليوم الرابع — اجتمعوا فى « وادى بركة » لأنهم هناك باركوا الرب ؛ لذلك دعوا اسم ذلك المكان وادى بركة إلى اليوم » (اقرأ ٢ أى ٢٠ : ٢٤ — ٢٦) .

أما « وادى بركة » فهو اسم مكان منقوش فيه سر هذه النصرة العجيبة ، فإن يهوشافاط « استشار الشعب وأقام مغنيين ومسبحين ، فى زينة مقدسة عند خروجهم أمام المتجردين وقائلين : «إحمدوا الرب ؛ لأن إلى الأبد رحمته » (٢ أى ٢٠ : ٢١ اقرأ مز ١٣٦) . « ولما ابتدأوا ، فى الغناء والتسبيح ، جعل الرب أكمنة على بنى عمون وموآب وجبل ساعير الآتين على يهوذا ؛ فانكسروا » ، وقام بعضهم على بعض وأهلك بعضهم بعضاً ، فأصبح كل جيش الأعداء جثثاً بسيف كل منهم ضد أخيه ؛ لذلك دعى اسم ذلك الوادى « وادى بركة » (٢ أى ٢٠ : ٢١ — ٢٦) أى وادى التسبيح للرب والغناء لاسمه والهتاف لمجده .

هذه هي الأسلحة الروحية الفعالة التي تسلح بها « الإيمان » فتبددت كل قوات العدو ؛ لذلك يقول الرسول : « أخيراً يا إخوتي تقووا في الرب وفي شدة قوته ، ألبسوا سلاح الله الكامل ؛ لكي تقدروا أن تثبتوا ضد مكايد إبليس ، فإن مصارعتنا ليست مع دم ولحم ؛ بل مع الرؤساء ، مع السلاطين ، مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر ، مع أجناد الشر الروحية في السماويات ، من أجل ذلك احملوا سلاح الله الكامل ؛ لكي تقدروا أن تقاوموا — في اليوم — « الشرير » : وبعد أن تتمموا كل شيء أن تثبتوا » (أف ٦ : ١٠ — ١٣ اقرأ ع ١٠ — ٢٠) . بمقابلة ما قاله عن ذاته ، « فبكل سرور أفتخر بالحرى ، في « ضعفاتي » لكي تحل على قوة المسيح ؛ لذلك أسر بالضعفات . . . لأجل المسيح ؛ لأني ، حينما أنا ضعيف ؛ فحينئذ أنا قوي » . قال هذا تعليقاً على إجابة المسيح لصلواته ، قائلا له : « تكفيك نعمتي ، لأن قوتي ، في الضعف تكمل » (٢ كو ١٢ : ٨ — ١٠ اقرأ ٦ — ١٠) .

وما أعجب قول هذا الرسول ، أيضاً : « إذ أسلحة محاربتنا ، ليست جسدية ؛ بل قادرة بالله على هدم حصون ، هادمين ظنوناً وكل علو يرتفع ضد معرفة الله ، ومستأسرين كل فكر إلى طاعة المسيح ، ومستعدين لأن ننتقم على كل عصيان متى كملت طاعتكم » (٢ كو ١٠ : ٤ — ٦ اقرأ ع ٣ — ٦). هكذا حدث فعلا لأسوار أريحا (اقرأ يش ص ٦) .

ومع أن الرب سمع صلاة حزقيا ونظر إلى دموعه في أمر مرضه للموت وشفاه وزاد على أيامه خمس عشرة سنة ، ولكنه لم يسمع لرسوله بولس عندما تضرع إلى الرب ثلاث مرات من جهة الشوكة التي كانت في جسده . فإذا قارنا هذين الأمرين ، الواحد بالآخر ، نجد أمراً جديراً بالاعتبار فيه سمع الله لبطل من أبطال الإيمان قديماً ولكنه ، تعالى اسمه ، لم يستمع في ذات الأمر لبطل من أبطال « الإيمان » في « الأيام الأخيرة » (عب ١ : ١ وانظر أع ٢ : ١٧) .

ولعل سر هذا الفرق يرجع إلى أن معاملة الله قديماً كانت تتصل بالماديات والمنظورات ، الأمر الذي لم يكن في معاملة أبطال « الأيام الأخيرة » ؛ ليرتفع بهم فوق المنظور إلى غير المنظور ، وفوق ما يرى إلى ما لا يرى ، انطباقاً على القول :

« إن كان إنساننا الخارج يفنى ، فالداخل يتجدد يوماً فيوماً ؛ لأن خفة ضيقتنا الوقتية تنشىء لنا ، أكثر فأكثر ، ثقل مجد أبدياً ، ونحن غير ناظرين إلى الأشياء التى ترى ؛ بل إلى التى لا ترى ؛ لأن التى ترى وقتية ، وأما التى لا ترى فأبدية ؛ لأننا نعلم : أنه ، إن نقض بيت خيمتنا الأرضى ؛ فلنا ، فى السموات ، بناء من الله ، بيت غير مصنوع بيد ، أبدى » (٢ كو ٤ :١٦–٥ : ١) . هكذا رأينا فعل « الإيمان » فى الذين « تقووا من ضعف ، صاروا أشداء فى الحرب ، هزموا جيوش غرباء » وسنرى الآن فاعلية « الإيمان » فى الذين قيل عنهم : —

(ع ٣٥) « أخذت نساء أمواتهن بقيامة » :

هنا يدخل الرسول ، بين أبطال الإيمان « نساء » . وقد سبقت الإشارة إلى امرأتين بين أبطال « الإيمان » هما « سارة » (راجع شرح ع ١١ و ١٢) ، و « راحاب الزانية » (راجع شرح ع ٣١) . وهاتان المرأتان تظهر إحداهما — « سارة » — فى التوراة — « ناموس موسى » (تك ١٧ : ١٥ — ٢٢ و ١٨ : ١٠ — ١٤ و ٢١ : ١ — ٨) . أما الثانية فقد ورد ذكرها فى كتب « الأنبياء » الأولين (يش ٢ : ١–٢١ و ٦ : ٢٢ — ٢٥) . أما « النساء » اللواتى نحن بصددهن الآن ، فقد ورد ذكرهن فى الكتوبيم المذكورة تحت عنوان « المزامير » (لو ٢٤ : ٤٤) . ويمكن أن نذكر منهن ما ورد فى تلك الكتب ؛ حيث نرى امرأتين : —

إحداهما « أرملة صرفة صيداء » :

وهى التى ، إليها ، أرسل الرب إيليا فى زمان الجوع ؛ بعدأن يبس «نهر كريت» قائلا له : «قم اذهب إلى صرفة التى لصيدون وأقم هناك ، هوذا قد أمرت هناك امرأة أرملة أن تعولك » (١ مل ١٧ : ٨ و ٩) ، وهى المرأة التى أشار إليها السيد المسيح ، فى قوله لأهل وطنه (الناصرة) : « بالحق أقول لكم « إن أرامل كثيرة كن فى إسرائيل فى أيام « إيليا » حين أغلقت السماء مدة ثلاث سنين وستة أشهر ، لما كان جوع عظيم فى الأرض كلها ، ولم يرسل إيليا إلى واحدة منها ، إلا إلى امرأة أرملة إلى صرفة صيداء»

(قابل لو ٤ : ٢٥ و ٢٦ مع يع ٥ :١٧ و ١٨ مع ١ مل ١٧ : ١ إقرأ ص ١٧ و ١٨ من سفر الملوك الأول) .

بمقتضى أمر الرب قام « إيليا » وذهب إلى صرفة وجاء إلى باب المدينة « وإذا بامرأة أرملة ، هناك ، تقش عيداناً ، فناداها وقال : « هاتى لى قليل ماء ، فى إناء ، فأشرب » ، وفيما هى ذاهبة لتأتى به ، ناداها وقال : « هاتى لى كسرة خبز فى يدك » فقالت : « حى هو الرب إلهك ! إنه ليست عندى كعكة ، ولكن ملء كف من الدقيق فى الكوار وقليل من الزيت فى الكوز . وهأنذا أقش عودين لآتى وأعمله لى ولابنى لنأكله ثم نموت » فقال لها إيليا : «لا تخافى ، ادخلى ، واعملى كقولك ، ولكن اعملى لى منها كعكة صغيرة « أولا » واخرجى بها إلى ، ثم اعملى لك ولابنك«أخيراً » لأنه هكذا قال الرب إله إسرائيل : « إن كوار الدقيق لا يفرغ وكوز الزيت لا ينقص إلى اليوم الذى فيه يعطى الرب مطراً على وجه الأرض » فذهبت وفعلت حسب قول إيليا (١ مل ١٧ : ٨ — ١٥) .

هكذا فعلت المرأة حسب قول إيليا بفاعلية « الإيمان » — لا بإيليا وقوله ، بل « بالإيمان » بإله إيليا معتمدة كل الاعتماد عليه ، وذلك يتبين جلياً من قولها لإيليا « حى هو الرب إلهك » (١ مل ١٧ : ١٢) ، فقد حلفت باسمه وآمنت به واتكلت عليه وفعلت بفاعلية « الإيمان » القوى بذلك الإله الحى — إله إيليا — الذى حلف به « إيليا » نفسه ، قائلا : « حى هو الرب إله إسرائيل » (١ مل ١٧ : ١) ، وبهذه المقارنة تكون تلك المرأة قد آمنت « بالإله الحى » — « إله إسرائيل » — وإله إيليا ، ووثقت كل الثقة بإيليا ، بوصف كونه نبياً لذلك الإله القدير ، وبهذه الثقة قبلته فى بيتها ؛ لتنال بركة « إله إسرائيل » الذى اختارها من بين الأمم وجعلها بين مختارى إسرائيل ؛ حسب اختيار النعمة التى أشار إليها الرسول بولس فى (رو ١١ : ٤ — ٧) ، فلا عجب ! أن تصل فاعلية « الإيمان » فى هذه الأرملة الأممية المؤمنة إلى أن تكون بين النساء اللواتى : —

« أخذن أمواتهن بقيامة » :

يحدثنا التاريخ عن سمو إيمان هذه الأرملة التى آمنت بإله إسرائيل وقبلت نبيه فى بيتها ، لتعوله : منبئاً إيانا بتحقيق ما عبر عنه السيد المسيح ، فى قوله : « من يقبل « نبياً » باسم « نبى » فأجر « نبى » يأخذ (مت ١٠ : ٤١ اقرأ ع ٤٠ — ٤٢) ، هكذا أخذت هذه الأرملة أجراً عظيماً ، لا بمعنى الاستحقاق ؛ بل بسمو نعمة « الإيمان » التى وصلت إلى درجتها العليا . ففى زمان الجوع الشديد أكلت هى ونبى الله وبيتها أياماً ، كوار الدقيق لم يفرغ وكوز الزيت لم ينقص ، حسب قول الرب الذى نطق به بفم إيليا (اقرأ ١ مل ١٧ : ١٤ — ١٦) . وارتفعت درجة تلك النعمة — نعمة « الإيمان » الفائق — إلى إلى درجة أعلى ؛ إذ صارت من النساء اللواتى : —

« أخذن أمواتهن بقيامة » :

بالرغم عما صار فى بيت « الأرملة » من فعل قوة إلهية سامية لدرجة أنها وبيتها عاشوا حياة الإيمان السامية لا بالخبز ؛ بل « بكل ما يخرج من فم الرب » كما « أمر الرب » (قابل ١ مل ١٧ : ٩ مع تث ٨ : ٣ مع خر ١٦ : ١٣ — ٣١ مع مز ٧٨ : ١٨ — ٢٥ مع مت ٤ : ٤ و١١) . بالرغم من كل هذا وقف الشيطان وقفته الجهنمية ودخل « الذى له سلطان الموت أى إبليس » إلى هذا البيت المبارك المقدس ، وفعل فعلته كالتنين الأحمر ، وخطف نفس ابن تلك الأرملة ؛ ليكسر قلبها وليقضى على إيمانها ، ولكن الله حفظها فى « الإيمان » وارتفع بإيمانها إلى أسمى الدرجات ؛ فالتجأت إليه فى محنتها ، وتقدمت إلى نبيه إيليا بشكواها ، قائلة : « مالى ولك يا رجل الله ! هل جئت إلى لتذكير إثمى وإماتة ابنى » ؟ (١ مل ١٧ : ١٨) .

كانت هذه الشكوى اعترافاً من تلك الأرملة لا يشتم منه شىء من التظلم على رجل الله ؛ لأنها تذكر إثمها — كسبب لإماتة ابنها — كشفه وجود رجل الله القدوس ؛ كما يكشف النور الظلمة ، فكأنها تذكرت إثمها فى عبادة الآلهة الوثنية ، التى بسببها ، غضب إله إسرائيل على « إسرائيل » واستجاب لقول نبيه ؛ فضربهم بالقحط . لقد خافت لئلا يكون وجود هذا النبى ، فى بيتها ، تذكيراً لإثمها وإماتة لإبنها .

أما النبي ، فقال لها : « أعطيني ابنك » فسلمته إياه « بالإيمان » فأخذه من حضنها وصعد به إلى العلية ، التي كان مقيماً بها ، وأضجعه على سريره وصرخ إلى الرب وقال : « أيها الرب إلهي ! أيضاً إلى الأرملة التي أنا نازل عندها قد أسأت بإماتتك ابنها » ؟ وبتعبير أفصح وأصرح بتسليم ابنها لإبليس « الذي له سلطان الموت » ليسيء إليها ، بإماتته ؟ ثم تمدد على الولد ثلاث مرات وصرخ إلى الرب وقال : « يارب إلهي ! لترجع نفس هذا الولد إلى جوفه » ، ليس بنعمة الأمر ، بل بنعمة « الإيمان »القوية ؛ فسمع الرب ورجعت « نفس الولد » إليه ؛ فدفعه إلى أمه حياً ، وتم فيها القول « بالإيمان أخذت نساء أمواتهن بقيامة » (اقرأ ١ مل ١٧ : ١٧ — ٢٤) .

أما المرأة الثانية ، فلم تكن أممية ولا أرملة ؛ بل كانت امرأة إسرائيلية شونمية (من شونم) — لا في أيام النبي إيليا ؛ بل في أيام النبي أليشع الذي سقط عليه رداء إيليا ، عند صعوده ، وأخذ نصيب اثنين من روحه ؛ حيث استقرت روح إيليا عليه (اقرأ ٢ مل ٢ : ٩ — ١٥) ، وفي ذات يوم عبر النبي أليشع إلى شونم ، وكانت هناك امرأة عظيمة ؛ فأمسكته ليأكل خبزاً ، وكان كلما عبر يميل إلى هناك ليأكل خبزاً ، فقالت لرجلها : « قد علمت أنه رجل الله مقدس الذي يمر علينا دائماً ، فلنعمل علية ، على الحائط ، صغيرة ، ونضع له هناك سريراً وخواناً (مائدة) وكرسياً ومنارة ؛ حتى إذا جاء إلينا يميل إليها » (٢ مل ٤ : ٩ و ١٠ اقرأ ع ٨ — ١٠) .

هكذا ظهرت أول بادرة « للايمان » في قلب هذه المرأة الإسرائيلية العظيمة ، وذلك في إكرامها أليشع باعتبار أنه « رجل الله مقدس » كما فعلت تلك الأرملة الأممية في قبولها إيليا وإكرامه باعتبار أنه رجل الله وأن كلام الرب في فمه حق (١ مل ١٧ : ٢٤) ، وبالإيمان أعدت نفسها لمكافأة عظيمة لم تكن تفكر فيها ولم تكن تحلم بها أو تقصدها ، ولكن الرب أعدها لها ؛ كما أعدها هي لتلك المكافأة .

فإن النبي أليشع قد انحصر بقوة محبة تلك المرأة لدرجة وجهت فكره وقلبه إلى غرض ذاتي ترمي إليه تلك المرأة ؛ لذلك قال لجيحزي غلامه « أدع هذه الشونمية » فدعاها فوقفت أمامه (أمام أليشع) : فقال له : « قل لها : « هوذا قد انزعجت

بسببنا — كل هذا الانزعاج — فماذا يصنع لك ؟ هل لك ما يتكلم به إلى الملك أو إلى رئيس الجيش » ؟ فأجابت ، قائلة : « إنما أنا ساكنة فى وسط شعبى » (٢ مل ٤ : ١٢ و١٣) ، بمعنى أنا لست فى حاجة ما ؛ فإنها ساكنة فى وسط شعبها وأنها تحتل بينهم مقاماً رفيعاً (اقرأ ٢ مل ٤ : ١١ — ١٣) .

على أن النبى لم يسترح ؛ حتى علم بما أخبره به « جيحزى » غلامه ؛ حيث قال له : « إنه ليس لها ابن ، ورجلها قد شاخ » فاستدعاها وقال لها : « فى هذا الميعاد ، نحو زمان الحياة ، تحتضنين ابناً » فقالت : « يا سيدى — رجل الله — لا تكذب على جاريتك » (اقرأ ٢ مل ٤ : ١٤ — ١٦) . وها نحن أمام أمر عجيب فى ذاته ، هو قول النبى : « فى هذا الميعاد ، نحو زمان الحياة ، تحتضنين ابناً » ، وهو قول يذكرنا بما قاله الرب نفسه لإبراهيم عن سارة امرأته ؛ حيث قال له : « فى الميعاد أرجع إليك ، نحو زمان الحياة ، ويكون لسارة ابن » (تك ١٨ : ١٠) ، وهذا يؤكد لنـــا كل التأكيد أن « الرب » الذى نطق بهذا القول ، عن سارة ، إنما هو هو ذات « الرب » الذى أوحى بروحه ونطق على فم أليشع — بما نطق به .

على أن تلك المرأة العظيمة لم تكن تنتظر شيئاً ؛ بل قالت : « لا يا سيدى ! رجل الله ، لا تكذب على جاريتك » (٢ مل ٤ : ١٦) . وهذا القول يذكرنا ، أيضاً بما قالته سارة عندما سمعت الوعد الذى نطق به الرب ؛ حيث قالت ضاحكة : « أبعد فنائى يكون لى تنعم ؟ وسيدى قد شاخ » ؟ (تك ١٨ : ١٢) . ولكن الوعد قد تم لهذه المرأة الشونمية العظيمة كما حدث ، أيضاً ، فى الوعد لسارة وتحقق ، فى المناسبتين ، قول الرب : « هل يستحيل على الرب شىء » ؟ (تك ١٨ : ١٤ اقرأ تك ١٨ : ٩ — ١٨ و ٢١ : ١ — ٣ مع ٢ مل ٤ : ١٧) .

وكبر الولد ، وفى ذات يوم خرج إلى أبيه إلى الحصادين وقال لأبيه : « رأسى رأسى » فأعاده إلى أمه وعند الظهر مات ، وهنا بدأ « الإيمان » بفاعليته ؛ حيث صعدت بالولد إلى العلية التى أعدتها لرجل الله خاصة لاستراحته وأضجعته على سريره ، وفى هذا العمل سارت — وهى لا تعلم — فى طريق رجل الله الذى اختطه حين أخـــذ

ابن أرملة صرفة صيداء ، إذ أخذه من حضنها وصعد به إلى العلية التى أعدتها أم الولد له ووضعه على ذات سريره (سرير رجل الله) (اقرأ ٢ مل ٤ : ٢١ مع ١ مل ١٧ : ١٩) .

وهل يعتبر هذا العمل الذى عملته المرأة الشونمية فى وضعها ابنها على سرير أليشع ، على منوال ما فعله إيليا الذى وضع ابن المرأة الأرملة على سريره الشخصى — هل نرى فى هذا العمل استبراكاً بالملمسات ؟ وهل كانت المرأة نازفة الدم—فى أيام السيد المسيح— هل كانت تقصد استبراكاً أو تفاؤلا ؟ وهى تقول عنه : « إن مسست ولو ثيابه شفيت » (مر ٥ : ٢٨ اقرأ ع ٢٥ — ٣٤) . ولا عجب فهذا هو الأمر الواقع فى مشاعر البشر وأحاسيسهم نحو الأمور المنظورة بالنسبة إلى المنظورات .

على أن الله لا يدع ، مثل هذه الضعفات الإنسانية ، تحول دون إتمام مقاصده ، بل قد يتخذ منها طريقاً للوصول ، بالإنسان ، إلى حقيقة « الإيمان » مرتفعاً به فوق كل الجسديات ، ليرى « بالإيمان » ما لا يرى ويوقن بما يرجوه لا بما ينظر ، وهذا هو فعل « الإيمان » الحقيقى فهو « الثقة بما يرجى ، والإيقان بأمور لا ترى » (راجع شرح ع ١) ، هكذا تم الأمر مع هذه المرأة الشونمية التى تركت ابنها ميتاً على سرير رجل الله ، فى عليته ، وأسرعت إليه ووجدته حيث كان ، وأتت إليه وأخبرته بالأمر . ومن الغريب أن لا تحس بقوة ما فى عكاز أليشع الذى أراد أن يرسله مع غلامه لكى يضعه على الولد ليحيا ، ولكنها أصرت أن يذهب معها قائلة : « حىٌّ هو الرب وحية هى نفسك إننى لا أتركك ، فقام وتبعها » (٢ مل ٤ : ٣٠ اقرأ ع ٢٧ — ٣٠) .

وهنا يزداد العجب ! إذا قابلنا بين ما فعله إيليا وما فعله أليشع فى هاتين المناسبتين ، فإن إيليا تمدد على الولد ثلاث مرات وهكذا فعل أليشع إذ « اضطجع فوق الصبى ووضع فمه على فمه وعينيه على عينيه ويديه على يديه وتمدد عليه ، فسخن جسد الولد » ، وهكذا فعل مرتين حتى عطس الولد سبع مرات وفتح عينيه « فدعاها وأعطاها ابنها حياً » (اقرأ ٢ مل ٤ : ١٨ — ٣٧) . هكذا كانت هذه المرأة أيضاً مع أرملة صرفة صيدا ، من النساء اللواتى « أخذن أمواتهن بقيامة » .

وما أمجد ! موقف هذه المرأة العظيمة ! الذى وقفته إزاء هذه المعجزة الفائقة التى رأت ابنها فيها وقد عاد من الموت إلى الحياة ، فإنها — إذ دعاها النبى لتأخذ ابنها حياً ، وإذ دخلت إلى العلية ورأت فلذة كبدها حياً — لم تسرع متلهفة لتضم وحيدها وفلذة كبدها إلى صدرها ولم تأخذه فى حضنها وتسرع به إلى الخروج ، ولكنها لم تفعل شيئاً من كل هذه الأمور المتوقعة ؛ بل بتعقل ورزانة ضبطت نفسها وضغطت على عواطفها وتقدمت ، مسرعة إلى النبى — أولا وقبل كل شىء « وسقطت على رجليه وسجدت إلى الأرض » ، وقد فعلت هكذا لا تعبداً للنبى ؛ بل « بخشوع وتقوى » قدمت عن طريق « أليشع » ذبيحة الشكر لإله أليشع — الإله القدير الذى أعطاها ابناً فى شيخوختها وأعاده إليها حياً بعد موته .

فعل ما أمجده ! يعطينا نظرة سامية لإيمان تلك المرأة العظيمة ويمثلها ، أيضاً ، أمامنا وهى تنتظر خارج العلية والباب مغلق بينها وبين ابنها الميت ونبى الله ، ويرسمها أمام تخيلنا ، جاثية على ركبتيها ، خارة على وجهها أمام الإله القدير ، رافعة قلبها إليه ، طالبة منه ، جل اسمه ، أن ينصر نبيه على سلطان الموت وأن يعيد ابنها إلى الحياة ؛ فاستمع لصلاتها ، إذ رأى إيمانها وأعطاها ابناً حياً وصدق عليها القول « بالإيمان . . . أخذت نساء أمواتهن بقيامة » .

على أنه ، إن نسينا ، يجب أن لا ننسى الفرق العظيم ، فى إقامة الأموات بين ما فعله إيليا وأليشع ، وبين ما فعله السيد فى هذا الشأن ، فإننا ، فى إيليا وأليشع ، نرى أجساماً حية تتمدد على أجسام ميتة ؛ فتسخن الأجساد الميتة وتعود الحياة إليها ، تدريجياً شيئاً فشيئاً ، إلى أن تتم القيامة . أما « السيد » فبكلمة منه كان يقيم الميت ، وذلك كما حدث فى إقامة الصبية ابنة يايرس التى قال لها : « طليثا قومى » الذى تفسيره « يا صبية لك أقول قومى » ممسكاً بيدها و« للوقت قامت الصبية ومشت » (مر ٥ : ٤١ اقرأ ع ٣٥ — ٤٢) .

وما أعجب موقفه ! فى حنان قلبه ، على أرملة وهى تبكى وراء نعش ابنها الوحيد، وهو محمول فى طريقه إلى القبر ؛ فتقدم إليها وقال لها « لا تبكى » : ثم تقدم ولمس

النعش فوقف الحاملون ، وبقوة سلطانه على الموت وجبروته الفائق على شوكة الموت قال : أيها الشاب لك أقول قم » ، ففى الحال عادت الحياة إلى الميت وجلس وابتدأ يتكلم ؛ فدفعه إلى أمه » (اقرأ لو ٧ : ١١ — ١٧) . وما أعجب موقفه ، أيضاً ، أمام « الهاوية » التى فتحت فاها وابتلعت وحجزت الميت أربعة أيام فى بطنها وبحجر على فمها — أمام أبواب الجحيم وقوات الظلمة ، يرفع صوته عالياً : «لعازر ! هلم خارجاً». فانكمشت الهاوية وهربت قوات الموت وانكسرت شوكته ، واندكت أبواب الجحيم وقام الميت (اقرأ يو ١١ : ٣٨ — ٤٤) .

هذا هو الذى له ، دون سواه ، أن يرفع صوته عالياً ، قائلا : « أنا هو الأول والآخر والحى وكنت ميتاً ، وها أنا حى إلى أبد الآبدين . آمين . ولى مفاتيح الهاوية والموت » (رؤ ١ : ١٧ و ١٨) . هذا هو « الرب نفسه » « الذى « بهتاف بصوت رئيس ملائكة وبوق الله ، سوف ينزل من السماء ، والأموات ، فى المسيح ، سيقومون أولا ، ثم نحن الأحياء الباقين سنخطف جميعاً معهم ، فى السحب ، لملاقاة الرب فى الهواء (عند مجيئه) . وهكذا نكون كل حين مع الرب (حيث يكون) اقرأ ١ تس ٤ : ١٣ — ١٧ مع يو ١٧ : ٢٤) .

هذا هو « ابن الله » الذى قال عن نفسه : « أنا هو القيامة والحياة ، من آمن بى ولو مات فسيحيا ، وكل من كان حياً وآمن بى ، فلن يموت إلى الأبد » (يو ١١ : ٢٥ و ٢٦) . هذا هو «ابن الإنسان» الذى أعطى «سلطاناً أن يدين» ، فإنه تأتى ساعة ، فيها يسمع جميع الذين فى القبور صوته ؛ فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة ، والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة (اقرأ يو ٥ : ٢٦ — ٢٩) ، الأمر الذى يحقق لنا أن قيامة الأموات موضوع حقيقى وفعل مؤكد . فلا عجب أن يقال « بالإيمان » « أخذت نساء أمواتهن بقيامة » .

الآن ! وقد انتهينا من شرح البند الأول من الجزء الرابع « شهود الإيمان فى أرض الموعد » (ع ٣٠ — ٤٠) وموضوعه : — أبطال الإيمان أمام أريحا (ع ٣٠ و ٣١) كما انتهينا من شرح البند الثانى من هذا الجزء وموضوعه : — ذكر أبطال وفواعل إيمانهم بالجملة (ع ٣٢ — ٣٥) وإلى هنا أعاننا الرب ؛ لنتقدم إلى شرح الجزء الرابع :—

البند الثالث : ذكر فواعل الإيمان دون ذكر أشخاص معينين (عب ١١ : ٣٥ — ٣٨)

٣٥ وَآخَرُونَ عُذِّبُوا وَلَمْ يَقْبَلُوا ٱلنَّجَاةَ لِكَيْ يَنَالُوا قِيَامَةً أَفْضَلَ
٣٦ وَآخَرُونَ تَجَرَّبُوا فِي هُزُءٍ وَجَلْدٍ ثُمَّ فِي قُيُودٍ أَيْضًا
وَحَبْسٍ ٣٧ رُجِمُوا نُشِرُوا جُرِّبُوا مَاتُوا قَتْلاً بِٱلسَّيْفِ طَافُوا فِي
جُلُودِ غَنَمٍ وَجُلُودِ مِعْزَى مُعْتَازِينَ مَكْرُوبِينَ مُذَلِّينَ . ٣٨ وَهُمْ لَمْ
يَكُنِ ٱلْعَالَمُ مُسْتَحِقًّا لَهُمْ . تَائِهِينَ فِي بَرَارِيَّ وَجِبَالٍ وَمَغَايِرَ
وَشُقُوقِ ٱلْأَرْضِ .

فى هذه الآيات (٣٥ — ٣٨) يسرد الرسول ألواناً من الآلام التى لا قبل للانسان على أن يحتملها أو يتصورها — ألوان عذابات مؤلمة و « بلايا محرقة » (١ بط ٤ : ١٢) و « تجارب متنوعة » (يع ١ : ٢) ، يضعها الرسول جميعها أمام جماعة المؤمنين العبرانيين الذين وصفهم بالقول : « صبرتم على مجاهدة آلام كثيرة » (راجع شرح ص ١٠ : ٣٢) . كما لو أنه يقول لهم : هل ما تعانونه ، من ضيق ، أردأ مما عاناه من سبقوكم فى ذات « الإيمان » الثمين ؟ الذى قال عنه الرسول بطرس : « مع أنكم ، الآن ، إن كان يجب ، تحزنون يسيراً بتجارب متنوعة ؛ لكى تكون « تزكية إيمانكم » وهى أثمن من الذهب الفانى ، مع أنه يمتحن بالنار ، توجد للمدح والكرامة والمجد ، عند استعلان يسوع المسيح » (١ بط ١ : ٦ و ٧) .

ولعله ، بالأكثر ، يريد أن يقول لهم ، بلغة ذات الرسول ، أيضاً : « أيها الأحباء ! لا تستغربوا البلوى المحرقة التى بينكم حادثة ؛ لأجل امتحان إيمانكم ؛ كأنه أصابكم أمر غريب ، بل ، كما اشتركتم فى آلام المسيح ، افرحوا ؛ لكى تفرحوا فى استعلان مجده ، أيضاً ، مبتهجين » (١ بط ٤ : ١٢ و ١٣) ، موجهاً إليهم القول : —

« وآخـــرون » :

لقد وردت هذه الكلمة « آخرون » أيضاً فى (ع ٣٦) حيث قيل : « وآخرون تجربوا فى هزء وجلد ، ثم فى قيود ، أيضاً ، وحبس » (انظر الشرح) . وهى كلمة يمكن أن نرى لها اتجاهين : — أما الاتجاه الأول ، فلعله متصل بالشخصيات المذكورة أسماؤهم . أما الاتجاه الثانى ، فلعله متصل ، لا بشخصيات ؛ بل بما حل بتلك الشخصيات من البلايا المحرقة والآلام التى لا تطاق ، والتجارب والضيقات والميتات . وبهذه المناسبة تكون الإشارة فيها إلى أنواع من عذابات وألوان ضيقات وأشكال بلايا غير التى ذكرت سابقاً ، لذلك يقول : —

« وآخـــرون » :

وعن هؤلاء « الآخرين » نذكر : — (١) ما حل بهم من « البلايا المحرقة » — عينة وتاريخاً : — (٢) موقفهم إزاء تلك « البلايا المحرقة » ، — أما « البلايا المحرقة » عينة وتاريخاً — فإننا نتبينها فى القول ، « وآخرون عذبوا تجربوا فى هزء وجلد ثم فى قيود ، أيضاً ، وحبس ، رجموا نشروا ماتوا قتلا بالسيف ، طافوا فى جلود غنم وجلود معزى ، معتازين ، مكروبين — مذلين ، تائهين فى برارى وجبال ومغاير وشقوق الأرض » (ع ٣٥ — ٣٨) . أما موقفهم إزاء تلك « البلايا المحرقة » فإننا نتبينه موقفاً مزدوجاً : — (أ) فى قوله ، « لم يقبلوا النجاة . — (ب) قوله : « وهم لم يكن العالم مستحقاً لهم » . وبمقتضى هذا التفصيل نتقدم الآن ؛ لنتبين بوضوح أتم : —

١ — ما حل بهم من « البلايا المحرقة » — عينة وتاريخاً :

ليس من الميسور أن نحدد وقوع هذه « البلايا المحرقة » والآلام الوحشية على أناس معينين بالذات ، ولكننا ، نستطيع أن نحقق أمر وقوعها ، فى ما قاله السيد نفسه ، فى هذا الشأن ، فى مثل الكرامين من تاريخ تلك الأمة اليهودية المعيب المشين . وذلك التاريخ المملوء من كل شر وفساد ودنس ، الذى بينه السيد فى هذا المثل ؛ حيث قال :

« إنسان ، رب بيت ، غرس كرماً وأحاطه بسياج ، وحفر فيه حوض معصرة ، وبنى برجاً وسلمه إلى كرامين وسافر ، ولما قرب وقت الأثمار » ، أرسل إلى الكرامين فى الوقت ، عبداً ليأخذ من الكرامين من ثمر الكرم ؛ فأخذوه « وجلدوه » وأرسلوه فارغاً ، ثم أرسل إليهم ، أيضاً ، عبداً آخر « فرجموه وشجوه وأرسلوه مهاناً (يقـال شج رأسه أى جرحه وكسره) ، ثم أرسل أيضاً آخر « فقتلوه »، ثم آخرين كثيرين « فجلدوا منهم ، بعضاً وقتلوا بعضاً ، فإذ كان له ، أيضاً ، ابن واحد « حبيب إليه » أرسله أيضاً إليهم أخيراً ، قائلا : « إنهم يهابون ابنى » ، ولكن أولئك الكرامين قالوا فيما بينهم « هذا هو الوارث « هلموا نقتله » فيكون لنا الميراث » ، فأخذوه « وقتلوه » وأخرجوه خارج الكرم » (اقرأ مت ٢١ : ٣٣ — ٣٩ مع مر ١٢ : ١ — ٨ مع لو ٢٠ : ٩ — ١٥) .

هكذا فعل الكرامون الأردياء ذوو السلطة والرئاسة فى الأمة اليهودية — هكذا فعلوا « بالأنبياء » قديماً ، إلى أن قتلوا « الابن الحبيب الوحيد » ، وهذه حقيقة يعلنها استفانوس الشهيد المسيحى الأول فى قوله أمام مجمع اليهود : « يا قساة الرقاب وغير المختونين بالقلوب والآذان ! أنتم دائماً تقاومون « الروح القدس » كما كان آباؤكم ، كذلك أنتم ، أى « الأنبياء » لم يضطهده آباؤكم ؟ وقد قتلوا الذين سبقوا فأنبأوا بمجىء « البار » الذى أنتم الآن صرتم مسلميه وقاتليه » (أع ٧ : ٥١ و ٥٢) . ولم تكن نتيجة الكلام معهم إلا أن « هجموا عليه بنفس واحدة ، وأخرجوه خارج المدينة ورجموه » (أع ٧ : ٥٧ و ٥٨ اقرأ ص ٦ : ٩ — ٨ : ٣ و ٩ : ١ و ٢٢ : ٢٠) .

وقد أثبت السيد المسيح هذا التصرف اليهودى الواقع فى تصريحه القائل « لا يمكن أن يهلك « نبى » خارجاً عن أورشليم » (لو ١٣ : ٣٣ اقرأ ع ٣١ — ٣٥) . وما أرهب نطقه بالويل إثباتاً لهذا الأمر الواقع ؛ حيث قال : « ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون ! لأنكم تبنون قبور « الأنبياء » وتزينون مدافن الصديقين ، وتقولون : « لو كنا فى أيام آبائنا ، لما شاركناهم فى دم « الأنبياء » ، فأنتم تشهدون ، على أنفسكم ، أنكم أبناء قتلة « الأنبياء » فاملأوا أنتم مكيال آبائكم » (مت ٢٣ : ٢٩ — ٣٢) . وما كان أجل كلماته ! التى ختم بها هذه الويلات المروعة المفزعة ،

حين قال : « يا أورشليم ! يا أورشليم ! يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها ! . . . هوذا بيتكم يترك لكم خراباً » (مت ٢٣ : ٣٧ و ٣٨ اقرأ ع ٢٩ — ٣٨ قابل لو ١٩ : ٤١ — ٤٤) .

هذه هى « أورشليم » — لا المدينة القاتلة — بل هى الأيدى الأثيمة — أيدى السلطة والقضاء والإجرام ضد أنبياء العلى وقديسيه ؛ فلا عجب أن يمثلها الأنبياء قديماً « بسدوم وعمورة » كما يتضح من قول الرائى إشعياء وهو يخاطب أورشليم : « اسمعوا كلام الرب يا قضاة سدوم ! أصغوا إلى شريعة إلهنا يا شعب عمورة ! لماذا لى كثرة ذبائحكم ؟ يقول الرب . . . لست أطيق الإثم والاعتكاف ، رؤوس شهوركم وأعيادكم بغضتها نفسى . . . أيديكم ملآنة دماً » (إش ١ : ١٠ — ١٥ اقرأ ع ١ — ١٥) .

وقد تمثلها الرائى اللاهوتى يوحنا ؛ حيث رأى الشاهدين الأمينين اللذين يشهدان لله ممثلين فى وظيفتى الكهنوت والملكوت بمقتضى قول الرب — عند اختياره شعباً خاصاً — « تكونون لى مملكة كهنة وأمة مقدسة » (خر ١٩ : ٥ و ٦ اقرأ رؤ ١ : ٥ و ٦ و ٥ : ٨ — ١٠) . وقد حقق الرسول بطرس هذا الأمر الجارى فى اقتباسه ، قائلا : « وأما أنتم فجنس مختار « كهنوت ملوكى » أمة مقدسة ، شعب اقتناء لكى تخبروا بفضائل الذى دعاكم من الظلمة إلى نوره العجيب » (١ بط ٢ : ٩) .

هذان الشاهدان الأمينان (الممثلان كما رأينا) — رآهما الرائى اللاهوتى مقتولين وجثتاهما على شارع المدينة العظيمة التى تدعى روحياً « سدوم ومصر » حيث صلب ربنا أيضاً » (رؤ ١١ : ٨ إقرأ ع ١ — ٨) . أين «صلب ربنا » ؟ — وهل « يهلك نبى خارجاً عن أورشليم » ؟ (لو ١٣ : ٣٣) — هذه هى «المدينة العظيمة » — «أورشليم » التى تدعى روحياً « سدوم » (الفاجرة — اقرأ تك ١٩ : ١ — ١١ مع باقى الأصحاح مع حز ١٦ : ٤٩ و ٥٠ مع ٢ بط ٢ : ٦ و ٧) و « مصر » (« بيت العبودية — قابل تك ١٥ : ١٣ و ١٤ مع خر ١ : ٨ — ٢٢ و ٢٠ : ١ و ٢) ، فويل لك يا أورشليم (مت ٢٣ : ٣٧ و ٣٨ مع لو ١٣ : ٣٤ و ٣٥ و ١٩ : ٤٠ — ٤٤) .

هذه — « أورشليم » و « يهوذا » — هي الزانية التي نقضت عهد إلهها وزنت عنه مع آلهة أخرى ؛ كما يتضح من القول : « قولوا لإخوتكم عمى (شعبي) ولأخواتكم رحامة (مرحومة) : « حاكموا أمكم ، حاكموا ؛ لأنها ليست امرأتي وأنا لست رجلها » (هو ٢ : ١ و ٢ اقرأ ع ٦ — ١٣ مع حز ١٦ : ١٥ — ٢٦ و ٤٤ — ٥٤) . لم تكن زانية فحسب ، خائنة بعهد الزيجة المبارك مع إلهها بعبادة الأباطيل الكاذبة ؛ بل زادت أكثر كثيراً ، في فسقها ، أن قتلت أنبياء الرب كما فعل شاول الملك إذ أمر فقتل كل كهنة الرب اللابسين أفود الكتان ، وهم في ملابسهم الرسمية ، وضرب مدينتهم بحد السيف ، الرجال والنساء والأطفال والرضعان وكل ما فيها (١ صم ٢٢ : ١٨ و ١٩ اقرأ ع ١ — ٢٠) .

هكذا فعل الملك أخاب بنبي الله ميخا بن يملة إذ أمر بوضعه في السجن وإطعامه خبز الضيق وماء الضيق (١ مل ٢٢ : ٢٧) ، هكذا في أيام الملك يوآش ؛ حيث ترك رؤساء يهوذا ، برضا الملك ، بيت الرب وعبدوا الأصنام ولم يسمعوا للأنبياء الذين أرسلهم الرب ، حتى أنهم « رجموا » زكريا بن يهوياداع في دار بيت الرب ، فمات وهو يقول : « الرب ينظر ويطالب » (٢ أى ٢٤ : ٢٢ اقرأ ع ١٥ — ٢٤) . فلا عجب أن يشير السيد إلى هذا الأمر ، بالذات ، في قوله عن أبناء جيله « الحق أقول لكم : « إن هذا كله يأتي على هذا الجيل » — « من دم هابيل الصديق إلى دم زكريا بن برخيا » (يهوياداع) (مت ٢٣ : ٣٥ اقرأ ع ٢٩ — ٣٥ قابل ٢ أى ٢٤ : ١٨ — ٢٢) .

هكذا فعلوا بالنبي إرميا الذي أرسله الرب إليهم ، قبضوا عليه وضربوه وجعلوه في بيت السجن ؛ فأقام إرميا هناك أياماً كثيرة في بيت الجب والمقببات (إر ٣٧ : ١٥ و ١٦) . هكذا قيل عن هذا الشعب : « أكثروا الخيانة حسب كل رجاسات الأمم ونجسوا بيت الرب » ، و « كانوا يهزأون برسل الله ، ورذلوا كلامه وتهاونوا بأنبيائه » وعصوا وتمردوا عليه وطرحوا شريعته وراء ظهورهم ، وقتلوا أنبياءه الذين أشهدوا عليهم ليردوهم وعملوا إهانة عظيمة » (قابل ٢ أى ٣٦ : ١٤ — ١٦ مع نح ٩ : ٢٦) .

إلى هذه التباريح الوحشية التي برحوا بها في الأنبياء حيث « جلدوا » و « رجموا » و « شجوا الرؤوس » و « قتلوا » — إلى هذه كلها يشير الرسول في قوله عن الأنبياء : « عذبوا ، تجربوا ، رجموا ، نشروا ، ماتوا قتلا بالسيف . طافوا في جلود غنم وجلود معزى ، معتازين مكروبين مذلين ، تائهين في براري وجبال ومغاير وشقوق الأرض » ، وإزاء ما بيناه من البلايا المحرقة التي قاساها أولئك الأبطال — عينة وتاريخاً . نتقدم الآن بعون الرب إلى درس : —

٢ — موقف أولئك الأبطال إزاء التجارب والبلايا « المحرقة » :

يشيد الرسول بهذا الموقف المجيد مفصلا في نقطتين سبقت الإشارة إليهما وهما : — (أ) بوصف كونهم « لم يقبلوا النجاة » (ع ٣٥) . — (ب) بوصف أنهم « لم يكن العالم مستحقاً لهم » (ع ٣٨) .

(أ) « لم يقبلوا النجـــاة » :

هكذا يقال : « عذبوا ولم يقبلوا النجاة » — وهو تعبير يوحي إلينا بأن أولئك المعذبين الوحشيين كانوا يعرضون على فرائسهم ، من المؤمنين المسيحيين ، أمر الإفراج عنهم ؛ ليستريحوا مما كان واقعاً عليهم من آلام التعذيب ؛ إذا أنكروا سيدهم ، وابتعدوا عن طريقه والإيمان به ، على أن هؤلاء الأبطال الأمناء لم يعطوا ، لأمر الإفراج عنهم ، أي تقدير أو أية أهمية ؛ بل رفضوا ، رفضاً كلياً ، بقوة وشجاعة نادرة ثابتين بنعمة الحق السماوي في إيمانهم ، لذلك « لم يقبلوا النجاة » من أي عـــذاب مهما يكن لونه أو صنفه « مفضلين — بالأحرى — أن يذلوا مع شعب الله على أن يكون لهم تمتع وقتي بالخطية » (راجع شرح ع ٢٥) .

وهل كان من أنواع وطرق التعذيب ، في مثل تلك المناسبة ، في ذلك الوقت ما أسماه الرسول بولس « جسد هذا الموت » في قوله : « من ينقذني من جسد هذا الموت » (رو ٧ : ٢٤) . قد يكون الأمر هكذا ؛ فإنه ، ولو أن الرسول ، كان يقصد بهذا « الجسد » تلك الطبيعة الإنسانية الفاسدة التي قال عنها السيد المسيح : « المولود من الجسد جسد هو » (يو ٣ : ٦) .

هذا « الجسد » هو الذى [illegible] الرسول بالقول : « أما أنا « فجسدى » مبيع تحت الخطية » — « الخطية ال[illegible] أنه ليس ساكن فى أى فى «جسدى» شىء صالح» —« أرى ناموساً آخر فى « أعضائى » يحارب ناموس ذهنى ويسبينى إلى ناموس الخطية الكائن فى أعضائى ، ويحى أنا الإنسان الشقى ، من ينقذنى من « جسد هذا الموت » ؟ (اقرأ رو ٧ : ١٤ — ٢٥) .

على أنه ، ولو أن الرسول يقصد بهذا « الجسد » الطبيعة الإنسانية الفاسدة ؛ كما سبق أن رأينا ، إلا أن هذا التعبير « جسد الموت » قد يرجع بنا إلى عادة قديمة يتبعها جبابرة القوة الوحشية فى تعذيب أنبياء الله ورسله وأتقيائه ، فإن أولئك الجبابرة الوحشيين يأتون بجسد إنسان ميت ويربطونه مع الإنسان المؤمن الذى يقصدون تعذيبه ، ويضطرونه أن يجر هذا الجسم الكريه الثقيل حيث يسير ، وهم ، بهذه الطريقة ، يهددونه بالموت إن كان لا يرعوى ويرجع عن إيمانه بإلهه وتمسكه به ، وإلا فستكون نهايته كما يتمثلها فى هذا الجسد الكريه العالق به . على أنه ، بالرغم من ذلك التهديد والوعيد ، يتحقق القول « وآخرون عذبوا » : —

« ولم يقبلوا النجـــاة » :

وذلك ، بالرغم من كل أنواع التعذيب وألوانه ، وكل أصناف الإرهاب والتخويف ، بل بالرغم ، أيضاً ، من كل أصناف الترغيب والتشويق التى تجتذبهم وتسبى عقولهم لإنكار سيدهم وتثنيهم عن التمسك به ، إلا أن كل هذه ، سواء أكانت تهديدات أو ترغيبات ، لم يكن لها أى أثر ، لما قصد المعذبون ، فى تغيير إيمان أولئك المؤمنين ، فقد احتملوا كل تعذيب بقوة الله ونعمته ، وبالإيقان بمن وبما آمنوا به ، كما لو أنه قد رسم أمام عيونهم ذلك الوعد المقدس القائل : «طوبى للرجل الذى يحتمل التجربة ؛ لأنه ، إذا تزكى ، ينال « إكليل الحياة » الذى وعد به الرب للذين يحبونه » (يع ١ : ١٢). وما أجمل الوعد القائل : « إن كنتم تحتملون التأديب يعاملكم الله كالبنين » (انظر شرح ص ١٢ : ٧). فلم يرعووا ولم يكفوا عن إيمانهم بالرغم من كل مواعيد الأعداء الباطلة وذلك بقوة تأثير تلك المواعيد الإلهية الأبدية ، لذلك « عذبوا ولم يقبلوا النجاة » : —

« لكى ينالوا قيامة أفضل » :

بالكلمة « أفضل » يعود الرسول بنا إلى مفتاح هذه الرسالة الذى سبق أن رأيناه وتبينا فيه : — (أ) « اسماً أفضل » — وارثاً للملك « أعظم » فى القول « صائراً أعظم » من الملائكة بمقدار ما ورث « اسماً أفضل » منهم (راجع شرح ص ١ : ٤) . (ب) كما تبينا مجداً أفضل وكرامة أعظم لنبى هو « رسول اعترافنا ورئيس كهنة اعترافنا « يسوع المسيح » الذى « حسب أهلا لمجد أكثر من موسى بمقدار ما لبانى البيت من كرامة أكثر من البيت . . . وموسى كان أميناً فى كل بيته كخادم . . . أما المسيح فكابن على بيته » أى بمقدار ما للابن من كرامة أفضل ومجد أعظم مما للخادم (راجع شرح ص ٣ : ١ — ٦) .

(ج) كهنوت أفضل لكاهن أعظم هو « يسوع » الذى صار فى أفضلية كهنوته وعظمته « ضامناً لعهد أفضل » — « حصل على خدمة « أفضل » بمقدار ما هو وسيط ، أيضاً ، لعهد « أعظم » قد تثبت على مواعيد أفضل . . . بالمسكن الأعظم والأكمل ، غير المصنوع بيد ، أى الذى ليس من هذه الخليقة » (راجع شرح ص ٧ : ٢٢ و ٨ : ٦ و ٩ : ١١) ، على قياس هذا التمثيل نرى جميع الذين « عذبوا ولم يقبلوا النجاة » نراهم مستعدين مسلمين أنفسهم للموت وذلك بقوة الرجاء بأن : —

« ينالوا قيامة أفضل » :

ذكر « القيامة الأفضل » قد يرجع بنا إلى القول السابق : « أخذت نساء أمواتهن بقيامة » (راجع شرح الجزء الأول من ع ٣٥) ، حيث ، بالبحث والتنقيب ، تتجلى أمامنا « قيامة أفضل » من قيامة ابن الأرملة — أرملة صرفة صيدا الأممية (١ مل ١٧ : ١٧ — ٢٤) ، وقيامة ابن المرأة الشونمية الإسرائيلية العظيمة (٢ مل ٤ : ١٨ — ٣٧) ، بل ، أيضاً ، قيامة ذلك الرجل الذى ، بعد موته طرحوه فى قبر أليشع ؛ فلما نزلت جثته ومست عظام « أليشع » عاش وقام على رجليه (٢ مل ١٣ : ٢١) .

وحتى ، أيضاً ، قيامة ابنة يايرس التى أمسك السيد بيدها ، بعد موتها ، وأقامها (مت ٩ : ١٨ و ١٩ مع مر ٥ : ٢٢ – ٢٤ مع لو ٨ : ٤١ و ٤٢) . وابن أرملة نايين الذى لمس السيد نعشه وأقامه حياً وأعطاه لأمه الأرملة (لو ٧ : ١ – ١٥) ، وكذا لعازر الذى دعاه « رب المجد » من قبره بعد أربعة أيام وأطلقه حياً (يو ١١ : ١ – ٤٤) . وكذا طابيثا التى أقامها بطرس من الموت (اقرأ أع ٩ : ٣٦ – ٤٠) . وكذا قيامة الشاب « أفتيخوس » بيد بولس (أع ٢٠ : ٩ و ١٠) . هؤلاء جميعاً وغيرهم من نوعهم قاموا ولكنهم ماتوا أيضاً » . فلا ينطبق عليهم النص القائل : «الآن قد قام المسيح من الأموات وصار باكورة الراقدين . . . كل واحد فى رتبته ، المسيح « باكورة » ثم الذين للمسيح فى مجيئه ، وبعد ذلك النهاية » (١ كو ١٥ : ٢٠ – ٢٤) .

هكذا قام المسيح « باكورة » ودعى « بكراً من الأموات » فى رتبته (قابل كو ١ : ١٨ مع ١ كو ١٥ : ٢٣) . « وفيه يقوم الكل » (كو ١ : ١٧) . كل الذين للمسيح فى مجيئه » (١ كو ١٥ : ٢٣) . « وبعد ذلك النهاية » حيث يصدق عليهم ما صدق على السيد المسيح رأسهم ، كما يتبين من المقابلة بين نصوص الوحى المقدس ، حيث قيل : « لأنه ، إن كنا قد صرنا متحدين معه بشبه موته نصير ، أيضاً ، بقيامته » : «فإن كنا قد متنا مع المسيح ، نؤمن أننا سنحيا ، أيضاً ، معه » ، « عالمين أن المسيح ، بعد ما أقيم من الأموات ، لا يموت ، أيضاً – لا يسود عليه الموت بعد » (قابل رو ٦ : ٥ و ٨ و ٩ مع ١ كو ١٥ : ٥١ – ٥٧ مع ١ تس ٤ : ١٣ – ١٧ مع رؤ ١ : ١٨) .

هذه هى « القيامة الأفضل » حيث «لا يسود الموت بعد» فيعلو هتاف النصرة الأبدية بسمو « الكلمة النبوية » القائلة : « يبلع الموت ، إلى الأبد » . « ابتلع الموت إلى غلبة » (قابل إش ٢٥ : ٨ مع ١ كو ١٥ : ٥٤) . « أين أوباؤك يا موت ؟ أين شوكتك يا هاوية » ؟ (قابل هو ١٣ : ١٤ مع ١ كو ١٥ : ٥٥ اقرأ ١ كو ١٥ : ٣٥ – ٥٥ مع ١ تس ٤ : ١٣ – ١٧) .

على هذا الأساس الراسخ المتين ، بما جاء فى « الكلمة النبوية » وعلق عليه الرسل القديسون ، تحقق ذلك الحصاد المجيد لتلك « الباكورة » المقدسة التى أمر الرب بتقديمها

ـ باكورة فى غد سبت الفصح (لا ٢٣ : ٩ — ١٤) ، أى فى اليوم الثالث من ذلك العيد الذى فيه قام المسيح باكورة بوصف كونه « فصحنا » الذى « ذبح لأجلنا » (١ كو ٥ : ٧) فى يوم الفصح وقام باكورة من الأموات . فإنه فى ذلك اليوم الثالث — غد سبت الفصح اليهودى — يوم قيامة السيد يقول البشير : « الأرض تزلزلت والصخور تشققت والقبور تفتحت ، وقام كثير من أجساد القديسين الراقدين وخرجوا من القبور بعد قيامته ! (قابل مت ٢٧ : ٥١ و ٥٢ مع ص ٢٨ : ١—٨ ومر ١٦ : ١— ٨ مع لو ٢٤ : ١ — ٩ مع يو ٢٠ : ١ — ١٦ اقرأ التذييل المتعلق بشرح ص ٤ للمؤلف) .

هؤلاء الذين عذبوا ووقعت عليهم كل آلام العذاب المبرحة ثبتوا فى إيمانهم « منتظرين الرجاء المبارك ، وظهور مجد الله العظيم ومخلصنا يسوع المسيح الذى بذل نفسه لأجلنا ، لكى يفدينا من كل إثم ، ويطهر لنفسه شعباً خاصاً غيوراً فى أعمال حسنة » (تى ٢ : ١٣ و ١٤) . بهذا الرجاء « عذبوا ولم يقبلوا النجاة ؛ لكى ينالوا قيامة أفضل ، وآخرون تجربوا فى هزء وجلد ثم فى قيود ، أيضاً ، وحبس . رجموا ، نشروا ، جربوا ، ماتوا قتلا بالسيف ، طافوا فى جلود غنم وجلود معزى ، معتازين ، مكروبين ، مذلين » :

(ب) « وهم لم يكن العالم مستحقاً لهم » :

السيد المسيح ، فى صلاته الكهنوتية لأجل رسله القديسين قال : «أيها الآب القدوس ! احفظهم فى اسمك . . . حين كنت معهم ، فى العالم ؛ كنت أحفظهم فى اسمك . . . أما الآن فإنى آتى إليك... والعالم أبغضهم ؛ لأنهم ليسوا من العالم ؛ كما أنى أنا لست من العالم ، لست أسأل أن تأخذهم من العالم ، بل أن تحفظهم من الشرير » (يو ١٧ : ١١ — ١٥) .

قال هذا ليس ، لأن العالم كان مستحقاً لهم ، بل ، بالحرى ، لأن العالم كان فى شديد الحاجة إليهم ؛ لأنه كان يعلم ، علم اليقين بأن « العالم كله قد وضع فى الشرير » (١ يو ٥ : ١٩) . «لأن كل ما فى العالم — شهوة الجسد وشهوة العيون وتعظم المعيشة —

ليس من الآب ؛ بل من العالم ، والعالم يمضى وشهوته » (١ يو ٢ : ١٦ و ١٧) . فكان ، ولابد ، أن يبقى هؤلاء الرسل القديسون فى ووسط العالم «لكى يكونوا ، بلا لوم وبسطاء ، أولاداً لله بلا عيب ، فى وسط جيل معوج وملتو ، يضيئون بينهم كأنوار فى العالم » (فى ٢ : ١٥) .

لذلك فى خطاب العرش الذى ألقاه فوق الجبل ؛ خاصاً بملكوته ، أوصاهم قائلا : « أنتم ملح الأرض . . . أنتم نور العالم . . . فليضىء نوركم ، هكذا ، قدام الناس ؛ لكى يروا أعمالكم الحسنة ويمجدوا أباكم الذى فى السموات » (اقرأ مت ٥ : ١٣—١٦) ، على أن « العالم » قد أظهر أنه « لم يكن مستحقاً » لوجود ، مثل هؤلاء القديسين ، فى عالم كله فساد وأعوجاج وظلام والتواء — أظهر أنه « غير مستحق لهم » وذلك يتبين من وقوفه ضدهم والقيام باضطهادهم ، عاملا كل الجهد لإطفاء تلك الثريات اللامعة ، المتلألئة فى سماء الحياة الأبدية وفى ملك المجد الإلهى وميراثه « الذى لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل » (اقرأ ١ بط ١ : ٣ — ٥) .

هكذا اختبر السيد نفسه ، عملياً ، عدم استحقاق العالم المنوه عنه ؛ فسبق وأنبأ به تلاميذه ، قائلا : « إن كان « العالم » يبغضكم ؛ فاعلموا أنه قد أبغضنى قبلكم ، لو كنتم من « العالم » لكان « العالم يحب خاصته : ولكن ، لأنكم لستم من « العالم » بل أنا إخترتكم من « العالم » ، لذلك يبغضكم « العالم » ، أذكروا الكلام الذى قلته لكم « ليس عبد أعظم من سيده » . إن كانوا قد اضطهدونى ؛ فسيضطهدونكم ، وإن كانوا قد حفظوا كلامى ؛ فسيحفظون كلامكم ؛ لكنهم ، إنما يفعلون بكم هذا كله من أجل اسمى ؛ لأنهم لا يعرفون الذى أرسلنى . . . الذى يبغضنى يبغض أبى ، أيضاً ، . . أما الآن ؛ فقد رأوا وأبغضونى أنا وأبى . لكن ؛ لكى تتم الكلمة المكتوبة فى ناموسهم « أنهم أبغضونى بلا سبب » (اقرأ يو ١٥ : ١٨ — ٢٥ انظر مت ١٠ : ٢٤ — ٢٦ مع لو ٦ : ٤٠ مع مز ٦٩ : ٤ مع يو ٩ : ٣٩ — ٤١) ، هكذا أبغضهم العالم الذى « لم يكن مستحقاً لهم » ، وهذا يأتى بنا إلى الجزء الرابع : —

البند الرابع : ختام تمهيدى (عب ١١ : ٣٩ و ٤٠)

٣٩ فَهؤُلاَءِ كُلُّهُمْ مَشْهُوداً لَهُمْ بِالإِيمَانِ لَمْ يَنَالُوا ٱلْمَوْعِدَ .
٤٠ إِذْ سَبَقَ ٱللهُ فَنَظَرَ لَنَا شَيْئاً أَفْضَلَ لِكَيْ لاَ يُكْمَلُوا
بِدُونِنَا .

هذا البند هو ختام الكلام فى الجزء الرابع الخاص بشهود الإيمان فى أرض الموعد (ع ٣٠ — ٤٠) ، حيث رأيناهم فى البند الأول أبطال الإيمان أمام أريحا (راجع شرح ع ٣٠ و ٣١) . وحيث رأينا ، أيضاً فى البند الثانى ذكر أبطال بالجملة مع فواعل إيمانهم دون تفصيل (راجع شرح ع ٣٢ — ٣٥) . وهكذا فى البند الثالث رأينا ذكر فواعل إيمان دون ذكر أبطال معينين (راجع شرح ٣٥ — ٣٨) .

غير أن هذا الختام — هو أيضاً ، ختام الكلام عن الركن الثالث الذى موضوعه الإيمان فى اتصاله بما يرجى (ع ٤ — ٤٠) . كما أنه ، أيضاً ، ختام لكل ما شهد به عن أبطال الإيمان قديماً (ع ١ — ٣٨) ، وإن نسينا — يجب أن لا ننسى — أنه ، فى ذات الوقت ختام تمهيدى لما سيأتى عن « رئيس الإيمان ومكمله فى الأصحاح الثانى عشر (ص ١٢ : ١ — ٢٩ انظر الشرح) ، على أساس هذا المربع نتقدم الآن لشرح هذا البند الرابع من الجزء الرابع ؛ حيث يبدأ بالقول : —

(ع ٣٩) « فهؤلاء كلهم » :

الكلمة « فهؤلاء » نرى فيها « الفاء » حرفاً رابطاً بين ما سبقها من الكلام (راجع شرح ع ٢) ، وما سيأتى بعدها ، ولعلها ، من هذا القبيل ، رابطة بين كل ما ورد ، من الكلام ، عن جميع أبطال « الإيمان » الذين تجمعهم معاً الكلمة : —

« هؤلاء »

« هؤلاء » هم أبطال الإيمان القدماء الذين قيل عنهم « فإنه ، فى هذا ، شهد للقدماء» (راجع شرح ع ٢) ، وحيث أن الكلمة « هؤلاء » هى اسم للاشارة إلى ما هو قريب ،

وذلك بمقابلتها بالكلمة « أولئك » التى هى اسم للاشارة إلى ما هو بعيد ؛ فإننا ، بهذه المقابلة ، نحقق أن جميع أبطال « الإيمان » المشار إليهم ، كانوا حاضرين فى ذهن الرسول ، قريبين جداً من قلبه ، وكأنه يحسبهم هكذا ، أيضاً — حاضرين وقريبين — فى أذهان وقلوب الذين يكتب إليهم ، لذلك يقول « فهؤلاء » : —

« كلهــم » :

أى كل الذين سبق الكلام عنهم ، سواء أكان بذكر أسمائهم بالتفصيل ؛ كما رأينا فى : — « هابيل » و « أخنوخ » و«نوح » قبل الطوفان (ع ٤ — ٧) — و « إبراهيم » و« إسحق » و « يعقوب » و « سارة » — فى أرض الموعد — غرباء — (ع ٨ — ٢١) — . و« يوسف » وموسى » —فى أرض مصر (ع ٢٢ — ٢٩) — . و« راحاب» و« جدعون وباراق وشمشون ويفتاح وداود وصموئيل » — فى أرض الموعد وارثين(ع ٣٠ — ٣٢) أو سواء أكان بذكر أعمال بطولتهم تحت عنوان « الأنبياء » (ع ٣٢ — ٣٨) ، « فهؤلاء كلهم » : —

« مشهوداً لهم بالإيمان » :

الكلمة « مشهوداً » هى — بمقتضى القوانين النحوية — منصوبة على الحالية — كما لو أن الرسول يريد أن يقول « فهؤلاء كلهم » — فى حالة كونهم — « مشهوداً لهم بالإيمان » ، وذلك طبقاً لما قاله عنهم ، سابقاً « فإنه ، فى هذا ، شهد للقدماء » (ع ٢)— فى هذا الإيمان الذى سبق أن قال عنه : « أما «الإيمان» فهو الثقة بما يرجى والإيقان بأمور لا ترى ، فإنه ، فى هذا ، شهد للقدماء » (راجع شرح ع ١ و ٢) ، وها هو ، فى ختام كلامه ، يريد أن يقول : « فهؤلاء كلهم — مع كونهم — مشهوداً لهم بالإيمان» :

« لم ينالوا الموعــد » :

هذا « الموعد » سبق أن نوهنا عنه فى شرح كلمة « المواعيد » التى ورد ذكرها ، سابقاً ، فى قوله « نالوا مواعيد » ، وذلك فى الكلام عن « الأنبياء » — « الذين بالإيمان قهروا ممالك ، صنعوا براً ، نالوا مواعيد » راجع شرح ع ٣٣) . كما سبق ذكرها ،

أيضاً ؛ حيث قيل : «لم ينالوا المواعيد » ، وذلك فى الكلام عن «إبراهيم وإسحق ويعقوب» الذين قيل عنهم : « فى الإيمان مات هؤلاء أجمعون وهم لم ينالوا المواعيد » (راجع شرح ع ١٣). فإننا ، فى ذينك الموضعين ، نرى « المواعيد » ترد فى صيغة الجمع — « مواعيد » متعددة شخصية زمنية أعطيت للذين وعد بها لهم ، وذلك سواء أكانت « مواعيد » قيل بصددها : « نالوا » — إيجاباً — أو سواء أكانت « مواعيد » قيل بصددها « لم ينالوا » سلباً ونفياً .

على أن تلك « المواعيد » المشار إليها ، لا تمت بصلة وليست لها أية علاقة بما ورد فى هذه الآية التى أمامنا ؛ حيث يقال : « فهؤلاء كلهم — مشهوداً لهم بالإيمان » : —

« لم ينالوا الموعد » :

فإننا ، فى قوله : « لم ينالوا الموعد » تلتقى « بموعد » فرد موحد . على أن هـذا « الموعد » — الفرد الموحد — لم تذكر هويته (أى ما هو) ، ولكنه معرّف « بأل » التعريف ؛ حيث لم يقل « موعد » بل قيل « الموعد » معرفاً ، لا « بأل » التعريف فحسب ؛ بل ، أيضاً « بأل » العهدية ، وذلك بمعنى أنه « موعد » معرّف معهود ، لا يخفى ولا يستتر ولا يحتجب عن ذهن أوفكر أوقلب أى مطالع ملهم مدقق ، تتحقق له تلك الطلبة المشهورة : « اكشف عن عينىّ ؛ فأرى عجائب من شريعتك » (مز ١١٩ : ١٨) . وذلك القول المأثور « سر الرب لخائفيه وعهده لتعليمهم » (مز ٢٥ : ١٤) . وذلك النطق السيدى الكريم : « كل كاتب متعلم فى ملكوت السموات يشبه رجلا — « رب بيت » — يخرج ، من كنزه ، جدداً وعتقاء » (مت ١٣ : ٥٢) .

هذا هو « الموعد » الذى وضع ، فى نص الوحى المقدس ، فى رأس كل المواعيد ومن بدئها ، متضمناً إياها جميعها ، وهو « الموعد » الذى نطق به «يهوه» —إلهالعهد ، فى جنة عدن ، وهو يقضى بلعن ذلك « التنين الأحمر » — « الحية القديمة » « المدعو إبليس والشيطان » (رؤ ١٢ : ٣ و٩) ، وهو النطق الكريم الواضح فى القول « للحية القديمة » — « أضع عداوة بينك وبين المرأة ، وبين نسلك ونسلها ، هو يسحق رأسك ، وأنت تسحقين عقبه » (تك ٣ : ١٥) :

وقد تمثل الرائى اللاهوتى هذا « الموعد » المبارك ، حيث له « ظهرت آية عظيمة فى السماء « امرأة متسربلة بالشمس ، والقمر تحت رجليها ، وعلى رأسها إكليل من اثنى عشر كوكباً ، وهى — حبلى — تصرخ متمخضة ومتوجعة لتلد » . وظهرت آية أخرى فى السماء — هوذا « تنين عظيم أحمر » — له سبعة رؤوس وعشرة قرون — « الحية القديمة المدعو إبليس والشيطان » — « والتنين وقف أمام « المرأة » العتيدة أن تلد ؛ حتى يبتلع ولدها متى ولدت » (اقرأ رؤ ١٢ : ١ — ٩ مع باقى الأصحاح وص ١٣) .

هذه « الآية العظيمة » التى تمثلت أمام نظر ذلك اللاهوتى المحبوب ، إنما هى صورة تمثيلية يتلألأ فيها نور الحق السماوى الذى يعلن لنا ، بصورة واضحة ، حقيقة ذلك « الموعد » فى « نسل المرأة » التى ولدت ذلك « الابن الذكر » (قابل تك ٣ : ١٥ مع رؤ ١٢ : ٤ و ٥) . ومن هو هذا « الابن » الذكر العتيد أن « يرعى جميع الأمم بعصاً من حديد » ؟ ألا يذكرنا هذا الوصف بذلك القضاء الإلهى الأزلى الأبدى الذى نطق به ذلك « الابن » بفم المرنم قائلا « إنى أخبر من جهة قضاء الرب — قال لى — « أنت ابنى » أنا اليوم ولدتك ، اسألنى فأعطيك الأمم ميراثاً لك ، وأقاصى الأرض ملكاً لك ، تحطمهم بقضيب من حديد ، مثل إناء خزاف تكسرهم » (قابل مز ٢ : ٧ — ٩ مع رؤ ١٢ : ٥) .

هذا هو « النسل » — « نسل المرأة » موضوع ذلك « الموعد » النبوى الكريم — « النسل الذى قد وعد له » (انظر شرح غل ٣ : ١٩ للمؤلف) . هذا هو « النسل » الذى « قيلت فيه كل المواعيد » . فإن « المواعيد » كلها قد « قيلت فى إبراهيم وفى نسله » حيث قيل : « بذاتى أقسمت . أنى . . . أباركك مباركة ، وأكثر نسلك تكثيراً . . . ويتبارك فى « نسلك جميع أمم الأرض » . وقد علق الرسول على هذا الوعد بالقول : « وفى نسلك الذى هو المسيح » (تك ٢٢ : ١٦ — ١٨ انظر شرح غل ٣ : ١٦ للمؤلف) . هذا هو « الموعد » — « النسل الذى وعد له » — « الذى قيلت فيه كل المواعيد » — « المسيح » — « نسل المرأة » — الذى قال عنه الرسول : « لما جاء

ملء الزمان ، أرسل الله « ابنه » مولوداً من امرأة ، مولوداً تحت الناموس ؛ ليفتدى الذين تحت الناموس » (انظر شرح غل ٤ : ٤) .

هذا هو « الموعد » — « المسيح » « الذى يسحق رأس الحية » القديمة — وقد رأى « الشيطان » — « ساقطاً ، مثل البرق ، من السماء » (قابل لو ١٠ : ١٧ و ١٨ مع ٢ بط ٢ : ٤ مع يه ٦) . هذا هو ذات المنظر الذى تمثله الرائى اللاهوتى وعبر عنه بالقول : « فطرح التنين العظيم . . . الذى يضل العالم كله — طرح إلى الأرض وطرحت معه ملائكته » (اقرأ رؤ ١٢ : ٧ — ١٢) — هذا هو « الموعد » — « نسل المرأة » « المسيح » « ابن الله » — الذى « أظهر لكى ينقض أعمال إبليس » (١ يو ٣ : ٨) ، ولكى يخلص المؤمنين من سم الحية القديمة » (قابل يو ٣ : ١٤ — ١٦ مع عد ٢١ : ٦ — ٩) ، ولكى « يسحق الشيطان تحت أرجلهم سريعاً » (رو ١٦ : ٢٠) .

هذا هو « الموعد » — « حجر الزاوية » — الذى أنشد فيه مرنم إسرائيل الحلو « بوحى الرجل القائم فى العلا — مسيح إله يعقوب » — روح الرب تكلم به (٢ صم ٢٣ : ١ و ٢) ، حيث قال : « الحجر الذى رفضه البناؤون ، قد صار رأس الزاوية ، من قبل الرب « كان هذا » وهو عجيب فى أعيننا ، هذا هو اليوم الذى صنعه الرب — « نبتهج ونفرح فيه » آه يارب خلص — آه يارب أنقذ — « أوصنا » — مبارك « الآتى باسم الرب » » (مز ١١٨ : ٢٢ — ٢٦ قابل مت ٢١ : ٤٢ اقرأ أع ٣٣ — ٤٦ مع مر ١٢ : ١٠ و ١١ اقرأ ع ١ — ١٢ مع لو ٢٠ : ١٧ اقرأ ع ٩ — ١٩ مع أع ٤ : ١٠ — ١٢ مع لو ١ : ٢٦ — ٣٨ و ٢ : ١ — ١٤ مع مت ١ : ١٨ — ٢٥ مع يو ١ : ١ — ٣٤ مع مت ٢١ : ٩ اقرأ ع ١ — ٩ مع مر ١١ : ٩ و ١٠ اقرأ ع ١ — ١٠ مع لو ١٩ : ٣٧ و ٣٨ اقرأ ع ٣٧ — ٤٤ مع يو ١٢ : ١٣ اقرأ ع ١٢ — ١٦) ، هذا هو « الموعد » الذى قيل فيه عن القدماء « المشهود لهم بالإيمان » : —

« لم ينالوا » :

هذا النص « لم ينالو » المتعلق بالقول : « لم ينالوا الموعد » — هو نص لا يحمل فى معناه ولا يصل إلى مرماه سوى فكرة واحدة يعينها ويرمى إليها هى — أن جميع القدماء

الذين شهد لهم بالإيمان—أولئك الذين تحدث عنهم الرسول فى ما سبق من هذا الأصحاح . وقد ذكرناهم مراراً كثيرة — أولئك جميعهم ماتوا قبل إتمام « الموعد » أى قبل أن تلد العذراء التى تكلم عنها إشعياء ، قائلا : « ها العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل » الذى تفسيره — « معنا الله » — « الله معنا » (قابل إش ٧ : ١٤ مع مت ١ : ٢٠ — ٢٣) ، وقبل أن يتم ذلك القول النبوى : « لأنه يولد لنا ولد ونعطى ابناً ، وتكون الرياسة على كتفه ويدعى اسمه ، عجيباً ، مشيراً ، إلهاً ، قديراً ، أباً ، أبدياً ، رئيس السلام » إش ٩ : ٦ قابل ع ٦ و ٧ مع لو ١ : ٣٠ — ٣٣ و ٢ : ١٠ و ١١) .

بل هذا هو مولود « الوالدة » الموعود به (مى ٥ : ٣) . وقد نص عنه بالقول : « أما أنت يا بيت لحم أفرتة — وأنت صغيرة أن تكونى بين ألوف يهوذا — فمنك يخرج « لى » الذى يكون متسلطاً على إسرائيل ، ومخارجه منذ القديم — منذ أيام الأزل » (مى ٥ : ٢ اقرأ ع ١ — ٥ مع مت ٢ : ١ — ١٢) . فقد كان إتمام هذا الموعد — إتماماً عملياً تاريخياً — بولادة « عمانوئيل » — « ابن العلى » — « ابن الله » — من العذراء مريم .

هذا هو « الكلمة » الذى قال فيه البشير يوحنا : « فى البدء كان الكلمة ، والكلمة كان عند الله . وكان الكلمة الله » (يو ١ : ١) : « والكلمة صار جسداً وحل بيننا » (يو ١ : ١٤) ، « الله لم يره أحد قط ، الابن الوحيد . الذى هو فى حضن الآب . هو خبر » (يو ١ : ١٨ اقرأ ع ١ — ٣٤ مع مر ١ : ١ — ١٤ مع لو ٢ مع ٢ بط : ١٦ — ١٨ مع ١ يو ١ : ١ — ٤ راجع شرح ص ١٠ : ٥ — ١٠) . هذا هو « الموعد » — المسيح متجسداً — « ابن الإنسان » — « مولوداً من امرأة » — « مولوداً تحت الناموس ليفتدى الذين تحت الناموس » — هذا هو « الموعد » الذى قيل فيه . عن أبطال الإيمان القدماء « فهؤلاء كلهم مشهوداً لهم بالإيمان » : —

« لم ينـــالوا الموعد » :

ليس بمعنى أنهم « لم ينالو » الخلاص الموعود به بالمسيح المتجسد ، لأنهم كلهم ماتوا « مشهوداً لهم بالإيمان » الذى قال عنه الرسول بولس : « مع المسيح صلبت .

فأحيا ، لا أنا ؛ بل المسيح يحيا فىّ ، فما أحياه الآن ، فى الجسد ؛ فإنما أحياه فى « الإيمان » — إيمان ابن الله الذى أحبنى وأسلم نفسه لأجلى » « انظر شرح غل ٢ : ٢٠ للمؤلف) هذا هو ذات الإيمان المتضمن فى « الكتب المقدسة » التى قال عنها الرسول بولس ، أيضاً ، لابنه تيموثاوس : « وأنك منذ الطفولية تعرف « الكتب المقدسة » القادرة أن تحكمك « للخلاص بالإيمان » الذى فى المسيح يسوع » (٢ تى ٣ : ١٥) .

أما « الكتب المقدسة » المشار إليها هنا فهى ، ولابد ، تلك « الكتب » التى أوصى السيد المسيح ، بشأنها ، جماعة اليهود ؛ حيث قال لهم : « فتشوا الكتب ؛ لأنكم تظنون أن لكم فيها حياة أبدية ، وهى التى تشهد لى ، ولا تريدون أن تأتوا إلى لتكون لكم حياة » (يو ٥ : ٣٩ و ٤٠) .

هذه « الكتب » التى تشهد للمسيح الذى هو « ابن الله » — « الإله الحق والحياة الأبدية » (١ يو ٥ : ٢٠) — هذه « الكتب » إنما هى « ناموس موسى والأنبياء والمزامير » التى تشهد له (كما سبق تفصيل ذلك بإيضاح . اقرأ يو ٥ : ٣٩ — ٤٧ مع لو ١٦ : ١٩ — ٣١ و ٢٤ : ٢٥ — ٢٧ و ٣٦ — ٥٣) . هذه « الكتب » هى التى تتكلم عن ذلك : —

« الموعـد » :

« الموعد » الذى تحدثت عنه تلك « الكتب » — « مسيح الله الآتى إلى العالم » (مز ٢ : ٢ و ١٦ اقرأ كل المزمور مع مز ٤٥ : ٧ اقرأ كل المزمور مع مز ٨٩ : ١٩ — ٢٧ مع مز ١١٠) . هذا هو « الموعد » الذى تنبأت عنه كل « الكتب المقدسة » وقد جاءت « الكلمة النبوية » عنه ، بصورة واضحة ، فى النص القائل له : « قليل أن تكون لى « عبداً » لإقامة أسباط يعقوب ورد محفوظى إسرائيل ، فقد جعلتك نوراً للأمم ؛ لتكون خلاصى إلى أقصى الأرض — هكذا قال الرب فادى إسرائيل قدوسه للمهان النفس — لمكروه الأمة — لعبد المتسلطين » (إش ٤٩ : ٥و٦ اقرأ ع ١ — ٧ مع أع ١٣ : ٤٦ — ٤٨ مع إش ٤٢ : ١ — ٤ مع مت ١٢ : ١٤ — ٢١ مع إش ٦١ : ١ — ٣ مع لو ٤ : ١٦ — ٢١ مع إش ٥٢ : ١٣ — ٥٣ : ١٢ مع ٢ كو ٥ : ٢٠ و ٢١

مع ١ بط ٢ : ٢١ — ٢٥) ، وقس على ذلك كل ما هو مشحون فى « الكلمة النبوية » ، فى تلك « الكتب المقدسة » التى « ليست من تفسير خاص » — « لأنه لم تأت نبوة قط بمشيئة إنسان ؛ بل تكلم أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس » (٢ بط ١ : ١٩ — ٢١) .

هذا هو « الموعد » موضوع « الكلمة النبوية » ونص « الكتب المقدسة » الذى عبر عنه الرسول بطرس ، أيضاً ، بكلمة « الخلاص » حيث قال : « الخلاص الذى فتش وبحث عنه أنبياء — الذين تنبأوا عن « النعمة » التى لأجلكم ، باحثين أى وقت أو ما الوقت الذى كان يدل عليه « روح المسيح » الذى فيهم ، إذ سبق فشهد بالآلام التى للمسيح والأمجاد التى بعدها » (١ بط ١ : ١٠ و ١١ اقرأ ع ٩ — ١٣) .

مما قيل ، فى شأن هذا « الموعد » نتبين أن « الإيمان » المشهود فيه « للقدماء » إنما هو « الإيمان » بهذا « الموعد » الذى هو موضوع الرجاء الموثوق به ، وبه كل الإيقان ، وإن كان لا يرى (راجع شرح ع ١ و ٢) . وهذا هو الأمر الذى فيه يتساوى أبطال « الإيمان » وشهوده ، سواء أكانوا قبل إتمام « الموعد » أو بعده ، فإنهم جميعاً ، فى كلتا الحالين يعيشون « بالإيمان » الذى هو « الثقة بما يرجى والإيقان بأمور لا ترى » ، وذلك بمقتضى التعبير الذى عبر عنه رسول الختان ، قائلا : « لكى تكون تزكية إيمانكم . . . توجد للمدح والكرامة والمجد ؛ عند استعلان « يسوع المسيح » ، الذى ، وإن لم تروه تحبونه ، ذلك ؛ وإن كنتم لا ترونه الآن ، لكن تؤمنون به ؛ فتبتهجون بفرح لا ينطق به ومجيد » (١ بط ١ : ٧ و ٨) .

وهذا هو ما أثبته السيد المسيح فى قوله لتوما : « لأنك رأيتنى يا توما آمنت ، طوبى للذين آمنوا ولم يروا » (يو ٢٠ : ٢٩ اقرأ ع ٢٤ — ٢٩) . كما سبق أن قال لمرثا : « ألم أقل لك إن آمنت ترين مجد الله » ؟ (يو ١١ : ٤٠ اقرأ ع ١ — ٤ و ١٧ — ٢٧ و ٣٨ — ٤٠) . وهذا هو عين ما أثبته الرسول فى قوله : « بالإيمان نفهم أن العالمين أتقنت بكلمة الله ؛ حتى لم يتكون ما يرى مما هو ظاهر » (راجع شرح ع ٣) ، وبهذا المعنى عينه يتحدث عن جميع « المشهود لهم بالإيمان » بوصف أنهم ماتوا مؤمنين بالمسيح المخلص الموعود به ، قائلا عنهم : « فهؤلاء كلهم . . . لم ينالوا الموعد » : —

« إذ سبق الله فنظر لنا » :

فى هذه الجملة وبخاصة فى كلمة « لنا » نتبين مقارنة بين فئتين من أبطال «الإيمان». أما الفئة الأولى فقد سبق أن استوضحناها فى قوله : « هؤلاء كلهم . . . لم ينالوا الموعد » — بصيغة الكلام عن الجمع الغائب (راجع شرح ع ٣٩) ، — أما الفئة الثانية فهى واضحة فى كلمة « لنا » — بصيغة الكلام عن جمع حاضر متكلم . فالمقارنة إذاً قائمة بين « هم » — « الذين لم ينالوا الموعد » وبين « نا » — نحن — فى صدد نوال هذا « الموعـــد » .

هذه المقارنة يمكننا أن نتبينها جلياً فى صورة تاريخية واقعية ، وذلك فى ما أوحى به إلى رجل فى أورشليم اسمه « سمعان » — كان ذلك الرجل باراً تقياً « ينتظر « تعزية » إسرائيل » — تلك « التعزية » التى هى ذات « الموعد » — والروح القدس كان عليه ، وكان قد أوحى إليه أنه لا يرى الموت ؛ قبل أن يرى « مسيح الرب » — « تعزية إسرائيل — « الموعد » فأتى بالروح إلى الهيكل » .

وعندما دخل بالصبى — « يسوع » — « مسيح الرب » — « تعزية إسرائيل » — « الموعد » — عندما دخل به أبواه ليصنعا له حسب عادة الناموس ، أخذه (سمعان) على ذراعيه وبارك الله وقال : « الآن ! تطلق عبدك يا سيد ، حسب قولك ، بسلام ؛ لأن عينى قد أبصرتا خلاصك الذى أعددته قدام جميع الشعوب — نور إعلان للأمم ومجداً لشعبك إسرائيل » (اقرأ لو ٢ : ٢٥ — ٣٢) .

هكذا — ما تمتع به هذا الرجل « البار » سمعان — تمتعت به ، أيضاً ، تلك المرأة — التى يحدثنا عنها التاريخ النبوى المقدس ، قائلا : «كانت نبية — حنة بنت فنوئيل من سبط أشير — وهى متقدمة فى أيام كثيرة . . . وهى أرملة . . . لا تفارق الهيكل ، عابدة بأصوام وطلبات ليلا ونهاراً (بالروح منتظرة ذلك الموعد) ، فهى ، فى تلك الساعة ، وقفت تسبح الرب ، وتكلمت عنه ، مع جميع المنتظرين فداء (« الموعد ») فى أورشليم » (اقرأ لو ٢ : ٣٦ — ٣٨) .

هذه صورة تاريخية نبوية لرجال ونساء عاشوا ينتظرون « الموعد » : وقد رأوه — لا عيانياً فى طفل لم يزد عمره ، بعد ، عن أربعين يوماً — بل « بالإيمان » — بإعلان من الروح القدس — رأوه وتحدثوا عنه بأمور عجيبة لا تدرك ، وفى هذا التمثيل النبوى الصادق يتحقق لنا ما قاله الرسول عن أبطال الإيمان القدماء فى النص القائل « : هؤلاء كلهم — مشهوداً لهم بالإيمان — لم ينالوا الموعد ؛ ؛ إذ سبق الله فنظر لنا » .

« شيئاً أفضـــل » :

الكلمة « أفضل » سبق الكلام عنها ، باعتبار كونها مفتاح كل هذه الرسالة وموضوعها الخاص ، فقد افتتحها الرسول بملك « جلس فى يمين العظمة فى الأعالى ، صائراً أعظم من الملائكة بمقدار ما ورث « اسماً أفضل » منهم » بوصف كونه « الابن الوحيد الذى هو فى حضن الآب » (يو ١ : ١٨ راجع شرح ص ١ : ٤ اقرأ شرح ص ١ و ٢) .

ثم جرى الرسول ، أيضاً ، ذات المجرى ، فى كلامه عن نبى « قد حسب أهلا لمجد أكثر من موسى ؛ بمقدار ما لبانى البيت ، من كرامة ، أكثر من البيت ؛ لأن كل بيت يبنيه إنسان ما ، ولكن بانى الكل هو « الله » . وموسى كان ، أميناً فى كل بيته « كخادم » شهادة للعتيد أن يتكلم به ، وأما المسيح «فكابن » على بيته » وما «أفضل» الابن عن الخادم ! (راجع شرح ص ٣ : ٣ — ٦ اقرأ شرح ص ٣ و ٤) .

هكذا يضيف الرسول إلى الكلام عن الملك الأعظم والأفضل وإلى الكلام عن النبى الأمجد والأكرم — يضيف الكلام عن « كاهن » لا على رتبة « هرون » بل على رتبة ملكى صادق (راجع شرح ص ٥ : ٦) حيث يقول عنه ، فى هذا الصدد : « قد حصل على خدمة « أفضل » بمقدار ما هو وسيط ، أيضاً ، لعهد « أعظم » قد تثبت على مواعيد « أفضل » (راجع شرح ص ٨ : ٦) . حيث قال ، أيضاً : « وأما المسيح ، وهو قد جاء « رئيس كهنة » للخيرات العتيدة « فبالمسكن الأعظم والأكمل » غير المصنوع بيد ، أى الذى ليس من هذه الخليقة » (راجع شرح ص ٨ : ١ و ٢ و ٩ : ١١ اقرأ شرح ص ٥ — ١٠ : ٣٨) .

وما « أفضل » تلك القيامة ! التي قيل ، في صددها ، عن الذين « عذبوا ولم يقبلوا النجاة ، لكي ينالوا قيامة « أفضل » (راجع شرح ع ٣٥) ، هذا هو مفتاح الشيء « الأفضل » الذي يقول عنه الرسول هنا في صدد « الموعد » . « هؤلاء كلهم — مشهوداً لهم بالإيمان — لم ينالوا الموعد ، إذ سبق الله فنظر لنا » : —

« شيئاً أفضـــل » :

لعلنا نستطيع أن نلمس هذا « الشيء الأفضل » في نبوة زكريا الكاهن التي نطق بها « بالروح القدس » عن ابنه « يوحنا المعمدان » حيث قال : « أنت أيها الصبي ! « نبي العلي » تدعى ، لأنك تتقدم أمام وجه « الرب » لتعد طرقه . لتعطي شعبه معرفة الخلاص بمغفرة خطاياهم . بأحشاء رحمة إلهنا التي بها افتقدنا « المشرق من العلاء » ليضيء على الجالسين في الظلمة وظلال الموت ، لكي يهدي أقدامنا في طريق السلام » (لو ١ : ٧٦ — ٧٩) .

هذا القول النبوي الذي نطق به ذلك الكاهن اليهودي بالروح القدس — هو ذات الإعلان الذي أعلنه الملاك جبرائيل . في بشارته لذلك الكاهن ، حيث قال عن ذلك المعمدان : « من بطن أمه يمتلىء من الروح القدس ويرد كثيرين من بني إسرائيل إلى الرب إلههم ، ويتقدم أمامه بروح إيليا وقوته ، ليرد قلوب الآباء إلى الأبناء والعصاة إلى فكر الأبرار ، لكي يهيء للرب شعباً مستعداً » (لو ١ : ١٥ — ١٧ اقرأ ٨ — ٢٥ و ٥٧ — ٨٠) .

هذا هو يوحنا المعمدان الذي تنبأ عنه ملاخي تحت لقب « إيليا النبي » (قابل ملا ٤ : ٥ و ٦ مع لو ١ : ١٣ — ١٧ مع مت ١١ : ٧ — ١٤ و١٧ : ١٠ — ١٣ مع مر ٩ : ٩ — ١٣ مع لو ١٦ : ١٦) . هو الذي قال عنه . أيضاً السيد المسيح نفسه : « الحق أقول لكم « لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان » مت ١١ : ١١) . ولا عجب ! فإنه هو الذي بيده عمد « مسيح الرب » — تعزية إسرائيل » — فلمس بيده ذلك « الموعد » يوم جاءه عنه ذلك الإعلان السماوي الواضح في قوله : « إني قد رأيت الروح نازلا مثل حمامة من السماء فاستقر عليه ، وأنا لم أكن

أعرفه ؛ لكن الذى أرسلنى لأعمد بالماء ، ذاك قال لى : « الذى ترى الروح نازلا ومستقراً عليه فهذا هو الذى يعمد بالروح القدس » وأنا قد رأيت وشهدت أن هـذا هو ابن الله » (يو ١ : ٣٢ — ٣٤ اقرأ ع ٢٩ — ٣٤) .

بهذا الاعتبار يكون يوحنا أعظم المولودين من النساء بالمقارنة مع جميع أبناء الجنس البشرى الوارد تحت عنوان « مولود المرأة » (قابل أى ١٤ : ١ و ١٥ : ١٤ و ٢٥ : ٤) ، فإنه ، كإنسان بشرى ، بعينيه رأى السيد وبيديه لمسه ؛ كما فعل مع سائر البشر الذين اختلط بهم ؛ كما سبق أن رأينا ذات الأمر مع سمعان وحنة النبية والآخرين ، فإن هذه كلها إنما هى اتصالات بشرية جسمانية لا تمت بصلة ما إلى « الكلمة » الذى كان — فى البدء — عند الله وكان هو ذات الله (يو ١ : ١ و ٢) .

هذا هو كلمة الحياة التى تحدث عنه الرسول يوحنا ، قائلا : « الذى كان من البدء ، الذى سمعناه ، الذى رأيناه بعيوننا ، الذى شاهدناه ولمسته أيدينا من جهة « كلمة الحياة » فإن « الحياة » أظهرت ، وقد رأينا ونخبركم بالحياة التى كانت عند الآب وأظهرت لنا » (١ يو ١ : ١ — ٣ اقرأ كل الأصحاح) .

ولعل السيد ، لهذا الاعتبار — بعد أن قال عن يوحنا بأنه « لم يقم بين المولودين من النساء أعظم منه » — عقب ، على هذا الكلام ، بقوله : « ولكن الأصغر فى ملكوت السموات أعظم منه » — (مت ١١ : ١١) . وما أعظم الفرق ! بالنسبة إلى تلك العظمة ! بين « صديق العريس » وبين « عروس » ذلك « العريس » الذى « له العروس » (قابل يو ٣ : ٢٧ — ٢٩ مع إش ٦١ : ١٠ و ٦٢ : ٥) .

ومن هى تلك « العروس » ؟ إنما هى « أبناء » ذلك الملكوت — « ملكوت السموات » الذى بدأ السيد نفسه — بعد نهاية خدمة ذلك المعمدان — بالكرازة به ؛ كما قيل : « وبعد ما أسلم « يوحنا » جاء « يسوع » إلى الجليل يكرز ببشارة « ملكوت الله » ويقول : « قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله ؛ فتوبوا وآمنوا بالإنجيل » (مر ١ : ١٤ و ١٥) ، ذلك الملكوت الذى دعاه الرسول بولس « بشارة نعمة الله » قائلا فى صدده : « لست

أحتسب لشيء ، ولا نفسي ثمينة عندي ؛ حتى أتمم بفرح سعيي والخدمة التي أخذتها من الرب يسوع ؛ لأشهد ببشارة نعمة الله » (أع ٢٠ : ٢٤ اقرأ ع ٢٢ — ٢٥).

هذا هو الشيء « الأفضل » الذي يتبين لنا في المقارنة بين كرازة يوحنا المعمدان الذي قال : « توبوا ! لأنه قد اقترب ملكوت السموات » (مت ٣ : ٢) ، وبين كرازة السيد المسيح ببشارة ملكوت الله ؛ حيث قال « توبوا وآمنوا « بالإنجيل » (مر ١ : ١٤ و ١٥).

هذا هو « ملكوت الله » — « بشارة نعمة الله » — « الإنجيل » — هذا هو «الخلاص» — الذي لا يقدر — « الذي ابتدأ الرب بالتكلم به ثم تثبت لنا من الذين سمعوا ، شاهداً الله معهم بآيات وعجائب وقوات متنوعة ومواهب الروح القدس حسب إرادته » . وما أعظم الفرق وما أبعد الشقة بين هذا « الخلاص » وبين الشريعة السينائية التي تكلم بها ملائكة على جبل سيناء ! (تث ٣٣ : ١ — ٣ راجع شرح ص ٢ : ١ — ٤).

هذا هو الشيء « الأفضل » — « ملكوت الله » — « الإنجيل » — «بشارة نعمة الله» — « الخلاص » — المشار إليه بالقول : « سبق الله فنظر لنا شيئاً أفضل » : —

« لكي لا يكملوا بدوننا » :

هنا يعود الكلام إلى تينك الفئتين اللتين سبق الكلام عنهما — الأولى في ضمير الجمع الغائب « هم » في القول : « هؤلاء كلهم » حيث يقال عنهم هنا : « يكملوا » — في قوله : « لكي لا يكملوا » — الثانية في ضمير الجمع المتكلم « نا » في القول : « لنا » وهم المشار إليهم بالقول : « بدوننا » . وحيث قد سبق الفحص المطول عن هوية هاتين الفئتين اللتين هما « هم » و « نا » نتقدم الآن لفحص ما قيل عنهما ؛ حيث قيل عن الأولى : —

« لكي لا يكملوا » :

في نور كل ما قيل يكشف الله لنا ، بروحه ، معنى ذلك الكمال العجيب الخاص بأبطال «الإيمان» قديماً ؛ لا بالنسبة إلى شخصياتهم . فإن كل الشهادات التي برزت

عنهم ، معلنة بالوحى المقدس ، تدل دلالة واضحة بأنهم أبطال « الإيمان » الذى هو «الثقة بما يرجى والإيقان بأمور لا ترى » (راجع شرح ع ١) . وأنهم ؛ بهذا « الإيمان » عملوا القوات والعجائب الفائقة الطبيعة وقدموا عبادات « مقبولة » عند الله وشهد لهم بأنهم أبرار ، ونالوا النجاة والحياة على رجاء القيامة الأفضل .

فإنهم ، من هذا القبيل « مكملين » ولا شيء ينقصهم . ولا أدل على هذا الكمال من أن يؤخذ أحدهم حياً إلى السماء (راجع شرح ع ٥) . ومن أن يقال عن غيره : «كان ينتظر المدينة التى لها الأساسات التى صانعها وبارئها الله » (راجع شرح ع ١٠). ومن أن ينسبهم ذات الله إلى جلاله الأسمى ويدعى إلههم وقس على ذلك من الشواهد البينة والبراهين الدامغة التى تدل على أنهم جميعاً عاشوا وماتوا « بالإيمان » الذى هو «الثقة بما يرجى والإيقان بأمور لا ترى » (راجع شرح ع ١) .

فلابد إذاً أن ننظر إلى « الكمال » المقصود فى القول « لكى لا يكملوا بدوننا » — لا بالنسبة إلى أشخاصهم ولا بالنسبة إلى إيمانهم — بل بالنسبة إلى الطريقة التى كانوا يتقدمون بها إلى الله بالإيمان باسمه والرجاء بمواعيده ، فإنهم وهم متمتعون بنعمة الإيمان الثابت وقوة الرجاء الراسخ بالأمور « التى لا ترى » . إلا أنهم كانوا يتقدمون إلى « عرش النعمة » فى عبادة طقسية مرئية ، وذلك بذبائح وقرابين جسدية منظورة ، وعن طريق كهنوت متسربل بمواد ملموسة منظورة بنظام قال عنه الرسول : « فيه تقدم قرابين وذبائح لا يمكن ، من جهة الضمير ، أن تكمل الذى يخدم » ، « لأن الناموس ، إذ له ظل الخيرات العتيدة — لا نفس صورة الأشياء — لا يقدر أبداً ، بنفس الذبائح « كل سنة » — التى يقدمونها على الدوام — أن يكمل الذين يتقدمون ». (راجع شرح ص ٩ : ٩ و ١٠ : ١) .

أما سر عدم التكميل المشار إليه فى ذلك القول ، فإنه مبنى على ما قيل سابقاً عن « الكهنوت اللاوى » حيث يقال : « فلو كان بالكهنوت اللاوى كمال — إذ الشعب أخذ الناموس عليه — ماذا كانت الحاجة بعد ، إلى أن يقوم كاهن آخر على « رتبة ملكى صادق » ولا يقال : على رتبة « هرون » ؟ . . « فإنه يصير إبطال الوصية السابقة من أجل ضعفها وعدم نفعها . إذ الناموس لم يكمل شيئاً ، ولكن يصير إدخال أجل. رجاء « أفضل » به نقترب إلى الله » (راجع شرح ص ٧ : ١١ و ١٨ و ١٩) .

في هذه الآيات وغيرها من نوعها ينير الرسول الطريق أمامنا في موضوع التكميل وبخاصة في التمثيل الذي مثل به « الناموس » بوصف كونه « له ظل الخيرات العتيدة لا نفس صورة الأشياء » (راجع شرح ص ١٠ : ١) . وهو تمثيل يرينا ضعف الناموس وعدم مقدرته على تكميل الذين يتقدمون بنفس الذبائح — « كل سنة » — التي يقدمونها على الدوام » (راجع الشرح) .

أما « الخيرات العتيدة » فهي خيرات « العالم العتيد » الذي سبق أن تكلم عنه الرسول ، قائلا : « فإنه ، لملائكة ، لم يخضع (الله) العالم العتيد الذي نتكلم عنه » (راجع شرح ص ٢ : ٥) . وذلك بوصف كونه نظام « عهد أفضل » سبق أن رأيناه ، وأيضاً ، في قول الرسول عن السيد المسيح : « ولكنه الآن قد حصل على خدمة أفضل بمقدار ما هو وسيط ، أيضاً ، لعهد أعظم قد تثبت على مواعيد أفضل » (راجع شرح ص ٨ : ٦) .

هذا هو « وقت الإصلاح » الذي أشار إليه الرسول باعتبار كونه الوقت ، الذي عنده ، تبطل نهائياً كل طرق التقدم إلى الإله المعبود حيث قال : « ما دام المسكن الأول له إقامة ، الذي هو رمز للوقت الحاضر الذي فيه تقدم قرابين وذبائح لا يمكن ، من جهة الضمير أن تكمل الذي يخدم ، وهي قائمة بأطعمة وأشربة وغسلات مختلفة وفرائض جسدية — فقط موضوعة إلى وقت الإصلاح » (راجع شرح ص ٩ : ٩ و ١٠) . هذا هو ذات « العهد الجديد » الذي نسب إلى السيد المسيح ؛ حيث قيل : « ولأجل هذا هو وسيط « عهد جديد » لكي يكون المدعوون ، إذ صار موت لفداء التعديات التي في العهد الأول ، ينالون وعد الميراث الأبدي » (راجع شرح ص٩ : ١٥ مع كل الأصحاح) .

هذا كله مجتمعاً معاً هو ذات « المسيح الرب » — « تعزية إسرائيل » — « الخلاص » « نعمة الملكوت » — « ملكوت الله » — وبلغة النص الذي نحن بصدده — هذا هو « الموعد » — الذي آمن به كل أبطال الإيمان قديماً ؛ بوصف كونه « الآتي » (قابل تك ٣ : ١٥ و ٢٢ : ١٨ مع تث ١٨ : ١٥ — ٢٠ مع مز ١١٨ : ٢٢ — ٢٦ مع إش ٧ : ١٤ و ٩ : ٦ و ٧ مع مي ٥ : ٢ — ٥ مع ملا ٣ : ١ و ٢) : وبالإيمان به

نالوا تلك القدرة العجيبة الفائقة المتضمنة فى « الكتب المقدسة » — « الكلمة النبوية » — « القادرة أن تحكم — « للخلاص بالإيمان » — الذى فى المسيح يسوع » (قابل ١ تى ١ : ١٥ — ١٧ مع ٢ بط ١ : ١٩ — ٢١) . بهذا الاعتبار وعلى هذا الأساس يقول الرسول؛ عن جميع القدماء « هؤلاء كلهم مشهوداً لهم بالإيمان لم ينالوا الموعد ؛ إذ سبق الله فنظر لنا شيئاً أفضل ؛ لكى لا يكملوا » : —

« بدوننا » :

فى هذه الجملة « بدوننا » يتحدث الرسول عن الفئة الثانية فى صيغة الجمع — جمع المتكلمين ، وذلك بعد أن سبق فتحدث عن الفئة الأولى فى صيغة جمع الغائبين حيث قال : « هؤلاء كلهم . . . لم ينالوا الموعد . . لكى لا يكملوا بدوننا » .

لقد سبق أن رأينا أن الإكمال المقصود فى القول : « لكى لا يكملوا » لم يكن إكمالا لأشخاصهم ولا لإيمانهم ولا لوصولهم إلى المجد ؛ بل بالنسبة لضمائرهم الحية التى ترى فى الذبائح والقرابين كل سنة ذكراً لخطاياهم وتذكيراً لآثامهم وتكفيراً لذنوبهم فيكون إكمالهم ، من هذا القبيل ، إنما هو توجيه الفكر إلى ذلك الشخص العجيب المرموز إليه فى تلك الذبائح والقرابين والفرائض والأحكام والغسلات والأشربة (راجع الشرح). وذلك بمقتضى الأمر الجوهرى الذى وجه إليه الرسول فكر القارئ فى قوله : « لأنه ، إن كان — دم ثيران وتيوس ورماد عجلة — مرشوش على المنجسين — يقدس إلى طهارة الجسد ، فكم بالحرى ، يكون « دم المسيح » الذى ، بروح أزلى ، قدم نفسه لله بلا عيب يطهر ضمائركم من أعمال ميتة لتخدموا الله الحى » (راجع شرح ص ٩ : ١٣ و ١٤) .

فإن هذا الضمير المطهر « من أعمال ميتة » لم يكن إلا ليرى ، فى تلك الذبائح والقرابين التى كانت تقدم كل سنة — لم يكن إلا ليرى « فيها — كل سنة — ذكر خطايا ؛ لأنه لا يمكن أن دم ثيران وتيوس يرفع خطايا »(راجع شرح ص ١٠ : ٣) على أساس تقديم تلك الذبائح سنوياً وباعتبار — أن دم ثيران وتيوس ورماد عجلة مرشوش على المنجسين|لا يقدس إلا إلى طهارة الجسد . ويوصف كون كل هذه

الطقوس والرموز والذبائح « فقط موضوعة إلى وقت الإصلاح – يكون انتظار « وقت الإصلاح » – ومجىء « الموعد » – هو ذلك الأمر المحسوب عدم إكمال للمشهود لهم بالإيمان قديماً .

وهذا هو الأمر الذى تم فعلا لا بالذبائح ولا بالقرابين ولا بالطقوس والفرائض والغسلات ؛ بل فى تقديم ذبيحة المسيح على الصليب ؛ حيث انشق حجاب الهيكل وظهرت الأقداس وتم القول المجيد القائل : « فإذ لنا ، أيها الإخوة ، ثقة بالدخول إلى الأقداس « بدم يسوع » – طريقاً كرسه لنا حديثاً حياً – بالحجاب . – أى « جسده » ، و (إذ لنا أيضاً) كاهن عظيم على بيت الله ، (إذ لنا هذه الثقة وهذا الكاهن) لنتقدم بقلب صادق فى يقين « الإيمان » مرشوشة قلوبنا من ضمير شرير ، ومغتسلة أجسادنا بماء نقى ، لنتمسك بإقرار الرجاء ؛ راسخاً ؛ لأن ، الذى وعد ، هو أمين » (راجع شرح ص ١٠ : ١٩ – ٢٣) .

هكذا أكمل أبطال الإيمان القدماء ؛ لا بالذبائح ولا بالقرابين ولا بالطقوس والفرائض والغسلات ؛ بل بالإيمان « بالموعد » واثقين وموقنين بإتمامه ، ولابد ، لا فرق بينهم – فى هذا « الإيمان » – وبيننا نحن الذين آمنا بأن « الموعد » قد تم ، ولعل هذه هى الحقيقة التى عبر عنها الرسول بطرس ، قائلا : « الذى وإن لم تروه ، تحبونه . ذلك ؛ وإن كنتم لا ترونه الآن ، لكن تؤمنون به فتبتهجون بفرح لا ينطق به ومجيد » (١ بط ١ : ٨) .

إلى هنا أعاننا الرب وانتهينا من شرح الفصل الأول – من الباب الثانى – وموضوعه « الإيمان » وأبطاله « القدماء » (ص ١١ : ١ – ٤٠) . والآن سنتقدم – بعونه ، تعالى ، وإرشاد روحه إلى شرح : –

الفصل الثانى : — « الإيمان » والرب « يسوع » (عب ١٢ : : ١ — ٢٩)

لا يزال « الإيمان » موضوع حديث الرسول— الحديث الذى بدأ به فى الباب الأول تحت عنوان « الإيمان » والموعد (ص ١٠ : ٣٢ — ٣٩) وسار فيه فى البـــاب الثانى تحت عنوان : — « الإيمان » وشهوده (ص ١١ و ١٢) ، مفصلا ذلك الباب فى فصلين — أما الفصل الأول . فقد درسناه تحت عنوان « الإيمان » وأبطاله « القدماء » (ص ١١ : ١ — ٤٠) . وها نحن الآن نتقدم لدرس الفصل الثانى تحت عنوان : —

« الإيمان » والرب « يسوع » (عب ١٢ : ١ — ٢٩)

فى هذا الأصحاح (ص ١٢) يرتفع بنا الرسول ، إلى القمة العليا وإلى ذروة المجد القصوى — بل إلى أعلى عليين حتى يصل بنا — فى موضوع « الإيمان » — إلى الرب « يسوع » . وذلك لكى يرسمه أمام عيوننا فى ثلاثة مواقف جليلة ومجيدة : —

أما الموقف الأول —

فيمكن أن ندرسه تحت عنوان : — الرب يسوع « **رئيس الإيمان ومكمله** » (ص ١٢ : ١ — ٦) ، ومفتاحه « احتمل الصليب ؛ مستهيناً بالخزى » (ع ٢) .

أما الموقف الثانى —

فيمكن أن ندرسه تحت عنوان : — الرب يسوع وتدريب المؤمنين (ص ١٢ : ٧ — ١٧) . — ومفتاحه « يعطى الذين يتدربون به ثمر بر للسلام » (ع ١١) .

أما الموقف الثالث —

فيمكن أن ندرسه تحت عنوان : — الرب يسوع وملكوته (ص ١٢ : ١٨—٢٩) . ومفتاحه « ونحن قابلون ملكوتاً لا يتزعزع » (ع ٢٨) .

الموقف الأول : — الرب يسوع « رئيس الإيمان ومكمله » (عب ١٢ : ١ — ٦)

فى هذا الموقف ركنان : — أولهما : الرب يسوع فى جهاده المثالى — مقداماً (ع ١ — ٣) . الركن الثانى : الرب يسوع فى جهاده المثالى — حافزاً (ع ٤ — ٦) .

الركن الأول : — الرب يسوع فى جهاده المثالى — مقداماً (عب ١٢ : ١ — ٣)

١ لِذَلِكَ نَحْنُ أَيْضًا إِذْ لَنَا سَحَابَةٌ مِنَ ٱلشُّهُودِ مِقْدَارُ هٰذِهِ
مُحِيطَةٌ بِنَا لِنَطْرَحْ كُلَّ ثِقْلٍ وَٱلْخَطِيَّةَ ٱلْمُحِيطَةَ بِنَا بِسُهُولَةٍ
وَلْنُحَاضِرْ بِٱلصَّبْرِ فِي ٱلْجِهَادِ ٱلْمَوْضُوعِ أَمَامَنَا ٢ نَاظِرِينَ إِلَى
رَئِيسِ ٱلْإِيمَانِ وَمُكَمِّلِهِ يَسُوعَ ٱلَّذِي مِنْ أَجْلِ ٱلسُّرُورِ ٱلْمَوْضُوعِ
أَمَامَهُ ٱحْتَمَلَ ٱلصَّلِيبَ مُسْتَهِينًا بِالْخِزْيِ فَجَلَسَ فِي يَمِينِ عَرْشِ
ٱللهِ . ٣ فَتَفَكَّرُوا فِي ٱلَّذِي ٱحْتَمَلَ مِنَ ٱلْخُطَاةِ مُقَاوَمَةً لِنَفْسِهِ مِثْلَ
هٰذِهِ لِئَلَّا تَكِلُّوا وَتَخُورُوا فِي نُفُوسِكُمْ .

فى هذه الأعداد الثلاثة يبرز أمامنا ذلك المجاهد المثالى الأسمى والأوحد قائداً أعلى للمؤمنين فى ميدان الجهاد ضد الخطية والفساد . وهذا يتجلى واضحاً أمامنا فى شرحها :.

(ع ١) « لذلك » :

بكلمة « لذلك » يربط الرسول بين الأصحاحين ، الحادى عشر والثانى عشر ، بل ، بالحرى ، يربط بين الفصل الأول الذى موضوعه « الإيمان » وأبطاله « القدماء » (ص ١١ : ١ — ٤٠) ، وبين الفصل الثانى وموضوعه « الإيمان » والرب « يسوع » (ص ١٢ : ١ — ٢٩) . وعلى الوجه الأقرب يربط الرسول بهذه الكلمة « لذلك » بين ختام الفصل الأول ومقدمة الفصل الثانى ، حيث يقول : « فهؤلاء كلهم — مشهوداً لهم بالإيمان — لم ينالوا الموعد ؛ إذ سبق الله فنظر « لنا » شيئاً أفضل ، لكى لا يكملوا بدوننا ، لذلك » (ص ١١ : ٣٩ و ٤٠ وص ١٢ : ١) ، « لذلك » : —

« نحن » — على النحو السابق — ترجع بنا إلى كلمة « لنا » وكلمة « بدوننا » « الواردتين فى ختام (ص ١١ : ٤٠) . كأن الرسول يقول حيث أن الله : « قد سبق فنظر « لنا » — « نحن » — شيئاً أفضل ؛ لكى لا يكملوا — هم « بدوننا » — نحن — « لذلك نحن أيضاً » .

أما الكلمة « نحن » فإنها تتضمن جماعة العبرانيين المسيحيين الذين يكتب إليهم الرسول معتبراً نفسه أحدهم ، وهو اعتبار كثيراً ما يشير إليه الرسول تحقيقاً لعبرانيته ؛ كما سبق أن قال ، لأهل فيلبى ، عن نفسه « إن ظن واحد آخر (غيرى) أن يتكل على الجسد ؛ فأنا بالأولى — من جهة الختان — مختون فى اليوم الثامن ، من جنس إسرائيل من سبط بنيامين — « عبرانى من العبرانيين » (فى ٣ : ٤ و ٥ اقرأ ع ٣ — ١١) .

فى هذا الاعتبار تثبيت لما سبق أن رجحناه ، بل حققناه ، فى مقدمة هذه الرسالة ، بأن الرسول بولس هو كاتبها (اقرأ ما جاء فى مقدمة الرسالة عن كاتبها — الجزء الأول صفحة ٢) . فإنه ، بوصف كونه « عبرانياً » قد اهتدى إلى المسيح ، يكتب هذه الرسالة إلى إخوته العبرانيين الذين آمنوا بالمسيح ، متخذاً أبطال الإيمان القدماء مثالا له ولهم معاً « فى مجاهدة آلام كثيرة » (راجع شرح ص ١٠ : ٣٢) . وبهذه المناسبة يقول « لذلك « نحن » أيضاً » : —

« إذ لنا سحابة من الشهود » :

هؤلاء « الشهود » هم المشهود لهم فى الإيمان بمقتضى القول : « أما الإيمان فهو الثقة بما يرجى والإيقان بأمور لا ترى ؛ فإنه ، فى هذا — « الإيمان » — شهد للقدماء »(راجع شرح ص ١١ : ١ و ٢) . هكذا قيل عن أحدهم وهو « هابيل » أنه « به — « بالإيمان» — « شهد له » أنه بار ؛ إذ شهد الله لقرابينه » (راجع شرح ص ١١ : ٤) ، هكذا قيل عن « أخنوخ » أنه « قبل نقله « شهد له » بأنه قد أرضى الله » (راجع شرح ص ١١ : ٥) .

وما قيل عن هذين البطلين ، قيل عن سائر المشهود لهم إجمالا « هؤلاء كلهم « مشهوداً لهم » بالإيمان» (راجع شرح ص ١١ : ٣٩) ، وبخاصة الذين استشهدوا منهم ، حيث قيل عنهم إنهم « تجربوا فى هزء وجلد ثم فى قيود ، أيضاً ، وحبس ، رجموا ، نشروا ، جربوا ، ماتوا قتلا بالسيف ، طافوا فى جلود غنم وجلود معزى ، معتازين ، مكروبين ، مذلين . وهم لم يكن العالم مستحقاً لهم ، تائهين فى برارى وجبال ومغاير وشقوق الأرض » (راجع شرح ص ١١ : ٣٦ — ٣٨) . هؤلاء هم الذين يقول عنهم « لذلك نحن ، أيضاً ، إذ لنا » : —

« سحابة من الشهود » :

هؤلاء « الشهود » هم الذين سبق الكلام عنهم باعتبار أنهم « مشهود لهم » (ص ١١ : ٣٩) . هؤلاء أنفسهم هم الذين يقال عنهم هنا أنهم « شهود » . على أن قرينة الكلام تدل على أن الرسول يشير إلى معنيين مختلفين لذات الكلمة « شهد » .

أما المعنى الأول الذى تدل عليه هذه الكلمة ، فإنه يتبين من كلامه عن « الإيمان » الذى فيه « شهد للقدماء » . وبذلك أصبحوا « مشهوداً لهم بالإيمان » (قابل شرح ص ١١ : ٢ و ٣٩) . وذلك على اعتبار أن الكلمة « شهد » تعنى أخبر خبراً قاطعاً بأمر ما وأدى عنه شهادة ، وهكذا يكون معنى القول « شهد للقدماء» أن خبراً قد أخبر به عنهم وأن شهادة قد أديت بأنهم آمنوا وعاشوا بالإيمان وماتوا مؤمنين ؛ كما قيل عن ثلاثة منهم — إبراهيم وإسحق ويعقوب — « فى الإيمان مات هؤلاء أجمعون » (ص ١١ : ١٣ قابل شرح ع ٨ — ١٦) . هذا هو المعنى الذى تدل عليه كلمة « شهد » بحسب استعمالها فى كل الأصحاح السابق .

أما المعنى الثانى الذى تدل عليه كلمة « شهد » فى هذه الآية التى نحن بصددها — « سحابة من الشهود » — فإنه يتبين من كلامه عن هؤلاء المؤمنين على اعتبار كونهم — ولو انتهت حياتهم الدنيا — ولكنهم ، فى الحياة الآخرة ، أحياء — فى المجلس حاضرون وعليه مطلعون معاينين ومشاهدين — وبذلك يكون المعنى الواضح أن الذين ماتوا

مشهوداً لهم بالإيمان بالمسيح قبل مجيئه هم شهود حاضرون بأرواحهم فى مجلس المؤمنين بالمسيح بعد مجيئه — شهود عيان . وبهذا المعنى يقول الرسول « إذ لنا » : —

« سحابة من الشهود » :

أما « السحابة » فترتفع بنا إلى العلاء حيث تصل بنا إلى السحاب ، وذلك بمقتضى ما لنا من الإعلان ، فى بدء الخليقة ، فى تنظيم اليوم الثانى من الستة الأيام ؛ حيث قال الله : « ليكن جلد . . . ودعا الله الجلد « سماء » (اقرأ تك ١ : ٦ — ٨) .

وقد قاد « الروح القدس » ذلك المرنم الملهم ، فى تأملاته الروحية ، إلى أن يعبر ، عن هذا التنظيم البديع ، بالقول : « الباسط السموات كشقة ، المسقف علاليه بالمياه ، الجاعل « السحاب » مركبته » (مز ١٠٤ : ٢ و ٣) . كما تحدث ، أيضاً ، فى أمر المن فى البرية ، قائلا : « أمر « السحاب » من فوق وفتح مصاريع السموات وأمطر عليهم « مناً للأكل » (مز ٧٨ : ٢٣ و ٢٤) .

وما أبدعه تعبيراً يرتفع بنا إلى « السموات » التى قيل عنها « السموات سموات للرب » (مز ١١٥ : ١٦) . وهو قول يثبته قول العلى نفسه . «السموات كرسى » قابل إش ٦٦ : ١ مع أع ٧ : ٤٩) . فهى تلك « العلالى » التى اختصها لنفسه ، جل جلاله ، ونشر فيها « السحاب » مركبات له بعد أن سقف تلك العلالى بالمياه (قابل مز ١٠٤ : ٢ و ٣ مع مز ١٨ : ٩ — ١٢) . هناك نستطيع أن نرى أولئك الشهود حيث « السحاب » . وهو الأمر الذى يحقق لنا أنهم مع خالقهم المجيد وفاديهم المبارك ، وكأنهم ينظرون إلينا من تلك العلالى ، تمثيل ما أروعه ! .

على أن الرسول فى قوله : « لنا سحابة من الشهود » — عن طريق الاستعارة والتشبيه — يدخل بنا مع أولئك الشهود إلى مسرح الألعاب الأوليمبية ؛ حيث نتمثلهم . فى ذلك المجلس ، حاضرين معاينين ومشاهدين ، وهذا التمثيل هو عين التمثيل الذى سبق أن رسمه ، أمام أذهاننا ، ذات الرسول ؛ حيث أرانا هؤلاء العبرانيين « فى مجاهدة آلام كثيرة — من جهة مشهورين بتعييرات وضيقات ومن جهة صائرين شركاء الذين تصرف فيهم هكذا » (راجع الشرح ص ١٠ : ٣١ و ٣٢) .

فى هذا المسرح التمثيلى الأوليمبى يتمثل رسول الأمم أولئك الشهود القدماء « سحابة » مظللة على ذلك المسرح — سحابة شهود بلا عدد — يشهدون (معاينين ومشاهدين) الذين يأتون بعدهم — سواء أكانوا رسلا أو غيرهم من الأتقياء المؤمنين المجاهدين ، وهذا هو ذات الأمر الذى عبر عنه ذات الرسول ، أيضاً ، قائلا : « فإنى أرى أن الله أبرزنا — نحن الرسل — آخرين ؛ كأننا محكوم علينا بالموت ؛ لأننا صرنا منظراً للعالم — للملائكة والناس » (١ كو ٤ : ٩) .

أما الكلمة « منظراً » (١ كو ٤ : ٩) فإنها تعبير مجازى يبرزنا ، أمام الملائكة والناس — وبخاصة أمام أولئك الشهود القدماء الذين جازوا ، قبلا ، فى هذا الميدان — يبرزنا أمامهم — مشهداً سبق فتحدث عنه ، محذراً جميع المؤمنين قائلا : « ألستم تعلمون أن الذين يركضون فى الميدان — جميعهم يركضون ؟ ولكن واحداً يأخذ الجعالة ؟ هكذا اركضوا لكى تنالوا ، وكل من يجاهد يضبط نفسه فى كل شىء » (١ كو ٩ : ٢٤ و ٢٥ اقرأ ع ٢٤ — ٢٧ مع ٢ تى ٢ : ٣ — ٩) .

هكذا يضع الرسول أمام نفسه وأمام أولئك العبرانيين الأحياء « سحابة » من الشهود القدماء « المشهود لهم بالإيمان » حافزاً لهم فى قوله : « لذلك ، نحن أيضاً ، إذ لنا سحابة من الشهود » : —

« مقدار هـــذه » :

تقول « الكتب المقدسة » — بشأن القضاء المدنى — ذلك القول المشهور الذى أشار إليه السيد المسيح فى قوله : « مكتوب ، فى ناموسكم ، أن شهادة رجلين حق » (يو ٨ : ١٧) . هكذا هو مكتوب « على فم شاهدين أو على فم ثلاثة شهود يقوم الأمر » (قابل تث ١٩ : ١٥ مع ٢ كو ١٣ : ١ مع مت ١٨ : ١٦ راجع شرح ص ١٠ : ٢٨) أما نحن « فلنا سحابة من الشهود » : —

« مقـــدار هذه » :

الكلمة « هذه » هى اسم إشارة لهذه « السحابة » أى مقدار هذه السحابة من الشهود الذين لا يقدر عددهم — « سحابة » منشورة فى الجلد من أقصى السموات إلى أقاصيها ؛ بمقتضى التعبير الذى ورد فى وعد إله العهد والنعمة ؛ حيث قال : « يكون ، متى أنشر سحاباً على الأرض وتظهر القوس فى السحاب ، أنى أذكر ميثاقى الذى بينى وبينكم وبين كل نفس حية فى كل جسد » — من أقاصى الأرض إلى أقاصيها (تك ٩ : ١٤ و ١٥) .

وقد أشار السيد المسيح ، أيضاً ، إلى هذه الحقيقة ، فى قوله لليهود فى جيله : « لكى يأتى عليكم كل دم زكى — سفك على الأرض — من دم هابيل الصديق إلى دم زكريا بن برخيا الذى قتلتموه بين الهيكل والمذبح » (مت ٢٣ : ٣٥) . فكم إذا وصل الأمر إلى ذات المعمدان الذى قطع رأسه فى السجن (اقرأ مت ١٤ : ١ — ١٢ و ١٧ : ٩ —١٣) . وكم وكم إذا وصل الحد إلى « الجلجثة » حيث صلب ذات « رب المجد » « الذى احتمل الصليب مستهيناً بالخزى » ؟ (انظر شرح ع ٢) . فلا عجب ! أن يقول الرسول « فإذ لنا سحابة من الشهود مقدار هذه » : —

« محيطة بنـــا » :

لا يزال موضوع الكلام ، هنا ، تلك « السحابة من الشهود » التى سبق الكلام عنها بوصف كونها ناظرة إلينا من السماء معاينة ومشاهدة . وها نحن نراها ، أيضاً ، لا ناظرة إلينا من العلاء ، فحسب ؛ بل بوصف كونها « محيطة بنا » من كل ناحية ، حولنا ؛ كما لو أنهم حالون حولنا وأضواء سيرتهم الباهرة تكتنفنا « محيطة بنا » .

فما أجمل أن نجلس فى وسطهم ! وما أحلى أن نستمع إلى حديثهم بكل إصغاء وانتباه ، متأملين ، بدرس دقيق وتنقيب جدى عن كل ما جاد به الوحى الإلهى عن سيرتهم الباهرة وحياتهم العليا كما هو مبين فى ما رأينا سابقاً من سيرتهم التى أظهروا فيها إيمانهم وبطولة أعمالهم التى يصدق عليها القول « الإيمان العامل بالمحبة » (انظر شرح غل ٥ : ٦ للمؤلف راجع شرح ص ١١) .

وكيف يمكن أن يكونوا ، لنا ، شهوداً ؟ إن كنا لا نتعرف نحن إليهم فنرى ، في سيرتهم وإيمانهم ، تلك النعمة الفعالة المقتدرة التي عضدتهم وأهبتهم للحياة الفضلى وأهلتهم لأن يكونوا شركاء المجاهدين في آلام كثيرة حاملين عار المسيح مفتخرين في صليبه وآلامه—تلك النعمة التي أعدتهم بالرجاء الحي « لميراث لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل — محفوظ لهم في السموات (اقرأ ١ بط ١ : ٣ — ٨ انظر شرح ص ١٣ : ١٣ و ١٤) ، لذلك يقول الرسول حافزاً : « لذلك ، نحن أيضاً ، إذ لنا سحابة من الشهود ، مقدار هذه محيطة بنا » : —

« لنطرح كل ثقل » :

هنا لا يزال الرسول قائماً بنا في الميدان الأوليمبي للجهاد والركض ، حافزاً ومشدداً بالقول : « لنطرح كل ثقل » ، وهو تعبير يحمل نصيحة سلبية لازمة وضرورية جداً ، تمهيداً للدخول في الميدان ؛ حيث نرى سباقاً في ذلك الركض الذي رسمه المرنم في أبدع الفنون التمثيلية وأروع الصور الجميلة لذلك العروس الجبار الذي وصفه قائلا : « جعل للشمس مسكناً فيها وهي مثل « العروس » الخارج من حجلته ، يبتهج ، مثل الجبار ، للسباق في الطريق » (مز ١٩ : ٤ و ٥) . فإنه ، تمهيداً للوصول إلى قوة هذا الجبروت في السباق ، ولتحقيق النصرة في هذا الميدان ولنوال الإكليل في هذا الشأن ، يجب أن نقف هذا الموقف السلبي « طارحين كل ثقل » بحزم تام وتصميم كلي ، استعداداً للسباق في هذا الميدان ، مستمعين إلى القول : —

« لنطرح كل ثقـــل » :

فإن هذا الطرح — « طرح كل ثقل » — إنما هو أمر ضروري جداً ، تمهيداً للدخول في حومة ذلك الميدان ، وهو أمر مأخوذ عن عادة المتسابقين وهم يستعدون للسباق ، فقد كان عليهم ، ولابد ، أن يخلعوا ، أولا وقبل كل شيء ، ثيابهم التي تثقل كواهلهم وتعرقل أقدامهم) وأن يطرحوها عنهم حتى يتحرروا من كل ما يقف حائلا دونهم للفوز في ميدان هذا السباق :

فقد كان ذلك الإجراء — إجراء طبيعياً ، تطبيقاً لقانون السباق الرياضى الطبيعى ؛ بمقتضى البيان المستفاد من قول الجامعة : « فعدت ورأيت تحت الشمس (خلافاً للواقع) أن السعى ليس للخفيف . ولا الحرب للأقوياء ، ولا الخبز للحكماء ، ولا الغنى للفهماء ، ولا النعمة لذوى المعرفة ؛ لأنه الوقت والعرض يلاقيانهم كافة » (اقرأ جا ٩ : ١١ و ١٢) . على أن الرسول ، فى هذا الكلام ، كأنما يريد أن يعلن لنا معنى « كل ثقل » لذلك يقول « لنطرح كل ثقل » : —

« والخطية المحيطة بنا بسهولة » :

كلمة « الخطية » فى ورودها هنا تبين لنا ، بجلاء ، أن هذه « الخطية » إنما هى ذات « الثقل » الذى سبق الكلام عنه ، كما لو أن الرسول يريد أن يقول لنا « لنطرح كل « ثقل » — أى الخطية المحيطة بنا » .

« فالثقل » المنوه عنه هنا — ليس هو ثقل ثياب على الأجسام ولا هو « ثقل » حمل مادى موضوع على الأكتاف أو فوق الرؤوس ، بل هو « ثقل » يمت بصلة وثيقة إلى « الخطية » التى أشار إليها الرسول يوحنا بقوله : « كل من يفعل « الخطية » يفعـــل التعدى أيضاً ، والخطية هى التعدى » (١ يو٣ : ٤) ، ذلك التعدى الذى أشار إليه ، أيضاً ، الرسول بولس فى حديثه عن « الكلمة التى تكلم بها ملائكة » بوصف كونها « قد صارت ثابتة وكل تعد ومعصية نال مجازاة عادلة » (راجع شرح ص ٢ : ٢) .

« فالخطية » إذاً إنما هى « ثقل » ، وذلك لا باعتبار أنها هى ذاتها ثقل من الأثقال فحسب ، ولا باعتبار كونها ، فقط ، أثقل جميع الأثقال ؛ بل بالأكثر والأحرى ، بوصف كونها أصلا وعلة لجميع الأثقال التى يرزح ، تحت ضغطها ، وشدة عنائها ، جميع بنى البشر . ولهذا السبب الجوهرى يقدم الرسول يعقوب وصيته ، قائلا : « اطرحوا كل نجاسة وكثرة شر » (يع ١ : ٢١) . وهكذا يدلى الرسول بطرس بنصيحته ، قائلا : « اطرحوا كل خبث وكل مكر والرياء والحسد وكل مذمة » (١ بط ٢ : ١) .

هذه هى الأثقال الروحية المعنوية « فإن مصارعتنا ليست مع دم ولحم ؛ بل مع الرؤساء ، مع السلاطين ، مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر ، مع أجناد الشر الروحية فى السماويات » (أف ٦ : ١٢) هذه هى العوائق التى تعوق الإنسان ، فى طريق سعيه وركضه فى ميدان السباق ، فيودى به لا إلى خسران « الجعالة » فحسب ؛ بل بالأحرى إلى موت محقق يلقى به فى هوة الجحيم ، هذه هى « الأيادى المسترخية والركب المخلعة » التى يحذر منها الرسول فى مثل هذا الميدان ، ناصحاً بالقول : « ملاحظين لئلا يخيب أحد « من نعمة الله » ، لئلا يطلع أصل مرارة ويصنع انزعاجاً ؛ فيتنجس به كثيرون » (انظر شرح ص ١٢ : ١٥ ـــ ١٧) . إذاً « لنطرح كل ثقل والخطية » :

« المحيطة بنا بسهولة » :

هذا الوصف متعلق بالخطية التى سبق الكلام عنها (راجع الشرح) ، إلا أن الرسول هنا كأنه يريد أن يوجه أنظارنا إلى خطية خاصة يحذرنا منها كل التحذير ، بوصف كونها « محيطة بنا بسهولة » أى الخطية التى هى أقرب ما تكون إلينا وأسهل للوقوع فيها ، لذلك يقول « الخطية » : ـــ

« المحيطة بنا بسهولة » :

فقد كان أولئك العبرانيون المسيحيون معرضين ، فى ذلك الوقت ، للوقوع « بسهولة » فى خطية خاصة ـــ هى خطية الارتداد عن الإيمان المسيحى والرجوع إلى الطقوس الموسوية والديانة الطقسية والفرائض اليهودية .

ولا غرابة ! فإنهم قد نشأوا فى أحضانها وتربوا على ممارستها بحرص وتدقيق ، وما زال الحنين إلى ممارستها يملأ قلوبهم . وذلك بالإضافة إلى الخطر الداهم الذى كانوا حينئذ متعرضين له بسبب الاضطهاد الشديد الذى كانوا يخشون وقوعه عليهم ، ليس فقط من إخوتهم العبرانيين « بنى جنسهم » بل بالأكثر ، من « الإخوة الكذبة » الذين كانوا يعملون بوجوب الدخول إلى الديانة المسيحية عن طريق التهود وممارسة الطقوس

الموسوية (اقرأ ٢كو ١١ : ٢٦ مع أع ١٥ : ١ — ٥ مع ٢ بط ٢ : ١ — ٣ انظر شرح غل ٢ : ٤ و ٥ للمؤلف) .

هذا ما رآه الرسول وخاف عليهم بشدة من هذه « الخطية المحيطة بهم بسهولة » ، وبخاصة وقد رآهم ، فى هذا المضمار ، أطفالا ينقادون « بسهولة » كما وصفهم سابقاً قائلا : « إذ كان ينبغى أن تكونوا معلمين لسبب طول الزمان ، تحتاجون أن يعلمكم أحد ما هى أركان بداءة أقوال الله وصرتم محتاجين إلى اللبن » ناصحاً إياهم ، جاعلا نفسه واحداً منهم ، قائلا : « لذلك — ونحن تاركون بداءة المسيح — لنتقدم إلى الكمال » مبيناً لهم خطر الارتداد والسقوط (راجع شرح ص ٥ : ١١ — ٦ : ٨) . هكذا يقول الرسول هنا « لنطرح كل ثقل والخطية المحيطة بنا بسهولة » :

« ولنحاضر بالصبر » :

بعد أن قدم الرسول نصيحته السلبية فى معناها ، قائلا : « لنطرح كل ثقل والخطية المحيطة بنا بسهولة » ، ها هو الآن يضيف ، معقباً عليها ، بنصيحة إيجابية ، قائلا : « ولنحاضر بالصبر » . وهذه طريقة يتبعها الرسول عادة فى تعبيراته ، ومن أمثال تلك الطريقة قوله ، إيجاباً ، للقديسين : « وتتجددوا بروح ذهنكم وتلبسوا الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله فى البر وقداسة الحق » . وذلك بعد أن قال لهم ، سلباً : « أن تخلعوا ، من جهة التصرف السابق ، الإنسان العتيق الفاسد بحسب شهوات الغرور » (اقرأ أف ٤ : ٢٠ — ٢٤ مع كو ٣ : ٩ و ١٠) . وعلى هذا النمط إذ يقول سلباً : « أعتقتم من الخطية » كان ، ولابد ، أن يعقب إيجاباً ، قائلا : « صرتم عبيداً للبر » (اقرأ رو ٦ : ١٧ — ٢٣) .

على هذا القياس نسمع ذات « رب المجد » وهو يحدثنا عن « بيت » أضحى فارغاً مكنوساً مزيناً ؛ حيث يقول « إذا خرج الروح النجس من الإنسان يجتاز فى أماكن ليس فيها ماء يطلب راحة ولا يجد . ثم يقول أرجع إلى بيتى الذى خرجت منه ؛ فيأتى ويجده فارغاً مكنوساً مزيناً ، ثم يذهب ويأخذ معه سبعة أرواح أخر أشر منه فتدخل وتسكن هناك ؛ فتصير أواخر ذلك الإنسان أشر من أوائله » (مت ١٢ : ٤٣ — ٤٥).

هذا البيت الفارغ المكنوس المزين يشبه الإنسان العتيق وقد أعتق من الخطية ولكنه لم يلبس الإنسان الجديد ولم يصر عبداً للبر ولله . فقد أصبح فى حالة خلو ، لا يمكن أن يبقى عليها ، فلابد أن يعود إليه الروح النجس الذى خرج منه ومعه سبعة أرواح أخر أشر إن لم يسكنه الله ، جل جلاله ، ويستولى عليه إله المجد بروحه وقداسته وبره ، هذا هو عين ما فعله الرسول ، هنا ، إذ بعد أن قال سلباً : « لنطرح كل ثقل والخطية المحيطة بنا بسهولة » قال إيجاباً : —

« ولنحاضر بالصـــبر » :

أما المحاضرة ، لغة ، فهى المناظرة والمغالبة والمسابقة والمباراة ، وهى ، بهذا المعنى ، تصل بنا إلى المباراة فى ميدان السباق . وهو ذلك الميدان الذى سبق الرسول فأشار إليه معلناً عنه ، فى قوله : «ألستم تعلمون ؟ أن الذين يركضون فى الميدان — جميعهم يركضون — ولكن واحداً يأخذ الجعالة ؟ هكذا اركضوا لكى تنالوا ، وكل من يجاهد يضبط نفسه فى كل شىء ، أما أولئك فلكى يأخذوا إكليلا يفنى ، وأما نحن « فإكليلا لا يفنى » ، إذاً أنا أركض هكذا كأنه ليس عن غير يقين ، هكذا أضارب كأنى لا أضرب الهواء ؛ بل أقمع جسدى وأستعبده » (١ كو ٩ : ٢٤ — ٢٧) فالميدان حرج والمسئولية عظيمة والنتائج خطيرة فلنبار ولنسابق ولنغالب « ولنحاضر » : —

« بالصـــبر » :

كأن الرسول يرجع بنفسه مع العبرانيين المسيحيين إلى قوله لهم سابقاً : « تذكروا الأيام السالفة التى فيها ، بعد ما أنرتم ، صبرتم » — « لأنكم تحتاجون إلى الصبر حتى إذا صنعتم مشيئة الله ، تنالون الموعد » (راجع شرح ص ١٠ : ٣٢ و ٣٦) . وما أجمل « الصبر » ! إذا اقترن « بالإيمان » «لاقتناء النفس » فيتم فيه قول السيد لتلاميذه « بصبركم اقتنوا أنفسكم » (لو ٢١ : ١٩ راجع شرح ص ١٠ : ٣٩) . فبحق يقال : « أما الصبر فليكن له عمل تام لكى تكونوا تامين وكاملين غير ناقصين فى شىء . . . طوبى للرجل الذى يحتمل التجربة ؛ لأنه ، إذا تزكى ، ينال إكليل الحياة

الذى وعد به الرب للذين يحبونه » (يع ١ : ٤ و ١٢ اقرأ ع ٢ — ١٢) « فلنحاضر بالصبر » : —

« فى الجهــاد » :

فى كلمة « الجهاد » يرجع بنا الرسول ، إلى ما قاله سابقاً لأولئك العبرانيين المسيحيين « صبرتم على مجاهدة آلام كثيرة ، من جهة مشهورين بتعييرات وضيقات ، ومن جهة صائرين شركاء الذين تصرف فيهم هكذا » (راجع شرح ص ١٠ : ٣٢ و ٣٣) . فبعد أن قال لهم : « صبرتم على مجاهدة آلام » يقول لهم الآن : « لنحاضر بالصبر فى الجهاد » ، أما « الجهاد » فهو صراع عنيف — هو ذات المحاضرة التى سبق الكلام عنها والتى تشير هنا إلى صراع عنيف بين قوتين متضادتين هما عدوان لدودان يغالب أحدهما الآخر حتى يظفر به وينتصر عليه .

وما أمر الجهاد وأقساه على نفس مرة تقول فى شديد آلامها وعميق ضيقها : « نفسى حزينة جداً حتى الموت » (قابل مت ٢٦ : ٣٨ مع مر ١٤ : ٣٤) . تلك النفس — هى نفس ذلك الكاهن الأعظم الذى قال عنه الرسول : « الذى ، فى أيام جسده ، إذ قدم بصراخ شديد ودموع ، طلبات وتضرعات للقادر أن يخلصه من الموت وسمع له من أجل تقواه » (راجع شرح ص٥ : ٧) . فإنه ، له المجد « إذ كان فى « جهاد » كان يصلى بأشد لجاجة وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض » (لو٢٢ : ٤٤). « جهاد » ما أعنفه ! منهك لكل قوى الإنسان بدنياً ومعنوياً وروحياً يقول عنه الرسول : « ولنحاضر بالصبر فى الجهاد » :

« الموضوع أمامنا » :

هذه العبارة : « الموضوع أمامنا » هى وصف لذلك « الجهاد » الذى سبق الكلام عنه فى قول الرسول : « ولنحاضر بالصبر فى الجهاد الموضوع أمامنا » ، وقد سبق أن أدخلنا ذلك « الجهاد » إلى ميدان السباق لنوال « الجعالة » الموضوعة أمام المتسابقين المجاهدين لينالها الفائزون فى ذلك الميدان ؛ وبهذا المعنى تكون « الجعالة » هى الغرض الأساسى والهدف « الموضوع » أمام المتسابقين المجاهدين .

أما « الجعالة » — التى هى الغرض « الموضوع » أو الهدف المنظور إليه فى سبيل ذلك الجهاد —فهى ذلك « الجعل » أى الأجر الذى يأخذه الإنسان على فعل شيء ما ، فالجعالة إذاً ، بهذه المناسبة ، هى كل ما جعل أمام المجاهد ليناله أجراً لجهاده . وهذا هو عين ما أبانه الرسول بولس بوضوح ، معبراً عنه بأنه «جعالة دعوة الله العليا » حيث قال لأهل فيلبى عن نفسه : « أيها الإخوة ! أنا لست أحسب نفسى أنى قد أدركت ، ولكنى أفعل شيئاً واحداً — إذ أنا أنسى ما هو وراء وأمتد إلى ما هو قدام — أسعى نحو « الغرض » لأجل « جعالة دعوة الله العليا ؛ فى المسيح يسوع » (فى ٣ : ١٣ و١٤) مشيراً بذلك إلى الدعوة المباركة التى دعاه بها السيد المسيح يوم ظهوره له(أع ٩ : ٣—٦ و٢٢ : ٦—١٠ و٢٦ : ١٢—١٦ مع ١ تى ١ : ١٣و١٤ انظر شرح غل ١ : ١١—١٥ للمؤلف) معبراً عن كل ذلك بالقول : « أسعى لعلى أدرك الذى لأجله أدركنى ، أيضاً ، المسيح يسوع » (فى ٣ : ١٢ اقرأ ع ٤ — ١٤) .

أما « الجعالة » أو « « الجعل » الموضوع أمام المجاهدين لنواله فى جهادهم فهو ذلك « الإكليل » الذى أشار إليه الرسول بولس فى حديثه عن الجهاد ، قائلا : « كل من يجاهد يضبط نفسه فى كل شيء ، أما أولئك فلكى يأخذوا إكليلا يفنى ، وأما نحن فإكليلا لا يفنى » (١ كو ٩ : ٢٥) ، مقارناً فى هذا القول بين فريقين من المجاهدين. أما الفريق الأول فيعبر عنه بالقول : « أولئك » ، أما الفريق الثانى فيعبر عنه بكلمة : « نحن » . وما أعظم الفرق ! وما أبعد الشقة بين الفريقين !

أما « أولئك » فإن الإكليل « الموضوع » أمامهم إنما هو «إكليل يفنىَ » فهو مضفور من بعض أوراق الأشجار — أشجار الزيتون والغار والتفاح وغيرها وكلها مواد آئلة ، من طبيعتها ، إلى الذبول والفناء نابتة من تراب وإلى تراب تعود .

أما « نحن » فإن « الإكليل » « الموضوع أمامنا » » هو — بلا ريب ولا شك — « إكليل » سماوى أبدى « إكليل الحياة » الذى قيل فيه : « طوبى للرجل الذى يحتمل التجربة ؛ لأنه ، إذا تزكى ينال « إكليل الحياة » الذى وعد به الرب للذين يحبونه » — إكليل « الحياة الأبدية » (يع ١ : ١٢ اقرأ ١يو : ١ — ٤ مع رؤ ٢ : ١٠) .

هذا هو « إكليل البر » الذى قال عنه الرسول بولس ، وهو يتحدث عن نفسه عند انطلاقه ، قائلا : « قد جاهدت الجهاد الحسن ، أكملت السعى ، حفظت الإيمان ، وأخيراً قد وضع لى « إكليل البر » الذى يهبه لى ، فى ذلك اليوم ، الرب الديان العادل ، وليس لى فقط ؛ بل لجميع الذين يحبون ظهوره ، أيضاً » (٢ تى ٤ : ٧ و ٨) .

هذا هو « إكليل المجد » الذى تحدث عنه الرسول بطرس مع شيوخ الكنيسة قائلا : « أرعوا رعية الله التى بينكم ، نظاراً . . . صائرين أمثلة للرعية . ومتى ظهر رئيس الرعاة (« راعى الخراف العظيم ربنا يسوع ») تنالون « إكليل المجد » الذى لا يبلى » (اقر ١ بط ٥ : ١ — ٤ مع ص ١٣ : ٢٠ و ٢١ مع يو ١٠ : ١١ — ١٤) .

هذا هو الهدف « الموضوع » من إله السماء هدفاً للجهاد — « إكليل الحياة » — « إكليل البر » — « إكليل المجد » — وهو هدف موضوع لجهاد معين معلن من السماء بخط سير موحى به — لا بتفكير بشر ولا برسم يد إنسانية — بل بخطة موضوعة إلهية ، فهو أمامنا — طريق نسير فيه — وإياه عيوننا ترقب فلا نحيد يميناً أو يساراً ولا نرتد عنه (راجع شرح ص ١٠ : ٣٨ و ٣٩). إنه غرض معين وهدف مقرر هو أمامنا وضعاً وإلزاماً فليس لنا إلا أن نسير فيه على حد تعبير الرسول : « أفعل شيئاً واحداً — إذ أنا أنسى ما هو وراء وأمتد إلى ما هو « قدام » — أسعى نحو الغرض » (فى ٣ : ١٣ و ١٤) .

ولنحذر من الخطة التى قصد أن يرسمها ذاك الذى أتى إلى السيد المسيح وقال له : « أتبعك يا سيد ، ولكن إئذن لى « أولا » أن أودع الذين فى بيتى » وهل نسمع ذلك الجواب القوى الرادع الذى أجاب به السيد على هذا الاستئذان ، قائلا : « ليس أحد يضع يده على المحراث وينظر إلى الوراء ، يصلح لملكوت الله » (لو ٩ : ٦١ و ٦٢) .

إذاً فالجهاد فى سبيل « الحق » ولنوال « الإكليل » إنما هو « جهاد موضوع » من السماء ، مرسوم بخطة معينة كما أعلن الوحى المقدس عن إقامة خيمة الاجتماع وكل مستلزماتها المتعلقة بالخدمة المقدسة ؛ حيث قيل لموسى ، بتحذير شديد وبإنذار قوى نراه واضحاً فى الكلمة المشددة «أنظر » حيث قيل : « بحسب جميع ما أنا أريك من مثال

المسكن ومثال جميع آنيته ، هكذا تصنعون » (خر ٢٥ : ٩) — « انظر ! فاصنعها على مثالها الذى أظهر لك فى الجبل » (خر ٢٥ : ٨ راجع شرح ص ٨ : ٥) .

على هذه الطريقة المرسومة من السماء — دون استخدام أى قلم بشرى أو أى فن إنسانى — وضع مثال الهيكل الذى أقامه سليمان كما يتبين جلياً مما قيل فى الوحى المقدس : « أعطى داود سليمان ابنه . . . مثال كل ما كان عنده بالروح لديار بيت الرب » (١ أى ٢٨ : ١١ و ١٢) قائلا فى هذا الشأن : « قد أفهمنى الرب كل ذلك بالكتابة بيده على — أى كل أشغال المثال » (١ أى ٢٨ : ١٩ اقرأ ع ١١ — ١٩) ، الأمر الذى يحقق لنا أن كل ما يتعلق بعبادة إله السماء — الإله الواحد الحى الحقيقى — «الآب والابن والروح القدس » — كل ما يتعلق بتلك العبادة والجهاد فى طريق الحق إنما هو « موضوع أمامنا » . بهذا المعنى الصريح يقول الرسول : « ولنحاضر بالصبر فى الجهاد الموضوع أمامنا » : —

(ع ٢) « ناظرين إلى » :

من أعجب العجائب وأسماها ! أن الرسول ، بعد أن أدخلنا إلى المسرح التمثيلى وجعلنا « منظراً » — مشهداً منظوراً إلينا من سحابة شهود مرتفعة فوقنا — يعود الآن فيجعلنا ، لا منظراً منظوراً إليه ؛ بل نظاراً « ناظرين إلى » . وإذا تقدمنا فى الكلام معه يصل بنا إلى الموضوع الذى يطلب منا أن نكون«ناظرين إليه » حيث نجد أنفسنا أمام شخصية فى العلاء فنرتفع إليها محدقين البصيرة وممعنين النظر فى شخص عجيب .

هذا الشخص العجيب هو مركز الدائرة ومحور محيطها فى كل هذه الرسالة . فقد رأيناه موضوعاً لديباجتها (ديباجة الرسالة) كما تحققناه « ابن الله» الوحيد « الذى جعله وارثاً لكل شىء — الذى به ، أيضاً ، عمل العالمين ، الذى ، وهو بهاء مجده ورسم جوهره وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته — بعد ما صنع ، بنفسه ، تطهيراً لخطايانا — جلس فى يمين العظمة فى الأعالى » (راجع شرح ص ١ : ١ — ٣) . فإلى تلك الأعالى حيث ذلك الشخص العجيب يرفع الرسول أنظارنا مقدماً إياه أمام عيوننا — فى مناسبة الكلام هنا — وصفاً واسماً ؛ حيث يقول فى وصفه : « ناظرين إلى » : —

« رئيس الإيمان ومكمله » :

كلمة « إيمان » هى النقطة المركزية لدائرة هذا الوصف الذى يوصف به هــذا الشخص العجيب « رئيس الإيمان ومكمله » . فهى كلمة تتصل به شخصياً وتدل دلالة واضحة على إيمانه الذاتى ، بوصف كونه مؤمناً وبخاصة بما له من قوة إيمان رفعته فوق كل شدة لآلام تحملها وقدرته على صبر لا يقدر تحت شدة تلك الآلام التى لا تطاق (كما سنرى فى شرح القول « احتمل الصليب مستهيناً بالخزى ») . فهو ، له المجد ، واحد من تلك السحابة من الشهود وبخاصة من الذين منهم « عذبوا . . . تجربوا فى هزء وجلد ثم فى قيود ، أيضاً ، وحبس ، رجموا ، نشروا ، جربوا ، ماتوا قتلا بالسيف » وهكذا إلى ما ورد من هذا القبيل (راجع شرح ص ١١ : ٣٥ — ٣٨) ، على أنه فى إيمانه الذاتى يعتبر من هذا القبيل : —

« رئيس الإيمـــان » :

وذلك بالنسبة إلى جميع أبطال الإيمان الذين سبق الكلام عنهم ، فإنه ، فى إيمانه ، يسمو سمواً فائقاً يعطيه مركز الرئاسة العليا على جميع المؤمنين بالنسبة إلى إيمانهم مهما كانت درجته ، فإن إيمانه لم يكن ليخالطه أى أثر من الريب أو الشك الذى كان ، ولابد ، يخالط إيمان أولئك الأبطال بأية طريقة ما ، ولعل هذه الحقيقة تتضح جلياً من اعتبار كونه ، ليس فقط « رئيس الإيمان » ، بل ، أيضاً : —

« ومكمله » :

ففيه كان « الإيمان » كاملا لا تشوبه شائبة ما ولا يداخله نقص — « إيمان » كامل تام — ويضاف إلى ذلك أنه ، فى هذا « الإيمان » الكامل الشامل ، كمل كل نقص فى جميع شهود الإيمان القدماء — تلك « السحابة من الشهود » — بالنسبة إلى إيمانهم ، كما أنه مكمل لكل نقائص الذين يؤمنون به فى كل عصر وكل جيل ، فيحسب إيمانهم كاملا فى إيمانه العجيب .

ولعل هذه النظرية الإلهية هى التى أشار إليها الرسول بولس فى حديثه مع الرسول بطرس وشركائه فى أنطاكية معقباً عليه بالقول : « مع المسيح صلبت فأحيا ، لا أنا ، بل المسيح يحيا فىّ ، فما أحياه الآن فى الجسد ، فإنما أحياه فى الإيمان – « إيمان ابن الله » الذى أحبنى وأسلم نفسه لأجلى » (غل ٢ : ٢٠ راجع شرح ع ١١ – ٢٠ للمؤلف) ، فإلى الأعالى يرفع الرسول عيوننا إلى هذا الشخص الإلهى ، قائلا ، فى وصفه : « ناظرين إلى رئيس الإيمان ومكمله » معرفاً إيانا بإسمه العجيب : –

« يسوع » :

هذا هو الشخص المبارك الذى سبق أن وصفه الرسول بالقول : « رئيس الإيمان ومكمله » مقدماً وصفه هكذا على إسمه « يسوع » لمناسبة الحديث فى موضوع « الإيمان » ، وها هو الآن يذكره باسمه « يسوع » . وهو ، فى أصله اليونانى « إيسوس » ومعناه « مخلص » بمقتضى قول الملاك جبرائيل للعذراء مريم وهى مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسف ؛ حيث قال لها : « لاتخافى يامريم لأنك قد وجدت نعمة عندالله ، وها أنت ستحبلين وتلدين ابناً وتسمينه « يسوع » (لو ١ : ٣٠ اقرأ ع ٢٦ – ٣٠) .

وفى تفسير هذا الإسم العجيب « يسوع » قال الملاك الذى ظهر ليوسف فى حلم ، عن مريم امرأته أنها « ستلد ابناً وتدعو اسمه « يسوع » لأنه يخلص شعبه من خطاياهم » معلناً بذلك أن هذا الشخص العجيب « يسوع » هو « المخلص » (مت ١ : ٢١ اقرأ ع ١٨ – ٢٥) . وهذا هو عين ما حققه ذلك الملاك الذى ظهر للرعاة عند بيت لحم قائلا لهم : « ولد لكم اليوم فى مدينة داود مخلص هو المسيح الرب » (لو ٢ : ١١ اقرأ ع ١ – ١١) .

هذا هو « يسوع المسيح » الذى تنبأت عنه « الأنبياء » ، فقد رآه إشعياء من بعيد فنطق بروح النبوة ، قائلا : « ها العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل » (إش ٧ : ١٥) ، وقد فسر الملاك الذى ظهر ليوسف هذا الاسم « عمانوئيل » بالقول : « الذى تفسيره الله معنا » (مت ١ : ٢٣) . وقد أعان الروح القدس نسبة هذا الإسم « عمانوئيل » إلى ذلك الصبى « يسوع » (اقرأ مت ١ : ٢٠ – ٢٣) .

هكذا تنبأ النبي ميخا ، بالروح القدس ، عن هذا الميلاد المبارك ، قائلا : « أما أنت يا بيت لحم أفراتة ! وأنت صغيرة أن تكونى بين ألوف يهوذا ، فمنك يخرج لى الذى يكون متسلطاً على إسرائيل ومخارجه منذ القديم ، منذ أيام الأزل » (مى ٥ : ٢ قابل ع ١ — ٥ مع مت ٢ : ٦) .

هذا هو الذى رآه إشعياء على كرسى داود بعينى النبوة فقال : « لأنه يولد لنا ولد ونعطى ابناً ، وتكون الرياسة على كتفه ويدعى اسمه عجيباً مشيراً إلهاً قديراً أباً أبدياً رئيس السلام ، لنمو رياسته وللسلام لا نهاية على كرسى داود وعلى مملكته ليثبتها ويعضدها بالحق والبر من الآن إلى الأبد ، غيرة رب الجنود تصنع هذا » (قابل إش ٩ : ٦ و ٧ مع لو ١ : ٣٠ — ٣٣) .

على أن هذا الاسم « يسوع » يرجع بنا إلى قائد أرض الموعد «يشوع بن نون » (عد ١٣ : ٨ و ١٦) . فالاسم مشترك بين الاثنين ولكن ما أعظم الفرق بين قائد وقائد ! كما نتبينه فى التقاء هذين القائدين معاً ، وذلك كما نراهما قبالة أريحا فى « الجلجال » — فى أول مكان وطأته أقدام الشعب فى « أرض الموعد » — هناك التقى القائد « يشوع » — قائد شعب إسرائيل — مع القائد « يسوع » — « رئيس جند الرب » — حيث نقرأ أن « يشوع » « رفع عينيه ونظر وإذا برجل واقف قبالته وسيفه مسلول بيده » ، فسار إليه وقال له : « هل لنا أنت أو لأعدائنا » ؟ فقال : « كلا ؛ بل أنا « رئيس جند الرب » (يش ٥ : ١٣ و ١٤ اقرأ ع ١٣ — ١٥) .

هناك ، فى أرض الموعد ، نرى « يشوع » ساقطاً على وجهه إلى الأرض ساجداً أمام « يسوع » . ولا عجب ! فإن هذا هو ، ليس فقط « رئيس جند الرب » وسيط « وعد الميراث الأبدى » لجميع المدعوين ؛ حيث قيل : « لأجل هذا هو وسيط عهد جديد ؛ لكى يكون المدعوون — إذ صار موت لفداء التعديات التى فى العهد الأول — ينالون وعد الميراث الأبدى » (راجع شرح ص ٩ : ١٥) . بل هو ، أيضاً « رئيس خلاص أبناء المجد » حيث قيل : « لأنه لاق بذاك (الآب) الذى من أجله الكل وبه الكل — وهو آت « بأبناء كثيرين إلى المجد » أن يكمل « رئيس خلاصهم » (« يسوع ») بالآلام » (راجع شرح ص ٢ : ١٠) .

هذا هو « يسوع » — « رئيس جند الرب » — رئيس الخلاص الآتى بأبناء كثيرين إلى المجد — هذا هو « ابن الله » (عب ١ : ٢) . الذى صار « أعظم من الملائكة » (عب ١ : ٤) بعد أن « وضع قليلا عن الملائكة » (عب ٢ : ٧) . هذا هو « يسوع » الذى « حسب أهلا لمجد أكثر من موسى » (عب ٣ : ٣) . ودعى من الله « رئيس كهنة على رتبة ملكى صادق » (عب ٥ : ١٠) . وذلك « بحسب قوة حياة لا تزول » ، و « له كهنوت لا يزول » (راجع شرح كل هذه الشواهد) هذا هو « رئيس الإيمان ومكمله يسوع » : —

« الــذى » :

هذا هو « الذى » سبق أن رأيناه — وصفاً — باعتبار أنه « رئيس الإيمان ومكمله» (راجع الشرح) . كما سبق أن رأيناه — اسماً — هو « يسوع » (راجع الشرح) . وها نحن الآن سنتقدم لنراه فى جهاده الذى سبق الرسول أن أشار إليه قائلا : « ولنحاضر بالصبر فى الجهاد الموضوع أمامنا ، ناظرين إلى رئيس الإيمان ومكمله — يسوع ، الذى : —

« من أجل السرور الموضوع أمامه » :

هذا تعبير يرجع بنا إلى تعبير سابق — إلى « الجهاد الموضوع أمامنا » (راجع شرح ع ١) حيث نتبين العلاقة الوثيقة الكائنة بين « الجهاد » وبين « السرور » — تلك العلاقة التى فيها نرى جهاداً رهيباً ينشأ عنه ، ولابد ، سرور فائق الحد : وهذا هو « السرور » الذى يوجه الرسول ، إليه ، نظرنا فى القول : « ناظرين » (راجع الشرح) ، كما لو أنه يريد أن يوجه أنظارنا فى « الجهاد الموضوع أمامنا » إلى « السرور » — « الموضوع أمامه » فى جهاده ، لذلك يقول « ناظرين إلى رئيس الإيمان ومكمله«يسوع» — الذى من أجل » : —

« السرور الموضوع أمامه » :

هاء الغائب فى كلمة « أمامه » هى ضمير يعود إلى « يسوع » الذى « أمامه » وضع ذلك « السرور » الذى سيكون موضوع حديثنا ، وذلك لكى نتنبه إليه ونضعه حافزاً لنا مشجعاً إيانا « لنحاضر بالصبر فى الجهاد الموضوع أمامنا » — متتبعين خطوات رئيس إيماننا ومكمله وبخاصة بشأن هذا السرور « الموضوع أمامه » حافزاً فى الجهاد .

أما « السرور الموضوع أمامه » (أمام يسوع) فى حد ذاته ، فإنه نص يرجع بنا إلى محادثة جرت ، فى تمثيلية نبوية : بين الآب وبين ابنه ، وهو حديث يبدأه الابن ، عن موقف الآب معه ، فى مسرته ، وهو يناجى الأمم قائلا : « اسمعى لى أيتها الجزائر ! واصغوا أيها الأمم من بعيد ! الرب (الآب) من البطن دعانى ، من أحشاء أمى ذكر إسمى (« يسوع » لو ١ : ٣١ مع مت ١ : ٢١ مع لو ٢ : ١١) ، وجعل فمى كسيف حاد (رؤ ١ : ١٦ و ٢ : ١٢ و ١٦ و ١٩ : ١٥ و ٢١ راجع شرح ص ٤ : ١٢) ، فى ظل يده خبأنى وجعلنى سهماً مبرياً ، فى كنانته أخفانى . وقال لى : « أنت عبدى إسرائيل الذى به أتمجد » (إش ٤٩ : ١ — ٣) .

نبوة تمثيلية لإرسال الآب لابنه فى مهمة خطيرة تستلزم جهاداً حتى الدم بوعد « بالسرور الموضوع أمامه » نتيجة لهذا الجهاد وهو السرور الذى وضعه الآب أمامه فى قوله له : « قليل أن تكون لى عبداً لإقامة أسباط يعقوب ورد محفوظى إسرائيل ؛ فقد جعلتك نوراً للأمم ؛ لتكون خلاصى إلى أقصى الأرض » (قابل إش ٤٩ : ٦ مع أع ١٣ : ٤٦ — ٤٨) .

هذا هو « السرور الموضوع أمامه » الذى أشار إليه ، أيضاً ، الروح القدس على فم سمعان الذى أخذه طفلا على ذراعيه وبارك الله وقال : « الآن تطلق عبدك يا سيد ! حسب قولك بسلام ؛ لأن عينى قد أبصرتا « خلاصك » الذى أعددته قدام وجه جميع الشعوب — نور إعلان للأمم ومجداً لشعبك إسرائيل» (لو ٢ : ٢٩ — ٣٢ اقرأ ع ٢٥ — ٣٣ مع عا ٩ : ١١ و ١٢ مع أع ١٥ : ١٣ — ١٨ مع إش ٥٥ : ٣ — ٥ و ٤٢ : ١ — ٤ مع مت ١٢ : ١٤ — ١٦) . هذا هو « السرور الموضوع أمامه » الذى من أجله : —

« احتمل الصليب » :

أى « احتمل » الموت صلباً ؛ حيث صار لعنة وذلك بمقتضى المكتوب « ملعون كل من علق على خشبة » (قابل أع ١٠ : ٣٩ و ١٣ : ٢٩ مع تث ٢١ : ٢٢ و ٢٣ انظر شرح غل ٣ : ١٣ للمؤلف) . وما أشد ما قاساه فى احتمال الصليب ! كما عبر ذلك النبى الإنجيلى ؛ حيث يقول ، فى هذا الشأن : « لكن أحزاننا حملها وأوجاعنا تحملها ، ونحن حسبناه ، مضروباً من الله ومذلولا » (إش ٥٣ : ٤) . ولا عجب ، إذاً ، أن يقول ! « أما الرب فسر بأن يسحقه بالحزن » (إش ٥٣ : ١٠) — ففى الصليب لعنة وأحزان وأوجاع وضرب ومذلة وسحق . وقد شهدت الجلجثة كل هذه الآلام التى لا تطاق ، فلا عجب أن يقال : —

« احتمل الصليب » :

وهو تعبير يصور أمامنا تلك القوة الفائقة التى أعطته تلك القدرة العجيبة على احتمال تلك الآلام المرة . ومن الأمور التى تفوق الإدراك فى هذا الشأن أن نعلم أن تلك القوة الفائقة التى أعطته هذه القوة العجيبة إنما هى « السرور الموضوع أمامه » . فإنه ، إذ نظر إلى ذلك «السرور » ارتفع بقوته ؛ فرأى أمامه ما استطاع به أن يحتمل شدة آلامه فرحاً مغتبطاً ، وبخاصة تلك « المواعيد العظمى والثمينة » (٢ بط ١ : ٤) .

ومن تلك « المواعيد العظمى والثمينة » ما سبقت الإشارة إليه فى جعله « نوراً للأمم وخلاصاً إلى أقصى الأرض » (إش ٤٩ : ٦ مع أع ١٣ : ٤٧) . وفى وضعه الحق فى الأرض وإخراجه إلى النصرة (إش ٤٢ : ٣ و ٤ مع مت ١٢ : ١٧ — ٢٠) وغير ذلك من «المواعيد العظمى والثمينة» التى يمكن جمعها فى النبوءة المأثورة فى قول الآب عن ابنه المتألم : « إن جعل نفسه ذبيحة إثم يرى نسلا تطول أيامه ، ومسرة الرب بيده تنجح » (إش ٥٣ : ١٠) . وذلك على أساس الوعد الثابت المؤسس على قول ذلك الآب لابنه : « أسألنى فأعطيك الأمم ميراثاً لك وأقاصى الأرض ملكاً لك » (مز ٢ : ٨) ، فلا عجب أن يقال : « من أجل السرور الموضوع أمامه احتمل الصليب » : —

« مستهيناً بالخزى » :

كأننا بالرسول يجمع كل ما يتصوره ذهن ما ، بل كل ما يعبر به الكتاب عن جميع ألوان وأصناف آلام الصليب – يجمعه كله فى دائرة « الخزى » ، وذلك باعتبار أن « الخزى » يجمع فى معناه ويضم إلى دائرته كل ما فى « الصليب » ومشتملاته ؛ حيث نتحقق أنه ليس هو الخشبة صنعتها يد نجار من النجارين يعلق عليها المجرمون عقاباً ، ولا هو فن من الفنون الجميلة التى يبتدعها فنان ما ويخرجها فى قالب من ذهب أو فضة يعلق فى الصدور أو فى المنازل ، ولا هو نقش ينقش على الأيدى أو فوق الحياة .

« فالصليب » إنما هو « خزى » بل هو عار يحمله المجرمون ؛ كما تدل عليه تلك الصورة المخجلة التى يمثلها لنا التاريخ المقدس بشأن السيد المسيح ؛ حيث يخبرنا أنه إذ أسلم ليصلب « خرج وهو حامل صليبه إلى الموضع الذى يقال له موضع الجمجمة ويقال له بالعبرانية جلجثة حيث صلبوه » (يو ١٩ : ١٧) . وفى هذا الشأن يقول لنا كاتب رسالة العبرانيين : « فلنخرج إذاً إليه خارج المحلة حاملين « عاره » (راجع شرح ص ١٣ : ١٣) . فلم يقل حاملين صليبه ، وذلك باعتبار أن الصليب ، فى حقيقته ؛ ليس هو تلك « الخشبة » التى كان يحملها – وإذ خارت قواه عن حملها سخروا رجلا آخر لحملها خلفه (مت ٢٧ : ٣٢ مع مر ١٥ : ٢١ مع لو ٢٣ : ٢٦) .

فمع أنه لم يكن هو حاملا لتلك « الخشبة » إلا أنه كان حاملا عارا سائراً به فى وسط شوارع أورشليم ؛ حيث تبعه جمهور من الشعب والنساء اللواتى كن يلطمن ، أيضاً ، وينحن عليه (لو ٢٣ : ٢٧ اقرأ ع ٢٥ – ٣٢) ، فالصليب إذاً ، فى حقيقته ، ليس هو الخشبة ولا فناً ولا نقشاً ؛ بل هو العار – هو « الخزى » .

هو ذلك « الخزى » الذى عبر عنه بلسان المرنم ، قائلا : «أحصى كل عظامى وهم ينظرون ويتفرسون فىَّ ، يقسمون ثيابى بينهم وعلى لباسى يقترعون » (مز ٢٢ : ١٧ و ١٨) . وهو نص نبوى منه نستدل على أن صالبيه نزعوا عنه ثيابه واقتسموها بينهم تاركين إياه معرى للخزى والهزء والعار (قابل مت ٢٧ : ٣٥ مع مر ١٥ : ٢٤ مع لو ٢٣ : ٢٣ و ٢٤) . فلا عجب إذاً ! إذا سمعناه يئن بأنين « الكلمة النبوية » القائلة :

«لأني من أجلك احتملت العار ، غطى الخجل وجهي ، صرت أجنبياً عند إخوتي وغريباً عند بني أمي ؛ لأن غيرة بيتك أكلتني وتعييرات معيريك وقعت علي» — هكذا قال أيضاً بلسان النبوة : «أنت عرفت عاري وخزيي وخجلي ، قدامك جميع مضايقي ، العار قد كسر قلبي فمرضت» (قابل مز ٦٩ : ٧ — ٩ و ١٩ و ٢٠ مع رو ١٥ : ٢ و ٣) .

فما أقسى الخزي ! وبالأحرى جداً ! إذ يقع على «قدوس الله» (مر ١ : ٢٤ مع لو ٤ : ٣٤) «قدوس القدوسين» (دا ٩ : ٢٤) هو «ابن العلي» (لو ١ : ٣٢) «رئيس جند الرب» (يش ٥ : ١٤) «رب المجد» (١ كو ٢ : ٧ مع يع ٢ : ١) «إله المجد» (أع ٧ : ٢) «كلمة الله» الذي «كان هو الله» الذي «كل شيء به كان» (اقرأ يو ١ : ١ — ٣ مع أم ٨ : ٣٠ و ٣١ مع مز ١٠٢ : ٢٥ و ٢٦ راجع شرح ص ١ : ٤ و ١٠ — ٢٢) .

ولكن بالرغم من هذه القساوة وبالرغم من كل تلك الشدة وبالرغم من مرارة «الخزي» التي لا تطاق — بالرغم من كل ذلك كان حقاً «مستهيناً» : —

«بالخـــزي» :

لا استهانة المستهتر بالأمر ولا استهانة المزدري العابث بالشيء ، غير المقدر للحقيقة ، فإنه ، له المجد ، في إنسانيته الكاملة ، إنما هو أبعد بما لا يقاس عن مثل هذا الاستهتار أو العبث والازدراء ، فكم وكم ! وهو «إله المجد» رب العظمة والسلطان !

فلم يكن «مستهيناً بالخزي» من باب الاستهتار أو العبث والازدراء ؛ بل من باب استسهال الأمر واعتباره شيئاً طفيفاً لا يذكر وليناً لا يستثقل . فقد كان «الخزي» بهذا الاعتبار ، أزهد من أن يقدر وأقل من أن يقاس بالنسبة إلى «السرور الموضوع أمامه» الذي من أجله «احتمل الصليب مستهيناً بالخزي» ، وهذا هو حال النفس التي وهي في أشد أنواع الخزي وأشر بلايا العالم — تسمو إلى المجد الأعلى .

وهل لنا فى استفانوس – الشهيد المسيحى الأول – صورة تمثيلية لهذه الحقيقة السامية – وهو فى وسط أناس هم أسود كاسرة ووحوش ضارية يصرون بأسنانهم عليه ويحنقون بقلوبهم حافزين لقتله . وهو فى هذه الحالة السيئة ، يشخص إلى فوق ويرى السماء مفتوحة والمجد ينتظره ؛ فيستهين بكل ما يحيط به من شر وخزى « من أجل السرور الموضوع أمامه » .

هذا هو عين ما وجه الرسول إليه نظر العبرانيين فى قوله لهم : « لأنكم تحتاجون إلى الصبر حتى ، إذا صنعتم مشيئة الله ، تنالون الموعد ، لأنه ، بعد قليل جداً ، سيأتى الآتى ولا يبطئ » (راجع الشرح) .

هذا هو « الرجاء الذى لا يخزى » . وذلك بمقتضى القول : « نفتخر على « رجاء مجد الله » . وليس ذلك فقط ؛ بل نفتخر ، أيضاً ، فى الضيقات عالمين أن الضيق ينشىء صبراً والصبر تزكية والتزكية رجاء ، والرجاء لا يخزى ؛ لأن محبة الله قد انسكبت فى قلوبنا بالروح القدس المعطى لنا » (اقرأ رو ٥ : ٢ – ٥) . وها نحن الآن أمام أسمى مثال فى هذا الشأن – أمام « يسوع الذى ، من أجل السرور الموضوع أمامه ، احتمل الصليب مستهينا بالخزى » :–

« فجلس » :

هذه الكلمة « فجلس » مركبة ، لغوياً ، من حرف هو « الفاء » ومن فعل هو «جلس» . أما حرف الفاء فقد يعتبر عطفاً تفصيلياً على جملتين متصلتين بشخصية « رب المجد » – « يسوع » – حيث قيل عنه فى الجملة الأولى « احتمل الصليب مستهيناً بالخزى » ، وقيل عنه ، فى الجملة الثانية « فجلس فى يمين عرش الله » ، وللاختصار يمكننا ، أيضاً ، أن نعتبر هذه « الفاء » تعقيباً لفعل لاحق هو « جلس » على فعل سابق هو « احتمل » حيث يقال « احتمل » . . . « فجلس » .

هذا التعقيب يتبين بأكثر وضوح من أقوال سابقة قيلت فى هذا الصدد . فقد سبق الرسول أن قال عن « ابن الله » الذى « وهو بهاء مجده ورسم جوهره وحامل

كل الأشياء بكلمة قدرته » — قال عنه : « بعد ما « صنع » بنفسه تطهيراً لخطايانا « جلس » (راجع شرح ص ١ : ٣) . أو ليس صنع هذا التطهير هو ذات احتمال الصليب ؟ فتكون العبارة « بعد ما » قد حلت محل « الفاء » التعقيبية ؛ كما لو أنه يقول: « صنع » تطهيراً و« بعد » أن « صنع » — « جلس » .

على هذا النمط يقول ذات الرسول ، أيضاً ، عن الرب « يسوع المسيح » الذى « بعد ما قدم عن الخطايا ، ذبيحة واحدة ، جلس إلى الأبد عن يمين الله » كما لو أنه يقول بعد أن قدم » — « جلس » : حيث حلت الكلمة « بعدما » محل « الفاء » التعقيبية (راجع شرح ص ١٠ : ١٢) .

أما الجلوس المشار إليه فله تاريخه المجيد — ذلك التاريخ المقدس الذى يرينا إياه وقد « ارتفع » عن تلاميذه الأحد عشر « وأخذته سحابة عن أعينهم » ، وانطلق إلى السماء (اقرأ أع ١ : ٩ — ١١) . وكأننا ، بعين الرؤيا التى رآها دانيال نراه ، بعد هذا الانطلاق ، قد « أتى وجاء إلى القديم الأيام (الآب) فقربوه قدامه » (دا ٧ : ١٣ اقرأ ع ٩ — ١٤) .

وهل نرتفع بروح الرؤيا—روح الله القدوس— فنتخيل ذلك المنظر العجيب لذلك الصعود الفائق وكأننا نستمع إلى صوت كوكبة من الملائكة تحف به وهى تنشد : « ارفعن أيتها الأرتاج رؤوسكن وارتفعن أيتها الأبواب الدهريات فيدخل ملك المجد » فتجيبهم كوكبة أخرى تنتظر استقباله : « من هو هذا ملك المجد » ؟ فتنطلق الأصوات ويعلو الهتاف : « الرب القدير الجبار ، الرب الجبار فى القتال . . رب الجنود هو ملك المجد » (اقرأ مز ٢٤ : ٧ — ١٠) .

وهل ترتفع بنا الرؤيا فنراه مع دانيال وقد « أتى وجاء إلى القديم الأيام » (الآب) ، تحف به الكوكبات الملائكية « فقربوه قدامه » فتصدح الأصوات الملائكية مرددة تلك الترنيمة المشهورة « قال الرب (الآب) لربى « اجلس » (مز ١١٠ : ١) . فحينئذ يتم ما سبق أن تحدث عنه الرسول ، فى هذا الشأن ، حيث قال : « لأن الذى دخل راحته استراح هو ، أيضاً ، من أعماله كما الله من أعماله » (راجع شرح ص ٤ : ١٠) .

هذا هو الذى دخل راحته المعبر عنها بالقول : « من أجل السرور الموضوع أمامه احتمل الصليب مستهيناً بالخزى فجلس » : —

« فى يمين عرش الله » :

سبق أن ورد هذا التعبير « يمين عرش الله » فى هذه الرسالة ثلاث مرات بصيغ منوعة ؛ حيث قيل « يمين العظمة فى الأعالى » (ص ١ : ٣ راجع الشرح) و « يمين عرش العظمة فى السموات » (ص ٨ : ١ راجع الشرح) و « يمين الله » (ص ١٠ : ١٢ راجع الشرح) . ويضاف على ما ورد فى هذه الرسالة كلمة « يمينى » (مز ١١٠ : ١) . أما النص الخاص الذى نحن بصدده وهو « يمين عرش الله » فإنه يوقفنا أمام : —

« عــرش » :

« العرش » لغة هو سرير الملك وقد ورد بهذا المعنى بلفظ « تخت » حيث قيل : « الملك سليمان عمل لنفسه « تختاً » من خشب لبنان — عمل أعمدته فضة وروافده (أومتكأه) ذهباً ومقعده أرجواناً ووسطه مرصوفاً محبة من بنات أورشليم » (من تعب محبتهن) (نش ٣ : ٩ و ١٠) .

وقد ورد ، أيضاً ، بلفظ مركبات ؛ حيث قيل : « مركبات الله — ربوات ألوف مكررة — الرب فيها . سينا فى القدس » (مز ٦٨ : ١٧) . وهو لفظ يرجع بنا إلى نشيد « موسى » وهو يقول : « جاء الرب من سيناء وأشرق لهم من سعير ، وتلألأ من جبل فاران وأتى من ربوات القدس وعن يمينه نار شريعة لهم » (تث ٣٣ : ٢ إقرأ خر ١٩ : ١٦ — ٢٠ مع شرح ص ١٢ : ٨ — ٢١) . أما « الربوات » المشار إليهم ، فلابد أنهم ملائكة « العرش » الذين يحلون حيث يحل ، محيطين به . ولعلهم هم المشار إليهم ، أيضاً ، فى قول الله لأيوب : « أين كنت حين أسست الأرض . . . عندما ترنمت « كواكب الصبح » (الملائكة) معاً وهتف جميع « بنى الله » (الملائكة) (اقرأ أى ٣٨ : ٤ — ٧) . هذا هو « العرش » فى صورته التمثيلية الفائقة الوصف بكل ما يحف به من مجد وبهاء ، هذا هو : —

« عرش الله » :

فهو ، بهذه النسبة « عرش » لا يدرك بالحواس ــ لا يلمس ولا ينظر ولا يذاق ولا يشم ولا يسمع ــ لأن « الله » ــ الذى له هذا العرش ــ إنما هو « روح » (يو ٤ : ٢٠ اقرأ ع ٢٠ ــ ٢٤) . وقد وصفت روحانيته فى ما قاله الرسول : « الذى وحده له عدم الموت ، ساكناً فى نور لا يدنى منه ــ الذى لم يره أحد من الناس ولا يقدر أن يراه ــ الذى له الكرامة والقدرة الأبدية آمين » (١ تى ٦ : ١٦) .

وإذ سأله موسى قائلا : « أرنى مجدك » أجابه قائلا : « لا تقدر أن ترى وجهى ؛ لأن الإنسان لا يرانى ويعيش » (اقرأ خر ٣٣ : ١٨ ــ ٢٠) ، فلا عجب إذا قال ، جل جلاله ، عن نفسه : « بمن تشبهوننى وتسووننى وتمثلوننى لنتشابه » ؟ (إش ٤٦ : ٥) . وعلى هذا الأساس حذر شعبه قديماً على فم موسى ، قائلا : « فاحتفظوا جداً لأنفسكم ؛ فإنكم لم تروا صورة ما ، يوم كلمكم الرب ، فى حوريب ، من وسط النار ؛ لئلا تفسدوا وتعملوا ، لأنفسكم ، تمثالا منحوتاً صورة مثال » (تث ٤ : ١٥ اقرأ ١٥ ــ ٢٤ مع خر ٢٠ : ١٨ ــ ٢٤) .

بمقتضى ما قيل عن روحانية الله فلا يمكن أن يكون « عرش الله » إلا عرشاً روحياً بعيداً عن كل تصور مادى لحيز محدود ؛ لأن « الله روح » غير محدود ، وهذا يأتى بنا إلى : ــ

« يمين عرش الله » :

فقد رأينا أن « الله روح » وأن عرشه لا يمكن أن يكون عرشاً مادياً . فكم ، بالأحرى تكون « يمين عرش الله » لا شيئاً مادياً . فهى إذاً ، ولابد ، يمين قدرة فائقة لسلطان ملكى لا يحد ــ « يمين » عزة إلهية لا قياس لها .

« يمين » تجلت أولا فى الخلق ؛ حيث قال جل جلاله ، عن نفسه : « أنا هو ــ أنا الأول والآخر ويدى أسست الأرض « ويمينى » نشرت السموات ــ أنا أدعوهن فيقفن معاً » (إش ٤٨ : ١٢ و ١٣) . وهذا هو ما عبر عنه المرنم قائلا : « بكلمة

الرب صنعت السموات وبنسمة فيه كل جنودها ، يجمع كند أمواه اليم ، يجعل اللجج فى أهراء ، لتخش الرب كل الأرض ، ومنه ليخف كل سكان المسكونة ؛ لأنه قال فكان هو أمر فصار » (مز ٣٣ : ٦ — ٩) .

تلك « اليمين » التى ظهرت قدرتها وتجلى سلطانها فى يد العناية الفائقة التى عبر عنها المرنم أيضاً بقوله : « البحر رآه فهرب ، الأردن رجع إلى خلف ، الجبال قفزت مثل الكباش والآكام مثل حملان الغنم . مالك أيها البحر قد هربت ! ومالك أيها الأردن قد رجعت إلى خلف ! ومالكن أيتها الجبال قد قفزتن مثل الكباش ! وأيتها التلال مثل حملان الغنم ! أيتها الأرض تزلزلى من قدام الرب من قدام إله يعقوب ، المحول الصخرة إلى غدران مياه ، الصوان إلى ينابيع مياه » (مز ١١٤ : ٣ — ٨ اقرأ كل المزمور مع خر ١٤ : ١٥ — ٢٩ مع يش ٣ : ١٥ — ١٧ و ٤ : ١ — ١٨) .

بهذا المعنى الروحى — لإبعاد الفكر عن الماديات كل البعد — جلس يسوع عن « يمين عرش الله » جلوساً لا مادياً ؛ بل روحياً . وذلك يظهر جلياً من قول « الرب » (الآب) « لربى » (لابنه) : « اجلس عن يمينى حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك » (مز ١١٠ : ١ اقرأ كل المزمور) وقد أشار الرسول إلى هذا الأمر بالذات فى قوله : « هذا ... جلس إلى الأبد عن يمين الله منتظراً بعد ذلك حتى توضع أعداؤه موطئاً لقدميه » (راجع شرح ص ١٠ : ١٢ و ١٣) .

وقد بين الرسول أن هذا الجلوس ليس هو إلا الملك ؛ حيث قال : « وبعد ذلك النهاية — متى سلم (« المسيح ») الملك » لله الآب — متى أبطل كل رياسة وكل سلطان وكل قوة ، لأنه يجب أن « يملك » حتى يضع الأعداء تحت قدميه — آخر عدو يبطل هو الموت » (١ كو ١٥ : ٢٤ — ٢٦ اقرأ ع ٢٠ — ٢٨) .

بهذا المعنى الروحى المحض يقول الرسول عن يسوع أنه « جلس فى « يمين عرش الله » ويحض كل المجاهدين فى طريق الوصول إلى هذا العرش ، قائلا : « لنطرح كل ثقل والخطية المحيطة بنا بسهولة ولنحاضر بالصبر فى الجهاد الموضوع أمامنا ، ناظرين إلى رئيس الإيمان ومكمله يسوع ، الذى ، من أجل السرور الموضوع أمامه ، احتمل

الصليب . مستهيناً بالخزى ؛ فجلس فى يمين عرش الله » ، ثم يتقدم حاضاً ومشجعاً ، قائلا : —

(ع ٣) « فتفكروا » :

الكلمة « فتفكروا » إنما هى نصح وحض يرجع بنا إلى ما سبق أن تفهمناه فى شرح كلمة « ناظرين » (راجع شرح ع ٢) ، وهذا يتبين لنا بأكثر وضوح من العلاقة الوثيقة الكائنة بين « التفكر » والنظر كما يدل عليه معنى « التفكر » لغوياً ؛ حيث يقال — فكر فى الشيء — أى أعمل النظر فيه وتأمله . فالتفكر ، بهذا المعنى ، إنما هو تردد القلب بالنظر والتدبر . فيقال : لى فى الأمر فكر ، أى نظر وروية ، فعلى أساس هذا المعنى بعد أن قال الرسول : « ناظرين إلى . . . يسوع » يضيف الآن حضاً وحثاً لهم فى قوله : « فتفكروا » : —

« فى الذى احتمل من الخطاة » :

وعلى منوال هذه العلاقة التى سبق أن رأيناها بين النظر والتفكر ننظر ، أيضاً ، إلى العلاقة بين « الذى احتمل الصليب » (راجع شرح ع ٢) ، وبين « الذى احتمل من الخطاة ».

فإننا ، بالتأمل الدقيق فى هذه الآية ، نستطيع أن نرى أن الرسول بعد أن قال عن « يسوع » أنه « الذى احتمل الصليب » (ع ٢) . يقول عنه هنا « الذى احتمل من من الخطاة » مناظراً « الصليب » « بالخطاة » كما لو أن « الصليب » هو « الخطاة » . و « الخطاة » هم « الصليب » .

هكذا يركز الرسول فكر الناظرين إلى «الصليب» لا باعتباره خشبة اللعنة التى صلب عليها وسمرت فيها يداه ورجلاه ؛ بل باعتبار أن « الصليب » الحقيقى هم أولئك « الخطاة» الذين ، قبل أن يرفع مسمراً فوق الصليب أصدروا حكماً عليه بأنه « مجدف » وأنه مستوجب الموت » ، حينئذ بصقوا فى وجهه ولكموه وآخرون لطموه قائلين : « تنبأ لنا أيها المسيح من ضربك » (مت ٢٦ : ٦٦ و ٦٧) .

لذلك أسلموه إلى الحاكم الرومانى وتعالت أصواتهم مشددة قائلين : « أصلبه أصلبه » (لو ٢٣ : ٢١ اقرأ مر ١٥ : ١٢ ــ ١٤) . فبحق يقول الرسول بطرس لهؤلاء « الخطاة » ــ « هذا أخذتموه ، مسلماً بمشورة الله المحتومة وعلمه السابق « وبأيدى أثمة » صلبتموه وقتلتموه » (أع ٢ : ٢٤) . على أن الرسول يوجه نظرنا إلى «يسوع» الذى « احتمل من الخطاة » : ــ

« مقــاومة لنفسه » :

فى ذكر هذه « المقاومة » يغير الرسول مجرى كلامه عن « يسوع » الذى « احتمل الصليب » إلى « يسوع » الذى احتمل من الخطاة مقاومة » ، الأمر الذى نستدل منــه على أن السيد المسيح « احتمل الصليب » ــ لا فوق الخشبة فحسب ــ بل ، أيضاً ، كل أيام خدمته الجهارية من بدئها حتى رفعه فوق تلك الخشبة .

فقد كانت كل أيام خدمته مقرونة « بالمقاومة » والمضادة من تلك الجماعة التى تم فيها ذلك القول النبوى : « أبغضونى بلا سبب » (قابل مز ٦٩ : ٤ مع يو ١٥ : ٢٥) ــ هى تلك الجماعة التى حققت ، أيضاً ، فى عدوانها ذلك القول النبوى بلسان حال « رب المجد » حيث قال : « تعييرات معيريك وقعت على » (قابل مز ٦٩ : ٩ مع رو ١٥ : ٣) ــ تلك الجماعة التى واجهها الشهيد المسيحى الأول استفانوس ، بقوله لهم : « يا قساة الرقاب ! وغير المختونين بالقلوب والآذان ! أنتم دائماً تقاومون الروح القدس ، كما كان آباؤكم كذلك أنتم » (أع ٧ : ٥١) .

هؤلاء هم « الخطاة » المقاومون الذين وصفهم ذات « رب المجد» قائلا لهم : « ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون ! لأنكم تبنون قبور الأنبياء وتزينون مدافن الصديقين وتقولون : « لوكنا فى أيام آبائنا لما شاركناهم فى دم الأنبياء» فأنتم تشهدون على أنفسكم أنكم أبناء قتلة الأنبياء ، فاملأوا أنتم مكيال آبائكم ، أيها الحيات أولاد الأفاعى ــ وكيف تهربون من دينونة جهنم » ؟ (مت ٢٣ : ٢٩ ــ ٣٣) . هؤلاء هم « الخطاة » الذين منهم « احتمل مقاومة لنفسه » : ــ

« مثــل هذه » :

لعل الرسول بهذا التعبير « مثل هذه » يصل ، فى وصف تلك « المقاومة » التى احتملها — « الرب يسوع » لنفسه من الخطاة إلى الدرجة القصوى على اعتبار أنها مقاومة لا توصف ولا تقدر ، وذلك على حد القول « هكذا » فى قول السيد : « هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد » بوصف كونها محبة لدرجة لا تستطيع الكلمات أن تعبر عنها ، على غرار ما وصف به النبى إشعياء تلك الحال التى أدهشت الكثيرين — الحال التى وصل إليها السيد المسيح فى إفساد منظره وحقارة صورته لإتمام عمل الفــداء لتطهير أمم كثيرين ، وذلك حيث قال : « كان منظره — « كذا » — مفسداً أكثر من الرجل وصورته (كذا) أكثر من بنى آدم — « هكذا » ينضح أمماً كثيرين » (إش ٥٢ : ١٤ و ١٥) .

على هذا القياس ما قاله الرسول بولس ، أيضاً ، لليهود فى مجمعهم بأنطاكية بيسيدية عن هؤلاء «الخطاة» . « أقوال الأنبياء التى تقرأ كل سبت تمموها ؛ إذ حكموا عليه — ومع أنهم لم يجدوا علة واحدة للموت — طلبوا من بيلاطس أن يقتل » (أع ١٣ : ٢٧ و ٢٨ اقرأ ع ٢٣ — ٣٠) . وهذا هو عين ما قاله استفانوس لأولئك « الخطاة » المقاومين : « أى الأنبياء لم يضطهده آباؤكم ؟ وقد قتلوا الذين سبقوا فأنبأوا بمجىء البار الذى أنتم الآن صرتم مسلميه وقاتليه » (أع ٧ : ٥٢) .

هذا هو الجهاد الذى يضعه الرسول أمام العبرانيين الذين يكتب إليهم ، حاضاً إياهم بالقول : « فتفكروا فى الذى احتمل من الخطاة مقاومة لنفسه مثل هذه » :

« لئلا تكلوا » :

الكلمة « تكلوا » — فى معناها — تدل على التعب من العمل والإعياء فى الجهاد لدرجة الفشل . لذلك يخاف الرسول على هؤلاء العبرانيين من هذا الكلل والفشل فى « الجهاد » الذى سبق أن حضهم عليه قائلا : « لنطرح كل ثقل . . . ولنحاضر بالصبر فى الجهاد الموضوع أمامنا » (راجع شرح ع ١) .

ذلك الجهاد الذى سبق ، أيضاً ، أن شجعهم على المضى فيه ، وذلك فى قوله لهم : « تذكروا الأيام السالفة التى فيها ، بعد ما أنرتم ، صبرتم على مجاهدة آلام كثيرة » (ص ١٠ : ٣٢) . وهكذا إلى أن قال لهم : « فلا تطرحوا ثقتكم التى لها مجازاة عظيمة لأنكم تحتاجون إلى الصبر ؛ حتى إذا صنعتم مشيئة الله ، تنالون الموعد » (ص ١٠ : ٣٥ و ٣٦ راجع شرح ع ٣٢ — ٣٧) . فكأنه يقول لهم لقد صبرتم على المجاهدة « فلنحاضر بالصبر فى الجهاد » «ولا تطرحوا ثقتكم التى لها مجازاة عظيمة » « لئلا تكلوا » : —

« وتخوروا فى أنفسكم » :

إن كان الخوف من الكلال شديداً كما رأينا فى القول «لا تكلوا » . فالخوف من « الخوران » أشد . فالكلال يصل إلى درجة التعب والإعياء والفشل والوقوف عن الجهاد ، أما الخوران فيؤدى ، ولابد ، ليس فقط إلى الوهن والضعف ؛ بل . أيضاً ، إلى الارتداد إلى الوراء . فإنه — من الطبيعى — لا يمكن الوقوف فى نقطة ما ولابد من التحرك ، فإن لم يكن التحرك إلى الأمام ، فبالضرورة أن يكون تحركاً إلى الوراء ، وهنا الخطر الداهم ، الذى نبه إليه النبى حبقوق قائلا : « هوذا منتفخة غير مستقيمة نفسه فيه ، والبار بإيمانه يحيا » (حب ٢ : ٤) .

هذا هو الخطر الذى ملأ قلب الرسول بالخوف الشديد على أولئك العبرانيين ؛ حيث اقتبس هذا القول النبوى بصيغة تدل دلالة واضحة على هذا الخطر المشار إليه ؛ حيث قال : « أما البار فبالإيمان يحيا ، وإن ارتد لا تسر به نفسى » معقباً عليه بالقول : « أما نحن ، فلسنا من الارتداد للهلاك ؛ بل من الإيمان لاقتناء النفس » (راجع شرح ص ١٠ : ٣٨ و ٣٩) .

فإن كان فى الكلال يتوقف « الجهاد » فلابد فى الخور يبدأ « الارتداد » و « الارتداد للهلاك » ، فلنسمع النص المقدس : « فتفكروا فى الذى احتمل من الخطاة مقاومة لنفسه ، مثل هذه ؛ لئلا تكلوا وتخوروا فى أنفسكم . الآن انتهينا من الكلام عن الركن الأول — الرب يسوع فى جهاده المثالى — مقداماً (ع ١ — ٣) ، والآن لنتقدم بعون الله وإرشاد روحه القدوس للحديث عن : —

الركن الثانى : — الرب يسوع فى جهاده المثالى — حافزاً (عب ١٢ : ٤ — ٦)

٤ لَمْ تُقَاوِمُوا بَعْدُ حَتَّى ٱلدَّمِ مُجَاهِدِينَ ضِدَّ ٱلْخَطِيَّةِ ٥ وَقَدْ
نَسِيتُمُ ٱلْوَعْظَ ٱلَّذِي يُخَاطِبُكُمْ كَبَنِينَ يَا ٱبْنِي لَا تَحْتَقِرْ تَأْدِيبَ
ٱلرَّبِّ وَلَا تَخُرْ إِذَا وَبَّخَكَ . ٦ لِأَنَّ ٱلَّذِي يُحِبُّهُ ٱلرَّبُّ يُؤَدِّبُهُ
وَيَجْلِدُ كُلَّ ٱبْنٍ يَقْبَلُهُ .

سبق أن رأينا « رئيس الإيمان ومكمله » — « يسوع » — مثالا يحتذى بل مقداماً للأبطال « المحاضرين بالصبر فى الجهاد الموضوع أمامهم » ضد الخطية ، وبالأكثر ضد خطية « الارتداد » « المحيطة بهم بسهولة » ، والآن لنتقدم بروح الله وإرشاده للنظر إليه لا بوصف كونه مجرد مقدام مثالى فحسب ؛ بل باعتبار أنه حافز لهم ملهباً إياهم بقوة نارية للسير فى طريقهم مجاهدين ؛ حتى لا يكلوا ولا يخوروا فى أنفسهم . وهذا هو الأمر الخاص الذى يبدأ الرسول به كلامه معهم ، قائلا : —

(ع ٤) « لم تقاوموا بعد » :

الكلمة « تقاوموا » تحمل ، فى طياتها ، معنى المصارعة بين قوتين متضادتين . وترجع بنا إلى المقاومة التى بيناها فى العدد السابق حيث قيل عن الرب يسوع إنه « احتمل من الخطاة مقاومة لنفسه مثل هذه » (راجع شرح ع ٣) ، أما المقاومة التى نحن بصددها الآن فهى مقاومة يشنها قديسوا العلى فى صف الرب يسوع لا ضده .

مقاومة تدخل بنا إلى ميدان « الجهاد الموضوع أمامنا » (ع ١ راجع الشرح) حيث نرى « شولميث » (سليمانة ، عروس سليمان — مركز الدائرة فى كتاب نشيد الأنشاد) حيث نسمع سائلا يقول : « ماذا ترون فى شولميث » ؟ فيأتينا الجواب « مثل رقص صفين » (نش ٦ : ١٣) . وهو جواب يرجع بنا إلى تاريخ سابق تحت عنوان « محنايم » (تك ٣٢ : ٢) ، حيث نقرأ : « وأما يعقوب فمضى فى

طريقه ولاقاه « ملائكة الله » وقال يعقوب إذ رآهم هذا « جيش الله » فدعا اسم ذلك المكان « محنايم » (تك ٣٢ : ١ و ٢) .

أما الاسم « محنايم » فهو اسم عبرى فى صيغة المثنى ، وهى ذات الكلمة بذات الصيغة التى ترجمت « صفين » كما هى فى (نش ٦ : ١٣) ، ومن الغريب أن يعقوب يطلق اسم « محنايم » على المكان الذى رأى فيه « ملائكة الله » — « جيش الله » — الأمر الذى يدل على أنه رآهم جيشين — محلتين — معسكرين فى صيغة المثنى ؛ كأنه رأى معسكراً أمامه ومعسكراً خلفه — جيشاً يحيط به . ولا عجب ! فقد كان يعقوب فى رجوعه إلى أرض الموعد بين عدوين لدودين مستعدين للفتك به وبكل الجيش الذى كان معه .

فإنه كان ، من الوراء فى خطر يتزعمه حموه « لابان » الذى « سعى وراءه مسيرة سبعة أيام فأدركه فى جبل جلعاد » ضامراً له شراً ؛ كما يظهر من قوله : « فى قدرة يدى أن أصنع بكم شراً (أنت وكل من كان معك) ، ولكن إله أبيكم كلمنى البارحة قائلا : « احترز من أن تكلم يعقوب بخير أو شر » (تك ٣١ : ٢٩ اقرأ ع ١٧ — ٥٥) ، عناية إلهية فائقة نستطيع أن نتمثل فيها جيشاً ملائكياً من وراء يعقوب فاصلا بينه وبين عدوه لابان الذى كان يريد الفتك به .

على أنه ، فى ذات الوقت ، كان أمام يعقوب وفى مواجهته خطر آخر يتزعمه أخوه « عيسو » . كان يخشى مقابلته — الأمر الذى تدل عليه صلاته إلى إله أبيه إبراهيم وأبيه إسحق ؛ حيث قال : « نجنى من يد أخى — من يد عيسو — لأنى خائف منه أن يأتى ويضربنى الأم مع البنين » (تك ٣٢ : ١١ اقرأ ع ٩ — ١٢) . وذلك بالرغم من أن الله ، جل اسمه ، كان قد سبق فأراه من ملائكته جيشين — « محنايم » — يحيطان به — لا من الوراء فحسب ، للحماية من عدوه لابان كما رأيناه ؛ بل من الأمام ، أيضاً ، للحماية من شر عدوه عيسو الذى كان ، من البدء ، يضمر له الشر وينوى أن يقضى على حياته قضاء مبرماً (تك ٢٧ : ٤١) :

على أن يعقوب كان لا يزال فى جسدانيته فى حالة ضعف روحى شديد . فإنه كما خرج من عند حميه لابان مخادعاً منافقاً هارباً ؛ هكذا كان فى ذات الجسدانية إزاء مقابلته لأخيه يدبر تدبيراته مذلا ذاته لدرجة أضاع معها شخصيته واحتقر بكوريته ونقض قصد الله فى تلك البكورية الذى أعلنه لأمه وهو بعد فى أحشائها ؛ حيث قال : « وكبير يستعبد لصغير » (تك ٢٥ : ٢٣) . فقد وضع كل ذلك فى التراب وأهان رب المجد بنقض مواعيده وأعد بنفسه ، لنفسه ، خطة ذليلة لاسترضاء أخيه مستعبداً نفسه له (اقرأ تك ٣٢ : ٢ — ٢١) .

كما استعد لمقابلته شخصياً ، واضعاً كل مواعيد الله تحت التراب بكل مذلة وحقارة ، وذلك بأن — إذ رفع عينيه ونظر أخاه مقبلا — « سجد إلى الأرض سبع مرات كعبد ذليل حقير أمام سيد وكأنه إله قدير ((اقرأ تك ٣٣ : ١ — ١٦) . فأين « محنايم » ؟ أين المعسكران ؟ أين « جيش الله » ؟ أين المقاومة ؟ . أليست هذه صورة محزنة يصح معها القول : « لم تقاوموا » : — .

« بعـــد » :

هذه الكلمة « بعد » لغوياً ظرف وقد تكون ظرف زمان أو ظرف مكان . وهى هنا تصلح أن تكون كلا الظرفين . أما بالنسبة إلى الظرفية الزمنية فإنها تشير إلى زمان كتابة هذه الرسالة إلى أولئك العبرانيين ؛ كما لو أن الرسول يقول لهم : « لم تقاوموا » حتى الآن : أما بالنسبة إلى الظرفية المكانية فإنها تشير إلى الحد الذى وصلوا إليه فى المقاومة — فى المحاضرة « بالصبر فى الجهاد الموضوع أمامنا » .

على أنه ، فى كلا الظرفين يمكن أن تعتبر الكلمة « بعد » نفياً لنفى ، وذلك على حد التعبير اللغوى القائل نفى النفى إيجاب . فإن الرسول ، بهذا التعبير « لم تقاوموا بعد » لم ينف مقاومتهم ؛ بل أثبت أنهم مقاومون ولكن لم يصلوا « بعد » إلى الكمال المطلوب فى طريق الجهاد . وهذا يذكرنا بما أثبته الرسول ، عن نفسه ، لأهل فيلبى ؛ حيث قال : «أيها الإخوة ! أنا لست أحسب نفسى أنى قد أدركت ، ولكنى أفعل شيئاً واحداً — إذ أنا أنسى ما هو وراء وأمتد إلى ما هو قدام ، أسعى نحو الغرض ،

لأجل « جعالة دعوة الله العليا » فى المسيح يسوع » (فى ٣ : ١٣ و ١٤ قابل ١ كو ٩ : ٢٤ — ٢٧) . بهذا المعنى يكون الرسول قد قصد أن يحفز المجاهدين إلى التقدم ، قائلا « لم تقاوموا بعد » : —

« حتى الـــدم » :

الكلمة « حتى » هنا بمعنى « إلى » ، فالنسبة للظرفية الزمنية يكون معناها إلى وقت الدم . أما بالنسبة للظرفية المكانية فيكون معناها إلى درجة أو إلى نقطة تصل إلى الدم . وفى كلا الظرفين يتضح معنى القول « لم تقاوموا بعد حتى الدم » .

أما « الدم » فهو دم المجاهدين الذين قد يصل بهم جهادهم إلى سفك دمائهم ؛ مستشهدين لأجل الحق فى المسيح « ناظرين إلى رئيس الإيمان ومكمله يسوع الذى احتمل الصليب » (راجع شرح ع ٢) حيث سفك دمه بعد أن نطق بالشهادة واعترف « بالاعتراف الحسن » أمام بيلاطس البنطى الوالى ، قائلا : « لهذا قد ولدت أنا ولهذا قد أتيت إلى العالم لأشهد للحق ، كل من هو ، من الحق ، يسمع صوتى » (قابل يو ١٨ : ٣٧ مع ١ تى ٦ : ١٢ و ١٣ مع إش ٤٢ : ١ — ٤ مع مت ١٢ : ١٦ — ٢١) .

هكذا ختم رسول الأمم جهاده قائلا : « فإنى أنا الآن أسكب سكيباً ووقت انحلالى قد حضر ، قد جاهدت الجهاد الحسن ، أكملت السعى ، حفظت الإيمان ، وأخيراً قد وضع لى « إكليل البر » الذى يهبه لى ، فى ذلك اليوم ، الرب الديان العادل ، وليس لى فقط ؛ بل لجميع الذين يحبون ظهوره ، أيضاً » (٢ تى ٤ : ٦ — ٨) . هكذا ، بهذا الإيمان الوثيق وعلى هذا الأساس المتين ، يبنى هذا الرسول حفزه للمجاهدين ، قائلا : « لم تقاوموا ، بعد ، حتى الدم » : —

« مجاهـــدين » :

فى ميدان « الجهاد الموضوع أمامنا » (راجع شرح ع ١) ، الذى سبق أن عبر عنه قائلا : « مجاهدة آلام كثيرة » (راجع شرح ص ١٠ : ٣٢) ، وقد سبق أن وضع أمامهم عينات لهذا الجهاد فى حديثه معهم عن الذين ، فى سبيل الجهاد « عذبوا

ولم يقبلوا النجاة » (راجع شرح ص ١١ : ٣٥ — ٣٨) . على أن الرسول فى حثهم على الجهاد يوجه كل ما لهم من قوة نضال دافعاً إياهم : —

« ضد الخطية » :

هذا هو العدو المضاد القائم بالمرصاد أمام المجاهدين فى سبيل الحق ليصدهم ويردهم فيسقطون فى خطية الارتداد عن « الإيمان المسلم مرة للقديسين » (يه ٣) — الأمر الذى سبق أن وضعه أمامهم محذراً ومنذراً ؛ حيث قال : « أما البار فبالإيمان يحيا ، وإن ارتد لا تسر به نفسى ، وأما نحن ، فلسنا من الارتداد للهلاك ؛ بل من الإيمان لاقتناء النفس » (راجع شرح ص ١٠ : ٣٨ و ٣٩) . هذه هى الخطية — خطية الارتداد عن الإيمان — هى ذلك الضد الحقيقى للمسيح . هذه هى « الخطية المحيطة بنا بسهولة » (راجع شرح ع ١) .

هذا يأتى بنا إلى عدو أشد ضراوة ، وإلى ضد أسوأ شراسة وأكبر خطراً — هذا العدو الألد هو « الخطية » التى وصفها ذات الرسول تحت عنوان « الخطية الساكنة فىّ » قائلا عنها : « فإنى أعلم أنه ليس ساكن فىّ — أى فى جسدى — شىء صالح » (رو ٧ : ١٧ و ١٨) . وقد عبر عن قوة هذا العدو بأقصى تعبير تحت عنوان « جسد هذا الموت » قائلا : « ويحى أنا الإنسان الشقى ، من ينقذنى من جسد هذا الموت » (رو ٧ : ٢٤ اقرأ ع ١٤ — ٢٤) .

هذه هى « الخطية » التى عبر عنها السيد بالقول : « المولود من الجسد جسد هو » (يو ٣ : ٦) . وقد سبق المرنم فاعترف بثقلها وشدتها فى قوله : « هأنذا ، بالإثم ، صورت ، وبالخطية حبلت بى أمى » (مز ٥١ : ٥) . وهنا تتجلى المقاومة فى ضراوتها وخطرها ، وذلك على حد قول ذات الرسول عن العداوة الكائنة بين الجسد والروح ؛ حيث قال ناصحاً ومحذراً : « وإنما أقول اسلكوا بالروح فلا تكملوا شهوة الجسد ؛ لأن الجسد يشتهى ضد الروح والروح يشتهى ضد الجسد ، وهذان « يقاوم » أحدهما الآخر ؛ حتى تفعلون ما لا تريدون » (انظر شرح غل ٥ : ١٦ و ١٧ و ٦ : ٧ و ٨ للمؤلف) . فلا عجب أن يحفز الرسول جماعة العبرانيين للسير فى الجهاد والمضى قدماً فى ميدانه قائلا : « لم تقاوموا ، بعد ، حتى الدم مجاهدين ضد الخطية » : —

(ع ٥) « وقد نسيتم الوعظ » :

يظهر أن هذه العبارة — « وقد نسيتم الوعظ » — معطوفة ، بواو العطف على القول السابق : « لم تقاوموا بعد حتى الدم » — الأمر الذى يدل على أن الرسول يريد أن يبين للمؤمنين العبرانيين سر توقفهم فى طريق « الجهاد الموضوع أمامنا » وعدم السير فى المجاهدة « ضد الخطية » مبيناً لهم هذا السر فى قوله « وقد نسيتم الوعظ » منتقلاً بنا من ميدان الجهاد إلى منبر الوعظ .

أما الكلمة « نسيتم » فتتصل ، فى الإنسان ، بالذاكرة . وهى ، فى معناها اللغوى تدل على ترك الإنسان ما استودع ، وإهمال ضبطه وحفظه . وقد يكون ذلك النسيان ، فى الإنسان ، ناشئاً إما لضعف فى قلبه أو عن قصد فى نفسه . وسواء أكان لسبب هذا أو ذاك فالنتيجة هى ، ولابد ، حذف الشىء من الذاكرة . ولا عجب أن يكون الإنسان نسياناً ! تحت تأثير الإهمال والترك وعليه تقع مسئولية النسيان الذى يؤدى إلى إهماله ما استودع من : —

« الوعــظ » :

يأتى بنا « الوعظ » إلى المنابر لا باعتبار المكان الذى منه تلقى الموعظة فحسب ، بل أيضاً ، بالأكثر باعتبار الواعظ الذى ، فى وعظه ، يحتل — لا مكاناً — بل مكانة سامية ومقاماً رفيعاً . وبخاصة وهو يذكر بالخير فيما يرق له القلب ناصحاً ومرشداً ومعلماً بما يتضمنه الوعظ من أوامر ونواه ووصايا تقود الإنسان إلى الحق السماوى المعلن . لذلك يوجه الرسول نظر أولئك « المجاهدين » — « ضد الخطية » أن يستمروا فى جهادهم « حتى الدم » قائلا لهم : « لم تقاوموا ، بعد ، حتى الدم مجاهدين ضد الخطية وقد نسيتم الوعظ » .

على أن هذه العبارة « قد نسيتم الوعظ » تشير إلى أن ذلك « الوعظ » كان من الأمور المعروفة عندهم ، وليس عندهم فحسب ؛ بل عند الرسول بولس ، أيضاً . ولابد إذاً أن تكون الإشارة إليه باعتبار أنه من مواعظ الكتب المقدسة التى بين أيديهم ، وهى الكتب التى أشار إليها السيد ، فى قوله لليهود : « فتشوا الكتب » (يو ٥ : ٣٩) .

بل هى التى قال عنها أيضاً ذات الرسول لابنه تيموثاوس : « أنك منذ الطفولية تعرف « الكتب المقدسة » القادرة أن تحكملك للخلاص بالإيمان » (٢ تى ٣ : ١٥) .

هذه هى « الكتب » التى تحدث عنها السيد المسيح وجمعها تحت ثلاثة أجزاء هى « ناموس موسى والأنبياء والمزامير » (لو ٢٤ : ٤٤) . هذه هى « الكتب» التى تتضمن هذا « الوعظ » الذى يشير إليه الرسول هنا ، قائلا : « وقد نسيتم الوعظ » : —

« الذى يخاطبكم » :

وهل « الوعظ » يخاطب؟ أو هو مجرد خطاب ؟ إذاً فالرسول يوجه أفكار أولئك العبرانيين لا إلى كلام النصح والإرشاد والأوامر والوصايا والنواهى التى يتضمنها هذا « الوعظ » فحسب ؛ بل ، بالأحرى ، إلى شخصية الواعظ . على أن هذا الواعظ يرجع بنا ، فى وعظه ، إلى تلك « الكتب المقدسة » التى سبق أن أشرنا إليها وبخاصة فى الجزء الذى عنوانه « المزامير » . وذلك حيث أننا نرى ضمن الكتب التى يتركب منها هذا الجزء كتاب « أمثال سليمان بن داود » . وبخاصة (ص ٣ : ع ١١ و ١٢) . حيث سنرى ، فى شرح ما يأتى « الوعظ » الذى « يخاطبكم » : —

« كبنـــين » :

وهى كلمة تدل على أن الواعظ أب يخاطب بنيه بروح أبوته وبقلب محبته ، ولا بد أن هذا الآب هو الذى دعاه ذات الرسول : « أبا الأرواح » فى قوله لهم « قد كان لنا آباء أجسادنا ، مؤدبين ، وكنا نهابهم ، أفلا نخضع ، بالأولى جداً « لأبى الأرواح » فنحيا » ؟ (انظر شرح ع ٩) . هذا هو الآب — « أبو الأرواح » — الذى « يخاطب» بنيه واعظاً .

أما البنون فهم أولئك الذين إذ « سبق (الآب السماوى) فعرفهم سبق فعينهم — « للتبنى بيسوع المسيح لنفسه حسب مسرة مشيئته لمدح مجد نعمته » — ليكونوا مشابهين صورة ابنه ؛ ليكون هو بكراً بين إخوة كثيرين » (قابل رو ٨ : ٢٩ مع أف ١ : ٥ و ٦ اقرأ رو ٨ : ٢٨ — ٣٠ مع أف ١ : ٣ — ٦) .

هؤلاء هم البنون الذين يخاطبهم ذلك الواعظ بلسان الحكمة التى أعطاها « ليديديا » (حبيب يهوه) — «سليمان» — (عنوان السلام قابل ٢ صم ١٢ : ٢٤ و ٢٥ مع ١ أى ٢٢ : ٩ و ١٠) حيث يقول : —

« يا ابـــنى » :

بهذه الكلمة « يا ابنى » (أم ٣ : ١١) يبدأ الواعظ وعظه كأب لبنيه ، قائلا : « يا ابنى » — كلمة خارجة من الأحشاء مصبوغة بصبغة المحبة الأبوية الصادقة — كلمة خارجة من الأعماق متضمنة كل ألوان الرفق وضروب الشفقة وأنواع الحنان القلبى . فلا عجب أن تحمل فى طياتها قوة جاذبة ! يصدق عليها القول : «كنت أجذبهم بحبال البشر بربط المحبة — وكنت لهم كمن يرفع النير عن أعناقهم ومددت إليه مطعماً إياه » (هو ١١ : ٤) .

وما أشد وقع هذه الكلمة « يا ابنى » فى صيغة المفرد ! حيث يتجه قلب « الآب » بكل ما فيه من عطف وحنان ورقة إلى واحد من أبنائه ، يتحدث إليه بصيغة الاختصاص ليرفع مقامه فى عينى نفسه ؛ لإدراك سمو مركزه عند أبيه فينجذب إليه ويصيخ السمع إلى كلماته ، وبخاصة وهو يشعر بيد الأبوة وكأنها تسرى بقوة المحبة إلى كل عروقه فيتنبه ويصغى ويستمع إلى القول : « يا ابنى » : —

« لا تحتقر تأديب الرب » :

هذا « الوعظ » الذى ينبه إليه الرسول وينبر عليه هو « الوعظ » النبوى الذى نطق به الحكيم فى أمثاله بالروح القدس حيث قال : « يا ابنى لا تحتقر تأديب الرب ولا تكره توبيخه » (أم ٣ : ١١) :

« فتأديب الـــرب » :

هو موضوع ذلك «الوعظ» . وهو لفظ ، فى ذاته وفى معناه . ذلك التأديب الذى يوقعه الرب كأب على « البنين » — أما « التأديب » لفظاً فهو كلمة تقشعر منها

الأبدان وتطن لها الآذان وينزعج من دويها الإنسان . ذلك لأن التأديب ، بوجه عام ، يعتبر عقاباً قد يكون عذاباً .

إلا أن إضافة « التأديب » إلى « الرب » فى النص القائل : « تأديب الرب » يظهر ذلك « التأديب » فى صورة من أجمل الصور التى يبرزها الفن بيد أبدع فنان فى الوجود ، وذلك بوصف كونه تدريباً عن طريق « المحاضرة بالصبر » فى جهاد عنيف روحى سماوى — تدريب يرتفع بالإنسان إلى درجة المجد الأسنى التى تصوره إنساناً كاملا فى رزانة عقلية ورجاحة فكرية ورصانة نفس (انظر شرح ع ٦) . لذلك يليق بالابن ألا ينسى ذلك « الوعظ » النبوى الذى يخاطبه ، قائلا « يا ابنى » : —

« لا تحتقـــر» — « تأديب الرب » :

فإن الذى « يحتقر » تأديب الرب إنما يحتقر ذات الرب الذى يجرى ذلك التأديب وهو احتقار ، ولابد ، تتمثل فيه كبرياء النفس وتشامخ الروح وهى الخطية الخاطئة جداً التى سببت ذلك الشقاق المزعج البغيض الذى حدث فى السماء بين ملائكة الله وكانت نتيجته المرة سقوط إبليس وملائكته وحفظهم « إلى دينونة اليوم العظيم بقيود أبدية تحت الظلام » — « محروسين للقضاء » (يه ٦ قابل ٢ بط ٢ : ٤ مع لو ١٠ : ١٨ مع رؤ ١٢ : ٧ — ٩) .

هذه هى خطية الكبرياء والصلف التى حذر منها ، ومن الوقوع فيها ، رسول الأمم ، قادة الشعب — وبخاصة الأحداث منهم ؛ حيث قال : يجب أن يكون الأسقف . . غير حديث الإيمان لئلا يتصلف (يدعى إعجاباً وتكبراً) فيسقط فى دينونة إبليس » (١ تى ٣ : ٦ اقرأ ع ٢ — ٧) . وما أشر الكبرياء ! إذا وصلت إلى حد الازدراء بالرب ! .

وكم وكم إذا بلغ شر الكبرياء إلى حد العناد الذى وصل إليه آباء أولئك العبرانيين فى صلابة رقابهم ! (خر ٣٢ : ٩) . وفى تمردهم (حز ٢ : ٣ و ٥ و ٦ و ٨ اقرأ كل الأصحاح) وفى غلاظة قلوبهم (مر ٣ : ٥ و ٦ : ٥٢ و ٨ : ١٧) ؛ كل هذا يحتويه الاحتقار — احتقار الرب وتأديبه والازدراء به . وهذا ما يحذرهم منه الوعظ القائل « يا ابنى لا تحتقر تأديب الرب » : —

« ولا تخر إذا وبخك » :

هنا نرى التوبيخ نوعاً من أنواع التأديب الذى سبق الكلام عنه . وكما أن «التأديب» هو « تأديب الرب » ، هكذا يكون التوبيخ ، ولابد ، توبيخه ؛ كما لو أن الرسول يقول «لا تخر إذا وبخك الرب » . أما التوبيخ » فهو ، فى لفظه ومعناه ، التأديب والتقويم والتهديد والتعيير . وهو ، بكل هذه المعانى ، تأديب يقع عادة على كل ابن يعمل عملا غير مستحسن عند أبيه . على أن نسبته إلى الرب تؤكد أنه ، لا مجرد استحسان ؛ بل هو « للمنفعة » بمقتضى القول « قدكان لنا آباء أجسادنا « مؤدبين » وكنا نهابهم ، أفلا نخضع ، بالأولى جداً ، لأبى الأرواح (الرب) فنحيا ؛ لأن أولئك أدبونا أياماً قليلة ، حسب استحسانهم . وأما هذا فلأجل المنفعة » (انظر شرح ع ٩ و ١٠) . لذلك يقول «لا تحتقر تأديب الرب » : —

« ولا تخر » — إذا وبخك « الرب » :

وهنا نرى خطراً عكسياً فى الخور بالنسبة إلى الاحتقار . فإن كنا قد رأينا ، فى الاحتقار ، شموخاً وكبرياء وعناداً وازدراء ؛ فإننا ، فى الخور ، نرى إنساناً قد ضعفت قواه وارتخت يداه ووهنت عزيمته وانكسرت نفسه وانذلت . بالإجمال قد أصيب ، فى العمل ، بالفشل والشلل .

فما أعظم الفرق بين الاحتقار والخور بالنسبة إلى موقفهما ! كما سبقت الإشارة . على أنهما فى النتيجة يتفقان ، فالاحتقار ينتهى ، ولابد ، إلى طرد المحتقر من بيت أبيه وحرمانه من الميراث . والخور ينتهى ، ولابد ، إلى ترك الخائر بيت أبيه وحرمانه نفسه من الميراث . لذلك ينبر « الوعظ » بشدة على القول « يا ابنى لا تحتقر تأديب الرب ولا تخر إذا وبخك » : —

(ع ٦) « لأن الذى يحبه الرب يؤدبه » :

الكلمة « يؤدبه » فى هذا النص الذى أمامنا تعود بنا إلى ما سبق أن رأيناه بشأن « تأديب الرب » (راجع شرح ع ٥) ، حيث تحققنا أن « التأديب » إنما هو تدريب

للوصول إلى الكمال فى الأخلاق والحياة ، وفى كل ما يمكن الوصول إليه من الآداب العالية والثقافة والتهذيب والفضائل السامية والكمالات الروحية . ولعل ما قيل عن « الرب يسوع » وهو صبي يوضح لنا هذه الحقيقة حيث يقول الوحي المقدس : « كان الصبي ينمو ويتقوى بالروح ممتلئاً حكمة وكانت نعمة الله عليه » : فلا عجب ! أن يقال عنه ، أيضاً ، أنه « كان يتقدم فى الحكمة (عقلا) والقامة (جسما) والنعمة (روحاً) عند الله والناس » (قابل لو ٢ : ٤٠و٥٢) .

ولعل التعبير الذى عبر به صاحب الحكمة السماوية ، قائلا : « رب الولد فى طريقه فمتى شاخ ، أيضاً ، لا يحيد عنه » (أم ٢٢ : ٦) — أما الكلمة « ربِّ » فإنها ترسم أمامنا صورة بارزة ناطقة لحقيقة « تأديب الرب » فهى تحمل معنى النمو . فإنها من الفعل ربا يربو ربواً ورباء أى زاد ونما . ومنها الرابية وهى المكان العالى ؛ فيكون معنى القول : « رب الولد » أى أعنه على النمو والتدرج فى طريق السمو للوصول إلى الكمال ، وهى ، فى أصلها ، تحمل معنى « الحنكة » أى التهذيب . فيقال حنك الصبى أى هذبه ، وحنكت السن الرجل ، أى حكمته (صيرته حكيماً) . وعلى هذا الأساس يكون معنى القول : « رب الولد » أى أعنه ليسير فى طريق الحنكة والحكمة . وما أسمى تحنيك التجارب التى تسير بالإنسان فى طريق الخبرة والحكمة إلى أن « يصير إنسان الله كاملا متأهباً لكل عمل صالح » (٢ تى ٣ : ١٧) .

على هذا الأساس يبنى الرسول وصية الحكمة القائلة « وأنتم أيها الآباء ! لا تغيظوا أولادكم ؛ بل « ربوهم » (حنكوهم) بتأديب الرب وإنذاره » (أف ٦ : ٤) مبيناً العلاقة بين هذه الوصية المباركة وبين موضوع التأديب الذى يتحدث عنه فى سؤاله أيضاً ، لهؤلاء العبرانيين المؤمنين . قائلا « قد كان لنا آباء أجسادنا مؤدبين وكنا نهابهم ، أفلا نخضع ، بالأولى جداً ، لأبى الأرواح ، فنحيا ؟ لأن أولئك أدبونا أياماً قليلة حسب استحسانهم ، وأما هذا فلأجل المنفعة لكى نشترك فى قداسته » (انظر شرح ع ٩ و ١٠) . لذلك يجب أن نخضع لأبينا — « أبى الأرواح » — بمقتضى الوعظ القائل « يا ابنى لا تحتقر تأديب الرب ، ولا تخر إذا وبخك لأن » : —

« الذى يحبه الرب » — « يؤدبه » :

الأمر الذى يحقق لنا أن « تأديب الرب » إنما هو مبنى على أساس محبة الرب ، ولا عجب ! فإن « الله محبة » ، وذلك بمقتضى القول : « من لا يحب لم يعرف الله ؛ لأن « الله محبة » . « الله محبة ومن يثبت فى المحبة يثبت فى الله والله فيه » (قابل ١ يو ٤ : ٨ و١٦) . وما أمجد ما وصف به — محبة الله — النبى صفنيا ، حيث قال : « لا تخافى يا صهيون — » « يا كنيسة الله التى اقتناها بدمه » (أع ٢٠ : ٢٨) — ولا ترتخ يداك ، الرب إلهك فى وسطك جبار يخلص ، يبتهج بك فرحاً : « يسكت فى محبته » يبتهج بك بترنم » (صف ٣ : ١٦ و١٧) .

فالآب فى محبته التى لا قياس لها ولا تقدير لعظمتها ينظر إلى مختاريه بوصف كونهم عروس ابنه الوحيد ، وذلك بمقتضى كونه « ملكاً صنع عرساً لابنه » (مت ٢٢ : ٢ اقرأ ع ١ — ١٤) . وأعد له عروسه (قابل إش ٦١ : ١٠ و ٦٢ : ٥ مع يو ٣ : ٢٩) . وفى محبته الأبوية لتلك العروس وفى صلته الجوهرية بابنه الوحيد العريس ، ينظر إلى تلك « العروس » ساكتاً فى محبته فى نور ما فعله ابنه الحبيب لإعداد تلك العروس لنفسه ؛ حيث قيل : « كما أحب المسيح ، أيضاً الكنيسة » وأسلم نفسه لأجلها ؛ لكى يقدسها مطهراً إياها بغسل الماء بالكلمة ؛ لكى يحضرها لنفسه « كنيسة مجيدة » لا دنس فيها ولا غضن أو شىء من مثل ذلك ؛ بل تكون مقدسة وبلا عيب » (أف ٥ : ٢٥ — ٢٧) .

ولكى تصل هذه « العروس » إلى هذا المجد الفائق لابد من « التعليم والتوبيخ والتقويم والتأديب الذى فى البر » (٢ تى ٣ : ١٦) . وقد عبر الرسول بولس عن هذا الوضع المجيد ، بقوله للمؤمنين : « فإنى أغار عليكم غيرة الله ، لأنى خطبتكم لرجل واحد لأقدم عذراء عفيفة للمسيح » (٢ كو ١١ : ٢) . وعلى هذا الأساس تقول كلمة الوعظ : « يا ابنى لا تحتقر تأديب الرب ولا تخر إذا وبخك ؛ لأن الذى يحبه الرب يؤدبه » : —

« ويجلد كل ابن يقبله » :

هذه العبارة هي ترجمة ما في الوعظ النبوي القائل : « وكأب بابن يسر به » (أم ٣ : ١٢) . وإذا فحصنا هاتين الترجمتين معاً نرى فيهما تمثيلا لأب « يسر بابنه » بوصف أنه فرح قلبه وفلذة كبده . وهو تمثيل يرفع قلوبنا بقوة علوية وبقيادة روحية إلى « الآب » ، ذلك « الآب » الذي قال عنه يوحنا المعمدان : « الآب يحب الابن وقد دفع كل شيء في يده » (يو ٣ : ٣٥) . وهو ذات الآب الذي قال عنه ذات «الابن »—« لأن الآب يحب الابن ويريه جميع ما هو يعمله ، وسيريه أعمالا أعظم من هذه لتتعجبوا أنتم » (يو ٥ : ٢٠) . وهل نسمع ما يقوله ذات « الآب » عن ذات « الابن » ؟ عند صعوده من الماء بعد المعمودية حيث « رأى السموات قد انشقت و « الروح » مثل حمامة نازلا عليه . وكان صوت من السموات « أنت ابني الحبيب الذي به سررت » (مر ١ : ١٠ و ١١ قابل مت ٣ : ١٦ و ١٧ مع لو ٣ : ٢١ و٢٢ مع يو ١ : ٩ — ٣٤ مع مت ١٧ : ٥ مع مر ٩ : ١٠ مع لو ٩ : ٣٥ مع ٢ بط ١ : ١٦— ١٨) . ولكن هل عن هذا الابن ينطبق القول : « الذي يحبه الرب يؤدبه » ؟ : —

« ويجلد كل ابن يقبله » :

هل يعتبر ذلك « الابن الوحيد الذي في حضن الآب » (يو ١ : ١٨) . هل يعتبر ضمن الأبناء الذين يقعون تحت التأديب جلداً ؟ تقول الكلمة النبوية ، في هذا الشأن ، عن هذا الابن : « لكن أحزاننا حملها وأوجاعنا تحملها ، ونحن حسبناه مصاباً — مضروباً من الله (الآب) ومذلولا ، وهو مجروح لأجل معاصينا ، مسحوق لأجل آثامنا ، تأديب سلامنا عليه وبحبره شفينا » ، أما القول : « بحبره شفينا » فقد ورد بصيغة أخرى ، في حديث الرسول بطرس عنه ؛ حيث قيل : « الذي بجلدته شفيتم » متحدثاً عنه « الذي حمل هو نفسه خطايانا في جسده على الخشبة ، لكي نموت عن الخطايا فنحيا للبر ، الذي بجلدته شفيتم » (قابل إش ٥٣ : ٤ و ٥ مع ١ بط ٢ : ٢٤) .

فإن الحبر إنما هي تلك الجروح الدامية التي تسببت عن الجلدات التي جلد بها « حمل الله » ، وذلك بوصف أنه « كشاة تساق إلى الذبح وكنعجة صامتة أمام جازيها »

(إش ٥٣ : ٧) . وقد جرى هذا الجلد إتماماً «للكلمة النبوية» التي وصفته باعتبار كونه «المهان النفس ، مكروه الأمة ، عبد المتسلطين» الذي قال : «السيد الرب فتح لي أذنا (كعبد لسيده) وأنا لم أعاند ، إلى الوراء لم أرتد . بذلت ظهري للضاربين وخدي للناتفين . وجهي لم أستر عن العار والبصق» قابل إش ٤٩ : ٧ و٥٠ : ٥ و٦ مع مت ٢٦ : ٦٧ و ٦٨ و ٢٧ : ٢٧ – ٣١ قابل أيضاً مت ٢٠ : ١٩ مع يو ١٩ : ١).

وما أقسى الجلد ! وما كان أرهبه ! ومن يستطيع أن يتصوره في طريق إجرائه كالعادة حينئذ ؟ فقد كان الإيلام شديداً ، فإنهم كانوا يعرون الذي يريدون جلده ويربطونه ، منحنياً إلى عمود ، ويضربونه على ظهره «بالعقارب» (١ مل ١٢ : ١٤). وهي سيور من الجلد منوطاً بأطرافها قطع حادة من معدن أو عظم فكانت تمزق الجلد واللحم ، أيضاً .

هكذا جلد الابن الوحيد مسرة أبيه بهذه الطريقة الوحشية التي تمزق الجلد والأحشاء ، وتم ما عبر به الرسول ؛ حيث قال : «فماذا نقول لهذا ؟ . . . الذي لم يشفق على ابنه» (رو ٨ : ٣٢) . وأسلم مختاره الذي سرت به نفسه – فتاه الذي اختاره – حبيبه الذي سرت به نفسه (قابل إش ٤٢ : ١ مع مت ١٢ : ١٨) – أسلمه لهذه الآلام المبرحة ليتم القول : «مع كونه ابناً تعلم الطاعة مما تألم به : وإذ كمل صار لجميع الذين يطيعونه سبب خلاص أبدي» (راجع شرح ص ٥ : ٨ و ٩) .

هذا الآب الذي أسلم ابنه الحبيب الوحيد للجلد هو الذي «يجلد كل ابن يقبله» . وهو عمل يقوم به الآب نحو كل ابن من أبنائه . أما نصه فيعبر عن هذا العمل بفعلين حيث يبدأ بالقول «يجلد» وينتهي بالقول : «يقبل». والفعلان مقترنان أحدهما بالآخر اقتراناً وثيقاً – فيه نتمثل بناء محكماً راسخاً متيناً أساسه القبول وبناؤه الجلد .

أما القبول فواضح في كلمة «يقبله» حيث نرى فعلا وفاعلا ومفعولا به ، أما الفعل فهو فعل القبول – «يقبل» ، أما الفاعل فهو الرب الذي سيأتي الكلام عنه في النص القائل : «فأي ابن لا يؤدبه أبوه» (انظر شرح ع ٧) . أما المفعول به فهو «الابن» الواقع تحت التأديب ، وهذا يصل بنا إلى الأساس المتين في أعماق قصد الله

بشأن المدعوين حسب قصده الإلهى الأزلى وهم الذين قيل عنهم : « لأن الذين سبق عرفهم سبق فعينهم ؛ ليكونوا مشابهين صورة ابنه ؛ ليكون هو (ابنه) بكراً بين إخوة كثيرين » (رو ٨ : ٢٩) .

هؤلاء « الإخوة » هم « أبناء المجد » (راجع شرح ص ٢ : ١٠) ، الذين دعاهم الآب السماوى وبررهم ومجدهم (رو ٨ : ٣٠ اقرأ ع ٢٨ — ٣٠) . هؤلاء هم الذين سبق الآب — أبو ربنا يسوع المسيح — فعينهم « للتبنى » لنفسه « حسب مسرة مشيئته لمدح مجد نعمته التى أنعم بها علينا فى المحبوب » (إقرأ أف ١ : ٣ — ٦) . بل هؤلاء هم الذين ولدهم الآب — « أبو ربنا يسوع المسيح » — ولدهم ثانية « لرجاء حى بقيامة يسوع المسيح من الأموات لميراث لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل » (اقرأ ١ بط ١ : ٣ — ٥) . هذا هو القبول باعتبار كونه أساساً .

أما الجلد فى القول : « بجلد » فإنما هو ذلك البناء الراسخ المتين فوق أساس « القبول » وذلك باعتبار أن كل الأبناء الذين يقبلون لابد أن يجلدوا ، وإن كان « الابن الوحيد » (يو ١ : ١٨) قد تألم مرة واحدة من أجل الخطايا — « البار من أجل الأثمة » (١ بط ٣ : ١٨) — فهل لا يتألم الأثمة من أجل آثامهم ؟ وإن كان المسيح — الذى « لم يفعل خطية » ولا وجد فى فمه مكر ؛ بل « الذى لم يعرف خطية قد جعل خطية لأجلنا » (قابل ١ بط ٢ : ٢٢ مع ٢ كو ٥ : ٢١) . فكم ، بالحرى ، الذين هم بالطبيعة « أبناء الغضب » (أف ٢ : ٣) ، المولودون من الجسد (يو ٣ : ٦) . وقد صوروا بالإثم وحبل بهم بالخطية ؟ (مز ٥١ : ٥) . وليس ساكن فيهم شىء صالح بل الخطية ساكنة فيهم ؟ (رو ٧ : ١٨ — ٢٠) ، أفليس هؤلاء بالأولى هم الذين يجلدون ؟ .

على أن الجلد للأبناء الذين يتبناهم الآب لنفسه وبمقتضى رحمته خلصهم بغسل الميلاد الثانى وتجديد الروح القدس (تى ٣ : ٥) — الجلد لهؤلاء ليس عقاباً كما كان للابن

الوحيد الذى جعل خطية وهو بار ، ولكنه لهؤلاء الأبناء تأديب لهم من الآب « للمنفعة لكى نشترك فى قداسته » لكى « يعطى الذين يتدربون به — بالتأديب — ثمر بر للسلام » (انظر شرح ع ١٠ و ١١) .

هكذا ، بهذا القصد يقول الرسول بولس لأهل كورنثوس : « أن يسلم مثل هذا للشيطان لهلاك الجسد ؛ لكى تخلص الروح فى يوم الرب يسوع » (١ كو ٥ : ٥ اقرأ ع ١ — ٥) . كما يقول ، أيضاً ، بهذا المعنى : « لأننا لو كنا حكمنا على أنفسنا لما حكم علينا ، ولكن إذ قد حكم علينا نؤدب من الرب ؛ لكى لا ندان مع العالم » (١ كو ١١ : ٣١ و ٣٢ اقرأ ع ٢٠ — ٣٤) فللتأديب بركاته التى ستتجلى أمامنا فى شرح ما سيأتى :

الآن قد انتهينا من الموقف الأول — الذى عنوانه : — الرب « يسوع » — « رئيس الإيمان ومكمله » — مقداماً وحافزاً (ع ١—٦) ومفتاحه « احتمل الصليب ؛ مستهيناً بالخزى » (ع ٢) . وها نحن الآن نتقدم إلى : —

الموقف الثانى : — الرب « يسوع » وتدريب المؤمنين (عب ١٢ : ٧ — ١٧) :

هذا الموقف الثانى : — الرب « يسوع » وتدريب المؤمنين مفتاحه « يعطى الذين يتدربون به ثمر بر للسلام (ع ١١) . وفيه ركنان : — الركن الأول : — التدريب تعليمياً (ع ٧ — ١١) — الركن الثانى — التدريب عملياً (ع ١٢ — ١٧) .

الركن الأول : — التدريب تعليمياً (عب ١٢ : ٧ — ١١) :

فى هذا الركن التعليمى البيانى نجد أنفسنا كما لو أننا داخل جنة فيحاء — هى فردوس نعيم فيه أثمار شهية لحياة أبدية — نراها ونشتم فيها رائحة « تأديب الرب » وحلاوة نتائجه ونتذوق لذته الشهية ، وذلك فى ثلاث مواد تعليمية مجيدة : —

أما المادة الأولى فهى : — معاملة — عنوانها « يعاملكم الله كالبنين » (ع ٧ و ٨) .

أما المادة الثانية فهى : شركة — عنوانها « لكى نشترك فى قداسته (ع ٩ و ١٠) .

أما المادة الثالثة فهى : — متعة — عنوانها « يعطى الذين يتدربون به ثمر بر للسلام » (ع ١١) .

المادة الأولى : — معاملة (عب ١٢ : ٧ و٨)

٧ إِنْ كُنْتُمْ تَحْتَمِلُونَ ٱلتَّأْدِيبَ يُعَامِلُكُمُ ٱللهُ كَٱلْبَنِينَ .
فَأَيُّ ٱبْنٍ لاَ يُؤَدِّبُهُ أَبُوهُ . ٨ وَلٰكِنْ إِنْ كُنْتُمْ بِلاَ تَأْدِيبٍ قَدْ
صَارَ ٱلْجَمِيعُ شُرَكَاءَ فِيهِ فَأَنْتُمْ نَغُولٌ لاَ بَنُونَ .

(ع ٧) « إن كنتم تحتملون التأديب » :

فى العدد الخامس سبق أن سمعنا كلمة « الوعظ » الذى يخاطبنا « كبنين » بالكلمة البنوية قائلا : « يا ابنى لا تحتقر تأديب الرب — و« لا تكره توبيخه » — و« لا تخر إذا وبخك » (قابل أم ٣ : ١١ مع شرح ص ١٢ : ٥) . فقد أوقفنا هذا « الوعظ » البنوى بين فئتين من الناس إزاء « تأديب الرب » : أما الفئة الأولى فإنها تقف ، إزاء ذلك التأديب ، موقف إزدراء واحتقار — موقف استهزاء واستهتار . أما الفئة الثانية فإنها تقف إزاءه موقف العزيمة الخائرة — موقف النفس الفاشلة الحائرة (راجع شرح ع ٥ و ٦) — وكلا الموقفين يحكم على تينك الفئتين بالحرمان من حقوق البنوية الصادقة الأمينة (راجع شرح ع ٥ و ٦) .

أما الفئة الأولى فإنها لعناد قلبها ولصلابة رقبتها ، تطرد طرداً وبذلك تحرم من ذلك الميراث الأبوى الأبدى . أما الفئة الثانية فإنها ، لخوار عزيمتها وخيبة أملها تهيم على وجهها تاركة بيت الآب وذلك الميراث الأبدى . على أن الرسول — فى هذا النص الذى نحن بصدده — يذكر فئة أخرى بين تينك الفئتين ، فى قوله :

« إن كنتم تحتملون التأديب » :

فإن الذين يحتملون التأديب يحفظون ، ولابد ، من الوقوع فى شر الاحتقار : وينجون ، بدون شك ، من خطية العناد ، إذ أنهم « يحتملون التأديب » بالروح الوديع والقلب المنكسر الذى تحدث عنه المرنم مع إلهه ، قائلا : « ذبائح الله هى روح منكسرة ، القلب المنكسر والمنسحق يا الله لا تحتقره » (مز ٥١ : ١٧) . وما أسمى الروح الوديع الهادى ! الذى هو قدام الله كثير الثمن ! (١ بط ٣ : ٤) .

على أن الكلمة « تحتملون » ترجع بنا ، أيضاً ، إلى ما قيل عن « رئيس الإيمان ومكمله يسوع » أنه «احتمل الصليب » (راجع شرح ع ٢) — « احتمل من الخطاة مقاومة ، لنفسه ، مثل هذه » (راجع شرح ع ٣) . وكلا النصين يوقفنا أمام « رئيس الإيمان ومكمله » وهو على الصليب وأمام مقاومة لا مثيل لها ، وعداوة لا تحد ، وبغضة لا تستقصى من أسود مفترسة ووحوش برية وكلاب ناهشة .

فليس بغريب أن الرائى إشعياء ، بعين النبوة ، يقول عنه : « كشاة تساق إلى الذبح وكنعجة صامتة أمام جازيها ؛ فلم يفتح فاه » (قابل إش ٥٣ : ٧ مع ١ بط ٢ : ٢٣) . وكأنه يقول بلسان الحال : « ضربونى فلم أتوجع ، لقد لكأونى ولم أعرف » (أم ٢٣ : ٣٥) ، وبهذا المعنى نجد أنفسنا تحت تحذير يرن فى آذاننا ، قائلا : «فتفكروا فى الذى احتمل من الخطاة مقاومة ، لنفسه ، مثل هذه ، لئلا تكلوا وتخوروا فى نفوسكم » (راجع شرح ع ٣) .

فالاحتمال إذاً هو طاقة يعطاها الإنسان — طاقة « الصبر » فى شدة البلايا ؛ كما قيل عن أولئك العبرانيين : « فلا تطرحوا ثقتكم التى لها مجازاة عظيمة ؛ لأنكم تحتاجون إلى الصبر حتى إذا صنعتم مشيئة الله تنالون الموعد » (راجع شرح ص ١٠ : ٣٥ و ٣٦) . وما الصبر سوى طاقة تنشأ فى الإنسان ، نعمة إلهية معطاة من رب النعم ، وهذا هو الأمر الجوهرى الذى أشار إليه الرسول يعقوب ، قائلا : « احسبوه كل فرح يا إخوتى ! حينما تقعون فى تجارب متنوعة ، عالمين أن امتحان إيمانكم ينشىء صبراً ، وأما الصبر فليكن له عمل تام ؛ لكى تكونوا تامين وكاملين غير ناقصين فى شىء » (يع ١ : ٢ — ٤) .

وما أجمل نعمة الاحتمال ! التى يضعها الرسول بولس نفسه أساساً يرتكز عليه بقدم ثابتة ويرتفع منه محلقاً بأجنحة النسور فى فضاء الفرح والمجد قائلا : « أسر بالضعفات والشتائم والضرورات والاضطهادات والضيقات لأجل المسيح . لأنى ، حينما أنا ضعيف ؛ فحينئذ أنا قوى » (قابل ٢ كو ١٢ : ١٠) .

وكأنه صعد من فضاء الفرح والمجد إلى سماء الفخر والعظمة الإلهية بنعمة أسمى وأمجد ، معبراً عن ذلك بالقول : « وليس ذلك فقط ؛ بل نفتخر ، أيضاً ، فى الضيقات ؛ عالمين أن الضيق ينشىء « صبراً » والصبر تزكية ، والتزكية رجاء ، والرجاء لا يخزى ؛ لأن محبة الله قد انسكبت فى قلوبنا بالروح القدس المعطى لنا » (اقرأ رو ٥ : ١ — ٥) . وما أشهى الثمرة التى نجتنيها من طاقة احتمال « التأديب » ! التى يعبر عنها الرسول بالقول « إن كنتم تحتملون التأديب » : —

« يعاملكم الله كالبنين » :

وهل نستطيع أن ندرك ما فى هذه المعاملة الأبوية من مجد وبهاء ؟ — ذلك المجد بهذا البهاء الذى عبر عنه ملاك العهد نفسه ، قائلا : « هل أخفى عن ابراهيم ما أنا فاعله ؟ . . . وإبراهيم يكون أمة كبيرة وقوية ويتبارك به جميع أمم الأرض ؛ لأنى قد عرفته — أقمته — لكى يوصى بنيه وبيته من بعده أن يحفظوا طريق الرب ليعملوا براً وعدلا ؛ لكى يأتى الرب لإبراهيم بما تكلم به » (تك ١٨ : ١٧ — ١٩) — ثمرة ما أشهاها ! أن يحفظ البنون « طريق الرب » وأن « يعملوا براً وعدلا » لتتم كل مواعيد الرب لهم فى بركات الميراث الأبدى — ذلك « الميراث » الذى « لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل » — « المحفوظ فى السموات » (١ بط ١ : ٣ — ٧) . هذا هو المعنى المقصود أصلا من القول : « يعاملكم الله » : —

« كالبنين » :

وذلك بمقتضى القول الإلهى « : إذاً لست بعد عبداً ، بل ابناً ، وإن كنت ابناً فوارث لله بالمسيح » (راجع شرح غل ٤ : ٧ للمؤلف) . مؤكداً القول : « فإن كنا أولاداً ؛ فإننا ورثة ، أيضاً ، ورثة الله ووارثون مع المسيح » (رو ٨ : ١٧) — ورثة « المجد الذى لا يبلى » (١ بط ٥ : ٤) . إذاً تكون المعاملة المقصودة هى الوصول « بالبنين » إلى درجة من « التأديب » يتصلون بها مباشرة بموعد الوراثة الإلهية ؛ لذلك يقول : « إن كنتم تحتملون التأديب يعاملكم الله كالبنين » : —

« فأى ابن لا يؤدبه أبوه ؟ » :

هكذا سؤال استنكارى ينفى نفياً باتاً ، فى صيغته ، عدم وقوع «التأديب» على « البنين » . ويثبت إثباتاً قاطعاً أن كل ابن فى بيت أبيه ، لابد أن يحاط بسياج قوى وحصار شديد « من تأديب الرب » . وهذه حقيقة يعبر عنها الرسول فى قوله : « أن يسلم مثل هذا للشيطان لهلاك الجسد ، لكى تخلص الروح فى يوم الرب يسوع » (١ كو ٥ : ٥) .

وهكذا يعبر عنها ، أيضاً ، فى قوله : «لأننا لو كنا حكمنا على أنفسنا لما حكم علينا . ولكن ، إذ قد حكم علينا ، نؤدب من الرب لكى لا ندان مع العالم » (١ كو ١١ : ٣١ و ٣٢) . ولعل ذينك التعبيرين معاً مؤسسان على التعليم البنوى الواضح فى قول المرنم : « طوبى للرجل الذى تؤدبه يارب ! وتعلمه من شريعتك لتريحه من أيام الشر ، حتى تحفر للشرير حفرة ؛ لأن الرب لا يرفض شعبه ولا يترك ميراثه » (مز ٩٤ : ١٢ — ١٤) .

على أن هذه التأديبات لا تنفى ، بصورة ما ، قوة التعليم الموحى به ، بوصف كونه سياجاً كسائر السياجات التى توصف به تلك التأديبات ؛ كما هو واضح فى كلام الرسول بولس لابنه تيموثاوس ؛ حيث قال له : « وأنك منذ الطفولية تعرف الكتب المقدسة القادرة أن تحكمك للخلاص « بالإيمان الذى فى المسيح يسوع » معقباً على ذلك بالقول « كل الكتاب هو موحى به من الله ونافع للتعليم والتوبيخ ، للتقويم والتأديب الذى فى البر ، لكى يكون إنسان الله كاملا متأهباً لكل عمل صالح » (٢ تى ٣ : ١٥ — ١٧) ، معقباً على ذلك بالقول : —

(ع ٨) « ولكن إن كنتم بلا تأديب » :

بعد أن أثبت الرسول إيجاباً ، كل ما لاحتمال « التأديب » من بركات سامية ، يتقدم الآن إلى تعزيز تلك البركات بمقارنة سلبية متضمنة فى قوله : —

« ولـكن » :

الكلمة « لكن » حرف استدراك — بها يستدرك الرسول ما قاله فى الجملة التى قبلها وهى « فأى ابن لا يؤدبه أبوه » — مستدركاً إياه بالجملة التى تأتى بعدها وهى قوله « ولكن » : —

« إن كنتم بلا تأديب » :

أما الكلمة « بلا تأديب » فإنها ترجع بنا إلى الفئتين اللتين سبق ذكرهما فى الكلام عن « التأديب » . وهما الفئتان اللتان دل عليهما « الوعظ البنوى » : — إحداهما فئة المحتقرين للتأديب المشار إليهم فى القول : « يا ابنى لا تحتقر تأديب الرب » . وثانيتهما فئة الخائرين المشار إليهم فى القول : « ولا تخر إذا وبخك » (راجع شرح ع ٥) . وهما الفئتان اللتان لم تنتفعا شيئاً من « تأديب الرب » بل بالحرى خسرتا كل البركات والنعم الناشئة عن هذا « التأديب » :

بهذا الاعتبار يمكن أن يقال عن تينك الفئتين إنهما لخروجهما عن دائرة التأديب — سواء أكان هذا الخروج لعلة الاحتقار أولعلة الخوف — قد خرجتا عن دائرة « البنين » وبالتالى أصبحتا « بلا تأديب » . وبالطبع تكونان قد نسيتا « الوعظ » الذى يخاطبهما « كبنين » قائلا : « فأى ابن لا يؤدبه أبوه ، ولكن ، إن كنتم بلا تأديب » : —

« قد صار الجميع شركاء فيـه » :

« الجميع » هنا يقصد بهم جميع « البنين » . وذلك بمقتضى القول : « أى ابن لا يؤدبه أبوه » ؟ (راجع شرح ع ٧) . شركة مباركة — شركة جميع أبناء الله الذين يترنمون بلسان الحال هاتفين : « شاكرين الآب الذى أهلنا لشركة ميراث القديسين فى النور ، الذى أنقذنا من سلطان الظلمة ونقلنا إلى ملكوت ابن محبته » (كو ١ : ١٢ و ١٣) .

وما أمجد أن يكون « ابن محبته » هذا ضمن هذه الشركة المباركة ! كيف لا ؟ وهو الذى قيل عنه : « فإذ قد تشارك الأولاد فى اللحم والدم ، اشترك هو ، أيضاً ، كذلك فيهما » . وبذلك تتحقق تلك النسبة المتينة المعبر عنها بالقول : « لأن المقدس

والمقدسين جميعهم من واحد ، فلهذا السبب لا يستحى أن يدعوهم إخوة » (اقرأمز ٢٢ : ٢٢ راجع شرح ص ٢ : ١١ — ١٤) . وباعتبار هذه الشركة المقدسة قيل عنه : « مع كونه « ابناً » (أى بوصف كونه ابناً) تعلم الطاعة مما تألم به » (راجع شرح ص ٥ : ٧ — ٩) .

هذا هو ، ولابد ، ذات الفكر الذى عبر عنه الرسول بطرس فى حديثه عن الذين كانوا تحت الآلام ، فى شدة الاضطهاد فى زمانه ؛ حيث قال : « أيها الأحباء ! لا تستغربوا البلوى المحرقة التى بينكم حادثة لأجل امتحانكم ؛ كأنه أصابكم أمر غريب بل ، كما اشتركتم فى آلام المسيح ، افرحوا لكى تفرحوا فى استعلان مجده ، أيضاً ، مبتهجين » (١ بط ٤ : ١٢ و ١٣) .

هذا هو ، أيضاً ، ولابد ، ما أشار إليه رسول الأمم فى قوله : « الآن أفرح فى آلامى لأجلكم ، وأكمل نقائص شدائد المسيح فى جسمى لأجل جسده الذى هو الكنيسة » (كو ١ : ٢٤) . أقوال صريحة تشير إلى أن جميع الذين للمسيح ، لابد ، يتألمون ، وذلك بمقتضى القول : « لأنه قد وهب لكم ، لأجل المسيح ، لا أن تؤمنوا به فقط ؛ بل أيضاً ، أن تتألموا لأجله » (فى ١ : ٢٩ مع مر ١٠ : ٢٩ و ٣٠) .

فالبنون الحقيقيون يشتركون فى آلام المسيح الذى يتألم فى آلامهم وبذلك تتم الشركة ، وهى تظهر جلياً فى نور ما قاله السيد المسيح لشاول الطرسوسى : « شاول شاول لماذا تضطهدنى ؟ . . . أنا يسوع الناصرى الذى أنت تضطهده » (قابل أع ٩ : ٤ و ٥ مع ٢٢ : ٨ اقرأ أع ٩ : ١ — ٥ مع ٢٢ : ٣ — ٨) . وذلك كله مؤسس على اعتبار النسبة الكائنة بين جلاله الأقدس وبين إخوته — تلك النسبة المعبر عنها فى نطقه الكريم : « بما أنكم فعلتموه بأحد إخوتى هؤلاء الأصاغر (سواء أكان خيراً أم شراً) فبى فعلتم » (قابل مت ٢٥ : ٤٠ و ٤٥ اقرأ ع ٣١ — ٤٦) . لذلك تكون الحقيقة المنطقية لهذا الأمر الواقع هى المعبر عنها بالقول « ولكن إن كنتم بلا « تأديب » قد صار الجميع شركاء فيه » : —

« فأنتم نغول » :

أما كلمة « النغول »فهى لفظ فى صيغة الجمع مفرده نغل ، أو نغل . وهو ابن الزانية أى ابن زنا . وبهذا المعنى يكون « النغول » هم أبناء الزنا . وهذا يدل عليه أصل الكلمة « نغل»حيث يقال ؟ نغل المولود ينغل نغولا أى فسد نسبه ، وما أكثر ما يحمله هـذا اللفظ « نغول » من معانى الفساد والنميمة والإساءة والضغينة وغير ذلك كثير من المعانى الرديئة التى يتصف بها « النغول » . الأمر الذى يدل على أنه تعبير لفساد الأصل والنسل ورداءة الأخلاق وشر القلب . وهذا كله متضمن فى هذه الكلمة « نغول » كمواليد غير شرعيين — أولاد زنا فاسدى النسب والحسب يصدق عليهم القول إنهم « نغول » :

« لا بنــون » :

فقد انتفت عنهم البنوية الحقيقية . ولذلك ، ولابد ، هم محرومون شرعاً من ميراث الآباء الذى هو حق شرعى للبنين الحقيقيين نسباً وحسباً .

وهذا النسب الشرعى الذى ينتفى أصلا عن مواليد الزنا ، بحسب الجسد ، يمكن تطبيقه على الذين لا يدخلون فى شركة أبناء الموعد ؛ كما هو واضح فى أمر « ابن الجارية » الذى لا يرث مع « ابن الحرة » . وذلك بمقتضى الكتاب النبوى القائل : « اطرد الجارية وابنها ؛ لأنه لا يرث ابن الجارية مع ابن الحرة » (قابل تك ٢١ : ٩ و ١٠ مع غل ٤ : ٣٠ اقرأ تك ٢١ : ١ — ١٢ انظر شرح غل ٤ : ٢٢ — ٥ : ١ للمؤلف) .

فمن من القراء أو السامعين يرضى لنفسه أن يكون فى صفوف «النغول» ، واحداً منهم محروماً من « وعد الميراث الأبدى » المعد لجميع المدعوين ؟ (راجع شرح ص ٩ : ١٥ اقرأ مت ٢٥ : ٣٤) .

أفلا يحفزنا هذا الحرمان المخيف من وعد الميراث الأبدى على تجنب الشركة مع « النغول » للانضمام إلى صفوف « البنين » الذين « يحتملون » التأديب » بمقتضى القول : «احسبوه كل فرح يا إخوتى حينما تقعون فى تجارب متنوعة » (يع ١ : ٢) . أو بتعبير ذات الرسول — رسول الأمم ، حيث يقول : « لذلك أسر بالضعفات والشتائم والضرورات

والاضطهادات والضيقات لأجل المسيح » (٢ كو ١٢ : ١٠) . أولا يجدر بنا أن نرتفع إلى الدرجة العليا ؟ لكي « نفتخر على رجاء مجد الله . وليس ذلك فقط ؛ بل نفتخر ، أيضاً ، في الضيقات » (رو ٥ : ٢ و ٣ راجع شرح ص ١٠ : ٣٢ — ٣٤) .

إلى هنا نختتم المادة الأولى من الركن التعليمي البياني تحت عنوان : — معاملة (ع ٧ و ٨) بمقتضى النص القائل : « يعاملكم الله كالبنين — لنتقدم ، بإرشاد الرب ، إلى شرح : —

المادة الثانية : — شركة (عب ١٢ : ٩ و ١٠)

٩ ثُمَّ قَدْ كَانَ لَنَا آبَاءُ أَجْسَادِنَا مُؤَدِّبِينَ وَكُنَّا نَهَابُهُمْ . أَفَلَا نَخْضَعُ بِالأَوْلَى جِدًّا لِأَبِي ٱلْأَرْوَاحِ فَنَحْيَا . ١٠ لِأَنَّ أُولٰئِكَ أَدَّبُونَا أَيَّامًا قَلِيلَةً حَسَبَ ٱسْتِحْسَانِهِمْ . وَأَمَّا هٰذَا فَلِأَجْلِ ٱلْمَنْفَعَةِ لِكَيْ نَشْتَرِكَ فِي قَدَاسَتِهِ .

سبق أن رأينا في المادة الأولى تلك المعاملة الشهية التي تمثلناها ثمرة حلوة لذيذة من ثمار فردوس النعيم واشتممنا رائحتها عطرة زكية . وما أجمل أن نتذوق طعم وأن نشتم رائحة معاملة الله للبنين ! والآن نتقدم إلى المادة الثانية لنتذوق طعم تلك الشركة الإلهية السماوية ونشتم رائحتها الذكية ، حيث يبدأ الرسول في إعلانها لنا بالقول : —

(ع ٩) « ثم » :

الكلمة « ثم » لغوياً ، حرف عطف ، تدل على الترتيب في الكلام أو المنطق في البناء . فهي ؛ بهذا الوضع أداة ترتيب وفي ذات الوقت هي أداة تعقيب . وفي صيغتها تفيد انتقال المتكلم أو الكاتب من مادة إلى مادة أخرى . وهكذا هي هنا في وضعها حيث بها ينتقل الرسول بنا من مادة معاملة الله للبنين إلى مادة شركة البنين في قداسة الله ؛ حيث يقول : « فأي ابن لا يؤدبه أبوه » ؟ (ع ٧) « ثم » : —

« قد كان لنا آباء » :

فى هذا التعبير يعود الرسول بالعبرانيين الذين يكتب إليهم رسالته — يعود بهم إلى زمن مضى يعبر عنه بالقول : « قد كان لنا » — هو زمن علاقتهم « كبنين » يتربون تحت أيدى « آباء » لهم . وفى ذات الوقت يدخل ذات الرسول نفسه إلى صفوفهم كابن من البنين يتربى تحت « التأديب » — تحت يد أب له . لذلك يقول بصيغة المتكلم « قد كان لنا « آباء » » . على أنه فى رسالته هنا يصف أولئك الآباء ، بالقول : —

« أباء أجسادنا » :

بهذا التعبير « آباء أجسادنا » بطريقة التخصيص يرجع بنا الرسول إلى أبى الجنس البشرى « آدم » فى أصل جبلته ؛ حيث قيل : « وجبل الرب الإله « آدم » تراباً من الأرض ، ونفخ ، فى أنفه «نسمة حياة » فصار آدم نفساً حية ».وقد أشار ذات الرسول إلى هذه الجبلة ، فى كلامه عن موضوع القيامة من الأموات ، قائلا : « هكذا مكتوب أيضاً ، صار آدم —الإنسان الأول—نفساً حية » (قابل تك ٢ : ٧ مع ١ كو١٥ : ٤٥) .

على أن الرسول فى قوله : « نفساً حية » ، إنما كان يقصد التدليل على جسم الإنسان الحيوانى ؛ كما قيل : « يزرع جسما حيوانياً . . . يوجد جسم حيوانى . . . هكذا هو مكتوب ، أيضاً ، صار آدم — الإنسان الأول — نفساً حية » أى جسما حيوانياً (اقرأ ١ كو ١٥ : ٤٤ — ٤٦) .

هذه هى الأجسام الحيوانية لبنى البشر التى يشير إليها الرسول هنا فى القول : «آباء أجسادنا »، وذلك عن طريق التناسل الذى أمر به الله ، جل اسمه ، كما يتبين من كلمة الوحى المقدس ؛ حيث قيل : « فخلق الله الإنسان على صورته . . . ذكراً وأنثى خلقهم . وباركهم الله وقال لهم : « أثمروا وأكثروا واملأوا الأرض » (اقرأ تك : ١ : ٢٦ — ٢٨) .

على أنه إذا تعمقنا فى دراسة هذه الأجساد من الناحية الطبيعية التى وصل إليها الإنسان بسبب الخطية والتى أشار إليها ذات الرسول ، معبراً عنها بالقول : « وكنا

« بالطبيعة » أبناء الغضب » — « أبناء المعصية » — « أموات بالخطايا » (اقرأ أف ٢ : ١ — ٥) ، والتى عبر عنها المرنم قائلا : « هأنذا بالإثم صورت وبالخطية حبلت بى أمى » (مز ٥١ : ٥) .

إذا تعمقنا فى هذه الدراسة اللاهوتية بشأن هذه الأجساد لتجلى أمامنا ذلك الفساد الطبيعى الذى عبر عنه ذات الرسول بالقول : « ليس ساكن فى أى فى « جسدى » شىء صالح » حيث يقول بقلب متوجع وبأنين وزفرات «الخطية الساكنة فىَّ » — « من ينقذنى من « جسد » هذا الموت » ؟ (رو ٧ : ١٧ و ١٨ و ٢٠ و ٢٤ اقرأ ع ١٤—٢٤) .

هذا هو الجسد الذى قال عنه السيد بنظرته الثاقبة إلى قلب الإنسان : « المولود من الجسد جسد هو » (يو ٣ : ٦) . فسواء أكان « أجسادنا » هى تلك الأجسام الحيوانية أو أجساد الطبيعة الفاسدة — سواء أكان هذا أم ذاك فإن الآباء والأبناء جميعهم شركاء فى ذات الأجساد ، ويكون التمثيل مقصود به ، فى جملته ، تمثيل لآباء جسديين لبنين جسديين فى نسبة جسدية محض . ينطبق معها القول : « قد كان لنا آباء أجسادنا » :

« مؤدبين » :

هذه الكلمة « مؤدبين » قد تكون وصفاً للآباء ؛ حيث يصدق القول « كان لنا . . مؤدبين » على اعتبار أن الأب هو فى ذات الوقت أب ومؤدب ، فهو المؤدب (بأل) التعريف باعتبار أن هذا لقب خاص به ؛ حيث يمكن أن يقال : « قد كان لنا « مؤدبون» هم الآباء » . وهم ، فى ذات الوقت ، المؤدبون الذين يقومون بعملية التأديب . وبذلك يكونون مؤدبين . وفى كلتا الحالتين يتم النصح الإلهى القائل : « وأنتم أيها الآباء ! لا تغيظوا أولادكم ؛ بل « ربوهم » بتأديب الرب وإنذاره » (قابل أف ٦ : ٤ مع كو ٣ : ٢١) .

هؤلاء هم المربون المؤدبون الذين يربون أولادهم « بتأديب الرب » . وذلك بمقتضى « الكلمة النبوية » — كلمة « الوعظ » النبوية القائلة : « رب الولد فى طريقه ؛ فمتى شاخ ، أيضاً ، لا يحيد عنه » (أم ٢٢ : ٦) . أما القول «رب» فإنه ، فى لفظه وفى معناه ، تعبير جوهرى دقيق يدخل بنا إلى عمق أعماق الحنكة ؛ كما لو أنه يقول :

« حنك الولد » ليصير شيخاً محنكاً — لا بالنسبة إلى أيام سنيه ؛ بل بالنسبة إلى سمو عقله وأفكاره وعلو آدابه وتهذيبه .

ولعل أدق ما يعبر عن هذه الحنكة ! هو قول « أليهو » لأصحاب أيوب : « أنا صغير فى الأيام وأنتم شيوخ ؛ لأجل ذلك خفت وخشيت أن أبدى لكم رأيي ، قلت : « الأيام تتكلم ، وكثرة السنين تظهر حكمة ، ولكن فى الناس روحاً ونسمة القدير تعقلهم . ليس الكثيرو الأيام حكماء ولا الشيوخ يفهمون الحق ؛ لذلك قلت « اسمعونى : أنا أيضاً أبدى رأيي » (أى ٣٢ : ٦ — ١٠) . على هذا الأساس يقول الرسول « ثم كان لنا آباء أجسادنا مؤدبين » :

« وكنا نهابهم »

هل فى هذا القول : «كنا نهابهم » يتحدث الرسول عن أمر واقع طبيعى ؟ أو يتحدث ، بالأحرى ، عن أمر واجب مبنى على وحى « الوعظ » المقدس فى الوصية الإلهية القائلة : « أكرم أباك وأمك » (خر ٢٠ : ١٣) . وهى الوصية التى علق عليها الرسول ، قائلا : « أيها الأولاد ! أطيعوا والديكم فى الرب » لأن هذا حق : « أكرم أباك وأمك » التى هى أول وصية بوعد » (قابل أف ٦ : ١ و ٢ مع كو ٣ : ٢٠) .

فمهابة « البنين » الآباء مبنية حقاً ، لا على الخوف والرعب من قسوة « التأديب » وشدته ، ولا من ضربات العصا وآلامها ؛ بل هى احترام وخضوع للوصية الإلهية المقدسة القائلة : « أيها الأولاد ! أطيعوا والديكم « فى الرب » لأن هذا حق » (أف ٦ : ١) . « أيها الأولاد ! أطيعوا والديكم فى كل شيء لأن هذا مرضى فى الرب » (كو ٣ : ٢٠) . على هذا الأساس المؤسس من السماء يبنى الرسول قوله : « قد كان لنا آباء أجسادنا مؤدبين وكنا نهابهم » : —

« أفلا نخضع » :

لعل القارىء كان ينتظر أن يسمع القول : «أفلا نهاب » ؟ بدلا من القول «أفلا نخضع » ؟ وذلك حملا على ما سبق من الكلام فى الجزء الماضى من الآية حيث قيل :

« وكنا نهابهم » . ولكن الواقع الذى أعلنه الوحى المقدس ، بعد أن قال : « وكنا نهابهم » هو : « أفلا نخضع » . ولعل فى نص هاتين العبارتين وحياً يحقق لنا أن المهابة والخضوع صنوان لا يختلفان ولا يفترقان . ففى المهابة توقير وتعظيم يؤديان إلى ما فى الخضوع من نعمة انحناء وتواضع وسكون ؛ كما يتبين فى نور القول النبوى : « بالرجوع والسكون تخلصون ، بالهدوء والطمأنينة تكون قوتكم » (إش ٣٠ : ١٥) . فلا غرابة إذاً ! إذا علق الرسول على القول : « كنا نهابهم » بقوله : « أفلا نخضع » ؟ —

« بالأولى جــــداً » :

الكلمة « بالأولى » معناها لغة الأحق والأجدر . كما لو أن الرسول يريد أن يقول إن كان لنا « آباء أجسادنا » يحق لهم المهابة « وكنا نهابهم » . فعلينا أن ندرك كل الإدراك وأن نعى كل الوعى بأنه يوجد من هو أحق وأجدر — لا بالمهابة ، فحسب ؛ بل بالأكثر بالانحناء أمامه والسجود عند قدميه والسكون بين يديه ، لذلك يقول : « أفلا نخضع بالأولى جداً » ؟

على أن الكلمة « بالأولى » قد ترجمت ، أيضاً « بالحرى » . وهى كلمة وردت فى مواضع أخرى متعددة فى الوحى المقدس . وفى معناها يقال لغة : إنه لحر بكذا وحرى بكذا وحر أن يفعل كذا أى جدير وخليق :

هذا هو المعنى اللغوى لكلمة « بالأولى » ، فكم « بالحرى » إذا قيل : « بالأولى جداً » ؟ حيث يتخذ الكلام صبغة جدية بتشديد جدى ويصل إلى الربط القوى الذى لا حل فيه ولا فكاك . وكل ذلك بقوة ما تحتويه الكلمة « جداً » فى معناها اللغوى . فإنها ، فى شدتها وقوتها ، تقضى قضاء — لا نقض فيه ولا إبرام — على كل هزال وتحقق الأمر تحقيقاً لا شك فيه ولا ريب وتثبت الواقع بعزيمة لا يشوبها خوار : وبهذه القوة يقول الرسول : « قد كان لنا آباء أجسادنا مؤدبين وكنا نهابهم . أفلا نخضع ، بالأولى جداً » : —

« لأبي الأرواح » :

وهنا تبرز المقارنة بين «آباء أجسادنا » وبين « أبي الأرواح » . وهذه المقارنة تبرز أمامنا فى نقطتين ، النقطة الأولى أننا فى « آباء أجسادنا » نرى جمعاً من الآباء . أما فى النقطة الثانية « أبي الأرواح » فإننا لا نرى سوى أب واحد مفرداً فريداً .

على أننا فى النقطة الثانية ، نرى فى القول : « أبي الأرواح » خلواً تاماً من التخصيص حيث لم يقل أبي أرواحنا كما قال : «آباء أجسادنا » جاعلا « أبي الأرواح » أباً مطلقاً لجميع أرواح البشر الذين منهم ، أيضاً ، «آباء أجسادنا » وأبناؤهم وذات الرسول .

هذه حقيقة تثبتها « الكلمة النبوية» كما وردت فى تلك الصلاة التى تقدم بها موسى وهرون أمام العرش الإلهى وصيغتها : « اللهم — إله أرواح جميع البشر » (عد ١٦ : ٢٢)

هكذا ، عندما أعلن الرب لموسى ثبات الحكم الصادر من السماء بعدم دخوله شخصياً إلى أرض الموعد . حيث تقدم هو إلى الله ، بطلب صيغته : « ليوكل الرب إله أرواح جميع البشر ». رجلا على الجماعة يخرج أمامهم ويدخل أمامهم ويخرجهم ويدخلهم ؛ لكى لا تكون جماعة الرب كالغنم التى لا راعى لها » (عد ٢٧ : ١٦ و١٧ اقرأ ع ١٢ — ١٧ قابل أى ١٢ : ١٠ مع جا ١٢ : ٧ مع إش ٥٧ : ١٦ .

وما أعظم سمو « أبي الأرواح » — « إله أرواح جميع البشر » — ما أعظم سموه على جميع آباء الأجساد ! إنه سمو سماء السموات عن الأرض . فالأجساد إنما هى تراب من الأرض وإلى التراب تعود ، أما « الأرواح » فإنها هى « نسمة الحياة » التى نفخها الرب الإله فى أنف آدم يوم أن جبله (قابل تك ٢ : ٧ مع إش ٢ : ٢٢) . وقد جمع أليهو بين « نسمة الحياة » هذه وبين « الروح » يوم أن قال : « ولكن فى الناس روحاً ونسمة القدير تعقلهم » (قابل أى ٣٢ : ٨ و ٣٣ : ٤ و ٣٤ : ١٤ مع إش ٤٢ : ٥) . وقد أنشد المرنم عن هذه النسمة » الإلهية قائلا : « بكلمة الرب صنعت السموات ، وبنسمة فيه كل جنودها » (مز ٣٣ : ٦) .

ولعله يعبر ، بهذا القول ، عما قاله ، أيضاً ، فى هذا الشأن : « الصانع ملائكته رياحاً وخدامه لهيب نار » (مز ١٠٤ : ٤راجع شرح ص ١ : ٧) . وقد فسر الرسول

هذا الكلام عن « الملائكة » فى قوله عنهم : « أليس جميعهم « أرواحاً » خادمة » ؟ راجع شرح ص ١ : ١٣ و ١٤) .

هكذا نرى فى كل ما قيل فى هذه الشواهد عن « أبى الأرواح » أنه ليس « أبا أرواح » البشر فحسب ؛ بل هو ، جل اسمه « أبو أرواح » الملائكة ، أيضاً . وبعبارة أوفى وأدق يصح أن يقال أنه أبو جميع الأرواح الخالدة المعدة لميراث المجد الأبدى ، ولهذا يصح القول « أفلا نخضع ، بالأولى جداً ، لأبى الأرواح » ؟ —

« فنحيـــا » :

أو لم نتحقق مما سبق ؟ بأن « أب الأرواح » هو مصدر حياتنا بالنسمة التى نفخها فى أنف آدم فصار نفساً حية ؟ فى قوله للفلاسفة الأثينويين فى حديثه معهم عن الإله الذى كانوا يجهلونه : « إذ هو يعطى الجميع حياة» ونفساً وكل شىء ... لكى يطلبوا الله ، لعلهم يتلمسونه فيجدوه ؛مع أنه عن كل واحد منا ليس بعيداً ، لأننا به نحيا ونتحرك ونوجد ؛ كما قال بعض شعرائكم ، أيضاً : « لأننا ، أيضاً ، ذريته» (اقرأ أع ١٧ : ٢٤ — ٢٨) .

على أن هذه الحياة ، المشار إليها هنا والداخلة فى دائرة التأديب ، ليست هى بيت القصيد فى هذا الموضوع ، وإلا فلماذا « التأديب » ؟ فإنه إن كان الإنسان كله — هو ذلك الإنسان الذى يولد جسدياً ويحيا فى الجسد وبعد ذلك يموت — فهل يكون هنالك ما يدعو إلى تأديب أو تهذيب ؟ يجيب على هذا التساؤل ذات الرسول فى قوله عن نفسه : « إن كنت «كإنسان » (مجرد إنسان) قد حاربت وحوشاً فى أفسس ، فما المنفعة لى ؟ إن كان الأموات لا يقومون ؟ فلنأكل ونشرب لأننا غداً نموت » (١كو ١٥ : ٣٢) .

فلابد إذاً أن تكون الحياة المقصودة فى كلمة « فنحيا » إنما هى الحياة التى تحت «تأديب الرب » . هذه هى الحياة الأفضل والأسمى التى ينطبق عليها قول الواعظ الحكيم . « لأن الذى يحبه الرب يؤدبه ويجلد كل ابن يقبله » (قابل ع ٦ مع أم ٣ : ١٢) : لذلك يركز الرسول كل ما فى جهده من قوة وشدة لإظهار الفرق الواضح بين « تأديب» « آباء أجسادنا » وبين « تأديب » «أبى الأرواح » فيقول عن « آباء أجسادنا » :—

(ع ١٠) « لأن » :

يظهر من سياق الحديث ، الذى نحن بصدده ، أن الكلمة « لأن » إنما هى تعليلية أو سببية ، بها يعلل الرسول معلناً السبب الحقيقى للكلمة « بالأولى جداً » التى وردت فى الفقرة السابقة ؛ كما لو أن سائلا يسأل قائلا : لماذا « نخضع ، بالأولى جداً ، لأبى الأرواح » – خضوعاً يفوق بما لا يحد مهابتنا « لآباء أجسادنا » ؟ وكأن الرسول يجيب على هذا السؤال بالقول « لأن » : –

« أولئــك » :

الكلمة « أولئك » هى اسم إشارة للبعيد وهى جمع مفرده ذلك أو تلك ، وفى الآية التى أمامنا تشير إلى « آباء أجسادنا » الذين ورد ذكرهم قبل ذكر « أبى الأرواح » . لذلك يكون حديث الرسول الذى سيأتى بعد خاصاً بالجزء القائل : « قد كان لنا آباء أجسادنا مؤدبين » . وها هو سيتحدث عنهم من هذا القبيل ، لذلك يقول : « لأن أولئك » – « آباء أجسادنا » : –

« أدبونا أياماً قليلة » :

أما تلك « الأيام القليلة » فإنها تعبر عن المدة القصيرة التى بها يتصل « الآباء » بأبنائهم « كمؤدبين لهم ، وهى المدة الشرعية التى يكون فيها الأبناء تحت رعاية الآباء وفى دائرة تأديبهم ، وهى المدة التى بعدها يخرج الأبناء عن سيطرة آبائهم ليكونوا مسئولين ذاتياً عن كل تصرفاتهم ، متولين قيادة كل أمورهم ، متعاملين مباشرة مع إلههم .

على أنه يمكننا أن نتوسع فى الكلام عن « الأيام القليلة » لا بالنسبة إلى العلاقات التأديبية بين الآباء والأبناء التى سبق الكلام عنها ، بل بالنسبة إليها فى حقيقتها ، ولا نريد فى هذا الباب ، أن نتحدث عن « الأيام القليلة » التى تنتهى بسرعة فلا تعطى فرصة لمسئوليات « التأديب » الموضوع على الآباء نحو الأبناء ولا لمهابة الأبناء للآباء المؤدبين لهم ، فقد يقضى الموت إما على الآباء أو على الأبناء فتنتهى العلاقات فى بدئها بين هؤلاء وأولئك . وبذلك تنتهى مسئوليات « التأديب » بين الطرفين .

على أننا لا نريد أن نتكلم عن « الأيام القليلة » بهذه النسبة ؛ بل نريد أن نتحدث عنها فى ذاتها على اعتبار ما قاله « يعقوب » أبو الأسباط عندما سأله فرعون قائلا : « كم هى أيام سنى حياتك » ؟ فقال يعقوب لفرعون : « أيام سنى غربتى مئة وثلاثون سنة ، « قليلة » وردية كانت أيام سنى حياتى » (اقرأ تك ٤٧ : ٨ و ٩) . هى أيام الغربة التى تحدث عنها المرنم قائلا : « غريب أنا فى الأرض ، لا تخف عنى وصاياك » (مز ١١٩ : ١٩ اقرأ مز ٣٩ : ٤ — ٦ و ٩٠ : ٣ — ٦) . فالأيام ، مهما طالت ، قليلة يصدق عليها ، بالأكثر ، قوله « أولئك أدبونا أياماً قليلة » : —

« حسب استحسانهم » :

ضمير الغائب « هم » — فى كلمة « استحسانهم » — يرجع إلى « أولئك » — « آباء أجسادنا » — الذين كانوا ، لنا « مؤدبين » — « حسب استحسانهم » . أما هذا « الاستحسان » فالمقصود به كل ما يتراءى « للمؤدبين » أنه حسن لتأديب أبنائهم — ومؤد إلى القصد من « التأديب » ، فهو « استحسان » مقترن بنظرياتهم وبمقدار ما لهم من المعرفة والحكمة سواء أكان هذا المقدار قليلاً أم كثيراً .

على أن هذا « الاستحسان » مطبوع ، ولابد ، بالطابع البشرى المعرض دائماً للخطأ . فقد يخطئون سواء أكان فى القصد أو فى الطريقة ، وبخاصة إذا كانت عصا التأديب فى يد ثائر غضوب لا يقدر ، فى ثورة غضبه أن يضبط وعيه ، فلا يحسن تأديبه فتصير العاقبة وخيمة . لذلك ينصح الرسول الآباء قائلا : « أيها الآباء ! لا تغيظوا أولادكم ؛ بل ربوهم بتأديب الرب وإنذاره » (أف ٦ : ٤) . وعلى هذا الأساس يعبر عن الفرق بين التأديبين بالقول : « لأن أولئك — « آباء أجسادنا » — أدبونا أياماً قليلة حسب استحسانهم » :

« وأما هذا فلأجل المنفعة » :

هذه الجملة فى وضعها ، بهذه الصورة ، ترسم أمامنا مقارنة بالجملة التى قبلها . فإن « هذا » فى هذه الجملة يقابلها « أولئك » فى الجملة التى قبلها . أما القول « لأجل المنفعة » فيقابله القول السابق « حسب استحسانهم » . وحيث أن الموضوع خاص

« بالتأديب » كما هو واضح فى القول السابق : « أولئك أدبونا » . لذلك تتم المقارنة بين الجملتين . بإضافة كلمة فى هذه الجملة تقابل كلمة « أدبونا » فى الجملة السابقة . وبهذا الوضع يمكن أن نقرأ هذه الجملة على النحو الآتى : « وأما هذا فيؤدبنا لأجل المنفعة » . وبمقتضى هذا الوضع نتقدم الآن فى شرح هذه الجملة مبتدئين بالقول : —

« وأمـا » :

هذه الكلمة « أما » لغوياً هى حرف تفصيلى ، كما يظهر من البيان التفصيلى الذى سبقت الإشارة إليه . وهى فى ذات الوقت حرف توكيدى يؤكد كل التأكيد حقيقة ما يأتى بعده من الكلام بالمقارنة بما قبله — وهى تلك المقارنة التى سبق تفصيلها وبيانها فى الكلام السابق ؛ كما أنه إذ يقول : « أولئك » فيما سبق ، يعقب بالقول « وأما » :—

« هـذا » :

« هذا » اسم إشارة مفرد إلى القريب . وقد سبق أن رأينا « أولئك » اسم إشارة جمع للبعيدين . وهنا تظهر المقارنة بين « أولئك » — « آباء أجسادنا » — وبين « هـذا » — « أبى الأرواح » — (راجع شرح العبارتين فيما سبق) . وإذ يقول : أولئك « أدبونا » فكأنه يريد أن يقول ، أيضاً : « وأما هذا » فيؤدبنا » : —

« لأجـل المنفعة » :

هذه العبارة « لأجل المنفعة » يقابلها فى الجملة السابقة — كما سبق أن رأينا — العبارة « حسب استحسانهم » ، وقد لا يكون هذا « الاستحسان » للمنفعة ؛ لأن الذين يستحسونه تعوزهم ، ولابد — بوصف كونهم بشراً — معرفة حقيقة المنفعة من التأديب ، أما « أبو الأرواح » فهو ،تعالى اسمه ، العليم بكل شىء والمدرب الحكيم فى كل طريق تؤدى ، ولابد ، إلى « المنفعة » التى يقصدها ويعرف طريقها .

أما علم الله الحقيقى « للمنفعة » الحقيقية فهو أمر لا ريب فيه ولاشك ، ولا تشوبه شائبة ما . هو ذلك العلم الذى عبر عنه ذات الرسول ، قائلا : « ياالعمق غنى الله وحكمته وعلمه ! (يا لعمق غنى حكمة الله وعلمه !) . ما أبعد أحكامه عن الفحص وطرقه عن

الاستقصاء ! لأن من عرف فكر الرب ؟ أو من صار له مشيراً ؟ أو من سبق فأعطاه فيكافأ ؟ لأن فيه وبه وله كل الأشياء له المجد إلى الأبد آمين » (رو ١١ : ٣٣ — ٣٦ قابل أى ١١ : ٧ و ١٥ : ٨ مع إش ٤٠ : ١٣ مع إر ٢٣ : ١٨ اقرأ مز ١٣٩ : ٧ — ١٢) . « فأبو الأرواح » وحده عليم « بالمنفعة » . لذلك يقول الرسول : « وأما هذا (فيؤدبنا) لأجل المنفعة : —

« لكى نشترك فى قداسته » :

فالشركة فى قداسة الله هى الهدف السامى الموضوع أمام « أبى الأرواح » فى تأديب أبنائه . ومن المشكوك فيه كثيراً أن يكون هذا الهدف موضوعاً أمام « آباء أجسادنا » فى تأديبهم أبنائهم . وفى ذات الوقت هو — الاشتراك فى قداسة الله — المنفعة — — المشار إليها بالقول : « وأما هذا » — « أبو الأرواح » — فإنه يؤدبنا : —

« لكى نشترك فى قداسته » :

أى فى قداسة الله التى أوصى بها شعبه قديماً قائلا : « لا تدنسوا أنفسكم . . . ولا تتنجسوا . . . إنى أنا الرب إلهكم فتتقدسون وتكونون قديسين ؛ لأنى أنا قدوس » (قابل لا ١١ : ٤٣ — ٤٥ و ١٩ : ٢ و ٢٠ : ٧) .

على أساس هذه الوصية المقدسة يوصى الرسول بطرس ؛ بالوحى المقدس ، قائلا : « كأولاد الطاعة لا تشاكلوا شهواتكم السابقة فى جهالتكم ، بل ، نظير القدوس الذى دعاكم ، كونوا أنتم ، أيضاً ، قديسين فى كل سيرة » لأنه مكتوب «كونوا قديسين لأنى أنا قدوس » (١ بط ١ : ١٤ — ١٦) .

هكذا يقول رسول الأمم للتسالونيكيين : « لأنكم تعلمون أية وصايا أعطيناكم بالرب يسوع ، لأن هذه هى إرادة الله — « قداستكم » — أن تمتنعوا عن الزنا . . . لأن الله لم يدعنا للنجاسة ، بل فى القداسة » (اقرأ ١ تس ٤ : ١ — ٧ مع ١ كو ٦ : ١٨ — ٢٠) .

هذه هى شركة ميراث القديسين فى النور التى قال عنها ذات الرسول : « شاكرين

الآب الذى أهلنا « لشركة ميراث القديسين » فى النور ، الذى أنقذنا من سلطان الظلمة ونقلنا إلى ملكوت ابن محبته » (كو ١ : ١٢ و ١٣) ؛ ليكون هو — « ابن محبته » « بكراً بين إخوة كثيرين » ((رو ٨ : ٢٩ اقرأ ع ٢٨ — ٣١) . هذه هى قداسة « أبى الأرواح » التى يريد أن يشترك فيها أبناؤه ويعمل لإتمام هذه الإرادة بروحه القدوس .

الآن انتهينا من الموقف الثانى — الرب يسوع وتدريب المؤمنين : — المادة الأولى — معاملة (ع ٧ و ٨) . — المادة الثانية — شركة (ع ٩ و ١٠) والآن نتقدم إلى : —

المادة الثالثة : — متعـــة (عب ١٢ : ١١)

١١ وَلٰكِنَّ كُلَّ تَأْدِيبٍ فِي الْحَاضِرِ لَا يُرَى أَنَّهُ لِلْفَرَحِ بَلْ لِلْحَزَنِ . وَأَمَّا أَخِيراً فَيُعْطِي الَّذِينَ يَتَدَرَّبُونَ بِهِ ثَمَرَ بِرٍّ لِلسَّلَامِ .

بعد أن رأينا فى المادة الأولى من هذا الركن التعليمى معاملة تحت عنوان « يعاملكم الله كالبنين » (راجع شرح ٧ و ٨) . وبعد أن رأينا فى المادة الثانية من هذا الركن التعليمى شركة تحت عنوان « نشترك فى قداسته » (راجع شرح ع ٩ و ١٠) . نتقدم الآن لنرى فى هذه المادة الثالثة من هذا الركن التعليمى متعة تحت عنوان « ثمر بر للسلام » .

فى هذه المتعة يتجلى أمامنا « تأديب الرب » : — أولا « فى الحاضر » مبيناً فى القول « كل تأديب » فى الحاضر » لا يرى أنه للفرح ؛ بل للحزن » — وهكذا إلى أن يتجلى لنا ثانياً : — « أخيراً » فى القول « وأما « أخيراً » فيعطى الذين يتدربون به ثمر برللسلام » ، وفى كلا التجليين يبدأ الرسول ، قائلا : —

(ع ١١) « ولـكن » :

« ولكن » — حرف من الحروف المشبهة بالفعل ينصب الاسم ويرفع الخبر ، وهى هنا حرف استدراك ، يستدرك به الرسول كل ما قاله سابقاً عن « تأديب الرب » بوصف كونه معاملة وشركة كما رأينا — مستدركاً بما سيقوله الآن عن هذا « التأديب » بوصف كونه متعة مستدركاً بالقول « ولـكن » : —

« كل تأديب فى الحاضر لا يرى أنه للفرح بل للحزن » :

كأننا بالرسول ، وهو يتحدث عن المعاملة الأبوية فى « التأديب » وعن الشركة البنوية المباركة فيه — كأنه خاف من أن يفهم القارىء أو السامع قوله عن بركة التبنى ونعمة التقديس على غير حقيقتهما ، فيهيم فى الفضاء محلقاً مغرداً بأناشيد الفرح والبهجة ، وينسى « أن كل تأديب » : —

« فى الحاضـــر » :

هذه الكلمة « فى الحاضر » توجه النظر إلى « التأديب » بالنسبة إلى الوقت الزمنى لإجرائه — أى إلى الزمان الذى فيه يجرى . وذلك تمهيداً لإظهار الفرق البين بينما يحدثه التأديب فى البنين — زمن إجرائه ، وبين ما يؤول إليه من النتائج التى ترتبت عليه فى المستقبل . وما أعظم الفرق بين ما يحدثه ذلك التأديب زمن إجرائه وبين ما يؤول إليه . لذلك يقول « ولكن كل تأديب فى الحاضر » : —

« لا يرى أنه للفرح بل للحزن » :

فى هذا التعبير نرى ما يحدثه « تأديب الرب » فى البنين من وجهة سلبية فى قوله : « لا يرى أنه للفرح » . وفى ذات الوقت نرى ما يحدثه « التأديب » فى البنين من وجهة إيجابية كما لو أنه يقول : « بل يرى أنه للحزن » .

أما التأديب « فى الحاضر » فى صيغته السلبية « لا يرى أنه للفرح » . فإن الرسول ، فى هذه الصيغة ينفى عن « التأديب » كل ما يمت إلى الفرح بصلة ما ، وهذا أمر طبيعى .

فإن من طبيعة « التأديب » أن يكون مصحوباً بالألم . فقد يكون اجراؤه عن طريق « البلوى المحرقة » التى قال عنها الرسول بطرس : « أيها الأحباء ! لا تستغربوا البلوى المحرقة التى بينكم حادثة لأجل امتحانكم كأنه أصابكم أمر غريب » (١ بط ٤ : ١٢) . فلا عجب أن يقول الرسول : « كل تأديب فى الحاضر لا يرى أنه للفرح » : —

« بل للحـــزن » :

مثبتاً إيجاباً « أن كل تأديب فى الحاضر » يرى أنه « للحزن » . وذلك بعد أن أثبت ، سلباً ، أنه لا يرى « للفرح » . أما كون « التأديب » فى الوقت الحاضر « للحزن » فهذا ليس أمراً مستغرباً كما ذكرنا سابقاً ؛ وكما يثبته الوحى المقدس بوضوح تام بكل ما جاء عنه ، فيه ، من النصوص الإلهية .

وهل لا نرى شدة « الحزن » فى تلك الصورة التى يرسمها أمامنا التاريخ المقدس—فى الطريق إلى قبر لعازر ؟ — حيث خرجت مريم لملاقاة يسوع وهى تبكى واليهود الذين كانوا معها يبكون ؛ حتى انكسر قلب يسوع الحنون فبكى لبكائهم مشاركاً إياهم فى أحزانهم (اقرأ يو ١١ : ٢٨ — ٣٥) . وكيف لا يكون « التأديب » ألماً ووجعاً ومرارة شديدة فى النفس وحزناً يملأ القلب ؟ حين يسمع القول : « يسلم مثل هـــذا للشيطان لهلاك الجسد » ؟ (١ كو ٥ : ٥) .

أو لا يكفينا ، تعبيراً عن هذا « الحزن » تلك الصورة التى يرسمها ، أيضاً . التاريخ المقدس أمامنا عن أيوب ؟ حيث « قام . . . ومزق جبته وجز شعر رأسه وخرّ على الأرض » ونطق وقال للرب ، فى مرارة نفسه : « لماذا تحجب وجهك وتحسبنى عدواً لك ، أترعب ورقة مندفعة وتطارد قشاً يابساً ؛ لأنك كتبت على أموراً وورّثتنى آثام صباى ؛ فجعلت رجلى فى المقطرة ولاحظت جميع مسالكى » (أى ١ : ٢٠ و ١٣ : ٢٤ — ٢٧) .

فعصا « التأديب » شديدة وقضيبه حديدى أليم جداً ؛ كما يظهر من صراخ المرنم وهو يتضرع مستغيثاً بالرب ، قائلا : « ارفع عنى ضربك ، من مهاجمة يدك أنا قدفنيت ، بتأديبات ، إن أدّبت الإنسان ، أفنيت مثل العث (العتة)

مشتهاه . . . اقتصر عنى فأتباج (أرى نوراً مشرقاً) قبل أن أذهب فلا أوجد » (مز ٣٩ : ١٠ و١١ و١٣) . فليس أمراً غريباً ! أن يقول الرسول : « كل تأديب ، فى الحاضر ، لا يرى أنه للفرح ؛ بل للحزن » : —

« وأما أخيراً » :

قد سبق أن رأينا « تأديب الرب » — « فى الحاضر » — فى هذه المادة الثالثة ، وها نحن الآن نتقدم لنراه فى نور قوله : « وأما أخيراً » : وهو نور يسطع على الوجه الحزين الساقط فيرفعه ، ويعطى النظر بعداً يتخطى كل « حزن » — « فى الحاضر » ويمتد إلى ما هو أبعد فى المستقبل .

نور يبدد ظلمات الضغط الحاضر وينزع كابوسه الجاثم على القلب الدامى المنسحق ويضئ على النتائج المفرحة التى ينشئها التأديب ، وهى تلك النتائج التى تتجلى «أخيراً» والتى سبق الرسول فبينها فى قوله ، أيضاً ، لهؤلاء العبرانيين : « لأنكم تحتاجون إلى الصبر حتى ، إذا صنعتم مشيئة الله ، تنالون الموعد » (راجع شرح ص ١٠ : ٣٦) . وبذات القصد يقول الرسول هنا «كل تأديب » فى الحاضر لا يرى أنه للفرح ؛ بل للحزن ، وأما أخيراً : —

« فيعطى » :

هنا فعل يعود بنا إلى فاعله المذكور فى أول هذه الآية تحت عنوان « تأديب الرب » (راجع شرح ع ٥) . كما لو أن « تأديب الرب » إنما هو شخص فعال يمد يده بنعمة العطاء — ذلك العطاء الذى قال عنه الرب يسوع : « مغبوط هو العطاء أكثر من الأخذ » (أع ٢٠ : ٣٥) . لذلك يقول : « كل تأديب — فى الحاضر — لا يرى أنه للفرح ؛ بل للحزن ، وأما أخيراً فيعطى » : —

« الذين يتدربون به » :

هذه الجملة « الذين يتدربون به » متعلقة بالكلمة « فيعطى » التى فاعلها — كما رأينا — « كل تأديب » . وبذلك تكون هى جملة تدل على المفعولية لفعل الفاعل

وتركيبها « كل تأديب » « أخيراً » – يعطي الذين يتدربون به » – أي الذين يتدربون بهذا التأديب ، وبذلك يكون التأديب تدريباً .

فالتأديب والتدريب – لفظاً – هما صنوان متلازمان لا يفترقان ؛ كما لو أنهما فرعان من أصل ومن عين واحدة . فالتدريب « تأديب » ، « التأديب » تدريب – التدريب مؤدب والتأديب مدرِّب – فالعلاقة اللفظية بينهما متشابهة لدرجة يمكننا معها أن نمثلهما « بالناموس » الذي قال عنه ذات الرسول أنه : « قد كان مؤدبنا » (انظر شرح غل ٣ : ٢٤ للمؤلف) .

على نمط هذه العلاقة اللفظية بين التأديب والتدريب نتمثل العلاقة المعنوية بينهما رياضة روحية–علاقة لا تفصم عراها . فالتدريب « بالتأديب » إنما هو عملية رياضية روحية عبر عنها ذات الرسول لابنه تيموثاوس في قوله : « روض نفسك للتقوى ؛ لأن الرياضة الجسدية نافعة لقليل ، ولكن التقوى نافعة لكل شيء ؛ إذ لها موعد الحياة الحاضرة والعتيدة » (١ تى ٤ : ٧ و ٨) .

وما أقسى التدريب « بالتأديب » ! فهي عملية رياضية شاقة ؛ كما يتبين من الكلمة النبوية التي نطق بها ، بالوحي المقدس ، ذلك النبي الباكي الحزين ، قائلا : « سمعاً سمعت أفرايم ينتحب « أدبتني فتأدبت » كعجل غير مروض ، توبني فأتوب ؛ لأنك أنت الرب إلهي ؛ لأني ، بعد رجوعي ندمت ، وبعد تعلمي صفقت على فخذي ، خزيت وخجلت ؛ لأني قد حملت عار صباي » (إر ٣١ : ١٨ و ١٩) . على أنه بالرغم من كل حزن يأتي به « التأديب » إلا أنه « حزن » ينقلب إلى « فرح لا ينطق به ومجيد » (اقرأ ١ بط ١ : ٦ – ٨) . وذلك لأنه « يعطي الذين يتدربون به » . –

« ثمر بر للسلام » :

أما الكلمة « ثمر » فتحقق لنـــا أن التدريب « بالتأديب » زرع له ، ولابد ، ثمره ينطبق عليه القول : « الذين يزرعون بالدموع يحصدون بالابتهاج ، الذاهب ذهاباً بالبكاء حاملا مبذر الزرع ، مجيئاً يجيء بالترنم حاملا حزمة » (مز ١٢٦ : ٥ و ٦) . وما أحوج الزارع في « أرض الموعد » إلى الصبر ! وهو ينتظر المطر في حينه – المطر

المبكر والمتأخر (قابل تث ١١ : ١٤ مع إر ٥ : ٢٤ مع يؤ ٢ : ٢٣) — ما أحوج ذلك الزارع إلى صبر الرجاء الذى يرافق عمل الإيمان وتعب المحبة ؛ حيث يقال : «أما الآن فيثبت الإيمان والرجاء والمحبة ، هذه الثلاثة ولكن أعظمهن المحبة » (قابل ١ كو ١٣ : ١٣ مع ١ تس ١ : ٣) .

على هذا الأساس يبنى القول الإلهى : « هوذا الفلاح ينتظر ثمر الأرض الثمين ، متأنياً عليه حتى ينال المطر المبكر والمتأخر ، فتأنوا أنتم وثبتوا قلوبكم ؛ لأن مجئ الرب قد اقترب » . كما لو أنه يقول أن ثمر الحصاد محقق كمجيء يوم الرب . لذلك يختم كلامه ، قائلا : « ها نحن نطوب الصابرين ، قد سمعتم بصبر أيوب ورأيتم عاقبة الرب ؛ لأن الرب كثير الرحمة ورؤوف » (قابل يع ٥ : ٧ — ١١ مع أى ٤٢ كل الأصحاح) . وما أمجد هذا « الثمر » الذى نحن بصدده — الذى هو « ثمر » . —

« بر للسلام » :

أما « البر » و « السلام » فهما قرينان يتحدان معاً فى أساس ملكوت الله المتين ويرافقهما فى ذلك ، ذلك الفرح الروحى المقدس ؛ حيث يقال : « فلا يفتر على صلاحكم ؛ لأن ليس ملكوت الله أكلا وشرباً ؛ بل هو بر وسلام وفرح فى الروح القدس » (رو ١٤ : ١٦ و١٧) . وما أمجد أن يتغنى المرنم ! وهو يرى « المجد يسكن فى أرضنا » فينشد ، قائلا « البر والسلام تلاثما » (اقرأ مز ٨٥ : ٨ — ١٣) .

على أن الرسول هنا لا يقول : « ثمر بر » وسلام ؛ بل يقول « ثمر بر للسلام » . وهو قول يطابق ، كل المطابقة ، ما سبق أن قاله : « فإذ قد تبررنا بالإيمان لنا سلام مع الله بربنا يسوع المسيح » (رو ٥ : ١) . وهو قول فيه تفسير لمعنى البر وتعليق عليه بالسلام . أما « البر » فهو تبرير للانسان المؤمن يحسب له من الله عن طريق الإيمان به . كما قيل عن أبى المؤمنين إبراهيم أنه «آمن بالرب فحسبه (أى حسب الإيمان (له براً » (تك ١٥ : ٦ اقرأ رو ٤ : ٩ — ١٣ مع مز ٣٢ : ١ و ٢) .

هذا هو التبرير المجانى الذى قال فيه رسول الأمم «متبررين مجاناً ، بنعمته ، بالفداء الذى بيسوع المسيح الذى قدمه الله كفارة « بالإيمان بدمه » لإظهار بره (بر الله) من

أجل « الصفح » عن الخطايا السالفة بإمهال الله ؛ لإظهار بره فى الزمان الحاضر ؛ ليكون باراً ويبرر من هو من الإيمان بيسوع » (رو ٣ : ٢٤ — ٢٦) « لأنكم بالنعمة « مخلصون بالإيمان » . وذلك ليس منكم هو عطية الله » (أف ٢ : ٨ اقرأ ع ٥ — ١٠) . هذا هو « البر » — تبرير المؤمن بالمسيح — مجاناً — على أساس الفداء بدم السيد المسيح . وهو « البر » الذى ينشأ عنه سلام فى قلب المؤمن — « « سلام مع الله » ، وذلك بمقتضى النص القائل : —

« ثمر بر للسلام » :

فالسلام إذاً هو الثمر الشهى الذى يجتنيه المتبرر بالإيمان . وأى ثمر أشهى من المصالحة مع الله ؟ تلك المصالحة التى كان يشتهيها أيوب وهو فى شدة بلاياه ويتمنى — كل التمنى — نعمة الحصول عليها . كما يتبين فى كلامه عن الله ؛ وهو يقول : « ليس هو إنساناً مثلى فأجاوبه ؛ فنأتى جميعاً إلى المحاكمة ، ليس بيننا مصالح يضع يده على كلينا (كلا أيوب والله — كانسان) ليرفع عنى عصاه ولا يبغتنى رعبه » (أى ٩ : ٣٢ — ٣٤).

تلك المصالحة التى رتب لها ذات الله ؛ كما يتبين من قول رسول الأمم : « ولكن الكل من الله الذى صالحنا لنفسه « بيسوع المسيح » وأعطانا (نحن الرسل) خدمة المصالحة ، أى أن الله كان ، فى المسيح « مصالحاً » العالم لنفسه . غير حاسب لهم خطاياهم وواضعاً فينا (نحن الرسل) كلمة المصالحة » (٢ كو ٥ : ١٨ و ١٩ اقرأ ١٧ — ٦ : ٢ مع إش ٤٩ : ٨) .

وما أحلى « السلام » الذى تنشئه تلك المصالحة مع الله فى قلب المتبرر بالإيمان ! الذى يخبر عنه ذات الرسول ، أيضاً ، فى قوله : « وسلام الله الذى يفوق كل عقل يحفظ قلوبكم وأفكاركم فى المسيح يسوع » (فى ٤ : ٧ اقرأ أف ٢ : ١٣ — ١٨) . « وإله السلام الذى أقام ، من الأموات ، راعى الخراف العظيم « ربنا يسوع » بدم العهد الأبدى — ليكملكم فى كل عمل صالح ؛ لتصنعوا مشيئته عاملا فيكم ما يرضى أمامه بيسوع المسيح — الذى له المجد إلى أبد الآبدين آمين » (انظر شرح ص ١٣ : ٢٠ و ٢١).

هذا هو « تأديب الرب » الذى « يعطى الذين يتدربون به ثمر بر للسلام » . لذلك لنردد تلك الكلمة النبوية القائلة : « يا ابنى ! لا تحتقر تأديب الرب ، ولا تكره توبيخه ؛ لأن الذى يحبه الرب يؤدبه ، وكأب بابن يسر به » (أم ٣ : ١١ و ١٢ راجع شرح ع ٥ و ٦) . إلى هنا انتهينا ، بعون الرب ، من شرح الركن التعليمى من الموقف الثانى — موقف الرب يسوع وتدريب المؤمنين (ع ٧ — ١١) ، وها نحن نتقدم الآن بإرشاد روحه القدوس ، إلى شرح موقف الرب يسوع وتدريب المؤمنين : —

الركن العمـــلى (عب ١٢ : ١٢ — ١٧)

١٢ لِذٰلِكَ قَوِّمُوا ٱلْأَيَادِيَ ٱلْمُسْتَرْخِيَةَ وَٱلرُّكَبَ ٱلْمُخَلَّعَةَ
١٣ وَٱصْنَعُوا لِأَرْجُلِكُمْ مَسَالِكَ مُسْتَقِيمَةً لِكَيْ لَا يَعْتَسِفَ
ٱلْأَعْرَجُ بَلْ بِٱلْحَرِيِّ يُشْفَى . ١٤ اتْبَعُوا ٱلسَّلَامَ مَعَ ٱلْجَمِيعِ
وَٱلْقَدَاسَةَ ٱلَّتِي بِدُونِهَا لَنْ يَرَى أَحَدٌ ٱلرَّبَّ ١٥ مُلَاحِظِينَ لِئَلَّا
يَخِيبَ أَحَدٌ مِنْ نِعْمَةِ ٱللهِ . لِئَلَّا يَطْلُعَ أَصْلُ مَرَارَةٍ وَيَصْنَعَ انْزِعَاجًا
فَيَتَنَجَّسَ بِهِ كَثِيرُونَ . ١٦ لِئَلَّا يَكُونَ أَحَدٌ زَانِيًا أَوْ مُسْتَبِيحًا
كَعِيسُو ٱلَّذِي لِأَجْلِ أَكْلَةٍ وَاحِدَةٍ بَاعَ بَكُورِيَّتَهُ . ١٧ فَإِنَّكُمْ
تَعْلَمُونَ أَنَّهُ أَيْضًا بَعْدَ ذٰلِكَ لَمَّا أَرَادَ أَنْ يَرِثَ ٱلْبَرَكَةَ رُفِضَ
إِذْ لَمْ يَجِدْ لِلتَّوْبَةِ مَكَانًا مَعْ أَنَّهُ طَلَبَهَا بِدُمُوعٍ .

الآن نحن فى الركن العملى من الموقف الثانى الذى عنوانه — الرب يسوع وتدريب المؤمنين . ومفتاحه « يعطى الذين يتدربون به ثمر بر للسلام » (راجع شرح ع ١٠) . هذا هو الركن العملى الذى يبنيه الرسول على الركن التعليمى السابق (ع ٧ — ١١) . وفيه نرى واجباً مثلثاً هو الواجب العملى الذى يتبين فى كل مطاليب الوحى المقدس

حيث نراه — مثلا — فى ما جاء فى الكلمة النبوية التى نصها : « قد أخبرك أيها الإنسان ! ما هو صالح وماذا يطلبه منك الرب ، إلا أن تصنع الحق وتحب الرحمة وتسلك متواضعاً مع إلهك » (مى ٦ : ٨) .

ثلاثة مطاليب إلهية بينها رسول الأمم (١) ما هو مطلوب من الإنسان فى ذاته « تصنع الحق » — (٢) ما يجب على الإنسان نحو أخيه « تحب الرحمة »— (٣) ما يجب على الإنسان نحو إلهه « تسلك متواضعاً مع إلهك » .

هذه الثلاثية فصلها رسول الأمم فى قوله « نعيش » : — (١) « بالتعقل »— الحياة الشخصية (٢) « بالبر » — حقوق الآخرين (٣) « بالتقوى » — مخافة الله (تى٢ : ١٢) . أما الواجب الأول والثانى فسنبينهما فى واجب تقويم الأيادى المسترخية والركب المخلعة لا فى ذات الشخص فحسب ؛ بل ، أيضاً ، فى معاونة الإنسان للانسان أخيه (ع ١٢ و ١٣) . هكذا سنتبين الواجب الثانى والثالث معاً فى اتباع السلام مع الجميع وفى عيشة القداسة التى ، بدونها ، لن يرى أحد الرب (ع ١٤ — ١٧) . بهذه الطريقة نبدأ الشرح بالقول : —

(ع ١٢) « لـــذلك » :

هذه الكلمة «لذلك»تتجلى أمامنا رابطة للركن التعليمى الذى سبق الكلام عنه مع الركن العملى المبنى عليه . وهو الركن الذى سيحدثنا الرسول عنه فيما يلى . وذلك جرياً على عادته التى تبعها فى رسائله وبخاصة فى هذه الرسالة ؛ حيث يضع أولا التعليم المسيحى أساساً مؤيداً بالشواهد الكتابية من « الكلمة النبوية » ؛ ليقيم على ذلك الأساس التعليمى. بناء تلك النصائح الذهبية العملية .

هكذا فعل فى الموقف الأول الذى عنوانه ، الرب يسوع « رئيس الإيمان ومكمله » (ع ١ — ٦) . حيث وضع أولا الركن التعليمى أساساً (ع ١ — ٣) — بنى عليه الركن العملى (ع ٤ — ٦ راجع الشرح) . هكذا فعل هنا فى الموقف الثانى رابطاً الركنين معاً بالقول « لذلك »

« قوموا الأيادى المسترخية والركب المخلعة » :

فى هذه الكلمات نصيحة ثمينة مقتبسة من نص فى « الكلمة النبوية » حيث قيل : « شددوا الأيادى المسترخية والركب المرتعشة ثبتوها ، قولوا لخائفى القلوب : « تشددوا لا تخافوا — هوذا إلهكم ، الانتقام يأتى ، جزاء الله، هوذا يأتى ويخلصكم » (إش ٣٥ : ٣ و ٤) .

بهذا الاقتباس النبوى يتقدم الرسول إلى أولئك العبرانيين الذين هم فى « مجاهدة آلام كثيرة » (راجع شرح ص ١٠ : ٣٢) . مبيناً لهم بأنهم ، فى هذه الآلام ، إنما هم تحت « تأديب الرب» الذى يعاملهم «كبنين » لكى «يشتركوا فى قداسته» (ع ١٠ راجع الشرح) ويجتنبوا « ثمر بر للسلام » (ع ١١ راجع الشرح) . بمقتضى قوله لهم سابقاً لأنكم تحتاجون إلى « الصبر » حتى إذا صنعتم مشيئة الله تنالون الموعد ، لأنه بعد قليل جداً (جداً) سيأتى الآتى ولا يبطىء » (راجع شرح ص ١٠ : ٣٦ و ٣٧) . على هذا الأساس يبنى القول : —

« قوموا الأيادى المسترخية » :

أما « الأيادى المسترخية » فهو تعبير ينطق بلسان حال الفشل واليأس إلى درجة تسترخى فيها الأيدى وكأننا نرى أمامنا صورة إنسان وقد ارتخت يداه إلى جانبيه وعلى وجهه علامات إنتهاك القوى والتعب المضنى فاسترخت يداه عن العمل المطلوب وكف عن تأديته .

على هذا الأساس المعنوى نسمع الكلمة « قوِّموا » ، وفيها نصح مشدد بتحريك الأيدى وتنشيطها للعمل وتقويمها بقوة ونشاط لإتمام العمل المهمل وهذا هو معنى النصح القوى فى القول : « قوموا الأيادى المسترخية » : —

« والركب المخلعة » :

« الركب المخلعة » هى الموصوفة فى الكلمة « بالمرتعشة » (إش ٣٥ : ٣) . وفى ترجمة أخرى « الركب المنحلة » . ونستطيع أن نرى صورة لهذه « الركب المخلعة »

المنحلة فيما حدث لبيلشاصر ملك بابل حين « ظهرت أصابع يد إنسان وكتبت بإزاء النبراس ، على مكلس حائط قصر الملك »، حيث قيل : « حينئذ تغيرت هيئة الملك وأفزعته أفكاره وانحلت خرز حقويه واصطكت ركبتاه » (دا ٥ : ٥ و ٦ اقرأ ع ١ ــ ٦).

هذه « الركب المخلعة » ــ « الركب المنحلة والمرتعشة والمصطكة » ــ هذان الحقوان اللذان انحلت خرزهما أى عقدهما وانسابت فقراتهما ــ كل هذه التعبيرات ترينا ، بوصف دقيق ، حالة إنسان مقعد لا يستطيع التحرك من مكانه لإجراء أى عمل ما ، وإذا أضفنا هذه « الركب المخلعة » إلى « الأيادى المسترخية » نرى صورة محزنة أليمة لإنسان متقاعد مشلول الحركة . وعن هذه الصورة يقول الرسول : ــ

« قوِّموا » :

وما أصعب عملية التقويم « للأيادى المسترخية » لتتحرك مرفوعة للقيام بعملية « الجهاد الموضوع أمامنا » الذى أوصى به الرسول سابقاً قائلا : « لنطرح كل ثقل والخطية المحيطة بنا بسهولة ، ولنحاضر بالصبر فى الجهاد الموضوع أمامنا » (راجع شرح ع ١) . بل يكاد يكون من المستحيل أن يقوِّم المقعد الذى انحلت خرز حقويه ــ أن يقوِّم ركبتيه المنحلتين والمرتعشتين والمصطكتين . فكيف إذاً تقوم « الأيادى المسترخية والركب المخلعة » ؟

هذا يأتى بنا إلى السر الذى أعلنه ذات الرسول بانياً إياه على الكلمة النبوية القائلة : « يبلع الموت إلى الأبد » (إش ٢٥ : ٨) . مضافاً إليها ، أيضاً ، تلك الكلمة النبوية الأخرى القائلة : « أين أو باؤك يا موت ؟ أين شوكتك يا هاوية » ؟ (هو ١٣ : ١٤). إنه لسر عجيب أعلن للرسول فقال : « هوذا سر أقوله لكم . . . لأن هذا (الجسد) الفاسد لا بد أن يلبس عدم فساد ، وهذا (الجسد) المائت يلبس عدم موت . . . شكراً لله الذى يعطينا الغلبة بربنا يسوع المسيح » (١ كو ١٥ : ٥١ ــ ٥٨) .

هذه الغلبة التى لنا قوتها فى ربنا يسوع المسيح ــ هى التى قال عنها الرسول ، أيضاً : « إن كان روح الذى أقام يسوع من الأموات ساكناً فيكم ، فالذى أقام المسيح من الأموات سيحيى أجسادكم المائتة ، أيضاً، بروحه الساكن فيكم » (رو ٨ : ١١).

هذه هى القوة الروحية الفائقة السماوية التى تستطيع أن تقوِّم « الأيادى المسترخية والركب المخلعة » فى ميدان المحاضرة « بالصبر » فى « الجهاد الموضوع أمامنا » ضد الخطية، والصبر « على مجاهدة آلام كثيرة » (راجع شرح ص ١٠ : ٣٢). على هذا الأساس المتين يبنى الرسول وصيته القوية ، قائلا : « قوِّموا الأيادى المسترخية والركب المخلعة».

(ع ١٣) « واصنعوا لأرجلكم مسالك مستقيمة » :

إزاء المثل القائل — وبضدها تتبين الأشياء — نتبين « المسالك المستقيمة » — بمقابلتها مع المسالك المعوجة ، وهى الطرق المليئة بالمعوجات والمنحنيات والأزقة والزوايا والعراقيب والمعوجات التى بينتها الكلمة النبوية موضوعاً لمأمورية يوحنـــا المعمدان العظمى فى إعداد الطريق أمام « ملاك العهد » المقدس ، وذلك بوصف أنه «صوت صارخ فى البرية — أعدوا طريق الرب ، قوِّموا فى القفر سبيلا لإلهنا ، كل وطاء يرتفع وكل جبل وأكمة ينخفض ويصير المعوج مستقيما والعراقيب سهلا » (إش ٤٠ : ٣ و ٤ انظر ملا ٣ : ١ و ٤ : ٥ و ٦ مع مت ٣ : ٣ مع مر ١ : ٢ و ٣ مع لو ٣ : ٤ و ٥ مع يو ١ : ٢٣) .

ولكن أنى « للأيادى المسترخية والركب المخلعة » أن تصنع لنفسها « مسالك مستقيمة »؟ للتقويم والتشديد والسلوك باستقامة ؟ هذا أمر ليس بعسير عند الرب الذى « يعطى المعيي قدرة ولعديم القوة يكثر شدة » (إش ٤٠ : ٢٩) . لذلك على هذا الأساس المتين يبنى الرسول قوله للفيلبيين : « بالأولى جداً ، فى غيابى ، تمموا خلاصكم بخوف ورعدة ؛ لأن الله هو العامل فيكم أن تريدوا وأن تعملوا ، من أجل المسرة (مسرة مشيئة الله) ... لكى تكونوا بلا لوم وبسطاء أولاداً لله بلاعيب فى وسط جيل معوج وملتو تضيئون بينهم كأنوار فى العالم » (اقرأ فى ٢ : ١٢ — ١٥) .

وعلى ذات الأساس يبنى الرسول بطرس كلامه للذين يكتب إليهم قائلا : « لذلك بالأكثر اجتهدوا أيها الإخوة ! أن تجعلوا دعوتكم واختياركم ثابتين ؛ لأنكم إذا فعلتم ذلك ، لن تزلوا أبداً . لأنه هكذا يقدم لكم بسعة دخول إلى ملكوت ربنا ومخلصنا يسوع المسيح الأبدىّ » (٢ بط ١ : ١٠ و ١١) . على هذه الثقة المباركة بقدرة الله

ومعونته يقدم الرسول النصيحة العملية لأولئك العبرانيين ، قائلا : « قوِّموا الأيادى المسترخية والركب المخلعة واصنعوا لأنفسكم مسالك مستقيمة » : —

« لكى لا يعتسف الأعرج » :

لعل الرسول قد رأى بعضاً من أولئك العبرانيين وقد مالوا إلى الارتداد عن الإيمان الصحيح بسبب شدة الاضطهادات التى كانت واقعة عليهم من إخوتهم الناموسيين ! فعبر عن ذلك الميل إلى الارتداد « بالعرج » كما عبر النبى إيليا قديماً عن بنى إسرائيل المرتدين عن « الإله الحق » متعبدين للبعل فقال لهم : « حتى متى تعرجون بين الفرقتين؟ « إن كان يهوه (الرب) هو « الله » فاتبعوه ، وإن كان البعل (هو الله) فاتبعوه » (١ مل ١٨ : ٢١ اقرأ ع ٢١ — ٣٩) .

هذا العرج المقصود فى قوله : « تعرجون » هو حالة قوم كان يتجاذبهم عاملان ، هما عامل الخوف من الله وعامل الرعب من الملك أخآب وزوجته الملكة « ايزابل » الشريرة (اقرأ ١ مل ١٦ : ٢٩ — ٣١) . وهذه هى الحالة عينها التى وصلت إليها « السامرة » بعد السبى الأشورى والقضاء على « مملكة إسرائيل » وتشتيت أسباطها العشرة وتبديدهم على وجه كل الأرض ، فقد أصبح سكان السامرة عاصمة إسرائيل بعدئذ أمماً « كانوا يتقون الرب — ويعملون لأنفسهم ، من أطرافهم ، كهنة مرتفعات — كانوا يقربون لأجلهم فى بيوت المرتفعات — كانوا يتقون الرب ويعبدون آلهتهم كعادة الأمم الذين سبوهم من بينهم » (٢ مل ١٧ : ٣٢ و ٣٣ اقرأ كل الأصحاح) . هذه هى حالة العرج التى كان يراها الرسول فى أولئك العبرانيين ويخاف منها معبراً عنها بالقول « لكى لا » : —

« يعتسف » — « الأعـــرج » :

أما الاعتساف فهو الحيدان عن الطريق المستقيم ، وهو دأب « الأعرج » الذى يعرج فى سيره تارة إلى اليمين وتارة إلى اليسار . وقد يكون أيضاً ، تارة يقدم رجلا إلى الأمام وتارة يؤخرها إلى الوراء .

ولعل هذا التصرف يذكرنا بذلك الجواب السديد الذى أجاب به السيد المسيح ذلك الرجل الذى تقدم إليه،قائلا : « أتبعك يا سيد ! ولكن إئذن لى ، أولا ، أن أودع الذين فى بيتى » فقال له يسوع : « ليس أحد يضع يده على المحراث وينظر إلى الوراء يصلح لملكوت الله » (لو ٩ : ٦١ و ٦٢ اقرأ ع ٥٧ — ٦٢) .

هذا هو الأساس الذى وضعه السيد فى خطاب العرش فوق الجبل ؛ حيث قال : « لا يقدر أحد أن يخدم سيدين ، لأنه ، إما أن يبغض الواحد ويحب الآخر ، أو يلازم الواحد ويحتقر الآخر . لا تقدرون أن تخدموا الله والمال » (مامون) (مت ٦ : ٢٤) على قياس هذا التمثيل يقول الرسول : « إذ أنا أنسى ماهو وراء وأمتد إلى ما هو قدام ، أسعى نحو الغرض لأجل جعالة دعوة الله العليا فى المسيح يسوع » (فى ٣ : ١٣ و ١٤) . هذا هو الاعتساف الذى كان يخشى منه الرسول على أولئك العبرانيين لذلك نصح قائلا : « قوِّموا الأيادى المسترخية والركب المخلعة واصنعوا لأنفسكم مسالك مستقيمة ، لكى لا يعتسف الأعرج » : —

« بل بالحرى يشفى » :

الكلمة « يشفى » هى صيغة إيجابية بمعنى ذات الصيغة السلبية فى القول « لا يعتسف ». فالرسول بعد أن قدم علاجاً سلبياً للأعرج فى القول : « لا يعتسف » ها هو يتقدم الآن بالعلاج الإيجابى فى قوله « يشفى » . لذلك يقول : —

« بل بالحرى » :

فالعلاج الإيجابى وهو الشفاء « أحرى » من العلاج السلبى وهو عدم الاعتساف على اعتبار أن الإيجاب فى الأمور هو الأولى من السلبى والأخلق والأجدر منه .

على أن هذا الشفاء — سواء أكان سلباً وإيجاباً — فإنه فى تينك الحالين ، يذكرنا بأول منطوق إلهى فى هذا الشأن . وذلك بعد عبور البحر الأحمر حين وصل الشعب ، فى ارتحاله بقيادة موسى ، إلى « مارَّة » ولم يقدروا أن يشربوا ماءً من مارة لأنه مرٌّ ، فصير الله ذلك الماء عذباً فشربوا وارتووا ، هناك وضع الرب للشعب فريضة وحكماً .

وهناك امتحنه وقال له : « إن كنت تسمع لصوت الرب إلهك وتصنع الحق فى عينيه وتصغى إلى وصاياه وتحفظ جميع فرائضه فرضاً ما ، مما وضعته على المصريين لا أضع عليك « فإنى أنا الرب شافيك » (خر ١٥ : ٢٥ و ٢٦ اقرأ ع ٢٢ — ٢٦) .

ومن ذا الذى له القدرة على الشفاء ؛ ليجعل المر عذباً و « يجعل القفر غدير مياه وأرضاً يبساً ينابيع مياه » ؟ (مز ١٠٧ : ٣٥ قابل مز ١١٤ : ٨ مع إش ٤٩ : ١٠ مع رؤ ٧ : ١٧) . هذه هى « ينابيع الخلاص » التى تحدثت عنها الكلمة النبوية وأشار إليها السيد المسيح فى خطابه للشعب فى عيد المظال ، حيث نادى ، قائلا : « إن عطش أحد فليقبل إلى ويشرب ، من آمن بى كما قال الكتاب تجرى من بطنه أنهار ماء حى . قال هذا عن الروح الذى كان المؤمنون به مزمعين أن يقبلوه ؛ لأن الروح القدس لم يكن قد أعطى بعد ؛ لأن يسوع لم يكن قد مجد بعد » (يو ٧ : ٣٧ — ٣٩ قابل إش ١٢ : ٣ و ٤٤ : ٣ و ٤ مع زك١٣ : ١ مع حز ٤٧ : ١— ٧ مع رؤ٢٢ : ١ و ٢).

هذه هى « ينابيع الخلاص » — ينابيع الفرح « بالرب » الذى يصير المر عذباً وينبع من آلام التجارب خلاصاً ؛ كما عبر الرسول بطرس حيث قال : « كما أن قدرته الإلهية قد وهبت لنا كل ما هو للحياة والتقوى بمعرفة الذى دعانا بالمجد والفضيلة ، اللذين بهما قد وهب لنا المواعيد العظمى والثمينة لكى تصيروا بها شركاء الطبيعة الإلهية هاربين من الفساد الذى فى العالم بالشهوة » (٢ بط ١ : ٣ و ٤) .

وهل ندرى مغزى تلك الشجرة التى طرحها موسى فى الماء المر بأمر الرب فصار عذباً ؟ أهى تلك الخشبة التى تحدث عنها الرسول بطرس فى بيت كرنيليوس فى حديثه مع الأمم عن « يسوع الذى من الناصرة » الذى قتلوه وعلقوه على خشبة ؟ (أع ١٠ : ٣٩ اقرأ ع ٣٤ — ٣٩ قابل أع ١٣ : ٢٩ اقرأ ع ٢٦ — ٢٩) .

أهذه هى الخشبة التى قالت فيها الكلمة النبوية أن المعلق عليها « ملعون من الله » بمقتضى الشرع الموسوى ؟ (اقرأ تث ٢١ : ٢٢ و ٢٣) نعم ! هى الخشبة التى ذكرها رسول الأمم فى موضوع المسيح المصلوب ؛ حيث قال : « المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا ؛ لأنه مكتوب ملعون كل من علق على خشبة ؛ لتصير

بركة إبراهيم للأمم فى المسيح يسوع لننال « بالإيمان » موعد الروح » (انظر شرح غل ٣ : ١٣ و ١٤ للمؤلف) .

هذا هو الشفاء العجيب الذى به تصير المياه المرة عذبة وتتم الكلمة النبوية « فتستقون مياهاً بفرح من ينابيع الخلاص » (إش ١٢ : ٣) . وبقوة هذا الفرح العجيب تتقوم « الأيادى المسترخية والركب المخلعة » فلا يعتسف الأعرج « بل بالحرى يشفى » . وعلى هذا الأساس يوصى الرسول ، قائلا : —

(ع ١٤) « اتبعوا السلام مع الجميع » :

بعد أن تتقوم الأيدى وتتثبت الركب المخلعة وتصير المسالك مستقيمة يبدأ السير وتتابع الخطوات . فقد قضى على العرج وزالت العثرات من الطريق واستقامت المسالك فلماذا يتوقف السير وقد صارت العراقيب سهلا وأصبح المعوج مستقيما وارتفعت الأوطئة وانخفضت الجبال والآكام . فلماذا يتوقف السير ؟ وأى عذر للوقوف أو للابطاء ؟ لماذا لا نواصل السير سعياً نحو الغرض ؟ فيتم الواجب المنصوص عليه بالقول : « جاهد جهاد الإيمان الحسن وأمسك بالحياة الأبدية » (قابل ١ تى ٦ : ١٢ مع ٢ تى ٤ : ٧) . لذلك يقول « اتبعوا » أى سيروا بخطوات متتابعة بلا توقف ولا إبطاء : —

« السلام مع الجميع » :

نصيحة ثمينة ولكنها قد تكون ، بهذا المقدار ، صعبة عسيرة . ولعل الرسول قد أدرك ، ما فى هذه النصيحة من الصعوبة والعسر ، حين أوصى قائلا : « إن كان « ممكناً » فحسب طاقتكم ، سالموا جميع الناس » (رو ١٢ : ١٨) . وأية طاقة هذه ؟ وبأى معنى يقال : « إن كان ممكناً » ؟ وهل فى طاقة الإنسان أو فى دائرة إمكانيته أن يتمم قول سيدنا المسيح : « سمعتم أنه قيل تحب قريبك وتبغض عدوك ، وأما أنا فأقول لكم : « أحبوا أعداءكم باركوا لاعنيكم أحسنوا إلى مبغضيكم وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم ؛ لكى تكونوا أبناء أبيكم الذى فى السموات ، فإنه يشرق شمسه على الأشرار والصالحين ويمطر على الأبرار والظالمين » — « فإنه منعم على غير الشاكرين والأشرار » (قابل مت ٥ : ٤٣ — ٤٨ مع لو ٦ : ٢٧ — ٣٥) .

هذا هو عين ما نصت به « الكلمة النبوية » بفم ذلك الحكيم بروح السماء وبنعمة الحق في القول : « إن جاع عدوك فأطعمه خبزاً وإن عطش فاسقه ماء ، فإنك تجمع جمراً على رأسه ، والرب يجازيك » (أم ٢٥ : ٢١ و ٢٢) . وقد علق الرسول على هذا النص النبوى بنصحه المبارك قائلا : « لا تجازوا أحداً عن شر بشر ، معتنين بأمور حسنة قدام جميع الناس . . . فإن جاع عدوك فأطعمه ، وإن عطش فاسقه ؛ لأنك ، إن فعلت هذا ، تجمع جمر نار على رأسه ، لا يغلبنك الشر ؛ بل اغلب الشر بالخير » (اقرأ رو ١٢ : ١٧ — ٢١ مع ١ بط ٣ : ٨ — ١٢ مع مز ٣٤ : ١٢ — ١٤) .

وهل يعتبر جمع « النار » على رؤوس الأعداء « سلاماً » ؟ وهل ينطبق هذا الأمر على قول السيد نفسه : « جئت لألقى ناراً على الأرض ، فماذا أريد لو اضطرمت ، ولى صبغة أصطبغها وكيف أنحصر حتى تكمل ، أتظنون أنى جئت لأعطى سلاماً على الأرض كلا أقول لكم بل انقساماً ؛ لأنه يكون من الآن خمسة فى بيت واحد منقسمين ثلاثة على اثنين واثنان على ثلاثة . ينقسم الأب على الابن والابن على الأب والأم على البنت والبنت على الأم والحماة على كنتها والكنة على حماتها » (لو ١٢ : ٤٩ — ٥٣ اقرأ مت ١٠ : ٣٤ و ٣٥) .

وهل قصد السيد أن يلقى بمجيئه على الأرض ناراً وسيفاً وانقساماً ؟ هذا هو الواقع الذى جرى وتم فعلا ولكنه لم يكن هو القصد الذى قصده فإنه « رئيس السلام » الذى « لنمو رياسته » و « للسلام » لا نهاية » (اقرأ إش ٩ : ٦ و ٧) بل هو « إله السلام » « الذى سيسحق الشيطان تحت أرجلكم سريعاً » (رو ١٦ : ٢٠) . أليس هو ، جل اسمه ، الذى « إذ شتم لم يكن يشتم عوضاً ؟ وإذ تألم لم يكن يهدد بل كان يسلم لمن يقضى بعدل » ؟ (١ بط ٢ : ٢٣ و ٢٤) . أليس هو ، تعالى اسمه ، الذى والمسامير تدق فى يديه ورجليه صلى لأجل صالبيه وأعدائه ؟ قائلا : « يا أبتاه إغفر لهم ؛ لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون » ؟ (لو ٢٣ : ٣٤) .

على هذا القياس يمكن اتباع السلام مع جميع الناس بمحبة الأعداء والصلاة لأجل المبغضين والاهتمام بعمل الخير معهم ولهم . فإذا كانت النتيجة لهذه الأعمال المبرورة هى وضع نار على رؤوسهم ، فهى نار غير مقصودة تضطرم على رؤوس الأعداء منهم

للذواتهم على حد القول : « طال على نفسى سكنها مع مبغضى السلام ، أنا سلام وحينما أتكلم فهم للحرب » (مز ١٢٠ : ٦ و ٧) . فما على الذين « بتأديب الرب » اجتنبوا ثمر بر للسلام » — ما عليهم إلا أن يذعنوا للنصح المبارك القائل : « اتبعوا السلام مع الجميع » :—

« والقـــداسة » :

رأينا فى القول : « اتبعوا السلام مع الجميع » واجب الإنسان فى علاقته بالإنسان . والآن سنتقدم لنرى ما على الإنسان من واجب نحو الله ، وهو الواجب المتضمن فى القول : « اتبعوا . . . القداسة » . تلك « القداسة » التى سبق الكلام عنها فى الركن التعليمى فى النص القائل : « وأما هذا (فيؤدبنا) فلأجل المنفعة ؛ لكى نشترك فى قداسته » أى فى قداسة الله (راجع شرح ع ١٠) .

أما « القداسة » — فى ركنها العملى — فترجع بنا إلى عملية التقديس قديماً ؛ حيث انحدر موسى من جبل سيناء « وقدّس الشعب وغسلوا ثيابهم » استعداداً للترائى أمام رب الجنود الحال فوق الجبل (اقرأ خر ١٩ : ١٤ و ١٥) . فهو مجرد تقديس شرعى يقوم بتطهيرات وغسلات وفرائض جسدية بمقتضى كل نظام الشرع الناموسى فى تقديس الشعب لخدمة الله والظهور فى مقادسه — إلى هذا التقديس الشرعى يشير الرسول فى كلامه عن تلك الصورة الرمزية فى هذا التقديس الشرعى « الذى فيه تقدم قرابين وذبائح لا يمكن ، من جهة الضمير ، أن تكمل الذى يخدم ، وهى قائمة بأطعمة وأشربة وغسلات مختلفة وفرائض جسدية ، فقط موضوعة إلى وقت الإصلاح » (راجع شرح ص ٩ : ٩ و ١٠) .

على أن هذا التقديس يحمل ، أيضاً ، معنى التكريس الذى أشار إليه ذات الرسول ، بقوله : « لأن موسى ، بعد ما كلم جميع الشعب بكل وصية بحسب الناموس ، أخذ دم العجول مع ماء وصوفاً قرمزياً وزوفا ورش الكتاب نفسه وجميع الشعب ، قائلا : « هذا هو دم العهد الذى أوصاكم الله به » والمسكن ، أيضاً ، وجميع آنية الخدمة رشها كذلك بالدم » (اقرأ خر ٢٤ : ٣ — ٨ راجع شرح ص ٩ : ١٩ — ٢١) .

على أن هذا التقديس وهذا التكريس قد تم بهما ، أيضاً ، عملية التخصيص التى بها يتقدس أناس خصوصيون لأعمال خاصة كما هو واضح فى تقديس هرون وبنيه لخدمة الكهنوت الإلهية فى مقدس الرب وهيكله المقدس وقدس أقداسه ؛ كما هو واضح من قول الرب لموسى : « لبنى هرون تصنع أقمصة وتصنع لهم مناطق وتصنع لهم قلانس « للمجد والبهاء » . وتلبس هرون أخاك إياها وبنيه معه ، وتمسحهم وتملأ أياديهم وتقدسهم ليكهنوا لى » (خر ٢٨ : ٤٠ و ٤١ اقرأ ع ٣٦) .

وعلى رأس هؤلاء المقدسين المكرسين المخصصين — على رأسهم جميعاً ذلك الشخص العجيب الذى قال فى صلاته الكهنوتية ، لأجل تلاميذه : « لأجلهم أقدس أنا ذاتى » (يو ١٧ : ١٩) . هذا هو الابن الحبيب العجيب الذى « قدسه الآب وأرسله » (يو ١٠ : ٣٦) .

أما تقديس الآب له وإرساله إياه فقد رأيناه واضحاً فى قول ذات الرسول : « لأنه لاق بذاك — « الآب » — الذى من أجله الكل وبه الكل — وهو آت بأبناء كثيرين إلى المجد (لاق به) أن يكمل رئيس خلاصهم — الرب يسوع — بالآلام » (راجع شرح ص ٢ : ١٠ و ٥ : ٧ — ٩ مع شرح الصلاة الكهنوتية يو ١٧ : ١٩ للمؤلف) . فلا يمكن أن يعنى هذا التقديس إلا التكريس الذى كرس به الآب ابنه لعملية الفداء ، والذى قدس الابن ذاته لإتمامها . على أن « القداسة » ، فى هذا الركن العملى الذى نحن بصدده ، موصوفة بأنها « القداسة » : —

« التى بدونها لن يرى أحد الرب» :

« فالقداسة » إذاً بهذا الوصف ليست هى التقديس الشرعى ولا التكريس الذاتى ولا التخصيص العملى ؛ بل هى صفة « للانسان الباطن » الذى طلب رسول الأمم أن يتأيد فيه المؤمنون ؛ حيث قال : « بسبب هذا أحنى ركبتى لدى (الآب) أبى ربنا يسوع المسيح . . . أن تتأيدوا بالقوة بروحه فى الإنسان الباطن ؛ ليحل المسيح بالإيمان فى قلوبكم » « أف ٣ : ١٤ — ١٧) .

وإذا رجعنا إلى خطاب العرش الإلهي المجيد الذى نطق به الملك ذاته مفصلا فيه حقيقة ملكوته ، حيث قال فى ديباجة ذلك الخطاب : « طوبى للأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله » (مت ٥ : ٨) — إذا رجعنا إلى هذا القول السنى تتلألأ أمامنا صورة إيجابية « للقداسة » التى توصف هنا بنقاوة القلب . فهذه النقاوة التى بها نعاين الله هى ذات « القداسة التى بدونها لن يرى أحد الرب » .

أما معاينة الله ورؤية الرب فهما صيغتان لتعبير واحد فيه نرى الرؤيا واضحة عيانية ، وذلك بالرغم من قول الرسول: « لأننا بالإيمان نسلك لا بالعيان » (٢ كو ٥ : ٧) . فإن نقاوة القلب وقداسة السيرة ترتفع بقوة الإيمان إلى الرؤيا العيانية بقوة الروح القدس التى قال عنها يوحنا الرائى : «كنت فى الروح فى يوم الرب » فسمعت صوتاً والتفت لأنظر فرأيت « سبع منائر من ذهب وفى وسط السبع المناير شبه ابن إنسان » (اقرأ رؤ ١ : ٩ — ١٨) .

ولا عجب ! فإن نقاوة القلب وطهارة النفس وقداسة الروح — كلها عوامل داخلية قوية ونور كشاف يكشف أمام عين الإيمان الحقيقى عجائب الشريعة الإلهية (مز ١١٩ : ١٨). ورؤى الوحى المقدس التى قال عنها الرسول أيضاً : « نتكلم بحكمة الله فى سر — الحكمة المكتومة — التى سبق الله فعينها قبل الدهور لمجدنا ، التى لم يعلمها أحد من عظماء هذا الدهر » (اقرأ ١ كو ٢ : ٦—٨) « قارنين الروحيات بالروحيات » (١ كو ٢ : ١٣) لنرى ذات الله فى وحيه المقدس وفى إعلاناته السماوية عن ذاته الإلهية .

فما أبهى وما أجمل أن يشترك المؤمن عملياً فى قداسة الله عن طريق « تأديب الرب » ! فيكون بهذه الطريقة قد اجتنى أشهى « ثمر بر للسلام » (راجع شرح ع ١١) . وذلك بمقتضى قول الرسول : « إن كان إنساننا الخارج يفنى (« بالحزن » « بتأديب الرب ») . فالداخل (« الإنسان الباطن ») يتجدد يوماً فيوماً ، لأن خفة ضيقتنا الوقتية تنشئ لنا ، أكثر فأكثر ، ثقل مجد — أبدياً — ونحن غير ناظرين إلى الأشياء التى ترى ؛ بل إلى التى لا ترى ؛ لأن التى ترى وقتية ، وأما التى لا ترى فأبدية » (٢ كو ٤ : ١٦ —

١٨ اقرأ ع ١٦ — ٥ : ١٠) . لذلك فلنصغ ونعمل بمقتضى القول : « اتبعوا السلام مع الجميع والقداسة التى بدونها لن يرى أحد الرب » : —

(ع ١٥) « ملاحظين » :

بعد أن قدم الرسول نصحاً مشدداً بما يجب اتخاذه واتباعه فى الآيتين السابقتين (راجع شرح ع ١٣ و ١٤) ، بدأ هنا بإنذار وتحذير قوى ، قائلا : « ملاحظين » ، وهى كلمة تعبر عن أمر يحمل فى طياته تنبيهاً قوياً وتوجيهاً لتفكير جدى وحرص دقيق مع كل ما يتعلق بفرط الملاحظة ودقتها ، بشأن خطورة يهدف إلى ابرازها ، منبهاً إليها بالقول « ملاحظين » :

أما « الملاحظة » عملياً فإنها تتصل اتصالا تاماً بحاسة النظر — لا نظر العين الجسدية ؛ بل نظر القوى الروحية الذى تحدث عنه ذات الرسول بالقول : « ناظرين إلى رئيس الإيمان ومكمله يسوع » (راجع شرح ع ٢) . وهو أمر يستلزم النظر الدقيق والتأمل الروحى العميق والمراعاة الموفقة لكل أمر من الأمور للوصول إلى مداخله وعمق معانيه . وبخاصة إذا كان هو الأمر الذى سيتحدث عنه الرسول فى هذه المناسبة .

فإنه أمر يرجع بنا إلى التحذير الذى حذرنا به سابقاً فى قوله : « لذلك يجب أن نتنبه أكثر إلى ما سمعنا لئلا نفوته » (راجع شرح ص ٢ : ١) . وإلى التحذير الأشد القائل : « فلنخف ، أنه مع بقاء وعد بالدخول إلى راحته ، يرى أحد منكم أنه قد خاب منه » (راجع شرح ص ٤ : ١) . لذلك يقول : « قوّموا الأيادى المسترخية والركب المخلعة واصنعوا لأنفسكم مسالك مستقيمة لكن لا يعتسف الأعرج ، بل بالحرى يشفى . اتبعوا السلام مع الجميع والقداسة التى ، بدونها ، لن يرى أحد الرب ، ملاحظين » : —

« لئلا يخيب أحد من نعمة الله » :

وهل نستطيع أن نجلس هنيهة مع الرسول جلسة خيالية لنرى الجزع يملأ قلبه والفزع يعلو وجهه والخوف يرعش يده وهو يكتب : « لئلا يخيب أحد من نعمة الله » ؟

فالأمر جد خطير يستحق شدة الملاحظة ودقة المراقبة وكل المراعاة والانتباه — أمر يوقف كل مسئول أمام مسئولية خطيرة سواء أكان من جهة نفسه أو من جهة غيره ، وذلك بمقتضى ما سبق فعبر عنه ذات الرسول ، قائلا : « لنلاحظ بعضنا بعضاً للتحريض على المحبة والأعمال الحسنة ، غير تاركين اجتماعنا كما لقوم عادة ؛ بل واعظين بعضنا بعضاً ، وبالأكثر على قدر ما ترون اليوم يقرب »(راجع شرح ص ١٠ : ٢٤ و ٢٥) . لذلك يقول « ملاحظين » : —

« لئلا يخيب أحــد » :

حيث يتحدث عن خيبة سبق أن تحدث عنها — كما أشرنا سابقاً — فى قوله : « يرى أحد منكم أنه قد خاب » (راجع شرح ص ٤ : ١) . وما أمر الخيبة ! وما أردأ الفشل ! وبخاصة إذا اقترن « بالارتداد » الذى يخشى منه ، فلابد أن قلب الرسول كان يفزع جداً خوفاً ، على أولئك العبرانيين الذين كان يراهم وخطر «الارتداد » محدق بهم.

وما أكثر التحذيرات التى صدرت منه بشأن هذا الخطر ! وبخاصة وقد رآهم «متباطىء المسامع » (راجع شرح ص ٥ : ١١) « يحتاجون أن يعلمهم أحد ما هى أركان بداءة أقوال الله » — أطفالا « محتاجين إلى اللبن » (راجع شرح ص ٥ : ١٢) « عديمى الخبرة فى كلام البر » (راجع شرح ص ٥ : ١٣) ليست لهم « الحواس مدربة على التمييز بين الخير والشر » (راجع شرح ص ٥ : ١٤) .

على مثل هؤلاء الأطفال خوف شديد من السقوط فى « عبرة العصيان » التى وقع فيها أباؤهم فى البرية يوم أن تذمروا على موسى وعلى الرب ، قائلين : « أليس خيراً لنا أن نرجع إلى مصر » ؟ فقال بعضهم لبعض : « نقيم رئيساً ونرجع إلى مصر » (اقرأ عد ١٤ : ١ — ٤ راجع شرح ص ٤ : ١١) .

وما هى « عبرة العصيان » هذه ؟ هى التى سبق أن أشار إليها الرسول فى قوله : « كل تعد ومعصية نال مجازاة عادلة » (راجع شرح ص ٢ : ٣ انظر رو ١١ : ٣٠ — ٣٢ اقرأ مز ٦٩ : ٢٢ — ٢٨ و ٩٥ : ٧ — ١١ مع إش ٢٩ : ١٠ — ١٢ مع رو ١١ : ٩ و ١٠ راجع شرح ص ٤ : ٨ — ١١) . فما أشر الخيبة ! وما أخطر نتائجها ! فلا عجب إذا كان الرسول يحذر بشدة ويوصى بقوة « لئلا يخيب أحد » : —

« من نعمــة الله » :

لعل « نعمة الله » فى هذه المناسبة هى ذات ما عبر عنها سابقاً تحت عنوان « راحة الله » حين قال : « فلنخف ، أنه مع بقاء وعد بالدخول إلى « راحته » راحة الله — يرى أحد منكم أنه قد خاب منه » — أى من الوعد براحة الله (راجع شرح ص ٤ : ١).

فإن الوعد براحة الله إنما هو وعد بالنعمة الإلهية للذين اختارهم الله الآب «للتبنى بيسوع المسيح لنفسه ، حسب مسرة مشيئته ، لمدح مجد « نعمته » التى « أنعم بها » علينا فى المحبوب » (أف ١ : ٥ و ٦ اقرأ ع ٣ — ٩) .

هذه حقيقة تتبين من الكلمة النبوية التى نطق بها المرنم قائلا : « قم يارب إلى راحتك أنت وتابوت عزك — كهنتك يلبسون البر وأتقياؤك يهتفون — من أجل داود عبدك (« المحبوب » أف ١ : ٦) لا ترد وجه مسيحك (« بيسوع المسيح » أف ١ : ٥) . أقسم الرب لداود (« مسيحه ») بالحق ، لا يرجع عنه » . « من ثمرة بطنك أجعل على كرسيك . . . لأن الرب قد اختار « صهيون » («كنيسة الله التى اقتناها بدمه » أع ٢٠ : ٢٨) .اشتهاها مسكناً له . هذه هى راحتى إلى الأبد . ههنا أسكن لأنى اشتهيتها » (مز ١٣٢ : ٨ — ١٢) .

وصف يعلو بنا إلى أعلى عليين ويرتقى بنا ليرتفع فوق « أرض الموعد » — كنعان التى تنجست — إلى « جبل صهيون » — « أورشليم العليا التى هى أمنا جميعاً » (انظر شرح غل ٣ : ٢٦ للمؤلف) — « المدينة المقدسة » — « أورشليم الجديدة » التى رآها الرائى اللاهوتى يوحنا « نازلة » من السماء — من عند الله — متهيأة كعروس مزينة لرجلها» (رؤ ٢١ : ٢ و ٣ اقرأ ع ٢ — ٧ مع باقى الأصحاح انظر شرح ع ٢٢ — ٢٤) .

هذه هى « نعمة الله » فى « جبل صهيون » بمقابلة « الناموس » فوق « جبل سيناء » كما سنرى فى شرح (ع ١٨ — ٢٤) . هى نعمة « الخلاص » العجيب الذى بدأ رب المجد نفسه بالكرازة به بعد أن انتهت رسالة يوحنا المعمدان بدخوله إلى السجن ؛ حيث قيل : « بعد ما أسلم يوحنا (المعمدان) جاء « يسوع » إلى الجليل يكرز ببشارة

ملكوت الله ويقول : « قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله . فتوبوا وآمنوا بالإنجيل » (مر ١ : ١٤ و ١٥) .

هذه هى « بشارة نعمة الله » التى قال بولس الرسول بشأنها : « لست أحتسب لشئ ولا نفسى ثمينة عندى حتى أتمم ، بفرح ، سعيى والخدمة التى أخذتها من الرب يسوع لأشهد « ببشارة نعمة الله » (أع ٢٠ : ٢٤ راجع شرح ص ٢ : ١ — ٤) .

هذه هى « نعمة الله » — خلاصه العجيب بدم ابنه الثمين وبروحه الأقدس — هذه هى « النعمة » التى « خاب منها » أولئك الآباء العبرانيون وفشلوا فى الحصول عليها ، وذلك يوم أن صدر عليهم الحكم القضائى فى قول الرب : « جربنى آباؤكم ، اختبرونى أبصروا ، أيضاً ، فعلى ، أربعين سنة مقت ذلك الجيل وقلت : « هم شعب ضال قلبهم وهم لم يعرفوا سبلى فأقسمت ، فى غضبى ، لا يدخلون راحتى »» ، فى هذا الصدد يقول الرسول : « لأنه لو كان يشوع قد أراحهم ، لما تكلم بعد ذلك عن يوم آخر قائلا فى داود : « اليوم إن سمعتم صوته ، فلا تقسوا قلوبكم كما فى مريبة مثل « يوم مسة » فى البرية »» (قابل مز ٩٥ : ٧ — ١١ مع شرح ص ٤ : ٣ — ٩ وبالحرى شرح ص ٣ : ٧ — ٤ : ٩) .

فما أعظم الويل ! وما أدهى النكبة ! وأمرّ الخيبة التى فيها يخيب المرتدون عن الإيمان بالمسيح ، لذلك يقول بشدة « ملاحظين لئلا يخيب أحد من نعمة الله » : —

« لئلا يطلع أصل مرارة » :

فالخطر كبير يستلزم الإنذار والتحذير : « ملاحظين » ليس فقط « لئلا يخيب أحد من نعمة الله » بل « ملاحظين » بالحرى « لئلا يطلع أصل مرارة » .

أما « أصل المرارة » فإنه يرجع بنا إلى « موسى » وهو ينشد « بكلمات العهد » التى نطق بها فى مسامع الشعب ، وذلك عند انتهاء خدمته ؛ حيث قال فى نشيده : « لئلا يكون فيكم « أصل يثمر علقماً وأفسنتيناً » (تث ٢٩ : ١٨) . قال هذا وهو يتحدث فى نشيده عن أى إنسان أو أية عشيرة أو أى سبط « قلبه منصرف عن الرب » إلهه

ليعبد الآلهة الباطلة . وإذ يسمع تلك اللعنة المخيفة المعدة لمن هو مثله لا يرجع عن طغيانه بل يزداد فيه — « يتبرك فى قلبه » — متبجحاً فى عناده قائلا : « يكون لى سلام ، إنى ، بإصرار قلبى ، أسلك » (اقرأ تث ٢٩ : ١٨ — ٢١) .

طبقاً لهذا النشيد الموسوى ، كأن الرسول يقول : « لئلا يخيب أحد من نعمة الله » ، وفى حال هذه الخيبة المرة يتجبر فى عناد وتبجح ، يثمر علقماً وأفسنتيناً » ومنه « يطلع أصل مرارة » :

« ويصنع انزعاجاً » :

يتبين هذا الانزعاج جلياً فى مثل الزوان المزروع فى وسط الحنطة ، حيث نرى فى هذا المثل « انزعاجاً » فى نفوس عبيد رب البيت ، وعبروا عن انزعاجهم بقولهم لسيدهم : « يا سيد ! أليس زرعاً جيداً زرعت فى حقلك ؟ فمن أين له زوان » ؟ (مت ١٣ : ٢٧) — أمر يوجب الدهشة ويسبب انزعاجاً (اقرأ مت ١٣ : ٢٤ — ٣٠).

وقد فسر السيد المسيح هذا المثل بالإشارة إلى بنى الشرير (الزوان) الذين يزرعهم ذلك العدو الشرير — « إبليس » — فى وسط بنى الملكوت — « الزرع الجيد » — الذين يزرعهم ابن الإنسان (اقرأ مت ١٣ : ٣٦ — ٤٢) . وما أشد الانزعاج الذى يزرعه بنو الشرير فى وسط أبناء الملكوت !

وما أشر الانزعاج وما أمر بلبلة الأفكار لظهور « الزوان » فى وسط « الحنطة » ! ووجود أبناء الشرير بين أبناء الله ! وما أعظم الفرق بين « سلطان الظلمة » وبين « ملكوت ابن محبته » ! (كو ١ : ١٣) . فلا عجب ! إذا قال الرسول : « لئــلا يطلع أصل مرارة ويضع انزعاجاً» : —

« فيتنجس به كثيرون » :

الكلمة « يتنجس » تنطق فى أذهاننا بصوت مفزع عن عملية مخيفة لها نتائجها المرة هى عملية التنجيس — تلك العملية التى تقف وجهاً لوجه ضداً لعملية التقديس التى أشار إليها الرسول سابقاً وهو يتحدث عن « أبى الأرواح » الذى يؤدبنا « لكى نشترك فى

قداسته » (راجع شرح ع ١٠) . وبخاصة وهو يوصى بالحياة العملية قائلا : « اتبعوا... القداسة التى بدونها لن يرى أحد الرب » (راجع شرح ع ١٤) ، أما القول : —

« فيتنجس به » :

فهو تعبير يشير إلى عملية التنجيس عن طريق شخصية قائمة بها — هى تلك الشخصية التى أشار إليها الرسول فى بدء هذه الآية معبراً عنها بكلمة « أحد » يراه فى خطر أن « يخيب » من نعمة الله ، وفى خيبته يصبح خطراً إذ يكون « أصل مرارة ويصنع انزعاجاً ؛ فيتنجس به كثيرون » .

ولعله ! وهو يتحدث عن هذا الأمر الشنيع ذكر أولئك المعلمين الكذبة الذين كانوا يعملون فى دائرة هذا التنجيس متمنياً إزالتهم من الوجود ؛ حيث قال لجماعة الغلاطيين : « « ياليت الذين يقلقونكم (« يزعجونكم ») « يقطعون » أيضاً » تعقيباً على قوله : « ولكن الذى « يزعجكم » سيحمل الدينونة أى من كان » (راجع شرح غل ٥ : ١٠ — ١٢ للمؤلف) .

هكذا كان يخشى الرسول أن « أحداً » من تلك الجماعة « يخيب . . . من نعمة الله » فيتسلمه الشيطان وبه تسرى عدوى تلك الخيبة وتتسلل نجاستها فى كنيسة الرب يسوع التى هى جسده ، فيسقط الكثيرون فى فخ إبليس وتسوء النتيجة الوخيمة التى كان يخشاها يوم كان يتحدث معهم عن شر « الارتداد » بمقتضى القول النبوى : « أما البار فبالإيمان يحيا ، وإن ارتد لا تسر به نفسى » معقباً عليه بالقول : « وأما نحن فلسنا من الارتداد للهلاك ؛ بل من الإيمان لاقتناء النفس » (راجع شرح ص ١٠ : ٣٨ و ٣٩) . وها هو هنا يشدد النصح مكرراً إياه مراراً عديدة فيقول ، معاوداً :

(ع ١٦) « لئلا يكون أحد زانياً أو مستبيحاً كعيسو » :

من الأمور التى تستحق التأمل — فى هذا التعبير الذى أمامنا — تكرار الكلمة « لئلا » التى يستعملها الرسول هنا للمرة الثالثة ؛ حيث سبق أن قال : « لئلا يخيب أحد » — « لئلا يطلع أصل مرارة » — وها هو الآن يقول : —

« لئــلا » :

وهي كلمة فى أصل تركيبها « لأن لا » أضغم فيها الحرفان النون واللام المتقاربان ؛ فصارت بالإضغام « لئلا » ، وفى تركيبها ثلاثة مقاطع : — المقطع الأول الحرف « لـ » بمعنى لكى للتعليل — المقطع الثانى « أن » وهو حرف نصب ينصب ما بعده من الأفعال كما رأينا فى العدد السابق « أن يخيب » و « أن يطلع » و «أن يصنع » و« أن يتنجس » كما سنرى فى القول أن « يكون » — أما المقطع الثالث فهو الحرف « لا » النافية وبهذا المعنى يقال « لئلا » : —

« يكون أحــد زانياً » :

هذا هو الخطر الثالث الذى يضمه الرسول إلى الخطرين السابقين اللذين تحدث عنهما فى العدد السابق حيث قيل : « لئلا يخيب أحد من نعمة الله » . « لئلا يطلع أصل مرارة ويصنع انزعاجاً » — (راجع الشرح) — وها هو يقول هنا : « لئلا يكون أحد زانياً » .

أما « الزنى» فإنه فى معناه يحمل حالة البعد عن الله ؛ كما قيل : « لأنه هوذا البعداء عنك يبيدون » مفسراً هذا البعد بقوله : « تهلك كل من يزنى عنك » (مز ٧٣ : ٢٧) . وهذه هى الحالة التى وصف بها شعب الله المرتد عنه موصوفاً بالقول : « أمهم قد زنت ، التى حبلت بهم صنعت خزياً ؛ لأنها قالت : أذهب وراء محبى الذين يعطون خبزى ومائى . . . أعاقبها على أيام بعليم التى فيها كانت تبخر لهم وتتزين بخزائمها وحليها وتذهب وراء محبيها وتنسانى أنا يقول الرب» (هو ٢ : ٥ و١٣ اقرأ كل الفصل) .

هذا هو الوصف الخاص الذى وصف به بيت يهوذا حيث تصور بصورة أكثر بشاعة من بيت إسرائيل بل من سدوم حيث قيل : « أمكن حثية وأبوكن أمورى ، وأختك الكبرى السامرة هى وبناتها الساكنة عن شمالك . وأختك الصغرى الساكنة عن يمينك هى سدوم وبناتها ، ولا فى طريقهن سلكت ولا مثل رجاستهن فعلت . كأن ذلك قليل فقط ؛ ففسدت أكثر منهن فى كل طرقك » (حز ١٦ : ٤٥ — ٤٧ اقرأ ع ٤٤ — ٥٢) .

هذا هو « الزنى » — الصورة البشعة — التى تمثلها الرائى حيث رأى « امرأة جالسة على وحش قرمزى مملوء أسماء تجديف (على الإله الحى) . . . والمرأة كانت متسربلة بإرجوان وقرمز ومتحلية بذهب وحجارة كريمة ولؤلؤ (بكل حلى عالمى ومفاخر الحياة الدنيا) . ومعها كأس من ذهب فى يدها مملوة رجاسات ونجاسات زناها . وعلى جبهتها اسم مكتوب « سر » — بابل العظيمة — أم الزوانى ورجاسات الأرض » (رؤ ١٧ : ٣ — ٥ اقرأ ع ١ — ٦) .

هذا هو « الزنى » — « الفجور والشهوات العالمية » — الذى ظهرت نعمة الله المخلصة ، معلمة إيانا أن ننكره وأن نعيش بالتعقل والبر والتقوى فى العالم الحاضر (اقرأ تى ٢ : ١١ و ١٢) . لذلك يوصى الرسول بطرس جميع المؤمنين ، قائلا « أيها الأحباء ! أطلب إليكم ، كغرباء ونزلاء ، أن تمتنعوا عن الشهوات الجسدية التى تحارب النفس » (١ بط ٢ : ١١) . هذا هو الخطر الذى يحذر الرسول منه بالقول : « لئلا يكون أحد زانياً » : —

« أو مستبيحاً » :

أما الاستباحة فهى أن يعطى الإنسان نفسه حق التصرف فيما لا يحق له التصرف فيه. وهذه الإباحة أو الاستباحة تحيط بكل نعم الله التى ينعم بها على الإنسان ؛ حيث يصير الإنسان تحت هذه النعم الغامرة بكل أنواعها — يصير تحت مسئولية عظمى هى مسئولية التصرف كوكيل أمين عليه أن يعطى حساباً دقيقاً عن وكالته بمقتضى نص ما قيل لوكيل الظلم : « ما هذا الذى أسمع عنك ؟ أعط حساب وكالتك ؛ لأنك لا تقدر أن تكون وكيلا بعد » (لو ١٦ : ٢ اقرأ ع ١ — ١٢) .

أو بمقتضى نص ما قيل للعبد البطال : « خذوا منه الوزنة وأعطوها للذى له العشر وزنات ؛ لأن كل من له يعطى فيزداد . ومن ليس له فالذى عنده يؤخذ منه » (مت ٢٥ : ٢٨ و ٢٩ اقرأ ع ١٩ — ٣٠ مع لو ١٩ : ٢٠ — ٢٦) . هذا هو الخطر الذى يحذر منه الرسول قائلا : « لئلا يكون أحد زانياً أو مستبيحاً » : —

« كعيسو » :

« عيسو » اسم لشخص ظهر فى التاريخ النبوى المقدس . وأول خبر تاريخى ورد عنه متضمن فى النص القائل : « وتزاحم الولدان فى بطنها » (تك ٢٥ : ٢٢) — فى بطن رفقة زوجة إسحق « ابن الموعد » (قابل تك ١٧ : ١٩ — ٢١ و ١٨ : ٩ — ١١ و ٢١ : ١ — ٣ و ١٢ مع رو ٩ : ٧ — ٩) — فإذ تزاحم الولدان فى بطنها ذهبت لتسأل الرب ، فقال لها الرب : « فى بطنك أمتان ومن أحشائك يفترق شعبان ، شعب يقوى على شعب وكبير يستعبد لصغير » (تك ٢٥ : ٢٣ اقرأ ع ١٩ — ٢٦) . هـذا هو « عيسو » فى البطن قبل أن يسمى بهذا الاسم .

أما « عيسو » لفظاً فهو أقرب ما يكون إلى لفظ اسم السيد المسيح الذى ورد فى القرآن ؛ حيث يقال : « المسيح عيسى » . على أننا ، إذا حركنا حرف ع (الحرف الأول فى اسم عيسو) وجعلنا ذلك الحرف الأول آخراً يصبح أمامنا هذا الاسم لا « عيسو » بل « يسوع » . فالاتصال بين الاسمين لفظاً أدق اتصال يتصوره إنسان ولكن ما أعظم الفرق بين الشخصين ! وبخاصة فى علاقتهما بالآب القدوس الذى قال عن : « يسوع » « ابنى الحبيب » (مت ٣ : ١٧ و ١٧ : ٥ مع مر ١ : ١١ و ٩ : ٧ مع لو ٣ : ٢١ و ٩ : ٣٥ مع ٢ بط ١ : ١٧) . أما عن « عيسو » فقال : « أبغضت عيسو » (ملا ١ : ٣ مع رو ٩ : ١٣) .

هذا هو « عيسو » وقد دعى بهذا الاسم « عيسو » بمقتضى النص القائل عن رفقة : « لما كملت أيامها لتلد إذا فى بطنها توأمان ؛ فخرج الأول أحمر ، كله كفروة شعر ؛ فدعوا اسمه عيسو » (تك ٢٥ : ٢٤ و ٢٥) ، وهو نص يدل على معنى اسم « عيسو » بوصف كونه « أحمر » وكله « كفروة شعر » — منظر يثبت ما قيل عنه : « وكان « عيسو » إنساناً يعرف الصيد « إنسان البرية » . وذلك بمقابلة ما قيل عن أخيه « يعقوب إنساناً كاملا يسكن الخيام » (تك ٢٥ : ٢٧) .

على أن الكلمة « أحمر » توجه أفكارنا إلى اسم آخر لقب به « عيسو » هو اسم « أدوم ». وذلك يتضح من نص كتابى آخر ؛ حيث قال عيسو ليعقوب : « أطعمنى

من هذا الأحمر (طبيخ العدس) . . . لذلك دعى اسمه أدوم » أى « أحمر » (تك ٢٥ : ٣٠ اقرأ ٢٩ و ٣٠ انظر تك ٣٦ : ١ و ٢ اقرأ كل الفصل مع إش ٦٣ : ١ مع سفر عوبديا . هذا هو « عيسو » (أدوم) الذى كان « زانياً ومستبيحاً » : —

« الذى لأجل أكلة واحدة باع بكوريته » :

ويالها من « أكلة » كانت شؤماً عليه — تلك « الأكلة » من طبيخ العدس الذى سبقت الإشارة إليها — « العدس » الذى كان يعقوب يطبخه وأتى عيسو من الحقل جائعاً خائر القوى معياً فقال ليعقوب : « أطعمنى من هذا الأحمر ؛ لأنى قد أعييت » (تك ٢٥ : ٣٠) .

ألا تذكرنا تلك الأكلة بأولئك الكثيرين الذين قال عنهم رسول الأمم : « الآن أذكرهم ، أيضا ، باكياً ، وهم أعداء صليب المسيح الذين نهايتهم الهلاك ، الذين « إلههم بطنهم » ومجدهم فى خزيهم ، الذين يفتكرون فى الأرضيات » (فى ٣ : ١٨ و ١٩) .

أولا نذكر فى هذه المناسبة قول السيد المسيح لتلاميذه ؟ « لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون وبما تشربون . . . أليست الحياة أفضل من الطعام » ؟ (مت ٦ : ٢٥) . فإن « الله » الذى أعطى الحياة — يعطى ، ولا بد ، الطعام اللازم لتلك الحياة (اقرأ ع ٢٥ و ٢٦ مع لو ١٢ : ٢٢ و ٢٤) .

يبنى « رب المجد » تعليمه هذا على اعتبار أن كل هذه الاهتمامات الجسدية مع كل مطاليبها تطلبها الأمم . ولذلك يوصى تلاميذه قائلا : « اطلبوا أولا ملكوت الله وبره وهذه كلها تزاد لكم » (اقرأ مت ٦ : ٣٢ و ٣٣ مع لو ١٢ : ٣٠ و ٣١) . وعلى هذا الأساس الراسخ الذى وضعه السيد المسيح فى تعليمه يبنى الرسول بولس ، ولا بد ، وصيته المباركة للذين كتب إليهم ، قائلا : « فلا يفتر على صلاحكم ؛ لأن ليس ملكوت الله أكلا وشرباً ؛ بل هو بر وسلام وفرح فى الروح القدس ؛ لأن من خدم المسيح فى هذه (فى كل ما يتعلق بملكوت الله) فهو مرضى عند الله ومزكى عند الناس » (رو ١٤ : ١٦ و ١٧) . فلا يكون أحد « زانياً أو مستبيحاً كعيسو ، الذى لأجل أكلة واحدة » : —

« باع بكوريته » :

« البكورية » ركن أساسي فى جميع الكتب المقدسة الموحى بها من الله التى قيل عنها أنها : « نافعة للتعليم والتوبيخ للتقويم والتأديب الذى فى البر ، لكى يكون إنسان الله كاملا متأهباً لكل عمل صالح » (٢ تى ٣ : ١٦ و ١٧) .

هى « البكورية » التى ، فى موضوعها ، تصل بنا إلى « العروس » التى هى «كنيسة أبكار مكتوبين فى السموات » (انظر شرح ع٢٣) . وترتفع بنا إلى العريس الذى قيل عنه « ليكون هو بكراً بين إخوة كثيرين » (رو ٨ : ٢٩ اقرأ ع ٢٨ — ٣٠) . هؤلاء الأبكار هم « أورشليم العليا هى أمنا جميعاً » (انظر شرح غل ٤ : ٢٦ للمؤلف). « أورشليم السماوية » (انظر شرح ع ٢٢) — « أورشليم الجديدة » التى رآها الرائى اللاهوتى يوحنا « نازلة من السماء ، من عند الله، مهيأة كعروس مزينة لرجلها » رؤ ٢١ : ٢ اقرأ ع ٢ — ٥ اقرأ باقى الأصحاح) .

وما أشهى « البكورية » ! التى ، عن طريقها ، يتأهل جميع الأبكار الذين سبق الكلام عنهم « لشركة ميراث القديسين فى النور » (كو ١ : ١٢) « لميراث لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل محفوظ فى السموات لأجلكم — أنتم الذين ، بقوة الله ، محروسون بإيمان لخلاص مستعد أن يعلن فى الزمان الأخير » (١ بط ١ : ٤ و ٥ اقرأ ع ٣ — ١٣) — « وعد الميراث الأبدى » (راجع شرح ص ٩ : ١٥) — بكورية ما أمجدها ! وما أسمى ميراثها ! وما أشهى الحصول عليها فى روحانيتها الأبدية !

على أن هذه البكورية قد برزت فى التاريخ النبوى شهوة جسدية للطبيعة الفاسدة ، وهذا أمر يتجلى أمامنا تجلياً واضحاً فى وجود توأمين فى البطن وفى قوة التزاحم الطبيعى بين التوأمين للخروج أولا احتفاظاً بتلك « البكورية » وكل ما يتصل بها . وهو تزاحم جسدى فاسد يولده ذلك الفساد الطبيعى الذى وصفه السيد المسيح ، قائلا : « المولود من الجسد جسد هو » (يو ٣ : ٦) . وصدر به النشيد النبوى الذى نطق به المرنم بنغمة الحزن والأسى ، قائلا : « هأنذا بالإثم صورت وبالخطية حبلت بى أمى » (مز ٥١ : ٥)

هو الفساد الطبيعى الذى اعترف به رسول الأمم بنغمة الحزن العميق ، قائلا : « فإنى أعلم أنه « ليس ساكن فى أى فى جسدى شىء صالح » . . . فإن كنت ما لست أريده إياه أفعل فلست بعد أفعله أنا ، بل الخطية الساكنة فى » (اقرأ رو ٧ : ١٨ — ٢١) . هذا هو الفساد الطبيعى العامل بقوة لا تحد فى تزاحم الجنينين « عيسو » و « يعقوب » على « البكورية » ففاز بها عيسو وانخزل يعقوب وتم فى كليهما القول : «لأن اهتمام الجسد هو عداوة لله إذ ليس هو خاضعاً لناموس الله ، لأنه ، أيضاً ، لا يستطيع » (اقرأ رو ٨ : ٧ مع تك ٢٥ : ٢٢ — ٢٦) . وهكذا كان الموقف مع توأمين آخرين هما فارص وزارح ولدا تامار (اقرأ تك ٣٨ : ٢٧ — ٣٠ مع مت ١ : ٣) .

هذا هو التزاحم الطبيعى الفاسد على « البكورية » . لذلك أعلن الوحى المقدس أنه ، لا توأمة بين الأبكار الذين هم ليسوا أبناء « الجسد » بل أبناء « الموعد » . كما يتضح جلياً من الوعد بإسحق الذى ولد من أم عاقر وتم فيه القول : « وأما نحن ، أيها الإخوة ، فنظير إسحق أولاد الموعد » . كما يقول الكتاب : « اطرد الجارية وابنها ؛ لأنه لا يورث ابن الجارية مع ابن الحرة » (اقرأ تك ١٧ : ١٥ — ١٩ و ١٨ : ٩—١٤ و ٢١ : ٩ — ١٢ مع رو٩ : ٦ — ٨ انظر شرح غل ٤ : ٢٨ — ٣١ للمؤلف) .

وهل لا ينطبق هذا الوصف بعينه على ذلك الجنين لأم عاقر وهو بعد جنين فى البطن ؟ —ذلك الجنين الذى لما سمعت أمه أليصابات سلام مريم أم يسوع « ارتكض الجنين بابتهاج فى بطنها (بطن أليصابات) (لو ١ : ٤١) . فإن هذا الجنين هو ، أيضاً « ابن الموعد » (إقرأ لو ١ : ١٣ — ٢٠) .

وهل ننسى ذلك البكر الأعلى (مت ١ : ٢٥) ، الذى جاءت عنه النبوة القائلة : « وأنا أيضاً أجعله بكراً أعلى من ملوك الأرض » ؟ (مز ٨٩ : ٢٧) وبشرت العذراء بولادته فى قول الملاك لها : « ها أنت ستحبلين وتلدين ابناً وتسمينه يسوع ، هذا يكون عظيماً وابن العلى يدعى » ؟ (قابل لو ١ : ٣١ و ٣٢ مع مت ١ : ١٨ — ٢٥) .

هؤلاء « الأبكار » وعلى رأسهم رئيسهم يسوع « البكر » — هم أبكار بالموعد لا بالولادة الطبيعية ولا بالتزاحم . هم أولئك الممثلون فى السبط الكهنوتى الذى أفرز من بين الشعب بدل كل أبكار بنى إسرائيل لخدمة بيت الرب (اقرأ عد ٣ : ١١ — ١٣ و ٨ : ٥ — ١٨ انظر شرح ع ٢٣) . .

هذا هو « الكهنوت الملوكى » الذى سيقدسه الكاهن الأعلى بمقتضى الكلمة النبوية القائلة : « هأنذا أرسل ملاكى (يوحنا المعمدان) فيهيئ الطريق أمامى ، ويأتى بغتة إلى هيكله السيد الذى تطلبونه وملاك العهد الذى تسرون به . هوذا يأتى قال رب الجنود . . . فيجلس ممحصاً ومنقياً للفضة ؛ فينقى بنى لاوى (كنيسة الأبكار)ويصفيهم كالذهب والفضة ؛ ليكونوا مقربين « للرب » تقدمة بالبر » (اقرأ ملا ٣ : ١ — ٣ و ٤ : ٥ و ٦ مع لو ١ : ١٥ — ١٧) . هذه هى « البكورية » الحقيقية التى زنا عنها « عيسو » مبتعداً عن معطيها الحقيقى وتم فيه القول : —

« باع » — بكوريته » :

فى بيع هذه « البكورية » نرى عيسو « زانياً ومستبيحاً » كما سبقت الإشارة على اعتبار أن الزنا هو ابتعاد عن الحق الإلهى المعلن الذى فاز به عملياً فى خروجه بكراً ، وهو الحق الذى اعترف به إسحق أبوه عندما دعاه ليباركه قبل وفاته : وذلك بوصف كونه بكره (اقرأ تك ٢٧ : ١ — ٤) ، على اعتبار أن البكر يكون رب بيت إخوته وسيداً لهم (تك ٢٧ : ٣٧) .

أما « عيسو » فقد أضاع هذا الامتياز العظيم المعطى من الله للأبكار ، وأضاع كل علاقة حقيقية مع إله إسحق أبيه وجده إبراهيم فابتعد عن هذا البيت المبارك المقدس للرب ؛ وبهذا يصدق القول أنه كان « زانياً » وفى ذات الوقت كان « مستبيحاً » ، فإنه استباح — أباح لنفسه أن يتصرف فى حق الله (حق البكورية) — وتصرف فى هذا الحق ؛ حيث قال : « أنا ماض إلى الموت فلماذا لى « بكورية » ؟ . . . فحلف . . . فباع بكوريته ... فأكل وشرب وقام ومضى : « فاحتقر عيسو البكورية » » (اقرأ تك ٢٥ : ٣٢ — ٣٤) . هكذا كان عيسو « زانياً ومستبيحاً » ، لأنه « لأجل أكلة واحدة باع بكوريته » : —

(ع ١٧) « فإنكم تعلمون » :

هنا يوجه الرسول كلامه إلى العبرانيين الذين يكتب إليهم قائلا : « فإنكم تعلمون »، وكيف لا يعلمون ؟ والتاريخ المقدس بين أيديهم ، يتحدث إليهم عن تلك « الأيام السالفة » ؟ (راجع شرح ص ١٠ : ٣٢) — تلك الأيام التى ظهرت فيها العداوة المتأسسة بين الجد الأكبر « يعقوب » وجد العمومة « عيسو » .

تلك العداوة المتأصلة فى طبيعتهما وهما بعد جنينان فى البطن . وقد نمت حتى وصلت إلى ذروتها حين خدع يعقوب أباه وسلب منه حق البكورية الذى أراد أن يعطيه لعيسو ، وهو الخداع الذى عبر عنه عيسو بقوله : « ألا إن اسمه دعى يعقوب ؟ فقد تعقبنى الآن مرتين — أخذ بكوريتى وهوذا الآن قد أخذ بركتى » . وهكذا وصل الحد إلى أن « حقد عيسو على يعقوب من أجل البركة التى باركه بها أبوه » . وهكذا وضع فى قلبه أن يقتله (تك ٢٧ : ٣٦ — ٤١ اقرأ كل الفصل) . فكيف لا يعلمون ؟ .

وما أعظم المسئولية الموضوعة على عاتق كل من يعلم ! وهى المسئولية التى بينها « رب المجد » فى قوله : « وأما ذلك العبد الذى « يعلم » إرادة سيده ولا يستعد ولا يفعل بحسب إرادته فيضرب كثيراً . . . وكل من أعطى كثيراً يطلب منه كثير ، ومن يودعونه كثيراً يطالبونه بأكثر » (اقرأ لو ١٢ : ٤٧ و ٤٨ مع مت ١٣ : ١٠ — ١٧ مع تث ٢٥ : ٢ و ٣) .

على أساس هذا المبدأ يقول السيد للفريسيين الذين سألوه قائلين : « ألعلنا نحن ، أيضاً ، عميان » ؟ فقال لهم « لو كنتم عمياناً لما كانت لكم خطية . ولكن الآن تقولون : « إننا نبصر » فخطيتكم باقية » (اقرأ يو ٩ : ٣٩ — ٤١ و ١٥ : ٢٢ — ٢٥) .

هذه الأقوال الإلهية الصادقة تلقى ضوءاً وهاجاً ونوراً كشافاً على تلك المسئولية التى تضعها المعرفة على عاتق العارفين ، ويلقيها العلم على كاهل العالمين — تلك المسئولية التى يوجه الرسول ، إليها ، نظر العبرانيين محذراً ، قائلا : « فإنكم تعلمون » : —

« أنه ، أيضاً ، بعد ذلك » :

لا يزال الكلام هنا عن « عيسو » وهو الظاهر فى الضمير الواضح فى كلمة « أنه » كما لو أن الرسول يقول للعبرانيين : « فإنكم تعلمون أن — « عيسو » — أيضاً بعد « ذلك » قاصداً أن يتحدث عنه « أيضاً » بعد ما « باع بكوريته » من أجل « أكلة واحدة » ، فإنه « بعد ذلك » — أى بعد أن أتم مع أخيه يعقوب عملية بيع بكوريته له « محتقراً إياها » — « بعد ذلك » : —

« لما أراد أن يرث البركة » :

الخبر هنا عن « عيسو » — خبر غريب فى بابه ! فكيف يريد أن يرث البركة ؟ هل نسى أنه « أكل وشرب وقام ومضى ، فاحتقر البكورية » ؟ فكيف يريد « أن يرث البركة » من احتقر البكورية ؟ وهل نسى أن بين « البكورية » و « البركة » رابطة قوية لا يمكن أن تفصم عراها ؟ — رابطة تصل درجة قوتها بحيث لم يكن ممكناً البتة لمن يحتقر « البكورية » ويبيعها أن يتمتع « بالبركة » المقترنة بها والقائمة على أساسها ؟ فماذا ، والحالة هذه ، يكون معنى القول « لما » : —

« أراد » :

هذه إرادة تبنى على أساس ما قاله له إسحق أبوه : « يا ابنى ! إننى قد شخت — ولست أعرف يوم وفاتى — الآن ! خذ عدتك . . . واخرج إلى البرية وتصيد لى صيداً واصنع لى أطعمة كما أحب ، وإتنى بها لآكل ؛ حتى تباركك نفسى قبل أن أموت » (تك ٢٧ : ٣ و ٤) .

هكذا اتفقت إرادة إسحق وعيسو بشأن « البركة » وكان الاتفاق بينهما وثيقاً ؛ وكادت هذه الإرادة المزدوجة تتم ، فكيف يتم إذاً قصد الله الأزلى فى هذا الشأن ؟ — ذلك القصد الذى أعلنه ، إله المجد ، لرفقة — زوجة إسحق وأم عيسو — حين قال لها : « فى بطنك أمتان ، ومن أحشائك يفترق شعبان — شعب يقوى على شعب وكبير يستعبد لصغير » (تك ٢٥ : ٢٢ و ٢٣) .

فإن فى هذا الإعلان وبخاصة فى القول : « كبير يستعبد لصغير » بياناً جلياً للقصد الإلهى بأن « البكورية » وبالتالى « البركة » لا للأكبر (عيسو) بل للأصغر (يعقوب) . وهذا هو القصد الأزلى الذى جعل عنوانه : « أحببت يعقوب وأبغضت عيسو » (قابل ملا ١ : ٢ و ٣ اقرأ رو ٩ : ١٠ — ١٣) .

فهل يمكن لإرادة « إسحق » الذى له شرعاً أن يبارك بالاتفاق مع إرادة « عيسو » ؟ — هل يمكن لإرادة عيسو الذى كان على أتم استعداد لإتمام مشيئة أبيه لينال البركة منه ؟ — هل يمكن لأى اتفاق كان بين إسحق وعيسو أن يغير قصد الله فى إعطاء « البركة » ليعقوب ؟ — ذلك القصد الذى سبق فأعلنه فى قوله « وكبير يستعبد لصغير » ؟

على كل هذه الأسئلة يجيب الرسول فى رسالته إلى العبرانيين ناصحاً : « لئلا يكون أحد زانياً أو مستبيحاً كعيسو ، الذى لأجل أكلة واحدة باع بكوريته معلقاً على هذا النصح بقوله : « فإنكم تعلمون أنه ، أيضاً بعد ذلك ، لما أراد أن يرث البركة » :—

« رفض » :

الكلمة « رفض » لغة فعل لنائب فاعل ، هو « عيسو » الذى « رفض » من نوال البركة . ولكن من هو الفاعل الحقيقى لهذا الرفض — الفاعل الذى رفض أن يعطى البركة لعيسو بالرغم من الاتفاق التام بين إسحق وعيسو فى هذا الشأن ؟

يعلن لنا التاريخ أن هذا الرفض قد تم عن طريق خطة دبرتها رفقة — هى ، فى ذاتها ، خطة احتيال وكذب وخداع — خطة تبين جلياً مما أعلن فى التاريخ المقدس الذى ينبئنا أن رفقة كانت مستمعة إلى الحديث الذى جرى بين إسحق وعيسو فى هذا الشأن . وإذ سمعت أسرعت فصنعت أطعمة كما كان أبوه يحب ، وأخذت ثياب عيسو — ابنها الأكبر — الفاخرة . . . وألبست يعقوب ابنها الأصغر ، وألبست يديه وملاسة عنقه جلود جديى المعزى ، وأعطت الأطعمة والخبز التى صنعت فى يد يعقوب ابنها (اقرأ تك ٢٧ : ٥ — ١٧) .

بهذه الخطة الخداعية التى أعدتها رفقة تم رفض عيسو من نوال البركة . فإن يعقوب دخل إلى أبيه إسحق فى ثياب الابن البكر الفاخرة وفى ملمس عيسو الذى كان

جسمه كله «كفروة شعر» وخادع أباه إسحق الذى سأله قائلا : «هل أنت هو ابنى عيسو» ؟ فأجابه : «أنا هو» وإذ طلب أن يتقدم إليه ليتحقق شخصيته ، انخدع بحاسة اللمس التى لمست فروة الشعر وبحاسة الشم التى اشتمت رائحة ثياب البكورية ؛ فلم يبال بحاسة السمع التى سمعت لا صوت عيسو ؛ بل صوت يعقوب فاسترسل فى إعطائه البركة المعدة للبكورية» .

بهذه الطريقة الخداعية التى بها انخدع إسحق «رفض» عيسو رفضاً تاماً عن أن يرث البركة . وما كان أقسى هذا الرفض على سمعه وعلى قلبه ! حينما قال له أبوه : «فمن هو الذى اصطاد صيداً وأتى به إلىَّ فأكلت من الكل قبل أن تجىء وباركته» . ومع أنه نطق بهذه الكلمات مرتعداً ؛ إلا أنه رد إلى عقله وضبط نفسه وقال : «نعم ويكون مباركاً» . وقد كان لهذا الخبر الصميم وقعاً أليماً على قلب عيسو وصرخ صرخة عظيمة وبكى (اقرأ تك ٢٧ : ٣٠ — ٣٥) .

هكذا — لما أراد عيسو فى فساد ذهنه وشر قلبه الخالى من الحق الإلهى وفى تصلفه الأعمى — «لما أراد أن يرث البركة رفض» : —

«إذ لم يجد للتوبة مكاناً» :

هذه جملة اعتراضية واقعة بين القول : «لما أراد أن يرث البركة رفض» وبين القول اللاحق : «مع أنه طلبها بدموع» . فهكذا يمكن أن تقرأ هذه الآية على الصورة الآتية «لما أراد أن يرث البركة رفض مع أنه طلبها بدموع إذ لم يجد للتوبة مكاناً» ؛ إلا أننا ، مع مراعاة هذا الوضع ، يجدر بنا أن نسير فى شرح الآية بمقتضى وضعها الحالى ؛ حيث يقال : —

«إذ لم يجد للتوبة مكاناً» :

بيت القصيد فى هذه العبارة هو «التوبة» ؛ أما «التوبة» فى حد ذاتها فإنها موضوع خطير جداً فى إعلانات الوحى المقدس . وقد سبق الكلام عنها فى هذه الرسالة تحت عنوان «التوبة من الأعمال الميتة» ، وذلك بوصف كونها موضوعاً من موضوعات

التعليم المسيحى الأساسية الابتدائية التى وصفت بأنها « أركان بداءة أقوال الله » — « كلام بداءة المسيح » (راجع شرح ص ٥ : ١٢ مع ٦ : ١) .

فالتوبة ، بهذا الوضع ، إنما هى من التعاليم الأبجدية التى يبدأ بها الطفل المسيحى حياته لا ليبقى عند أساسها ؛ بل ليتقدم بها للوصول إلى الكمال المطلوب فى الحيـاة الروحية ، وذلك للتخلص من الخطر المحدق بالذين يبقون عند الأركان الأساسية — ذلك الخطر الذى وصفه ذات الرسول ، أيضاً ، بالقول : « لأن الذين استنيروا مرة وذاقوا الموهبة السماوية ، وصاروا شركاء الروح القدس وذاقوا كلمة الله الصالحة وقوات الدهر الآتى — « وسقطوا » — لا يمكن تجديدهم ، أيضاً « للتوبة » » (راجع شرح ص ٦ : ١ — ٨) .

أما « التوبة » فى مبناها اللغوى فهى من باب تاب يتوب ، حيث يتوب الإنسان عن مسيره راجعاً إلى عقله مرتداً عن طريق طيشه وجهله وغباوته وضلال قلبه عائداً إلى طريق الحق والحياة بتلك القوة السماوية الجاذبة — قوة « نعمة الله المخلصة » التى تعلمنا أن ننكر الفجور والشهوات العالمية وأن نعيش بالتعقل والبر والتقوى فى العالم الحاضر (اقرأ تى ٢ : ١١ و ١٢) .

هذه هى « التوبة » لا فى ركنها التعليمى ، فحسب ، بل ، أيضاً ، فى ركنها العملى — ذلك الركن الذى نتمثله فى الابن الضال ، حيث قيل عنه : « فرجع إلى نفسه » وقال بعزم ثابت وطيد : « أقوم وأذهب إلى أبى وأقول له : « يا أبى أخطأت إلى السماء وقدامك ، ولست مستحقاً بعد أن أدعى لك ابناً ، اجعلنى كأحد أجرائك » — توبة ، لا بمجرد العزم والتصميم للرجوع عن انحداره ، بل ، بالأحرى ، بإتمام ما عزم عليه وما صمم به إتماماً عملياً « فقام وجاء إلى أبيه » (اقرأ لو ١٥ : ١٣ — ٢٤ مع هو ١٤ : ١ و ٢ مع ٢ كو ٧ : ٨ — ١٠) .

هذه هى « التوبة » الحقيقية العملية التى إذا تمت فعلا تبنى لنفسها أساساً فى قلب التائب . وعلى هذا الأساس تبنى للتائب مكاناً فى دوائر نتائجها الطيبة وتفتح له فى قصد الله ومشيئته صدراً رحباً وقلباً متسعاً فيتمتع بكل مقاصد الله الحميدة المتعلقة ببركة « التوبة » والرجوع إليه .

وأية بركة تشمل « التوبة » الصادقة الحقيقية — أية بركة أمجد وأعظم من البركة التي تمتع بها الابن الضال ووصفها الوحي المقدس في التقاء الأب بابنه ؛ حيث قيل : « وإذ كان لم يزل (الابن الضال) بعيداً رآه أبوه ، فتحنن وركض ووقع على عنقه وقبله . . . فقال الأب لعبيده : «أخرجوا الحلة الأولى وألبسوه واجعلوا خاتماً في يده وحذاء في رجليه ، وقدموا العجل المسمن واذبحوه فنأكل ونفرح ؛ لأن ابني هـذا كان ميتاً فعاش وكان ضالاً فوجد » (لو ١٥ : ٢١ — ٢٥) . هذه هي البركة التي « إذ أراد عيسو أن يرثها رفض إذ لم يجد للتوبة مكاناً » : —

« مع أنه طلبها بدموع » :

أي « مع أنه طلب البركة بدموع » كما يتضح جلياً من التاريخ المقدس ؛ حيث قيل : « فعندما سمع عيسو كلام أبيه صرخ صرخة عظيمة ومرة جداً » (تك ٢٧ : ٣٤) ؛ ثم قال أيضاً لأبيه : « أما أبقيت لي بركة » ؟ (تك ٢٧ : ٣٦) . وهكذا قال أخيراً بقلب أسيف : « ألك بركة واحدة فقط يا أبي ؟ باركني أنا ، أيضاً ، يا أبي . ورفع عيسو صوته وبكى » (تك ٢٧ : ٣٨ اقرأ ٣٠ — ٣٨) .

صرخ عيسو صرخة عظيمة ومرة جداً وبكى . هل كان هذا الصراخ والبكاء توبة حقيقية ؟ هل ندم بعدما باع البكورية ؟ ألم يقل الوحي المقدس : « فأكل وشرب وقام ومضى فاحتقر البكورية » — لأجل أكلة عدس ؟ (تك ٢٥ : ٣٤) . فماذا ينفع هذا الصراخ وهذا البكاء لأجل البركة من شخص «احتقر البكورية » التي تتصل شرعاً اتصالا لا ينفصم بالبركة ؟

إنه صراخ لا صراخ الندامة ، وبكاء ليس هو بكاء « التوبة » ، إنها حسرة الحسد والغيرة المرة والتحزب حيث هناك التشويش وكل أمر ردىء (يع ٣ : ١٦ اقرأ ع ١٣ — ١٨) . هذه هي الحقيقة بشأن عيسو الذي « لم يجد للتوبة مكاناً » بل بالحرى لم تجد « التوبة » لها ، في قلبه ، مكاناً .

هي الحقيقة التى أعلنها التاريخ المقدس بشأنه ، فى حالة صراخه وبكائه ، حيث قال عن أخيه يعقوب : «ألا إن اسمه دعى يعقوب؟ فقد تعقبنى الآن مرتين أخذ بكوريتى وهوذا الآن أخذ بركتى » (تك ٢٧ : ٣٦) . وهل حقاً أخذ يعقوب بكورية عيسو؟ أو ليس الحقيقة أن عيسو هو الذى باع البكورية فلماذا هذه المغالطة فى الكلام ؟ أهذه « توبة » ؟ « لماذا يشتكى الإنسان الحى الرجل من قصاص خطاياه » ؟ (مرا ٣ : ٣٩) .

يضاف إلى ذلك أنه « حقد » على أخيه من أجل البركة التى باركه بها أبوه ، وقال عيسو فى قلبه : « قربت أيام مناحة أبى فأقتل يعقوب أخى » (تك ٢٧ : ٤١) ، وهل تجد « التوبة » لنفسها مكاناً فى قلب حقود مملوء بالمرارة والعداوة يعد ذاته لسفك الدم ؟ — دم أخيه التوأم ؟

وأين « المحبة الأخوية » التى يوصى بها الرسول أولئك العبرانيين ، قائلا : « لتثبت المحبة الأخوية » ؟ (انظر شرح ص ١٣ : ١) — تلك « المحبة الأخوية » الإيجابية التى بين الرسول إيجابيتها فى القول : «كونوا كارهين الشر ملتصقين بالخير — وادين بعضكم بعضاً بالمحبة الأخوية ، مقدمين بعضكم بعضاً فى الكرامة » (رو ١٢ : ٩ و ١٠) . كيف تجد « التوبة » مكاناً فى قلب خال من المحبة الأخوية محباً لذاته ، وهى تلك المحبة التى وصفها الرسول بالقول : « المحبة لا تحسد — المحبة لا تتفاخر ولا تنتفخ ولا تقبح ولا تطلب ما لنفسها ولا تحتد ولا تظن السوء ولا تفرح بالإثم ، بل تفرح بالحق » (١ كو ١٣ : ٤ — ٦) .

هكذا خلا قلب عيسو من هذه المحبة خلواً تاماً فلم تجد التوبة لها مكاناً فيه . فلما طلب أن يرث البركة رفض « مع أنه طلبها بدموع » ، وهل ينفع الندم بعد العدم ؟ وقد سبق السيف العذل ؟ .

على أن عيسو لم يقف عند هذا الحد — حد احتقار البكورية — حد مخادعة نفسه أن يرث البركة المبنية على البكورية التى احتقرها — حد الحقد على أخيه والنية المبيتة على سفك دمه — بل زاد على ذلك أنه صار « أدوم » حقاً الذى اتخذ موقفاً معادياً لشعب الله وبالتالى معادياً للعزة الإلهية .

أو لم نسمع ما نطق به رب العظمة والجلال مخاطباً إياه ، قائلا : « إن كنت ترتفع كالنسر وإن كان عشك موضوعاً بين النجوم ، فمن هناك أحدرك يقول الرب » .. « فيرتاع أبطالك « يا تيمان » (أمير من أمراء عيسو تك ٣٦ : ٤٢) لكى ينقرض كل واحد من جبل عيسو بالقتل » — « من أجل ظلمك لأخيك يعقوب يغشاك الخزى وتنقرض إلى الأبد » — « فإنه قريب يوم الرب على كل الأمم ، كما فعلت يفعل بك . عملك يرتد على رأسك » (عو ٤ و ٩ و ١٠ و ١٥ اقرأ كل رؤيا عوبديا ١ — ٢١ مع إش ٦٣ : ١ — ٦ مع ملا ١ : ١ — ٤ مع رؤ ١٤ : ١٧ — ٢٠ و ١٩ : ١٧ — ٢١ و ٢٠ : ٧ — ١٠) .

الآن انتهينا ببركة الرب من الموقف الثانى عن رئيس الإيمان ومكمله يسوع الذى عنوانه : الرب يسوع وتدريب المؤمنين (ص ١٢ : ٧ — ١٧) . وقد سبق أن انتهينا من الموقف الأول وعنوانه : الرب يسوع « رئيس الإيمان ومكمله » (ص ١٢ : ١ — ٦) . وقد رأينا فيه ، أيضاً ، الركن التعليمى (ع ١ — ٣) والركن العملى (ع ٤ — ٦) . وها نحن الآن نتقدم بإرشاد الرب إلى : —

الموقف الثالث — : الرب يسوع وملكوته (عب ١٢ : ١٨ — ٢٩) :

فى هذا الموقف الثالث — الذى هو الرب يسوع وملكوته — ركنان : — الركن الأول : — تعليمى (ع ١٨ — ٢٤) . أما الركن الثانى فهو : — ركن عملى (ع ٢٥ — ٢٩) . وبهذا النظام نتقدم الآن ، بمعونة الرب إلى شرح الموقف الثالث : —

الركن الأول : — التعليمى (عب ١٢ : ١٨ — ٢٤)

فى هذا الركن التعليمى نجد أنفسنا بين جبلين متقارنين متناظرين . وهذان الجبلان هما « جبل سيناء » و « جبل صهيون » حيث يقارن الرسول بين هذين الجبلين ويعلن موقف أولئك العبرانيين بينهما ونسبتهم إلى كل منهما .

وهل يتفضل القارىء لأن يرى معنا أن ذات الرسول يتحدث عن هذين الجبلين فى رسالته إلى أهل غلاطية ، وذلك باعتبار كونهما أورشليمين — إحداهما يدعوها

« أورشليم الحاضرة » ويصفها بأنها «مستعبدة مع بنيها » ويقرنها « بجبل سيناء الوالد للعبودية » ممثلا فى « هاجر الجارية » .

أما ثانية الأورشليمين فإنه يدعوها « أورشليم العليا التى هى أمنا جميعاً » ويصفها بأنها « حرة » . وكل ذلك واضح فى قوله « مكتوب أنه كان لإبراهيم ابنان ، واحد من الجارية والآخر من الحرة ، لكن الذى من الجارية ولد حسب الجسد وأما الذى من الحرة فبالموعد . وكل ذلك رمز ؛ لأن هاتين هما العهدان – أحدهما من جبل سيناء الوالد للعبودية الذى هو هاجر . . . ولكنه يقابل أورشليم الحاضرة فإنها مستعبدة مع بنيها . وأما أورشليم العليا التى هى أمنا جميعاً فهى حرة » (اقرأ شرح المؤلف فى ما كتبه الرسول بولس إلى الغلاطيين ص ٤ : ٢١ – ٥ : ١) .

هاتان الأورشليمان اللتان يتحدث الرسول عنهما فى رسالته إلى الغلاطيين هما ذات هذين الجبلين اللذين يتحدث عنهما فى هذا الركن التعليمى . ففى (ع ١٨ – ٢١) يتحدث عن جبل سيناء بوصف كونه « جبلا » ملموساً مضطرماً بالنار » . وفى (٢٢ – ٢٤) يتحدث عن جبل صهيون بوصف كونه « مدينة الله الحى أورشليم السماوية» وبمقتضى هذا التنظيم نتقدم الآن بروح الرب إلى شرح : –

جبل سيناء (عب ١٢ : ١٨ – ٢١)

١٨ لِأَنَّكُمْ لَمْ تَأْتُوا إِلَى جَبَلٍ مَلْمُوسٍ مُضْطَرِمٍ بِٱلنَّارِ وَإِلَى
ضَبَابٍ وَظَلَامٍ وَزَوْبَعَةٍ ١٩ وَهُتَافِ بُوقٍ وَصَوْتِ كَلِمَاتٍ ٱسْتَعْفَى
ٱلَّذِينَ سَمِعُوهُ مِنْ أَنْ تُزَادَ لَهُمْ كَلِمَةٌ . ٢٠ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَحْتَمِلُوا
مَا أُمِرَ بِهِ وَإِنْ مَسَّتِ ٱلْجَبَلَ بَهِيمَةٌ تُرْجَمُ أَوْ تُرْمَى بِسَهْمٍ . .
٢١ وَكَانَ ٱلْمَنْظَرُ هٰكَذَا مُخِيفًا حَتَّى قَالَ مُوسَى أَنَا مُرْتَعِبٌ
وَمُرْتَعِدٌ .

فى هذه الآيات الأربع يحول الرسول نظر العبرانيين الذين يكتب إليهم ويوجه أفكارهم إلى موقفهم إزاء جبل سيناء ، وذلك بوصف كونه موقفاً لا إيجابياً ؛ بل سلبياً ؛ محققاً ذلك بلغة واضحة ؛ حيث يقول لهم : —

(ع ١٨) « لأنكم » :

هذه الكلمة « لأنكم » يسميها علماء اللغة — تعليلا لامياً وذلك على اعتبار أن اللام فى « لأنكم » لام التعليل — ذلك التعليل الذى يعتبر ، لغة ، تبيينا لعلة الأشياء ، وهو التبيين الذى قصده الرسول ، فى قوله : « لأنكم » ؛ وذلك لكى يبين لهم علة ما سيقوله لهم مبنياً على ما قاله لهم سابقاً .

فإنه بعد أن سبق فحذرهم ، فى الركن العملى ، من « الأيادى المسترخية والركب المخلعة والخيبة من نعمة الله » ، وبعد أن أهاب بهم لتجنب أصل المرارة المزعج والمنجس ممثلا لهم ذلك بما جاء فى التاريخ النبوى عن عيسو الذى كان زانياً ومستبيحاً (راجع شرح ع ١٢ — ١٧) . ها هو الآن يأتى معللا كل ذلك بالقول : « لأنكم » :

« لم تأتوا إلى جبـــل » :

وأى جبل هو ؟ من كل ما سيذكره الرسول بعد ذلك عن هذا الجبـــل نتبين جلياً بأنه « جبل سيناء » وهو جبل له مكانته المشهورة ومعالمه المبينة فى التاريخ المقدس كما سنرى فيما يلى ؛ فإن هذا الجبل — « جبل سيناء » هو ، أصلا « جبل الله حوريب » (الكلمة « حوريب » فى العبرية هى ذات الكلمة خراب فى العربية) .

ومن الجدير بالذكر ، بل من أعجب ما يذكر عن هذا « الجبل » — « حوريب » علاقته بموسى وإيليا اللذين ظهرا بمجد على جبل التجلى مع السيد المسيح (اقرأ لو ٩ : ٣١ اقرأ ع ٢٨ — ٣٦ مع مت ١٧ : ١ — ٨ مع مر ٩ : ١ — ٨) . وقد دعى هـــذا الجبل « حوريب » « جبل الله » (بالرغم من أنه خراب كاسمه) كما يظهر من النص النبوى ؛ حيث قيل عن موسى « فساق الغنم إلى وراء البرية وجاء إلى جبل الله حوريب » (خر ٣ : ١) . وهكذا قيل عن إيليا (اقرأ ١ مل ١٩ : ٨ — ١٩) .

... على أن هذا الجبل — « جبل الله حوريب » — قد خلع عليه اسم جديد وتسربل ، فى التاريخ المقدس ، بسربال « جبل سيناء » ، وذلك لمناسبة ظهور الرب لموسى على ذلك الجبل حوريب « فى لهيب نار عليقة » كما يدل عليه النص المقدس القائل : « وظهر له ملاك الرب بلهيب نار من وسط عليقة » (خر ٣ : ٢ اقرأ ع ١ — ٥) .

على أن الشهيد المسيحى الأول — استفانوس — عند ذكر هذه المناسبة ، فى كلامه عن « موسى » يدعو هذا الجبل — « حوريب » — « جبل سيناء » قائلا : « ظهر له ملاك الرب فى برية « جبل سيناء » فى لهيب نار عليقة » (أع ٧ : ٣٠) . فإنه لمناسبة هذا الظهور الإلهى لموسى فى العليقة دعى هذا الجبل (حوريب) « جبل سيناء » أى جبل العليقة ؛ لأن لفظ « العليقة » عبرياً هو « سيناء » . فلا عجب ! أن موسى نفسه وهو يبارك أسباط إسرائيل ، قبل وفاته — وهو يبارك سبط « يوسف » — يذكر فى رأس البركات وأساسها « رضى الساكن فى العليقة » — الساكن فى سيناء (تث ٣٣ : ١٦) .

هذه حقيقة يثبتها المرنم وهو ينشد ، قائلا : « اللهم ! عند خروجك أمام شعبك عند صعودك فى القفر — الأرض ارتعدت ، السموات ، أيضاً ، قطرت أمام وجه الله « سينا » نفسه من وجه الله إله إسرائيل » (مز ٦٨ : ٧ و ٨) . وهكذا حتى وصل فى نشيده — إلى القول : « مركبات الله ربوات ألوف مكررة . الرب فيها . « سينا فى القدس » (مز ٦٨ : ١٧ اقرأ ع ٧ — ١٨) .

وهل بنى المرنم نشيده هذا على نشيد موسى قبل وفاته ، فى بدء مباركته لأسباط إسرائيل ؟ حيث قال : « جاء الرب من سيناء وأشرق لهم من سعير وتلألأ لهم من جبل فاران وأتى من ربوات القدس وعن يمينه نار شريعة لهم ؛ فأحب الشعب وجميع قديسيه فى يدك وهم جالسون عند قدمك يتقبلون من أقوالك » (تث ٣٣ : ١ — ٣) .

هذا يرجع بنا ، ولابد ، إلى ذلك « الجبل » الذى وقف عنده آباء أولئك العبرانيين بعد خروجهم من أرض مصر ليدخلوا فى العهد مع ملاك العهد — هو ذلك « الجبل » الذى صعد عليه موسى ليلتقى مع « ملاك العهد » — « إله المجد » — بناء على دعوته إياه ليقبل « أقوالا حية » (أع ٧ : ٣٨ اقرأ سفر الخروج ص ١٩ و ٢٠ مع سفر

التثنية ص ٤ و ٥) وهو أيضاً ذات الجبل الذى فيه تقابل إيليا مع ياه يهوه إله إسرائيل وعبر بغيرة وقاده عن ما فعله بنو إسرائيل قائلا : « قد تركوا عهدك ونقضوا مذابحك وقتلوا أنبياءك بالسيف فبقيت أنا وحدى وهم يطلبون نفسى ليأخذوها .

وما أعجب ! ما أجابه به الرب فى قوله له : « قد أبقيت لنفسى سبعة آلاف . كل الركب التى لم تجث للبعل وكل فم لم يقبله » [اقرأ ١ مل ١٩ : ١٤ و ١٨ قابل رو ١١ : ١ — ٤] .

وهو أيضاً ذات الجبل جبل سيناء فى « العربية » التى تحدث عنها بولس فى قوله : « ولكن لما سر الله ، الذى أفرزنى من بطن أمى ودعانى بنعمته ، أن يعلن ابنه فى ، لأبشر به بين الأمم . للوقت لم أستشر لحماً ودما ولا صعدت إلى أورشليم إلى الرسل الذين قبلى ؛ بل انطلقت إلى « العربية » [غل ١ : ١٥ — ١٧ انظر شرح غلاطية للمؤلف] .

هذا هو « الجبل » — « جبل سيناء » — الذى يقول عنه الرسول لأولئك العبرانيين المسيحيين ، بصيغة سلبية : « لأنكم لم تأتوا إلى جبل » : —

« ملموس » :

الكلمة « ملموس » تدل بوضوح على طبيعة ذلك الجبل المشار إليه بأنه « ملموس » جبل طبيعى ناتى من الأرض مرتفع تنظره العيون وتلمسه — ومن طبيعة هذا الجبل « الملموس » تصدر ، ولابد ، جميع التحذيرات والإنذارات والمناهى والفرائض الجسدية التى سبق الرسول فوصفها لأولئك العبرانيين بأنها « قائمة بأطعمة وأشربة وغسلات مختلفة وفرائض جسدية — فقط موضوعة إلى وقت الإصلاح » (راجع شرح ص ٩ : ١٠) .

هذه هى الأشياء الملموسة التى سبق فبينها بقوله عن السيد المسيح بأنه « محا الصك الذى علينا فى الفرائض الذى كان ضداً لنا . وقد رفعه من الوسط مسمراً إياه بالصليب » (كو ٢ : ١٤) ناقضاً حائط السياج المتوسط أى العداوة « مبطلا بجسده ناموس الوصايا فى فرائض » (اقرأ أف ٢ : ١٣ — ١٦) .

على هذا الأساس يحذر من الرجوع إلى تلك الملموسات والمحسوسات ، قائلا : «إذاً إن كنتم قد متم مع المسيح عن أركان العالم (أى عن الفرائض الدينية الخارجية) ، فلماذا كأنكم عائشون فى العالم تفرض عليكم فرائض لا تمس ولا تذق ولا تجس التى هى جميعها للفناء فى الاستعمال حسب وصايا وتعاليم الناس » (كو ٢ : ٢٠ – ٢٣ اقرأ مت ١٥ : ١ – ١٧ مع مر ٧ : ١ – ١٣) .

هذا هو الجبل « الملموس » – جبل الفرائض والطقوس التى جميعها « للفناء » وليس ما يشفع فيها للبقاء ولو اجتمعت كل أمجاد الخيمة المثالية وعظمة هيكل سليمان الفائقة الذى يعتبر فى مصاف عجائب الدنيا السبع ، حتى ولو أضيف إلى تلك العظمة « ثياب المجد والبهاء » وهيبة « العمامة البيضاء » وكل بهاء الخدمة الكهنوتية وما يشملها من سمو ورفعة تأخذ بمجامع القلوب وتسبى العقول والألباب .

ولعل هذه الأمجاد الباهرة وثياب المجد والبهاء والمناظر الزاهية – لعل هذه العوامل كلها كانت أقوى جاذبية لعقول العبرانيين المسيحيين للارتداد بهم عن الإيمان المسيحى الخالى من كل هذه المظاهر السالبة للعقول ، للعودة بهم إلى ذلك الجبل الملموس وإلى تلك الفرائض والطقوس .

وإن نسينا لا ننسى وإن فاتنا لا يفوتنا أن الوصايا العشر متصلة بهذا الجبل الملموس ، وأنها تدخل ، ولابد ، فى دائرة الملموسات والمحسوسات . وهذا أمر يمكن أن نتبينه واضحاً من وجهات نظر ثلاث : –

أما الوجهـــة الأولى :

فتبنى على أساس اعتبار أن هذه الوصايا أعطيت فوق ذلك الجبل الملموس وكتبت على ألواح حجرية ملموسة محسوسة . وهذه حقيقة تتجلى أمامنا بوضوح فى نص الوحى المقدس : « قال الرب لموسى ، اصعد إلىَّ ، إلى الجبل ، وكن هناك فأعطيك لوحى الحجارة والشريعة والوصية التى كتبتها لتعليمهم » (اقرأ خر ٢٤ : ١٢ و ١٣ و ١٨) – لوحان حجريان قابلان للكسر إشارة إلى ما لا بد أن يكون من كسر الشهادة

والشريعة — الأمر الذى تم فعلا حينما تعدى الشعب وعبد العجل ؛ فغضب الرب وغضب موسى وكسر اللوحين فى الغضب (اقرأ خر ٣٢ : ١ — ٢٠) .

على أن الرب نفسه عاد ليجدد العهد مع الشعب وقال لموسى : « انحت لك لوحين من حجر مثل الأولين ؛ فاكتب أنا على اللوحين الكلمات التى كانت على اللوحين الأولين اللذين كسرتهما » . . . « فنحت لوحين من حجر كالأولين ، وبكر موسى فى الصباح وصعد إلى جبل سيناء كما أمره الرب وأخذ فى يده لوحى الحجر » . . . « وكان هناك عند الرب أربعين نهاراً وأربعين ليلة لم يأكل خبزاً ولم يشرب ماء ؛ فكتب على اللوحين كلمات العهد — الكلمات العشر » (خر ٣٤ : ١ و ٤ و ٢٨ اقرأ ع ١ — ٢٨) . كلمات العهد — الوصايا العشر على لوحين من حجر مصنوعين بيد بشرية فوق « جبل ملموس » .

أما الوجهة الثانية :

فتبنى على أساس الإشارة الرمزية التى أعطيت علامة وضعية للتعبير عن وحدة موحدة لهذه الوصايا العشر — أما تلك الإشارة الرمزية فهى العصابة الأسمانجونية التى تربط كل أهداب الثوب الذى يلبسه الإسرائيلى بمقتضى الوصية القائلة : « فتكون لكم هدباً فترونها وتذكرون « كل » وصايا الرب وتعلمونها ، ولا تطوفون وراء قلوبكم وأعينكم التى أنتم فاسقون وراءها ؛ لكى تذكروا وتعلمونها « كل » وصاياى ، وتكونوا مقدسين لإلهكم » (عد ١٥ : ٣٩ و ٤٠ اقرأ ع ٣٧ — ٤١ قابل تث ٢٣ : ٥ مع مت ٩ : ٢٠ و ٢١ و ١٤ : ٣٦ مع مر ٦ : ٥٦ مع لو ٨ : ٤٣ و ٤٤) .

إلى هذه الوحدة الكلية المشار إليها بالعصابة الرابطة لكل أهداب الثوب — إلى هذه الوحدة يعود بنا الوحى المقدس القائل : « لأن من حفظ « كل » الناموس ، وإنما عثر فى واحدة فقد صار مجرماً فى الكل ؛ لأن الذى قال « لا تزن » قال ، أيضاً : « لا تقتل » فإن لم تزن ولكن قتلت فقد صرت متعدياً الناموس » — مجرماً فى الكل — (يع ٢ : ١٠ و ١١ قابل تث ٢٧ : ٢٦ مع غل ٣ : ١٠ مع رو ٢ : ٢٢) .

أماوجهة النظر الثالثة :

فتبنى على أساس معاملة المتعدين هذا العهد — « الوصايا العشر » — معاملة محسوسة تتعلق بجبل ملموس ، وذلك سواء أكان بالصفح عنهم عن طريق التكفير بدم تيوس أو عجول أو سواء أكان بقتلهم وإعدامهم جسدياً ، وذلك بمقتضى النص الإلهى القائل : « وإن أخطأت نفس واحدة سهواً تقرب عنزاً حولية ذبيحة خطية ؛ فيكفر الكاهن عن النفس التى سهت . . . فيصفح عنها ، وأما النفس التى تعمل بيد رفيعة (بكبرياء وتشامخ وعناد) . . فهى تزدرى بالرب ؛ فتقطع تلك النفس من بين شعبها . قطعاً تقطع تلك النفس ذنبها عليها » (اقرأ عد ١٥ : ٢٧ — ٣١) .

هكذا إلى كل ما يتعلق بالجبل الملموس من وصايا وفرائض وأحكام وطقوس يوجه الرسول نظر العبرانيين المسيحيين الذين يكتب إليهم ، قائلا : « لأنكم لم تأتوا إلى جبل ملموس » : —

« مضطرم بالنـار » :

بهذا التعبير النارى يتقدم الرسول بحكمة سماوية لإعلان نعمة الخلاص المجيد لأولئك العبرانيين مصعدة إياهم عن جبل سيناء بوصف كونه جبلا « مضطرماً بالنار » . وهذا الاضطرام إنما هو حقيقة تاريخية أرهبت عقول آبائهم وأرعبت قلوبهم حين رأوا وإذا « جبل سيناء كله يدخن ؛ من أجل أن الرب نزل عليه بالنار ، وصعد دخانه كدخان الأتون وإرتجف كل الجبل جداً » (خر ١٩ : ١٨) .

أمام ذلك الجبل « المضطرم بالنار » وقف آباؤهم فى خوف شديد ورعب ، وكان المنظر ، هكذا ، مزعجاً ؛ حتى صرخوا صرخة مدوية مرعبة قائلين : « هوذا الرب إلهنا قد أرانا مجده وعظمته وسمعنا صوته من وسط النار . . . وأما الآن فلماذا نموت ؟ لأن هذه النار العظيمة تأكلنا . إن عدنا نسمع صوت الرب إلهنا ، أيضاً ، نموت » (تث ٥ : ٢٤ و ٢٥) .

هذا الجبل « المضطرم بالنار » هو جبل «سيناء » — « العليقة » التى من وسطها ظهر ملاك الرب بلهيب نار كما سبقت الإشارة (اقرأ خر ٣ : ١ — ٥) . فقد كان ملاك

الرب فى وسط العليقة « لهيب نار » — هى نار الأقنوم الثانى فى اللاهوت — نار « أهيه » — نار « يهوه » « إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب » (خر ٣ : ١٤ و ١٥) . هذا هو الذى قال عنه ذات الرسول : « لأن إلهنا نار آكلة » (قابل خر ٢٤ : ١٧ مع تث ٤ : ٢٤ و ٩ : ٣ مع مز ٥٠ : ٣ و ٩٧ : ٣ مع إش ٦٦ : ١٥ مع ٢ تس ١ : ٨ راجع شرح ص ١٠ : ٢٧ انظر شرح ع ٢٩) .

فى كل هذه الشواهد الكتابية المقدسة يظهر لنا مجد ذاك الذى حل على جبل سيناء فى نار لاهوته التى تتقد فى لهيب نار محبته ولهيب نار قداسته ولهيب نار غيرته ، وإزاء لهيب هذه النار المتقدة الآكلة يمكننا أن نضع أمامنا هذا السؤال النبوى القديم الذى نصه « من منا يسكن فى نار آكلة ؟ من منا يسكن فى وقائد أبدية » ؟ وهل نسمع صوتاً مجيباً يقول : « السالك بالحق والمتكلم بالاستقامة ، الراذل مكسب المظالم ، النافض يديه من قبض الرشوة ، الذى يسد أذنيه عن سمع الدماء ويغمض عينيه عن النظر إلى الشر » (إش ٣٣ : ١٤ و ١٥) .

هذا هو جبل سيناء المضطرم بنار الرب الذى نزل عليه فاشتعل كل الجبل وارتجف آباؤهم ، لذلك يقول لهم : « لأنكم لم تأتوا إلى جبل ملموس مضطرم بالنار » .

« وإلى ضباب وظلام وزوبعة » :

إذا رجعنا إلى النص التاريخى المقدس ، بشأن هذه المظاهرات — « ضباب وظلام وزوبعة » — نقرأ النص الآتى » وحدث فى اليوم الثالث لما كان الصباح أنه صارت رعود وبروق وسحاب ثقيل على الجبل . . . وكان جبل سيناء كله يدخن من أجل أن الرب نزل عليه بالنار ، وصعد دخانه كدخان الأتون وارتجف كل الجبل جداً » (خر ١٩ : ١٦ و ١٨) .

عن هذا المنظر الذى ظهر فى جبل سيناء يتحدث موسى ، بعد ذلك ، مذكراً الشعب به ، قائلا له : « فى اليوم الذى وقفت فيه أمام الرب إلهك فى حوريب » « جبل سيناء » — فى ذلك اليوم « تقدمتم ووقفتم فى أسفل الجبل والجبل يضطرم بالنار إلى

كبد السماء — « بضباب وظلام وزوبعة » — فكلمكم الرب من وسط النار » (تث ٤ : ١٠ — ١٢) .

وقد أشار بعض الكتبة الملهمين قديماً إلى هذه الظاهرة المرهبة ومن بينهم « دبورة » التى أنشدت قائلة : « تزلزلت الجبال من وجه الرب وسيناء هذا من وجه الرب إله إسرائيل » (قض ٥ : ٥) . هكذا قال ، أيضاً ، مرنم إسرائيل الحاو : « الأرض ارتعدت ، السموات ، أيضاً ، قطرت أمام وجه الله — سينا نفسه — من وجه الله إله إسرائيل » (مز ٦٨ : ٨ اقرأ مز ١١٤) .

كل هذه الظاهرات العجيبة الرهيبة قد حدثت نتيجة لنزول « إله المجد » على ذلك الجبل ، فإنه ، إذ « نزل بالنار » كان الجبل كله « يدخن » . ويظهر أن ذلك الدخان كان كثيفاً لدرجة عبر عنه « بالضباب والسحاب الثقيل » . وهل كان ممكناً أن ينزل « رب المجد » « بالنار » على هذا الجبل وأن يمسه فلا يدخن ؟ ألم يرن فى أذاننا ما أنشده المرنم ، قائلا : « الناظر إلى الأرض فترتعد ، يمس الجبال فتدخن » (مز ١٠٤ : ٣٢) طأطىء سمواتك وانزل ، المس الجبال فتدخن » ؟ (مز ١٤٤ : ٥) .

ولعل إشعياء كان يرى هذا المنظر وهو يقول : « ليتك تشق السموات وتنزل ، من حضرتك تتزلزل الجبال كما تشعل النار الهشيم وتجعل النار المياه تغلى ؛ لتعرف أعداءك اسمك ، لترتعد الأمم من حضرتك ؛ حين صنعت مخاوف لم ننتظرها نزلت تزلزلت الجبال من حضرتك » (إش ٦٤ : ١ — ٣) .

ولابد أن رب الجنود نفسه ، فى مناسبة بناء البيت الثانى ، وهو يتحدث بلسان النبوة — لابد أنه كان يشير إلى ما حدث فى جبل سيناء وهو يقول : « هى مرة ، بعد قليل ، فأزلزل السموات والأرض والبحر واليابسة ، وأزلزل كل الأمم ، ويأتى مشتهى كل الأمم ؛ فأملأ هذا البيت مجداً » (حج ٢ : ٦ و ٧ اقرأ ع ٦ — ٩ مع إش ٦٠ : ١ — ٩ انظر شرح ع ٢٦ و ٢٧) .

وهل نرى عجباً فى منظر كهذا فيه يقترن « الضباب والظلام » « بزوبعة » ناشئة ، ولابد ، من البروق والرعود التى حدثت على ذلك الجبل فارتج كله وتزلزت الأرض ؟ فكم إذا اقترنت هذه الظاهرات المخيفة الرهيبة بتنويهات سماوية عجيبة يعبر عنها بالقول :—

(ع ١٩) « وهتاف بوق وصوت كلمات » :

ما زلنا مع الرسول وهو يحدثنا عن « جبل ملموس » — « مضطرم بالنار » — نخشى الاقتراب إليه ونحذر لمسه لئلا تأكلنا النار ونموت — ما زلنا معه أمام جبل يهتز ويرتجف ويتزلزل « برعود » و «بروق» و « زوبعة » — ما زلنا معه أمام هذا الجبل الذى منه يعلو : —

« هتاف بوق » :

وقد عودنا كتبة الوحى الملهمون أن نستمع إلى « هتاف بوق » إلى أن وصلوا بنا إلى هتاف البوق الأخير ؛ حيث يحدثنا رسول الأمم عن « سر » عجيب يحدث عند « البوق الأخير » فإنه سيبوق ؛ فيقام الأموات عديمى فساد ونحن نتغير » (١ كو ١٥ : ٥١) — ذات « السر » الذى يحدثنا عنه ، أيضاً ، فى قوله : « لأن الرب نفسه بهتاف — بصوت رئيس ملائكة وبوق الله سوف ينزل من السماء والأموات فى المسيح سيقومون أولا » (١ تس ٤ : ١٦ اقرأ ع ١٣ — ١٧ مع ٢ تس ١ : ٣ — ١٠) .

ومن الغريب أن يوصف هذا « البوق » بأنه « بوق الله » فهو « بوق عظيم الصوت » أشار إليه السيد المسيح وهو يتحدث عن « ابن الإنسان » الذى « يرسل ملائكته « ببوق عظيم الصوت » فيجمعون مختاريه من الأربع الرياح — من أقصاء السموات إلى أقصائها» (مت ٢٤ : ٣٠ و ٣١) .

« فالبوق» بهذا الاعتبار ، إنما هو صوت رئيس الملائكة الذين سيصحبون « رب المجد » فى مجيئه حين يأتى « ابن الإنسان فى مجده وجميع الملائكة القديسين معه ؛ فحينئذ يجلس على كرسى مجده » (مت ٢٥ : ٣١) . هذه هى ذات الصورة التى يرسمها أمامنا موسى فوق جبل سيناء كما حدث فى اليوم الثالث حيث صار صوت بوق شديد جداً فارتعد كل الشعب الذى فى المحلة . . . فكان صوت البوق يزداد اشتداداً جداً » (خر ١٩ : ١٦ و ١٩ اقرأ ع ١٦ — ١٩) .

هذا هو صوت « رئيس الملائكة » الذين حضروا مع سيدهم « إله المجد » على جبل سيناء وأشار إليهم موسى فى نشيده قائلا : « جاء الرب من سيناء وأشرق لهم من سعير وتلألأ لهم من جبل فاران ، وأتى من « ربوات القدس » » (تث ٣٣ : ١ و ٢) . هؤلاء — « ربوات القدس » فى سينا — هم الذين وصفهم المرنم وهو ينشد : « مركبات الله ربوات ألوف مكررة — الرب فيها — فى القدس » (مز ٦٨ : ١٧) . هذا المنظر المجيد على جبل سيناء هو الذى يصفه الرسول هنا « بهتاف بوق » : —

« وصوت كلمات » :

وأية « كلمات » هى تلك التى أعلنها بهتاف صوت ذلك البوق على جبل سيناء ! كلمات دوى صوتها فى كل الأرجاء ، داعية إلى الإصغاء ! إذا رجعنا إلى جبل سيناء نسمعه يتحدث عن هذه « الكلمات » قائلا : « كان صوت البوق يزداد اشتداداً جداً وموسى يتكلم والله يجيبه بصوت » (خر ١٩ : ١٩) . ويقول موسى . فى نشيده عن هذا الأمر الواقع : « جميع قديسيه فى يدك وهم جالسون عند قدمك يتقبلون من أقوالك » (تث ٣٣ : ٣) .

هى تلك الأقوال التى وصفت بأنها « نار شريعة » (تث ٣٣ : ٢) — هى الشريعة التى أعطيت فوق « جبل مضطرم بالنار » — هى العهد الذى قال عنه موسى للشعب : « وجهاً لوجه تكلم الرب معنا فى الجبل من وسط النار » (تث ٥ : ٤ اقرأ ع ١ — ٥ و ٢٣ — ٢٧) . هذه هى « كلمات العهد الكلمات العشر » التى نقشها الله بإصبعه على لوحين من حجر شهادة وشريعة لهم (خر ٣٤ : ٢٨ مع إش ٨ : ٢٠ — ٢٢) . هذه هى الوصايا العشر المنصوص عنها فى سفر الخروج (٢٠ : ١ — ١٧) . هذه هى الفرائض والأحكام والوصايا التى أوصى بها الرب ذلك الشعب فى حوريب (سيناء) من الجبل الملموس المضطرم بالنار لكى يحفظوها ويعملوا بها محترزين (اقرأ تث٤ : ١٠—١٥) :

هذا هو « صوت الكلمات » الذى سمع من جبل سيناء بتحذيرات وإنذارات مرهبة ، وقد سلمت هذه « الكلمات » أمانة لهذا الشعب عند الجبل وقد أشار الرسول — رسول الأمم — إلى عدم احتفاظ الشعب بهذه الأمانة متسائلا « فماذا ؟ إن كان قوم لم يكونوا

أمناء ، أفلعل عدم أمانتهم يبطل أمانة الله » ؟ (رو ٣ : ٣ اقرأ ع ١ — ٤ مع مز ٥١ : ١ — ٥) . هذا هو «صوت الكلمات » الذى هتف به البوق — « صوت كلمات » :—

« استعفى الذين سمعوه من أن تزاد لهم كلمة » :

« من أن تزاد لهم كلمة » على تلك « الكلمات » التى علا بها صوت البوق الهاتف فوق ذلك الجبل الملموس المضطرم « بالنار » — مختلطة بالرعود والبروق والدخان الكثيف والضباب والظلام والزوبعة . فقد كان المنظر هكذا مرعباً ومرعداً حتى ارتعد الشعب ؛ فلا عجب إذا قيل عنه أنه :—

« استعفى الذين سمعوه من أن تزاد لهم كلمة » :

فى لب هذه الكلمة « استعفى » يتجسم أمامنا أدق تعبير عن وصف الحالة التى وصل إليها الشعب المرتعب المرتعد ، فإن تلك الكلمة ، لغة ، هى من باب عفا وأعفى ، فيقال : استعفى فلان من أمر فأعفى منه أى طلب أمراً فأجيب إليه ، وبهذا المعنى نفهم القول : « استعفى الذين سمعوه من أن تزاد لهم كلمة » أى أنهم وهم يسمعون صرخوا مرتعبين وطلبوا أن يعفوا من الاستماع إلى المتكلم .

هذه الحقيقة تتجلى أمامنا بوضوح إذا رجعنا إلى نص التاريخ النبوى المقدس ؛ حيث نقرأ : «كان جميع الشعب يرون الرعود والبروق وصوت البوق والجبل يدخن . ولما رأى الشعب ارتعدوا ووقفوا من بعيد وقالوا لموسى : « تكلم أنت معنا فنسمع . ولا يتكلم معنا الله ؛ لئلا نموت » (خر ٢٠ : ١٨ و ١٩) .

وقد ردد موسى قول الشعب هذا ، بعد ذلك ، على مسامعهم بتعبير أشد ؛ حيث قال لهم : « لما سمعتم الصوت من وسط الظلام والجبل يشتعل بالنار ، تقدمتم إلىّ . . . وقلتم « . . . أما الآن فلماذا نموت ؟ لأن هذه النار العظيمة تأكلنا ، إن عدنا نسمع صوت الرب إلهنا ، أيضاً ، نموت ، لأنه ، من هو ، من جميع البشر ، الذى سمع صوت الله الحى يتكلم من وسط النار مثلنا ، وعاش ؟ تقدم أنت واسمع كل ما يقول لك الرب إلهنا وكلمنا بكل ما يكلمك به الرب إلهنا فنسمع ونعمل » (تث ٥ : ٢٣ — ٢٧) .

ومن الأمور التى تستحق التفكير العميق والتأمل الدقيق هو أن الرب ذاته ، له المجد ، استحسن ذلك الاستعفاء بصورة تدعو إلى الحذر ؛ حيث ، تعقيباً على هذا الاستعفاء ، قال لموسى : « سمعت صوت كلام هؤلاء الشعب الذى كلموك به ، قد أحسنوا فى كل ما تكلموا » — وذلك على الرجاء أن يكون هذا الاستعفاء بدءاً لحياة أفضل ؛ حيث قال — له المجد — « ياليت قلبهم كان هكذا فيهم حتى يتقونى (يرهبونى) ويحفظوا جميع وصاياى كل الأيام ؛ لكى يكون لهم ولأولادهم خير إلى الأبد » (تث ٥ : ٢٨ و ٢٩) .

على أن هذا الرجاء لم يتم ليس فقط لأنهم أمرّوا روح موسى حتى تأذى وانقضّ على حلمه المشهور وفرط بشفتيه وخالف إله المجد فى غضب شديد . فحرم من أرض الموعد (قابل مز ١٠٦ : ٣٢ و ٣٣ مع عد ٢٠ : ١٢ و ٢٧ : ١٤ مع تث ١ : ٣٧ و ٣ : ٢٦ اقرأ عد ٢٠ : ١ — ١٣) .

ليس فقط أنهم أمرّوا روح موسى وحرموه من أرض الموعد كأن ذلك قليل بل زادوا فى شرهم وعنادهم . وزاغوا ، سريعاً ، عن الطريق وأصبحوا شعباً « صلب الرقبة » (خر ٣٢ : ٩) ، بيتاً متمرداً وأمة متمردة على الرب (خر ٣٢ : ٣ و ٥ — ٨ اقرأ حز ١٦ : ٤٩ — ٥٥) .

هكذا جرى أن استعفى هذا الشعب عن المتكلم نهائياً فلم يسمع لقوله وتمردوا وتم فيهم قول الرب الذى صار إلى ميخا المورشتى الذى نطق به على السامرة وأورشليم ونصه : « قوموا واذهبوا ؛ لأنه ليست هذه هى الراحة ، من أجل نجاسة تهلك والهلاك شديد » (مى ٢ : ١٠) ، وما دام هذا نصيب الذين استعفوا من المتكلم على الأرض فماذا يكون نصيب المرتدين عن الذى من السماء ؟ سؤال سنرى جوابه فى شرح (ع ٢٥) . أما الذين استعفوا « من أن تزاد لهم كلمة » فذلك : —

(ع ٢٠) « لأنهم لم يحتملوا ما أمر به » :

سبقت الإشارة إلى أن الشعب عند جبل سيناء سمع أمراً رهيباً مرعداً ومرعباً يقول لموسى : « تقيم للشعب حدوداً من كل ناحية ، قائلا : « احترزوا من أن تصعدوا إلى

الجبل أو تمسوا طرفه . كل من يمس الجبل يقتل قتلا ، لا تمسه يد ؛ بل يرجم رجماً أو يرمى رمياً . بهيمة كان أم إنساناً لا يعيش » (خر ١٩ : ١٢ و ١٣) .

وقد كان هذا الأمر مشدداً إلى درجة مخيفة ومزعجة ، وصل فيها إلى حد قول الرب لموسى : « انحدر حذر الشعب ، لئلا يقتحموا إلى الرب وينظروا فيسقط منهم كثيرون ، وليتقدس ، أيضاً ، الكهنة الذين يقتربون إلى الرب لئلا يبطش بهم الرب » (خر ١٩ : ٢١ و ٢٢) أوامر إلهية صادرة من جبل سيناء « المضطرم بالنار » — أوامر أفزعت الشعب فهلع قلبهم وابتعدوا عن الجبل وانفصلوا عن الرب — « النار الآكلة » — خوفاً من الموت ، هكذا « خوفاً من الموت كانوا كل حياتهم تحت العبودية » .

هذا هو « روح العبودية للخوف » (رو ٨ : ١٥) — روح « جبل سيناء » « الوالد للعبودية » (انظر شرح غل ٤ : ٢٤ للمؤلف) — روح العبودية للخوف من الموت الذى جاء السيد المسيح ليعتق إخوته من شره (راجع شرح ص ٢ : ١٤ و ١٥) .

إزاء هذا المنظر النارى المخيف فوق جبل سيناء ، وإزاء هذا الصوت المرعب الذى دوى فى أرجاء كل تلك البرية من فوق ذلك الجبل وإزاء كل تلك الأوامر المشددة بالموت المهلك والاحتراق بالنار — إزاء كل ذلك وقف الشعب يرتعد ارتعاداً وقلوبهم ترتجف وركبهم تتخلع وأيديهم ترتخى والخوف من الموت محدق بهم « فلم يحتملوا ما أمر به » من فوق ذلك الجبل ، وبخاصة ، كما يقول الرسول : —

« وإن مست الجبل بهيمة ترجم أو ترمى بسهم » :

هذا هو الأمر الخاص الذى يتحدث عنه الرسول دون جميع الأوامر التى صدرت من جبل سيناء وقد تحدث عنها — الأمر الخاص بالبهيمة الذى ورد ذكره أيضاً فى التاريخ المقدس فى قول الرب : « كل من يمس الجبل يقتل قتلا ، لا تمسه يد ؛ بل يرجم رجماً أو يرمى رمياً — بهيمة كان أم إنساناً — لا يعيش » (خر ١٩ : ١٢ و ١٣) .

بالنسبة إلى هذا الأمر المشدد نرى فى الاقتباس القائل : « إن مست الجبل بهيمة، ترجم أو ترمى بسهم » — نرى نقطتين : — أما النقطة الأولى فهى بارزة فى أن الرسول فى رسالته إلى العبرانيين يتحدث عن البهيمة دون الإنسان ، وذلك بالرغم من أن النص التاريخى (كما سبق أن رأينا) يقول صريحاً : « بهيمة كان أم إنساناً لا يعيش » . أما النقطة الثانية فهى بارزة فى الحكم على البهيمة التى تمس الجبل بأن « ترجم أو ترمى بسهم » .

أما النقطة الأولى فهى ظاهرة فى الفرق الواضح بين النص النبوى التاريخى القائل : « بهيمة كان أم إنساناً » (خر ١٩ : ١٣) . وبين اقتباس الرسول مختصاً فى قوله : « بهيمة » . وكأننا نتساءل — ترى لماذا لم يذكر الرسول شيئاً عن الإنسان فى هذه المناسبة ؟ ولماذا جعل الاقتباس مختصاً بالبهيمة ؟ هل نرى فى ذلك أن الحكم على البهيمة إنما هو تابع للحكم على الإنسان ؟ أو أن تنفيذ الحكم على البهيمة يعتبر تنفيذاً أصيلا للحكم على الإنسان ، وذلك بدالة التبعية الطبيعية ؟

تلك التبعية الطبيعية التى نص عنها الوحى المقدس فى كثير من إعلاناته ومنها النص القائل : « الأرض تدنست تحت سكانها ؛ لأنهم تعدوا الشرائع ، غيروا الفريضة ، نكثوا العهد الأبدى ؛ لذلك لعنة أكلت الأرض وعوقب الساكنون فيها . . . ناح المسطار ، ذبلت الكرمة ، أنّ كل مسرورى القلب » (إش ٢٤ : ٥— ٧ اقرأ ع ٥—١٣).

أهذا هو ذات الموضوع الذى يتحدث عنه رسول الأمم معلناً ، بالوحى المقدس ، حيث يقول : « لأن انتظار « الخليقة » يتوقع استعلان أبناء الله ؛ إذ أخضعت « الخليقة » للبطل — ليس طوعاً — بل من أجل الذى أخضعها على الرجاء ، لأن « الخليقة » نفسها ستعتق من عبودية الفساد إلى حرية مجد أولاد الله ؛ فإننا نعلم أن كل « الخليقة » تئن وتتمخض معاً إلى الآن » (رو ٨ : ١٩ — ٢٢) .

فأية « خليقة » هى تلك التى « أخضعت للبطل » ؟ — أية خليقة هى تلك التى « تتوقع استعلان أبناء الله » « لتعتق من عبودية الفساد » ؟ — « الخليقة » المشار إليها هنا

لا بد أن تكون جانباً معيناً من جميع المخلوقات والكائنات — هو الجانب المختص بجميع الخلائق غير العاقلة ؛ سواء أكان جماداً أم نباتاً أم حيواناً .

وذلك على اعتبار أن هذه جميعها قد « أخضعت للبطل » (تعرضت للتغيير والفساد والاضمحلال) بسبب الإنسان ، وذلك بمقتضى النص القائل : « حتى متى تنوح الأرض وييبس عشب كل الحقل ، من شر الساكنين فيها فنيت البهائم والطيور ؛ لأنهم (الساكنون فى الأرض) قالوا : (الرب) « لا يرى آخرتنا » (إر ١٢ : ٤) . وكل ذلك يرجع بنا إلى النطق الإلهى الكريم لآدم حين قال له : « ملعونة الأرض بسببك . . . شوكاً وحسكاً تنبت لك » (اقرأ تك ٣ : ١٧ — ١٩) .

فإذا كان الرسول — كما رأينا — قد خص « البهيمة » دون الإنسان فى التهديد الذى وقع على جبل سيناء ، فليس معنى ذلك أنه ينفى ما يقع على الإنسان من عقاب أشر ، وبخاصة ، كما رأينا ، والإنسان هو أصل كل البلايا وأساس كل المصائب التى حلت على الخليقة ؛ حيث أنه هو الذى ، بسببه ، حلت اللعنة على الأرض — « ملعونة الأرض بسببك » (تك ٣ : ١٧) — لذلك يقول عن الشعب : « لأنهم لم يحتملوا ما أمر به » الذى هو « وإن مست الجبل بهيمة ترجم أو ترمى بسهم » : —

(ع ٢١) « وكان المنظر هكذا مخيفاً » :

الكلمة « هكذا » فى هذه الجملة كلمة معترضة لأنه ممكن أن تقرأ بدونها « وكان المنظر مخيفاً » فاعتراضها كان ، ولابد ، مقصوداً عند الكاتب . وبخاصة وهى كلمة مركبة ، لغة ، من ثلاث كلمات هى « هاء » التنبيه و« كا » التشبيه و « ذا » الإشارة ، وفى ثلاثيتها تعبر ، بأدق تعبير ، عن عظمة لا تحد وعن مقدار لا نهاية له بقوة لا يعبر عنها .

هى ذات الكلمة التى استعملها السيد المسيح نفسه لإعلان محبة الآب التى لا توصف ولا يستطيع إنسان أن يتصور مقدار سموها وعظمتها ومجدها غير المحدود ، وذلك فى قوله : « هكذا أحب الله العالم » (يو ٣ : ١٦) — محبة فائقة لا يدركها عقل بشرى ولا يسعها قلب إنسانى — هى محبة الآب السماوى الذى « أحب العالم وبذل ابنه الوحيد » — « ولم يشفق عليه — « لكى لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية »

(قابل يو ٣ : ١٦ مع رو ٨ : ٣٢) . بهذه الصيغة يقول الرسول هنا : « هكذا » أى بهذا المقدار غير المحدود : —

« كان المنظر مخيفاً » :

كان « منظراً » — ولا عجب ! — كان منظراً تراه العيون عند « جبل ملموس » تمسه الأيادى — تراه العيون فى النار والدخان وتسمعه الآذان فى البروق والرعود ، فقد كان « منظراً » ملموساً ومحسوساً — تحت حكم الحواس البشرية فى النظر واللمس والسمع وكل ذلك قد سبق أن رأيناه فى شرح ما عبرت به الكلمة النبوية القائلة : « صارت رعود وبروق وسحاب ثقيل على الجبل وصوت بوق شديد جداً . فارتعد كل الشعب الذى فى المحلة » . « وكان جبل سيناء كله يدخن ، من أجل أن الرب نزل عليه بالنار ، وصعد دخانه ، كدخان الأتون ، وارتجف كل الجبل جداً » (خر ١٩ : ١٦ و ١٨) .

أو لم نسمع « مرنم إسرائيل الحلو ؟ (صم ٢٣ : ١) لنرنم معه « عند خروج إسرائيل من مصر وبيت يعقوب من شعب أعجم (شعب مصر) كان يهوذا مقدسة وإسرائيل محل سلطانه ، البحر رآه فهرب ، الأردن رجع إلى خلف ، الجبال قفزت مثل الكباش والآكام مثل حملان الغنم — مالك أيها البحر قد هربت ! ومالك أيها الأردن قد رجعت إلى خلف ! وما لكن أيتها الجبال قد قفزتن مثل الكباش ! وأيتها التلال مثل حملان الغنم ! أيتها الأرض تزلزلى من قدام الرب — من قدام إله يعقوب » (مز ١١٤ : ١ — ٧ اقرأ مز ١١٤) .

وكيف لا تتزلزل الأرض وتهتز الجبال وترتجف الآكام وتهرب البحار والأنهار من وجه الرب ومن غضب السماء العظيم ؟ وكأنها جميعها تشعر بتلوثها وبخضوعها للبطل والفساد ، فترتجف أمام غضب السماء . فليس بغريب إذاً أن يعقب الرسول ، قائلا : « كان المنظر هكذا مخيفاً » : —

« حتى قال موسى » :

هنا نسمع « موسى » يتكلم فأين كان « موسى » وهو يتكلم ؟ وماذا قال « موسى » ؟ سؤالان يتطلبان إجابة صريحة علينا أن نبحث عنها بحثاً دقيقاً فى نور تلك الإعلانات السماوية التى جاءت بها الكلمة النبوية فى «الكتب المقدسة » — تلك « الكتب» التى أشار إليها السيد المسيح فى قوله : « فتشوا الكتب لأنكم تظنون أن لكم فيها حياة أبدية وهى التى تشهد لى » (يو ٥ : ٣٩ إقرأ ٣٩ — ٤٧ مع ٢ بط ١ : ١٩ — ٢١) .

أما السؤال الأول وهو أين كان « موسى » وهو يتكلم ؟ والجواب عليه واضح جلى فى كل ما ورد بشأنه فى التاريخ المقدس ، حيث نقرأ ونسمع : « فى الشهر الثالث بعد خروج بنى إسرائيل من أرض مصر — فى ذلك اليوم جاءوا إلى برية سيناء . . . هناك نزل إسرائيل مقابل الجبل (جبل سيناء) . وأما « موسى » فصعد إلى الله . » (خر ١٩ : ١ — ٣) .

أما الشهر الثالث الذى فيه صعد موسى إلى الله فى جبل سيناء فهو ، باعتبار التقويم القمرى ، بدء الهلال الثالث لخروج إسرائيل من أرض مصر فى اليوم الرابع عشر من الشهر الأول (خر ١٢ : ١ — ٦ و ٥١) .

هذا هو « يوم الخمسين » — العيد اليهودى الذى أوصى به الرب شعب إسرائيل ، قائلا : « تحسبون لكم من غد السبت (سبت الفصح) من يوم إتيانكم بحزمة الترديد — سبعة أسابيع تكون كاملة إلى غد السبت السابع تحسبون خمسين يوماً » (لا ٢٣ : ١٥ و ١٦ اقرأ ع ٩ — ١٧) .

هذا هو اليوم — « يوم الخمسين » — الذى يعتقد جماعة اليهود أنه ، فيه ، أعطيت الشريعة على جبل سيناء وأصبح لهم عيداً موسمياً موسوياً ، وهو ذات اليوم — « يوم الخمسين » — من التاريخ المقدس الذى فيه حل الروح القدس على التلاميذ بألسنة من نار معلناً مغزى شريعة جبل سيناء وكل اتجاهاتها الروحية الحقيقية (اقرأ أع ٢ : ١ — ٤ و ١٤ — ٢١ مع يؤ ٢ : ٢٨ — ٣٠) .

هذا هو اليوم الذى صعد فيه موسى إلى جبل سيناء ؛ بمقتضى أمر الرب له كما يظهر من النصوص النبوية ؛ حيث نقرأ : « وأما موسى فصعد إلى الله » (خر ١٩ : ٣) « ونزل الرب على جبل سيناء إلى رأس الجبل . ودعا الله موسى إلى رأس الجبل . فصعد موسى . فقال الرب لموسى : انحدر وحذر الشعب لئلا يقتحموا إلى الرب . . . اذهب انحدر ثم اصعد أنت وهرون معك . . . فانحدر موسى إلى الشعب وقال لهم » (خر ١٩ : ٢٠ و ٢١ و ٢٤ و ٢٥) .

« وأما موسى فاقترب إلى الضباب حيث كان الله » « وقال لموسى : « اصعد إلى الرب أنت وهرون وناداب وأبيهو وسبعون من شيوخ إسرائيل . واسجدوا من بعيد » (خر ٢٠ : ٢١ ، ٢٤ : ١) « وقال الرب لموسى ، اصعد إلىّ — إلى الجبل — وكن هناك ؛ فأعطيك لوحى الحجارة والشريعة والوصية التى كتبتها لتعليمهم » (خر ٢٤ : ١٢) .

بمقتضى هذه النصوص الإلهية صعد موسى إلى جبل سيناء ليكون مع الرب .. ويمكن تنظيم هذا الصعود بمقتضى هذه النصوص على النحو الآتى : فى الشهر الثالث ؛ بعد خروج بنى إسرائيل من مصر حل الشعب فى البرية مقابل جبل سيناء ودعا الله موسى ليصعد إلى الجبل فصعد ، ثم طلب منه أن ينحدر ليحذر الشعب من مس الجبل أو الاقتراب إليه فانحدر وحذره .

ثم اقترب « موسى » إلى الضباب حيث كان الله فدعاه ليصعد إلى الجبل هو وهرون وأولاد هرون الأربعة وسبعون من شيوخ إسرائيل ؛ فصعدوا « ورأوا إله إسرائيل وتحت رجليه شبه صنعة من العقيق الأزرق الشفاف وكذات السماء فى النقاوة ، فرأوا الله وأكلوا وشربوا » (خر ٢٤ : ٩ — ١١ اقرأ ع ١ — ١١) . وبعد انتهاء هذا المنظر دعا الله موسى ليصعد إلى الجبل ليكون معه هناك ليتقبل منه تلك الأقوال الحية التى عبر عنها إستفانوس بالقول : « هذا هو (موسى) الذى كان فى الكنيسة فى البرية مع الملاك الذى كان يكلمه فى جبل سيناء . . (موسى) الذى قبل أقوالا حية ليعطينا إياها » (اع ٧ : ٣٨ اقرأ خر ٢٠ : ١ — ١٧ و ٢٤ : ١٢) .

هناك على جبل سيناء كان موسى مع الله — « ملاك العهد » (يهوه) — فى مقابلة ممتازة وصفها يهوه نفسه فى قوله لأخويه هرون ومريم : « اسمعا كلامى إن كان منكم نبى للرب (يهوه) فبالرؤيا أستعلن له — فى الحلم أكلمه ، وأما عبدى موسى فليس هكذا ، بل هو « أمين فى كل بيتى » فماً إلى فم وعياناً أتكلم معه — لا بالألغاز — وشبه الرب يعاين » (عد ١٢ : ٦ — ٨ راجع شرح ص ٣ : ٢ و ٥) . هذا هو « موسى » الذى يقول عنه الرسول هنا « وكان المنظر هكذا مخيفاً حتى قال موسى » : —

« أنا مرتعب ومرتعد » :

لقد سبق أن تحدثنا عن السؤال الأول الذى هو ، أين كان « موسى » وهو يتكلم ؟ وقد رأينا الجواب على هذا السؤال أنه كان فى محيط جبل سيناء « المضطرم بالنار » ، فلا عجب ! أن نراه وهو فى هذا المحيط يتكلم قائلا : « أنا مرتعب ومرتعد » ! لأن « المنظر » كان « هكذا مخيفاً » يرعب الإنسان لدرجة جعلت موسى نفسه يقول : « أنا مرتعب ومرتعد » .

وهل قال موسى : « أنا مرتعب ومرتعد » ؟ ومن أين أتى الرسول بهذا القول منسوباً إلى موسى ؛ حتى أنه يقول بلغة تشعرنا بأنه جاد كل الجد فى نسبة هذا القول إلى موسى ؟ هذا تساؤل يدخل بنا فى باب التكهن بالأمور وهو العلم بالغيب والقضاء به والتحدث عنه — الغيب الذى لا يعلمه إلا الله وحده .

فإن التاريخ النبوى لم يذكر ما قاله موسى : « أنا مرتعب ومرتعد » ؛ والأمر الواضح هو أن ليس لبشر ما أن يتكهن أو يعلم الغيب وإلا فإنه يجعل ذاته إلهاً قضى بكل الأمور عالماً بما قضى به . فكل تكهن لإنسان ما باطل .

على هذا الأساس يقول الرسول لجماعة العبرانيين مؤكداً أن موسى قال : « أنا مرتعب ومرتعد » — لا من باب التكهن أو علم الغيب ؛ بل بالإلهام الإلهى والوحى المقدس الذى منه نتحقق أن موسى أمام مظاهر جبل سيناء المخيفة التى أرعبت الشعب رعباً شديداً قد ارتعب هو أيضاً منها .

على غرار هذا الإعلان السماوى الذى أعطى بولس أن ينسب إلى موسى قولا لم يرد عنه فى التاريخ المقدس — على غرار ذلك الإعلان توجد عينات أخرى من الأخبار والحوادث التى أوردها البشيرون ورسل المسيح ، ومن هذه العينات ما جاء عن رئيس الملائكة فى النص القائل : « وأما ميخائيل رئيس الملائكة ، فلما خاصم إبليس محاجاً عن جسد موسى ، لم يجسر أن يورد حكم افتراء ، بل قال ، لينتهرك الرب » (يه ٩) .

هكذا ما قيل ، أيضاً ، عن نبوة أخنوخ ونصه : « وتنبأ عن هؤلاء ، أيضاً ، أخنوخ (عبرياً حنوك) السابع من آدم قائلا : « هوذا قد جاء الرب فى ربوات قديسيه ليصنع دينونة على الجميع ويعاقب جميع فجارهم على جميع أعمال فجورهم التى فجروا بها وعلى جميع الكلمات الصعبة التى تكلم بها عليه خطاة فجار » (يه ١٤ و ١٥) .

على هذا النمط يسير الرسول فى حديثه عن « ينيس ويمبريس » اللذين قاوما موسى ولم يرد ذكرهما فى تاريخ موسى (٢ تى ٣ : ٨) . وما قاله ، أيضاً ، عن شعب إسرائيل أنهم « كانوا يشربون من صخرة روحية تابعتهم والصخرة كانت المسيح » (١ كو ١٠ : ٤) .

فمن أين أتت لأولئك الكتبة تلك الأخبار التى كتبوا عنها ؟ لا جواب لهذا السؤال إلا أنه المصدر الواحد — الوحى الإلهى — فإنه ولو أن الحوادث المشار إليها ، فى كتاباتهم هذه كانت جارية فى زمانهم مجرى التقاليد المتواترة والأساطير الشائعة التى كانت محفوظة ومشهورة عندهم حينئذ ، إلا أن هؤلاء الكتبة ولابد تحدثوا عنها عن طريق الإلهام الإلهى الذى يوحى إليهم بالتمييز الفائق للتفريق بين الغث والثمين والباطل والحق وتحليل تلك الأخبار تحليلا سماوياً لإعلان حقيقتها . على هذا الأساس ، بالوحى المقدس ، يقول الرسول عن موسى : « حتى قال موسى : أنا مرتعب ومرتعد » .

إلى هنا أعاننا الرب فانتهينا من الوقوف عند جبل سيناء « المضطرم بالنار » ومن مناظره المخيفة ومن أصواته المرعدة التى ارتج لها الجبل وارتعب الشعب حتى قال موسى : « أنا مرتعب ومرتعد » . وها نحن الآن نتقدم إلى جبل آخر هو الجبل الثانى فى الركن التعليمى من هذا الموقف الثالث للرب يسوع وموضوعه : —

جبـــل صهيون (عب ١٢ : ٢٢ — ٢٤)

٢٢ بَلْ قَدْ أَتَيْتُمْ إِلَى جَبَلِ صِهْيَوْنَ وَإِلَى مَدِينَةِ ٱللهِ ٱلْحَيِّ
أُورُشَلِيمَ ٱلسَّمَاوِيَّةِ وَإِلَى رَبَوَاتٍ هُمْ مَحْفِلُ مَلاَئِكَةٍ ٢٣ وَكَنِيسَةُ
أَبْكَارٍ مَكْتُوبِينَ فِي ٱلسَّمَوَاتِ وَإِلَى ٱللهِ دَيَّانِ ٱلْجَمِيعِ وَإِلَى أَرْوَاحِ
أَبْرَارٍ مُكَمَّلِينَ ٢٤ وَإِلَى وَسِيطِ ٱلْعَهْدِ ٱلْجَدِيدِ يَسُوعَ وَإِلَى دَمِ
رَشٍّ يَتَكَلَّمُ أَفْضَلَ مِنْ هَابِيلَ .

فى هذه الآيات من الركن التعليمى نجد أنفسنا أمام الجبل الثانى الذى هو « جبــل صهيون » كما سنرى ، وذلك بمقارنته مع الجبل الأول «جبل سيناء » الذى سبق الكلام عنه فى (ع ١٨ — ٢١ راجع الشرح) .

وباعتبار أن هذا الجبل —« جبل صهيون » — إنما هو « عهد » جديد كما سنرى فى شرح (ع ٢٤) — بهذا الاعتبار يكون « جبل سيناء» — أيضاً ، بذات النسبة — عهداً عتيقاً ؛ كما سبق أن عبر عنه الرسول بقوله : « فإذ قال جديداً عتق الأول ، وأما ما عتق وشاخ فهو قريب من الاضمحلال » (ص ٨ : ١٣ راجع شرح ع ٧ — ١٣) . إذاً نحن الآن أمام « عهد جديد » يبدأ الرسول تعليمه عنه قائلا : —

(ع٢٢) « بل قد أتيتم » :

سبق أن قال لهم عن العهد الأول الخاص بجبل سيناء : « لأنكم لم تأتوا » (راجع شرح ع ١٨) . والآن يقول لهم « بل قد أتيتم » مبيناً فى قوله الأول موقفهم السلبى إزاء الموقف الذى وقفه آباؤهم عند « جبل سيناء » وهم (أباؤهم) يرون النار ملتهبة والرعود مرعدة والبروق صاعقة والزلازل مرعبة والجبل يرتجف ويدخن وصوت البوق مزعج ؛ فامتلأوا خوفاً ورعباً وصرخوا قائلين : « نموت » (راجع شرح ع ١٨ — ٢١) — هو موقف عبودية قاسية ومرة إزاء « الناموس » تحت صولة

« الشهادة » وسطوة « الشريعة » . وهو الموقف الذى ذكره ، سلباً ، فى قوله لهم : « لم تأتوا إلى جبل ملموس » ليعدهم إلى موقف إيجابى فى قوله لهم : « بل قد أتيتم » : —

« إلى » :

وهل لا نندهش أمام نادرة مذهلة فى إيراد هذه الكلمة الصغيرة « إلى » سبع مرات فى هذه الأعداد الثلاثة (ع ٢٢ — ٢٤) حيث نقرأ : « إلى » جبل « إلى » مدينة « إلى » ربوات « إلى » الله « إلى » أرواح « إلى » وسيط « إلى » دم .

سباعية عجيبة كسائر سباعيات الوحى المقدس التى تشير إلى الكمال المطلق الذى لا حد له — الأمر الذى يدلنا على أننا الآن أمام عهد ينطبق عليه القول : « قد أكمل » (يو ١٩ : ٣٠) . كما ينطبق عليه القول أيضاً « قد تم » (رؤ ٢١ : ٦) .

وما أعجب أن تكون تنويهات السيد المسيح فوق الصليب سبعاً ! هى كما وردت فى (١) لو ٢٣ : ٣٤ (٢) لو ٢٣ : ٤٣ (٣) يو ١٩ : ٢٦ و ٢٧ (٤) مت ٢٧ : ٤٦ (انظر مر ١٥ : ٣٤) (٥) يو ١٩ : ٢٨ (٦) يو ١٩ : ٣٠ (٧) لو ٢٣ : ٤٦ .

وأعجب من كل ذلك أن يتمثل هذا السيد القدوس ، أمام يوحنا الرائى فى هيئة عبر عنها ذلك الرائى بالقول : « ورأيت فإذا فى وسط العرش . . خروف قائم كأنه مذبوح له « سبعة » قرون و « سبع » أعين — هى « سبعة » أرواح الله المرسلة إلى كل الأرض » (قابل رؤ ٥ : ٦ و ٤ : ٥ و ١ : ٤ مع زك ٣ : ٩ و ٤ : ١٠) . وها نحن الآن أمام سباعية مقدسة يبدأ كل منها بكلمة « إلى » حيث نسمع القول : « بل قد أتيتم إلى » : —

« جبل صهيون » :

يأتى الرسول بنا إلى « جبل صهيون » . وذلك بمقارنته مع « جبل سيناء » الذى سبق الكلام عنه (راجع شرح ع ١٨ — ٢١) . أما « جبل صهيون » فقد ورد أول ذكر له فى التاريخ النبوى تحت عنوان « حصن صهيون » حيث قيل عن داود : « وذهب

الملك ورجاله إلى «أورشليم» إلى «اليبوسيين» سكان الأرض ... وأخذ داود «حصن صهيون» . . . وأقام داود فى الحصن . . . القلعة» (اقرأ ٢ صم ٥ : ٦ — ٩)

من هذا التاريخ المقدس يتضح لنا جلياً أن «جبل صهيون» هو «حصن صهيون» — «القلعة» — التى بدأ داود ملكه متحصناً فيها . وهكذا يتضح ، أيضاً ، أن سكان هذا الجبل الأصليين هم قبيلة «اليبوسيين» من نسل كنعان بن حام بن نوح الذين طردهم الرب من أمام إسرائيل ليعطيهم أرضهم ميراثاً لهم ، وذلك بمقتضى الميثاق الذى قطعه مع أبرام أبيهم (قابل تث ٧ : ١ مع تك ١٢ : ٦ و٧ و١٥ : ١٨ — ٢١ و١٧ : ٨)

من كل ما ذكر يظهر واضحاً أن «جبل صهيون» هو «أورشليم» التى هى «يبوس» التى فيها سكنت قبيلة «اليبوسيين» من سكان أرض كنعان (قابل يش ١٨ : ٢٨ مع قض ١٩ : ١٠ مع ١ أى ١١ : ٤ مع عد ١٣ : ٢٩) . هذا هو «جبل صهيون» بالنسبة إلى تاريخه الزمنى .

أما حدوده الجغرافية فتدل على أنه كان رابية شاهقة جداً قوية وحصينة — رأساً بين أربعة رؤوس جبلية شاهقة ، وقد كان أعلاها فى وسط مضايق عميقة من الشرق والغرب والجنوب وواد منخفض مجوف من الشمال ، فكان هذا «الجبل» بالنسبة إلى هذه الحدود الجغرافية محصناً تحصيناً لا ينال . فلا عجب ! أن يقال : «وأما اليبوسيون الساكنون فى أورشليم — «التى هى يبوس» فلم يقدر بنو يهوذا على طردهم ، فسكن اليبوسيون مع بنى يهوذا فى أورشليم إلى هذا اليوم» (يش ١٥ : ٦٣) متحصنين فى هذا الجبل — «جبل صهيون» — مدة لا تقل عن أربعمئة سنة .

هكذا بقى «جبل صهيون» — حصناً لليبوسيين إلى أن بايع كل شعب إسرائيل داود على الملك وعقدوا معه عهد البيعة ليكون ملكاً عليهم ؛ فذهب ، مع رجاله ، إلى أورشليم إلى اليبوسيين سكان الأرض وأخذ حصن صهيون (اقرأ ٢ صم ٥ : ١ — ٧ مع ١ أى ١١ : ٤) . هذا هو «جبل صهيون» تاريخياً وجغرافياً .

أما الرسول فإنه يوقفنا أمام «جبل صهيون» فى مقارنة مع «جبل سيناء» — «الجبل الملموس» ، وذلك باعتبار أنه جبل لا يلمس ولا يرى ولا يمس ولا يجس ؛

فلا علاقة له البتة بالجسديات . وهو جبل يرتفع بنا سامياً فوق الأرض والأرضيات ، ضداً للذين قال عنهم ذات الرسول : « الآن أذكرهم ، أيضاً ، باكياً ، وهم أعداء صليب المسيح ، الذين نهايتهم الهلاك ، الذين إلههم بطنهم ومجدهم فى خزيهم ، الذين يفتكرون فى الأرضيات » (فى ٣ : ١٨ و ١٩ اقرأ كو ٢ : ٢٠ — ٢٣) .

هذا هو « جبل صهيون » الذى يرتفع بنا روحياً إلى علو شاهق يخترق السماء ، ومن علوه ينادينا بصوت عال ومرتفع ، قائلا : « إن كنتم قد قمتم مع المسيح ، فاطلبوا ما فوق حيث المسيح جالس عن يمين الله — اهتموا بما فوق لا بما على الأرض ، لأنكم قد متم وحياتكم مستترة مع المسيح فى الله ، متى أظهر المسيح حياتنا ، فحينئذ تظهرون أنتم ، أيضاً ، معه فى المجد » (كو ٣ : ١ — ٤) . إلى هذا الجبل الروحى السماوى يأتى بنا الرسول ، قائلا : « بل قد أتيتم إلى جبل صهيون وإلى » : —

« مدينة الله الحى » :

لهذه المدينة — « مدينة الله الحى » — نرى رمزاً بيناً فى « مدينة داود » متصلة اتصالا تاماً « بجبل صهيون » حيث قيل : « وأخذ داود حصن صهيون هى مدينة داود » (٢ صم ٥ : ٧) . على أن داود نفسه يعطى هذه المدينة لقباً عجيباً يتفق فيه كل الاتفاق مع قول الرسول هنا : « مدينة الله الحى » ، وذلك حيث نسمعه ينشد ، قائلا : « عظيم هو الرب وحميد جداً فى مدينة إلهنا » — « مدينة الله الحى » — جبل قدسه — جميل الارتفاع فرح كل الأرض « جبل صهيون » — فرح أقاصى الشمال « مدينة الملك العظيم » — « مدينة الله الحى » — الله فى قصورها يعرف ملجأ » (مز ٤٨ : ١ — ٣) .

فلا عجب ! إن كان ذات المرنم يتغنى ، أيضاً ، منشداً ! « الرب أحب أبواب صهيون أكثر من جميع مساكن يعقوب ، قد قيل بك أمجاد يا مدينة الله » (مز ٨٧ : ٢ و ٣) . هذه هى « مدينة الله الحى » التى قيل عنها فى النص النبوى : « لأن الرب قد اختار « صهيون » ، اشتهاها مسكناً له » معبراً عن هذا الاشتهاء العجيب ، قائلا : « هذه هى راحتى إلى الأبد ، ههنا أسكن ، لأنى اشتهيتها » (مز ١٣٢ : ١٣ و ١٤ اقرأ ع ١٣ — ١٨) . هذا هو « جبل صهيون » — « مدينة الله الحى » : —

« أورشليم السماوية » :

هنا يصل بنا الرسول إلى بيت القصيد ؛ حيث يحدد لنا « جبل صهيون » الذى هو « مدينة الله الحى » تحديداً لا ريب فيه ، يقطع الشك باليقين لنؤكد تأكيداً راسخاً أن ذلك « الجبل » » وتلك « المدينة » هما « أورشليم السماوية » ، حيث يرتفع بنا من الأرضيات ومن الجسديات إلى الروحيات ؛ لنصرف كل النظر عن « أورشليم التى هى يبوس » التى أخذها « داود » عنوة من « اليبوسيين » ودعاها « حصن صهيون » — « مدينة داود » — « القلعة » (اقرأ ٢ صم ٥ : ٦ — ٩) .

فأين إذاً « أورشليم السماوية » ؟ هذا سؤال يرجع بنا إلى « الكلمة النبوية » فى « الكتب المقدسة » ، وذلك فى مقابلة رسمها ذات الرسول أمام عيون الغلاطيين ، وهى مقابلة تشبه فى صورتها هذه المقابلة التى نحن بصددها الآن بين « جبل سيناء » و« جبل صهيون » كما رأينا هنا .

أما تلك المقابلة فإننا نجد نصها صريحاً فى رسالته إلى أهل غلاطية ؛ حيث يقول : « لأن هاجر جبل سيناء فى العربية ولكنه (« جبل سيناء — الناموس الموسوى يقابل) « أورشليم الحاضرة » فإنها مستعبدة مع بنيها (تحت الناموس) ، وأما « أورشليم العليا » التى هى أمنا . جميعاً فهى حرة » (انظر شرح غل ٤ : ٢١ — ٢٦ للمؤلف) ، هــذه هى « أورشليم العليا » — « أورشليم السماوية » — « المدينة التى لها الأساسات التى صانعها وبارئها الله » — التى كان إبراهيم ينتظرها فى أرض غربته (ص ١١ : ١٠ راجع شرح ع ٨ — ١٠) .

هذه هى المدينة « أورشليم العليا » التى أعدها الله لمختاريه الذين يقرون بأنهم غرباء ونزلاء على الأرض — منتظرين « وطناً أفضل » أى سماوياً (راجع شرح ص ١١ : ١٣ — ١٦) . هذه هى « المدينة المقدسة » — « أورشليم الجديدة » التى رآها الرائى اللاهوتى — فى السماء الجديدة والأرض الجديدة — « نازلة من السماء من عند الله ، مهيأة كعروس مزينة لرجلها » (رؤ ٢١ : ٢ اقرأ ع ١ — ٤ و٩—١١ اقرأ كل الأصحاح) .

وما أبدع ذلك الوعد النبوى الكريم بهذه المدينة السماوية العليا ؛ حيث يقال : « افرحوا وابتهجوا إلى الأبد فى ما أنا خالق ؛ لأنى هأنذا خالق أورشليم بهجة وشعبها فرحاً . فأبتهج بأورشليم وأفرح بشعبي ولا يسمع بعد فيها صوت بكاء ولا صوت صراخ » (قابل إش ٦٥ : ١٧ — ١٩ مع رؤ٢١ :٣و٤) . هكذا يقول الرسول : « بل قد أتيتم إلى جبل صهيون وإلى مدينة الله الحى أورشليم السماوية وإلى » : —

« ربـوات » :

هذه الكلمة « ربوات » واردة فى صيغة الجمع — مفردها « ربوة » — وهى لفظاً ، كلمة مشتقة من فعل عربى واوى هو « ربا يربو » . أما فى معناه ، فإنه ينم على الكثرة عددياً فيقال ، ربا المال يربو ربوا ورباء أى نما وزاد ، أما « الربوة » فهو بالنسبة إلى رقمها العددى وهى تقدر بعشرة من الآلاف ، وبذلك تكون الكلمة « ربوات » لفظاً ينم . عددياً ، عن عشرات الألوف ، وما أسمى الرابية ! التى ترتفع بنا إلى رؤوس الجبال العالية وتصل بنا « إلى ربوات » : —

« هم » :

هذه الكلمة « هم » — لغوياً هى ضمير فى صيغة الجمع للغائبين تشير إلى مجموعة من الخلائق العاقلة مبينة بوضوح فى صنفين مذكورين فيما يلى وهما (١) « محفل ملائكة » (٢) «كنيسة أبكار مكتوبين فى السماوات » — هؤلاء وأولئك معاً « هم » الذين يوصفون بالقول « ربوات هم » : —

« محفل ملائكة » :

أما « المحفل » — لغوياً — فهو المجتمع و« محفل » القوم مجتمعهم — ويقال : هذا محفل القوم ومحتفلهم أى مجتمعهم سواء أكان هذا المجتمع فى مجلس مجتمع أو فى غير ذلك . أما « محفل الملائكة » فإنه ينبيء بمجتمع يضمهم جميعاً معاً كتلة واحدة ولو كانوا « ربوات » و « ألوف مكررة » كما سبق أن رأيناهم هكذا عند وضع قواعد الأرض حيث « ترنمت كواكب الصبح معاً وهتف جميع بنى الله » (أى ٣٨ : ٧ اقرأ أم ٨ :

٣٠ و ٣١) . وقد بيناهم ، بأكثر وضوح ، فى نشيد موسى الخاص بوضع قواعد « ملكوت الله » عند جبل سيناء ، حين أنشد قائلا : « أتى من ربوات القدس وعن يمينه نار شريعة لهم » (تث ٣٣ : ٢) .

هذه هى الصورة التى رسمها لنا المرنم فى نشيده ، قائلا : « مركبات الله ربوات ألوف مكررة ، الرب فيها ، سينا فى القدس » . وكأننا بالمرنم وقد صعدت به الرؤيا إلى العلاء فرأى منظر صعود عجيب ؛ فتغيرت لهجته من غائب إلى مخاطب ؛ فقال ، فى خطابه ، منشداً : « صعدت إلى العلاء . سبيت سبياً . قبلت عطايا بين الناس وأيضاً المتمردين (قبلت) للسكن أيها الرب الإله » (مز ٦٨ : ١٧ و ١٨) .

وهل كان ، فى نشيده هذا ، يرى ذلك الشخص العجيب « يسوع » ؟ الذى رآه تلاميذه صاعداً إلى السماء « وأخذته سحابة عن أعينهم » ؟ (أع ١ : ٩ و ١٠ اقرأ مز ٢٤ : ٧ — ١٠) — ذلك الشخص العجيب الذى كتب عنه الرسول بولس ، فى هذه المناسبة — مع أنه لم يكن واحداً من الذين رأوه صاعداً — ولكنه بإعلان سماوى ذكر نشيد ذات المرنم ، قائلا : « إذ صعد إلى العلاء سبى سبياً وأعطى الناس عطايا ، وأما أنه صعد فما هو إلا إنه نزل ، أيضاً أولا ، إلى أقسام الأرض السفلى » (أف ٤ : ٨ و ٩ اقرأ ع ٧ — ١٥) .

هكذا كان « محفل الملائكة » فى احتفاء دائم بذلك الشخص العجيب فى كل أدوار عهد الفداء المبارك ؛ حيث ظهر جمهور منهم ليلة ميلاده مسبحين الله وقائلين : « المجد لله فى الأعالى وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة » (لو ٢ : ١٤ اقرأ ع ٨ — ١٤) . وهل نراهم فى البرية — وقد ظفر بإبليس فهرب منه ؟ — « وإذا ملائكة قد جاءت فصارت تخدمه » ؟ (قابل مت ٤ : ١١ مع مر ١ : ١٢ و ١٣) .

وكما صحبته الملائكة عند صعوده هكذا سيأتى فى موكب ملائكى مجيد « بهتاف بصوت رئيس ملائكة وبوق الله » (١ تس ٤ : ١٦ اقرأ ع ١٣ — ١٧ مع ٢ تس ١ : ٣ — ١٠ مع مت ٢٥ : ٣١ — ٤٦) . هذا هو « محفل الملائكة » الذى ترنم عند وضع قواعد الأرض ، وهتف ببوق عظيم الصوت مرعد عند إعطاء الشريعة فى

جبل سيناء ، وسبح ليلة ميلاد المولود العجيب ، ورافقه محيطاً به فى خدمته إلى أن صعد إلى السماء وسيأتى بهتاف البوق الأخير — « ربوات هم محفل ملائكة » : —

(ع ٢٣) « وكنيسة أبكار » :

لفظ « الكنيسة » لفظ معرب أى ليس عربياً أصلا ، على أنه لا يبعد أن يكون لفظاً عربياً يعطى دلالة خاصة على مكان العبادة لله كما كان لفظ الهيكل قديماً حيث كان يتعبد اليهود فى هيكلهم والوثنيون فى هياكلهم . أما معناه ، بحصر لفظه ، فيمكن أن نتعرف عليه عن طريق المقابلة بين قول المرنم : « فى وسط الجماعة اسبحك » (مز ٢٢ : ٢٢) . وبين قول الرسول : « فى وسط الكنيسة أسبحك » (انظر شرح ص ٢ : ١٢) .

فإننا فى المقابلة بين هاتين الآيتين نرى لفظ « الكنيسة » بدلا من لفظ « الجماعة » . وكلا اللفظين واحد فى دلالته . فالكنيسة ؛ بهذا المعنى . إنها هى جماعة المؤمنين الذين يجتمعون معاً فى أى مكان ما متعبدين للرب — « رب المجد » . وهو معنى ينطبق تمام الانطباق على قول السيد : . « لأنه حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمى فهناك أكون فى وسطهم » (مت ١٨ : ٢٠) . « فالكنيسة » إذاً هى أولئك الإخوة — إخوة الرب يسوع — الذين يجتمعون معاً متحدين بالإيمان لعبادة الرب .

هؤلاء هم « هيكل الروح القدس » — « هيكل الله » — حيث يسكن الروح القدس فى القلوب المتعبدة (قابل ١ كو ٣ : ١٦ و ٦ : ١٩ و ٢٠ مع ٢ كو ٦ : ١٦) . هذا هو « بيت الله » — « كنيسة الله الحى » — « عمود الحق وقاعدته » (١ تى ٣ : ١٥ اقرأ ع ١٤ — ١٦ مع أف ٢ : ١٨ — ٢٢ مع ١ بط ٢ : ٣ — ٥ راجع شرح ص ٣ : ٦) . هذه هى « الكنيسة » — « كنيسة الله الحى » — « هيكل الروح مقدس » — — هذه هى : —

« كنيسة أبكار » :

قد سبق أن رأينا « الكنيسة » (جماعة المؤمنين) «كنيسة الله الحى » . وها نحن هنا نريد أن نرتفع إلى كنيسة الأبكار » ، وهو ارتفاع لا يمكن أن نتحققه إلا بالرجوع إلى « الكلمة النبوية » التى هى « أثبت » (اقرأ ٢ بط ١ : ١٩ — ٢١) . حيث نسمع قول الرب المجيد « قدس لى كل بكر كل فاتح رحم من بنى إسرائيل . . . إنه لى » (خر ١٣ : ٢). « لأن لى كل بكر ، يوم ضربت كل بكر فى أرض مصر قدست لى كل بكر فى إسرائيل . . . لى يكونون أنا الرب » (عد ٣ : ١٣ اقرأ خر ١٢ : ٢٣ و ٢٤ و ٢٩ — ٤٢ مع عد ٣ : ١١ — ١٣ و ٤٠ و ٨ : ١٤ — ١٧) .

هكذا هو مكتوب فى ناموس الرب « إن كل ذكر فاتح رحم يدعى قدوساً للرب » (لو ٢ : ٢٣) . وإذا تفقهنا هذا النص الأخير لتمثلنا فيه ذلك البكر الوحيد — ليس هو البكر المشار إليه فى كلمة الوحى فى القول : « ولدت ابنها البكر » (مت ١ : ٢٥ إقرأ ع ٨ — ٢٥ مع لو ٢ : ١ — ٧ و ٢١ — ٢٤) . بل هو « البكر » الذى قيل فيه : « متى أدخل البكر إلى العالم يقول : ولتسجد له كل ملائكة الله » (راجع شرح ص ١ : ٦) . هذا هو البكر الذى تعين منذ الأزل ليكون » إلى الأبد « بكراً بين إخوة كثيرين» (رو ٨ : ٢٩) — هم « كنيسة أبكار» : —

« مكتوبين فى السموات » :

هذا التعبير « مكتوبين فى السموات » يعود بنا إلى « جبل صهيون » (راجع شرح ع ٢٢) ، حيث نسمع المرنم ينشد قائلا : « ولصهيون يقال : هذا الإنسان وهـذا الإنسان ولد فيها ، وهى العلى يثبتها ، الرب يعد فى كتابة الشعوب أن هذا (الإنسان) ولد هناك » (مز ٨٧ : ٥ و ٦) — الأمر الذى يوحى إلينا أن للرب كتابة لجميع الشعوب — هى كتابة ، ولابد ، مكتوبة — لا فى ورق — منقوشة لا فى ألواح نقش حجرية — بل بالحرى مكتوبة ومنقوشة فى « سفر الحياة » — « سفر حياة الخروف » (قابل فى ٤ : ٣ مع رؤ ٣ : ٥ و ١٣ : ٨ و ١٧ : ٨ و ٢٠ : ١٢ و ١٥ مع خر ٣٢ : ٣٢) .

فى هذا السفر — « سفر الحياة » — « سفر حياة الخروف » — أسماء « أبكار مكتوبين فى السموات » مولودين ، لا من الأرحام البشرية ؛ بل من « أبى الأنوار » الذى « شاء فولدنا بكلمة الحق لكى نكون باكورة من خلائقه » (اقرأ يع ١ : ١٧ و ١٨) — أبكار « مولودين ثانية لا من زرع يفنى ؛ بل مما لا يفنى بكلمة الله الحية الباقية إلى الأبد » (١ بط ١ : ٢٣ قابل ع ٢٣ — ٢٥ مع إش ٤٠ : ٦ — ٨) .

هؤلاء « الأبكار » هم المكتوبون فى السموات بمقتضى قصد الله الأزلى فى محبته — ذلك القصد المعبر عنه بالقول : « اختارنا فيه (فى ابنه الحبيب) قبل تأسيس العالم لنكون قديسين وبلا لوم قدامه فى المحبة ؛ إذ سبق فعيننا للتبنى بيسوع المسيح لنفسه حسب مسرة مشيئته ، لمدح مجد نعمته التى أنعم بها علينا فى المحبوب » (أف ١ : ٤ — ٦) .

هذا هو « لطف مخلصنا الله » الذى إذ ظهر مع إحسانه « لا بأعمال فى بر عملناها نحن ؛ بل بمقتضى رحمته خلصنا بغسل الميلاد الثانى وتجديد الروح القدس » (تى ٣ : ٤ و ٥) إذ « ولدنا ثانية لرجاء حى بقيامة يسوع المسيح من الأموات لميراث لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل محفوظ فى السموات » (١ بط ١ : ٣ و ٤) .

« كنيسة أبكار مكتوبين فى السموات » فى « سفر حياة الخروف » — كتابة مبرمة لا تنقض و « مكتوبون » لا تمحى أسماؤهم — أساس راسخ يبنى عليه رسول الأمم وحيه المقدس فى قوله : « نحن نعلم أن كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله — الذين هم مدعوون حسب قصده » (رو ٨ : ٢٧ اقرأ ع ٢٨ — ٣٠ راجع شرح ص ٢ : ١٠).

على أساس هذا المكتوب الأزلى يقول « راعى الخراف العظيم » : « لى خراف أخر ليست من هذه الحظيرة ينبغى أن آتى بتلك ، أيضاً ، فتسمع صوتى وتكون رعية واحدة وراع واحد » — « خرافى تسمع صوتى وأنا أعرفها فتتبعنى ، وأنا أعطيها حياة أبدية ولن تهلك إلى الأبد ولا يخطفها أحد من يدى » (يو ١٠ : ١٦ و ٢٧ و ٢٨ اقرأ ع ١١ — ٣٠) .

هؤلاء هم « كنيسة الأبكار المكتوبين فى السموات » الذين يضمهم الرسول جماعة واحدة مع « ربوات هم محفل ملائكة وكنيسة أبكار » . وهل من علاقة بين « محفل

ملائكة » وبين « كنيسة أبكار مكتوبين فى السموات » فى نسبتهم إلى العرش السماوى ؟ تلك النسبة التى تحققها الرائى اللاهوتى عند ما خر أمام رجلى الملاك الذى كان يفسر له الرؤيا ليسجد له ؟ فانتهره الملاك وقال له : « انظر ! لا تفعل ! أنا عبد معك ومع إخوتك الذين عندهم شهادة يسوع ، اسجد لله » (رؤ ١٩ : ١٠) .

هكذا أدرك الملائكة حقيقة مقامهم وأنهم ليسوا إلا عبيداً لله مع « كنيسة الأبكار » — على أن هذا لا يخالف ما تبين من علاقة « الملائكة » « بكنيسة الأبكار » — تلك العلاقة التى بينها الرسول فى قوله : « أليس جميعهم (جميع الملائكة) أرواحاً خادمة ، مرسلة للخدمة ، لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص » ؟ (راجع شرح ص ١ : ١٤ مع ع ٧ انظر مز ١٠٤ : ٤) . إذاً فلتخجل ولتخزى وجوه جميع الراغبين « فى التواضع وعبادة الملائكة » (كو٢ : ١٨) مع « كل عابدى تمثال منحوت » (مز ٩٧ : ٧) .

إذاً فلنتنبه ولنتحذر فى عبادتنا لله محققين وجود الملائكة معنا متعبدين ، ولنعلم أننا فى تلك العبادة المقدسة محاطون بملائكة قديسين أطهار يغارون على مجد الإله الحى الحقيقى ، ولنكن بالروح والحق فى حضرة المعبود الحقيقى فى وقار تام (قابل يو ٤ : ٢٣ — ٢٥ مع ١ كو١١ : ١٠). فلنأت ، بكل احتشام واحترام ووقار وتواضع ١ — « إلى جبل صهيون » ٢ — « وإلى مدينة الله الحى أورشليم السماوية » ٣ — « وإلى ربوات هم محفل ملائكة وكنيسة أبكار مكتوبين فى السموات » ٤ — « وإلى » : —

« الله ديان الجميع » :

لأول وهلة نشعر برهبة فى هذه الجزئية الرابعة التى نتقدم إليها ؛ حيث نأتى إلى « الله ديان الجميع » — إلى دينونة رهيبة ، وذلك بعد أن أتينا إلى « جبل صهيون » الذى هو « فرح كل الأرض » . وإلى « مدينة الله الحى أورشليم السماوية » — ذلك الوطن الأفضل مشتهى قديسى العلى وأحبائه (راجع شرح ع ٢٢ مع ص ١١ : ١٣ — ١٦) . وهكذا بعد أن أتينا أيضاً « إلى محفل ملائكة وكنيسة أبكار » فى فرح وابتهاج وتهليل ، فكيف يمكن أن ننتقل هكذا سريعاً من حالة أفراح وأمجاد إلى حالة دينونة شديدة — « إلى الله ديان الجميع » ؟

وإذا جلسنا قليلا متأملين ، فى هذا الموقف الرهيب ، نجد أنفسنا فى منتصف السباعية التى سبق الإشارة إليها — فى الموقف الرابع منها — بين فرح وبهجة « ربوات هم محفل ملائكة وكنيسة أبكار مكتوبين فى السموات » (راجع شرح ع ٢٢ و ٢٣) ، وبين سلام واطمئنان كما سنرى فى الثلاثة الأخيرة التى فيها سنأتى إلى « أرواح أبرار مكملين وإلى وسيط العهد الجديد يسوع وإلى دم رش يتكلم أفضل من هابيل » (انظر شرح ع ٢٤) .

فإن هذا التعبير الذى يوقفنا أمام « الله ديان الجميع » إنما هو تعبير يشعرنا برهبة كلية باغتة ؛ وهو موقف نرى فيه أنفسنا أمام « الجلجثة » أمام الموضوع الذى يقال له : « جمجمة » — حيث « صلبوا رب المجد » (قابل مت ٢٧ : ٣٣ مع مر ١٥ : ٢٢ مع لو ٢٣ : ٣٣ مع يو ١٩ : ١٧ مع ١ كو ٢ : ٨) .

هناك نرى المصلوب تحت غضب « الله ديان الجميع » — تحت دينونة القضاء الإلهى الرهيب — داخلا فى ظلمة مرعبة مصارعاً مع كل قوات الجحيم — مع إبليس الأسد الزائر (١ بط ٥ : ٨) مع « رئيس سلطان الهواء » (انظر أف ٢ : ٢) « بل مع الرؤساء ، مع السلاطين ، مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر ، مع أجناد الشر الروحية فى السمويات (أف ٦ : ١٢) . نزل ذلك الأسد من سبط يهوذا إلى قاع الجحيم ليقضى على ذلك الأسد الزائر فى عرينه وعلى كل قوات الظلمة (قابل رؤ ٥ : ٥ اقرأ تك ٤٩ : ٩ — ١٢) .

مصارعة ما أرهبها ! تحت غضب « الله ديان الجميع » — « غضب الله المعلن من السماء على جميع فجور الناس وإثمهم » (رو ١ : ١٨ اقرأ ع ١٨ — ٢٥) . وأى جحيم أشد التهاباً من جحيم غضب الله الذى « جعل الذى لم يعرف خطية خطية لأجلنا » — « ذبيحة إثم » (قابل ٢ كو ٥ : ٢١ مع إش ٥٣ : ١٠) كما هو مكتوب : « لكن أحزاننا حملها وأوجاعنا تحملها ونحن حسبناه مصاباً ، مضروباً من الله ، ومذلولا ، وهو مجروح لأجل معاصينا ، مسحوق لأجل آثامنا ، تأديب سلامنا عليه وبحبره شفينا ، كلنا كغنم ضللنا ملنا كل واحد إلى طريقه والرب وضع عليه إثم جميعنا » (قابل إش ٥٣ : ٤ — ٧ مع ١ بط ٢ : ٢٤ و ٢٥) .

هكذا ترك « رب المجد » تحت غضب « الله » يصارع — وحده فوق الصليب ، سلطان الظلمة وقوات الجحيم حتى صرخ بصوت عظيم « إلهي إلهي لماذا تركتني » وخرج منتصراً وارتفع الغضب وانقشعت الظلمة وانخذلت كل القوات الجهنمية وهتفت السماء والأرض بفرح عظيم وبصوت النصرة : « إذاً لا شيء من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع ، السالكين ، ليس حسب الجسد ؛ بل حسب الروح لأن ناموس روح الحياة في المسيح يسوع قد أعتقني من ناموس الخطية والموت ؛ لأنه ، ما كان الناموس عاجزاً عنه في ما كان ضعيفاً بالجسد . فالله ، إذ أرسل ابنه في شبه جسد الخطية ولأجل الخطية ، دان الخطية في الجسد (في ابنه المتجسد) (اقرأ رو٨ : ١ — ٣) . فلنهتف « شكراً لله الذي يعطينا الغلبة بربنا يسوع المسيح » (١ كو١٥ : ٥٧) .

هكذا نرى سراً إلهياً فائقاً في المشابهة بين هذه الجهة الرابعة التي تتوسط هذه السباعية وبين الكلمة الرابعة التي تتوسط كلمات السيد المسيح السبع على الصليب حيث نرى « الله ديان الجميع » يعلن دينونته المخيفة في ظلمة عمت كل الأرض وجميع العالمين . فقد خسفت الشمس في سمتها وفي سمو مجدها وألبست النهار ، عند كمال نوره ، حلة قاتمة جعلته ظلمة حالكة وليلا مخيفاً .

مظهر طبيعي مخيف نتمثل فيه استعلاناً لغضب السماء المرعب على الأرض المدنسة . دينونة رهيبة حلت على رأس نائب البشرية الخاطئة الأثيمة .

فمن هو الديان ؟ أهو عرش « الله ديان الجميع » ؟ أو هو « كرسي المسيح » ؟ هذا سؤال يوقفنا أمام نقطة لاهوتية في الكتب المقدسة تستدعي التفاتنا إليها لنجد الجواب وارداً بصراحة في طيات تلك الكتب ؛ حيث نقرأ قول السيد المسيح نفسه : « كما أن الآب يقيم الأموات ويحيي ؛ كذلك الابن ، أيضاً ، يحيي من يشاء ؛ لأن الآب لا يدين أحداً ؛ بل قد أعطى كل الدينونة للابن ؛ لكي يكرم الجميع الابن كما يكرمون الآب . من لا يكرم الابن لا يكرم الآب الذي أرسله » (يو٥ : ٢١ — ٢٣) .

نص إلهى صريح يفسره لنا الوحى المقدس بفم بولس الرسول فى ختام خطابه الذى ألقاه فى آريوس باغوس ؛ حيث يقول : « فالله الآن يأمر جميع الناس ، فى كل مكان ، أن « يتوبوا » متغاضياً عن أزمنة الجهل ؛ لأنه أقام يوماً « هو » (الله) فيه مزمع أن يدين المسكونة بالعدل برجل قد عينه ، مقدماً للجميع إيماناً إذ أقامه من الأموات » (أع ١٧ : ٣٠ و ٣١ اقرأ ع ٢٢ — ٣١) .

بمقتضى هذا النص الصريح نرى الله « الآب» دياناً ؛ كما يقول الرسول بطرس « إن كنتم تدعون « أباً » الذى يحكم بغير محاباة ، حسب عمل كل واحد ؛ فسيروا زمان غربتكم بخوف » (١ بط ١ : ١٧) . إلا أنه — جل جلاله — يجرى دينونته « برجل قد عينه » « إذ أقامه من الأموات » « وأجلسه عن يمينه فى السمويات وأعطاه سلطاناً أن يدين أيضاً ؛ لأنه « ابن الإنسان » . . فإنه تأتى ساعة فيها يسمع جميع الذين ، فى القبور ، صوته (صوت « ابن الإنسان ») فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة والذين عملوا السيئآت إلى قيامة الدينونة » (قابل أع ١٧ : ٣١ مع أف ١ : ٢٠ مع يو ٥ : ٢٧ — ٢٩) .

هذا هو الذى قيل عنه : « ليست خليقة غير ظاهرة قدامه بل كل شىء عريان ومكشوف لعينى ذلك الذى معه أمرنا » (راجع شرح ص ٤ : ١٢ و ١٣) . هذا هو الذى سيأتى يوم استعلانه من السماء مع ملائكة قوته فى نار لهيب معطياً نقمة للذين لا يعرفون الله وراحة للذين يتضايقون مضطهدين ومطرودين ومعيرين « من أجل اسمه » « متى جاء ليتمجد فى قديسيه ويتعجب منه فى جميع المؤمنين » (اقرأ ٢ تس ١ : ٣ — ١٠ مع مت ٥ : ١٠ — ١٢) .

أو ليس « الله ديان الجميع » هو ذات « الله » الذى كان على « جبل سيناء » الملموس « المضطرم بالنار » ؟ (راجع شرح ع ١٨ — ٢١ اقرأ خر ١٩ : ١٦ — ١٩) . أو ليس هو الذى أعطى الناموس بموسى ؟ (يو ١ : ١٧) — ذلك « الناموس » الذى « ينشئ غضباً ؛ إذ حيث ليس ناموس ليس أيضاً تعد » (رو ٤ : ١٥) . « وكل تعد ومعصية نال مجازاة عادلة » (راجع شرح ص ٢ : ٢ و ٣) .

أو ليس الناموس الطبيعى هو ، أيضاً ، ديان عادل رهيب ؟ نعم ! وذلك « لأن غضب الله معلن من السماء على جميع فجور الناس وإثمهم ، الذين يحجزون الحق بالإثم ؛ إذ معرفة الله ظاهرة فيهم ؛ لأن الله أظهرها لهم ؛ لأن أموره غير المنظورة — « قدرته السرمدية ولاهوته » — ترى منذ خلق العالم مدركة بالمصنوعات حتى إنهم بلا عذر » (رو ١ : ١٨ — ٢٠ اقرأ ع ١٨ — ٢٥ و ٢ : ١٢ — ١٦ مع مز ١٩ : ١ — ٦ مع مز ١٤٧ : ٤ و ٥ مع إش ٤٠ : ٢٦) .

فإن كان « الله » فى الناموس دياناً مرهباً ، سواء أكان ناموساً شرعياً أم طبيعياً ؟ وإن كان غضبه ناراً متقدة فى « جبل سيناء » حتى صرخ الشعب قائلين » : « لماذا نموت » ؟ لأن هذه النار العظيمة تأكلنا ، إن عدنا نسمع صوت الرب إلهنا ، أيضاً ، نموت » (اقرأ تث ٥ : ١٣ — ١٦ راجع شرح ع ١٨ — ٢١) .

وإن كان « الله » فى « جبل سيناء » هكذا مرعداً ومرعباً فكم بالحرى يكون هكذا وأكثر فى « جبل صهيون » ؟ على حد المقارنة التى أبداها ذات الرسول ، أيضاً ، فى قوله : « من خالف ناموس موسى فعلى شاهدين أو ثلاثة شهود يموت بدون رأفة ، فكم عقاباً « أشر » ! تظنون أنه يحسب « مستحقاً » من داس « ابن الله » ؟ وحسب « دم العهد » الذى قدس به دنساً ؟ وازدرى « بروح النعمة » » ؟ فإننا نعرف الذى قال : « لى الانتقام أنا أجازى » يقول الرب . وأيضاً « الرب يدين شعبه » ، مخيف هو الوقوع فى يدى الله الحى » (راجع شرح ص ١٠ : ٢٨ — ٣١ اقرأ عد ١٥ : ٣٠ و ٣١ مع تث ٣٢ : ٣٥ و ٣٦ مع رو ١٢ : ١٩ مع مز ٥٠ : ٤ و ١٣٥ : ١٤ مع لو ١٢ : ٥) .

هذا عين ما وردت به الكلمة النبوية فى القول : « ارتعب فى « صهيون » الخطاة ، أخذت الرعدة المنافقين ، من منا يسكن فى نار آكلة ؟ من منا يسكن فى وقائد أبدية ؟ السالك بالحق والمتكلم بالاستقامة . . . هو فى الأعالى يسكن ، حصون الصخور ملجأه » (اقرأ إش ٣٣ : ١٣ — ١٦) . هذا يصل بنا إلى النصيحة العملية التى يختم بها هـذا الأصحاح كما سنرى فى القول : « لذلك ونحن قابلون ملكوتاً لا يتزعزع ، ليكن

عندنا شكر به نخدم « الله » خدمة مرضية بخشوع وتقوى ؛ لأن إلهنا نار آكلة » (انظر شرح ع ٢٨ و ٢٩) . والآن لننتقل من الحديث عن « الله ديان الجميع » « إلى » : —

« أرواح أبرار مكملين » :

بعد أن أتى بنا الرسول إلى الجهة الأولى « جبل صهيون » وأدخلنا إلى الجهة الثانية « مدينة الله الحى أورشليم السماوية » ، وتقدم بنا إلى الجهة الثالثة « إلى ربوات هم محفل ملائكة وكنيسة أبكار مكتوبين فى السموات » وأوقفنا أمام الجهة الرابعة — أمام « الله ديان الجميع » ، ها هو الآن يرينا فى الجهة الخامسة « أرواح أبرار مكملين » هذا وصف لجماعة هم (أ) « أرواح » . — (ب) « أبرار » . — (حـ) « مكملين » .

(أ) « أرواح » :

يمثل هذا التعبير أمامنا « أرواحاً » دون أجساد على حد التعبير الذى عبر به رسول الأمم فى قوله : « إن كان إنساننا الخارج يفنى فالداخل يتجدد يوماً فيوماً ؛ لأن خفة ضيقتنا الوقتية تنشئ لنا ، أكثر فأكثر ، ثقل مجد أبدياً ، ونحن غير ناظرين إلى الأشياء التى ترى بل إلى التى لا ترى ، لأن التى ترى وقتية وأما التى لا ترى فأبدية ، لأننا نعلم أنه ، إن نقض بيت خيمتنا الأرضى ، فلنا فى السموات بناء من الله — بيت غير مصنوع بيد — أبدى » (٢ كو ٤ : ١٦ — ٥ : ١ اقرأ ٢ كو ٤ : ١٤ — ٥ : ١٠) .

فالجسد إذاً إنما هو خيمة تنقض ، ولابد ، فحكمه حكم السموات والأرض التى تحدث عنها المرنم قائلا : « من قدم أسست الأرض ، والسموات هى عمل يديك ، هى تبيد وأنت تبقى وكلها ، كثوب ، تبلى ، كرداء تغيرهن فتتغير وأنت هو وسنوك لن تنتهى » (مز ١٠٢ : ٢٥ — ٢٧ راجع شرح ص ١ : ١٠ — ١٢) .

ولعل على هذا الأساس ، ولابد ، يبنى أيوب قوله : « لأن للشجرة رجاء ، إن قطعت تخلف ، أيضاً ، ولا تعدم خراعيبها (أغصانها المتجددة) ولو قدم فى الأرض أصلها ومات فى التراب جذعها ، فمن رائحة الماء تفرخ وتنبت فروعاً كالغرس ، أما الرجل

فيموت ويبلى ، الإنسان يسلم الروح فأين هو ، قد تنفد المياه من البحرة والنهر ينشف ويجف والإنسان يضطجع ولا يقوم ، لا يستيقظون حتى لا تبقى السموات ولا ينتبهون من نومهم » (أى ١٤ : ٧ — ١٢) .

وحىّ إلهى صادق يعود بنا إلى الجسد فى أصله ؛ حيث قيل : « جبلى الرب الإله آدم تراباً من الأرض » (قابل تك ٢ : ٧ و ١٨ : ٢٧ مع مز ١٠٣ : ١٤ مع ١ كو ١٥ : ٤٢) . وفى نهايته ؛ حيث قيل : « حتى تعود إلى الأرض التى أخذت منها ؛ لأنك تراب وإلى تراب تعود » (قابل تك ٣ : ١٩ مع مز ٢٢ : ١٥ و ٩٠ : ٣ مع جا ١٢ : ٧) .

على أساس هذا الوحى المقدس . ولابد ، يبنى الرسول حديثه عن « الأرواح » مشيراً إلى أناس انفصلت أرواحهم عن أجسادهم فتركوا خيمتهم الأرضية وانطلقوا إلى « المدينة التى لها الأساسات التى صانعها وبارئها الله » (راجع شرح ص ١١ : ١٠) — « المدينة العتيدة » التى أعدها الله للذين أقروا بأنهم غرباء ونزلاء على الأرض » و « يبتغون وطناً أفضل أى سماوياً » (راجع شرح ص ١١ : ١٣ — ١٦ انظر شرح ص ١٣ : ١٣ و ١٤) .

ولعل الرسول فى هذه المناسبة يوجه أنظار أولئك العبرانيين إلى « أرواح » أولئك « القدماء » الذين سبق فأشار إليهم بوصف كونهم « سحابة من الشهود » (راجع شرح ع ١) — أولئك « القدماء » الذين « كلهم ، مشهوداً لهم بالإيمان ، لم ينالوا الموعد » (راجع شرح ص ١١ : ٢ و ٣٩ مع سائر الأصحاح) .

وذلك على اعتبار أن جميعهم « أرواح » نقضت أجسادهم (بيوت خيمتهم) فخلعوها وانطلقوا إلى المجد « أرواحاً » « متوقعين التبنى » فداء أجسادهم (رو ٨ : ٢٣ اقرأ ع ١٨ — ٢٥) ، بمقتضى الإعلان السماوى بشأن هذا الأمر الواقع المنصوص عنه بالقول : « يزرع جسماً حيوانياً ويقام جسماً روحانياً ، يوجد جسم حيوانى ويوجد جسم روحانى . . . لكن ليس الروحانى أولا بل الحيوانى وبعد ذلك الروحانى » « الأول من الأرض ترابى » الثانى سماوى (١ كو ١٥ : ٤٤ و ٤٦ اقرأ ع ٤٢ — ٥٠).

فى هذا التعبير – « الأرواح » – يكون جميع الذين ماتوا فى المسيح أحياء يصح فيهم ما أعلن لموسى فى البرية من العليقة ؛ حيث جاء : « هكذا تقول لبنى إسرائيل : « يهوه إله آبائكم – إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب أرسلنى إليكم ، هذا اسمى إلى الأبد وهذا ذكرى إلى دور فدور » (خر ٣ : ١٥ اقرأ ع ١ – ١٦ مع أع ٧ : ٣٠ – ٣٢) .

وهل ندرى حقاً أن الذى أثبت هذا الكلام عن نفسه لموسى هو «يهوه» ذاته – « ملاك العهد » الذى تنبأ عنه النبي ملاخى ؟ (مل ٣ : ١) « الملاك » الذى كان مع موسى فى البرية « وكان يكلمه فى جبل سيناء » ؟ (أع ٧ : ٣٨) . هذا هو ذاته الذى كان يتحدث مع الصدوقيين معلناً لهم حقيقة أمر القيامة من الأموات بانياً تلك الحقيقة على أساس قوله لموسى ؛ حيث أجابهم قائلا : « تضلون إذ لا تعرفون الكتب (« ناموس موسى والأنبياء والمزامير » لو ٢٤ : ٢٥ – ٢٧ و ٤٤ و ٤٥) ولا قوة الله (فى ٣ : ٢٠ و ٢١) ، لأنهم ، فى القيامة ، لا يزوجون ولا يتزوجون ، بل يكونون كملائكة الله فى السماء » . « وأما أن الموتى يقومون فقد دل عليه موسى ، أيضاً ؛ فى أمر العليقة كما يقول : « يهوه إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب ، وليس هو إله أموات بل إله أحياء ؛ لأن الجميع عنده أحياء » (اقرأ مت ٢٢ : ٢٩ – ٣٣ مع لو ٢٠ : ٣٤ – ٤٠ مع لو ١٦ : ٢٢ – ٣١ مع يو ٨ : ٥٦ راجع شرح ص ١١ : ٨ – ١٠) .

الأمر الذى يحقق لنا تمام التحقيق أن جميع الذين رقدوا فى الرب وانفصلت أرواحهم عن أجسادهم هم « أرواح » خالدة ، لهم حياة كاملة ؛ بل لهم كل قوى الحياة الروحية التى ، بها يصعدون حال انتقالهم إلى « ربوات محفل الملائكة وكنيسة أبكار مكتوبين فى السموات» منتظرين أجسادهم ممجدة ؛ فيخلدون فى المجد « أرواحاً » وأجساماً روحية (راجع شرح ع ٢٢) .

وهل نسمع الروح القدس يشفع فينا بكلمات السيد المسيح التى قالها لمرثا : « أتؤمنين بهذا » ؟ مقدماً لها أساس الإيمان الحى فى قوله : « أنا هو القيامة والحياة ، من آمن بى

ولو مات فسيحيا ، وكل من كان حياً وآمن بى فلن يموت إلى الأبد » . وهل نجيب بما أجابت هى به ؟ قائلة : « نعم يا سيد ! أنا قد آمنت أنك أنت المسيح ابن الله الآتى إلى العالم » ؟ (قابل يو ١١ : ٢٥ — ٢٧ مع رو ٨ : ١٨ — ٢٣ مع أف ١ : ١٣ و ١٤ مع ١ تس ٤ : ١٣ — ١٧ مع ٢ تس ١ : ١٠) . فما أجمل أن نأتى إلى (أ) «أرواح » .

(ب) « أبـــرار » :

« أرواح أبرار » فى صيغة المضاف والمضاف إليه ، فإن نبرة الكلام وشدته تقعان لأعلى « أرواح الأبرار » بل على « الأبرار » أنفسهم ، ومن هم هؤلاء « الأبرار »؟ ألم يعلن الوحى المقدس حقيقة واضحة مقررة — نصها « ليس بار ولا واحد » ؟ هكذا يقول رسول الأمم بانياً قوله على المكتوب فى « المزامير » حيث يقول المرنم : « فسدوا ورجسوا بأفعالهم ، ليس من يعمل صلاحاً ، الرب من السماء أشرف على بنى البشر ، لينظر هل من فاهم طالب الله ؟ الكل قد زاغوا معاً فسدوا ، ليس من يعمل صلاحاً — ليس ولا واحد » (قابل مز ١٤ : ١ — ٣ و ٥٣ : ١ — ٣ مع رو ٣ : ١٠ — ١٢ اقرأ باقى الأصحاح) .

فإن كان هكذا يقرر الله ويعلن من السماء عن جميع البشر يهوداً وأمماً على السواء ؟ فمن أين يأتى الأبرار ؟ هذا سؤال يدخل بنا إلى أعماق صفحات الكتب المقدسة للاجابة عليه ؛ لنعرف من هو هذا الإنسان الذى يمكن أن يقال عنه إنه بار ، سواء أكان هذا الإنسان يهودياً أو أممياً على السواء « لأنه لا فرق « إذ الجميع » (يهوداً وأمماً) أخطأوا وأعوزهم مجد الله » (رو ٣ : ٢٢ و ٢٣) . فمن يكون « البار » إذاً ؟

« البار » وصف ملازم للمؤمن الذى ، إذ يؤمن بالرب يسوع المسيح ، يحسب له إيمانه براً ، كما يقول الكتاب عن إبراهيم : « فآمن بالرب فحسبه له (أى حسب الرب الإيمان له) براً » (تك ١٥ : ٦) . فإن من « يؤمن بالذى يبرر الفاجر فإيمانه يحسب له براً » . كما يقول داود أيضاً فى تطويب الإنسان الذى يحسب الله له براً بدون أعمال — « طوبى للذى غفر إثمه وسترت خطيته ، طوبى لرجل لا يحسب له الرب خطية » (مز ٣٢ : ١ و ٢) لا فرق بين يهودى وأممى .

فإن إبراهيم – وهو بعد فى الغرلة ، أمى وقبل أن يصير أباً لأهل الختان – فهو ، إذ وعد أن يكون « أباً لأمم كثيرة » ، وهو « إذ لم يكن ضعيفاً فى الإيمان – لم يعتبر جسده وهو قد صار مماتاً » « ولا مماتية مستودع سارة ولا بعدم إيمان ، ارتاب فى وعد الله ؛ بل تقوى بالإيمان ، معطياً مجداً لله . وتيقن أن ما وعد (الله) به هو قادر أن يفعله أيضاً . لذلك أيضاً ، حسب له (إيمانه) براً » (اقرأ رو ٤ : ١٨ – ٢٢ فى نور ما جاء فى تلك ١٥ و ١٧) .

ولكن أى بر هو ذلك البر الذى يحسب لكل من يؤمن ؟ هذا هو « البر » الذى أشار إليه رسول الأمم فى حديثه مع اليهود عن الناموس ؛ حيث قال : « لأن غاية الناموس هى المسيح للبر لكل من يؤمن » (رو ١٠ : ٤) . فإن الناموس هو ناموس الرب الذى وصفه المرنم مبيناً كما له السباعى فى قوله : « ناموس الرب كامل يرد النفس – شهادات الرب صادقة تصير الجاهل حكيماً – وصايا الرب مستقيمة تفرح القلب – أمر الرب طاهر ينير العينين – خوف الرب نقى ثابت إلى الأبد – أحكام الرب حق عادلة كلها » (مز ١٩ : ٧ – ٩) .

هذا هو الناموس الذى يقوم بره بالمحافظة عليه محافظة كاملة بمقتضى القول : « أحكامى تعملون وفرائضى تحفظون لتسلكوا فيها . أنا الرب إلهكم فتحفظون فرائضى وأحكامى التى إذا فعلها الإنسان يحيا بها أنا الرب » (قابل لا ١٨ : ٤ و ٥ مع حز ٢٠ : ١١ – ١٣ و ٢٠ مع رو ١٠ : ٥ انظر شرح غل ٣ : ١٢ للمؤلف) .

هذا هو « البر الذى فى الناموس » – حياة الأبد لكل من يفعل أحكامه كاملة بحيث لا يخطىء فى حرف واحد أو نقطة واحدة منها ؛ كما عبر السيد المسيح فى خطاب العرش الذى ألقاه فوق الجبل ؛ حيث قال : « فإنى الحق أقول لكم : إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة حتى يكون الكل » (أى حتى تتم كل أحكامه دون عيب أو نقص) (مت ٥ : ١٨) . .

هذه حقيقة أعلنها الله واضحة فى رسم عيانى بيانى – بأهداب مصنوعة فى أذيال ثياب بنى إسرائيل فى أجيالهم – أهداب معصوبة بعصابة من أسمانجونى بحيث تصير كل

الأهداب هدباً واحداً إشارة إلى ارتباط جميع الوصايا والأحكام بعضها ببعض ارتباطاً وثيقاً بحيث أن من عثر فى نقطة واحدة منها يصير مجرماً فى الكل (اقرأ عد ١٥ : ٣٧ – ٤١ مع يع ٢ : ١٠ مع مت ٢٣ : ٥ مع مر ٦ : ٥٦) .

هكذا كان البر الذى بالناموس « كل من يفعلها يحيا بها » ، « ومن عثر فى واحدة صار مجرماً فى الكل » . فلم يكن . والحالة هذه ، ممكناً لأى إنسان فى الوجود أن يحيا بالناموس مبرراً من الخطأ . على أن الله ، سمت نعمته ، سبق فأعد « الابن الوحيد » الحبيب ليكون « غاية الناموس » (رو ١٠ : ٤) – به تنتهى كل أحكام الناموس وفرائضه – وذلك بأن يقوم ، جل اسمه ، بإكمال بر الناموس وكل ما يتعلق به إكمالا تاماً لا تشوبه شائبة ولا ينتابه نقص ما .

هذا أمر واضح فى ما نطق به له المجد فى خطاب العرش حيث قال : « لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء – ما جئت لأنقض ؛ بل لأكمل ؛ فإنى ، الحق أقول لكم : إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة حتى يكون الكل » (مت ٥ : ١٧ و١٨) .

قول حق أثبته فى حديثه مع المعمدان حيث أجابه قائلا : « هكذا يليق بنا أن نكمل كل بر » (مت ٣ : ١٥) . هكذا أكمل السيد المسيح كل بر الناموس بحذافيره ولم يسقط منه حرف واحد أو نقطة واحدة . فمن سواه يستطيع أن يتحدى كل إنسان فى الوجود ، قائلا : « من منكم يبكتنى على خطية » ؟ (يو ٨ : ٤٦) .

هذا هو الذى رآه الرائى إشعياء وقد « جعل مع الأشرار قبره » إذ علقوه ، بين لصين ، على « خشبة » (قابل إش ٥٣ : ٩ مع مت ٢٧ : ٣٨ مع مر ١٥ : ٢٧ مع لو ٢٣ : ٣٣ مع يو ١٩ : ١٨ مع أع ١٠ : ٣٩ و ١٣ : ٢٩ انظر تث ٢١ : ٢٢ و ٢٣ مع شرح غل ٣ : ١٣ للمؤلف) . « على أنه لم يعمل ظلماً ولم يكن فى فمه غش » (قابل إش ٥٣ : ٩ مع لو ٢٣ : ٤١ مع ١ بط ٢ : ٢٢) . هذا هو « البار » الوحيد – ليس الذى « لم يعمل خطية » فحسب ، بل هو ، أيضاً « البار » الوحيد « الذى لم يعرف خطية » (٢ كو ٥ : ٢١) . هذا هو « رئيس الكهنة » الذى وصف

بأنه « قدوس ، بلاشر ولا دنس ، قد انفصل عن الخطاة وصار أعلى من السموات » راجع شرح ص ٧ : ٢٦) .

هذا هو الذى جعله الله خطية لأجلنا — الأمر الذى نوهت عنه الكلمة النبوية القائلة : «كلنا ، كغنم ، ضللنا ، ملنا كل واحد إلى طريقه والرب وضع عليه إثم جميعنا » (إش ٥٣ : ٦) . فبهذا الوضع تم القول النبوى أيضاً : « لكن أحزاننا حملها وأوجاعنا تحملها ، ونحن حسبناه مصاباً — مضروباً من الله ومذلولا — وهو مجروح لأجل معاصينا مسحوق لأجل آثامنا ، تأديب سلامنا عليه وبجبره شفينا » (« وبجلدته » شفينا) (قابل إش ٥٣ : ٤ و ٥ مع ١ بط ٢ : ٢٤ مع مت ٨ : ١٧ و ٢٧ : ٢٦ مع مر ١٥ : ١٥ مع يو١٩ : ١) .

هذا هو سر الفداء العجيب الذى يكشف لنا ما فى قلب « الآب » السماوى المحب نحونا نحن البشر الخطاة ، فإنه هو الذى جعل ابنه الوحيد « خطية لأجلنا » ، إذ سبق فعيننا للتبنى لنفسه ، حسب مسرة مشيئته ، لمدح مجد نعمته التى أنعم بها علينا فى « المحبوب » الذى فيه لنا الفداء بدمه غفران الخطايا ، حسب غنى نعمته » (أف ١ : ٥ — ٧ اقرأ ع ٣ — ٩) .

هذا هو قصد الله الآب الذى قصده فى نفسه بشأن البشر الخطاة — الذين دعاهم حسب قصده ؛ إذ « سبق فعينهم ليكونوا مشابهين صورة ابنه ؛ ليكون هو بكراً بين إخوة كثيرين . والذين سبق فعينهم فهؤلاء دعاهم أيضاً . والذين دعاهم فهؤلاء « بررهم » أيضاً ، والذين « بررهم » فهؤلاء مجدهم ، أيضاً » (رو ٨ : ٢٩ و ٣٠) .

« فماذا نقول لهذا » ؟ سر عجيب — معاملة تفوق كل وصف — إعداد خطاة لأسمى درجات المجد — هذا هو عمل الله الآب الذى قصده من نفسه نحونا ولإتمامه « لم يشفق على ابنه بل بذله لأجلنا أجمعين » إذاً «كيف لا يهبنا ، أيضاً ، معه كل شئ » ؟ (رو ٨ : ٣١ و ٣٢) . هذا هو « الله الحى الذى يمنحنا كل شئ بغنى للتمتع » (١ تى ٦ : ١٧) .

أو ليست تلك الحقيقة هي ذلك السر الفائق الذى أعلنه السيد المسيح نفسه فى حديثه مع نيقوديموس ، قائلا : « هكذا أحب الله (الآب) العالم حتى بذل ابنه الوحيد ، لكى لا يهلك كل من يؤمن به ؛ بل تكون له الحياة الأبدية » (يو ٣ : ١٦) .

هذا هو الإيمان الذى يحسبه الله لكل مؤمن براً . وعن طريقه يتبرر المؤمنون ويصيرون « أبراراً » أمام الله الآب فى المسيح ابنه المحبوب — مقدسين « لا بأعمال فى بر عملناها نحن ، بل بمقتضى رحمته خلصنا بغسل الميلاد الثانى وتجديد الروح القدس ، الذى سكبه بغنى علينا بيسوع المسيح مخلصنا ، حتى ، إذا « تبررنا بنعمته » نصير ورثة حسب رجاء الحياة الأبدية » (تى ٣ : ٥ — ٧) .

هؤلاء هم « الأبرار » — المتبررون أمام الله بالإيمان الذى يحسبه لهم براً . هــذا هو الإيمان الذى كتب عنه موسى بالوحى المقدس عن إبراهيم (تك ١٥ : ٦) . وعبر عنه بالقول : « الكلمة قريبة منك جداً فى فمك وفى قلبك لتعمل بها » (تث ٣٠ : ١٤) . وعقب عليها الرسول بولس بالقول : « أى كلمة الإيمان التى نكرز بها ؛ لأنك إن اعترفت بفمك بالرب يسوع وآمنت بقلبك « أن الله أقامه من الأموات » خلصت ، لأن القلب يؤمن به « للبر » والفم يعترف به للخلاص » (رو ١٠ : ٨ — ١٠ اقرأ تث ٣٠ : ١١ — ١٤ مع رو ١٠ : ٤ — ١٢) . الآن بعد أن تحدثنا عن (أ) « أرواح » ، وعن (ب) « أبرار » : نأتى إلى : —

(حـ) « مكمــلين » :

« أرواح أبرار مكملين » — « أبرار مكملون » وهم « أرواح » منفصلة عن الأجساد إذ قد انطلقوا من هذه الحياة الدنيا ليكونوا مع المسيح (قابل لو ٢٣ : ٤٣ مع أع ٧ : ٥٩ مع فى ١ : ٢٣) — حيث قد انطلقوا على رجاء القيامة من الأموات — ذلك الرجاء المتين فى قول السيد المسيح : « أنا هو القيامة والحياة ، من آمن بى ولو مات فسيحيا وكل من كان حياً وآمن بى فلن يموت إلى الأبد » (قابل يو ١١ : ٢٥ و ٢٦ مع لو ٢٠ : ٣٧ و ٣٨ مع خر ٣ : ١٥ مع إش ٢٥ : ٨ مع هو ١٣ : ١٤ مع ١ كو ١٥ : ٥١ — ٥٥ مع ١ تس ٤ : ١٣ — ١٧) .

رجاء مبنى على أساس سر الفداء العجيب الذى أعده الآب السماوى الذى أحبنا محبة أبدية . ومن أجل ذلك أدام لنا الرحمة فى ابنه الحبيب الذى أرسله لوضع هذا الأساس الذى قال عنه الرسول : « وضعت أساساً . . . فإنه لا يستطيع أحد أن يضع أساساً آخر غير الذى وضع الذى هو يسوع المسيح » (اقرأ ٣ : ١٠ و ١١) .

أساس ثابت موطد فى قصد الله الأزلى « لتدبير ملء الأزمنة ؛ ليجمع كل شىء فى المسيح — ما فى السموات وما على الأرض — فى ذاك (المسيح) الذى فيه ، أيضاً ، نلنا نصيباً ، معينين سابقاً ، حسب قصد (الآب) الذى يعمل كل شىء حسب رأى مشيئته ؛ لنكون لمدح مجده — نحن الذين قد سبق رجاؤنا فى المسيح » (أف ١ : ١٠ — ١٢ اقرأ ع ٣ — ١٤ و ٢ : ٤ — ١٠ مع رو ٨ : ٢٨ — ٣٠ راجع شرح ص ٢ : ١٠ و ٥ : ٧ — ٩) .

أما العلة الأساسية لذلك القصد الأزلى فى المسيح يسوع ، فهى تلك العلة التى ترجع بنا لا إلى دم محرقات وذبائح للخطية قدمت لله ، أجيالا عديدة منذ سقوط الإنسان (راجع شرح ص ١٠ : ١ — ٤) — بل إلى «دم كريم ، كما من حمل بلا عيب ولا دنس — دم المسيح — معروفاً سابقاً قبل تأسيس العالم » (اقرأ ١ بط ١ : ١٨ — ٢١) .

هذه الحقيقة تتبين لنا جلياً فيما قاله الرسول بولس ، أيضاً : « إن كان دم ثيران وتيوس ورماد عجلة — مرشوش على المنجسين — يقدس إلى طهارة الجسد ؟ فكم بالحرى يكون « دم المسيح الذى « بروح أزلى » قدم نفسه لله بلا عيب يطهر ضمائركم من أعمال ميتة لتخدموا الله الحى » (راجع شرح ص ٩ : ١٣ و ١٤) .

هذه هى ذبيحة المسيح الحقيقية — تقديم ذاته بروح الطاعة الكاملة والسرور القلبى لإتمام مشيئة الآب وقصده الأزلى لفداء البشر — هذه هى الذبيحة الواضحة فى قوله ، بلسان المرنم : « بذبيحة وتقدمة لم تسر ، أذنى فتحت (أزنايم كاريت لى — كروت أذنى — ثقبت أذنى خر ٢١ : ١ — ٦) — محرقة وذبيحة خطية لم تطلب ، حينئذ قلت : « هنذا جئت — بدرج الكتاب مكتوب عنى أن أفعل مشيئتك يا إلهى سررت وشريعتك

فى وسط أحشائى » (قابل مز ٤٠ : ٦ — ٨ و ١١٩ : ١٦ و ٢٤ و ٤٧ و ٦٢ مع يو ٤ : ٣٤ مع رو ٧ : ٢٢ راجع شرح ص ١٠ : ١ — ١٠) .

هكذا مكتوب فى درج كل سفر من أسفار « الكتب المقدسة » — فى « موسى والأنبياء والمزامير » (التوراة والنبيئيم والكتوبيم تسعة وثلاثون كتاباً) . كما يتضح من قول السيد المسيح لتلميذى عمواس : « أيها الغبيان والبطيئا القلوب فى الإيمان بجميع ما تكلم به الأنبياء ، أما كان ينبغى (بمقتضى ما جاء فى الأنبياء) أن المسيح يتألم بهذا ويدخل إلى مجده » ؟ (لو ٢٤ : ٢٥ و ٢٦) .

هكذا عند صعوده قال لتلاميذه : « هذا هو الكلام الذى كلمتكم به وأنا بعد معكم أنه لابد أن يتم جميع ما هو مكتوب عنى فى ناموس موسى والأنبياء والمزامير » حينئذ فتح ذهنهم ليفهموا الكتب وقال لهم : « هكذا هو مكتوب وهكذا كان ينبغى أن المسيح يتألم وأن يقوم من الأموات فى اليوم الثالث » « قابل لو ٢٤ : ٤٤ — ٤٦ مع ١ كو ١٥ : ١ — ٤ مع مت ١٦ : ٢١ و ٢٠ : ١٧ — ١٩ مع مر ٨ : ٣١ و ٩ : ٣١ مع لو ٩ : ٢٢ و ١٨ : ٣١ — ٣٣ و ٢٤ : ٦ و ٧ مع يو ١٩ : ٢٨ مع مز ٦٩ : ١٩ — ٢١ مع إش ٥٢ : ١٣ — ٥٣ : ١٢) .

هذا هو سر الفداء العجيب سر تبرير المؤمنين بالمسيح وتكميلهم ، وذلك بمقتضى القول : « لأنك إن اعترفت بفمك بالرب يسوع ، وآمنت بقلبك « أن الله أقامه من الأموات » خلصت ؛ لأن القلب يؤمن به للبر والفم يعترف به للخلاص » (رو ١٠ : ٩ و ١٠ اقرأ ع ٤ — ١٠ مع تث ٣٠ : ١١ — ١٤ راجع شرح ص ١١ : ٣٩ و ٤٠) .

هذا هو تبرير المؤمنين بالمسيح وتكميلهم فيه ليكونوا أبراراً مكملين — التبرير الذى أعده الآب « إذ سبق فعينهم للتبنى بيسوع المسيح لنفسه حسب مسرة مشيئته ؛ لمدح مجد نعمته التى أنعم بها علينا فى المحبوب « الابن الوحيد » إذ سبق فأعده لإتمام هذا القصد الأبوى . فجاء وشعار حياته : « أن أفعل مشيئتك يا إلهى سررت » ، ومع أنه « إذ كان فى صورة الله ، لم يحسب خلسة أن يكون معادلا لله ، لكنه أخلى نفسه آخذاً صورة عبد ، صائراً فى شبه الناس ، وإذ وجد فى الهيئة « كانسان »

وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب » (في ٢ : ٦ — ٨) . وأتم مشيئة الآب بقلب مسرور وبفرح أبدى فأتى إليه « بأرواح أبرار مكملين » . وها نحن الآن نأتى إلى الجهة السادسة — « إلى » : —

(ع ٢٤) « وسيط العهد الجديد يسوع » :

هنا يصل بنا الرسول إلى الجهة السادسة — إلى مركز الدائرة أو محورها الذى عليه تدور وترتكز — « وسيط العهد الجديد يسوع » — هذا هو الذى رآه الرائى اللاهوتى يوحنا « وفى « وسط » العرش والحيوانات الأربعة ، وفى « وسط » الشيوخ خروف قائم كأنه مذبوح له سبعة قرون وسبع أعين هى سبعة أرواح الله المرسلة إلى كل الأرض » (رؤ ٥ : ٦) .

هذا هو نقطة العرش المركزية ، الذى إليه تتجه جميع العيون — عينا الجالس على العرش (رؤ ٤ : ٢) . وعيون الحيوانات الأربعة « المملوءة عيوناً من قدام ومن وراء » (رؤ ٤ : ٦) . وكذا عيون الأربعة والعشرين شيخاً الجالسين على الأربعة والعشرين عرشاً (رؤ ٤ : ٤) — وأمامه تخر جميع « الملائكة » فهو قبلة السماء والأرض معاً وموضوع ترنيمة الجميع (اقرأ رؤ ٥ : ٨ — ١٤) هذا هو : —

« وسيط العهد الجديد يسوع » :

أمام هذه الجهة السادسة نقف حيارى باحثين عن الباب الذى منه إليها ندخل — هل نبدأ بالدخول إليها بالبحث عن موضوع الوساطة ؟ أم بالحديث أولا عن الوسيط بالنسبة إلى وظيفته ؟ أم بالتأمل فيه بالنسبة إلى اسمه « يسوع » ؟ أولا يجدر بنا أن نبدأ الحديث عن الوساطة و« الوسيط » مبتدئين بعهد وساطته ؟ الذى هو : —

« العهـــد الجديد » :

هذا الوصف « العهد الجديد » يدل دلالة واضحة على وجود عهد آخر ، سابقاً . وقد ورد ذكر هذا العهد الآخر تحت عنوان « العهد الأول » (ص ٨ : ٧ و ٩ : ١ و ١٥) . ويمكن أن يقال عنه : « العهد » العتيق بمقتضى النص القائل : « فإذ قال جديداً عتق

الأول . وأما ما عتق وشاخ فهو قريب من الاضمحلال » (اقرأ إر ٣١ : ٣١ — ٣٤ راجع شرح ص ٨ : ٧ — ١٣ و ٩ : ١ و ١٥ اقرأ أيضاً خر ٢٤ : ١ — ٨) .

« فالعهد الأول » هو ذلك « العهد » الذى عتق وشاخ وصار قريباً من الاضمحلال (راجع الشرح) . إزاء هذا « العهد الأول » — « العهد » العتيق — يوجد عهد ثان هو « العهد الجديد » الذى نحن الآن بصدده ، وإذا بحثنا بحثاً دقيقاً عن هذا « العهد الجديد » نرى أنه فى حقيقة أمره ، سابق « للعهد الأول » — العتيق .

هذه الحقيقة تتبين لنا بجلاء فى نور الإعلانات السماوية التى أعلنت لأبرام عندما قطع معه الرب ميثاقاً بشأن نسله حين أخرجه إلى خارج وقال له : « انظر إلى السماء وعد النجوم ، إن استطعت أن تعدها » وقال له : « هكذا يكون نسلك » — « كالرمل الذى على شاطىء البحر وكنجوم السماء فى الكثرة » — « فآمن بالرب فحسبه له براً » (تك ١٥ : ٥ و ٦ اقرأ ع ١ — ٦ و ١٧ : ١ — ٦ و ١٥ — ١٧ و ١٨ : ٩ — ١٨ و ٢٢ : ١٥ — ١٨ مع إر ٣٣ : ٢٢ راجع شرح ص ١١ : ١١ و ١٢) .

هذا هو « العهد الجديد » الذى عبر عنه الرسول بولس فى قوله : « والكتاب إذ سبق فرأى أن الله بالإيمان يبرر الأمم سبق فبشر إبراهيم أن فيك تتبارك جميع الأمم » (انظر شرح غل ٣ : ٨ للمؤلف) . على أساس هذه البشارة لإبراهيم يقول ذات الرسول ، أيضاً : « فإنه ليس بالناموس كان الوعد لإبراهيم أو لنسله أن يكون « وارثاً للعالم » بل « ببر الإيمان » (رو ٤ : ١٣) .

على أساس هذه الإعلانات الإلهية الواضحة يوقفنا الرسول هنا بين عهدين ، وهذان العهدان هما الجبلان اللذان سبق أن أوقفنا بينهما ، حيث قال : « لم تأتوا إلى جبل ملموس مضطرم بالنار » (ع ١٨) . هذا هو « العهد الأول » العتيق — « جبل سيناء » . « أما العهد الجديد » فهو « جبل صهيون » (ع ٢٢) — « العهد الجديد » .

هذا هو « العهد الجديد » المؤسس على الوعد لأبرام « تتبارك فيك جميع قبائل الأرض » (تك ١٢ : ٣) — « تكون أباً لجمهور من الأمم » (تك ١٧ : ٤) « ويتبارك فى نسلك جميع أمم الأرض » (تك ٢٢ : ١٨) — « فى نسلك الذى هو المسيح » .

« فإن كنتم للمسيح فأنتم إذاً نسل إبراهيم وحسب الموعد ورثة » (انظر شرح غل ٣ : ١٦ و ٢٩ للمؤلف) .

هذه المقابلة بين العهدين تتجلى بنورها الكشاف وتتجلى بضيائها الباهر فيما كتبه رسول الأمم عنها تحت عنوان : « هاتان هما العهدان » حيث قال : « أحدهما من جبل سيناء الوالد للعبودية الذى هو هاجر (الجارية) ، لأن هاجر (الجارية) جبل سيناء . . . الوالد للعبودية ، ولكنه — جبل سيناء الوالد للعبودية — يقابل «أورشليم الحاضرة» فإنها مستعبدة مع بنيها » .

هذا هو « العهد الأول » — عهد العبودية والاستعباد ، تلك « العبودية للخوف » التى عبر عنها موسى فى قوله للشعب : « فلما سمعتم الصوت من وسط الظلام والجبل (سيناء) يشتعل بالنار — تقدمتم إلى جميع رؤساء أسباطكم وشيوخكم — وقلتم . . . أما الآن فلماذا نموت ؟ لأن هذه النار العظيمة تأكلنا » ؟ (اقرأ تث ٥ : ٢٣ — ٢٦ مع خر ١٩ : ١٦ — ١٩ و ٢٠ : ١٨ — ٢١ انظر شرح غل ٤ : ٢٤ و ٢٥ للمؤلف راجع شرح ع ١٨ — ٢١) .

أما « العهد الجديد » فقد رآه كاتب الرسالة إلى أهل غلاطية كطائر حر يسبح فى الفضاء ويعلو إلى السماء ويدخل إلى الأقداس العليا حيث قال : « وأما أورشليم العليا التى هى أمنا جميعاً فهى حرة » ، هذا هو « جبل صهيون » — « مدينة الله الحى » — « أورشليم السماوية » — « كنيسة أبكار مكتوبين فى السموات » — « أرواح أبرار مكملين » (انظر شرح غل ٤ : ٢٦ للمؤلف راجع شرح ع ٢٢ و ٢٣) . هذا هو «العهد الجديد » فى نسبته إلى « العهد الأول » العتيق — العهد مع إبراهيم ونسله كما رأينا وهذا يأتى بنا إلى : —

« وسيط العهد الجديد » :

وهل ندرك معنى الوساطة وحقيقتها ، بمقتضى الإعلانات الإلهية الواردة بشأنها ؟ وهل نسمع صدى ما سبق أن ذكرناه — صدى تلك الصرخات العالية عند « جبل

سيناء » المضطرم بالنار » ؟ وهل نسمع الشعب وهو فى رعبه الشديد صارخاً يلتمس أن يكون هنالك وسيط بينهم وبين المتحدث إليهم من وسط النار ؟

هل نسمع الشعب فى شدة انزعاج يقول لموسى : « هذه النار العظيمة تأكلنا ، إن عدنا نسمع صوت الرب إلهنا أيضاً نموت ؛ لأنه ، من هو من جميع البشر ، الذى سمع صوت الله الحى يتكلم من وسط النار ، مثلنا ، وعاش ؟ تقدم أنت واسمع كل ما يقول لك الرب إلهنا وكلمنا بكل ما يكلمك به الرب إلهنا فنسمع ونعمل (تث٥ : ٢٥ — ٢٦) .

وساطة طلبها شعب إسرائيل لتكون بينه وبين الإله الذى هو « نار آكلة » . وكان ممكناً أن يهرب هذا الشعب وأن يبتعد عن الجبل ؛ فلا يرى النار ولا يسمع صوت المتكلم منها ، بل كان ممكناً ، أيضاً ، والحالة هذه ، أن يقول ، بلغة التذمر ، ما قاله فى مناسبة أخرى : « ليتنا متنا فى أرض مصر أو ليتنا متنا فى هذا القفر » . ولمـــاذا أتى بنا الرب إلى هذا الجبل المضطرم بالنار لنموت محترقين ؟ (اقرأ عد ١٤ : ١ — ٤) .

كان ممكناً أن يقولوا هذا وأن يفعلوا هكذا ولكنهم كانوا متعقلين مستعدين أن يسمعوا ، طالبين أن تكون وساطة بينهم وبين المتحدث : فلا غرابة أن يستحسن الله نفسه طلبهم أن تكون بينه وبينهم وساطة . فقال لموسى ، معبراً عن هذا الاستحسان : « سمعت صوت كلام هؤلاء الشعب الذى كلموك به ، قد أحسنوا فى كل ما تكلموا . ياليت قلبهم كان هكذا فيهم ؛ حتى يتقونى ويحفظوا جميع وصاياى كل الأيام لكى يكون لهم ولأولادهم خير إلى الأبد » (تث ٥ : ٢٨ و ٢٩) . هكذا استحسن الله مبدأ الوساطة بينه وبين البشر . هذا يأتى بنا إلى « وسيط العهد الجديد » : —

« يسوع » :

قد رأينا « وسيط العهد » العتيق عند « جبل سيناء » الذى أقامه الشعب وسيطاً بينهم وبين الله الذى استحسن هذه الإقامة ؛ فصار موسى « وسيطاً » لذلك العهد العتيق . أما الآن فنرى « وسيط العهد الجديد » — لا موسى ؛ بل « يسوع » . ويجدر بنا فى الكلام عن هذا الوسيط أن نتحدث عنه فى (أ) اسمه . — (ب) وساطته . —

(أ) اسمه – « يسوع » :

هذا هو ذات الاسم الذى تسمى به من الملاك جبرائيل ؛ بناء على إرسالية السماء فى حديثه مع «عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسف ، واسم العذراء مريم » حيث قال لها : « هاأنت ستحبلين وتلدين ابناً وتسمينه يسوع » (لو ١ : ٢٦ و ٢٧ و ٣١) . وقد أكد هذا الاسم ذلك الملاك الذى ظهر ليوسف فى حلم قائلا : « يا يوسف ابن داود لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك ؛ لأن الذى حبل به فيها هو من الروح القدس . فستلد ابناً وتدعو اسمه يسوع » (مت ١ : ٢٠ و ٢١) .

وإذا رجعنا إلى كتب الأنبياء نرى أول كتاب فيها هو الكتاب المعنون باسم « يشوع » وهو ذات اللفظ العبرى للفظ « يسوع » المترجم من اليونانية « إيسوس » . ويظهر من التاريخ المقدس أن هذا الاسم « يشوع » قد أعطى لقباً لشخص كان يسمى أولا «هوشع بن نون » الذى أرسل عن سبط أفرايم بن يوسف مع الذين أرسلوا ليتجسسوا أرض كنعان (عد ١٣ : ٨) ولكن موسى دعا اسمه « يشوع » (عد ١٣ : ١٦) .

ولعل فى تغيير هذا الاسم وحياً إلهياً لوجه شبه دقيق لا بين اسمى « يسوع » و «يشوع » فحسب ؛ بل ، بالأحرى وبالأولى ، بين شخصيهما . ولعلنا نستطيع أن نجد هذه المشابهة العجيبة فى التقاء شخصيتهما عند بدء إتمام وعد الرب لأبرام بإعطاء نسله أرض كنعان (اقرأ تك ١٥ : ١٨ – ٢١) .

كانت تلك المقابلة يوم « حدث ، لما كان يشوع عند أريحا ، أنه رفع عينيه ونظر وإذا برجل واقف قبالته وسيفه مسلول بيده ، فسار يشوع إليه وقال له : « هل لنا أنت أو لأعدائنا » فقال : « كلا ؛ بل أنا رئيس جند الرب ، الآن أتيت » فسقط يشوع على وجهه إلى الأرض وسجد وقال له : « بماذا يكلم سيدى عبده » (يش ٥ : ١٣ و ١٤ اقرأ ع ١٣ – ١٥) .

فما أعظم الفرق بين هذين القائدين بالرغم من تشابهما فى ذات الاسم الواحد ! وبخاصة ونحن نسمع « يشوع » يقول لرئيس جند الرب « يسوع » : « بماذا يكلم

سيدى عبده » . هذا هو سر تسمية الملاك لهذا المولود العجيب فى قوله : « وتدعو اسمه يسوع » (مت ١ : ٢١ مع لو ١ : ٣١) .

أما معنى هذا الاسم العجيب « يسوع » فهو واضح فى قول الملاك أيضاً ليوسف عن « مريم امرأته » : « فستلد ابناً وتدعو اسمه يسوع لأنه يخلص شعبه من خطاياهم » (مت ١ : ٢١) . وهذا هو المعنى الأصيل لهذا الاسم « يسوع » . وقد حقق هـــذا المعنى الملاك الذى بشر الرعاة بولادة الطفل « يسوع » حيث قال لهم : « ها أنا أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب ، أنه ولد لكم اليوم ، فى مدينة داود — « مخلص » — هو المسيح الرب » (لو ٢ : ١٠ و ١١) .

وفى هذا المعنى السامى نراه ليس « رئيس جند الرب » الذى ظهر ليشوع فحسب ؛ بل . أيضاً « رئيس خلاص جميع أبناء المجد » الذين تبناهم الآب لنفسه « حسب مسرة مشيئته لمدح مجد نعمته التى أنعم بها علينا فى المحبوب »— « رئيس خلاصهم » . وهـــذا هو الأمر المجيد الذى يعبر عنه ذات الرسول فى قوله ، عن الآب : « لأنه لاق بذاك (« الآب ») الذى من أجله الكل وبه الكل — وهو آت بأبناء كثيرين إلى المجد — أن يكمل رئيس خلاصهم بالآلام » (قابل أف ١ : ٣ — ٦ مع شرح ص ٢ : ٩ — ١٥) . هذا هو « يسوع » الذى يخلص شعبه من خطاياهم » ، هذا هو الذى نراه فى : —

(ب) وساطته — « وسيط العهد الجديد » :

هكذا يقول عنه الرسول : « يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس ، الإنسان يسوع المسيح » (١ تى ٢ : ٥) . أما الوساطة فهى عملية كتابية معلنة علينا أن نتفهمها بوضوح تام وأن ندرك حقيقتها كما وردت فى الإعلانات السماوية . لا كما يتوهمها العقل البشرى ولا التصور الإنسانى . وعلينا الآن أن نسترشد الرب « يسوع » ليكشف لنا كل ما قصده الآب السماوى فى موضوع توسطه لديه من أجلنا نحن البشر .

وقد سبق أن رأينا « يسوع » الذى هو « المسيح الرب » وهو « رئيس خلاص أبناء المجد — قد سبق أن رأيناه فى هذه الرسالة الملك (ص ١ و ٢) . والنبى (ص٣و ٤)

والكاهن (ص ٥ — ١٠ : ٣١) . فإلى أية وظيفة من هذه الوظائف الثلاث تتصل الوساطة ؟ وبعبارة أوضح ، هل هو وسيط باعتبار وظيفته الملكية ؟ أو باعتبار وظيفته النبوية ؟ أو باعتبار وظيفته الكهنوتية ؟ أو باعتبار هذه الوظائف الثلاث معاً ؟ وهذا هو الموضوع الذى نرجو أن يرشدنا روح الرب وأن يقودنا للوصول إلى إدراك حقيقته.

هل نرى فى « موسى » هذه الوظائف الثلاث ؟ هل نراه نبياً وقائداً وكاهنا لشعب الله ؟ وهل نراه (« موسى ») فى هذه الوظائف الثلاث صورة رمزية لهذا النبي الحقيقى « يسوع » — القائد الأعلى — الكاهن الأعظم — إلى هذا التساؤل المثلث نتقدم الآن ، أيضاً ، طالبين قيادة وإرشاد روح الرب للبحث عنه فى الإعلانات الإلهية على النحو التالى : —

(١) الوساطة فى الوظيفة النبوية :

سبق القول أن الشعب الإسرائيلى أقام موسى وسيطاً بينه وبين الله وهو يتحدث إليهم من جبل سيناء ، وذلك بسبب ما كان للصمت من قوة مرعدة وما كان للمنظر من هيئة مرعبة وما كان للنار من شدة آكلة ؛ حيث قالوا له : « لماذا نموت ؟ لأن هذه النار العظيمة تأكلنا ؟ إن عدنا نسمع صوت الرب إلهنا أيضاً نموت . . . تقدم أنت واسمع كل ما يقول لك الرب إلهنا وكلمنا بكل ما يكلمك به الرب إلهنا فنسمع ونعمل » (اقرأ تث ٥ : ٢٥ — ٢٧) .

وقد سبق أن وجهنا الفكر إلى تصديق الرب نفسه على هذه الوساطة النبوية ، وبذلك يكون الرب ، بناء على طلب الشعب وبمقتضى استحسانه ، قد أقام موسى وسيطاً نبوياً يكلم الشعب بكلام الرب . على هذا النمط يتنبأ موسى عن قيام وسيط آخر ليكون وسيطاً نبوياً كما هو واضح من قوله للشعب : « يقيم لك الرب إلهك نبياً من وسطك — من إخوتك — مثلى له تسمعون » . وذلك بناء على قول الرب له : « أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك ، وأجعل كلامى فى فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به . ويكون أن الإنسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى أنا أطالبه» (تث ١٨ : ١٨ و ١٩ اقرأ ع ١٥ — ١٩) .

ومن هو هذا « النبي » ؟ المشار إليه فى هذه « الكلمة النبوية » ؟ من هو سوى ذلك « الابن الوحيد » الذى أتى وخبر (قابل يو ١ : ١٨ مع ١ يو ١ : ٥) . هذا هو « الابن الوحيد » الذى قال عن نفسه : « من (رذلنى) ولم يقبل كلامى فله من يدينه . الكلام الذى تكلمت به هو يدينه فى اليوم الأخير ؛ لأنى لم أتكلم من نفسى لكن الآب الذى أرسلنى هو أعطانى وصيته ماذا أقول وبماذا أتكلم ، وأنا أعلم أن وصية هى حياة أبدية ، فما أتكلم أنا به فكما قال لى الآب هكذا أتكلم » (يو ١٢ : ٤٨ — ٥٠) .

هذا هو « النبي الآتى إلى العالم » (قابل يو ٦ : ١٤ مع مت ١١ : ٣) ليعلن « أسرار ملكوت السموات » ((قابل مت ١٣ : ١٠ — ١٢) ، كما قيل عنه فى الكلمة النبوية : « أفتح بمثل فمى أذيع ألغازاً منذ القدم » (اقرأ مز ٧٨ : ١و ٢ مع مت ١٣ : ١٠ — ١٢ و ١٦ و ١٧و ٣٥) . ومن سواه ؟ « صعد إلى السماء إلا الذى نزل من السماء — إلا — ابن الإنسان الذى هو فى السماء » ليعرف كل أسرار ملكوت الحق ويكشفها للبشر ؟ (قابل يو ٣ : ١٣ مع مز ٦٨ : ١٨ مع أف ٤ : ٨ — ١٦) . هذه هى الوساطة فى الوظيفة النبوية والآن نأتى إلى : —

(٢) الوساطة فى الوظيفة الملكية :

الكلام عن هذه الوساطة يرجع بنا أيضاً إلى موسى وهو فى مركز القيادة العامة لشعب الله — تلك القيادة التى أعد لها لمدة أربعين سنة يتهذب بكل حكمة المصريين فى أحضان ابنة فرعون كوارث وحيد لعرش المملكة المصرية الرفيع (قابل أع ٧ : ٢١ — ٢٣ مع خر ٢ : ١ — ١٥) .

ولمدة أربعين سنة أخرى أعد موسى ، أيضاً ، للقيادة الرعوية ، متدرباً فى رعاية الغنم — غنم يثرون حميه — فى أرض مديان . وفى نهاية تلك المدة « ظهر له ملاك الرب فى برية سيناء على الجبل « فى لهيب نار عليقة » وقلده منصب القيادة العليا لإخراج شعبه من أرض مصر من بيت العبودية ورعايته لمدة أربعين سنة أخرى ؛ حتى توفاه فى نهاية تلك المدة وهو ابن مئة وعشرين سنة (قابل أع ٧ : ٣٠—٣٤ مع خر ٢ : ١٥ — ٣ : ١٥ مع عد ٢٧ : ١٢ — ١٤ اقرأ تث ٣٤ : ١ — ٨) .

على أن قلب موسى كان مع الجماعة كلها وكان يود أن يراهم تحت قيادته فى أرض كنعان على اعتبار أنها راحتهم التى وعدوا بها . لذلك ، لما حانت أيام وفاته تقدم إلى الرب ، قائلا : « ليوكل الرب — إله أرواح جميع البشر — رجلا على الجماعة ، يخرج أمامهم ويدخل أمامهم ويخرجهم ويدخلهم ؛ لكيلا تكون جماعة الرب كالغنم التى لا راعى لها » فقال الرب لموسى : « خذ يشوع بن نون رجلا فيه روح وضع يدك عليه وأوقفه قدام ألعازار الكاهن وقدام كل الجماعة ، وأوصه أمام أعينهم واجعل من هيبتك عليه ؛ لكى يسمع له كل جماعة إسرائيل » «ففعل موسى كما أمره الرب (عد ٢٧ : ١٦ — ٢٠ اقرأ ع ١٦ — ٢٣) .

ومن هو « يشوع » هذا ؟ أليس هو الذى سبق أن رأيناه فى أرض الموعد ؟ رئيساً وقائداً لتلك الجماعة بعد عبورهم نهر الأردن إلى أرض الموعد ؟ — أليس هو الذى رأيناه كذلك ساقطاً على وجهه إلى الأرض ، ساجداً أمام « رئيس جند الرب » ؟ (اقرأ يش ٥ : ١٣ — ١٥) .

ومن هو « رئيس جند الرب » هذا ؟ هو القائد الأعلى فوق جميع القواد — « السيد » الذى رآه إشعياء « جالساً على كرسى عال ومرتفع وأذياله تملأ الهيكل — السرافيم واقفون فوقه ، لكل واحد ستة أجنحة ، باثنين يغطى وجهه وباثنين يغطى رجليه وباثنين يطير — وهذا نادى ذاك وقال : « قدوس قدوس قدوس « رب الجنود » (يهوه صباؤوت) مجده ملء كل الأرض » فاهتزت أساسات العتب من صوت الصارخ وامتلأ البيت دخاناً » (إش ٦ : ١ — ٤) .

ومن هو هذا « القدوس » — رب الصباؤوت — الذى من حضرته تهتز الأساسات؟ « الناظر إلى الأرض فترتعد ؟ يمس الجبال فتدخن » ؟ (مز ١٠٤ : ٣١ و ٣٢) — من هو الذى « سيأتى ، كلص فى الليل » يومه « الذى فيه تزول السموات بضجيج وتنحل العناصر محترقة وتحترق الأرض والمصنوعات التى فيها » (٢ بط ٣ : ١٠) .

أى يوم هذا ؟ ويوم من هو ؟ هو يوم الرب « لأن الرب نفسه ، بهتاف بصوت رئيس ملائكة وبوق الله — بوق عظيم الصوت — سوف ينزل من السماء والأموات

فى المسيح سيقومون أولا ثم نحن ، الأحياء الباقين ، سنخطف جميعاً معهم فى السحب لملاقاة الرب فى الهواء وهكذا نكون كل حين مع الرب » (١ تس ٤ : ١٦ و١٧ اقرأ ع ١٣ — ١٨ مع ١ كو ١٥ : ٥١ — ٥٥ مع إش ٢٥ : ٨ مع هو ١٣ : ١٤) .

هذا هو « الرب يسوع » (رو ١٠ : ٩) — « المسيح الرب » (لو ٢ : ١١) — « رئيس الخلاص » (راجع شرح ص ٢ : ١٠) — « راعى الخراف العظيم » (انظر شرح ص ١٣ : ٢٠) — « الراعى الصالح » (يو ١٠ : ١١و ١٤) الذى قال عن نفسه : « لهذا يحبنى الآب لأنى أضع نفسى لآخذها ، أيضاً ليس أحد يأخذها منى بل أضعها أنا من ذاتى ، لى سلطان أن أضعها ولى سلطان أن آخذها أيضاً ، هذه الوصية قبلتها من أبى » (يو ١٠ : ١٧ و ١٨ اقرأ ع ١١ — ١٨) .

فليس بغريب ، والحالة هذه ، أن يدعى « ابن داود » (مت ١ :١ مع رو ١ :٣ مع ٢ تى ٢ : ٨) — ابن ذلك الراعى الذى عرض نفسه لخطر جسيم ليقتل دبا وأسداً للمحاماة عن خرافه وتخليصهامن الهلاك ؛ كما أنه حقق « مسيح الرب » ملك إسرائيل فى المخاطرة الأعظم فتعرّض لجليات الجبار الذى أذل بتعييراته — لمدة أربعين يوماً — صفوف الله الحى وقواد إسرائيل وملكهم شاول ، ونطق بثقة إلهية فائقة ، قائلا لشاول : « قتل عبدك الأسد والدب جميعاً وهذا الفلسطينى الأغلف يكون كواحد منهما ؛ لأنه قد عير صفوف الله الحى » (١ صم ١٧ : ٣٦ اقرأ ع ٣٤ — ٣٧) .

هكذا تقدم باسم رب الجنود الذى أعطاه النصرة العجيبة بقتل ذلك الجبار وفصل رأسه عن جسده (اقرأ ١ صم ١٧ : ٤٢ — ٥١) . ومن هو داود هذا بالنسبة إلى « ابن داود » ؟ — «الرب» الذى أوصانا رسول الأمم بشأنه ، قائلا : « تقووا فى الرب وفى شدة قوته ، البسوا سلاح الله الكامل لكى تقدروا أن تثبتوا ضد مكايد « إبليس » ، فإن مصارعتنا ليست مع دم ولحم ؛ بل مع الرؤساء مع السلاطين مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر مع أجناد الشر الروحية فى السماويات » (اقرأ أف ٦ : ١٠ — ١٢ و ٢ : ١ — ٣ مع ٢ كو ١٠ : ١ — ٦ مع رؤ ١٩ : ١١ — ٢١ و ٢٠ : ٧ — ١٠ مع مت ٤ : ١ — ١١ مع رؤ ٢٠ : ١١ — ١٥) .

على هذا النحو وبهذا النمط يتم قول الملاك لمريم — العذراء المخطوبة لرجل من بيت داود التي ستلد ابناً وتسميه « يسوع » « يكون عظيماً وابن العلي يدعى ويعطيه الرب الإله كرسي داود أبيه ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ولا يكون لملكه نهاية » (اقرأ لو ١ : ٢٦ — ٣٣) .

فإنه ، كما كان داود راعياً للغنم قديراً في رعايته لها والمحافظة عليها ، مخاطراً بنفسه بقتل الأسد والدب وتخليصها من افتراسهما ، وكما تقدم باسم رب الجنود وقتل جليات الفلسطيني الجبار ودفع العار عن صفوف الله الحي ، هكذا المسيح « ابن داود على كرسي داود وعلى بيت يعقوب ، من سبط يهوذا جد داود .

هذا هو « شيلون » (أشيرلو — الذي له) الذي جاءت عنه البركة النبوية ليهوذا حيث قيل : « يهوذا جرو أسد ، من فريسة صعدت يا ابني ، جثا وربض كأسد . . . لا يزول قضيب (الملك) من يهوذا ومشترع من بين رجليه (الكهنوت) حتى يأتي شيلون وله يكون خضوع شعوب » (تك ٤٩ : ٩ و ١٠) . هذا هو « الأسد » الذي من سبط يهوذا — أصل داود » (رؤ ٥ : ٥ و ٦ اقرأ ع ١ — ١٠ و ٦ : ١ و ٢ و ١٢ : ١ — ١٢ مع لو ١٠ : ١٧ — ٢١) .

الآن قد انتهينا من الوظيفة النبوية التي رأينا فيها « يسوع » وسيطاً بين الله والناس يتقبل وصية من الآب ويعطيها للذين أرسل من الآب من أجلهم (راجع الشرح عن الوظيفة النبوية) . هكذا أيضاً الوظيفة الملكية التي فيها تعين « يسوع » من الآب قائداً أعلى ، راعياً لخراف التي أعطيت له من الآب كما اعترف هو بنفسه قائلا : « خرافي تسمع صوتي وأنا أعرفها فتتبعني وأنا أعطيها حياة أبدية ولن تهلك إلى الأبد ولا يخطفها أحد من يدي ، أبي الذي أعطاني إياها هو أعظم من الكل ، ولا يقدر أحد أن يخطف من يد أبي » (قابل يو ١٠ : ٢٧ — ٢٩ مع ١٧ : ٦ — ١١ و ٢٤) . بقي علينا الآن أن نأتي إلى : —

(٣) الوساطة فى الوظيفة الكهنوتية

التى سنبينها فى الجهة الأخيرة من هذه الجهات السبع حيث نأتى إلى : —

« دم رش يتكلم أفضل من هابيل » :

فى هذا التعبير تتجلى لنا الوساطة فى الوظيفة الكهنوتية ، وكما سبق أن رأينا الوساطة النبوية والوساطة الملكية بالمقارنة فيهما بين « يسوع » و« موسى » ، هكذا ، هنا ، علينا أن نرى الوساطة فى الوظيفة الكهنوتية بالمقارنة ، ولابد ، بين « يسوع » و« موسى » .

وهل كان « موسى » كاهناً حتى تصح المقارنة بينه وبين « يسوع فى هذه الوظيفة الكهنوتية ؟ يجيبنا الرسول عن هذا السؤال فيما أوضحه تفسيراً ؛ حيث يقول : « لأن « موسى » بعد ما كلم جميع الشعب بكل وصية ، بحسب الناموس ، أخذ دم العجول والتيوس مع ماء وصوفاً قرمزياً وزوفا ورش الكتاب نفسه وجميع الشعب ، قائلا : « هذا هو دم العهد الذى أوصاكم الله به » ، والمسكن أيضاً وجميع آنية الخدمة رشها كذلك بالدم ، وكل شىء تقريباً يتطهر حسب الناموس بالدم وبدون سفك دم لا تحصل مغفرة » (اقرأ خر ٢٤ : ١ — ٨ راجع شرح ص ٩ : ١٨ — ٢٢) .

هكذا فعل « موسى » فى قطع العهد بين الشعب وبين الله عند جبل سيناء ، بحسب الناموس : وذلك بوصف كونه الكاهن الأعظم ، وليس ذلك ، فقط ؛ هذا هو ما فعله ، أيضاً ، فى وظيفته الكهنوتية العليا ، إذ أوحى إليه بصنع المسكن الخاص بتلك الخدمة الكهنوتية مع كل ما يتعلق بهذه الخدمة فى ذلك المسكن (قابل خر ٢٥ : ٩ و ٤٠ راجع شرح ص ٨ : ٥ و٦) .

يضاف إلى ذلك ما أعده هذا الكاهن الأعلى من الثياب الكهنوتية لهرون رئيس الكهنة وبنيه (خر ٢٨) ، وما قام به من مسح المسكن وكل محتوياته بدهن المسحة المقدس وتدشينه لخدمة الرب (قابل خر ٤٠ مع لا ٨) ، وكل ما أجراه بيده من الإجراءات الخاصة بهذه الوظيفة ، أيضاً ، فى تقديس هرون وبنيه وملء أيديهم

لهذه الوظيفة الكهنوتية ، هكذا أقيم المسكن الأول بمقتضى الناموس بأيد بشرية لخدمة كهنوتية قام بها الإنسان فى كل ما يتصل بهذا المسكن .

هذه هى الوساطة الكهنوتية التى قام بها موسى ، بحسب الناموس ، لإعداد الكهنوت اللاوى الخاص بعهد جبل سيناء « الناموس » — فى هرون أخيه وبنيه من بعده ، أما وساطة عهد« جبل صهيون » — « الإنجيل » — فى الوظيفة الكهنوتية ، فإنها ترتفع ، فى سموها ، عن تلك الوساطة الناموسية الكهنوتية إلى علو لا حد له — إلى درجة لا استطاعة للانسان أن يصل إليها ، وبالتالى لا تستطيع يد بشرية أن تتدخل فيها أو أن تلمسها .

وذلك لأن وسيط العهد الجديد « يسوع » لم يأت ، فى نسبه الإنسانى ، من السبط اللاوى الكهنوتى ، ولهذا السبب يقول عنه كاتب الرسالة إلى العبرانيين : « فإنه لو كان على الأرض لما كان كاهناً ؛ إذ يوجد الكهنة (اللاويون) الذين يقدمون قرابين حسب الناموس » (راجع شرح ص ٨ : ٤) ، أما هذا ، له المجد ، فقد كان ، كما سبق أن رأينا « ابن داود » — من سبط « يهوذا » — من نسل « داود الملك » (قابل مت ١ : ١ و ٢ و ٦ و ١٦ مع لو ١ : ٣٢ مع رو ١ : ٣ مع ٢ تى ٢ : ٨ مع رؤ ٥ : ٥ و ٢٢ : ١٦ مع إش ١١ : ١ ، ١٠ مع إر ٢٣ : ٢ : ٥ و ٦ مع تك ٤٩ : ١٠ مع مت ٢١ : ٩ مع مر ١١ : ١٠ مع لو ١٩ : ٣٨ مع يو ١٢ : ١٣ اقرأ لو ١ : ٢٦ — ٣٣ مع مت ص ١) .

فكيف إذاً أمكن لهذا الملك « من سبط يهوذا » — الذى لم يكن ممكناً له أن يدخل إلى هيكل الرب ليؤدى خدمة الوساطة الكهنوتية ؟ وإلا لكان قد ضرب بالبرص وخرج بخزى وعار وبقى فى بيت المرض أبرص إلى يوم وفاته كما حدث لعزيا الملك ؟ (اقرأ ٢ أى ٢٦ : ١٦ — ٢١) — كيف أمكن له ، مع كل هذا الحذر ، أن يصير « رئيس كهنة إلى الأبد » ؟ (راجع شرح ص ٦ : ٢٠ و ٧ : ١٧ و ٢٤ و ٢٨ و ١٠ : ١٢) .

الجواب على هذا السؤال صريح وواضح جداً يحقق لنا بأنه صار « رئيس كهنة إلى الأبد » بمقتضى دعوة إلهية سماوية ، موجهة إليه ، خاصة به ؛ كما يقول رسول العبرانيين لأنه لم يكن ممكناً أن يأخذ هذه الوظيفة بنفسه ؛ بل « المدعو من الله » كما هرون أيضاً » وذلك كما سبقت الإشارة (راجع شرح ص ٥ : ٤) .

هكذا يسوع « كوسيط » فى وظيفته الكهنوتية « لم يمجد نفسه » ، ليصير رئيس كهنة ؛ بل جاءته الدعوة السماوية من « الآب » رأساً ، لا بمقتضى ناموس وضعى ولا بضرورة تناسلية طبيعية كما كان هرون وبنوه ؛ بل بناء على دعوة مدعمة بقسم وثيق أبدى ؛ حيث قيل فى هذا الشأن : « أقسم الرب ولن يندم أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكى صادق » (قابل مز ١١٠ : ٤ مع شرح ص ٥ : ٦ و ١٠) ، بهذه الدعوة السماوية الخاصة صار السيد المسيح « رئيس كهنة إلى الأبد » .

على أن رتبة « ملكى صادق » الكهنوتية تدعو إلى التفات خاص إلى الرتبة الملكية ، وذلك لأن « ملكى صادق كان ملكاً كما كان كاهناً لله العلى ، واسمه « ملكى صدق » معناه ملك البر ، وكونه « ملك ساليم » أو « ملك شاليم » أو ملك أورشليم » معناه « ملك السلام » ، وبذلك يكون « وسيط العهد الجديد — يسوع » — هو «كاهن الله العلى » وملك البر والسلام معاً (اقرأ تك ١٤ : ١٨ — ٢٠ راجع شرح ص ٧ : ١ — ٣ وسائر الأصحاح) .

أما الإشارة الخاصة بنسب يسوع — فى وظيفته الكهنوتية — إلى رتبة ملكى صادق — هذه الإشارة تنير أمامنا الطريق — ليس فقط بالنسبة إلى الدعوة الموجهة خاصة من الآب إلى « يسوع » . « ليصير رئيس كهنة إلى الأبد على رتبة ملكى صادق » فحسب — بل أيضاً تضىء أمامنا ، بنور كشاف ، حقيقة كون « يسوع » ملكاً أيضاً كما أنه كاهن ، لا باعتبار نسبه إلى النسل الداودى الملكى ولا إلى السبط اليهودى (« سبط يهوذا ») كما سبقت الإشارة ؛ بل تعلن لنا ، أيضاً ، بأكثر وضوح ، بأنه ملك يوصف كونه ابن إبراهيم ونسله الذى ، فيه « تتبارك جميع أمم الأرض » ويصير « وارثاً للعالم » .

وهذا يعود بنا إلى التساؤل فى وساطة يسوع الملكية — هل كانت وساطة بخاصة للشعب اليهودى « نسل إبراهيم حسب الجسد » ؟ (قابل رو ٩ : ٣ و ٦ — ٨) كما يعبر عنها بلسان النبى إرميا القائل : « ها أيام تأتى يقول الرب وأقيم لداود غصن بر فيملك « ملك » وينجح ويجرى حقاً وعدلا فى الأرض ، فى أيامه يخلص « يهوذا » ويسكن إسرائيل آمناً ، وهذا هو اسمه الذى يدعونه به — « يهوه صدقينو » — « الرب برنا » ؟ (إر ٢٣ : ٥ و ٦) — « ملكى صدق » أى « ملك البر » .

فهل « يهوذا » و « إسرائيل » اللذين يشير إليهم النبى إرميا هنا — هل هم اليهود الذين نسب إليهم السيد المسيح فى قول المجوس « أين هو المولود ملك اليهود » ؟ (مت ٢ : ١ و ٢) ، فماذا يكون إذاً معنى قول أسباط إسرائيل العشرة الذين شقوا عصا الطاعة على ملكهم الذى أقامه الرب « داود » وابن داود (« يسوع ») — ورفعوا أصواتهم عالية قائلين : « أى قسم لنا فى داود ولا نصيب لنا فى يسى — إلى خيامك يا إسرائيل — الآن انظر إلى بيتك يا داود » (١ مل ١٢ : ١٦) .

هكذا قضى هؤلاء — الأسباط العشرة — على مصيرهم النهائى — ذلك المصير الذى أقره إله السماء وأقام ، لتنفيذه ، شلمنأصر ملك أشور فسبى إسرائيل (الأسباط العشرة) وشتت شملهم فى عدد من مدن العالم وأعطى بلادهم لشتات الأمم الأخرى وهكذا فعل الرب فى غضبه ونحاهم من أمامه ونفذ فيهم ما قضوا به على أنفسهم تنفيذاً عادلا لا مرد فيه « ولم يبق إلا سبط يهوذا وحده » (قابل ٢ مل ١٧ : ٦ و ١٨ : ٢٤ اقرأ ع ٦—٢٤) .

أما سبط يهوذا فقد أبقى عليه الله راعياً إياه وراحماً « من أجل داود » عبده (١ مل ١١ : ١٢ و ١٣ و ٣٢ و ٣٦) ، واعداً إياهم بأن يخلص غنمه من أيدى الرعاة الخائنين وأن يقيم عليها راعياً واحداً هو عبده داود وهو يكون راعياً والرب نفسه يكون لها إلهاً وعبده داود رئيساً فى وسطهم (إقرأ حز ٣٤ : ٢٠ —٢٤ و ٣٧ : ٢٤ — ٢٨) .

ومن هو داود هذا ؟ أهو الذى أشار إليه إشعياء النبى فى مناداة الرب القائلة : « أميلوا آذانكم وهلموا إلى ، اسمعوا فتحيا أنفسكم وأقطع لكم عهداً أبدياً — « مراحم داود الصادقة » — هوذا قد جعلته شارعاً للشعوب رئيساً وموصياً للشعوب ، ها أمة

لا تعرفها تدعوها وأمة لم تعرفك تركض إليك من أجل الرب إلهك وقدوس إسرائيل لأنه قد مجدك » (إش ٥٥ : ١ – ٥) ، هذا هو داود الحقيقى الذى قال عن نفسه : « أنا هو الراعى الصالح والراعى الصالح يبذل نفسه عن الخراف » (يو ١٠ : ١١) « ولى خراف أخر ليست من هذه الحظيرة ينبغى أن آتى بتلك أيضاً فتسمع صوتى وتكون رعية واحدة وراع واحد » (يو ١٠ : ١٦ اقرأ ع ١ – ١٦) : هذا هو « يسوع » راعى الخراف العظيم الكاهن – الملك من سبط يهوذا .

على أن سبط يهوذا نفسه لم يحفظ وصايا الرب (٢ مل ١٧ : ١٩) ، بل زاد فى شره حتى وصل إلى أبشع صورة يعبر عنها النبى حزقيال بمثل يضربه كل ضارب مثل قائلا : « أختك الكبرى « السامرة » (إسرائيل والأسباط العشرة) هى وبناتها الساكنة عن شمالك ، وأختك الصغرى الساكنة عن يمينك هى « سدوم » وبناتها ، ولا فى طريقهن سلكت (يا يهوذا) ولا مثل رجاساتهن فعلت ؛ كأن ذلك قليل فقط ، ففسدت أكثر منهن السامرة وسدوم وعمورة (فى كل طرقك ») إقرأ حز ١٦ : ٤٤ – ٤٧ راجع الأصحاح كله) .

هؤلاء هم اليهود الذين ، إذ أتى إليهم « يسوع الذى هو المسيح » لم يهابوه بل احتقروه ولم يرضوا به ملكاً وحكموا عليه بأنه « مستوجب الموت » وأسلموه ليصلب ، ولما سألهم الوالى الرومانى بيلاطس : « أأصلب ملككم » ؟ أجابوه « ليس لنا ملك إلا قيصر » ، وإذ وضع على رأسه عنواناً « هو ملك اليهود » اعترضوا متضجرين ومتذمرين وطالبوه أن يغير القول : « ملك اليهود » بالقول : « أن ذاك قال أنا ملك اليهود » على اعتبار أن علة صلبه هى ادعاؤه أنه « ملك اليهود » (قابل مت ١ : ١٦ و ٢٦ : ٦٣ – ٦٧ مع يو ١٩ : ١٣ – ٢٢) .

هكذا رفض اليهود ملكهم « يسوع » – الذى أقامه الآب ملكاً لهم كأمة خاصة به ؛ فرفضهم وقال لابنه : « قليل أن تكون لى عبداً لإقامة أسباط يعقوب ورد محفوظى إسرائيل ، فقد جعلتك نوراً للأمم لتكون خلاصى إلى أقصى الأرض » (إش ٤٩ : ٦ اقرأ ع ١ – ٦ مع أع ١٣ : ٤٧ و ٤٨ مع عا ٩ : ١٤ مع أع ١٥ : ١٣ –

١٧) . هكذا كان شعار حياتهم من بدء نشأتهم إذ رفضوا أن يكون « الله » ملكاً لهم وطلبوا لأنفسهم ملكاً (قابل خر ١٩ : ٣ — ٦ مع ١ صم ٨ : ٤ — ٩) .

هذا هو الراعى — « الملك من سبط يهوذا » — « الكاهن إلى الأبد على رتبة ملكى صادق » — « وسيط العهد الجديد يسوع » — الذى يتقدم إلى الآب ، فى وساطته الكهنوتية ، من أجل الذين عينهم الآب وأعدهم ليكونوا أبناء المجد وأعد رئيس خلاصهم ليتقدم أمام العرش وبيده : —

« دم رش » :

هذه العبارة « دم رش » ترجع بنا إلى « موسى » وسيط عهد جبل سيناء ، فإن « موسى ، بعد ما كلم جميع الشعب . بكل وصية بحسب « الناموس » أخذ دم العجول والتيوس مع ماء وصوفاً قرمزياً وزوفا ورش الكتاب نفسه وجميع الشعب ، قائلا : « هذا هو دم العهد الذى أوصاكم الله به » ، والمسكن أيضاً وجميع آنية الخدمة رشها كذلك بالدم » (راجع شرح ص ٩ : ١٨ — ٢٢) .

هذه العملية الكهنوتية قام بها « موسى » كوسيط يوم أن قطع ذلك « العهد بين الرب وبين الشعب عند جبل سيناء » ، وهى عملية ناموسية قام بها كما هو مكتوب عنه فى ناموسه (اقرأ خر ٢٤ : ١ — ٨) ، وهكذا كانت كل التطهيرات الناموسية تقوم بهذه الطريقة عينها التى يعبر عنها « برش الدم » .

ويظهر ذلك جلياً من العملية التى قام بها حزقيا الملك لتقديس الشعب لإقامة عيد الفصح حسب الأمر الإلهى ؛ حيث كان « الكهنة يرشون الدم من يد اللاويين ؛ لأنه كان كثيرون فى الجماعة لم يتقدسوا ، فكان اللاويون ، على ذبح الفصح ، عن كل من ليس بطاهر لتقديسهم للرب » (٢ أى ٣٠ : ١٦ و ١٧ اقرأ ع ١٣ — ١٧) ، هذا هو « رش » الدم بمقتضى الناموس — « العهد الأول » .

أما و « سيط العهد الجديد يسوع » ، فإنه « بدم رش » — هو دم نفسه « وهو قد جاء رئيس كهنة للخيرات العتيدة فبالمسكن الأعظم والأكمل غير المصنوع بيد أى الذى

ليس من هذه الخليقة — وليس بدم تيوس وعجول ؛ بل « بدم نفسه » دخل مرة واحدة إلى الأقداس فوجد فداء أبدياً ؛ لأنه إن كان دم ثيران وتيوس ورماد مرشوش على المنجسين يقدس إلى طهارة الجسد ؟ فكم بالحرى ، يكون « دم المسيح » الذى «بروح أزلى » قدم نفسه لله بلاعيب « يطهر ضمائركم من أعمال ميتة ؛ لتخدموا الله الحى » (اقرأ عد ١٩ : ١ — ١٩ راجع شرح ص ٩ : ١١ — ١٤) .

فلا عجب ! أن يقال « دم رش » ، وهل للمسيح دم يرش ؟ كما كان يرش دم العجول والتيوس قديماً ؟ وهل للمسيح دم مادى يرش على المنجسين ليتطهروا ؟ وأى دم هو ذلك « الدم » الذى تغنى به الأربعة والعشرون شيخاً وهم ينشدون أمام « الخروف القائم كأنه مذبوح » ؟ (رؤ ٥ : ٦) قائلين « مستحق أنت أن تأخذ السفر وتفتح ختومه ؛ لأنك « ذبحت واشتريتنا لله بدمك » من كل قبيلة ولسان وشعب وأمة ، وجعلتنا لإلهنا ملوكاً وكهنة فسنملك على الأرض (رؤ ٥ : ٩ و ١٠ اقرأ ع ١ — ١٠ و ١ : ٥ و ٦) .

هل يمكن أن يكون هذا الدم دماً مادياً ؟ أهو ذلك العرق — عرق المسيح الذى صار كقطرات دم نازلة على الأرض ؟ إذ كان فى جهاد وكان يصلى بأشد لجاجة ؟ (لو ٢٢ : ٤٤) أهو ذلك « الدم » الذى خرج مع ماء من جنبه ؛ حيث قيل أنه ، بعدما مات « واحد من العسكر طعن جنبه بحربة ، وللوقت خرج دم وماء » ؟ (اقرأ يو ١٩ : ٣٣ و ٣٤) ، أى دم هو الذى أشار إليه الرسول يوحنا فى قوله : « هذا هو الذى أتى بماء ودم — يسوع المسيح — لا بالماء فقط ، بل بالماء والدم » (١ يو ٥ : ٦) أهو ذلك الدم الذى شاهده خارجاً من جنبه ؟ (اقرأ يو ١٩ : ٣٤ و ٣٥) .

إن الإعلانات السماوية فى الكتب المقدسة تعلن لنا حقيقة هذا الدم ، معلمة إيانا ومحققة لنا بأنه ليس هو ذلك الدم المادى — المختلط بالماء المادى خارجاً من جنبه المطعون بطعنة الحربة الرومانية وهو معلق فوق الخشبة التى علقوه عليها ؛ حيث تم المكتوب : « ملعون كل من علق على خشبة » (قابل أع ١٠ : ٣٩ و ١٣ : ٢٩ مع تث ٢١ : ٢٢ و ٢٣ انظر شرح غل ٣ : ١٣ للمؤلف) .

بل هو دم « ذبيحة حية » قدمها ذلك الابن الوحيد المبارك بروح أزلى لله أبيه ، وهذه حقيقة معلنة فى النص القائل : « كم بالحرى يكون « دم المسيح » الذى بروح أزلى قدم نفسه لله بلاعيب يطهر ضمائركم من أعمال ميتة لتخدموا الله الحى » (راجع شرح ص ٩ : ١٤) — الأمر الذى أثبته الرسول بطرس فى قوله : « عالمين أنكم افتديتم ، لا بأشياء تفنى — بفضة أو ذهب — من سيرتكم الباطلة التى تقلدتموها من الآباء ؛ بل بدم كريم كما من حمل بلا عيب ولا دنس « دم المسيح » معروفاً سابقاً قبل تأسيس العالم » ((١ بط ١ : ١٨ — ٢٠) .

هذه الذبيحة الأزلية يتحقق أمرها فى كل ما هو مكتوب عنه فى درج الكتاب ، حيث قيل : « بذبيحة وتقدمة لم تسر أذنى فتحت (ثقبت خر ٢١ : ٦ « هيأت لى جسداً » ص ١٠ : ٥) محرقة وذبيحة خطية لم تطلب ، حينئذ قلت : « هنذا جئت — بدرج الكتاب مكتوب عنى — أن أفعل مشيئتك يا إلهى سررت وشريعتك فى وسط أحشائى » (قابل مز ٤٠ : ٦ — ٨ مع يو ٤ : ٣٢ — ٣٤ و ٦ : ٣٨ — ٤٠) .

على هذا النص النبوى يعقب الرسول بالقول ، إذ يقول آنفاً « إنك ذبيحة وقرباناً ومحرقات وذبائح للخطية لم ترد ولا سررت بها — التى تقدم حسب الناموس — ثم قال : « هنذا أجىء لأفعل مشيئتك يا الله — ينزع الأول لكى يثبت الثانى — فبهذه المشيئة نحن مقدسون — بتقديم جسد يسوع مرة واحدة » (راجع شرح ص ١٠ : ٨ — ١٠ انظر شرح ص ١٣ : ١٢) ، هذا هو » دم رش » » — دم المسيح : —

« يتكلـــم » :

« دم رش يتكلم » : — وهل لهذا « الدم » لسان ينطق ؟ أو هل له صوت يعلو فيسمع ويدوى فى الآذان التى تصغى ؟ وينطبق عليها القول : « من له أذنان للسمع فليسمع » ؟ (مت ١١ : ١٥ و ١٣ : ٩ و ٤٣ ... الخ) ، إنه لسان حال ناطق بصوت عال جداً ينطبق عليه القول : « من له أذن فليسمع ما يقوله الروح للكنائس » (انظر رؤ ٢ : ٧ و ١١ و ١٧ و ٢٩ و ٣ : ٦ و ١٣ و ٢٢) ، هذا هو لسان الروح القدس ، فلنصغ إلى ما « يتكلم » — إنه « يتكلم » : —

« أفضل من هابيـــل » :

بهذه المقارنة نستطيع أن ندرك صيغة الكلام التي يتكلم بها هذا الدم ونصل إلى عمق أفضليتها — تلك الأفضلية التي سبق أن تلألأت أمامنا بنور كشاف في دراسة هذه الرسالة (راجع شرح ص ٦ : ٩ و ٧ : ١٩ و ٢٢ و ٨ : ٦) ، وهي الأفضلية التي تبرز أمامنا الآن فيما يتكلم به « دم الرش » — الذي سبق أن رأيناه دم « وسيط العهد الجديد يسوع » الذي « بروح أزلي » قدم نفسه لله بلا عيب » (راجع شرح ص ٩ : ١٤) — ذلك الدم الكريم ؛ كما من حمل بلا عيب ولا دنس — « دم المسيح » معروفاً سابقاً قبل تأسيس العالم (اقرأ ١ بط ١ : ١٨ — ٢٠) .

هذا هو « الدم » — « دم رش يتكلم أفضل من هابيل » ، والقرينة تؤكد لنا أن « هابيل » — يتكلم » ، وأن هنالك « دم رش يتكلم » وينطق بكلام « أفضل » مما ينطق به هابيل ، ولإيضاح هذه القرينة علينا أن نبحث أولا وقبل كل شيء لنتفهم شخصية هابيل وموضوع الكلام الذي تحدث فيه وتكلم عنه لتصير المقارنة واضحة وجلية .

أما « هابيل » في شخصيته فقد ورد ذكره في رأس القائمة التي تتبين فيها أسماء القدماء المشهود لهم بالإيمان (راجع شرح ص ١١ : ٤) ، ومن التاريخ المقـــدس نفهم أنه هو المولود الثاني من البشر الذين وضعوا في صلب آدم أبي الجنس البشري ، وذلك يتضح جلياً من النص القائل : « وعرف آدم امرأته فحبلت وولدت قايين وقالت : « اقتنيت رجلا من عند الرب » ثم عادت فولدت أخاه هابيل » (تك ٤ : ١ و ٢) .

أما اسمه « هابيل » فهو من الأصل هبل ؛ حيث يقال : هبلته أمه — ثكلته أي فقدته ، وهو اسم ينطبق انطباقاً واقعياً على ما حدث لهابيل ؛ إذ قتله أخوه قايين ، وبذلك يصير هذا الاسم مطابقاً لوصف الحياة التي رسمها المرنم في نشيده : « هوذا جعلت أيامي أشباراً وعمري كلا شيء قدامك ، إنما نفخة كل إنسان قد جعل ، إنما كخيال يتمشى الإنسان ، إنما باطلا يضجون » (مز ٣٩ : ٥ و ٦) — نشيد يتفق مع ما قيل : « ما هي حياتكم ؟ إنها بخار يظهر قليلا ثم يضمحل » (يع ٤ : ١٤) ،

هذا هو « هابيل » فى شخصيته — المولود الثانى من آدم وقد قتله أخوه الأكبر قايين (إقرأ تك ٤ : ٨) ، هذا هو هابيل فى شخصيته .

وها نحن الآن نأتى إلى « هابيل » فى كلامه الذى تكلم به ، وذلك على اعتبار أننا نقرأ العبارة على الصورة الآتية « دم رش يتكلم أفضل » مما يتكلم به « هابيل » ، والأفضلية هنا تبين جلياً أنها واقعة للتفضيل بين « دم رش » خاص « بوسيط العهد الجديد يسوع » وبين « دم رش » آخر خاص بهابيل ، فهى أفضلية تنفى كل النفى وتقطع قطعاً باتاً ما ذهب إليه كثيرون بشأن دم هابيل الذى سفكه قايين .

فإنهم ، فى تفسيرهم ، يرجعون بنا إلى الحديث الذى جرى بين الرب وبين قايين بشأن هابيل الذى قتله ؛ حيث قال الرب لقايين : « أين هابيل أخوك » ؟ فقال « لا أعلم ، أحارس أنا لأخى » ؟ فقال الرب : « ماذا فعلت ؟ صوت دم أخيك صارخ إلىّ من الأرض ، فالآن ملعون أنت من الأرض التى فتحت فاها لتقبل دم أخيك من يدك » (اقرأ تك ٤ : ٨ — ١١) .

فإن هؤلاء المفسرين يريدون أن يؤكدوا لنا أن هابيل « يتكلم » بلسان حال دمه المسفوك بيد قايين والصارخ من الأرض إلى الرب ، وهذا قول — بل فكر — تنفيه كل النفى قرينة الكلام الخاصة « بدم رش » « وسيط العهد الجديد يسوع » — الذى هو دم الذبيحة التى قدمها هذا الوسيط المبارك — مقارنة فى أفضليتها بأول ذبيحة قدمت من شهود الإيمان القدماء ، وهى الذبيحة التى قدمها هابيل .

هذا النفى يثبته قول ذات الرسول إثباتاً واضحاً فى حديثه عن الذبيحة التى قدمها هابيل (أول ذبيحة تحدث عنها) حيث قال : « بالإيمان قدم هابيل لله ذبيحة أفضل من قايين ، فبه (بالإيمان) شهد له (لهابيل) أنه بار » — وهل نصغى ، باهتمام ، إلى ما قاله الرسول بعد ذلك عن تلك الذبيحة التى قدمها هابيل ؛ حيث قال : « وبه (بالإيمان — هابيل) وإن مات يتكلم بعد » أى يتكلم بالإيمان الذى قدم به الذبيحة ، هذا هو لسان حال « دم رش » ذبيحة هابيل الذى به هو « يتكلم » كدم رش ذبيحة وسيط العهد الجديد يسوع الذى به هو ، أيضاً « يتكلم أفضل من هابيل » .

هذا يأتى بنا إلى الكلام الذى « يتكلم » به « وسيط العهد الجديد يسوع » بلسان حال « دم رش » الذبيحة التى قدمها ومقارنته بالكلام الذى « يتكلم » به « هابيل » بلسان حال دم رش الذبيحة التى قدمها هابيل أيضاً ، فبماذا تكلم هابيل وهو ينطق بلسان حال الذبيحة التى قدمها ؟ هذا يرجع بنا إلى القول : « وإن مات يتكلم بعد » — يتكلم معلناً إيماناً واضحاً عن طريق الاقتراب إلى الله — تلك الطريقة التى عينها الله نفسه . وهى أيضاً ، ذات الطريقة التى تظهر أفضليتها فى النصيحة التى يقدمها لنا الرسول ، قائلا : « فإذ لنا رئيس كهنة عظيم قد اجتاز السموات — « يسوع ابن الله » — فلنتمسك بالإقرار . لأن ليس لنا رئيس كهنة غير قادر أن يرثى لضعفاتنا ؛ بل مجرب . فى كل شيء مثلنا ، بلا خطية ، فلنتقدم بثقة إلى عرش النعمة لكى ننال رحمة ونجد نعمة عوناً فى حينه » (راجع شرح ص ٤ : ١٤ — ١٦ مع ص ١٠ : ١٩ — ٢٣) .

فالمقارنة هنا إذاً ، كما سبق أن بيناها ، لا يمكن بأى حال من الأحوال ، أن تكون بين شخصية « وسيط العهد الجديد يسوع » فى صرخته على الصليب طالباً الغفران « يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون » (لو ٢٣ : ٣٤) ، وبين شخصية « هابيل » فى صوت دمه الصارخ من الأرض طالباً النقمة ، بل هى مقارنة ، بالحرى ، فى الأفضلية بين الذبيحتين لا بين الشخصيتين (راجع الشرح) .

الآن قد انتهينا من الشرح الأول — التعليمى — من الموقف الثالث الذى هو الرب يسوع وملكوته — وهو الركن الذى وقفنا فيه بين « جبل سيناء » و « جبل صهيون » (ع ١٨ — ٢٤) : والآن نتقدم ، بإرشاد روح الرب ومعونته ، إلى الكلام عن هذا الموقف الثالث — الرب يسوع وملكوته — فى : —

الركن الثانى : — العملى (عب ١٢ : ٢٥ — ٢٩)

فى هذا الركن نسمع تنبيهاً لخطر (ع ٢٥ — ٢٧) ونذكر تنويهاً بشكر (ع ٢٨ و ٢٩) ، فالعلاقة بينهما هى علاقة نتائج بمقدمات .

تنبيه لخطر (عب ١٢ : ٢٥ — ٢٧)

٢٥ أَنْظُرُوا أَنْ لَا تَسْتَعْفُوا مِنَ ٱلْمُتَكَلِّمِ . لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ أُولَئِكَ لَمْ يَنْجُوا إِذِ ٱسْتَعْفَوْا مِنَ ٱلْمُتَكَلِّمِ عَلَى ٱلْأَرْضِ فَبِٱلْأَوْلَى جِدًّا لَا نَنْجُو نَحْنُ ٱلْمُرْتَدِّينَ عَنِ ٱلَّذِي مِنَ ٱلسَّمَاءِ ٢٦ ٱلَّذِي صَوْتُهُ زَعْزَعَ ٱلْأَرْضَ حِينَئِذٍ وَأَمَّا ٱلْآنَ فَقَدْ وَعَدَ قَائِلًا إِنِّي مَرَّةً أَيْضًا أُزَلْزِلُ لَا ٱلْأَرْضَ فَقَطْ بَلِ ٱلسَّمَاءَ أَيْضًا . ٢٧ فَقَوْلُهُ مَرَّةً أَيْضًا يَدُلُّ عَلَى تَغْيِيرِ ٱلْأَشْيَاءِ ٱلْمُتَزَعْزِعَةِ كَمَصْنُوعَةٍ لِكَيْ تَبْقَى ٱلَّتِي لَا تَتَزَعْزَعُ .

فى هذه الآيات نسمع تنبيهاً لخطر علينا أن نتحذر منه هو خطر الاستعفاء من المتكلم والارتداد عنه — تنبيه يبدأه الرسول بالقول : —

(ع ٢٥) « انظــروا » :

هذه الكلمة « انظروا » إنما هى كلمة تنبيه لأولئك العبرانيين المؤمنين ، بها يلفت الرسول نظرهم إلى أمر خطير ، وهى كلمة ، كثيراً ما استعملها الرسول ، للتنبيه والتحذير ؛ كما نبين فى بعض أقواله التى منها قوله : « فإذا كنتم تنهشون وتأكلون بعضكم بعضاً « فانظروا » لئلا تفنوا بعضكم بعضاً » (انظر شرح غل ٥ : ١٥ للمؤلف) وهكذا فى قوله : « انظروا » أن لا يكون أحد يسبيكم بالفلسفة وبغرور باطل حسب تقليد الناس — حسب أركان العالم وليس حسب المسيح » (كو ٢ : ٨ قابل ١ كو ٨ : ٩ و١٦ : ١٠ مع فى ٣ : ٢) .

تنبيه خطير يجدر بجميع المؤمنين أن يلتفتوا إليه مقدرينه حق قدره ، ناظرين بكل انتباه إلى تنبيه ذات الرسول فى قوله : « من يظن أنه قائم فلينظر » أن لا يسقط » (١ كو ١٠ : ١٢) ، لذلك يقول أيضاً فى صيغة إيجابية : « فانظروا كيف تسلكون بالتدقيق لا كجهلاء ؛ بل كحكماء — مفتدين الوقت لأن الأيام شريرة » (أف ٥ : ١٥ و ١٦) ، تنبيه إلى خطر الضلال بتعاليم البشر وأقوالهم — ذلك الخطر الذى ، إذ رأى « رب المجد » تلاميذه معرضين له ، قال لهم — « انظروا لا يضلكم أحد » (مت ٢٤ : ٤) .

« فلينظر » كل واحد إلى نفسه ، محذراً ذاته ، على نمط ما فعله ذات الرسول ؛ حيث قال : « إذاً أنا أركض ، هكذا ، كأنه ليس عن غير يقين ، هكذا أضارب كأنى لا أضرب الهواء ؛ بل أقمع جسدى وأستعبده حتى ، بعد ما كرزت للآخرين ، لا أصير « أنا نفسى » مرفوضاً » (١ كو ٩ : ٢٦ و ٢٧) ، فلا عجب إن كان ذات الرسول ينبه بشدة محذراً بقوة ، قائلا : « انظروا » : —

« أن لا تستعفوا من المتكلم » :

فى هذه الكلمات نستطيع أن نلمح الأمر الخاص الذى يريد الرسول أن يوجه إليه نظر العبرانيين ليتنبهوا ؛ حيث يضع أمامهم « المتكلم » ، وينذرهم بشدة « أن لا يستعفوا » من كلامه ، وفى كلا الأمرين يوقفهم أمام التنفيذ العملى الذى ينتظر منهم ومن كل « من له أذنان للسمع » — لا ليسمع فحسب ولا « أن لا يستعفى » فقط ، بل أن يتحذر بالحرى ، ليسمع ويعمل .

هذا هو الأمر العملى الذى ذكره ذات السيد المسيح ونبه إلى الالتزام به فى ختام خطاب العرش الذى ألقاه فوق الجبل ، حيث قال ، له المجد : « ليس كل من يقول لى : يارب يارب يدخل ملكوت السموات ؛ بل الذى « يفعل » إرادة أبى الذى فى السموات » (مت ٧ : ٢١) .

وقد مثل هذه الحقيقة الثابتة التى لا تنقض أبداً بالمقارنة بين رجل عاقل وبين رجل جاهل ، حيث شبه السامع العامل بأقواله برجل عاقل « بنى بيته على الصخر ،

فنزل المطر وجاءت الأنهار وهبت الرياح ووقعت على ذلك البيت ؛ فلم يسقط ؛ لأنه كان مؤسساً على الصخر » ، أما السامع غير العامل فقد شبهه « بوجل جاهل بنى بيته على الرمل فنزل المطر وجاءت الأنهار و هبت الرياح وصدمت ذلك البيت فسقط وكان سقوطه عظيما » (مت ٧ : ٢٤ — ٢٧ اقرأ ع ٢١ — ٢٧) ، فلنحذر من الاستعفاء من المتكلم فالخطر جسيم ، لذلك يقول : « انظروا أن لا تستعفوا من المتكلم » : —

« لأنه إن كان أولئك » :

« أولئك » (الآباء) اسم إشارة يشار بها إلى جمع غائب بعيد ، فهى ، بهذه الإشارة ، تعود بنا إلى « جبل سيناء » حيث نرى الجمع المشار إليه ، فهم « أولئك » الآباء الذين أشار إليهم ذات الرسول وهو يتحدث إلى الكورنثيين ؛ حيث قال : « إن آباءنا جميعهم كانوا تحت السحابة وجميعهم اجتازوا فى البحر وجميعهم « اعتمدوا لموسى » فى السحابة وفى البحر » ؟ (١ كو ١٠ : ١ و ٢ اقرأ ع ١ — ٤) .

« فأولئك » هم جميع الذين خرجوا من أرض مصر وعبروا البحر الأحمر إلى سيناء وهناك وقفوا فى أسفل الجبل تحت تحذيرات مشددة لئلا يقتربوا إلى الجبل ؛ حيث كانت رعود وبروق وسحاب ثقيل على الجبل وصوت بوق شديد جداً ؛ وكان كل الجبل يدخن من أجل أن الرب نزل عليه بالنار وصعد دخانه كدخان الأتون وارتجف كل الجبل جداً ، فكان صوت البوق يزداد اشتداداً جداً (اقرأ (خر ١٩ : ١٦ — ١٩ راجع شرح ع ١٨) ، هناك ، فى هذا المشهد ، نرى « أولئك الذين : —

« لم ينجـوا » :

لابد أن « أولئك » الذين « لم ينجوا » هم الذين رشهم موسى بدم العهد — ذلك العهد الذى أوصاهم الله به وقطعوه معه فى جبل سيناء قائلين : « كل ما تكلم به الرب نفعل ونسمع له » (خر ٢٤ : ٧) — ذلك العهد الذى تقدس وتثبت بأن رأوا إله إسرائيل على الجبل وتحت رجليه شبه صنعة من العقيق الأزرق الشفاف وكذات السماء فى النقاوة ، ولكنه لم يمد يده إلى أشراف بنى إسرائيل ؛ فرأوا الله وأكلوا وشربوا » (خر ٢٤ : ٩ — ١١ اقرأ ع ١ — ١١ راجع شرح ص ٩ : ١٨ — ٢٢) .

على أن « أولئك » الذين قطعوا ذلك العهد مع الله هم الذين قيل بصددهم : « لكن بأكثرهم لم يسر الله ، لأنهم طرحوا فى القفر » (١ كو ١٠ : ٥) ، فإنهم ما لبثوا — وهم بعد فى البرية — أن تذمروا على موسى وهرون وتمردوا على الرب وقال بعضهم لبعض : « نقيم رئيساً ونرجع إلى مصر » (عد ١٤ : ٤ اقرأ ع ١ — ٤) .

هكذا اشتد غضب الرب على « أولئك » الذين « لم ينجوا » وأقسم ، قائلا : « حى أنا فتملأ كل الأرض من مجد الرب — إن جميع الرجال الذين رأوا مجدى وآياتى التى عملتها فى مصر وفى البرية وجربونى الآن عشر مرات ولم يسمعوا لقولى (« أولئك ») لن يروا الأرض التى حلفت لآبائهم ، وجميع الذين أهانونى لا يرونها » (عد ١٤ : ٢١ — ٢٣ اقرأ ١ — ٢٣) .

هذا هو الأمر الذى لابد أن يتم عملياً — فى كل جيل من الأجيال — مع الذين ينقضون عهد الرب فلا يفعلونه — الأمر الذى تحدث عنه المرنم منذراً حيث قال : « اليوم ، إن سمعتم صوته فلا تقسوا قلوبكم كما فى مريبة — مثل يوم مسه فى البرية — حيث جربنى آباؤكم ، اختبرونى أبصروا أيضاً فعلى ، أربعين سنة مقت ذلك الجيل وقلت : « هم شعب ضال قلبهم وهم لم يعرفوا سبلى » فأقسمت فى غضبى « لا يدخلون راحتى » (مز ٩٥ : ٧ — ١١ اقرأ ع ٦ — ١١ راجع شرح ص ٣ : ١٥ — ١٩ و ٤ : ٨ — ١١) — « أولئك » هم الذين يضعهم الرسول أمامنا للتحذير ، قائلا : « انظروا أن لا تستعفوا من المتكلم ؛ لأنه إن كان أولئك لم ينجوا » : —

« إذ استعفوا من المتكلم على الأرض » :

هم « أولئك » الذين « استعفوا من المتكلم » عندما سمعوا صوته يتكلم من جبل سيناء — حيث كانوا واقفين عند الجبل — وهم « يرون الرعود والبروق وصوت البوق والجبل يدخن » فارتعدوا ووقفوا من بعيد وقالوا لموسى : « تكلم أنت معنا فنسمع ، ولا يتكلم معنا الله لئلا نموت » (خر ٢٠ : ١٨ و ١٩ اقرأ تث ٥ : ٢٣ — ٢٧) .

هكذا استعفى الشعب من الاستماع إلى صوت الرب وهو يتكلم من جبل سيناء وأقاموا « موسى » وسيطاً بينهم وبين الله ، فاستمع الله إلى صوت كلامهم ، مستحسناً ،

وكلم موسى بشأنه ، قائلا : « سمعت صوت كلام هؤلاء الشعب الذى كلموك به . قد أحسنوا فى كل ما تكلموا ، يا ليت قلبهم كان هكذا فيهم حتى يتقونى ويحفظوا جميع وصاياى كل الأيام لكى يكون لهم ولأولادهم خير إلى الأبد : اذهب قل لهم « ارجعوا إلى خيامكم » (تث ٥ : ٢٨ — ٣٠ انظر شرح غل ٣ : ١٩ و ٢٠ للمؤلف) .

هذا هو الاستعفاء الذى سبق الرسول فأشار إليه معبراً عنه بالقول : « صوت كلمات استعفى الذين سمعوه من أن تزاد لهم كلمة ؛ لأنهم لم يحتملوا ما أمر به موسى « وإن مست الجبل بهيمة ترجم أو ترمى بسهم » (اع ١٩ و ٢٠ راجع شرح ع ١٨ — ٢١) ، فقد كان هذا الاستعفاء ، فى عمق معناه ، رفضاً صريحاً لاستماع صوت الرب المتكلم من جبل سيناء ؛ كما هو واضح من قولهم لموسى « تكلم أنت معنا فنسمع . ولا يتكلم معنا الله لئلا نموت » (خر ٢٠ : ١٩) .

هكذا عينوا أنفسهم بأنفسهم أن يكونوا تلاميذ ، لا « للرب بل « لموسى » وهكذا من البدء تتلمذوا « لموسى » ، حتى إنه عندما أتى « رب المجد » إليهم متجسداً وفتح عينى مولود أعمى فى يوم سبت تذمروا على عمله هذا وناوؤا ذاك الذى انفتحت عيناه مضايقين إياه ليعرفوا من الذى فتح عينيه فى يوم السبت وفعل هذا الشر العظيم ، أجابهم ، قائلا : « قد قلت لكم ولم تسمعوا ، لماذا تريدون أن تسمعوا أيضاً ؟ ألعلكم تريدون أن تصيروا له تلاميذ ؟ فشتموه وقالوا له : « أنت تلميذ ذاك ، وأما نحن فإننا تلاميذ موسى ، نحن نعلم أن موسى كلمه الله ، وأما هذا فما نعلم من أين هو » (يو ٩ : ٢٧ — ٢٩ اقرأ ع ١ — ٣٠) .

هكذا رفضوا الذى كتب موسى عنه ، قائلا لآبائهم هكذا « قال لى الرب . . . « أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك ، وأجعل كلامى فى فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به ويكون أن الإنسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى أنا أطالبه » (تث ١٨ : ١٨ و ١٩ قابل يو ٥ : ٤٥ — ٤٧ و ١٢ : ٤٦ — ٥٠ قابل أيضاً تث ٣٠ : ١١ — ١٤ مع رو ١٠ : ٤ — ١٠) .

أو لم يدروا أن هذا هو الرب الذي كان . من جبل سيناء ، يكلم الشعب عن طريق موسى ؟ وأن موسى لم يكن سوى وسيط لتوصيل كلامه (كلام الرب) إلى مسامعهم ؟ فلا عجب أن يحذر الرسول ! بالقول : « انظروا أن لا تستعفوا من المتكلم لأنه إن كان أولئك لم ينجو إذا استعفوا من المتكلم على الأرض » من جبل سيناء : ـ

« فبالأولى جـداً » :

الكلمة « بالأولى » هي — لغة — في صيغة أفعل التفضيل بمعنى الأحرى والأجدر والأخلق، وفيها معنى الأولية والأفضلية ، وهي هنا تشير إلى درجة أسمى وأعلى وأعظم ؛ كما لو أن الرسول يقصد أن يقول لكم : « بالأولى » وكم بالأحرى ، وإضافة الكلمة «جداً» إليها تسمو بها إلى أعلى عليين في صيغة التفضيل ، وهي بهذا المعنى وبمقارنتها مع القول : «لم ينجوا» نصل إلى الخطر الأعظم والأكثر جداً الذي يتعرض له الذين يأتي الكلام عنهم في القول : « لأنه إن كان أولئك لم ينجوا إذ استعفوا من المتكلم على الأرض فبالأولى جداً » : —

« لا ننجو نحن » :

في هذه العبارة « لا ننجو نحن » يقابل الرسول بين « أولئك » — الآباء العبرانيين — عند جبل سيناء (راجع شرح ع ١٨ — ٢١) ، وبين الأبناء العبرانيين — عند جبل صهيون — الذين يضم نفسه إليهم فيقول : «لا ننجو نحن» (راجع شرح ع ٢٢ — ٢٤) ، وهي مقابلة ترجع بنا ، في ذات المناسبة ، إلى مقابلة سابقة قال فيها : « لأنه إن كانت الكلمة التي تكلم بها ملائكة (عند جبل سيناء) قد صارت ثابتة ، وكل تعد ومعصية نال مجازاة عادلة فكيف ننجو نحن » ؟ (راجع شرح ص ٢ : ٢ و ٣) .

وبصيغة أخرى من ذات النوع يوقفنا مرة ثانية أمام ذات السؤال حيث يقول : « من خالف ناموس موسى فعلى شاهدين أو ثلاثة شهود يموت بدون رأفة ، فكم عقاباً أشر تظنون أنه يحسب مستحقاً » ؟ (راجع شرح ص ١٠ : ٢٨ و ٢٩) . على هذا الأساس يقوم إعلان هذه الحقيقة العادلة : « إن كان « أولئك » (عند جبل سيناء) لم ينجوا إذ استعفوا من المتكلم على الأرض ، فبالأولى جداً لا ننجو نحن » : —

« المرتدين » :

بالمقابلة مع المستعفين ، وما أبعد الارتداد عن الاستعفاء ! وما أوسع الشقة بينهما ! فالاستعفاء هو ما عمله هؤلاء المستعفون بمجرد قولهم لموسى : « تكلم أنت معنا فنسمع ولا يتكلم معنا الله لئلا نموت » (قابل خر ٢٠ : ١٨ — ٢١ مع تث ٥ : ٢٣ — ٢٧) ، فلم يكن استعفاؤهم « من المتكلم على الأرض » رفضاً لكلامه ولا عدم استماع لذاته ؛ بل كان ، بالحرى ، رعباً من « صوته » الذى زعزع الأرض حينئذ » فأجاب الله طلبتهم ، هذا هو الاستعفاء .

أما الارتداد فهو رفض بات وامتناع كلى عن الاستماع إلى الكلام ، بل هو رجوع عن الطريق المطروق وعن السير الواجب المطلوب وإعطاء الظهر للمتكلم بعناد وتكبر وترك العمل نهائياً بالرغم من كل نصيحة وإرشاد وحض وتحذير ، وهذا هو الارتداد الذى وقع فيه أولئك الذين استعفوا عندما قال بعضهم لبعض : « نقيم رئيساً ونرجع إلى مصر » (عد ١٤ : ٤) ، فوقعوا تحت غضب الله ؛ حتى أقسم ، فى غضبه ، ولم يندم قائلا لهم : « حى أنا — يقول الرب — لأفعلن بكم كما تكلمتم فى أذنى ، فى هذا القفر تسقط جثثكم . . . الذين تذمروا علىّ ، لن تدخلوا الأرض التى رفعت يدى لأسكننكم فيها » (اقرأ عد ١٤ : ٢٦ — ٣٠ مع مز ٩٥ : ٧ — ١١) .

فما أشر الارتداد عن الرب ، قولا وفكراً وقلباً ! أو لم نسمع ما يصف به النبى ذلك المرتد ؛ حيث يقول : « هوذا منتفخة غير مستقيمة نفسه فيه ، والبار بإيمانه يحيا »؟ (حب ٢ : ٤) ، وقد اقتبس الرسول هذا الوصف عن الترجمة السبعينية فقال : « أما البار فبالإيمان يحيا ، وإن ارتد لا تسر به نفسى » (راجع شرح ص ١٠ : ٣٨) .

فهذا المرتد هو ذاك الذى « منتفخة غير مستقيمة نفسه فيه » (حب ٢ : ٤) ، وعليه ينطبق قول الرب : « أقسمت فى غضبى لا يدخلوا راحتى » (مز ٩٥ : ١١) ، فلنحذر كل الحذر ولنعمل بكل قوة متبعين النصح القائل : « انظروا أيها الإخوة ! أن لا يكون فى أحدكم قلب شرير ، بعدم إيمان ، فى الارتداد عن الله الحى ؛ بل عظوا

أنفسكم كل يوم ما دام الوقت يدعى اليوم ، لكي لا يقسى أحد منكم بغرور الخطية ، لأننا قد صرنا شركاء المسيح إن تمسكنا ببداءة الثقة ثابتة إلى النهاية » (اقرأ مز ٩٥ : ٧ — ١١ راجع شرح ص ٣ : ٧ — ١١) ، فما أرهب الخطر الذى تتعرض له نفوس « المرتدين » : —

« عن الذى من السماء » :

ولماذا لم يقل ، عن المتكلم « من السماء » ؟ على قياس قوله ، سابقاً : « المتكلم على الأرض » ؟ ولعل هذا الفرق فى التعبير بين العبارتين مبنى على المبدأ القائل : (حذف المعلوم جائز) ، وعلى أساس هذا المبدأ يمكن أن يكون التعبير على الصورة الآتية — « إن كان أولئك لم ينجوا إذ استعفوا من المتكلم على الأرض ، فبالأولى جداً لا ننجو نحن المرتدين عن المتكلم من السماء » .

فمن هو هذا « الذى من السماء » ؟ هو ملاك الرب الذى رأيناه وقد ظهر لموسى فى عليقة تتوقد بنار ولا تحترق وقال له ، عن نفسه : « إنى قد رأيت مذلة شعبى الذى فى مصر . . . علمت أوجاعهم فنزلت لأنقذهم من أيدى المصريين » (اقرأ خر ٣ : ٦ — ٨) — هو الرب الذى نزل على جبل سيناء بالنار (اقرأ خر ١٩ : ١٨ و ١٩) ، وأنشد فيه موسى لهذه المناسبة ، قائلا : « جاء الرب من سيناء وأشرق لهم من سعير وتلألأ من جبل فاران وأتى من ربوات القدس » (تث ٣٣ : ٢) .

ولعل بهذه الإشارة يترنم المرنم لاسمه المجيد ، قائلا : « صعدت إلى العلاء ، سبيت سبياً ، قبلت عطايا بين الناس وأيضاً المتمردين (قبات) لاسكن أيها الرب الإله » (مز ٦٨ : ١٨) ، وتعقيباً على هذا الترنم المجيد وتفسيراً له يقول رسول الأمم : « وأما أنه صعد فما هو إلا إنه نزل أيضاً أولا إلى أقسام الأرض السفلى ، الذى نزل هو الذى صعد أيضاً فوق جميع السموات لكى يملأ الكل » (أف ٤ : ٩ و ١٠ اقرأ ع ٧ — ٦ مع مز ١٣٩ : ١٣ — ١٦) .

وما أعجب إعلانه عن نفسه ! فى حديثه مع نيقوديموس ، حيث قال له : « وليس أحد صعد إلى السماء إلا الذى نزل من السماء — « ابن الإنسان » — الذى هو فى السماء »

(يو ٣ : ١٣) ، وفى حديثه مع اليهود عن نفسه قال : « لأنى قد نزلت من السماء » (يو ٦ : ٣٨) ، وقد كان عالماً علماً يقيناً بأنه من عند الله خرج وإلى الله يمضى » (يو ١٣ : ٣ اقرأ ع ١ - ٣) ، ويقتضى هذا العلم اليقينى يقول لتلاميذه مودعاً إياهم : « خرجت من عند الآب وقد أتيت إلى العالم وأيضاً أترك العالم وأذهب إلى الآب » (يو ١٦ : ٢٨) .

« هذا هو النبي الآتى إلى العالم » (يو ٦ : ١٤) « وسيط العهد الجديد » الذى لم يكن موسى وسيط العهد الأول - سوى صورة رمزية له ، وهذا يظهر صريحاً من قول الرب لموسى : « أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم . مثلك - وأجعل كلامى فى فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به ، ويكون أن الإنسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى أنا أطالبه » (قابل تث ١٨ : ١٨ و ١٩ مع يو ١٢ : ٤٦ - ٥٠ انظر شرح غل ٣ : ١٩ للمؤلف) ، هذا هو « الذى من السماء » : -

(ع ٢٦) « الذى صوته » :

أى صوت « الذى من السماء » (راجع الشرح) - صوت « الرب » الذى جاء من سيناء » (تث ٣٣ : ٢) - هو « صوت بوق شديد جداً » (خر ١٩ : ١٦) - « هتاف بوق وصوت كلمات » - « استعفى الذين سمعوه من أن تزاد لهم كلمة » (راجع شرح ع ١٨ و ٢٥) ، هذا هو ذات الصوت الذى قال عنه رسول الأمم وهو يتحدث عن يوم مجىء « رب المجد » حيث قال : « فإنه سيبوق » (١ كو ١٥ : ٥٢) « لأن الرب نفسه بهتاف - بصوت رئيس ملائكة وبوق الله سوف ينزل من السماء » (« بوق عظيم الصوت ») (١ تس ٤ : ١٦) ، وذلك « عند استعلان الرب يسوع من السماء مع ملائكة قوته » (٢ تس ١ : ٧) .

وما أرهب ذلك اليوم ! « الذى فيه تزول السموات بضجيج وتنحل العناصر محترقة وتحترق الأرض والمصنوعات التى فيها ، فبما أن هذه كلها تنحل أى أناس يجب أن تكونوا أنتم فى سيرة مقدسة وتقوى منتظرين وطالبين سرعة مجىء يوم الرب الذى به تنحل السموات ملتهبة والعناصر محترقة تذوب » (٢ بط ٣ : ١٠ - ١٢) ، هذا هو الذى « من السماء ، الذى صوته » : -

« زعزع الأرض حينئذ » :

الكلمة « حينئذ » هي ظرف زماني يرجع إلى ذلك الزمان — زمان جبل سيناء حيث « نزل الرب بالنار » على ذلك الجبل ودعا موسى ليصعد إليه ، وكان الشعب في أسفل الجبل تحت أوامر مشددة للابتعاد عنه (اقرأ خر ١٩ : ١٠ — ١٩) — « حينئذ » في ذلك الحين — حين بدء تأثيث مملكة إسرائيل الذي سبق الإشارة إليه حال خروجهم من أرض مصر ووصلهم إلى جبل سيناء — حين قال لهم الرب : « فالآن إن سمعتم لصوتي وحفظتم عهدي تكونون لي خاصة من بين جميع الشعوب ؛ فإن لي كل الأرض ، وأنتم تكونون لي مملكة كهنة وأمة مقدسة » (خر ١٩ : ٥ و ٦) .

على هذا الأساس المشروط والاتفاق المبين أصعدت المحرقات وذبحت ذبائح السلامة وكتب كتاب العهد بين الله والشعب ورش الكتاب والشعب بالدم على أساس ما تعهد به الشعب ، قائلا : « كل ما تكلم به الرب نفعل ونسمع له » — « حينئذ » — مدت الموائد فوق جبل سيناء وصعد نواب الشعب إلى ذلك الجبل « ورأوا إله إسرائيل وتحت رجليه شبه صنعة من العقيق الأزرق الشفاف وكذات السماء في النقاوة ، ولكنه لم يمد يده إلى أشراف بني إسرائيل فرأوا الله وأكلوا وشربوا » (خر ٢٤ : ١٠ و ١١ اقرأ ع ١ — ١١ انظر شرح ص ٩ : ١٩ — ٢١) .

« حينئذ » ارتفع صوت « الذي من السماء » — الذي نزل على جبل سيناء و« زعزع الأرض » ، وذلك على اعتبار أن هذا الصوت إنما هو صوت عملي بإقامة تلك المملكة الكهنوتية معان زعزعة كل ممالك الأرض بما لجلاله من السلطان على كل الأرض التي هي له ، وفي سلطانه أن يثبت ما يشاء ويزعزع ما يشاء ؛ وكيف لا ؟ وهو ذلك الشخص الرهيب الذي وصفه المرنم بأنه « الناظر إلى الأرض فترتعد ، يمس الجبال فتدخن » ؟ (مز ١٠٤ : ٣٢) ، وبهذه الرهبة الهائلة يدعوه ، قائلا : « يارب طأطئ سمواتك وانزل ، المس الجبال فتدخن » (مز ١٤٤ : ٥) .

أو لم نسمع بما حدث ؟ وقد وصفه المرنم ، قائلا : « عند خروج إسرائيل من مصر . . . البحر رآه فهرب ، الأردن رجع إلى خلف ، الجبال قفزت مثل الكباش

والآكام مثل حملان الغنم : مالك أيها البحر (بحر سوف — البحر الأحمر) قد هربت ! ومالك أيها الأردن قد رجعت إلى خلف ! وما لكن أيتها الجبال قد قفزتن مثل الكباش ! وأيتها التلال مثل حملان الغنم ! أيتها الأرض تزلزلي من قدام الرب — من قدام إله يعقوب » (مز ١١٤ : ٦ — ٨ اقرأ كل المزمور) ، صورة ترسم أمامنا الذي زعزع البحر والنهر والجبال والتلال — الذي زلزل كل ممالك الأرض وجبروتها وقواها وعظمتها ؛ وذلك حين أقام تلك المملكة الكهنوتية السينائية السماوية التي استؤمنت ، دون سواها ، على « أقوال الله » (رو ٣ : ٢) .

لأنه أي شعب اختصه الله لنفسه « مملكة كهنة » من جميع شعوب الأرض ؟ (خر ١٩ : ٥ و ٦) — هكذا يقول موسى : « لأنه أي شعب هو عظيم له آلهة قريبة منه « كالرب إلهنا » في كل أدعتنا اليه وأي شعب هو عظيم له فرائض أحكام عادلة مثل كل هذه الشريعة التي أنا واضع أمامكم اليوم » ! (قابل تث ٤ : ٧ و ٨ مع مز ١٤٧ : ١٩ و ٢٠) — تلك الشريعة التي كتبها الله « بإصبعه » فوق جبل سيناء على « لوحي الحجر » — « لوحي الشهادة » — « لوحي العهد » (قابل خر ٢٤ : ١٢ و ٣٤ : ١ مع خر ٢٠ : ١ — ١٧ مع لا ١٨ : ٤ و ٥ مع تث ٥ : ١ — ٢٢) .

على أن الرسول بولس ، في حديثه مع الأمم ، عن هذه المناسبة ، يرسم أمامنا مدة معينة لهذا الاختيار الخاص بمملكة إسرائيل ، وذلك عندما كان يتحدث عن « الإله الحي . . . الذي في الأجيال الماضية ترك جميع الأمم يسلكون في طرقهم مع أنه لم يترك نفسه بلا شاهد ، وهو يفعل خيراً يعطينا من السماء أمطاراً وأزمنة مثمرة ويملأ قلوبنا طعاماً وسروراً » (إقرأ أع ١٤ : ١٥ — ١٧ مع مت ٥ : ٤٥ مع لو ٦ : ٣٥ مع أع ١٧ : ٢٧ و ٢٨ مع أي ٢٥ : ٣ مع مز ١٩ : ١ — ٦ و ١٤٧ : ٧ — ٩ مع إش ٤٠ : ٢٦ مع رو ١ : ٢٠) .

هكذا من جبل سيناء ارتفع صوت عال دوى في كل أرجاء العالم وزعزع كل ممالكه ، وذلك باعتبار أنها ممالك أرضية قائمة على أسس دنيوية بشرائع بشرية آيلة جميعها إلى الزوال والفناء — صوت زعزع كل تلك الممالك بتأسيس مملكة سماوية بشرائع إلهية مكتوبة بإصبع الله ، عز اسمه وجل جلاله ، هذا هو الذي صوته زعزع الأرض حينئذ » : —

« وأما الآن » :

الكلمة «أما» هي ، لغة ، حرف شرط وتفصيل وتأكيد ، ولا بد أن وجودها هنا يدل على أن الرسول سيفصل لنا أمراً مؤكداً ينبه إليه الأذهان لتتنبه للإصغاء إلى ما سيتحدث عنه وتعي ما يقصده من حديثه وبخاصة وهو يقول : « أما الآن » .

وهذه حقيقة تتجلى أمامنا بخاصة إذا أدركنا أن كلمة « الآن » إنما هي اسم للوقت الحاضر — الذي كان يتحدث فيه الرسول ، وذلك بالمقابلة مع الكلمة « حينئذ » التي سبق أن ذكرها الرسول للاشارة إلى زمان مضى يرجع إلى جبل سيناء ؛ حيث سمعنا الذي صوته زعزع الأرض حينئذ ، وأما الآن » : —

« فقـــد وعد » :

الكلمة « وعد » هي ، في صيغتها ، فعل ماض يتحدث إلينا عن زمن مضى ، إلا أن صلتها بكلمة « الآن » (التي هي اسم لوقت حاضر) تظهر ، لأول وهلة ، أنها صلة غريبة ، ولكن لا غرابة إذا ذكرنا أن الرسول يتحدث عن « وعد » حاضر في ذهنه عبر عنه بالقول « وأما الآن فقد وعد » : —

« قـــائلا » :

ومن هو ذلك القائل الذي نطق بذلك الوعد ؟ لم يذكر الرسول شيئاً عن شخصية ذلك الواعد القائل — الأمر الذي يؤكد لنا أنه شخص حاضر في ذهن الرسول ، معروف عنده ، ولا بد ، أنه حاضر ، أيضاً ، في أذهان أولئك العبرانيين الذين يكتب إليهم ، ومعروف لديهم ، وبخاصة وهو يشير إلى وعد مدون في الكتب النبوية التي بين أيديهم لينهض بالتذكرة أفكارهم ، لذلك يقول : « وأما الآن فقد وعد ، قائلا » :

« في مرة أيضـــاً » :

ومن هو هذا الشخص العجيب الذي « وعد » قائلا : « إني » بصيغة التأكيد والتخصيص ؟ هذا هو الذي تكلم عنه النبي حجى ، قائلا : « لأنه هكذا قال « رب

الجنود » (حج ٢ : ٦) ، هذا هو الذى رآه يشوع عند أريحا واقفاً قبالته وسيفه مسلول بيده : وإذ أراد أن يتحقق من شخصيته أجابه ، قائلا : « أنا رئيس جند الرب » (اقرأ يش ٥ : ١٣ — ١٥) ، ولعله ، بهذا التعريف ، بين له أنه هو المالك الحقيقى لأرض الموعد — تلك الملكية التى سبق فأعلنها صريحاً لموسى فى قوله : « الأرض لا تباع بتة ، لأن لى الأرض وأنتم غرباء ونزلاء عندى » (لا ٢٥ : ٢٣) .

هذا هو الذى رآه الرائى إشعياء « جالساً على كرسى عال ومرتفع وأذياله تملأ الهيكل السرافيم واقفون فوقه لكل واحد ستة أجنحة ، باثنين يغطى وجهه وباثنين يغطى رجليه وباثنين يطير ، وهذا نادى ذاك وقال : « قدوس قدوس قدوس رب الجنود (يهوه صباؤت) مجده ملء كل الأرض » (إش ٦ : ١ — ٤) .

هذا هو « رب الجنود » الذى يقول بتأكيد وتخصيص : « إنى مرة أيضاً » ، وهو تعبير ورد فى الكلمة النبوية بصيغة القول : « هى مرة بعد قليل » (حج ٢ : ٦) ، ويمكن أن نجمع من الصيغتين فى صيغة واحدة جامعة على النحو الآتى « إنى مرة ، أيضاً ، بعد قليل » .

أما هذا القليل فلعله يعود بنا إلى تلك الفكرة التى تحدث عنها الرسول سابقاً فى تشجيعه للعبرانيين المضطهدين لأجل المسيح من إخوتهم ، حيث يقول لهم : « لأنه بعد قليل جداً (جداً) سيأتى الآتى ولا يبطىء » (ص ١٠ : ٣٧) ، حيث يقضى قضاء مبرماً على مضطهديهم بخراب مدينتهم وتشتيت شملهم (راجع الشرح) : وهذا هو الأمر المحقق فى وعد رب الجنود القائل : « إنى مرة أيضاً ، بعد قليل » : —

« أزلزل لا الأرض فقط » :

هذا النص يعود بنا إلى جبل سيناء وإلى ذلك الشخص المجيد والمهوب « الذى صوته زعزع « الأرض » حينئذ » ، على أن النبى حجى ، فى صيغة الوعد المشار إليه سابقاً ، يتحدث عن زلزلة الأرض والبحر واليابسة وكل الأمم ، وهى إشارة تنطبق كل الانطباق على ما حدث فى سيناء .

فإن ذلك الصوت الرهيب الذى زلزل كل الجبل وزعزع أسسه وجعله يرتجف — ذلك الصوت المرعب زعزع كل الأمم بكل ما لهم من سطوة وقوة وزلزل جميع ممالك الأرض حينئذ . ولعل النبي حجى كان يشير فى كلمته النبوية إلى ما حدث فعلا من القضاء على ممالك (مملكة بابل) وزعزعة ممالك أخرى (مملكة مادى وفارس والإسكندر) وذلك كما سبق أن عبر دانيال فى تفسيره لحلم نبوخذ نصر عن التمثال العظيم البهى جداً الهائل المنظر الذى وقف قبالة ملك ملوك الأرض حينئذ (اقرأ دا ٢ : ٣١ — ٣٦ اقرأ أيضاً ص ٧ : ١ — ١٢) ، هذه هى « الأرض » التى تزلزلت ، على أن الوعد يقول « لاالأرض فقط » : —

« بل السماء ، أيضاً » :

لقد رأينا « الأرض » التى تزعزت فى ممالكها التى عظمت وتعظمت وكبرت وتكبرت لكنها عادت أخيراً إلى تراب الأرض الذى منه أخذت وإليه عادت ، فما هى السماء التى تتزازل أيضاً ؟ والتى جاء الوعد بشأنها قائلا : « فأزلزل السموات » ؟ (حج ٢ : ٦) .

لقد سبق الكلام عن هذه « السماء » باعتبار أنها هى تلك المملكة التى أسسها الرب الإله عند جبل سيناء « مملكة كهنة » خاصة به . (خر ١٩ : ٥ و ٦) ، وذلك بوصف اتصالها بإله السماء واختصاصها بشرائعه واستئمانها على أقواله (راجع الشرح اقرأ رو ٢ : ٢٤ — ٣ : ٤) .

هذه هى السماء المتزعزعة — مملكة إسرائيل التى تأسست عند جبل سيناء متصلة بإله السماء ، مختصة بشرائعه ، مستأمنة على أقواله (رو ٣ : ٢) ، مثالا لنقاوة السماء وطهارتها (اقرأ خر ٢٤ : ٩ — ١١) ، وشهوداً لجلالته (إش ٤٣ : ١٠ و ١٢ و ٤٤ : ٨) فكيف يأتى الوعد بزلزلة مملكة السماء وزعزعتها ؟ سؤال يجيب الرسول عنه فيما يأتى : —

(ع ٢٧) « فقوله مرة أيضاً » :

هنا يشرع الرسول فى شرح ما قاله النبي حجى بطريقة تؤكد لنا من بيان واضح جلى تلك العلاقة المتينة الكائنة بين الأنبياء فى الكتب المقدسة وبين الرسل فى تفسيرهم لتلك الكتب — الأمر الذى يدل على أن الفئتين تستقيان من نبع واحد هو الوحى الإلهى السماوى ، وأن أحداً منهم لم يتنبأ من ذاته لا بالأصل ولا بالتفسير .

وهذه الحقيقة ، التى لا ريب فيها ، تتجلى واضحة فى قول رسول الأمم : « بل نتكلم بحكمة الله فى سر — الحكمة المكتومة التى سبق الله فعينها قبل الدهور لمجدنا (الحكمة) التى لم يعلمها أحد من عظماء هذا الدهر ، لأن لو عرفوا لما صلبوا « رب المجد » بل كما هو مكتوب : « ما لم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على بال إنسان — ما أعده الله للذين يحبونه » — فأعلنه لنا نحن (الرسل) بروحه » (١ كو ٢ : ٧ — ١٠) .

وما قاله رسول الأمم ، فى هذا الشأن ، عبر عنه رسول الختان فى قوله : « الخلاص الذى فتش وبحث عنه أنبياء — الذين تنبأوا عن « النعمة » التى لأجلكم ، باحثين أى وقت أو ما الوقت الذى كان يدل عليه « روح المسيح الذى فيهم » إذ سبق فشهد بالآلام التى للمسيح والأمجاد التى بعدها — الذين أعلن لهم أنهم ليس لأنفسهم بل لنا كانوا يخدمون بهذه الأمور التى أخبرتم بها أنتم الآن بواسطة الذين بشروكم فى « الروح القدس » المرسل من السماء — (الأمور) التى تشتهى الملائكة أن تطلع عليها » (١ بط ١ : ١٠ — ١٢) .

على هذا الأساس يشرع رسول الأمم فى تفسير قول النبي حجى « هى مرة أيضاً » لا فى حد ذاته بل باعتباره مفتاحاً للقول الذى سبقت الإشارة إليه — قول رب الجنود «هى مرة ، بعد قليل ، فأزلزل السموات والأرض والبحر واليابسة وأزلزل كل الأمم» (حج ٢ : ٦ و ٧) « فقوله مرة أيضاً » :—

« يدل على تغيير الأشياء المتزعزعة كمصنوعة » :

في هذا التعبير نتبين جلياً أن الأشياء المصنوعة متزعزعة وفي ذات الوقت نؤكد أنها متزعزعة باعتبار كونها مصنوعة ، وأنها لذلك لابد أن تتغير ، وهذه الحقائق تعود بنا إلى ذلك الجبل الملموس المضطرم بالنار (راجع شرح ع ١٨ — ٢١) ، بل بالحرى تعود بنا إلى تلك المملكة التي أسسها الرب الذي نزل على جبل سيناء وأتى إليها بشرائع السماء ، فإنه ، له المجد ، ولو أنه بتأسيس تلك المملكة قد زعزع كل ممالك الأرض ، إلا أنه قد أسسها مملكة متزعزعة كمصنوعة إلى وقت معين فكان لابد أن تتغير .

أما كونها « مصنوعة » فهذا أمر جلي حيث يتبين بوضوح تام أنه كان لأيدي البشر ، في تنظيمها ، دور عملي ملحوظ ، وذلك بمقتضى أمر الرب ذاته حيث قال لموسى : « كلم بني إسرائيل أن يأخذوا لي تقدمة ، من كل من يحثه قلبه تأخذون تقدمتي . . . فيصنعون لي مقدساً لأسكن في وسطهم بحسب جميع ما أنا أريك من مثال المسكن ومثال جميع آنيته هكذا تصنعون » : « انظر فاصنعها على مثالها الذي أظهر لك في الجبل » (اقرأ خر ٢٥ : ١ — ٩ و ٤٠ و ٢٦ : ٣٠ مع عدد ٨ : ٤ مع أع ٧ : ٤٤ راجع شرح ص ٨ : ٥) .

هكذا كانت الحال بعينها بشأن إقامة الهيكل الذي بناه سليمان الملك بأمر الرب ، بحسب المثال الذي أعطاه إياه « داود » أبوه ؛ كما قيل : « وأعطى داود سليمان ابنه مثال الرواق وبيوته وخزائنه وعلاليه ومخادعه الداخلية وبيت الغطاء ومثال كل ما كان عنده بالروح لديار بيت الرب » . . وقال له : « قد أفهمني الرب كل ذلك بالكتابة بيده عليّ أي كل أشغال المثال . . . تشدد وتشجع واعمل ، لا تخف ولا ترتعب ؛ لأن الرب الإله إلهي معك ، ولا يخذلك ولا يتركك حتى تكمل كل عمل لخدمة بيت الرب » (اقرأ ١ أي ٢٨ : ١١ — ٢١) .

ويعوزنا الوقت لو تحدثنا عن الذبائح وأنواع التقدمات التي يتقدم بها العابد إلى معبوده وعن الكهنة واللاويين الذين يخدمون المسكن ويظهرون بملابس معينة موضوعة

لهذا الغرض وبطرق معلومة ، وعن الدار الخارجية وما فيها من مذبح المحرقة والمرحضة النحاسية وعن القدس وما فيه من منارة ومائدة ومذبح للبخور وعن قدس الأقداس وراء الحجاب وما فيه من تابوت العهد وما داخل التابوت والغطاء الذى يحل عليه مجد الله بين الكروبين .

بل يعوزنا الوقت لو تحدثنا عن الأطعمة والأشربة والغسلات المختلفة والفرائض الجسدية والنجاسات والتطهيرات وغير ذلك من الأشياء التى قال عنها الرسول : « ليس لنا الآن أن نتكلم عنها بالتفصيل » وقد سبق شرحها فى الأصحاح التاسع (راجع الشرح) وكلها مصنوعات أيدى البشر تختص بالجسديات والأرضيات تتزعزع الأرض وتتزلزل بتزلزلها .

وفى هذه المناسبة ألا يكفينا أن نستمع إلى صوت العزة الإلهية وهو يتكلم بصوت واضح قائلا : « السموات كرسىٌّ والأرض موطىء قدمى ، أين البيت الذى تبنون لى ؟ وأين مكان راحتى وكل هذه صنعتها يدى فكانت كل هذه يقول الرب » ؟ (إش ٦٦ : ١ و ٢) .

وبروح الوحى المقدس يعود بنا الشهيد المسيحى الأول استفانوس إلى هذه الأقوال الإلهية وهو يتحدث عن البيت الذى بناه سليمان حيث يقول : « لكن العلى لا يسكن فى هياكل مصنوعات الأيادى ؛ كما يقول النبى : «السماء كرسىٌّ لى والأرض موطىء لقدمىَّ : أى بيت تبنون لى يقول الرب ؟ وأى هو مكان راحتى ؟ أليست يدى صنعت هذه الأشياء كلها » ؟ (أع ٧ : ٤٨ — ٥٠) ، هكذا على أسس هذه الأقوال الراسخة يتحدث الرسول عن « الأشياء المتزعزعة كمصنوعة » : —

« لكى تبقى التى لا تتزعزع » :

قد رأينا سابقاً أن النظام الموسوى — « الملكوت الكهنوتى » — الإسرائيلى ممثلا فى خيمة الاجتماع وفى هيكل سليمان وفى كل المصنوعات التى تتعلق بهما — رأيناه صنع أيدى البشر ، مركباً من مواد أرضية ، ولهذا الاعتبار فهو نظام متغير ملكوت كهنوتى.

متزعزع — « السماء » — التى تم فيها الوعد القائل : « إنى مرة أيضاً أزلزل ، لا الأرض فقط ، بل « السماء » أيضاً ، فقوله مرة أيضاً يدل على تغيير الأشياء المتزعزعة كمصنوعة (راجع الشرح) . وعلى هذا الأساس يبنى القول : « لكى تبقى التى لا تتزعزع » .

أما الكلمة « لكى » فهى مركبة من جزئين أولهما « ل » المعروفة — لغة — بلام التعليل (لام كى) ، أما الجزء الثانى فهو « كى » وهو جزء تعليلى ، وباقتران الجزءين معاً نجد أنفسنا أمام جملة تعليلية نتبين فيها تعليلا لتغيير الأشياء المتزعزعة « كمصنوعة » لكى تبقى التى لا تتزعزع » .

فما هى هذه « الأشياء » « التى تبقى » ؟ التى « لا تتزعزع » ؟ هى تلك « الأشياء » — « غير المصنوعة بيد » : هذه هى « الأشياء » التى تحدث عنها الرسول كثيراً ، وكانت موضوع حديثه فى كل هذه الرسالة للمقارنة بين العهدين الأول والثانى — بين الجبلين « جبل سيناء » و « جبل صهيون » (راجع شرح ع ١٨ — ٢٤) — بين « موسى » وسيط « العهد الأول » — وبين « يسوع » « وسيط العهد الجديد » (راجع شرح ع ٢٤) — بين « الكهنوت اللاوى » وكهنوت « ملكى صادق » الذى سبق أن تحدث عنه الرسول ، قائلا : « كذلك المسيح أيضاً لم يمجد نفسه ليصير رئيس كهنة بل الذى قال له : أنت ابنى أنا اليوم ولدتك » (مز ٢ : ٧ اقرأ كل المزمور) ، كما يقول أيضاً فى موضع آخر « أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكى صادق » (مز ١١٠ : ٤ اقرأ كل المزمور راجع شرح ص ٥ : ٤ — ٦) .

لأنه « لو كان بالكهنوت اللاوى كمال — إذ الشعب أخذ الناموس عليه — ماذا كانت الحاجة بعد إلى أن يقوم كاهن آخر على « رتبة ملكى صادق » ؟ ولا يقال : على « رتبة هرون » ؟ لأنه ، إن تغير الكهنوت فبالضرورة يصير تغير للناموس أيضاً » (ص ٧ : ١١ و ١٢ راجع شرح ع ٧ — ١٧) ، وفى هذا الصدد يقول : « وأما رأس الكلام فهو أن لنا رئيس كهنة مثل هذا قد جلس فى يمين عرش العظمة فى السموات (« بعد ما صنع بنفسه تطهيراً لخطايانا » ص ١ : ٣) خادماً للأقداس و « المسكن الحقيقى » الذى نصبه الرب لا إنسان » (راجع شرح ص ٨ : ١ و ٢) .

إلى تلك « الأقداس » العليا — إلى ذلك « المسكن الحقيقى » — دخل السيد المسيح بشخصه العجيب متميزاً فى كهنوته الملوكى بصورة فائقة وبتمييز عجيب عبر عنه الرسول ، أيضاً ، قائلا : « وأما المسيح وهو قد جاء « رئيس كهنة » للخيرات العتيدة ، « فبالمسكن » الأعظم والأكمل — « غير المصنوع بيد » — أى الذى ليس من هذه الخليقة ، وليس بدم تيوس وعجول (لا بدم مادى) — بل بدم نفسه دخل مرة واحدة إلى الأقداس فوجد فداء أبدياً » (راجع شرح ص ٩ : ١١ و ١٢) .

تعبيرات ما أوضحها ! إعلاناً لتغيير الأشياء المصنوعة التى هى « أشباه » الحقيقية ، « لتبقى » الحقيقيات التى لا تتغير ولا تتزعزع ، وما أعظم الفرق بين الأشباه وبين الحقيقيات الفرق بين « دم العجول والتيوس » الذى أخذه موسى مع ماء وصوفاً قرمزياً وزوفا ورش الكتاب نفسه وجميع الشعب والمسكن أيضاً وجميع آنية الخدمة (اقرأ خر ٢٤ : ١ — ٨ راجع شرح ص ٩ : ١٩ — ٢٦) .

ما أعظم الفرق بين هذا الدم المادى المرشوش — ظاهرياً — على المنجسين لطهارة الجسد وبين « دم المسيح » (لا الدم المادى المسفوك على الخشبة) — « دم المسيح » الذى بروح أزلى قدم نفسه لله بلا عيب يطهر (لا الأجساد ولا المواد) . يطهر ضمائركم من أعمال ميتة لتخدموا الله الحى » ! (راجع شرح ص ٩ : ١٢ — ١٤) .

أو ليس هذا هو ما أعلنه لنا الروح القدس لإظهار الفرق الشاسع بين الماديات والمصنوعات التى تتغير وبين الحقيقيات التى « تبقى » ولا تتزعزع : « عالمين أنكم افتديتم لا بأشياء تفنى — بفضة أو ذهب — من سيرتكم الباطلة التى تقلدتموها من الآباء ؛ بل بدم كريم كما من حمل بلا عيب ولا دنس — « دم المسيح » — معروفاً سابقاً قبل تأسيس العالم » (ابط ١ : ١٨ — ٢٠) .

الآن ! وقد سمعنا التنبيه لخطر الاستعفاء من المتكلم من السماء والارتداد عنه (ع ٢٥ — ٢٧) ، ها نحن نأتى الآن لنذكر : —

التنويه بشكر (عب ١٢ : ٢٨ و ٢٩) .

٢٨ لِذٰلِكَ وَنَحْنُ قَابِلُونَ مَلَكُوتًا لَا يَتَزَعْزَعُ لِيَكُنْ عِنْدَنَا
شُكْرٌ بِهِ نَخْدُمُ ٱللهَ خِدْمَةً مَرْضِيَّةً بِخُشُوعٍ وَتَقْوَى . ٢٩ لِأَنَّ
إِلٰهَنَا نَارٌ آكِلَةٌ .

فى هاتين الآيتين نذكر تنويهاً فيه نتبين النتائج المبنية على المقدمات التى سبق الكلام عنها فى شرح (ع ٢٥ – ٢٧) كما سبقت الإشارة – تنويه يبدأه الرسول بالقول : –

(ع ٢٨) « لـــذلك » :

أو « لأجل ذلك » ، وحيث أن الكلمة « ذلك » هى اسم فيه إشارة إلى أمر بعيد ، فلابد ، والحالة هذه ، أن الرسول يريد أن يرجع بنا بفكرة إلى ما قاله الرب لموسى عند جبل سيناء : « هكذا تقول لبيت يعقوب . وتخبر بنى إسرائيل . . . أنتم تكونون لى « مملكة كهنة » (اقرأ خر ١٩ : ٣ – ٦) ، كما لو أن هذه الكلمة « مملكة كهنة » كان لها فى أذنى الرسول وفى قلبه رنين قوى ودوى فعال أمسك بتلابيب عقله وذهنه فنطق ، قائلا : « لذلك » : –

« ونحن قابلون ملكوتاً لا يتزعزع » :

هذه الجملة تظهر ، لأول وهلة ، أنها جملة حالية مبدوءة بواو الحال ؛ كما لو أن الرسول يقول « لذلك – ونحن . حال كوننا ، قابلون ملكوتاً لا يتزعزع – ليكن عندنا شكر » . فهى بهذا الوضع جملة اعتراضية حائلة بين ما قبلها وبين ما بعدها ، ويمكننا أن نغض الطرف عنها فنقرأ على النحو الآتى « لذلك ليكن عندنا شكر » .

على أن هذه الجملة الاعتراضية ضرورية لإثبات الأمر الواقع ضرورة تدعونا باهتمام إلى أن نتفهم كل ما ورد فيها من المعانى السامية والالتزامات القوية تفادياً من تلك المسئولية الخطيرة التى تقع تبعتها علينا إذا أهملناها « لذلك » : –

« ونحــن » :

أما الكلمة « نحن » فإنها ضمير لجمع المتكلمين ، به يتصل الرسول بالعبرانيين الذين يكتب إليهم بوصف كونه واحداً منهم ، وذلك بالمقابلة مع الكلمة « أولئك » التي سبق فأشار بها إلى الذين استعفوا من المتكلم عند جبل سيناء (راجع شرح ع ٢٥) ، كما لو أنه يريد أن يحذر ذاته مع أولئك العبرانيين من خطر الاستعفاء الذي تعرض له آباؤهم فيقول : « لذلك ونحن » : —

« قابلون » :

الكلمة « قابلون » لغة هي في صيغة الحال — لا الماضي ولا الاستقبال — وبذلك هي ، في صيغتها ، ترجع بنا إلى ما سبق فقاله في المقابلة بين « أولئك » — « حينئذ » وبين « نحن » — « الآن » — « لأنه إن كان أولئك لم ينجوا إذ استعفوا من الذي صوته زعزع الأرض حينئذ ، فبالأولى جداً لا ننجو نحن المرتدين عن الذي « الآن » قد وعد قائلا : « إني مرة أيضاً أزلزل لا الأرض فقط بل السماء أيضاً » . . . لذلك ونحن قابلون » : —

« ملكوتاً لا يتزعزع » :

في هذه العبارة تقع النبرة بشدة على القول : « لا يتزعزع » ، وذلك بالمقابلة مع ما سبق أن ذكره عن الوعد القائل : « إني مرة أيضاً أزلزل لا الأرض فقط ؛ بل السماء أيضاً ، فقوله مرة أيضاً يدل على تغيير الأشياء المتزعزعة كمصنوعة » (راجع شرح ع ٢٦ و ٢٧) .

وحيث أننا رأينا في كل شرح ما سبق أن « الأرض » المتزعزعة إنما هي كل ممالك العالم التي من الأرض قامت وإلى الأرض عادت وتعود ، وهكذا رأينا أيضاً أن « السماء » المتزعزعة إنما هي تلك المملكة التي أقيمت عند جبل سيناء والتي قيل عنها : « أزلزل لا الأرض فقط ؛ بل السماء أيضاً » (راجع الشرح) ، لذلك تكون المقابلة كائنة بين ممالك الأرض والسماء المتزعزعة وبين « ملكوت لا يتزعزع » .

هذا « الملكوت » هو تلك « المملكة » التى رآها نبوخذ نصر – حجراً قطع من جبل لا بيدين – « مملكة يقيمها إله السموات لن تنقرض أبداً وملكها لا يترك لشعب آخر وتسحق وتفنى كل هذه الممالك ، وهى تثبت إلى الأبد » (اقرأ دا ٢ : ٣٤ – ٤٥) ، وهذه حقيقة أثبتها الأمر الواقع فى القضاء الذى تم على نبوخذ نصر حتى رجع إليه عقله وبارك العلى وسبح وحمد « الحى إلى الأبد الذى سلطانه سلطان أبدى وملكوته إلى دور فدور » (دا ٤ : ٣٤ اقرأ ع ٢٨ – ٣٧ مع سائر الأصحاح بجملته) .

ولكن ما هو هذا « الملكوت الذى لا يتزعزع » بل «يثبت إلى الأبد» ؟ رآه دانيال فى رؤى الليل « وإذا مع سحب السماء مثل ابن إنسان أتى وجاء إلى القديم الأيام فقربوه قدامه ، فأعطى سلطاناً ومجداً وملكوتاً لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة ، سلطانه سلطان أبدى ما لن يزول وملكوته ما لا ينقرض » (دا ٧ : ١٣ و ١٤ قابل مز ٢ : ٧ – ١٢ اقرأ كل المزمور مع مز ١١٠) ، ولكن ما زال السؤال أى « ملكوت » هو ؟

هذا هو « الملكوت » الذى عرفه السيد المسيح للذين سألوه « متى يأتى ملكوت الله » ؟ أجابهم وقال : « لا يأتى ملكوت الله بمراقبة ، ولا يقولون هوذا ههنا أو هوذا هناك ؛ لأن ها ملكوت الله داخلكم » (لو ١٧ : ٢٠ و ٢١ اقرأ ع ٢٠ – ٣٧) ، كما أنه ، له المجد ، إذ سأله بيلاطس البنطى الوالى الرومانى : « أفأنت إذاً ملك » ؟ أجابه قائلا : « أنت تقول إنى ملك » معرفاً ملكه بكلمات صريحة حيث أضاف ، قائلا : « لهذا قد ولدت أنا ولهذا قد أتيت إلى العالم لأشهد للحق ، كل من هو من الحق يسمع صوتى » (يو ١٨ : ٣٧ اقرأ ع ٣٣ – ٣٨) .

إذاً هذا « الملكوت » الذى « لا يتزعزع » إنما هو « الحق » مؤسسا على أسس متينة – موضوعاً فى الأرض منتشراً بين الأمم إلى الأمان يخرج منتصراً (اقرأ إش ٤٢ : ١ – ٤ مع مت ١٢ : ١٦ – ٢١) ، وما أجلى البيان الذى أعلن به المرنم هذه الحقيقة ! وهو ينشد ، قائلا : « إنى أسمع ما يتكلم به الله الرب ؛ لأنه يتكلم بالسلام

لشعبه ولأتقيائه فلا يرجعن إلى الحماقة . . . ليسكن المجد فى أرضنا ، الرحمة والحق التقيا البر والسلام تلاثما ، الحق من الأرض ينبت والبر من السماء يطلع » (اقرأ مز ٨٥ : ٨ — ١٣) .

هذا هو « ملكوت الله » « ليس أكلا وشرباً ؛ بل هو بر وسلام وفرح فى الروح القدس » (اقرأ رو ١٤ : ١٦ و ١٧) — هو ملكوت « النعمة هنا على رجاء ملكوت « المجد » الأبدى (رو ٥ : ١ و ٢ اقرأ ع ١ — ٥) ، هذا هو « جبل صهيون » الذى « لا يتزعزع » بمقابلته مع جبل ملموس مضطرم بالنار — جبل سيناء (راجع شرح ع ١٨ — ٢٤) : « لذلك — ونحن قابلون ملكوتاً لا يتزعزع » : —

« ليكن عندنا شــكر » :

« شكر » يتجلى أولا وقبل كل شيء فى قبولنا لهذا « الملكوت » بمقتضى القول : « ونحن قابلون ملكوتاً » ، فإنه ملكوت مقدم لنا لنقبله وندخل فيه ونكون ضمن المتمتعين ببركاته ؛ بمقتضى إشارة الرسول بطرس بالوحى المقدس فى قوله : « بالأكثر اجتهدوا أيها الإخوة ! أن تجعلوا دعوتكم واختياركم ثابتين ؛ لأنكم إذا فعلتم ذلك لن تزلوا أبداً ، لأنه ، هكذا ! يقدم لكم بسعة دخول إلى ملكوت ربنا ومخلصنا يسوع المسيح الأبدى » (٢ بط ١ : ١٠ و ١١) .

وما أمر النتيجة ! وما أوخم العاقبة ! وما أقسى العقاب ! الذى يقع على أولئك المدعوين المتهاونين ! الذين يرفضون الدعوة المقدمة ولا يقبلونها بالشكر ! ما أمر ما نطق به السيد فى إدانتهم ! قائلا : « ليس واحد من أولئك المدعوين يذوق عشائى » (اقرأ لو ١٤ : ١٦ — ٢٤) ، فكم إذا رفض أولئك المدعوون تلك الدعوة المباركة بروح الاجرام ؟ كيف لا يرسل الملك العظيم جنوده ويهلك أولئك المجرمين القاتلين ويحرق مدينتهم ؟ (اقرأ مت ٢٢ : ١ — ٧) ؛ لذلك ينصح الرسول بشدة ، قائلا : —

« ليكن عندنا شكر » :

اللام هنا للطلب الذى به يطالب الرسول نفسه والذين يقبلون « الملكوت الذى لا يتزعزع » بواجب عليهم أن يقوموا به وهم « قابلون » ذلك « الملكوت » — الذى إليه ولهم أعطى وإياه قبلوا ، فعليهم ، على الأقل جداً ، أن يتقدموا بالشكر القلبى الجزيل إلى ذلك الذى أعد لهم مكاناً فى هذا الملكوت « بالنعمة » التى أعطيت لهم « وبالحق » الذى وضع داخلهم (اقرأ يو ١ : ١٤ — ١٨ و ١٤ : ١ — ٦) .

هذا هو واجب « الشكر » الذى به لا نقبل « الملكوت » فحسب ؛ بل نتمتع ، أيضاً ، بكل بركاته ونعمه وخيراته الوافرة كما حدث للأبرص السامرى الغريب الجنس ، الذى أبهج قلب السيد المسيح بشكره فأكرمه قائلا : « أليس العشرة قد طهروا ؟ فأين التسعة ؟ ألم يوجد من يرجع ليعطى مجداً لله غير هذا الغريب الجنس ؟ ثم قال له : « قم وامض . إيمانك خلصك » (لو ١٧ : ١٧ — ١٩ اقرأ ع ١٢ — ١٩) .

إذاً لنسمع تحذير الرسول بولس بشأن حقيقة هذا « الملكوت » فى قوله : « فلا يفتر على صلاحكم ؛ لأن ليس « ملكوت الله » أكلا وشرباً ؛ بل هو بر وسلام وفرح فى الروح القدس » (رو ١٤ : ١٦ و ١٧) — هو ملكوت « الحق » الذى ، من الأرض ، ينبت ويخرج منتصراً ظافراً بكل أباطيل العالم كما سبقت الإشارة — هو « بشارة الخلاص » الأبدى من كل أنواع الشر والفساد (قابل مر ١ : ١٤ و ١٥ مع أع ٢٠ : ٢٤) الذى قيل عنه : « كيف ننجو نحن إن أهملنا « خلاصاً » هذا مقداره » (راجع شرح ص ٢ : ٣ و ٤) .

« ملكوت » هو راحة الأبد فى ملكوت النعمة والمجد الباقية لشعب الله الحقيقيين المختارين (اقرأ عد ١٤ : ٢٠ — ٢٣ مع مز ٩٥ : ٧ — ١١ راجع شرح ص ٣ : ١٥ — ١٩ و ٤ : ١ — ٣ و ٧ — ٩) ؛ هذا هو « ملكوت الله » — ملكوت النعمة والمجد — ملكوت الخلاص الأبدى والراحة الأبدية « لذلك ، ونحن قابلون ملكوتاً لا يتزعزع ، ليكن عندنا شكر » : —

« به نخـــدم الله » :

ضمير الهاء فى الكلمة « به » يعود إلى الشكر فى قول الرسول : « ليكن عندنا شكر به نخدم الله » . وكيف نخدم الله « بالشكر » ؟ أفبمجرد « الكلام واللسان » أم « بالعمل والحق » أيضاً ؟ (١يو ٣ : ١٨) ؛ ولماذا لا يكون بالكلام واللسان الذى يعبر عما فى القلب من شكر وامتنان لأى نوال كان ؟ وفى ذات الوقت لماذا لا يكون أيضاً « بالعمل والحق »؟ وبذلك تتم الخدمة التى يتكلم عنها الرسول هنا فى حديثه عن « شكر به نخدم الله » .

أما « الله » جل جلاله وعلا اسمه فهو الله الآب كما يتضح لنا من كلمة الرسول بولس القائل : « شاكرين الآب الذى أهلنا لشركة ميراث القديسين فى النور وأنقذنا من سلطان الظلمة ونقلنا إلى ملكوت ابن محبته » (من الظلمة إلى النور — كو ١ : ١٢ و ١٣)، هذه حقيقة تعبر تعبيرا جلياً عن « الآب» الذى « فى المسيح » « اختارنا قبل تأسيس العالم لنكون قديسين وبلا لوم قدامه فى المحبة ؛ إذ سبق فعيننا للتبنى ، بيسوع المسيح ، لنفسه حسب مسرة مشيئته لمدح مجد نعمته التى أنعم بها علينا فى المحبوب» (أف ١ : ٣ — ٦) .

هذه هى خدمة الشكر النابعة مما فى داخل « الإنسان الباطن » (أف ٣ : ١٦) ، من أعماق القلب وخفاياه — خدمة يعبر عنها الإنسان بالكلام واللسان ، تعبيراً جلياً يتفق مع ما سبق أن أعلنه السيد المسيح بشأن حقيقة « ملكوت الله » حيث يقول : « لا يأتى ملكوت الله بمراقبة ، ولا يقولون هوذا ههنا أو هوذا هناك ؛ لأن ها ملكوت الله داخلكم » (لو ١٧ : ٢٠ و ٢١) ، بمقتضى هذا التعبير وباتفاقه مع الكلام الذى أمامنا نستطيع أن نقول إن « ملكوت الله » الذى « لا يتزعزع » إنما هو خدمة شكر كائنة فى داخل الإنسان تملأ كل قلبه ، يعبر عنها الكلام واللسان ، لذلك يقول « شكر به نخدم الله » : —

« خدمة مرضية » :

على أساس القول : « نخدم الله » تكون الخدمة مرضية لله ، وهذا هو الوصف الذى به توصف خدمة الله بأن تكون مرضية عنده ، وهذا يتفق مع قول ذات الرسول أيضاً : « فأطلب إليكم — أيها الإخوة ! برأفة الله أن تقدموا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله عبادتكم العقلية ولا تشاكلوا هذا الدهر ، بل تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم لتختبروا ما هى إرادة الله الصالحة المرضية الكاملة » (رو ١٢ : ١و٢).

فالخدمة « المرضية » عند الله هى التى يرسمها الله نفسه ويصمم خططها ويطلب إتمامها « خدمة » لا من بنات أفكار البشر ولا من تقاليدهم وتعاليمهم ؛ بل بمقتضى الحق الإلهى المعلن من السماء — الحق المبين بأوضح صورة وأجلاها فى قول الابن الوحيد : « إن ابن الإنسان لم يأت ليخدم بل ليخدم وليبذل نفسه فدية عن كثيرين » (مت ٢٠ : ٢٨) ، وكم بالحرى يكون دم الابن الوحيد مثالا يحتذى — ذلك الابن الذى « بروح أزلى » قدم نفسه لله (أبيه) بلا عيب لكى يطهر الضمائر من كل شر ودنس ومن الأعمال الميتة — تطهيراً يتفق اتفاقاً تاماً مع خدمة الله الحى « خدمة مرضية » لجلاله الأقدس (راجع شرح ص ٩ : ١٤) .

هذه هى « الخدمة المرضية » عند الله — خدمة البذل فى طريق مرضاة الله وخدمة الآخرين ، لذلك يقول : « ليكن عندنا شكر به نخدم الله خدمة مرضية » : —

« بخشوع وتقوى » :

قد رأينا فى القول : « خدمة مرضية » وصفاً لتلك الخدمة بالنسبة إلى من نخدمه لتكون مرضية عنده ، أما الآن فإننا نراها فى وصف آخر يتعلق لا بمن « يخدم » بل بمن « يخدم » ، إذ ينبغى أن خدمة الخادم — « من يخدم تكون « بخشوع وتقوى » كخادم فى محضر سيده يملأ « الخشوع » قلبه وتتملك « التقوى » كل تحركاته فى تأدية هذه الخدمة .

ولعل هذا الموقف هو الموقف الذى نتمثله فى الوصف الذى رسمه لنا الرائى إشعياء كما رآه فقال : « رأيت السيد جالساً على كرسى عال ومرتفع وأذياله تملأ الهيكل — السرافيم واقفون فوقه — لكل واحد ستة أجنحة — باثنين يغطى وجهه (خشوعاً) ، وباثنين يغطى رجليه (تمعناً تقوياً) ، وباثنين يطير (استعداداً للخدمة) ؛ وهذا (السراف) نادى ذاك (السراف) وقال « قدوس قدوس قدوس رب الجنود (يهوه صباؤت) مجده ملء كل الأرض » (اقرأ إش ٦ : ١ — ٣) .

وهل نسمع ما يقوله « رب الجنود » معاتباً شعبه ؟ قائلا : « الابن يكرم أباه والعبد يكرم سيده ؛ فإن كنت أنا « أباً » فأين كرامتى ؟ وإن كنت « سيداً » فأين هيبتى » ؟ (ملا ١ : ٦) . بهذا المعنى يقول الرسول بطرس : « وإن كنتم تدعون « أباً » الذى يحكم بغير محاباة ، حسب عمل كل واحد ، فسيروا زمان غربتكم بخوف » (١ بط ١ : ١٧) ، فلنخشع أمام الإله القدوس الغيور على مجده ، ولنخف ، ذاكرين ما أصاب « أهل بيت شمس » الذين نسوا « هيبة » إله إبراهيم ولم يجعلوا لها اعتباراً ؛ بل بغير وقار وبدون احترام نظروا إلى تابوت الرب فضرب الرب منهم خمسين ألف رجل وسبعين رجلا (اقرأ ١ صم ٦ : ١٥ — ٢٠) .

ولنحذر ما أصاب «عزة » إذ مديده إلى تابوت الله وأمسكه لأن الثيران « انشمصت فحمى غضب الرب عليه وضربه لأجل غفله (٢ صم ٦ : ٧ اقرأ ع ١ — ١٠) ، فلنحذر ولنكن فى عبادتنا وخدمتنا فى موقف الورع والخشوع أمام أبينا الصالح وإلهنا القدوس . مؤدين خدمة الشكر الواجبة فى عبادة نقية طاهرة واستعداد تام لتنفيذ كل الأوامر الصادرة من عرشه بمقتضى إعلاناته السماوية فى الكتب المقدسة .

أما « التقوى » فما أعجب سرها ! الذى بينه الرسول فى قوله : « وبالإجماع عظيم هو سر التقوى ؛ الله ظهر فى الجسد ، تبرر فى الروح ، تراءى لملائكة ، كرز به بين الأمم ، أومن به فى العالم ، رفع فى المجد » (١ تى ٣ : ١٦) ؛ هذه هى « التقوى » الحقيقية التى بها نتقدس لخدمة الله بروح الشكر بالإيمان بابنه الحبيب الذى « فيه يحل كل ملء اللاهوت جسدياً » (كو ٢ : ٩) — لاهوتاً كاملا حالا فى ناسوت تام كما

قيل « الكلمة صار جسداً وحل بيننا ورأينا مجده ، مجداً كما لوحيد من الآب مملوءاً نعمة وحقاً » (يو ١ : ١٤ و ١٤ : ٩ و ١٠) .

على هذا الأساس يبنى الرسول قوله ، أيضاً : « لأنه قد ظهرت الآن ، لجميع الناس ، نعمة الله المخلصة ، معلمة إيانا أن ننكر الفجور والشهوات العالمية ونعيش « بالتعقل » (فى حياتنا الشخصية) و « البر » (فى معاملاتنا الأخوية) « والتقوى » (فى مخافة الله) فى العالم الحاضر » (تى ٢ : ١١ و ١٢) .

مهابة لها قوتها الفعالة ورهبتها التى تطرد الفجور والشهوات العالمية وتقضى عليها قضاء مبرماً وتملأ القلب بالتعقل والبر ؛ فلنصل بحرارة القلب « علمنى يارب طريقك ، أسلك فى حقك . وحد قلبى لخوف اسمك » (مز ٨٦ : ١١) ، أو لا نسمع قول الرب : « قد أخبرك — أيها الإنسان — ما هو صالح وماذا يطلبه منك الرب — « إلا أن تصنع الحق وتحب الرحمة وتسلك متواضعاً مع . إلهك » (مى ٦ : ٨ اقرأ ع ١ — ٨) ، هذه هى الخدمة التى يجب أن نؤديها لله مرضية بخشوع وتقوى بروح الشكر « لذلك : «ونحن قابلون ملكوتاً لا يتزعزع — ليكن عندنا شكر به نخدم الله خدمة مرضية بخشوع وتقوى » : —

(ع ٢٩) « لأن إلهنا نار آكلة » :

الكلمة « لأن » تفيد أن هذه الجملة جملة تعليلية يبنى عليها الرسول ما سبق أن ذكره من النصح والإرشاد فى قوله : « ليكن عندنا شكر به نخدم الله خدمة مرضية بخشوع وتقوى » ، وذلك « لأن إلهنا نار آكلة » .

أما التعليل « لأن إلهنا نار آكلة » فهو تعليل يعود بنا إلى جبل سيناء لنسمع تلك الأصوات المرتفعة من تلك القلوب المنزعجة ؛ حيث وقف الشعب « حينئذ » فى ارتعاد ورعب وخوف وذعر صارخين إلى موسى . قائلين : « هوذا الرب إلهنا قد أرانا مجده وعظمته وسمعنا صوته من وسط النار ، هذا اليوم قد رأينا أن الله يكلم الإنسان ويحيا ، وأما الآن فلماذا نموت ؟ لأن هذه النار العظيمة تأكلنا ، إن عدنا نسمع صوت الرب إلهنا أيضاً نموت ؛ لأنه من هو من جميع البشر الذى سمع صوت الله الحى يتكلم من وسط النار مثلنا وعاش.»؟ (تث ٥ : ٢٤ — ٢٦) .

هذا صراخ يمكن أن يتركز في هذه الكلمات : « هذه النار العظيمة تأكلنا » (تث ٥ : ٢٥) ، وهي ذات الكلمات التي يفسرها الرسول هنا بقوله : « إلهنا نار آكلة » ، وأي وحي لنا في كون إلهنا « نار آكلة » ؟ وأي صوت نسمعه في لهيب تلك « النار الآكلة » ؟ إن هذا الوحي المقدس وذلك الصوت الإلهي يتجلى لنا في بيان أوضح فيما أعلنه الرب ذاته عن نفسه ، وكتبه بإصبعه محذراً ، قائلا : « لأني أنا الرب إلهك « إله غيور » (خر ٢٠ : ٥ اقرأ ع ٣ — ٦) .

وهل الغيرة نار ؟ وهل نسمع جواباً قاطعاً مانعاً لهذا السؤال في قول عروس النشيد : « الغيرة قاسية كالهاوية ، لهيبها لهيب نار لظى الرب » (نار الرب) (نش ٨ : ٦) « من صهيون كمال الجمال الله أشرق ، يأتي إلهنا ولا يصمت ، نار قدامه تأكل وحوله عاصف جداً » (مز ٥٠ : ٢ و ٣) .

وها هوذا النبي إشعياء وهو يرى الخطاة في صهيون يرتعبون وينظر إلى المنافقين وهم يرتعدون وكأنه يسمعهم صارخين مذعورين قائلين : « من منا يسكن في نار آكلة ؟ من منا يسكن في وقائد أبدية » ؟ (إش ٣٣ : ١٤) ، بهذا التصريح العلني يحذر موسى الشعب ، قائلا : « احترزوا من أن تنسوا عهد الرب إلهكم الذي قطعه معكم وتصنعوا لأنفسكم تمثالا منحوتاً — صورة كل ما نهاك عنه الرب إلهك — لأن الرب إلهك هو « نار آكلة — إله غيور » (تث ٤ : ٢٣ و ٢٤ اقرأ خر ٢١ : ١ — ١٠ مع عد ٢٥ : ١ — ٩ مع ١ كو ١٠ : ٧ و ٨) .

على أن هذه الغيرة الوقادة النارية قد تكون صادرة أيضاً عن المحبة الملتهبة ، وهذه حقيقة واضحة جلية في نشيد العروس : فإنها — وهي تتكلم عن « لهيب الغيرة القاسية كالهاوية » — إنما تتحدث عن المحبة الملتهبة وكأنها تخاطب العريس الذي خطبها لنفسه « إلى الأبد وبالعدل والحق والإحسان والمراحم » — الذي خطبها لنفسه بالأمانة لتعرفه (هو ٢ : ١٩ و ٢٠) .

كأنها تقول له : « اجعلني كخاتم على قلبك — كخاتم على ساعدك لأن المحبة قوية كالموت ، الغيرة قاسية كالهاوية ؛ لهيبها لهيب نار لظى الرب ، مياه كثيرة لا تستطيع أن تطفىء المحبة والسيول لا تغمرها ؛ إن أعطى الإنسان كل ثروة بيته بدل المحبة تحتقر احتقاراً » (نش ٨ : ٦ و ٧) .

فما أشد النار ! وما أقسى لهيبها — نار الغيرة فى المحبة التى تحدث بها رسول الأمم لجماعة الكورنثيين ، قائلا : « فإنى أغار عليكم غيرة الله ؛ لأنى خطبتكم لرجل واحد لأقدم عذراء عفيفة للمسيح ، ولكننى أخاف أنه كما خدعت الحية حواء بمكرها ، هكذا تفسد أذهانكم عن البساطة التى فى المسيح » (٢ كو ١١ : ٢ و٣) .

كما لو أن الرسول ، فى حديثه هذا ، يعبر عن الكلمة النبوية القائلة : « لا تخافى يا صهيون ! لا ترتخ يداك ! الرب إلهك فى وسطك جبار يخلص — يبتهج بك فرحاً ، يسكت فى محبته ، يبتهج بك بترنم » (صف ٣ : ١٦ و١٧) : « محبة أبدية أحببتك من أجل ذلك أدمت لك الرحمة » (إر ٣١ : ٣) .

فإن كان إلهنا ناراً آكلة وما دامت غيرته محبة ملتهبة نحو شعبه فكيف لا تلتهب تلك الغيرة النارية بلهيب محبة مشتعلة ؟ فى خدمة قلبية لذاك « الذى أحبنا وأسلم نفسه لأجلنا » (غل ٢ : ٢٠مع أف٥ : ٢) ، لذلك يقول الرسول : « ونحن قابلون ملكوتاً لا يتزعزع ليكن عندنا شكر به نخدم الله خدمة مرضية بخشوع وتقوى لأن إلهنا نار آكلة » (راجع الشرح) .

وهل ، فى هذا الصدد ، نذكر « الكلمة النبوية » ؟ (٢ بط ١ : ١٩ — ٢١) التى تحدثت بها « الكتب المقدسة » ؟ (٢ تى ٣ : ١٥ — ١٧) — هل نذكر — فى تلك الكلمة وفى تلك الكتب — ما وصف به الرب عروسه ، قائلا : « قد ذكرت لك غيرة صباك — محبة خطبتك — ذهابك ورائى فى البرية فى أرض غير مزروعة » (إر ٢ : ٢) .

وهل نرى « شبيهاً بابن الآلهة » (ابن الله الوحيد) وهو هذه « النار الآكلة » ؟ مع ثلاثة من الفتيان الملتهبة قلوبهم بنار محبته الوقادة ؟ هل نراه معهم فى أتون النـــار المتقدة سبعة أضعاف ؟ وهم يتمشون فى وسط النار ؟ كما لو كانوا فى جنة الخلد حيث كانت النار لهم برداً وسلاماً وكأنهم فى فردوس النعيم فى نزهة ما أجملها ! وفى متعة ما أتمها ! .

فى كل هذه المعانى نرى إلهنا فى محبته المتقدة بنار الغيرة — نراه « نار آكلة »

و « وقائد أبدية » ولا نقول مع الخطاة المرتعبين والمنافقين المرتعدين : « من منا يسكن في نار آكلة ، من منا يسكن في وقائد أبدية » لأننا « في الأعالى » نسكن في حضرته وحول عرشه في سلام واطمئنان وفرح أبدى (اقرأ إش ٣٣ : ١٣ — ١٦) .

في كل ما قيل نرى إلهنا « نار آكلة » — « كسيف ذى حدين » — عن يمينه خراف يقول لهم : « تعالوا يا مباركى أبى ! رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم » ، وعن يساره جداء يقول لهم « اذهبوا عنى يا ملاعين ! إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته . . . فيمضى هؤلاء إلى عذاب أبدى والأبرار إلى حياة أبدية » (مت ٢٥ : ٣٣ و ٣٤ و ٤١ و ٤٦ اقرأ ع ٣١ — ٤٦ مع ٢ تس ١ : ٣ — ١٠) .

هذا هو « حجر الزاوية » — « يسوع المسيح » — « الذى فيه كل البناء مركباً معاً ينمو هيكلا مقدساً في الرب » (أف ٢ : ٢٠ و ٢١) ، وفي ذات الوقت هو « حجر الزاوية » الذى يسحق من يسقط فوقه ومن يسقط عليه يترضض (مت ٢١ : ٤٤ قابل رو ٩ : ٣٣ مع إش ٢٨ : ١٦ مع ١ بط ٢ : ٦ — ٨) .

الآن انتهينا من الكلام عن « رئيس الإيمان ومكمله يسوع » بين العهدين — بين الجبلين — « سيناء » و « صهيون » (ع ١٨ — ٢٩) في ركنيهما التعليمى والعملى ، وقد رأينا كيف أن الرسول انتهى بنا ، في هذا الركن التعليمى إلى وضع قاعدة عملية تعتبر أساساً متيناً لكل الواجبات العملية التى وردت في هذه الرسالة — قاعدة أجملها في قوله : « ونحن قابلون ملكوتاً لا يتزعزع ليكن عندنا شكر به نخدم الله خدمة مرضية بخشوع وتقوى لأن إلهنا نار آكلة » (راجع شرح ع ٢٨ و ٢٩) .

والآن قد انتهينا — أيضاً — بمعونة الرب وإرشاد روحه من شرح الباب الأول تحت عنوان : — الإيمان والموعد (ص ١٠ : ٣٢ — ٣٩) ، بارزاً في قوله : « لأنه بعد قليل جداً (جداً) سيأتى الآتى ولا يبطىء » (ع ٣٧ — راجع الشرح) ، هكذا انتهينا ، أيضاً ، من شرح الباب الثانى تحت عنوان : — الإيمان وشهوده (ص ١١ و ١٢) ، بارزاً في قوله : « في هذا شهد للقدماء » (ص ١١ : ٢ راجع الشرح) ، وها نحن الآن نتقدم — على أساس ذات الرجاء المبارك — لشرح : —

الباب الثالث

الإيمان ووحيه العملى (عب ١٣ : ١ – ٢٥)

وفيه فصلان :

الفصل الأول – وصايا منوعة متعددة (ع ١ – ١٩):

الفصل الثانى – نهاية ختامية (ع ٢٠ – ٢٥) .

الفصل الأول

وصايا منوعة متعددة (عب ١٣ : ١ — ١٩)

إذا راجعنا هذه الوصايا المنوعة المتعددة بإمعان وتأمل يمكننا أن نكتشف فيها عدة مواضيع متباينة يمكن تفصيلها فيما يأتي :— (١) المحبة الأخوية (ع ١ — ٣) — (٢) قدسية الزواج (ع ٤) — (٣) فضيلة الاكتفاء (ع ٥ و ٦) — (٤) الاحتذاء بالمرشدين (ع ٧ و ٨) — (٥) نصح وتحذير ضد التعاليم الغريبة (ع ٩ — ١٢) — (٦) الثبوت فى التعليم الصحيح (ع ١٣ — ١٦) — (٧) إكرام المرشدين (ع ١٧ — ١٩) .

(١) « المحبة الأخوية » (عب ١٣ : ١ — ٣)

١ لِتَثْبُتِ ٱلْمَحَبَّةُ ٱلْأَخَوِيَّةُ . ٢ لَا تَنْسُوا إِضَافَةَ ٱلْغُرَبَاءِ لِأَنْ بِهَا أَضَافَ أُنَاسٌ مَلَائِكَةً وَهُمْ لَا يَدْرُونَ . ٣ أُذْكُرُوا ٱلْمُقَيَّدِينَ كَأَنَّكُمْ مُقَيَّدُونَ مَعَهُمْ وَٱلْمُذَلِّينَ كَأَنَّكُمْ أَنْتُمْ أَيْضًا فِي ٱلْجَسَدِ

فى هذه الآيات الثلاث تتجلى « المحبة الأخوية » التى هى ، فى ذاتها ، يمكن أن تعدلب التعليم فى كل الكتب المقدسة — ذلك التعليم الذى يتحقق عملياً فى ما سنراه هنا من إضافة الغرباء ومن العطف القلبى والمواساة الصحيحة للمقيدين والمذلين — الأمر الذى سيتركز عليه الفكر فى شرح هذه الآيات الثلاث التى تبدأ بالقول : —

(ع ١) « لتثبت المحبة الأخوية » :

ختم الرسول الأصحاح السابق بأن أوقفنا أمام « إلهنــا » بوصف كونه « ناراً آكلة » (راجع شرح ع ٢٩) ، وقد رأيناه ، جل اسمه ، فى هذا الوصف النارى

متجلياً فى تلك المحبة التى بها ناشدت العروس عريسها ، قائلة : « اجعلنى كخاتم على قلبك — كخاتم على ساعدك ؛ لأن المحبة قوية كالموت — الغيرة قاسية كالهاوية — لهيبها لهيب نار لظى الرب ، مياه كثيرة لا تستطيع أن تطفىء المحبة والسيول لا تغمرها . إن أعطى الإنسان كل ثروة بيته بدل المحبة تحتقر احتقاراً » (نش ٨ : ٦ و ٧) .

وهل هذه هى « المحبة الأخوية » ؟ وكيف لا ؟ ونحن نسمع العريس وهو يتحدث عن عروسه ، ينشد قائلا : « قد سبيت قلبى يا أختى العروس — قد سبيت قلبى بإحدى عينيك بقلادة واحدة من عنقك — ما أحسن حبك يا أختى العروس ! كم محبتك أطيب من الخمر ! وكم رائحة أدهانك أطيب من كل الأطياب ! شفتاك يا عروس تقطران شهداً ، تحت لسانك عسل ولبن ورائحة ثيابك كرائحة لبنان . أختى العروس جنة مغلقة عين مقفلة ينبوع مختوم » (نش ٤ : ٩ — ١٢ اقرأ ع ٨ — ٥ : ١) .

هذه هى المحبة الأخوية » الكائنة بين عريس المجد وعروسه ، وذلك على أساس كونه « بكراً بين إخوة كثيرين » (رو ٨ : ٢٩ اقرأ ع ٢٨ — ٣٠) ، وهو الأساس الذى أعلنه هذا العريس بعينه يوم قيامته فى قوله للمجدلية : « اذهبى إلى إخوتى وقولى لهم : « إنى أصعد إلى أبى وأبيكم وإلهى وإلهكم » (يو ٢٠ : ١٧) . فلا عجب ! أن نسمعه بصوت المرنم يترنم منشداً وهو يخاطب أباه القدوس . قائلا : « أخبر باسمك إخوتى وفى وسط الجماعة (« الكنيسة ») أسبحك (مز ٢٢ : ٢٢ اقرأ ع ٢٢ — ٢٦ راجع شرح ص ٢ : ١٢) .

على هذا الأساس الكريم تبنى « المحبة الأخوية » بين إخوة هذا الابن الوحيد المبارك بين الأخ وأخيه — بين سائر الإخوة المنتسبين إليه بمقتضى النص القائل : « تحب قريبك كنفسك » (قابل لا ١٩ : ١٨ مع مت ١٩ : ١٩ و ٢٢ : ٣٩ مع مر ١٢ : ٣١ مع لو ١٠ : ٣٧) .

هذه هى « المحبة الأخوية » التى عرفها الكتاب بالقول : « المحبة لا تصنع شراً

للقريب » . فالمحبة هى تكميل الناموس » (رو ١٣ : ١٠ اقرأ ع ٨ — ١٠) ، هذا هو « الناموس الكامل » — « ناموس الحرية » — « الناموس الملوكى حسب الكتاب » (يع ١ : ٢٥ و ٢ : ٨) ، وهذا التعليم يوافقه ما عبر به الرسول يوحنا — « التلميذ الذى كان يسوع يحبه » (يو ١٩ : ٢٦ و ٢٠ : ٢ و ٢١ : ٧ و ٢٠) .

هذا التلميذ الذى تمثلت فيه محبة السيد المسيح قال فى تعبيره عن « المحبة الأخوية » « أيها الأحباء ! لنحب بعضنا بعضاً لأن المحبة هى من الله ، وكل من يحب فقد ولد من الله ويعرف الله ، ومن لا يحب لم يعرف الله ؛ لأن الله محبة » (١ يو ٤ : ٧ و ٨) :

وهكذا إلى أن قال : « إن قال أحد إنى أحب الله وأبغض أخاه فهو كاذب ؛ لأن من لا يحب أخاه ، الذى أبصره ، كيف يقدر أن يحب الله الذى لم يبصره ؟ ولنا هذه الوصية منه أن من يحب الله يحب أخاه أيضاً » (١ يو ٤ : ٢٠ و ٢١ اقرأ ع ٧ — ٢١) ، هذه هى المحبة فى قوتها — « محبة الله التى انسكبت فى قلوبنا بالروح القدس المعطى لنا » (رو ٥ : ٥) .

هذه هى « المحبة الأخوية » التى يوصى الرسول بها منبراً على القول : « لتثبت » ، ولعله فى هذه الوصية بوحى مقدس — يعود إلى ما سبق السيد المسيح فأوصى تلاميذه به ، فى الليلة الأخيرة ، قائلا : « أنا الكرمة الحقيقية وأبى الكرام » (يو ١٥ : ١) « أنا الكرمة وأنتم الأغصان » (يو ١٥ : ٥) « كما أحبنى الآب كذلك أحببتكم أنا ، اثبتوا فى محبتى ، إن حفظتم وصاياى تثبتون فى محبتى ؛ كما أنى أنا قد حفظت وصايا أبى وأثبت فى محبته ، كلمتكم بهذا لكى يثبت فرحى فيكم ويكمل فرحكم » (يو ١٥ : ٩ — ١١ اقرأ ع ١ — ١١) .

فى هذه الصورة التمثيلية ينبئنا السيد المسيح عن المحبة الكائنة بين « الكرام » — « أبى » — وبين « الكرمة » — « أنا » — هى المحبة التى تتبين فى قول السيد المسيح : « الآب يحب

الابن » (يو ٥ : ٢٠ انظر يو ٣ : ٣٥) : وقوله عن نفسه : « أنى أحب الآب » (يو ١٤ : ٣١) ، فالصلة بين « الكرام » و « الكرمة » صلة المحبة الأبوية البنوية ، وهى صلة تتكمل « بالمحبة » الكائنة بين الكرام والكرمة والأغصان ؛ كما يتبين من قول السيد المسيح هنا « كما أحبنى الآب كذلك أحببتكم أنا ، اثبتوا فى محبتى » (يو ١٥ : ٩).

وكيف تثبت الأغصان فى الكرمة ؟ دون أن يكون كل غصن منهم متصلا اتصالا وثيقاً بالآخر ؟ فثبوت الأغصان فى الكرمة هو ثبوت الإخوة معاً فى محبة المسيح الذى أحبهم ، وهذا معناه بالتحقيق ثبوت كل منهم فى الآخر وهو الذى يعبر عنه بثبوت « المحبة الأخوية » : « فالآب يحب الابن » والابن يحب الآب ، والذين فى الابن يحبون الآب والابن ويحب كل منهم أخاه .

هذه « المحبة الأخوية » هى الوصية الختامية التى ختم بها السيد ليلة العشاء مع تلاميذه قائلا : « وصية جديدة أنا أعطيكم أن تحبوا بعضكم بعضاً ، كما أحببتكم أنا تحبون أنتم ، أيضاً ، بعضكم بعضاً ، بهذا يعرف الجميع أنكم تلاميذى إن كان لكم حب بعضاً لبعض » (يو ١٣ : ٣٤ و ٣٥) ، فلا عجب ! أن ينبه الرسول أذهان العبرانيين كإخوة محبين ، قائلا لهم : « لتثبت المحبة الأخوية » : —

(ع ٢) « لا تنسوا إضافة الغرباء » :

هنا تظهر ، بارزة ، فى الأغصان ، ثمرة من ثمار ثبوتها فى الكرمة ، وذلك بمقتضى التعبير الذى عبر به السيد ، أيضاً ، قائلا : « بهذا يتمجد أبى أن تأتوا بثمر كثير فتكونون تلاميذى » (يو ١٥ : ٨) ، وها نحن هنا نرى ثمرة بارزة ، فى تلك الأغصان المباركة « للمحبة الأخوية » — ثمرة هى « إضافة الغرباء » .

ومن هم هؤلاء الغرباء الذين يضافون ؟ وكيف تتم إضافتهم ؟ أما « الغرباء » الذين يضافون فقد أشار إليهم الرسول يوحنا الشيخ فى حديثه إلى غايس الحبيب ؛ حيث

يقول : « أيها الحبيب ! أنت تفعل بالأمانة كل ما تصنعه إلى الإخوة وإلى الغرباء — الذين شهدوا بمحبتك أمام الكنيسة — الذين تفعل حسناً إذا شيعتهم كما يحق لله ، لأنهم من أجل اسمه خرجوا وهم لا يأخذون شيئاً من الأمم » (٣ يو ٥ — ٧) ، هؤلاء هم « الغرباء » الذين يشير إليهم الرسول فى رسالته إلى العبرانيين بالقول : « لا تنسوا إضافة الغرباء » .

وقد أشار بولس الرسول إلى ضيافة غايس « للغرباء » فى خاتمة رسالته إلى أهل رومية ؛ حيث قال لهم : « يسلم عليكم غايس مضيفى ومضيف الكنيسة كلها (رو١٦ : ٢٣) . كما أنه هو ذاته (الرسول بولس) أوصى أيضاً أهل رومية ، قائلا لهم : مشتركين فى احتياجات القديسين ، عاكفين على إضافة الغرباء » (رو١٢ : ١٣) .

أما « إضافة الغرباء » أو ضيافتهم ففيها معنى الإجارة أو الإغاثة ، وذلك يتم بقبول الغريب فى منزل المضيف مغيثاً إياه من كد ، ومريحاً له من تعب ، فإذا كان أولئك « الغرباء » من المنادين باسم الرب يسوع ، يتم فى مضيفهم ومريحهم فى منزله — يتم فيه ، قول الرسول الشيخ يوحنا : « فنحن ينبغى لنا أن نقبل أمثال هؤلاء لكى نكون عاملين معهم بالحق » (٣ يو ٨) .

بهذا الهدف يقول الرسول بولس لهؤلاء العبرانيين : « لا تنسوا إضافة الغرباء » بصيغة نهى قاطع يقضى قضاء مبرماً على موقف أى إنسان فى الكنيسة لا يقبل هؤلاء الغرباء الذن ينطبق عليهم وصف ذات الرسول الشيخ يوحنا فى ذات الرسالة (إلى غايس الحبيب المضيف) حيث يقول : « كتبت إلى الكنيسة ولكن ديوتريفس الذى يحب أن يكون الأول بينهم لا يقبلنا ، من أجل ذلك ، إذا جئت ، فسأذكره بأعماله التى يعملها ، هاذراً علينا بأقوال خبيثة » (٣ يو ٩ و ١٠) ، هكذا يوصى الرسول بولس جماعة العبرانيين ، قائلا « لتثبت المحبة الأخوية : لا تنسوا إضافة الغرباء » :

« لأن بها أضاف أناس ملائكة » :

الكلمة « بها » تعود فى ضمير « ها » المؤنث — أولا وبداهة — إلى موضوع « إضافة الغرباء » — الإضافة التى « بها » — على أنه ليس ما يمنع — بل بالأحرى يوجد ما ينهض الذكر للرجوع إلى الأساس المؤسس — إلى « المحبة الأخوية » بحيث نقرأ قول الرسول على هذا النحو : « لتثبت المحبة الأخوية التى بها لا تنسوا إضافة الغرباء ، وبها أضاف أناس ملائكة » .

أما إضافة الملائكة المشار إليها هنا فإنها ، بذكرها ، تصل بنا راجعين إلى بلوطات ممرا وتوقفنا أمام أناس ماثلين لدى أبينا إبراهيم « وهو جالس فى باب الخيمة ، وقت حر النهار » حيث « رفع عينيه ونظر وإذا ثلاثة رجال واقفون لديه ، فلما نظر ركض لاستقبالهم من باب الخيمة ، وسجد إلى الأرض وقال : « يا سيد ! إن كنت قد وجدت نعمة فى عينيك فلا تتجاوز عبدك ، ليؤخذ قليل ماء واغسلوا أرجلكم واتكئوا تحت الشجرة ؛ فآخذ كسرة خبز فتسندون قلوبكم ثم تتجاوزون ؛ لأنكم قد مررتم على عبدكم » ، فقالوا : « هكذا تفعل كما تكلمت » (تك ١٨ : ١ — ٥) .

هذا ما كان إبراهيم يفعله وهو جالس فى باب خيمته يتقيأ — كان ، بقلب فائض « بالمحبة الأخوية » ومتسع بالكرم والآمال — كان يحدق نظره نحو المارة فى الطريق أمامه لعله يشبع طموحه وشوق قلبه « بإضافة الغرباء » الذين كانوا يمرون من وقت إلى آخر تجاه خيمته .

هذه هى إضافة الغرباء فى حقيقتها العملية متحركة بقوة « المحبة الأخوية » — تلك « المحبة » التى هى « غاية الوصية » — « المحبة من قلب طاهر وضمير صالح وإيمان بلا رياء » (١ تى ١ : ٥) بدافع تلك المحبة دعا إبراهيم الثلاثة الغرباء فأجابوا الدعوة فأضافهم ضيوفاً كراماً وأعد لهم أفخر مائدة للأكل والشرب « وإذ كان هو واقفاً لديهم ، تحت الشجرة ، أكلوا » (تك ١٨ : ٨ اقرأ ع ١ — ٨) .

وإن نسينا فهل ننسى إضافة لوط لهؤلاء الغرباء ؟ حين كان جالساً فى باب سدوم فى مساء يوم جاء فيه ملاكان فلما رآهما قام لاستقبالها وسجد بوجهه إلى الأرض وقال :

« يا سيدى ! ميلا إلى بيت عبدكما وبيتا واغسلا أرجلكما ثم تبكران وتذهبان فى طريقكما » فقالا : « لا بل فى الساحة نبيت » فألح عليهما جداً ، فمالا إليه ودخلا بيته فصنع لهما ضيافة وخبز فطيراً فأكلا » (تك ١٩ : ١ — ٣) ، هذه هى الصورة العملية « للمحبة الأخوية » بارزة فى إضافة الغرباء « التى بها أضاف أناس ملائكة » : —

« وهم لا يدرون » :

هذا التعبير ينطبق انطباقاً تاماً على إبراهيم وهو جالس عند بلوطات ممرا حيث أضاف ثلاثة رجال غرباء ولم يكن يدرى أنهم ملائكة ، ولم تظهر له هذه الحقيقة العجيبة حتى أكلوا وشربوا وهموا للذهاب ، حينئذ ظهر له أن بين هذه الزمرة الملائكية شخصاً عجيباً هو ذات « الرب » — « رئيس جند الرب » (يش ٥ : ١٤) يصحبه ملاكان ، بل هو « رب الجنود » (يهوه صباؤوت) (إش ٦ : ٣) — بل هو « ملاك العهد » (مل ٣ : ١) .

وهل كان لوط يدرى أن ضيفيه اللذين أضافهما ملاكين سماويان ؟ دخلا بيته ليباركاه ويأخذا بيده وبيد امرأته وبيد ابنتيه ليخرجاهم من سدوم وعمورة لكى لا يحترقوا بالكبريت والنار التى سيمطرها الله (تك ١٩ : ١٦ و ١٧ اقرأ كل الأصحاح) وما أعظم البركات الإلهية والعجائب الخلاصية التى تشمل جميع الذين يذعنون للحق الإلهى ويطاوعونه !

ومن يستطيع سوى ذات الرب أن يعطى هذا الوعد الغريب الذى يفوق كل تصورات البشر ، فى قوله لإبراهيم : « إنى — « أنا الرب » — أرجع إليك نحو زمان الحياة ويكون لسارة امرأتك ابن » وإذ ضحكت « سارة » فى باطنها عندما سمعت هذا الوعد الغريب ؛ وقالت فى نفسها : « أبعد فنائى يكون لى تنعم وسيدى قد شاخ » ؟ فعلم الرب ما كان يجول فى خاطر سارة وسريرتها فقال لإبراهيم : « لماذا ضحكت سارة ؟ قائلة : « أفبالحقيقة ألد وأنا قد شخت » ؟ « هل يستحيل على الرب شىء ؟ فى الميعاد أرجع إليك نحو زمان الحياة ويكون لسارة ابن » (اقرأ تك ١٨ : ٩ — ١٥) .

وهل فى إمكاننا أن نتصور حركة آلية تحركها إبراهيم ؟ عندما تحقق أن هذا الرجل (« الملاك ») هو ذات « الرب » — « إله المجد » — الذى ظهر له « وهو فى ما بين النهرين » حيث أمره بالخروج من أور الكلدانيين ليذهب إلى أرض كنعان ؟ (قابل تك ١١ : ٢٧ و ٣١ — ١٢ : ٣ مع أع ٧ : ٢ — ٤) — ذات « الرب » الذى ظهر له فى الرؤيا ووعده بنسل لا يعد (تك ١٥ : ١ — ٦) — ذات « الرب » — الله القدير » — (إيل شداى) الذى قطع عهداً معه — عهداً مشمولا بوعد بولادة إسحق من سارة ؟ (اقرأ تك ١٧ : ١ — ٢٢) .

فلا عجب أن يزداد اهتمام إبراهيم وانشغاله بهؤلاء الرجال الثلاثة الذين رأينا أنهم « ملاك العهد » يصحبه ملاكان ، فخرج ليشيعهم إلى سدوم حيث كانوا قاصدين ! وما أعجب أن يكتشف إبراهيم أن هذا الرب الذى وقف أمامه هو « ديان كل الأرض » (تك ١٨ : ٢٥) ، فوقف أمامه شفيعاً من أجل سدوم وعمورة وكل مدن الدائرة بينما ذهب الملاكان إلى سدوم ! (اقرأ تك ١٨ : ١٦ — ١٩ : ١) ، هكذا كان نصيب إبراهيم من إضافة هؤلاء الغرباء — أن أخذ وعداً محدداً مؤكداً مقرراً بنسل هو « ابن الموعد » ، وأن يقف خليلا لديان كل الأرض شفيعاً بين يديه .

أو لا ندرى فى موضوع إضافة الغرباء الذى سبق الكلام عنه أن المضيفين الذين هم إبراهيم وأهل بيته وأن المضافين الذين هم الملائكة — ألا ندرى أنهم جميعاً — مضيفين ومضافين « غرباء » ؟ فالملائكة ليسوا من هذه الأرض بالرغم من كونهم ظهروا فى أرض الموعد ، وهكذا كان إبراهيم وأهل بيته هم أيضاً غرباء بالرغم من كونهم حالين فى أرض الموعد ؟ وذلك واضح من حلولهم فى خيامهم عند بلوطات ممرا (اقرأ تك ١٨ : ١ و ٢) .

ومن هو « ممرا » ؟ هو ممرا أخو أشكول وأخو عابر — هؤلاء الإخوة الثلاثة الأموريين كانوا أصحاب عهد مع أبرام (إبراهيم) العبرانى وأعطوه بلوطات ممرا ليقيم خيامه عندها ، وهكذا عاش « غريباً » فى وسطهم ولو أنه سكن فى أرض الموعد (تك ١٤ : ١٣ و ٢٤ اقرأ ع ١٣ — ٢٤) :

ولقد حقق لنا ، كاتب هذه الرسالة ، هذا الموقف بالنسبة إلى إبراهيم وآل بيته ، حيث قال : « بالإيمان تغرب فى أرض الموعد » كأنها غريبة ، ساكناً فى خيام مع إسحق ويعقوب الوارثين معه لهذا الموعد عينه ؛ لأنه كان ينتظر المدينة التى لها الأساسات التى صانعها وبارئها الله » ، ولأنهم معاً (إبراهيم وإسحق ويعقوب) « بالإيمان » « أقروا بأنهم « غرباء ونزلاء » على الأرض » . وهم بهذا الإقرار يظهرون أنهم « يبتغون وطناً أفضل أى سماوياً ، لذلك لا يستحى بهم الله أن يدعى إلههم ؛ لأنه أعد لهم مدينة » (راجع شرح ص ١١ : ٨ — ١٠ و١٣ — ١٦) .

وبأى معنى يكونون « غرباء » فى « أرض الموعد » — الأرض التى وعد الرب أن يعطيها لإبراهيم ولنسله ؟ (اقرأ تك ١٥ : ١٨ — ٢١ مع أع ٧ : ٤ و ٥) ، وقد أتم الله وعده بالنسبة إلى نسل إبراهيم بإعطائهم الأرض كما وعد حسبما هو مبين جلياً فى ما هو مكتوب عن الملك سليمان — « ملك السلام » — « يديديا » — حبيب الرب ؛ حيث يقال : « كان سليمان متسلطاً على جميع الممالك من النهر (نهر الفرات) إلى أرض فلسطين وإلى تخوم مصر ، كانوا يقدمون الهدايا ويخدمون سليمان كل أيام حياته » (١ مل ٤ : ٢١ قابل تك ١٥ : ١٨) .

على أنه ، وإن نسينا ، يجب أن لا ننسى أن بنى إسرائيل فى أرض الموعد — حتى بعد امتلاكهم إياها — كانوا « غرباء ونزلاء » ، وذلك بمقتضى النص الصريح القائل : « وكلم الرب موسى فى جبل سيناء » قائلا : « كلم بنى إسرائيل وقل لهم : « متى أتيتم إلى الأرض التى أنا أعطيكم تسبت الأرض سبتاً للرب » : « والأرض لا تباع بتة ؛ لأن لى الأرض وأنتم غرباء ونزلاء عندى » (لا ٢٥ : ١ و ٢٣ اقرأ ع ١ — ٢٣ مع ١مل ٢١ : ١ — ٣) .

على هذا الأساس تبنى الحقيقة التى لا ريب فيها ولا تنقض أن جميع خلق الله « غرباء » على الأرض ، وعليهم أن يستمعوا إلى النصح الإلهى الذى أوصى به فيما قاله الرسول بطرس : « أطلب إليكم كغرباء ونزلاء ! أن تمتنعوا عن الشهوات الجسدية التى تحارب النفس » (١بط٢ : ١١) ، فليرتفع قلب كل منا إلى السماء ، صارخاً : « غريب أنا فى الأرض ، لا تخف عنى وصاياك » (مز ١١٩ : ١٩) :

فيا للمجد الفائق ويا للبركة العظمى ! لمن يضيفون الغرباء ويعتنون بهم من أجل اسمه المبارك ! إذ يستمعون إلى ذلك الصوت الرقيق — صوت « ابن الإنسان » « متى جاء فى مجده وجميع الملائكة القديسين معه » حيث يقول الملك للذين عن يمينه : « تعالوا يا مباركى أبى ! رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم ؛ لأنى جعت فأطعمتمونى . عطشت فسقيتمونى . كنت غريباً فآويتمونى . عرياناً فكسوتمونى . مريضاً فزرتمونى . محبوساً فأتيتم إلىّ » (مت ٢٥ : ٣٤ — ٣٦) .

وإذ يجيبونه ، متسائلين : « يارب متى رأيناك جائعاً فأطعمناك أو عطشاناً فسقيناك ؟ ومتى رأيناك غريباً فآويناك . أو عرياناً فكسوناك ؟ ومتى رأيناك مريضاً أو محبوساً فأتينا إليك » ؟ فيجيب الملك ويقول لهم : « الحق أقول لكم « بما أنكم فعلتموه بأحـد إخوتى هؤلاء الأصاغر فبى فعلتم » (مت ٢٥ : ٣٧ — ٤٠ اقرأ ع ٣١—٤٠) ، حيث يؤكد الرسول بولس فى قوله : « لأن الله ، ليس بظالم ، حتى ينسى عملكم وتعب « المحبة » التى أظهرتموها نحو « اسمه » إذ قد خدمتم القديسين وتخدمونهم » (راجع شرح ص ٦ : ١٠) ، وما أمجد وأسمى ! البركة الفائضة العظمى التى نالتها الشونمية بإضافة نبى الله أليشع ! (اقرأ ٢ مل ٤ : ٨ — ٣٧) .

أو لم يكن الرسول بولس نفسه ، وهو يوصى بأن لا ننسى « إضافة الغرباء » — أو لم يكن هو نفسه من هؤلاء الغرباء المتجولين بين الأمم فى كثير من البلاد ؟ أليس هو الذى كتب إلى الكورنثيين ، قائلا : « ألعلنا ليس لنا سلطان أن نأكل ونشرب ؟ . . أم أنا وبرنابا وحدنا ليس لنا سلطان أن لا نشتغل » ؟ مفسراً هذا السؤال بسؤال آخر ؛ حيث يقول : « من تجند قط بنفقة نفسه ؟ ومن يغرس كرماً ومن ثمره لا يأكل ؟ أو من يرعى رعية ومن لبن الرعية لا يأكل ؟ ألعلى أتكلم بهذا كإنسان أم ليس الناموس ، أيضاً ، يقول هذا » ؟ (١ كو ٩ : ٥ — ٨) .

« فإنه مكتوب فى ناموس موسى : « لا تكم ثوراً دارساً » . ألعل الله تهمه الثيران ؟ أم يقول مطلقاً من أجلنا ؟ إنه من أجلنا مكتوب ؛ لأنه ينبغى للحراث أن يحرث على رجاء وللدارس على الرجاء أن يكون شريكاً فى رجائه ، إن كنا قد زرعنا لكم الروحيات ؟

أفعظيم إن حصدنا منكم الجسديات ؟ إن كان آخرون شركاء فى السلطان عليكم أفلسنا نحن بالأولى ؟ لكننا لم نستعمل هذا السلطان ؛ بل نتحمل كل شىء لئلا نجعل عائقاً لإنجيل المسيح » (١كو ٩ : ٩ — ١٢ مع تث٢٥ : ٤ اقرأ ١ كو ٩ : ٥ — ١٤) .

من كل ما قيل نرى أساساً متيناً عليه تثبت « المحبة الأخوية » إزاء « إضافة الغرباء » كما أوضحه رسول المحبة ، فى قوله : « أما من كانت له معيشة العالم ونظر أخاه محتاجاً وأغلق أحشاءه عنه فكيف تثبت محبة الله فيه » ؟ (١ يو ٣ : ١٧) ، فإن « غاية الوصية هى المحبة من قلب طاهر وضمير صالح وإيمان بلا رياء » (١ تى ١ : ٥) ؛ بهذا التأويل الصالح يقول الرسول : « لتثبت المحبة الأخوية ، لا تنسوا إضافة الغرباء ؛ لأن بها أضاف أناس ملائكة وهم لا يدرون » : —

(ع ٣) « اذكروا المقيدين كأنكم مقيدون معهم ، والمذلين كأنكم أنتم أيضاً فى الجسد » :

أمامنا ، فى هذه الآية . نوعان من « البلايا المحرقة » — أحدهما : عنوانه «المقيدون» وثانيهما : عنوانه « المذلون » ، وبالنسبة إلى المقيدين والمذلين » يرسم أمامنا الواجب المقدس نحو هذين النوعين معاً ، أما بالنسبة إلى « المقيدين » فالواجب المقدس نحوهم يتبين فى قوله : « اذكروا المقيدين كأنكم مقيدون معهم ، أما بالنسبة إلى « المذلين» فالواجب المقدس نحوهم يتبين فى القول : « اذكروا المذلين كأنكم أنتم ، أيضاً ، فى الجسد » : بهذا التفصيل نتقدم الآن ، بمعونة الرب ، لشرح هذه الآية : —

« المقيدين . . . والمذلين » :

بين هذين الوصفين قرابة تامة ؛ وهل يمكن أن لا يكون « المقيدون » مذلين ؟ ومن هم يا ترى أولئك المقيدون المذلون المشار إليهم ؟ تدل القرائن فى هذه الرسالة على أنهم هم المقيدون فى قيود الإنجيل — مذلين فى قيودهم سواء أكانوا رسلا أو مبشرين أو أحداً من جماعة المؤمنين .

وقد سبق أن تحدث الرسول فى هذا الموضوع مع أولئك العبرانيين فى بدء هذا الجزء من هذه الرسالة حيث قال لهم : « ولكن تذكروا الأيام السالفة التى فيها ، بعد ما

أنرتم ، صبرتم على مجاهدة آلام كثيرة — من جهة مشهورين بتعييرات وضيقات ، ومن جهة صائرين شركاء الذين تصرف فيهم هكذا ؛ لأنكم رثيتم لقيودى وقبلتم سلب أموالكم بفرح » (راجع شرح ص ١٠ : ٣٢ — ٣٧) .

فى هذه الأقوال يتحدث الرسول عن قيوده الخاصة ؛ حيث يقول لهم : « رثيتم لقيودى » (راجع الشرح) ، وكثيراً ما تحدث الرسول ، فى رسائله ، عن قيوده لأجل الإنجيل الذى كان يبشر به كما بين فى وصيته لتيموثاوس ابنه : « اذكر يسوع المسيح المقام من الأموات من نسل داود بحسب « إنجيلى » الذى فيه أحتمل المشقات « حتى القيود » كمذنب » (٢ تى ٢ : ٨ و ٩ اقرأ ٢ كو ١١ : ٢٣ — ٢٧) .

هذا هو « بولس » فى قيود الإنجيل — الذى كان يوماً ما شاول الطرسوسى يضطهد كنيسة الله بإفراط ويتلفها (راجع شرح غل ١ :١٣ للمؤلف) كما اعترف هو نفسه قائلا : «فأنا ارتأيت ،فى نفسى ، أنه ينبغى أن أصنع أموراً كثيرة مضادة لاسم يسوع الناصرى ، وفعلت ذلك ، أيضاً ، فى أورشليم فحبست فى سجون كثيرين من القديسين آخذاً السلطان من قبل رؤساء الكهنة ، ولما كانوا يقتلون ألقيت قرعة بذلك ، وفى كل المجامع كنت أعاقبهم مراراً كثيرة وأضطرهم إلى التجديف ، وإذ أفرط حنقى عليهم كنت أطردهم إلى المدن التى فى الخارج » (قابل أع ٢٦ : ٩ — ١١ مع أع ٧ : ٥٨ و ٨ : ٣ و ٩ : ١ و ٢ و ٢٢ : ١ — ٥ قابل أيضاً أع ٩ : ١٠ — ١٦ و ٢٠ : ٢٣ و ٢٤ و ٢١ : ١١) ، على أنه مهما تكن القيود فى صرامة آلامها ومهما تكن المذلة فى شدة الإهانة الصادرة منها فكلها تنحصر فى القول : —

« كأنكم أنتم أيضاً فى الجسد » :

قيود لا تتعدى الجسد ومذلة لا تعلو فوق الجسد يتم فيها المبدأ الإلهى الصحيح الذى أشار إليه الرسول ، فى قوله : «لو كنا حكمنا على أنفسنا لما حكم علينا ، ولكن إذ قد حكم علينا نؤدب من الرب لكى لا ندان مع العالم » (١ كو ١١ : ٣١ و ٣٢ اقرأ ع ٢٧ — ٣٣) — مبدأ فيه تتجلى أمامنا نعمة التأديبات الإلهية فى الجسد « لكى لا ندان

مع العالم » ، وهو ذات المبدأ الذى أعلنه ، أيضاً ، ذات الرسول فى قوله للكورنثيين عن رجل ساقط فى شر « لايسمى بين الأمم » حيث قال : « يسلم مثل هذا للشيطان لهلاك « الجسد » لكى تخلص « الروح » فى يوم الرب يسوع » (١ كو ٥ : ٤ و ٥ اقرأ ع ١ — ٥) .

أو ليس هذا هو ذات المبدأ الذى وضعه السيد المسيح ، مطمئناً تلاميذه يوم قال لهم : « يا أحبائى ! لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد وبعد ذلك ليس لهم ما يفعلون أكثر ، بل أريكم ممن تخافون — خافوا ، من الذى بعد ما يقتل (الجسد) ، له سلطان أن يلقى فى جهنم — نعم أقول لكم « من هذا خافوا » (لو ١٢ : ٤ و ٥) — مبدأ يجعل آلام الجسد لا شىء البتة فكم إذا ارتفع بها الإنسان إلى سماء المجد فتصير بركة ! وهل لا نذكر استفانوس — الشهيد المسيحى الأول — حينما شخص إلى السماء وهو ممتلىء من الروح القدس فرأى مجد الله ويسوع قائماً عن يمين الله فقال — وهم يرجمونه — « أيها الرب يسوع ! اقبل روحى » (أع ٧ : ٥٩ اقرأ ع ٥٤ — ٦٠) ، هذه هى عينات « المقيدين والمذلين الذين يوصى بهم الرسول ، قائلا : —

« اذكـــروا » :

وفى هذا الذكر والتذكير يعود بنا إلى « المحبة الأخوية » (ع ١ انظر الشرح) التى لا تنسى الغرباء ولا المقيدين ولا المذلين من أجل اسم يسوع ؛ بل تذكرهم جميعاً — لا بالفم والكلام ، ولا بحديث اللسان ؛ بل « بالعمل والحق » ، فهى محبة عملية قلبية ، ولعل أول درجة من هذا الذكر العملى تقوم برفع الصلوات من أجلهم ، ذاكرين إياهم أمام العرش الإلهى .

هكذا فعلت الكنيسة يوماً ما ، حين اجتمع جماعة الرب فى بيت مريم أم يوحنـــا الملقب مرقس ، وهم موجهون قلوبهم العامرة « بالمحبة الأخوية » إلى عرش السماء ذاكرين الرسول بطرس الذى كان ، فى تلك الليلة ، محروساً فى السجن ، نائماً بين عسكريين ، مربوطاً بسلسلتين وكان قدام الباب حراس يحرسون السجن بأمر هيرودس الملك الذى كان ناوياً أن يقدمه إلى اليهود ذبيحة لإرضائهم ، ولكن الرب غيرّ كل

قصد إذ صعدت إليه صلوات القديسين من القلوب الملآنة « بالمحبة الأخوية » وبالدموع التى ذرفتها ، ولابد ، عيون المحبة الصادقة — محبة القديسين الفائضة (اقرأ أع ١٢ : ١ — ١٧ اقرأ تاريخ هذه القصة العجيبة — أع ١٢) .

على أن الذكر يرتفع فى حقيقته ، إلى درجة أعلى ، فهو شركة فعالة مع الإخوة فى قيودهم كما لو كنا مقيدين معهم ، وفى مذلتهم كما لو كنا مذلين معهم ، وذلك طبقاً لقول الرسول ، أيضاً : « فرحاً مع الفرحين وبكاء مع الباكين » (رو ١٢ : ١٥) .

هذا هو مبدأ الوحدة المقدسة فى جسد الرب يسوع الذى هو الكنيسة — جماعة المؤمنين به — أبناء المجد (راجع شرح ص ٢ : ١٠ — ١٢) — ذلك المبدأ الذى بينه ، أيضاً ، ذات الرسول فى قوله : « « الله مزج الجسد ، معطياً الناقص كرامة أفضل ؛ لكى لا يكون انشقاق فى الجسد ؛ بل تهتم الأعضاء اهتماماً واحداً بعضها لبعض ، فإن كان عضو واحد يتألم فجميع الأعضاء تتألم معه ، وإن كان عضو واحد يكرم فجميع الأعضاء تفرح معه » (١ كو ١٢ : ٢٤ — ٢٦ اقرأ ع ١٢ — ٢٦) .

هذه صورة واضحة كشفها الرسول بأجلى بيان لإظهار وحدانية الجسد ، وقد عبرّ عن تلك الوحدانية فى موضع آخر ؛ حيث قال : « صادقين فى المحبة (« المحبة الأخوية ») ننمو فى كل شىء إلى ذاك الذى هو الرأس — « المسيح » — الذى منه كل الجسد مركباً معاً ومقترناً بمؤازرة كل مفصل ، حسب عمل ، على قياس كل جزء ، يحصل نمو الجسد لبنيانه فى المحبة » (أف ٤ : ١٥ و ١٦ اقرأ ع ٨ — ١٦) .

فلقد كان رسول الأمم شديد الإهتمام بجميع الكنائس — رهيف الإحساس ورقيق المشاعر نحو جميع الكنائس لدرجة معها قال : « من يضعف وأنا لا أضعف ، من يعثر وأنا لا ألتهب » ؟ (٢ كو ١١ : ٢٨ و ٢٩) . وما أسمى المثال الذى رسمه لنا « ابن الإنسان » ! الذى « لم يأت ليخدم ؛ بل ليخدم وليبذل نفسه فدية عن كثيرين » (مت ٢٠ : ٢٨) . « فماذا نقول لهذا ؟ إن كان الله معنا فمن علينا ؟ الذى « لم يشفق » على ابنه ؛ بل « بذله » لأجلنا أجمعين ، كيف لا يهبنا ، أيضاً ، معه كل شىء » ؟ (رو ٨ : ٣١ و ٣٢) .

إذاً « لتثبت المحبة الأخوية ، لا تنسوا إضافة الغرباء ، لأن بها أضاف أناس ملائكة وهم لا يدرون ، اذكروا المقيدين كأنكم مقيدون معهم ، والمذلين كأنكم أنتم ، أيضاً، فى الجسد » ، هذا هو الموضوع الأول — من الفصل الأول — « المحبة الأخوية » (ع ١ — ٣) . والآن نتقدم إلى : —

(٢) قدسية الــزواج (عب ١٣ : ٤)

٤ لِيَكُنِ ٱلزِّوَاجُ مُكَرَّماً عِنْدَ كُلِّ وَاحِدٍ وَٱلْمَضْجَعُ غَيْرَ نَجِسٍ . وَأَمَّا ٱلْعَاهِرُونَ وَٱلزُّنَاةُ فَسَيَدِينُهُمُ ٱللهُ .

وردت هذه الآية فى الترجمة اليسوعية العربية على النحو الآتى : « ليكن الزواج مكرماً فى كل شىء ، والمضجع طاهراً فإن الزناة والفساق سيدينهم الله » ، وفى كلتا الترجمتين نجد وصية عملية تدخل بنا إلى البيت — أى الأسرة — لنرى — (أ) « الزواج » ، (ب) « المضجع » ، (ج) « الله » ، فى هذه الأقسام الثلاثة نتقدم لشرح هــذه الآية : —

(ع ٤) — أ — « الزواج — ليكن الزواج مكرماً » :

هذه الوصية « ليكن الزواج مكرماً » تفترض شرعية الزواج ووجوبه وكرامته أما شرعية الزواج فهى مبنية على أساس النص الذى نطق به « الرب الإله » فى قوله : « ليس جيداً أن يكون آدم وحده فأصنع له معيناً نظيره » (تك ٢ : ١٨) .

هكذا تم هذا الأمر كمشروع مقدس مبارك فى ذلك اليوم الذى فيه « أوقع الرب الإله سباتاً على آدم فنام ؛ فأخذ واحدة من أضلاعه وملأ مكانها لحماً ، وبنى الرب الإله الضلع التى أخذها من آدم « امرأة » وأحضرها إلى آدم » (تك ٢ : ٢١ و ٢٢) .

هكذا تثبتت شرعية « الزواج » من جانب الرب الإله « الذى خلق الإنسان على صورته — على صورة الله خلقه — ذكراً وأنثى خلقهم وقال لهم : « أثمروا وأكثروا

واملأوا الأرض وأخضعوها » (تك ١ : ٢٨) — بهذا العمل أثبت الرب الإله شرعية « الزواج » ، وقدسه .

هكذا ، أيضاً ، تثبت « الزواج » من قبل الإنسان — إذ أنه ، لما أخذ الرب الإله الضلع من آدم وبناها امرأة وقدمها إليه — قال آدم : « هذه الآن عظم من عظامى ولحم من لحمى ، هذه تدعى امرأة (بالعبرية إيشاء—أنثى)لأنها من إمرء (بالعبرية إيش— إنس) أخذت » (تك ٢ : ٢٣ اقرأ ع ١٨ — ٢٣) .

ألا نرى أن آدم ذاته هو الذى أطلق على نفسه اسم « امرء » ؟ كما أطلق على امرأته اسم « امرأة » ؟ ، وذلك عندما « أحضرها » الرب إليه ؟ (تك ٢ : ٢٣) ، أولا ترجع بنا هذه التسمية إلى ذات ما فعله آدم ؟ وذلك حينما « جبل الرب الإله ، من الأرض كل حيوانات البرية وكل طيور السماء فأحضرها إلى آدم ليرى ماذا يدعوها » ؟ فدعا آدم بأسماء جميع البهائم وطيور السماء وجميع حيوانات البرية » (اقرأ تك ٢ : ١٩و ٢٠) ؛

فمن أين تعلم آدم هذا العلم الفائق ؟ وكيف وصل عقله إلى هذا التمييز العجيب ؟ حتى إنه يدعو « بأسماء » كل حيوانات الأرض وكل طيور السماء كما يسمى امرأته وذاته ؟ لا عجب فى ذلك ! وكيف لا ؟ أليس هو ذلك المخلوق الممتاز الذى ، عنه ، قال إله الخالق : « نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا فيتسلطون على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى البهائم وعلى كل الأرض وعلى جميع الدبابات التى تدب على الأرض (تك ١ : ٢٦) .

علم ما أسماه ! بسلطان ما أمجده ! أضاعه بمشورة الشيطان الرجيم (اللعين) الذى أغواه عن طريق « الامرأة » بقوله : « لن تموتا ؛ بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر » (تك ٣ : ٤ و ٥) ، هكذا — فسد الإنسان — تحت تأثير هذا الإغراء الشيطانى وخالف آدم الأمر الإلهى وانفتحت أعينهما — — لا ليعرفا الخير من الشر ؛ بل ليعلما أنهما عريانان (قابل تك ٣ : ٧ مع ٢ : ٢٥) ، وصارت نهايتهما — لا إلى الخجل والخزى والعار ، فحسب— بل حتى إلى اللعنة وإلى الموت (اقرأ تك ٣ : ١ —٧ و ١٧ — ١٩) .

فكيف ، والحالة هذه ، لا يكون الزواج « مكرماً » ؟ — ذلك « الزواج » الذى عقد فى جنة عدن والإنسان فى حالة الطهر الكامل والبرارة التامة — ذلك الزواج الذى عقده الرب الإله القدوس بين مخلوقين على صورته كشبهه ؟ لكن كيف يكون زواجاً مكرماً وقد أفسد التعدى الطبيعة الإنسانية فأصبحت طبيعة شهوانية مدنسة ؟ لذلك يحق للرسول بوحى الإله القدوس أن يوصى مشدداً ، قائلا : « ليكن الزواج مكرماً »

« عند كل واحـــد »

هذه الجملة — « عند كل واحد » — فى علاقتها بالزواج تدخل بنا إلى ما داخل البيت حيث نرى — أولا وقبل كل شىء — إمرءا وإمرأة — إياهما يوصى الرسول ، قائلا : « ليكن الزواج مكرماً عند كل واحد » منكما ، وهى وصية تتصل بالواجبات المقدسة التى تقع على كل من الزوجين — أحدهما نحو الآخر — وهى الواجبات التى ذكرها الرسول فى قوله : « أيها النساء اخضعن لرجالكن كما للرب » « فى خوف الله » (أف ٥ : ٢٢) .

إلى أن قال : « أيها الرجال ! أحبوا نساءكم كما أحب المسيح ، أيضاً ، الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها ؛ لكى يقدسها مطهراً إياها — بغسل الماء — بالكلمة — لكى يحضرها لنفسه كنيسة مجيدة لا دنس فيها ولا غضن أو شىء من مثل ذلك ؛ بل تكون مقدسة وبلا عيب » (أف ٥ : ٢٥ : ٢٧ اقرأ ع ٢١ — ٣٠ مع ١ بط ٣ : ١ — ٧) .

على هذا الأساس يبنى الرسول بولس نصيحته القائلة : « ليكن لكل واحد إمرأته وليكن لكل واحدة رجلها ، ليوف الرجل المرأة حقها الواجب وكذلك المرأة أيضاً الرجل » (١ كو ٧ : ٢ و ٣) ، ولعله ، فى هذه الوصية ، يذكر القول الأساسى : « لذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكونان جسداً واحداً » (قابل تك ٢ : ٢٤ مع أف ٥ : ٣١) .

أو لم يبن السيد المسيح نفسه على ذات الأساس — جوابه للفريسيين الذين سألوه : « هل يحل للرجل أن يطلق امرأته لكل سبب ؟ حيث قال : « أما قرأتم أن الذى خلق

من البدء خلقهما ذكراً وأنثى وقال : « من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسداً واحداً » ، إذاً ليسا بعد إثنين ؛ بل جسد واحد ، فالذى جمعه الله لا يفرقه إنسان » (مت ١٩ : ٤ — ٦ اقرأ ع ١ — ٦) .

على أن الدخول إلى البيت يفرض علينا أن لا ننسى الأولاد أيضاً بمقتضى النص الإلهى القائل : « ذكراً وأنثى خلقهم وباركهم الله وقال لهم أثمروا » (تك ١ : ٢٧ و ٢٨) ، لذلك لابد أن يتضمن تكريم الزواج محافظة الأولاد على كرامة الوالدين ، ومراعاة الوالدين تربية الأولاد ، وهذا هو الأمر الذى ، لأجله ، اختار الله إبراهيم وأقامه ، بمقتضى النص القائل : « لأنى عرفته لكى يوصى بنيه وبيته ، من بعده ، أن يحفظوا طريق الرب ، ليعملوا براً وعدلا ؛ لكى يأتى الرب لإبراهيم بما تكلم به » (تك ١٨ : ١٩ انظر أف ٦ : ١ — ٤ مع كو ٣ : ٢٠ و ٢١) .

وإن نسينا يجب أن لا ننسى ولدان البيت والعبيد الذين يعيشون فى ذات البيت حتى النزلاء بمقتضى الوصية القائلة : « أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمتك . . . ونزيلك الذى فى أبوابك لكى يستريح عبدك وأمتك مثلك ، واذكر أنك كنت عبداً فى أرض مصر فأخرجك الرب إلهك من هناك بيد شديدة وذراع ممدودة » (اقرأ خر ٢٠ : ١٠ — مع تث ٥ : ١٤ مع كو ٣ : ٢٢ — ٤ : ١) .

على أن الزواج الذى تم فى جنة عدن — زواج الإنسان المخلوق بحسب الله — كشبهه وعلى صورته فى المعرفة والبر وقداسة الحق (قابل أف ٤ : ٢٤ مع كو ٣ : ١٠) ، هذا الزواج الإلهى الطاهر قد أفسده التعدى بإفساد الطبيعة البشرية ؛ حتى إن « العالم كله قد وضع فى الشرير » ((١ يو ٥ : ١٩) ، وبالتالى أصبح هذا الزواج العالمى لا يصح أن يكون تمثيلا لذلك السر العجيب الفائق — سر المسيح والكنيسة كعريس مقدس لعروس طاهرة كما تمثلها الراؤون فتغنوا بلسان الكنيسة ؛ حيث تقول : « ألبسنى ثياب الخلاص ، كسانى رداء البر مثل عريس يتزين بعمامة ومثل عروس تتزين بحليها » (إش ٦١ : ١٠) ، وعلى هذا الأساس يعلو النشيد : « لأنه كما يتزوج

الشاب عذراء يتزوجك بنوك ، وكفرح العريس بالعروس يفرح بك إلهك » (إش ٦٢ : ٥) .

وهكذا من الأقوال المناسبة التى نطق بها الأنبياء القديسون عن هذا السر العجيب ، وقد نسجوا فى كل أحاديثهم على منوال كتاب نشيد الأنشاد الذى لسليمان بجملته إلى أن جاء الرائى يوحنا ورأى هذا السر البهيج واستمع إلى النشيد القائل : « لنفرح ونتهلل ونعطه المجد ؛ لأن عرس الخروف قد جاء ، وامرأته هيأت نفسها وأعطيت أن تلبس بزاً نقياً بهياً ؛ لأن البز هو تبررات القديسين » (رؤ ١٩ : ٧ و٨) .

ويوحنا — ذلك الرائى اللاهوتى — يقول عن نفسه ، فى هذا الصدد : «وأنا يوحنا رأيت المدينة المقدسة — أورشليم الجديدة — نازلة من السماء من عند الله ، مهيأة كعروس مزينة لرجلها ، وسمعت صوتاً عظيماً من السماء ، قائلا « هوذا مسكن الله مع الناس » (رؤ ٢١ : ٢ و٣ اقرأ ع ٢ — ٦ و٩ — ٢٧) ، أفلا يجب إذاً أن يكون « الزواج مكرماً » وهو تمثيل لذلك السر العظيم ؟ وهكذا : —

ب — « المضجع » « والمضجع غير نجس » :

وكما ورد فى الترجمة اليسوعية بصيغة إيجابية حيث قيل : « والمضجع طاهراً ». فالواو فى كلا الترجمتين حرف عطف — يعطف « المضجع » على « الزواج » ، ويصل الجملتين معاً بالوصية القائلة : « ليكن » ، كأنه يقول : « ليكن الزواج مكرماً » « وليكن المضجع غير نجس » ،والمعنى فى كليهما واحد يتعلق بكرامة الزواج وطهارة الحياة الزوجية كما رأينا فى الوصية القائلة : « ليكن الزواج مكرماً » .

أما « المضجع » فهو لغة من باب المضاجعة حيث يقال : ضاجعه أى اضطجع معه ، وفيه يتساوى المذكر والمؤنث ، فهو مضاجع وهى مضاجع ، أما نسبته إلى الزواج فتتبين فى علاقة الزوجين — تلك العلاقة الخصوصية التى أثبتها الوحى فى أصل الخليقة ، حيث قيل : « فخلق الله الإنسان على صورته — على صورة الله خلقه — ذكراً وأنثى خلقهم ؛ وقال لهم : « أثمروا واكثروا واملأوا الأرض » (تك ١ :

٢٧ و ٢٨) ، وهو قول يحمل ذات المعنى الذى سبقت الإشارة إليه فى صدد الزواج ؛ حيث قيل : « لذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكونان جسداً واحداً ، إذاً ليسا ، بعد اثنين ؛ بل جسد واحد » (قابل تك ٢ : ٢٤ مع مت ١٩ : ٤ — ٦) .

أما الوصية بطهارة « المضجع » وخلوه من الدنس فهى وصية مبنية على ما قصده الله فى « الزواج » وبالتالى فى « المضجع » — ذلك القصد الذى أعلنه ، له المجد ، فى قوله : « أثمروا » (تك ١ : ٢٨) ، على اعتبار أن تكون الأثمار مقدسة وطاهرة ونقية من أصل مقدس طاهر نقى ، فلا يعبث الفساد ولا تختلط الطهارة بالدنس ولا تتلف الأثمار ؛ بل تكثر وتزدهر ، وذلك على المبدأ الذى ورد فى (مت ٧ : ١٦ مع لو ٦ : ٤٣ و ٤٤ مع يع ٣ : ١١ و ١٢) . الآن ! بعد أن تكلمنا عن

(أ) « الزواج » (ب) « المضجع » نأتى إلى : —

حـ — « الله » « أما العاهرون والزناة فسيدينهم الله » :

الآن كما لو أن الرسول يرسم أمامنا ذلك « العرش العظيم الأبيض » الذى رآه الرائى اللاهوتى وحدثنا عنه ، قائلا : « رأيت عرشاً عظيماً أبيض والجالس عليه ، الذى ، من وجهه ، هربت الأرض والسماء ولم يوجد لها موضع ، ورأيت الأموات ، صغاراً وكباراً ، واقفين أمام الله وانفتحت أسفار وانفتح سفر آخر سفر الحياة ودين الأموات مما هو مكتوب فى الأسفار بحسب أعمالهم » (رؤ ٢٠ : ١١ و ١٢ اقرأ ع ١١ — ١٥) .

أليس هذا هو « الديان » الذى رآه الرائى دانيال وقال فيه : « كنت أرى أنه وضعت عروش وجلس « القديم الأيام » . لباسه أبيض كالثلج وشعر رأسه كالصوف النقى وعرشه لهيب نار وبكراته نار متقدة ، نهر نار جرى وخرج من قدامه ، ألوف ألوف تخدمه ربوات ربوات وقوف قدامه فجلس « الدين » (سلطان الدينونة) وفتحت الأسفار » (دا ٧ : ٩ و ١٠) .

هذا هو « الديان » الذى أعانه السيد المسيح فى حديثه مع اليهود ، حيث قال : « لأنه كما أن الآب له حياة فى ذاته كذلك أعطى الابن أيضاً أن تكون له حياة فى ذاته وأعطاه سلطاناً أن يدين أيضاً لأنه ابن الإنسان » (يو ٥ : ٢٦ و ٢٧ اقرأ ع ٢١ — ٣٠) وعلى هذا الأساس يبنى الرسول بولس كلامه عن الديان والدين والدينونة ؛ قائلا : «لأنه لابد أننا جميعاً نظهر أمام كرسى المسيح لينال كل واحد ما كان بالجسد بحسب ما صنع خيراً كان أم شراً » (٢ كو ٥ : ١٠) ، أمام هذا « العرش العظيم الأبيض » يدان : —

« العاهرون والزناة » :

أو كما جاء فى الترجمة اليسوعية « الزناة والفساق » ، وفى كلتا الترجمتين يتجلى الزناة مع العاهرين والفساق — تعبيرات ثلاث وإن اختلفت لفظاً تتفق معنى ومغزى وجوهراً وتدل على الفجور الذى هو الانغماس فى المعاصى وحياة الفسق والفساد — « الفجور » الذى بينه ذات الرسول وهو يتحدث عن « نعمة الله المخلصة » التى ظهرت لجميع الناس « معلمة إيانا أن ننكر « الفجور والشهوات » العالمية ونعيش بالتعقل والبر والتقوى فى العالم الحاضر » (تى ٢ : ١١ و ١٢) .

أما علاقة هذه الثلاثية بموضوع الزواج فمنها ينكشف لنا بعد الشقة بين الزوجين والافتراق بينهما بتدنيس « المضجع » الذى سبقت الإشارة إليه ، وهو الأمر الذى أشار إليه الرسول أيضاً فى قوله للتسالونيكيين : « لأن هذه هى إرادة الله — « قداستكم » — أن تمتنعوا عن الزنا — أن يعرف كل واحد منكم أن يقتنى إناءه بقداسة وكرامة ، لا فى هوى شهوة كالأمم الذين لا يعرفون الله — أن لايتطاول أحد ويطمع على أخيه فى هذا الأمر ؛ لأن الرب منتقم لهذه كلها ، كما قلنا لكم قبلا وشهدنا » (١ تس ٤ : ٣ — ٦ قابل خر ٢٠ : ١٤ مع مت ٥ : ٢٧ و ٢٨ و ٣١ و ٣٢ مع ١ كو ٦ : ١٦ — ١٨ انظر شرح غل ٥ : ١٩ للمؤلف).

أو ليس الزنى والعهر والفسق من « أعمال الظلمة » ؟ التى تؤدى « بالعاهرين » إلى « الظلمة الخارجية » حيث « البكاء وصرير الأسنان » ؟ وحيث يطرح الذين

يوجدون وليس عليهم « لباس العرس » — لباس النقاوة والطهر؟ (مت٢٢ : ١١ — ١٣ اقرأ ع ١ — ١٤) ، فلنصغ إلى التحذير الإلهي القائل : « قد تناهى الليل وتقارب النهار فلنخلع أعمال الظلمة ونلبس أسلحة النور — لنسلك بلياقة كما في النهار — لا بالبطر والسكر « لا بالمضاجع والعهر » لا بالخصام والحسد ؛ بل البسوا الرب يسوع المسيح ولا تصنعوا تدبيراً للجسد لأجل الشهوات » (رو ١٣ : ١٢ — ١٤) وليكن « المضجع » طاهراً .

أو ليس الزنى هو أشد تعبير للابتعاد عن « الله » وترك وصاياه ودوس قداسته ؟ هكذا يقول المرنم : « هوذا البعداء عنك يبيدون ، تهلك كل من « يزنى عنك » ، أما أنا فالاقتراب إلى الله حسن لى » (مز ٧٣ : ٢٧ و ٢٨) ، وبذات المعنى يقول الوحى المقدس : « أيها الزناة والزوانى ! أما تعلمون أن محبة العالم عداوة لله ، فمن أراد أن يكون محباً للعالم فقد صار عدواً لله » (يع ٤ : ٤) .

« فمحبة العالم » التى هى « عداوة لله » تقضى على العلاقة الكائنة بين « الله » وشعبه «كبعل لامرأة » (اقرأ إش ٥٤ : ١ — ١٠ مع شرح غل ٤ : ٢٧ و ٢٨) ، و«كعريس لعروس » طاهرة نقية عذراء عفيفة مخطوبة لرجل واحد (قابل إش ٦٢ : ٤ و ٥ مع ٢ كو ١١ : ١ و ٢) .

وما أرهب ما وصف به الحق الإلهى تلك الزانية « أورشليم (يهوذا) برجاساتها » ! « ابنة أمك أنت — الكارهة زوجها وبنيها ، وأنت أخت أخواتك اللواتى كرهن أزواجهن وأبناءهن ، أمكن حثيه وأبوكن أمورى ، وأختك الكبرى السامرة (إسرائيل)هى وبناتها الساكنة عن شمالك ، وأختك الصغرى الساكنة عن يمينك هى سدوم وبناتها ، ولا فى طريقهن سلكت ، ولا مثل رجاساتهن فعلت . كأن ذلك قليل فقط — ففسدت أكثر منهن فى كل طرقك » (حز ١٦ : ١ و ٤٤ — ٤٧ اقرأ كل الأصحاح) .

شر عظيم وعقاب وخيم ودينونة أبدية ، لذلك علينا أن نحذر وأن نستمع إلى الوصية بالطاعة الكاملة و« ليكن الزواج مكرماً والمضجع غير نجس (« طاهر ») : أما العاهرون والزناة فسيدينهم الله » (راجع شرح ع ٤) . هكذا انتهينا من شرح

(أ) « المحبة الأخوية » (ع ١ - ٣) - (٢) قدسية الزواج (ع ٤) ، والآن نأتى بعون الرب وإرشاده إلى : -

(٣) فضيلة الاكتفاء (عب ١٣ : ٥ و ٦)

٥ لِتَكُنْ سِيرَتُكُمْ خَالِيَةً مِنْ مَحَبَّةِ ٱلْمَالِ . كُونُوا مُكْتَفِينَ بِمَا عِنْدَكُمْ لأَنَّهُ قَالَ لَا أُهْمِلُكَ وَلَا أَتْرُكُكَ ٦ حَتَّى إِنَّنَا نَقُولُ وَاثِقِينَ ٱلرَّبُّ مُعِينٌ لِي فَلَا أَخَافُ . مَاذَا يَصْنَعُ بِي إِنْسَانٌ .

وردت هاتان الآيتان فى الترجمة اليسوعية بنص آخر هو « نزهوا سيرتكم عن حب المال واقنعوا بما عندكم فإنه قال « لا أخذلك ولا أهملك » حتى إنا نقول ، واثقين « الرب عونى فلا أخشى ، ماذا يصنع بى الإنسان » ؟ وبالرغم من الفرق بين الترجمتين فى بعض الألفاظ إلا أن المعنى واحد فى كلتيهما ، وهو ما سنراه عن طريق الشرح .

وفى هاتين الآيتين ثلاث عبارات هى طرفان ووسط ، أما الوسط فهو وعد متضمن فى النص القائل : « لأنه قال لا أهملك ولا أتركك » على أساسه يبنى الرسول الطرف الأول ناصحاً ، قائلا : « لتكن سيرتكم خالية من محبة المال ، كونوا مكتفين بما عندكم ، لأنه قال : « لا أهملك ولا أتركك » وعلى أساس ذات الوعد يبنى المؤمن ثقته ، قائلا : « الرب معين لى فلا أخاف ، ماذا يصنع بى إنسان » ؟ .

بهذه المقدمة نتقدم نحن بمعونة الرب إلى شرح هاتين الآيتين مبتدئين بالنص الرسولى ؛ حيث نراه مركباً من وصيتين - إحداهما سلبية هى قوله : « لتكن سيرتكم خالية من محبة المال » ، أما الوصية الأخرى فإيجابية ؛ حيث يقول : « كونوا مكتفين بما عندكم » ، على هذا القياس نتبين ثقة المؤمن فى تصريحين أيضاً - أحدهما إيجابى جلى هو قوله : « الرب معين لى » أما التصريح الآخر فقد ورد فى صيغة سؤال استنكارى يحمل جوابه فى ذاته وهو قوله : « ماذا يصنع بى إنسان » ؟ على هذا النحو نتقدم إلى شرح الآيتين : -

(ع ٥) « لتكن سيرتكم » :

سيرة الإنسان هي كيفية سلوكه وطريقة سيره بين الناس ومعهم ، ويتوقف وصف سيرته على الطريقة التي يسلكها — فيقال : فلان حسن السيرة إذا حسن سلوكه و« ردىء السيرة »إذا ردؤت ، فما أوجب حرص الإنسان على سيرته التي تتضمن صحيفة أعماله وطاعاته ! أو ليست السيرة ، بهذا المعنى ، هي تلك الأعمال المكتوبة في الأسفار ؟ التي رآها الرائي وقد انفتحت أمام « عرش الدينونة الأبيض » الذي وقف أمامه الأموات صغاراً وكباراً للدينونة ؟ فدينوا « مما هو مكتوب في الأسفار بحسب أعمالهم » ؟ (انظر رؤ ٢٠ : ١١ و ١٢ اقرأ باقي الأصحاح) ، فلا عجب أن يوصي الرسول بشأن هذه السيرة ، قائلا : « لتكن سيرتكم » : —

« خالية من محبة المال » :

هذه هي الوصية السلبية في النصح الرسولي وفيها يستنكر الرسول « محبة المال » قائلا : « لتكن سيرتكم خالية » (نزهوا سيرتكم) ، فإخلاء النفس من الشيء هو تنزيهها عنه أي تنحيتها وإبعادها عن هذا الشيء وصونها منه ، وذلك بوصف كونه شيئاً قبيحاً مذموماً وممقوتاً يجب الترفع عنه وعدم الاقتراب منه .

أما هذا الشيء القبيح المذموم الممقوت فهو « محبة المال » — تلك المحبة التي وصفها ذات الرسول ، في قوله لابنه تيموثاوس : « أما الذين يريدون أن يكونوا « أغنياء » فيسقطون في تجربة وفخ وشهوات كثيرة — غبية ومضرة — تغرق الناس في العطب والهلاك « لأن محبة المال أصل لكل الشرور — الذي إذ ابتغاه قوم ضلوا عن الإيمان وطعنوا أنفسهم بأوجاع كثيرة » (١ تي ٦ : ٩ و ١٠) .

ولا غرو فإن محبة المال تقترن بكل أنواع الفجور الذي هو التعدي على حق الله وعصيان أوامره ، وبخاصة نكران عزته الإلهية ، وذلك بوصف كونه المعبود الوحيد الحي الحقيقي — الأمر الذي يؤدي ، ولابد ، إلى اتخاذ « المال » معبوداً دون « الله » ، وهو الأمر الذي حذر منه السيد المسيح في قوله : « لا يقدر أحد أن يخدم

سيدين ؛ لأنه إما أن يبغض الواحد ويحب الآخر أو يلازم الواحد ويحتقر الآخر ، لا تقدرون أن تخدموا الله والمال » (مت ٦ : ٢٤ اقرأ ع ٢٢ — ٢٤) .

أو ليست « محبة المال » عبادة أوثان ؟ هكذا جاء فى بعض التراجم التى وضعت « الطمع » الذى هو « عبادة أوثان » فى مكان « محبة المال » ، ولا غرابة ! فإن السيد « المسيح » نفسه — إذ جاء إليه أخ يطلب منه أن يقول لأخيه أن يقاسمه الميراث — قال له : « يا إنسان ! من أقامنى عليكما قاضياً أو مقسماً » ؟ وقال لهم : « انظروا وتحفظوا من « الطمع » فإنه ، متى كان لأحد كثير ، فليست حياته من أمواله » (لو ١٢ : ١٣ — ١٥) .

وما أردأ « محبة المال » وهى تقترن « بمحبة الذات » دون « محبة الله » ! الأمر الذى بينه الرسول بوضوح فى قوله لابنه تيموثاوس : « ولكن اعلم هذا أنه فى الأيام الأخيرة ستأتى أزمنة صعبة ؛ لأن الناس يكونون « محبين لأنفسهم محبين للمال » — « محبين للذات دون محبة الله » (٢ تى ٣ : ١ و ٢ و ٤ اقرأ ع ١ — ٤) .

أو لم تتبلور هذه الحقيقة بشكل بارز فى قصة ذلك « الغنى الغبى » الذى ، إذ « أخصبت كورته » أله ذاته وفكر فى نفسه ، قائلا : « أهدم مخازنى وأبنى أعظم وأجمع هناك جميع غلاتى وخيراتى وأقول لنفسى : « يا نفسى ! لك خيرات كثيرة موضوعة لسنين كثيرة ، استريحى وكلى واشربى وافرحى » (لو ١٢ : ١٨ و ١٩) ، وقد عقب السيد المسيح على هذا الافتخار بالنفس والاعتداد بالذات بقول الله المالك الغنى الغبى : « يا غبى ! هذه الليلة تطلب نفسك منك ، فهذا التى أعددتها لمن تكون » ؟ (لو ١٢ : ٢٠ اقرأ ع ١٦ — ٢٠) .

فلا عجب أن تكون « محبة المال أصل لكل الشرور » (كما سبقت الإشارة) ، وبخاصة فى اقترانها « بالطمع » — ذلك الاقتران الذى يجعل الصلة بينها وبين العاهرين قوية بمقتضى ما أشار إليه الرسول فى قوله : « أن لا يتطاول أحد على أخيه فى هذا الأمر » أى فى تدنيس « المضجع » (اقرأ ١ تس ٤ : ٦ راجع شرح ع ٤ اقرأ أف ٤ :

١٩ و ٥ : ٣-٥ مع كو ٣ : ٥ و ٦ مع ١ كو ٦ : ٩ و ١٠) ، فإن كل هذه الشرور وبخاصة الطمع إنما هى فروع من أصل هو « محبة المال » .

ولكن ! كيف يخلى الإنسان نفسه من « محبة المال » ؟ وكيف ينزه سيرته عن محبة « المال » الذى هو « أصل » لكل هذه « الشرور » ؟ الذى هو « مامون » (إله الأباطيل الكاذبة) — المعبود القوى الذى يأخذ بمجامع القلوب ويبعدها عن عبادة الله الحى الحقيقى ؟ كيف نتنزه عنها ؟ وكيف نخلى أنفسنا منها ؟ وبأى طريقة نخلص من التعبد لها ؟ إن الأمر يحتاج إلى نعمة إلهية فعالة وإلى مجهود ضد قوة « مامون » إله المال وإلى إلحاح وعدم انقطاع عن الصلاة « وحد قلبى لخوف اسمك » (مز ٨٦ : ١١) ، هكذا تتم الوصية « لتكن سيرتكم خالية من محبة المال » : —

« كونوا مكتفين بما عندكم » :

هذه هى الوصية الإيجابية من النصح الرسولى المقدس . وقد سبق أن تحدثنا عن الوصية السلبية من ذلك النصح المبارك : « لتكن سيرتكم خالية من محبة المال » — منزهة عنها ، وحيث أن السلب لا يتم إلا بالإيجاب لذلك كان لا بد أن تتم هذه الوصية السلبية بوصية إيجابية وهى « كونوا مكتفين بما عندكم » .

هذه الوصية ، فى صيغتها الإيجابية ، تؤدى بنا ، قلباً وقالباً ، إلى فضيلة من أسمى الفضائل الروحية — فضيلة « الاكتفاء » — وهى فضيلة يمكن أن نتمثلها فى مظهرين أساسيين — أولهما متضمن فى وصية السيد المسيح كما نطق بها فى خطاب العرش فوق الجبل ونصها : « فلا تهتموا للغد ؛ لأن الغد يهتم بما لنفسه ، يكفى اليوم شره » (مت ٦ : ٣٤) .

وصية تضىء بنور كشاف على ما نطق به ذلك الملك الذى أعطى حكمة ومعرفة من الله بهما قال : « لا تفتخر بالغد ؛ لأنك لا تعلم ماذا يلده يوم » (أم ٢٧ : ١) فلا تسأل عن ما يأتى به « الغد » ولا تشغل به بالا ولا تدعه يدور فى خلدك أو يقع فى خاطرك ؛ بل كن مكتفياً بما أنت فيه تاركاً « الغد يهتم بما لنفسه » ، هذا هو المظهر الأول لفضيلة الاكتفاء .

أما المظهر الثانى لتلك الفضيلة المباركة فهو الاهتمام بالأمور الروحية — الأمر الذى يعتبر أنجع دواء يقضى على داء الاهتمام بالأمور الجسدية وأفعل مولد لأشد مناعة ضدها حيث «يثبت الإيمان والرجاء والمحبة» (١ كو ١٣ : ١٣) ، ويتجلى «ثمر الروح» الذى هو «محبة فرح سلام — طول أناة لطف صلاح — إيمان وداعة تعفف» (انظر شرح غل ٥ : ٢٢ و ٢٣ للمؤلف) .

ولعل السيد المسيح ركز على هذه الحقيقة الأساسية ، أيضاً ، فى خطاب العرش ، إذ أنه بعد أن قال وشرح القول : «لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون أو بما تشربون ، ولا لأجسادكم بما تلبسون» (مت ٦ : ٢٥) — بعد أن قال هذا القول مشروحاً — عقب قائلا : «لكن اطلبوا أولا ملكوت الله وبره وهذه كلها تزاد لكم ؛ فلا تهتموا للغد» (مت ٦ : ٣٣ و ٣٤ اقرأ ع ٢٥ — ٣٤ مع لو ١٢ : ٢٢ — ٣١) .

فلا عجب أن يبنى الرسول ، على هذا الأساس المسيحى المتين ، وصيته أيضاً ، قائلا : «أما التقوى مع القناعة فهى تجارة عظيمة ؛ لأننا لم ندخل العالم بشىء وواضح أننا لا نقدر أن نخرج منه بشىء ، فإن كان لنا قوت وكسوة فلنكتف بهما» (اتى ٦ : ٦ — ٨) .

ففضيلة الاكتفاء نعمة من السماء انسكبت على أيوب يوم بلواه المحرقة ؛ حيث قام ومزق جبته وجز شعر رأسه وخر على الأرض وسجد وقال : «عرياناً خرجت من بطن أمى وعرياناً أعود إلى هناك — الرب أعطى والرب أخذ فليكن اسم الرب مباركاً» (أى ١ : ٢٠ و ٢١ اقرأ ع ١٣ — ٢٢) .

فضيلة ما أسماها ! بل هى نعمة إلهية يتدرب بها الإنسان ليصل إلى عمق اختبارها ويرتفع فوق كل الجسديات ويتغنى منشداً مع الرسول : «فإنى قد تعلمت أن أكون مكتفياً بما أنا فيه ، أعرف أن أتضع وأعرف ، أيضاً ، أن أستفضل ، فى كل شىء وفى جميع الأشياء قد تدربت أن أشبع وأن أجوع وأن أستفضل وأن أنقص ، أستطيع كل شىء فى المسيح الذى يقوينى» (فى ٤ : ١١ — ١٣) .

وهذا هو بيت القصيد أن يصل الإنسان ، بتدريب النعمة السماوية ، إلى درجة معها يستطيع أن يكون مكتفياً بما هو فيه فى أى حال من الأحوال وأغنية قلبه ونشيد حياته : « الرب راعىَّ فلا يعوزنى شىء » « ترتب قدامى مائدة » — « كأسى رياً » « إنما خير ورحمة يتبعاننى كل أيام حياتى » (مز ٢٣ : ١ و ٥ و ٦ اقرأ كل المزمور) ؛ لذلك ينصح الرسول أولئك العبرانيين ، قائلا : « لتكن سيرتكم خالية من محبة المال ، كونوا مكتفين بما عندكم » : —

« لأنه قال » :

الكلمة « لأن » كلمة تعليلية تعود بها قرينة الكلام إلى القول السابق : « لتكن سيرتكم خالية من محبة المال ؛ كونوا مكتفين بما عندكم » معللا بالقول « لأن » قارنا إياها بهاء الغائب فى قوله « لأنه » ، ولكنه لم يذكر شخصيته متمشياً مع المثل القائل ، حذف المعلوم جائز كما لو أن هذا الغائب شخص معلوم بين الكاتب والذين يكتب إليهم ومعروف عند جميعهم ؛ وبخاصة فى الإشارة إليه « بأنه قال » وهنا يمكننا أن نعرف من هو هذا الذى « قال » إذا سمعناه يقول » : —

« لا أهملك ولا أتركك » :

ومن هو هذا الشخص العجيب الذى يستطيع أن يقول : « لا أهملك ولا أتركك » ؟ ومتى « قال » هكذا ؟ وأين ورد قوله هذا ؟ إذا رجعنا إلى التاريخ النبوى المقدس نجد هذا القول عينه—نصاًوفصا—وقد ورد فى قول الرب » ليشوع—بعد موت « موسى » عبده — « كما كنت مع موسى أكون معك ؛ « لا أهملك ولا أتركك » تشدد وتشجع (يش ١ : ١ و ٥ و٦ اقرأ ع ١ — ٦) .

وعد مكرر ومثبت سبق أن أعلنه له « الرب » بفم عبده موسى قبل موته ؛ حيث قال له : « الرب سائر أمامك ، هو يكون معك « لا يهملك ولا يتركك » لا تخف ولا ترتعب » (تث ٣١ : ٨) — هو ذات الوعد الذى وعد به الرب جميع الشعب ؛ حيث قال لهم بفم موسى « تشددوا وتشجعوا ، لا تخافوا ولا ترهبوا . . . لأن الرب

إلهك سائر معك ، لا يهملك ولا يتركك (تث ٣١ : ٦ اقرأ ع ١ — ٩ مع عد ٢٧ : ١٥ — ٢٣) .

هكذا وعد الله شعبه قديماً — وعداً مكرراً موطداً — يذكره الرسول هنا لأبناء ذلك الشعب ، محققاً ومؤكداً لهم بأن الذى وعد آباءهم قائلا : « لا أهملك ولا أتركك » هو هو ذات الإله الحى — « الإله الأمين الحافظ العهد والإحسان للذين يحبونه ويحفظون وصاياه إلى ألف جيل » (قابل تث ٧ : ٩ مع ١ مل ٨ : ٢٣ مع ٢ أى ٦ : ١٤ مع نح ١ : ٥ و ٩ : ٣٢ مع دا ٩ : ٤) .

وما أمجد أن يكون حفظ الوعد والعهد « إلى ألف جيل » ! وذلك باعتبار أن العدد « ألف » فى الكلمة النبوية إنما هو تعبير لما لا حد له زمناً ودرجة — تعبير عن أبد بلا نهاية وعن سمو بلا حد ، وبخاصة فى موضوع العلاقة الكائنة بين الله وشعبه « كبعل لإمرأة » وبين المسيح وكنيسته « كعريس لعروس » ، وهى العلاقة المعبر عنها نبوياً بالخطبة .

تلك العلاقة المقدسة المباركة التى عبَّر عنها إشعياء ، قائلا : « لأن بعلك هو صانعك رب الجنود اسمه » إلى أن قال : « بفيضان الغضب حجبت وجهى عنك لحظة وبإحسان « أبدى » أرحمك قال وليك الرب » (إش ٥٤ : ٥ و ٨ اقرأ ع ١ — ١٠ مع شرح غل ٤ : ٢٧ للمؤلف) ، هذه هى الخطبة التى تحدث عنها الرب ، قائلا : « أخطبك لنفسى « إلى الأبد » وأخطبك لنفسى بالعدل والحق والإحسان والمراحم ، وأخطبك لنفسى بالأمانة فتعرفين الرب » (قابل هو ٢ : ١٩ و ٢٠ مع ٢ كو ١١ : ١ و ٢ مع أف ٥ : ٢٢ — ٣٣) .

على أساس هذا العهد الألفى الأبدى يقول الرسول بولس : « لأن مهما كانت مواعيد الله فهو فيه النعم وفيه الآمين لمجد الله بواسطتنا » (٢ كو ١ : ٢٠) بانياً ثقته التامة على ذات الأساس بأن « الذى ابتدأ فيكم عملا صالحاً يكمل إلى يوم يسوع المسيح » (فى ١ : ٦) ، كيف لا ؟ « وهل الله إنسان فيكذب ؟ أو ابن إنسان فيندم ؟ هل يقول ولا يفعل ؟ أو يتكلم ولا يفى » ؟ (عد ٢٣ : ١٩ اقرأ ع ١٦ — ٢٠) .

كيف يكون هذا ؟ وهو « نصيح إسرائيل » الذى « لا يكذب ولا يندم ؟ لأنه ليس إنساناً ليندم » (١ صم ١٥ : ٢٩) ، بل كل « هبات الله ودعوته هى بلا ندامة » (رو ١١ : ٢٩) ، فكم إذا اقترن الوعد بقسم ؟ حيث يقول لإبراهيم : « بذاتى أقسمت » يقول الرب « إنى . . . أباركك مباركة وأكثر نسلك تكثيراً كنجوم السماء وكالرمل الذى على شاطىء البحر . . . ويتبارك فى نسلك جميع أمم الأرض » (اقرأ تك ٢٢ : ١٥ — ١٨ راجع شرح ص ٦ : ١٣ — ٢٠) .

هذا هو « إله العهد » بنسبته إلى مواعيده التى لا يمكن أن تنقض فكم يكون بنسبته إلى « سر مشيئته حسب مسرته التى قصدها فى نفسه » ؟ (أف ١ : ٩ اقرأ ع ٣ — ٩) ، هكذا يجيبنا ذات الرسول على هذا التساؤل ، قائلا : « فإننا نعلم أن كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله « الذين هم مدعوون حسب قصده » لأن الذين «سبق فعرفهم» سبق فعينهم ليكونوا مشابهين صورة ابنه ؛ ليكون هو بكرا بين إخوة كثيرين ، والذين « سبق فعينهم » فهؤلاء دعاهم أيضاً ، والذين « دعاهم » فهؤلاء بررهم أيضاً ، والذين « بررهم » فهؤلاء مجدهم أيضاً » (رو ٨ : ٢٨ — ٣٠ راجع شرح ص ٢ : ١٠) ، فى كل ذلك يتم الوعد المقدس « لا أهملك ولا أتركك » : —

(ع ٦) « حتى إننا نقول واثقين » :

فى بدء الكلام عن هاتين الآيتين رأينا أنهما مركبتان من طرفين ووسط ، أما الوسط فقد رأيناه فى وعد الله القائل : « لا أهملك ولا أتركك » (راجع الشرح) — وعداً مبيناً على الطرف الأول وهو النصح الرسولى القائل : « لتكن سيرتكم خالية من محبة المال ، كونوا مكتفين بما عندكم لأنه قال : « لا أهملك ولا أتركك » : والآن نأتى إلى الطرف الثانى وهو ثقة المؤمن ، مبنية على ذلك الوعد ؛ حيث يقال : « لا أهملك ولا أتركك » :

« حتى إننا نقول واثقين » :

إنه ، جل اسمه « قال » « حتى إننا (نحن) نقول واثقين » والصلة بين القولين تتبين قوتها فى الكلمة « حتى » ، وذلك على اعتبار أن ما نقوله نحن مبنى على أساس ما قاله هو — بناء ثابتاً على أساس لا يتزعزع — ذلك الأساس الذى وصفه ذات الرسول قائلا : « ولكن أساس الله الراسخ قد ثبت إذ له هذا الختم — « يعلم الرب الذين هم له ، وليتجنب الإثم كل من يسمى اسم المسيح » (٢ تى ٢ : ١٩) .

فالذين يقولون واثقين إنما هم أولئك المختومون بهذا الختم من وجهيه — أما الوجه الأول فهم يتبينون أنهم مختارو الله بمقتضى علمه السابق ، مبنياً ولا ريب على قضائه ، فإنه ، تعالى اسمه « لكى يبين غنى مجده على آنية رحمة ، قد سبق فأعدها للمجد » فإنه ، جل جلاله « يصنع أمراً مقضياً به على الأرض » (رو ٩ : ٢٣ و ٢٨ اقرأ ع ٢٢ — ٢٩ مع إش ١ : ٩ و ٢٨ : ١٦ مع هو ٢ : ٢٣ مع رو ١١ : ١ — ٦ مع ١ بط ٢ : ١ — ١٠)

أما بالنسبة للوجه الثانى لهذا الختم الذى هم به مختومون فإنهم يتبينون فى نور ما قاله ذات الرسول : « ليتجنب الإثم كل من يسمى اسم المسيح » ، حيث يتجلون تحت تأثير نعمة الله الفعالة محققين قول الرسول « تمموا خلاصكم بخوف ورعدة ؛ لأن الله هو العامل فيكم أن تريدوا وأن تعملوا من أجل المسرة » (فى ٢ : ١٢ و ١٣) ، لذلك « لأنه قال لا أهملك ولا أتركك » ، هكذا ، على أساس هذا الوعد « نقول واثقين » :—

« الرب معين لى » :

هذه الكلمات متضمنة فى ما أنشد به المرنم ، قائلا : « « الرب لى فلا أخاف ، ماذا يصنع بى الإنسان ؟ الرب لى بين معينى وأنا سأرى بأعدائى » (مز ١١٨ : ٦ و ٧ اقرأ ع ١ — ١٨) ، وإذا درسنا هذا المزمور بإمعان وفحصناه بتدقيق يتجلى لنا فيه شخص السيد المسيح ببهاء جبل التجلى ولمعانه ومجده وعظمته (قابل) قابل ١٧ : ١ و ٢ مع مر ٩ : ١ — ٣ مع لو ٩ : ٢٨ و ٢٩ مع يو ١ : ١٤ مع ٢ بط ١ : ١٦ — ١٨) ، فإنه ، جل اسمه ، هو ذلك الشخص العجيب الذى هو محور هذا السفر والنقطة المركزية فى كل نبوات الأنبياء وموضوع جميع الكتب المقدسة .

وهذه هى الحقيقة التى أعلنها عن ذاته وأثبتها فى يوم قيامته من الأموات ؛ حيث قال لتلميذى عمواس : « أيها الغبيان والبطيئا القلوب فى الإيمان بجميع ما تكلم به الأنبياء أما كان ينبغى أن «المسيح» يتألم بهذا ويدخل إلى مجده » ؟ ثم ابتدأ من موسى ومن جميع الأنبياء يفسر لهما الأمور المختصة به فى جميع الكتب » ((لو ٢٤ : ٢٥ — ٢٧) — الأمر الذى أوضحه بمعنى أوفى لرسله الأحد عشر ، وذلك عند صعوده ؛ حيث قال لهم : « هذا هو الكلام الذى كلمتكم به وأنا بعد معكم أنه لابد أن يتم جميع ما هو مكتوب عنى فى ناموس موسى والأنبياء والمزامير » حينئذ فتح ذهنهم ليفهموا الكتب » (لو ٢٤ : ٤٤ و ٤٥ اقرأ ع ٤٤ — ٤٩) .

هكذا تعود هذا الرسول فى رسالته إلى العبرانيين أن يعيد إلى أذهانهم ما هو مكتوب فى كتبهم كما سبق أن رأيناه سائراً فى هذا الطريق فى كل الرسالة وبخاصة فى اقتباساته من كتاب المزامير (راجع شرح ص ١ : ٤ — ١٣ و ٢ : ١ — ٩ و ١٢ و ٣ : ٧ — ١١ و ١٥ و ٤ : ٣ و ٥ : ٥ و ٦ و ٧ : ١٧ — ٢١ و ١٠ : ٥ — ١٠ و ١٢) ، أما فى هذا المزمور فإننا نلمح بعض التعبيرات الخاصة التى تتصل بهذا السيد العظيم اتصالا وثيقاً .

ومن هذه التعبيرات (١) « الباب » بمقتضى النص القائل : «افتحوا لى أبواب البر ، أدخل فيها وأحمد الرب ؛ هذا الباب للرب ، الصديقون يدخلون فيه » (مز ١١٨ : ١٩ و ٢٠) ، ومن هو هذا « الباب ؟ ألا نسمعه ، له المجد ، وهو يتحدث عن نفسه؟ قائلا : « أنا هو الباب ، إن دخل بى أحد فيخلص ويدخل ويخرج ويجد مرعى » (يو ١٠ : ٩) — « باب الخراف » (اقرأ يو ١٠ : ١ — ٩) .

ومن هذه التعبيرات (٢) « الحجر » ، وذلك بمقتضى النص القائل : « الحجر الذى رفضه البناءون قد صار رأس الزاوية ؛ من قبل الرب كان هذا وهو عجيب فى أعيننا » (مز ١١٨ : ١٩ و ٢٠) ، ومن هو هذا « الحجر » ؟ هو الذى تحدث عنه بطرس الرسول مع شعب إسرائيل ، قائلا : « فليكن معلوماً عند جميعكم وجميع شعب إسرائيل أنه باسم « يسوع المسيح الناصرى » الذى صلبتموه أنتم ، الذى أقامه الله من

الأموات ، بذاك وقف هذا أمامكم صحيحاً ، هذا هو « الحجر » الذى احتقرتموه (صلبتموه وقتلتموه) أيها البناؤن الذى صار رأس الزاوية » (أع ٤ : ١٠ و ١١ اقرأ ع ٨ — ١٣) .

هذا هو « الحجر » الذى رآه الرائى زكريا وقيل عنه : « فهوذا الحجر الذى وضعته قدام يهوشع ، على حجر واحد سبع أعين » (زك ٣ : ٩) « فتفرح أولئك السبع » (زك ٤ : ١٠) — « السبع » التى رآها يوحنا الرائى « سبعة مصابيح نار متقدة هى سبعة أرواح الله » (رؤ ٤ : ٥) — الأمر الذى يرينا ذلك الحجر الذى رآه زكريا أنه هو ذاته هو الذى رآه الرائى يوحنا « خروف قائم كأنه مذبوح له سبعة قرون وسبع أعين هى سبعة أرواح الله المرسلة إلى كل الأرض » (قابل رؤ ٥ : ٦ و ١ : ٤) .

هذا هو « يسوع المسيح نفسه حجر الزاوية الذى فيه كل البناء مركباً معاً ينمو هيكلا مقدساً فى الرب » (اف ٢ : ٢٠ و ٢١ قابل إش ٢٨ : ١٦ مع زك ٤ : ٦ — ١٠ مع مت ٢١ : ٤٢ — ٤٤ مع مر ١٢ : ١٠ و ١١ مع لو ٢٠ : ١٧ و ١٨ مع رو ٩ : ٣٢ و ٣٣ مع ١ بط ٢ : ٣ — ١٠) .

ومن هذه التعبيرات (٣) « الآتى » بمقتضى النص القائل : « آه يارب خلص ! آه يارب أنقذ ! مبارك « الآتى » باسم الرب » (مز ١١٨ : ٢٥ و ٢٦) ، ومن هو هذا « الآتى » ؟ يتجلى هذا « الآتى » بشخصه العجيب ، أمام عيوننا إذا رجعنا إلى الأصل العبرى للقول : « آه يارب خلص » ! وهو بنصه « هوشيع نا » مترجماً « أوصنا » فيكون التعبير بجملته : « أوصنا مبارك الآتى باسم الرب » ، وهو صيغة الهتاف الذى هتف به جمهور الشعب « للرب » المسيح » يوم دخوله الانتصارى إلى أورشليم .

ذلك الدخول الذى رآه زكريا وتحدث عنه ، قائلا : « ابتهجى جداً يا ابنة صهيون ! اهتفى يا بنت أورشليم ! هوذا ملكك يأتى إليك — هو عادل ومنصور وديع وراكب على حمار وعلى جحش ابن أتان » (زك ٩ : ٩ اقرأ مت ٢١ : ١ — ١١ مع مر ١١ : ١ — ١٠ مع لو ١٩ : ٢٨ — ٤٠ مع يو ١٢ : ١٢ — ١٥) .

هذا هو « الآتى » الذى « إلى خاصته جاء وخاصته لم تقبله » (قابل يو ١ : ١١ مع مت ٢١ : ٣٨ — ٤٠ مع مر ١٢ : ٦ — ٨) ، هذا هو « الآتى » الذى شك فيه يوحنا المعمدان حتى أنه ، وهو فى السجن ، أرسل اثنين من تلاميذه يسألونه : « أنت هو « الآتى » أم ننتظر آخر » ؟ (قابل مت ١١ : ١ — ٦ مع ١٨ — ٢٣) .

هذا هو « الآتى » الذى إذ رأى فيه جمهور الشعب إشباعاً لبطونهم ، قالوا : « إن هذا هو بالحقيقة « النبي الآتى » إلى العالم » وأرادوا أن يختطفوه « ليجعلوه ملكاً » فانصرف عنهم ، وإذ وجدوه قال لهم : « أنتم تطلبوننى ، ليس لأنكم رأيتم آيات ؛ بل لأنكم أكلتم من الخبز فشبعتم ، اعملوا ، لا للطعام البائد ؛ بل للطعام الباقى للحياة الأبدية الذى يعطيكم ابن الإنسان ؛ لأن هذا الله الآب قد ختمه » (يو ٦ : ١٤ و ١٥ و ٢٦ و ٢٧ اقرأ ع ٥ — ٢٧ مع باقى الأصحاح) .

على هذا القياس — بل على هذا الأساس — يكون ذلك « الباب » الذى يدخله الأبرار هو ذات « الحجر » — « حجر الزاوية » — هو ذلك « الآتى » الذى يقول : « الرب معين لى » بانياً ثقته التامة على الوعد الذى أعطى « ليشوع » الذى هو « يسوع » لفظاً ومعنى ، من الآب السماوى — ذلك الوعد القائل : « لا أهملك ولا أتركك حتى أنه يقول واثقاً : « الرب معين لى » ، وفى نص المزمور يقول : « الرب لى بين معينى » (مز ١١٨ : ٧) .

أو ليس هو الذى نطق « بالكلمة النبوية » ؟ كما جاءت فى الأصل العبرى فى صيغة « به احتمى » ؟ وذلك بلسان المرنم القائل : « الرب صخرتى وحصنى ومنقذى ، إلهى صخرتى « به أحتمى » ترس وقرن خلاصى وملجأى » (مز ١٨ : ٢) ، فإن العبارة « به أحتمى » قد وردت مترجمة فى السبعينية بذات النص « أنا أكون متوكلا عليه » (صم ٢٢ : ٣ راجع شرح ص ٢ : ١٣) .

أو ليس « الاحتماء بالرب » هو ذات « التوكل عليه » ؟ كيف لا ؟ وها ذات المرنم يقول : « الاحتماء بالرب خير من التوكل على إنسان ، الإحتماء بالرب خير من التوكل على الرؤساء » (مز ١١٨ : ٨ و ٩) ، وهل ينسب إلى السيد المسيح الذى هو

باب الخراف » و « حجر الزاوية » » و الآتى باسم الرب مرسلا من السماء هل ينطبق عليه هذا الاحتماء » و « التوكل » ؟

كيف لا ؟ فهو « الذى ، إذ كان فى صورة الله ، لم يحسب خلسة أن يكون معادلا لله ، ولكنه على نفسه آخذاً صورة عبد صائراً فى شبه الناس ، وإذ وجد فى الهيئة «كإنسان » وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب » (قابل فى ٢ : ٦ — ٨ مع إش ٤٢ : ١ — ٤ و ٤٩ : ١ — ٧ و ٥٢ : ١٣ — ٥٣ : ٤ مع مت ١٢ : ١٤ — ٢١ راجع شرح ص ١٠ : ٥ — ١٠) ، فلا عجب ! بعد أن يقول الرسول ، بصيغة الجمع : «حتى أننا نقول واثقين » يورد نص القول فى صيغة المفرد ، قائلا : « الرب معين لى » : —

« فلا أخاف » :

هذه العبارة « فلا أخاف » مقتبسة ، أيضاً من ذات المزمور « الرب لى فلا أخاف » (مز ١١٨ : ٦) ، وكيف يخاف الابن وهو فى حضن أبيه متحصناً فى أمان واطمئنان ؟ (اقرأ مز ٦٩ : ١٥ مع أم ١٨ : ١٠ مع إش ٤ : ٥ و ٦) ، كيف يخاف وأبوه ممسك بيده اليمنى ؟ (مز ٧٣:٢٣) ، وهو سائر فى الطريق يتغنى مع المرنم ، قائلا : « جعلت الرب أمامى فى كل حين ؛ لأنه عن يمينى فلا أتزعزع » (مز ١٦ : ٨ اقرأ ع ٨ — ١١) .

أو ليس الخوف من ألد أعداء المحبة ؟ فلا يمكن أن يسكن معها أو ينطبق عليها ؟ لذلك يقول الرسول يوحنا : « بهذا تكملت المحبة فينا أن يكون لنا ثقة فى يوم الدين » إلى أن قال : «لا خوف فى المحبة ، بل المحبة الكاملة تطرح الخوف إلى خارج ؛ لأن الخوف له عذاب ، وأما من خاف فلم يتكمل فى المحبة » (١ يو ٤ : ١٧ و ١٨) ، لذلك « نقول واثقين « الرب معين لى فلا أخاف » : —

« ماذا يصنع بى إنسان » :

هذا النص « ماذا يصنع بى إنسان » ؟ مقتبس ، أيضاً من ذات المزمور ونصه كاملا : «من الضيق دعوت الرب فأجابنى من الرحب الرب لى فلا أخاف ماذا يصنع بى الإنسان ؟ الرب لى بين معينى وأنا سأرى بأعدائى » (مز ١١٨ : ٥ — ٧) ، ومن هو « الإنسان » ؟ تصوره لنا « الكلمة النبوية » بهذه المناسبة بالوصف الذى وصفه به السيد المسيح فى قوله « لأنه قد أحاطت بى كلاب ، جماعة من الأشرار اكتنفتنى : ثقبوا يدى ورجلى ، أحصى كل عظامى وهم ينظرون ويتفرسون فى ، يقسمون ثيابى بينهم وعلى لباسى يقترعون » (مز ٢٢ : ١٦ — ١٨) —

هذا هو « الإنسان » فى شره الذى لا يحد وفى عناده الذى لا يستقصى ، ولكنه «إنسان » — فى أقصى حدود شره ينطبق عليه القول : « ماذا يصنع بى الإنسان » ؟ لذلك بثقة تامة ، يعقب السيد المسيح ، قائلا : « أما أنت يارب فلا تبعد ! يا قوتى أسرع إلى نصرتى ، أنقذ من السيف نفسى من يد الكلب وحيدتى ، خلصنى من فم الأسد ومن قرون بقر الوحش استجب لى » (مز ٢٢ : ١٩ — ٢١ اقرأ ع ١٢ — ٢١) .

فماذا يستطيع « الإنسان » أن يصنع إزاء العناية الإلهية والرعاية الربانية « بابنه » الحبيب « الآتى » باسمه إلى العالم ؟ ألم ينقذه من شر هيرودس الملك الذى حاول قتله وهو بعد طفل صغير ؟ (انظر مت ٢ : ١٣ — ١٥ اقرأ ع ١ — ١٨ مع إر ٣١ : ١٥) .

فماذا يستطيع « إنسان » أياً كان ؟ أن يصنع بمن تشمله عناية الله وترمقه عينه الساهرة التى لا تنعس ولا تنام ؟ ويستر بستر خيمته ؟ ويظلل بظل جناحيه ؟ وإن نسينا ، لا ننسى تلك العناية الفائقة التى أحاطت بيوسف وحفظته من شر إخوته وأنقذته من أيديهم ومن شر مقاصدهم السيئة حتى تبوأ عرش مصر ليجعل لشعبه بقية فى الأرض وليستبقى لهم « نجاة عظيمة » ليحيى شعباً كثيراً (تك ٤٥ : ٧) ، وذلك إتماماً لمقاصده الأزلية الأبدية التى قصدها فى نفسه ؛ لتدبير ملء الأزمنة لمجد اسمه وتمجيد أبنائه .

هكذا حفظ حياة ابنه من كل تدبير شعب اليهود ومن شر مكايدهم حتى جاءت « ساعتهم وسلطان الظلمة » (لو ٢٢ : ٥٣) فأسلمه إلى أيديهم فصلبوه وقتلوه (قابل

يو ١٩ : ١٨ اقرأ ع ١ — ١٨ مع أع ٢ : ٢٢ و٢٣) ، على أن ذلك التسليم لم يكن إلا « بمشورة الله المحتومة وعلمه السابق » ليقيمه « ناقضاً أوجاع الموت » ويجلسه عن يمينه فى السمويات فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة وكل اسم يسمى ليس فى هذا الدهر فقط ، بل فى المستقبل أيضاً ، وأخضع كل شىء تحت قدميه وإياه جعل رأساً فوق كل شىء للكنيسة التى هى جسده — ملء الذى يملأ الكل فى الكل » (قابل أع ٢ : ٢٢ — ٣٥ مع أف ١ : ٢٠ — ٢٣) .

هكذا « ينبغى أن السماء تقبله إلى أزمنة رد كل شىء » (أع ٣ : ٢١) ، وبعد ذلك النهاية متى سلم الملك لله الآب — متى أبطل كل رياسة وكل سلطان وكل قوة ؛ لأنه يجب أن يملك حتى يضع جميع الأعداء تحت قدميه ، آخر عدو يبطل هو الموت » (اكو ١٥ : ٢٤ — ٢٦ اقرأ ع ٢٠ — ٢٨) ، بقوة هذه النصرة العجيبة وعلى أساس الثقة التامة بالوعد القائل : « لا أهملك ولا أتركك » — بهذه القوة يتغنى ، قائلا : «الرب معين لى فلا أخاف ، ماذا يصنع بى إنسان » ؟

الآن انتهينا من الكلام عن (١) « المحبة الأخوية » (ع ١ — ٣) — (٢) قدسية الزواج (ع ٤) — (٣) فضيلة الاكتفاء (ع ٥ و٦) ، وها نحن نتقدم الآن بإرشاد روح الرب إلى التحدث عن : —

(٤) الاحتذاء بالمرشدين (عب ١٣ : ٧ و ٨)

٧ أُذْكُرُوا مُرْشِدِيكُمُ ٱلَّذِينَ كَلَّمُوكُمْ بِكَلِمَةِ ٱللهِ. ٱنْظُرُوا إِلَى نِهَايَةِ سِيرَتِهِمْ فَتَمَثَّلُوا بِإِيمَانِهِمْ .
٨ يَسُوعُ ٱلْمَسِيحُ هُوَ هُوَ أَمْسًا وَٱلْيَوْمَ وَإِلَى ٱلْأَبَدِ .

فى هاتين الآيتين يتحدث الرسول إلى العبرانيين عن مرشديهم الذين قادوهم فى طريق الإيمان موجهاً نظرهم إلى سيرتهم ، وذلك فى ثلاث كلمات — هى ثلاث طلبات : (أ) « اذكروا » — (ب (« انظروا » — (حـ) « تمثلوا » ، وكأنه يبنى هذه النصيحة

المثلثة على الحقيقة الثابتة الراسخة المتضمنة فى القول الواضح : « يسوع المسيح هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد » (ع ٨) — هو هو « راعى النفوس وأسقفها » (١ بط ٢ : ٢٥) « رئيس الرعاة » (١ بط ٥ : ٤) ، بهذا التمهيد الأساسى نتقدم الآن لشرح هاتين الآيتين : —

(ع ٧) « اذكروا مرشديكم » :

يظهر من صيغة هذه الآية فى الكلام عن أولئك « المرشدين » ، وبخاصة من الكلمة « اذكروا » أن أولئك « المرشدين » لم يكونوا بموجودين فى هذه الحياة الدنيا عند كتابة هذه الرسالة ، وتتبين هذه الحقيقة جلياً بمقارنة ما جاء ، عن أولئك المرشدين فى هذه الآية ، بما جاء عن مرشدين آخرين يظهر أنهم كانوا ، بعد ، باقين فى هذه الحياة حيث أوصى بهم قائلا : « أطيعوا مرشديكم واخضعوا » (ع ١٧ انظر الشرح) « سلموا على جميع مرشديكم » (ع ٢٤ انظر الشرح) .

فمن هم أولئك المرشدون ؟ لم يذكر الرسول شيئاً عن أولئك المرشدين ، منه نتعرف على أشخاصهم ، على أن عدم ذكر شيء ، منه نتبين شخصياتهم ، لا يعنى كثيراً أو قليلا ، فإن الأمر الجوهرى هو أنهم كانوا ، يوماً ما ، بين أولئك العبرانيين معلمين ومرشدين .

ولابد أن هؤلاء المرشدين كانوا من ذوى المواهب الممتازة الخاصة التى أعطيت حينئذ « حسب قياس هبة المسيح » إذ صعد إلى العلاء سبى سبياً وأعطى الناس عطايا » « فأعطى البعض أن يكونوا رسلا والبعض أنبياء والبعض مبشرين والبعض رعاة ومعلمين ؛ لأجل تكميل القديسين لعمل الخدمة لبنيان جسد المسيح » قابل (أف ٤ : ٧ — ١٢ مع مز ٦٨ : ١٨ و ١٩ اقرأ ١ كو ١٢ : ٢٨ — ٣١) .

على أنه ليس ما يمنع أن يكون أولئك المرشدون من بين أولئك العبرانيين المتقدمين فى الكلام والتعليم والإرشاد ، ولا يبعد أنهم كانوا من الموظفين الرسميين الذين انتخبهم بولس قسوساً فى كل كنيسة (قابل أع ١٤ : ٢٣ و ٢٠ : ١٧ — ٣٥ مع ١ تى ٣ : ١ — ٧) .

هؤلاء هم المرشدون الذين يوصى الرسول بأن يذكروا ، أما ذكرهم فإنه عمل بالتلفظ بأسمائهم والتحدث عن أشخاصهم والثناء على أعمالهم ومآثرهم ، يجب الحذر من الوصول بذكرهم إلى درجة التبرك بهم والتيمن بأسمائهم والتشفع بأشخاصهم والتعبد لهم ، فإنه ، مع هذا الذكر يجب أن لا ننسى أنهم بشر وليس لهم البتة أن يشغلوا مكان الوسيط بين الله والناس — العمل المختص بالسيد المسيح دون سواه ، وذلك بمقتضى النص الصريح القائل : « لأنه يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس « الإنسان يسوع المسيح » الذى بذل نفسه فدية لأجل الجميع » (١ تى ٢ : ٥ و ٦) ، إذاً كيف يكون ذكر أولئك المرشدين ؟ هذا سيأتى أمامنا فى شرح « انظروا » و « تمثلوا » ، أما الآن فيكفى ما جاء فى شرح الكلمة « اذكروا مرشديكم » : —

« الذين كلموكم بكلمة الله » :

يحدثنا البشير لوقا عن « الأمور المتيقنة » التى سلمها إليهم أولئك « الذين كانوا ، منذ البدء ، معاينين وخداماً للكلمة » (لو ١ : ١ و ٢) — أولئك الذين اختارهم السيد المسيح فى بدء خدمته « ليكونوا معه وليرسلهم ليكرزوا » (مر ٣ : ١٤) — أولئك هم تلاميذه الإثنا عشر الذين دعاهم و « أعطاهم قوة وسلطاناً على جميع الشياطين وشفاء أمراض . وأرسلهم ليكرزوا بملكوت الله ويشفوا المرضى » (لو ٩ : ١ و ٢) .

فى زمرة أولئك التلاميذ الذين اختارهم السيد المسيح وأرسلهم ليكرزوا يدخل الرسول بولس الذى ، فى هذا الصدد ، تحدث عن نفسه ، قائلا : « لما سر الله الذى أفرزنى من بطن أمى ودعانى بنعمته — لما سره — « أن يعلن ابنه فىَّ لأبشر بين الأمم » — للوقت لم أستشر لحماً » (انظر شرح غل ١ : ١٥ و ١٦ للمؤلف اقرأ ع ١١ — ١٧ مع أع ٩ : ١٠ — ١٦ و ٢٢ : ٦ — ١٥ و ٢٦ : ١٢ — ١٨) .

أولئك هم الرسل الذين يصدق عليهم قول الرسول بطرس عن السيد المسيح : « هذا أقامه الله فى اليوم الثالث وأعطى « أن يصير ظاهراً » ليس لجميع الشعب ؛ بل بل لشهود سبق الله فانتخبهم . لنا نحن الذين أكلنا وشربنا معه بعد قيامته من الأموات »

(أع ١٠ : ٤٠ و ٤١ اقرأ ع ٣٤ – ٤٣) – أولئك هم الذين كانوا معاينين وخداماً للكلمـــة .

على أن البشير لوقا يعود فيكتب فى هذا الصدد « للعزيز ثاوفيلس » قائلا : « رأيت أنا ، أيضاً ، إذ قد تتبعت كل شيء من الأول بتدقيق ، أن أكتب على التوالى إليك – أيها العزيز ثاوفيلس ؛ لتعرف صحة الكلام الذى علمت به » (لو ١ : ٣ و ٤) ، فقد كان هنالك تلاميذ متتبعين للذين كانوا « معاينين وخداماً للكلمة » ومنهم أيضاً هذا البشير « لوقا » الذى ورد اسمه تحت لقب « لوقا الطبيب الحبيب » .

فقد كان « لوقا » واحداً من العاملين مع الرسول بولس ويظهر أنه كتب بشارته تحت إرشاده ، كما كتب سفر الأعمال أيضاً (كو ٤ : ١٤) ، ومن أولئك العاملين أيضاً فيبى وبريسكلا وأكيلا وأربانوس وتيموثاوس (رو ١٦ : ١ و ٣ و ٩ و ٢١) وأفودية وسنتيخى وأكليمندس وأبفرودتس (فى ٤ : ٢ و ٣ و ١٨) وتيخكس وأرسترخس ومرقس ويسوع المدعو يسطس وأبفراس وديماس (كو ٤ : ٧ و ١٠ – ١٢ و ١٤ مع ٢ تى ٤ : ١٧ مع فل ٢٥) .

وليس أمراً غريباً أن يكون بعض هؤلاء الخدام من السبعين الذين اختارهم السيد نفسه وفى أثناء خدمته على الأرض « وأرسلهم اثنين اثنين أمام وجهه إلى كل مدينة وموضع حيث كان هو مزمعاً أن يأتى » (لو ١٠ : ١) فواصلوا خدمتهم بعد صعوده ، وبخاصة بين العبرانيين ؛ إذ كانوا هم ، ولابد ، من اليهود ، وسواء أكانوا هؤلاء أم أولئك فالعبرة بما وصفهم به الرسول هنا فى قوله : « اذكروا مرشديكم الذين كلموكم بكلمة الله » .

أما « كلمة الله » فهى الأصل هو ذلك الشخص العجيب الذى قال عنه البشير يوحنا : « فى البدء كان « الكلمة » والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله ، هذا كان فى البدء عند الله ، كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان ، فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس » (يو ١ : ١ – ٤) ، هذا هو « الكلمة » الذى كان – أولئك الخدام – « معاينين » إياه ؛ كما قال البشير يوحنا ، أيضاً ، فى رسالته :

« الذى كان من البدء — الذى سمعناه — الذى رأيناه بعيوننا — الذى شاهدناه ولمسته أيدينا من جهة كلمة الحياة » مثبتاً بأنه هو « الحياة الأبدية » التى « كانت عند الآب وأظهرت » (اقرأ ١ يو ١ : ١ — ٤) .

وفى رؤياه رآه « الجالس على فرس أبيض » و « يدعى أميناً وصادقاً وبالعدل يحكم ويحارب وعيناه كلهيب نار وعلى رأسه تيجان كثيرة ، وله اسم مكتوب وليس أحد يعرفه إلا هو ، وهو متسربل بثوب مغموس بدم ويدعى اسمه كلمة الله » (رؤ ١٩ : ١١ — ١٣) .

فلا عجب ! أن يراه ذات الرائى « وسيف ماض ذو حدين يخرج من فمه » (رؤ ١ : ١٦) ، وذلك كما وصفه رسول العبرانيين ، قائلا : « لأنه كلمة الله حية وفعالة وأمضى من كل سيف ذى حدين وخارقة إلى مفرق النفس والروح والمفاصل والمخاخ ومميزة أفكار القلب ونياته » ولكنه واصل الكلام منتقلا من صيغة المؤنث إلى إلى صيغة المذكر فقال : « وليست خليقة غير ظاهرة قدامه ؛ بل كل شىء عريان ومكشوف لعينى ذلك الذى معه أمرنا » (راجع شرح ص ٤ : ١٢ و ١٣) .

فالكرازة ، فى حقيقتها ، هى كرازة السيد المسيح « كلمة الله » ، وهى فى ذات الوقت كرازة بالكلمة التى جاء النص عنها : « شاء فولدنا « بكلمة الحق » لكى نكون باكورة من خلائقه » (يع ١ : ١٨) ، كما قيل ، أيضاً : « مولودين ثانية لا من زرع يفنى ؛ بل مما لا يفنى « بكلمة الله الحية الباقية إلى الأبد » (١ بط ١ : ٢٣ اقرأ ع ٢٢ — ٢٥ مع إش ٤٠ : ٦ — ٨) ، هذه هى « الكلمة » التى كلم بها العبرانيين مرشدوهم — الذين يوصى بهم الرسول ، قائلا : « اذكروا مرشديكم الذين كلموكم بكلمة الله » : —

« انظروا إلى نهاية سيرتهم » :

هذه هى الكلمة الثانية من الواجب المثلث الذى يضعه الرسول على قلب أولئك العبرانيين نحو مرشديهم الذين كلموهم « بكلمة الله » ، فبعد أن تحدث معهم عن واجب

الذكر المتعلق بالذاكرة — وهى قوة فى الذهن الباطن — خرج بهم من الأذهان إلى البيان — إلى النظر الذى هو حاسة العيان فى الإنسان .

على أن النظر ، وإن كان هو البصر عند عامة الناس ، إلا أنه ، عند خواصهم ، هو البصيرة (علم النظر والاستدلال) ، وهو تفكر الإنسان فى طريقه غير الواضح لاستيضاحه لكى يكون ، بطريقه ، عليماً وخبيراً . فالنظر ، والحالة هذه هو البصر والبصيرة ، فلابد أن الرسول وهو يحفز العبرانيين للقيام بواجب النظر إلى « نهاية سيرة مرشديهم » كان يقصد الأمرين معاً ، فتكون الرؤية لا مجرد العيان فحسب ؛ بل العلم والخبرة بما يرونه فى نهاية سيرة أولئك المرشدين .

أما « السيرة » فى لفظها ومعناها ، فقد ورد ذكرها مشروحة فى الوصية القائلة : « لتكن سيرتكم بخالية من محبة المال » (راجع شرح ع ٥) ، والآن أمامنا أن نصل إلى « نهاية » تلك السيرة — سيرة أولئك « المرشدين » الذين كلموهم « بكلمة الله » بمقتضى الوصية القائلة : « انظروا إلى نهاية سيرتهم » .

وكأننا بالرسول ، وهو يرى تلك النهاية المباركة التى انتهت إليها حياة أولئك المرشدين الأمناء ، وذلك بالمقارنة مع النهاية غير المرضية التى انتهت إليها حياة بعض آخرين — تلك النهاية التى عبر عنها ذات الرسول فى قوله لابنه تيموثاوس : « بادر أن تجىء إلىّ سريعاً ؛ لأن ديماس » قد تركنى إذ أحب العالم الحاضر » (قارن ٢تى٤ : ٩ و ١٠ مع كو٤ : ١٤ وفل ٢٤) .

وكم ذرف الدموع باكياً ! بسبب « نهاية » سيرة آخرين لم يثبتوا فى خدمة الكلمة وفى حق الإنجيل فقال عنهم : « لأن كثيرين يسيرون ممن كنت — أذكرهم لكم مراراً والآن أذكرهم ، أيضاً ، باكياً وهم أعداء صليب المسيح — الذين « نهايتهم » الهلاك — الذين إلههم بطنهم ومجدهم فى خزيهم — الذين يفتكرون فى الأرضيات » (فى ٣ : ١٨ و ١٩) .

وما أعظم الفرق بين مثل هذه النهاية المشئومة وبين تلك النهاية المباركة التى عبرّ عنها بقوله لأهل فيلبى : « متمثلين بى معاً أيها الإخوة ! ولاحظوا الذين يسيرون هكذا

كما نحن عندكم قدوة » (فى ٣ : ١٧ اقرأ ع ١٧ و ٢٠ و ٢١) ، هكذا كانت النهاية المباركة لسيرة أولئك المرشدين الذين كلموا العبرانيين بكلمة الله ثابتين فى الحق الإلهى أمناء حتى الموت ، ينطبق عليهم قول الرب لملاك كنيسة سميرنا : « كن أميناً إلى الموت فسأعطيك إكليل الحياة » (رؤ ٢ : ١٠) .

كانت « نهاية سيرتهم » مباركة بالرغم من شدة التجارب والبلايا المحرقة والآلام الكثيرة التى كانت لأولئك العبرانيين فى تلك الأيام (راجع شرح ص ١٠ : ٣٢ — ٣٧) وذلك إتماماً للوعد الإلهى القائل : « لم تصبكم تجربة إلا بشرية ، ولكن الله أمين الذى لا يدعكم تجربون فوق ما تستطيعون ؛ بل سيجعل مع التجربة ، أيضاً « المنفذ » لتستطيعوا أن تحتملوا (١ كو ١٠ : ١٣) ، هكذا كانت نهاية أولئك المرشدين الذين يوصى بهم الرسول ، قائلا : « اذكروا مرشديكم الذين كلموكم بكلمة الله ، انظروا إلى نهاية سيرتهم » : —

« فتمثلوا بإيمانهم » :

(أ) « اذكروا » ، (ب) « انظروا » ، (جـ) « فتمثلوا » . ثلاث كلمات هى ثلاث طلبات يطلبها الرسول من أولئك العبرانيين بشأن مرشديهم «الذين كلموهم بكلمة الله » — فى الطلبة الثالثة منها يظهر حرف الفاء — فاء النتيجة حيث يقال « فتمثلوا » ، وذلك على اعتبار أن هذه الكلمة الثالثة إنما هى نتيجة حتمية للكلمتين الأوليين ، ناشئة عن الذكر والنظر مبنية على أساسهما ، ولماذا « يذكرون » مرشديهم ؟ ولماذا « ينظرون » إلى نهاية سيرتهم ؟ إلا لكى « يتمثلوا » بهم ؟

أما التمثيل ، لغة ، فله معان كثيرة منوعة ، تختص القرينة فى الكلام الذى أمامنا بمعنى معين من تلك المعانى ؛ حيث يقال مثل الشىء بالشىء — تمثيلا وتمثالا أى سواه وشبهه به وجعله مثله مشابهاً له نظيره على حد سوى لا تفاوت بينهما ، فالتمثيل فن جميل فيه يلبس الممثل لباس من يمثله ليظهره أمام الناظرين الذين لم يروه فى صورته الأصلية وطبيعته الحقيقية — فن يستلزم عمقاً وقوة يبرز فيهما الممثل صورة من يمثله

أمام العيون فى صورته الأصلية « فتمثلوا » بمرشديكم وبسيرتهم ، يحمل فى طياته شهادة ما أجملها لأولئك المرشدين فى سيرتهم الممتازة .

على أن الرسول فى نصيحته المثلثة المتضمنة فى القول : « اذكروا » « انظروا » « فتمثلوا » يركز هذه الثلاثية فى التمثيل بالمرشدين بالنسبة إلى « إيمانهم » — ذلك « الإيمان الأقدس » الذى أشار إليه يهوذا للذين يكتب إليهم ، قائلا : « أما أنتم أيها الأحباء ! فابنوا أنفسكم على « إيمانكم الأقدس مصلين فى الروح القدس » — « الإيمان » — « واحفظوا أنفسكم فى محبة الله » — « المحبة » — « منتظرين رحمة ربنا يسوع المسيح للحياة الأبدية » — « الرجاء » (يه ٢٠ و ٢١) ، ثلاثية هى « الإيمان والرجاء والمحبة » تبدأ « بالإيمان » مقرونة « بالرجاء » (١كو ١٣ : ١٣) ، « وأما الإيمان فهو الثقة بما يرجى والإيقان بأمور لا ترى » (راجع شرح ١١ : ١) .

فلاعجب أن يختم يهوذا ، أيضاً ، رسالته بالقادر أن يحفظكم غير عاثرين ويوقفكم أمام مجده بلا عيب فى الابتهاج — الإله الحكيم الوحيد مخلصنا له المجد والعظمة والقدرة والسلطان الآن وإلى كل الدهور آمين» (يه ٢٤ و ٢٥) .

هذا هو « الإيمان الأقدس الذى حفظ الثلاثة الفتيان — شدرخ وميشخ وعبدنغو — فى شدة التجربة الشيطانية ، من أن يتعبدوا لتمثال الذهب — ذلك الإيمان الذى برز فى تصميمهم حين قالوا : « هوذا يوجد إلهنا الذى نعبده يستطيع أن ينجينا من أتون النار المتقدة وأن ينقذنا من يدك أيها الملك ! وإلا فليكن معلوماً لك أيها الملك ! أننا لا نعبد آلهتك ولا نسجد لتمثال الذهب الذى نصبته » (دا ٣ : ١٧ و ١٨) ، هـــذا هو ذات الإيمان بابن الله الذى ظهر معهم فى وسط النار — الذى حلهم من وثقهم فكانوا معه يتمشون فى وسط النار وما بهم ضرر « ولم تكن للنار قوة على أجسامهم وشعرة من رؤسهم لم تحترق وسراويلهم لم تتغير ورائحة النار لم تأت عليهم » (اقرأ دا ٣ : ٢٠ — ٢٧) .

هذا هو الإيمان الذى حفظ دانيال متمسكاً بعبادة إلهه بالرغم من النهى الذى أثبتته شريعة مادى وفارس التى لا تنسخ « بأن كل من يطلب طلبة حتى ثلاثين يوماً من إله

أو إنسان » إلا من الملك داريوس « يطرح فى جب الأسود » (اقرأ دا ٦ : ٤ — ١٠) — الإيمان الذى زلزل السماء فأرسلت ملاكها القدير فسد أفواه الأسود فلم تضره بشىء ما (اقرأ دا ٦ : ١١ — ٢٢) .

فى كل هذه الأمثلة ، ألا نرى قوة إيمان أولئك « المرشدين » الذين ، فى كل ما اعترضهم فى طريق خدمتهم الكلمة الله — من بلايا وتجارب محرقة — تم فيهم القول : « لم تصبكم تجربة إلا بشرية » ولكن الله أمين — الذى لا يدعكم تجربون فوق ما تستطيعون ؛ بل سيجعل مع التجربة ، أيضاً ، المنفذ لتستطيعوا أن تحتملوا » (١ كو ١٠ : ١٣) : هذا يأتى بنا إلى : —

(ع ٨) « يسوع المسيح » :

هذا هو « رئيس الإيمان ومكمله » الذى ، إلى شخصه المبارك ، وجه الرسول نظر « المحاضرين بالصبر ، فى الجهاد الموضوع أمامهم » قائلا : « ناظرين إلى رئيس الإيمان ومكمله يسوع — الذى من أجل السرور الموضوع أمامه ، احتمل الصليب مستهيناً بالخزى فجلس فى يمين عرش الله » حاثاً إياهم بالقول : « فتفكروا فى الذى احتمل ، من الخطاة ، مقاومة لنفسه مثل هذه لئلا تكلوا وتخوروا فى نفوسكم (راجع شرح ص ١٢ : ١ — ٣) .

هذا هو « رئيس الإيمان » الحقيقى الذى يجب أن يتمثل بإيمانه جميع المؤمنين ، وهل يطابق هذا الكلام ما قاله ذات الرسول ، عن نفسه ، فى هذا الصدد : « كونوا متمثلين بى كما أنا ، أيضاً ، بالمسيح » ؟ (١ كو ١١ : ١) ، وهل يقصد أن يكون فى إيمانه متمثلا « بالمسيح » فى إيمانه ؟ وذلك بمقتضى البيان الذى أعلنه فى قوله الصريح : « مع المسيح صلبت فأحيا ، لا أنا ، بل المسيح يحيا فىّ ، فما أحياه الآن فى الجسد فإنما أحياه فى « الإيمان » — « إيمان ابن الله » الذى أحبنى وأسلم نفسه لأجلى » ؟ (غل ٢ : ٢٠ انظر شرح غل ٢ : ١٦ — ٢٠ للمؤلف) .

وهل يمكن أن نتمثل فى إيماننا « برئيس الإيمان ومكمله يسوع » ؟ كيف لا ؟

وللنظر إليه قوة فعالة فى نفس الناظرين ، عبر عنها ذات الرسول ، قائلا : « ونحن جميعاً — ناظرين مجد الرب . . . كما فى مرآة — نتغير إلى تلك الصورة عينها من مجد إلى مجد كما من الرب الروح » (٢ كو ٣ : ١٨) .

وفى هذا المجد الفائق نصل إلى سمو القصد الذى قصده السيد المسيح ، فى قوله : « لكى تكونوا أبناء أبيكم الذى فى السموات » إلى أن قال : « فكونوا أنتم كاملين كما أن أباكم الذى فى السموات هو كامل » (اقرأ مت ٥ : ٤٣ — ٤٨) ، ولعل على هذا الأساس يقول الرسول أيضاً : « كونوا متمثلين بالله كأولاد أحباء ، واسلكوا فى المحبة كما أحبنا المسيح أيضاً وأسلم نفسه لأجلنا — قرباناً وذبيحة لله — رائحة طيبة » (أف ٥ : ١ و ٢) ، على هذا النحو يقول الرسول بطرس ، مقتبساً من الكلمة النبوية : « نظير القدوس الذى دعاكم كونوا أنتم أيضاً قديسين فى كل سيرة ؛ لأنه مكتوب ، كونوا قديسين لأنى أنا قدوس » (١ بط ١ : ١٥ و ١٦ قابل لا ١١ : ٤٤ و ٤٥ و ١٩ : ٢ و ٢٠ : ٧) ، هكذا يبنى الرسول نصيحته المثلثة لأولئك العبرانيين فى القول : « اذكروا مرشديكم » ، «انظروا إلى نهاية سيرتهم » ، « فتمثلوا بإيمانهم» إلى أن يصل إلى القائد الأعلى والمرشد الأمين ؛ كما لو أنه يقول : « اذكروا .. انظروا . . فتمثلوا » بإيمان « يسوع المسيح » .

أما « يسوع » فهو فى اليونانية « إيسوس » وفى العبرية « يشوع » ومعناه كما نص عنه الملاك جبرائيل يوم البشارة بالحبل به ، واضحاً فى قوله لأمه « العذراء المخطوبة ليوسف» « ها أنت ستحبلين وتلدين ابناً وتسمينه يسوع » (لو ١ : ٣١ اقرأ ع ٢٦ — ٣١) ، والملاك الذى ظهر ليوسف بعد ذلك أعلن معنى هذا الاسم « يسوع » فى قوله له : « يا يوسف ابن داود ! لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك ؛ لأن الذى حبل به فيها هو من الروح القدس ؛ فستلد ابناً وتدعو اسمه يسوع ؛ لأنه يخلص شعبه من خطاياهم (مت ١ : ٢٠ و ٢١ اقرأ ع ١٨ — ٢١) .

فالاسم « يسوع » معناه « مخلص » كما نص عنه أيضاً الملاك الذى بشر بولادته ؛ حيث قال : « ولد لكم اليوم ، فى مدينة داود « مخلص » (يسوع) هو المسيح الرب »

(لو ٢ : ١١ اقرأ ع ٨ — ١١) ، ولعل هذا هو الشخص العجيب الذى كان يتجلى بالروح القدس أمام يعقوب فى شيخوخته وهو يبارك أولاده فيراه عجيباً للخلاص ، فنيطق بمثله القائل : « لخلاصك انتظرت يارب » (تك ٤٩ : ١٨) .

ومن أعجب المقارنات تلك المقارنة التى يتفق فيها إشعياء مع الملاك المبشر بالولادة فإذ يقول إشعياء : « يولد لنا ولد ونعطى ابناً » يقول الملاك « ولد لكم اليوم » (قابل إش ٩ : ٦ مع لو ٢ : ١١) وهل نرى ذات المعنى فى اسم الرائى إشعياء الذى رأى العذراء « تلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل » ؟ (قابل إش ٧ : ١٤ مع مت ١ : ٢٣) .

هل نرى فى اسمه « يشع ياه » (يخلص ياه — يهوه) ذات المطابقة مع اسم « يسوع » الذى « يخلص شعبه من خطاياهم » ؟ فلا عجب أن نسمعه يتغنى منشداً ، قائلا : « هوذا الله « خلاصى » فأطمئن ولا أرتعب ؛ لأن « ياه يهوه » قوتى وترنيمتى وقد صار لى خلاصاً » ، فتستقون مياهاً بفرح من ينابيع الخلاص » (إش ١٢ : ٢ و ٣ اقرأ كل النشيد ع ١ — ٦) ، وكيف لا ينشد بالخلاص العجيب ! بعد أن رآه مولوداً « عجيباً مشيراً إلهاً قديراً أباً أبدياً رئيس السلام ، لنمو رياسته وللسلام لا نهاية (قابل إش ٩ : ٦ و ٧ مع لو ١ : ٣١ — ٣٣) .

هذا هو « يسوع الذى يدعى المسيح » (مت ١ : ١٦) — « المسيح الرب » (لو ٢ : ١١) — المسيح الملك « من نسل داود » (قابل ٢ تى ٢ : ٨ مع رو ١ : ٣ مع مت ١ : ١) الذى « يعطيه الرب الإله كرسى داود أبيه ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ولا يكون لملكه نهاية » (لو ١ : ٣٢ اقرأ مز ٢ : ٧ — ١٢ و ٤٥ : ٦ — ٩ و ٨٩ : ١٩ — ٢٩ و ١١٠ : ١ — ٣ و ١٤٥ : ١٠ — ١٣ راجع شرح ص١ : ٣—١٤)

على أن هذا المسيح الملك هو أيضاً ذات المسيح الكاهن ، وهكذا رآه الرائى زكريا فقال بلغة الرؤيا الواضحة : « هوذا الرجل « الغصن اسمه » ومن مكانه ينبت ويبنى هيكل الرب — فهو يبنى هيكل الرب ، وهو يحمل الجلال ويجلس ويتسلط على كرسيه (ملكاً) — ويكون كاهناً على كرسيه وتكون مشورة السلام (نبياً) بينهما كليهما » (بين الملكوت والكهنوت) — ملكاً ونبياً وكاهناً (زك ٦ : ١٢ و ١٣ راجع

شرح ص ٥ : ٥ – ١٠) ، هذا هو «يسوع المسيح» المخلص والملك والكاهن – «يسوع المسيح» : –

« هو هو » :

لعل هذا التعبير « هو هو » مأخوذ من ذلك الاسم الذى ذكره الملاك يوم ظهوره لموسى فى « العليقة » (سيناء) (مز ٦٨ : ١٧) فى « جبل الله حوريب » (خر ٣ : ١ – ٤) ، ليرسله إلى بنى إسرائيل فى مصر ليقول لهم « أهيه » أرسلنى إليكم » – « يهوه إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب أرسلنى إليكم ، هذا اسمى إلى الأبد وهذا ذكرى إلى دور فدور » (خر ٣ : ١٤ و ١٥) .

هذا الاسم « أهيه » أو « يهوه » هو فى الأصل العبرى فعل – هو فعل الكينونة « هايا » وقد ورد هنا فى صيغة المضارعة للغائب ، أما فى صيغة المتكلم فيمكن أن يعبر عنه بالقول : « أنا هو » ، وقد أثبت السيد المسيح ، باستعماله هذه الصيغة ، بأنه « هو » ذلك الملاك – « ملاك العهد » – الذى ظهر لموسى فى العليقة فى جبل الله حوريب ، وذلك يوم أتى ماشياً على البحر فى الهزيع الرابع من الليل فرآه تلاميذه وفزعوا ؛ فقال لهم : « تشجعوا « أنا هو » (أهيه) « لا تخافوا » (مت ١٤ : ٢٧) .

هكذا صرح لليهود ، قائلا : « إن لم تؤمنوا أنى أنا هو » (أهيه) تموتون فى خطاياكم » (يو ٨ : ٢٤) ، وبهذا المعنى عينه يقول ، أيضاً لليهود : « متى رفعتم ابن الإنسان « فوق الصليب » فحينئذ تفهمون أنى « أنا هو » (أهيه) (يو ٨ : ٢٨) ، هذه هى صيغة المتكلم – صيغة فعل المضارعة « أهيه » – فعل الكينونة الذى تحدث به ، أيضاً ، ذلك الشخص العجيب مع اليهود ، قائلا : « أبوكم إبراهيم تهلل بأن يرى يومى فرأى وفرح » فلما سألوه قائلين : « ليس لك خمسون سنة بعد أفرأيت إبراهيم » ؟ أجابهم ، قائلا : « قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن » ((يو ٨ : ٥٦ – ٥٨) ، هـــذا هو الفعل « أهيه » (أنا هو) – فعل الهوية والكينونة للمتكلم .

أما الصيغة التى أمامنا فى هذه الآية « هو هو » فهى صيغة المضارعة للغائب لا – « أهيه » بل « يهوه » – فعل المضارعة للغائب ، وقد سبق الكلام أنها فعل الكينونة ،

وإذا رجعنا إلى الأصل العبرى « هايا » فى بدء الخليقة نجد القول : « وقال الله « يهى أور » ، ليكن نور « فيهى أور » فكان نور » (تك ١ : ٣) ، وهكذا يتجلى فعل الكينونة إلى أن يصير علماً لاسم الكائن الأعلى الذى هو كائن قبل الكون وبه كون الكون أو كما قال البشير يوحنا عنه : « كان فى العالم » (كائناً) « وكون العالم به » (مكوناً) « ولم يعرفه العالم » (مكوناً) (يو ١ : ١٠ اقرأ ٩ و ١٠) ، هذا هو الذى يقول عنه الرسول هنا « يسوع المسيح هو هو : —

« أمساً واليوم وإلى الأبد » :

« أمساً » كان فى الماضى ، « اليوم » كائن فى الحاضر ، « إلى الأبد » يكون فى المستبقل ، أو كما عبر عنه الوحى المقدس بالقول : « الكائن والذى كان والذى يأتى » (رؤ ١ : ٤ و ٨) « فهو هو » الكائن « أمساً واليوم وإلى الأبد » لا يحده زمان أو مكان .

بهذا المعنى يتقدم إليه موسى ، قائلا : « يارب ! ملجأ كنت لنا فى دور فدور ، من قبل أن تولد الجبال أو أبدأت الأرض والمسكونة — « منذ الأزل إلى الأبد » — أنت الله » (مز ٩٠ : ١ و ٢) ، وهل نسمعه — علا اسمه وجل جلاله — هل نسمعه يتحدث عن نفسه ، قائلا : « من فعل وصنع ، داعياً الأجيال من البدء ؟ أنا « يهوه » ومع الآخرين أنا هو » (هو هو) (إش ٤١ : ٤) « قبلى لم يصور إله وبعدى لا يكون » (إش ٤٣ : ١٠) .

هذا هو « رئيس الإيمان ومكمله — يسوع » — « يسوع المسيح هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد » ، هذا هو المرشد الأعلى والقائد الأحرى بأن نقتدى به — الذى يصدق عليه ، بصورة أمجد وأسمى ، النصح الرسولى : « اذكروا مرشديكم الذين كلموكم بكلمة الله . انظروا إلى نهاية سيرتهم فتمثلوا بإيمانهم » . وهذا يأتى بنا إلى : —

(٥) نعمة التثبيت فى التعليم الصحيح (عب ١٣ : ٩ — ١٦)

بعد ما بين الرسول فى الآيتين السابقتين (ع ٧ و ٨) واجب العبرانيين فى موقفهم إزاء مرشديهم الذين كلموهم بكلمة الله » وكرزوا لهم بالمسيح الذى به آمنوا ،

وقدموه لهم ليؤمنوا هم أيضا به ، وبعد أن بنى هذا الواجب على أساس السيد المسيح المرشد الأمين — « الشاهد الأمين الصادق » — الذى « هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد » — لا يأتيه تغيير ولا يشوبه تبديل — بعد كل ذلك يتقدم الآن ليبين نعمة التثبيت فى التعليم الصحيح وموقف أولئك العبرانيين منه — مبيناً ذلك فى طريقتين (أ) سلباً (ع ٩-١٢) (ب) إيجاباً (ع ١٣ — ١٦) ، فلنتقدم الآن إلى شرح هذه الوصية الخامسة : —

نعمة التثبيت فى التعليم الصحيح (أ) سلباً (عب ١٣ : ٩ — ١٢)

٩ لَا تُسَاقُوا بِتَعَالِيمَ مُتَنَوِّعَةٍ وَغَرِيبَةٍ لِأَنَّهُ حَسَنٌ أَنْ يُثَبَّتَ
ٱلْقَلْبُ بِالنِّعْمَةِ لَا بِأَطْعِمَةٍ لَمْ يَنْتَفِعْ بِهَا ٱلَّذِينَ تَعَاطَوْهَا . ١٠ لَنَا
مَذْبَحٌ لَا سُلْطَانَ لِلَّذِينَ يَخْدِمُونَ ٱلْمَسْكَنَ أَنْ يَأْكُلُوا مِنْهُ ١١ فَإِنَّ
ٱلْحَيَوَانَاتِ ٱلَّتِى يُدْخَلُ بِدَمِهَا عَنِ ٱلْخَطِيَّةِ إِلَى ٱلْأَقْدَاسِ بِيَدِ
رَئِيسِ ٱلْكَهَنَةِ تُحْرَقُ أَجْسَامُهَا خَارِجَ ٱلْمَحَلَّةِ . ١٢ لِذٰلِكَ يَسُوعُ
أَيْضًا لِكَيْ يُقَدِّسَ ٱلشَّعْبَ بِدَمِ نَفْسِهِ تَأَلَّمَ خَارِجَ ٱلْبَابِ .

بدأ الرسول وصاياه العملية الختامية فى هذا الأصحاح « بالمحبة الأخوية » تثبيتاً للأخاء فى المسيح ، ثم دخل إلى البيت العائلى ليرى الحياة الزوجية فى طهارتها ونقاوتها ، ولم ينس نعمة الاكتفاء اللازمة لكل فرد فى المعيشة اليومية على أساس الثقة بالوعد الأبوى المقدس القائل : « لا أهملك ولا أتركك » ، إلى أن حلق بالمؤمنين إلى سماء كلمة الله الحية وإلى الواجب نحو المرشدين الذين يتكلمون بها ، حتى وصل بهم إلى « الإله الحق والحياة الأبدية » — « يسوع المسيح » الذى « هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد »

وها هو الآن يحذر تحذيراً قوياً ضد كل ما يقف فى طريق هذا السمو المبارك من التعاليم المتنوعة والغريبة ، وبخاصة ضد ما يتصل ، من تلك التعاليم ، بالأطعمة والأشربة ليرتفع بأفكارهم إلى خبز الحياة الأبدية — محذراً من كل ذلك بما كان جارياً فى العهد الموسوى — محذراً المؤمنين من العودة إليه ، مبتدئاً بالقول : —

(ع ٩) «لا تساقوا» :

نهى يرسم أمامنا صورة تمثل إناساً جهلاء بلداء «مثل الغنم للهاوية يساقون ، الموت يرعاهم ويسودهم المستقيمون ، غداة وصورتهم تبلى ، الهاوية مسكن لهم» و «إنسان في كرامة ولا يفهم يشبه البهائم التي تباد» (مز ٤٩ : ١٤ و ٢٠ اقرأ ع ١٠ — ٢٠) .

وليس من الغريب أن تصل هذه الصورة إلى درجة نرى فيها ذلك الإنسان الذى تخطفه الشياطين وتسوقه «وقد ربط بسلاسل وقيود محروساً ، وكان يقطع الربط و «يساق» من الشيطان إلى البرارى» (لو ٨ : ٢٩ اقرأ ع ٢٧ — ٢٩ مع مت ٨ : ٢٨ — ٣٢ مع مر ٥ : ١ — ١٣) — إنساناً «ينقطع عن خيمته ، عن اعتماده ، ويساق إلى ملك الأهوال» ، «يدفع من النور إلى الظلمة ومن المسكونة يطرد» (أى ١٨ : ١٤ و ١٨ اقرأ ع ١٤—٢١) ، فالمساقون جهلاء يصلون مساقين ، وهم لا يدرون ، إلى هاوية سحيقة ، فما أحوجنا إلى النهى «لا تساقوا» : —

«بتعاليم متنوعة وغريبة» :

«التعاليم المتنوعة والغريبة» التى يشير إليها الرسول هى ، ولابد ، تعاليم مخالفة لما علم به أولئك «المرشدون» الذين سبق الكلام عنهم (راجع شرح ع ٧) ، وبالتالى هى تعاليم مخالفة ، ولابد ، كل المخالفة لتعاليم الرب «يسوع المسيح» ذاته (راجع شرح ع ٨) .

والرسول — بوصف كونه مرسلا من الله وملهماً ومقاداً بروحه القدوس — يعرف حقيقة هذه التعاليم الغريبة التى دخلت إلى الكنيسة فى زمانه وأفسدت أذهان المؤمنين وكادت أن تصل بهم إلى شر «الارتداد» الذى تحدث إليهم عنه سابقاً ، فى قوله : «أما البار فبالإيمان يحيا ، وإن ارتد لا تسر به نفسى» (راجع شرح ص ١٠ : ٣٧ — ٣٩) .

فقد كان شبح هذا الارتداد المخيف يخيم على أولئك المؤمنين بسبب المعلمين الكذبة الذين دخلوا خلسة فى الكنيسة حينئذ ، وقد نوه الرسول عنه مراراً فى رسائله على

اعتبار أنهم « رسل كذبة فعلة ماكرون — مغيرون شكلهم إلى شبه رسل المسيح ، ولا عجب ! لأن الشيطان نفسه يغير شكله إلى شبه ملاك نور » (٢كو ١١ : ١٣ و ١٤ اقرأ تك ٣ : ١ — ٧ انظر شرح غل ٥ : ١٠ — ١٢ للمؤلف) .

هذه التعاليم « المتنوعة والغريبة » أشار إليها الرسول بطرس بوصف كونها « بدع هلاك » قام ، فى الشعب ، أنبياء كذبة ومعلمون كذبة يدسونها « وإذ هم ينكرون الرب الذى اشتراهم يجلبون على أنفسهم هلاكاً سريعاً وسيتبع كثيرون تهلكاتهم — الذين ، بسببهم ، يجدف على طريق الحق » (اقرأ ٢ بط ٢ : ١ و ٢ مع ١ تى ٤ ، ١ و ٢ مع ١ يو ٢ : ١٨ و ١٩ و ٤ : ١ — ٣ مع ٢ يو ٧ — ١١) — « تعاليم متنوعة فى تعددها و « غريبة » فى اختلافها عن « تعاليم » السيد المسيح والمرشدين الأمناء ، توجب النهى القائل : « لا تساقوا بتعاليم متنوعة وغريبة » : —

« لأنه حسن أن يثبت القلب بالنعمة » :

هنا يضع الرسول أمامنا أمرين جوهريين يبنى عليهما النهى القاطع عن الإنسياق « بالتعاليم المتنوعة والغريبة » ، أما الأمر الجوهرى الأساسى الأول — فهو تثبيت القلب ، فى قوله : « حسن أن يثبت القلب » ، أما الأمر الجوهرى الأساسى الثانى — فهو الطريق الحق الوحيد — دون سواه — الذى يؤدى إلى تثبيت القلب . وهذا الطريق هو « النعمة » ، لذلك ينهى ، قائلا : « لا تساقوا بتعاليم متنوعة وغريبة » معللا هذا النهى بالقول : « لأنه حسن أن يثبت القلب بالنعمة » .

أما « القلب » الذى يحسن « أن يثبت » فهو ما وصفه الرسول بالإنسان « الداخل » فى قوله : « إن كان إنساننا الخارج يفنى « فالداخل » (إنساننا الداخل) يتجدد يوماً فيوماً » (٢ كو ٤ : ١٦ اقرأ ع ١٤ — ٥ : ١) — هو « الإنسان الباطن » الذى ورد ذكره فى صلاة الرسول من أجل الأفسسيين ؛ حيث قال : « أحنى ركبتى لدى أبى ربنا يسوع المسيح — الذى منه تسمى كل عشيرة فى السموات وعلى الأرض — لكى يعطيكم ، بحسب غنى مجده ، أن تتأيدوا بالقوة ، بروحه ، فى « الإنسان الباطن » — ليحل المسيح بالإيمان فى قلوبكم » (أف ٣ : ١٤ — ١٧) .

هذا « القلب » هو « الخليقة الجديدة » التى عبر عنها الرسول ، فى القول : « إن كان أحد فى المسيح فهو خليقة جديدة ، الأشياء العتيقة قد مضت هوذا الكل قد صار جديداً » (٢ كو ٥ : ١٧ اقرأ ع ١٤ — ١٧) — « الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله فى البر وقداسة الحق » (أف ٤ : ٢٤ اقرأ ع ٢٠ — ٢٤ مع كو ٣ : ٩ — ١١ مع تى ٣ : ٤ — ٦ مع يو ٣ : ١ — ٨ مع مز ٥١ : ١٠) .

هذا هو « القلب » الذى يحسن تثبيته ، فبأى معنى « يثبت القلب » ؟ القلب الثابت هو القلب الواثق المطمئن الراسخ فى « الإيمان » الذى هو « الثقة بما يرجى والإيقان بأمور لا ترى ، فإنه ، فى هذا ، شهد للقدماء » (راجع شرح ص ١١ : ١ و ٢) ، لذلك يقول المرنم : « آمنت لذلك تكلمت » (مز ١١٦ : ١٠ اقرأ ع ٧ — ١٤ مع ٢ كو ٤ : ٣ — ٥ : ١٠) .

وما أقوى التمثيل فى تثبيت القلب بالإيمان الحى فى المسيح يسوع كتثبيت الأغصان فى الكرمة ! كما عبر عنه السيد المسيح بقوله : « إن ثبتم فى وثبت كلامى فيكم تطلبون ما تريدون فيكون لكم ، بهذا يتمجد أبى أن تأتوا بثمر كثير فتكونون تلاميذى » (يو ١٥ : ٧ و ٨ اقرأ ١ — ١١) ، هذا هو القلب وتثبيته ولكن ! كيف يثبت الغصن فى الكرمة ؟ بحيث أنه لا « يجف فيجمعونه ويطرحونه فى النار فيحترق » ؟ (يو ١٥ : ٦) .

أما الجواب على هذا السؤال فواضح جلى فى قول الرسول : « يثبت القلب بالنعمة » ، ويمكن أن يعتبر هذا القول إيجاباً لما قاله السيد المسيح سلباً يوم أعلن لتلاميذه « بدونى لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً » ((يو ١٥ : ٥) ، « لأننا نحن عمله ، مخلوقين فى المسيح يسوع لأعمال صالحة قد سبق الله فأعدها لكى نسلك فيها » (أف ٢ : ١٠) .

هذا هو عمل « النعمة » — « الخلاص » الذى تحدث به الرسول مراراً وتكراراً ؛ حيث قال : « ونحن أموات بالخطايا أحياناً مع المسيح — « بالنعمة أنتم مخلصون » — وأقامنا معه وأجلسنا معه فى السماويات فى المسيح يسوع ؛ ليظهر فى الدهور الآتية « غنى نعمته الفائق » باللطف علينا فى المسيح يسوع ؛ لأنكم « بالنعمة » مخلصون

بالإيمان وذلك ليس منكم هو عطية الله ، ليس من أعمال كي لا يفتخر أحد » (قابل أف ٢ : ٥ — ٩ مع ١ : ٣ — ٧ مع ٢ بط ١ : ٣ — ١١ مع فى ٢ : ١٢ و ١٣) لذلك يقول الرسول : « حسن أن يثبت القلب بالنعمة » .

أما الكلمة « حسن » فقد وردت لفظاً فى بعض المواضع الكتابية للدلالة على ما هو مستحسن عند الله بمقتضى قصده الأزلى ؛ فقد وردت فى قول ذات الرسول لابنه تيموثاوس — فى موضوع إقامة طلبات وصلوات وابتهالات وتشكرات لأجل جميع الناس لكى نقضى حياة هادئة مطمئنة فى كل تقوى ووقار — حيث قيل : « لأن هذا « حسن » ومقبول لدى مخلصنا الله » (إقرأ ١ تى ٢ : ١ — ٣) .

هكذا عبر ذات الرسول ، أيضاً ، فى قوله للكورنثيين : « لأنه إذ كان العالم فى حكمة الله لم يعرف الله بالحكمة « استحسن الله أن يخلص المؤمنين بجهالة الكرازة » — « بصليب ربنا يسوع المسيح » — الذى يعتبره « جهالة » حكماء وفلاسفة وعظماء هذا الدهر (١ كو ١ : ٢١ اقرأ ع ١٨ — ٢ : ١٠ مع إش ٢٩ : ١٣ — ١٦) .

فلا عجب ! أن ذات الرسول — على أساس هذا الاستحسان الإلهى يبنى افتخاره ، قائلا ، « أما من جهتى فحاشا لى أن أفتخر إلا بصليب ربنا يسوع المسيح الذى به قد صلب العالم لى وأنا للعالم » (غل ٦ : ١٤ انظر شرح ع ١٢ — ١٦ للمؤلف) ، وعلى ذات الأساس المتين يبنى تصريحه الذى أبداه لأولئك العبرانيين ، فى قوله هنا : « حسن أن يثبت القلب بالنعمة » : —

« لا بأطعمـــة » :

يشتم من رائحة هذا التعبير أن الرسول قصد أن يحول بين هؤلاء العبرانيين المسيحيين وبين شر « الارتداد » عن حق المسيح ، إلى الأركان الضعيفة الفقيرة المتعلقة بالنظام الموسوى قديماً — ذلك النظام الذى سبق أن نوه عنه باعتبار أنه « رمز للوقت الحاضر الذى فيه تقدم قرابين وذبائح لا يمكن ، من جهة الضمير ، أن تكمل الذى يخدم ، وهى قائمة « بأطعمة » وأشربة وغسلات مختلفة وفرائض جسدية ، فقط ، موضوعة إلى وقت الإصلاح » (راجع شرح ص ٩ : ٩ و ١٠) .

هذا الارتداد إلى تلك « الأطعمة » الناموسية الموسوية ، قد ظهرت بوادره فى تلك الأيام عن يد معلمين وصفهم الرسول فى رسالته إلى تيموثاوس ، قائلا : « ولكن الروح يقول صريحاً إنه ، فى الأزمنة الأخيرة ، يرتد قوم عن الإيمان ، تابعين أرواحاً مضلة وتعاليم شياطين — فى رياء أقوال كاذبة — موسومة ضمائرهم ، مانعين عن الزواج وآمرين أن يمتنع عن « أطعمة » قد خلقها الله لتتناول بالشكر من المؤمنين وعارفى الحق ؛ لأن كل خليقة الله جيدة ولا يرفض شىء إذا أخذ مع الشكر » (١ تى ٤ : ١ — ٤ اقرأ ع ١٠ : ٩ — ١٨ اقرأ كل الأصحاح) .

هكذا عبر السيد المسيح ، له المجد ، فى حديثه مع الفريسيين والكتبة ؛ حيث دعا كل الجمع وقال لهم : « اسمعوا منى كلكم وافهموا ! « ليس شىء من خارج الإنسان إذا دخل فيه يقدر أن ينجسه ، لكن الأشياء التى تخرج منه هى التى تنجس الإنسان » وقد فسر هذا الكلام لتلاميذه ، قائلا : « أما تفهمون أن كل ما يدخل الإنسان ، من خارج ، لا يقدر أن ينجسه ؟ لأنه لا يدخل إلى قلبه ؛ بل إلى الجوف ثم يخرج إلى الخلاء وذلك يطهر كل الأطعمة ؟ » (مر ٧ : ١٤ — ١٩ اقرأ ع ١ — ٢٣ مع مت ١٥ : ١ — ٢٠) .

بهذا المعنى يقول الرسول بولس ، أيضاً : « كل الأشياء تحل لى ، لكن ليس كل الأشياء توافق ، كل الأشياء تحل لى لكن لا يتسلط على شىء » (١ كو ٦ : ١٢) ، على هذا الأساس يقال عن السيد المسيح أنه « محا الصك الذى علينا فى الفرائض الذى كان ضداً لنا وقد رفعه من الوسط مسمراً إياه بالصليب . . . فلا يحكم عليكم أحد فى أكل أو شرب » (كو ٢ : ١٤ و ١٦ إقرأ ع ١٤ — ١٩ مع أف ٢ : ١٤ — ١٦) ، لذلك يصح القول : « حسن أن يثبت القلب بالنعمة ، لا بأطعمة » : —

« لم ينتفع بها الذين تعاطوها » :

هذه الجملة ، فى نصها ، توجه الفكر إلى أن « التعاليم المتنوعة الغريبة » التى حذر الرسول من الانسياق بها كانت تهدف إلى تثبيت القلب لا « بالنعمة » بل « بالأطعمة » التى كانوا يتعاطونها لهذا الغرض بمقتضى ذلك التعليم .

على أن الرسول هنا ينفى ، نفياً باتاً ، أى انتفاع من تلك الأطعمة للذين يتعاطونها فإنه أى اتصال بين « القلب » والأطعمة » لينتفع بتعاطيها ؟ « فإن الجوف للأطعمة والأطعمة للجوف والله سيبيد هذا وتلك » (١كو ٦ : ١٣) ، أما « القلب » فلا علاقة له البتة « بالأطعمة » لينتفع بها إذ لا دخل لها به سواء بتطهير أو تنجيس ، وذلك لأن « القلب » فى طبيعته « أخدع من كل شىء وهو نجيس من يعرفه » ؟ (إر ١٧ : ٩ قابل مز ٥١ :٥ مع رو ٧ : ١٤ — ٢٤) ، ولا يمكن تطهيره إلا « بغسل الميلاد الثانى وتجديد الروح القدس » (قابل تى ٣ : ٥ مع يو ٣ : ٣— ٦) .

أو ليس هذا هو الحق الذى سبق ذات الرسول فأثبته لأولئك العبرانيين فى حديثه عن القرابين والذبائح التى « لا يمكن ، من جهة الضمير أن تكمل الذى يخدم ، وهى قائمة « بأطعمة » وأشربة وغسلات مختلفة وفرائض جسدية ، فقط ، موضوعة إلى وقت الإصلاح » ؟ (راجع شرح ص ٩ و ١٠) .

وذلك « لأن الناموس ، إذ له ظل الخيرات العتيدة — لا نفس صورة الأشياء — لا يقدر أبداً ، بنفس الذبائح كل سنة التى يقدمونها على الدوام — أن يكمل الذين يتقدمون ، وإلا أفما زالت تقدم » لأن المتقدمين لم يتطهروا بدم تلك الذبائح المقترنة بالأطعمة والأشربة : وهكذا مع تقديمها المتكرر لم ينتفعوا شيئاً (راجع شرح ص ١٠ : ١ — ٤) ، بهذا المعنى يقال : « حسن أن يثبت القلب بالنعمة لا بأطعمة لم ينتفع بها الذين تعاطوها » : —

(ع ١٠) « لنــا مذبح » :

الكلمة « لنا » تؤيد ما سبق أن تحققناه من أن الكاتب ، فى هذه الرسالة ، كثيراً ما أدرج ذاته مع المكتوب إليهم كواحد منهم ، وبالأخص باعتبار أنه « عبرانى من العبرانيين » الذين آمنوا بالسيد المسيح ، معترفاً ومعبراً بقوله : « ما كان لى ربحاً فهذا قد حسبته ، من أجل المسيح ، خسارة ، بل إنى أحسب كل شىء ، أيضاً ، خسارة ، من أجل فضل معرفة المسيح يسوع ربى الذى من أجله خسرت كل الأشياء وأنا

أحسبها نفاية لكي أربح المسيح وأوجد فيه ، وليس لى برى الذى من « الناموس » بل الذى « بإيمان المسيح » — البر الذى من الله بالإيمان » (فى ٣ : ٧ — ٩ اقرأ ع ٣—١٠) فلا عجب ! أن يقول : « لنا مذبح » ! فأى « مذبح » هو يا ترى ذلك المذبح الذى يحق للمؤمنين بالمسيح أن يقولوا عنه « لنا مذبح » ؟

لقد كان فى خدمة النظام الموسوى مذبحان : — أحدهما « مذبح النحاس » وقد دعى هكذا بالنسبة إلى صنعه حيث أنه كان مصنوعاً من خشب السنط « مغشى بالنحاس » (اقرأ خر ٢٧ : ١ — ٨ و ٣٨ : ١ — ٧ مع ٢ مل ١٦ : ١٤ مع ٢ أى ٤ : ١ و ٢) : وقد دعى أيضاً ذات المذبح — « مذبح المحرقة » نظراً إلى ما كان يصعد عليه من محرقات للرب ، وبخاصة المحرقة الدائمة (اقرأ خر ٢٩ : ١ — ٢٥ و ٣٨ — ٤٢) ، هذا هو « مذبح النحاس » — « مذبح المحرقة » — الذى كان فى الدار الخارجية أقرب ما يكون إلى المدخل عند باب مسكن خيمة الاجتماع (اقرأ خر ٢٩ : ٤٢ و ٤٠ : ٦ و ٢٩).

أما المذبح الثانى فقد كان « مذبح الذهب » وقد دعى هكذا بالنسبة إلى صنعه ؛ حيث أنه كان مصنوعاً من خشب السنط « مغشى بالذهب » (اقرأ خر ٣٠ : ١ — ٦ و ٣٧ : ٢٥ — ٢٨ و ٤٠ : ٥) ، وقد دعى أيضاً ذات المذبح « مذبح البخور » نظراً إلى إيقاد البخور عليه (اقرأ خر ٣٠ : ٧ — ٩) ، هذا هو مذبح الذهب » — « مذبح البخور » — الذى كان « قدام الحجاب الذى كان أمام تابوت الشهادة — قدام الغطاء الذى على الشهادة — قدام الحجاب الفاصل بين القدس وقدس الأقداس (اقرأ خر ٣٠ : ٦ و ٤٠ : ٢٦) .

وقد كان لهذا المذبح — « مذبح البخور » اتصال كلى بقدس الأقداس ، وذلك عن طريق المبخرة التى كان يدخل بها رئيس الكهنة إلى قدس الأقداس مرة فى السنة فى يوم الكفارة العظيم وذلك بعد أن يصنع على قرونه (قرون مذبح البخور) كفارة من دم ذبيحة الخطية (اقرأ خر ٣٠ : ٨ — ١٠ راجع شرح ص ٩ : ٣ و ٤) ، هذان هما المذبحان اللذان نص عنهما فى خدمة النظام الموسوى .

على أن القرينة هنا توجه نظرنا ، ولابد ، إلى « المذبح » الذى « لنا » ، وذلك بوصف كونه مرموزاً إليه « بمذبح المحرقة » — الأمر الذى يتضح جلياً من الحديث عن « الأطعمة » التى سبق الكلام عنها (راجع شرح ع ٩ اقرأ لا ص ١ و ٢) . وحيث أن الرسول ، فى هذه الرسالة ، قد سبق فأرانا السيد المسيح بوصف كونه هو الذبيحة الحقيقية الكفارية الممثلة فى كل ذبائح « العهد الأول » — ذبائح النظام الموسوى وذلك باعتبار أنه « بقربان واحد قد أكمل إلى الأبد المقدسين » (عب ١٠ : ١٤ راجع شرح ع ١١ — ١٨) .

كما أنه أرانا إياه ذلك « الكاهن الأعظم » الذى قدم تلك « الذبيحة الأفضل » (ذاته) ، وذلك كما جاء فى قوله : « وأما « المسيح » وهو قد جاء رئيس كهنة للخيرات العتيدة ، فبالمسكن الأعظم والأكمل غير المصنوع بيد — أى — الذى ليس من هذه الخليقة — وليس بدم تيوس وعجول ، بل « بدم نفسه » دخل مرة واحدة إلى الأقداس فوجد فداء أبدياً » (عب ٩ : ١١ و ١٢ راجع شرح ع ١٠ — ١٤) .

على هذا النمط وعلى سياق ما قيل سابقاً — أن السيد المسيح هو الذبيحة وهو الكاهن — يكون هو ، له المجد ، أيضاً « المذبح » الذى « لنا » — مذبح المحرقة ، وذلك على أساس أنه هو ذاته « الذى فى أيام جسده — إذ قدم بصراخ شديد ودموع ، طلبات وتضرعات للقادر أن يخلصه من الموت وسمع له من أجل تقواه مع كونه ابناً — تعلم الطاعة مما تألم به ، وإذ كمل صار لجميع الذين يطيعونه سبب خلاص أبدى » (راجع شرح ص ٥ : ٧ — ٩) .

فقد كان السيد المسيح ، فى تجسده ، مذبحاً وذبيحة وكاهناً ، وذلك منذ لحظة وضعه فى « المذود » مهداً (لو ٢ : ٧ و ١٢ و ١٦ اقرأ ع ١ — ٢٠) إلى لحظة وضعه فى « القبر » لحداً (مت ٢٧ : ٥٧ — ٦١ مع مر ١٥ : ٤٢ — ٤٧ مع لو ٢٣ : ٥٠ — ٥٦ مع يو ١٩ : ٤١ و ٤٢) — تلك اللحظات المحدودة فى كلام الرسول عن « المسيح يسوع الذى لم يحسب خلسة » أن يكون معادلا لله ، لكنه أخلى نفسه آخذاً صورة عبد ، صائراً فى شبه الناس ، وإذ وجد فى الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب » (فى ٢ : ٥ — ٨) .

فإنه ، فى تلك اللحظات — لحظات التجسد — قدم إرادته محرقة على مذبح مشيئة الآب هاتفاً من كل القلب : « أن أفعل مشيئتك يا إلهى سررت وشريعتك فى وسط أحشائى » (مز ٤٠ : ٨ اقرأ ع ٦ — ٨ راجع شرح ص ١٠ : ٥ — ١٠) مقروراً بنفس مبتهجة : « طعامى أن أفعل مشيئة الذى أرسلنى وأتمم عمله » (يو ٤ : ٣٤) ، مصمماً فى قوله : « الكأس التى أعطانى الآب ألا أشربها » ؟ (يو ١٨ : ١١) .

هذا هو « مذبح المحرقة » الذى وضع الآب تصميمه مرموزاً إليه فى ما قاله لموسى : « مذبحاً من تراب تصنع لى وتذبح عليه محرقاتك وذبائح سلامتك — غنمك وبقرك — فى كل الأماكن التى فيها أصنع لاسمى ذكراً آتى إليك وأباركك ، وإن صنعت لى مذبحاً من حجارة فلا تبنه منها منحوتة ، إذا رفعت عليها إزميلك تدنسها ، ولا تصعد بدرج إلى مذبحى ؛ كيلا تنكشف عورتك عليه » (خر ٢٠ : ٢٢ — ٢٦) .

بل هو « المذبح » المشار إليه فى « مذبح المحرقة » الذى بناه إيليا ودعاه باسم « يهوه » — « من اثنى عشر حجراً بعدد أسباط بنى يعقوب (بنى إسرائيل) وأصعد عليه تقدمته « فسقطت نار الرب وأكلت المحرقة والحطب والحجارة والتراب ولحست المياه التى فى القناة » (اقرأ ١ مل ١٨ : ٣١ — ٣٨) .

بل هذا هو « المذبح » الممثل فى تلك « الصخرة » التى عليها قدم جدعون تقدمته للرب « فصعدت منها نار وأكلت اللحم والفطير وهناك بنى جدعون مذبحاً للرب ودعاه « يهوه شلوم » (يهوه سلام) (اقرأ قض ٦ : ١٧ — ٢٤) ، بل هذا هو ، أيضاً « المذبح » المشار إليه فى تلك « الصخرة » التى عليها أصعد منوح جدى المعزى والتقدمة للرب ، « فعمل (ملاك الرب) عملا عجيباً ومنوح وامرأته ينظران ، فكان ، عند صعود اللهيب عن المذبح نحو السماء ، أن ملاك الرب صعد فى لهيب المذبح ؛ فسقطا على وجهيهما إلى الأرض (قض ١٣ : ١٩ و ٢٠ اقرأ ع ١١ — ٢١) .

هذا هو « ياه يهوه » قوتى وترنيمتى وقد صار لى خلاصاً » (إش ١٢ : ٢) ، هذا هو « ياه يهوه صخر الدهور » (إش ٢٦ : ٤) — « الصخر » الذى خرجت منه نار الرب وأكلت المحرقة والتقدمة وصعد فيها ملاك الرب إلى السماء ، أو ليس عجيباً

أن نرى الصخرة تضرب بعصا موسى بأمر الإله القدير فيخرج منها ماء ليشرب الشعب وليرتوى ! (قابل خر ١٧ : ٥ و ٦ و ٧ : ٢٠ مع عد ٢٠ : ١٣ مع مز ٧٨ : ٢٠ و ١١٤ : ٨).

وهل تفيض المياه فتروى من صخرة تتقد فيها النار وتحرق ؟ لا عجب ! فهذا هو السيد المسيح الذى هو نار آكلة كما ظهر فوق جبل سيناء يوم إعطاء الشريعة (اقرأ تث ٥ : ٢٣ — ٢٧ راجع شرح ص ١٢ : ٢٩) ، ولكنه « هوهو » فى ذات الوقت « الصخرة الروحية » التى كانت تابعة للشعب فى البرية وكانوا منها يشربون (١ كو ١٠ : ٤)

هذا هو « مذبح المحرقة » — « الصخرة » — « المسيح الرب » — الذى صلى إلى الله بفم المرنم ، قائلا : « لأنك أنت اقتنيت كليتى نسجتنى فى بطن أمى : أحمدك من أجل أنى قد امتزت عجباً ، عجيبة هى أعمالك ونفسى تعرف ذلك يقيناً ، لم تختف عنك عظامى حينما صنعت فى الخفاء ورقمت فى أعماق الأرض ، رأت عيناك أعضائى وفى سفرك كلها كتبت يوم تصورت ؛ إذ لم يكن واحد منها » (قابل مز ١٣٩ : ١٣ — ١٦ مع أف ٤ : ٨ — ١٠ مع مز ٦٨ : ١٧ و ١٨ مع يو ٣ : ١٣) .

هذا هو الذى « إذ كان فى جهاد كان يصلى بأشد لجاجة وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض » (لو ٢٢ : ٤٤ قابل مت ٢٦ : ٣٦ — ٤٥ مع مر ١٤ : ٣٢ — ٤٠) ، فلا عجب أن يخرج « دم وماء » من جنبه المطعون على الصليب ! « والذى عاين شهد وشهادته حق وهو يعلم أنه يقول الحق » فقال عنه : « هذا هو الذى أتى بماء ودم « يسوع المسيح » لا بالماء فقط ؛ بل بالماء والدم والروح هو الذى يشهد ؛ لأن الروح هو الحق » (قابل يو ١٩ : ٣٤ و ٣٥ مع ١ يو ٥ : ٦) ، هذا هو الذى يقول عنه الرسول هنا : « لنا مذبح » : —

« لا سلطان للذين يخدمون المسكن أن يأكلوا منه » :

القرينة هنا تدل على أن « المذبح » المشار إليه (كما سبق القول) ليس هو « مذبح الذهب » الذى هو «مذبح البخور » ، بل« هومذبح النحاس» الذى هو « مذبح المحرقة » ،

وهذه حقيقة تتضح جلياً فى العلاقة بين « الأطعمة » التى سبق الكلام عنها (راجع شرح ع ٩) وبين الأكل المذكور هنا ؛ حيث قال : « لا سلطان للذين يخدمون المسكن أن يأكلوا منه » .

أما « المسكن » المقصود هنا فهو ، ولابد ، ذلك « المسكن الأول » الذى سبق ذات الرسول فأشار إليه فى قوله : « معلناً الروح القدس بهذا أن طريق الأقداس لم يظهر بعد ما دام « المسكن الأول » له إقامة ، الذى هو رمز للوقت الحاضر ، الذى فيه تقدم قرابين وذبائح لا يمكن ، من جهة الضمير ، أن تكمل الذى يخدم . وهى قائمة بأطعمة وأشربة وغسلات مختلفة وفرائض جسدية — فقط موضوعة إلى وقت الإصلاح » (راجع شرح ص ٩ : ٨ — ١٠) .

على أن كل ما قيل عن « مذبح المحرقة » القائم فى « المسكن الأول » عند باب خيمة الاجتماع إنما هو مجرد صورة تمثيلية للمذبح الحقيقى الذى سبق الكلام عنه فى قول الرسول : « لنا مذبح » — لا من خشب السنط ولا مغشى بالنحاس » — « مذبح » تصعد عليه محرقة — لا بهائمية من « البقر والغنم » ولا طائرية من اليمام أو « الحمام » وذلك كما هو مبين فى الأصحاح الأول من كتاب اللاويين — « مذبح » لا تقرب عليه قرابين عينية من دقيق أو زيت أو لبان — تقدمات خالية من الخمير ، وذلك كما هو مبين فى الأصحاح الثانى من كتاب اللاويين .

« مذبح » — لا تقرب عليه قرابين « العهد الأول » المتعلقة بذبيحة السلامة وذبيحة الإثم وذبيحة الخطية (اقرأ لا ص ٣ — ٧) — تلك القرابين التى كان للذين يخدمون المسكن الأول سلطان أن يأكلوا منها — « أطعمة لم ينتفع بها الذين تعاطوها » (راجع شرح ع ٩) .

فكل هذه « أمثلة الأشياء التى فى السموات » التى كان يلزم أن تطهر بمثل هـذه الذبائح « وأما السمويات عينها فبذبائح أفضل من هذه ؛ لأن المسيح لم يدخل إلى أقداس مصنوعة بيد أشباه الحقيقية ؛ بل إلى السماء عينها ليظهر الآن أمام وجه الله لأجلنا ، ولا ليقدم نفسه مراراً كثيرة — كما يدخل رئيس الكهنة إلى الأقداس كل سنة بدم

آخر – فإذ ذاك كان يجب أن يتألم مراراً كثيرة منذ تأسيس العالم ، ولكنه الآن قد أظهر مرة ، عند إنقضاء الدهور ؛ ليبطل الخطية بذبيحة نفسه » (راجع شرح ص ٩ : ٢٣ – ٢٦) .

هكذا انتهت خدمة « المسكن الأول » باعتبار كونه مجرد رمز – فقط موضوع إلى وقت الإصلاح وانتهت معه كل « الأطعمة والأشربة والغسلات المختلفة والفرائض الجسدية » وجاء وقت الإصلاح فى « العهد الجديد » فى خدمة المسكن الحقيقى « الذى نصبه الرب لا إنسان » (راجع شرح ص ٨ : ٢ – ٦) ، هذا هو « المسكن الأعظم والأكمل غير المصنوع بيد – أى الذى ليس من هذه الخليقة » (راجع شرح ص٩ : ١١).

وما أعظم الفرق بين الأمثلة والحقيقيات ! إنه فرق عظيم يتبين فيما قيل عن تكلم السيد المسيح بالأمثال بناء على الكلمة النبوية القائلة ، « أفتح بمثل فمى ، أذيع ألغازاً منذ القدم » (قابل مت ١٣ : ٣٥ مع مز ٧٨ : ٢) فإن فى الأمثال خفايا وألغازاً ورموزاً ، أما الحقيقيات ففى رؤى وإعلانات واضحة .

هذه حقيقة تتضح جلياً فى جواب السيد المسيح لتلاميذه الذين سألوه ، قائلين : لماذا تكلمهم بأمثال » ؟ فأجابهم ، قائلا : « لأنه قد أعطى لكم أن تعرفوا أسرار ملكوت السموات ، وأما لأولئك فلم يعط . . . من أجل ذلك أكلمهم بأمثال ؛ لأنهم مبصرين لا يبصرون وسامعين لا يسمعون ولا يفهمون . . . ولكن ! طوبى لعيونكم لأنها تبصر ولآذانكم لأنها تسمع » (اقرأ مت ١٣ : ١ – ١٧ مع مر ٤ : ١٠ – ١٢ مع لو ٨ : ٩ و ١٠ مع يو ١٢ : ٣٩ و ٤٠ مع أع ٢٨ : ٢٥ – ٢٧ مع إش ٦ : ٩ و ١٠ مع يو ١٦ : ٢٥ – ٣٠) .

على هذا الأساس تبنى أفضلية « المذبح » الذى « لنا » عن كل مذابح العهد الأول التى أهرقت عليها دماء الذبائح والمحرقات ، ويتم القول الإلهى الصريح : « لأنه ، إن كان دم ثيران وتيوس ورماد عجلة ، مرشوش على المنجسين ، يقدس إلى طهارة الجسد ، فكم ، بالحرى ، يكون دم المسيح ؟ الذى بروح أزلى قدم نفسه لله بلا عيب يطهر ضمائركم من أعمال ميتة لتخدموا الله الحى » (راجع شرح ص ٩ : ١٣ و ١٤) ، هذا

هو « المذبح » الحقيقى فى « المسكن الحقيقى » — الذى « لا سلطان للذين يخدمون المسكن أن يأكلوا منه » : —

(ع ١١) « فإن الحيوانات التى يدخل بدمها ، عن الخطية ، إلى الأقداس بيد رئيس الكهنة » :

إن الرسول ، لا يغيب عن ذهنه فى بحثه ، أن خدمة العهد الأول لا بد أن نتعرف عليها جيداً وذلك بوصف كونها رمزاً لمرموز إليه ، وظلا لحقيقة تتمثل فيه ، وصورة لأصل يرجع إليها ، وذلك لكشف كنهه وتبيانه وإيضاحه بجلاء (راجع شرح ص ٨ : ٧ — ٩ : ٥) .

وها نحن الآن نراه هنا ينتقل بنا من أمام « مذبح المحرقة » فى الدار الخارجية (راجع شرح ع ١٠ (— نراه يجتاز بنا « المسكن الأول » (القدس) ماراً بين المائدة والمنارة بمواجهة « مذبح البخور » (مذبح الذهب) ليدخل بنا إلى ما وراء الحجاب الثانى ، فنرى أنفسنا فى « المسكن الثانى » الذى يقال له : « قدس الأقداس » . وماذا نستطيع أن نرى فى هذا المسكن الإلهى — « قدس الأقداس » — الرائع المهيب ؟ .

فى « قدس الأقداس » — « بكل خشوع وتقوى » — نقف أمام تابوت العهد المغشى بالذهب النقى وفوقه غطاء من ذهب نقى ، ومنه على طرفيه كروبان صنعة خراطة — « اصنع كروباً واحداً على الطرف من هنا وكروباً آخر على الطرف من هناك » — يكون كروبان باسطين أجنحتهما إلى فوق مظللين بأجنحتهما على الغطاء ووجهاهما كل واحد إلى الآخر ، نحو الغطاء . . » (اقرأ خر ٢٥ : ١٠ — ٢١) .

وهل نستطيع أن نفتح عيوننا لنرى ذلك المشهد الرهيب ، فوق غطاء ذلك التابوت الحال بين الكروبين ؟ وكيف لا نخشع ؟ ونحن نسمع القول الصادر من رب المجد لموسى : « كلم هرون أخاك أن لا يدخل كل وقت إلى القدس داخل الحجاب أمام الغطاء الذى على التابوت ، لأنى فى السحاب أتراءى على الغطاء » ؟ (لا ١٦ : ٢) ، فالمنظر مرهب والمشهد مخيف وقاتل ، والحذر ملاذ واجب .

وهل نعرف ما تحت الغطاء فى التابوت ؟ هل نسمع إله العهد ينادينا من تحت الغطاء — من داخل التابوت — بما هو مكتوب فى « لوحى العهد » — « الوصايا العشر » (اقرأ خر ٢٠ : ١ — ١٧ و ٢٥ : ١٦ و ٢١ و ٣٤ : ٢٩ و ٤٠ : ٢٠ مع تث ١٠ : ٢ — ٥) — هل نسمع إله العهد وهو يحذر ، قائلا : « إلى الشريعة وإلى الشهادة ، إن لم يقولوا مثل هذا القول فليس لهم فجر ؛ فيعبرون فيها مضايقين وجائعين ، ويكون حينما يجوعون ، أنهم يحنقون ويسبون ملكهم وإلههم ويلتفتون إلى فوق ، وينظرون إلى الأرض وإذا شدة وظلمة قتام الضيق وإلى الظلام هم مطرودون » (إش ٨ : ٢٠—٢٢)

بل هل نرى رب العناية ينادينا من قسط المن تحت الغطاء ؟ قائلا : « ها أنا أمطر لكم خبزاً من السماء » (خر ١٦ : ٤ إقرأ ع ٤ — ٢١ و ٣٣ و ٣٤) وكيف لا ننشد مع المرنم هاتفين : « أمر السحاب من فوق وفتح مصاريع السموات وأمطر عليهم مناً للأكل وبر السماء أعطاهم ، أكل الإنسان خبز الملائكة (المن الذى أتت به الملائكة من السماء) أرسل عليهم زاداً للشبع » (مز ٧٨ : ٢٣ — ٢٥ اقرأ تث ٨ : ١ — ٣ قابل ١ مل ١٧ : ٦ و ٨ — ٢٤ مع مت ٤ : ١ — ٤ و ١١ مع مر ١ : ١٢ و ١٣ مع لو ١ : ٤مع مت ٦ : ٢٥ — ٣٤ مع لو ١٢ : ٢٢ — ٣١ مع فى ٤ : ٦ راجع شرح ع ٥) .

وما أبهى وما أمجد ! أن نرى عصاً أفرخت ! معلنة ، بصوت عال وواضح ، من سبق الله فعرفه ، فسبق فعينه لخدمة بيته المقدس كهنوته اللاوى ، وذلك فى مناسبة تمرد وتذمر جماعة من بنى إسرائيل على موسى وهرون ، ضد قيادتهما للشعب ؛ حيث أعلن الرب اختياره الخاص بهذه العصا التى أفرخت وقد كان مكتوباً عليها اسم هرون الذى اختاره الرب (اقرأ عد ص ١٦ و ١٧) .

وكل ذلك رمز إلى تابوت العهد الحقيقى وكل ما فى باطنه كما يتبين جلياً من النشيد الذى كان موسى ينشده فى الحل والترحال فى برية سيناء ، فإنه عند ارتحال التابوت كان يقول : « قم يارب فلتتبدد أعداؤك ويهرب مبغضوك من أمامك » وعند حلول التابوت كان يقول : « ارجع يارب إلى ربوات ألوف إسرائيل » (عد ١٠ : ٣٥ و ٣٦) .

هذا هو « ملاك العهد » الذى ظهر لموسى فى العليقة فى نار لهيب — هذا هو «أهيه » هذا هو « يهوه » — « إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب » (خر ٣ : ٢ و ١٤ و ١٥)— هذا هو « رئيس جند الرب الذى ظهر ليشوع ورآه إشعياء فى رؤياه (يش ٥ : ١٤ اقرأ إش ٦ : ١ — ٤) — هذا هو الذى قال عن نفسه : « هنذا جئت . . أن أفعل مشيئتك يا إلهى سررت وشريعتك فى وسط أحشائى » (مز ٤٠ : ٧ و ٨ اقرأ ع ٦ — ٨ مع يو ٤ : ٣٤ و ٦ : ٣٨ — ٤٠ راجع شرح ص ١٠ : ٥ — ١٠) .

هذا هو المن السماوى — « الخبز الحقيقى من السماء خبز الله هو النازل من السماء الواهب حياة للعالم » (يو ٦ : ٣٢ و ٣٣ اقرأ ٣٢ — ٥١) ، هذا هو مختار الله الذى قيل عنه : « هوذا عبدى الذى أعضده — مختارى الذى سرت به نفسى ، وضعت روحى عليه فيخرج الحق للأمم » (إش ٤٢ : ١ اقرأ ع ١ — ٤ مع مت ١٢ : ١٤ — ٢١ مع إش ٦١ : ٣ مع لو ٤ : ١٦ — ١٩) .

على أنه ، وإن نسينا ، يجب أن لا ننسى رئيس الكهنة وقد دخل إلى قدس الأقداس وبيده مبخرة يغشى بخورها تابوت العهد لينضح من دم الحيوانات فوق غطاء التابوت وقدامه ، فى حضرة يهوه الحال بمجده فوق الغطاء بين الكروبين ، ليكفر عن خطية نفسه وبيته بدم الثور المعد لهذا الغرض (اقرأ لا ١٦ :٣و٦ و ١١ و ١٤) وعن الشعب بدم التيس المعد لذات الغرض (اقرأ لا ١٦ : ٩ و ١٥ — ١٩) .

هذا هو « يوم الكفارة » (كيبورت) العظيم المنصوص عنه تفصيلياً فى الأصحاح السادس عشر من كتاب اللاويين ، أما الكفارة ، لغوياً ، فهى ذات الغطاء والستر حيث يقال : كفر الشيء يكفره كفراً وكفراً ، أى ستره ، كما يقال كفر درعه بثوب أى غطاه به ولبسه فوقه ، فالكفارة هى الغطاء ، والغطاء هو الكفارة ؛ كما يتبين فى قول المرنم : « طوبى للذى غفر (كفر) إثمه وسترت خطيته » (مز ٣٢ : ١ اقرأ رو ٤ : ٥ — ٨) .

فالكفارة غطاء للخطية يسترها عن عينى الله والغطاء كفارة وغفران و« لا فرق إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله ، متبررين مجاناً بنعمته — بالفداء الذى بيسوع

المسيح الذى قدمه الله كفارة — « غطاء » — بالإيمان بدمه ؛ لإظهار بره من أجل الصفح عن الخطايا السالفة بإمهال الله » (رو ٣ : ٢٢ — ٢٥) .

هذا هو « الدم » الذى يدخل به إلى الأقداس العليا بيد رئيس الكهنة — لا هرون ولا أبناء هرون — بل هو ذات الشخص العجيب الذى قيل عنه : « من ثم كان ينبغى أن يشبه إخوته فى كل شىء ؛ لكى يكون رحيماً ورئيس كهنة أميناً فى ما لله حتى يكفر (يغطى — يغفر ويستر) خطايا الشعب ؛ لأنه فى ما هو تألم مجرباً يقدر أن يعين المجربين » ((راجع شرح ص ٢ : ١٧ و ١٨) .

« فإذ لنا « رئيس كهنة عظيم » قد اجتاز السموات « يسوع ابن الله » — فلنتمسك بالإقرار ، لأن ليس لنا رئيس كهنة غير قادر أن يرثى لضعفاتنا ؛ بل مجرب فى كل شىء مثلنا بلا خطية ، فلنتقدم بثقة إلى عرش النعمة لكى ننال رحمة ونجد نعمة — عوناً فى حينه » (راجع شرح ص ٤ : ١٤ — ١٦) ، فلسنا بعد أمام « الحيوانات التى يدخل بدمها ، عن الخطية ، إلى الأقداس بيد رئيس الكهنة التى : —

« تحرق أجسامها خارج المحلة » :

هذا هو مصير ثور الخطية وتيس الخطية — « الحيوانات التى يدخل بدمها ، عن الخطية ، إلى الأقداس بيد رئيس الكهنة » ، فإنها « تحرق أجسامها خارج المحلة » بمقتضى النص الصريح القائل « وثور الخطية وتيس الخطية اللذان أتى بدمهما للتكفير فى القدس ، يخرجهما إلى « خارج المحلة » ويحرقون « بالنار » جلديهما ولحمهما وفرثهما » (لا ١٦ : ٢٧ قابل لا ٤ : ١١ و ١٢ و ٢٠ و ٢١ و ٢٥ و ٢٦ اقرأ ع ١ — ٢٦) فلا يبقى منهما ما يؤكل ، وبخاصة فإن ذلك هو يوم تذلل الشعب حيث لا أكل ولا شرب (لا ١٦ : ٢٩ و ٣٠) .

الأمر الذى يؤكد لنا أن الأكل والشرب والأطعمة والأشربة والغسلات المختلفة والفرائض الجسدية « فقط موضوعة إلى وقت الإصلاح » (راجع شرح ص ٩ : ١٠) وهذا أمر يقرره النهى المقدس القائل : « فلا يفتر على صلاحكم ؛ لأن ليس ملكوت

الله أكلا وشرباً ؛ بل هو بر وسلام وفرح فى الروح القدس ؛ لأن من خدم المسيح فى هذه فهو مرضى عند الله ومزكى عند الناس » (رو ١٤ : ١٧ و ١٨) .

فقد انتهى كل نظام ناموسى طقسى يتعلق بالأطعمة والأشربة وكل الفرائض الجسدية ، وبذلك يكون الرجوع إليها إنما هو رجوع إلى الاستعباد للأركان الضعيفة الفقيرة التى أشار إليها الرسول فى رسالته إلى الغلاطيين ، قائلا : « أيها الغلاطيون الأغبياء ! من رقاكم حتى لا تذعنوا « للحق » ؟ أنتم الذين ، أمام عيونكم ، قد رسم يسوع بينكم مصلوباً ، أريد أن أتعلم منكم هذا فقط ، بأعمال الناموس أخذتم « الروح » أم بخبر « الإيمان » ؟ أهكذا أنتم أغبياء ؟ أبعد ما ابتدأتم بالروح تكملون الآن بالجسد » ؟ (انظر شرح غل ٣ : ١ — ٣ للمؤلف) « أتحفظون أياماً وشهوراً وأوقاتاً وسنين ؟ أخاف عليكم أن أكون قد تعبت فيكم عبثاً » (انظر شرح غل ٤ : ١٠ و ١١ للمؤلف) « قد تبطلتم عن المسيح أيها الذين تتبررون بالناموس ! سقطتم من النعمة » (انظر شرح غل ٥ : ٤ للمؤلف اقرأ كو ٢ : ٢٠ — ٣ : ٤) .

أما « المحلة » فإنها تتعلق بالمكان الذى كانت تقام فيه الخيمة عند حلول الشعب فى وسط البرية وينزل بنو إسرائيل كل عند رايته قبالة خيمة الاجتماع فى نظام عسكرى بديع وبأعلام لبيوت آبائهم (اقرأ عد ٢ : ١ — ١٦) — فى نظام ينطبق عليه ما ورد فى نشائد سليمان الخمسة (١ مل ٤ : ٣٢) حيث أنشد قائلا : « أنت جميلة يا حبيبتى كترصة (مدينة قديمة فى فلسطين يش ١٢ : ٢٤ مع ١ مل ١٤ : ١٧ و ١٥ : ٢١ و ١٦ : ٦—٩ و ١٥ و١٧ و ٢٤) — « حسنة كأورشليم — مرهبة كجيش بألوية ! . . من هى المشرفة مثل الصباح ! جميلة كالقمر ! طاهرة كالشمس ! مرهبة كجيش بألوية » ! (نش ٦ : ٤ و١٠ اقرأ ع ٤ — ١٠) هذه هى محلة إسرائيل فى نظامها العسكرى البديع .

« خارج » هذه « المحلة » — كانت تعين منطقة تسمى « مرمى الرماد » حيث « يخرج (الكاهن) سائر الثور (ذبيحة الخطية) إلى « خارج المحلة » — إلى مكان

طاهر — إلى « مرمى الرماد » ويحرقها على حطب بالنار — على « مرمى الرماد تحرق » (لا ٤ : ١٢) ، هذا هو المكان — « مرمى الرماد » — « خارج المحلة » الذى كان فيه « تحرق أجسام الحيوانات التى يدخل بدمها ، عن الخطية ، إلى الأقداس بيد رئيس الكهنة » بوصف كونها ذبيحة خطية :.

(ع ١٢) « لذلك يسوع ، أيضاً » :

الكلمة « ذلك » هى اسم يشار به إلى البعيد وإضافة « اللام » إليها تصوغ منها أساساً مسبباً لنتيجة حتمية تعود بنا إلى قوله السابق : « فإن الحيوانات التى يدخل بدمها عن الخطية ، إلى الأقداس بيد رئيس الكهنة تحرق أجسامها خارج المحلة ؛ لذلك (لأجل ذلك أو بسبب ذلك) يسوع أيضاً » .

أما « يسوع » فهو ذلك الشخص العجيب الذى تسمى هكذا من جبرائيل الملاك. وذلك يوم أن «أرسل من الله إلى مدينة من الجليل إسمها ناصرة — إلى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسف واسم العذراء مريم » حيث قال لها : « لا تخافى يامريم لأنك قد وجدت نعمة عند الله ، ها أنت ستحبلين وتلدين ابناً وتسمينه يسوع » (اقرأ لو ١ : ٢٦ — ٣١) — اسم عجيب فى معناه الذى نطق به ملاك الرب حين ظهر ليوسف رجل مريم فى حلم وقال له : « يا يوسف ابن داود ! لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك ؛ لأن الذى حبل به فيها هو من الروح القدس ، فستلد ابناً وتدعو اسمه « يسوع » لأنه « يخلص شعبه من خطاياهم » (مت ١ : ٢٠ و ٢١ قرأ ع ١٦ و١٨ — ٢١) .

تسمية تحمل دلالة واضحة على أن اسم « يسوع » معناه « مخلص » ، وهو معنى نتبينه جلياً فى الخبر الذى أعلنه ملاك الرب ، ليلة ميلاده ، عند ظهوره للرعاة ، قائلا لهم : « لا تخافوا فها أنا أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب ، أنه ولد لكم اليوم ، فى مدينة داود « مخلص » هو المسيح الرب » لو ٢ : ١٠ و ١١ اقرأ ع ٨ — ١٤) ، هذا هو الذى سبق النبى الرائى فتحدث عنه قبل مولده بزمن طويل ، قائلا : « لأنه يولد لنا ولد ونعطى ابناً وتكون الرياسة على كتفه ، ويدعى اسمه عجيباً مشيراً إلهاً قديراً أباً أبدياً رئيس السلام » (اقرأ إش ٩ : ٦ و ٧ مع لو ١ : ٣١ — ٣٣) .

هذا هو « يسوع » – « المخلص » الذى سبق أن قال عنه ذات الرسول : « يسوع المسيح « هو هو » أمساً واليوم وإلى الأبد » (راجع شرح ع ٨) . هذا هو « ابن الله » موضوع هذه الرسالة بجملتها الذى صار ، فى رتبته الملكية « أعظم من الملائكة بمقدار ما ورث اسماً أفضل منهم » (ص ١ : ٤ راجع شرح ع ١ – ٤) . هذا هو « ابن الله » الذى ، فى رتبته النبوية « قد حسب أهلا لمجد أكثر من موسى بمقدار ما لبانى البيت من كرامة أكثر من البيت » (ص ٣ : ٣ راجع شرح ع ١ – ٦) .

هذا هو « ابن الله » الذى ، فى رتبته الكهنوتية « لم يمجد نفسه ليصير رئيس كهنة بل الذى قال له – « أنت ابنى أنا اليوم ولدتك » (مز ٢ : ٧) – هو ذات الذى « أقسم ولن يندم » قائلا له : « أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكى صادق » (مز ١١٠ : ٤ راجع شرح ص ٥ : ٥ – ١٠) : فإنه بذلك القسم « قد حصل على خدمة أفضل بمقدار ما هو وسيط ، أيضاً ، لعهد أعظم قد تثبت على مواعيد أفضل » (ص ٨ : ٦ راجع شرح ع ١ – ٦) . فإنه ، فى هذه الرتبة الكهنوتية ، يقارن الرسول بين الرمز والمرموز إليه فى ثلاثة أشياء هى الإهراق والإحراق والقصد منهما ، وهذه المقارنة الثلاثية تتبين أمامنا فيما يلى حيث يقول : « يسوع أيضاً » : –

« لكى يقدس الشعب بدم نفسه » :

تعبير نتبين فيه إهراقاً لدم يسوع نفسه وذلك بالمقارنة مع دم الحيوانات التى سبق الكلام عنها (راجع الشرح) – ذلك الدم الذى وردت عنه التعليمات فى الوحى المقدس . تلك التعليمات التى تقضى بأن الكاهن الممسوح ، بعد أن يذبح تلك الحيوانات ، يأخذ من دمها ويدخل به إلى خيمة الاجتماع وينضح منه بإصبعه سبع مرات أمام الرب فى قدس الأقداس على الغطاء وأمام الغطاء . وفى القدس ينضح على أربعة قرون مذبح البخور ثم يصب سائر الدم إلى أسفل مذبح المحرقة فى الدار الخارجية (اقرأ لا ٤ : ١ – ١٢ و ١٦ – ١٨ و ١٦ : ١١ – ١٩) ، « لأنه إن كان دم ثيران وتيوس ورماد عجلة مرشوش على المنجسين يقدس إلى طهارة الجسد ، فكم بالحرى يكون « دم المسيح » – الذى بروح أزلى قدم نفسه لله بلا عيب – يطهر ضمائركم من أعمال ميتة لتخدموا الله الحى » (راجع شرح ص ٩ : ١٣ و ١٤) .

هذا هو التقديس الذى يتم عن طريق « الفداء الذى بيسوع المسيح الذى قدمه الله كفارة بالإيمان بدمه — لإظهار بره من أجل الصفح عن الخطايا السالفة بإمهال الله » (رو ٣ : ٢٤ و ٢٥) . هذا هو دم « المسيح يسوع » الذى صار لنا حكمة من الله و براً وقداسة وفداء » (١ كو ١ : ٣٠) — ذلك « الدم » الذى وصفه ذات الرسول بأنه « دم رش يتكلم أفضل من هابيل » (راجع شرح ص ١٢ : ٢٤) — « دم المسيح » الذى تحدث عنه الرسول بطرس مع المؤمنين ، قائلا لهم : « عالمين أنكم افتديتم — لا بأشياء تفنى بفضة أو ذهب من سيرتكم الباطلة التى تقلدتموها من الآباء — بل بدم كريم كما من حمل بلا عيب ولا دنس « دم المسيح » معروفاً سابقاً قبل تأسيس العالم » (١ بط ١ : ١٨ — ٢٠) .

هذا هو دم «حمل الله الذى يرفع خطية العالم » (يو ١ : ٢٩) — « دم الخروف » الذى فى سفر حياته كتبت أسماء « المعينين للحياة الأبدية » (قابل خر ٣٢ : ٣٢ مع دا ١٢ : ١ مع أع ١٣ : ٤٨ مع فى ٤ : ٣ مع رؤ ٣ : ٥ و ١٣ : ٨ و ٢٠ : ١٢ و ٢١ : ٢٧) . « لذلك يسوع ، أيضاً ، لكى يقدس الشعب بدم نفسه » : —

« تألم خارج البـــاب » :

الآن وقد انتهينا من الكلام عن الإهراق — إهراق الدم — دم السيد المسيح نفسه بمقارنته مع دم الحيوانات التى يدخل بدمها عن الخطية إلى الأقداس بيد رئيس الكهنة (راجع الشرح) — الآن نتقدم إلى الإحراق بالمقارنة بين تلك الحيوانات « التى تحرق خارج المحلة » وبين « يسوع » الذى « تألم خارج الباب » . فالمقارنة هنا هى ، ولا بد ، تتم لا فى ما بين الإحراق والآلام ، فحسب ، بل أيضاً ، بين « المحلة » و « الباب » .

أما المقارنة بين الإحراق والآلام ففيها تتجلى أمامنا بتعبير واضح شدة ما قاساه السيد المسيح من الآلام التى لا تحد ولا تعد وهى فى حقيقتها ، إحراق بلهيب نار لا قياس له — تلك الآلام التى عبر عنها ذات السيد بروحه فى الكلمة النبوية ، قائلا : « بذلت ظهرى للضاربين وخدى للناتفين ، وجهى لم أستر عن العار والبصق » (قابل إش ٥٠ :

٦ مع مت ٢٦ : ٦٧ و ٢٧ : ٢٦ — ٣٠ مع مر ١٤ : ٦٥ و ١٥ : ١٥ — ١٩ مع يو ١٩ : ١ — ٣) .

آلام لا تقدر عبر عنها الرائي إشعياء بقوله « مجروح لأجل معاصينا مسحوق لأجل آثامنا تأديب سلامنا عليه وبجبره (بجروحه) شفينا » (قابل إش ٥٣ : ٥ مع ١ بط ٢ : ٢٤) — آلام هي في الحقيقة بلايا محرقة — لا سياط ، بل « عقارب » (سيور من الجلد منوط بأطرافها قطع حادة من معدن أو عظم فكانت تمزق الجلد واللحم أيضاً) (قابل ١ مل ١٢ : ١٤ مع لو ٢٣ : ١٦) .

وإذا أرهفنا السمع ألا نسمع صوت المطارق الثقيلة فوق جبل الجلجثة وهي تدق تلك المسامير الضخمة في اليدين والرجلين فوق الخشبة ؟ (قابل مز ٢٢ : ١٦ — ١٨ مع مت ٢٧ : ٣٠ مع مر ١٥ : ٢٤ مع لو ٢٣ : ٣٣ — ٣٥ مع أع ٢ : ٢٢ و ٢٣ و ١٠ : ٣٨ و ٣٩ و ١٣ : ٢٩ اقرأ ع ٢١ — ٢٩) ، وكيف لا يسيل الدم من رأسه الذي عليه ضربوه بعد أن كللوه بإكليل شوك حاد كما طعنوه بحربة في جنبه ، بعد موته ، فخرج دم وماء ؟ (قابل مت ٢٧ : ٢٩ و ٣٠ مع مر ١٥ : ١٧ — ١٩ مع يو ١٩ : ٥ و ٣٣ و ٣٤ مع زك ١٢ : ١٠ مع رؤ ١ : ٧) .

وهل نستطيع أن نشعر معه بالآلام النفسية التي فاقت آلام الجسد وهو يعبر عنها بلغة النبوة ، قائلا : « أكثر من شعر رأسي الذين يبغضونني بلا سبب » ؟ (قابل مز ٦٩ : ٤ مع مز ٣٥ : ١٩ مع يو ١٥ : ٢٥) — « لأن غيرة بيتك أكلتني وتعييرات معيريك وقعت عليّ » (قابل مز ٦٩ : ٩ مع مز ١١٩ : ١٣٩ مع يو ٢ : ١٧ مع مز ٨٩ : ٥٠ و ٥١ مع رو ١٥ : ٣) — « يتكلم فيّ الجالسون في الباب وأغاني شرابي المسكر » (قابل مز ٦٩ : ١٢ مع مز ٣٥ : ١٥ و ١٦) — « العار قد كسر قلبي فمرضت ، انتظرت رقة فلم تكن ومعزين فلم أجد ، ويجعلون ، في طعامي ، علقماً وفي عطشي يسقونني خلاً » (قابل مز ٦٩ : ٢٠ و ٢١ مع مز ٣ : ١ و ٢ مع مز ١٤٢ : ٤ مع إش ٦٣ : ٣ و ٥ مع مت ٢٧ : ٤٨ مع يو ١٩ : ٢٩) .

وإذا غضضنا الطرف عن كل هذه الآلام الجسدية والنفسية ألا يكفى أن تشتعل فوق رأسه وفى قلبه نار غضب إله السماء ؟ كيف لا ؟ وقد تم فيه ذلك المكتوب فى الناموس : « لأن المعلق — « على خشبة » — ملعون من الله » (اقر أ تث ٢١ : ٢٢ و ٢٣) . وقد علق الرسول بولس على هذه اللعنة حيث قال : « المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا لأنه مكتوب « ملعون كل من علق على خشبة » لتصير بركة إبراهيم للأمم فى المسيح يسوع ؛ لننال بالإيمان موعد الروح » (غل ٣ : ١٣ و ١٤ انظر شرح ع ١٠ — ١٤ للمؤلف) .

أو ليست هذه هى « الكأس » التى قال عنها : « الكأس التى أعطانى الآب ألا أشربها » ؟ (يو ١٨ : ١١ قابل مت ٢٠ : ٢٢ و ٢٣ و ٢٦ : ٣٩ — ٤٢) — « الكأس » التى رآها المرنم بعين النبوة فأنشد بنغمة الأسى ، قائلا : « لأن فى يد الرب « كأساً » خمرها مختمرة — ملآنة شراباً ممزوجاً ، وهو (الرب) يسكب منها ، لكن عكرها يمصه — يشربه كل أشرار الأرض » (مز ٧٥ : ٨) .

هذه هى « الكأس » التى شربها السيد المسيح من يد الآب — كأس الغضب الإلهى المعلن من السماء على جميع فجور الناس وإثمهم (رو ١ : ١٨) حتى صرخ صرخته المدوية ، قائلا : « إلهى إلهى لماذا تركتنى » ؟ (قابل مز ٢٢ : ١ ع مت ٢٧ : ٤٦ مع مر ١٥ : ٣٤) . هكذا شرب السيد المسيح تلك « الكأس » المختمرة خمرها — كأس غضب الله وتحت لعنته المخيفة وذلك فى ساعات الظلمة الثلاث فى رابعة النهار والشمس فى السمت وتم القول : « جعل الذى لم يعرف خطية خطية لأجلنا لنصير نحن بر الله فيه » (قابل ٢ كو ٥ : ٢١ مع إش ٥٣ : ٦ و ٩ و ١٢ مع ١ بط ٢ : ٢٢ — ٢٤ مع ١ يو ٣ : ٥) .

أو لا نرى تلك النار المحرقة والآلام التى لا قياس لها مجموعة فى ما عبر به المرنم بلسان الحال حيث قال : « يارب لا توبخنى بسخطك ولا تؤدبنى بغيظك ؛ لأن سهامك قد انتشبت فىّ ونزلت علىّ يدك . ليست فى جسدى صحة من جهة غضبك . ليست فى عظامى سلامة من جهة خطيتى ؛ لأن آثامى قد طمت فوق رأسى . كحمل ثقيل

أثقل مما أحتمل ، قد أننت – قاحت « حبر » ضربى من جهة حماقتى ، لويت انحنيت إلى الغاية ، اليوم كله ذهبت حزيناً » (مز ٣٨ : ١ – ٦) .

هذا هو « حمل الله » الذى « تألم « خارج الباب » بالمقابلة مع « خارج المحلة » حيث كانت تحرق أجسام الحيوانات التى كان « يدخل بدمها إلى الأقداس بيد رئيس الكهنة » وذلك بوصف كونها ذبيحة خطية (راجع شرح ع ١١) – مقارنة بين « المحلة » وخارجها وبين « الباب » وخارجه . أما « المحلة » فمتعلقة « بالخيمة » التى كانت تتنقل مع الشعب فى سيرهم فى البرية – فى الحل والترحال – بقيادة « مجد الرب » الحال بين الكروبين فوق غطاء « تابوت العهد » كما سبقت الإشارة ، فإنه عند ارتحال التابوت ، كان موسى يقول : « قم يارب فلتتبدد أعداؤك ويهرب مبغضوك من أمامك » ، وعند حلوله كان يقول « ارجع يارب إلى ربوات ألوف إسرائيل » (اقرأ عد ١٠ : ٣٣ – ٣٦) . هذه هى « المحلة » – المكان الذى كانت فيه تحل الخيمة عند حلولها وترحل منه عند ارتحالها .

أما « الباب » فمتصل لا بخيمة متنقلة – فلسنا بعد فى الحل والترحال – بل متصل بمدينة مؤسسة مبنية « الجبال حولها » (مز ١٢٥ : ٢) – « أورشليم المبنية كمدينة متصلة كلها » (مز ١٢٢ : ٣) . هذه هى « أورشليم » التى كانت معقلا حصيناً لقبيلة اليبوسيين فى قرعة سبط يهوذا ، وكانت تدعى « يبوس » إلى أن جاء داود وأخذ هذا الحصن وسماه «مدينة داود » وبنى مستديراً من القلعة فداخلا . فأصبح « قلعة داود » (اقرأ ٢ صم ٥ : ٤ – ١٠) .

فى هذا الحصن – فى هذه القلعة – فى هذه المدينة « أورشليم » بنى داود مذبحاً للرب فى بيدر أرنان اليبوسى ، فقال داود : « هذا هو بيت الرب الإله وهذا هو مذبح المحرقة لإسرائيل » وأمر بإعداد كل ما يلزم لبناء بيت الرب فى يبوس التى هى أورشليم ، وشرع سليمان ابنه فى بناء ذلك البيت فى أورشليم التى هى يبوس فى جبل المريا حيث تراءى لداود أبيه . هيأ داود مكاناً فى بيدر أرنان اليبوسى (اقرأ ٢ صم ٢٤ : ١٨ – ٢٥ مع ١ أى ٢١ : ١٩ – ٢٦ و ٢٢ : ١ – ٦ مع ٢ أى ٣ : ١) .

هكذا ، من ذلك الوقت ، انتهت « المحلة » — المكان الذى كانت تحل فيه الخيمة ومنه ترتحل — فقد أصبحت الخيمة هيكلا مبنياً بناء حصيناً يعتبر فنياً . من عجائب الدنيا السبع — هيكلا مبنياً فى مدينة هى أورشليم المحصنة بالجبال ، واستبدل التعبير « خارج المحلة » بالتعبير « خارج الباب » — باب « أورشليم » لذلك يقول : « لذلك يسوع ، أيضاً ، لكى يقدس الشعب بدم نفسه تألم (لا خارج المحلة) بل خارج الباب » .

فما دام « يسوع » قد تألم خارج باب « أورشليم » فبأى معنى يكون كلام السيد المسيح الواضح الصريح الذى نطق به للفريسيين الذين تقدموا إليه — وهو يعلم فى مدن الجليل — وقالوا له مهددين : « أخرج واذهب من ههنا ؛ لأن هيرودس يريد أن يقتلك » فقال لهم : « امضوا وقولوا لهذا الثعلب : « ها أنا أخرج شياطين وأشفى اليوم وغداً ... وما يليه ؛ لأنه لا يمكن أن يهلك نبى خارجاً عن أورشليم . يا أورشليم يا أورشليم ! يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها ! كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا ؟ هوذا بيتكم يترك لكم خراباً » (لو ١٣ : ٣١ — ٣٥) .

قصد السيد المسيح بقوله هذا للفريسيين — قصد أن يحقق لهم أنه ما دام فى الجليل لا يمكن أن يتم قتله — الأمر الذى كان لابد أن يتم حتماً فى أورشليم — الأمر الذى عاد فأثبته فى نطقه بالويل على الكتبة والفريسيين فى « أورشليم » فى ذات الهيكل فى ساعاته الأخيرة حيث ترك الهيكل ليكون خراباً إلى الأبد فلا يعود إليه ؛ كما هو واضح فى الأصحاح الثالث والعشرين من إنجيل متى ، وبخاصة من العدد التاسع والعشرين وعلى الأخص من العدد السابع والثلاثين . . الخ (اقرأ كل الأصحاح مع ٢٤ : ١ و ٢ مع لو ١٩ : ٤١ — ٤٤ مع مت ٢١ : ١٨ — ٢٠ مع مر ١١ : ١٢ — ١٥ مع لو ١٣ : ٦ — ٩) . هكذا أثبت السيد المسيح أنه « لا يمكن أن يهلك نبى خارجاً عن أورشليم » .

على أن قول الرسول هنا عن « يسوع » أنه « تألم خارج الباب » — باب أورشليم لا يمكن أن يتنافى مع الإعلان الصريح أنه « لا يمكن أن يهلك نبى خارجاً عن أورشليم » . فالأمر واضح أن الحكم عليه بأنه « مستوجب الموت » (مت ٢٦ : ٦٦ مع مر ١٤ :

٦٤) ، هو حكم قد صدر فى أورشليم من رؤساء الكهنة والشيوخ ومجمع السنهدريم — « مشيخة الشعب » (اقرأ مت ٢٦ : ٥٧ — ٦٧ مع مر ١٤ : ٥٣ — ٦٥ مع لو ٢٢ : ٦٦ — ٧٠ مع أع ١٣ : ٢٦ — ٢٨) .

وهكذا أيضاً فى أورشليم فى دار الولاية الرومانية تقرر التصديق على الحكم تحت تأثير العنف الفريسى والإرهاب اليهودى بالضغط الشديد على بيلاطس البنطى الذى كان يريد إطلاق سراحه لأنه لم يجد فيه علة واحدة للموت فأمر أن تكون طلبتهم وأسلمه إليهم ليصلب .

وقد فعل كل ذلك مضطراً بعد أن أخذ ماء وغسل يديه قدام الجمع ، قائلا : إنى برىء من دم هذا البار ، أبصروا أنتم » (قابل مت ٢٧ : ١ — ٢٦) متفقاً فى هذا التصريح العلنى مع الرسالة التى أرسلت بها إليه امرأته محذرة إياه قائلة له : « إياك وذلك البار ؛ لأنى قد تألمت اليوم كثيراً فى حلم من أجله » (مت ٢٧ : ١٩) .

هكذا فى « أورشليم » صدر الحكم من « مشيخة الشعب » بأنه « مستوجب الموت » وهكذا فى « أورشليم » تأيد الحكم فى دار الولاية الرومانية بتنفيذ الحكم ، أما تنفيذ الحكم فقد كان خارج الباب — باب مدينة أورشليم ، بعد أن حكم أن تكون طلبتهم « أسلم يسوع » لمشيئتهم ومضوا به للصلب : و « فيما هم خارجون وجدوا إنساناً قيروانياً اسمه سمعان فسخروه ليحمل صليبه » (مت ٢٧ : ٢٧ — ٣٢ مع مر ١٥ : ١٦ — ٢١ مع لو ٢٣ : ٢٦ و ٢٧) .

هكذا بهذه الطريقة تم القول الواضح عن يسوع : « فخرج وهو حامل صليبه » (يو ١٩ : ١٧) — خرج « خارج الباب » — باب مدينة أورشليم — حاملاً صليبه وتم القول : « لذلك يسوع ، أيضاً . . تألم خارج الباب » . هكذا رأينا الإحراق فى الآلام بعد أن رأينا الإهراق فى الدم . أما القصد منهما فيعود بنا إلى التحذير الذى سبق الكلام عنه (راجع شرح ع ٩ — ١٢) ويتقدم بنا إلى : —

نعمة التثبيت فى التعليم الصحيح (ب) إيجاباً (عب ١٣ : ١٣ — ١٦)

١٣ فَلْنَخْرُجْ إِذاً إِلَيْهِ خَارِجَ ٱلْمَحَلَّةِ حَامِلِينَ عَارَهُ . ١٤ لِأَنْ لَيْسَ لَنَا هُنَا مَدِينَةٌ بَاقِيَةٌ لٰكِنَّنَا نَطْلُبُ ٱلْعَتِيدَةَ . ١٥ فَلْنُقَدِّمْ بِهِ فِي كُلِّ حِينٍ لِلّٰهِ ذَبِيحَةَ ٱلتَّسْبِيحِ أَيْ ثَمَرَ شِفَاهٍ مُعْتَرِفَةٍ بِٱسْمِهِ
١٦ وَلٰكِنْ لاَ تَنْسُوا فِعْلَ ٱلْخَيْرِ وَٱلتَّوْزِيعَ لِأَنَّهُ بِذَبَائِحَ مِثْلِ هٰذِهِ يُسَرُّ ٱللّٰهُ .

فى هذه الآيات (ع ١٣ — ١٦) ثلاث نصائح : نصيحتان إيجابيتان وثالثة سلبية ، أما النصيحة الإيجابية الأولى فهى قوله : « فلنخرج إذاً إليه خارج المحلة حاملين عاره » ، (ع ١٣) . أما النصيحة الإيجابية الثانية فهى قوله : « فلنقدم به فى كل حين لله ذبيحة التسبيح أى ثمر شفاه معترفة باسمه » (ع ١٥) . أما النصيحة الثالثة فهى سلبية ولكنها أيضاً فى حكم الإيجاب حيث يقول : « لا تنسوا فعل الخير والتوزيع » — نصيحة مسببة بالقول : « لأنه بذبائح مثل هذه يسر الله » (ع ١٦) . وبهذا التبويب نتقدم، بإرشاد الرب ، إلى شرح هذه الآيات الأربع : —

(ع ١٣) « فلنخرج إذاً إليه » :

الكلمة « إذاً » لها هنا مكانها الخاص الذى يوحى إلينا بأن الرسول قد وصل بنا إلى نتيجة لكلامه السابق الذى بدأ به فى حديثه مع العبرانيين عن « خارج المحلة » لذلك يقول هنا : « إذاً » — فلنخرج إليه » ، أما ضمير « الهاء » فى الكلمة « إليه » فإنه يعود بنا إلى شخص « يسوع » الذى خرج من الباب — باب المدينة — « مدينة أورشليم » حاملا صليبه (راجع شرح ع ١٢) .

أما الخروج المشار إليه فى كلمة « فلنخرج » فهو ، كما رأيناه ، خروج معنوى لا يدخل فى دائرة المحسوسات — خروج بالنفس والقلب لا بالحركة الجسمانية — خروج،

من « المحلة » — من الخيمة ومن الهيكل — خروج من جبل سيناء ومن مدينة أورشليم — خروج من كل النظام الموسوى وما يتصل به من مصنوعات الأيادى . وذلك بمقتضى قول الرب نفسه : « السموات كرسى والأرض موطىء قدمى ، أين البيت الذى تبنون لى وأين مكان راحتى ؟ وكل هذه صنعتها يدى فكانت كل هذه يقول الرب » (اقرأ إش ٦٦ : ١ و٢ قابل أع ٧ : ٤٤ — ٥٠ راجع شرح ص ١٢ : ٢٦ و٢٧ مع شرح غل ٤ : ٢٤ و ٢٥ للمؤلف) . « فلنخرج إذا إليه » : —

« خارج المحلــة » :

يبدو كأنه أمر غريب أن يعود الرسول بنا ، فى كلامه ، إلى « المحلة » ، فيقول « خارج المحلة » ، وذلك بعد أن تكلم عن « الباب » فى قوله — عن « يسوع » — « تألم خارج الباب » — باب المدينة — مدينة أورشليم (راجع الشرح) . على أن المتأمل المدقق لا يرى أية غرابة بين هذين القولين . فإن « المحلة » التى كانت تحرق خارجها أجسام الحيوانات هى ذات « الباب » الذى خارجه تألم السيد المسيح ، وذلك باعتبار أن كلا منهما داخل فى العهد الموسوى — بمقتضى النظام الموسوى على قدم المساواة .

وهذا أمر واقعى بينه ذات الرسول فى مقابلته « أورشليم الحاضرة » . مع « جبل سيناء » حيث قال للغلاطيين : « هاتان هما العهدان — أحدهما من جبل سيناء الوالد للعبودية الذى هو هاجر ؛ لأن هاجر جبل سيناء فى العربية ، ولكنه يقابل أورشليم الحاضرة فإنها مستعبدة مع بنيها » (راجع شرح غل ٤ : ٢٤ و ٢٥ للمؤلف) .

فالهيكل المشيد بالأساس والبناء فى مدينة أورشليم المحصنة بالجبال حولها — ذلك الهيكل لا يفرق قيد أنملة عن تلك الخيمة المتنقلة فى الحل والترحال فى برية سيناء ، فإن كلا من هذه الخيمة وذلك الهيكل هو عهد واحد ناموسى قائم « بأطعمة وأشربة وغسلات مختلفة وفرائض جسدية فقط موضوعة إلى وقت الإصلاح » (راجع شرح ص ٩ : ٨ — ١٠) .

عهد ينطبق عليه قول الرسول بأنه : « خدمة الحرف الذى يقتل » — « خدمة الموت المنقوشة بأحرف فى حجارة » — « خدمة الدينونة » — عهد مبرقع ممثل فى ذلك البرقع

الذى كان يضعه موسى على وجهه لكى لا ينظر بنو إسرائيل إلى نهاية هذا المجد الزائل فتبقى رهبة ذلك العهد العتيق الذى وسيطه موسى ، فى قلوبهم إلى أن يأتى « العهد الجديد » الذى وسيطه « يسوع » حيث روح الرب يضيء بنور كشاف وحرية مطلقة فيتم القول : « ونحن جميعاً ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف ، كما فى مرآة ، نتغير إلى تلك الصورة عينها — من مجد إلى مجد — كما من الرب الروح » (قابل ٢ كو ٣ : ٦ و ٧ و ٩ و ١٢ و ١٨ اقرأ ع ٦ — ١٨ مع خر ٣٤ : ٢٩ — ٣٥) . « فلنخرج إذاً إليه خارج المحلة » : —

« حاملين عاره » :

الضمير « ه » فى « عاره » كالضمير « ه » فى « إليه » وكلاهما يعود إلى « يسوع » الذى « تألم خارج الباب » (راجع شرح ع ١٢) . أما العار فى ذاته فهو ذلك الخزى الذى سبقت الإشارة إليه فى قول الرسول ، أيضاً ، عن ذات « يسوع » أنه « احتمل الصليب مستهيناً بالخزى » (ص ١٢ : ٢ راجع الشرح) . فالعار إذاً ، بهذا المعنى ، هو عار « الصليب » — ذلك « الصليب » الذى حمله السيد المسيح وهو خارج من الباب (قابل يو ١٩ : ١٧ مع مت ٢٧ : ٣١ — ٣٥ مع مر ١٥ : ٢٠ — ٢٤ مع لو ٢٣ : ٢٦ — ٣٣ راجع شرح ع ١٢) .

هذا هو « خروجه » — « خارج المحلة » — ذلك الخروج الذى كان موضوع الحديث الذى جرى فوق جبل التجلى بينه وبين موسى وإيليا « اللذين ظهرا بمجد وتكلما عن « خروجه » الذى كان عتيداً أن يكمله فى أورشليم » — « خارج الباب » — « خارج المحلة » (لو ٩ : ٣٠ و ٣١ اقرأ ع ٢٨ — ٣١) . هذا هو الخروج الذى تحدث السيد المسيح عنه مرة ومرات مع تلاميذه ليعدهم لمواجهته لكى لا يكون مفاجأة لهم ، حيث قال لهم : « إنه ينبغى أن يذهب إلى أورشليم ويتألم كثيراً من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة ويقتل وفى اليوم الثالث يقوم » (قابل مت ١٦ : ٢١ و ٢٠ : ١٧ — ١٩ مع مر ٨ : ٣١ و ٩ : ٣١ و ١٠ : ٣٣ و ٣٤ مع لو ٩ : ٢٢ و ١٨ : ٣١ و ٣٢ و ٢٤ : ٦ و ٧) .

هذا هو الخروج الذى يعقب عليه الرسول بالقول « فلنخرج إذاً إليه خارج المحلة حاملين عاره » . فبأى معنى يتم لنا ذلك ؟ يجيب السيد المسيح على هذا السؤال ، إذ أنه بعد أن سبق فأعلن حقيقة خروجه بموته أوصى بالخروج إليه ، قائلا : « إن أراد أحد أن يأتى ورائى فلينكر نفسه ويحمل صليبه (صليب الهزء والعار) كل يوم ويتبعنى ، فإن من أراد أن يخلص نفسه يهلكها ؛ ومن يهلك نفسه ، من أجلى ، يخلصها ؛ لأنه ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه أو ماذا يعطى الإنسان فداء عن نفسه » (قابل لو ٩ : ٢٣ — ٢٥ مع مت ١٦ : ٢٤ — ٢٧ مع مر ٨ : ٣٤ — ٣٧) .

فهل نستطيع أن نتبع هذه الوصية « لنخرج إليه خارج المحلة حاملين عاره » ؟ بذلك العزم الوطيد الذى اعتزمه ذلك الرسول فى نفسه مقرراً إياه فى قوله : « ها أنا أذهب إلى أورشليم مقيداً بالروح ولست أعلم ماذا يصادفنى هناك (فى « أورشليم ») ، غير أن الروح القدس يشهد فى كل مدينة ، قائلا : « إن وثقاً وشدائد تنتظرنى » ، ولكننى لست أحتسب لشىء ولا نفسى ثمينة عندى ؛ حتى أتمم « بفرح » سعيى والخدمة التى أخذتها من الرب يسوع ، لأشهد ببشارة نعمة الله » (أع ٢٠ : ٢٢ — ٢٤) ، فلا عجب أن يقول « فلنخرج إذاً إليه خارج المحلة حاملين عاره » : —

(ع ١٤) « لأن ليس لنا هنا مدينة باقية » :

الكلمة « لأن » كلمة تعليلية تدل على أن ما سيأتى بعدها ، من الكلام ، هو علة للكلام الذى سبقها . فهى ، بهذا الوضع ، تدل على علة لمعلول ، أما المعلول (أو المسبب بمعنى آخر) فهو النصح القائل : « فلنخرج إذاً إليه خارج المحلة » . فهو نصح معلول (مسبب) بالقول : « لأن » التعليلية ؛ أما العلة — علة ذلك النصح (أى سببه) فهى قوله : « ليس لنا هنا مدينة باقية » .

فأية « مدينة » هى يا ترى تلك « المدينة » ؟ إنها « مدينة » موضعية تتصل بموضع معين واضح فى الكلمة « هنا » . فهى ، بهذا الوضع وبهذا الاتصال ، مدينة تتصل بالأرض والأرضيات ولها وضع مادى متعلق بالماديات . فهى ، والحالة هذه ، تلك « المدينة » التى تدعى « أورشليم » الموصوفة فى قول المرنم : « تقف أرجلنا فى أبوابك

يا أورشليم – أورشليم المبنية كمدينة متصلة كلها » (مز ١٢٢ : ٢ و ٣) – « أورشليم الجبال حولها » (مز ١٢٥ : ٢) .

هذه هى « أورشليم » – « يبوس » – التى كانت يوماً ما معقلا حصيناً لقبيلة اليبوسيين فى قلب نصيب سبط يهوذا فى « أرض الموعد » – ذلك الحصن الذى لم يستطع هذا السبط – سبط يهوذا – أن يأخذه من أولئك اليبوسيين ؛ حتى جاء « داود الملك » وأخذ ذلك الحصن الذى كان يدعى حينئذ « حصن صهيون » ودعاه « مدينة داود » (اقرأ ٢ صم ٥ : ٦ – ١٠) .

هذه هى « المدينة » التى ينطبق عليها القول : « ليس لنا هنا مدينة باقية » ، ولا عجب ! فإن نبوخذ نصر ملك الكلدانيين أتى على تلك المدينة – « أورشليم » – فقتل مختاريهم بالسيف فى بيت مقدسهم وأخذ إلى بابل جميع آنية بيت الله وخزائن بيت الرب وأحرق بيت الله وهدم سور أورشليم وأحرق جميع قصورها بالنار وأهلك جميع آنيتها الثمينة وسبى الذين بقوا من السيف إلى بابل مدة سبعين سنة (اقرأ ٢ أى ٣٦ : ١٧ – ٢١) .

ومع أن الرب عاد فرد سبى صهيون وبنى سور المدينة وأعاد بناء هيكله فى أيام ملوك مادى وفارس فبقيت أورشليم وبقى هيكل الرب فيها حتى جاء الرب يسوع ودخل المدينة وعلم فى ذلك الهيكل ، لكنه أخيراً نادى عليها بالويل والدمار ، قائلا : « يا أورشليم ! يا أورشليم ! يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها ! كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا ، هوذا بيتكم يترك لكم خراباً » (مت ٢٣ : ٣٧ و ٣٨ قابل لو ١٣ : ٣٤ و ٣٥ و ١٩ : ٤١ – ٤٤ اقرأ مت ٢٤ مع لو ٢١) . هكذا حم القضاء وتم الخراب عندما أتى الآتى الذى لم يبطىء (راجع شرح ص ١٠ : ٣٧ و ٣٨) .

هذه هى « المدينة » – « أورشليم الحاضرة » « المستعبدة مع بنيها » – « جبل سيناء الوالد للعبودية الذى هو هاجر » – « الجارية » (راجع شرح غل ٤ : ٢٤ و ٢٥ للمؤلف) – هذه هى « أورشليم المستعبدة » مع بنيها لخوف من الموت بالنار الآكلة

التى اتقد بها جبل سيناء ؛ حتى صرخ الشعب من شدة الخوف « نموت لأن هذه النار العظيمة تأكلنا » (تث ٥ : ٢٥ اقرأ خر ١٩ : ١٦ — ١٩ و ٢٠ : ١٨ — ٢١ مع تث ٥ : ٢٣ — ٢٦ راجع شرح ص ١٢ : ١٨ — ٢١) .

هذه هى « مدينة أورشليم » التى بنى فيها هيكل الرب — التى خرج السيد من بابها ليترك بيتها خراباً إلى الأبد ، حاملا صليبه إلى الجلجثة ليصلب — هذه هى « المحلة » — « محلة إسرائيل » — التى خارجها كان « مرمى الرماد » — رماد الذبائح التى أحرقت أجسامها — هذا هو « جبل سيناء الوالد للعبودية » — هذا هو الناموس الموسوى بكل ما فيه من فرائض وأحكام وشرائع وطقوس — هذا هو الذى يجب أن يخرج منه كل من يؤمن بالمسيح منكراً نفسه حاملا صليبه مع سيده إتماماً للقول : « فلنخرج إذاً إليه خارج المحلة حاملين عاره ؛ لأن ليس لنا هنا مدينة باقية » : —

« لكننا نطلب العتيدة » :

الكلمة « لكن » لغوياً ، هى حرف مشبه بفعل ينصب الاسم ويرفع الخبر ، فهى ، فى وضعها فى هذه الجملة ، حرف استدراك ينسب لما بعده حكماً مخالفاً لما قبله ، وهذا يتضح من المقابلة بين القول السابق : « ليس لنا » مع القول اللاحق ، « لكننا » — هكذا يقول الرسول : « ليس لنا هنا مدينة باقية لكننا نطلب العتيدة » .

أما كلمة « العتيدة » فهى وصف لمعلوم محذوف وارد فى القول : « ليس لنا هنا مدينة باقية لكننا نطلب العتيدة » أى المدينة « العتيدة » . وقد سبق أن رأينا المدينة التى ليست باقية التى هى « أورشليم الحاضرة المستعبدة مع بنيها التى هى جبل سيناء فى العربية » — « الجبل الملموس المضطرم بالنار » الآكلة المخيفة (راجع شرح ص ١٢ : ١٨ — ٢١ مع شرح غل ٤ : ٢٤ و ٢٥ للمؤلف) .

وعلى هذا القياس نتعرف على المدينة « العتيدة » بوصف أنها أورشليم العليا « التى قيل عنها : « وأما أورشليم العليا التى هى أمنا جميعاً فهى حرة » (راجع شرح غل ٤ : ٦ — ٥ : ١ للمؤلف) — هذه هى « مدينة الله الحى أورشليم السماوية » الموصوفة

بالوصف السباعي الوارد في (ص ١٢ : ٢٢ — ٢٤ راجع الشرح) — هذه هي «المدينة» التي كان ينتظرها «إبراهيم» وهو غريب في «أرض الموعد» مع إسحق ويعقوب الوارثين معه لهذا الموعد عينه «لأنه كان ينتظر المدينة التي لها الأساسات التي صانعها وبارئها الله» (راجع شرح ص ١١ : ٨ — ١٠).

هذه هي «المدينة المقدسة أورشليم الجديدة» التي رآها الرائي يوحنا «نازلة من السماء من عند الله — مهيأة كعروس مزينة لرجلها» (رؤ ٢١ : ٢ اقرأ باقي الأصحاح) هذه هي عروس النشيد التي سبق العريس فدعاها بصوته الحلو وكلماته المحببة قائلا : «هلمي معي من لبنان يا عروس ! معي من لبنان» واصفاً إياها بالقول : «أختي العروس جنة مغلقة عين مقفلة ينبوع مختوم . أغراسك فردوس رمان مع أثمار نفيسة.. ينبوع جنات ، بئر مياه حية وسيول من لبنان» (اقرأ نش ٤ : ٨ — ١٥ مع مز ٤٥ مع إش ٦١ : ١٠ و ١١ و ٦٢ : ٥ مع مت ٢٢ : ١ — ١٤ مع رؤ ١٩ : ٦ — ٩).

هذه هي «العروس امرأة الحمل» — «كنيسة الله التي اقتناها بدمه» (أع ٢٠ : ٢٨) — «الكنيسة» التي هي جسد المسيح — «ملء الذي يملأ الكل في الكل» (أف ١ : ٢٢ و ٢٣) — «الكنيسة» التي أحبها السيد المسيح «وأسلم نفسه لأجلها لكي يقدسها مطهراً إياها بغسل الماء بالكلمة ، لكي يحضرها لنفسه كنيسة مجيدة لا دنس فيها ولا غضن أو شيء من مثل ذلك ، بل تكون مقدسة وبلا عيب» (أف ٥ : ٢٥ — ٢٧) — «كنيسة الله الحي عمود الحق وقاعدته» (١ تي ٣ : ١٥).

هذه هي «العروس» التي تتجاوب مع نداء العريس ، قائلة له : «اجعلني كخاتم على قلبك — كخاتم على ساعدك ؛ لأن المحبة قوية كالموت ، الغيرة قاسية كالهاوية ، لهيبها لهيب نار لظى الرب ، مياه كثيرة لا تستطيع أن تطفىء المحبة والسيول لا تغمرها ، إن أعطى الإنسان كل ثروة بيته بدل المحبـــة تحتقر احتقاراً» (نش ٨ : ٦ و ٧).

هذه هي «العذراء العفيفة» المخطوبة «للمسيح» — لرجل واحد — الموصوفة «بحكمة الحيات وبساطة الحمام» التي إذ تضع يدها على المحراث لا تنظر إلى الوراء ،

لا إلى اليمين ولا إلى اليسار ، على مقتضى تعبير رسول الأمم حيث قال : « أنسى ما هو وراء وأمتد إلى ما هو قدام ، أسعى نحو الغرض لأجل جعالة دعوة الله العليا فى المسيح يسوع » (قابل فى ٣ : ١٢ — ١٤ مع ٢كو ١١ : ١ و ٢ مع مت ٦ : ٢٢ — ٢٤ و ١٠ : ١٦ مع لو ٩ : ٦٢) . هذا كله يصح أن يكون وصفاً حقيقياً للمدينة « العتيدة » — « مدينة الله الحى » — « أورشليم العليا » — « المدينة المقدسة » — « أورشليم السماوية » — « عروس المسيح » .

هذه هى المدينة « العتيدة » التى يطلبها المؤمنون الحقيقيون الذين وصفهم الرسول ممثلين فى « إبراهيم وإسحق ويعقوب » — الذين « فى الإيمان مات هؤلاء أجمعون وهم لم ينالوا المواعيد ، بل من بعيد نظروها وصدقوها وحيوها وأقروا بأنهم غرباء ونزلاء على الأرض » — ولو كانت أرض الموعد — وهم فى هذا الإقرار يظهرون أنهم « يطلبون وطناً أفضل أى سماوياً ، لذلك لا يستحى بهم الله أن يدعى إلههم » حيث قال : « أنا إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب » ولا عجب « لأنه أعد لهم مدينة » هى ذات « المدينة العتيدة » التى سبق الكلام عنها (راجع شرح ص ١١ : ١٣ — ١٦) .

فلنخرج إذاً من سيناء ومن أورشليم الحاضرة — لنخرج من موسى وناموسه إلى السيد المسيح وإنجيله ليتم فينا القول : « إن كنتم للمسيح فأنتم إذاً نسل إبراهيم وحسب الموعد ورثة » (راجع شرح غل ٣ : ٢٦ — ٢٩ للمؤلف) . فلنخرج إلى يسوع « خارج المحلة » « حاملين عاره » : —

(ع ١٥) « فلنقدم به » :

هذه هى النصيحة الإيجابية الثانية « فلنقدم به » وقد سبق أن رأينا النصيحة الإيجابية الأولى وهى « فلنخرج إذاً إليه » (راجع شرح ع ١٣ و ١٤) . وإذا أمعنا التأمل فى المقابلة بين هاتين النصيحتين معاً ندرك أن كلا منهما يبدأ بحرف « الفاء » التى تدل على التعقيب ، فإنه ، كما قيل : « فلنخرج » هكذا قيل ، أيضاً : « فلنقدم » — الأمر الذى يدل بوضوح على أنهما نصيحتان متعاقبتان مستقلة إحداهما عن الأخرى وأن كلا منهما واجب قائم بذاته .

وإذا استقصينا الإمعان فى التأويل وتقصينا الإنعام فى البحث والتنقيب فى هاتين النصيحتين الإيجابيتين نراهما أيضاً مرتبطتين معاً فى ضمير « الهاء » الوارد فى « به » فى هذه النصيحة الثانية والوارد فى « إليه » فى النصيحة الأولى ، وذلك على أساس أنه ضمير متصل عائد إلى شخص « يسوع » الذى تألم خارج الباب الذى « إليه » نخرج و « به » نقدم . فإنه هو ذلك الشخص العجيب — مركز دائرة البحث والاستقصاء والتنقيب فى كل هذه الرسالة — الشخص الوحيد الذى « إليه » نخرج و « به » نقدم ، هذا هو الذى « نقدم به » : —

« فى كل حين » :

أى بدون تحديد لوقت ما — ليس كما كان « يوم الكفارة العظيم مرة فى السنة » الذى فيه كانت « تحرق أجسام الحيوانات التى يدخل بدمها ، عن الخطية ، إلى الأقداس بيد رئيس الكهنة » مرة فى السنة (راجع شرح ع ١١) بل « فى كل حين » ، لأن « يسوع » — « رب المجد » — الذى « به نقدم » » — « الآن قد أظهر « مرة » عند انقضاء الدهور ليبطل الخطية بذبيحة نفسه » (راجع شرح ص ٩ : ٢٦) ، « وبعد ما قدم ، عن الخطايا ، « ذبيحة واحدة » جلس إلى الأبد عن يمين الله . . لأنه « بقربان واحد » قد أكمل إلى الأبد المقدسين » (راجع شرح ص ١٠ : ١٢ — ١٤) « فلنقدم به فى كل حين » : —

« لله » :

لفظ الجلالة هذا « الله » يدخل بنا إلى « قدس الأقداس » حيث الغطاء (ومعناه « الكفارة ») — غطاء « تابوت العهد » وفوقه « الكروبان » مظللين الغطاء « ومجد الله » حال فوق الغطاء بين الكروبين (راجع شرح ص ٩ : ٣ — ٥) . ولكن ! ما لنا وقدس الأقداس فى سيناء وفى أورشليم ؟ فأين خيمة سيناء وقد انتهى عهدها وأين هيكل أورشليم وقد تم فيه القضاء بالخراب ؟ ولماذا نقف حائرين بين هذا وتلك ؟ إلى السماوات بمقتضى الإعلان الصريح القائل : « فإذ لنا رئيس كهنة مثل هـــذا

قد اجتاز السماوات — « يسوع ابن الله » — فلنتمسك بالإقرار . . . فلنتقدم بثقة إلى عرش النعمة لكى ننال رحمة ونجد نعمة — عوناً فى حينه » (راجع شرح ص ٤ : ١٤ — ١٦) .

هذا هو « يسوع » الذى « جعل الاثنين (يهوداً وأمماً) واحداً ونقض حائط السياج المتوسط أى العداوة ، مبطلا فى جسده ناموس الوصايا فى فرائض لكى يخلق الاثنين (يهوداً وأمماً) فى نفسه إنساناً واحداً جديداً ، صانعاً سلاماً ويصالح الاثنين (يهوداً وأمماً) فى جسد واحد مع « الله » بالصليب — قاتلا العداوة به . . . لأن « به » لنا كلينا (يهوداً وأمماً) « قدوماً » فى روح واحد إلى الآب » (اقرأ أف ٢ : ١٣ — ١٩ راجع شرح ص ٧ : ٢٢ — ٢٨) . و « إذ لنا . . كاهن عظيم على بيت الله لنتقدم بقلب صادق ، فى يقين الإيمان ، مرشوشة قلوبنا من ضمير شرير ومغتسلة أجسادنا بماء نقى » (راجع شرح ص ١٠ : ١٩ — ٢٢) — « فلنخرج إذاً إليه » و « لنقدم به فى كل حين لله » .

« ذبيحـة التسبيح » :

هذه هى أولى ذبائح « العهد الجديد » الذى وسيطه « يسوع » (عب ١٢ : ٢٤ راجع شرح ع ٢٢ — ٢٤ مع ص ٨ : ١ و ٢ و ٦ وص٩ : ١١ — ١٤) — « ذبيحة التسبيح » التى نقدمها « كل حين » بيسوع « لله » ، ولعلها « ذبيحة الشكر » التى عبر عنها ذات الرسول ، قائلا : « شاكرين « كل حين » على كل شىء فى اسم ربنا يسوع المسيح « لله » والآب » (أف ٥ : ٢٠) — « شاكرين الآب الذى أهلنا لشركة ميراث القديسين فى النور » (كو ١ : ١٢) . وما أمجد القول الإلهى ! « كل ما عملتم بقول أو فعل فاعملوا الكل باسم الرب يسوع شاكرين « الله » والآب به » (كو ٣ : ١٧) . فما أمجد التسبيح وما أمتع الشكر فى عبادة الإله الحى الذى يليق به كل تسبيح ويحق له كل شكر !

أو ليست كل المحرقات والتقدمات وذبائح العهد الموسوى — ذبائح السلامة والخطية والإثم — أليست هى كلها ، فى لبها وجوهرها « ذبيحة الحمد » ؟ الذى

يسمع نشيده البهيج فى كل « وحى داود بن يسى ووحى الرجل القائم فى العلا — مسيح إله يعقوب ومرنم إسرائيل الحلو » — « داود » الذى قال عن نفسه : « روح الرب تكلم بى وكلمته على لسانى » (٢ صم ٢٣ : ١ و ٢) .

نعم ! هذه هى الحقيقة التى تتجلى لنا فى تلك المزامير الموحى بها على فم ذلك النبى الملهم ؛ حيث نسمعه منشداً بقول الرب لشعبه : « اسمع يا شعبى فأتكلم ! يا اسرائيل فأشهد عليك — « الله إلهك أنا ، لا على ذبائحك أوبخك فإن محرقاتك هى دائماً قدامى ، لا آخذ من بيتك ثوراً ولا من حظائرك أعتدة ؛ لأن لى حيوان الوعر والبهائم على الجبال الألوف . قد علمت كل طيور الجبال ووحوش البرية عندى ، إن جعت فلا أقول لك ، لأن لى المسكونة وملأها ، هل آكل لحم الثيران أو أشرب دم التيوس ؟ اذبح لله « حمداً » وأوف العلى نذورك وادعنى فى يوم الضيق ، انقذك فتمجدنى » : « ذابح الحمد يمجدنى والمقوم طريقه أريه خلاص الله » (مز ٥٠ : ٧ — ١٤ و ٢٣) . « فليكن عندنا شكر به نخدم الله » (راجع شرح ص ١٢ : ٢٨) ولنتقدم لجلاله باسم ابنه « فى كل حين لله ذبيحة التسبيح » : —

« أى ثمر شفاه معترفة باسمه » :

الكلمة « أى » حرف تفسير واقع بين جملتين — الأولى قوله : « ذبيحة التسبيح » — أما الثانية فهى قوله : « ثمر شفاه » . فهى (أى) بهذا الوضع ، حرف تفسير لما قبله بما بعده كما لو أراد أن يقول : « ذبيحة التسبيح » التى هى « ثمر شفاه معترفة باسمه » . هذا يأتى بنا إلى « ثمر الشفاه » الذى هو ، ولا بد ، كلام ينطق به اللسان ويخرج من الشفاه» . هو ذلك الكلام الذى أوصى به الرب شعبه عن لسان هوشع ، قائلا : « ارجع يا إسرائيل إلى الرب إلهك ، لأنك قد تعثرت بإثمك ، خذوا معكم «كلاماً » وارجعوا إلى الرب ، قولوا له : « ارفع كل إثم واقبل حسناً ؛ فنقدم عجول شفاهنا » (هو ١٤ : ١ و ٢) .

فإن النبى هوشع فى هذا النداء يدعو الشعب باسم الرب للرجوع إلى جلاله — لا بذبائح حيوانية ولا بعجول بهامية بل « بذبائح شفاه » — هى كلام منطوق باللسان

خارج من الشفاه معبر عنه « بعجول شفاهنا » — معترفاً بما ارتكبه الإنسان من إثم أو خطية راجياً صفحاً وغفراناً .

هذا هو « ثمر الشفاه » — الكلام الذى يخرج من بين الشفتين — الكلام الذى قال عنه السيد له المجد : « لأنك بكلامك تتبرر وبكلامك تدان » (مت ١٢ : ٣٧) — هذا هو الكلام منطوق « اللسان » — اللسان الذى قيل عنه : « اللسان نار عالم الإثم ، هكذا جعل ، فى أعضائنا ، اللسان الذى يدنس الجسم كله ويضرم دائرة الكون ويضرم من جهنم » — هذا هو « اللسان » الذى « به نبارك الله وبه نلعن الناس الذين قد تكونوا على شبه الله ، من الفم الواحد تخرج بركة ولعنة » لذلك يقول : « لا يصلح يا إخوتى أن تكون هذه الأمور هكذا ، ألعل ينبوعاً ينبع من نفس عين واحدة العذب والمر » ؟ (اقرأ يع ٣ : ٦ — ١٢) .

هذه الأقوال المقدسة تمهد لنا الطريق للوصول إلى الأعماق حيث الينبوع الذى منه يستقى الإنسان كلامه ، كما قال عنه السيد : « لأن كل شجرة تعرف من «ثمرها» فإنهم لا يجتنون من الشوك تيناً ولا يقطفون من العليق عنباً ، الإنسان الصالح ، من كنز قلبه الصالح ، يخرج الصلاح ، والإنسان الشرير ، من كنز قلبه الشرير ، يخرج الشر ، فإنه من فضلة القلب يتكلم فمه » (لو ٦ : ٤٤ و ٤٥) . فى هذه الأقوال يربط السيد المسيح بين « القلب » و « الفم » كما بين « الشجرة » و « الثمر » . فإنه من الينبوع فى أعماق القلب يستقى الفم فينطق اللسان وتثمر الشفتان .

على أن الرسول يتحدث هنا عن « شفاه معترفة باسمه » . والقرينة هنا تدل على أن هذا « الاسم » المنوه عنه و « المعترف به » هو « اسم الرب يسوع » الذى تحدث عنه الرسول أيضاً فى رسالته إلى الرومانيين ، قائلا : « إن اعترفت « بفمك » بالرب يسوع وآمنت بقلبك أن الله أقامه من الأموات خلصت ، لأن القلب يؤمن به للبر والقلب يعترف به للخلاص » (رو ١٠ : ٩ و ١٠) .

هذه هى « ذبيحة التسبيح » — « ثمر الشفاه » المعترفة باسم « الرب يسوع » الذى به بشر الملاك يوم ولادته ، قائلا : « ها أنا أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب ،

أنه ولد لكم اليوم فى مدينة داود « مخلص » هو المسيح الرب » (لو٢ : ١٠ و ١١)، هذا هو « يسوع » الذى به لنا كلينا قدوم ، فى روح واحد ، إلى الآب » (أف٢ : ١٨) ، « وباسمه » — الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق « لأن الآب طالب مثل هؤلاء الساجدين له : الله روح والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغى أن يسجدوا » (اقرأ يو ٤ : ٢٣ و ٢٤) بمقتضى الهتاف القائل : « قدموا للرب يا أبناء الله ، قدموا للرب مجداً وعزاً ، قدموا للرب مجد اسمه ، اسجدوا للرب فى زينة مقدسة » (مز ٢٩ : ١ و ٢) .

فلنحذر فى تسبيحنا لله من « أغانى شرابى المسكر » (مز ٦٩ : ١٢) « فنصير أغانى العصر ولاول » (عا ٨ : ٣) إذ يتم قضاء الله الذى أنبأ به قائلا : « أحول أعيادكم نوحاً وجميع أغانيكم مراثى وأصعد على كل الأحقاء مسحاً وعلى كل رأس قرعة وأجعلها كمناحة الوحيد وآخرها يوماً مراً » (عا ٨ : ١٠) . فلا عجب ! أن يقول ، أيضاً : « أبعد عنى ضجة أغانيك ونغمة ربابك لا أسمع » (عا ٥ : ٢٣ اقرأ إش ١ : ١١ — ١٥) . فما أجمل أن يكون « ثمر شفاهنا » ما نوه إليه المرنم ، قائلا : « جعل فى فمى ترنيمة جديدة (بتجديد الروح القدس) تسبيحة لإلهنا » (مز ٤٠ : ٣ اقرأ مز ١٤٥ و ١٤٩ : ٥ — ٩) . « فلنقدم به فى كل حين لله ذبيحة التسبيح أى ثمر شفاه معترفة باسمه » : —

(ع ١٦) ولكن لا تنسوا » :

هذه هى النصيحة الثالثة التى سبقت الإشارة إليها بوصف كونها سلبية فى صيغتها ، ولكنها ، فى قوتها ، فى حكم الإيجاب — نصيحة يتقدم بها الرسول للمؤمنين من العبرانيين الذين يكتب إليهم — نصيحة تحذيرية مسبوقة بالكلمة « ولكن » . وهو حرف مخفف من حرف مشدد أصله « لكن » (راجع شرح ع ١٤) — حرف استدراك للكلام سابق بقول لاحق ، يتجلى واضحاً فى ربط هذه النصائح الثلاث التى يقدمها الرسول للمؤمنين العبرانيين فى هذه المناسبة ، قائلا : « فلنخرج إذاً إليه » (راجع شرح ع ١٣) — « فلنقدم به » (راجع شرح ع ١٥) : —

« ولكن لا تنسوا » :

نهى مستدرك مبتدأ بكلمة « لا » الناهية بذات الصيغة التى جاء بها أكثر الوصايا العشر المكتوبة على اللوحين بإصبع الله ، جل جلاله ، حيث قيل : « لا يكن » — « لا تصنع » — « لا تسجد » — « لا تعبد » — « لا تنطق » — « لا تقتل » — « لا تزن » « لا تسرق » — « لا تشهد » — « لا تشته » (قابل خر ٢٤ : ١٢ و ٣٢ : ١٦ اقرأ خر ٢٠ : ١ — ١٧) — هذه هى كلمة « لا » الناهية فى القول : « لا تنسوا » مستدركة بالقول « ولكن لا تنسوا » .

نهى عن النسيان الذى هو ، فى صيغته السلبية ، ترك الشيء وإهماله إلى درجة معها ينحذف عن القلب ذكره فلا يعود إلى الفكر أو الذهن ، وقد يكون نسياناً ناشئاً إما عن ضعف فى الذاكرة وإما عن إهمال مقصود فيقال : « لا تنسوا الفضل بينكم أى لا تقصدوا الترك والإهمال ، أما نسيان الفضل فقد كان أمراً واقعاً عند « رئيس السقاة » الذى « لمدة سنتين » ترك « يوسف » فى السجن ناسياً فضله ، وذلك بالرغم من أنه كان محملا بالتماس منه نصه : « وإنما ، إذا ذكرتنى عندك حينما يصير لك خير ، تصنع إلىّ إحساناً ، وتذكرنى لفرعون وتخرجنى من هذ البيت » (تك ٤٠ ١٤ اقرأ ع ٩ — ١٥ و ٢٣)

وكيف غاب عن ذهن هذا الساقى — كيف ينسى هذا الفضل العظيم الذى تفضل به الله عليه عن طريق هذا العبد السجين ؟ أكان هذا النسيان عن ذهول من شدة الفرح الذى غمره برده إلى مقامه ؟ وما أشد فعل الفرح الذى يؤدى إلى النسيان (اقرأ أع ١٢ : ١١ — ١٤) . أهو الفرح فى شدته أو الإهمال والقصد ؟

ولماذا هذا التساؤل ؟ وكيف لا يرجع بنا هذا النسيان إلى ذلك القصد الأزلى — إلى الوقت المعين فى قصد الله الذى فيه تتنبه الذاكرة فيقف « رئيس السقاة » أمام الفرعون وقد رآه منزعج النفس بسبب حلمه ليخبره عن ذلك السجين الذى « رده إلى مقامه » (تك ٤١ : ١٣) فيرسل الفرعون ويأتى به من السجن إلى العرش (اقرأ تك ٤١ : ١ — ٤٦) . هكذا تم قصد الله بذلك النسيان الذى أصبح من طبيعة الإنسان .

وما أقرب التشابه بين الإنسان والنسيان لفظاً ! لذلك يحذر الرسول الإنسان من النسيان، قائلا : « لا تنسوا » : —

« فعل الخير والتوزيع » :

اقتران « فعل الخير » « بالتوزيع » يدل على أن « فعل الخير يتصل باحتياجات الآخرين ؛ كما يتجلى فى قول الرسول — « التلميذ الحبيب » — « وأما من كان له معيشة العالم ونظر أخاه محتاجاً وأغلق أحشاءه عنه فكيف تثبت محبة الله فيه ؟ يا أولادى لا نحب بالكلام ولا باللسان ؛ بل بالعمل والحق » (١ يو ٣ : ١٧ و ١٨) . الأمر الذى يدل دلالة واضحة على أن الذين « لهم معيشة هذا العالم » عليهم مسئولية خطيرة من نحو المحتاجين ؛ كما يقول الرب : « لأنه لا تفقد الفقراء من الأرض ، لذلك أنا أوصيك قائلا : « افتح يدك لأخيك المسكين والفقير فى أرضك » (تث ١٥ : ١١ اقرأ ع ٧ — ١١) .

على أساس هذه الوصية الصريحة يقول السيد المسيح : « لأن الفقراء معكم فى كل حين ومتى أردتم تقدرون أن تعملوا بهم خيراً » (مر ١٤ : ٧) . وما أعجب ما نطق به ذلك الحكيم الملهم فى أمثاله ! حيث يقول : « من يرحم الفقير يقرض الرب وعن معروفه يجازيه » (أم ١٩ : ١٧) ، وهو قول يفوق كل إدراك البشر — أن يجعل الله ذاته مقترضاً تحت التزام لمقرض ليجازيه عن معروفه ، فلا عجب ! إذا قيل : « من يعطى الفقير لا يحتاج ، ولمن يحجب عنه عينيه لعنات كثيرة » (أم ٢٨ : ٢٧) .

لهذا « يتعب » الإنسان « عاملا الصالح بيديه » — ليس لكى يأكل أو يشرب أو يلبس « لأن هذه كلها تطلبها أمم العالم » (مت ٦ : ٣١ و ٣٢ مع لو ١٢ : ٢٩ و ٣٠ اقرأ مت ٦ : ٢٥ — ٣٤ مع لو ١٢ : ٢٢ — ٣١) — « بل بالحرى يتعب عاملا الصالح بيديه ، ليكون له أن يعطى من له احتياج » (أف ٤ : ٢٨) « فعل الخير والتوزيع » إزاء هذا النور الكتابى هو الإحسان إلى كل إنسان ؛ حتى الذين يقال عنهم : « أحسنوا إلى مبغضيكم وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم ؛ لكى

تكونوا أبناء أبيكم الذى فى السموات ، فإنه يشرق شمسه على الأشرار والصالحين ويمطر على الأبرار والظالمين » (مت ٥ : ٤٤ و ٤٥ اقرأ ع ٤٣ — ٤٨) .

بهذا التعليم ، فى خطاب العرش ، يرتفع بنا « ملك المجد » إلى أعلى عليين بل يسمو بنا إلى سماء السموات العليا فى قوله ، أيضاً ، « أحبوا أعداءكم وأحسنوا وأقرضوا وأنتم لا ترجون شيئاً ؛ فيكون أجركم عظيماً وتكونوا بنى العلى ؛ فإنه منعم على غير الشاكرين والأشرار » (لو ٦ : ٣٥) . فلنتيقظ ولنحتفظ بنعمة الله بهذا السمو الفائق ولنحذر من خطر السقوط إلى تلك البؤرة الفاسدة التى انحدر إليها ذلك الغنى الغبى ، وهو يقول لنفسه : « يا نفس ! لك خيرات كثيرة موضوعة لسنين كثيرة « استريحى وكلى واشربى وافرحى » فقال له الله : « ياغبى (لا ياغنى — بل يا غبى) هذه الليلة تطلب نفسك منك ، فهذه التى أعددتها لمن تكون » ؟ « هكذا الذى يكنز لنفسه وليس هو غنياً لله » (لو ١٢ : ١٩ — ٢١) . هذا هو « فعل الخير » مقترناً « بالتوزيع » .

أما كلمة « التوزيع » فهى فى أصلها اليونانى لا تعنى مجرد « التوزيع » المستفاد من « فعل الخير » مع الفقراء والإحسان إليهم ، فحسب ؛ بل ، بالأحرى ، تسمو فى معناها إلى درجة جعلهم شركاء ومتقاسمين فى كل شىء . ولعل هذا المعنى هو ذلك العمل الذى تم فعلا فى الشركة الأخوية التى كانت بين مؤمنى العصر الأول المسيحى ؛ حيث «كان لجمهور الذين آمنوا قلب واحد ونفس واحدة ، ولم يكن أحد يقول إن شيئاً من أمواله له ؛ بل كان عندهم كل شىء مشتركاً . . إذ لم يكن فيهم أحد محتاجاً ؛ لأن كل الذين كانوا أصحاب حقول أو بيوت كانوا يبيعونها ويأتون بأثمان المبيعات ويضعونها عند أرجل الرسل ، فكان « يوزع » على كل أحد كما يكون له احتياج» (اقرأ أع ٤ : ٣٢ — ٣٥) .

على أن الرسول بولس ، وهو يتحدث عن هذه « الشركة » يبينها لنا من ناحية أخرى حيث يقول : « ليشارك الذى « يتعلم الكلمة » المعلم فى جميع الخيرات ، لا تضلوا — الله لا يشمخ عليه — فإن الذى يزرعه الإنسان إياه يحصد أيضاً ، لأن من يزرع « لجسده » فمن الجسد يحصد فساداً ، ومن يزرع « للروح » فمن الروح يحصد حياة أبدية ،

فلا نفشل فى « عمل الخير » لأننا سنحصد فى وقته إن كنا لا نكل ، فإذا ، حسبما لنا فرصة ، فلنعمل « الخير » للجميع ولا سيما لأهل الإيمان » (انظر شرح غل ٦ : ٦ — ١٠ للمؤلف) .

فلنصغ إلى نصح الجامعة الذى « كان حكيماً وأيضاً علم الشعب علماً ووزن وبحث وأتقن أمثالا كثيرة » (جا ١٢ : ٩) — فلنصغ إليه وهو يحضنا على « فعل الخير والتوزيع » قائلا : « ارم خبزك على وجه المياه فإنك تجده بعد أيام كثيرة » (جا ١١ : ١) . وهل لأجل المكافأة « نفعل الخير » ؟ يجيبنا الرسول عن هذا السؤال ، قائلا : —

« لأنه بذبائح مثل هذه يسر الله » :

هذه جملة سببية تعليلية تتصل بتلك النصيحة المسببة بهذا السبب المعلول باللام فى « لأنه » ، أما الكلمة « أنه » فهى مركبة من مقطعين أحدهما « أنّ » : وهى حرف توكيد يعمل عمل الفعل فى نصب الاسم ورفع الخبر ؛ أما المقطع الثانى فهو الضمير (هـ) ضمير الغائب الذى يقع ، فى هذه الجملة ، اسماً منصوباً بحرف التوكيد « أنّ » . أما خبره فهو الجملة التى تقع بعد هذا الضمير متضمنة القول : « بذبائح مثل هذه يسر الله » ، وهى جملة مركبة من فعل مبنى للمجهول هو « يسر » ونائب فاعل هو لفظ الجلالة « الله » — جملة متصلة بجملة مقدمة عنها مركبة من جار ومجرور فى الكلمة « بذبائح » منعوتة بالجملة القائلة « مثل هذه » .

بهذا التعريف المفصل نتقدم الآن لنتعرف أولا على « الذبائح » المنعوتة بالقول « مثل هذه » ، فإن الكلمة « هذه » هى اسم إشارة يعود بنا إلى « ذبيحة التسبيح » التى وردت فى النصح الإيجابى الثانى ؛ حيث قيل : « فلنقدم به فى كل حين لله ذبيحة التسبيح أى ثمر شفاه معترفة باسمه » (راجع الشرح) . كما تعود بنا ، أيضاً إلى « فعل الخير والتوزيع » بوصف كونهما أيضاً من الذبائح الحية المشار إليها .

وهذا يرجع بنا ، أيضاً ، إلى ما عبر به ذات الرسول فى رسالته إلى أهل رومية ، حيث يقول لهم : « أطلب إليكم أيها الإخوة برأفة الله أن تقدموا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله » مفسراً طلبه هذا بجملة واحدة هى قوله : « عبادتكم العقلية »

— تلك العبادة التى ترتفع بالإنسان فوق الجوارح والعواطف والانفعالات والشهوات الجسدية فتصل به إلى حالة ينطبق عليها قوله أيضاً : « ولا تشاكلوا هذا الدهر ؛ بل تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم لتختبروا ما هى إرادة الله الصالحة المرضية الكاملة» (اقرأ رو ١٢ : ١ و ٢) .

وهو عين القول الذى سبق أن قاله لتلك الجماعة : « إذاً لا تملكن الخطية فى جسدكم المائت لكى تطيعوها فى شهواته (أى شهوات الجسد المائت) ، ولا تقدموا أعضاءكم « آلات إثم للخطية » بل قدموا ذواتكم لله «كأحياء من الأموات » « وأعضاءكم آلات بر لله » (رو ٦ : ١٢ و ١٣) ، هذه هى الذبائح الروحية التى يوصى بها الرسول بطرس لتقدم فى هياكل روحية على يد كهنة روحيين يقول لهم : «كونوا أنتم أيضاً مبنيين ، كحجارة حية ، ، بيتاً روحياً كهنوتاً مقدساً لتقديم ذبائح روحية مقبولة عند الله بيسوع المسيح » (١ بط ٢ : ٥ اقرأ ع ٢ — ٦ مع هو ١ : ٦ — ١١ راجع شرح ص ١٠ : ١٩ و ٢٠) .

هذه هى « الذبائح الروحية » التى تقدم فى الهياكل الروحية على يد كهنة الله الروحيين — « الذبائح التى بها يسر الله » . « وهل يسر الرب بألوف الكباش — بربوات أنهار زيت؟ هل أعطى بكرى عن معصيتى — ثمرة جسدى عن خطية نفسى؟ على كل هذه الأسئلة يجيب الرب : « قد أخبرك أيها الإنسان ما هو صالح وماذا يطلبه منك الرب إلا أن تصنع الحق وتحب الرحمة وتسلك متواضعاً مع إلهك » (مى ٦ : ٧ و ٨ اقرأ ع ٦ — ٨ مع إش ١ : ١٢ و ١٣) .

هذه الواجبات الثلاثة التى يطلبها الرب هى ذات الثلاثة التى تعلمنا إياها تلك «النعمة المخلصة » التى « ظهرت الآن لجميع الناس « معلمة إيانا أن ننكر الفجور والشهوات العالمية ونعيش بالتعقل — « نصنع الحق » — والبر — « تحب الرحمة » — والتقوى — تسلك متواضعاً مع إلهك » (اقرأ تى ٢ : ١١ و ١٢ مع مى ٦ : ٨) .

هذه هى « الذبائح التى بها يسر الله » وبها يجب أن نتقدم إليه — لا بما توحى إلينا مشاعرنا ولا بما يخطر على بال إنسان ولا بما يعلمه بشر ؛ بل بما يعلمه « الروح القدس »

فى « الكتب المقدسة القادرة أن تحكم » كل إنسان « للخلاص بالإيمان الذى فى المسيح يسوع » (اقرأ ١ كو ٢ : ٦ - ١٣ مع ٢ تى ٣ : ١٥ - ١٧ مع يو ٥ : ٣٩ و ٤٠ مع لو ٦ : ٢٢ - ٣١ مع ٢ بط ١ : ١٦ - ٢١) .

على هذا الأساس يقول المرنم : « قدموا للرب يا أبناء الله (يا عظماء الأرض) ، قدموا للرب مجداً وعزاً ، قدموا للرب مجد اسمه ، اسجدوا للرب فى زينة مقدسة » (مز ٢٩ : ١) ، وهو ذات الأساس الذى بنى عليه الرسول قوله : « لتسكن فيكم «كلمة المسيح » بغنى وأنتم بكل « حكمة » معلمون ومنذرون بعضكم بعضاً بمزامير وتسابيح وأغانى روحية بنعمة مترنمين فى قلوبكم للرب » (اقرأ كو ٣ : ١٦ مع أف ٤ : ٨ - ٢٠ مع يع ٣ : ١٣ - ١٨) .

هذه هى مسرة الله أن نخرج إلى يسوع خارج المحلة حاملين عاره وأن نقدم به فى كل حين لله ذبيحة التسبيح وأن لا ننسى فعل الخير والتوزيع وهذا يصل بنا إلى ختام نعمة التثبيت فى التعليم الصحيح - سلباً وإيجاباً (ع ٩ - ١٦) . لنتقدم ، بإرشاد الرب ، إلى : -

(٦) إكرام المرشدين (عب ١٣ : ١٧ - ١٩)

١٧ أَطِيعُوا مُرْشِدِيكُمْ وَاخْضَعُوا لأَنَّهُمْ يَسْهَرُونَ لأَجْلِ نُفُوسِكُمْ كَأَنَّهُمْ سَوْفَ يُعْطُونَ حِسَاباً لِكَيْ يَفْعَلُوا ذٰلِكَ بِفَرَحٍ لاَ آنِّينَ لأَنَّ هٰذَا غَيْرُ نَافِعٍ لَكُمْ .

١٨ صَلُّوا لأَجْلِنَا . لأَنَّنَا نَثِقُ أَنَّ لَنَا ضَمِيراً صَالِحاً رَاغِبِينَ أَنْ نَتَصَرَّفَ حَسَناً فِي كُلِّ شَيْءٍ . ١٩ وَلٰكِنْ أَطْلُبُ أَكْثَرَ أَنْ تَفْعَلُوا هٰذَا لِكَيْ أُرَدَّ إِلَيْكُمْ بِأَكْثَرِ سُرْعَةٍ .

فى هذه الآيات الثلاث (١٧ — ١٩) نتقابل مع ثلاث فئات من المرشدين : — الفئة الأولى — هى فئة أولئك المرشدين الذين كانوا ، قائمين يومئذ ، على رعاية تلك الجماعة العبرانية المتنصرة (ع ١٧) — أما الفئة الثانية فهى فئة مؤلفة من ذات الرسول مع هيئة من المرشدين الآخرين القائمين ، يؤمئذ ، بعمل الكرازة ولهم اتصال بطريقة ما مع أولئك العبرانيين (ع ١٨) — أما الفئة الثالثة فهى ذات الرسول شخصياً (ع ١٩): وبذلك يكون على أولئك العبرانيين واجب مثلث نحو هذه الفئات الثلاث بما تقتضيه نسبتهم إلى كل فئة على حدتها . أما بشأن واجبهم نحو الفئة الأولى فإن الرسول يبدأ قائلا : —

(ع ١٧) « أطيعوا مرشديكم واخضعوا » :

هنا يعلن الرسول لتلك الجماعة العبرانية المتنصرة — يعلن ما هو واجب عليهم نحو « المرشدين » الذين كانوا ، يومئذ ، قائمين على رعايتهم ، قائلا : « أطيعوا مرشديكم واخضعوا » : وهذا الإعلان يرجع بنا إلى ما سبق الرسول فأعلنه ، فى هذا الشأن ، قائلا : « اذكروا مرشديكم الذين كلموكم بكلمة الله » (ع ٧) — على أن التأمل الدقيق فى هذين الإعلانين يكشف لنا الفرق الواضح بينهما . فإن أولئك « المرشدين » الذين تحدثنا عنهم سابقاً كانت قد انتهت علاقتهم بجماعة العبرانيين ؛ كما يتبين جلياً فى الوصية التى أوصاهم بها حيث قال « انظروا إلى نهاية سيرتهم فتمثلوا بإيمانهم » (راجع شرح ع ٧) .

أما هؤلاء « المرشدين » الذين هم موضوع حديثنا الآن فمن البين الواضح أنهم مرشدون كانوا قائمين ، فى ذلك الوقت الذى كان فيه يكتب الرسول عنهم لتلك الجماعة ، وكانت العلاقات ، حينئذ ، قائمة بينهما — بين « المرشِدين » (بكسر الشين) والمرشَدين (بفتح الشين) ، وهذا أمر يدل عليه ، دلالة واضحة ، طبيعة الوصية القائلة : « أطيعوا مرشديكم واخضعوا » .

أما الإطاعة التى يوصى أن يقوم بها أولئك العبرانيين ، بالنسبة إلى مرشديهم ، فهى إطاعة ، لا لشخصياتهم ؛ بل ، بالأحرى ، هى إطاعة « للحق » الذى به ينادى أولئك المرشدون ويكرزون — ذلك « الحق » الذى هو ذات الشخص العجيب الذى قال عن نفسه : « أنا هو الطريق و « الحق » « والحياة » (يو ١٤ : ٦) . وهو ذات القول الذى بنى عليه الرسول يوحنا كلامه الختامى فى رسالته ؛ حيث قال : « ونعلم أن « ابن الله » قد جاء وأعطانا بصيرة لكى نعرف « الحق » ، ونحن فى « الحق » فى « ابنه يسوع المسيح » . هذا هو « الإله الحق » و « الحياة الأبدية » (١يو ٥ : ٢٠) . هذه هى الطاعة الحقيقية وهذا هو الخضوع الحقيقى — « للحق » المعلن دون سواه .

فيالعظم المسئولية ! وما أخطرها ! تلك المسئولية التى تقع على رؤوس « المرشدين » فى كرازتهم ليحققوا لأنفسهم ذلك « الحق » — ذلك « الإله الحق » الذى به يكرزون وباسمه ينادون — مسئولية خطيرة تلك التى يعبر عنها الرسول فى قوله لرعاة الكنيسة فى أفسس وهو يخاطبهم ، قائلا : لم أؤخر أن أخبركم بكل مشورة الله ، احترزوا ، إذاً لأنفسكم ولجميع الرعية التى أقامكم الروح القدس فيها « أساقفة » لترعوا «كنيسة الله » التى اقتناها بدمه . . لذلك اسهروا متذكرين أنى ثلاث سنين ، ليلا ونهاراً ، لم افتر عن أن أنذر ، بدموع ، كل واحد » (أع ٢٠ : ٢٧ و٢٨و٣١) .

مسئولية ما أخطرها ملقاة على عاتق « المرشدين » الذين أقامهم الله ليرعوا « رعية الله » وقيادتهم فى طريق « الحق » الذى أعلنه الآب فى ابنه يسوع المسيح بروحه القدوس فى « الكتب المقدسة » القادرة أن تحكم « للخلاص بالإيمان » الذى فى « المسيح يسوع » (قابل ٢ تى ٣ : ١٥ — ١٧ مع ٢ بط ١ : ١٩ — ٢١) .

على أن مسئولية المرشدين الخطيرة لا تقع على رؤوسهم ، فحسب ؛ بل تقع ، أيضاً ، بذات الخطورة ، على رؤوس المرشدين الذين هم مسئولون ، ولابد ، عن الطاعة والخضوع لا لذوات « المرشدين » ؛ بل لذلك الحق الإلهى الذى سبق الكلام عنه ، فعليهم أن « يفتشوا الكتب » لا أن يقبلوا الكرازة على علاتها من أفواه الكارزين ، ولا عن طريق « المرشدين » بل عليهم أن ينسجوا على منوال أهل بيرية الذين قيل عنهم :

«كان هؤلاء أشرف من الذين فى تسالونيكى ؛ فقبلوا الكلمة بكل نشاط « فاحصين الكتب كل يوم » – هل هذه الأمور هكذا » ؟ (أع ١٧ : ١١) .

أو ليست هذه هى وصية السيد المسيح القائل : « فتشوا الكتب » ؟ « الكتب » التى فتح ذهن تلاميذه ، عند صعوده إلى السماء ، ليفهموا كل ما كتب عنه فيها بمقتضى النص الصريح القائل : «لابد أن يتم جميع ما هو مكتوب عنى فى ناموس موسى والأنبياء والمزامير » (إقرأ لو ٢٤ : ٤٤ – ٤٧) . فالمسئولية واقعة على رأس المرشد والمرشد معاً على السواء ؛ لأن الوصية قريبة من كليهما فى فم وفى قاب كل منهما (قابل تث ٣٠ : ١١ – ١٤ مع رو ١٠ : ٦ – ١٠ مع حز ٣ : ١٧ – ٢١) . تحت ثقل هذه المسئولية المزدوجة يقول الرسول للعبرانيين : « أطيعوا مرشديكم واخضعوا » .

« لأنهم يسهرون لأجل نفوسكم » :

فى هذه الكلمات نص صريح عن المسئولية الخطيرة الواقعة على رؤوس « المرشدين » المسئولية التى سبقت الإشارة إليها ، وهى ذات المسئولية التى سبق أن تحدث عنها الرسول مع المرشدين فى أفسس ؛ حيث يقول عن نفسه : « والآن ها أنا أعلم أنكم لا ترون وجهى أيضاً – أنتم جميعاً الذين مررت بينكم كارزاً « بملكوت الله » ، لذلك أشهدكم اليوم هذا « أنى برىء من دم الجميع » لأنى أؤخر أن أخبركم بكل مشورة الله » (أع ٢٠ : ٢٥ – ٢٧ اقرأ ع ١٧ – ٣٢) .

فى كل ما قيل نجد تعبيراً يشرح لنا معنى السهر على النفوس ، وبخاصة إذا ذكرنا ما كان يخشاه الرسول من الخطر الذى يمكن أن يلحق بها ويدهمها بقوة الشيطان الساهر ليخطفها – الأمر الذى بينه ذات الرسول فى قوله ، أيضاً : « لأنى أعلم هذا أنه بعد ذهابى سيدخل بينكم ذئاب خاطفة لا تشفق على الرعية ، ومنكم أنتم سيقوم رجال يتكلمون بأمور ملتوية ليجتذبوا التلاميذ وراءهم » (أع ٢٠ : ٢٩ و ٣٠ اقرأ ع ١٧ – ٣٢) . فخدمة « المرشدين » شاقة وعلى المرشدين أن يعاونوهم بالطاعة والخضوع « لأنهم يسهرون لأجل نفوسكم » : –

« كأنهم سوف يعطون حساباً » :

وما أرهب « يوم الحساب » ! (١ بط ٤ : ٥) ، وما أرهب يوم « الدين » ! (دا ٧ : ٢٢) — « يوم الغضب واستعلان دينونة الله العادلة » (رو ٢ : ٥) — يوم « استعلان الرب يسوع من السماء مع ملائكة قوته » (٢تس ١ : ٧) . فإنه فى ذلك اليوم الرهيب ، يعطى أولئك « المرشدون » حساباً عن تلك الأمانة التى سلمت لأيديهم ، والوديعة المعلقة فى أعناقهم ، لا ماديات تبلى ولا ماليات تزول ؛ بل « نفوس» مات المسيح من أجلها لتحيا إلى الأبد فى مجد «لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل » (١ بط ١ : ٤) .

ولعل إلى مثل هؤلاء المرشدين يوجه الرسول ، تحذيره قائلا : « كبناء حكيم قد وضعت أساساً وآخر يبنى عليه ، ولكن ! فلينظر كل واحد كيف يبنى عليه ؛ فإنه لا يستطيع أحد أن يضع أساساً آخر غير الذى وضع — الذى هو « يسوع المسيح » ، ولكن ! إن كان أحد يبنى على هذا الأساس ذهباً فضة حجارة كريمة خشباً عشباً قشاً فعمل كل واحد سيصير ظاهراً ؛ لأن اليوم سيبينه ؛ لأنه بنار يستعلن وستمتحن النار عمل كل واحد ماهو » ((١ كو ٣ : ١٠–١٣ اقرأ ع ١ — ١٥) .

هذا هو يسوع المسيح « الحجر الكريم » — « حجر الزاوية » — « الأساس المؤسس » — الذى « ليس بأحد غيره الخلاص ، لأنه ليس اسم آخر تحت السماء قد أعطى بين الناس به ينبغى أن نخلص » (قابل أع ٤ : ١٢ اقرأ ع ١٠ — ١٢ مع أف ٢ : ٢٠ — ٢٢) . هذا هو الأساس الحقيقى الذى إذا بنى عليه البناء « خشباً عشباً قشاً » يخسر كل ما بناه إذ يحترق ، فماذا يكون مصير ذلك البناء الذى يبنى على غير هذا الأساس فى ذلك اليوم الرهيب — يوم « الحساب » ؟ هذا المصير الرهيب هو ما أعلنه ذات الرب يسوع المسيح فى قوله : « لذلك أقول لكم « إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره . ومن سقط على هذا الحجر يترضض ، ومن سقط هو عليه يسحقه » (مت ٢١ : ٤٣ و ٤٤ اقرأ ع ٣٣ — ٤٤ مع أع ٤ : ١١ مع ١ بط٢ : ٨ مع لو ١٢ : ٤١ — ٤٨) . على هذا الأساس يقول الرسول للعبرانيين : « أطيعوا مرشديكم واخضعوا ؛ لأنهم يسهرون لأجل نفوسكم ، كأنهم سوف يعطون حساباً » : —

« لكي يفعلوا ذلك بفرح » :

« فرح » يتم لأولئك المرشدين إذا قامت الرعية بواجب الطاعة والخضوع لكلمة الحق وللإله الحق ونعمة الإيمان الحق ، فإن هذا الموقف يدخل إلى قلوب أولئك المرشدين فرحاً عميقاً وسروراً كاملا فى سبيل تأدية مهمتهم المقدسة لإرشاد « رعية الله » فى طريق الحق الإلهى ، وذلك إذ يرون ثمر تعبهم واضحاً بارزاً فى قلوب وحياة المؤمنين السالكين فى طريق الحق .

فإنهم ، إذ يرون تلك الأثمار اليانعة ، يزدادون شجاعة وقوة فى خدمتهم ويقومون بها ويتابعونها. « بفرح » . ولعل هذا الموقف البهيج هو ما عبر عنه « المعمدان » بعد إتمام مهمته المركزة فى إعداد الطريق وتهيئته أمام السيد المسيح — تلك المهمة التى رآها وقد كملت قبل أن أخذ إلى السجن ؛ فقال بهتاف وبهجة قلب منشداً : « من له العروس فهو العريس ، وأما صديق العريس الذى يقف ويسمعه « فيفرح فرحاً » من أجل صوت العريس ، إذاً « فرحى » هذا قد كمل ، ينبغى أن ذلك يزيد وأنى أنا أنقص » (يو ٣ : ٢٩ و ٣٠ اقرأ ع ٢٥ — ٣٦ مع لو ١ : ١٣ — ١٧ و ٧٦ — ٧٩ و ٣ : ١٥ — ١٨ مع يو ١ : ١٩ — ٣٤) . هكذا كان « فرح » المعمدان عظيماً لإتمام مهمته وبهذا المعنى يقول الرسول للعبرانيين ، « أطيعوا مرشديكم واخضعوا ؛ لأنهم يسهرون لأجل نفوسكم كأنهم سوف يعطون حساباً ؛ لكى يفعلوا ذلك بفرح » : —

« لا آنـــين» :

أما « الأنين »فهو تأوه من شدة الألم ، كأن الرسول يشعر مع أولئك « المرشدين » بما شعر به هو يوماً ما ، مما رآه فى الغلاطيين وعبر عنه آ نّا متأوهاً ؛ حيث قال: « أيها الغلاطيون الأغبياء ! من رقاكم حتى لا تذعنوا للحق » ؟ « وأما الآن ! إذ عرفتم الله ؛ بل ، بالحرى ، عرفتم من الله فكيف ترجعون ، أيضاً ، إلى الأركان الضعيفة الفقيرة التى تريدون أن تستعبدوا لها من جديد ؟ أتحفظون أياماً وشهوراً وأوقاتاً وسنين ؟ أخاف عليكم أن أكون قد تعبت فيكم عبثاً » (انظر شرح غل ٣ : ١ و ٤ : ٩ — ١١للمؤلف) .

فإن المرشدين الأمناء يئنون متألمين ويتأوهون متوجعين إذا لم تثمر إرشاداتهم ثمراً طيباً شهياً للسير فى طريق الحق والحياة الأبدية . وإذا خاب الأمل فى جهادهم مع السيد المسيح بروحه فى « إخراج الحق إلى النصرة » (اقرأ إش ٤٢ : ١ — ٤ مع مت ١٢ : ١٧ — ٢١) . لذلك ، درءاً لهذا الأنين من أحشاء المرشدين وتمكيناً « للفرح » فى أعماق قلوبهم ، يوصى الرسول جماعة العبرانيين ، قائلا : « أطيعوا مرشديكم واخضعوا لأنهم يسهرون لأجل نفوسكم ؛ كأنهم سوف يعطون حساباً ؛ لكى يفعلوا ذلك بفرح لا آنين » : —

« لأن هذا غير نافع لكم » :

الكلمة « لأن » تبدأ بلام التعليل التى منها نتبين العلة الرابطة بين الأنين الذى سبق الكلام عنه ونتائجه اللاحقة له . لذلك يقول الرسول عن المرشدين : « لكى يفعلوا ذلك . . . لا آنين لأن » الفعل الذى يصحبه الأنين والتأوه والتوجع له نتائجه غير المحمودة ، لذلك يوصى جماعة العبرانيين وصية مشددة أن لا يسببوا أنيناً فى قلوب مرشديهم « لأن هذا غير نافع » لهم .

وبمقتضى هذا البيان التعليلى تكون الكلمة « هذا » اسم إشارة متصل بكلمة « الأنين » ، فكأن الرسول يقول عن « المرشدين » أنهم إذا كانوا ، فى تأدية مهمتهم ، يئنون متأوهين متوجعين ، فإن نتيجة خدمتهم تصير غير نافعة للذين يخدمونهم ، وذلك لأن عدم الطاعة والخضوع للحق الإلهى ، يأتى ، ولابد ، بنتيجة عكسية — الأمر الذى يكسر ، طبعاً ، قلوباً تئن متوجعة بسبب ضياع تعبهم عبثاً — قلوباً تتنهد بحزن عظيم على النفوس التى لا تريد أن تقبل الحق ولا تطاوعه (راجع شرح غل ٥ : ٧ و ٨ للمؤلف) .

وكيف لا تئن قلوبهم وتتوجع أفئدتهم وهم يرون الذين يرفضون الحق ولا يطاوعونه مولين له الظهور ومعطينه الأقفية — منحدرين ، فى عناد قلوبهم وصلابة رقابهم ، إلى هاوية الجحيم ؟ فقد أصبحت خدمتهم ، والحالة هذه ، بلا نفع وبدون أية فائدة — الأمر الذى تعود نتيجته على رؤوس المخدومين من المعاندين والمتمردين .

هذه صورة سوداء أثيمة تكسر القلوب رآها الرب فى شعبه يوم أرسل إليهم النبى حزقيال — صورة واضحة فى قوله له عنهم : « يا ابن آدم أنا مرسلك إلى بنى إسرائيل — إلى أمة « متمردة » قد تمردت علىّ — هم وآباؤهم عصوا علىّ إلى ذات هذا اليوم ، والبنون القساة الوجوه والصلاب القلوب أنا مرسلك إليهم فتقول لهم : « هكذا قال السيد الرب » . وهم ، إن سمعوا وإن امتنعوا — « لأنهم بيت متمرد » — فإنهم يعلمون أن نبياً كان بينهم » (حز ٢ : ٣ — ٥ اقرأ ع ١ — ٨) .

أو ليس هذا هو ذات الموقف الذى وقفه السيد مع أبناء هؤلاء المتمردين حين قال لهم جواباً على سؤالهم : « ألعلنا نحن ، ، أيضاً عميان » ؟ فأجابهم ، قائلا : « لو كنتم عمياناً لما كانت لكم خطية ، ولكن الآن تقولون إننا نبصر فخطيتكم باقية » (يو ٩ : ٤٠ و ٤١) . وهكذا أثبت عليهم تلك الخطية حين قال عنهم ، أيضاً : « لو لم أكن قد جئت وكلمتهم لم تكن لهم خطية ، وأما الآن فليس لهم عذر فى خطيتهم — الذى يبغضنى يبغض أبى أيضاً — لو لم أكن قد عملت بينهم أعمالا لم يعملها أحد غيرى لم تكن لهم خطية » (يو ١٥ : ٢٢ — ٢٤ اقرأ ع ٢٠ — ٢٥) .

وهذه هى « الدينونة » — إن النور قد جاء إلى العالم وأحب الناس الظلمة أكثر من النور لأن أعمالهم كانت شريرة ؛ لأن كل من يعمل السيآت يبغض النور ولا يأتى إلى النور لئلا توبخ أعماله ، وأما من يفعل « الحق » فيقبل إلى النور لكى تظهر أعماله « أنها بالله معمولة » (يو ٣ : ١٩ — ٢١) على أساس كل ذلك فلنسمع الوصية القائلة : « أطيعوا مرشديكم واخضعوا ؛ لأنهم يسهرون لأجل نفوسكم ، كأنهم سوف يعطون حساباً ؛ لكى يفعلوا ذلك بفرح — « لا آنين » — لأن هذا غير نافع لكم » : —

(ع ١٨) « صلوا لأجلنا » :

الضمير « نا » فى « لأجلنا » — ضمير المتكلمين يدخل بنا إلى الفئة الثانية بعد أن خرجنا من الكلام عن الفئة الأولى التى سبق الكلام عنها — فئة أولئك « المرشدين » الذين كانوا ، يومئذ ، قائمين على رعاية تلك الجماعة العبرانية المتنصرة (راجع شرح ع ١٧) . أما هذه الفرقة الثانية فهى تلك التى سبق أن عرفناها على اعتبار كونها فرقة

مؤلفة من ذات الرسول مع هيئة المرشدين الآخرين القائمين ، يومئذ ، بعمل الكرازة العامة ولهم اتصال بطريقة ما مع أولئك العبرانيين .

هذه الفئة هم تلك الجماعة التى يضمها الرسول إلى نفسه هنا موصياً بشأنهم ، قائلا : « صلوا لأجلنا » طالباً منهم أن يتقدموا إلى العرش الإلهى من أجله ومن أجل الهيئة العاملة معه فى إذاعة « حق الإنجيل » المعلن من السماء ، وذلك لا باعتبار صلاة كهذه مجرد واجب عليهم أن يقوموا بإتمامه — بل ، بالحرى ، على اعتبار أن صلاة كهذه إنما هى ضرورة يراها المرشدون شركة معهم ومعاونة لهم فى القيام بالمسئولية الموضوعة على عاتقهم ، بمقتضى أمر سيدهم لإتمام مشيئته لمجد اسمه — بهذه الصبغة يصطبغ طلب الرسول من متنصرى العبرانيين أن « يصلوا » لأجله ولأجل الذين يعاونونه فى خدمة الكرازة بالحق الإنجيلى .

فكأنه ، بهذا الطلب ، يحثهم على موآزرتهم له وللعاملين معه فى القيام بالمهمة الملقاة على عاتقهم لكى تؤول تلك المهمة على أولئك المصلين بالنفع الخاص والعام للبنيان على أساس « النعمة والحق » اللذين « بيسوع المسيح صارا » (يو ١ : ١٧) . هكذا كان الرسول يدرك دائماً ما للصلاة ، لأجله ولأجل العاملين معه ، من قوة فعالة للوصول إلى نتائج باهرة فى إعلاء الحق ونصرته ، وبهذا الدافع كان يطلب مراراً وتكراراً ، قائلا : « صلوا لأجلنا » .

ولعل الرسول فى طلبه هذا كان يدرك حقاً ما لصلاة مثل هذه من قوة فعالة فى قلوب المصلين ، إذ أن ذلك يشعل فى قلوبهم نار الطاعة والخضوع لذلك الحق الإنجيلى الذى يكرز أولئك المرشدون به — ذلك الحق القادر أن يحكم « للخلاص بالإيمان الذى فى المسيح يسوع » (قابل ٢ تى ٣ : ١٥ مع رو ١ : ١٦) . فالصلاة المطلوبة هنا ، إذاً ، يعود نفعها ، ولابد ، على المصلين والمصلى لأجلهم ، لأجل هذا النفع الثمين المزدوج يتقدم الرسول ، بهذا الطلب ، قائلا : « صلوا لأجلنا » : —

« لأننا نثق أن لنا ضميراً صالحاً » :

حرف « اللام » فى « لأننا » حرف تعليل مقترن « بأن » التى هى حرف توكيد ، وفى اقترانهما معاً تعليل لقول سابق هو الطلب الذى طلبه الرسول فى قوله : « صلوا لأجلنا لأننا » . وفيه ، أيضاً ، تصريح بأمر مؤكد مبين فى قوله : « لأننا نثق أن لنا ضميراً صالحاً » ، وهذا التأكيد المقترن بذلك التعليل فيه إعلان عجيب فى بابه — إعلان خاص بثقة الرسول أن له « ضميراً صالحاً » — إعلان يدعو إلى البحث والتساؤل :

أما « الضمير » لغة ، فهو صيغة من الفعل أضمر بمعنى أخفى فيقال : « أضمر الإنسان الشيء أى أخفاه فى نفسه ، فهو ، بهذا التعريف متعلق « بالإنسان الباطن » (رو ٧ : ٢٢ مع أف ٣ : ١٦) — « إنسان القلب الخفى » ((١ بط ٣ : ٤) — هو تعبير عن « القلب » الذى قال عنه النبى : « القلب أخدع من كل شيء وهو نجيس من يعرفه » ؟ (إر ١٧ : ٩) . وليس أحد يعرفه إلا الذى « يرى فى الخفاء »(مت ٦ : ٤ و ٦ و ١٨) فهو ، جل جلاله ، الذى وحده ، دون سواه ، له أن يقول : « أنا الرب فاحص القلب مختبر الكلى ؛ لأعطى كل واحد حسب طرقه — حسب ثمر أعماله » (قابل إر ١٧ : ١٠ مع ١ صم ١٦ : ٧ مع ١ أى٢٨ : ٩ مع مز ٧ : ٩ و ١٣٩ : ٢٣ و ٢٤ مع أم ١٧ : ٣) . هذا هو « الضمير » الذى يقول عنه الرسول : « نثق أن لنا ضميراً صالحاً » .

أما « الصالح » فقد تحدث عنه رسول الأمم فى مقارنة ثلاثية ؛ حيث قارن بين الخاطئ والبار والصالح ، وفى مقارنته ، قال : « فإنه بالجهد يموت أحد لأجل « بار » — ربما لأجل « الصالح » يجسر أحد ، أيضاً ، أن يموت — ولكن الله بين محبته لنا لأننا ونحن بعد « خطاة » مات المسيح لأجلنا » (رو ٥ : ٧ و ٨) — أما الخاطئ فهو الفاسد المستحق « غضب الله المعلن من السماء على جميع فجور الناس وإثمهم » (رو ١ : ١٨) .

أما « البار » فهو العادل المستقيم العامل كل ما وجب عليه شرعاً معطياً لكل ذى حق حقه . أما « الصالح » فهو المحسن الذى له المنة والفضل ، وذلك لأنه يعمل أعماله من

أجل المحبة لتعود بالنفع على غيره ، وقد وصفه ربيو اليهود فى مقارنة بينه وبين البار حيث قالوا : « البار » قال لجاره كل ما هو لى فهو لى وكل ما هو لك فهو لك وأما « الصالح » فقال لجاره كل ما هو لك فهو لك وكل ما هو لى فهو لك ، هذا هو « الصالح » — المحسن — صاحب الفضل على الغير . وهل يوجد « الصالح » بين البشر ؟ والسيد المسيح ، له المجد ، يقول « ليس أحد صالحاً إلا واحد وهو الله ؟ (مت ١٩ : ١٧ اقرأ ع ١٦ — ٢٢) .

على أن « الضمير الصالح » الذى يتحدث عنه الرسول هنا فى قوله « أن لنا ضميراً صالحاً » ليس هو « الصلاح » بإطلاق معناه ، بل هو صلاح محدود محصور فى أمر معين — ضمير صالح خاص بموضوع الكرازة بالإنجيل وإرشاد الناس فى طريق الحق المعلن كما أعطاهم الروح القدس موهبة ، وهذه حقيقة تتبين من قوله للاسرائيليين وهو يحدثهم عن حزنه العميق لعدم قبولهم « لنعمة الإنجيل » التى هى « بشارة نعمة الله » (أع ٢٠ : ٢٤) .

هذه هى الشهادة التى يثق الرسول فى نفسه أنه يؤديها « بضمير صالح » كما تسلمها من الرب وكما قبلها منه (اقرأ ١ كو ١١ : ٢٣ — ٢٥ و ١٥ : ١ — ٣) . وذلك يوم أن دعاه الرب نفسه الذى أفرزه من بطن أمه ودعاه بنعمته ليبشر به بين الأمم (اقرأ أع ٩ : ١٠ — ١٦ و ٢٢ : ١٧ — ٢١ و ٢٦ : ١٢ — ١٨ مع رو ١١ : ١٣ مع أف٣ : ٨ انظر شرح غل ١ : ١٥ و ١٦ للمؤلف) . هذه هى الدعوة السماوية الصريحة التى وثق بأنه قائم بإتمامها « بضمير صالح » . وذلك بمقتضى الإعلانات السماوية وعلى أساس قوله للاسرائيليين : « أقول الصدق فى المسيح ، لا أكذب « وضميرى » شاهد لى بالروح القدس » (رو ٩ : ١) . بهذه الثقة وعلى أساسها المتين يقول الرسول للعبرانيين : « صلوا لأجلنا لأننا نثق » .

وما أعظم الفرق بين هذه الثقة التى يتحدث عنها الرسول بالنسبة إلى الشهادة « ببشارة نعمة الله » ! وبين ثقة الإنسان فى نفسه بالنسبة إلى بره الذاتى ! تلك الثقة التى تحدث عنها السيد المسيح مع « قوم واثقين بأنفسهم أنهم أبرار ويحتقرون الآخرين » ، وذلك

فى مثل قاله لهم عن إنسان فريسى صعد إلى الهيكل ليصلى « فوقف يصلى فى نفسه هكذا ، اللهم أنا أشكرك أنى لست مثل باقى الناس الخاطفين الظالمين الزناة . . أصوم مرتين فى الأسبوع وأعشر كل ما أقتنيه » (لو ١٨ : ١١ و ١٢) . ويا لخيبة الأمل بهذه الثقة التى ذراها السيد المسيح كالرماد فى الهواء وذلك فى تصريحه عن هذا الفريسى بأنه نزل إلى بيته غير مبرر (اقرأ لو ١٨ : ٩ — ١٤ مع رو ١٠ : ١ — ٣قابل إر ١٧ : ٩ و ١٠ مع ١ كو ٤ : ٣ — ٥ مع رو ٧ : ١٤ — ٢٤ انظر شرح غل ٥ : ١٦ — ٢١ للمؤلف) . فلنحذر مثل هذه الثقة فى أنفسنا التى لا ينطبق عليها ، بتة ، قول الرسول « صلوا لأجلنا ؛ لأننا نثق أن لنا ضميراً صالحاً » : —

« راغبين أن نتصرف حسناً فى كل شىء » :

يظهر أن الرسول فى هذه الكلمات يفسر ما سبق أن قاله عن « الضمير الصالح » معبراً عنه بالرغبة المقدسة من كل القلب للتصرف الحسن لا فى موضوع الكرازة بالإنجيل ، فحسب ؛ بل ، أيضاً « فى كل شىء » — ذلك « التصرف الحسن » الذى «أوصى به « رب المجد » تلاميذه يوم أن اختارهم ليرسلهم كارزين بالحق المعلن ؛ حيث قال لهم : « فليضىء نوركم قدام الناس لكى يروا « أعمالكم الحسنة » « ويمجدوا أباكم الذى فى السموات » (مت ٥ : ١٦) .

ولعل الرسول بطرس كان متأثراً — بالروح القدس — بقوة تلك الوصية التى أوصاهم بها « رب المجد » فى خطاب العرش — كان متأثراً بدرجة حفزته أن يكتب ، فى رسالته للذين أرسلها إليهم ، قائلا : « أيها الأحباء ! أطلب إليكم ، كغرباء ونزلاء .:. أن تكون سيرتكم ، بين الأمم « حسنة » لكى يكونوا ، فى ما يفترون به عليكم كفاعلى شر ، يمجدون الله فى يوم الافتقاد من أجل « أعمالكم الحسنة » التى يلاحظونها » (قابل ١ بط ٢ : ١١ و ١٢ و ٣ : ١٦) .

على أن الرسول يضع أساساً متيناً يبنى عليه تلك الرغبة المقدسة الصادقة فى التصرف الحسن بالضمير الصالح فى كل شىء وذلك الأساس يبينه فى قوله : « لأن محبة المسيح تحصرنا » ((٢كو ٥ : ١٤ اقرأ ع ١١ — ١٤) . وما أشد فاعلية هذا الحصر !

الذى تحصرنا به « محبة المسيح » — تلك الفاعلية التى عبر عنها المرنم ، بقوله : « من خلف ومن قدام حاصرتنى وجعلت على يدك ، عجيبة هذه المعرفة فوقى ارتفعت لا أستطيعها ، أين أذهب من روحك ؟ ومن وجهك أين أهرب » ؟ (مز ١٣٩ : ٥ — ٧ اقرأ ع ١ — ١٢) .

محاصرة ينسبها الرسول إلى قوة المحبة الإلهية حيث يقول : « ليحل المسيح بالإيمان فى قلوبكم وأنتم متأصلون ومتأسسون فى المحبة حتى تستطيعوا أن تدركوا ، مع جميع القديسين ، ما هو العرض والطول والعمق والعلو وتعرفوا « محبة المسيح » الفائقة المعرفة لكى تمتلئوا إلى كل ملء الله » (أف ٣ : ١٧ — ١٩) .

فإذ تنحصر الكرازة وتحاط من كل ناحية بمحبة المسيح التى تنسكب من السماء بقوة الروح القدس (رو ٥ : ٥) يتم ، ولابد ، ويتحقق بكل قوة ، شعار الخدمة الذى يضعه الرسول بولس ، قائلا : « من أجل ذلك إذ لنا هذه الخدمة ، كما رحمنا ، لا نفشل ؛ بل قد رفضنا خفايا الخزى غير سالكين فى مكر ولا غاشين كلمة الله ، بل ، بإظهار الحق ، مادحين أنفسنا لدى ضمير كل إنسان قدام الله » (٢ كو ٤ : ١ و ٢) . بهذه الثقة يقول الرسول للعبرانيين : « صلوا لأجلنا ؛ لأننا نثق أن لنا ضميراً صالحاً راغبين أن نتصرف حسناً فى كل شىء » : —

(ع ١٩) « ولـــكن » :

هنا يبدأ الرسول حديثه عاطفاً بحرف العطف « واو » على ما سبق أن تحدث به أولا عن فئة المرشدين الذين كانوا ، يومئذ قائمين على رعاية جماعة العبرانيين الذين يكتب إليهم الرسول (راجع شرح ع ١٧) ، وذلك بعد أن تحدث ثانياً عن الفئة المؤلفة من ذات الرسول مع هيئة من المرشدين الآخرين القائمين ، يومئذ ، بالكرازة وكان لهم اتصال بطريقة ما مع أولئك العبرانيين (راجع شرح ع ١٨) .

وها هو الآن يتحدث عن الفئة الثالثة — تلك الفئة التى هى فئة ذات الرسول شخصياً مبتدئاً بالقول : « لكن » ، وهى كلمة قد سبق شرحها مراراً على اعتبار أنها

حرف استدراك . وهى هنا فى صيغتها المخففة ، مجرد حرف ابتداء يفيد الاستدراك — مجرد عطف على ما سبق ؛ كما لو أن الرسول يقول : « صلوا لأجلنا . . ولكن » : —

« أطلب أكثر أن تفعلوا هذا » :

أما الأكثرية المقصودة فى القول : « أطلب أكثر » فإنها تعود بنا مباشرة إلى الطلب الذى سبق الكلام عنه — « صلوا لأجلنا » — طلب متصل فى الضمير « نا » بالعاملين الواثقين بأن لهم « ضميراً صالحاً » راغبين أن يتصرفوا « حسناً فى كل شىء » . وذلك لكى يزدادوا فى هذه الثقة والرغبة ليسيروا ، على هذا المنوال ، مزدادين متقوين لإتمام خدمة مثمرة لخلاص النفوس تمجيداً لاسم المسيح بقوة حق الإنجيل ، أما هنا فإن الرسول يطلب « أكثر » بالنسبة إلى موضوع آخر متعلق بشخصه فى قوله : « أطلب أكثر أن تفعلوا هذا » أى أن تصلوا بالأكثر ؛ —

« لكى أرد إليكم بأكثر سرعة » :

هذا هو الطلب المشار إليه باسم الإشارة « هذا » فى الجملة السابقة وهو « لكى أرد إليكم بأكثر سرعة » — الأمر الواقع المبين فى هذا الطلب هو أنه دليل واضح بأن الرسول يكتب إلى أولئك العبرانيين رسالة من بعد فإنه لم يكن موجوداً بينهم ، وهذا يرجع بنا إلى العنوان الموضوع فى رأس هذا الكتاب الذى هو « الرسالة إلى العبرانيين . فإننا ، فى هذا العنوان ، باقترانه بهذا الطلب الذى نحن بصدده فى هذه الآية ، نتبين بالتحقيق شكلا مثلث الأضلاع : —

أما الضلع الأول ففيه نتبين جلياً حقيقة كون هذا الكتاب — كونه رسالة — لا محاضرة من المحاضرات ولا مقالة من المقالات — بل هو رسالة مرسلة من شخص معين بذاته ، وهذا الشخص المعين بالذات هو الذى سبق أن رجحناه بأنه الرسول بولس (راجع الكلام عن كاتب هذه الرسالة ، فى مكانه فى الجزء الأول) ، وهو ترجيح أثبته الاكتشاف التاريخى المكتوب فى أول صفحات الجزء الأول من شرح هذه الرسالة (راجع المقدمة واقرأ نص هذا الاكتشاف التاريخى) .

أما الضلع الثانى من هذا المثلث ففيه نتبين جلياً أن هذا السفر هو رسالة مرسلة إلى جماعة معينة مبينة هويتها فى عنوان الرسالة — « إلى العبرانيين » — على أن آراء الباحثين فى قومية أولئك العبرانيين قد تضاربت حيث قال بعضهم أنهم اليهود الكائنون فى فلسطين وقال آخرون أنهم اليهود الكائنون فى رومية وقال غيرهم أنهم هم اليهود الكائنون فى الإسكندرية .

على أننا إذا رجعنا إلى ما كتبه لوقا ، فى هذا الصدد حيث قال : « وفى تلك الأيام إذ تكاثر التلاميذ ، حدث تذمر من « اليونانيين » على « العبرانيين » (أع ٦ : ١) — وإذا أدركنا أن أولئك « اليونانيين » و« العبرانيين » كليهما يهود ، وذلك لأن الأمم لم يكونوا قد انضموا بعد إلى جماعة الإيمان المسيحى (اقرأ أع ١٠) بل إن بولس نفسه لم يكن بعد قد اهتدى إلى الإيمان المسيحى (اقرأ أع ٩) .

إذا علمنا هذه الحقيقة وأدركناها ينحصر الفكر بأن أولئك « اليونانيين » والعبرانيين كانوا جميعاً من اليهود . أما « اليونانيون » منهم فدعوا هكذا باعتبار كونهم يهوداً غرباء أطلق عليهم لقب « شتات اليونانيين » وكانوا يتكلمون باللغة اليونانية التى كانت سائدة فى كل البلاد يومئذ (قابل يو ٧ : ٣٥ مع يع ١ : ١ مع ١ بط ١ : ١) . أما « العبرانيون » فكانوا هم الناطقون بالعبرية — سكان البلاد اليهودية الأصلية — حيث الهيكل وممارسة كل الشعائر الدينية . ولعل إلى هؤلاء العبرانيين كتب الرسول رسالته هذه .

أما الضلع الثالث من هذا المثلث ففيه نتبين جلياً تلك العلاقة الكائنة بين الرسول وأولئك العبرانيين — العلاقة التى يستجليها السامع المتأمل فى طلب الرسول ؛ حيث يقول : « صلوا » « لكى أرد إليكم بأكثر سرعة » — تلك العلاقة التى منها نتبين أنه كتب هذه الرسالة إليهم من بُعد فى وقت كان فيه تحت حجر قوى فوق استطاعته — حجر ضاغط بشدة على قلبه المشتاق أن يراهم وجهاً لوجه ويتمتع بالوجود بينهم ويشفى غليل شوقه إليهم — واثقاً بأن تكون صلواتهم من أجله ، صادرة عن قلوب متجاوبة مع قلبه المشتاق إلى رؤياهم ، راجياً أن يسمع الله لصلاتهم فيستجيب بأن « يرد إليهم بأكثر سرعة » .

الآن قد أعاننا الرب وانتهينا من شرح الفصل الأول من الباب الثالث الذى موضوعه الإيمان ووحيه العملى (عب ١٣ : ١ — ٢٥) — وبعد أن رأينا ذلك الفصل فى وصاياه الست وهى (١) « المحبة الأخوية »(ع ١ — ٣) — (٢) قدسية الزواج (ع ٤) — (٣) فضيلة الاكتفاء (ع ٥ و٦) — (٤) الاحتذاء بالمرشدين (٧ و٨) — (٥) نعمة التثبيت فى التعليم الصحيح (ع ٩ — ١٦) — (٦) إكرام المرشدين (ع ١٧ — ١٩) ، فلنتقدم الآن إلى شرح ؛ —

الفصل الثاني

نهاية ختامية (عب ١٣ : ٢٠ — ٢٥)

فى هذا الفصل الثانى الذى هو نهاية ختامية لكل هذه الرسالة — الرسالة إلى العبرانيين — نجد أنفسنا أمام بندين أولهما : بركة رسولية بها يحيىّ الرسول أولئك العبرانيين كعادته فى ختام رسائله الأخرى (قابل رو ١٦ : ٢٠ — ٢٧ مع ١ كو ١٦ : ٢٣ و ٢٤ مع ٢ كو ١٣ : ١٤ مع غل ٦ : ١٨ مع أف ٦ : ٢٣ و ٢٤ مع فى ٤ : ٢٣ مع كو ٤ : ١٨ مع ١ تس ٥ : ٢٣ مع ٢ تس ٣ : ١٦ مع ٢ تى ٤ : ٢٢ مع فل ٢٥) ، هذا هو البند الأول فى هذا الفصل الختامى لهذه الرسالة ، أما البند الثانى فهو مجرد تذييل .

البند الأول : — بركة رسولية (عب ١٣ : ٢٠ و ٢١)

٢٠ وَإِلٰهُ ٱلسَّلَامِ ٱلَّذِى أَقَامَ مِنَ ٱلْأَمْوَاتِ رَاعِيَ ٱلْخِرَافِ
ٱلْعَظِيمَ رَبَّنَا يَسُوعَ بِدَمِ ٱلْعَهْدِ ٱلْأَبَدِيِّ ٢١ لِيُكَمِّلْكُم فِى كُلِّ
عَمَلٍ صَالِحٍ لِتَصْنَعُوا مَشِيئَتَهُ عَامِلاً فِيكُمْ مَا يُرْضِى أَمَامَهُ بِيَسُوعَ
ٱلْمَسِيحِ ٱلَّذِى لَهُ ٱلْمَجْدُ إِلَى أَبَدِ ٱلْآبِدِينَ . آمِينَ .

فى هاتين الآيتين نلتقى ، بدأة بدء بأعلى وأمجد شخصيات الوجود وهو ، جل جلاله « إله السلام » — نلتقى بجلاله أولا فى علاقته « براعى الخراف العظيم » — العلاقة التى تتبين جلياً فى الكلمة « أقام من الأموات » ثم تبينه ثانياً فى اتصاله بجميع المؤمنين — الاتصال الذى نتبينه واضحاً فى الفعل « ليكملكم . . عاملا فيكم » : هذا هو : —

(ع ٢٠) « إله السلام » :

« إله السلام » تعبير كثيراً ما ورد فى بعض الرسائل المنتسبة إلى الرسول بولس انتساباً صريحاً ، وذلك حيث نقرأ : « إله السلام معكم أجمعين » — و« إله السلام سيسحق الشيطان تحت أرجلكم سريعاً » (رو ١٥ : ٣٣ و ١٦ : ٢٠) كما نقرأ أيضاً ، وإله السلام نفسه يقدسكم بالتمام » (١ تس ٥ : ٢٣) — الأمر الذى يدل على أن « إله السلام » هو تعبير من تعبيرات الرسول بولس وفى ذات الوقت يعتبر من الأدلة التى ترجح (على الأقل) بل بالحرى تؤكد على أن الرسول بولس هو كاتب الرسالة إلى العبرانيين (راجع الكلام عن كاتب الرسالة فى المقدمة) .

أما « إله السلام » المذكور فى هاتين الآيتين فهو ولابد « الله الآب » كما سنرى فى ما بعد ، هذا هو « إله السلام » الذى يدعو الناس إلى المصالحة معه — « الله الآب » الذى أعلنه ذات الرسول فى حديثه عن « الخليقة الجديدة » حيث يقول : « ولكن الكل من الله (الآب) الذى صالحنا لنفسه بيسوع المسيح ، وأعطانا (نحن الرسل) خدمة المصالحة » مفسراً ذلك بقوله : « أى إن الله (الآب) كان فى « المسيح » مصالحاً العالم لنفسه ، غير حاسب لهم خطاياهم وواضعاً فينا (نحن الرسل) كلمة المصالحة » (٢ كو ٥ : ١٨ و ١٩ إقرأ ع ١٧ — ٢١) . هذا هو « الله الآب » — « إله السلام الذى » : —

« أقام من الأموات . . ربنا يسوع » :

هذا هو « إله السلام » — « الله الآب » — « الذى أقام من الأموات » ابنه الوحيد الحبيب « ربنا يسوع » — ذلك الأمر العجيب الذى يليق بنا أن نتبينه جلياً بمقتضى ما أعلنته الكتب المقدسة عن العلاقة بين الآب والابن فى أمر هذه القيامة .

هذه العلاقة التى تتضح أمامنا هنا فى كلمة « أقام » هى تلك العلاقة التى بينها لنا رسول الختان « بطرس » وهو يتحدث مع أهل الختان فى يوم الخمسين عن « يسوع الناصرى » الذى « أقامه الله ناقضاً أوجاع الموت » بانياً كلامه هذا على الأساس المؤسس فى الكلمة النبوية التى نطق بها « روح المسيح » فى « مرنم إسرائيل الحلو » حيث قال : « لذلك

فرح قلبي وابتهجت روحي — جسدي أيضاً يسكن مطمئناً ؛ لأنك لن تترك نفسي في الهاوية ، لن تدع تقيك يرى فساداً » (مز ١٦ : ٩ و ١٠ اقرأ ع ٧ — ١١ مع أع ٢ : ٢٢ — ٣٢مع أع ٤ : ١٠ و ٢٣ — ٣١) .

هذه هي قوة القيامة التي كان يرغب الرسول بولس في الحصول عليها — تلك الرغبة المقدسة التي دل عليها بالقول : « لأعرفه وقوة قيامته وشركة آلامه متشبهاً بموته لعلي أبلغ إلى قيامة الأموات » (في ٣ : ١٠ و ١١ اقرأ ع ٧ — ١٢). تلك القوة العجيبة الفائقة التي أظهرها « إله السلام » في إقامة « يسوع الناصري من الأموات » — قوة ذلك السلطان الذي أعطاه الآب لابنه بوصية منه — « السلطان » الذي عبر عنه ذلك الابن في قوله عن نفسه : « لهذا يحبني الآب لأني أضع نفسي (عن الخراف) لآخذها أيضاً — ليس أحد يأخذها مني ؛ بل أضعها أنا من ذاتي — لي « سلطان » أن أضعها ولي «سلطان» أن آخذها أيضاً » معبراً عن هذا السلطان بوصف أنه « وصية قبلتها من أبي » (اقرأ يو ١٠ : ١١ — ١٨) .

على أساس هذه الوصية — الوصية التي قبلها ابن الله من الآب — تكلم السيد المسيح بسلطان عن أمر قيامته وأعلنها صريحاً بأقوى تعبير في قوله لتلاميذه : « ها نحن صاعدون إلى أورشليم وسيتم كل ما هو مكتوب بالأنبياء عن ابن الإنسان ؛ لأنه يسلم إلى الأمم ويستهزأ به ويشتم ويتفل عليه ويجلدونه ويقتلونه وفي اليوم الثالث يقوم » (لو ١٨ : ٣١ — ٣٣ قابل مت ١٦ : ٢١ و ٢٠ : ١٧ — ١٩ مع مر ٨ : ٣١ و٩ : ٣١ و ١٠ : ٣٣ و ٣٤ مع لو ٩ : ٢٢ و ٢٤ : ٦ و ٧) .

هذه هي ذات الحقيقة التي أثبتتها « الكتب المقدسة » عن طريق « الكلمة النبوية ». وذلك يتبين بوضوح في قول رسول الأمم للكورنثيين : « فإنني سلمت إليكم في الأول ما قبلته أنا أيضاً أن المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب وأنه دفن وأنه قام في اليوم الثالث حسب الكتب » (١كو ١٥ : ٣ و ٤ اقرأ لو ٢٤ : ١٣ — ٢٧) — بمقتضى هذا المبدأ المبين في كل ما قيل في هذا الشأن يتجلى أمامنا أن الله الآب « أقام من الأموات ربنا يسوع » . وأن « ربنا يسوع » ذاته قام من الأموات بمقتضى وصية الآب التي أعطيت له في هذا الشأن .

على أنه — إن نسينا — فينبغى أن لا ننسى أن « ربنا يسوع » قام من الأموات « باكورة للراقدين » ، وذلك بناء على المبدأ الذى عليه أسس الرسول قوله : « الآن قد قام المسيح من الأموات وصار باكورة الراقدين » (١ كو ١٥ : ٢٠ اقرأ ع ١٩ — ٢٣) . هذه هى الباكورة الممثلة فى ما أمر به الرب الشعب قديماً على يد موسى ؛ حيث قال : « متى جئتم إلى الأرض التى أنا أعطيكم وحصدتم حصيدها تأتون بحزمة أول حصيدكم إلى الكاهن ، فيردد الحزمة أمام الرب للرضا عنكم ، فى « غد السبت » يرددها الكاهن » (لا ٢٣ : ٩ — ١١ اقرأ ما كتب فى هذا الشأن فى كتاب يوم الرب للمؤلف) .

هذه هى « باكورة الحصاد » التى رددها رئيس الكهنة العظيم « ربنا يسوع » بقيامته من الأموات أمام الرب الذى « أقامه من الأموات » ليكون « باكورة » الراقدين — « الأموات الذين يموتون فى الرب » (رؤ ١٤ : ١٣) . ليتم المكتوب . « يبلع الموت إلى الأبد » — « ابتلع الموت إلى غلبة » (قابل إش ٢٥ : ٨ مع ١ كو ١٥ : ٥٤) — بل ليتحقق المكتوب « أين أوباؤك — أين شوكتك — يا موت » ؟ « أين شوكتك — أين غلبتك — يا هاوية » ؟ (قابل هو ١٣ : ١٤ مع ١ كو ١٥ : ٥٥) .

هكذا تثبت الحقيقة أن « إله السلام » الذى أقام من الأموات « ربنا يسوع » « سيسحق الشيطان تحت أرجلكم » (رو ١٦ : ٢٠) لأنه « إذ قد تشارك الأولاد فى اللحم والدم اشترك هو ، أيضاً ، كذلك فيهما ؛ لكى يبيد بالموت ذاك الذى له سلطان الموت أى إبليس ، ويعتق أولئك الذين ، خوفاً من الموت ، كانوا جميعاً كل حياتهم تحت العبودية » (عب ٢ : ١٤ و ١٥ راجع شرح ع ٩ و ١٠ و ١٤ و ١٥) .

أما « ربنا يسوع » الذى يتحدث عنه الرسول هنا بأن « إله السلام أقامه من الأموات » فهو ذات « يسوع الناصرى » الذى تحدث عنه الرسول بطرس ، فى يوم الخمسين ، مع الذين قتلوه وصلبوه — معلناً لهم بأن « الله أقامه من الأموات إذ لم يكن ممكناً أن يمسك منه » (اقرأ أع ٢ : ٢٢ — ٢٤) — هذا هو « ابن الإنسان » الذى رآه استفانوس و « السماء مفتوحة » — « قائماً عن يمين الله » وإذ أعلن تلك الرؤية أمام المجمع الذى كان

بحاكمه « صاحوا بصوت عظيم وسدوا آذانهم وهجموا عليه بنفس واحدة وأخرجوه خارج المدينة ورجموه » و «كان شاول راضياً بقتله » (اقرأ أع ٧ : ٥٤ — ٨ : ١) .

هذا هو « يسوع الناصرى » الذى ظهر لشاول باغتاً إياه بنور من السماء أبرق حوله فسقط على الأرض وسمع صوتاً ، قائلا له : «أنا يسوع الناصرى الذى أنت تضطهده » (قابل أع ٩ : ٣ — ٥ و ٢٢ : ٦ — ٨ و ٢٦ : ١٢ — ١٥) . هذا هو الذى يتحدث عنه الرسول بولس (الذى هو شاول) ملقباً إياه بالقول : « ربنا يسوع ». ولا عجب ! فإن النور الذى صرعه وأسقطه على الأرض أبرق فى قلبه بنور الوحى المقدس ؛ فقال : « يارب ماذا تريد أن أفعل » ؟ (قابل أع ٩ : ٦ و ٢٢ : ١٠ و ٢٦ : ١٥) ، وها هو هنا يقول « ربنا يسوع » .

أما « يسوع » فهو اسم عجيب خلعه الملاك جبرائيل ، بوحى السماء ، على مولود « عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسف واسم العذراء مريم » حيث بشرها ، قائلا : « ها أنت ستحبلين وتلدين ابناً وتسمينه يسوع » (لو ١ : ٣١ اقرأ ٢٦ — ٣١) .

أما معنى هذا الاسم العجيب « يسوع » فقد فسره ملاك الرب الذى ظهر ليوسف فى حلم ، قائلا « لأنه « يخلص » شعبه من خطاياهم » (مت ١ : ٢١ اقرأ ع ١٦ و ١٨ — ٢١) ، وهو ذات المعنى الذى برز جلياً فى بشارة « ملاك الرب » الذى بشر الرعاة بولادته ؛ حيث قال لهم : « ولد لكم اليوم فى مدينة داود « مخلص » هو المسيح الرب » (لو ٢ : ١١ اقرأ ع ٨ — ١١) .

هذا هو معنى الاسم « يسوع » — « مخلص » — معنى تتبين قوته الخلاصية فى الهتافات الملكية التى يتخللها صراخ الهاتفين : « أوصنا » لابن داود ، مبارك الآتى باسم الرب » — « أوصنا فى الأعالى » « مباركة مملكة أبينا داود » — « مبارك الملك الآتى باسم الرب ، سلام فى السماء ومجد فى الأعالى » — « ملك إسرائيل » (قابل مت ٢١ : ٩ مع مر ١١ : ٩ و ١٠ مع لو ١٩ : ٣٨ مع يو ١٢ : ١٣) .

أما الكلمة « أوصنا » التى رددها الهاتفون فى استقبال ملك إسرائيل فهى ذات الكلمة العبرية « هو شيعنا » وقد جاءت ترجمته عربياً بالنص القائل : « آه خلص » كما

ورد الهتاف النبوى : « آه يارب خلص — آه يارب أنقذ — مبارك الآتى باسم الرب » (مز ١١٨ : ٢٥ و ٢٦ اقرأ ع ٢٤ — ٢٦) . هذا هو « رئيس خلاص » « أبناء المجد الذى لاق بالآب السماوى أن يكمله بالآلام (راجع شرح ص ٢ : ١٠) . « وإذ كمل صار لجميع الذين يطيعونه سبب خلاص أبدى » (راجع شرح ص ٥ : ٧ — ٩) : هذا هو « ربنا يسوع » الذى أقامه « إله السلام » من الأموات — هذا هو : —

« راعى الخراف العظيم » :

فى هذا التعبير يبرز أمامنا « ربنا يسوع » الذى أقامه « إله السلام » من الأموات — يبرز لنا راعياً له خراف يرعاها، وتظهر أمامنا خراف هى رعية يرعاها ذلك الراعى العظيم ، وما أسمى الرعاية فى معناها ومبناها ! وما أعظمها فى سموها ! إنها عناية لا تقدر تقوم بالسهر والحراسة على الرعية وإعداد كل ما يلزم لحياتها من طعام وشراب والمحافظة عليها من الأسود والذئاب التى لا تشفق وهى تجول ليل نهار تزأر مزمجرة وتدأب مفترسة .

فما أعظم مسئولية الراعى ! ذلك الراعى الذى يتمثل فى أول ملك راع حدثنا عنه الوحى بأنه « الصغير الذى كان يرعى الغنم » فأُتى به إلى النبى صموئيل فأخذ صموئيل ، بأمر الرب ، قرن الدهن ومسحه فحل روح الرب على داود من ذلك اليوم ليكون راعياً إلى الأبد (اقرأ ١ صم ١٦ : ١١ — ١٣) . هذا هو الراعى الذى « قتل الأسد والدب » اللذين أتيا لافتراس الغنم وقتل جليات الجبار الفلسطينى العملاق الذى تحدى شعب إسرائيل وعير إلههم أربعين يوماً فانكمشوا جميعاً ولم يجسر أحد من جبابرتهم أن يرد تعييره ؛ حتى جاء هذا الصغير الراعى وقطع رأسه (اقرأ ١ صم ص ١٧) .

أما الراعى العظيم الذى هو « ربنا يسوع » وهو « ابن داود » بمقتضى النصوص الصريحة الواردة بالكتب المقدسة فى هذا الصدد ، وبخاصة فى « كتاب ميلاد يسوع المسيح ابن داود » (مت ١ : ١ اقرأ ع ١ — ١٦ و ٢٠ مع لو ١ : ٢٦ — ٣٢ و ٢ : ٤ — ١١ مع رو ١ : ٣ مع ٢ تى ٢ : ٨ مع رؤ ٢٢ : ١٦) .

هذا هو « ابن داود » — إلا أنه « أصل داود » و « رب داود » ، فلا عجب أن يدعى « الراعى العظيم » حيث يرجع أصله إلى « يهوذا » الذى من نسله أتى « داود » كما قال عنه أحد الشيوخ الأربعة والعشرون الذين رآهم يوحنا الرائى حول العرش ، وهو يبكى ؛ فقال له : لا تبك ! « هوذا قد غلب الأسد الذى من سبط يهوذا أصل داود » (اقرأ رؤ ٥ : ١ — ٥ مع تك ٤٩ : ٨ — ١٠ مع إش ١١ : ١ و ٢ و ١٠ مع رو ١٥ : ٨ — ١٢ مع مت ٢٢ : ٤١ — ٤٦ مع لو ٢٠ : ٤١ — ٤٣ مع أع ٢ : ٣٤ — ٣٦) .

هذا هو « ربنا يسوع » الراعى العظيم — « ابن داود » — « أصل داود » — بل هو بالذات « داود » عبد الرب الذى نص عنه فى « الكلمة النبوية » وبخاصة فى ما قيل بإشعياء الرائى : « وأقطع لكم عهداً أبدياً مراحم « داود » الصادقة ، هوذا قد جعلته شارعاً للشعوب — رئيساً وموصياً للشعوب — ها أمة لا تعرفها تدعوها وأمة لم تعرفك تركض إليك من أجل الرب إلهك وقدوس إسرائيل لأنه قد مجدك » (إش ٥٥ : ٣ — ٥ اقرأ ع ١ — ٥ قابل ١ مل ١١ : ١٣ و ٣٢ و ٣٤ و ٣٦ و ٣٨ مع حز ٢٢ : ٢٢ — ٢٤) .

هذا هو « الراعى العظيم » — « الراعى الصالح » — « والراعى الصالح يبذل نفسه عن الخراف » (يو ١٠ : ١١) . هذا هو الذى قال متعظماً بلسان النبوة : « هل تسلب من الجبار غنيمة ؟ وهل يفلت سبى المنصور ؟ فإنه هكذا قال الرب : « حتى سبى الجبار يسلب وغنيمة العاتى تفلت ، وأنا أخاصم مخاصمك وأخلص أولادك وأطعم ظالميك لحم أنفسهم ويسكرون بدمهم كما من سلاف ؛ فيعلم كل بشر أنى أنا الرب مخلصك وفاديك عزيز يعقوب » (إش ٤٩ : ٢٤ — ٢٦) .

هذه هى لغة « الأسد » — « الراعى العظيم » — « داود » الذى « يقودنا فى موكب نصرته » (٢ كو ٢ : ١٤) أسارى وسبايا ، وقد نقلنا من الظلمة إلى ملكوته المبارك بالسلطان الذى أعطى له من الآب (اقرأ كو ١ : ١٢ — ١٩) . وخلصنا من براثن

الأسد الزائر المفترس — إبليس الخصم العنيد الذى يجول ملتمساً من يبتلعه هو (١ بط ٥ : ٨) . هذا هو « راعى الخراف العظيم » .

فإن « الخراف » التى لهذا الراعى ليرعاها ؟ باذلا نفسه من أجلها ليعطيها حياة أبدية فلن تهلك إلى الأبد ولا يخطفها أحد من يده ؟ (يو ١٠ : ١١ و ٢٨) — أين هذه الخراف ؟ إنها تلك الخراف التى سبق الآب فأعدها قبل كل الدهور لتكون رعية خاصة لابنه (خر ١٩ : ٥ و ٦) الذين كتبت أسماؤهم فى سفر تذكرة ليتقوا الرب وليفكروا فى اسمه ويكونوا خاصة لرب الجنود (اقرأ ملا ٣ : ١٦ — ١٨) .

هم « الخراف » الذين سبق الآب فاختارهم فى المسيح قبل تأسيس العالم ليكونوا قديسين وبلا لوم قدامه فى المحبة ؛ إذ سبق « الآب » فعينهم للتبنى بيسوع المسيح لنفسه حسب مسرة مشيئته لمدح مجد نعمته التى أنعم بها علينا فى المحبوب (اقرأ أف ١ : ٣ — ٦ مع رو ٨ : ٢٨ — ٣٠) هؤلاء هم الذين أعطاهم الآب لابنه ليكون رئيس خلاصهم راعياً لهم ، عن طريق الآلام (راجع شرح ص ٢ : ١٠ و ٥ : ٧ — ٩) .

هؤلاء هم « الخراف » الذين أعطاهم الآب لابنه أختاً وعروساً فأنشد ، قائلا ، « أختى العروس جنة مغلقة عين مقفلة ينبوع مختوم » (نش ٤ : ١٢ اقرأ ع ٨ — ٥ : ١) هذه هى « الكنيسة التى هى جسده » فأحبها و « أسلم نفسه لأجلها ؛ لكى يقدسها مطهراً إياها بغسل الماء بالكلمة ؛ لكى يحضرها لنفسه كنيسة مجيدة لا دنس فيها ولا غضن أو شيء من مثل ذلك ؛ بل تكون مقدسة وبلا عيب » (اقرأ أف ١ : ٢٢ و ٢٣ و ٥ : ٢٥ — ٢٧) .

هؤلاء هم « الخراف » الذين قدس الراعى العظيم ذاته لأجلهم بمقتضى السلطان الذى أعطاه الآب له « ليعطى حياة أبدية » لكل من أعطاه من الخراف (اقرأ ما جاء فى الصلاة الكهنوتية فى شرح يو ١٧ : ٢ و ٣ للمؤلف) . هؤلاء هم « الخراف » الذين أعطوا لهذا « الراعى العظيم » ليرعاهم من كل أمة وقبيلة ولسان وشعب من أربع رياح الأرض (قابل رؤ ٥ : ٨ — ١٠ و ٧ : ٩ — ١٧ مع مت ٢٤ : ٣١ مع رؤ ٧ : ١ — ٣) . هذا هو « راعى الخراف العظيم ربنا يسوع » الذى أقامه من الأموات « إله السلام » : —

« بدم العهد الأبدى » :

تدل القرينة على أن هذه الجملة « بدم العهد الأبدى » — متعلقة بالفعل « أقام » وبالفاعل « إله السلام » بحيث يمكن أن نقرأ هذا الموضوع على النحو الآتى « وإله السلام الذى أقام — من الأموات — « بدم العهد الأبدى » — راعى الخراف العظيم ربنا يسوع » . أما « دم العهد الأبدى » فهو تعبير يوقفنا أمام تدبير الفداء العجيب مفصلا فى ثلاث قضايا لاهوتية جوهرية : — أما القضية الأولى منها فيمكن أن نضعها تحت عنوان — « العهد »— أما القضية الثانية فيمكن أن نضعها تحت عنوان العهد « الأبدى » — أما القضية الثالثة فيمكن أن نضعها تحت عنوان — « دم » « العهد الأبدى » والآن نتقدم بهذا التفصيل بإرشاد روح الرب إلى شرح هذه القضايا الثلاث الجوهرية اللاهوتية : —

أما — « العهد » — القضية الأولى من هذه القضايا اللاهوتية الجوهرية فهو عهد يمكن تعريفه بأنه وصية مقرونة بشرط لنوال « الحياة الأبدية » — الأمر الذى يظهر بوضوح تام فى الوصية التى أوصى بها الله آدم ، بداءة بدء — يوم « غرس الرب الإله جنة فى عدن شرقاً ووضع هناك « آدم الذى جبله » — وأنبت الرب الإله من الأرض كل شجرة شهية للنظر وجيدة للأكل و « شجر الحياة » فى وسط الجنة و « شجرة معرفة الخير والشر » وأوصى الرب الإله آدم ، قائلا : « من جميع شجر الجنة تأكل أكلا ، وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها ؛ لأنك يوم تأكل منها موتاً تموت » (تك ٢ : ٨ و ٩ و ١٦ و ١٧ اقرأ ع ٧ — ١٧) .

فى هذه الوصية دخل الله مع آدم فى عهد هو « عهد الحياة » مرموزاً إليه بالأكل من « شجرة الحياة التى فى وسط الجنة » التى أوصاه الرب أن يأكل منها — تلك الوصية المتضمنة فى القول : « من جميع شجر الجنة (« شجرة الحياة ») تأكل (تك ٢ : ١٦) — وصية مقرونة بنهى عن الأكل من « شجرة معرفة الخير والشر » حيث قيل : « وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها » (تك ٢ : ١٧) فالوصية فى شقيها (الأمر والنهى) إنما هى « حياة أبدية » كما عبر السيد المسيح عن وصية الآب ، حيث قال : « وأنا أعلم أن وصيته هى حياة أبدية » (يو ١٢ : ٥٠) .

فقد كانت وصية الله لآدم فى شقيها — أمراً ونهياً — عهداً مشروطاً هو « عهد الحياة الأبدية » . ولكن آدم لم ينتبه فلم يكف عن الأكل من الشجرة المنهى عنها فخالف النهى وكسر الوصية و« تعدى العهد » (هو ٦ : ٧) « فأخرجه الرب الإله من جنة عدن ليعمل الأرض التى أخذ منها ، فطرد الإنسان وأقام ، شرقى جنة عدن ، الكروبيم ولهيب سيف متقلب لحراسة طريق شجرة الحياة » (تك ٣ : ٢٣ و ٢٤ اقرأ ع ١—٢٤).

طرد من جنة — حكم إلهى مرعب وقع على جميع بنى آدم المتناسلين منه تناسلا طبيعياً ، وذلك بمقتضى القول : « بمعصية الإنسان الواحد جعل الكثيرون خطاة » (رو ٥ : ١٩) . وكل تعد ومعصية نال مجازاة عادلة » (راجع شرح ص ٢ : ٢) لأنه « بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم وبالخطية الموت وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس ، إذ أخطأ الجميع » (رو ٥ : ١٢) كما قيل ، أيضاً : « فى آدم يموت الجميع » (١ كو ١٥ : ٢٢) .

هكذا نقض « العهد الأول » الذى قطعه الله مع آدم بالتعدى على الوصية التى هى حياة أبدية ، و« ملك الموت من آدم إلى موسى وذلك على الذين لم يخطئوا على شبه تعدى آدم » (اقرأ رو ٥ : ١٣ — ١٤) إذ لم تكن وصية قد أعطيت بعد فى كل تلك المدة ، وحيث ليس وصية فلا تعد ولا خطية ، ولكنهم ماتوا إذ حسبوا متعدين فى آدم الذى فيه أخطأ الجميع .

هكذا صار الأمر إلى أن جاء موسى ودخل الله فى عهد ، لا مع رأس نائب عن جميع الجنس البشرى ، كما فعل مع آدم ؛ بل مع شعب خاص معين لا نسبة له مع سائر الشعوب ولا علاقة له مع الأمم — أمم الأرض — كما هو واضح فى نص ذلك العهد حيث قيل : « إن سمعتم لصوتى وحفظتم عهدى تكونون لى خاصة من بين جميع الشعوب — فإن لى كل الأرض — وأنتم تكونون لى خاصة من بين جميع الشعوب — فان لى كل الأرض أنتم تكونون لى مملكة كهنة وأمة مقدسة (خر ١٩ : ٥ و ٦) .

« عهد » مشروط مؤسس على وصايا — أوامر ونواه — منقوشة فى لوحين من حجر مزيلة بمواسم وأعياد ورسوم وفرائض و « هى قائمة بأطعمة وأشربة وغسلات

مختلفة وفرائض جسدية — فقط موضوعة إلى وقت الإصلاح » (راجع شرح ص ٩ : ٨ — ١٠) ، هذا هو عهد « جبل سيناء » الملموس المضطرم بنار مصحوبة « بضباب وظلام وزوبعة وهتاف بوق وصوت كلمات استعفى الذين سمعوه من أن تزاد لهم كلمة » (اقرأ خر ١٩ : ١٦ — ١٩ و ٢٠ : ١ — ٢١ مع تث ٥ : ١ — ٢٦ راجع شرح ص ١٢ : ١٨ — ٢١) .

هذا هو « العهد » الذى قطعه الرب عند « جبل سيناء » مع الشعب مؤسساً على دم ذبائح حيوانية — عهد نقض أيضاً كما نقض العهد مع آدم كما جاء فى الكلمة النبوية القائلة : « ماذا أصنع بك يا أفرايم ؟ ماذا أصنع بك يا يهوذا ؟ فإن إحسانكم كسحاب الصبح وكالندى الماضى باكراً ، لذلك أقرضهم بالأنبياء أقتلهم بأقوال فى والقضاء عليك كنور قد خرج . . . كآدم تعدوا العهد ، هناك غدروا بى » (اقرأ هو ٦ : ٤ — ٧ مع إر ٣١ : ٣١ — ٣٤ راجع شرح ص ٨ : ٧ — ١٣) .

لقد نقض عهد جنة عدن بالتعدى ونقض عهد جبل سيناء ، أيضاً ، بالتعدى . وهكذا تم القول : « ولكنهم كآدم تعدوا العهد » (هو ٦ : ٧) . ولا عجب ! فإنهم هم أيضاً بنو آدم المتعدين العصاة ، وكما طرد أبوهم آدم من الجنة هكذا « أقسم الرب » فى غضبه عليهم « أن لا يدخلوا راحته » (قابل عد ١٤ : ٢٠ — ٢٣ اقرأ ع ١ — ٢٣ مع مز ٩٥ : ٧ — ١١) .

ولا عجب ! إذا كان ذات « موسى » وسيطهم وقائدهم وأخوه هرون رئيس كهنتهم — لا عجب أن يحكم عليهما بالحرمان من أرض الموعد لأنهما خالفا أمر الرب حين ضرب موسى الصخرة مرتين فى غضب ؛ حيث قال الرب لهما : « من أجل أنكما لم تؤمنا بى حتى تقدسانى أمام أعين بنى إسرائيل ؛ لذلك لا تدخلان هذه الجماعة إلى الأرض التى أعطيتهم إياها » (عد ٢٠ : ١٢ اقرأ ع ١ — ١٣ مع تث ١ : ٣٧ و ٣ : ٢٣ — ٢٦ و ٤ : ٢١) .

هكذا استمر عصيان هذا الشعب وتعديه وتمردوا على الرب وعلى مسيحه بالصورة التى صورهم بها استفانوس حيث قال : « يا قساة الرقاب وغير المختونين بالقلوب

والآذان ! أنتم دائماً تقاومون الروح القدس ، كما كان آباؤكم كذلك أنتم ، أى الأنبياء لم يضطهده آباؤكم ؟ وقد قتلوا الذين سبقوا فأنبأوا بمجئ « البار » الذى أنتم الآن صرتم مسلميه وقاتليه — الذين أخذتم النـاموس بترتيب ملائكة ولم تحفظوه » (أع ٧ : ٥١ — ٥٣ قابل أع ٢ : ٢٢ و ٢٣) .

هكذا ، بالتعدى والعصيان نقض « العهد » الذى قطعه الرب مع آدم فى « جنة عدن » فطرده الرب منها . وهكذا بالتعدى والعصيان ، أيضاً ، نقض العهد الذى قطعه الرب مع شعب إسرائيل عند جبل سيناء فحل بهم القضاء الذى حكم به إله السلام عليهم — القضاء الذى نطق به « رب المجد » على أورشليم يوم دخوله الانتصارى حيث نظر إليها وبكى عليها ، قائلا : —

« إنك لو علمت أنت أيضاً — حتى فى يومك هذا — ما هو لسلامك ! ولكن الآن قد أخفى عن عينيك ، فإنه ستأتى أيام ويحيط بك أعداؤك بمترسة ويحدقون بك ويحاصرونك من كل جهة ويهدمونك وبنيك فيك ولا يتركون فيك حجراً على حجر ؛ لأنك لم تعرفى زمان افتقادك » (اقرأ لو ١٩ : ٤١ — ٤٤ و ١٣ : ٣٣ — ٣٥ مع مت ٢٣ : ٢٩ — ٣٩ مع ١ تس ٢ : ١٤ و ١٥ راجع شرح ص٣ : ٧ — ١٥) ، إذاً لقـد نقض « العهد » فأين إذاً ذلك : —

« العهد » — « الأبدى » » :

من كل ما سبق فقيل نؤكد تأكيداً لا شك فيه البتة بأن « العهد » — « الأبدى » — لا يمكن أن يكون عهداً مقطوعاً مع أى من البشر العصاة المتعدين ، وعلى ذات النمط يمكن أن نقول أنه لا يمكن أن يكون عهداً مقطوعاً مع الملائكة الذين بدا منهم أنهم معرضون للسقوط فى التعدى والعصيان كما حدث مع إبليس وملائكته الذين إذ « تصلفوا » أخطأوا و« لم يحفظوا رياستهم ؛ بل تركوا مسكنهم» ، « طرحهم الله فى جهنم وسلمهم محروسين للقضاء » و « حفظهم إلى دينونة اليوم العظيم بقيود أبدية تحت الظلام » (قابل ٢ بط ٢ : ٤ مع يه ٦ مع ١ تى ٣ : ٦ مع رؤ ١٢ : ٧ — ١٠ مع لو ١٠ — ١٧ و ١٨) :

إذاً مع من ؟ يقطع الله « عهداً » — « أبدياً » — لا ينقض — عهداً مثبت إلى أبد الآبدين وإلى دهر الداهرين — عهداً مشروطاً يحفظ بكماله يصح فيه القول الحق الذى نطق به السيد المسيح بشأن الناموس حيث قال : « إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل » (مت ٥ : ١٨ اقرأ ع ١٧ و ١٨) .

فإن « الناموس مقدس والوصية مقدسة وعادلة وصالحة » (رو ٧ : ١٢) — للناموس أحكام وفرائض التى « إذا فعلها الإنسان يحيا بها » (لا ١٨ : ١٨ قابل حز ٢٠ : ١١ و ١٣ و ٢١ مع لو ١٠ : ٢٨ مع رو ١٠ : ٥ انظر شرح غل ٣ : ٢ للمؤلف) . وهكذا الوصية مقدسة لأنها وصية الإله القدوس الذى أوصى ، قائلا : « كونوا قديسين لأنى أنا قدوس » (قابل لا ١١ : ٤٤ و ١٩ : ٢ و ٢٠ : ٧ مع لو ١ : ٧٤ و ٧٥ مع ٢ كو ٧ : ١ مع ١ تى ٤ : ٣ و ٤ و ٧ مع ١ بط ١ : ١٥ و ١٦ راجع شرح ص ١٢ : ١٤) .

هذا هو « العهد الأبدى » — ناموس الله المقدس الكامل (اقرأ مز ١٩ : ٧ — ١١) — هذا هو « العهد الأبدى » — وصية الرب المقدسة العادله الصالحة — « الناموس الكامل » — « ناموس الحرية » (يع ١ : ٢٥) — « الناموس الملوكى حسب الكتاب » (يع ٢ : ٨) — « ناموس المحبة الكاملة » التى أحبنا بها الله الآب فى ابنه « لأن الله محبة » — (اقرأ ١ يو ٤ : ٨ — ١٦) — هذا هو « العهد الأبدى » الأزلى — « عهد المحبة » التى لا تزول ولا يمكن أن تنقض — العهد الذى قطعه الله الآب مع ابنه من أجلنا ، وهذا يأتى بنا إلى : —

« دم » — « العهد الأبدى » :

وما أكرم « الدم » فى اعتبار العزة الإلهية وفى نظر الشريعة المقدسة ، وذلك بمقتضى الوصية السماوية — القائلة : « غير أن لحماً « بحياته » — « دمه » — لا تأكلوه » (تك ٩ : ٤) — « الدم » بمقتضى هذه الوصية المقدسة هو الحياة الجسدية الحيوانية « لأن نفس كل جسد دمه هو بنفسه » — « لأن نفس كل جسد هى دمه » — « احترز

أن لا تأكل « الدم » لأن « الدم » هو « النفس » فلا تأكل النفس مع اللحم » (اقرأ لا ١٧ : ١٠ و ١١ و١٤ مع تث ١٢ : ٢٣) .

« فالدم » هو « حياة » الحيوان « ونفسه » سواء أكان ذلك الحيوان « طيراً » (تك ١ : ٢٠) أو بهيماً » (تك ١ : ٢٤) أو « إنساناً » (قابل تك ٢ : ٧ مع أي ٣٢ : ٨ مع ١ كو١٥ : ٤٥) . على هذا الأساس يبنى السيد المسيح قوله على مائدة العشاء الأخير حين أخذ الكأس وأعطى تلاميذه وقال : « هذه الكأس هي العهد الجديد بدمى » (أى « بحياتى » أو « بنفسى ») (لو ٢٢ : ٢٠) . وذلك على أساس كونه « الراعى الصالح » و« الراعى الصالح يبذل « نفسه » عن الخراف » (يو ١٠ : ١١) . هذه هى الوصية التى قبلها من الله أبيه وبمقتضاها وعلى أساسها يقول : « لهذا يحبنى الآب ؛ لأنى أضع « نفسى » لآخذها أيضاً » (يو ١٠ : ١٧) .

« قدم » السيد المسيح — على هذا النمط — هو « حياته » ، « نفسه » التى بذلها لأجل خرافه بوصف كونه « راعى الخراف العظيم » — بل هو حياته — « نفسه — » التى بذلها « الآب » لكى « لا يهلك كل من يؤمن به ؛ بل تكون له الحياة الأبدية » (يو ٣ : ١٦) — هذا هو « دم المسيح » — حياته — نفسه التى هى « دم كريم . . . معروفاً سابقاً قبل تأسيس العالم » (١ بط ١ : ١٩ و ٢٠) .

هذا هو « دم العهد الأبدى » — « حياة » السيد المسيح — « دم المسيح الذى بروح أزلى قدم « نفسه » لله أبيه (راجع شرح ص ٩ : ١٤) . وذلك لإتمام مسرته التى قصدها فى نفسه « لتدبير ملء الأزمنة ليجمع كل شيء فى المسيح » (أف ١ : ٩ و ١٠) . لأجل ذلك وعلى أساس هذا الدم — « دم نفسه » — الذى سفكه عن الخراف — على هذا الأساس يقول الرسول « وإله السلام الذى أقام من الأموات راعى الخراف العظيم — « ربنا يسوع » — بدم العهد الأبدى » : —

(ع٢١) « ليكملكم فى كل عمل صالح » :

الكلام هنا ترجع قرينته بنا إلى « إله السلام » فى الآية السابقة ، وقد سبق الرسول فنسب إليه عملا أجراه فى زمن ماض ، باعتبار أنه « أقام (فى ذلك الزمن الماضى)

من « الأموات » راعى الخراف العظيم « ربنا يسوع » بدم العهد الأبدى » (راجع الشرح) وها هو الآن يتحدث عن « إله السلام » ناسباً إليه عملا حاضراً جارياً واضحاً فى قوله : « ليكملكم » .

تكميل يعود بنا إلى نصيحة سبق الرسول فقدمها إلى أولئك العبرانيين ، جاعلا نفسه واحداً منهم ، قائلا : « لذلك ، ونحن تاركون كلام بداءة المسيح ، لنتقدم إلى الكمال » (راجع شرح ص ٦ : ١) — تكميل يرجع بنا إلى ما هو أسبق من ذلك — إلى حديث السيد « المسيح » — فى خطاب العرش الملكى ؛ حيث قال ناصحاً : « كونوا أنتم « كاملين » كما أن أباكم الذى فى السموات هو كامل » (مت ٥ : ٤٨ اقرأ ع ٤٣ — ٤٨) — تكميل هو الوصول إلى حد الكمال الذى يضعه الآب السماوى أمام أبناء المجد — ذلك الكمال الذى عبر عنه الرسول يوحنا بقوله : « أيها الأحباء ! الآن نحن « أولاد الله » ولم يظهر ، بعد ، ماذا سنكون ، ولكن نعلم أنه ، إذا أظهر (أى إذا أظهر بعد ماذا سنكون) نكون مثله ؛ لأننا سنراه (أى سنرى الله) كما هو » (١ يو ٣ : ٢) .

تكميل فى كل عمل صالح » — هو عمل « النعمة المخلصة » التى أظهرت الآن لجميع الناس فى المسيح يسوع « معلمة إيانا أن ننكر الفجور والشهوات العالمية ونعيش بالتعقل والبر والتقوى فى العالم الحاضر » (اقرأ تى ٢ : ١١ و ١٢) — عمل « النعمة » التى بها « نخلص بالإيمان » ليس منا ولا بقوة بشر ، فإنه « عطية الله » — « ليس من أعمال كيلا يفتخر أحد ، لأننا نحن عمله « مخلوقين » فى المسيح يسوع لأعمال صالحة قد سبق الله فأعدها لنا لكى نسلك فيها » (أف ٢ : ٨ — ١٠) .

أما تلك « الأعمال الصالحة » التى أعدها الله لكى نسلك فيها فهى معلنة فى الكتب المقدسة ؛ حيث قيل عن الله : « قد أخبرك أيها الإنسان ما هو صالح وماذا يطلبه منك الرب — إلا أن تصنع الحق وتحب الرحمة وتسلك متواضعاً مع إلهك » (مى ٦ : ٨) ، وإذا أردنا أن نعرف عينة من هذه « الأعمال الصالحة » فلدينا مثال من أمجد الأمثلة — فتاة اسمها بالآرامية (السريانية) « طابيثا » وباليونانية « دوركس » وترجمتها

« غزالة » التي ورد عنها أنها « كانت ممتلئة « أعمالا صالحة » وإحسانات كانت تعملها » حتى إنها إذ ماتت بكتها الأرامل اللواتي وقفن لدى الرسول بطرس زارفات الدموع وهن يرينه أقمصة مما كانت تعمل وهي معهن (اقرأ أع ٩ : ٣٦ — ٣٩) . وقد نظر الرب إلى دموعهن وإلى أنين قلوبهن وأقامها من الأموات بيد رسوله بطرس (اقرأ أع ٩ : ٤٠ — ٤٣) .

هذه هي « الأعمال الصالحة » — « الأعمال الحسنة » التي أوصى بها السيد المسيح تلاميذه . قائلا : « فليضيء نوركم هكذا قدام الناس ؛ لكي يروا « أعمالكم الحسنة » ويمجدوا أباكم الذي في السموات » (مت ٥ : ١٦) — هي « الأعمال » الصادرة عن قلب مملوء بالمحبة نحو الآخرين ، متجهاً نحو الآب السماوي ، لتمجيد اسمه القدوس ، وذلك على مثال السيد المسيح الذي « إذ كان في صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلا لله ، لكنه — « لمجد الله الآب » ولأجل الذين أحبهم — أخلى نفسه آخذاً صورة عبد صائراً في شبه الناس وإذ وجد في الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب » (في ٢ : ٧ و ٨) .

هذا هو « الفكر الذي في المسيح يسوع » (في ٢ : ٥) — الفكر الذي كل عمل عنه يصدر ومنه ينبعث ، يكون بلا ريب ، « عملا صالحاً » — مرتفعاً بقوة محبة الله التي انسكبت بالروح القدس في قلوب المؤمنين الذين أصبحوا في المسيح « خليقة جديدة » (قابل رو ٥ : ٥ مع ٢ كو ٥ : ١٧) — هذا هو « العمل الصالح » الذي سبق أن تحدث عنه الرسول مع هؤلاء العبرانيين ، قائلا : « لأن الله ليس بظالم حتى ينسى عملكم (عمل إيمانكم) وتعب المحبة (تعب محبتكم) التي أظهرتموها نحو اسمه إذ قد خدمتم القديسين وتخدمونهم » (اقرأ ١ تس ١ : ٢ و ٣ راجع شرح ص ٦ : ١٠) . هذا هو « العمل الصالح » الذي يهدف في مرماه إلى اسم الجلالة المبارك لتمجيد العزة الإلهية .

أو ليس هذا هو ذات « الفكر » الذي على أساسه يبني ابن الإنسان دينونته يوم مجيئه في مجده وجميع الملائكة القديسين معه حيث يجلس على كرسي مجده حيث يميز بين الخراف عن يمينه وبين الجداء عن يساره ويقول « ابن الإنسان » « الملك » للذين عن

يمينه . « تعالوا يا مباركى أبى رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم ، لأنى جعت فأطعمتمونى . . . ثم يقول ، أيضاً ، للذين عن اليسار « اذهبوا عنى يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته ؛ لأنى جعت فلم تطعمونى » . . فيمضى هؤلاء إلى عذاب أبدى والأبرار إلى حياة أبدية » (اقرأ مت ٢٥ : ٣١ — ٤٦) . هذه هى « الأعمال الصالحة » التى يقول عنها الرسول لأولئك العبرانيين : « وإله السلام . . . ليكملكم فى كل عمل صالح » : —

« لتصنعوا مشيئته » :

« اللام » فى كلمة « لتصنعوا » هى لام كى ، وضمير الهاء فى كلمة « مشيئته » يعود بنا إلى « إله السلام » كما لو أن الرسول يقول : « وإله السلام ليكملكم فى كل عمل صالح لكى تصنعوا مشيئته » وذلك على اعتبار أن « صنع مشيئة إله السلام » ، يقوم بإجراء كل عمل صالح إجراءاً كاملا لا نقص فيه ولا عيب . ولا عجب ! فإن « إله السلام » هو ذاته « الإله الصالح » الذى تغنى بصلاحه جمهور الأتقياء معلنين بأنه جل جل جلاله « صالح » ومستقيم لذلك يعلم الخطاة الطريق ، يدرب الودعاء فى الحق ويعلم الودعاء طرقه » (مز ٢٥ : ٨ و ٩ قابل ١ أى ١٦ : ٣٤ مع ٢ أى ٧ : ٣ و ١٠ : ٧ مع عز ٣ : ١١ مع مز ٥٤ : ٦ و ٧٣ : ١ و ٨٦ : ٥ و ١٠٠ : ٥ و ١٠٦ : ١ و ١٠٧ : ١ و ١١٨ : ١ و ٢٩ و ١٣٦ : ١ وعلى هذا القياس كثير) .

هذه هى « مشيئة إله السلام » المقدسة التى يجب على كل مؤمن به أن يختبرها — ذلك الاختبار — لا الحسى — بل الاختبار العملى الواضح فى طلبة ذات الرسول من الأخوة المقدسين حيث قال : « أطلب إليكم أيها الإخوة برأفة الله أن تقدموا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله — « عبادتكم العقلية » — ولا تشاكلوا هذا الدهر بل تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم لتختبروا ما هى إرادة الله « الصالحة » المرضية الكاملة » (رو ١٢ : ١ و ٢) .

اختبار لا علاقة له بالحواس ؛ لأنه اختبار روحى بمقتضى المبدأ القائل : آمن ترى — آمن تفهم — المبدأ الذى ظهر جلياً فى قول السيد لمرثا ، « ألم أقل لك إن آمنت

ترين مجد الله »؟ (يو ١١ : ٤٠ راجع شرح ص ١١ : ٣) — هو ذات المبدأ الذى يجعل العمل أساساً للمعرفة والعلم ، وذلك على أساس قول السيد المسيح : «إن شاء أحد أن يعمل مشيئته يعرف التعليم هل هو من الله أم أتكلم أنا من نفسى » (يو ٧ : ١٧) .

فإن هذا القول الإلهى الذى نطق به « رب المجد » يضع الإرادة للعمل أساساً لمعرفة التعليم فإن من أراد أن يعمل مشيئة الله تنكشف أمامه تلك « المشيئة الصالحة » بنور كشاف ويرسم أمام عينيه ، بصورة واضحة ، طريق الوصول إلى معرفتها لإتمام العمل الذى قصده فى نفسه بفعل روح الله الصالح .

هذا هو الحق الذى نطق به السيد المسيح (كما سبقت الإشارة) : بل لعله هو الحق الذى اختبره عملياً فى حياته بطريقة لا يضارعه فيها إنسان . فإنه ، له المجد ، إذ نطق بقوله المشهور : « أن أفعل مشيئتك يا إلهى سررت » عقب على ذلك النطق ، قائلا : « وشريعتك فى وسط أحشائى » مز ٤٠ : ٧ و ٨) . فإنه ، جل اسمه ، أراد أن « يفعل » مشيئة الله أصبحت هذه المشيئة شريعة معلنة مكتوبة فى أحشائه.

فلا عجب ! إذا قال عن « ابن الإنسان » الذى « هو هو » ذاته « ليس أحد صعد إلى السماء إلا الذى نزل من السماء « ابن الإنسان » الذى هو فى السماء » (يو ٣ : ١٣) — فإذ أعلن بنزوله من السماء — أن يفعل مشيئة الله تجلت أمامه تلك المشيئة بصورة جلية يعبر عنها بصعوده إلى السماء ووجوده فى السماء متصلا بأبيه اتصالا دائماً لمعرفة تلك المشيئة على الدوام .

وهل نريد أن نفعل مشيئة الله ؟ وأن نتمم «إرادته الصالحة المرضية الكاملة » ؟ فعلينا ، قبل كل شيء ، أن نعلم ما أعلنه الوحى الإلهى الواضح فى قول الرسول : « هذه هى إرادة الله قداستكم » (١ تس ٤ : ٣) . وبخاصة ما جاء بالنص الصريح فى قول الله لشعبه : « كونوا قديسين لأنى أنا قدوس » (قابل لا ١١ : ٤٤ و ١٩ : ٢ و ٢٠ : ٧) — ذلك النص الذى علق عليه الرسول بطرس ، قائلا : «كأولاد الطاعة لا تشاكلوا شهواتكم السابقة فى جهالتكم ؛ بل نظير القدوس الذى دعاكم كونوا أنتم ، أيضاً ، قديسين فى كل سيرة » (١ بط ١ : ١٤ و ١٥ اقرأ ع ١٤ — ١٦ مع ١ كو ١ :

٢٦ ـ ٣١ مع إر ٩ : ٢٣ مع ٢ كو ١٠ : ١٧ و ١٨) . فلا عجب أن يرغب الرسول أن إله السلام « ليكملكم فى كل عمل صالح لتصنعوا مشيئته » : ـ

« عاملا فيكم ما يرضى أمامه » :

الكلمة « عاملا » ترجع بنا إلى « إله السلام » الذى يكمل « فى كل عمل صالح » ـ « عاملا » فى الذين يكملهم ما يرضيه هو ، تعالى اسمه « ليصنعوا مشيئته » . وهنا تبدأ مسئولية الإنسان العظمى للتجاوب مع عمل الله فيه ليصنع مشيئته ويتمم ما يرضيه فى حياته أمامه .

وما أعظم هذه المسئولية وما أخطرها مسئولية الطاعة التى عبر عنها ذات الرسول فى موضع آخر قائلا : « إذاً يا أحبائى ! كما أطعتم كل حين ـ ليس كما فى حضورى فقط ـ بل الآن ، بالأولى جداً فى غيابى ، تمموا خلاصكم بخوف ورعدة ؛ لأن « الله » هو « العامل فيكم أن تريدوا وأن تعملوا من أجل المسرة » » (فى ٢ : ١٢ و ١٣) .

أما ما « يرضى أمامه » فهو ذات ما يسره وما يشاءه من جهة الإنسان الذى يعمل فيه لكى يريد ويعمل كل عمل صالح صانعاً مشيئته ، وذلك يتجلى فى التسبحة التى هتف بها جمهور من الجند السماوى ليلة الميلاد العجيب ، قائلين : « المجد لله فى الأعالى وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة » (الرضا) (لو ٢ : ١٤) . أو ليس هذا الرضا الإلهى هو تلك « المسرة » المقدسة التى أشار إليها فى قوله : « رأيى يقوم وأفعل كل مسرتى » ؟ (إش ٤٦ : ١٠ اقرأ ع ٨ ـ ١١ مع مز ٣٣ : ١١ مع أم ١٩ : ٢١ مع مز ١١٥ : ٣) .

هكذا يفعل الله كل مسرته بمقتضى رأى مشيئته ويعمل فى البشر « ما يرضى أمامه » محرراً إرادتهم من العبودية القاسية الشيطانية مخرجاً إياهم من سجن الأسر الجهنمى هذا أمام عاقبة مرة إذا لم يتمموا الوصية القائلة : « لهذا عينه وأنتم باذلون كل اجتهاد . . لذلك بالأكثر اجتهدوا أيها الإخوة ! أن تجعلوا دعوتكم واختياركم ثابتين ، لأنكم إذا فعلتم ذلك ، لن تزلوا أبداً ؛ لأنه هكذا ، يقدم لكم ، بسعة ، دخول إلى ملكوت

ربنا ومخلصنا يسوع المسيح (الملكوت) الأبدى » (اقرأ ٢ بط ١ : ٥ — ١١) . و « إله السلام . . ليكملكم . . . عاملا فيكم ما يرضى أمامه » :—

« بيسوع المسيح » :

هذا هو « ربنا يسوع » « راعى الخراف العظيم » (راجع شرح ع ٢٠) — « يسوع المسيح المقام من الأموات ، من نسل داود » (٢ تى ٢ : ٨) . هذا هو الموضوع الأساسى لكل هذه الرسالة ومحور دائرتها المركزى ونقطة الارتكاز فيها — هذا هو « يسوع » ذلك الشخص العجيب . الذى ولد فى « بيت لحم » من « عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسف واسم العذراء مريم » وقد أرسل الله إليها جبرائيل الملاك ليبشرها ، قائلا : « ها أنت ستحبلين وتلدين ابناً وتسمينه يسوع » (لو ١ : ٢٦ و ٣١ اقرأ ع ٢٦ — ٣٣ و ٢ : ٤ — ٧) .

أما « يسوع » فمعناه « مخلص » كما يتبين من ظهور ملاك الرب فى حلم « ليوسف رجل مريم التى ولد منها « يسوع » (مت ١ : ١٦) حيث قال له : « يا يوسف ابن داود ! لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك ، لأن الذى حبل به فيها هو من الروح القدس ؛ فستلد ابناً وتدعو اسمه « يسوع » لأنه يخلص شعبه من خطاياهم » (مت ١ : ٢٠ و ٢١) وفى ليلة الميلاد العجيب ظهر « ملاك الرب » لرعاة بمجد أضاء الليل وقشع ظلامه وقال لهم : « ولد لكم اليوم فى مدينة داود (بيت لحم) « مخلص » (لو ٢ : ١١ اقرأ ع ٨ — ١٤) .

هذا هو « يسوع » الذى ظهر ظهوراً تاريخياً عجيباً لسميه « يشوع » قائد شعب الرب وهو واقف عند أريحا فى « أرض الموعد » حيث رفع عينيه ونظر وإذا برجل واقف قبالته وسيفه مسلول بيده ، فسار إليه وقال له : « هل لنا أنت أو لأعدائنا » ؟ فقال « كلا بل أنا رئيس جند الرب ، الآن أتيت » فسقط يشوع — قائد الشعب على وجهه إلى الأرض وسجد أمام القائد الأعلى وقال : بماذا يكلم سيدى عبده » ؟ (اقرأ يش ٥ : ١٣ — ١٥ راجع شرح ص ٢ : ١٠) .

هذا هو «يسوع» الملقب «بالمسيح» — صيغة على وزن فعيل بمعنى المفعول — أى الممسوح وعبرياً «همشيح» وترجمته «المسيا» كما يظهر من قول فيلبس لنثنائيل : «قد وجدنا مسيا» الذى تفسيره المسيح» (يو ١ : ٤١) . وفى كلام المرأة السامرية مع «يسوع» حيث قالت له : «أنا أعلم أن «مسيا» الذى يقال له «المسيح» يأتى ، فمتى جاء ذاك يخبرنا بكل شىء» قال لها «يسوع» : «أنا الذى أكلمك هو» (يو ٤ : ٢٥) فتركت جرتها (عند البئر) ومضت إلى المدينة وقالت للناس : «هلموا انظروا إنساناً قال لى كل ما فعلت ، ألعل هذا هو المسيح» ! (يو ٤ : ٢٨ و ٢٩ اقرأ ع ٢٤ — ٣٠ و ٣٩ — ٤٢) .

هذا هو «المسيح» — «المسيح الرب» (لو ٢ : ١١) — «ربنا يسوع المسيح» (يع ٢ : ١) — هذا هو الذى قال فيه المرنم منشداً : «أما أنا فقد مسحت ملكى على صهيون جبل قدسى» (مز ٢ : ٦ اقرأ ع ١ — ٦) فهو «المسيح» الملك وهو أيضاً «المسيح» الكاهن ، وذلك بمقتضى النص النبوى القائل : «أقسم الرب ولن يندم أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكى صادق» (مز ١١٠ : ٤ راجع شرح ص ٥ : ٤ — ٦ مع ص ٦ : ٢٠ مع ص ٧ : ١ — ٣ و ١٥ — ١٧ و ٢٠ و ٢١ و ٨ : ٦ و ٩ : ١١ — ١٤) .

هذا هو «المسيح» الذى رآه الرائى زكريا فى رتبه الثلاث — رآه هكذا وهو يستمع إلى قول رب الجنود : «هوذا الرجل «الغصن» اسمه ومن مكانه ينبت ويبنى هيكل الرب — فهو يبنى هيكل الرب و«هو يحمل الجلال ويتسلط على كرسيه» (المسيح الملك) و«يكون كاهناً على كرسيه» (المسيح الكاهن) «وتكون مشورة السلام بينهما كليهما» (المسيح النبى بين الرتبتين الملكية والكهنوتية) (زك ٦ : ١٢ و ١٣ راجع شرح ص ٨ : ١) .

هذا هو «المسيح» العريس الذى تغنت به العروس منشدة : «لرائحة أدهانك الطيبة اسمك دهن «مهراق» (نش ١ : ٣) . وهل نقدر أن نميز رائحة تلك الأدهان الطيبة وعطر ذلك الدهن المهراق على رأس المسيح فى رتبه التى سبق الكلام عنها ؟

هل نميز رائحة ذلك الطيب الذى هو من أفخر الأطياب الذى أعده إله المجد « دهناً مقدساً » — « عطر عطارة للمسحة المقدسة » ؟ (اقرأ خر ٣٠ : ٢٢ — ٢٥) :

« دهن » — لا دهن « المسحة المقدسة » « المهراق » على رأس « المسيح » الملك الكاهن النبى ، فحسب — بل هو ، أيضاً « دهن الابتهاج » الذى تفيح رائحته فى ثياب المسيح العريس الطاهرة النقية فيعلو صوت النشيد : « اسمك دهن مهراق ؛ لذلك احبتك العذارى » (نش ١ : ٣) « كل ثيابك مر وعود وسليخة — من قصور العاج سرتك الأوتار — بنات ملوك بين حظياتك — جعلت الملكة عن يمينك بذهب أوفير » (مز ٤٥ : ٨ و ٩ اقرأ كل المزمور) .

هذا هو « يسوع المسيح » الثلاثى الرتب الذى به يكمل « إله السلام » مختاريه فى كل عمل صالح « ليصنعوا مشيئته عاملا فيهم ما يرضى أمامه » ، وذلك بمقتضى الوحى المقدس الصريح القائل : « مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذى باركنا بكل بركة روحية فى السماويات « فى المسيح » كما اختارنا « فيه » قبل تأسيس العالم ، لنكون قديسين وبلا لوم قدامه فى المحبة ؛ إذ سبق فعيننا للتبنى « بيسوع المسيح » لنفسه حسب مسرة مشيئته لمدح مجد نعمته التى أنعم بها علينا فى المحبوب » (أف ١ : ٣ — ٦) .

وها هو صوته ينادينا « تعالوا إلى يا جميع المتعبين والثقيلى الأحمال وأنا أريحكم » (مت ١١ : ٢٨ اقرأ ع ٢٥ — ٣٠) « وإله السلام الذى أقام ، من الأموات ، راعى الخراف العظيم ربنا يسوع بدم العهد الأبدى — ليكملكم فى كل عمل صالح لتصنعوا مشيئته عاملا فيكم ما يرضى أمامه بيسوع المسيح » : —

« الذى له المجـــد » :

كلمة « الذى » اسم موصول هو صيغة وصف لذلك الشخص المجيد السابق ذكره وهو « يسوع المسيح الذى له » ، فإن الضمير « ه » فى « له » يعود بنا إلى ذلك « المخلص المسيح » ويوقفنا أمام ما لشخصه المبارك ، وبذلك تكون الجملة كاملة « يسوع المسيح الذى له المجد » .

. «أما المجد» الذى «ليسوع المسيح» فهو ذلك «المجد» الذى تجلى به هو ذاته فوق جبل «فى أيام جسده» (راجع شرح ص ٥ : ٧) ورآه ثلاثة من تلاميذه هم «بطرس» (صفا — سمعان بن يونا) (انظر يو ١ : ٤٠ — ٤٢ و ٢١ : ١٥ — ١٧) و «يعقوب» و «يوحنا» (ابنا زبدى) (انظر مت ٤ : ٢١ و ٢٠ : ٢٠ مع يو ٢١ : ٢).

هذا هو «المجد» الذى صوره البشيرون بصور منوعة يمكن أن نجمعها جميعاً معاً فى صورة واحدة على النحو الآتى : «تغيرت هيئته قدامهم وأضاء وجهه كالشمس ، وصارت ثيابه بيضاء كالنور» — «تلمع بيضاء جداً كالثلج» — «لا يقدر قصار (مبيض الثياب — مل ٣ : ٢) على الأرض أن يبيض مثل ذلك» (مت ١٧ : ١ و ٢ مع مر ٩ : ٢ و ٣ مع لو ٩ : ٢٩).

وإذا أضفنا إلى هذا «المجد» الذاتى — مجد ربنا يسوع المسيح فوق جبل التجلى — إذا أضفنا إلى هذا «المجد» مجد السماء الذى ظهر به موسى وإيليا فوق ذلك الجبل (لو ٩ : ٣٠ و ٣١) أفلا نرى مجداً مضاعفاً — لمعاناً بهياً يفوق نور الشمس ولمعان الثياب الباهرة وبهاء الوجوه المضيئة؟ مجداً لا تستطيع الفنون الجميلة مهما ارتفعت وعلت أن تبرزه فى سموه وعظمته .

على أن هذا «المجد» فوق ذلك الجبل بكل ما فيه من بهاء وعظمة وسمو لم يكن سوى لمحة — لمحة ليس إلا — من بهاء ذلك «المجد الأسنى» الذى منه أقبل ذلك الصوت — صوت الآب السماوى ، قائلا : «هذا هو ابنى الحبيب الذى أنا سررت به» (٢ بط ١ : ١٧ مع مت ١٧ : ٥ مع مر ٩ : ٧ مع لو ٩ : ٣٥) — هذا هو «المجد» الذى طلبه يسوع من الآب السماوى فى صلاته ليلة صلبه ، قائلا : «أنا مجدتك على الأرض — العمل الذى أعطيتنى لأعمل قد أكملته ، والآن مجدنى أنت — أيها الآب — عند ذاتك «بالمجد» الذى كان لى عندك قبل كون العالم» (يو ١٧ : ٤ و ٥).

هذا هو «المجد» الذى تحدثت عنه «الكلمة النبوية» بانية إياه على شدة آلامه كما بينه : له المجد ، لتلميذى عمواس ؛ حيث بدأ «من موسى ومن جميع الأنبياء يفسر

لها الأمور المختصة به فى جميع تلك الكتب » التى تحقق أنه هكذا كان ينبغى أن يتألم بهذا ويدخل إلى مجده » (لو ٢٤ : ٢٧ اقرأ ع ٢٥ — ٢٧) .

أمجاد بعد آلام — أمجاد لا تقدر ولا تبارى ولا توزن بوزن ما ؛ إذ لا يستطيع عقل بشرى أن يتصورها — أمجاد مقرونة بأفراح لا تدرك ممثلة فى «آدم الأول » الذى استيقظ من نومه فوجد بجواره امرأة مأخوذة من جنب أمره وأصبحت جسداً له فقال : « هذه تدعى امرأة ؛ لأنها من امرء أخذت » (تك ٢ : ٢٣) .

وكيف لا يفرح « رب المجد » ! (١ كو ٢ : ٨ مع يع ٢ : ١) — «آدم الأخير » (١ كو ١٥ : ٤٥) بملء ضاف وبفيض غامر ، والعروس (الكنيسة) تجلس عن يمينه وقد بلغت زينة الأزيان موشحة بالروح القدس مؤتزرة بثياب البر البيضاء النقية مكللة بتاج جمال باهر وقد جملت جداً جداً وأصبحت صالحة لمملكة ، وخرج اسمها فى جميع الأمم لجمالها الذى كان كاملا ببهاء عريسها (اقرأ حز ١٦ : ٧ — ١٤ مع إش ٦٢ : ١ — ٥ مع أف ٥ : ٢٥ — ٢٧ مع رؤ ٧ : ٩ — ١٧ و ٢١ : ٢ اقرأ كل الأصحاح) .

« مجد » العروس الباهر يضفو على « مجد » العريس البهى الذى ضفا بمجده عليها — منظر ما أبدعه ! مجد ما أسماه ! يتجلى بصورته الوضاحة فى يوم الدينونة الرهيب حين يأتى « ليدين المسكونة بالعدل » (أع ١٧ : ٣٠ و ٣١) ، وذلك عند استعلانه من السماء « مع ملائكة قوته فى نار لهيب ، معطياً نقمة للذين لا يعرفون الله والذين لا يطيعون إنجيل ربنا يسوع المسيح الذين سيعاقبون بهلاك أبدى من وجه الرب ومن مجد قوته متى جاء ليتمجد فى قديسيه ويتعجب منه فى جميع المؤمنين » (اقرأ ٢ تس ١ : ٦ — ١٢ مع يو ٥ : ٢٨ — ٣٠ مع مت ٢٥ : ٣١ — ٤٦ مع ١ تس ٤ : ١٣ — ١٧ مع مز ٥٠ و ٦٩ : ٢٢ — ٢٨ مع رو ١١ : ٧ — ١٠ — مجد كائن يعلن فى درجته القصوى يوم الدينونة الرهيب — مجد ربنا يسوع المسيح « الذى له المجد » .

على أن التعبير « الذى له المجد » قد يعود بنا لا إلى « يسوع المسيح الذى له المجد » بل إلى « إله السلام » ، ولعل هذه العودة هى الأحرى وذلك على اعتبار أن إله السلام »

هو مركز الكلام الذى فيه تتركز كل خطوط الدائرة فى هذين العددين (٢٠ و ٢١) حيث نقرأهما على النحو الآتى « وإله السلام الذى أقام من الأموات راعى الخراف العظيم ربنا يسوع — إله السلام يكملكم . . لتصنعوا مشيئته ، عاملا فيكم ما يرضى أمامه بيسوع المسيح — « إله السلام » الذى له المجد » .

هذا هو « إله السلام » — « الله الآب » — الذى لأجل مجد اسمه أرسل ابنه فى صورة عبد وضيع فى ملء الطاعة لإتمام مشيئة أبيه حتى الموت فأقامه « إله السلام » من الأموات ورفعه فى المجد عن يمينه وأعطاه « سلطاناً ومجداً وملكوتاً لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة — سلطانه سلطان أبدى ما لن يزول وملكوته ما لا ينقرض » (اقرأ دا ٧ : ١٣ و ١٤ مع مز ١١٠ مع فى ٢ : ٥ — ١١) . هذا هو « إله السلام الذى له المجد » : —

« إلى أبد الآبدين » :

« سلطان « أبدى » ما لن يزول وملكوت ما لا ينقرض » (اقرأ دا ٧ : ١٣ و ١٤) — مجد ، لا « إلى الأبد » فحسب ؛ بل « إلى أبد الآبدين » (رؤ ١ : ٦ و ٢٢ : ٥) وحيث أن « الآبدين » هى صيغة الجمع « للأبد » فيكون معنى القول : « أبد الآبدين » يضم إلى طياته جميع الآباد وكل الدهور وهو كقوله : « كرسيك يا الله إلى دهر الدهور » (مز ٤٥ : ٦ راجع شرح ص ١ : ٢٨) و « إلى دهر الدهور » « سنوك » (مز ١٠٢ : ٢٤ راجع شرح ص ١ : ١٢) .

هكذا قيل ، أيضاً ، عن الآب السماوى ، « له المجد فى الكنيسة فى « المسيح يسوع » إلى جميع أجيال دهر الدهور » (أف ٣ : ٢١) — هكذا كما قيل : « أبد الآبدين » و « دهر الدهور » يقال أيضاً ، « دهر الداهرين » (فى ٤ : ٢٠) — تعبير يشير إلى آباد ودهور لا نهاية لها وإلى أبد تنطوى كل الآباد فيه وكذا إلى دهر يشمل كل الدهور :

تعبير كالقول : « ملك الملوك ورب الأرباب » (١ تى ٦ : ١٥) و « إله الآلهة » (مز ٥٠ : ١) و « نشيد الأنشاد » أو « نشيد الأناشيد » أو « أنشودة النشائد » (نش ١ : ١) .. فلا عجب ! أن يقول « رب المجد » ذاته ، عن نفسه ، لعبده يوحنا : « لا تخف ! أنا هو الأول والآخر والحى وكنت ميتاً وها أنا حى إلى أبد الآبدين » : —

« آمـين » :

هذه الكلمة «آمين» هى كلمة تختم بها الصلاة عادة ؛ كما وردت فى الصلاة التى علمها الرب يسوع لتلاميذه – مثالا – حيث قال فى ختامها ، «لأن لك الملك والقوة والمجد إلى الأبد «آمين» (مت ٦ : ١٣) . وفى هذا الوضع تكون فى صيغة اسم فعل معناه استجب أو فليكن كذلك أو فافعل هكذا ، وهذه هى صيغتها ومعناها فى ختام هذه البركة التى بها يبارك الرسول جماعة العبرانيين ، قائلا : «وإله السلام . . . ليكملكم فى كل عمل صالح لتصنعوا مشيئته عاملا فيكم ما يرضى أمامه «بيسوع المسيح» الذى له المجد إلى أبد الآبدين «آمين» .

على أن هذه الكلمة «آمين» قد وردت ، أيضاً ، متصلة «بأل» التعريف ؛ كما وردت فى قول الرسول ، بشأن «مواعيد الله» حيث قال : «لأن مهما كانت «مواعيد الله» فهو (الله) فيه النعم وفيه «الآمين» لمجد الله بواسطتنا» (٢ كو ١ : ٢٠) . وبهذا الوضع تكون (كلمة الآمين) وصفاً لرب الجلالة المأمون الثقة الموثوق بمواعيده والمؤتمن على إتمامها .

ومن هو هذا الشخص الفريد الذى وصف بهذا الوصف العجيب ؟ إلا ذاك «الآمين» «الشاهد الأمين الصادق ، بداءة خليقة الله» (رؤ ٣ : ١٤) «الذى هو صورة الله غير المنظور بكر كل خليقة ، فإنه فيه خلق الكل» (كو ١ : ١٥ اقرأ ع ١٢ – ١٧ مع رؤ ١ : ١٨ و ٢٢ : ٢٠) . بهذه الكلمة «آمين» ختم الرسول تلك البركة الرسولية ، قائلا : «وإله السلام . . . ليكملكم : : : بيسوع المسيح : : : آمين» .
الآن قد وصلنا إلى ختام البركة الرسولية – البند الأول من هذا الفصل الثانى وبمعونته نتقدم إلى : –

البند الثانى — تذييل (عب ١٣ : ٢٢ — ٢٥)

٢٢ وَأَطْلُبُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا ٱلْإِخْوَةُ أَنْ تَحْتَمِلُوا كَلِمَةَ ٱلْوَعْظِ
لِأَنِّي بِكَلِمَاتٍ قَلِيلَةٍ كَتَبْتُ إِلَيْكُمْ ٢٣ إِعْلَمُوا أَنَّهُ قَدْ أُطْلِقَ
ٱلْأَخُ تِيمُوثَاوُسُ ٱلَّذِى مَعَهُ سَوْفَ أَرَاكُمْ إِنْ أَتَى سَرِيعًا .
٢٤ سَلِّمُوا عَلَى جَمِيعِ مُرْشِدِيكُمْ وَجَمِيعِ ٱلْقِدِّيسِينَ . يُسَلِّمُ
عَلَيْكُمْ ٱلَّذِينَ مِنْ إِيطَالِيَا . ٢٥ اَلنِّعْمَةُ مَعَ جَمِيعِكُمْ . آمِينَ .

فى هذه الآيات الأربع نرى (١) طلب مقرون بعلة (ع ٢٢) — طلب مبين فى قوله : « أطلب إليكم أيها الإخوة أن تحتملوا كلمة الوعظ » — علة واضحة فى قوله : « لأنى بكلمات قليلة كتبت إليكم » — (٢) — خبر عن تيموثاوس وعلاقته ببولس (ع ٢٣) — خبر ظاهر فى قوله : « قد أطلق الأخ تيموثاوس » — علاقة مبينة فى قوله : « معه سوف أراكم إن أتى سريعاً » .

(٣) تحيات إلى وتحيات من (ع ٢٤) — تحيات إلى مرشدى وقديسى أولئك العبرانيين — تحيات من جميع « الذين هم من إيطاليا » — (٤) بركة ختامية (ع ٢٥) : « النعمة مع جميعكم — آمين » ، بمقتضى هذا التفصيل نتقدم بتوفيق الله إلى شرح هـذا التذييل : —

(ع ٢٢) « وأطلب إليكم أيها الإخوة » :

يتقدم الرسول هنا إلى هؤلاء العبرانيين بوصف كونهم « إخوة » قائلا : « أيها الإخوة » وذلك باعتبار أن جميع المؤمنين بالمسيح هم جميعاً إخوة قديسون وشركاء الدعوة السماوية » (راجع شرح ص ٣ : ١) ولهم معاً « ثقة بالدخول إلى الأقداس « بدم يسوع » — طريقاً كرسه لنا حديثاً حياً بالحجاب أى جسده » (راجع شرح ص ١٠ : ١٩) :

« إخوة » لا فى المسيح ، فحسب ؛ بل ، أيضاً « إخوة » للمسيح إذ سبق الله الآب « فعرفهم سبق فعينهم ليكونوا مشابهين صورة ابنه ليكون هو بكراً بين « إخوة » كثيرين » (رو ٨ : ٢٩) . ولا غرو من ذلك ! ولا عجب فيه ! ما دام هذا « الابن الوحيد » (يو ١ : ١٨) نفسه ، يدعو تلاميذه « إخوة » له كما يتبين من قوله لمريم المجدلية : « اذهبي إلى إخوتى » وقولى لهم : « إنى أصعد إلى أبى وأبيكم وإلهى وإلهكم » (يو ٢٠ : ١٧) .

وما ألذ وما أحلى أن نسمع صوته الحلو ينشد بأعلى نغمة موسيقية سماوية ! مخاطباً أباه ، قائلا : « أخبر باسمك « إخوتى » ، فى وسط الجماعة (الكنيسة) أسبحك » (مز ٢٢ : ٢٢ راجع شرح ص ٢ : ١١ و ١٢) . وما أبدع ذلك المنظر المجيد! أن نراه متقدماً إلى العرش مصحوباً بإخوته منشداً بلسان إشعياء النبى ، قائلا : « هأنذا والأولاد الذين أعطانيهم الرب آيات وعجائب فى إسرائيل من عند رب الجنود الساكن فى جبل صهيون » (إش ٨ : ١٨ اقرأ ع ١٦ — ١٨ راجع شرح ص ٢ : ١٣) :

ولا بدعة فى ذلك ولا اختراع ! فإن الإخوة هى موضوع أناشيد القديسين وأحلى ترانيم الوحى المقدس ، فإن فيها سر البركة والحياة الأبدية — ذلك السر الذى به يعلو صوت الموسيقى بهتاف الفرح بالكلمة النبوية : « هوذا ما أحسن ! وما أجمل ! أن يسكن « الإخوة » معاً ! مثل الدهن الطيب النازل على اللحية — لحية هرون — النازل إلى طرف ثيابه — مثل ندى حرمون النازل على « جبل صهيون » لأنه ، هناك أمر (حيث الأخوة . أمر الرب بالبركة — حياة إلى الأبد » (اقرأ مز ١٣٣) .

إلى هؤلاء « الإخوة » العبرانيين يتقدم الرسول مواصلا كلامه معهم ، قائلا : « وأطلب إليكم » عاطفاً الطلب بواو العطف مذيلا به تلك البركة الرسولية التى باركهم بها من « إله السلام . . . بيسوع المسيح الذى له المجد إلى أبد الآبدين آمين ، وأطلب إليكم أيها الإخوة » — طلب وارد لا بلهجة السلطان الرسولى ؛ بل بنغمة « المحبة الأخوية » — تلك « المحبة » التى سبق فأوصى بها فى رأس كل الوصايا المتضمنة فى هذا الأصحاح ؛ حيث قال : « لتثبت المحبة الأخوية » .

هكذا ، بروح المحبة ، قدم السيد المسيح ذات الطلب لتلاميذه « كاخوة » له حيث قال على مائدة العشاء : « وصية جديدة أنا أعطيكم أن تحبوا بعضكم بعضاً — كما أحببتكم أنا تحبون أنتم أيضاً بعضكم بعضاً — بهذا يعرف الجميع أنكم تلاميذى إن كان لكم حب بعضاً لبعض » (يو ١٣ : ٣٤ و ٣٥) . بروح هذه « المحبة الأخوية » يتقدم الرسول إلى إخوته العبرانيين — لا آمراً بسلطان — بل طالباً بروح الأخوّة ، قائلا : « وأطلب إليكم أيها الإخوة » : —

« أن تحتملوا كلمة الوعظ » :

قد سبق الكلام عن هذه الرسالة باعتبار أنها رسالة تعليمية وعظية ، ففيها كلمة التعليم الصحيح المبنى على « الكلمة النبوية » (٢ بط ١ : ١٩) أى على « الكتب » المقدسة (قابل ٢ تى ٣ : ١٥ مع يو ٥ : ٣٩) التى هى « ناموس موسى والأنبياء والمزامير » (لو ٢٤ : ٤٤) .

على أن كلمة التعليم هذه قد جاءت ، فى هذه الرسالة ، قرينة « بكلمة الوعظ » التى هى الحض المتواصل للقيام بما يتطلبه التعليم الصحيح من العمل به — ذلك العمل الذى أشار إليه السيد المسيح فى خطاب العرش الذى ألقاه فوق الجبل ؛ حيث قال لتلاميذه : « فليضئ نوركم هكذا قدام الناس ؛ لكى يروا أعمالكم الحسنة ويمجدوا أباكم الذى فى السموات » (مت ٥ : ١٦) .

ومما سبق فقيل ، أيضاً ، بشأن « كلمة الوعظ » فى هذه الرسالة ما أشار إليه الرسول من التحذير المشدد حيث قال : « لذلك يجب أن نتنبه أكثر إلى ما سمعنا لئلا نفوته » (راجع شرح ص ٢ : ١ — ٤) . وما أشد تحذيره وهو يقول : « فلنخف أنه مع بقاء وعد بالدخول إلى راحته ، يرى أحد منكم أنه قد خاب منه » (راجع شرح ص ٤ : ١ — ١٣) .

ولا غرو أن يبنى هذا التحذير المشدد على أساس ما جاء فى الكتب المقدسة عن « إله النعمة » حيث يقول : « فكم عقاباً أشر تظنون أنه يحسب مستحقاً من داس ابن الله وحسب دم العهد الذى قدس به دنساً وازدرى بروح النعمة ؟ فإننا نعرف الذى قال : « لى الانتقام أنا أجازى يقول الرب وأيضاً الرب يدين شعبه » . مخيف هو الوقوع فى يدى الله الحى » (تث ٣٢ : ٣٥ و٣٦ مع رو ١٢ : ١٩ مع مز ٥٠ : ٤ راجع شرح ص ١٠ : ٢٨ — ٣١) .

وما أجمل أن يشير الرسول إلى « الوعظ » الذى جاءت به الكتب المقدسة بلسان الحكمة السماوية ، وذلك فى سياق حديثه عن التأديبات الإلهية حيث قال : « لم تقاوموا بعد حتى الدم مجاهدين ضد الخطية وقد نسيتم الوعظ الذى يخاطبكم كبنين يا ابنى لا تحتقر تأديب الرب ولا تخر إذا وبخك ؛ لأن الذى يحبه الرب يؤدبه ويجلد كل ابن يقبله » (راجع شرح ص ١٢ : ٤ مع قراءة أم ٣ : ١١ و ١٢) .

هنا يتجلى أمامنا سر أن يطلب الرسول من « الإخوة » أن «يحتملوا كلمة الوعظ» — ذلك السر الذى سبق فبينه فى ما علق به على هذه الكلمة النبوية (أم ٣ : ١١ و ١٢) حيث قال : « إن كنتم تحتملون التأديب يعاملكم الله كالبنين ، فأى ابن لا يؤدبه أبوه ؟ ولكن إن كنتم بلا تأديب — قد صار الجميع شركاء فيه — فأنتم نغول لا بنون » (ص ١٢ : ٧ و ٨ راجع شرح ع ٧ — ١١) .

فالاحتمال بهذا الشأن ، إنما هو فضيلة من أجمل الفضائل ! بل ، بالحرى نعمة من أسمى النعم الإلهية التى ترتفع بنا الى شركة ابن محبة الآب (كو ١ : ١٢ و ١٣) — ذلك « الابن الوحيد » — « رئيس الإيمان ومكمله يسوع » — « الذى من أجل السرور الموضوع أمامه « احتمل » الصليب مستهيناً بالخزى فجلس فى يمين عرش الله » معقباً على ذلك « بكلمة وعظ » قائلا : « فتفكروا فى الذى « احتمل » من الخطاة مقاومة لنفسه مثل هذه ؛ لئلا تكلوا وتخوروا فى نفوسكم » (راجع شرح ص ١٢ : ٢ و٣ اقرأ ع ٢ فى ٤ : ٢ و ٣) . لذلك يطلب الرسول من أولئك الإخوة » قائلا : «أن تحتملوا كلمة الوعظ » : —

« لأنى بكلمات قليلة كتبت إليكم » :

فى الكلمة « لأنى » يعلل الرسول طلبه لجماعة العبرانيين « أن يحتملوا كلمة الوعظ موضحاً ذلك التعليل ، قائلا : « لأنى — بكلمات قليلة كتبت إليكم » ، أو ليس غريباً ! أن يعتبر الرسول ما كتبه إلى العبرانيين — فى هذه الرسالة — «كلمات قليلة » ؟ مع كونها فى الواقع أكثر «كلمات » مما كتبه فى كل من رسائله — الثانية إلى أهل كورنثوس وإلى أهل غلاطية وإلى أهل أفسس وإلى أهل فيلبى وإلى أهل كولوسى والأولى والثانية إلى أهل تسالونيكى والأولى والثانية إلى تيموثاوس وكذا إلى تيطس وإلى فليمون .

فالرسالة إلى العبرانيين ، فى هذه النسبة ، لم تكن مكتوبة « بكلمات قليلة » ، هذا إذا غضضنا الطرف عن الرسالة إلى أهل رومية والرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس، اللتين لم تزيدا عنها إلا زيادة زهيدة جداً لا تعتبر .

إذاً لم تكن هذه الرسالة مكتوبة « بكلمات قليلة » بالنظر إلى عدد كلماتها أو جملة آياتها أو كثرة فصولها وصفحاتها . فلابد أنها كانت « بكلمات قليلة » بالنسبة إلى أهمية موضوعها ، سواء أكان هذا الموضوع هو الذى لأجله كتبت أو الموضوع الذى عنه بحثت . أما بالنسبة إلى الموضوع الذى لأجله كتبت — وهو موضوع خطير — فقد سبق أن بيناه وهو « خطر الارتداد للهلاك » الذى كان أولئك العبرانيون معرضين للسقوط فى هوته العميقة ، بسبب شدة الاضطهاد الذى كان واقعاً عليهم .

الأمر الذى ارتجف له قلب الرسول وارتعدت فرائصه واضطربت جوانحه خوفاً عليهم من هذا الهلاك المروع المفزع فكتب ، « بكلمات وعظ » (قابل ص ١٢ : ٥ مع ٣ : ١٢) عنوانها « أما البار فبالإيمان يحيا وإن ارتد لا تسر به نفسى ، وأما نحن فلسنا من الارتداد للهلاك ؛ بل من الإيمان لاقتناء النفس » (ص ١٠ : ٣٨ و ٣٩ قابل ص ٢ : ١ و ٣ : ٧ و١٣ و ٤٠ : ١ و ١١ و ١٤ و ١٦ و١٠ : ٢٢ — ٢٥ راجع الشرح) حيث رأى الرسول أن كل ما كتبه من « كلمات وعظ » لا يحسب إلا شيئاً زهيداً لا يعتد به بالنسبة إلى هذا الموضوع الخطير الجلل — موضوع الارتداد للهلاك الذى حفز الرسول إلى كتابة هذه الرسالة .

ما الموضوع الذى هو موضوع بحث هذه الرسالة فهو موضوع الكتب المقدسة التى نصابها السيد المسيح تفصيلاً إجمالياً قبل صعوده حيث قال : «لابد أن يتم جميع ما هو مكتوب عنى فى «التوراة والنبئيم والكتوبيم — ناموس موسى والأنبياء والمزامير» (لو ٢٤ : ٤٤) . هذه هى «الكتب» التى اتخذها هذا الرسول أساساً لتعليمه ووعظه — تلك «الكتب» التى أساسها «يسوع المسيح نفسه حجر الزاوية» (أف ٢ : ٢٠ قابل مز ١١٨ : ٢٢ مع مت ٢١ : ٤٢ مع مر ١٢ : ١٠ مع أع ٤ : ١١ مع إش ٢٨ : ١٦ مع رو ٩ : ٣٣ مع ١ بط ٢ : ٦ و ٧) .

موضوع تتجلى فيه الرتب الثلاث — الملكية والنبوية والكهنوتية — فى شخص فريد عجيب رآه الرائى زكريا وعبر عنه بالقول : «هوذا الرجل «الغصن اسمه» ومن مكانه ينبت ويبنى هيكل الرب ، فهو يبنى «هيكل الرب» وهو يحمل «الجلال» (الملكى) ويجلس ويتسلط على كرسيه ويكون «كاهناً» على كرسيه (المقام الكهنوتى) وتكون «مشورة السلام» (الرتبة النبوية) بينهما كليهما» (أى بين الرتبة الملكية والرتبة الكهنوتية) (زك ٦ : ١٢ و ١٣) .

هذا هو «ابن الله» الذى فيه «كلمنا الله فى هذه الأيام الأخيرة» — الذى «جعله وارثاً لكل شيء . . صائراً أعظم من الملائكة» (فى الجلال الملكى) (ص ١ و ٢) وقد «حسب أهلا لمجد أكثر من موسى» (فى رتبته النبوية) (ص ٣ و ٤) . و«قد حصل على خدمة أفضل بمقدار ما هو وسيط أيضاً لعهد أعظم قد تثبت على مواعيد أفضل» (من مقامه الكهنوتى) — لا على رتبة «هرون» بل على رتبة «ملكى صادق» رئيس كهنة إلى الأبد» (ص ٥ — ١٠) .

ألم يكن هذا الموضوع الواسع الأطراف مستلزماً الاسترسال فى البحث والتنقيب وكتابة مجلدات ضخمة ؟ أو لا يعتبر ما كتبه الرسول هنا بشأن هذا الموضوع «كلمات قليلة» ؟ يصدق عليه قول البشير يوحنا : «وأشياء أخر كثيرة صنعها يسوع إن كتبت واحدة واحدة فلست أظن أن العالم نفسه يسع الكتب المكتوبة» (يو ٢١ : ٢٥) .

وهل تكفى الأبدية التى لا تحد للاستمتاع بالحديث عن ذلك الشخص العجيب وعن سر الفداء الذى لا يدرك والمحبة الفائضة من قلب الآب ؟ تلك المحبة التى ظهرت فى بذل ابنه الوحيد ؟ حقاً إن كل ما قاله الرسول فى هذه الرسالة ليس إلا قبساً ضئيلا وضئيلا جداً جداً من نور الأبدية الكشاف الذى يسطع بضيائه على هذا الموضوع الفائق الوصف المعبر عنه هنا « بكلمات قليلة » .

هى تلك « الكلمات » القليلة التى كتبها الرسول هنا « إلى العبرانيين » كما سبق أن بينا فى ديباجة هذه الرسالة (اقرأ الديباجة فى باب — العبرانيين الذين كتبت إليهم) ؛ وهو عنوان لازمها منذ ذكرها تاريخياً بين رسائل بولس . أما أولئك العبرانيون فقد بينا هويتهم (من هم) فى أثناء البحث عنهم فى الديباجة المشار إليها ، وذلك فى نور ما جاء عنهم فى قول لوقا « وفى تلك الأيام إذ تكاثر التلاميذ حدث تذمر من اليونانيين على العبرانيين » (أع ٦ : ١ راجع ما قيل بهذا الشأن فى الديباجة) . هؤلاء هم العبرانيون المتنصرون الذين يقول الرسول لهم : « بكلمات قليلة كتبت إليكم » : —

(ع ٢٣) « اعلموا أنه قد أطلق الأخ تيموثاوس » :

الكلمة « اعلموا » تنبىء بأن هنالك خبراً هاماً يرى الرسول وجوب إخبار العبرانيين به ليعلموه — هو الخبر الذى يتحدث الرسول إليهم بشأنه ، قائلا : « اعلموا أنه قد أطلق الأخ تيموثاوس » .

أما « الأخ تيموثاوس » فهو ، فى اسمه ، يونانى ، ولا عجب ! فقد كان أبوه يونانياً (أع ١٦ : ١) . وهو اسم مركب من مقطعين يونانيين — المقطع الأول « تيمو » وفيه مغزى الكرامة — أما المقطع الثانى « ثيوس » فهو اسم الجلالة العظيم ، فالاسم « تيموثاوس » فى مقطعيه يسمو بنا إلى العرش الرفيع الأعلى عرش الإله العظيم حيث إله المجد والكرامة « يكرم الذين يكرمونه » (قابل ١ صم ٢ : ٣٠ مع يو ١٢ : ٢٦ مع ملا ١ : ٦ مع رؤ ٥ : ١٣ و ٧ : ١١ و ١٢ مع أم ٨ : ١٧ و ١٨) . هــذا هو « تيموثاوس » .

أما « الأخ تيموثاوس » فهو شخص قد ورد ذكره بهذا اللقب فى بعض رسائل ذات الرسول حيث يقول فى رسالته إلى الكورنثيين : « بولس رسول يسوع المسيح بمشيئة الله و« تيموثاوس الأخ » إلى كنيسة الله التى فى كورنثوس » (٢ كو ١ : ١) — هكذا يقول فى رسالته إلى الكولوسيين « بولس رسول يسوع المسيح بمشيئة الله و « تيموثاوس الأخ » إلى القديسين فى كولوسى والإخوة المؤمنين فى المسيح » (كو ١ : ١ و ٢) . وأيضاً فى رسالته الخاصة إلى فليمون يقول : « بولس أسير يسوع المسيح و « تيموثاوس الأخ » إلى فليمون المحبوب والعامل معنا » (فل ١) .

وفى هذه الرسائل الثلاث نرى دليلا ملموساً — دليلا نبين منه ، فى ذات الوقت ، أن كاتب الرسائل الثلاث ، إلى الكورنثيين والكولوسيين وفليمون ، هو هو ذاته كاتب الرسالة « إلى العبرانيين » حيث أنه يكتب إليهم قائلا : « اعلموا أنه قد أطلق الأخ تيموثاوس » (راجع ما جاء فى الديباجة بشأن هذا الموضوع فى باب كاتب الرسالة) .

على أن « الأخ تيموثاوس » هو ذات « الابن تيموثاوس » الذى تبناه ذلك الرسول لنفسه وكتب إليه رسالتين معنونتين باسمه حيث لقبه فى أولاهما « الابن الصريح » قائلا : « بولس رسول يسوع المسيح — بحسب أمر الله مخلصنا وربنا يسوع المسيح رجائنا — إلى تيموثاوس « الابن الصريح » فى الإيمان » (١ تى ١ : ١ و ٢) ، وفى ثانيتهما يدعوه « الابن الحبيب » قائلا : « بولس رسول يسوع المسيح بمشيئة الله لأجل وعد الحياة التى فى يسوع المسيح إلى تيموثاوس « الابن الحبيب » (٢ تى ١ : ١ و ٢) .

هذا « الأخ تيموثاوس » — « الابن الصريح » — « الابن الحبيب » — له تاريخه المجيد فى خدمة الرب يسوع مع بولس رسول الأمم — الذى يكتب الآن عنه إلى العبرانيين — هذا هو « تيموثاوس » الذى وجده بولس فى رحلته التبشيرية الثانية حين « وصل إلى دربة ولسترة فوجد هنالك « تلميذاً » مدرباً فى تعلم الكتب المقدسة على يدى أمه أفنيكى وجدته لوئيس اليهوديتين المتنصرتين المؤمنتين — متربياً « منذ الطفولية » فى الكتب المقدسة يصدق عليه قول الرسول بولس : و« أنك منذ الطفولية تعرف

الكتب المقدسة القادرة أن تحكمك للخلاص بالإيمان الذى فى المسيح يسوع » (٢ تى ٣ : ١٥ اقرأ ع ١٤ — ١٧ مع أع ١٦ : ١ مع ٢ تى ١ : ٥).

هذا هو « الأخ تيموثاوس » الذى «كان مشهوداً له من الإخوة الذين فى لسترة وإيقونية ، فأراد بولس أن يخرج هذا (تيموثاوس) معه ؛ فأخذه وختنه من أجل اليهود الذين كانوا فى تلك الأماكن ؛ لأن الجميع كانوا لا يعرفون أباه أنه يونانى » (أع ١٦ : ٢ و ٣ اقرأ ع ١ — ٣) .

هذا هو « تيموثاوس » الذى تبناه بولس فى خدمة الإنجيل معه إذ وضع يديه عليه. كما يظهر من قوله له : « إذ أتذكر الإيمان العديم الرياء الذى فيك — « الإيمان » الذى سكن أولا فى جدتك لوئيس وأمك أفنيكى ولكنى موقن أنه فيك أيضاً ، فلهذا السبب أذكرك أن تضرم أيضاً « موهبة الله » التى فيك بوضع يدى » (٢ تى ١ : ٥ و ٦ . قابل ١ تى ٤ : ١٤) . وهكذا صار تيموثاوس شريكا فى خدمة الإنجيل كجندى صالح مع بولس وسيلا — ملازماً له إلى يوم انحلاله (انظر أع ١٧ : ١٤ و ١٥ اقرأ ٢ تى ٢ : ١ — ٨ مع فى ٢ : ١٩ — ٢٢ مع ١ تس ٣ : ٢ مع ٢ تى ٤ : ٦ و ٢١ اقرأ كل الأصحاح مع ١ تى ٦ : ١٦) . هذه كانت حياة تيموثاوس كرامة لله .

هذا هو « الأخ تيموثاوس » الذى يكتب الرسول عنه إلى العبرانيين ، قائلا : « اعلموا أنه قد أطلق الأخ تيموثاوس » — إطلاق تضاربت بشأنه الآراء حيث رأى البعض أنه إطلاق من حبس فى سجن مسوّر محجوز كان فيه تيموثاوس مقيداً بقيود وسلاسل مادية حتى أطلق منه .

إلا أن عدم وجود إشارة إلى سجن كهذا فى الرسالتين اللتين كتبهما بولس إلى هذا الأخ تيموثاوس — عدم وجود إشارة كهذه حدا ببعض الباحثين المدققين إلى أن يصرفوا الفكر عن أى حبس فى سجن مادى مؤولين الإطلاق تأويلا معنوياً يرون فيه تلك العلاقات الروحية القوية التى كانت تربط هذا الرسول « بالأخ تيموثاوس » فى ظروف سجنه الحرجة واحتياجه بشدة إلى خدمته .

تلك الخدمة التى كان يقوم بها « الأخ تيموثاوس ». — لا لبولس شخصياً فحسب بل ، بالأحرى ، باعتبار كونه رسولاً فى سجن يؤدى خدمته الرسولية عن طريق الرسائل للتعرف على ظروف الكنائس التى أسسها وللقيام بواجب تشجيعها وتثبيتها فى الحق الإنجيلى .

كان « تيموثاوس الأخ » هو العامل الأكبر فى هذه الخدمة كما يتضح مما كتبه الرسول بولس عنه للفيلبيين حيث قال : « على أنى أرجو فى الرب يسوع أن أرسل إليكم سريعاً « تيموثاوس » لكى تطيب نفسى إذا عرفت أحوالكم ؛ لأن ليس لى أحد آخر نظير نفسى يهتم بأحوالكم بإخلاص إذ الجميع يطلبون ما هو لأنفسهم لا ما هو ليسوع المسيح ، وأما اختباره فأنتم تعرفون أنه كولد مع أب خدم معى لأجل الإنجيل . هذا أرجو أن أرسله أول ما أرى أحوالى حالا وأثق بالرب أنى أنا أيضاً سآتى إليكم سريعاً » (فى ٢ : ١٩ — ٢٤) . هذا هو الذى يكتب عنه إلى العبرانيين ، قائلا : « اعلموا أنه قد أطلق الأخ تيموثاوس » : —

« الذى معه سوف أراكم » :

فى هذه الجملة يتبين لنا ثلاثة أطراف — الأول طرف المتكلم الذى يقول (أرى) — الطرف الثانى جماعة المخاطبين « كم » فى القول « أراكم » — الطرف الثالث صديق الطرفين « الأخ تيموثاوس » المشار إليه فى ضمير الغائب « ه » فى « معه » .

على أن الرسول يبدأ بالطرف الثالث الذى هو صديق الطرفين — « الأخ تيموثاوس » « الذى معه » مشيراً إليه فى اسم الموصول « الذى » وبضمير الغائب « ه » فى « معه » أى بصحبته ؛ حيث يلتقى الاثنان معاً أحدهما بالآخر ويصحبان بعضهما بعضاً لزيارة جماعة العبرانيين فى وقت يعلن عنه فى قوله لهم : « سوف أراكم » .

أما الكلمة « سوف » فهى حرف استقبال كالحرف (س) ولكنه أبعد زماناً منه بالنسبة إلى المستقبل كما أنه ، فى ذاته ، تعبير خال من تحديد وقت معين فإذ يقول للعبرانيين : « سوف أراكم » يردد صدى ما سبق أن قاله لهم فى مناسبة أخرى بنص آخر ،

قائلا : « هذا سنفعله إن أذن الله » (راجع شرح ص ٦ : ٣) . وفى كلا النصين يتحذر الرسول من التدخل فى الأزمنة والأوقات التى « جعلها الآب فى سلطانه » ورتب كل حوادثها تحت رعايته وعنايته (أع ١ : ٧) .

تصرف يليق بكل من ينتظر مشورة الله التى سبق فعينها فى قصده الأزلى لإعلانها فى الوقت المعين عنده — تصرف يليق بكل من يكرم مشورة الله ويحترم مشيئته وينتظر إرشاده بروحه القدوس عن طريق ما يتبينه فى الكتب المقدسة من إعلانات تتعلق بالمقاصد العليا وبخاصة بشأن الأمور المستقبلة التى يعبر عنها بالقول : « سوف أراكم » .

وياله من ابتهاج عظيم وفرح فائض ! أن تجتمع هذه الأطراف الثلاثة معاً ؛ فيلتقى الرسول بتيموثاوس ابنه الحبيب الصريح الذى هو شريك له فى الخدمة ويتلاقى الاثنان معاً بأولئك العبرانيين الذين كان يكتب إليهم الرسول رسالته . وما أبهجه لقلب العبرانيين أنفسهم أن يجدوا فيما بين ظهرانيهم هذين الخادمين المحبوبين اللذين كانوا يشتاقون إلى رؤيتهما وتجاذب الحديث الإنجيلى الممتع معهما فى حضرة الرب يسوع بقوة محبته ونعمته .

وهل نسمعهم جميعاً وهم ينشدون معاً فى قلوبهم أغنية المحبة الأخوية الصادقة : « هوذا ما أحسن وما أجمل أن يسكن الإخوة معاً . مثل الدهن الطيب على الرأس النازل على اللحية — لحية هرون — النازل إلى طرف ثيابه — مثل ندى حرمون النازل على جبل صهيون ؛ لأنه هناك أمر الرب بالبركة — حياة إلى الأبد » (مز ١٣٣) ، فلا عجب أن يكتب إليهم بقلب مشتعل بنار المحبة ، قائلا : « الذى معه سوف أراكم » : —

« إن أتى سريعاً » :

الكلام هنا يعود بالقارئ إلى « الأخ تيموثاوس » الذى يقول عنه « أنه قد أطلق » وأنه سيراهم معه « إن أتى سريعاً » . على أن الرسول لم يذكر عن هذا الإتيان أى تفصيل ما — لا إلى أين ؟ ولا من أين ؟

أما إلى أين ؟ فالأمر بين إذا اعتبرنا أن الرسول بولس كان ، فى ذلك الوقت ، سجيناً فى رومية (اقرأ أع ٢٨ : ١٦ — ٣١) . وأنه كان ينتظر إتيان « الأخ تيموثاوس » إليه « سريعاً » فى ذات الوقت الذى فيه كان ، أيضاً ، ينتظر الرب لإطلاقه من سجنه ؛ فتتاح الفرصة المجيدة لكليهما للذهاب إلى أولئك العبرانيين والتمتع بالوجود معهم .

أما من أين يأتى الأخ تيموثاوس ؟ فالمظنون — عند الذين يرون فى إطلاق الأخ تيموثاوس لا إطلاقاً مادياً حرفياً بل إطلاقاً روحياً معنوياً — فالمظنون عندهم أنه كان ، حينئذ ، مبعوثاً من قبل بولس فى مأمورية مقدسة — مأمورية كان مرتبطاً بها ارتباطاً قوياً كما لو أنه كان فى سلاسل السجون مقيداً بقيود حديدية رهيناً بإتمامها وإذ أتمها انفرجت الأزمة وانحلت القيود وسقطت أسوار السجن المعنوى وأخرج طليقاً . بهذا المعنى يكتب الرسول إلى العبرانيين ، قائلا « اعلموا أنه قد أطلق الأخ تيموثاوس الذى معه سوف أراكم إن أتى سريعاً » : —

(ع ٢٤) « سلموا على جميع مرشديكم وجميع القديسين » :

تحية اعتاد الرسول بولس أن يختم رسائله بها (اقرأ فى ٤ : ٣ — ١٦ و ٢١ — ٢٣ مع ١ كو ١٦ : ١٩ — ٢٤ مع ٢ كو ١٣ : ١٢ و ١٣ مع أف ٦ : ٢٣ مع كو ٤ : ١٠ — ١٧) — تحية يبعث بها الرسول إلى العبرانيين كما لو أنه يقول لهم قولوا لجميع مرشديكم و جميع القديسين سلام عليكم .

تعبير جاء بنصه فى ختام رسالته إلى الغلاطيين وهو يتحدث عن « الخليقة الجديدة » فى المسيح حيث يقول : « فكل الذين يسلكون بحسب هذا القانون « عليهم سلام ورحمة » وعلى إسرائيل الله » (غل ٦ : ١٦ راجع شرح ع ١٥ و ١٦ للمؤلف) . على أن الرسول هنا يوجه هذه التحية إلى فئتين من الناس — إحداهما فئة المرشدين — « سلموا على جميع مرشديكم » وثانيتهما فئة « القديسين » — « سلموا على جميع القديسين» .

أما مرشدوهم فقد سبق ذكرهم فى هذا الأصحاح مرتين ، أما المرة الأولى فقال فيها : « اذكروا مرشديكم الذين كلموكم بكلمة الله ، انظروا إلى نهاية سيرتهم فتمثلوا بإيمانهم » (راجع شرح ع ٧) حيث تبينا أنهم كانوا مرشدين زائرين انتهت علاقتهم بالعبرانيين وختم على سيرتهم بينهم ليتمثلوا بها ولو لم يعودوا يرون أشخاصهم .

أما المرة الثانية فهى التى قيل فيها : « أطيعوا مرشديكم واخضعوا ؛ لأنهم يسهرون لأجل نفوسكم » (راجع شرح ع ١٧) . فإلى هؤلاء « المرشدين » (لا إلى أولئك ع ٧) يرسل الرسول تحيته ، قائلا : « قولوا لمرشديكم سلام عليكم » ؛ وذلك على أساس أنهم لا يزالون باقين بينهم « مرشدين » ومدبرين .

أما « القديسون » المقصودون فى هذه التحية فهم تلك الجماعة من العبرانيين المتنصرين باسم « يسوع الناصرى » — المعتمدين لا « لموسى » ولا للناموس كما كان آباؤهم (اقرأ ١ كو ١٠ : ١ — ١٢ راجع شرح ص ١٢ : ١٨ — ٢١ مع شرح غل ٤ : ٢١ — ٥ : ١ للمؤلف) ، وذلك على أساس أن أولئك القديسين كانوا لا يزالون هم ، أيضاً ، باقين على قيد الحياة حين أرسل الرسول تحية السلام إليهم :

هذه حقيقة يثبتها هذا الرسول إثباتاً مبرماً لا ينقض فى كل رسائله ؛ حيث يقول ، مثلا : « إلى جميع الموجودين فى رومية — أحباء الله — مدعوين قديسين ، نعمة لكم وسلام من الله أبينا والرب يسوع المسيح » (رو ١ : ٧ قابل ١ كو ١ : ٢ مع ٢ كو ١ : ١ مع أف ١ : ١ مع فى ١ : ١ مع كو ١ : ٢ مع ١ تس ٥ : ٢٧ مع فل ٥) .

هؤلاء هم القديسون الذين أعطاهم الآب لابنه إذ اختارهم فيه « ليكونوا قديسين وبلا لوم قدامه فى المحبة » (أف ١ : ٤) ولأجلهم يرفع « ابن الله » صلاته إلى السماء ، قائلا : « أيها الآب القدوس ! احفظهم فى اسمك — « الذين أعطيتنى » — قدسهم فى حقك ، كلامك هو حق » (قابل أف ١ : ٣ — ٦ مع يو ١٧ : ١١ — ١٩) .

هؤلاء هم القديسون الذين يكتب إليهم الرسول بطرس ، قائلا : « كأولاد الطاعة لا تشاكلوا شهواتكم السابقة ، فى جهالتكم ؛ بل نظير « القدوس » الذى دعاكم ، كونوا أنتم ، أيضاً « قديسين » فى كل سيرة ؛ لأنه مكتوب : « كونوا قديسين لأنى

أنا قدوس » (قابل ١ بط ١ : ١٤ — ١٦ مع لا ١١ : ٤٤ و ١٩ : ٢ و ٢٠ : ٧ . اقرأ أيضاً ١ كو ٦ : ١٨ — ٢٠ مع ١ تس ٤ : ١ — ٨) . هؤلاء هم الذين يرسل إليهم الرسول تحياته ، قائلا : « سلموا على جميع مرشديكم وجميع القديسين » : —

« يسلم عليكم الذين من إيطاليا » :

لقد انتهينا الآن من الكلام عن التحية إلى — « جميع المرشدين وجميع القديسين » (راجع الشرح) وها نحن نبدأ الكلام عن التحية « من » — « الذين من إيطاليا » حيث يقول : « يسلم عليكم الذين من إيطاليا » ، وهى تحية تعطى بياناً واضحاً على أن الرسول بولس أرسل رسالته هذه إلى العبرانيين ، فى أثناء وجوده فى « إيطاليا » . فما هى « إيطاليا » ؟ ومن هم الذين من إيطاليا الذين يرسلون تحيتهم إلى أولئك العبرانيين ؟

أما « إيطاليا » فهى إقليم مشهور فى قارة أوربا وقد ذكرت فى تاريخ أعمال الرسل بوصف كونها شبه الجزيرة الممتدة بين جبال الألب شمالا وسيسليا جنوباً ، أما قصبتها (عاصمتها) فهى رومية القائمة على نهر التيبر التى إلى أهلها — من كورنثوس — كتب بولس الرسول رسالته قبل أن يراها وبالتالى قبل أن يصل إلى إيطاليا ، وذلك بدليل قوله لهم فى تلك الرسالة : « وأما الآن فإذ ليس لى مكان بعد فى هذه الأقاليم ولى اشتياق إلى المجىء إليكم منذ سنين كثيرة فعندما أذهب إلى أسبانيا آتى إليكم » (رو ١٥ : ٢٣ و ٢٤) .

إلى « إيطاليا » وصل بولس أسيراً مشكواً عليه من اليهود ، فإنه إذ طلب منه أن يحاكم فى أورشليم رفض وذلك بوصف كونه رعوية رومانية وقال « إلى قيصر أنا رافع دعواى » (أع ٢٥ : ١١ اقرأ ع ٩ — ١٢ مع أع ١٦ : ٣٥ — ٤٠ و ٢٢ : ٢٥ — ٢٩ و ٢٥ : ١٣ — ٢٧ و ٢٦ : ٢٤ — ٣٢) .

هكذا وصل بولس إلى « إيطاليا » — إلى بوطيولى وهناك وجد إخوة فى المسيح ومكث عندهم سبعة أيام بناء على طلبهم ثم أخذ إلى رومية حيث استقبله إخوة آخرون ففرح بهم وهناك ، فى رومية ، أذن له أن يقيم وحده ، فأقام فى بيت استأجره لنفسه

لمدة سنتين كان فيهما محروساً بعسكري — تحت المحاكمة — إلا أنه كان مأذوناً له أن ويقبل جميع الذين يدخلون إليه — كارزاً بملكوت الله ومعلماً بأمر الرب يسوع المسيح بكل مجاهرة بلا مانع » (اقرأ أع ٢٨ : ١٣ — ١٦ و ٣٠ و ٣١) .

فى ذلك البيت — بيت سجنه الأول لمدة سنتين — كما يرجح فى رومية — كتب بولس ، كما يظهر ، رسائله إلى أفسس (اقرأ أف ١ : ١٣ و ٣ : ١ و ٤ و ٤ : ٦ و ٦ : ٢٠) وإلى فيلبي (اقرأ فى ١ : ٢٢ — ٢٦ و ٢ : ١٩ — ٢٤) وإلى كولوسى (اقرأ كو ٤ : ٣ و ١٠ و ١٨) وإلى فليمون (اقرأ الرسالة إلى فليمون) . وهكذا إلى العبرانيين كما سبق أن رأينا فى شرح قوله لهم : « اعلموا أنه قد أطلق الأخ تيموثاوس الذي معه سوف أراكم إن أتى سريعاً . . . يسلم عليكم الذين من إيطاليا : » —

(ع ٢٥) « النعمة مع جميعكم » :

تعوّد الرسول أن يختم رسائله بصيغة ما لبركة رسولية يرجوها للذين يكتب إليهم — وقد وردت هذه البركة فى صيغ منوعة ، منها ما هو مطول كقوله : « نعمة ربنا يسوع المسيح ومحبة الله وشركة الروح القدس مع جميعكم » (٢ كو ١٣ : ١٤) — بركة مثلثة الأركان باسم الثالوث الأقدس — الله « الابن والله « الآب » والله « الروح القدس » — ومنها ما هو مختصر جداً كقوله : « النعمة معكم » (قابل كو ٤ : ١٨ مع ١ تى ٦ : ٢١ مع ٢ تى ٤ : ٢٢) . وها هو هنا يقول : « النعمة مع جميعكم » كما سبق أن قال فى بعض الرسائل الأخرى (اقرأ أف ٦ : ٢٤ مع تى ٣ : ١٥) .

أما الأمر الذى يجدر بنا أن نلاحظه ، فى هذا الشأن ، فهو أن « النعمة » هى التى تتقدم كل صيغ هذه البركة الرسولية ، ويالها من « نعمة » ! تلك التى أنعم بها الله الآب فى ابنه المحبوب يسوع المسيح بروحه القدوس — أنعم بها على جميع مختاريه الذين تبناهم لنفسه (أف ١ : ٣ — ٦) .

هى نعمة « الخلاص بالإيمان » لا « بالأعمال » ((اقرأ أف ٢ : ٤ — ١٠) — هى « النعمة » التى بها يحسب الله الآب كل « بر المسيح » — يحسبه مجاناً لجميع الذين يؤمنون له

به مفتدياً إياهم « لا بفضة أو ذهب » ولا بأعمال خير أو أدب « بل بدم كريم » كما من حمل بلا عيب ولا دنس (« دم المسيح ») معروفاً سابقاً قبل تأسيس العالم » (١ بط ١ : ١٨ — ٢٠ راجع شرح ص ٩ : ١٣ و ١٤) .

على أن « النعمة » — فى سائر صيغ البركة الرسولية — قد اقترنت دائماً بشخص الرب « يسوع المسيح » المبارك ؛ كما قيل « نعمة الرب يسوع المسيح معكم » (قابل رو ١٦ : ٢٠ مع ١ كو ١٦ : ٢٣ مع غل ٦ : ١٨ مع فى ٤ : ٢٣ مع ١ تس ٥ : ٢٨ مع ٢ تس ٣ : ١٨ مع فل ٢٥) . فلا غرو ولا عجب ! فإن هذا الشخص العجيب هو مورد « النعمة » التى أنعم بها « الآب القدوس» على بنيه مختاريه وقديسيه — كما قيل « لمدح مجد « نعمته » التى أنعم بها علينا فى « المحبوب » الذى فيه لنا « الفداء بدمه » غفران الخطايا ؛ حسب غنى « نعمته » التى أجزلها لنا بكل حكمة وفطنة » (أف ١ : ٦ — ٨) .

وقد عبر الرسول عن فضل هذه النعمة فى حياته حيث قال : « أنا الذى كنت قبلا مجدفاً ومضطهداً ومفترياً ، ولكننى رحمت لأنى فعلت بجهل فى عدم إيمان ، وتفاضلت نعمة ربنا جداً مع الإيمان والمحبة التى فى المسيح يسوع » (١ تى ١ : ١٣ و ١٤) .

هذا هو الشخص العجيب الذى قال عنه يوحنا الحبيب : « فى البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله » « والكلمة صار جسداً وحل بيننا ورأينا مجده — مجداً كما لوحيد من الآب — مملوءاً « نعمة وحقاً » « من ملئه نحن جميعاً أخذنا ونعمة فوق نعمة ؛ لأن الناموس بموسى أعطى ، أما « النعمة والحق » فبيسوع المسيح صارا » (يو ١ : ١ و ١٤ و ١٦ و ١٧ اقرأ ع ١ — ١٨) .

إعلان سماوى باقتران « النعمة » بالمسيح . وهو ، فى ذات الوقت ، إعلان إلهى باقتران النعمة بالحق . وإذا أدركنا ، من هذا الوحى المقدس ، أن يسوع المسيح هو ذات الحق — إذا أدركنا ذلك تتبين أمامنا تلك الحقيقة الثابتة التى تتجلى فى صيغ البركة الرسولية « نعمة ربنا يسوع المسيح » — ذاك الذى قال عن نفسه : « أنا هو الطريق

« والحق » والحياة » (يو ١٤ : ٦) . ونتبين مغزى قوله لليهود : « تعرفون الحق و « الحق » يحرركم » بالمقارنة مع قوله : « فإن حرركم الابن فبالحقيقة تكونون أحراراً » (يو ٨ : ٣٢ و ٣٦) .

هذا هو « ابن الله » — الإله الحق والحياة الأبدية » (١ يو ٥ : ٢٠ اقرأ ع ١٩ — ٢١) . فلنصبغ بالتمام ولنفعل باهتمام ما نصح به الرسول بطرس ، فى قوله : « لذلك منطقوا أحقاء ذهنكم ، صاحين ، فألقوا رجاءكم ، بالتمام ، على « النعمة » التى يؤتى بها إليكم عند استعلان يسوع المسيح » (١ بط ١ : ١٣) . هذه هى « النعمة » — « نعمة ربنا يسوع المسيح » التى بها يختم الرسول هذه الرسالة ، قائلا « النعمة مع جميعكم » : —

« آمين » : — الكلمة « آمين » فى ختام هذه البركة الرسولية « النعمة مع جميعكم » يمكن وصلها بالكلمة « آمين » فى ختام البركة التى وردت فى (ع ٢٠ و ٢١) بحيث تقرأ البركتان معاً على الصورة الآتية : « وإله السلام . . . ليكملكم فى كل عمل صالح لتصنعوا مشيئته ، عاملا فيكم ما يرضى أمامه بيسوع المسيح الذى له المجد إلى أبد الآبدين آمين — النعمة مع جميعكم آمين » . وعلى هذا النحو يعتبر ما جاء فى الأعداد (٢٢ — ٢٤) مجرد أخبار وتحيات ختامية معترضة .

أما الكلمة « آمين » فقد سبق شرحها (راجع شرح ع ٢١) إلا أننا هنا يمكن أن نضيف إلى ذلك الشرح بالمقابلة بينها وبين الكلمة « أمين » حيث جاءت الكلمتان معاً فى وصف ذلك الشخص العجيب فى النص القائل : « الآمين الشاهد الأمين الصادق » (رؤ ٣ : ١٤) حيث نرى شخص الرب يسوع يتجلى « الآمين » — بالألف الممدودة — كمركز للثقة والإيمان الموثوق بكل ما يعد به ؛ كما نراه « الأمين » — بالألف المهموزة — فى شهادته الحقة — الصادق فى كل أقواله .

فإنه « ليس الله إنساناً فيكذب ولا ابن إنسان فيندم ، هل يقول ولا يفعل أو يتكلم ولا يفى » ؟ (عد ٢٣ : ١٩) . و« أيضاً نصيح إسرائيل لا يكذب ولا يندم ؛ لأنه ليس إنساناً ليندم » (١ صم ١٥ : ٢٩) « لأن هبات الله ودعوته هى بلا ندامة »

(رو ١١ : ٢٩) . هذا هو « الحق الذى هو حسب التقوى على رجاء الحياة الأبدية التى وعد بها الله المنزه عن الكذب قبل الأزمنة الأزلية » (تى ١ : ١ و ٢) .

« فلنمسك بالحياة الأبدية التى إليها دعينا » (١ تى ٦ : ١٢) . و « لنتمسك بإقرار الرجاء راسخاً ؛ لأن الذى وعد هو أمين » (راجع شرح ص ١٠ : ٢٣) . وما أجمل أن نهتف مع المرنم تسبيحاً من كل القلب ، قائلين : « مبارك الرب الله إله إسرائيل » (« إسرائيل الله » غل ٦ : ١٦) . إله إسرائيل الصانع العجائب وحده . ومبارك اسم مجده إلى الدهر ولتمتلىء الأرض كلها من مجده ، آمين ثم آمين » (مز ٧٢ : ١٨) .

تذييل

السبت المسيحى

« إذاً بقيت راحة لشعب الله . لأن الذى دخل راحته استراح هو أيضاً من أعماله كما الله من أعماله » (عب ٤ : ٩ و ١٠) .

نتخذ هاتين الآيتين أساساً لكلامنا فى هذا التذييل ، عن السبت المسيحى ، لمناسبة الكلام عن الراحة فى العهد الجديد كما بحثها الرسول هنا فى (ص ٣ و ٤) .

وفيهما نجد لنا باباً للدخول إلى بحث السبت ، وأساسه ، ويومه .

السبت :

الكلمة اليونانية التى استعملها الرسول للتعبير عن الراحة وترجمت « راحة » فى (عد ٩) هى ، كما قلنا فى شرح الآية فى مكانه ، كلمة « **سباتسموس** » وهى كلمة مصوغة من الأصل العبرى شبت بإضافة نهاية يونانية إلى ذلك الأصل . . ولم تستعمل فى غير هذا المكان من الكتاب المقدس على هذه الصيغة ، ويقال إنها لم ترد فى اللغة اليونانية الفصحى إلا فى كتابات شخص واحد .

وكأنى بالرسول بعد أن كان يعبر عن الراحة الكنعانية ومرموزها بكلمة « كاتاباوسس » (ص ٣ : ١١ و ١٨ ، ٤ : ١ و ٣ و ٥ و ٨) ، نظر إلى راحة أفضل لها معنى أعمق وصورة أسمى تتمثل فى راحة الله فى اليوم « السابع » (٤ : ٤) ، وإذ أراد أن يعبر عن هذه الراحة لم يجد كلمة تتضمن كل المعنى المقصود فصاغ لذلك كلمة « سباتسموس » وهى فى العربية من الأصل « سبت سبتا » وقد وردت فى أصلها العبرى أولا فى (تك ٢ : ٢) وترجمت « استراح » للدلالة على سبت الله أى استراحته بعد عمل الخلق حيث قيل عنه : « فاستراح (أى سبت) من جميع عمله الذى عمل » . وكأنى بالآباء اليسوعيين وقد شعروا بقصد الرسول ، فأضافوا كلمة « سبت » إلى الترجمة وقالوا « راحة سبت » والكلمتان بمعنى واحد ولذلك جعلنا عنوان التذييل

« السبت المسيحي » . وفي كل بحثنا سنضغ كلمة سبت حيث نقصد الراحة لإثبات معنى السبت الحقيقي .

أساس السبت :

قلنا إن كلمة « شبت » التي صاغ منها الرسول كلمة « سباتسموس » وردت أولا في (تك ٢ : ٢ و ٣) وكأنه بذلك أراد أن يرجع بنا إلى الأساس الذي عليه يبنى السبت وإذا قارنا نص هاتين الآيتين مع نص الوصية الرابعة في (خر ٢٠ : ٨ - ١١) مع نص (عب ٤ : ١٠) لتبين لنا مكان السبت من كنيسة الله في حالاتها الثلاث ١ - حالتها تحت الناموس الطبيعي . ٢ - حالتها تحت الناموس الأدبي والطقسي ٣ - حالتها في عصر الإنجيل . وفي كل من هذه الحالات الثلاث يضع الرسول سبت الله أساساً ، يبنى عليه سبت الإنسان ، ويجعل له يوماً معيناً مفرزاً . أما هذا اليوم المعين فسنفرز له فصلا خاصاً . وسنتكلم هنا عن سبت الله ، وعن سبت الإنسان . وفي كل كلامنا نريد أن لا ننسى أن الرسول يعتبر الكنيسة في حالتيها الأوليين من هذا القبيل ، رمزاً ومثالا للكنيسة في حالتها الثالثة .

١ - الكنيسة تحت الناموس الطبيعي ، قبل دخول الخطية إليها ، يقول الرسول فيها : « مع كون الأعمال قد أكملت منذ تأسيس العالم » (ص ٤ : ٣) مشيراً إلى قول موسى في (تك ٢ : ١ - ٣) « وأكملت السموات وكل جندها وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل . فاستراح (أي سبت) في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل . وبارك الله اليوم السابع وقدسه لأنه فيه استراح (أي سبت) من جميع عمله الذي عمل الله خالقاً » .

سبت الله في هذه الآيات ظاهر في القول : « فرغ الله . . . فاستراح » وإذا علمنا ، (كما قلنا في شرح ٤ : ١) ، أن « إله الدهر خالق أطراف الأرض لا يكل ولا يعيا » (إش ٤٠ : ٢٨) لتحققنا أن الكلمة « استراح » يقصد بها بالحرى معنى كلمة سبت : فيقال « فرغ الله . . . فسبت » أي أنه في اليوم السابع أنهى العمل الذي كان يقوم به

فى الستة الأيام السابقة وانقطع عنه ؛ لا عن العمل مطلقاً ، بل عن « عمله الذى عمل خالقاً » وإلا لما قال المسيح لليهود « أبى يعمل حتى الآن وأنا أعمل » (يو ٥ : ١٧) وهو قول يدل على أن سبت الله إنما هو انقطاعه عن عمل الخلق فقط ، وأن الله فى سبته يعمل أعمالا أخرى تليق بجلال الخالق فى حفظ خلائقه والعناية بهم وسياسة الكون ، فهو أبو الأرواح الذى به نحيا ونتحرك ونوجد (قابل عب ١٢ : ٩ ، أع ١٧ : ٢٨). وإذا أضفنا إلى ما قيل هنا قول موسى فى (تك ١ : ٣١) « ورأى الله كل ما عمله فإذا هو حسن جداً » ، نستطيع أن نرى أن سبت الله ليس فقط فى انقطاعه عن عمل الخلق بعد أن فرغ منه بل أيضاً فى سروره به فإن الذى نراه بعد ذلك ، فى تجديد وجه الأرض ، يفرح بأعماله (مز ١٠٤ : ٣٠ و٣١) هو الذى بعد أن صنع السموات والأرض فى ستة أيام استراح فى اليوم السابع وتنفس (خر ٣١ : ١٧) أى فرح إذ رأى كل ما عمله فإذا هو حسن جداً .

أما سبت الإنسان فهو ظاهر فى القول : « بارك الله اليوم السابع وقدسه » . وهو قول يتساءل من جهته بعض الباحثين المدققين فلا يرونه وصية صريحة بحفظ السبت ، محققين أن هذه الوصية لم تعط إلا عند جبل سيناء فى الوصايا العشر التى كتبها الله على لوحى الحجر وقد جاء نصها فى (خر ٢٠ انظر عدد ٨ – ١١) . ونحن وإن كنا نقدر قيمة هذا التساؤل ونعتبر هذا البحث والتحقيق حق الاعتبار ، ولكننا من الجهة الأخرى لا نرى فى عدم التصريح مضادة لقيام وصية السبت ، لأننا إذا حددنا النظر فى ذلك القول واخترقناه بالعين البسيطة التى قال فيها السيد « سراج الجسد هو العين . فإن كانت عينك بسيطة فجسدك كله يكون نيراً » (مت ٦ : ٢٣) . ووصلنا إلى عمق ما يرمى إليه ، للمحنا فيه وصية معلنة بالكفاية توجب على الإنسان حفظ السبت . وسنسهب فى الكلام عن هذا التلميح ، الذى يكاد أن يكون تصريحاً . عند الكلام فيما بعد على موضوع يوم السبت وإبدال السابع فيه بالأول فانظر إليه فى مكانه .

أما هنا فيكفى أن نقول إن لنا فى قول موسى : « وبارك الله اليوم السابع وقدسه » تقسيما للوقت إلى سبعة أجزاء يسمى كل جزء منه يوماً ، وهذا التقسيم قد

أجراه الله ذاته إذ أكمل عمله العظيم كخالق فى ست مدات ، سمى كل مدة منها يوماً ، وإذ فرغ منه ، سبت فى اليوم السابع . فباركه وقدسه سبتاً للانسان ليدخل إليه فى هذه الحياة بالإيمان والطاعة إلى أن يدرك الغرض الذى لأجله جعل ، ويدخل مباشرة إلى سبته الأبدى .

٢ — الكنيسة تحت الناموس الأدبى والطقسى . فى أرض كنعان . يقول عنها الرسول : « وفى هذا أيضاً ان يدخلوا راحتى » (٤ : ٥) وهذا يقوله مباشرة بعد الكلام عن سبت الخليقة ويقصد به سبت كنعان الذى يقول الرب عنه : « راحتى » وفيه نرى :

سبت الرب فى كنعان :

وهو يطابق فى عظمته سبت الرب بعد الخليقة ، فكما سبت الرب بعد أن فرغ من عملية الخلق وأكملها ، هكذا سبت بعد أن فرغ من الأعمال العظيمة والقوات الفائقة ، وأكمل عملية الفداء العجيبة التى أجراها لشعبه فى إخراجهم من أرض مصر وإدخالهم إلى أرض كنعان . وهذا التطابق واضح فى إعلانه لأشعياء النبى بقوله : « أنا الرب إلهك مزعج البحر فتعج لججه . رب الجنود اسمه . وقد جعلت أقوالى فى فمك وبظل يدى سترتك لغرس السموات وتأسيس الأرض ولتقول لصهيون أنت شعبى » (إش ٥١ : ١٥ و ١٦) ، حيث نجد فى إزعاج البحر لتعج لججه مجازاً متضمناً عمل الله كاملا فى إعداد طريق الكنيسة لدخولها إلى أرض كنعان وتعبيراً لكل عمل الله من هذا القبيل ، بالمقارنة مع عمل الخليقة كله المتضمن فى غرس السموات وتأسيس الأرض . وكما رأينا بعد الخليقة سبتاً للرب ، نرى هنا فى أرض كنعان أيضاً سبتاً قال الله فيه : « هذه هى راحتى إلى الأبد . ههنا أسكن » (مز ١٣٢ : ١٤) .

سبت الشعب فى أرض كنعان :

كما دعا الرب الإنسان للدخول إلى سبته بعد الخليقة فى جنة عدن إذ « بارك اليوم السابع وقدسه » لأنه سبت فيه ، هكذا دعا شعبه للدخول إلى سبته فى أرض كنعان

بعد الفداء من مصر ومن عبوديتها ، وبعد شق البحر الأحمر ، وفي طريق الدخول إلى كنعان بالقول عند جبل سيناء : « اذكر يوم السبت لتقدسه » (خر ٢٠ : ٨) . وكما ندعو سبت الكنيسة تحت ناموس الطبيعة « سبت الخليقة » هكذا يمكننا أن ندعو سبتها تحت الناموس الأدبي والطقسي ، سبت الفداء ، ونقرنه بتاريخ الأمة اليهودية وبعملية افتدائهم من عبودية مصر إلى دخولهم راحة كنعان . وهذا نبنيه على قول موسى في (تث ٥ : ١٥) تعقيباً على وصية السبت : « واذكر أنك كنت عبداً في أرض مصر فأخرجك الرب إلهك من هناك بيد شديدة وذراع ممدودة لأجل ذلك أوصاك الرب إلهك أن تحفظ يوم السبت » (اقرأ من عد ١٢) . وهذا يبين أن أساس السبت اليهودي غير أساس سبت الخليقة إذ أنه مبنى على أساس الفداء مباشرة . أما ارتباطه بسبب الخليقة في الوصية الرابعة فهو ارتباط على أساس قياس التمثيل لا قياس السبب والنتيجة . وإذا قارنا قول موسى في (تث ٥ : ١٥) الذي رأيناه الآن ، وبين قول الرب نفسه في مقدمة الوصايا العشر : « أنا الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية » (خر ٢٠ : ٢) ، لاتضح أمامنا أن فداء إسرائيل الذي وضعه موسى أساساً لحفظ السبت ، هو عينه الذي وضعه الرب أساساً لكل الوصايا العشر . ومنه يتبين لنا علاقة وصية السبت بالناموس الأدبي وجميع الطقوس والفرائض المترتبة عليه ، فكما أنها واحدة من الوصايا العشر هي أيضاً واحدة من الفرائض والطقوس الأخرى . انظر ورودها في (خر ٢٣ : ١٢) وعلاقته بسبت الأرض وبالأعياد اقرأ (عد ١٠ ـ ١٩ وأيضا لا ٢٣) حيث تجد السبت أول المواسم أو المحافل المقدسة للرب . ومنه يتبين أن السبت اليهودي رابط بين الناموس الأدبي والفرائض الطقسية ، وأنه رمز الراحة الكنعانية التي تقوم بالإيمان والطاعة لجميع الوصايا و الأحكام والفرائض . ولهذا لم يدخل عصاة إسرائيل إلى أرض كنعان ، والذين دخلوها لم يجدوا راحتهم فيها لعدم حفظ ناموس الرب ، ولذلك قيل : « لأنه لو كان يشوع قد أراحهم لما تكلم بعد ذلك عن يوم آخر . إذاً بقيت راحة (سباتسموس) لشعب الله » (عب ٤ : ٨و٩).

٣ — الكنيسة في عصر الإنجيل في نظام العهد الجديد وهي المرموز إليها بالكنيسة في حالتيها تحت الناموس الطبيعي وتحت الناموس الأدبي ، وسبتها ممثل في سبت الخليقة ،

ومرموز إليه فى سبت الفداء اليهودى . وقد جمع الرسول الأمرين معاً فى قوله : « لأن الذى دخل راحته استراح هو أيضاً من أعماله كما الله من أعماله » (عب ٤ : ١٠) حيث نرى :

سبت الرب فى العهد الجديد

واضحاً فى القول : « لأن الذى دخل راحته استراح هو أيضاً من أعماله » . وقد رأينا فى شرح الآية فى مكانها أن المسيح هو المقصود فى هذا الكلام أى أنه هو الذى دخل راحته واستراح ، أى دخل سبته . فسبت كنيسة العهد الجديد هو سبت المسيح نفسه : (١) بمقتضى القياس التمثيلى فى سبت الخليقة لأنه « استراح هو أيضاً من أعماله كما الله من أعماله » . (٢) بمقتضى الأساس الرمزى فى سبت الفداء اليهودى لأن عمله الذى استراح منه هو عمل فدائى ، أى كما دخل الله إلى سبته الأبدى بعد أن فرغ من عملية الخلق ، وإلى سبته الكنعانى بعد أن افتدى شعبه اليهودى ، هكذا دخل المسيح إلى سبته الأبدى بعد ما فرغ من إتمام عملية الفداء وأكملها لجميع المؤمنين باسمه . وعليه يكون :

سبت المؤمنين فى العهد الجديد

مؤسساً على أساس سبت المسيح فكما رأينا يسوع فى (ص ٢ : ٩) وقد دخل إلى مجده السماوى حيث أعد المجد للانسان ، هكذا نراه هنا وقد دخل إلى راحته الأبدية حيث أعد السبت لأجل الإنسان بالإيمان والطاعة والتعبد . وقد تكلمنا عن دخول المؤمنين إلى تلك الراحة فى شرح النص فى (ص ٤) ، بما فيه الكفاية فارجع إليه بخاصة فى (عد ١ و ٣) .

يوم السبت :

وسنبحث فيه من ثلاثة أبواب : (أ) اليوم السابع ، (ب) اليوم الأول ، (ج) إبدال السابع بالأول .

أ : اليوم السابع :

وقد أشار إليه الرسول فى (ص ٤ : ٤) مقتبساً ما ذكره موسى فى (تك ٢ : ٢ و ٣) فقال فيه « لأنه قال فى موضع عن السابع واستراح الله من جميع أعماله » (عب ٤ : ٤) : وقد رجعنا فى شرح هذه الآية فى مكانه إلى الكلمة اليونانية «هبدومى» التى ترجمت « السابع » وما تعنيه . ولكننا هنا نريد أن نقرر ، لمناسبة البحث ، أن لفظ « السابع » أصبح قريناً للفظ « السبت » وأن اليوم السابع سمى بيوم السبت من تاريخ الأمة اليهودية فإننا ، إذا استثنينا كلمة « استراح » التى هى « سبت » التى وردت فى الموضع المشار إليه ، حيث ذكر « السابع » لأول مرة ، إذا استثنينا هذه الكلمة لا نجد كلمة « السبت » مقترنة « بالسابع » فى الكتاب المقدس إلا فى حادثة المن (خر ١٦ : ٢٢ — ٣٠) حيث جاء أن الشعب التقط خبزاً مضاعفاً فى اليوم السادس وأن موسى أكد لهم أن هذا ما قاله الرب : « غداً عطلة سبت مقدس للرب » . ويقصد بالغد اليوم السابع سواء أكان هو السابع الذى سبت الله فيه أى بالنسبة لليوم الأول من الخليقة أم السابع بالنسبة لليوم الذى نزل فيه المن . وكذا فى الوصية الرابعة حيث قيل (خر ٢٠ : ١١) « وبارك الرب يوم السبت وقدسه » والكلام عائد على اليوم السابع ولهذا نستطيع أن نقول إن تسمية اليوم السابع بيوم السبت مرتبطة بتاريخ الأمة اليهودية . وبذلك أصبحت أيام الأسبوع عندنا الأحد ، الاثنين ، الثلاثاء ، الأربعاء ، الخميس ، الجمعة ، السبت ، أى باستبدال السادس بالجمعة والسابع بالسبت . والتاريخ يعلن ، والواقع يشهد ، أن اليوم السابع هو يوم السبت الأسبوعى للأمة اليهودية فى كل العالم لا يشاركهم فيه أحد إلا نفر قليل من المسيحيين قد تهودوا من هذه الناحية ويريدون أن يهودوا آخرين معهم .

(ب) اليوم الأول :

هو يوم الراحة ، ويمكننا أن نقول ، بمقتضى البحث السابق ، هو يوم السبت الذى يقدسه المسيحيون فى كل العالم ، ما عدا ذلك النفر القليل المشار إليه ، وفيه يجتمعون للعبادة والشركة وكسر الخبز . وقد ورد ذكر اليوم الأول من الأسبوع من

هذا القبيل فى العهد الجديد فى ثلاث مناسبات ، أولاها مناسبة قيامة المسيح من الأموات وظهوره لبعض النسوة والتلاميذ بعض المرات (انظر مت ٢٨ ، مر ١٦ ، لو ٢٤ يو ٢٠) . وثانيتها مناسبة اجتماع التلاميذ لكسر الخبز والعبادة (أع ٢٠ : ٧ — ١٢) ، وثالثتها مناسبة الجمع لأجل القديسين (١كو ١٦ : ١ و ٢) وسنذكر هذه المناسبات وغيرها بالتفصيل فى كلامنا عن :

(ج) ابدال اليوم السابع باليوم الأول .

لقد رأينا اليوم السابع مفرزاً ليكون سبتاً مقدساً للخليقة على أساس سبت الله نفسه فى اليوم المذكور بعد أن أفرغ من عمل الخلق وأكمله فى ستة أيام . وهذا الفرز حدث بإشارة تلميحية متضمنة فى القول « بارك الله اليوم السابع وقدسه » . ورأيناه أيضاً مفرزاً ليكون سبتاً مقدساً للأمة اليهودية على أساس سبت الله نفسه بعد أن فرغ من عمل الفداء فى إخراج الأمة من مصر وإدخالها إلى أرض كنعان حيث قال : « هذه هى راحتى » . وهذا الفرز حدث بوصية صريحة فى البرية ، أى بعد افتدائهم من مصر وقبل دخولهم إلى أرض كنعان ، بالقول : « اذكر يوم السبت لتقدسه » مع اقتران السبت باليوم السابع . فاليوم السابع إذاً كان يوم سبت الكنيسة فى حالتها تحت الناموس الطبيعى وتحت الناموس الأدبى والطقسى . فكيف إذاً صار اليوم الأول يوم سبت الكنيسة فى عصر الإنجيل فى العهد الجديد ؟ هل جاءت وصية إلهية صريحة بهذا الإبدال ؟ وإن لم تكن قد جاءت وصية صريحة به فهل توجد تلميحات أو إشارات كتابية كافية لتبرير هذا الإبدال ؟

قلنا إنه ليس فى قول موسى : « وبارك الله اليوم السابع وقدسه » وصية صريحة بحفظ اليوم السابع سبتاً . وإن كانت هنالك وصية فى هذا القول ، فتكون مستنتجة منه لا صريحة فيه . كما أنه لا يمكننا أن نجزم بأن آدم حفظ السبت فى جنة عدن أو أن أحداً من ذريته حفظه قبل تكوين الأمة اليهودية ، إذ ليس لنا إعلان صريح فى الكتاب من هذا القبيل ولكننا لا نتخذ من ذلك برهاناً أو دليلا على أن اليوم السابع للخليقة لم يكن سبتاً مقدساً محفوظاً . أو لا نجد إشارة إليه فى العدد « سبعة » الذى ذكره الرب نفسه فى طريق الانتقام لقايين وقد ردده لامك فى قوله

لامرأتيه : « إنه ينتقم لقايين سبعة أضعاف . وأما للامك فسبعة وسبعين (تك ٤ : ١٥ و ٢٤) . وفى سبعة أيام نوح حيث أرسل الحمامة من الفلك ، فعادت إليه . فلبث سبعة أيام أخر وأرسلها فعادت . فلبث سبعة أيام أخر وأرسلها فلم تعد (تك ٨ : ٨ - ١٢) ، وسبعة أيام أيوب التى فيها أصحابه « قعدوا معه سبعة أيام وسبع ليال » (أى ٢ : ١٣) ، وأسبوع الزواج ليعقوب (تك ٢٩ : ٢٧ و ٢٨) ، وسبعة أيام المناحة له (تك ٥٠ : ١٠) وقس على ذلك .

على هذا القياس يمكننا أن نعترف بأنه لم تأت وصية صريحة بإبدال السابع بالأول ليكون سبتاً مقدساً للكنيسة تحت الإنجيـــل . وليس فى هذا الاعتراف مضادة ، بحالة ما ، للارشادات الواضحة الكافية للدلالة على هذا الإبدال ، بل فيه بالحرى إشارة إلى طريقة الإعلان فى العهد الجديد . فإن كنا نرى الكنيسة تحت الناموس تأخذ من جبل سيناء وصية حرفية بحفظ اليوم السابع سبتاً فإنما لأن هذه طريقة تتفق مع الكنيسة فى عصرها الناموسى ، أما فى عصرها الإنجيلى فيحسن بها أن ترجع فى طريقة إعلانها إلى حيث قصد الله أن يرجع بها ، إلى تلك الصورة المجيدة فى عدن ، بل وإلى ما هو أفضل منها ، « إلى عهد جديد . لا الحرف بل الروح لأن الحرف يقتل ولكن الروح يحيى » « وحيث روح الرب هناك حرية » (٢ كو ٣ : ٦ و ١٧ قابل يو ٦ : ٦٣) ؛ ويكفيها جداً وهى فى هذا العهد الجديد أن تتبع خطوات سيدها ومثاله الكامل ، والإشارة منه تكفيها علماً وعملا « وإن علمتم هذا فطوباكم إن عملتموه » (يو ١٣ : ١٧) ؛

هذا علاوة على كون إبدال السابع بالأول ليس فى حد ذاته أمراً يستلزم وصية صريحة ، فهو ليس نقضاً لوصية السبت ولا هو رسم جديد يستلزم تشريعاً جديداً ؛ فوصية السبت التى أعطيت فى الفردوس ، وأعلنت فى برية سين ، ونطق بها فوق جبل سيناء ، هذه الوصية فى جوهرها لا تزال قائمة بمواعيدها ووعودها فى نظام العهد الجديد ، بغض النظر عن تحديد يوم معين ؛ فهى وصية الراحة للانسان التى يتطلبها بدنه وعقله ، كما أنها أيضاً وصية تقديس جزء من وقته كعابد لمعبوده على أساس ناموس الوصايا العشر الذى قال الرسول بشأنه : « أفنبطل الناموس بالإيمان ؟ حاشا ، بل نثبت الناموس » (رو ٣ : ٣١) . هذا ما رآه إشعياء فختم نبواته بقول الرب :

«لأنه كما أن السموات الجديدة والأرض الجديدة التي أنا صانع تثبت أمامي يقول الرب ، هكذا يثبت نسلكم واسمكم . ويكون من هلال إلى هلال ومن سبت إلى سبت أن كل ذي جسد يأتي ليسجد أمامي قال الرب » (إش ٦٦ : ٢٢ و ٢٣).

على أننا إذا اعتبرنا تعليم العهد الجديد أن « الناموس روحى » (رو ٧ : ١٤). « الناموس الكامل ، ناموس الحرية » (يع ١ : ٢٥) . وأنه في جوهره محبة الله والقريب (مت ٢٢ : ٣٥ — ٤٠ ، لو ١٠ : ٢٥ — ٢٨) ، وإذا اعتبرنا أن أورشليم العهد القديم ليست هي أورشليم العهد الجديد ، فإن الأولى ممثلة في ابن الجارية ، لابراهيم ابن الجسد . أما الثانية فممثلة في ابن الحرة منه ، ابن الموعد « لأن هاتين هما العهدان أحدهما من جبل سيناء الوالد للعبودية الذى هو هاجر . لأن هاجر جبل سيناء في العربية ولكنه يقابل أورشليم الحاضرة فإنها مستعبدة مع بنيها . وأما أورشليم العليا التي هي أمنا جميعاً فهي حرة » هي « جبل صهيون » « أورشليم السماوية » (قابل غل ٤ : ٢١ — ٣١ ، عب ١٢ : ٢٢) . وإذا اعتبرنا تعليم السيد نفسه له المجد عن العبادة الروحية في قوله للمرأة السامرية : « يا امرأة صدقيني أنه تأتي ساعة لا في هذا الجبل ولا في أورشليم تسجدون للآب . . . ولكن تأتي ساعة وهي الآن حين الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق » (اقرأ يو ٤ : ١٩ — ٢٤) . إذا اعتبرنا ذلك كله لتحققنا أن وصية السبت هي وصية روحية متعلقة بعبادة روحية كما تتطلبه حالة العهد الجديد الروحية لا روح العهد القديم الناموسية . وهذا ما يمكننا أن نستنتجه من قول المسيح : « السبت إنما جعل لأجل الإنسان لا الإنسان لأجل السبت . إذاً ابن الإنسان هو رب السبت أيضاً » (مر ٢ : ٢٧ و ٢٨) .

وإذا أضفنا إلى ذلك قول الرسول في (رو ١٤ : ٥ و ٦) « واحد يعتبر يوماً دون يوم وآخر يعتبر كل يوم فليتيقن كل واحد في عقله . الذى يهتم باليوم فللرب يهتم . والذى لا يهتم باليوم فللرب لا يهتم » . وهو قول قاله في سياق حديث يختص بالأكل والشرب وحفظ الأيام المتعلقة بالشريعة اليهودية التي قال عنها مخاطباً مؤمني العهد الجديد : « أما الآن إذ عرفتم الله بل بالحرى عرفتم من الله فكيف ترجعون أيضاً إلى

الأركان الضعيفة الفقيرة التي تريدون أن تستعبدوا لها من جديد ؟ أتحفظون أياماً وشهوراً وأوقاتاً وسنين ؟ أخاف عليكم أن أكون قد تعبت فيكم عبثاً » (غل ٤ : ٩ — ١١) « فلا يحكم عليكم أحد فى أكل أو شرب أو من جهة عيد أو هلال أو سبت التى هى ظل الأمور العتيدة وأما الجسد فللمسيح » (كو ٢ : ١٦ و ١٧) .

إذا جمعنا هذه الأقوال كلها ، لرأينا أنفسنا فى حل من سبت اليوم السابع الذى هو السبت اليهودى باعتبار أنه سبت طقسى (خر ٢٣ : ١٢ ، لا ١٣) . وباعتبار أنه سبت رمزى مؤسس على افتدائهم من عبودية مصر . أما باعتبار أنه ضمن الوصايا العشر الأبدية على قياس التمثيل لسبت الله فى الخليقة فلنا فيه حفظ جوهر الوصية فى تكريس يوم من كل سبعة أيام للرب . هذا يصل بنا إلى بحث :

إبدال اليوم السابع باليوم الأول ليكون سبتاً للرب على أساس :

١ — أنه اليوم الذى فيه قام المسيح .

٢ — أنه اليوم الذى حل فيه الروح القدس ، فى يوم الخمسين ، على التلاميذ .

٣ — أنه اليوم الذى فيه عقد الرسل والكنائس التى أسسوها اجتماعاتهم للعبادة .

١ — لأنه اليوم الذى فيه المسيح ، له المجد ، قام من الأموات ودخل إلى راحته واستراح من أعماله التى قام بها لإتمام عملية الفداء لشعبه . أما ما جاء فى الكتاب عن يوم القيامة فهو : « وبعد السبت عند فجر أول الأسبوع » (مت ٢٨ : ١ ، مر ١٦ : ١ ، لو ٢٤ : ١ ، يو ٢٠ : ١) . وإذا تأملنا هذا القول نقدر أن نقرأ بين السطور إعلاناً واضحاً بالقضاء على السبت اليهودى وبخاصة إذا علمنا أن السبت المذكور لم يكن سبتاً لليوم السابع فقط بل كان سبت الفصح فى تلك السنة . فكأن السيد له المجد بقيامته المقصودة « بعد السبت عند فجر أول الأسبوع » قضى على السبوت اليهودية بما فيها سبت اليوم السابع حيث أبدله باليوم الأول الذى عنه نتكلم .

إلى هذا اليوم أشار المرنم فى (مز ١١٨ : ٢٤) بقوله : « هذا هو اليوم الذى صنعه الرب . نبتهج ونفرح فيه » وإذا بحثنا عن حقيقة اليوم المشار إليه نجد بالتحقيق

أنه اليوم الذى فيه « الحجر الذى رفضه البناؤون قد صار رأس الزاوية . من قبل الرب كان هذا وهو عجيب فى أعيننا » (مز ٢٢ و ٢٣) . وإذا طبقنا ذلك على ما جاء فى العهد الجديد لعرفنا أنه يوم الملكوت الجديد الذى فيه نزع ملكوت الله من أمة البنائين الذين رفضوا هذا الحجر ، ليعطى لأمة تعمل أثماره (مت ٢١ : ٤٢ — ٤٤) ؛ اليوم الذى عنه قال بطرس لليهود « إله آبائنا أقام يسوع الذى أنتم قتلتموه معلقين إياه على خشبة . هذا رفعه الله بيمينه رئيساً ومخلصاً » (أع ٥ : ٣٠ و ٣١) . اليوم الذى فيه يسوع المسيح « تعين ابن الله بقوة من جهة روح القداسة بالقيامة من الأموات » (رو ١ : ٤) .

هذا هو اليوم الثامن الذى قدسه العهد القديم ، رغم عظمة اعتباره لليوم السابع ، وذلك لمناسبات جديرة بالذكر تعتبر رموزاً للعهد الجديد . ففى اليوم الثامن كانت تجرى عملية الختان التى كانت تعتبر ختماً لبر الإيمان الذى كان لابراهيم وهو بعد فى الغرلة ليكون أباً لجميع الذين يؤمنون من اليهود أو من الأمم (انظر تك ١٧ : ٩ — ١٤ ، ورو ٤ : ٧ — ٢٥) وكما كان المولود حديثاً يبقى سبعة أيام غير طاهر ويطهر فى اليوم الثامن ، كذلك كان الكاهن الجديد يدخل الخدمة فى اليوم الثامن بعد يوم تعيينه (قابل لا ٩ : ١ ، ١٢ : ٢ و ٣ . اقرأ أيضاً حز ٤٣ : ١٨ — ٢٧) وتأمل فى مغزى اليوم الثامن الذى هو بعينه اليوم الأول (١) .

---

(١) من غريب ما يذكر عن اليوم الأول ويلذ ذكره أن الأمم الوثنية قديماً كانوا يعتبرون الكواكب السيارة آلهة ، ويحسبون عددها سبعة وهى الشمس والقمر والمريخ وعطارد والمشترى والزهرة وزحل وقد أطلقوا أسماءها على أيام الأسبوع ، فوقع اسم الشمس على اليوم الأول ولا يزالون يدعونه فى اللغة الانجليزية إلى هذا [illegible] هذا الاسم « Sunday » [illegible] وصلوا إلى هذه التسمية بحساب فلكى دقيق . فهل أوحت الطبيعة [illegible] الطبيعة هو الذى أوحى إليهم ليكون فى ذلك إعداد لما سيحدث فى مستقبل الأيام ، بأن يبرز كوكب « شمس البر والشفاء فى أجنحتها » (ملا ٤ : ٢) من وراء الأفق ، فى فجر اليوم الأول من الأسبوع ، مثل العروس الخارج من حجلته يبتهج مثل الجبار للسباق فى الطريق ، مبدداً الظلام ، كاسراً شوكة الموت ، مزيلا لمخاوف القبر ، شافياً أمراض الخطية ، فولدنا ثانية لرجاء حى لميراث لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل محفوظ فى السموات .

٢ — لأنه اليوم الذى فيه حل الروح القدس . وإن كانت قيامة المسيح هى الحادث التاريخى العظيم فى وضع أساس الكنيسة ، يكون حلول الروح القدس هو الحادث التاريخى العظيم فى ميلادها ونموها والوصول بها إلى مجدها . وقد أشار إليه السيد قبل موته (يو ١٤ : ١٥ — ١٨ و ٢٦ ، ١٥ : ٢٦ ، ١٦ : ٧ — ١٥) وأوصى تلاميذه قبل صعوده أن ينتظروا حلوله عليهم (لو ٢٤ : ٤٩ ؛ أع ١ : ٤ و ٥ و ٨) ؟

ولكن هل كان حلول الروح القدس فى اليوم الأول من الأسبوع ؟ يقول الكتاب : « ولما حضر يوم الخمسين كان الجميع معاً بنفس واحدة وصار بغتة من السماء صوت كما من هبوب ريح عاصفة وملأ كل البيت حيث كانوا جالسين . وامتلأ الجميع من الروح القدس » (أع ٢ : ١ — ٤) .

يوم الخمسين هذا ، إذا حسبناه من أحد القيامة ، يقع ، ولا بد ، فى يوم أحد . لأن اليوم الذى فيه تبدأ الخمسون يوماً فيه أيضاً تنتهى . على أن « يوم الخمسين » هو بالحرى أحد الأعياد الثلاثة اليهودية الكبرى ، يقع عادة بعد عيد الفصح وقبل عيد المظال ويسمى أيضاً عيد الحصاد ، أبكار الغلات ، (خر ٢٣ : ١٦) وعيد الأسابيع ، أبكار حصاد الحنطة ، (خر ٣٤ : ٢٢ ، تث ١٦ : ٩ و ١٠) ويوم الباكورة ، (عدد ٢٨ : ٢٦ . اقرأ لا ٢٣ : ١٥ — ٢١) حيث ترى أنه كان على الشعب بعد أن يأتوا فى عيد الفصح بحزمة أول حصيدهم إلى الكاهن ليرددها أمام الرب للرضا عنهم (انظر لا ٢٣ : ٩ — ١٤) يعودون إلى بيوتهم ليجمعوا حصيدهم ثم يعودون بعد خمسين يوماً يحسبونها من غد السبت من يوم اتيانهم بحزمة الترديد فيقربون تقدمة جديدة للرب . أما غد السبت ، على المذهب الفريسى الأشهر ، فهو اليوم السادس عشر من شهر نيسان أى غد يوم ذبح خروف الفصح . فى عيد الفصح الأخير لحياة سيدنا على الأرض ذبح اليهود الفصح فى يوم الجمعة ، اليوم الرابع عشر من الشهر ، فى الوقت الذى فيه فصحنا المسيح قد ذبح لأجلنا (قابل يو ١٨ : ٢٨ ، ١ كو ٥ : ٧) . واليوم الخامس عشر من الشهر كان سبتاً أسبوعياً ، أى اليوم السابع من الأسبوع ، وفى ذات الوقت كان سبتاً فصحياً لأنه اليوم الأول من أيام الفطير (لا ٢٣ : ٦ و ٧) .

فكان سبتاً عظيما (يو ١٩ : ٣١) . وفى غد ذلك السبت وهو أول الأسبوع قام المسيح بكراً ، حزمة أول الحصيد تردد أمام الرب . وفى غد السبت السابع أى يوم الخمسين كان يوم عيد الحصاد ، أبكار الغلات ، أبكار حصاد الحنطة ، يوم الباكورة فى الكنيسة المسيحية فى ثلاثة آلاف نفس آمنوا واعتمدوا فى ذلك اليوم ، ممثلين فى التقدمة الجديدة التى كانت تقرب للرب فى يوم الخمسين حيث يأتون من مساكنهم بخبز ترديد رغيفين عشرين يكونان من دقيق باكورة حصاد الحنطة ويخبزان خميراً باكورة للرب . فقد كان هؤلاء المعتمدون باكورة ثمر الروح القدس فى أول الأسبوع الذى وقع فيه سنئتذ يوم الخمسين (١) .

٣ — لأنه اليوم الذى فيه عقد الرسل والكنائس التى أسسوها اجتماعاتهم للعبادة . فقد جاء فى (أع ٢٠ : ٦ و ٧) قول لوقا : « وأما نحن فسافرنا فى البحر . . ووافيناهم فى خمسة أيام إلى ترواس حيث صرفنا سبعة أيام . وفى أول الأسبوع إذ كان التلاميذ مجتمعين ليكسروا خبزاً خاطبهم بولس وهو مزمع أن يمضى فى الغد وأطال الكلام إلى نصف الليل » ومنه يظهر أن الرسول بقى سبعة أيام فى ترواس يكرز بالإنجيل فى

(١) يوم الخمسين هو العيد الوحيد بين الأعياد الثلاثة الذى لم تذكر له حادثة تذكارية فى تاريخ اليهود . إلا أن اليهود أنفسهم فى مدة الهيكل الثانى كانوا يعتقدون أنه فى مثل هذا اليوم أعطيت الوصايا العشر على جبل سيناء . وإذا رجعنا إلى (خر ١٩ : ١) يظهر لنا أن شعب إسرائيل جاءوا إلى برية سيناء فى الشهر الثالث بعد خروجهم من مصر . والشهر الثالث بحسب التعبير والتقويم العبريين هو الهلال الثالث أو اليوم الأول من الشهر الثالث القمرى ، وإذا عرفنا أن إسرائيل خرج من مصر فى الرابع عشر من الشهر الأول فى ذلك اليوم عينه الذى أكلوا فيه خروف الفصح ، (خر ١٢ : ٥١) ، وإذا حسبنا مجموعة الأيام من اليوم الرابع عشر من الشهر الأول إلى اليوم الأول من الشهر الثالث ، وأضفنا إلى هذه الأيام استعداد الشعب ليتقبلوا الشريعة من الرب على جبل سيناء لعرفنا أساس اعتقاد اليهود أن الشريعة قد أعطيت يوم الخمسين حيث نجد أن الشعب بعد أن قدم للرب باكورة حية فى عيد الفصح ، تقدس لله فى يوم الخمسين فى سيناء . وكما نزل الله فى يوم الخمسين على جبل سيناء وفى يمينه نار شريعة ، هكذا نزل ، بعد ألف وخمسمائة سنة ونيف ، فى يوم الخمسين عينه بألسنة نار الروح القدس على التلاميذ وهم مجتمعون فى العلية فأعطوا تمييزاً روحياً لشريعته . وكما كان يوم سيناء يوم ميلاد الأمة اليهودية ، هكذا كان يوم الخمسين يوم ميلاد إسرائيل الله ، كنيسته المسيحية . وكما أن إعطاء الناموس أتم خلاص الجنس العبرانى بيد موسى ، هكذا عطية الروح القدس أكملت عمل المسيح فى تأسيس ملكوته على الأرض . هذا كله تم فى يوم الخمسين الذى هو اليوم الأول من الأسبوع .

البيوت كعادته حتى جاء أول الأسبوع . فاجتمع التلاميذ معاً حسب عادتهم للعبادة التي يعبر عنها مجازاً هنا بكسر الخبز (١) .

ويظهر أنه بعد أن انتهت الجماعة من هذه الشعائر أن بولس ألقى خطابه الوداعي وأطال كلامه فيه إلى نصف الليل (٢) .

وفي (١ كو ١٦ : ١ و ٢) يقول الرسول نفسه « وأما من جهة الجمع لأجل القديسين فكما أوصيت كنائس غلاطية هكذا افعلوا أنتم أيضاً . في كل أول أسبوع ليضع كل واحد منكم عنده خازناً ما تيسر حتى إذا جئت لا يكون جمع حينئذ » . وفي هذا القول دليل على أن الكنيسة حفظت أول يوم من الأسبوع مقدساً بدلا من السابع وفيه كانوا يجتمعون للعبادة التي هي عادة مقترنة بتقديم ذبائح فعل الخير والتوزيع على قدر ما تسمح يد العابد أن تعطى كما يباركه الرب إلهه (تث ١٦ : ١٠) وإلا لماذا خص أول الأسبوع بالذكر ؟ ومعنى قوله « ليضع عنده » أن كل واحد يقف بعض ماله للرب ؛ وطلبه أن يكون المجموع حاضراً يدل على أن الجمع كان في الكنيسة وأن المال كان يخزن في خزينتها ؛ لأنه إذا فرضنا أن كل مؤمن خزن ما وقفه في بيته لزم من ذلك أن يكون جمع بعد وصوله على خلاف ما طلبه .

وإذا رجعنا إلى مرات ظهور المسيح حيث « بعد ما قام باكراً في أول الأسبوع ظهر أولا لمريم المجدلية » (مر ١٦ : ٩ ، يو ٢٠ : ١ — ١٨) . وللنساء الأخريات في طريقهن وهن راجعات من القبر (مت ٢٨ : ٩ و ١٠) ولبطرس (لو ٢٤ : ٣٤) ولتلميذين كانا منطلقين إلى عمواس (لو ٢٤ : ١٣ — ٣٢) وللتلاميذ مجتمعين في غياب توما (لو ٢٤ : ٣٦ — ٤٢ ، يو ٢٠ : ١٩ — ٢٣) .

---

(١) هذا عين ما قرره جوستن مارتر ، أحد شهود المسيحية في القرن الثاني للميلاد ، عن عادة جميع الكنائس في ذلك الجيل حيث قال « في اليوم الذي كانوا يسمونه (Sunday) يوم الأحد ، كان اجتماع لكل المسيحيين سواء الذين في المدينة أم خارجها » .

(٢) يظهر أن هذه كانت عادة الرسول في الأماكن التي كان يجد فيها تلاميذ (أع ٢١ : ٤ و ٥)

إذا رجعنا إلى ذلك قد لا نجد فى هذا الظهور أكثر من كونه ظهوراً طبيعياً تابعاً لقيامته فى ذات اليوم الأول . ولكننا إذا علمنا أن ذكر ظهور يسوع بعد ذلك قد انقطع لمدة أسبوع وأنه ، له المجد ، عاد فظهر لتلاميذه مجتمعين وتوما معهم بعد ثمانية أيام (يو ٢٠ : ٢٦ — ٢٩) أى فى اليوم الثامن من قيامته الذى هو اليوم الأول من الأسبوع لاضطررنا إلى الوقوف ولو قليلا للتساؤل عن سر ظهور المسيح واجتماعه بتلاميذه ، وسر وجودهم فى ذلك اليوم مجتمعين .

هل نرى فى ذلك مظهراً حقيقياً لاعتبار الرب نفسه لذلك اليوم ؟ وهل يمكن أن نرى فيه أيضاً دليلا على اعتبار الكنيسة ، وهى بعد فى المهد ، اليوم الأول ، بدلا من اليوم السابع ، سبتاً مقدساً ، قدسه سيدهم بقيامته من الأموات ؟

إن قلنا إن التلاميذ كانوا مجتمعين يوم القيامة ليتحاوروا فى حوادث النهار ، وفى ما أنبوأ به من أن القبر خال من المدفون ، ومن مشاهدة الملائكة ، ومشاهدة بعضهم للمسيح ، فماذا نقول فى اجتماعهم واجتماع المسيح بهم فى الأحد التالى لأحد القيامة أى بعد ثمانية أيام ؟ هل فى ذلك استعداد لإبدال اليوم السابع باليوم الأول سبتاً للرب ؟ أو لا يمكننا أن نرى فيه اقراراً عملياً من السيد باجراء ذلك الابدال ، اقراراً فى قوته ، يفوق الوصية الصريحة ؟ ويجعل اليوم الأول من الأسبوع :

يوم الرب :

«كنت فى الروح فى يوم الرب » (رؤ ١ : ١٠) .

هذا تعبير فريد فى بابه لم يرد فى غير هذا المكان ، ، نطق به يوحنا الرائى عن رؤياه مبيناً فيه يوم تلك الرؤيا . والحالة التى كان هو فيها عند رؤيته إياها . أما اليوم فقد دعاه « يوم الرب » . أما الحالة فعبر عنها بالقول « كنت فى الروح » .

يوم الرب

هذا التعبير فى صيغته العربية . ذكره بطرس فى (٢ بط ٣ : ١٠ و ١٢) . وذكره بولس فى (١ تس ٥ : ٢) وورد أيضاً فى (أع ٢ : ٢٠) مقتبساً من (يؤ ٢ :

٣١) وقد ورد فى الأنبياء فى إش ١٣ : ٦ و ٩ ، حز ١٣ : ٥ ، يؤ ١ : ١٥ ، ٢ : ١ و ١١ ، ٣ : ١٤ ، عا ٥ : ١٨ و ٢٠ ، عو ١٥ ، صف ١ : ٧ و ١٤ ، ملا ٤ : ٥) . على أن المدقق يرى فرقاً بيناً واختلافاً جلياً بين هذا التعبير فى قول يوحنا وبينه فى سائر المواضع المذكورة وذلك فى نقطتين :

١ — فى صيغة التعبير فى اليونانية فإنها فى سائر المواضع «ايميرا كيريو» «يوم الرب» على صيغة الإضافة (ما عدا ٢ بط ٣ : ١٢ «ثيوايميراس» اليوم الإلهى) أما فى (رؤ ١ : ١٠) فهى «**كيرياكى ايميرا**» «**اليوم الربانى**» على صيغة الوصف لا الإضافة ، وهى فى هذه الحالة الوصفية لم ترد فى كل الكتاب فى غير هذا المكان .

٢ — إذا أضفنا إلى هذا الفارق اللغوى ، قرينة الكلام ، نقدر أن نرى أن «يوم الرب» الذى أشار إليه يوحنا هو غير الذى أشار إليه الأنبياء وغيرهم من كتبة العهدين . فإن قدماء الأنبياء قد أرادوا بـ «**يوم الرب**» الوقت الذى عينه الله ليجرى النقمات الشديدة على الأشرار ؛ وتسميته يوماً لا يعين مقداره . وكتبة العهد الجديد أيضاً يعبرون بـ «يوم الرب» عن يوم مجىء المسيح الثانى لإجراء الدينونة على الأشرار وللخلاص للذين ينتظرونه .

على أنه لا هذا ولا ذاك ينطبق فى معناه على «**يوم الرب**» أو اليوم الربانى الذى كان فيه يوحنا «فى الروح» ، أى فى حالة روحية ، استعداداً لرؤيا فائقة وإعلان سماوى ، منفصلة أفكاره عن الأمور المادية المحيطة به ، مرتفعة نفسه بين المناظر والأصوات المختصة بعالم الأرواح كما كان بولس حين صعد إلى السماء الثالثة (٢ كو ١٢ : ٢ — ٤) وكما كان بطرس حين وقعت عليه غيبة (أع ١٠ : ٩ — ١٦) ، هكذا كان يوحنا فى «يوم الرب» فى حالة تبعد جداً فكرة كون ذلك اليوم يوم مجىء الرب للدينونة أو للخلاص .

أما الرب الذى ينسب إليه اليوم فهو الرب يسوع المسيح الذى اجتمع بتلاميذه يوم قيامته ونفخ قائلا لهم : «اقبلوا الروح القدس» (يو ٢٠ : ٢٢) . فى هذا «الروح» كان يوحنا فى «يوم الرب» .

أما نسبة ذلك اليوم إلى الرب فباعتبار أنه يوم خاص به كما قيل ، بهذه النسبة عينها ، « عشاء الرب » (العشاء الربانى) (١كو ١١ : ٢٠) وكما قيل أيضاً « موت الرب » « وكأس الرب » « وجسد الرب » (١كو ١١ : ٢٦ و ٢٧ و ٢٩) ، « ومائدة الرب » (١كو ١٠ : ٢١) ، « وتلاميذ الرب » (أع ٩ : ١) . وقس على ذلك . فأي يوم ينسب إلى الرب ، له المجد ، فيه نكون فى الروح ، غير اليوم الذى فيه قام ، وفيه ظهر ، وفيه أرسل الروح القدس ، وفيه اجتمع مع تلاميذه فى مجتمعاتهم ؟ اليوم الأول من الأسبوع الذى يدعوه هنا « يوم الرب » ، ويشير إليه كيوم معروف جيداً لكنائس أسيا كما رأينا فى ترواس وكورنثوس وغلاطية . الأمر الذى يدل ، ليس فقط على أن الرسل والكنائس أكرموا ذلك اليوم وقدسوه للرب ، بل أيضاً يدل على أنهم أكرموه وقدسوه باسم الرب يسوع الذى صدق عليه وطبعه بطابعه الكريم .

بعد كل ما قيل ماذا يبقى لإثبات أن اليوم الأول فى الأسبوع ، يوم الأحد ، الذى يقدسه المسيحيون اليوم لعبادة ربهم ومخلصهم ، هو سبت الله حقيقة ، « يوم الرب » المبارك المقدس ؟ . خلاصة القول :

١ — أن السبت ليس يوماً من أيام الأسبوع لا أصلا ولا حقيقة ، ولو أنه صار كذلك تاريخاً . أما فى أصله وحقيقته فهو حالة فراغ من العمل وانقطاع عنـــه ، حالة راحة يعبر عنها الكتاب بكلمة استراح ومشتقاتها — « سباتسموس لشعب الله » .

٢ — — أن سبت الخليقة ، على هذا الاعتبار ، أساسه سبت الله أى استراحته بعد عمل الخلق فى ستة أيام . ويومه هو اليوم السابع لأنه جاء بعد الفراغ من عمل تلك الأيام الستة وهذا — طبيعياً — متفق مع حالة الكنيسة تحت الناموس الطبيعى على مبدأ : الراحة بعد العمل .

٣ — أن السبت اليهودى أساسه إفتداء إسرائيل من مصر على قياس التمثيل بسبت الخليقة . ويومه اليوم السابع أيضاً على قياس ذات التمثيل . وهذا — ناموسياً — يتفق مع حالة الكنيسة تحت الناموس الأدبى « لأن موسى يكتب فى البر الذى بالناموس أن الإنسان الذى يفعلها سيحيا بها » (رو ١٠ : ٥) ، الدخول إلى الراحة عن طريق العمل .

٤ – أن السبت المسيحي أساسه الفداء بموت المسيح وقيامته ، ويومه اليوم الأول وهذا – انجيلياً – يتفق مع حالة الكنيسة فى عصر الإنجيل فى العهد الجديد التى شعارها «آمن بالرب يسوع المسيح فتخلص » ، «لأنك ان اعترفت بفمك بالرب يسوع، وآمنت بقلبك أن الله أقامه من الأموات خلصت » (أع ١٦ : ٣١ ، رو ١٠ : ٩): وحيث أن الأعمال ثمر الإيمان بالمسيح والثبوت فيه ثبوت الغصن فى الكرمة لأننا بدونه لا نقدر أن نفعل شيئاً (يو ١٥ : ٥) ، فبالضرورة يكون الإيمان قبل الأعمال ، وحيث أننا بالإيمان ندخل إلى الراحة ، والإيمان قبل العمل ، فالراحة إذاً قبل العمل .

سبت الخليقة وسبت الناموس شعارهما العمل ثم الراحة فكلاهما سبت عهد الأعمال . أما سبت الإنجيل فشعاره الراحة ثم العمل لأنه سبت عهد النعمة «لأنكم بالنعمة مخلصون بالإيمان وذلك ليس منكم . هو عطية الله . ليس من أعمال كيلا يفتخر أحد . لأننا نحن عمله مخلوقين فى المسيح يسوع لأعمال صالحة قد سبق الله فأعدها لكى نسلك فيها » (أف ٢ : ٨ – ١٠) .

هذا هو السبت المسيحي الذى قال فيه إشعياء النبي : « إن رددت عن السبت رجلك ، عن عمل مسرتك يوم قدسى ، ودعوت السبت لذة ، ومقدس الرب مكرماً ، وأكرمته عن عمل طرقك ، وعن إيجاد مسرتك ، والتكلم بكلامك ؛ فإنك حينئذ تتلذذ بالرب ، وأركبك على مرتفعات الأرض وأطعمك ميراث يعقوب أبيك لأن فم الرب تكلم » (إش ٥٨ : ١٣ و ١٤) .

ما أوفى بركات سبت الإنجيل المتنوعة ! فهو واسطة فى تكوين الأخلاق ومنح السعادة التى تصل إلى كمالها فى قداسة السماء ونعيمها الدائم . وباعتبار أنه يوم اجتماع المؤمنين معاً « فهوذا ما أحسن وما أجمل أن يسكن الأخوة معاً . . . لأنه هناك أمر الرب بالبركة ، حياة إلى الأبد » (مز ١٣٣) . وما أجمله رمزاً للسبت الأبدى مع زمرة الملائكة والقديسين فى ثيابهم البيضاء وهم أمام عرش الله والخروف ، يخدمون نهاراً وليلا فى هيكله فى المدينة التى لاتحتاج إلى الشمس ولا إلى القمر ليضيئا فيها لأن مجد الله قد أنارها والخروف سراجها وهم سينظرون وجهه واسمه على جباههم وهم سيملكون إلى أبد الآبدين .

إلى هنا أعاننا الرب

